الكشاف

للزمخشري

٢١٢
ك ٠ ز

الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل فى وجوه التأويل تأليف الزمخشرى : محمود ابن عمر - ٥٣٨ هـ . بخط على بن محمد ابن عمر النجارى ٦٨٥ هـ .

ج١ ، ٢ فى مج (٣٢٣ ق) متوسط مسطرتها ٢٩س
١٨٦٥ ٢١×٢٦٫٥ سم

نسخه جيده ،خطها نسخ تعليق ،ناقصه الآخر بها رطوبه وترميم ،طبع

الاعلام ٨ :٥٥ معجم المطبوعات ١ :٩٧٤

١ - التفسير ،القرآن الكريم وعلومه أ- المؤلف ب- الناسخ ج - تاريخ النسخ د- تفسير الزمخشرى هـ- تفسير الكشاف .

ملكته بالاستيهاب وانا العبد الراجي الجري القاني
محمد بن حسن بن محمد المدعو بنهادا الله بن الاصفهاني

شرح دار الحديث خطيب تحفه الاشراف وهو للطيبي واري شيرازي

كشف طيبي جار

٢١٩

تفسیر کشاف

مایده انعام اعراف انفال توبه یونس هود یوسف

رعد ابراهیم حجر نحل بنی اسرائیل کهف مریم طاها انبیا حج مومنون نور فرقان

شعرا نمل قصص عنکبوت روم لقمان سجده احزاب سبا فاطر یس والصافات

زمر مومن حم سجده عسق زخرف دخان جاثیه احقاف قتال فتح حجرات

ق والذاریات والطور والنجم قمر رحمان واقعه حدید مجادله حشر ممتحنه صف جمعه

منافقون تغابن طلاق التحریم ملک القلم الحاقه معارج نوح جن مزمل مدثر قیامه

دهر مرسلات نبا نازعات عبس تکویر انفطار مطففین انشقاق بروج طارق

اعلی غاشیه فجر بلد والشمس اللیل ضحی الم نشرح والتین العلق قدر لم یکن

زلزال عادیات قارعه تکاثر عصر همزه فیل قریش ماعون کوثر الکافرون نصر تبت

من ممالک ... الرحمن بن ... الاصبهانی

کشاف

کشاف

عنه وغناه وانما ينفعه العمل الصالح ومنك معناه عندك وقوله تعالى
جد ربنا اي عظمة ربنا ويقال غناه وفي حديث انس كان الرجل منا اذا
قرا البقرة وال عمران جد فينا اي عظم في اعيننا والجد ذا الارض

للفاضل كمال الدين المظفر رحمه الله

ان التفاسير في الدنيا بلا عدد وليس فيها العمري مثل كشاف

ان كنت تبغي الهدى فالزم قراءته فالجهل كالداء والكشاف كالشافي

توفي الامام الاجل شيخ العرب والعجم ... جار الله ... العلامة ...
وكان ... على ... الجنان ... سنة ثمان وثلثين وخمسمائة

ح علامة كشف البيان لتفسير ...
عبد الرحمن ... ز علامة
معاني الزجاج ج علامة حجة القراء
و علامة الواضح لعبد الله بن المبارك
الدينوري ب علامة تفسير الكلبي
ع اختيار ابي عبيد ر علامة تفسير ...
ح علامة ينابيع العلوم

... للامام البارع ...
... العلامة صاحب الكتاب ...
... الخلفا والعلما طرا ...
ولقب صاحب الكشاف ...
فلا يدعوه بعد زمخشريا سوى ...
ونشد ... اليوم عنه لسان ...
اذا اهل الكرامة اكرموني فلا اخشى ...

... هذا الدفتر مع الدفتر الثاني ملكا صحيحا
... الشرعي للامام العالم العامل الفاضل
المتدين المتقي سعد الملة والدين العراقي متعه الله
بهذا الكتاب وبامثاله ومتع الله به عباده بتقاه باد
خمسة واربعين دينارا ... دنانير ... دراهم من دراهم
خوارزم لا زالت معمورة ... الشهود بهذا الشرى
كاتب هذه الاسطر ... الخوارزمي

... بين قسمين ... عليه ...
... وتعقب ذلك جمعت بين ... عليه ...
تعالى ان تقول ان اراد الواحد ... المقسم ... ان ... الثاني ...
الاستعطاف ... واذا اراد ... واللام للتعظيم لا للقسم ...
... على ... ان الواو ... والواو ...
عن الخليل ايضا ... ان تقول ... الفعل ... الخليل ...
الاسم ... ان الوجهان ... عنده ... الواو ...
بعد لا ... التام ومنها ما قال الخليل ... الدليل على الواو ...
لا للقسم ... اقسم بهذا ... ولو كان ... وان ...
كقولك بالله لافعلن تالله لا ... ومنها ما قال الخليل ...
... لا فعلن ... بمنزلة الواو وهذان ...
... ملان ... انه ... اقسم بهذه الاشيا على ... ولو كان ...
... المقسم عليه ولو جاز ذلك لما لزم من وقوعه محال ...
... على ... وهذا ضعيف جدا ... ان يقول ...
... لان حذف المقسم عليه في ... انما جاز عند ...
... استعمال ... واما الثاني فضعفه ظاهر ...
... ان لا ... في بعض ... انه ...
... هذا ... لولا ان هدانا الله

من منن الملك ... محمد بن ... بن داود ... رمضان ...

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل القران كلاما مولفا منظما ونزله بحسب المصالح منجما وجعله بالتحميد مفتتحا وبالاستعاذة مختتما
واوحاه على قسمين متشابها ومحكما وفصله سورا وسوره ايات وميز بينهن بفصول وغايات وما هي الا صفات مبتدا مبتدع
وسمات منشا مخترع فسبحان من استاثر بالاولية والقدم ووسم كل شي سواه بالحدوث عن العدم انشاه كتابا ساطعا
تبيانه قاطعا برهانه وحيا ناطقا ببينات وحجج قرانا عربيا غير ذي عوج مفتاحا للمنافع الدينية والدنياوية مصدقا
لما بين يديه من الكتب السماوية معجزا باقيا دون كل معجز على وجه كل زمان دايرا من بين ساير الكتب على كل لسان في كل مكان افحم به من
طولب بمعارضته من العرب العربا وابكم به من تحدى به من مصاقع الخطبا فلم يتصد للاتيان بما يوازيه او يدانيه واحد من فصحايهم
ولم ينهض لمقدار اقصر سورة منه ناهض من بلغايهم على انهم كانوا اكثر من حصى البطحا واوفر عددا من رمال الدهنا ولم ينبض
منهم عرق العصبية مع اشتهارهم بالافراط في المضادة والمضارة والقايهم الشراشر على المعازة والمعارة ولقايهم
دون المناضلة عن احسابهم الخطط وركوبهم في كل ما يرومونه الشطط ان اتاهم احد بمفخرة اتوه بمفاخر وان رماهم
بماثرة رموه بماثر وقد جرد لهم الحجة اولا والسيف اخرا فلم يعارضوا الا السيف وحده على ان السيف القاضب مخراق
لاعب ان لم تمض الحجة حده فما اعرضوا عن معارضة الحجة الا لعلمهم ان البحر قد زخر فطم على المناكب وان
الشمس قد اشرقت فطمست نور الكواكب والصلوة على خير من اوحي اليه حبيب الله ابي القسم محمد بن عبد
الله بن عبد المطلب بن هاشم ذي اللوا المرفوع في بني لوي وذي الفرع المنيف في عبد مناف بن قصي المثبت
بالعصمة المويد بالحكمة الشادخ الغرة الواضح التحجيل النبي الامي المكتوب في التورية والانجيل
وعلى اله الاطهار وخلفايه من الاختان والاصهار وعلى جميع المهاجرين والانصار اعلم ان
متن كل علم وعمود كل صناعة طبقات العلما فيه متدانية واقدام الصناع فيه متقاربة او متساوية ان سبق العالم العالم لم
يسبقه الا بخطى يسيرة او تقدم الصانع الصانع لم يتقدمه الا بمسافة قصيرة وانما الذي تباينت فيه الرتب
وتحاكت فيه الركب ووقع فيه الاستباق والتناضل وعظم فيه التفاوت والتفاضل حتى انتهى الامر الى امد من الوهم
متباعد وترقى الى ان عد الف بواحد ما في العلوم والصناعات من محاسن النكت والفقر ومن لطايف معان يدق فيها مباحث
الفكر ومن غوامض اسرار محتجبة ورا استار لا يكشف عنها من الخاصة الا اوحدهم واخصهم والا واسطتهم
وفصهم وعامتهم عماة عن ادراك حقايقها باحداقهم عناة في يد التقليد لا يمن عليهم بجز نواصيهم
واطلاقهم ثم ان املا العلوم بما يغمر القرايح وانهضها بما يبهر الالباب القوارح من غرايب نكت يلطف مسلكها
ومستودعات اسرار يدق سلكها علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه واجالة النظر فيه كل ذي علم كما ذكر الجاحظ في كتاب
نظم القران فالفقيه وان برز على الاقران في علم الفتاوى والاحكام والمتكلم وان بز اهل الدنيا في صناعة الكلام
وحافظ القصص والاخبار وان كان من ابن القرية احفظ والواعظ وان كان من الحسن البصري اوعظ والنحوي وان
كان انحى من سيبويه واللغوي وان علك اللغات بقوة لحييه لا يتصدى منهم احد لسلوك تلك الطرايق ولا يغوص

على شيء من تلك الحقايق الا رجل قد برع في علمين مختصين بالقران وهما علم المعاني وعلم البيان وتمهل في ارتيادهما اونة
وتعب في التنقير عنهما ازمنة وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطايف حجة الله وحرص على استيضاح معجزة رسول الله
بعد ان يكون اخذا من ساير العلوم بحظ جامعا بين امرين تحقيق وحفظ كثير المطالعات طويل المراجعات قد رجع زمانا ورجع اليه
ورد ورد عليه فارسا في علم الاعراب مقدما في حملة الكتاب وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة منقادها مشتعل القريحة وقادها يقظان
النفس دراكا للمحة وان لطف شانها منتبها على الرمزة وان خفي مكانها لا كزا جاسيا ولا غليظا جافيا متصرفا ذا دربة باساليب
النظم والنثر مرتاضا غير ريض بتلقيح بنات الفكر قد علم كيف يرتب الكلام ويولف وكيف ينظم ويرصف طالما دفع الى مضايقه ووقع
في مداحضه ومزالقه ولقد رايت اخواننا في الدين من افاضل الفية الناجية العدلية الجامعين بين علم العربية والاصول الدينية
كلما رجعوا الي في تفسير اية فابرزت لهم بعض الحقايق من الحجب افاضوا في الاستحسان والتعجب واستطيروا شوقا الى مصنف يضم اطرافا
من ذلك حتى اجتمعوا الي مقترحين ان املي عليهم الكشف عن حقايق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التاويل فاستعفيت
فابوا الا المراجعة والاستشفاع بعظما الدين وعلما العدل والتوحيد والذي حداني الى الاستعفاء على علمي انهم طلبوا ما الاجابة اليه
علي واجبة لان الخوض فيه كفرض العين ما ارى عليه الزمان من رثاثة احواله وركاكة رجاله وتقاصر هممهم عن ادنى عدد هذا
العلم فضلا ان تترقى الى الكلام المؤسس على علمي المعاني والبيان فامليت عليهم مسالة في الفواتح وطايفة من الكلام في حقايق
سورة البقرة وكان كلاما مبسوطا كثير السوال والجواب طويل الذيول والاذناب وانما حاولت به التنبيه على غزارة نكت هذا العلم
وان يكون لهم منارا ينتحونه ومثالا يحتذونه فلما صمم العزم على معاودة جوار الله والاناخة بحرم الله فتوجهت تلقا مكة وجدت
في مجتازي بكل بلدة من فيه مسكة من اهلها وقليل ما هم عطشى الاكباد الى العثور على ذلك المملى متطلعين الى ايناسه حراصا
على اقتباسه فهز ما رايت من عطفي وحرك الساكن من نشاطي فلما حططت الرحل بمكة اذا انا بالشعبة السنية من الدوحة الحسنية
الامير الشريف الامام شرف ال رسول الله ابي الحسن علي بن حمزة بن وهاس ادام الله مجده وهو النكتة والشامة في بني الحسن
مع كثرة محاسنهم وجموم مناقبهم اعطش الناس كبدا والهبهم حشى واوفاهم رغبة حتى ذكر انه كان يحدث نفسه في مدة
غيبتي عن الحجاز مع تزاحم ما هو فيه من المشادة بقطع الفيافي وطي المهامه والوفادة علينا بخوارزم ليتوصل الى اصابة هذا
الغرض فقلت قد ضاقت علي المستعفى الحيل وعيت به العلل ورايتني قد اخذت مني السن وتقعقع الشن وناهزت العشر التي
سمتها العرب دقاقة الرقاب فاخذت في طريقة اخصر من الاولى مع ضمان التكثير من الفوايد والفحص عن السراير ووفق الله
وسدد ففرغ منه في مقدار مدة خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنه وكان يقدر تمامه في اكثر من ثلاثين سنة وما هي الا
اية من ايات هذا البيت المحرم وبركة افيضت علي من بركات هذا الحرم المعظم اسال الله تعالى ان يجعل ما تعبت فيه منه سببا
ينجيني ونورا لي على الصراط يسعى بين يدي وبيميني ونعم المسول فاتحة الكتاب مكية وقيل مكية ومدنية لانها نزلت
بمكة مرة وبالمدينة اخرى وتسمى ام القران لاشتمالها على المعاني التي في القران من الثنا على الله بما هو اهله ومن التعبد
بالامر والنهي ومن الوعد والوعيد وسورة الكنز والوافية لذلك وسورة الحمد والمثاني لانها تثنى في كل ركعة وسورة الصلوة

لانها تكون فاصلة او مجزية بقراءتها فيها وسورة الشفا الشافية وهي سبع ايات بالاتفاق الا ان منهم من عد انعمت عليهم دون
التسمية ومنهم من مذهبه على العكس بسم الله الرحمن الرحيم قراء المدينة والبصرة والشام على ان التسمية ليست باية من الفاتحة
ولا من غيرها من السور وانما كتبت للفصل والتبرك بالابتداء بها كما بدئ بذكرها في كل امر ذي بال وهو مذهب ابي حنيفة ومن
تابعه ولذلك لا يجهر بها عندهم في الصلوة وقراء مكة والكوفة وفقهاؤهما على انها اية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعي
واصحابه ولذلك يجهرون بها وقالوا قد اثبتها السلف في المصحف مع توصيتهم بتجريد القران ولذلك لم يثبتوا امين فلولا انها من
القران لما اثبتوها وعن ابن عباس من تركها فقد ترك مائة واربع عشرة اية من كتاب الله تعالى فان قلت بم تعلقت الباء قلت
بمحذوف تقديره بسم الله اقرا او اتلو لان الذي يتلو التسمية مقرو كما ان المسافر اذا حل او ارتحل فقال بسم الله والبركات كان
المعنى بسم الله احل وبسم الله ارتحل وكذلك الذابح وكل فاعل يبدأ في فعله ببسم الله كان مضمرا ما جعل التسمية مبدأ له ونظيره في حذف
متعلق الجار قوله عز وجل وعلا في تسع ايات الى فرعون وقومه اي اذهب في تسع ايات وكذلك قول العرب في الدعاء للمعرس
بالرفاء والبنين وقول الاعرابي باليمن والبركة بمعنى اعرست او نكحت ومنه قوله فقلت الى الطعام فقال منهم فريق نحسد الانس الطعاما
فان قلت لم قدرت المحذوف متاخرا قلت لان الاهم من الفعل والمتعلق به هو المتعلق به لانهم كانوا يبدؤون باسماء الهتهم فيقولون
باسم اللات باسم العزى فوجب ان يقصد الموحد اختصاص اسم الله عز وعلا بالابتداء وذلك بتقديمه وتاخير الفعل كما فعل في
قوله اياك نعبد حيث صرح بتقديم الاسم ارادة الاختصاص والدليل عليه قوله باسم الله مجريها ومرسيها فان قلت فقد قال اقرا باسم ربك
فقدم الفعل قلت هناك تقديم الفعل اوقع لانها اول سورة نزلت فكان الامر بالقراءة اهم فان قلت ما معنى تعلق اسم الله تعالى بالقراءة
قلت فيه وجهان احدهما ان يتعلق بها تعلق القلم بالكتبة في قولك كتبت بالقلم على معنى ان المومن لما اعتقد ان فعله لا يجيء معتدا به
في الشرع واقعا على السنة حتى يصدر بذكر اسم الله لقوله عليه السلام كل امر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو ابتر والا كان فعلا كلا
فعل جعل فعله مفعولا باسم الله كما يفعل الكتب بالقلم والثاني ان يتعلق به تعلق الدهن بالانبات في قوله تنبت بالدهن على معنى متبركا
باسم الله اقرا وكذلك قول الداعي للمعرس بالرفاء والبنين معناه اعرست ملتبسا بالرفاء والبنين وهذا الوجه اعرب واحسن فان قلت
فكيف قال الله تعالى متبركا باسم الله اقرا قلت هذا مقول على السنة العباد كما يقول الرجل الشعر على لسان غيره وكذلك الحمد لله رب
العالمين الى اخره وكثير من القران على هذا المنهاج ومعناه تعليم عباده كيف يتبركون باسمه وكيف يحمدونه ويمجدونه فان قلت
من حق حروف المعاني التي جاءت على حرف واحد ان تبنى على الفتحة التي هي اخت السكون نحو كاف التشبيه ولام الابتداء وواو العطف
وفائه وغير ذلك فما بال لام الاضافة وبائها بنيتا على الكسر قلت اما اللام فللفصل بينها وبين لام الابتداء واما الباء فلكونها
لازمة للحرفية والجر والاسم احد الاسماء العشرة التي بنوا اوائلها على السكون فاذا نطقوا بها مبتدئين زادوا همزة لئلا يقع ابتداؤهم
بالساكن اذ كان دابهم ان يبتدئوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن لسلامة لغتهم من كل لكنة وبشاعة ولوضعها على غاية من الاحكام
والرصانة واذا وقعت في الدرج لم يفتقر الى زيادة شيء ومنهم من لم يزدها واستغنى عنها بتحريك الساكن فقال سم وسم قال
باسم الذي في كل سورة سمه وهو من الاسماء المحذوفة الاعجاز كيد ودم واصله سمو بدليل تصريفه كاسماء وسمي وسميت واشتقاقه من

السمو لان التسمية تنويه بالمسمى واشادة بذكره ومنه قيل للقب النبز من النبز وهو رفع الصوت والنبز قشر النخلة الاعلى فان
قلت فلم حذفت الالف في الخط واثبتت في قوله باسم ربك قلت قد اتبعوا في حذفها حكم الدرج دون الابتداء الذي عليه وضع الخط
لكثرة الاستعمال وقالوا طولت الباء تعويضا من طرح الالف وعن عمر بن عبد العزيز انه قال لكاتبه طول الباء واظهر السينات
ودور الميم والله اصله الاله قال معاذ الاله ان تكون كظبية ونظيره الناس اصله الاناس قال ان المنايا يطلعن على الاناس
الامنينا فحذفت الهمزة وعوض منها حرف التعريف ولذلك قيل في النداء يا الله بالقطع كما يقال يا اله والاله من اسماء الاجناس
كالرجل والفرس اسم يقع على كل معبود بحق او باطل ثم غلب على المعبود بحق كما ان النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا وكذلك
السنة على عام القحط والبيت على الكعبة والكتاب على كتاب سيبويه واما الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره
ومن هذا الاسم اشتق تاله واله واستاله كما قيل استنوق واستحجر في الاشتقاق من الناقة والحجر فان قلت اسم هو ام صفة قلت
بل اسم غير صفة الا تراك تصفه ولا تصف به لا تقول شيء اله كما لا تقول شيء رجل وتقول اله واحد صمد كما تقول رجل كريم خير وايضا
فان صفاته تعالى لا بد لها من موصوف تجري عليه فلو جعلتها كلها صفات بقيت غير جارية على اسم موصوف بها وهذا محال فان
قلت هل لهذا الاسم اشتقاق قلت معنى الاشتقاق ان ينتظم الصيغتين فصاعدا معنى واحد وصيغة هذا الاسم وصيغة قولهم اله
اذا تحير ومن اخواته دله وعله ينتظمهما معنى التحير والدهشة وذلك ان الاوهام تتحير في معرفة المعبود وتدهش الفطن
ولذلك كثر الضلال وفشا الباطل وقل النظر الصحيح فان قلت هل تفخم لامه قلت نعم قد ذكر الزجاج ان تفخيمها سنة وعلى ذلك
العرب كلهم واطباقهم عليه دليل انهم ورثوه كابرا عن كابر والرحمن فعلان من رحم كغضبان وسكران من غضب وسكر وكذلك
الرحيم فعيل منه كمريض وسقيم من مرض وسقم وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قالوا رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الاخرة
ويقولون ان الزيادة في البناء لزيادة المعنى وقال الزجاج في الغضبان هو الممتلئ غضبا ومما طن على اذني من ملح العرب انهم يسمون
مركبا من مراكبهم بالشقدف وهو مركب خفيف ليس في ثقل محامل العراق فقلت في طريق الطائف لرجل منهم ما اسم هذا المحمل اردت المحمل
العراقي فقال اليس ذاك اسمه الشقدف قلت بلى فقال فهذا اسمه الشقنداف فزاد في بناء الاسم لزيادة المسمى وهو من الصفات
الغالبة كالدبران والعيوق والصعق واما قول بني حنيفة في مسيلمة رحمان اليمامة وقول شاعرهم وانت غيث الورى لا زلت رحمانا
فباب من تعنتهم في كفرهم فان قلت كيف تقول الله رحمن اتصرفه ام لا قلت اقيسه على اخواته من بابه اعني نحو عطشان وغرثان وسكران
فلا اصرفه فان قلت قد شرط في امتناع صرف فعلان ان يكون فعلان فعلى واختصاصه بالله يحظر ان يكون فعلان فعلى فلم تمنعه الصرف فعلان
قلت كما حظر ذلك ان يكون له مؤنث على فعلى كعطشى فقد حظر ان يكون له مؤنث على فعلانة كندمانة فاذن لا عبرة بامتناع التانيث
للاختصاص العارض فوجب الرجوع الى الاصل قبل الاختصاص وهو القياس على نظائره فان قلت ما معنى وصف الله بالرحمة ومعناها
العطف والحنو ومنها الرحم لانعطافها على ما فيها قلت هو مجاز عن انعامه على عباده لان الملك اذا عطف على رعيته ورق لهم اصابهم
بمعروفه وانعامه كما انه اذا ادركته الفظاظة والقسوة عنف بهم ومنعهم خيره ومعروفه فان قلت فلم قدم ما هو ابلغ من الوصفين على
ما هو دونه والقياس الترقي من الادنى الى الاعلى كقولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض قلت لما قال الرحمن فتناول

جلائل النعم وعظائمها واصولها اردفه الرحيم كالتتمة والرديف ليتناول ما دق منها ولطف الحمد لله الحمد والمدح اخوان وهو الثنا
والندا على الجميل من نعمة وغيرها تقول حمدت الرجل على انعامه وحمدته على حسبه وشجاعته واما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو با
لقلب واللسان والجوارح قال افادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا والحمد باللسان وحده فهو احدى شعب
الشكر ومنه قوله عليه الصلوة والسلم الحمد راس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وانما جعله راس الشكر لان ذكر النعمة باللسان
والثنا على موليها اشيع لها وادل على مكانها من الاعتقاد واداب الجوارح لخفا عمل القلب وما في عمل الجوارح من الاحتمال بخلاف
عمل اللسان وهو النطق الذي يفصح عن كل خفي ويجلي كل مشتبه والحمد نقيضه الذم والشكر نقيضه الكفران وارتفاع الحمد بالابتدا وخبره
الظرف الذي هو لله واصله النصب الذي هو قراءة بعضهم باضمار فعله على انه من المصادر التي ينصبها العرب بافعال مضمرة في معنى الاخبار
كقولهم شكرا وكفرا وعجبا وما اشبه ذلك ومنها سبحانك ومعاذ الله ينزلونها منزلة افعالها ويسدون بها مسدها ولذلك لا يستعملونها
معها ويجعلون استعمالها كالشريعة المنسوخة والعدل بها عن النصب الى الرفع على الابتداء للدلالة على ثبات المعنى واستقراره ومنه
قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام رفع السلام الثاني للدلالة على ان ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه حياهم بتحية احسن من تحيتهم
لان الرفع دال على معنى ثبات السلام لهم دون تجدده وحدوثه والمعنى نحمد الله حمدا ولذلك قيل اياك نعبد واياك نستعين لانه بيان
لحمدهم له كان قيل كيف تحمدون فقيل اياك نعبد فان قلت ما معنى التعريف فيه قلت هو نحو التعريف في ارسلها العراك وهو تعريف
الجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد من ان الحمد ما هو والعراك ما هو من بين اجناس الافعال والاستغراق الذي يتوهمه
كثير من الناس وهم منهم وقرا الحسن البصري الحمد لله بكسر الدال لاتباعها اللام وقرا ابراهيم بن عبلة الحمد لله بضم اللام لاتباعها
الدال والذي جسرهما على ذلك والاتباع انما يكون في كلمة واحدة كقولهم منحدر الجبل ومغيرة تنزل الكلمتين منزلة كلمة واحدة لكثرة استعمالهما
مقترنتين واشف القراءتين قراءة ابراهيم حيث جعل الحركة البنائية تابعة للاعرابية التي هي اقوى بخلاف قراءة الحسن الرب المالك ومنه
قول صفوان لابي سفيان لان يربني رجل من قريش احب الي من ان يربني رجل من هوازن تقول ربه يربه فهو رب كما تقول نم عليه
ينم فهو نم ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل ولم يطلقوا الرب الا في الله وحده وهو في غيره على التقييد
بالاضافة كقولهم رب الدار ورب الناقة وقوله تعالى ارجع الى ربك انه ربي احسن مثواي وقرا زيد بن علي رب العالمين بالنصب
على المدح وقيل بما دل عليه الحمد لله كانه قيل نحمد الله رب العالمين والعالم اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين وقيل كل ما علم
به الخالق من الاجسام والاعراض فان قلت لم جمع قلت ليشمل كل جنس مما سمي به فان قلت فهو اسم غير صفة وانما يجمع بالواو والنون
صفات العقلاء او ما في حكمها من الاعلام قلت ساغ ذلك لمعنى الوصفية فيه وهي الدلالة على معنى العلم قرى ملك يوم الدين ومالك
يوم الدين وملك بتخفيف اللام وقرا ابو حنيفة رحمه الله ملك يوم الدين بلفظ الفعل ونصب اليوم وقرا ابو هريرة رضي الله عنه
مالك بالنصب وقرا غيره ملك وهو نصب على المدح ومنهم من قرا مالك بالرفع وملك هو الاختيار لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله لمن
الملك اليوم ولقوله ملك الناس ولان الملك يعم والملك يخص ويوم الدين يوم الجزاء ومنه قولهم كما تدين تدان وبيت الحماسة
ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا فان قلت ما هذه الاضافة قلت هو اضافة اسم الفاعل الى الظرف على طريق الاتساع

مجرى

مجرى مجرى المفعول كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار والمعنى على الظرفية ومعناه مالك الامر كله في يوم الدين كقوله لمن الملك
اليوم فان قلت فاضافة اسم الفاعل اضافة غير حقيقية فلا تكون معطية معنى التعريف فكيف ساغ وقوعه صفة للمعرفة قلت انما يكون
غير حقيقية اذا اريد باسم الفاعل الحال او الاستقبال فكان في تقدير الانفصال كقولك مالك الساعة او غدا فاما اذا قصد معنى
الماضي كقولك هو مالك عبده امس او زمان مستمر كقولك زيد مالك العبيد كانت الاضافة حقيقية كقولك مولى العبيد وهذا
هو المعنى في مالك يوم الدين ويجوز ان يكون المعنى ملك الامور يوم الدين كقوله ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب الاعراف والدليل
عليه قراءة ابي حنيفة ملك يوم الدين وهذه الاوصاف التي اجريت على الله سبحانه من كونه ربا مالكا للعالمين لا يخرج منهم بكون
شيء من ملكوته وربوبيته ومن كونه منعما بالنعم كلها الظاهرة والباطنة والجلائل والدقائق ومن كونه مالكا للامر كله في العاقبة
يوم الثواب والعقاب بعد الدلالة على اختصاص الحمد به وانه به حقيق في قوله الحمد لله دليل على ان من كانت هذه صفاته لم يكن
احد احق منه بالحمد والثنا عليه بما هو اهله ايا ضمير منفصل للمنصوب واللواحق التي تلحقه من الكاف والها واليا في قولك
اياك واياه واياي لبيان الخطاب والغيبة والتكلم ولا محل لها من الاعراب كما لا محل للكاف في ارايتك وليست باسماء مضمرة وهو
مذهب الاخفش وعليه المحققون واما ما حكاه الخليل عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب فشيء شاذ لا يعول
عليه وتقديم المفعول لقصد الاختصاص كقوله قل افغير الله تامروني اعبد قل اغير الله ابغي ربا والمعنى نخصك بطلب المعونة
وقرى اياك بتخفيف اليا واياك بفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة ها قال طفيل الغنوي فهياك والامر الذي ان تراحبت
موارده ضاقت عليك مصادره والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه ثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة
وقوة النسج ولذلك لم تستعمل الا في الخضوع لله لانه مولي اعظم النعم فكان حقيقا باقصى غاية الخضوع فان قلت لم عدل عن لفظ
الغيبة الى لفظ الخطاب قلت يسمى الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة والى التكلم ومن الغيبة
كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقد التفت امرؤ القيس
ثلاث التفاتات في ثلاثة ابيات تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلي ولم ترقد وبات وباتت له ليلة كليلة ذي العائر الارمد
وذلك من نبا جاءني وخبرته عن ابي الاسود وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه ولان الكلام اذا نقل
من اسلوب الى اسلوب كان ذلك احسن تطرية لنشاط السامع وايقاظا للاصغاء اليه من اجرائه على اسلوب واحد وقد تختص
مواقعه بفوائد ومما اختص به هذا الموضع انه لما ذكر الحقيق بالحمد واجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم
عظيم الشان حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل
اياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة لا نعبد غيرك ولا نستعينه ليكون الخطاب ادل على ان العبادة له
لذلك التميز الذي لا تحق العبادة الا به فان قلت لم قرنت الاستعانة بالعبادة قلت ليجمع بين ما يتقرب به العباد
الى ربهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون اليه من جهته فان قلت فلم قدمت العبادة على الاستعانة قلت لان تقديم الوسيلة
قبل طلب الحاجة ليستوجبوا الاجابة اليها فان قلت لم اطلقت الاستعانة قلت ليتناول كل مستعان فيه والاحسن
ان تراد الاستعانة به وبتوفيقه على اداء العبادة ويكون قوله اهدنا بيانا للمطلوب من المعونة كانه قيل كيف اعينكم

فقالوا اهدنا الصراط المستقيم وانما كان احسن لتلاؤم الكلام واخذ بعضه بحجزة بعض وقرا ابن حبيش نستعين بكسر
النون هدى اصله ان يتعدى باللام او بالى كقوله ان هذا القران يهدى للتي هي اقوم وانك لتهدى الى صراط مستقيم فعومل
معاملة اختار في قوله واختار موسى قومه ومعنى طلب الهداية وهم مهتدون طلب زيادة الهدى بمنح الالطاف كقوله
والذين اهتدوا زادهم هدى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وعن علي وابي رضي الله تعالى عنهما اهدنا ثبتنا وصيغة
الامر والدعاء واحدة لان كل واحد منهما طلب وانما يتفاوتان في الرتبة وقرا عبد الله ارشدنا الصراط الجادة من سرط الشي ابتلعه
لانه يسترط السابلة اذا سلكوه كما سمي لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا لاجل الطاء كقولك مصيطر في مسيطر وقد تشم الصاد
صوت الزاي وقرئ بهن جميعا وفصحاهن اخلاص الصاد وهي لغة قريش وهي الثابتة في الامام ويجمع سرطا نحو كتاب وكتب ويذكر
ويؤنث كالطريق والسبيل والمراد به طريق الحق وهو ملة الاسلام صراط الذين انعمت عليهم بدل من الصراط المستقيم وهو في حكم تكرير
العامل كانه قيل اهدنا الصراط المستقيم اهدنا صراط الذين انعمت عليهم كما قال للذين استضعفوا لمن امن منهم فان قلت ما فائدة
البدل وهلا قيل اهدنا صراط الذين انعمت عليهم قلت فائدته التوكيد لما فيه من التثنية والتكرير والاشعار بان الطريق المستقيم
بيانه وتفسيره طريق المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على ابلغ وجه واكده كما تقول هل ادلك على اكرم
الناس وافضلهم فلان فيكون ذلك ابلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك هل ادلك على فلان الاكرم الافضل لانك ثنيت ذكره
مجملا اولا ومفصلا ثانيا واوقعت فلانا تفسيرا وايضاحا للاكرم الافضل فجعلته علما في الكرم والفضل وكانك قلت من اراد رجلا
جامعا للخصلتين فعليه بفلان فهو المشخص المعين لاجتماعهما فيه غير مدافع ولا منازع والذين انعمت عليهم هم المؤمنون واطلق
الانعام ليشمل كل انعام لان من انعم الله عليه بنعمة الاسلام لم تبق نعمة الا اصابته واشتملت عليه وعن ابن عباس هم اصحاب موسى
قبل ان يغيروا وقيل هم الانبيا وقرا ابن مسعود صراط من انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين بدل من الذين انعمت عليهم
على ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال او صفة على انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان وبين السلامة
من غضب الله والضلال فان قلت كيف صح ان يقع غير صفة للمعرفة وهو لا يتعرف وان اضيف الى المعارف قلت الذين
انعمت عليهم لا توقيت فيه فهو كقوله ولقد امر على اللئيم يسبني ولان المغضوب عليهم والضالين
خلاف المنعم عليهم فليس في غير اذن الابهام الذي يابى عليه ان يتعرف وقرئ بالنصب على الحال وهي قراءة رسول الله
صلى الله عليه واله وسلم وعمر بن الخطاب ورويت عن ابن كثير وذو الحال الضمير في عليهم والعامل انعمت وقيل المغضوب
هم اليهود لقوله من لعنه الله وغضب عليه والضالون هم النصارى لقوله قد ضلوا من قبل فان قلت ما معنى غضب الله قلت
هو ارادة الانتقام من العصاة وانزال العقوبة بهم وان يفعل بهم ما يفعله الملك اذا غضب على من تحت يده نعوذ بالله من غضبه
ونساله رضاه ورحمته فان قلت اي فرق بين عليهم الاولى والثانية قلت الاولى محلها النصب على المفعولية والثانية
محلها الرفع على الفاعلية فان قلت لم دخلت لا في ولا الضالين قلت لما في غير من معنى النفي كانه قيل لا المغضوب عليهم
ولا الضالين وتقول انا زيدا غير ضارب مع امتناع قولك انا زيدا مثل ضارب لانه بمنزلة قولك انا زيدا لا ضارب وعن عمر وعلي
رضي الله عنهما انهما قرا وغير الضالين وقرا ايوب السختياني ولا الضألين بالهمز كما قرا عمرو بن عبيد ولا جأن وهذه لغة

من جد

من جد في الهرب من التقاء الساكنين ومنها ما حكاه ابو زيد من قولهم شابة ودابة امين صوت سمي به الفعل الذي هو استجب
كما ان رويد وحيهل وهلم اصوات سميت بها الافعال التي هي امهل واسرع واقبل وعن ابن عباس سالت رسول الله
صلى الله عليه واله وسلم عن معنى امين فقال افعل وفيه لغتان مد الفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال امينا وقال امين فزاد
الله ما بيننا بعدا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لقنني جبرائيل امين عند فراغي من قراءة فاتحة الكتاب وقال انه كالختم على
الكتاب وليس من القران بدليل انه لم يثبت في المصاحف وعن الحسن لا يقولها الامام لانه الداعي وعن ابي حنيفة رحمه الله
مثله والمشهور عنه وعن اصحابه انه يخفيها وروى الاخفاء عبد الله بن مغفل وانس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعند الشافعي يجهر بها وعن وائل بن حجر ان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قرا ولا الضالين قال امين ورفع به الصوت وعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال لابي بن كعب الا اخبرك بسورة لم تنزل في التورية والانجيل والقران مثلها قلت بلى يا رسول الله قال
فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقران العظيم الذي اوتيته وعن حذيفة بن اليمان ان النبي عليه السلام قال ان القوم ليبعث
الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرا صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك
العذاب اربعين سنة

سورة البقرة مدنية وهي مائتان وسبع وثمانون اية بسم الله الرحمن الرحيم

الم اعلم ان الالفاظ
التي يتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التي منها ركبت الكلم فقولك ضاد اسم سمي به ضه من ضرب اذا تهجيته وكذلك
را با اسمان لقولك ره به وقد روعيت في هذه التسمية لطيفة وهي ان المسميات لما كانت الفاظا كاساميها وهي حروف
وحدان والاسامي عدد حروفها مرتق الى الثلاثة اتجه لهم طريق الى ان يدلوا في التسمية على المسمى فلم يغفلوها وجعلوا المسمى صدر
كل اسم منها كما ترى الا الالف فانهم استعاروا الهمزة مكان مسماها لانه لا يكون الا ساكنا ومما يضاهيها في ايداع اللفظ دلالة على التهليل
والحوقلة والحيعلة والبسملة وحكمها ما لم تلها العوامل ان تكون ساكنة الاعجاز موقوفة كاسماء الاعداد فيقال الف لام ميم كما
يقول واحد اثنان ثلثة فاذا وليتها العوامل ادركها الاعراب كقولك هذه الف وكتبت الفا ونظرت الى الف وهكذا حكم كل
اسم عمدت الى تادية ذاته فحسب قبل ان يحدث فيه بدخول العوامل شيء من تاثيراتها فحقك ان تلفظ به موقوفا الا ترى
انك اذا اردت ان تلقي على الحاسب اجناسا مختلفة ليرفع حسبانها كيف تصنع وكيف تلقيها اغفالا من سمة الاعراب
فتقول دار غلام جارية ثوب بساط ولو اعربت ركبت شططا فان قلت لم قضيت لهذه الالفاظ بالاسمية وهلا زعمت
انها حروف كما وقع في عبارات المتقدمين قلت قد استوضحت بالبرهان النير انها اسماء غير حروف فعلمت ان قولهم خليق
بان يصرف الى التسامح وقد وجدناهم متسامحين في تسمية كثير من الاسماء التي لا يقدح اشكال في اسميتها كالظروف وغيرها
بالحروف مستعملين الحرف في معنى الكلمة وذلك ان قولك الف دلالته على اوسط حروف قال وقام دلالة فرس على الحيوان
المخصوص لا فصل فيما يرجع الى التسمية بين الدلالتين الا ترى ان الحرف ما دل على معنى في غيره وهذا كما ترى دال على معنى
في نفسه ولانها متصرف فيها بالامالة كقولك بي تي وبالتفخيم كقولك يا ها وبالتعريف والتنكير والجمع والتصغير والوصف والاسناد
والاضافة وجميع ما للاسماء المتصرفة ثم اني عثرت من جانب الخليل على نص في ذلك قال سيبويه قال الخليل يوما وسال اصحابه كيف
يقولون اذا اردتم ان تلفظوا بالكاف التي في لك والباء التي في ضرب فقيل نقول باكاف فقال انما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف

وقال اول كمونه وذكر ابو علي في كتاب الحجه في باسين وامالة يا انهم قالوا يا زيد في الندا فاما لوا وان كان حرفا قال فاذا كانوا قد
اما لوا ما لا يمال من الحروف من اصل اليا فلان يميلوا الاسم الذي هو ياسين اجدر الا ترى ان هذه الحروف اسما لما يلفظ بها فان
فان قلت من اي قبيل هي من الاسما معربة ام مبنية قلت بل هي اسما معربة وانما سكنت سكون زيد وعمرو وغيرهما من الاسما حيث لا يمسها
اعراب لفقد مقتضيه وموجبه والدليل على ان سكونها وقف وليس ببناء انها لو بنيت لحذي بها حذو كيف واين وهولا ولم تقل صاد قاف
نون مجموعا فيها بين الساكنين فان قلت فلم لفظ المتهجي بما اخره الف منها مقصورا فلما اعرب مد فقال هذه باء وياء وها وذلك تخييل
ان وزانها وزان قولك لا مقصورة فاذا جعلتها اسما مددت فقلت كتبت لاء قلت هذا التخييل يضمحل بما لخصته من الدليل والسبب
في ان قصرت متهجاة ومدت حين مسها الاعراب ان حال التهجي خليقة بالاخف الاوجز واستعمالها فيه اكثر فان قلت قد تبين انها اسما
لحروف المعجم وانها من قبيل المعربة وان سكون اعجازها عند الهجا لاجل الوقف فما وجه وقوعها على هذه الصورة فواتح للسور قلت
فيه اوجه احدها وعليه اطباق الاكثر انها اسما السور وقد ترجم صاحب الكتاب الباب الذي كسره على ذكرها في حد ما لا ينصرف
بباب اسما السور وهي في ذلك على ضربين احدهما ما لا يتاتى فيه اعراب نحو كهيعص والمر والثاني ما يتاتى فيه الاعراب وهو اما
ان يكون اسما فردا كصاد وقاف ونون او اسما عدة مجموعها على زنة مفرد كحم وطس ويس فانها موازنة لقابيل وهابيل وكذلك
طاسين ميم يتاتى فيه ان يفتح نونها وتصير ميم مضمومة الى طاسين فيجعلا اسما واحدا كدارابجرد فالنوع الاول محكي ليس الا
واما النوع الثاني فسائغ فيه الامران الاعراب والحكاية قال قاتل محمد بن طلحة السجاد وهو شريح بن اوفى العبسي يذكرني
حاميم والرمح شاجر فهلا تلا حاميم قبل التقدم فاعرب حاميم ومنعها الصرف وهكذا كل ما اعرب من اخواتها لاجتماع سببي
منع الصرف فيها وهما العلمية والتانيث والحكاية ان تجي بالقول بعد نقله على استبقا صورته الاولى كقولك دعني من تمرتان
وبدات بالحمد لله وقرات سورة انزلناها وقال وجدنا في كتاب بني تميم احق الخيل بالركض المعار وقال ذو الرمة
سمعت الناس ينتجعون غيثا فقلت لصيدح انتجعي بلالا وقال الاخر تنادوا بالرحيل غدا وفي ترحالهم نفسي وروي
منصوبا ومجرورا ويقول اهل الحجاز في استعلام من يقول رايت زيدا من زيدا وقال سيبويه سمعت من العرب لا من اين
يا فتى فان قلت فما وجه قراة من قرا صاد وقاف ونون مفتوحات قلت الوجه ان يقال ذاك نصب وليس بفتح وانما لم يصحبه
التنوين لامتناع الصرف على ما ذكرت وانتصابها بفعل مضمر نحو اذكر وقد اجاز سيبويه مثل ذلك في حم وطس ويس لو قرى
به وحكى ابو سعيد السيرافي ان بعضهم قرا يس ويجوز ان يقال حركت لالتقاء الساكنين كما قرا من قرا ولا الضالين فان قلت
هلا زعمت انها مقسم بها وانها نصبت نصب قولهم نعم الله لافعلن واي الله لافعلن على حذف حرف الجر واعمال فعل القسم وقال
ذو الرمة الا رب من قلبي له الله ناصح وقال الاخر اذا ما الخبز تادمه بلحم فذلك امانة الله الثريد قلت ان القران والقلم
بعد هذه الفواتح محلوف بهما فلو زعمت ذلك لجمعت بين قسمين على مقسم عليه واحد وقد استكرهوا ذلك قال الخليل في قوله
عز وجل والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى ان الواوين الاخريين ليستا بمنزلة الاولى ولكنهما الواوان
اللتان تضمان الاسما الى الاسما في قولك مررت بزيد وعمرو والاولى بمنزلة الباء والتاء قال سيبويه قلت للخليل
فلم لا يكون الاخريان بمنزلة الاولى فقال انما اقسم بهذه الاشيا على شي واحد ولو كان انقضى قسمه بالاول

علي

على شي لجاز ان يستعمل كلاما اخر فيكون كقولك بالله لافعلن تالله لاخرجن اليوم ولا يقوى ان تقول وحقك وحق زيد
لافعلن والواو الاخرة واو قسم لا يجوز الا مستكرها قال وتقول وحياتي ثم حياتك لافعلن فثم ههنا بمنزلة الواو وهذا ولا سبيل
فيما نحن بصدده الى ان تجعل الواو للعطف لمخالفة الثاني الاول في الاعراب فان قلت فقدرها مجرورة باضمار البا القسمية
لا بحذفها فقد جا عنهم الله لافعلن مجرورا ونظيره قولهم لاه ابوك غير انها فتحت في موضع الجر لكونها غير مصروفة ولتجعل الواو
للعطف حتى يستتب لك المصير الى نحو ما اثرت اليه قلت هذا لا يبعد عن الصواب ويعضده ما روي عن ابن عباس رضي الله
عنه انه قال اقسم الله بهذه الحروف فان قلت فما وجه قراة بعضهم صاد وقاف بالكسر قلت وجهها ما ذكرت من التحريك
لالتقا الساكنين والذي يبسط من عذر المحرك ان الواقف لما استمر بهذه الاسامي شاكلت لذلك ما اجتمع في اخره ساكنان
من المبنيات فعوملت تارة معاملة الان واخرى معاملة هولا فان قلت هل تسوغ لي في المحكية مثل ما سوغت لي في المعربة
من ارادة معنى القسم قلت لا عليك في ذلك وان تقدر حرف القسم مضمرا في قوله عز وجل حم والكتاب المبين كانه قيل
اقسم بهذه السورة وبالكتاب المبين انا جعلناه واما قوله صلى الله عليه وسلم حم لا ينصرون فيصلح ان يقضى به بالقسمين
جميعا على حذف الجار واضماره فان قلت فما معنى تسمية السور بهذه الالفاظ خاصة قلت كان المعنى في ذلك الاشعار ان
الفرقان ليس الا كلما عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الالفاظ كما قال عز من قائل قرانا عربيا فان قلت فما
بالها مكتوبة في المصحف على صور الحروف انفسها لا على صور اساميها قلت لان الكلم لما كانت مركبة من ذوات الحروف
واستمرت العادة متى تهجيت ومتى قيل للكاتب اكتب كيت وكيت ان يلفظ بالاسما وتقع في الكتابة الحروف انفسها عمل على
تلك الشاكلة المالوفة في كتابة هذه الفواتح وايضا فان شهرة امرها واقامة السن الاسود والاحمر لها وان اللافظ بها
غير متهجاة لا يحلى بطائل منها وان بعضها مفرد لا يخطر ببال غير ما هو عليه من مورده امنت وقوع اللبس فيها وقد اتفقت
في خط المصحف اشيا خارجة عن القياسات التي بني عليها علم الخط والهجا ثم ما عاد ذلك بضير ولا نقصان لاستقامة
اللفظ وبقا الحفظ فكان اتباع خط المصحف سنة لا تخالف قال عبد الله بن درستويه في كتابه المترجم بكتاب
الكتاب المتمم في الخط والهجا خطان لا يقاسان خط المصحف لانه سنة وخط العروض لانه يثبت فيه ما اثبته اللفظ
ويسقط عنه ما اسقطه والوجه الثاني ان يكون ورود هذه الاسما هكذا مسرودة على نمط التعديد كالايقاظ وقرع
العصا لمن تحدى بالقران وبغرابة نظمه وكالتحريك للنظر في ان هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن اخرهم كلام
منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم ليؤديهم النظر الى ان يستيقنوا ان لم تتساقط مقدرتهم دونه ولم تظهر
معجزتهم عن ان ياتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة وهم امرا الكلام وزعما الحوار وهم الحراص على التساجل في اقتضاب
الخطب والمتهالكون على الافتنان في القصيد والرجز ولم يبلغ من الجزالة وحسن النظم المبالغ التي بذت بلاغة كل
ناطق وشقت غبار كل سابق ولم يتجاوز الحد الخارج من قوى الفصحا ولم يقع ورا مطامح اعين البصرا الا لانه ليس
بكلام البشر وانه كلام خالق القوى والقدر وهذا القول من القوة والخلاقة بالقبول بمنزل ولناصره على الاول ان يقول
ان القران انما نزل بلسان العرب مصبوبا في اساليبهم واستعمالاتهم والعرب لم تتجاوز ما سموا به مجموع اسمين
ولم يسم احد بمجموع ثلاثة اسما واربعة وخمسة والقول بانها اسما السور حقيقة يخرج الى ما ليس في لغة العرب

ويؤدي ايضا الى ضرورة الاسم والمسمى واحدا فان اعترضت عليه بانه قول مقبول على وجه الدهر وانه لا سبيل
الى رده اجابك بان له محلا سوى ما يذهب وانه نظير قول الناس فلان يروي قفا نبك وعفت الديار ويقول
الرجل لصاحبه ما قرأت فيقول الحمد لله وبراءة من الله ورسوله ويوصيكم الله في اولادكم والله نور السموات
والارض وليست هذه الجمل باسامي هذه القصايد وهذه السور والاي وانما تعني رواية القصيدة
التي ذلك استهلالها وتلاوة السورة او الايات التي تلك فاتحتها فلما جرى الكلام على اسلوب من يقصد
التسمية واستفيد منها ما يستفاد من التسمية قالوا ذلك على سبيل المجاز دون الحقيقة وللمجيب
عن الاعتراضين على الوجه الاول ان يقول التسمية بثلاثة اسماء فصاعدا مستنكرة لعمري عن كلام العرب — وخروج
ولكن اذا جعلت اسما واحدا على طريقة حضرموت فاما غير مركبة نثر اسماء العدد فلا استنكار فيها
لانها من باب التسمية بما حقه ان يحكى حكاية كما سموا تابط شرا وبرق نحره وشاب قرناها وكما لو سمي بزيد منطلق
او ببيت شعر وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وبين التسمية بطائفة من اسماء
حروف المعجم دلالة قاطعة على صحة ذلك واما تسمية السورة كلها بفاتحتها فليست بتصيير الاسم
والمسمى واحدا لانها تسمية مولف بمفرد والمولف غير المفرد الا ترى انهم جعلوا اسم الحرف مولفا منه بحرفين
مضموما اليه كقولهم صاد فلم يكن من جعل المسمى والاسم شيئا واحدا حيث كان الاسم مولفا والمسمى
مفردا والوجه الثالث ان ترد السور مصدرة بذلك ليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بوجه
من الاغراب وتقدمة من دلائل الاعجاز وذلك ان النطق بالحروف انفسها كانت العرب فيه
سوية الاقدام الاميون منهم واهل الكتاب بخلاف النطق باسماء الحروف فانه كان مختصا بمن
خط وقرا وخالط اهل الكتاب وتعلم منهم وكان مستغربا مستبعدا من الامي التكلم
بها استبعاد الخط والتلاوة كما قال عز وجل وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه
بيمينك اذا لارتاب المبطلون فكان حكم النطق بذلك مع اشتهار انه لم يكن ممن اقتبس شيئا
من اهله حكم الاقاصيص المذكورة في القرآن التي لم تكن قريش ومن دان بدينها
في شيء من الاحاطة بها في ان ذلك حاصل له من جهة الوحي وشاهد بصحة نبوته وبمنزلة
ان يتكلم بالرطانة من غير ان يسمعها من احد واعلم انك اذا تاملت ما اورده الله عز سلطانه
في الفواتح وجدتها نصف اسامي حروف المعجم اربعة عشر سواء وهي الالف واللام والميم والصاد
والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون في
تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم ثم اذا نظرت في هذه الاربعة عشر وجدتها مشتملة
على انصاف اجناس الحروف بيان ذلك ان فيها من المهموسة نصفها الصاد
والكاف والهاء والسين والحاء ومن المجهورة نصفها الالف واللام والميم والراء والعين
والطاء والقاف والياء والنون ومن الشديدة نصفها اللام والميم والراء

والصاد

والصاد والهاء والعين والسين والحاء والياء والنون ومن المطبقة نصفها الصاد والطاء ومن
المنفتحة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والياء والنون — والقاف
ومن المستعلية نصفها القاف والصاد والطاء ومن المنخفضة نصفها الالف واللام والميم والراء
والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون ومن حروف القلقلة نصفها القاف
والطاء ثم اذا استقريت الكلم وتراكيبها رايت الحروف التي الغى الله ذكرها من هذه الاجناس
المعدودة مكثورة بالمذكورة فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته وقد علمت ان معظم الشيء
وجله ينزل منزلة كله وهو المطابق للطايف التنزيل واختصاراته فكان الله عز اسمه عدد على العرب
الالفاظ التي منها تراكيب كلامهم اشارة الى ما ذكرت من التبكيت لهم والزام الحجة اياهم ومما
يدل على انه تعمد بالذكر اكثرها وقوعا في تراكيب الكلم ان الالف واللام لما تكاثر وقوعهما
جاءتا في معظم هذه الفواتح مكررتين وهي فواتح سورة البقرة وآل عمران والروم والعنكبوت ولقمان
والسجدة والاعراف والرعد ويونس وابراهيم وهود ويوسف والحجر فان قلت فهلا عددت
باجمعها في اول القرآن وما بالها جاءت مفرقة على السور قلت لان اعادة التنبيه على ان المتحدى
به مولف منها لا غير وتجديده في غير موضع واحد اوصل الى الغرض واقر له في الاسماع والقلوب من
ان يفرد ذكره مرة وكذلك مذهب كل تكرير جاء في القرآن فمطلوب به تمكين المكرر في النفوس
وتقريره فان قلت فهلا جاءت على وتيرة واحدة ولم اختلفت اعداد حروفها فوردت صاد
وقاف ونون على حرف وطه وطس وحم على حرفين والم والر وطسم على ثلاثة احرف والمص والمر
على اربعة احرف وكهيعص وحم عسق على خمسة قلت هذا على عادة افتنانهم في اساليب الكلام
وتصرفهم فيه على طرق شتى ومذاهب متنوعة وكما ان ابنية كلماتهم على حرف وحرفين
الى خمسة احرف لم تتجاوز ذلك سلك بهذه الفواتح ذلك المسلك فان قلت فما وجه اختصاص
كل سورة بالفاتحة التي اختصت بها قلت اذا كان الغرض هو التنبيه والمبادي كلها في تادية
هذا الغرض سواء لا مفاضلة كان تطلب وجه الاختصاص ساقطا كما اذا سمى الرجل بعض اولاده زيدا
والاخر عمرا لم يقل له لم خصصت ولدك هذا بزيد وذاك بعمرو لان الغرض هو التمييز
وهو حاصل اية سلك وكذلك لا يقال لم سمي هذا الجنس بالرجل وذاك بالفرس
ولم قيل للاعتماد الضرب وللانتصاب القيام ولنقيضه القعود فان قلت ما بالهم
عدوا بعض هذه الفواتح اية دون بعض قلت هذا علم توقيفي لا مجال للقياس
فيه كمعرفة السور اما الم فاية حيث وقعت من السور المفتتحة بها وهي ست وكذلك المص اية
والمر لم تعد اية والر ليست باية في سورها الخمس وطسم اية في سورتيها وطه ويس ايتان
وطس ليست باية وحم اية في سورها كلها وحم عسق ايتان وكهيعص اية واحدة وص وق ونون

ثلاثتها لم تعد آية هذا مذهب الكوفيين ومن عداهم لم يعدوا شيئاً منها آية فان قلت فكيف
عدّ ما هو في حكم كلمة واحدة آية قلت كما عدّ الرحمن وحده ومدهامتان وحدها آيتين على طريق
التوقيف فان قلت ما حكمها في باب الوقف قلت يوقف على جميعها وقف التمام اذا حملت على معنى مستقل
غير محتاج الى ما بعده وذلك اذا لم تجعل اسماء للسور ونعق بها كما ينعق بالاصوات او جعلت وحدها
اخبار ابتداء محذوف كقوله عز وجل الم الله اي هذه الم ثم ابتدا فقال الله لا اله الا هو فان
قلت هل لهذه الفواتح محل من الاعراب قلت نعم لها محل فيمن جعلها اسماء للسور لانها عنده كسائر
الاعلام فان قلت ما محلها قلت يحتمل الاوجه الثلثة اما الرفع فعلى الابتداء واما النصب
والجر فلما مر من صحة القسم بها وكونها بمنزلة الله والله على اللغتين ومن لم يجعلها اسماء للسور لم يتصور
ان يكون لها محل في مذهبه كما لا محل للجمل المبتداة وللمفردات المعددة فان قلت لم صحت الاشارة بذلك
الى الم بعد ما سبق التكلم به وتقضى والمنقضي في حكم المتباعد وهذا في كل كلام يحدث الرجل بحديث
ثم يقول وذلك مما لا شك فيه ويحسب الحاسب ثم يقول فذلك كذا وقال الله تعالى لا فارض ولا بكر
عوان بين ذلك وقال ذلكما مما علمني ربي ولانه لما وصل من المرسل الى المرسل اليه وقع في حد البعد
كما تقول لصاحبك وقد اعطيته شيئاً احتفظ بذلك وقيل معناه ذلك الكتاب الذي وعدوا به فان
قلت لم ذكر اسم الاشارة والمشار اليه مؤنث وهو السورة قلت لا اخلو من ان اجعل الكتاب خبره
او صفته فان جعلته خبره كان ذلك في معناه ومسماه مسماه فجاز اجراء حكمه عليه في التذكير كما اجري عليه
في التانيث في قولهم من كانت امك وان جعلته صفته فانما اشير به الى الكتاب صريحاً لان اسم الاشارة مشار
الى الجنس الواقع صفة له تقول هند ذلك الانسان او ذلك الشخص فعل كذا وقال النابغة الذبياني نبئت نعمى
على الهجران عاتبة سقياً ورعياً لذاك العاتب الزاري فان قلت اخبرني عن تاليف ذلك الكتاب مع الم قلت
ان جعلت الم اسماً للسورة ففي التاليف وجوه ان تكون الم مبتدأ اولاً وذلك مبتدأ ثانياً والكتاب خبره والجملة خبر المبتدا الاول ومعناه
ان ذلك الكتاب هو الكتاب الكامل كان ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص وانه الذي يستاهل ان يسمى كتاباً
كما تقول هو الرجل اي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال وكما قال هم القوم كل القوم
يا ام خالد وان يكون الكتاب صفة ومعناه هو ذلك الكتاب الموعود وان تكون الم خبر مبتدا محذوف اي هذه الم
ويكون ذلك خبراً ثانياً او بدلاً على ان الكتاب صفة وان يكون هذه الم جملة وذلك الكتاب جملة اخرى وان جعلت الم
بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدأ خبره الكتاب اي ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل او الكتاب صفة والخبر ما بعده او قدر
مبتدا محذوف اي هو يعني المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب وقرا عبد الله الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه وتاليف هذا ظاهر
والريب مصدر رابني اذا حصل فيك الريبة وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها ومنه ما روى الحسن بن علي قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة وان الصدق طمانينة اي فان
كون الامر مشكوكاً فيه مما تقلق له النفس ولا تستقر وكونه صحيحاً صادقاً مما تطمئن له وتسكن ومنه ريب الزمان

شهو

وهو ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب من نوائبه ومنه انه مر بظبي حاقف فقال لا يريبه احد بشي فان قلت كيف نفي الريب
على سبيل الاستغراق وكم من مرتاب فيه قلت ما نفي ان احداً لا يرتاب فيه وانما المنفي كونه متعلقاً للريب ومظنته
لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب ان يقع فيه الا ترى الى قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا
فما ابعد وجود الريب منهم وانما عرفهم الطريق الى مزيل الريب وهو ان يحزروا انفسهم ويروزوا قواهم
في البلاغة هل تتم للمعارضة ام تتضاءل دونها فيتحققوا عند عجزهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة فان قلت
فهلا قدم الظرف على الريب كما قدم على الغول في قوله تعالى لا فيها غول قلت لان القصد في ايلاء الريب حرف النفي
نفي الريب عنه واثبات انه حق وصدق لا باطل وكذب كما كان المشركون يدعونه ولو اولي الظرف لقصد الى ما يبعد عن المراد وهو
ان كتاباً اخر فيه الريب لا فيه كما قصد في قوله لا فيها غول تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بانها لا تغتال العقول كما تغتالها هي
كانه قيل ليس فيها ما في غيرها من هذا العيب والنقيصة وقرا ابو الشعثا لا ريب فيه بالرفع والوقف على فيه هو
المشهور وعن نافع وعاصم انهما وقفا على لا ريب ولا بد للواقف من ان ينوي خبراً ونظيره قوله تعالى قالوا لا ضير وقول العرب لا باس
والتقدير لا ريب فيه فيه هدى والهدى مصدر على فعل كالسرى والبكى وهو الدلالة الموصلة الى البغية بدليل وقوع الضلالة في مقابلته قال الله تعالى اولئك الذين
اشتروا الضلالة بالهدى وقال تعالى لعلى هدى او في ضلال مبين ويقال مهدي في موضع المدح كمهتدي
ولان اهتدى مطاوع هدى ولن يكون المطاوع في خلاف معنى اصله الا ترى الى نحو غمه فاغتم قلت هو كقولك للعزيز المكرم اعزك الله
فان قلت فلم قيل هدى للمتقين والمتقون مهتدون
واكرمك تريد طلب الزيادة الى ما هو ثابت فيه واستدامته كقوله اهدنا الصراط المستقيم ووجه اخر وهو انه
سماهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى متقين كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلاً فله سلبه وعن ابن عباس
اذا اراد احدكم الحج فليعجل فانه يمرض المريض وتضل الضالة وتكون الحاجة فسمى المشارف للقتل والمرض
والضلال قتيلاً ومريضاً وضالة ومنه قوله تعالى ولا يلدوا الا فاجراً كفاراً اي صائراً الى الفجور والكفر فان قلت
فهلا قيل هدى للضالين قلت لان الضالين فريقان فريق علم بقاؤهم على الضلالة وهم المطبوع على قلوبهم
وفريق علم ان مصيرهم الى الهدى فلا يكون هدى للفريق الباقين على الضلالة فبقي ان يكون هدى لهؤلاء فلو جيء
بالعبارة المفصحة عن ذلك لقيل هدى للصائرين الى الهدى بعد الضلال فاختصر الكلام باجرائه على الطريقة التي ذكرنا
فقيل هدى للمتقين وايضاً فقد جعل ذلك سلماً الى تصدير السورة التي هي اولى الزهراوين وسنام القرآن واول المثاني
بذكر اولياء الله والمرتضين من عباده والمتقي في اللغة اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة
ومنه فرس واق وهذه الدابة تقي من وجاها اذا اصابه ضلع من غلظ الارض ورقة الحافر فهو يقي حافره ان يصيبه
ادنى شي يؤلمه وهو في الشريعة الذي يقي نفسه تعاطي ما يستحق به العقوبة من فعل او ترك واختلف في الصغائر
وقيل الصحيح انه لا يتناولها لانها تقع مكفرة عن مجتنب الكبائر ومحل هدى للمتقين الرفع لانه خبر مبتدا محذوف او خبر مع لا ريب
فيه لذلك او مبتدا اذا جعل الظرف المقدم خبراً عنه ويجوز ان ينتصب على الحال والعامل فيه معنى الاشارة او الظرف

المعلوم

فيه لذلك ومبتدأ اذا جعل الظرف المقدم خبرا عنه ويجوز ان ينتصب على الحال والعامل فيه معنى الاشارة او الظرف والذي هو
ارسخ عرقا في البلاغة ان يضرب عن هذه المحال صفحا وان يقال ان قوله الم جملة براسها او طائفة من حروف المعجم
مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة وقد اصيب بترتيبها مفصل البلاغة
وموجب حسن النظم حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق وذلك لمجيئها متآخية آخذا بعضها بعنق
بعض فالثانية متحدة بالاولى معتنقة لها وهلم جرا الى الثالثة والرابعة بيان ذلك انه نبه اولا على انه الكلام المتحدى
به ثم اشير اليه بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدي وشدا من اعضاده ثم نفى عنه ان يتشبث
به طرف من الريب فكان شهادة وتسجيلا بكماله لانه لا كمال اكمل مما للحق واليقين ولا نقص انقص مما للباطل والشبهة وقيل
لبعض العلماء فيم لذتك فقال في حجة تتبختر اتضاحا وفي شبهة تتضاءل افتضاحا ثم اخبر عنه بانه هدى للمتقين فقرر
بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله وحقا لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم لم تخل كل واحدة من الاربع
بعد ان رتبت هذا الترتيب الانيق ونظمت هذا النظم السري من نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف
والرمز الى الغرض بالطف وجه وارشقه وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة وفي الثالثة ما في تقديم الريب على
الظرف وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر الذي هو هدى موضع الوصف الذي هو هاد وايراده منكرا والايجاز في
ذكر المتقين زادنا الله اطلاعا على اسرار كلامه وتبيينا لنكت تنزيله وتوفيقا للعمل بما فيه **الذين يؤمنون**
اما موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة او مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني الذين يؤمنون او هم الذين يؤمنون
واما مقتطع عن المتقين مرفوع على الابتداء مخبر عنه باولئك على هدى فاذا كان موصولا كان الوقف على المتقين حسنا
غير تام واذا كان مقتطعا كان وقفا تاما **فان قلت** ما هذه الصفة اواردة بيانا وكشفا للمتقين ام مسرودة
مع المتقين تفيد غير فائدتها ام جارية على سبيل المدح والثناء كالصفات الجارية على القديم **قلت** يحتمل ان
ترد على طريق البيان والكشف لاشتمالها على ما اسست عليه حال المتقين من فعل الحسنات وترك السيئات اما الفعل
فقد انطوى تحت ذكر الايمان الذي هو اساس الحسنات ومنصبها وذكر الصلوة والصدقة لان هاتين اما العبادات
البدنية والمالية وهما العيار على غيرهما الم تر كيف سمى رسول الله صلى الله عليه الصلوة عماد الدين وجعل الفاصل
بين الاسلام والكفر ترك الصلوة وسمى الزكوة قنطرة الاسلام وقال تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة فلما كان
من شانهما استجرار سائر العبادات واستتباعها ومن ثم اختصر الكلام اختصارا استغنى
عن عد الطاعات بذكر ما هو كالعنوان لها والذي اذا وجد لم تتوقف اخواته ان تقترن به مع ما في ذلك من الافصاح عن فضلها على
العبادات واما الترك فكفى منه قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ويحتمل ان لا يكون بيانا للمتقين ويكون صفة
براسها دالة على فعل الطاعات ويراد بالمتقين الذين يجتنبون المعاصي ويحتمل ان يكون مدحا للموصوفين بالتقوى
وتخصيصا للايمان بالغيب واقام الصلوة وايتاء الزكوة بالذكر اظهارا لانافتهما على سائر ما يدخل تحت حقيقة التقوى من
الحسنات **والايمان** افعال من الامن يقال امنته وآمنته غيري ثم يقال آمنه اذا صدقه وحقيقته آمنه
التكذيب والمخالفة واما تعديته بالباء فلتضمينه معنى اقر واعترف واما ما حكى ابو زيد عن العرب ما آمنت ان اجد صحابة
اي ما وثقت فحقيقته صرت ذا امن به اي ذا سكون وطمانينة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب اي يعترفون به

ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم
ينفقون والذين يؤمنون بما
انزل اليك وما انزل من قبلك

او يثقون بانه حق ويجوز ان لا يكون بالغيب صلة للايمان وان يكون في موضع الحال اي يؤمنون غائبين عن المؤمن به وحقيقته
متلبسين بالغيب كقوله الذين يخشون ربهم بالغيب ليعلم اني لم اخنه بالغيب ويعضده ما روى ان اصحاب عبد الله ذكروا اصحاب
رسول الله وايمانهم فقال ابن مسعود رضي الله عنه ان امر محمد عليه السلام كان بينا لمن رآه والذي لا اله غيره ما آمن مؤمن افضل
من ايمان بغيب ثم قرا هذه الآية **فان قلت** ما المراد بالغيب **قلت** ان جعلته صلة كان
بمعنى الغائب اما تسمية بالمصدر من قولك غاب الشيء غيبا كما سمي الشاهد بالشهادة قال الله تعالى عالم الغيب
والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الارض غيبا وعن النضر بن شميل شربت من الرخ وارت غيوب كلاها واصله
الخمصة التي تكون في موضع الكلية اذا بطنت الدابة انتجعت واما ان يكون فيعلا فخفف كما قيل قيل
والمراد به الخفي الذي لا ينفذ فيه ابتداء الا علم اللطيف الخبير وانما نعلم منه نحن ما اعلمناه او نصب
لنا دليلا عليه ولهذا لا يجوز ان يطلق فيقال فلان يعلم الغيب وذلك نحو الصانع وصفاته والنبوات وما
يتعلق بها والبعث والنشور والحساب والوعد والوعيد وغير ذلك وان جعلته حالا كان بمعنى الغيبة والخفاء **فان
قلت** ما الايمان الصحيح **قلت** ان يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه بعمله فمن اخل بالاعتقاد
وان شهد وعمل فهو منافق ومن اخل بالشهادة فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق ومعنى اقامة الصلوة
تعديل اركانها وحفظها من ان يقع زيغ في فرائضها وسننها وآدابها من اقام العود اذا قومه او الدوام
عليها والمحافظة كما قال عز وجل الذين هم على صلاتهم دائمون والذين هم على صلاتهم يحافظون من قامت السوق
اذا نفقت واقامها قال اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا قميطا لانها اذا حوفظ عليها
كانت كالشيء النافق الذي يتوجه اليه الرغبات ويتنافس فيه المحصلون واذا عطلت واضيعت كانت كالشيء الكاسد الذي لا يرغب
فيه او التجلد والتشمر لادائها وان لا يكون في مؤديها فتور عنها ولا توان من قولهم قام بالامر وقامت الحرب
على ساقها وفي ضده قعد عن الامر وتقاعد عنه اذا تقاعس وتثبط او اداؤها فعبر عن الاداء بالاقامة لان
القيام بعض اركانها كما عبر عنه بالقنوت والقنوت القيام وبالركوع وبالسجود وقالوا سبح اذا صلى
لوجود التسبيح فيها فلولا انه كان من المسبحين **والصلوة** فعلة من صلى كالزكوة من زكى وكتبتها
بالواو على لفظ المفخم وحقيقة صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعل ذلك في ركوعه وسجوده ونظيره كفر
اليهودي اذا طاطا راسه وانحنى عند تعظيم صاحبه لانه ينثني على الكاذتين وهما الكافرتان وقيل
للداعي مصل تشبيها في تخشعه بالراكع والساجد **واسناد الرزق** الى نفسه للاعلام بانهم ينفقون الحلال
الطلق الذي يستاهل ان يضاف الى الله ويسمى رزقا منه **وادخل من** التبعيضية صيانة لهم وكفا عن
الاسراف والتبذير المنهي عنه وقدم مفعول الفعل دلالة على كونه اهم كانه قال ويخصون بعض
المال الحلال بالتصدق به وجائز ان يراد به الزكوة المفروضة لاقترانه باخت الزكوة وشقيقتها وهي الصلوة
وان يراد هي وغيرها من النفقات في سبل الخير لمجيئه مطلقا يصلح ان يتناول كل منفق وانفق الشيء
وانفده اخوان وعن يعقوب نفق الشيء ونفد واحد وكل ما جاء مما فاؤه نون وعينه فاء فدال على معنى الخروج
والذهاب ونحو ذلك اذا تاملت **فان قلت** والذين يؤمنون اهم غير الاولين ام هم الاولون وانما
وسط العاطف كما يوسط بين الصفات في قولك هو الشجاع والجواد وفي قوله الى الملك القرم

وابن الهمام وليث الكتيبة المزدحم وقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب قلت يحتمل أن
يراد مؤمنوا أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأضرابه من الذين آمنوا فاشتمل إيمانهم على كل وحي أنزل من
الله وأيقنوا بالآخرة إيقانا زال معه ما كانوا عليه من أنه لا يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى وأن النار
لن تمسهم إلا أياما معدودات واجتماعهم على الإقرار بالنشأة الأخرى وإعادة الأرواح في الأجسام
ثم افتراقهم فرقتين منهم من قال تجري حالهم في التلذذ بالمطاعم والمشارب والمناكح على حسب مجراها في
الدنيا ودفعه آخرون فزعموا أن ذلك إنما احتيج إليه في هذه الدار من أجل نماء الأجسام ولمكان التوالد
والتناسل وأهل الجنة مستغنون عنه فلا تلذذ وراحة إلا بالنسيم والأرواح العبقة والسماع اللذيذ
والفرح والسرور واختلافهم في الدوام والانقطاع فيكون المعطوف غير المعطوف عليه ويحتمل أن
يراد وصف الأولين ووسط العاطف على معنى أنهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه فإن قلت
فإذا أريد بهؤلاء غير أولئك فهل يدخلون في جملة المتقين أم لا قلت إن عطفتهم على الذين يؤمنون بالغيب
دخلوا وكانت صفة المتقين مشتملة على الزمرتين من مؤمني أهل الكتاب وغيرهم وإن عطفتهم على المتقين لم
يدخلوا وكأنه قيل هدى للمتقين وهدى للذين يؤمنون بما أنزل إليك فإن قلت قوله بما أنزل إليك إن
عني به القرآن بأسره والشريعة عن آخرها فلم يكن ذلك منزلا وقت إيمانهم فكيف قيل أنزل بلفظ المضي وإن أريد
به المقدار الذي سبق إنزاله وقت إيمانهم فهو إيمان ببعض المنزل واشتمال الإيمان على الجميع سالفه ومترقبه
واجب قلت المراد المنزل كله وإنما عبر عنه بلفظ المضي وإن كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على
ما لم يوجد كما يغلب المتكلم على المخاطب والمخاطب على الغائب فيقال أنا وأنت فعلنا وأنت وزيد تفعلان
ولأنه إذا كان بعضه نازلا وبعضه منتظر النزول جعل كأن كله قد نزل وانتهى نزوله ويدل عليه قوله تعالى
إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى ولم يسمعوا جميع الكتاب ولا كان كله منزلا ولكن سبيله سبيل ما ذكرنا
ونظيره قولك كل ما خطب به فلان فهو فصيح وما تكلم به فلا شيء إلا وهو ناكر ولا تريد بالماضي منه بحسب دون
الآتي لكونه معقودا بعضه ببعض ومربوطا آتيه بماضيه وقرأ يزيد بن قطيب بما أنزل إليك وما
أنزل من قبلك على لفظ ما سمي فاعله وفي تقديم الآخرة وبناء يوقنون على هم تعريض بأهل الكتاب وبما كانوا
عليه من إثبات أمر الآخرة على خلاف حقيقته وأن قولهم ليس بصادر عن إيقان وأن اليقين ما عليه من آمن بما أنزل
إليك وما أنزل من قبلك والإيقان إتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه والآخرة تأنيث الآخر الذي هو
نقيض الأول وهي صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار الآخرة وهي من الصفات الغالبة وكذلك الدنيا وعن نافع أنه خففها بأن
حذف الهمزة وألقى حركتها على اللام كقوله دابة الأرض وقرأ أبو حية النميري يؤقنون بالهمز جعل الضمة
في جار الواو وكأنها فيه فقلبها قلب واو وجوه ووقتت ونحوه لحب المؤقدان إلي مؤسى وجعدة إذ أضاءهما الوقود
أولئك على هدى الجملة في محل الرفع إن كان الذين يؤمنون بالغيب مبتدأ وإلا فلا محل لها ونظم الكلام على الوجهين
أنك إذا نويت الابتداء بالذين يؤمنون بالغيب فقد ذهبت به مذهب الاستئناف وذلك أنه لما قيل هدى للمتقين فاختص
المتقون بأن الكتاب لهم هدى اتجه لسائل أن يسأل فيقول ما بال المتقين مخصوصين بذلك فوقع قوله الذين يؤمنون
بالغيب إلى ساقته كأنه جواب لهذا السؤال المقدر وجيء بصفة المتقين المنطوية تحتها خصائصهم التي استوجبوا

وبالآخرة هم يوقنون أولئك
على هدى من ربهم وأولئك
هم المفلحون

11

بها من الله أن يلطف بهم ويفعل بهم ما لا يفعل بمن ليسوا على صفتهم أي الذين هؤلاء عقائدهم وأعمالهم أحقاء بأن يهديهم
الله ويعطيهم الفلاح ونظيره قولك أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار الذين قارعوا دونه وكشفوا الكرب عن وجهه أولئك أهل
للمحبة وإن جعلته تابعا للمتقين وقع الاستئناف على أولئك كأنه قيل ما للمستقلين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى
فأجيب بأن أولئك الموصوفين غير مستبعد أن يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا واعلم أن هذا النوع
من الاستئناف يجيء تارة بإعادة اسم من استؤنف عنه الحديث كقولك قد أحسنت إلى زيد زيد حقيق بالإحسان وتارة
بإعادة صفته كقولك أحسنت إلى زيد صديقك القديم أهل لذلك منك فيكون الاستئناف بإعادة الصفة أحسن وأبلغ
لانطوائها على بيان الموجب وتلخيصه فإن قلت هل يجوز أن يجري الموصول الأول على المتقين وأن يرتفع الثاني
على الابتداء وأولئك خبره قلت نعم على أن يجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا بأهل الكتاب الذين
لم يؤمنوا بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ظانون أنهم على الهدى وطامعون أنهم ينالون الفلاح عند
الله وفي اسم الإشارة الذي هو أولئك إيذان بأن ما يرد عقيبه فالمذكورون قبله أهل لاكتسابه من أجل الخصال
التي عددت لهم كما قال حاتم ولله صعلوك ثم عدد له خصالا فاضلة ثم عقب تعديدها بقوله فذلك إن يهلك
فحسنى ثناؤه وإن عاش لم يقعد ضعيفا مذمما ومعنى الاستعلاء في قوله على هدى مثل لتمكنهم من الهدى
واستقرارهم عليه وتمسكهم به شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه ونحوه هو على الحق وعلى
الباطل وقد صرحوا بذلك في قولهم جعل الغواية مركبا وامتطى الجهل واقتعد غارب الهوى
ومعنى هدى من ربهم أي منحوه من عنده وأوتوه من قبله وهو اللطف والتوفيق الذي اعتضدوا
به على أعمال الخير والترقي إلى الأفضل فالأفضل ونكر هدى ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ كنهه ولا يقادر
قدره كأنه قيل على أي هدى كما تقول لو أبصرت فلانا لأبصرت رجلا وقال الهذلي
فلا وأبي الطير المربة بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم والنون في من ربهم أدغمت
بغنة وبغير غنة فالكسائي وحمزة ويزيد وورش في رواية والهاشمي عن ابن كثير لم يغنوها وقد
أغنها الباقون إلا أبا عمرو فقد روي عنه روايتان وفي تكرير أولئك تنبيه على أنهم كما ثبتت لهم الأثرة
بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح فجعلت كل واحدة من الأثرتين في تمييزهم بها عن غيرهم بالمثابة التي لو انفردت
كفت مميزة على حيالها فإن قلت لم جاء مع العاطف وما الفرق بينه وبين قوله أولئك كالأنعام بل هم أضل
أولئك هم الغافلون قلت قد اختلف الخبران ههنا فلذلك دخل العاطف بخلاف الخبرين ثمة فإنهما
متفقان لأن التسجيل عليهم بالغفلة وتشبيههم بالبهائم شيء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة
لما في الأولى فهي من العطف بمعزل وهم فصل وفائدته الدلالة على أن الوارد بعده خبر لا صفة والتوكيد وإيجاب
أن فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره أو هو مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر أولئك ومعنى التعريف في المفلحون
الدلالة على أن المتقين هم الناس الذين بلغك أنهم يفلحون في الآخرة كما إذا بلغك أن إنسانا قد تاب من أهل بلدك
فاستخبرت من هو فقيل زيد التائب أي هو الذي أخبرت بتوبته أو على أنهم الذين إن حصلت صفة
المفلحين وتحققوا ما هم وتصوروا بصورتهم الحقيقية فهم هم لا يعدون تلك الحقيقة كما تقول لصاحبك
هل عرفت الأسد وما جبل عليه من فرط الإقدام إن زيدا هو هو فانظر كيف كرر الله عز وجل التنبيه
على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله أحد على طرق شتى وهي ذكر اسم الإشارة وتكريره وتعريف المفلحين وتوسيط

إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم
أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على
قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة
ولهم عذاب عظيم

الفضل بينه وبين أوليك ليبصرك مراتبهم ومن غبنك في طلب ما طلبوا وينشطك لتقديم ما قدموا ويثبطك عن الطمع الفارغ والرجاء الكاذب والتمني على الله ما لا تقتضيه حكمته ولم تسبق به كلمته اللهم زينا بلباس التقوى واحشرنا في زمرة من صدرت بذكرهم سورة البقرة والمفلح الفائز بالبغية كأنه الذي انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه والمفلج بالجيم مثله ومنه قولهم للمطلقة استفلحي بأمرك بالحاء والجيم والتركيب دال على معنى الشق والفتح وكذلك أخواته في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى لما قدم ذكر أوليائه وخالصة عباده بصفاتهم التي أهلتهم لإصابة الزلفى عنده وبين أن الكتاب هدى ولطف لهم خاصة قفى على أثره بذكر أضدادهم وهم العتاة المردة من الكفار الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا يجدي عليهم اللطف وسواء عليهم وجود الكتاب وعدمه وإنذار الرسول وسكوته فإن قلت لم قطعت قصة الكفار عن قصة المؤمنين ولم تعطف كنحو قوله إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم وغيره من الآي الكثيرة قلت ليس وزان هاتين القصتين وزان ما ذكرت لأن الأولى فيما نحن فيه مسوقة لذكر الكتاب وأنه هدى للمتقين وسيقت الثانية لأن الكفار من صفتهم كيت وكيت فبين الجملتين تباين في الغرض والأسلوب وهما على حد لا مجال فيه للعاطف فإن قلت هذا إذا زعمت أن الذين يؤمنون جار على المتقين فأما إذا ابتدأته وبنيت الكلام لصفة المؤمنين ثم عقبته بكلام آخر في صفة أضدادهم كان مثل تلك الآي المتلوة قلت قد مر لي أن الكلام المبتدأ عقيب المتقين سبيله الاستئناف وأنه مبني على تقدير سؤال فذلك إدراج له في حكم المتقين وتابع له في المعنى وإن كان مبتدأ في اللفظ فهو في الحقيقة كالجاري عليه والتعريف في الذين كفروا يجوز أن يكون للعهد وأن يراد بهم ناس بأعيانهم كأبي لهب وأبي جهل والوليد بن المغيرة وأضرابهم وأن يكون للجنس متناولا كل من صمم على كفره تصميما لا يرعوي بعده وغيرهم ودل على تناوله للمصرين الحديث عنهم باستواء الإنذار وتركه عليهم وسواء اسم بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر ومنه قوله تعالى تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم في أربعة أيام سواء للسائلين بمعنى مستوية وارتفاعه على أنه خبر لإن وأأنذرتهم أم لم تنذرهم في موضع المرتفع به على الفاعلية كأنه قيل إن الذين كفروا مستو عليهم إنذارك وعدمه كما تقول إن زيدا مختصم أخوه وابن عمه أو يكون أأنذرتهم أم لم تنذرهم في موضع الابتداء وسواء خبرا مقدما بمعنى سواء عليهم إنذارك وعدمه والجملة خبر لإن فإن قلت الفعل أبدا خبر لا مخبر عنه فكيف صح الإخبار عنه في هذا الكلام قلت هو من جنس الكلام المهجور فيه جانب اللفظ إلى جانب المعنى وقد وجدنا العرب يميلون في مواضع من كلامهم مع المعاني ميلا بينا من ذلك قولهم لا تأكل السمك وتشرب اللبن معناه لا يكن منك أكل السمك وشرب اللبن وإن كان ظاهر اللفظ على ما لا يصح من عطف الاسم على الفعل والهمزة وأم مجردتان لمعنى الاستواء وقد انسلخ عنهما معنى الاستفهام رأسا قال سيبويه جرى هذا على حرف الاستفهام كما جرى على حرف النداء قولك اللهم اغفر لنا أيتها العصابة يعني أن هذا جرى على صورة الاستفهام ولا استفهام كما أن ذلك جرى على صورة النداء ولا نداء ومعنى الاستواء استواؤهما في علم المستفهم عنهما لأنه قد علم أن أحد الأمرين كائن إما الإنذار وإما عدمه ولكن لا بعينه فكلاهما معلوم بعلم غير معين وقرئ أأنذرتهم بتحقيق الهمزتين والتخفيف أعرب وأكثر وبتخفيف الثانية بين بين وبتوسيط ألف بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف حرف الاستفهام وبحذفه وإلقاء حركته على الساكن قبله كما قرئ قد أفلح فإن قلت ما تقول

فإن ذكر المؤمنين وقع بالغرض وذكر الكافرين بالذات

والاستئناف متصل بما قبله فإذا هو تابع لما قبله

فيمن يقلب الثانية ألفا قلت هو لاحن خارج عن كلام العرب خروجين أحدهما الإقدام على جمع الساكنين على غير حده وحده أن يكون الأول حرف لين والثاني حرفا مدغما نحو قوله الضالين وخويصة والثاني إخطاء طريق التخفيف لأن طريق تخفيف الهمزة المتحركة المفتوح ما قبلها أن تخرج بين بين فأما القلب ألفا فهو تخفيف الهمزة الساكنة المفتوح ما قبلها كهمزة رأس والإنذار التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصي فإن قلت ما موقع لا يؤمنون قلت إما أن يكون جملة مؤكدة للجملة قبلها أو خبرا لإن والجملة قبلها اعتراض الختم والكتم أخوان لأن في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه كتما له وتغطية لئلا يتوصل إليه ولا يطلع عليه والغشاوة الغطاء فعالة من غشاه إذا غطاه وهذا البناء لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة فإن قلت ما معنى الختم على القلوب والأسماع وتغشية الأبصار قلت لا ختم ولا تغشية ثم على الحقيقة وإنما هو من باب المجاز ويحتمل أن يكون من كلا نوعيه وهما الاستعارة والتمثيل أما الاستعارة فأن تجعل قلوبهم لأن الحق لا ينفذ فيها ولا يخلص إلى ضمائرها من قبل إعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله واعتقاده وأسماعهم لأنها تمجه وتنبو عن الإصغاء إليه وتعاف استماعه كأنها مستوثق منها بالختم وأبصارهم لأنها لا تجتلي آيات الله المعروضة ودلائله المنصوبة كما تجتليها أعين المعتبرين المستبصرين كأنما غطي عليها وحجبت وحيل بينها وبين الإدراك وأما التمثيل فأن تمثل حيث لم يستنفعوا بها في الأغراض الدينية التي كلفوها وخلقوا من أجلها بأشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها بالختم والتغطية وقد جعل بعض المازنيين الحبسة في اللسان والعي ختما عليه فقال

ختم الإله على لسان عذافر ختما فليس على الكلام بقادر
وإذا أراد النطق خلت لسانه لحما يحركه لصقر ناقر

فإن قلت لم أسند الختم إلى الله وإسناده إليه يدل على المنع من قبول الحق والتوصل إليه بطرقه وهو قبيح والله يتعالى عن فعل القبيح علوا كبيرا لعلمه بقبحه وعلمه بغناه عنه وقد نص على تنزيه ذاته بقوله وما أنا بظلام للعبيد وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين إن الله لا يأمر بالفحشاء ونظائر ذلك مما نطق به التنزيل قلت القصد إلى صفة القلوب بأنها كالمختوم عليها وأما إسناد الختم إلى الله عز وجل فلينبه على أن هذه الصفة في فرط تمكنها وثبات قدمها كالشيء الخلقي غير العرضي ألا ترى إلى قولهم فلان مجبول على كذا ومفطور عليه يريدون أنه بليغ في الثبات عليه وكيف يتخيل ما خيل إليك وقد وردت الآية ناعية على الكفار شناعة صفتهم وسماجة حالهم ونيط بذلك الوعيد بعذاب عظيم ويجوز أن تضرب الجملة كما هي وهي ختم الله على قلوبهم مثلا كقولهم سال به الوادي إذا هلك وطارت به العنقاء إذا طالت غيبته وليس للوادي ولا للعنقاء عمل في هلاكه ولا في طول غيبته وإنما هو تمثيل مثلت حاله في هلاكه بحال من سال به الوادي وفي طول غيبته بحال من طارت به العنقاء فكذلك مثلت حال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها نحو قلوب الأغتام التي هي خلو عن الفطن كقلوب البهائم أو بحال قلوب البهائم أنفسها أو بحال قلوب مقدر ختم الله عليها حتى لا تعي شيئا ولا تفقه وليس له عز وجل فعل في تجافيها عن الحق ونبوها عن قبوله وهو متعال عن ذلك ويجوز أن يستعار الإسناد في نفسه من غير الله لله فيكون الختم مسندا إلى اسم الله عز وجل على سبيل المجاز وهو لغيره حقيقة تفسير هذا أن للفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والمسبب له فإسناده إلى

الى الفاعل حقيقة وقد يسند الى هذه الاشيا على طريق المجاز المسمى استعارة وذلك لمضاهاتها الفاعل في ملابسة الفعل
كما يضاهي الرجل الاسد في جراته فيستعار له اسمه فيسند اليها الفعل كما يسند الى المفعول به عيشة راضية وماء دافق وفي عكسه
سيل مفعم وفي المصدر شعر شاعر وذيل ذائل وفي الزمان نهاره صائم وليلة قائم وفي المكان طريق سائر ونهر
جار واهل مكة يقولون صلى المقام وفي المسبب بنى الامير المدينة وناقة ضبوث وحلوب وقال
اذا رد عافي القدر من يستعيرها فالشيطان هو الخاتم في الحقيقة او الكافر الا ان الله سبحانه لما كان هو الذي
اقدره ومكنه اسند اليه الختم كما يسند الفعل الى المسبب ووجه رابع وهو انهم لما كانوا على القطع
والبت ممن لا يؤمن ولا تغني عنهم الآيات والنذر ولا تجدي عليهم الالطاف المحصلة ولا المقربة
ان اعطوها لم يبق بعد استحكام العلم بانه لا طريق الى ان يؤمنوا طوعا واختيارا طريق الى ايمانهم الا
القسر والالجاء واذا لم يبق طريق الا ان يقسرهم الله ويلجئهم ثم لم يقسرهم ولم يلجئهم لئلا ينتقض الغرض
في التكليف عبر عن ترك القسر والالجاء بالختم اشعارا بانهم الذين ترامى امرهم في التصميم على الكفر والاصرار
عليه الى حد لا يتناهون عنه الا بالقسر والالجاء وهي الغاية القصوى في وصف لجاجهم في الغي واستشرائهم
في الضلال والبغي ووجه خامس وهو ان يكون حكاية لما كان الكفرة يقولونه تهكما بهم من قولهم قلوبنا في اكنة
مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ونظيره في الحكاية والتهكم قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب
والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة. فان قلت اللفظ يحتمل ان تكون الاسماع داخلة في حكم الختم وفي حكم التغشية
فعلى ايهما يعول. قلت على دخولها في حكم الختم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولوقفهم
على سمعهم دون قلوبهم. فان قلت اي فائدة في تكرير الجار في قوله وعلى سمعهم. قلت لو لم يكرر لكان انتظاما للقلوب
والاسماع في تعدية واحدة وحين استجد للاسماع تعدية على حدة كان ادل على شدة الختم في الموضعين. ووحد السمع
كما وحد البطن في قوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا يفعلون ذلك اذا امن اللبس فاذا لم يؤمن كقولك ترسهم وثوبهم
وانت تريد الجمع رفضوه ولك ان تقول السمع مصدر في اصله والمصادر لا تجمع فلمح الاصل يدل على جمع
الاذن في قوله وفي آذاننا وقر وان تقدر مضافا محذوفا اي وعلى حواس سمعهم وقرأ ابن ابي عبلة وعلى اسماعهم
فان قلت هلا منع ابا عمرو والكسائي من امالة ابصارهم ما فيه من حرف الاستعلاء وهو الصاد. قلت لان الراء المكسورة
تغلب المستعلية لما فيها من التكرير كان فيها كسرتين وذلك اعون شيء على الامالة وان تمال له الالف. والبصر نور العين وهو
ما يبصر به الرائي ويدرك المرئيات كما ان البصيرة نور القلب وهو ما به يستبصر ويتأمل وكأنهما جوهران لطيفان
خلقهما الله فيهما آلتين للابصار والاستبصار وقرئ غشاوة بالكسر والنصب وغشاوة بالضم والرفع وغشاوة
بالفتح والنصب وغشوة بالكسر والرفع وغشوة بالفتح والرفع والنصب وعشاوة بالعين غير المعجمة والرفع من
العشا والعذاب مثل النكال بناء ومعنى لانك تقول اعذب عن الشيء اذا امسك عنه كما تقول نكل عنه
ومنه العذب لانه يقمع العطش ويردعه بخلاف الملح فانه يزيده ويدل عليه تسميتهم اياه نقاخا لانه ينقخ
العطش اي يكسره وفراتا لانه يرفته على القلب ثم اتسع فيه فسمي كل الم فادح عذابا وان لم يكن نكالا اي عقابا يرتدع
به الجاني عن المعاودة والفرق بين العظيم والكبير ان العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكان العظيم فوق
الكبير كما ان الحقير دون الصغير ويستعملان في الجثث والاحداث جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته او خطره
ومعنى التنكير ان على ابصارهم نوعا من الاغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي عن آيات الله ولهم من بين الآلام
العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله اللهم اجرنا من عذابك ولا تبلنا بسخطك يا واسع المغفرة افتتح سبحانه

ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم
الآخر وما هم بمؤمنين

بذكر الذين اخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم ووافق سرهم علنهم وفعلهم قولهم ثم ثنى بالذين محضوا
الكفر ظاهرا وباطنا قلوبا والسنة ثم ثلث بالذين آمنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم وابطنوا خلاف ما اظهروا وهم الذين
قال فيهم مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وسماهم المنافقين وكانوا اخبث الكفرة وابغضهم اليه وامقتهم
عنده لانهم خلطوا بالكفر تمويها وتدليسا وبالشرك استهزاء وخداعا ولذلك انزل فيهم ان المنافقين في الدرك
الاسفل من النار ووصف الذين كفروا في آيتين وحال الذين نافقوا في ثلاث عشرة آية نعى عليهم فيها خبثهم ومكرهم وفضحهم
وسفههم واستجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم وعمههم ودعاهم صما بكما عميا وضرب لهم
الامثال الشنيعة وقصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة واصل
ناس اناس حذفت همزته تخفيفا كما قيل لوقة في الوقة وحذفها مع لام التعريف كاللازم لا يكاد يقال الاناس
ويشهد لاصله انسان واناس واناسي وانس وسموا لظهورهم وانهم يؤنسون اي يبصرون كما سمي
الجن لاجتنانهم ولذلك سموا بشرا ووزن ناس فعال لان الزنة على الاصول الا ترى انك تقول في وزن قه
افعل وليس معك الا العين وحدها وهو من اسماء الجمع كرخال واما نويس فمن المصغر الآتي على خلاف مكبره
كانيسيان ورويجل ولام التعريف فيه للجنس ويجوز ان تكون للعهد والاشارة الى الذين كفروا المار ذكرهم كانه قيل
ومن هؤلاء من يقول وهم عبد الله بن ابي واصحابه ومن كان في حالهم من اهل التصميم على النفاق ونظير موقعه موقع
القوم في قولك نزلت ببني فلان فلم يقروني والقوم لئام ومن في من يقول موصوفة كانه قيل ومن الناس ناس يقولون
كقوله من المؤمنين رجال ان جعلت اللام للجنس وان جعلتها للعهد فموصولة كقوله ومنهم الذين يؤذون النبي. فان قلت
كيف يجعلون بعض اولئك والمنافقون غير المختوم على قلوبهم. قلت الكفر جمع الفريقين معا وصيرهم جنسا واحدا
وكون المنافقين نوعا من نوعي هذا الجنس مغايرا للنوع الآخر بزيادة زادوها على الكفر الجامع بينهما من الخديعة والاستهزاء
لا يخرجهم من ان يكونوا بعضا من الجنس فان الاجناس انما تتنوع لمغايرات وقعت بين بعضها وبعض وتلك المغايرات
انما تأبى النوعية ولا تأبى الدخول تحت الجنسية. فان قلت لم اختص بالذكر الايمان بالله والايمان باليوم
الآخر. قلت اختصاصهما بالذكر كشف عن افراطهم في الخبث وتماديهم في الدعارة لان القوم كانوا يهودا وايمان اليهود
بالله ليس بايمان لقولهم عزير ابن الله وكذلك ايمانهم باليوم الآخر لانهم يعتقدونه على خلاف صفته فكان قولهم آمنا بالله
وباليوم الآخر خبثا مضاعفا وكفرا موجها لان قولهم هذا لو صدر عنهم لا على وجه النفاق وعقيدتهم عقيدتهم فهو كفر
لا ايمان فاذا قالوه على وجه النفاق خديعة للمسلمين واستهزاء بهم وأروهم انهم مثلهم في الايمان الحقيقي كان
خبثا الى خبث وكفرا الى كفر وايضا فقد اوهموا في هذا المقال انهم اختاروا الايمان من جانبيه واكتنفوه من قطريه
واحاطوا باوله وآخره وفي تكرير الباء انهم ادعوا كل واحد من الايمانين على صفة الصحة والاستحكام. فان قلت
كيف طابق قوله وما هم بمؤمنين قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر والاول في ذكر شان الفعل لا الفاعل والثاني في ذكر شان
الفاعل لا الفعل. قلت القصد الى انكار ما ادعوه ونفيه فسلك في ذلك طريق ادى الى الغرض المطلوب
وفيه من التوكيد والمبالغة ما ليس في غيره وهو اخراج ذواتهم وانفسهم من ان تكون طائفة من طوائف المؤمنين لما علم
من حالهم المنافية لحال الداخلين في الايمان واذا شهد عليهم بانهم في انفسهم على هذه الصفة فقد انطوى تحت
الشهادة عليهم بذلك نفي ما انتحلوا اثباته لانفسهم على سبيل البت والقطع ونحوه قوله يريدون ان يخرجوا

من النار وما هم بخارجين منها مع المبالغة من قولك وما يخرجون منها فان قلت فلم جاء الايمان مطلقا في الثاني وهو
مقيد في الاول قلت يحتمل ان يراد التقييد ويترك لدلالة المذكور عليه وان يراد بالاطلاق انهم ليسوا من الايمان في
شيء قط لا من الايمان بالله واليوم الآخر ولا من الايمان بغيرهما فان قلت ما المراد باليوم الآخر قلت يجوز ان يراد به الوقت
الذي لا حد له وهو الابد الدائم الذي لا ينقطع لتأخره عن الاوقات المنقضية وان يراد الوقت المحدود من النشور الى ان يدخل اهل الجنة
الجنة واهل النار النار لانه آخر الاوقات المحدودة الذي لا حد للوقت بعده والخدع ان يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من
المكروه من قولهم ضب خادع وخدع اذا امر الحارش يده على باب جحره اوهمه اقباله عليه ثم خرج من باب آخر
فان قلت كيف ذلك ومخادعة الله والمؤمنين لا تصح لان العالم الذي لا تخفى عليه خافية لا يخدع والحكيم الذي لا
يفعل القبيح لا يخدع والمؤمنون وان جاز ان يخدعوا لم يجز ان يخدعوا الا ترى الى قوله واستمطروا من قريش كل
منخدع وتوردي الرمة ان الحليم وذا الاسلام يختلب فقد جاء النعت بالانخداع ولم يأت بالخدع قلت
فيه وجوه احدها ان يقال كانت صورة صنعهم مع الله حيث يتظاهرون بالايمان وهم كافرون صورة صنع الخادعين
وصورة صنع الله معهم حيث امر باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده في عداد شرار الكفرة واهل الدرك الاسفل
من النار صورة صنع الخادع وكذلك صورة صنع المؤمنين معهم حيث امتثلوا امر الله فيهم فاجروا
احكامهم عليهم والثاني ان يكون ذلك ترجمة عن معتقدهم وظنهم ان الله ممن يصح خداعه لان من كان
ادعاؤه الايمان بالله نفاقا لم يكن عارفا بالله ولا بصفاته ولا ان لذاته تعلقا بكل معلوم ولا انه غني عن فعل القبائح
فلم يبعد من مثله تجويز ان يكون الله في زعمه مخدوعا ومصابا بالمكروه من وجه خفي وتجويز ان يدلس على عباده
ويخدعهم والثالث ان يذكر الله ويراد الرسول لانه خليفته في ارضه والناطق عنه باوامره ونواهيه مع عباده
كما يقال قال الملك كذا ورسم كذا وانما القائل والراسم وزيره او بعض خاصته الذين قولهم قوله ورسمهم رسمه مصداقه
قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله والرابع ان يكون من قولهم اعجبني زيد
وكرمه فيكون المعنى يخادعون الذين آمنوا بالله وفائدة هذه الطريقة قوة الاختصاص ولما كان المؤمنون من الله بمكان
سلك بهم ذلك المسلك ومثله والله ورسوله احق ان يرضوه وكذلك ان الذين يؤذون الله ورسوله ونظيره
في كلامهم علمت زيدا فاضلا الغرض فيه ذكر احاطة العلم بفضل زيد لا به نفسه لانه كان معلوما له قديما كأنه
قيل علمت فضل زيد ولكن ذكر زيد توطئة وتمهيد لذكر فضله فان قلت هل للاقتصار بخادعت
على واحد وجه صحيح قلت وجهه ان يقال عني به فعلت الا انه اخرج في زنة فاعلت لان الزنة في اصلها
للمغالبة والمباراة والفعل متى غولب فيه فاعله جاء ابلغ واحكم منه اذا زاوله وحده من غير مغالب ولا مبار
لزيادة قوة الداعي اليه ويعضده قراءة من قرأ يخدعون الله والذين آمنوا ويخادعون بيان ليقولوا ويجوز
ان يكون مستأنفا كأنه قيل ولم يدعون الايمان كاذبين وما رفقهم في ذلك فقيل يخادعون فان قلت
عم كانوا يخادعون قلت كانوا يخادعونهم عن اغراضهم وما اصلح بها اما متاركتهم واعفاؤهم عن
المحاربة وعما يطرقون به من سواهم من الكفار ومنها اصطناعهم بما يصطنعون به المؤمنين من اكرامهم
والاحسان اليهم واعطائهم الحظوظ من المغانم ونحو ذلك من الفوائد ومنها اطلاعهم لاختلاطهم بهم
على الاسرار التي كانوا حراصا على اذاعتها الى منابذيهم فان قلت فلو اظهر عليهم حتى يصلوا

١٤

الى هذه الاغراض بخداعهم عنها قلت لم يظهر عليهم لما احاط به علما من المصالح التي لو اظهر عليهم لانقلبت
مفاسد واستبقاء ابليس وذريته ومتاركتهم وما هم عليه من اغواء المنافقين وتلقينهم النفاق واشد من
ذلك ولكن السبب فيه ما علمه تعالى من المصلحة فان قلت ما المراد بقوله وما يخادعون الا انفسهم قلت
يجوز ان يراد وما يعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين الا انفسهم لان ضررها يلحقهم ومكرها يحيق
بهم كما تقول فلان يضار فلانا وما يضار الا نفسه اي دائرة الضرار راجعة اليه وغير متخطية اياه وان يراد حقيقة
المخادعة اي وهم في ذلك يخدعون انفسهم حيث يمنونها الاباطيل ويكذبونها فيما يحدثونها به وانفسهم
كذلك تمنيهم وتحدثهم بالاماني وان يراد وما يخدعون فجيء به على لفظ يفاعلون للمبالغة وقرئ وما يخدعون
ويخدعون من خدع ويخدعون بفتح الياء بمعنى يختدعون ويخدعون ويخادعون على لفظ ما لم يسم
فاعله والنفس ذات الشيء وحقيقته يقال عندي كذا نفسا ثم قيل للقلب نفس لان النفس به الا ترى الى قولهم
المرء باصغريه وكذلك بمعنى الروح وللدم نفس لان قوامها بالدم وللماء نفس لفرط حاجتها اليه قال الله تعالى
وجعلنا من الماء كل شيء حي وحقيقة نفس الرجل بمعنى عين اصيبت نفسه كقولهم صدر الوطء وقولهم فلان يؤامر
نفسيه اذا تردد في الامر واتجه له رأيان وداعيان لا يدري على ايهما يعرج كأنهم ارادوا داعيي
النفس وهاجسي النفس فسموهما نفسين اما لصدورهما عن النفس واما لان الداعيين لما كانا كالمشيرين
عليه والآمرين له شبهوهما بذاتين فسموهما نفسين والمراد بالانفس هنا ذواتهم والمعنى بمخادعتهم
ذواتهم ان الخداع لاصق بهم لا يعدوهم الى غيرهم ولا يتخطاهم الى من سواهم ويجوز ان يراد قلوبهم
ودواعيهم وآراؤهم والشعور علم الشيء علم حس من الشعار ومشاعر الانسان حواسه والمعنى ان لحوق
ضرر ذلك بهم كالمحسوس وهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له واستعمال المرض في القلب يجوز ان يكون حقيقة
ومجازا فالحقيقة ان يراد الالم كما تقول في جوفه مرض والمجاز ان يستعار لبعض اعراض القلب كسوء
الاعتقاد والغل والحسد والميل الى المعاصي والعزم عليها واستشعار الهوى والجبن والضعف وغير
ذلك مما هو فساد وآفة شبيهة بالمرض كما استعيرت الصحة والسلامة في نقائضها والمراد به
ما في قلوبهم من سوء الاعتقاد والكفر او من الغل والحسد والبغضاء لان صدورهم كانت تغلي على رسول الله عليه السلام
والمؤمنين غلا وحنقا ويبغضونهم البغضاء التي وصفها الله في قوله قد بدت البغضاء من افواههم وما
تخفي صدورهم اكبر ويتحرقون عليهم حسدا ان تمسسكم حسنة تسؤهم وناهيك بما كان من ابن ابي وقول
سعد بن عبادة لرسول الله عليه السلام اعف عنه يا رسول الله واصفح فوالله لقد اعطاك الله الذي اعطاك ولقد
اصطلح اهل هذه البحيرة ان يعصبوه بالعصابة فلما رد الله ذلك بالحق الذي اعطاكه شرق بذلك او
يراد ما تداخل قلوبهم من الضعف والجبن والخور لان قلوبهم كانت قوية اما القوة فطمعهم فيما كانوا
يتحدثون به ان ريح الاسلام تهب حينا ثم تسكن ولواءه يخفق اياما ثم يقر فضعفت حين ملكها اليأس عند
انزال الله على رسوله النصر واظهار دين الحق على الدين كله واما جبنهم وخورهم في الحروب وضعفت جبنا
وخورا حين قذف الله في قلوبهم الرعب وشاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله لهم بالملائكة قال رسول الله عليه السلام
نصرت بالرعب مسيرة شهر ومعنى زيادة الله اياهم مرضا انه كلما انزل على رسوله الوحي فسمعوه كفروا به

فازدادوا الكفر الى كفرهم فكان الله هو الذي زادهم ما ازدادوه اسنادا للفعل الى المسبب له كما اسنده الى السورة في قوله
فزادتهم رجسا الى رجسهم لكونها سببا او كلما زاد رسوله نصرة وتبسطا في البلاد ونقصا من اطراف الارض ازدادوا
غلا وحسدا وبغضا وازدادت قلوبهم ضعفا وقلة طمع فيما عقدوا به رجاءهم وجبنا وخورا ويحتمل ان يراد
بزيادة المرض الطبع وقرأ ابو عمرو رحمه الله في رواية الاصمعي مرض ومرضا بسكون الراء ولهم عذاب اليم اي مؤلم يقال ألم فهو اليم كوجع
فهو وجيع وصف به العذاب للمبالغة كقوله تحية بينهم ضرب وجيع وهذا على طريقة قولهم جد جده والالم في الحقيقة
للمؤلم كما ان الجد للجاد والمراد بكذبهم قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وفيه رمز الى قبح الكذب وسمة اجتنابه
وتخييل لان العذاب الاليم لاحق بهم من اجل كذبهم ونحوه قوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا والقوم كفرة
وانما خصت الخطيئات استعظاما لها وتنفيرا عن ارتكابها والكذب الاخبار بالشيء على خلاف ما هو به وهو
قبيح كله واما ما روي عن ابراهيم عليه السلام انه كذب ثلاث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما كان صورته صورة
الكذب سمي به وعن ابي بكر رضي الله عنه وروي مرفوعا اياكم والكذب فانه مجانب للايمان وقرئ يكذبون من كذبه
الذي هو نقيض صدقه او من كذب الذي هو مبالغة في كذب كما بولغ في صدق فقيل صدق ونظيرهما بان الشيء وبين
وقلص الثوب وقلص او بمعنى الكثرة كقولك موتت البهائم وبركت الابل او من قولهم كذب الوحشي
اذا جرى شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه فان المنافق متحير متردد في امره ولذلك قيل له مذبذب وقال صلى الله عليه وسلم مثل
المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة واذا قيل لهم معطوف على يكذبون ويجوز
ان يعطف على يقول آمنا لانك لو قلت ومن الناس من اذا قيل لهم لا تفسدوا كان صحيحا والاول اوجه والفساد
خروج الشيء عن حال استقامته وكونه منتفعا به ونقيضه الصلاح وهو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة
والفساد في الارض تهييج الحروب والفتن لان في ذلك فساد ما في الارض وانتفاء الاستقامة عن احوال الناس والزروع
والمنافع الدينية والدنيوية قال الله تعالى واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل اتجعل فيها من
يفسد فيها ويسفك الدماء ومنه قيل لحرب كانت بين طيء حرب الفساد وكان فساد المنافقين في الارض انهم
كانوا يمايلون الكفار ويمالئونهم على المسلمين بافشاء اسرارهم اليهم واغرائهم عليهم وذلك مما يؤدي الى هيج
الفتن بينهم فلما كان ذلك من صنيعهم مؤديا الى الفساد قيل لهم لا تفسدوا كما تقول للرجل لا تقتل نفسك بيدك
ولا تلق نفسك في النار اذا اقدم على ما هذه عاقبته وانما لقصر الحكم على شيء كقولك انما ينطلق زيد او لقصر
الشيء على حكم كقولك انما زيد كاتب ومعنى انما نحن مصلحون ان صفة المصلحين خلصت لهم وتمحضت من غير
شائبة قادح فيها من وجه من وجوه الفساد والا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي لاعطاء معنى التنبيه
على تحقق ما بعدها والاستفهام اذا دخل على النفي افاد تحقيقا كقوله اليس ذلك بقادر ولكونها في هذا
المنصب من التحقيق لا تكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم واختها اما التي هي من
من مقدمات اليمين وطلائعها اما والذي لا يعلم الغيب غيره اما والذي ابكى واضحك رد الله ما ادعوه من
الانتظام في جملة المصلحين ابلغ رد وادله على سخط عظيم والمبالغة فيه من جهة الاستيناف وما في كلمتي
الا وان من التاكيد وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله لا يشعرون وان نوهم في النصيحة وجميع اجزائهما تقبيح
لما كانوا عليه لتخلفهم من الصواب وخروجهم الى الفساد والفتنة والثاني تبصيرهم الطريق الاسد من اتباع
ذوي الاحلام ودخولهم في عدادهم فكان من جوابهم ان سفهوهم لفرط سفههم

١٥

واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن
مصلحون الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون واذا
قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا انؤمن كما آمن
السفهاء الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون

وجهلوهم لتمادي جهلهم وفي ذلك تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة فان قلت كيف صح ان يسند قيل الى
لا تفسدوا وآمنوا واسناد الفعل الى الفعل مما لا يصح قلت الذي لا يصح هو اسناد الفعل الى معنى الفعل وهذا اسناد له
الى لفظه كأنه قيل واذا قيل لهم هذا القول وهذا الكلام فهو كقولك الف ضرب من ثلاثة احرف ومنه زعموا مطية
الكذب وما في كما يجوز ان تكون كافة مثلها في ربما ومصدرية مثلها في بما رحبت واللام في الناس للعهد اي كما
آمن رسول الله ومن معه وهم ناس معهودون او عبد الله بن سلام واشياعه لانهم من جلدتهم ومن ابناء جنسهم اي
كما آمن اصحابكم واخوانكم او للجنس اي كما آمن الكاملون في الانسانية او جعل المؤمنون كأنهم الناس على الحقيقة
ومن عداهم كالبهائم في فقد التمييز من الحق والباطل والاستفهام في انؤمن في معنى الانكار واللام في
السفهاء مشار بها الى الناس كما تقول لصاحبك ان زيدا سعى بك فيقول او قد فعل السفيه ويجوز ان يكون
للجنس وينطوي تحته الجاري ذكرهم على زعمهم واعتقادهم لانهم عندهم اعرق الناس في السفه فان قلت
لم سفهوهم واستركوا عقولهم وهم العقلاء المراجيح قلت لانهم لجهلهم واخلالهم بالنظر وانصاف
انفسهم اعتقدوا ان ما هم فيه هو الحق وان ما عداه باطل ومن ركب متن الباطل كان سفيها ولانهم كانوا
في رياسة وسطة في قومهم ويسار وكان اكثر المؤمنين فقراء ومنهم موالي كصهيب وبلال وخباب
فدعوهم سفهاء تحقيرا لشأنهم او ارادوا عبد الله بن سلام واشياعه ومفارقتهم دينهم وما غاظهم
من اسلامهم وفت في اعضادهم قالوا ذلك على سبيل التجلد توقيا من الشماتة بهم مع علمهم انهم من
السفه بمعزل والسفه سخافة العقل وخفة الحلم فان قلت لم فصلت هذه الآية بلا يعلمون والتي
قبلها بلا يشعرون قلت لان امر الديانة والوقوف على ان المؤمنين على الحق وهم على الباطل يحتاج الى نظر
واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة واما النفاق وما فيه من البغي المؤدي الى الفتنة والفساد في الارض فامر
دنيوي مبني على العادات معلوم عند الناس خصوصا عند العرب في جاهليتهم وما كان قائما بينهم من التغاور
والتناحر والتحارب والتحازب فهو كالمحسوس المشاهد ولانه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم
معه احسن طباقا له مساق هذه الآية بخلاف ما سيقت له اول قصة المنافقين فليس بتكرير لان تلك في
بيان مذهبهم والترجمة عن نفاقهم وهذه لبيان ما كانوا يعملون عليه مع المؤمنين من التكذيب لهم والاستهزاء
بهم ولقائهم بوجوه المصادقين وايهامهم انهم معهم فاذا فارقوهم الى شطارهم صدقوهم ما في قلوبهم
وروي ان عبد الله بن ابي واصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله انظروا
كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني
رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دين
الله الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول
الله ثم افترقوا فقال لهم عبد الله كيف رأيتموني فعلت فاثنوا عليه خيرا فنزلت ويقال لقيته ولاقيته اذا استقبلته
قريبا منه وهو جاري ملاقي ومراوقي وقرأ ابو حنيفة واذا لاقوا وخلوت بفلان واليه اذا انفردت
معه ويجوز ان يكون من خلا بمعنى مضى وخلاك ذم اي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية ومن خلوت
به اذا سخرت منه وهو من قولك خلا فلان بعرض فلان يعبث به ومعناه واذا انهوا السخرية بالمؤمنين

واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا
الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزءون

الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون

الى شياطينهم وصدقوهم بها كما تقول احمد اليك فلانا واذمه اليك وشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وقد جعل سيبويه نون الشيطان في موضع من كتابه اصلية وفي آخر زائدة والدليل على اصالتها قولهم تشيطن واشتقاقه من شطن اذا بعد لبعده من الصلاح والخير ومن شاط اذا بطل اذا جعلت نونه زائدة واسمائه الباطل انا معكم انا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم فان قلت لم كانت مخاطبتهم المومنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالاسمية محققة بان قلت ليس ما خاطبوا به المومنين جديرا باقوى الكلامين واوكدهما لانهم في ادعاء حدوث الايمان منهم ونشئه من قبلهم لا في ادعاء انهم اوحديون في الايمان غير مشقوق فيه غبارهم وذلك اما لان انفسهم لا تساعدهم عليه اذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك وهكذا كل قول لم يصدر عن اريحية وصدق رغبة واعتقاد واما لانه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التوكيد والمبالغة وكيف يقولونه ويطمعون في رواجه وهم بين ظهراني المهاجرين والانصار الذين مثلهم في التورية والانجيل الا ترى الى حكاية الله قول المومنين ربنا اننا امنا واما مخاطبة اخوانهم فهم فيما اخبروا به عن انفسهم من الثبات على اليهودية والقرار على اعتقاد الكفر والبعد من ان يزلوا عنه على صدق رغبة ووفور نشاط وارتياح للتكلم به وما قالوه من ذلك فهو رائج عنهم متقبل منهم فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد فان قلت انى تعلق قوله انما نحن مستهزؤن بقوله انا معكم قلت هو توكيد له لان قوله انا معكم معناه الثبات على اليهودية وقوله انما نحن مستهزؤن رد للاسلام ودفع له منهم لان المستهزئ بالشيء المستخف به منكر له ودافع لكونه معتدا به ودفع نقيض الشيء تاكيد لثباته او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استيناف كانهم اعترضوا عليهم حين قالوا لهم انا معكم فقالوا فما بالكم ان صح انكم معنا توافقون اهل الاسلام فقالوا انما نحن مستهزؤن والاستهزاء السخرية والاستخفاف واصل الباب الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزأ يهزأ مات على المكان عن بعض العرب مشيت فلغبت فظننت لاهزأن على مكاني وناقته تهزأ به اي تسرع وتخف فان قلت لا يجوز الاستهزاء على الله تعالى لانه متعال عن القبيح والسخرية من باب العيب والجهل الا ترى الى قوله اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين فما معنى استهزائه بهم قلت معناه انزال الهوان والحقارة بهم لان المستهزئ غرضه الذي يرميه هو طلب الخفة والزراية ممن يهزأ به وادخال الهوان والحقارة عليه والاشتقاق كما ذكرنا شاهد لذلك وقد كثر التهكم في كلام الله بالكفرة والمراد به تحقير شانهم وازدراء امرهم والدلالة على ان مذاهبهم حقيقة بان يسخر منها الساخرون ويضحك الضاحكون ويجوز ان يراد به ما مر في يخادعون من انه يجري عليهم احكام المسلمين في الظاهر وهو مبطن بادخار ما يراد بهم وقيل سمي جزاء الاستهزاء باسمه كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه فان قلت كيف ابتدئ قوله الله يستهزئ بهم ولم يعطف على الكلام قبله قلت هو استيناف في غاية الجزالة والفخامة وفيه ان الله عز وجل هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذي ليس استهزاؤهم اليه باستهزاء ولا يؤبه له في مقابلته لما ينزل بهم من النكال ويحل بهم من الهوان والذل وفيه ان الله هو الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمومنين ولا يحوج المومنين ان يعارضوهم باستهزاء مثله فان قلت فهلا قيل الله مستهزئ بهم ليكون طبقا لقوله انما نحن مستهزؤن قلت لان يستهزئ يفيد حدوث الاستهزاء وتجدده وقتا بعد وقت وهكذا كانت نكايات الله فيهم وبلاياه النازلة بهم او لا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين وما كانوا يخلون في اكثر اوقاتهم من تهتك استار وتكشف اسرار ونزول في شانهم واستشعار حذر من ان ينزل فيهم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم الاية ويمدهم في طغيانهم

اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى

١٦

من مد الجيش وامده اذا زاده والحق به ما يقويه ويكثره وكذلك مد الدواة وامدها زادها ما يصلحها ومددت السراج والارض اذا استصلحتهما بالزيت والسماد ومده الشيطان في الغي وامده اذا واصله بالوساوس حتى يتلاحق غيه ويزداد انهماكا فيه فان قلت لم زعمت انه من المدد دون المد في العمر والامهال والاملاء قلت كفاك دليلا على انه من المدد دون المد قراءة ابن كثير وابن محيصن ويمدهم وقراءة نافع واخوانهم يمدونهم في الغي على ان الذي بمعنى امهله انما هو مد له مع اللام كاملى له فان قلت فكيف جاز ان يوليهم الله مددا في الطغيان وهو فعل الشياطين الا ترى الى قوله واخوانهم يمدونهم في الغي قلت اما ان يحمل على انهم لما منعهم الله الطافه التي يمنحها المومنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم عليه بقيت قلوبهم يتزايد الرين والظلمة فيها تزايد الانشراح والنور في قلوب المومنين فسمي ذلك التزايد مددا واسند الى الله سبحانه لانه مسبب عن فعله بهم بسبب كفرهم واما على منع القسر والالجاء واما على ان يسند فعل الشيطان الى الله تعالى لانه بتمكينه واقداره والتخلية بينه وبين اغواء عباده فان قلت فما حملهم على تفسير المد في الطغيان بالامهال وموضوع اللغة كما ذكرت لا يطاوع عليه قلت استجرهم الى ذلك خوف الاقدام على ان يسندوا الى الله ما اسندوا الى الشيطان ولكن المعنى الصحيح ما طابقه اللفظ وشهد لصحته والا كان منه بمنزلة الاروى من النعام ومن حق مفسر كتاب الله تعالى الباهر وكلامه المعجز ان يتعاهد في مذاهبه بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدي سليما من القادح فاذا لم يتعاهد اوضاع اللغة فهو من تعاهد النظم والبلاغة على مراحل ويعضد ما ذكرناه قول الحسن في تفسيره في ضلالتهم يتمادون وان هولاء من اهل الطبع والطغيان الغلو في الكفر ومجاوزة الحد في العتو وقرا زيد بن علي رضي الله عنه في طغيانهم بالكسر وهما لغتان كلقيان ولقيان وغنيان وغنيان فان قلت اي نكتة في اضافته اليهم قلت فيها ان الطغيان والتمادي في الضلالة مما اقترفته انفسهم واجترحته ايديهم وان الله بريء منه ردا لاعتقاد الكفرة القائلين لو شاء الله ما اشركنا ونفيا لوهم من عسى يتوهم عند اسناد المد الى ذاته لو لم يضف الطغيان اليهم ان الطغيان فعله فلما اسند المد اليه على الطريق الذي ذكر اضاف اليهم الطغيان ليميط الشبهة ويقلعها ويدفع في صدر من يلحد في صفاته ومصداق ذلك انه حين اسند المد الى الشيطان اطلق الغي ولم يقيده بالاضافة في قوله واخوانهم يمدونهم في الغي والعمه مثل العمى الا ان العمى عام في البصر والراي والعمه في الراي خاصة وهو التحير والتردد لا يدري اين يتوجه ومنه قوله بالجاهلين العمه اي الذين لا راي لهم ولا دراية بالطرق وسلك ارضا عمهاء لا منار بها ومعنى اشتراء الضلالة بالهدى اختيارها عليه واستبدالها به على سبيل الاستعارة لان الاشتراء فيه اعطاء بدل واخذ آخر ومنه اخذت بالجمة راسا ازعرا وبالثنايا الواضحات الدردرا وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا وعن وهب قال الله تعالى لبني اسرائيل تفقهون لغير الدين وتعلمون لغير العمل وتبتاعون الدنيا بعمل الاخرة فان قلت كيف اشتروا الضلالة وما كانوا على هدى قلت جعلوا لتمكنهم منه واعراضه لهم كانه في ايديهم فاذا تركوه الى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوها به ولان الدين القيم هو فطرة الله التي فطر الناس عليها فكل من ضل فهو مستبدل خلاف الفطرة والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء يقال ضل منزله وضل دريص نفقه فاستعير للذهاب عن الصواب في الدين والربح الفضل على راس المال ولذلك سمي الشف من قولك اشف بعض ولده على بعض اذا فضله ولهذا على هذا شف والتجارة صناعة التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح وناقة تاجرة كانها من حسنها وسمنها تبيع نفسها

فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين

وقرأ ابن أبي عبلة تجاراتهم. فإن قلت: كيف أسند الخسران إلى التجارة وهو لأصحابها؟ قلت: هو من الإسناد المجازي وهو أن يسند الفعل إلى شيء يتلبس بالذي هو في الحقيقة له كما تلبست التجارة بالمشترين. فإن قلت: هل يصح ربح عبدك وخسرت جاريتك على الإسناد المجازي؟ قلت: نعم إذا دلت الحال. وكذلك الشرط في صحة رأيت أسدا وأنت تريد المقدام إن لم تقم حال دالة لم يصح. فإن قلت: هب أن شراء الضلالة بالهدى وقع مجازا في معنى الاستبدال فما معنى ذكر الربح والتجارة كأن ثم مبايعة على الحقيقة؟ قلت: هذا من الصنعة البديعية التي تبلغ بالمجاز الذروة العليا وهو أن تساق كلمة مساق المجاز ثم تقفى بأشكال لها وأخوات إذا تلاحقن لم تر كلاما أحسن منه ديباجة وأكثر ماء ورونقا وهو المجاز المرشح وذلك نحو قول العرب في البليد كأن أذني قلبه خطلاوان جعلوه كالحمار ثم رشحوا ذلك روما لتحقيق البلادة فادعوا لقلبه أذنين وادعوا لها الخطل ليمثلوا البلادة تمثيلا يلحقها ببلادة الحمار مشاهدة معاينة ونحوه: ولما رأيت النسر عز ابن دأية ... وعشش في وكريه جاش له صدري. لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب أتبعه ذكر التعشيش والوكر ونحوه قول بعض فتاك العرب في أمه: فما أم الردين وإن أدلت ... بعالمة بأخلاق الكرام ... إذا الشيطان قصع في قفاها ... تنفقناه بالحبل التؤام. أي إذا دخل الشيطان في قفاها استخرجناه من نافقائه بالحبل المثنى المحكم يريد إذا حردت وأساءت الخلق اجتهدنا في إزالة غضبها وإماطة ما يسوء من خلقها استعار التقصيع أولا ثم ضم إليه التنفق ثم الحبل التؤام فكذلك لما ذكر سبحانه الشرى أتبعه ما يشاكله ويواخيه وما يكمل ويتم بانضمامه إليه تمثيلا لخسارهم وتصويرا لحقيقته. فإن قلت: ما معنى قوله فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين؟ قلت: معناه أن الذي يطلبه التجار في متصرفاتهم شيئان سلامة رأس المال والربح، وهؤلاء قد أضاعوا الطلبتين معا لأن رأس مالهم كان هو الهدى فلم يبق لهم مع الضلالة وحين لم يبق في أيديهم إلا الضلالة لم يوصفوا بإصابة الربح وإن ظفروا بما ظفروا به من الأغراض الدنيوية لأن الضال خاسر دامر ولأنه لا يقال لمن لم يسلم له رأس ماله قد ربح، وما كانوا مهتدين لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العالمون بما يربح فيه ويخسر. لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميما للبيان. ولضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خبيات المعاني ورفع الأستار عن الحقائق حتى تريك المتخيل في صورة المحقق والمتوهم في معرض المتيقن والغائب كأنه مشاهد وفيه تبكيت للخصم الألد وقمع لسورة الجامح الأبي. ولأمر ما أكثر الله في كتابه المبين وفي سائر كتبه أمثاله وفشت في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الأنبياء والحكماء. قال الله تعالى: وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون. ومن سور الإنجيل سورة الأمثال. والمثل في أصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل، ولم يضربوا مثلا ولا رأوه أهلا للتسيير ولا جديرا بالتداول والقبول إلا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه ومن ثم حوفظ عليه وحمي من التغيير. فإن قلت: ما معنى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا وما مثل المنافقين ومثل الذي استوقد نارا حتى شبه أحد المثلين بصاحبه؟ قلت: قد استعير المثل استعارة الأسد للمقدام للحال أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة كأنه قيل حالهم العجيبة الشأن كحال الذي استوقد نارا، وكذلك قوله مثل الجنة التي وعد المتقون أي وفيما قصصنا

مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم

عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة ثم أخذ في بيان عجائبها. ولله المثل الأعلى أي الوصف الذي له شأن من العظمة والجلالة. مثلهم في التوراة أي صفتهم وشأنهم المتعجب منه، ولما في المثل من معنى الغرابة قالوا فلان مثلة في الخير والشر فاشتقوا منه صفة للعجيب الشأن. فإن قلت: كيف مثلت الجماعة بالواحد؟ قلت: وضع الذي موضع الذين كقوله وخضتم كالذي خاضوا. والذي سوغ وضع الذي موضع الذين ولم يجز وضع القائم موضع القائمين ولا نحوه من الصفات أمران أحدهما أن الذي لكونه وصلة إلى وصف كل معرفة بجملة وتكاثر وقوعه في كلامهم ولكونه مستطالا بصلته حقيق بالتخفيف ولذلك نهكوه بالحذف فحذفوا ياءه ثم كسرته ثم اقتصروا به على اللام وحدها في أسماء الفاعلين والمفعولين. والثاني أن جمعه ليس بمنزلة جمع غيره بالواو والنون إنما ذلك علامة لزيادة الدلالة ألا ترى أن سائر الموصولات لفظ الجمع والواحد فيهن واحد. أو قصد جنس المستوقدين أو أريد الجمع أو الفوج الذي استوقد نارا على أن المنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد إنما شبهت قصتهم بقصة المستوقد ونحوه قوله مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار وقوله ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت. ووقود النار سطوعها وارتفاع لهبها ومن أخواته وقل في الجبل إذا صعد وعلا. والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق والنور ضوؤها وضوء كل نير وهو نقيض الظلمة واشتقاقها من نار ينور إذا نفر لأن فيها حركة واضطرابا والنور مشتق منها. والإضاءة فرط الإنارة ومصداق ذلك قوله هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهي في الآية متعدية ويحتمل أن تكون غير متعدية مسندة إلى ما حوله والتأنيث للحمل على المعنى لأن ما حول المستوقد أماكن وأشياء ويعضده قراءة ابن أبي عبلة ضاءت، وفيه وجه آخر وهو أن يستتر في الفعل ضمير النار ويجعل إشراق ضوء النار حوله بمنزلة إشراق النار نفسها على أن ما مزيدة أو موصولة في معنى الأمكنة وحوله نصب على الظرف وتأليفه للدوران والإطافة وقيل للعام حول لأنه يدور. فإن قلت: أين جواب لما؟ قلت: فيه وجهان أحدهما أن جوابه ذهب الله بنورهم. والثاني أنه محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به، وإنما جاز حذفه لاستطالة الكلام مع أمن الإلباس للدال عليه وكان الحذف أولى من الإثبات لما فيه من الوجازة مع الإعراب عن الصفة التي حصل عليها المستوقد بما هو أبلغ من اللفظ في أداء المعنى كأنه قيل فلما أضاءت ما حوله خمدت فبقوا خابطين في ظلام متحيرين متحسرين على فوت الضوء خائبين بعد الكدح في إحياء النار. فإن قلت: فإذا قدر الجواب محذوفا فبم يتعلق ذهب الله بنورهم؟ قلت: يكون كلاما مستأنفا كأنهم لما شبهت حالهم بحال المستوقد الذي طفئت ناره اعترض سائل فقال ما بالهم قد أشبهت حالهم حال هذا المستوقد فقيل له ذهب الله بنورهم، أو بدلا من جملة التمثيل على سبيل البيان. فإن قلت: قد رجع الضمير في هذا الوجه إلى المنافقين فما مرجعه في الوجه الثاني؟ قلت: مرجعه الذي استوقد لأنه في معنى الجمع، وأما جمعه هذا الضمير وتوحيده في حوله فللحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى. فإن قلت: فما معنى إسناد الفعل إلى الله تعالى في قوله ذهب الله بنورهم؟ قلت: إذا طفئت النار بسبب سماوي ريح أو مطر فقد أطفأها الله وذهب بنور المستوقد، ووجه آخر وهو أن يكون المستوقد في هذا الوجه مستوقد نار لا يرضاها الله ثم إما أن تكون نارا مجازية كنار الفتنة والعداوة للإسلام وتلك النار متقاصرة مدة اشتعالها قليلة البقاء ألا ترى إلى قوله كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله، وإما نارا حقيقية أوقدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها إلى بعض المعاصي ويهتدوا بها في طرق العيث فأطفأها الله وخيب أمانيهم. فإن قلت: كيف صح في النار المجازية أن توصف بإضاءة ما حول المستوقد؟ قلت: هو خارج على طريقة المجاز المرشح فأحسن تدبره. فإن قلت: هلا قيل ذهب الله بضوئهم لقوله فلما أضاءت؟ قلت: ذكر النور أبلغ لأن الضوء فيه دلالة على الزيادة فلو قيل ذهب الله بضوئهم

وتركهم في ظلمات لا يبصرون

لأن ذهب الذهاب بالكلية وإنما سمي نوراً والغرض إزالة النور عنهم رأساً وطمسه أصلاً ألا ترى كيف ذكر عقيبه
وتركهم في ظلمات والظلمة عبارة عن عدم النور وانطماسه وكيف جمعها وكيف نكرها وكيف أتبعها ما يدل
على أنها ظلمة مبهمة لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله لا يبصرون فإن قلت فلم وصفت بالإضاءة قلت
هذا على مذهب قولهم للباطل صولة ثم يضمحل ولريح الضلالة عصفة ثم تخفت ونار العرفج مثل نزوة
كل طماح والفرق بين أذهبه وذهب به أن معنى أذهبه أزاله وجعله ذاهباً ويقال ذهب به إذا
استصحبه ومضى به معه وذهب السلطان بماله أخذه فلما ذهبوا به إذاً لذهب كل إله بما خلق ومنه
ذهبت به الخيلاء والمعنى أخذ الله نورهم وأمسكه وما يمسك فلا مرسل له فهو أبلغ من الإذهاب وقرأ
اليماني أذهب الله نورهم وترك بمعنى طرح وخلى إذا علق بواحد كقولهم تركه ترك ظبي ظله فإذا علق
بشيئين كان مضمناً معنى صيّر فيجري مجرى أفعال القلوب كقول عنترة فتركته جزر السباع ينشنه
ومنه قوله وتركهم في ظلمات أصله هم في ظلمات ثم دخل ترك فنصب الجزأين والظلمة عدم النور
وقيل عرض ينافي النور واشتقاقها من قولهم ما ظلمك أن تفعل كذا أي ما منعك وشغلك لأنها تسد
البصر وتمنع الرؤية وقرأ الحسن رحمه الله في ظلْمات بسكون اللام وقرأ اليماني في ظلمة على التوحيد والمفعول
الساقط من لا يبصرون من قبيل المتروك المطرح الذي لا يلتفت إلى إخطاره بالبال لا من قبيل
المقدر المنوي كأن الفعل غير متعد أصلاً نحو يعمهون في قوله ويمدهم في طغيانهم يعمهون فإن قلت
فيم شبهت حالهم بحال المستوقد قلت في أنهم غب الإضاءة خبطوا في ظلمة وتورطوا في حيرة
فإن قلت وأين الإضاءة في حال المنافق وهل هو أبداً إلا حائر خابط في ظلماء الكفر قلت
المراد ما استضاءوا به قليلاً من الانتفاع بالكلمة المجراة على ألسنتهم ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة
النفاق التي ترمي بهم إلى ظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد ويجوز أن تشبه بذهاب الله بنور
المستوقد اطلاع الله على أسرارهم وما افتضحوا به بين المؤمنين واتسموا به من سمة النفاق والأوجه
أن يراد الطبع لقوله صم بكم عمي وفي الآية تفسير آخر وهو أنهم لما وصفوا بأنهم اشتروا الضلالة بالهدى
عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذي باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد والضلالة التي اشتروها وطبع بها
على قلوبهم بذهاب الله بنورهم وتركه إياهم في الظلمات وتنكير النار للتعظيم كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا
عن الإصاخة إلى الحق مسامعهم وأبوا أن ينطقوا به ألسنتهم وأن ينظروا ويتبصروا بعيونهم جعلوا
كأنما أيفت مشاعرهم وانتقضت بناها التي بنيت للإحساس والإدراك كقوله
صم إذا سمعوا خيراً ذكرت به وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا أصم عما ساءه سميع أصم عن الشيء الذي لا أريده
وأسمع خلق الله حين أريد فأصممت عمراً وأعميته عن الجود والفخر يوم الفخار فإن قلت كيف طريقته
عند علماء البيان قلت طريقة قولهم هم ليوث للشجعان وبحور للأسخياء إلا أن هذا في الصفات وذاك
في الأسماء وقد جاءت الاستعارة في الأسماء والصفات والأفعال جميعاً تقول رأيت ليوثاً ولقيت صماً عن
الخير ودجا الإسلام وأضاء الحق فإن قلت هل يسمى ما في الآية استعارة قلت مختلف فيه والمحققون

صم بكم عمي فهم لا يرجعون أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت
والله محيط بالكافرين

والمحققون على تسميته تشبيهاً بليغاً لا استعارة لأن المستعار له مذكور وهم المنافقون والاستعارة إنما تطلق حيث
يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلواً عنه صالحاً لأن يراد به المنقول عنه والمنقول إليه لولا دلالة
الحال أو فحوى الكلام كقول زهير لدى أسد شاكي السلاح مقذف له لبد أظفاره لم تقلم ومن ثم ترى
المفلقين السحرة منهم كأنهم يتناسون التشبيه ويضربون عن توهمه صفحاً قال أبو تمام
ويصعد حتى يظن الجهول بأن له حاجة في السماء ولبعضهم لا تحسبوا أن في سرباله رجلاً ففيه غيث وليث
مسبل مشبل وليس لقائل أن يقول طوي ذكرهم عن الجملة بحذف المبتدأ فأتسلق بذلك إلى تسميته استعارة
لأنه في حكم المنطوق به نظيره قول من يخاطب الحجاج أسد علي وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر
ومعنى لا يرجعون أنهم لا يعودون إلى الهدى بعد أن باعوه أو عن الضلالة بعد أن اشتروها تسجيلاً عليهم
بالطبع أو أراد أنهم بمنزلة المتحيرين الذين بقوا جامدين في مكانهم لا يبرحون ولا يدرون أيتقدمون أم
يتأخرون وكيف يرجعون إلى حيث ابتدأوا منه ثم ثنى الله سبحانه في شأنهم بتمثيل آخر ليكون كشفاً لحالهم بعد
كشف وإيضاحاً غب إيضاح وكما يجب على البليغ في مظان الإجمال والإيجاز أن يجمل ويوجز فكذلك
الواجب عليه في موارد التفصيل والإشباع أن يفصل ويشبع أنشد الجاحظ يرمون بالخطب الطوال وتارة
وحي الملاحظ خيفة الرقباء ومما ثني من التمثيل في التنزيل قوله وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات
ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات ألا ترى إلى ذي الرمة كيف صنع في قصيدته
أذاك أم نمش بالوشي أكرعه أذاك أم خاضب بالسي مرتعه فإن قلت قد شبه المنافق في التمثيل
الأول بالمستوقد ناراً وإظهار الإيمان بالإضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار فماذا شبه
في التمثيل الثاني بالصيب وبالظلمات وبالرعد وبالبرق وبالصواعق قلت لقائل أن يقول شبه دين
الإسلام بالصيب لأن القلوب تحيا به حياة الأرض بالمطر وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات وما فيه
من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيب الكفرة من الأفزاع والبلايا والفتن من جهة أهل الإسلام
بالصواعق والمعنى أو كمثل ذوي صيب والمراد كمثل قوم أخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا
فإن قلت هذا تشبيه أشياء بأشياء فأين ذكر المشبهات وهلا صرح به كما في قوله وما يستوي الأعمى والبصير
والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء وفي قول امرئ القيس كأن قلوب الطير رطباً ويابساً
لدى وكرها العناب والحشف البالي قلت كما جاء ذلك صريحاً فقد جاء مطوياً ذكره على سنن الاستعارة
كقوله تعالى وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً
سلماً لرجل والصحيح الذي عليه علماء البيان لا يتخطونه أن التمثيلين جميعاً من جملة التمثيلات المؤلفة دون
المفرقة لا يتكلف لواحد واحد شيء يقدر شبهه به وهو القول الفحل والمذهب الجزل بيانه أن العرب
تأخذ أشياء فرادى معزولاً بعضها من بعض لم يأخذ هذا بحجزة ذلك فتشبهها بنظائرها كما فعل امرؤ
القيس وجاء في القرآن وتشبه كيفية حاصلة من مجموع أشياء قد تضامت وتلاصقت حتى
عادت شيئاً واحداً بأخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة الآية الغرض تشبيه حال اليهود في جهلها
بما معها من التوراة وآياتها الباهرة بحال الحمار في جهله بما يحمل من أسفار الحكمة وتساوي الحالتين عنده
من حمل أسفار الحكمة وحمل ما سواها من الأوقار لا يشعر من ذلك إلا بما يمر بدفيه من الكد والتعب

يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا

وكقوله واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كما انزلناه من السما المراد قلة بقا زهرة الدنيا كقلة بقا الخضر فاما ان يراد تشبيه الافراد بالافراد غير منوط بعضها ببعض ومصيرة شيا واحدا فلا ويكذلك لما وصف وقوع المنافقين في ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة شبهت حيرتهم وشدة الامر عليهم بما يكابد من طفيت ناره بعد ايقادها في ظلمة الليل وكذلك من اخذته السما في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق **فان قلت** الذي كنت تقدر في المفرق من حذف المضاف وهو قولك او كمثل ذوي صيب هل تقدر مثله في المركب **قلت** لولا طلب الراجع في قوله يجعلون اصابعهم في اذانهم ما يرجع اليه لكنت مستغنيا عن تقديره لاني اراعي الكيفية المنتزعة من مجموع الكلام فلا علي اولي حرف التشبيه مفرد يتاتى التشبيه به ام لم يله الا ترى الى قوله انما مثل الحيوة الدنيا الاية كيف ولي الما الكاف وليس الغرض تشبيه الدنيا بالما ولا بمفرد اخر يتمحل لتقديره ومما هو بين في هذا قول لبيد وما الناس الا كالديار واهلها بها يوم حلوها وغدوا بلاقع لم تشبه الناس بالديار وانما شبه وجودهم في الدنيا وسرعة زوالهم وفنايهم بحلول اهل الديار فيها ووشك نهوضهم عنها وتركها خلا خاوية **فان قلت** اي التمثيلين ابلغ **قلت** الثاني لانه ادل على فرط الحيرة وشدة الامر وفظاعته ولذلك اخروهم يتدرجون في نحو هذا من الاهون الى الاغلظ **فان قلت** لم عطف احد التمثيلين على الاخر بحرف الشك **قلت** او في اصلها لتساوي شيين فصاعدا في الشك ثم اتسع فيها فاستعيرت للتساوي في غير الشك وذلك قولك جالس الحسن او ابن سيرين تريد انهما سيان في استصواب ان تجالس ومنه قوله تعالى ولا تطع منهم اثما او كفورا اي الاثم والكفور متساويان في وجوب عصيانهما فكذلك قوله او كصيب معناه ان كيفية قصة المنافقين مشبهة لكيفيتي هاتين القصتين وان القصتين سواء في استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل فبايتهما مثلتها فانت مصيب وان مثلتها بهما جميعا فكذلك والصيب المطر الذي يصوب اي ينزل ويقع ويقال للسحاب صيب ايضا قال الشماخ واسحم دان صادق الرعد صيب وتنكير صيب لانه اريد نوع من المطر شديد هايل كما نكرت النار في التمثيل الاول وقرى كصايب والصيب ابلغ والسما هذه المظلة وعن الحسن رحمه الله انها موج مكفوف **فان قلت** قوله من السما ما الفايدة في ذكره والصيب لا يكون الا من السما **قلت** الفايدة فيه انه جا بالسما معرفة فنفى ان يتصوب من سما اي من افق واحد من بين سائر الافاق لان كل افق من افاقها سما كما ان كل طبقة من الطباق سما في قوله واوحى في كل سما امرها والدليل عليه قوله ومن بعد ارض بيننا وسماء والمعنى انه غمام مطبق اخذ بافاق السما وكما جا بصيب وفيه مبالغات من جهة التركيب والبنا والتنكير امد ذلك بان جعله مطبقا وفيه ان السحاب من السما ينحدر ومنها ياخذ ماءه لا كزعم من يزعم انه ياخذه من البحر ويؤيده قوله تعالى وينزل من السما من جبال فيها من برد **فان قلت** بم ارتفع ظلمات **قلت** بالظرف على الاتفاق لاعتماده على موصوف والرعد الصوت الذي يسمع من السحاب كان اجرام السحاب تضطرب وتنتفض اذا حدتها الريح فتصوت عند ذلك من الارتعاد والبرق الذي يلمع من السحاب من برق الشي بريقا اذا لمع **فان قلت** قد جعل الصيب مكانا للظلمات فلا يخلو من ان يراد به السحاب او المطر فايهما اريد فما ظلماته **قلت** اما ظلمات السحاب فاذا كان اسحم مطبقا فظلمتا سحمته وتطبيقه مضمومة اليهما ظلمة الليل واما ظلمات المطر فظلمة تكاثفه وانتساجه بتتابع القطر وظلمة اظلال غمامه مع ظلمة الليل **فان قلت** كيف يكون المطر مكانا للبرق والرعد وانما مكانهما السحاب **قلت** اذا كانا في اعلاه ومصبه وملتبسين في الجملة به فهما فيه الا تراك تقول فلان في البلد وما هو منه الا في حيز يشغله جرمه **فان قلت** هلا جمع الرعد والبرق اخذا بالابلغ كقول البحتري يا عارضا متلفعا ببروده يختال بين بروقه ورعوده

وكما قيل ظلمات **قلت** فيه وجهان احدهما ان يراد العينان ولكنهما لما كانا مصدرين في الاصل يقال رعدت السما رعدا وبرقت برقا روعي حكم اصلهما بان ترك جمعهما وان اريد معنى الجمع والثاني ان يراد الحدثان كانه قيل وارعاد وابراق وانما جات هذه الاشيا منكرات لان المراد انواع منها كانه قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف وجاز رجوع الضمير في يجعلون الى اصحاب الصيب مع كونه محذوفا قايما مقامه الصيب كما قال او هم قايلون لان المحذوف باق معناه وان سقط لفظه الا ترى الى حسان كيف عول على بقا معناه في قوله يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل حيث ذكر يصفق لان المعنى ما بردى ولا محل لقوله يجعلون لكونه مستانفا لانه لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة والهول فكان قايلا قال فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون اصابعهم في اذانهم ثم قال فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق فقيل يكاد البرق يخطف ابصارهم **فان قلت** راس الاصبع هو الذي يجعل في الاذن فهلا قيل اناملهم **قلت** هذا من الاتساعات في اللغة التي لا يكاد الحاصر يحصرها كقوله فاغسلوا وجوهكم وايديكم فاقطعوا ايديهما اراد البعض الذي هو الى المرفق والذي الى الرسغ وايضا في ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الانامل **فان قلت** فالاصبع التي تسد بها الاذن اصبع خاصة فلم ذكر الاسم العام دون الخاص **قلت** لان السبابة فعالة من السب فكان اجتنابها اولى بادب القران الا ترى انهم قد استبشعوها فكنوا عنها بالمسبحة والسباحة والمهللة والدعاءة **فان قلت** فهلا ذكر بعض هذه الكنايات **قلت** هي الفاظ مستحدثة لم يتعارفها الناس في ذلك العهد وانما احدثوها بعد وقوله من الصواعق متعلق بيجعلون اي من اجل الصواعق يجعلون اصابعهم في اذانهم كقولك سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد تنقض معها شقة من نار قالوا تنقدح من السحاب اذا اصطكت اجرامه وهي نار لطيفة حديدة لا تمر بشي الا اتت عليه الا انها مع حدتها سريعة الخمود يحكى انها سقطت على نخلة فاحرقت نحو النصف ثم طفيت ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته فصعق اي مات اما بشدة الصوت او بالاحراق ومنه قوله تعالى وخر موسى صعقا وقرا الحسن من الصواقع وليس بقلب للصواعق لان كلا البنايين سواء في التصرف واذا استويا كان كل واحد بنا على حياله الا تراك تقول صقعه على راسه وصقع الديك وخطيب مصقع مجهر بخطبته ونظيره جبذ في جذب ليس بقلبه لاستوايهما في التصرف وبنا وهما اما ان تكون صفة لقصفة الرعد او للرعد والتا للمبالغة كما في الراوية او مصدرا كالكاذبة والعافية وقرا ابن ابي ليلى حذار الموت وانتصب على انه مفعول له كقوله واغفر عورا الكريم ادخاره والموت فساد بنية الحيوان وقيل عرض لا يصح معه احساس معاقب للحيوة واحاطة الله تعالى بالكافرين مجاز والمعنى انهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به حقيقة وهذه الجملة اعتراض لا محل لها والخطف الاخذ بسرعة وقرا مجاهد يخطف بكسر الطا والفتح افصح وعن ابن مسعود يختطف وعن الحسن يخطف بفتح اليا والخا واصله يختطف وعنه يخطف بكسرهما على اتباع اليا الخا وعن زيد بن علي يخطف من خطف وعن ابي يتخطف من قوله ويتخطف الناس من حولهم **كلما اضاء لهم** استيناف ثالث كانه جواب لمن يقول كيف يصنعون في تارتي خفوق البرق وخفيته وهذا تمثيل لشدة الامر على المنافقين بشدته على اصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التحير والجهل بما ياتون وما يذرون اذا صادفوا من البرق خفقة مع خوف ان يخطف ابصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات يسيرة فاذا خفي وفتر لمعانه بقوا واقفين متقيدين عن الحركة

ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم ان الله على كل شيء قدير

ولو شاء الله لزاد في قصيف الرعد فاصمهم او في ضوء البرق فاعماهم واضاء اما متعد بمعنى كلما نور لهم ممشى ومسلكا
اخذوه والمفعول محذوف واما غير متعد بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وملقى ضوئه ويعضده قراءة ابن
ابي عبلة كلما ضاء لهم والمشي جنس الحركة المخصوصة فاذا اشتد فهو سعي فاذا ازداد فهو عدو فان قلت كيف
قال مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا قلت لانهم حراص على وجود ما هممهم به معقود من امكان المشي وتأتيه فكلما
صادفوا منه فرصة انتهزوها وليس كذلك التوقف والتحبس واظلم يحتمل ان يكون غير متعد وهو الظاهر
وان يكون متعديا منقولا من ظلم الليل وتشهد له قراءة يزيد بن قطيب اظلم على ما لم يسم فاعله وجاء في شعر حبيب بن
اوس هما اظلما حالي ثمت اجليا ظلاميهما عن وجه امرد اشيب وهو وان كان محدثا لا يستشهد بشعره في
اللغة فهو من علماء العربية فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه الا ترى الى قول العلماء الدليل عليه بيت الحماسة فيقتنعون
بذلك لتوثقهم بروايته واتقانه ومعنى قاموا وقفوا وثبتوا في مكانهم ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام
الماء جمد ومفعول شاء محذوف لان الجواب يدل عليه والمعنى ولو شاء الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم لذهب بها ولقد
تكاثر هذا الحذف في شاء واراد لا يكادون يبرزون المفعول الا في الشيء المستغرب كنحو قوله فلو شئت ان ابكي
دما لبكيته وقوله تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا ولو اراد الله ان يتخذ ولدا واراد ولو شاء الله لذهب بسمعهم بقصيف
الرعد وابصارهم بوميض البرق وقرا ابن ابي عبلة لاذهب باسماعهم بزيادة الباء كقوله ولا تلقوا بايديكم والشيء ما
صح ان يعلم ويخبر عنه قال سيبويه في ساقة الباب المترجم بباب مجاري اواخر الكلم من العربية وانما يخرج التأنيث
من التذكير الا ترى ان الشيء يقع على كل ما اخبر عنه من قبل ان يعلم اذكر هو ام انثى والشيء مذكر وهو اعم العام كما ان الله تعالى
اخص الخاص يجري على الجسم والعرض والقديم تقول شيء لا كالاشياء اي معلوم لا كسائر المعلومات وعلى المعدوم والمحال
فان قلت كيف قيل على كل شيء قدير وفي الاشياء ما لا تعلق به للقادر كالمستحيل وفعل قادر اخر قلت مشروط في حد القادر
ان لا يكون الفعل مستحيلا فالمستحيل مستثنى في نفسه عند ذكر القادر على الاشياء كلها فكانه قيل على كل شيء مستقيم قدير
ونظيره فلان امير على الناس اي على من وراءه منهم ولم تدخل فيهم نفسه وان كان من جملة الناس واما الفعل بين قادرين
فمختلف فيه فان قلت مم اشتقاق القدير قلت من التقدير لانه يوقع فعله على مقدار قوته واستطاعته وما يتميز به عن العاجز
لما عدد الله تعالى فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم واحوالهم ومصارف امورهم وما
اختصت به كل فرقة مما يسعدها ويشقيها ويحظيها عند الله ويرديها اقبل عليهم بالخطاب وهو من
الالتفات المذكور عند قوله اياك نعبد واياك نستعين وهو فن من الكلام جزل فيه هز وتحريك من السامع
كما انك اذا قلت لصاحبك حاكيا عن ثالث لكما ان فلانا من قصته كيت وكيت فقصصت عليه ما فرط منه ثم عدلت
بخطابك الى الثالث فقلت يا فلان من حقك ان تلزم الطريقة الحميدة في مجاري امورك وتستوي على جادة السداد
في مصادرك ومواردك نبهته بالتفاتك نحوه فضل تنبيه واستدعيت اصغاءه الى ارشادك زيادة استدعاء
واوجدته بالانتقال من الغيبة الى المواجهة هازا من طبعه ما لا يجده اذا استمررت على لفظ الغيبة وهكذا
الافتنان في الحديث والخروج فيه من صنف الى صنف يستفتح الاذان للاستماع ويستهش الانفس

يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون

للقبول وبلغنا باسناد صحيح عن علقمة ان كل شيء نزل فيه يا ايها الناس فهو مكي ويا ايها الذين امنوا فهو مدني فقوله يا ايها
الناس اعبدوا ربكم خطاب لمشركي مكة ويا حرف وضع في اصله لنداء البعيد صوت يهتف به الرجل بمن يناديه
واما نداء القريب فله اي والهمزة ثم استعمل في مناداة من سها وغفل وان قرب تنزيلا له منزلة من بعد
فاذا نودي به القريب المفاطن فذلك للتاكيد المؤذن بان الخطاب الذي يتلوه معني به جدا فان قلت فما بال
الداعي يقول في جؤاره يا رب ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد واسمع به وابصر قلت هو استقصار منه لنفسه
واستبعاد لها من مظان الزلفى وما يقربه الى رضوان الله ومنازل المقربين هضما للنفس واقرارا عليها
بالتفريط في جنب الله مع فرط التهالك على استجابة دعوته والاذن لندائه وابتهاله واي وصلة الى نداء ما فيه
الالف واللام كما ان ذو والذي وصلتان الى الوصف باسماء الاجناس ووصف المعارف بالجمل وهو اسم مبهم
يفتقر الى ما يوضحه ويزيل ابهامه فلا بد ان يردفه اسم جنس او ما يجري مجراه يتصف به حتى يصح المقصود بالنداء
فالذي يعمل فيه حرف النداء هو اي والاسم التابع له صفته كقولك يا زيد الظريف الا ان ايا لا يستقل بنفسه
استقلال زيد فلم ينفك من الصفة وفي هذا التدرج من الابهام الى التوضيح ضرب من التاكيد والتشديد
وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها لفائدتين معاضدة حرف النداء ومكانفته بتاكيد معناه
ووقوعها عوضا مما يستحقه اي من الاضافة فان قلت لم كثر في كتاب الله تعالى النداء على هذه الطريقة ما لم يكثر
في غيره قلت لاستقلاله باوجه من التاكيد واسباب من المبالغة لان كل ما نادى الله له عباده من اوامره ونواهيه
وعظاته وزواجره ووعده ووعيده واقتصاص اخبار الامم الدارجة عليهم وغير ذلك مما انطق به كتابه امور
عظام وخطوب جسام ومعان عليهم ان يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم اليها وهم عنها غافلون
فاقتضت الحال ان ينادوا بالاكد الابلغ فان قلت لا يخلو الامر بالعبادة من ان يكون متوجها الى المؤمنين
والكافرين جميعا او الى كفار مكة خاصة على ما روي عن علقمة والحسن رحمهما الله فالمؤمنون عابدون ربهم فكيف
امروا بما هم ملتبسون به وهل هو الا كقول القائل فلو اني فعلت كنت من تسأله وهو قائم ان يقوما
واما الكفار فلا يعرفون الله ولا يقرون به فكيف يعبدونه قلت المراد بعبادة المؤمنين ازديادهم منها واقبالهم
وثباتهم عليها واما عبادة الكفار فمشروط فيها ما لا بد لها منه وهو الاقرار كما يشترط على المامور بالصلوة
والزكوة شرائطهما من الوضوء والنية وغيرهما وما لا بد للفعل منه فهو مندرج تحت الامر به وان لم يذكر حيث لم
ينفعل الا به وكان من لوازمه على ان مشركي مكة كانوا يعرفون الله ويعترفون به ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن
الله فان قلت فقد جعلت قوله اعبدوا متناولا لشيئين الامر بالعبادة والامر بازديادها قلت لا ازدياد من العبادة عبادة
وليس شيئا اخر فان قلت ربكم ما المراد به قلت كان المشركون معتقدين ربوبيتين ربوبية الله وربوبية الهتهم فان
خصوا بالخطاب فالمراد به اسم يشترك فيه رب السموات والارض والالهة التي كانوا يسمونها اربابا وكان قوله الذي
خلقكم صفة موضحة مميزة وان كان الخطاب للفرق جميعا فالمراد ربكم على الحقيقة والذي خلقكم صفة جرت عليه
على طريق المدح والتعظيم ولا يمتنع هذا الوجه في خطاب الكفرة خاصة الا ان الاول اوضح واصح والخلق ايجاد
الشيء على تقدير واستواء يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس وقرا ابو عمرو خلقكم بالادغام وقرا

وقرأ ابن السميفع وخلق من قبلكم وفي قراءة زيد بن علي والذين من قبلكم وهي قراءة مشكلة ووجهها
على اشكالها ان يقال اقحم الموصول الثاني بين الاول وصلته تاكيدا كما اقحم جرير في قوله يا تيم تيم عدي لا ابا لكم
تيما الثاني بين الاول وما اضيف اليه وكاقحامهم لام الاضافة بين المضاف والمضاف اليه في لا ابا لك ولعل
للترجي والاشفاق تقول لعل زيدا يكرمني ولعله يهينني وقال الله تعالى لعله يتذكر او يخشى لعل الساعة
قريب الا ترى الى قوله والذين آمنوا مشفقون منها وقد جاءت على سبيل الاطماع في مواضع من القرآن ولكن
لانه اطماع من كريم رحيم اذا اطمع فعل ما يطمع فيه لا محالة لجري اطماعه مجرى وعده المحتوم وفاؤه
به قال من قال ان لعل بمعنى كي ولعل لا يكون بمعنى كي ولكن الحقيقة ما ألقيت اليك
وايضا فمن ديدن الملوك وما عليه اوضاع امرهم ورسومهم ان يقتصروا في مواعيدهم التي يوطنون
انفسهم على انجازها على ان يقولوا عسى ولعل ونحوهما من الكلمات او يخيلوا اخالة او يظفر منهم
بالرمزة او الابتسامة او النظرة الحلوة فاذا عثر على شيء من ذلك منهم لم يبق للطالب ما عندهم شك في
النجاح والفوز بالمطلوب فعلى مثله ورد كلام مالك الملوك ذي العز والكبرياء او يجيء على طريق الاطماع دون
التحقيق لئلا يتكل العباد كقوله يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم فان قلت فلعل التي في الاية ما
معناها وموقعها قلت ليست مما ذكرناه في شيء لان قوله خلقكم لعلكم تتقون لا يجوز ان يحمل على رجاء الله تقواهم لان الرجاء لا يجوز
على عالم الغيب والشهادة وحمله على ان يخلقهم راجين للتقوى ليس بسديد ايضا ولكن لعل واقعة في الاية موقع المجاز لا الحقيقة لان
الله عز وجل خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف وركب فيهم العقول والشهوات وازاح العلة في اقدارهم وتمكينهم وهداهم
النجدين ووضع في ايديهم زمام الاختيار واراد منهم الخير والتقوى فهم في صورة المرجو منهم ان يتقوا ليترجح امرهم
وهم مختارون بين الطاعة والعصيان كما ترجحت حال المرتجي بين ان يفعل وان لا يفعل ومصداقه قوله عز وجل
ليبلوكم ايكم احسن عملا وانما يبلو ويختبر من تخفى عليه العواقب ولكن شبه بالاختبار بناء امرهم على الاختيار فان قلت
كما خلق المخاطبين لعلهم يتقون فكذلك خلق الذين من قبلهم لذلك فلم قصره عليهم دون من قبلهم قلت لم يقصره عليهم
ولكن غلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا فان قلت فهلا قيل تعبدون لاجل اعبدوا او اتقوا لمكان
تتقون ليتجاوب طرفا النظم قلت ليست التقوى غير العبادة حتى يؤدي ذلك الى تنافر النظم وانما التقوى قصارى امر
العابد ومنتهى جهده فاذا قال اعبدوا ربكم الذي خلقكم للاستيلاء على اقصى غايات العبادة كان ابعث على العبادة واشد
الزاما لها واثبت لها في النفوس ونحوه ان تقول لعبدك احمل خريطة الكتب فما ملكتك يمينك الا لجر الاثقال ولو قلت
لحمل خريطة الكتب لم يقع من نفسه ذلك الموقع قدم سبحانه من موجبات عبادته وملزمات حق الشكر له خلقهم
احياء قادرين اولا لانه سابقة اصول النعم ومقدمتها والسبب في التمكن من العبادة والشكر وغيرهما ثم خلق
الارض التي هي مكانهم ومستقرهم الذي لا بد لهم منه وهي بمنزلة عرصة المسكن ومتقلبه ومفترشه ثم خلق السماء
التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا القرار ثم ما سواه عز وجل من شبه عقد النكاح بين
المقلة والمظلة بانزال الماء منها عليها والاخراج به من بطنها اشباه النسل المنتج من الحيوان من الوان
الثمار رزقا لبني آدم ليكون لهم ذلك معتبرا ومتسلقا الى النظر الموصل الى التوحيد والاعتراف ونعمة يتعرفونها
فيقابلونها بلازم الشكر ويتفكرون في خلق انفسهم وخلق ما فوقهم وتحتهم وان شيئا من هذه المخلوقات

الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون

كلها لا يقدر على ايجاد شيء منها فيتيقنوا عند ذلك ان لا بد لها من خالق ليس كمثلها حتى لا يجعلوا المخلوقات له
اندادا وهم يعلمون انها لا تقدر على نحو ما هو عليه قادر والموصول مع صلته اما ان يكون في محل النصب وصفا كالذي
خلقكم او على المدح والتعظيم واما ان يكون رفعا على الابتداء وفيه ما في النصب من المدح وقرأ يزيد الشامي
بساطا وقرأ طلحة مهادا ومعنى جعلها فراشا وبساطا ومهادا للناس انهم يقعدون عليها وينامون
ويتقلبون كما يتقلب احدهم على فراشه وبساطه ومهاده فان قلت هل فيه دليل على ان الارض مسطحة وليست
بكرية قلت ليس فيه الا ان الناس يفترشونها كما يفعلون بالمفارش وسواء كانت على شكل السطح او شكل
الكرة فالافتراش غير مستنكر ولا مدفوع لعظم جرمها وتباعد اطرافها واذا كان متسهلا
في الجبل وهو وتد من اوتاد الارض فهو في الارض ذات الطول والعرض اسهل والبناء مصدر سمي به المبني بيتا
كان او قبة او خباء او طرافا وابنية العرب اخبيتهم ومنه بنى على امراته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء
جديدا فان قلت ما معنى اخراج الثمرات بالماء وانما خرجت بقدرته ومشيئته قلت المعنى انه جعل الماء سببا في خروجها
ومادة لها كماء الفحل في خلق الولد وهو قادر على ان ينشئ الاجناس كلها بلا اسباب ولا مواد كما انشأ نفوس الاسباب
والمواد ولكن له في انشاء الاشياء مدرجا لها من حال الى حال وناقلا من مرتبة الى مرتبة حكما ودواعي يجدد
فيها لملائكته والنظار بعيون الاستبصار من عباده عبرا وافكارا صالحة وزيادة طمأنينة وسكون الى عظيم
قدرته وغرائب حكمته ليس في انشائها بغتة من غير تدريج وترتيب ومن في من الثمرات للتبعيض بشهادة
قوله فاخرجنا به من كل الثمرات وقوله فاخرجنا به ثمرات ولان المنكرين اعني ماء ورزقا يكتنفانه وقد قصد
بتنكيرهما معنى البعضية كانه قيل وانزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا
هو المطابق لصحة المعنى لانه لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر جميع الثمرات ولا جعل الرزق كله
في الثمرات ويجوز ان تكون للبيان كقولك انفقت من الدراهم الفا فان قلت بم انتصب رزقا قلت ان كانت من
للتبعيض كان انتصابه بانه مفعول له وان كانت مبينة كان مفعولا لاخرج فان قلت فالثمر المخرج بماء
السماء كثير جم فلم قيل الثمرات دون الثمر والثمار قلت فيه وجهان احدهما ان يقصد بالثمرات جماعة الثمرة
التي في قولك فلان ادركت ثمرة بستانه تريد ثماره ونظيره قولهم كلمة الحويدرة لقصيدته وقولهم للقرية المدرة
وانما هي مدر متلاحق والثاني ان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض لالتقائها في الجمعية كقوله كم تركوا من جنات
وثلاثة قروء وتعضد الوجه الاول قراءة محمد بن السميفع من الثمرة على التوحيد ولكم صفة جارية على الرزق ان اريد به
العين وان جعل اسما للمعنى فهو مفعول به كانه قيل رزقا اياكم فان قلت بم تعلق فلا تجعلوا قلت فيه ثلاثة اوجه ان
يتعلق بالامر اي اعبدوا فلا تجعلوا لله اندادا لان اصل العبادة واساسها التوحيد وان لا يجعل لله ند ولا شريك
او بلعل على ان ينتصب تجعلوا انتصاب فاطلع في قوله عز وجل لعلي ابلغ الاسباب اسباب السماوات فاطلع الى اله
موسى في رواية حفص عن عاصم اي خلقكم لكي تتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقه او بالذي جعل لكم اذا
رفعته على الابتداء اي هو الذي خلقكم بهذه الايات العظيمة والدلائل النيرة الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا
له شركاء والند المثل ولا يقال الا للمثل المخالف المناوي قال جرير اتيما تجعلون الي ندا
وما تيم لذي حسب نديد وناددت الرجل خالفته ونافرته من ند ندودا اذا نفر ومعنى قولهم ليس لله ند ولا ضد

نعني ما يسد مسدك ونحو ما نحن فيه فان قلت كانوا يسمون اصنامهم باسمه ويعظمونها بما يعظم به من
القرب وما كانوا يزعمون انها تخالف الله وتناويه قلت لما تقربوا اليها وعظموها وسموها آلهة
اشبهت حالهم حال من يعتقد انها آلهة مثله قادرة على مخالفته ومضادته فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم
وكما تهكم بهم بلفظ الند شنع عليهم واستفظع شانهم بان جعلوا اندادا كثيرة لمن لا يصح ان يكون له ند
قط وفي ذلك قال زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق دين قومه أربا واحدا ام الف رب ادين اذا تقسمت الامور
وقرا محمد بن السميفع فلا تجعلوا لله ندا فان قلت ما معنى وانتم تعلمون قلت معناه وحالكم وصفتكم انكم
من صحة تمييزكم بين الصحيح والفاسد والمعرفة بدقائق الامور وغوامض الاحوال والاصابة في التدابير
والدهاء والفطنة بمنزلة لا تدفعون عنه وهكذا كانت العرب خصوصا ساكنوا الحرم من قريش وكنانة لا
يصطلى بنارهم في استحكام المعرفة بالامور وحسن الاحاطة بها ومفعول تعلمون متروك كانه قيل وانتم من
اهل العلم والمعرفة والتوبيخ فيه آكد اي انتم العرافون المميزون ثم ان ما انتم عليه في امر ديانتكم من جعل
الاصنام لله اندادا هو غاية الجهل ونهاية سخافة العقل ويجوز ان يقدر وانتم تعلمون انه لا
يماثل او وانتم تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت او وانتم تعلمون انها لا تفعل مثل افعاله كقوله
هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء لما احتج عليهم بما يثبت الوحدانية ويحققها ويبطل
الاشراك ويهدمه وعلم الطريق الى اثبات ذلك وتصحيحه وعرفهم ان من اشرك فقد كابر عقله وغطى
على ما انعم عليه من معرفته وتمييزه عطف على ذلك ما هو الحجة على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما يدحض
الشبهة في كون القرآن معجزا واراهم كيف يتعرفون اهو من عند الله كما يدعي ام هو من عند نفسه كما يدعون
بارشادهم الى ان يحزروا انفسهم ويذوقوا طباعهم وهم ابناء جنسه واهل جلدته فان قلت لم قيل مما نزلنا
على لفظ التنزيل دون الانزال قلت لان المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازه لمكان التحدي
وذلك انهم كانوا يقولون لو كان هذا من عند الله مخالفا لما يكون من عند الناس لم ينزل هكذا نجوما سورة بعد
سورة وآيات غب آيات على حسب النوازل وعند وقوع الحوادث وعلى سنن ما نرى عليه اهل الخطابة والشعر من
وجود ما يوجد منهم مفرقا حينا فحينا وشيئا فشيئا حسب ما يعن لهم من الاحوال المتجددة والحاجات
السانحة لا يلقي الناظم ديوان شعره دفعة ولا يرمي الناثر بمجموع خطبه او رسائله ضربة فلو انزله الله لانزله
خلاف هذه العادة جملة واحدة قال الله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فقيل ان ارتبتم في هذا
الذي وقع انزاله هكذا على مهل وتدريج فهاتوا انتم نوبة واحدة من نوبه وهلموا نجما فردا من نجومه
سورة من اصغر السور او آيات شتى مفتريات وهذه غاية التبكيت ومنتهى ازاحة العلل وقرئ على عبادنا
يريد رسول الله وامته والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التي اقلها ثلاث آيات وواوها ان كانت اصلا
فاما ان تسمى بسورة المدينة وهي حائطها لانها طائفة من القرآن محدودة محوزة على حيالها كالبلد المسور
او لانها محتوية على فنون من العلم واجناس من الفوائد كاحتواء سورة المدينة على ما فيها واما ان تسمى بالسورة
التي هي الرتبة قال النابغة ولرهط حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار

لاحظ معنيين لان السور بمنزلة المنازل والمراتب يترقى فيها القارئ وهي ايضا في انفسها مرتبة طوال واوساط وقصار
او لرفعة شانها وجلالة محلها في الدين وان جعلت واوها منقلبة عن همزة فلانها قطعة وطائفة من
القرآن كالسؤرة التي هي البقية من الشيء والفضلة منه فان قلت ما فائدة تفصيل القرآن وتقطيعه سورا
قلت ليست الفائدة في ذلك واحدة ولامر ما انزل الله التوراة والانجيل والزبور وسائر ما اوحاه الى انبيائه على هذا
المنهاج مسورة مترجمة السور وبوب المصنفون في كل فن كتبهم ابوابا موشحة الصدور بالتراجم
ومن فوائده ان الجنس اذا انطوت تحته انواع واشتمل على اصناف كان احسن وانبل وافخم من ان يكون بيانا
واحدا ومنها ان القارئ اذا ختم سورة او بابا من الكتاب ثم اخذ في آخر كان انشط له واهز لعطفه
وابعث على الدرس والتحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله ومثله المسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى فرسخا
او انتهى الى راس بريد نفس ذلك منه ونشطه للسير ومن ثم جزأ القراء القرآن اسباعا واعشارا
واجزاء وعشورا واخماسا ومنها ان الحافظ اذا حذق السورة اعتقد انه اخذ من كتاب الله طائفة
مستقلة بنفسها لها فاتحة وخاتمة فيعظم عنده ما حفظه ويجل في نفسه ويغتبط به ومنه حديث
انس رضي الله عنه كان الرجل اذا قرا البقرة وآل عمران جد فينا ومن ثم كانت القراءة في الصلوة بسورة تامة
افضل ومنها ان التفصيل بسبب تلاحق الاشكال والنظائر وملاءمة بعضها لبعض وبذلك تتلاحظ المعاني
ويتجاوب النظم الى غير ذلك من الفوائد والمنافع من مثله متعلق بسورة صفة لها اي بسورة
كائنة من مثله والضمير لما نزلنا او لعبدنا ويجوز ان يتعلق بقوله فاتوا والضمير للعبد فان قلت وما مثله حتى
ياتوا بسورة من ذلك المثل قلت معناه فاتوا بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب وعلو الطبقة في حسن
النظم او فاتوا ممن هو على حاله من كونه بشرا عربيا واميا لم يقرا الكتب ولم ياخذ من العلماء ولا قصد الى مثل
ونظير هنالك ولكنه نحو قول القبعثرى للحجاج وقد قال له لاحملنك على الادهم مثل الامير حمل على الادهم
اراد من كان على صفة الامير من السلطان والقدرة وبسطة اليد ولم يقصد احدا يجعله مثلا للحجاج ورد الضمير
الى المنزل اوجه لقوله تعالى فاتوا بسورة مثله فاتوا بعشر سور مثله على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولان
القرآن جدير بسلامة الترتيب والوقوع على اصح الاساليب والكلام مع رد الضمير الى المنزل احسن ترتيبا وذلك
ان الحديث في المنزل لا في المنزل عليه وهو مسوق اليه ومربوط به فحقه ان لا ينفك عنه برد الضمير الى غيره الا ترى
ان المعنى وان ارتبتم في ان القرآن منزل من عند الله فهاتوا انتم نبذا مما يماثله ويجانسه وقضية الترتيب
لو كان الضمير مردودا الى رسول الله ان يقال وان ارتبتم في ان محمدا منزل عليه فهاتوا قرآنا من مثله ولانهم اذا
خوطبوا جميعا وهم الجم الغفير بان ياتوا بطائفة يسيرة من جنس ما اتى به واحد منهم كان ابلغ في التحدي
من ان يقال لهم ليات واحد آخر بنحو ما اتى به هذا الواحد ولان هذا التفسير هو الملائم لقوله وادعوا
شهداءكم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة ومعنى دون ادنى مكان من الشيء ومنه الشيء
الدون وهو الدني الحقير ودون الكتب اذا جمعها لان جمع الاشياء ادناء بعضها من بعض وتقليل

ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين

المسافة بينهما تقول هذا دون ذاك اذا كان احط منه قليلا ودونك هذا اصله خذه من دونك اي من ادنى
مكان منك فاختصر واستعير للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو في الشرف والعلم ومنه
قول من قال لعدوه وقد راه بالثناء عليه انا دون هذا وفوق ما في نفسك واتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز
حد وتخطي حكم الى حكم قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين اي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين
الى ولاية الكافرين وقال امية يا نفس ما لك دون الله من واق اي اذا تجاوزت وقاية الله فلم تنلها لم يقك
غيره ومن دون الله متعلق بادعوا او بشهداءكم فان علقته بشهداءكم فمعناه ادعوا الذين اتخذتموهم الهة من دون
الله وزعمتم انهم يشهدون لكم يوم القيمة انكم على الحق وادعوا الذين يشهدون لكم بين يدي الله من قول الاعشى
تريك القذى من دونها وهي دونه اي تريك القذى قدامها وهي قدام القذى لرقتها وصفائها وفي امرهم ان
يستظهروا بالجماد الذي لا ينطق في معارضة القران المعجز بفصاحته غاية التهكم بهم او ادعوا شهداءكم من
دون الله اي من دون اوليائه ومن غير المؤمنين ليشهدوا لكم انكم اتيتم بمثله وهذا من المساهلة وارخاء العنان والاشعار
بان شهداءهم وهم مدارة القوم الذين هم وجوه المشاهد وفرسان المقاولة والمناقلة تابى عليهم الطباع وتجمح بهم الانسانية
والانفة ان يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة الفاسد لبين عندهم فساده واستقامة المحال الجلي في عقولهم احالته
وتعليقه بالدعاء في هذا الوجه جائز وان علقته بالدعاء فمعناه ادعوا من دون الله شهداءكم يعني لا تستشهدوا بالله ولا تقولوا
الله يشهد لنا بما ندعيه حتى كما يقوله العاجز عن اقامة البينة على صحة دعواه وادعوا الشهداء من الناس الذين شهادتهم
بينة تصحح بها الدعاوي عند الحكام وهذا تعجيز لهم وبيان لانقطاعهم وانخزالهم وان الحجة قد
بهرتهم ولم تبق لهم متشبثا غير قولهم الله يشهد انا صادقون وقولهم هذا تسجيل منهم على انفسهم بتناهي
العجز وسقوط القدرة وعن بعض العرب انه سئل عن نسبه فقال قرشي والحمد لله فقيل له قولك الحمد لله في
هذا المقام ريبة او ادعوا من دون الله شهداءكم يعني ان الله شاهدكم لانه اقرب اليكم من حبل الوريد وهو بينكم
وبين اعناقكم واجلكم والجن والانس شاهدكم فادعوا كل من يشهدكم واستظهروا به من الجن والانس الا الله تعالى
لانه القادر وحده على ان ياتي بمثله دون كل شاهد من شهدائكم فهو في معنى قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن الاية
لما ارشدهم الى الجهة التي منها يتعرفون امر النبي عليه السلام وما جاء به حتى يعثروا على حقيقته وسره وامتياز حقه
من باطله قال لهم فاذا لم تعارضوه ولم يتسهل لكم ما تبغون وبان لكم انه معجوز عنه فقد صرح الحق
عن محضه ووجب التصديق فامنوا وخافوا العذاب المعد لمن كذب وفيه دليلان على اثبات النبوة
صحة كون المتحدى به معجزا والاخبار بانهم لن يفعلوا وهو غيب لا يعلمه الا الله فان قلت انتفاء
اتيانهم بالسورة واجب فهلا جيء باذا الذي للوجوب دون ان الذي للشك قلت فيه وجهان احدهما ان
يساق القول معهم على حسب حسبانهم وطمعهم وان العجز عن المعارضة كان قبل التامل كالمشكوك فيه
لديهم لاتكالهم على فصاحتهم واقتدارهم على الكلام والثاني ان يتهكم بهم كما يقول الموصوف
بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة على من يقاويه ان غلبتك لم ابق عليك وهو يعلم انه غالبه ويتيقنه تهكما
به فان قلت لم عبر عن الاتيان بالفعل واي فائدة في تركه اليه قلت لانه فعل من الافعال تقول اتيت فلانا فيقال
لك نعم ما فعلت والفائدة فيه انه جار مجرى الكناية التي تعطيك اختصارا ووجازة تغنيك عن طول المكني عنه الا ترى

ان الرجل يقول ضربت زيدا في موضع كذا على صفة كذا وشتمته ونكلت به ويعد كيفيات وافعالا فتقول بئس ما فعلت ولو
ذكرت ما انبته عنه لطال عليك وكذلك لو لم تعدل عن لفظ الاتيان الى لفظ الفعل لاستطيل ان يقال فان لم تاتوا بسورة من
مثله ولن تاتوا بسورة من مثله فان قلت ولن تفعلوا ما محلها قلت لا محل لها لانها جملة اعتراضية فان قلت ما حقيقة لن
في باب النفي قلت لا ولن اختان في نفي المستقبل الا ان في لن توكيدا وتشديدا تقول لصاحبك لا اقيم غدا فان انكر عليك قلت لن اقيم
غدا كما تفعل في انا مقيم وانني مقيم وهي عند الخليل في احدى الروايتين عنه اصلها لا ان وعند الفراء لا ابدلت الفها نونا
وعند سيبويه واحدى الروايتين عن الخليل حرف مقتضب لتاكيد نفي المستقبل فان قلت من اين لك انه اخبار بالغيب على ما
هو به حتى يكون معجزة قلت لانهم لو عارضوه بشيء لم يمتنع ان يتواصفه الناس ويتناقلوه اذ خفاء مثله فيما عليه
مبنى العادة محال لا سيما والطاعنون فيه اكثر عددا من الذابين عنه فحين لم ينقل علم انه اخبار بالغيب على ما هو به
فكان معجزة فان قلت ما معنى اشتراطه في اتقاء النار انتفاء اتيانهم بسورة من مثله قلت انهم اذا لم ياتوا بها وتبين
عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق رسول الله واذا صح عندهم صدقه ثم لزموا العناد ولم ينقادوا ولم يشايعوا استوجبوا
العقاب بالنار فقيل لهم ان استبنتم العجز فاتركوا العناد فوضع فاتقوا النار موضعه لان اتقاء النار لصيقه
وضميمه ترك العناد من حيث انه من نتائجه لان من اتقى النار ترك المعاندة ونظيره ان يقول الملك لحشمه ان اردتم
الكرامة عندي فاحذروا سخطي يريد فاطيعوني واتبعوا امري وافعلوا ما هو نتيجة حذر السخط وهو من باب الكناية
التي هي شعبة من شعب البلاغة وفائدته الايجاز الذي هو من حلية القران وتهويل شان العناد بانابة اتقاء النار منابه
وابرازه في صورته مشيعا ذلك بتهويل صفة النار وتفظيع امرها والوقود ما ترفع به النار واما
المصدر فمضموم وقد جاء فيه الفتح قال سيبويه وسمعنا من العرب من يقول وقدت النار وقودا عاليا ثم قال
والوقود اكثر والوقود الحطب وقرأ عيسى بن عمر الهمداني بالضم تسمية بالمصدر كما يقال فلان فخر
قومه وزين بلده ويجوز ان يكون مثل قولك حيوة المصباح السليط اي ليست حيوته الا به فكان نفس السليط
حيوته فان قلت صلة الذي والتي يجب ان تكون قصة معلومة للمخاطب فكيف علم اولئك ان نار الاخرة توقد بالناس
والحجارة قلت لا يمتنع ان تتقدم لهم بذلك سماع من اهل الكتاب او سمعوه من رسول الله عليه السلام او سمعوا قبل هذه الاية
قوله تعالى في سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة فان قلت فلم جاءت النار الموصوفة بهذه الجملة منكرة في سورة
التحريم وههنا معرفة قلت تلك الاية نزلت بمكة فعرفوا منها نارا موصوفة بهذه الصفة ثم نزلت هذه بالمدينة مشارا بها
الى ما عرفوه اولا فان قلت ما معنى قوله وقودها الناس والحجارة قلت معناه انها نار ممتازة عن غيرها من النيران بانها
لا تتقد الا بالناس والحجارة وبان غيرها ان اريد احراق الناس بها او احماء الحجارة اوقدت اولا بوقود ثم طرح فيها ما
يراد احراقه او احماؤه وتلك اعاذنا الله منها برحمته الواسعة توقد بنفس ما تحرق وتحمى بالنار وبانها لافراط
حرها وشدة ذكائها اذا اتصلت بما ~~تتوقد بنفس ما تحرق وتحمى بالنار وبانها لافراط حرها وشدة بما~~ لا تستعل به
نار اشتعلت وارتفع لهبها فان قلت انار الجحيم كلها موقدة بالناس والحجارة ام هي نيران شتى منها نار بهذه الصفة
قلت بل هي نيران شتى منها نار توقد بالناس والحجارة يدل على ذلك تنكيرها في قوله قوا انفسكم واهليكم نارا فاندرتكم
منكرا الاعرفا

نارا تتلظى ولعل لكفار الجن وشياطينهم نارا وقودها الشياطين كما أن لكفرة الانس نارا وقودها هم جزا لكل جنس بما
يشاكله من العذاب فإن قلت لم قرن الناس بالحجارة وجعلت الحجارة معهم وقودا قلت لأنهم قرنوا بها أنفسهم
في الدنيا حيث نحتوها أصناما وجعلوها لله أندادا وعبدوها من دونه قال الله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم
وهذه الآية مفسرة لما نحن فيه فقوله إنكم وما تعبدون من دون الله في معنى الناس والحجارة وحصب جهنم في معنى
وقودها ولما اعتقد الكفار في حجارتهم المعبودة من دون الله أنها الشفعاء والشهدا الذين يستشفعون بهم
ويستدفعون المضار عن أنفسهم بمكانهم جعلها الله عذابهم فقرنهم بها محماة في نار جهنم إبلاغا في إيلامهم
وإغراقا في تحسيرهم ونحوه ما يفعله بالكانزين الذين جعلوا ذهبهم وفضتهم عدة وذخيرة فشحوا بها
ومنعوها من الحقوق حيث يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم وقيل هي حجارة
الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وذهاب عما هو المعنى الصحيح الواقع المشهود له بمعاني التنزيل أعدت
هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرأ عبد الله أعتدت من العتاد بمعنى العدة من عادته عز وعلا في كتابه
أن يذكر الترغيب مع الترهيب ويشفع البشارة بالإنذار إرادة التنشيط لاكتساب ما يزلف والتثبيط
عن اقتراف ما يتلف فلما ذكر الكفار وأعمالهم وأوعدهم بالعقاب قفاه ببشارة عباده الذين جمعوا بين
التصديق والأعمال الصالحة من فعل الطاعات وترك المعاصي وحموها من الإحباط بالكفر والكبائر بالثواب فإن قلت
من المأمور بقوله وبشر قلت يجوز أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يكون كل أحد كما قال عليه السلام بشر المشائين
إلى المساجد في الظلم بالنور التام يوم القيامة لم يأمر بذلك واحدا بعينه وإنما كل أحد مأمور به وهذا الوجه
أحسن وأجزل لأنه يؤذن بأن الأمر لعظمه وفخامة شأنه محقوق بأن يبشر به كل من قدر على البشارة
به فإن قلت علام عطف هذا الأمر ولم يسبق أمر ولا نهي يصح عطفه عليه قلت ليس الذي اعتمد بالعطف
هو الأمر حتى يطلب له مشاكل من أمر أو نهي يعطف عليه إنما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب
المؤمنين فهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول زيد يعاقب بالقيد والإرهاق وبشر
عمرا بالعفو والإطلاق ولك أن تقول هو معطوف على قوله فاتقوا كما تقول يا بني تميم احذروا عقوبة
ما جنيتم وبشر يا فلان بني أسد بإحساني إليهم وفي قراءة زيد بن علي رضي الله عنه وبشر على لفظ المبني
للمفعول عطفا على أعدت والبشارة الإخبار بما يظهر سرور المخبر به ومن ثم قال العلماء إذا
قال لعبيده أيكم بشرني بقدوم فلان فهو حر فبشروه فرادى عتق أولهم لأنه هو الذي أظهر سروره بخبره
دون الباقين ولو قال مكان بشرني أخبرني عتقوا جميعا لأنهم جميعا أخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد
وتباشير الصبح ما ظهر من أوائل ضوئه وأما فبشرهم بعذاب أليم فمن العكس في الكلام الذي يقصد به
الاستهزاء الزائد في غيظ المستهزأ به وتألمه واغتمامه كما يقول الرجل لعدوه أبشر بقتل ذريتك
ونهب مالك ومنه قوله فأعتبوا بالصيلم والصالحة نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم
قال الحطيئة كيف الهجاء وما تنفك صالحة من آل لأم بظهر الغيب تأتيني والصالحات كل
ما استقام من الأعمال بدليل العقل والكتاب والسنة واللام للجنس فإن قلت أي فرق بين لام الجنس
داخلة على المفرد وبينها داخلة على المجموع قلت إذا دخلت على المفرد كان صالحا لأن يراد به الجنس
إلى أن يحاط به وأن يراد به بعضه إلى الواحد منه وإذا دخلت على المجموع صلح أن يراد به جميع الجنس وأن

كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل

يراد به بعضه لا إلى الواحد لأن وزانه في تناول الجمعية في الجنس وزان المفرد في تناول الجنسية والجمعية في جمل الجنس لا في وحدانه
فإن قلت فما المراد بهذا المجموع مع اللام قلت الجملة من الأعمال الصالحة الصحيحة المستقيمة في الدين على حسب حال
المؤمن في مواجب التكليف والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف أغصانه
قال زهير تسقي جنة سحقا أي نخلا طوالا والتركيب دائر على معنى الستر وكأنها لتكاثفها
وتظليلها سميت بالجنة التي هي المرة من مصدر جنه إذا ستره كأنها سترة واحدة لفرط التفافها وسميت
دار الثواب جنة لما فيها من الجنان فإن قلت الجنة مخلوقة أم لا قلت قد اختلف في ذلك والذي يقول إنها مخلوقة
يستدل بسكنى آدم وحواء الجنة وبمجيئها في القرآن على نهج الأسماء الغالبة اللاحقة بالأعلام كالنبي والرسول
والكتاب ونحوها فإن قلت ما معنى جمع الجنة وتنكيرها قلت الجنة اسم لدار الثواب كلها وهي مشتملة على جنان كثيرة
مرتبة مراتب على حسب استحقاقات العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان فإن قلت أما يشترط في استحقاق
الثواب بالإيمان والعمل الصالح أن لا يحبطهما المكلف بالكفر والإقدام على الكبائر وأن لا يندم على ما أوجده من
فعل الطاعة وترك المعصية فهلا اشترط ذلك قلت لما جعل الثواب مستحقا بالإيمان والعمل الصالح والبشارة
مختصة بمن يتولاهما وركز في العقول أن الإحسان إنما يستحق فاعله المثوبة والثناء إذا لم يتعقبه بما يفسده ويذهب
بحسنه وأنه لا يبقى مع وجود مفسده إحسانا وأعلم بقوله لنبيه صلى الله عليه وسلم وهو أكرم الناس عليه وأعزهم لئن أشركت
ليحبطن عملك وقال للمؤمنين ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم كان اشتراط حفظهما من
الإحباط والندم كالداخل تحت الذكر فإن قلت كيف صورة جري الأنهار من تحتها قلت كما ترى الأشجار النابتة
على شواطئ الأنهار الجارية وعن مسروق أن أنهار الجنة تجري في غير أخدود وأنزه البساتين وأكرمها منظرا
ما كانت أشجاره مظللة والأنهار في خلالها مطردة ولولا أن الماء الجاري من النعمة العظمى واللذة الكبرى وأن الجنان
والرياض وإن كانت آنق شيء وأحسنه لا تروق النواظر ولا تبهج الأنفس ولا تجلب الأريحية والنشاط
حتى يجري فيها الماء وإلا كان الأنس الأعظم فائتا والسرور مفقودا وكانت كتماثيل لا أرواح
فيها وصور لا حياة لها لما جاء الله تعالى بذكر الجنات مشفوعا بذكر الأنهار الجارية من تحتها مسوقين
على قران واحد كالشيئين لا بد لأحدهما من صاحبه ولما قدمه على سائر نعوتها والنهر المجرى الواسع
فوق الجدول ودون البحر يقال لبردى نهر دمشق وللنيل نهر مصر واللغة العالية النهر بفتح
الهاء ومدار التركيب على السعة وإسناد الجري إلى الأنهار من الإسناد المجازي كقولهم بنو فلان يطؤهم الطريق
وصيد عليه يومان فإن قلت لم نكرت الجنات وعرفت الأنهار قلت أما تنكير الجنات فقد ذكر وأما تعريف
الأنهار فأن يراد الجنس كما تقول لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب وألوان الفواكه تشير
إلى الأجناس التي في علم المخاطب أو يراد أنهارها فعوض التعريف باللام من تعريف الإضافة كقوله واشتعل
الرأس شيبا أو يشار باللام إلى الأنهار المذكورة في قوله فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار لم يتغير طعمه الآية
وقوله كلما رزقوا لا يخلو من أن يكون صفة ثانية لجنات أو خبر مبتدأ محذوف أو جملة مستأنفة لأنه لما قيل
إن لهم جنات لم يخل خلد السامع أن يقع فيه أثمار تلك الجنات أشباه ثمار جنات الدنيا أم أجناس
أخر لا تشابه هذه الأجناس فقيل إن ثمارها أشباه ثمار جنات الدنيا أي أجناسها أجناسها

وإن تفاوتت إلى غاية لا يعلمها إلا الله فإن قلت ما موقع من ثمرة قلت هو كقولك كلما أكلت من بستانك من الرمان
شيئا حمدتك فموقع من ثمرة موقع من في قولك من الرمان كأنه قيل كلما رزقوا من الجنات من أي ثمرة كانت
من تفاحها أو رمانها أو عنبها أو غير ذلك رزقا قالوا ذلك فمن في الأولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية
لأن الرزق قد ابتدئ من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدئ من ثمرة وتنزيله تنزيل أن تقول رزقني فلان
فيقال لك من أين فتقول من بستانه فيقال من أي ثمرة رزقك من بستانه فتقول
من الرمان وتحريره أن رزقوا جعل مطلقا مبتدأ من ضمير الجنات ثم جعل مقيدا بالابتداء من ضمير الجنات
مبتدأ من ثمرة وليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة أو الرمانة الفذة على هذا التفسير وإنما المراد النوع
من أنواع الثمار ووجه آخر وهو أن يكون من ثمرة بيانا على منهاج قولك رأيت منك أسدا تريد أنت أسد
وعلى هذا يصح أن يراد بالثمرة النوع من الثمار والجناة الواحدة فإن قلت كيف قيل هذا الذي رزقنا من قبل
وكيف تكون ذات الحاضر عندهم في الجنة هي ذات الذي رزقوه في الدنيا قلت معناه هذا مثل الذي رزقنا
من قبل وشبيهه بدليل قوله وأتوا به متشابها وهذا كقولك أبو يوسف أبو حنيفة تريد أنه لاستحكام الشبه كأن
ذاته ذاته فإن قلت إلام يرجع الضمير في قوله وأتوا به قلت إلى المرزوق في الدنيا والآخرة جميعا لأن قوله هذا الذي
رزقنا من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه في الدارين ونظيره قوله تعالى إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما أي بجنسي الغني والفقير
لدلالة قوله غنيا أو فقيرا على الجنسين ولو رجع الضمير إلى المتكلم به لقيل أولى به على التوحيد فإن قلت لأي غرض يتشابه ثمر
الدنيا وثمر الجنة وما بال ثمر الجنة لم تكن أجناسا أخر قلت لأن الإنسان بالمألوف آنس وإلى المعهود أميل وإذا رأى ما لم
يألفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه ولأنه إذا ظفر بشيء من جنس ما سلف له به عهد وتقدم معه ألف ورأى فيه مزية ظاهرة
وفضيلة بينة وتفاوتا بينه وبين ما عهد بليغا أفرط ابتهاجه واغتباطه وطال استعجابه واستغرابه
وتبين كنه النعمة فيه وتحقق مقدار الغبطة به ولو كان جنسا لم يعهده وإن كان فائقا حسب أن
ذلك الجنس لا يكون إلا كذلك فلا يتبين موقع النعمة حق التبين فحين أبصروا الرمانة من
رمان الدنيا ومبلغها في الحجم وأن الكبرى لا تفضل عن حد البطيخة الصغيرة ثم يبصرون رمانة الجنة
تشبع السكن والنبقة من نبق الدنيا في حجم الفلكة ثم يرون نبق الجنة كقلال هجر كما رأوا ظل الشجرة
من شجر الدنيا وقدر امتداده ثم يرون الشجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعه كان
ذلك أبين للفضل وأظهر للمزية وأجلب للسرور وأزيد في التعجب من أن يفاجئوا ذلك الرمان وذلك النبق
من غير عهد بسابق جنسهما وترديدهم هذا القول ونطقهم به عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهي الأمر
وتمادي الحال في ظهور المزية وتمام الفضيلة وعلى أن ذلك التفاوت العظيم هو الذي يستملي
تعجبهم ويستدعي تبجحهم في كل أوان وعن مسروق نخل الجنة نضيد من أصلها إلى فرعها وثمرها
أمثال القلال كلما نزعت ثمرة عاد مكانها أخرى وأنهارها تجري في غير أخدود والعنقود
اثنا عشر ذراعا ويجوز أن يرجع الضمير في وأتوا به إلى الرزق كما أن هذا إشارة إليه ويكون المعنى
أن ما يرزقونه من ثمرات الجنة يأتيهم متجانسا في نفسه كما يحكى عن الحسن رحمه الله يؤتى أحدهم بالصحفة
فيأكل منها ثم يؤتى بالأخرى فيقول هذا الذي أتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد
والطعم مختلف وعنه عليه السلام والذي نفس محمد بيده إن الرجل من أهل الجنة ليتناول الثمرة

ليأكلها فما هي بواصلة إلى فيه حتى يبدل الله تعالى مكانها مثلها والهيئة هيئة الأولى وإذا كان كذلك فالتفسير
الأول هو هو فإن قلت كيف موقع قوله وأتوا به متشابها من نظم الكلام قلت هو كقولك فلان أحسن
بفلان ونعم ما فعل ورأى من الرأي كذا وكان صوابا ومنه قوله تعالى وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك
يفعلون وما أشبه ذلك من الجمل التي تساق في الكلام معترضة للتقرير ولهم فيها أزواج مطهرة
والمراد بتطهير الأزواج أن طهرن مما يختص بالنساء من الحيض والاستحاضة وما لا يختص بهن من الأقذار
والأدناس ويجوز لمجيئه مطلقا أن يدخل تحته الطهر من دنس الطباع وطبع الأخلاق الذي
عليه نساء الدنيا مما يكتسبن بأنفسهن ومما يأخذنه من أعراق السوء والمناصب الرديئة والمناشي
المفسدة ومن سائر عيوبهن ومثالبهن وخبثهن وكيدهن فإن قلت فهلا جاءت الصفة مجموعة
كما الموصوف قلت هما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلن وهن فاعلات وفواعل والنساء
فعلت وهي فاعلة ومنه بيت الحماسة وإذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القدور فملت
والمعنى وجماعة أزواج مطهرة وقرأ زيد بن علي مطهرات وقرأ عبيد بن عمير مطهرة بمعنى متطهرة
وفي كلام بعض العرب ما أحوجني إلى بيت الله فأطهر به أطهرة أي فأتطهر به تطهرة فإن
قلت هلا قيل طاهرة قلت في مطهرة فخامة لصفتهن ليست في طاهرة وهي الإشعار بأن
مطهرا طهرهن وليس ذلك إلا الله عز وجل المريد بعباده الصالحين أن يخولهم كل مزية
فيما أعد لهم والخلد الثبات الدائم والبقاء اللازم الذي لا ينقطع قال الله تعالى وما جعلنا
لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون وقال امرؤ القيس ألا انعم صباحا أيها الطلل البالي
وهل ينعمن من كان في العصر الخالي وهل ينعمن إلا سعيد مخلد قليل الهموم ما يبيت بأوجال
سيقت هذه الآية لبيان أن ما استنكره الجهلة والسفهاء وأهل العناد والمراء من الكفار واستغربوه
من أن تكون المحقرات من الأشياء مضروبا بها المثل ليس بموضع للاستنكار والاستغراب من قبل
أن التمثيل إنما يصار إليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب وإدناء المتوهم
من المشاهد فإن كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به مثله وإن كان حقيرا كان المتمثل به
كذلك فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل إذا إلا أمرا تستدعيه حال المتمثل له وتستجره
إلى نفسها فيعمل الضارب للمثل على حسب تلك القضية ألا ترى إلى الحق لما كان واضحا جليا أبلج كيف تمثل
له بالضياء والنور وإلى الباطل لما كان بضد صفته كيف تمثل له بالظلمة ولما كانت حال الآلهة التي جعلها
الكفار أندادا لله لا حال أحقر منها وأقل لذلك جعل بيت العنكبوت مثلها في الضعف والوهن وجعلت
أقل من الذباب وأخس قدرا وضربت لها البعوضة فالذي دونها مثلا لم يستنكر ولم يستبدع ولم يقل
للمتمثل استح من تمثيلها بالبعوضة لأنه مصيب في تمثيله محق في قوله سائق للمثل على قضية
مضربه محتذ على مثال ما يحتذيه ويستدعيه وليبين أن المؤمنين الذين عادتهم الإنصاف
والعمل على العدل والتسوية والنظر في الأمور بناظر العقل إذا سمعوا بمثل هذا التمثيل علموا
أنه الحق الذي لا تمر الشبهة بساحته والصواب الذي لا يرتع الخطأ حوله وأن الكفار الذين غلبهم
الجهل على عقولهم وغصبهم على بصائرهم فلا يتفطنون ولا يلقون أذهانهم أو عرفوا أنه الحق إلا أنه

ان حب الرياسة وهوى الجلف والعادة لا يخليهم ان ينصفوا فاذا سمعوا عاندوا وكابروا وقضوا عليه
بالبطلان وقابلوه بالانكار وان ذلك سبب زيادة هدى المومنين وانهماك الفاسقين في غيهم وضلالهم
والعجب منهم كيف انكروا ذلك وما زال الناس يضربون الامثال بالبهايم والطيور واحناش الارض
والحشرات والهوام وهذه امثال العرب بين ايديهم مسيرة في حواضرهم وبواديهم قد تمثلوا فيها باحقر الاشيا
فقالوا اجمع من ذرة واجرا من الذباب واسمع من قراد واصرد من جراده واضعف من فراشة
وآكل من السوس وقالوا في البعوضة اضعف من بعوضة واعز من مخ البعوض وكلفتني مخ البعوض
ولقد ضربت الامثال في الانجيل بالاشيا المحقرة كالزوان والنخالة وحبة الخردل والحصاة والارضة
والدود والزنابير والتمثيل بهذه الاشيا وباحقر منها مما لا يغني استقامته وصحته على من به ادنى
مسكة ولكن ديدن المحجوج المبهوت الذي لا يبقى له متمسك بدليل ولا متشبث بامارة ولا اقناع ان
يرمي لفرط الحيرة والعجز عن اعمال الحيلة بدفع الواضح وانكار المستقيم والتعويل على المكابرة
والمغالطة اذا لم يجد سوى ذلك معولا وعن الحسن وقتادة لما ذكر الله تعالى الذباب والعنكبوت في
كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فانزل الله هذه الاية والحيا
تغير وانكسار يعتري الانسان من تخوف ما يعاب به ويذم واشتقاقه من الحيوة يقال حيي الرجل
كما يقال نسي وحشي وشظي الفرس اذا اعتلت هذه الاعضا جعل الحيي لما يعتريه من الانكسار والتغير منتكس
القوة منتقص الحيوة كما قالوا فلان هلك حيا من كذا ومات حيا ورايت الهلاك في وجهه من شدة
الحيا وذاب حيا وجمد في مكانه خجلا فان قلت كيف جاز وصف القديم سبحانه به ولا يجوز عليه
التغير والخوف والذم وذلك في حديث سلمان قال قال رسول الله عليه السلام ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع اليه العبد
يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا قلت هو جار على سبيل التمثيل مثل تركه تخييب العبد وانه
لا يرد يديه صفرا من عطائه لكرمه بترك من يترك رد المحتاج اليه حيا منه وكذلك معنى قوله ان
الله لا يستحيي اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يمثل بها لحقارتها ويجوز ان تقع هذه العبارة
في كلام الكفرة فقالوا اما يستحيي رب محمد ان يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة واطباق الجواب
على السوال وهو فن من كلامهم بديع وطراز عجيب منه قول ابي تمام • من مبلغ افناء يعرب كلها
اني بنيت الجار قبل المنزل • وشهد رجل عند شريح فقال انك لسبط الشهادة فقال الرجل انها لم تجعد
عني فقال لله بلادك وقبل شهادته فالذي سوغ بنا الجار وتجعيد الشهادة هو مراعاة المشاكلة ولولا
بنا الدار لم يصح بنا الجار وسبوطة الشهادة لامتنع تجعيدها • ولله در امر التنزيل واحاطته
بفنون البلاغة وشعبها لا تكاد تستغرب منها فنا الا عثرت عليه فيه على اقوم مناهجه واسد
مدارجه وقد استعير الحيا فيما لا يصح فيه • اذا ما استحيت الماء يعرض نفسه • كرعن بسبت في اناء من
الورد • وقرا ابن كثير في رواية شبل يستحي بيا واحدة وفيه لغتان التعدي بالجار والتعدي بنفسه يقولون

استحييت منه واستحييته وهما محتملتان هنا وضرب المثل اعتماله وصنعه من ضرب اللبن وضرب
الخاتم وفي الحديث اضطرب رسول الله عليه السلام خاتما من ذهب وما هذه ابهامية وهي التي اذا اقترنت باسم نكرة
ابهمته ابهاما وزادته شياعا وعموما كقولك اعطني كتابا ما تريد اي كتاب كان او صلة للتاكيد
كالتي في قوله فبما نقضهم ميثاقهم كانه قيل لا يستحيي ان يضرب مثلا حقا او البتة هذا اذا نصبت
بعوضة فان رفعتها فهي موصولة صلتها الجملة لان التقدير هو بعوضة فحذف صدر الجملة كما حذف في
تماما على الذي احسن ووجه آخر حسن جميل وهو ان تكون التي فيها معنى الاستفهام لما استنكفوا من
تمثيل الله لاصنامهم بالمحقرات قال ان الله لا يستحيي ان يضرب للانداد ما شاء من الاشيا المحقرة مثلا بله
البعوضة فما فوقها كما يقال فلان لا يبالي بما وهب ما دينار وديناران والمعنى ان الله ان يمثل
للانداد وحقارة شانها بما لا شي اصغر منه واقل كما لو تمثل بالجزء الذي لا يتجزى وبما لا يدركه
لتناهيه في صغره الا هو وحده بلطفه او بالمعدوم كما تقول العرب فلان اقل من لا شي في العدد ولقد
الم به قوله تعالى ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شي وهذه القراة تعزى الى روبة بن
العجاج وهو امضغ العرب للشيح والقيصوم المشهود له بالفصاحة وكانوا يشبهون به الحسن
وما اظنه ذهب في هذه القراة الا الى هذا الوجه وهو المطابق لفصاحته وانتصب بعوضة بانها
عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال عن النكرة مقدمة عليه او انتصبا مفعولين لان جرى
ضرب مجرى جعل واشتقاقها من البعض وهو القطع كالبضع والعضب يقال بعضه البعوض
وانشد لنعم البيت بيت ابي دثار • اذا ما خاف بعض القوم بعضا • ومنه بعض الشي لانه قطعة
منه والبعوض في اصله صفة على فعول كالقطوع فغلبت وكذلك الخموش فما فوقها فيه معنيان
احدهما فما تجاوزها وزاد عليها في المعنى الذي ضربت فيه مثلا وهو القلة والحقارة نحو قولك
لمن يقول فلان اسفل الناس وانذلهم هو فوق ذاك تريد هو ابلغ واعرق فيما وصف به من السفالة والنذالة
والثاني فما زاد عليها في الحجم كانه قصد بذلك رد ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت
لانهما اكبر من البعوضة كما تقول لصاحبك وقد ذم من عرفته يشح بادنى شي فقال فلان بخيل
بالدرهم والدرهمين هو لا يبالي ان يبخل بنصف درهم فما فوقه تريد بما فوقه ما بخل به وهو الدرهم
والدرهمان كانك قلت فضلا عن الدرهم والدرهمين ونحوه في الاحتمالين ما سمعناه في صحيح
مسلم عن ابراهيم عن الاسود قال دخل شباب من قريش على عائشة وهي بمنى وهم يضحكون فقالت ما يضحككم
قالوا فلان خر على طنب فسطاط وكادت عنقه او عينه ان تذهب فقالت لا تضحكوا اني سمعت
رسول الله عليه السلام قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها
خطيئة يحتمل ما عدا الشوكة وتجاوزها في القلة نحو نخبة النملة في قوله عليه السلام ما اصاب المومن
من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة وهي عضتها او ما هو اشد من الشوكة واوجع
كالخرور على طنب الفسطاط فان قلت كيف يضرب المثل بما دون البعوضة وهي النهاية في الصغر قلت
ليس كذلك فان جناح البعوضة اقل منها واصغر بدرجات وقد ضربه رسول الله عليه السلام مثلا للدنيا وفي خ

ولما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا

الله حيوان اصغر منها ومن جناحها وربما رايت في تصانيف الكتب العتيقة دويبة لا تكاد تجليها
للبصر الحاد الا تحركها فاذا سكنت فالسكون يواريها ثم اذا لوحت لها بيدك حادت عنها وتجنبت مضرتها
فسبحان من يدرك صورة تلك واعضاءها الظاهرة والباطنة وتفاصيل خلقتها ويبصر بصرها ويطلع على ضميرها
ولعل في خلقه ما هو اصغر منها واصغر سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون
وانشدت لبعضهم ٭ يا من يرى مد البعوض جناحها ٭ في ظلمة الليل البهيم الاليل ٭ ويرى عروق نياطها في
نحرها ٭ والمخ في تلك العظام النحل ٭ اغفر لعبد تاب من فرطاته ٭ ما كان منه في الزمان الاول ٭ واما
حرف فيه معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء وفايدته في الكلام ان يعطيه فضل توكيد تقول زيد ذاهب فاذا قصدت
توكيد ذلك وانه لا محالة ذاهب وانه بصدد الذهاب وانه منه عزيمة قلت اما زيد فذاهب ولذلك قال سيبويه
في تفسيره مهما يكن من شيء فزيد ذاهب وهذا التفسير مدل بفايدتين بيان كونه توكيدا وانه في معنى الشرط ففي
ايراد الجملتين مصدرتين به وان لم يقل فالذين امنوا يعلمون والذين كفروا يقولون احماد عظيم لامر المومنين واعتداد
بعلمهم انه الحق ونعي على الكافرين اغفالهم حظهم وعنادهم ورميهم بالكلمة الحمقاء والحق الثابت الذي لا
يسوغ انكاره تقول حق الامر اذا ثبت ووجب وحقت كلمة ربك وثوب محقق محكم النسج وماذا فيه وجهان ان
يكون ذا اسما موصولا بمعنى الذي فتكون كلمتين وان تكون ذا مركبة مع ما مجعولتين اسما واحدا فتكون كلمة
واحدة فهو على الوجه الاول رفع المحل على الابتداء وخبره ذا مع صلته وعلى الثاني منصوب المحل في حكم
ما وحده لو قلت ما اراد الله والاصوب في جوابه ان يجيء على الاول مرفوعا وعلى الثاني منصوبا ليطابق الجواب السوال
وقد جوز عكس ذلك كما تقول في جواب من قال ماذا رايت خير اي المرئي خير وفي جواب من قال ما الذي رايت خيرا اي رايت
خيرا وقرئ قوله تعالى ويسالونك ماذا ينفقون قل العفو بالرفع والنصب على المقدرين والارادة نقيض الكراهة
وهي مصدر اردت الشيء اذا طلبته نفسك ومال اليه قلبك وفي حدود المتكلمين الارادة معنى يوجب للحي حالا
لاجلها يقع منه الفعل على وجه دون وجه وقد اختلفوا في ارادة الله فبعضهم على ان الباري منزه عن صفة المريد مما
الذي هو القصد وهو امر زايد على كونه عالما غير ساه وبعضهم على ان معنى ارادته لافعاله هو انه فعلها وهو
غير ساه ولا مكره ومعنى ارادته لافعال غيره انه امر بها والتعبير انه الحق المثل والذي يضرب له
وفي قولهم ماذا اراد الله بهذا مثلا استرذال واستحقار كما قالت عايشة رضي الله عنها في عبد الله بن عمرو بن العاص
يا عجبا لابن عمرو هذا ومثلا نصب على التمييز كقولك لمن اجاب بجواب غث ماذا اردت بهذا جوابا ولمن
حمل سلاحا رديا كيف تنتفع بهذا سلاحا او على الحال كقوله هذه ناقة الله لكم اية وقوله يضل به كثيرا
ويهدي به كثيرا جار مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين باما وان فريق العالمين بانه الحق
وفريق الجاهلين المستهزئين به كلاهما موصوف بالكثرة وان العلم بكونه حقا من باب الهدى الذي
ازداد به المومنون نورا الى نورهم وان الجهل بحسن مورده من باب الضلالة التي زادت الجهلة خبطا
في ظلمائهم فان قلت لم وصف المهديون بالكثرة والقلة صفتهم لقوله وقليل من عبادي الشكور وقليل ما هم وقال الناس
كابل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة وجدت الناس اخبر تقله قلت اهل الهدى كثير في انفسهم وحين
يوصفون بالقلة انما يوصفون بها بالقياس الى اهل الضلال وايضا فان القليل من المهديين كثير في الحقيقة

وما يضل به الا الفاسقين الذين ينقضون
عهد الله من بعد ميثاقه

وان قلوا في الصورة فسموا ذهابا الى الحقيقة كثيرا ٭ ان الكرام كثير في البلاد وان ٭ قلوا كما غيرهم قل وان كثروا
واسناد الاضلال الى الله تعالى اسناد الفعل الى السبب لانه لما ضرب به المثل فضل به قوم واهتدى به قوم تسبب لضلالهم
وهداهم وعن مالك بن دينار رحمه الله انه دخل على محبوس قد اخذ بمال عليه وقيد فقال يا ابا يحيى اما ترى ما نحن
فيه من القيود فرفع مالك راسه فراى سلة فقال لمن هذه السلة فقال لي فامر بها تنزل فاذا
دجاج واخبصة فقال هذه وضعت القيود على رجلك وقرا زيد بن علي يضل به كثير ويهدي
به كثير وما يضل به الا الفاسقون والفسق الخروج عن القصد قال روبة فواسقا عن قصدها جوايرا
والفاسق في الشريعة الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة وهو النازل بين المنزلتين اي بين منزلة
المومن والكافر وقالوا ان اول من حد له هذا الحد ابو حذيفة واصل بن عطاء رضي الله عنه وعن
اشياعه وكونه بين بين ان حكمه حكم المومن في انه يناكح ويوارث ويغسل ويصلى عليه ويدفن في مقابر
المسلمين وهو كالكافر في الذم واللعن والبراءة منه واعتقاد عداوته وان لا تقبل له شهادة ومذهب
مالك بن انس والزيدية ان الصلوة لا تجزي خلفه ويقال للخلفاء المردة من الكفار الفسقة
وقد جاء الاستعمال بالامرين في كتاب الله بيس الاسم الفسوق بعد الايمان يريد اللمز والتنابز بالالقاب ان
المنافقين هم الفاسقون والنقض الفسخ وفك التركيب فان قلت من اين ساغ استعمال النقض في
ابطال العهد قلت من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من ثبات الوصلة بين
المتعاهدين ومنه قول ابن التيهان في بيعة العقبة يا رسول الله ان بيننا وبين القوم حبالا ونحن قاطعوها
فنخشى ان الله اعزك واظهرك ان ترجع الى قومك وهذا من اسرار البلاغة ولطايفها ان يسكتوا عن
ذكر الشيء المستعار ثم يرمزوا اليه بذكر شيء من روادفه فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه ونحوه قولك شجاع
يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس واذا تزوجت امراة فاستفرشها لم تقل هذا الا وقد نبهت على الشجاع
والعالم بانهما اسد وبحر وعلى المراة بانها فراش والعهد الموثق وعهد اليه في كذا اذا وصاه به ووثقه
عليه واستعهد منه اذا اشترط عليه واستوثق منه والمراد بهولاء الناقضين لعهد الله احبار اليهود المتعنتون او
منافقوهم او الكفار جميعا فان قلت فما المراد بعهد الله قلت ما ركز في عقولهم من الحجة على التوحيد كانه
امر وصاهم به ووثقه عليهم وهو معنى قوله واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى او اخذ الميثاق
عليهم بانهم اذا بعث اليهم رسول يصدقه الله بمعجزاته صدقوه واتبعوه ولم يكتموا ذكره فيما تقدم
من الكتب المنزلة عليهم لقوله واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وقوله في الانجيل لعيسى صلوات الله عليه سانزل
عليك كتابا فيه نبا بني اسرائيل وما اريتهم اياه من الايات وما انعمت عليهم وما نقضوا من ميثاقهم
الذي واثقوا به وما ضيعوا من عهدي اليهم وحسن صنيعه للذين قاموا بميثاق الله واوفوا بعهده ونقمته
اياهم وكيف انزل باسه ونقمته بالذين غدروا ونقضوا ميثاقهم ولم يوفوا بعهدهم لان اليهود فعلوا باسم
عيسى ما فعلوا باسم محمد عليهما السلام من التحريف والجحود وكفروا به كما كفروا به وقيل مواضع

ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك هم الخاسرون كيف تكفرون بالله وكنتم

لله العهد عليهم ان لا يسفكوا دماءهم ولا يبغي بعضهم على بعض ولا يقطعوا ارحامهم وقيل عهد الله الى خلقه ثلاثة عهود العهد الاول الذي اخذه على جميع ذرية آدم الاقرار بربوبيته وهو قوله واذ اخذ ربك وعهد خص به النبيين ان يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وهو قوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم وعهد خص به العلماء وهو قوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه والضمير في ميثاقه للعهد وهو ما وثقوا به عهد الله من قبوله والزامه انفسهم ويجوز ان يكون بمعنى توثقته كما ان الميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة ويجوز ان يرجع الضمير الى الله تعالى اي من بعد توثقته عليهم او من بعد ما وثق به عهده من آياته وكتبه وانذار رسله ومعنى قطعهم ما امر الله به ان يوصل قطعهم الارحام وموالاة المؤمنين وقيل قطعهم ما بين الانبياء من الوصلة والاتحاد والاجتماع على الحق في ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض فان قلت ما الامر قلت طلب الفعل ممن هو دونك وبعثه عليه وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور لان الداعي الذي يدعو اليه من يتولاه شبه بآمر يأمره به فقيل له امر تسمية للمفعول به بالمصدر كانه مأمور به كما قيل له شأن والشأن الطلب والقصد يقال شأنت شأنه اي قصدت قصده هم الخاسرون لانهم استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح وعقابها بثوابها معنى الهمزة التي في كيف مثله في قولك اتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو الى الايمان وهو للانكار والتعجب ونظيره قولك اتطير بغير جناح وكيف تطير بغير جناح فان قلت قولك اتطير بغير جناح انكار للطيران لانه مستحيل بغير جناح واما الكفر فغير مستحيل مع ما ذكر من الاماتة والاحياء قلت قد اخرج في صورة المستحيل لما قوي من الصارف عن الكفر والداعي الى الايمان فان قلت فقد تبين امر الهمزة وانها لانكار الفعل والايذان باستحالته في نفسه او لقوة الصارف عنه فما تقول في كيف حيث كان انكارا للحال التي يقع عليها كفرهم قلت حال الشيء تابعة لذاته فاذا امتنع ثبوت الذات تبعه امتناع ثبوت الحال فكان انكار حال الكفر لانها تبيع ذات الكفر ورديفها انكارا لذات الكفر وثباتها على طريق الكناية وذلك اقوى لانكار الكفر وابلغ وتحريره انه اذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها وقد علم ان كل موجود لا ينفك عن حال وصفة عند وجوده ومحال ان يوجد بغير صفة من الصفات كان انكارا لوجوده على الطريق البرهاني والواو في قوله وكنتم امواتا للحال فان قلت فكيف صح ان يكون حالا وهو ماض ولا يقال جئت وقام الامير ولكن وقد قام الا ان يضمر قد قلت لم تدخل الواو على كنتم امواتا وحده ولكن على جملة قوله وكنتم امواتا الى ترجعون كانه قيل كيف تكفرون بالله وقصتكم هذه وحالكم انكم كنتم امواتا نطفا في اصلاب آبائكم فجعلكم احياء ثم يميتكم بعد هذه الحياة ثم يحييكم ثم يحاسبكم فان قلت بعض القصة ماض وبعضها مستقبل والماضي والمستقبل كلاهما لا يصح ان يقع حالا حتى يكون فعلا حاضرا وقت وجود ما هو حال عنه فما الحاضر الذي وقع حالا قلت هو العلم بالقصة كانه قيل كيف

امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم

تكفرون وانتم عالمون بهذه القصة وباولها واخرها فان قلت فقد آل المعنى الى قولك على اي حال تكفرون في حال علمكم بهذه القصة فما وجه صحته قلت قد ذكرنا ان معنى الاستفهام في كيف الانكار وان انكار الحال متضمن لانكار الذات على سبيل الكناية فكانه قيل ما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قلت ان اتصل علمهم بانهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم فلم يتصل بالاحياء الثاني والرجوع قلت قد تمكنوا من العلم بهما لما نصب لهم من الدلائل فكان ذلك بمنزلة حصول العلم وكثير منهم علموا ثم عاندوا والاموات جمع ميت كالاقوال في جمع قيل فان قلت كيف قيل لهم اموات في حال كونهم جمادا وانما يقال ميت فيما يصح فيه الحياة من البنى قلت بل يقال ذلك لعادم الحياة كقوله بلدة ميتا وآية لهم الارض الميتة اموات غير احياء ويجوز ان يكون استعارة لاجتماعهما في ان لا روح ولا احساس قلت ما المراد بالاحياء الثاني قلت يجوز ان يراد به الاحياء في القبر وبالرجوع النشور وان يراد به النشور وبالرجوع المصير الى الجزاء فان قلت لم كان العطف الاول بالفاء والاعقاب بثم قلت لان الاحياء الاول قد تعقب الموت بغير تراخ واما الموت فقد تراخى عن الاحياء والاحياء الثاني كذلك متراخ عن الموت ان اريد به النشور تراخيا ظاهرا وان اريد به احياء القبر فمنه يكتسب العلم بتراخيه والرجوع الى الجزاء ايضا متراخ عن النشور فان قلت من اين انكر اجتماع الكفر مع القصة التي ذكرها قلت من حيث انها مشتملة على آيات بينات تصرفهم عن الكفر وعلى نعم جسام حقها ان تشكر ولا تكفر قلت حمل الامرين جميعا لان ما عدده آيات وهي مع كونها آيات من اعظم النعم لكم لاجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم ودينكم اما الانتفاع الدنيوي فظاهر واما الانتفاع الديني فالنظر فيه وما فيه من عجائب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم وما فيه من التذكير بالاخرة وبثوابها وعقابها لاشتماله على اسباب الانس واللذة من فنون المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح والمراكب والمناظر الحسنة البهية وعلى اسباب الوحشة والمشقة من انواع المكاره كالنيران والصواعق والسباع والاحناش والسموم والغموم والمخاوف وقد استدل بقوله خلق لكم على ان الاشياء التي يصح ان ينتفع بها ولم تجر مجرى المحظورات في العقل خلقت في الاصل مباحة مطلقا لكل احد ان يتناولها ويستنفع بها فان قلت هل لقول من زعم ان المعنى خلق لكم الارض وما فيها وجه صحة قلت ان اراد بالارض الجهات السفلية دون الغبراء كما تذكر السماء وتراد الجهات العلوية جاز ذلك فان الغبراء وما فيها واقعة في الجهات السفلية وجميعا نصب على الحال من الموصول الثاني والاستواء الاعتدال والاستقامة يقال استوى العود وغيره اذا قام واعتدل ثم قيل استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء ومنه استعير قوله ثم استوى الى السماء اي قصد اليها بارادته ومشيئته بعد خلق ما في الارض من غير ان يريد فيما بين ذلك خلق شيء اخر والمراد بالسماء جهات العلو كانه قيل ثم استوى الى فوق والضمير في فسواهن ضمير مبهم وسبع سموات تفسيره كقولهم ربه رجلا وقيل الضمير راجع الى السماء والسماء في معنى الجنس وقيل جمع سماءة والوجه العربي هو الاول ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه واخلاؤه من العوج والفطور او اتمام خلقهن وهو بكل شيء عليم فمن ثم خلقهن خلقا مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق ما في الارض على حسب حاجات اهلها ومنافعهم ومصالحهم فان قلت ما فسرت به معنى الاستواء الى السماء يناقضه ثم لاعطائها معنى التراخي والمهلة قلت ثم هنا لما بين الخلقين من التفاوت وفضل خلق السموات على خلق الارض لا للتراخي في الوقت كقوله ثم كان

واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء
ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون وعلم ادم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة

من الذين امنوا على انه لو كان بمعنى التراخي في الوقت لم يلزم ما اعترضت لان المعنى انه حين قصد الى السماء
لم يحدث فيما بين ذلك اي في تضاعيف القصد اليهما خلقا اخر فان قلت اما يناقض هذا قوله والارض بعد ذلك
دحيها قلت لا لان جرم الارض تقدم خلقه خلق السماء واما دحوها فمتاخر وعن الحسن خلق الله الارض
في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات
وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض فذلك قوله كانتا رتقا وهو الالتزاق واذ نصب باضمار
اذكر ويجوز ان ينتصب بقالوا والملائكة جمع ملأك على الاصل كالشمائل في جمع شمأل والحاق التاء
لتانيث الجمع وجاعل من جعل الذي له مفعولان دخل على المبتدا والخبر وهما قوله في الارض خليفة فكانا
مفعوليه ومعناه مصير في الارض خليفة والخليفة من يخلف غيره والمعنى خليفة منكم لانهم كانوا سكان
الارض فخلفهم فيها ادم وذريته فان قلت فهلا قيل خلائف او خلفاء قلت اريد بالخليفة ادم واستغنى بذكره
عن ذكر بنيه كما تستغني بذكر ابي القبيلة في قولك مضر وهاشم او اريد من يخلفكم او خلفا يخلفكم فوحد لذلك وقرئ
خليقة بالقاف ويجوز ان يريد خليفة مني لان ادم خليفة الله في ارضه وكذلك كل نبي انا جعلناك خليفة في الارض
فان قلت لاي غرض اخبرهم بذلك قلت ليسالوا ذلك السؤال ويجابوا بما اجيبوا به فيعرفوا حكمته في استخلافهم
قبل كونهم صيانة لهم عن اعتراض الشبهة في وقت استخلافهم وقيل ليعلم عباده المشاورة في امورهم قبل ان يقدموا
عليها وعرضها على ثقاتهم ونصحائهم وان كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن المشاورة اتجعل فيها
تعجب من ان يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية وهو الحكيم الذي لا يفعل الا الخير ولا يريد الا الخير فان قلت
من اين عرفوا ذلك حتى تعجبوا منه وانما هو غيب قلت عرفوه باخبار من الله او من جهة اللوح او ثبت
علمهم ان الملائكة وحدهم هم الخلق المعصومون وكل خلق سواهم ليسوا على صفتهم او قاسوا احد الثقلين
على الاخر حيث اسكنوا الارض فافسدوا قبل سكنى الملائكة وقرئ ويسفك بضم الفاء ويسفك ويسفك
من اسفك وسفك والواو في ونحن للحال كما تقول اتحسن الى فلان وانا احق منه بالاحسان
والتسبيح تبعيد الله من السوء وكذلك تقديسه من سبح في الارض والماء وقدس في الارض اذا ذهب
فيها وابعد وبحمدك في موضع الحال اي نسبح حامدين لك وملتبسين بحمدك لانه لولا انعامك علينا بالتوفيق واللطف
لم نتمكن من عبادتك اعلم ما لا تعلمون اي اعلم من المصالح في ذلك ما هو خفي عليكم فان قلت هلا بين لهم تلك المصالح قلت
كفى العباد ان يعلموا ان افعال الله كلها حسنة وحكمة وان خفي عليهم وجه الحسن والحكمة على انه قد بين لهم بعض ذلك
فيما اتبعه من قوله وعلم ادم الاسماء كلها واشتقاقهم ادم من الادمة ومن اديم الارض نحو اشتقاقهم يعقوب
من العقب وادريس من الدرس وابليس من الابلاس وما ادم الا اسم اعجمي واقرب امره ان يكون على فاعل كآزر وعابر
وشالخ وفالغ واشباه ذلك الاسماء كلها اي اسماء المسميات فحذف المضاف اليه لكونه معلوما مدلولا عليه بذكر الاسماء
لان الاسم لا بد له من مسمى وعوض منه اللام كقوله واشتعل الراس شيبا فان قلت هلا زعمت انه حذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه وان الاصل وعلم ادم مسميات الاسماء قلت لان التعليم وجب تعليقه بالاسماء لا بالمسميات لقوله
انبئوني باسماء هؤلاء انبئهم باسمائهم فلما انباهم باسمائهم فكما علق الانباء بالاسماء لا بالمسميات ولم يقل انبئوني
بهؤلاء وانبئهم بهم وجب تعليق التعليم بها فان قلت فما معنى تعليمه اسماء المسميات قلت اراه الاجناس التي
خلقها وعلمه ان هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا وعلمه احوالها
وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ثم عرضهم اي عرض المسميات وانما ذكر لان في المسميات
العقلاء فغلبهم وانما استنباهم وقد علم عجزهم عن الانباء على سبيل التبكيت ان كنتم

قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت
العليم الحكيم قال يا ادم انبئهم باسمائهم
فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب
السماوات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون

صادقين يعني في زعمكم اني استخلف في الارض مفسدين سفاكين للدماء اراد الرد عليهم وان فيمن يستخلفه من الفوائد
العلمية التي هي اصول الفوائد كلها ما يستاهلون لاجله ان يستخلفوا فاراهم بذلك وبين لهم بعض ما اجمل
من ذكر المصالح في استخلافهم في قوله اني اعلم ما لا تعلمون وقوله الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض استحضار
لقوله لهم اني اعلم ما لا تعلمون الا انه جاء به على وجه ابسط من ذلك واشرح وقرئ وعلم ادم على البناء للمفعول وقرا
عبد الله عرضهن وقرا ابي عرضها والمعنى عرض مسمياتهن او مسمياتها لان العرض لا يصح في الاسماء وقرئ انبيهم
بقلب الهمزة ياء وانبهم بحذفها والهاء مكسورة فيهما السجود لله على سبيل العبادة ولغيره على وجه التكرمة
كما سجدت الملائكة لادم وابو يوسف واخوته له ويجوز ان تختلف الاحوال والاوقات فيه وقرا ابو جعفر للملائكة
اسجدوا بضم التاء للاتباع ولا يجوز استهلاك الحركة الاعرابية بحركة الاتباع الا في لغة ضعيفة
كقولهم الحمد لله الا ابليس استثناء متصل لانه كان جنيا واحدا بين اظهر الالوف من الملائكة مغمورا بهم فغلبوا
عليه في قوله فسجدوا ثم استثني منهم استثناء واحد منهم ويجوز ان يجعل منقطعا ابى امتنع مما امر به واستكبر
عنه وكان من الكافرين من جنس كفرة الجن وشياطينهم فلذلك ابى واستكبر كقوله كان من الجن ففسق عن
امر ربه السكنى من السكون لانها نوع من اللبث والاستقرار وانت تاكيد للمستكن في اسكن ليصح العطف عليه
رغدا وصف للمصدر اي اكلا رغدا واسعا رافها حيث للمكان المبهم اي اي مكان من الجنة
شئتما اطلق لهما الاكل من الجنة على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلة حين لم يحظر عليهما بعض
الاكل ولا بعض المواضع الجامعة للماكولات من الجنة حتى لا يبقى لهما عذر في التناول من شجرة
واحدة من بين اشجارها الفائتة للحصر وكانت الشجرة فيما قيل الحنطة او الكرمة او التينة وقرئ ولا
تقربا بكسر التاء وهذي والشجرة بكسر الشين والشيرة بكسر الشين والياء وعن ابي عمرو انه كرههما
وقال يقرا بها برابر مكة وسودانها من الظالمين من الذين ظلموا انفسهم بمعصية الله فتكونا جزم عطف
على تقربا او نصب جواب للنهي الضمير في عنها للشجرة اي فحملهما الشيطان على الزلة بسببها
وتحقيقه فاصدر الشيطان زلتهما عنها وعن هذه مثلها في قوله وما فعلته عن امري وقوله ينهون عن
اكل وشرب وقيل فازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما عنها وابعدهما كما تقول زل عن مرتبته وزل عني
ذاك اذا ذهب عنك وزل من الشهر كذا وقرئ فازالهما مما كانا فيه من النعيم والكرامة او من
الجنة ان كان الضمير للشجرة في عنها وقرا عبد الله فوسوس لهما الشيطان عنها وهذا دليل على ان الضمير
للشجرة لان المعنى صدرت وسوسته عنها فان قلت كيف توصل الى ازلالهما ووسوسته لهما بعد ما قيل له
اخرج منها فانك رجيم قلت يجوز ان يمنع دخولها على جهة التقريب والتكرمة كدخول الملائكة
ولا يمنع ان يدخل على جهة الوسوسة ابتلاء لادم وحواء وقيل كان يدنو من السماء فيكلمهما وقيل قام
عند الباب فنادى وروي انه اراد الدخول فمنعته الخزنة فدخل في فم الحية حتى دخلت به وهم لا يشعرون
اهبطوا خطاب لادم وحواء وابليس وقيل والحية والصحيح انه لادم وحواء والمراد هما وذريتهما لانهما
لما كانا اصل الانس ومتشعبهم جعلا كانهما الانس كلهم والدليل عليه قوله قال اهبطا منها جميعا بعضكم
لبعض عدو ويدل على ذلك قوله فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا باياتنا
اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وما هو الا حكم يعم الناس كلهم ومعنى بعضكم لبعض عدو

واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين وقلنا يا ادم اسكن انت و
زوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما
كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو

الى حين فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب عليه
انه هو التواب الرحيم قلنا اهبطوا منها جميعا

ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل بعضهم لبعض والهبوط النزول الى الارض مستقر موضع استقرار
او استقرار ومتاع وتمتع بالعيش الى حين يريد به يوم القيامة وقيل الى الموت فتلقى الكلمات استقبالها
بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرئ بنصب ادم ورفع الكلمات على انها استقبلته بان بلغته
واتصلت به قال قيل ما هن قلت قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الاية وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان احب الكلام
الى الله تعالى ما قاله ابونا حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت
ظلمت نفسي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس قال يا رب الم تخلقني بيدك قال
بلى قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال الم تسكني
جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم واكتفى بذكر توبة ادم دون توبة حواء
لانها كانت تبعا له كما طوى ذكر النساء في اكثر القران والسنة لذلك وقد ذكرها في قوله قالا ربنا ظلمنا
انفسنا فتاب عليه فرجع عليه بالرحمة وقبول التوبة فان قلت لم كرر قلنا اهبطوا قلت للتاكيد ولما نيط به من
فاما ياتينكم مني هدى فان قلت ما جواب الشرط الاول قلت الشرط الثاني مع جوابه كقولك ان جئتني فان قدرت
احسنت اليك والمعنى فاما ياتينكم مني هدى برسول ابعثه اليكم وكتاب انزله عليكم بدليل قوله والذين كفروا
وكذبوا باياتنا في مقابلة قوله فمن تبع هداي فان قلت فلم جيء بكلمة الشك واتيان الهدى كائن لا محالة لوجوبه
قلت للايذان بان الايمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وانزال الكتب وانه ان لم يبعث رسولا ولم ينزل
كتابا كان الايمان به وتوحيده واجبا لما ركب فيهم من العقول ونصب لهم من الادلة ومكنهم من النظر
والاستدلال فان قلت الخطيئة التي اهبط بها ادم ان كانت كبيرة فالكبيرة لا تجوز على الانبياء وان كانت
صغيرة فلم جرى عليه ما جرى بسببها من نزع اللباس والاخراج من الجنة والاهباط من السماء كما فعل
بابليس ونسبته الى الغي والعصيان ونسيان العهد وعدم العزيمة والحاجة الى التوبة قلت ما كانت الا صغيرة
مغمورة باعمال قلبه من الاخلاص والافكار الصالحة التي هي اجل الاعمال واعظم الطاعات وانما جرى عليه
ما جرى تعظيما للخطيئة وتفظيعا لشانها وتهويلا ليكون ذلك لطفا له ولذريته في اجتناب الخطايا
واتقاء المآثم والتنبيه على انه اخرج من الجنة بخطيئة واحدة فكيف يدخلها ذو خطايا جمة وقرئ فمن
تبع هدي على لغة هذيل فلا خوف عليهم بالفتح اسرائيل هو يعقوب عليه السلام لقب له ومعناه في لسانهم
صفوة الله وقيل عبد الله وهو بزنة ابراهيم واسمعيل غير منصرف مثلهما لوجود العلمية والعجمة وقرئ
اسرائل واسرال وذكرهم النعمة ان لا يخلوا بشكرها ويعتدوا بها ويستعظموها ويطيعوا مانحها
واراد بها ما انعم به على ابائهم مما عدد عليهم من الانجاء من فرعون وعذابه ومن الغرق ومن العفو عن
اتخاذ العجل والتوبة عليهم وغير ذلك وما انعم به عليهم من ادراك زمن محمد عليه السلام المبشر
به في التوراة والانجيل والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد جميعا تقول اوفيت بعهدي اي بما عاهدت
عليه كقوله ومن اوفى بعهده من الله واوفيت بعهدك اي بما عاهدتك عليه ومعنى واوفوا بعهدي واوفوا بما
عاهدتموني عليه من الايمان بي والطاعة لي كقوله ومن اوفى بما عاهد عليه الله ومنهم من عاهد الله رجال
صدقوا ما عاهدوا الله عليه اوف بعهدكم بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم واياي فارهبون
فلا تنقضوا عهدي وهو من قولك زيدا رهبته وهو اوكد في افادة الاختصاص من اياك
نعبد وقرئ اوفّ بالتشديد اي ابالغ في الوفاء بعهدكم كقوله من جاء بالحسنة فله عشر امثالها

فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين
كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يا بني اسرائيل اذكروا
نعمتي التي انعمت عليكم واوفوا بعهدي اوف بعهدكم واياي فارهبون

وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا اول كافر به ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا واياي فاتقون ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا
الحق وانتم تعلمون واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واركعوا مع الراكعين اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب
افلا تعقلون

ويجوز ان يريد بقوله واوفوا بعهدي ما عاهدوا عليه ووعدوه من الايمان بنبي الرحمة والكتاب المعجز ويدل عليه
قوله وامنوا بما انزلت مصدقا لما معكم اول كافر به اول من كفر به او اول فريق او فوج كافر به او ولا يكن كل واحد منكم اول كافر به
كقولك كسانا حلة اي كل واحد منا وهذا تعريض بانه كان يجب ان يكونوا اول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته ولانهم كانوا
المبشرين بزمان من اوحي اليه والمستفتحين على الذين كفروا به وكانوا يعدون اتباعه اول الناس كلهم فلما بعث
كان امرهم على العكس كقوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين الى قوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد
ما جاءتهم البينة فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ويجوز ان يراد ولا تكونوا مثل اول كافر به يعني من اشرك به من اهل مكة اي ولا
تكونوا وانتم تعرفونه مذكورا في التوراة موصوفا مثل من لم يعرفه وهو مشرك لا كتاب له وقيل الضمير في به لما معكم لانهم
اذا كفروا بما يصدقه فقد كفروا به والاشتراء استعارة للاستبدال كقوله اشتروا الضلالة بالهدى وقوله كما اشترى المسلم
اذ تنصرا فاني شريت الحلم بعدك بالجهل يعني لا تستبدلوا باياتي ثمنا قليلا والا فالثمن هو المشترى به
والثمن القليل الرياسة التي كانت لهم في قومهم خافوا عليها الفوات لو صاروا اتباعا لرسول الله فاستبدلوها
وهي بدل قليل ومتاع يسير بايات الله وبالحق الذي كل كثير اليه قليل وكل كبير اليه حقير فما بال القليل الحقير وقيل كانت
عامتهم يعطون احبارهم من زروعهم وثمارهم ويهدون اليهم الهدايا ويرشونهم الرشى على تحريفهم الكلم وتسهيلهم
لهم ما صعب عليهم من الشرائع وكان ملوكهم يدرون عليهم الاموال ليكتموا او يحرفوا الباء التي في بالباطل ان كانت
صلة مثلها في قولك لبست الشيء بالشيء خلطته به كان المعنى ولا تكتبوا في التوراة ما ليس منها فيختلط الحق المنزل
بالباطل الذي كتبتم حتى لا يميز بين حقها وباطلكم وان كانت باء الاستعانة كالتي في قولك كتبت بالقلم كان المعنى
ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم الذي تكتبونه وتكتموا جزم داخل تحت حكم النهي بمعنى ولا تكتموا
او منصوب باضمار ان والواو بمعنى الجمع اي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان الحق كقولك لا تاكل السمك
وتشرب اللبن فان قلت لبسهم وكتمانهم ليسا بفعلين متميزين حتى نهوا عن الجمع بينهما لانهم اذا لبسوا
الحق بالباطل فقد كتموا الحق قلت بل هما متميزان لان لبس الحق بالباطل ما ذكرنا من كتبهم في التوراة ما ليس
منها وكتمانهم الحق ان يقولوا لا نجد في التوراة صفة محمد او حكم كذا او يمحوا ذلك او يكتبوه على خلاف ما
هو عليه وفي مصحف عبد الله وتكتمون بمعنى كاتمين وانتم تعلمون في حال علمكم انكم لابسون كاتمون وهو اقبح
لهم لان الجهل بالقبيح ربما عذر راكبه واقيموا الصلوة يعني صلوة المسلمين وزكوتهم واركعوا مع الراكعين
منهم لان اليهود لا ركوع في صلاتهم وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الله ويجوز ان يراد بالركوع الصلاة
كما يعبر عنها بالسجود وان يكون امرا بان يصلى مع المصلين يعني في الجماعة كانه قيل واقيموا الصلوة وصلوها مع
المصلين لا منفردين اتامرون الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم والبر سعة الخير والمعروف ومنه
البر لسعته ويتناول كل خير ومنه قولهم صدقت وبررت وكان الاحبار يامرون من نصحوه في السر من اقاربهم
وغيرهم باتباع محمد ولا يتبعونه وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون واذا اتوا بصدقات ليفرقوها خانوا
فيها وعن محمد بن واسع بلغني ان ناسا من اهل الجنة اطلعوا على ناس من اهل النار فقالوا لهم قد كنتم
تامروننا باشياء عملناها فدخلنا الجنة قالوا كنا نامركم بها ونخالف الى غيرها وتنسون انفسكم وتتركونها من
البر كالمنسيات وانتم تتلون الكتاب تبكيت مثل قوله وانتم تعلمون يعني تتلون التوراة وفيها نعت
محمد عليه السلام او فيها الوعيد على الخيانة وترك البر ومخالفة القول العمل افلا تعقلون توبيخ عظيم

واستعينوا بالصبر والصلوة وانها لكبيرة الا على الخاشعين الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون يا بني اسرائيل
اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ

بمعنى فلا تعقلون قبح ما اقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه وكانكم في ذلك مسلوبوا العقل
لان العقول تاباه وتدفعه ونحوه اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون واستعينوا على
حوائجكم الى الله بالصبر والصلوة اي بالجمع بينهما وان تصلوا صابرين على تكاليف الصلوة متحملين لمشاقها وما
يجب فيها من اخلاص القلب وحفظ النيات ودفع الوساوس ومراعاة الآداب والاحتراس من المكاره
مع الخشية والخشوع واستحضار العلم بانه انتصاب بين يدي جبار السموات ليسال فك الرقاب عن
سخطه وعذابه ومنه قوله وأمر اهلك بالصلوة واصطبر عليها او واستعينوا على البلايا
والنوائب بالصبر عليها والالتجاء الى الصلوة عند وقوعها وكان رسول الله عليه السلام اذا فزع الى الصلوة
وعن ابن عباس رضي الله عنه انه نعي اليه اخوه قثم وهو في سفر فاسترجع وتنحى عن الطريق فصلى
ركعتين اطال فيهما الجلوس ثم قام يمشي الى راحلته وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلوة وقيل الصبر الصوم
لانه حبس عن المفطرات ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر ويجوز ان يراد بالصلوة الدعاء وان تستعان على
البلايا بالصبر والالتجاء الى الدعاء والابتهال الى الله في دفعه وانها الضمير للصلوة او للاستعانة
ويجوز ان يكون لجميع الامور التي امر بها بنوا اسرائيل ونهوا عنها من قوله اذكروا نعمتي الى واستعينوا
لكبيرة لشاقة ثقيلة من قولك كبر على المشركين ما تدعوهم اليه فان قيل ما لها لم تثقل
على الخاشعين والخشوع في نفسه مما يثقل قلت لانهم يتوقعون ما ادخر للصابرين على متاعبها فتهون
عليهم الا ترى الى قوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم اي يتوقعون لقاء ثوابه ونيل ما عنده ويطمعون
فيه وفي مصحف عبد الله يعلمون ومعناه يعلمون انه لا بد من لقاء الجزاء فيعملون على حسب ذلك
ولذلك فسر يظنون بيتيقنون واما من لم يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب كانت عليه مشقة خالصة
فثقلت عليه كالمنافقين والمرائين باعمالهم ومثاله من وعد على بعض الاعمال والصنائع
اجرة زائدة على مقدار عمله فتراه يزاوله برغبة ونشاط وانشراح صدر ومضاحكة
لحاضريه كانه يستلذ مزاولته بخلاف حال عامل يتسخره بعض الظلمة ومن ثم قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلوة وكان يقول ارحنا يا بلال والخشوع الاخبات والتطامن
ومنه الخشعة للرملة المتطامنة واما الخضوع فاللين والانقياد ومنه خضعت بقولها اذا
لينته واني فضلتكم نصب عطف على نعمتي اي اذكروا نعمتي وتفضيلي على العالمين على الجم الغفير من الناس
كقوله باركنا فيها للعالمين يقال رايت عالما من الناس يراد الكثرة يوما يريد يوم القيامة
لا تجزي لا تقضي عنها شيئا من الحقوق ومنه الحديث في جذعة ابن نيار تجزي عنك ولا تجزي عن
احد بعدك شيئا مفعول به ويجوز ان يكون في موضع مصدر اي قليلا من الجزاء كقوله ولا يظلمون
شيئا ومن قرأ لا تجزي من اجزا عنه اذا اغنى عنه فلا يكون في قراءته الا بمعنى شيئا من الاجزاء
وقرا ابو السرار الغنوي لا تجزي نسمة عن نسمة شيئا وهذه الجملة منصوبة المحل صفة
ليوما فان قيل فاين العائد منها الى الموصوف قلت هو محذوف تقديره لا تجزي فيه ونحوه ما انشده
ابو علي • تروحي اجدر ان تقيلي اي اجدر بان تقيلي فيه ومنهم من ينزل فيحول التنزيل

٢١

منها عدل ولا هم ينصرون واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء
العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم واذ فرقنا
بكم البحر فانجيناكم واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون

فيه فاجرى مجرى المفعول به فحذف الجار ثم حذف الضمير كما حذف من قوله ام مال اصابوا ومعنى التنكير ان نفسا من
الانفس لا تجزي عن نفس منها شيئا من الاشياء وهو الاقناط الكلي القطاع للمطامع وكذلك قوله ولا تقبل منها
شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي فدية لانها معادلة للمفدي ومنه الحديث لا يقبل منه صرف ولا عدل اي توبة ولا
فدية وقرأ قتادة رضي الله عنه ولا يقبل منها شفاعة على بناء الفعل للفاعل وهو الله عز وعلا ونصب الشفاعة
وقيل كانت اليهود تزعم ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم فاويسوا فان قيل هل فيه دليل على ان الشفاعة لا تقبل
للعصاة قلت نعم لانه نفى ان تقضي نفس عن نفس حقا اخلت به من فعل او ترك ثم نفى ان يقبل منها شفاعة شفيع
فعلم انها لا تقبل للعصاة فان قيل الضمير في ولا يقبل منها الى اي النفسين يرجع قلت الى الثانية العاصية غير المجزي
عنها وهي التي لا يؤخذ منها عدل ومعنى لا يقبل منها شفاعة ان جاءت بشفاعة شفيع لم تقبل منها ويجوز ان يرجع
الى النفس الاولى على انها لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها كما لا تجزي عنها شيئا ولو اعطت عدلا عنها لم يؤخذ
منها ولا هم ينصرون يعني ما دلت عليه النفس المنكرة من النفوس الكثيرة والتذكير بمعنى العباد والاناسي كما تقول
ثلاثة انفس آل فرعون اصل آل اهل ولذلك يصغر باهيل فابدلت هاؤه الفا وخص استعماله باولي الخطر والشان
كالملوك واشباههم ولا يقال آل الاسكاف والحجام وفرعون علم لمن ملك العمالقة كقيصر لملك الروم
وكسرى لملك الفرس ولعتو الفراعنة اشتقوا تفرعن فلان اذا عتا وتجبر وفي ملح بعضهم
قد جاءه الموسى الكلوم فزاد في افراطه حتى تفرعنه فرط عجبه وقرئ انجيتكم ونجيتكم يسومونكم
من سامه خسفا اذا اولاه ظلما قال عمرو بن كلثوم اذا ما الملك سام الناس خسفا ابينا ان نقر الخسف فينا
واصله من سام السلعة اذا طلبها كانه بمعنى يبغونكم سوء العذاب ويريدونكم عليه والسوء مصدر
السيء يقال اعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ومعنى سوء العذاب والعذاب كله
سيء اشده وافظعه كانه قبحه بالاضافة الى سائره يذبحون بيان لقوله يسومونكم ولذلك ترك العاطف
كقوله تضاعف لدى قول الذين كفروا من قبل وقرا الزهري يذبحون بالتخفيف كقوله قطعت الثياب وقطعتها
وقرا عبد الله يقتلون وانما فعلوا بهم ذلك لان الكهنة انذروا فرعون بانه يولد مولود يكون على يده هلاكه
كما انذر نمرود فلم يغن عنهما اجتهادهما في التحفظ وكان ما شاء الله وفي ذلكم بلاء محنة ان اشير بذلكم الى
صنيع فرعون والنعمة ان اشير به الى الانجاء واذ فرقنا فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم وقرئ
فرقنا بمعنى فصلنا يقال فرق بين الشيئين وفرق بين الاشياء لان المسالك كانت اثني عشر على عدد الاسباط فان قيل
ما معنى بكم قلت فيه اوجه ان يراد انهم كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكهم فكانما فرق بهم كما يفرق بين الشيئين
بما يوسط بينهما وان يراد فرقناه بسببكم وبسبب انجائكم وان يكون في موضع الحال بمعنى فرقناه ملتبسا
بكم كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا اي تدوسها ونحن راكبوها وروي ان بني اسرائيل قالوا لموسى عليه السلام
اين اصحابنا لا نراهم قال سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى نراهم فقال اللهم اعني على
اخلاقهم السيئة فاوحي اليه ان قل بعصاك هكذا فقال بها على الحيطان فصارت فيها كوى فتراءوا
وتسامعوا كلامهم واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون ذلك كنتم تشاهدونه لا تشكون فيه لما دخل بنوا اسرائيل مصر
بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون اليه وعد الله موسى عليه السلام ان ينزل عليه التورية

وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون

وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقيل أربعين ليلة لأن الشهور غررها بالليالي وقرئ وعدنا لأن
الله تعالى وعده الوحي ووعد المجيء للميقات الى الطور من بعده من بعد مضيه الى الطور وأنتم ظالمون باشراككم
ثم عفونا عنكم حين تبتم من بعد ذلك من بعد ارتكابكم الأمر العظيم وهو اتخاذكم العجل لعلكم تشكرون
ارادة أن تشكروا النعمة في العفو عنكم الكتاب والفرقان يعني الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين
الحق والباطل يعني التوراة كقولك رأيت الغيث والليث تريد الرجل الجامع بين الجود والجراءة ونحوه قوله تعالى
ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا أو التوراة والبرهان الفارق بين الكفر والايمان من العصا واليد
وغيرهما من الآيات او الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفراق البحر وقيل النصر الذي
فرق بينه وبين عدوه كقوله يوم الفرقان حمل قوله فاقتلوا انفسكم على الظاهر وهو البخع وقيل معناه
قتل بعضهم بعضا وقيل أمر من لم يعبد العجل أن يقتلوا العبدة روي أن الرجل كان يبصر
ولده ووالده وجاره وقريبه فلم يمكنه المضي لأمر الله فأرسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون
تحتها وأمروا أن يحتبوا بأفنية بيوتهم ويأخذ الذين لم يعبدوا العجل سيوفهم وقيل لهم اصبروا فلعن
الله من مد طرفه أو حل حبوته أو اتقى بيد أو رجل فيقولون آمين فقتلوهم الى المساء حتى دعا موسى وهارون
وقالا يا رب هلكت بنو اسرائيل البقية البقية فكشفت السحابة ونزلت التوبة فسقطت الشفار من أيديهم
وكانت القتلى سبعين ألفا فإن قلت ما الفرق بين الفاآت قلت الأولى للتسبيب لا غير لأن الظلم سبب التوبة والثانية
للتعقيب لأن المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا انفسكم من قبل ان الله تعالى جعل توبتهم قتل أنفسهم ويجوز أن يكون
القتل تمام توبتهم فيكون المعنى فتوبوا فأتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم والثالثة متعلقة بمحذوف
ولا يخلو إما أن ينتظم في قول موسى لهم فتتعلق بشرط محذوف كأنه قال فإن فعلتم فقد تاب عليكم وإما أن يكون
خطابا من الله لهم على طريقة الالتفات فيكون التقدير ففعلتم ما أمركم به موسى فتاب عليكم بارئكم فإن قلت
من أين اختص هذا الموضع بذكر البارئ قلت البارئ هو الذي خلق الخلق بريئا من التفاوت ما ترى في خلق الرحمن
من تفاوت ومتميزا بعضه من بعض بالأشكال المختلفة والصور المتباينة فكان فيه تقريع بما كان منهم من
ترك عبادة العالم الحكيم الذي برأهم بلطف حكمته على الأشكال المختلفة أبرياء من التفاوت والتنافر
الى عبادة البقر التي هي مثل في الغباوة والبلادة في أمثال العرب أبلد من ثور حتى عرضوا أنفسهم
لسخط الله ونزول أمره بأن يفك ما ركبه من خلقهم وينثر ما نظم من صورهم وأشكالهم حين لم يشكروا
النعمة في ذلك وغمطوها بعبادة من لا يقدر على شيء منها قيل القائلون السبعون الذين صعقوا وقيل
عشرة آلاف منهم جهرة عيانا وهي مصدر من قولك جهر بالقراءة فاستعير للمعاينة كأن الذي يرى بالعين جاهر
بالرؤية والذي يرى بالقلب مخافت بها وانتصابها على المصدر لأنها نوع من الرؤية فنصبت بفعلها
كما تنصب القرفصاء بفعل الجلوس أو على الحال بمعنى ذوي جهرة وقرئ جهرة بفتح الهاء وهي إما مصدر
كالغلبة وإما جمع جاهر وفي هذا الكلام دليل على أن موسى عليه السلام راجعهم القول وعرفهم أن رؤية ما لا يجوز
عليه أن يكون في جهة محال وأن من استجاز على الله الرؤية فقد جعله من جملة الأجسام والأعراض
فرادوه بعد بيان الحجة ووضوح البرهان ولجوا فكانوا في الكفر كعبدة العجل فسلط الله عليهم الصعقة
كما سلط على أولئك القتل تسوية بين الكفرين ودلالة على عظمهما بعظم المحنة والصاعقة ما صعقهم أي أماتهم قيل نار
وقعت من السماء فأحرقتهم وقيل صيحة جاءت من السماء وقيل أرسل الله جنودا سمعوا بحسها فخروا صعقين ميتين

ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين

يوما وليلة وموسى عليه السلام لم تكن صعقته موتا ولكن غشية بدليل قوله فلما أفاق والظاهر أنه أصابهم ما ينظرون اليه لقوله وأنتم
تنظرون وعن علي رضي الله عنه فأخذتكم الصعقة لعلكم تشكرون نعمة البعث بعد الموت أو نعمة الله بعدما كفرتموها
إذ رأيتم بأس الله في رميكم بالصاعقة وإذاقتكم الموت وظللنا وجعلنا الغمام يظللكم وذلك في التيه سخر
لهم السحاب يسير بسيرهم يظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ
ولا تبلى وينزل عليهم المن وهو الترنجبين مثل الثلج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاع ويبعث
الله الجنوب فتحشر عليهم السلوى وهي السماني فيذبح الرجل منها ما يكفيه كلوا على ارادة القول
وما ظلمونا يعني فظلموا بأن كفروا هذه النعم وما ظلمونا فاختصر الكلام بحذفه لدلالة وما ظلمونا عليه
القرية بيت المقدس وقيل أريحا من قرى الشام أمروا بدخولها بعد التيه والباب باب القرية وقيل هو باب
القبة التي كانوا يصلون اليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى أمروا بالسجود عند الانتهاء الى
الباب شكرا لله وتواضعا وقيل السجود أن ينحنوا ويتطامنوا داخلين ليكون دخولهم بخشوع واخبات
وقيل طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤوسهم فلم يخفضوها ودخلوا متزحفين على أوراكهم حطة
فعلة من الحط كالجلسة والركبة وهي خبر مبتدأ محذوف أي مسألتنا حطة أو أمرك حطة
والأصل النصب بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة وانما رفعت لتعطي معنى الثبات كقوله صبر جميل
والأصل صبرا على اصبر صبرا وقرأ ابن أبي عبلة بالنصب على الأصل وقيل معناه أمرنا حطة أي
أن نحط في هذه القرية ونستقر فيها فإن قلت هل يجوز أن تنصب حطة في قراءة من نصبها بقولوا على معنى
قولوا هذه الكلمة قلت لا يبعد والأجود أن تنصب بإضمار فعلها وينتصب محل
ذلك المضمر بقولوا وقرئ يغفر لكم على البناء للمفعول بالياء والتاء وسنزيد المحسنين أي من
كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة سببا في زيادة ثوابه ومن كان مسيئا كانت له توبة ومغفرة
فبدل الذين ظلموا أي وضعوا مكان حطة قولا غيرها يعني أنهم أمروا بقول معناه التوبة
والاستغفار فخالفوه الى قول ليس معناه معنى ما أمروا به ولم يمتثلوا أمر الله وليس الغرض أنهم أمروا
بلفظ بعينه وهو لفظ الحطة فجاؤوا بلفظ آخر لأنهم لو جاؤوا بلفظ آخر مستقل بمعنى ما أمروا به
لم يؤاخذوا به كما لو قالوا مكان حطة نستغفرك ونتوب اليك اللهم اعف عنا وما أشبه ذلك
وقيل قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا أي حنطة حمراء استهزاء منهم
بما قيل لهم وعدولا عن طلب ما عند الله الى طلب ما يشتهون من أغراض الدنيا وفي تكرير الذين ظلموا زيادة
في تقبيح أمرهم وإيذان بأن إنزال الرجز عليهم لظلمهم وقد جاء في سورة الأعراف فأرسلنا عليهم على
الإضمار والرجز العذاب وقرئ بضم الراء وروي أنه مات منهم في ساعة بالطاعون أربعة وعشرون
ألفا وقيل سبعون ألفا عطشوا في التيه فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل له اضرب بعصاك الحجر واللام
إما للعهد والإشارة الى حجر معلوم فقد روي أنه حجر طوري حمله معه وكان حجرا مربعا له أربعة
أوجه كانت تنبع من كل وجه ثلاث أعين لكل سبط عين تسيل في جدول الى السبط الذي أمرت
بسقيهم وكانوا ستمائة ألف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا وقيل أهبطه آدم من الجنة فتوارثوه حتى
وقع الى شعيب فدفعه اليه مع العصا وقيل هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل اذ رموه بالأدرة

فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الارض مفسدين
واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها
وبصلها قال اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة

فقربه قال جبريل يقول الله تعالى ارفع هذا الحجر فان فيه قدرة ولك فيه معجزة فحمله في مخلاته واما للجنس اي اضرب
الشيء الذي يقال له الحجر وعن الحسن رحمه الله لم يأمره ان يضرب حجرا بعينه قال وهذا اظهر في الحجة وابين
في القدرة وروي انهم قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض ليست فيها حجارة فحمل حجرا في مخلاته فحيث ما نزلوا
القاه وقيل كان يضربه بعصاه فينفجر ويضربه بها فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى
اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان من رخام وكان ذراعا في ذراع وقيل
مثل راس الانسان وقيل كان من آس الجنة طوله عشرة اذرع على طول موسى عليه السلام وله شعبتان تتقدان
في الظلمة وكان يحمل على حمار فانفجرت الفاء متعلقة بمحذوف اي فضرب فانفجرت او فان ضربت
فقد انفجرت كما ذكرنا في قوله فتاب عليكم وهي على هذا فاء فصيحة لا تقع الا في كلام بليغ وقرئ عشرة
بكسر الشين وبفتحها وهما لغتان كل اناس كل سبط مشربهم عينهم التي يشربون منها كلوا على
ارادة القول من رزق الله مما رزقكم من الطعام وهو المن والسلوى ومن ماء العيون وقيل الماء ينبت
منه الزروع والثمار فهو رزق يؤكل منه ويشرب والعثي اشد الفساد فقيل لهم لا تتمادوا في الفساد
في حال فسادكم لانهم كانوا متمادين فيه كانوا فلاحة اي عكرهم فاجموا ما كانوا فيه من النعمة وطلبوا الشقاء
على طعام واحد ارادوا ما رزقوا في التيه من المن والسلوى فان قلت هما طعامان فما لهم قالوا على طعام واحد
قلت ارادوا بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل الوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها
قيل لا ياكل فلان الا طعاما واحدا يراد بالوحدة نفي التبدل والاختلاف ويجوز ان يريدوا انهما ضرب واحد لانهما
معا من طعام اهل التلذذ والترف ونحن قوم فلاحة اهل زراعات فما نريد الا ما الفناه
وضرينا به من الاشياء المتفاوتة كالبقول والحبوب ونحو ذلك ومعنى يخرج لنا يظهر لنا ويوجد
والبقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطايب البقول التي ياكلها الناس كالنعناع
والكرفس والكراث واشباهها وقرئ وقثائها بالضم والفوم الحنطة ومنه فوموا لنا اي اخبزوا
وقيل الثوم ويدل عليه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وثومها وهو للعدس والبصل اوفق الذي هو ادنى الذي هو اقرب
منزلة وادون مقدارا والدنو والقرب يعبر بهما عن قلة المقدار فيقال هو داني المحل وقريب المنزلة كما يعبر
بالبعد عن عكس ذلك فيقال بعيد المحل وبعيد الهمة يريدون الرفعة والعلو وقرأ زهير الفرقبي
ادنا بالهمز من الدناءة اهبطوا مصرا وقرئ اهبطوا بالضم اي انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي
اذا نزل به وهبط منه اذا خرج وبلاد التيه ما بين بيت المقدس الى قنسرين وهي اثنا عشر فرسخا في ثمانية
فراسخ ويحتمل ان يريد العلم وانما صرفه مع اجتماع السببين فيه وهما التعريف والتانيث لسكون وسطه كهند
ونوح ولوط وفيهما العجمة والتعريف وان اريد به البلد فما فيه الا سبب واحد وان يراد مصرا من الامصار وفي مصحف
عبد الله وقرأ به الاعمش اهبطوا مصر بغير تنوين كقوله ادخلوا مصر وقيل هو مصرائيم فعرب وضربت عليهم
الذلة جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون في القبة من ضربت عليه او الصقت بهم
حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه فاليهود صاغرون اذلاء اهل مسكنة ومدقعة
اما على الحقيقة واما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة ان تضاعف عليهم الجزية وباءوا بالغضب من الله من قولك
باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به لمساواته له ومكافاته اي صاروا احقاء بغضبه ذلك

الدقع محركة الرضا بالدون من المعيشة وسوء احتمال الفقر

وباءو بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون
ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم

اشارة الى ما تقدم من ضرب الذلة والمسكنة والخلافة بالغضب ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الانبياء وقد قتلت اليهود لعنهم الله
شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم فان قلت قتل الانبياء لا يكون الا بغير الحق فما فائدة ذكره قلت معناه انهم قتلوهم بغير
الحق عندهم لانهم لم يقتلوا ولا افسدوا في الارض فيقتلوا وانما نصحوهم ودعوهم الى ما ينفعهم فقتلوهم فلو
سئلوا وانصفوا من انفسهم لم يذكروا وجها يستحقون به القتل عندهم وقرأ علي رضي الله عنه ويقتلون بالتشديد
ذلك تكرار للاشارة بما عصوا بسبب ارتكابهم انواع المعاصي واعتدائهم حدود الله في كل شيء مع كفرهم بآيات
الله وقتلهم الانبياء وقيل هو اعتداؤهم في السبت ويجوز ان يشار بذلك الى الكفر وقتل الانبياء على معنى ان ذلك بسبب
عصيانهم واعتدائهم لانهم انهمكوا فيهما وغلوا حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود الآيات وقتل الانبياء او ذلك
الكفر والقتل مع ما عصوا ان الذين آمنوا بالسنتهم من غير مواطاة القلوب وهم المنافقون والذين هادوا والذين
تهودوا يقال هاد يهود وتهود اذا دخل في اليهودية وهو هائد والجمع هود والنصارى وهو جمع نصران يقال
رجل نصران وامرأة نصرانة وهي نصرانة لم تختنن والياء في نصراني للمبالغة كالتي في احمري سموا لانهم
نصروا المسيح والصابئين وهو من صبأ اذا خرج من الدين وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية
وعبدوا الملائكة من آمن من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل في ملة الاسلام دخولا اصيلا وعمل صالحا
فلهم اجرهم الذي يستوجبونه بايمانهم وعملهم فان قلت ما محل من آمن قلت الرفع ان جعلته مبتدأ خبره فلهم
اجرهم والنصب ان جعلته بدلا من اسم ان والمعطوف عليه فخبر ان في الوجه الاول الجملة كما هي وفي الثاني فلهم والفاء
لتضمن من معنى الشرط واذ اخذنا ميثاقكم بالعمل على ما في التوراة ورفعنا فوقكم الطور حتى قبلتم واعطيتم
الميثاق وذلك ان موسى عليه السلام جاءهم بالالواح فرأوا ما فيها من الآصار والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم
وابوا قبولها فامر جبريل فقلع الطور من اصله ورفعه فظلله فوقهم وقال لهم موسى ان قبلتم والا القي
عليكم حتى قبلوا خذوا على ارادة القول ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه واحفظوا
ما في الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه لعلكم تتقون رجاء منكم ان تكونوا متقين او قلنا خذوا
واذكروا ارادة ان تتقوا ثم توليتم ثم اعرضتم عن الميثاق والوفاء به فلولا فضل الله عليكم بتوفيقكم للتوبة
وقرئ خذوا ما آتيتكم وتذكروا واذكروا السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت وان ناسا
منهم اعتدوا فيه اي جاوزوا ما حد لهم فيه من التجرد للعبادة وتعظيمه واشتغلوا بالصيد وذلك ان الله عز وجل
ابتلاهم فما كان يبقى حوت في البحر الا اخرج خرطومه يوم السبت فاذا مضى تفرقت كما قال تاتيهم حيتانهم
يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تاتيهم كذلك نبلوهم فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا اليه الجداول
فكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم الاحد فذلك الحبس في الحياض هو اعتداؤهم قردة خاسئين
خبران اي كونوا جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد فجعلناها يعني المسخة نكالا
عبرة تنكل من اعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل القيد لما بين يديها لما قبلها وما خلفها وما بعدها
من الامم والقرون وقيل لما بين يديها وما خلفها ما بحضرتها من القرى والامم وقيل نكالا عقوبة منكلة لما
بين يديها لاجل ما تقدمها من ذنوبهم وما تاخر منها وموعظة للمتقين للذين نهوهم عن
الاعتداء من صالحي قومهم او لكل متق سمعها كان في بني اسرائيل شيخ موسر فقتله بنو اخيه ليرثوه
وطرحوه على باب مدينة ثم جاءوا يطالبون بديته فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى
فيخبرهم بقاتله قالوا اتتخذنا هزوا اتجعلنا مكان هزؤ او اهل هزؤ او مهزوءا بنا او الهزؤ

تتقون ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين ولقد علمتم الذين
اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها
وموعظة للمتقين واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا

قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا
ما تؤمرون قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي

نفسه لفرط الاستهزاء من الجاهلين لان الهزء في مثل هذا من باب الجهل والسفه. قرئ هزؤا بضمتين والواو وكذلك كفوا وهزءا بسكون الزاي نحو كفؤا وكفوا وقرا حفص هزوا بضمتين والواو وكذلك كفوا. والعياذ واللياذ من واد واحد. وفي قراءة عبد الله سل لنا ربك ما هي سؤال عن حالها وصفتها وذلك انهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيا فسالوا عن صفة تلك البقرة العجيبة الشان الخارجة عما عليه البقر. والفارض المسنة وقد فرضت فروضا فهي فارض قال خفاف بن ندبة. لعمري لقد اعطيت ضيفك فارضا. تساق اليه ما تقوم على رجل. وكانها سميت فارضا لانها فرضت سنها اي قطعتها وبلغت آخرها. والبكر الفتية والعوان النصف قال. نواعم بين ابكار وعون. وقد عونت. فان قلت بين يقتضي شيئين فصاعدا فمن اين جاز دخوله على ذلك قلت لانه في معنى شيئين حيث وقع مشارا به الى ما ذكر من الفارض والبكر. فان قلت كيف جاز ان يشار به الى مؤنثين وانما هو للاشارة الى واحد مذكر قلت جاز ذلك على تاويل ما ذكر وما تقدم للاختصار في الكلام كما جعلوا فعل نائبا عن افعال جمة تذكر قبله تقول للرجل نعم ما فعلت وقد ذكر لك افعالا كثيرة وقصة طويلة كما تقول له ما احسن ذاك وقد يجري الضمير مجرى اسم الاشارة في هذا قال ابو عبيدة قلت لرؤبة في قوله. فيها خطوط من سواد وبلق. كانه في الجلد توليع البهق. ان اردت الخطوط فقل كانها وان اردت السواد والبلق فقل كانهما فقال اردت كان ذاك ويلك. والذي حسن منه ان اسماء الاشارة تثنيتها وجمعها وتانيثها ليست على الحقيقة وكذلك الموصولات ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع. ما تؤمرون اي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قوله امرتك الخير او امركم بمعنى مأموركم تسمية للمفعول به بالمصدر كضرب الامير. الفقوع اشد ما يكون من الصفرة وانصعه يقال في التوكيد اصفر فاقع ووارس كما يقال اسود حالك وحانك وابيض يقق ولهق واحمر قانئ وذريحي واخضر ناضر ومدهام واورق خطباني وارمك رداني. فان قلت فاقع هنا وقع خبرا عن اللون فلم يقع توكيدا لصفراء قلت لم يقع خبرا عن اللون انما وقع توكيدا لصفراء الا انه ارتفع اللون به ارتفاع الفاعل واللون من سببها وملتبس بها فلم يكن فرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها. فان قلت فهلا قيل صفراء فاقعة واي فائدة في ذكر اللون قلت الفائدة فيه التوكيد لان اللون اسم للهيئة وهي الصفرة فكانه قيل شديدة الصفرة صفرتها فهو من قولك جد جده وجنونك مجنون. وعن وهب رضي الله عنه اذا نظرت اليها خيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها. والسرور لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه. وعن علي رضي الله عنه من لبس نعلا صفراء قل همه لقوله تسر الناظرين. وعن الحسن البصري رحمه الله صفراء فاقع لونها سوداء شديدة السواد ولعله مستعار من صفة الابل لان سوادها تعلوه صفرة وبه فسر قوله جمالات صفر. وقال الاعشى. تلك خيلي منه وتلك ركابي. هن صفر اولادها كالزبيب. ما هي مرة ثانية تكرير للسؤال عن حالها وصفتها واستكشاف زائد ليزدادوا بيانا لوصفها. وعن النبي عليه السلام لو اعترضوا ادنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم والاستقصاء شؤم. وعن بعض الخلفاء انه كتب الى عامله بان يذهب الى قوم فيقطع اشجارهم ويهدم دورهم فكتب اليه بايهما ابدا فقال ان قلت لك بقطع الشجر سالتني باي نوع منها ابدا. وعن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه اذا امرتك ان تعطي فلانا شاة سالتني اضانا ام ماعزا فان بينت لك قلت اذكرا ام انثى فان اخبرتك قلت اسوداء ام بيضاء فاذا امرتك بشيء فلا تراجعني

تراجعني

ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا
الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله
الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون

٢٤٠

وفي الحديث اعظم الناس جرما من سال عن شيء لم يحرم فحرم لاجل مسالته. ان البقر تشابه علينا اي ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا ايها نذبح. وقرئ تشابه بمعنى تتشابه بطرح التاء وادغامها في الشين وتشابهت ومتشابهة ومتشابه. وقرا محمد ذو الشامة ان الباقر يشابه بالياء والتشديد جعل الباقر في معنى البقرة. المراد ذبحها او الى ما خفي علينا من امر القاتل. وفي الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد اي لو لم يقولوا ان شاء الله. والمعنى انا لمهتدون. لا ذلول صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول يعني لم تذلل للكراب واثارة الارض ولا هي من النواضح التي يسنى عليها لسقي الحروث. ولا الاولى للنفي والثانية مزيدة لتوكيد الاولى لان المعنى لا ذلول تثير وتسقي على ان الفعلين صفتان لذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية. وقرا ابو عبد الرحمن السلمي لا ذلول بمعنى لا ذلول هناك اي حيث هي وهو نفي لذلها ولان توصف به فيقال هي ذلول ونحوه قولك مررت بقوم لا بخيل ولا جبان اي فيهم او حيث هم. وقرئ تسقي بضم التاء من اسقى. مسلمة سلمها الله من العيوب او معفاة من العمل سلمها اهلها منه كقوله او مخلصة اللون من سلم له كذا اذا خلص له لم يشب صفرتها شيء من الالوان. لا شية فيها لا لمعة في نقبتها من لون آخر سوى الصفرة فهي صفراء كلها حتى قرنها وظلفها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر ومنه ثور موشي القوائم. الآن جئت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة وما بقي اشكال في امرها. فذبحوها اي فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف كلها فذبحوها. وقوله وما كادوا يفعلون استثقال لاستقصائهم واستبطاء لهم وانهم لتطويلهم المفرط وكثرة استكشافهم ما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة في ظهور القاتل. وروي انه كان في بني اسرائيل شيخ صالح له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه فشبت وكانت من احسن البقر واسمنه فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة اربعين سنة. فان قلت كانت البقرة التي تناولها الامر بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بلون وصفات فذبحوا المخصوصة فما فعل الامر الاول. قلت رجع منسوخا لانتقال الحكم الى البقرة المخصوصة والنسخ قبل الفعل جائز على ان الخطاب كان لابهامه متناولا لهذه البقرة الموصوفة كما تناول غيرها ولو وقع الذبح عليها بحكم الخطاب قبل التخصيص لكان امتثالا له فكذلك اذا وقع عليها بعد التخصيص. واذ قتلتم نفسا خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم. فادارأتم فاختلفتم واختصمتم في شانها لان المتخاصمين يدرا بعضهم بعضا اي يدفعه ويزحمه او تدارأتم بمعنى طرح قتلها بعضكم على بعض فدفع المطروح عليه الطارح او لان الطرح في نفسه دفع او دفع بعضكم بعضا عن البراءة واتهمه. والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهر لا محالة ما كتمتم من امر القتل لا يتركه مكتوما. فان قلت كيف اعمل مخرج وهو في معنى المضي قلت قد حكى ما كان مستقبلا في وقت التدارؤ كما حكى الحاضر في قوله باسط ذراعيه. وهذه الجملة اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وهما ادارأتم وفقلنا. فقلنا اضربوه ببعضها والضمير في اضربوه اما ان يرجع الى النفس والتذكير على تاويل الشخص والانسان واما الى القتيل لما دل عليه من قوله ما كنتم تكتمون. ببعضها ببعض البقرة واختلف في البعض الذي ضرب به فقيل لسانها وقيل فخذها اليمنى

وقيل بعجبها وقيل العظم الذي يلي الغضروف وهو أصل الأذن وقيل البضعة بين الكتفين
والمعنى فضربوه فحيي فحذف ذلك لدلالة قوله كذلك يحيي الله الموتى روي أنهم لما ضربوه قام بإذن الله تعالى وأوداجه
تشخب دما وقال قتلني فلان وفلان لابني عمه ثم سقط ميتا فأخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك كذلك
يحيي الله الموتى إما أن يكون خطابا للذين حضروا حياة القتيل بمعنى وقلنا لهم كذلك يحيي الله الموتى يوم القيامة
ويريكم آياته دلائله على أنه قادر على كل شيء لعلكم تعقلون تعملون على قضية عقولكم وأن من قدر على إحياء
نفس واحدة قدر على إحياء الأنفس كلها لعدم الاختصاص حتى لا تنكروا البعث وإما أن يكون خطابا للمنكرين في زمن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن قيل هلا أحياه ابتداء ولم شرط في إحيائه ذبح البقرة وضربه ببعضها قلت
في الأسباب والشروط حكم وفوائد وإنما شرط ذلك لما في ذبح البقرة من التقرب وأداء التكاليف واكتساب
الثواب والإشعار بحسن تقديم القربة على الطلب وما في التشديد عليهم لتشديدهم من اللطف لهم ولآخرين
في ترك التشديد والمسارعة إلى امتثال أوامر الله وارتسامها على الفور من غير تفتيش وتكثير سؤال
ونفع اليتيم بالتجارة الرابحة والدلالة على بركة البر بالوالدين والشفقة على الأولاد وتجهيل الهازئ
بما لا يعلم كنهه ولا يطلع على حقيقته من كلام الحكماء وبيان أن من حق المتقرب إلى ربه أن يتنوق
في اختيار ما يتقرب به وأن يختاره فتي السن غير قحم ولا ضرع حسن اللون بريئا من العيوب يونق
من ينظر إليه وأن يغالي بثمنه كما روي عن عمر رضي الله عنه أنه ضحى بنجيبة بثلاثمائة دينار وأن الزيادة
في الخطاب نسخ له وأن النسخ قبل الفعل جائز وإن لم يجز قبل وقت الفعل وإمكانه لأدائه إلى البداء وليعلم
بما أمر من استعانة حصول الحيوة عقيبه أن المؤثر هو المسبب لا الأسباب لأن المؤثرين الحاصلين في
الجسمين لا يعقل أن يتولد منهما حيوة فإن قيل فما للقصة لم تقص على ترتيبها وكان حقها أن
يتقدم ذكر القتيل والضرب ببعض البقرة على الأمر بذبحها وأن يقال وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا
اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها قلت كل ما قص من قصص بني إسرائيل إنما قص تعديدا لما وجد
منهم من الجنايات وتقريعا لهم عليها ولما جدد فيهم من الآيات العظام وهاتان قصتان كل
واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وإن كانتا متصلتين متحدتين فالأولى لتقريعهم
على الاستهزاء وترك المسارعة إلى الامتثال وما يتبع ذلك والثانية للتقريع على قتل
النفس المحرمة وما تبعه من الآية العظيمة وإنما قدمت قصة الأمر بالذبح على ذكر القتيل
لأنه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض في تثنية التقريع ولقد روعيت نكتة
بعدما استؤنفت الثانية استئناف قصة برأسها أن وصلت بالأولى دلالة على اتحادهما بضمير
البقرة لا باسمها الصريح في قوله اضربوه ببعضها حتى تبين أنهما قصتان فيما يرجع إلى التقريع
وتثنيته بإخراج الثانية مخرج الاستئناف مع تأخيرها وأنها قصة واحدة بالضمير الراجع إلى
البقرة معنى ثم قست استبعاد القسوة من بعد ما ذكر مما يوجب لين القلوب ورقتها ونحوه ثم أنتم
تمترون وصفة القلوب بالقسوة والغلظ مثل لنبوها عن الاعتبار وأن المواعظ لا تؤثر فيها

ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار

وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل
عما تعملون أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله

وذلك إشارة إلى إحياء القتيل أو إلى جميع ما تقدم من الآيات المعدودة فهي كالحجارة في قسوتها مثل الحجارة
أو أشد قسوة منها وأشد معطوف على الكاف إما على معنى أو مثل أشد قسوة فحذف المضاف وأقيم المضاف
إليه مقامه ويعضده قراءة الأعمش بنصب الدال عطفا على الحجارة وإما على أو هي في أنفسها أشد قسوة والمعنى
أن من عرف حالها شبهها بالحجارة أو بجوهر أقسى منها وهو الحديد مثلا أو من عرفها شبهها بالحجارة أو قال
هي أقسى من الحجارة فإن قيل لم قيل أشد قسوة وفعل القسوة مما يخرج منه أفعل التفضيل وفعل التعجب قلت
لكونه أبين وأدل على فرط القسوة ووجه آخر وهو أن لا يقصد معنى الأقسى ولكن قصد وصف القسوة بالشدة
كأنه قيل اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم أشد قسوة وقرئ قساوة وترك ضمير المفضل عليه لعدم الالتباس
كقولك زيد كريم وعمرو أكرم وإن من الحجارة بيان لفضل قلوبهم على الحجارة في شدة القسوة وتقرير لقوله أو
أشد قسوة وقرئ وإن على أنها المخففة من الثقيلة التي تلزمها اللام الفارقة ومنها قوله وإن كل لما
جميع والتفجر التفتح بالسعة والكثرة وإن منها لما يشقق يتشقق فأدغم وبه قرأ الأعمش والمعنى أن
من الحجارة ما فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الكثير الغزير ومنها ما ينشق انشقاقا بالطول أو بالعرض
فينبع منه الماء أيضا يهبط يتردى من أعلى الجبل وقرئ بضم الباء والخشية مجاز عن انقيادها لأمر الله تعالى
وأنها لا تمتنع على ما يريد فيها وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تفعل ما أمرت به وقرئ يعملون بالياء والتاء وهو وعيد
أفتطمعون الخطاب لرسول الله والمؤمنين أن يؤمنوا لكم أن يحدثوا الإيمان لأجل دعوتكم ويستجيبوا لكم كقوله
فآمن له لوط يعني اليهود وقد كان فريق منهم طائفة فيمن سلف منهم يسمعون كلام الله يعني التوراة
ثم يحرفونه كما حرفوا نعت محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم وقيل كان قوم من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى
بالطور وما أمر به ونهى ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره إن استطعتم أن تفعلوا هذه الأشياء فافعلوا وإن شئتم فلا
تفعلوا فلا بأس وقرئ كلم الله من بعد ما عقلوه فهموه وضبطوه بعقولهم ولم يبق لهم شبهة في صحته
وهم يعلمون أنهم كاذبون مفترون والمعنى إن كفر هؤلاء وحرفوا فلهم سابقة في ذلك وإذا لقوا يعني اليهود
قالوا آمنا يعني منافقيهم آمنا بأنكم على الحق وأن محمدا هو الرسول المبشر به وإذا خلا بعضهم إلى بعض أي
الذين نافقوا قالوا عاتبين عليهم أتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التوراة من صفة محمد أو قال المنافقون
لأعقابهم يرونهم التصلب في دينهم أتحدثونهم إنكارا عليهم أن يفتحوا عليهم شيئا في كتابهم فينافقون المؤمنين
وينافقون اليهود ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما أنزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم بقولهم هو في كتابكم
هكذا محاجة عند الله ألا ترى أنك تقول هو في كتاب الله هكذا وهو عند الله هكذا بمعنى واحد يعلم جميع ما يسرون وما
يعلنون ومن ذلك إسرارهم الكفر وإعلانهم الإيمان ومنهم أميون لا يحسنون الكتب فيطالعوا التوراة ويتحققوا ما
فيها لا يعلمون الكتاب التوراة إلا أماني إلا ما هم عليه من أمانيهم وأن الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا يؤاخذهم بخطاياهم وأن
آباءهم الأنبياء يشفعون لهم وما يمنيهم أحبارهم من أن النار لا تمسهم إلا أياما معدودة وقيل إلا أكاذيب مختلقة
سمعوها من علمائهم فتقبلوها على التقليد قال أعرابي لابن دأب في شيء حدث به أهذا شيء رويته أم تمنيته أي اختلقته
وقيل إلا ما يقرؤون من قوله تمنى كتاب الله أول ليلة والاشتقاق من منى إذا قدر لأن المتمني يقدر في نفسه ويحزر ما يتمناه

فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ... فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون وقالوا لن تمسنا النار الا
اياما معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده ام تقولون على الله ما لا تعلمون بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته
فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذي القربى

وكذلك المختلق والقارئ يقتدر ان كلمة كذا بعد كذا والحاما في من الاستثنا المنقطع وقرى اماني بالتخفيف
ذكر العلماء الذين عاندوا وابوا التحريف مع العلم والاستيقان ثم العوام الذين قلدوهم ونبه على انهم في الضلال
سواء لان العالم عليه ان يعمل بعلمه وعلى العامي ان لا يرضى بالتقليد والظن وهو متمكن من العلم **فويل للذين يكتبون**
الكتاب المحرف **بايديهم** تاكيد وهو من مجاز التاكيد كما تقول لمن ينكر معرفة ما كتبه يا هذا كتبته بيمينك هذه **مما**
يكسبون من الرشى **وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة** اربعين يوما عدد ايام عبادة العجل وعن مجاهد كانوا يقولون
مدة الدنيا سبعة الاف سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما **فلن يخلف** متعلق بمحذوف تقديره ان اتخذتم عند الله
عهدا فلن يخلف الله عهده **ام** اما ان تكون معادلة بمعنى اي الامرين كائن على سبيل التقرير للعلم بوقوع
احدهما ويجوز ان تكون منقطعة **بلى** اثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله لن تمسنا النار اي بلى تمسكم ابدا بدليل قوله
هم فيها خالدون **من كسب سيئة** من السيئات يعني كبيرة من الكبائر **واحاطت به خطيئته** تلك واستولت عليه كما يحيط
العدو ولم يتفص عنها بالتوبة وقرى خطاياه وخطيئاته وقيل الاحاطة كان ذنبه اغلب من طاعته وسال
رجل الحسن عن الخطيئة فقال سبحان الله الا اراك ذا لحية وما تدري ما الخطيئة انظر في المصحف فكل اية نهى الله عنها
واخبرك انه من عمل بها ادخله النار فهي الخطيئة المحيطة **واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون** اخبار في معنى النهي
كما تقول تذهب الى فلان تقول له كذا تريد الامر وهو ابلغ من صريح الامر والنهي لانه كانه سورع الى الامتثال
والانتهاء فهو يخبر عنه وتنصره قراءة عبد الله وابي لا تعبدوا ولا بد من ارادة القول ويدل عليه ايضا قوله وقولوا وقوله
وبالوالدين احسانا فانه اما ان يقدر وتحسنون او واحسنوا وقيل هو جواب قوله اخذنا ميثاق بني اسرائيل اجراء له
مجرى القسم كانه قيل واذ اقسمنا عليهم لا تعبدون وقيل معناه ان لا تعبدوا فلما حذفت ان رفع كقوله الا ايهذا
الزاجري احضر الوغى ويدل عليه قراءة عبد الله ان لا تعبدوا ويحتمل ان لا تعبدوا ان تكون ان مفسرة وان
تكون ان مع الفعل بدلا عن الميثاق كانه قيل اخذنا ميثاق بني اسرائيل توحيدهم وقرى بالتاء حكاية لما خوطبوا
به ... **حسنا** ... حسنه لافراط حسنه وقرى حسنا وحسنى على المصدر كبشرى **ثم**
توليتم على طريقة الالتفات اي توليتم عن الميثاق ورفضتموه **الا قليلا منكم** يريد به من الذين اسلموا منهم **وانتم**
معرضون وانتم قوم عادتكم الاعراض عن المواثيق والتولية **واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون**
انفسكم لا يفعل ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به اصلا او دينا وقيل اذا قتل غيره فكانما
قتل نفسه لانه يقتص منه **ثم اقررتم** بالميثاق واعترفتم على انفسكم بلزومه وانتم تشهدون عليها كقولك فلان
مقر على نفسه بكذا شاهد عليها وقيل وانتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق
ثم انتم هؤلاء استبعاد لما اسند اليهم من القتل والاجلاء والعدوان بعد اخذ الميثاق منهم واقرارهم وشهادتهم
والمعنى ثم انتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون يعني انكم قوم اخرون غير اولئك المقرين تنزيلا لتغير الصفة
منزلة تغير الذات كما تقول رجعت بغير الوجه الذي خرجت به وقوله تقتلون بيان لقوله ثم انتم هؤلاء
وقيل هؤلاء موصول بمعنى الذين **وقرى تظاهرون** بحذف التاء وادغامها وتتظاهرون باثباتها وتظهرون
بمعنى تتظهرون اي تتعاونون عليهم **وقرى تفدوهم** وتفادوهم واسرى اسارى وهو جمع اسير ويجوز ان يكون

واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا واقيموا الصلاة واتوا الزكاة ثم توليتم الا قليلا منكم وانتم معرضون واذ اخذنا
ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم ثم اقررتم وانتم تشهدون ثم انتم هؤلاء تقتلون
انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وان ياتوكم اسارى تفادوهم وهو

٣٦

محرم عليكم اخراجهم افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى
اشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون
ولقد اتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل واتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون

مبهما بتفسيره اخراجهم **افتؤمنون** ببعض الكتاب اي بالفداء وتكفرون ببعض اي بالقتال والاجلاء وذلك ان
قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه واذا غلبوا خربوا
ديارهم واخرجوهم واذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه فعيرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم
ثم تفدونهم فيقولون امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيي ان نذل حلفاءنا **الا خزي**
قتل بني قريظة واسرهم واجلاء بني النضير وضرب الجزية وانما رد من فعل منهم ذلك الى اشد العذاب لان عصيانه
اشد وقرى يردون ويعملون بالياء والتاء فلا يخفف عنهم عذاب الدنيا بنقصان الجزية ولا ينصرهم احد
بالدفع عنهم وكذلك عذاب الاخرة **ولقد اتينا موسى الكتاب** التوراة اتاه اياها جملة واحدة **وقفينا**
اذا اتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب وقفاه به اذا اتبعه اياه يعني ارسلنا على اثره الكثير
من الرسل كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى وهم يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وارميا
وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم وقيل عيسى بالسريانية ايشوع ومريم
بمعنى الخادم وقيل المريم بالعبرية من النساء كالزير من الرجال وبه فسر قول رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه
ووزن مريم عند النحويين مفعل لان فعيلا لم يثبت في الابنية كما ثبت نحو عثير وعليب **البينات**
المعجزات الواضحات والحجج كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات وقرى
وايدناه ومنه اجد بالجيم اذا قواه يقال الحمد لله الذي اجدني بعد ضعف واوجدني بعد فقر **بروح القدس**
بالروح المقدسة كما تقول حاتم الجود ورجل صدق ووصفها بالقدس كما قال وروح منه فوصفه بالاختصاص
والتقريب للكرامة وقيل لانه لم تضمه الاصلاب والارحام الطوامث وقيل جبريل وقيل الانجيل كما قال في
القران روحا من امرنا وقيل اسم الله الاعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره والمعنى ولقد اتينا يا بني
اسرائيل انبياءكم ما اتيناهم **افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم** عن الايمان به وتوسيط بين الفاء وما
تعلقت به همزة التوبيخ والتعجب من شانهم ويجوز ان يريد ولقد اتيناهم ما اتيناهم ففعلتم ما فعلتم
ثم وبختهم على ذلك ودخول الفاء لعطفه على المقدر **ففريقا كذبتم** كموسى وعيسى **وفريقا تقتلون** كزكريا ويحيى وانما ذكر
بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية لان الامر فظيع فاريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب او ان يراد وفريقا
تقتلونهم بعد لانكم حولتم قتل محمد لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة وقال عليه السلام
عند موته ما زالت اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان قطعت ابهري **وقالوا قلوبنا غلف** جمع اغلف
اي مغشاة باغطية خلقية لا يصل اليها ما جاء به محمد عليه السلام ولا تفقهه مستعار من الاغلف
الذي لم يختن كقولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه ثم رد الله ان تكون قلوبهم مخلوقة كذلك لانها خلقت على
الفطرة والتمكن من قبول الحق بل لعنهم الله بكفرهم فهم الذين غلفوا قلوبهم بما احدثوا من الكفر الزائغ عن
الفطرة وتسببوا بذلك لمنع الالطاف التي تكون لتوقع ايمانهم وللمؤمنين فقليلا ما يؤمنون فايمانا قليلا يؤمنون
وما مزيدة وهو ايمانهم ببعض الكتاب ويجوز ان تكون القلة بمعنى العدم وقيل غلف تخفيف غلف جمع غلاف اي
قلوبنا اوعية للعلم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره وروي عن ابي عمرو قلوبنا غلف بضمتين **ولما جاءهم كتاب**

ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما
جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا
بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا

هو القرآن مصدق لما معهم من كتابهم لا يخالفه وقرئ مصدقا على الحال فإن قلت كيف جاز نصبها عن النكرة قلت
إذا وصف النكرة تخصص فصح انتصاب الحال عنه وقد وصف كتاب بقوله من عند الله وجواب لما محذوف وهو نحو كذبوا
به واستهانوا بمجيئه وما أشبه ذلك يستفتحون على الذين كفروا يستنصرون على المشركين إذا قاتلوهم قالوا اللهم
انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته وصفته في التوراة ويقولون لأعدائهم من المشركين قد أظل
زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وإرم وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم
أن نبيا يبعث منهم قد قرب أوانه والسين للمبالغة أي يسألون أنفسهم الفتح عليهم كالسين في استعجب واستسخر
أو يسأل بعضهم بعضا أن يفتح عليهم فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به بغيا وحسدا وحرصا على الرياسة
على الكافرين أي عليهم وضعا للظاهر موضع المضمر للدلالة على أن اللعنة لحقتهم لكفرهم واللام للعهد ويجوز أن
يكون للجنس ويدخلوا فيه دخولا أوليا بئسما اشتروا به أنفسهم ما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس بمعنى بئس
شيئا اشتروا به أنفسهم والمخصوص بالذم أن يكفروا واشتروا بمعنى باعوا بغيا حسدا وطلبا لما ليس لهم وهو
علة اشتروا أن ينزل لأن ينزل أو على أن ينزل أي حسدوه على أن ينزل الله من فضله الذي هو الوحي على من يشاء وتقتضي
حكمته إرساله فباءوا بغضب على غضب فصاروا أحقاء بغضب مترادف لأنهم كفروا بنبي الحق
وبغوا عليه وقيل كفروا بمحمد عليه السلام بعد عيسى وقيل بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة
وغير ذلك من أنواع كفرهم وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله مطلق فيما أنزل الله من كل كتاب قالوا نؤمن
بما أنزل علينا مقيد بالتوراة ويكفرون بما وراءه أي قالوا ذلك والحال أنهم يكفرون بما وراء التوراة وهو الحق
مصدقا لما معهم منها غير مخالف له وفيه رد لمقالتهم لأنهم إذا كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها
ثم اعترض عليهم بقتلهم الأنبياء مع ادعائهم الإيمان بالتوراة والتوراة لا تسوغ قتل الأنبياء ولقد جاءكم
موسى بالبينات وأنتم ظالمون يجوز أن يكون حالا أي عبدتم العجل وأنتم واضعون العبادة غير موضعها وأن يكون
اعتراضا بمعنى وأنتم قوم عادتكم الظلم وإذ أخذنا ميثاقكم كرر رفع الطور لما نيط به من زيادة ليست
مع الأول مع ما فيه من التوكيد واسمعوا ما أمرتم به في التوراة قالوا سمعنا قولك وعصينا أمرك فإن قلت
كيف طابق قوله جوابهم قلت طابقه من حيث إنه قال لهم اسمعوا وليكن سماعكم سماع تقبل وطاعة وأشربوا
في قلوبهم العجل أي تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما تداخل الثوب الصبغ وقوله في قلوبهم بيان لمكان
الإشراب كقوله إنما يأكلون في بطونهم نارا بكفرهم بسبب كفرهم قل بئسما يأمركم به إيمانكم بالتوراة لأنه ليس في
التوراة عبادة العجاجيل وإضافة الأمر إلى إيمانهم تهكم كما قال قوم شعيب أصلواتك تأمرك وكذلك
إضافة الإيمان إليهم وقوله إن كنتم مؤمنين تشكيك في إيمانهم وقدح في صحة دعواهم له قل إن كانت
لكم الدار الآخرة عند الله خالصة نصب على الحال من الدار الآخرة والمراد الجنة أي سالمة لكم خالصة لكم ليس
لأحد سواكم فيها حق يعني إن صح قولكم لن يدخل الجنة إلا من كان هودا من دون الناس للجنس وقيل للعهد
وهم المسلمون فتمنوا الموت لأن من أيقن أنه من أهل الجنة اشتاقها وتمنى سرعة الوصول إلى النعيم
والتخلص من الدار ذات الشوائب كما روي عن المبشرين بالجنة ما روي كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه

بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل
علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين
ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا
فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا في

قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس
فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين ولتجدنهم أحرص الناس على
حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله
بصير بما يعملون

٢٧

يطوف بين الصفين في غلالة فقال له ابنه الحسن ما هذا بزي المحاربين فقال يا بني لا يبالي أبوك على الموت
سقط أم عليه سقط الموت وعن حذيفة أنه كان يتمنى الموت فلما احتضر قال حبيب جاء على فاقة لا أفلح من
ندم يعني على التمني وقال عمار بصفين الآن ألاقي الأحبة محمدا وحزبه وكان كل واحد من العشرة يحب الموت
ويحن إليه وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل إنسان بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الأرض
يهودي ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم بما أسلفوا من موجبات النار من الكفر بمحمد وما جاء به وتحريف
كتاب الله وسائر أنواع الكفر والعصيان وقوله ولن يتمنوه أبدا من المعجزات لأنه إخبار بالغيب وكان كما
أخبر به كقوله ولن تفعلوا فإن قلت
ما أدراك أنهم لم يتمنوا قلت لأنهم لو تمنوا لنقل ذلك كما نقل سائر الحوادث ولكان ناقلوه من أهل الكتاب
وغيرهم من أولي المطاعن في الإسلام أكثر من الذر وليس منهم أحد نقل ذلك فإن قلت التمني من أعمال
القلوب وهو سر لا يطلع عليه أحد فمن أين علمت أنهم لم يتمنوا قلت ليس التمني من أعمال القلوب إنما هو قول
الإنسان بلسانه ليت لي كذا فإذا قاله قالوا تمنى وليت كلمة التمني ومحال أن يقع التحدي بما في الضمائر والقلوب
ولو كان التمني بالقلوب وتمنوا لقالوا قد تمنينا الموت في قلوبنا ولم ينقل أنهم قالوا ذلك فإن قلت لم يقولوه
لأنهم علموا أنهم لا يصدقون قلت كم حكي عنهم من أشياء قاولوا بها المسلمين من الافتراء على الله وتحريف
كتابه وغير ذلك مما علموا أنهم غير مصدقين فيه ولا محمل له إلا الكذب البحت ولم يبالوا فكيف يمتنعون
من أن يقولوا إن التمني من أفعال القلوب وقد فعلناه مع احتمال أن يكونوا صادقين في قولهم وإخبارهم عن
ضمائرهم وكان الرجل يخبر عن نفسه بالإيمان فيصدق مع احتمال أن يكون كاذبا لأنه أمر خاف لا سبيل
إلى الاطلاع عليه والله عليم بالظالمين تهديد لهم ولتجدنهم أحرص الناس على حياة هو من وجد بمعنى
علم المتعدي إلى مفعولين في قولهم وجدت زيدا ذا الحفاظ ومفعولاه هم أحرص فإن قلت لم يدخل الذين أشركوا تحت
الناس قلت بلى ولكنهم أفردوا بالذكر لأن حرصهم شديد ويجوز أن يراد وأحرص من الذين أشركوا فحذف لدلالة أحرص
الناس عليه وفيه توبيخ عظيم لأن الذين أشركوا لا يؤمنون بعاقبة وما يعرفون إلا الحياة الدنيا فحرصهم عليها لا
يستبعد لأنها جنتهم فإذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا بأعظم التوبيخ
فإن قلت لم قال على حياة بالتنكير قلت لأنه أراد حياة مخصوصة وهي الحياة المتطاولة ولذلك كانت القراءة بها أوقع من
قراءة أبي على الحياة ومن الذين أشركوا محمول على المعنى لأن معنى أحرص الناس أحرص من الناس فإن قلت لم
زاد حرصهم على حرص المشركين قلت لأنهم علموا لعلمهم بحالهم أنهم صائرون إلى النار لا محالة والمشركون لا يعلمون
ذلك وقيل أراد بالذين أشركوا المجوس لأنهم كانوا يقولون لملوكهم عش ألف نيروز وألف مهرجان وعن ابن عباس
رضي الله عنه هو قول الأعاجم زي هزار سال وقيل ومن الذين أشركوا كلام مبتدأ أي ومنهم ناس يود أحدهم على
حذف الموصوف كقوله وما منا إلا له مقام معلوم والذين أشركوا على هذا مشار به إلى اليهود لأنهم قالوا
عزير ابن الله والضمير في وما هو لأحدهم وأن يعمر فاعل بمزحزحه أي وما أحدهم بمن يزحزحه
من النار تعميره وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من مصدره وأن يعمر بدل منه ويجوز أن يكون هو مبهما
وأن يعمر موضحه والزحزحة التبعيد والإنجاء فإن قلت لو في حكايتهم ما موقعه قلت هو بمنزلة الوداد

[بين] يديه وهدى وبشرى للمؤمنين من كان عدوا لله
وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها
إلا الفاسقون

حرصهم على طريق الاستئناف **فإن قلت** كيف استقام قوله فإنه نزله جزاء للشرط **قلت** فيه وجهان أحدهما أن عادى جبريل أحد من أهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه فلو أنصفوا لأحبوه وشكروا له صنيعه في إنزاله ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم والثاني إن عاداه أحد فالسبب في عداوته أنه نزل عليك القرآن مصدقا لكتابهم وموافقا له وهم كارهون للقرآن ولموافقته لكتابهم ولذلك كانوا يحرفونه ويجحدون موافقته له كقولك إن عاداك فلان فقد آذيته وأسأت إليه **من كان عدوا لله** الآية أفرد الملكان بالذكر لفضلهما كأنهما من جنس آخر وهو مما ذكر أن التغاير في الوصف ينزل منزلة التغاير في الذات **وقرئ** ميكال بوزن قنطار وميكائل كميكاعل وميكائيل كميكاعيل وميكئل كميكعل وميكئيل كميكعيل قال ابن جني العرب إذا نطقت بالأعجمي خلطت فيه **عدو للكافرين** أراد عدو لهم فجاء بالظاهر ليدل على أن الله إنما عاداهم لكفرهم وأن عداوة الملائكة كفر وإذا كانت عداوة الأنبياء كفرا فما بال الملائكة وهم أشرف والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه أشد العقاب **ولقد أنزلنا إليك آيات بينات** إلا الفاسقون المتمردون من الكفرة وعن الحسن إذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على أعظم ذلك النوع من كفر وغيره وعن ابن عباس رضي الله عنه قال ابن صوريا لرسول الله صلى الله عليه ما جئتنا بشيء نعرفه وما أنزل عليك من آية

أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق
من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان
ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما
نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا

آية فنتبعك لها فنزلت واللام في الفاسقون للجنس والأحسن أن تكون إشارة إلى أهل الكتاب **أوكلما عاهدوا** الواو للعطف على محذوف معناه أكفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا **وقرأ** أبو السمال بسكون الواو على أن الفاسقون بمعنى الذين فسقوا فكأنه قيل وما يكفر بها إلا الذين فسقوا أو نقضوا عهد الله مرارا كثيرة **وقرئ** عوهدوا وعهدوا واليهود موسومون بالغدر ونقض العهود وكم أخذ الله الميثاق منهم ومن آبائهم فنقضوا وكم عاهدهم رسول الله صلى الله عليه فلم يفوا الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة **والنبذ** الرمي بالذمام ورفضه **وقرأ** عبد الله نقضه فريق منهم وقال فريق منهم لأن منهم من لم ينقض بل أكثرهم لا يؤمنون بالتوراة وليسوا من الدين في شيء فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا ولا يبالون به **رسول من عند الله مصدق لما معهم** كان فريق منهم بها ينبذون لها **ونبذ** كتاب الله القرآن نبذوه بعدما لزمهم تلقيه بالقبول كأنهم لا يعلمون أنه كتاب الله لا يداخلهم فيه شك يعني أن علمهم بذلك رصين ولكنهم كابروا وعاندوا ونبذوه وراء ظهورهم مثل لتركهم وإعراضهم عنه مثل بما يرمى به وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات إليه وعن الشعبي هو بين أيديهم يقرؤونه ولكنهم نبذوا العمل به وعن سفيان أدرجوه في الديباج والحرير وحلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه **واتبعوا ما تتلوا الشياطين** الآية واتبعوا أي نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلوا الشياطين يعني اتبعوا كتب السحر والشعوذة التي كانت تقرؤها على ملك سليمان أي على عهد ملكه وفي زمانه وذلك أن الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يضمون إلى ما سمعوا أكاذيب يلفقونها ويلقونها إلى الكهنة وقد دونوها في كتب يقرؤونها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في زمن سليمان حتى قالوا إن الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم لسليمان ملكه إلا بهذا العلم وبه تسخر الإنس والجن والريح التي تجري بأمره **وما كفر سليمان** تكذيب للشياطين ودفع لما بهتت به سليمان من اعتقاد السحر والعمل به وسماه كفرا ولكن الشياطين هم الذين كفروا باستعمال السحر وتدوينه يعلمون الناس السحر يقصدون به إغواءهم وإضلالهم **وما أنزل على الملكين** عطف على السحر أي ويعلمونهم ما أنزل على الملكين وقيل هو عطف على ما تتلو أي واتبعوا ما أنزل وهاروت وماروت عطف بيان للملكين علمان لهما والذي أنزل عليهما علم السحر ابتلاء من الله تعالى للناس من تعلمه منهم وعمل به كان كافرا ومن تجنبه أو تعلمه لا ليعمل به ولكن ليتوقاه ولئلا يغتر به كان مؤمنا عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه كما ابتلى قوم طالوت بالنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني **وقرأ** الحسن على الملكين بكسر اللام على أن المنزل عليهما علم السحر كانا ملكين ببابل وما يعلمان الملكان أحدا حتى ينبهاه وينصحاه ويقولا له إنما نحن فتنة أي ابتلاء واختبار من الله فلا تكفر فلا تتعلم معتقدا أنه حق فتكفر **فيتعلمون** الضمير لما دل عليه من أحد أي فيتعلم الناس من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه أي علم السحر الذي يكون سببا في التفريق بين الزوجين من حيلة وتمويه كالنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده الفرك والنشوز والخلاف ابتلاء منه لا أن السحر له أثر في نفسه بدليل قوله وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله لأنه ربما أحدث الله عنده فعلا من أفعاله وربما لم يحدث **ويتعلمون ما يضرهم** ولا ينفعهم لأنهم يقصدون به الشر وفيه أن اجتنابه أصلح كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن أن تجر إلى الغواية **ولقد علموا** هؤلاء اليهود أن من اشتراه

اي استبدلوا ما تتلوا الشياطين على كتاب الله **ما له في الآخرة** من خلاق من نصيب **ولبئس ما شروا به انفسهم** اي
باعوها وقرا الحسن الشياطون وعن بعض العرب بستان فلان حوله بساتون وقد ذكر وجهه فيما بعد
وقرا الزهري هاروت وماروت بالرفع على انهما هاروت وماروت وهما اسمان عجميان بدليل منع الصرف
ولو كانا من الهرت والمرت وهو الكسر كما زعم بعضهم لانصرفا **وقرا** طلحة وما يعلمان من احد من اعلم
وقرى بين المر بضم الميم وكسره مع الهمز والمر بالتشديد على تقدير التخفيف والوقف كقولهم
فرج واجراء الوصل مجرى الوقف **وقرا** الاعمش وما هم بضاري بطرح النون والاضافة الى احد والفصل
بينهما بالظرف **فان قلت** كيف يضاف الى احد وهو مجرور بمن **قلت** جعل الجار جزءا من المجرور **فان قلت**
كيف اثبت لهم العلم اولا في قوله ولقد علموا على سبيل التوكيد القسمي ثم نفاه عنهم في قوله لو كانوا يعلمون **قلت** معناه
لو كانوا يعملون بعلمهم جعلهم حين لم يعملوا بما علموا به كانهم منسلخون عنه **ولو انهم آمنوا** برسول الله والقرآن واتقوا الله فتركوا ما هم
عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين لمثوبة من عند الله خير وقرى لمثوبة كمشورة ومشورة لو كانوا يعلمون ان ثواب
الله خير مما هم فيه وقد علموا لكنه جهلهم لترك العمل بالعلم **فان قلت** كيف اوثرت الجملة الاسمية على الفعلية في جواب لو
قلت لما في ذلك من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها كما عدل عن النصب الى الرفع في سلام عليكم لذلك **فان قلت** فهلا قيل
لمثوبة الله خير **قلت** لان المعنى لشيء من الثواب خير لهم ويجوز ان يكون قوله ولو انهم آمنوا تمنيا لايمانهم على سبيل المجاز عن ارادة
الله ايمانهم واختيارهم له كانه قيل وليتهم آمنوا ثم ابتدى لمثوبة من عند الله خير **يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا**
كان المسلمون يقولون لرسول الله اذا القى عليهم شيئا من العلم راعنا يا رسول الله اي راقبنا وانتظرنا وتان بنا حتى نفهمه
ونحفظه وكانت لليهود كلمة يتسابون بها عبرانية او سريانية وهي راعينا فلما سمعوا بقول المومنين راعنا افترصوه
وخاطبوا به الرسول وهم يعنون به تلك المسبة فنهي المومنون عنها وامروا بما هو في معناها وهو انظرنا من نظره اذا
انتظره وقرا ابي انظرنا من النظرة اي امهلنا حتى نحفظ وقرا عبد الله بن مسعود راعونا على انهم كانوا
يخاطبونه بلفظ الجمع للتوقير وقرا الحسن راعنا بالتنوين من الرعن وهو الهوج اي لا تقولوا قولا راعنا
منسوبا الى الرعن بمعنى رعنيا كدارع ولابن لانه لما اشبه قولهم راعينا وكان سببا للسب اتصف بالرعن
واسمعوا واحسنوا سماع ما يكلمكم به رسول الله ويلقي عليكم من المسائل بآذان واعية واذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا
الى الاستعادة وطلب المراعاة او واسمعوا سماع قبول وطاعة ولا يكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا
سمعنا وعصينا او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا ترجعوا الى ما نهيتم عنه تاكيدا عليهم ترك تلك الكلمة وروي
ان سعد بن معاذ سمعها منهم فقال يا اعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها للرسول
لاضربن عنقه فقالوا اولستم تقولونها فنزلت **وللكافرين** ولليهود الذين تهاونوا برسول الله وسبوه عذاب اليم
ما يود الذين كفروا من الاولى للبيان لان الذين كفروا جنس تحته نوعان اهل الكتاب والمشركون كقوله لم يكن الذين كفروا
من اهل الكتاب والمشركين والثانية مزيدة لاستغراق الجنس والثالثة لابتداء الغاية والخير الوحي وكذلك
الرحمة كقوله اهم يقسمون رحمة ربك والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم وما يحبون
ان ينزل عليكم شيء من الوحي والله يختص بالنبوة من يشاء ولا يشاء الا ما تقتضيه الحكمة والله ذو الفضل العظيم اشعار

ما ننسخ من آية او ننسها نات بخير منها او مثلها الم تعلم ان الله على كل شيء قدير الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير
ام تريدون ان تسالوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من
بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى ياتي الله بامره ان الله على كل شيء قدير واقيموا الصلوة

بان ايتاء النبوة من الفضل العظيم كقوله ان فضله كان عليك كبيرا **ما ننسخ من آية** الآية روي انهم طعنوا في النسخ
فقالوا الا ترون الى محمد يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا فنزلت
وقرى ما ننسخ من آية وما ننسخ بضم النون من انسخ او ننساها وقرى او ننسها وننسيها بالتشديد
وتنسها وتنسها على خطاب الرسول وقرا عبد الله ما ننسك من آية او ننسخها **وقرا** حذيفة ما ننسخ من آية او ننسكها
ونسخ الآية ازالتها بابدال اخرى مكانها وانساخها الامر بنسخها وهو ان يامر جبريل بان يجعلها منسوخة بالاعلام
بنسخها ونسوها تاخيرها واذهابها لا الى بدل وانساؤها ان يذهب بحفظها عن القلوب والمعنى ان كل آية نذهب
بها على ما يوجبه المصلحة من ازالة لفظها وحكمها معا او من ازالة احدهما الى بدل وغير بدل نات بآية خير منها
للعباد اي بآية العمل بها اكثر للثواب او مثلها في ذلك ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على الخير وما هو خير منه وعلى
مثله في الخير **الم تعلم ان الله** له ملك السموات والارض فهو يملك اموركم ويدبرها ويجريها على حسب ما يصلحكم
وهو اعلم بما يتعبدكم به من ناسخ ومنسوخ كما بين لهم انه مالك امورهم ومدبرها على حسب مصالحهم
من نسخ الآيات وغيره وقررهم على ذلك بقوله الم تعلم اراد ان يوصيهم بالثقة به فيما امروا به مما اصلح لهم مما
يتعبدهم به وينزل عليهم وان لا يقترحوا على رسولهم ما اقترحه آباء اليهود على موسى من الاشياء التي كانت
عاقبتها وبالا عليهم كقولهم اجعل لنا الها ارنا الله جهرة وغير ذلك **ومن يتبدل الكفر بالايمان**
ومن ترك الثقة بالآيات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل سواء السبيل **ود كثير من اهل الكتاب** الآية
روي ان فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد
وقعة احد الم تروا ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وافضل ونحن اهدى
منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني قد عاهدت الله ان لا اكفر بمحمد ما عشت
فقالت اليهود اما هذا فقد صبا وقال حذيفة واما انا فقد رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا وبالقرآن
اماما وبالكعبة قبلة وبالمومنين اخوانا ثم اتيا رسول الله واخبراه فقال اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت **فان قلت**
بم تعلق قوله من عند انفسهم **قلت** فيه وجهان احدهما ان يتعلق بود على معنى انهم تمنوا ان ترتدوا عن دينكم وتمنيهم
ذلكم من عند انفسهم ومن قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لانهم ودوا ذلك من بعد ما تبين لهم انكم على الحق
فكيف يكون تمنيهم من قبل الحق واما ان يتعلق بحسدا اي حسدا متبالغا منبعثا من اصل نفوسهم فاعفوا
واصفحوا فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة حتى ياتي الله بامره الذي هو قتال
قريظة واجلاء بني النضير واذلالهم بضرب الجزية عليهم ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على الانتقام منهم
واقيموا الصلوة الآية من خير من حسنة من صلوة او صدقة او غيرهما تجدوه عند الله تجدوا ثوابه عند الله ان الله بما تعملون
بصير عالم لا يضيع عنده عمل عامل **وقالوا لن يدخل الجنة** الضمير في وقالوا لاهل الكتاب من اليهود والنصارى
والمعنى وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصارى فلف بين القولين ثقة
بان السامع يرد الى كل فريق قوله وامنا من الالباس لما علم من التعادي بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما
لصاحبه ونحوه وقالوا كونوا هودا او نصارى **والهود** جمع هائد كعائذ وعوذ وبازل وبزل **فان قلت** كيف قيل

وقالت النصارى ليست اليهود على شيء ... ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها

فإن قلت كيف قيل كان هودا على توحيد الاسم وجمع الخبر قلت حمل الاسم على لفظ من والخبر على معناه
كقراءة الحسن إلا من هو صالوا الجحيم وقوله فإن له نار جهنم خالدين وقرأ أبي بن كعب إلا من كان يهوديا
أو نصرانيا فإن قلت لم قيل تلك أمانيهم وقولهم لن يدخل الجنة أمنية واحدة قلت أشير بها إلى الأماني المذكورة
وهي أمنيتهم أن لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وأمنيتهم أن يردوهم كفارا وأمنيتهم أن لا يدخل
الجنة غيرهم أي تلك الأماني الباطلة أمانيهم وقوله قل هاتوا برهانكم متصل بقولهم لن يدخل الجنة إلا من كان
هودا أو نصارى وتلك أمانيهم اعتراض أو أريد أمثال تلك الأمنية أمانيهم على حذف المضاف وإقامة
المضاف إليه مقامه يريد أن أمانيهم جميعا في البطلان مثل أمنيتهم هذه والأمنية أفعولة من
التمني مثل الأضحوكة والأعجوبة هاتوا برهانكم هلموا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة إن كنتم صادقين في
دعواكم وهذا أهدم شيء لمذهب المقلدين وأن كل قول لا دليل عليه فهو باطل غير ثابت وهات
صوت بمنزلة هاء في معنى أحضر بلى من أسلم إثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من أسلم وجهه لله من
أخلص نفسه له لا يشرك به غيره وهو محسن في عمله فله أجره الذي يستوجبه فإن قلت من أسلم وجهه كيف موقعه قلت
يجوز أن يكون بلى ردا لقولهم ثم يقع من أسلم كلاما مبتدأ ويكون من متضمنا لمعنى الشرط وجوابه فله أجره وأن يكون من أسلم فاعلا
لفعل محذوف أي بلى يدخلها من أسلم ويكون قوله فله أجره كلاما معطوفا على يدخلها من أسلم وقالت اليهود ليست النصارى على شيء
يعتد به وهذه مبالغة عظيمة لأن المحال والمعدوم يقع عليهما اسم الشيء فإذا نفي إطلاق اسم الشيء عليه فقد بولغ في ترك الاعتداد
به إلى ما ليس بعده وهذا كقولهم أقل من لا شيء وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس أي قالوا ذلك وحالهم
أنهم من أهل العلم والتلاوة للكتب وحق من حمل التوراة أو الإنجيل أو غيرهما من كتب الله وآمن به أن لا يكفر
بالباقي لأن كل واحد من الكتابين مصدق للثاني شاهد بصحته وكذلك كتب الله جميعا متواردة في تصديق بعضها
بعضا كذلك أي مثل ذلك الذي سمعت به على ذلك المنهاج قال الجهلة الذين لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة
الأصنام والمعطلة ونحوهم قالوا لكل أهل دين ليسوا على شيء وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا أنفسهم
مع علمهم في سلك من لا يعلم وروي أن وفد نجران لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه أتاهم أحبار اليهود فتناظروا
حتى ارتفعت أصواتهم فقالت اليهود ما أنتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى والإنجيل وقالت النصارى لهم نحوه وكفروا
بموسى والتوراة فالله يحكم بين اليهود والنصارى يوم القيامة بما يقسم لكل فريق منهم من العقاب الذي
استحقه وعن الحسن حكم الله بينهم أن يكذبهم ويدخلهم النار ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر
ثاني مفعولي منع لأنك تقول منعته كذا ومثله وما منعنا أن نرسل وما منع الناس أن يؤمنوا ويجوز أن
يحذف حرف الجر مع أن ولك أن تنصبه مفعولا له بمعنى منعها كراهة أن يذكر وهو حكم عام لجنس مساجد
الله وأن مانعها من ذكر الله مفرط في الظلم والسبب فيه أن النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الأذى
ويمنعون الناس أن يصلوا فيه وأن الروم غزوا أهله فخربوه وأحرقوا التوراة وقتلوا وسبوا وقيل
منع المشركين رسول الله أن يدخل المسجد الحرام عام الحديبية فإن قلت كيف قيل مساجد الله وإنما وقع المنع
والتخريب على مسجد واحد وهو بيت المقدس أو المسجد الحرام قلت لا بأس أن يجيء الحكم عاما وإن كان السبب خاصا

وجه لله إن الله واسع عليم وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والأرض كل له قانتون بديع السموات والأرض

كما تقول لمن آذى صالحا واحدا ومن أظلم ممن آذى الصالحين وكما قال الله عز وعلا ويل لكل همزة لمزة
والمنزول فيه الأخنس بن شريق وسعى في خرابها بانقطاع الذكر أو بتخريب البنيان وينبغي أن يراد بمن
منع العموم كما أريد بمساجد الله ولا يراد الذين منعوا بأعيانهم من أولئك النصارى أو المشركين
أولئك المانعون ما كان لهم أن يدخلوها أي ما كان ينبغي لهم أن يدخلوا مساجد الله إلا خائفين على حال
التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين أن يبطشوا بهم فضلا أن يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا
المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق والواجب إلا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم وقيل ما كان لهم في حكم الله يعني
أن الله قد حكم وكتب في اللوح أنه ينصر المؤمنين ويقويهم حتى لا يدخلوها إلا خائفين وروي أنه لا يدخل بيت المقدس
أحد من النصارى إلا متنكرا مسارقة وقال قتادة لا يوجد نصراني في بيت المقدس إلا نهك ضربا وأبلغ إليه
في العقوبة وقيل نادى رسول الله صلى الله عليه ألا لا يحجن بعد هذا العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان وقرأ عبد الله
إلا خيفا وهو مثل صيم وقد اختلف الفقهاء في دخول الكافر المسجد فجوزه أبو حنيفة ولم يجوزه مالك وفرق الشافعي بين المسجد
الحرام وغيره وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه كقوله وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله لهم في الدنيا خزي
قتل وسبي أو ذلة بضرب الجزية وقيل فتح مدائنهم قسطنطينية ورومية وعمورية ولله المشرق
والمغرب أي بلاد المشرق والمغرب والأرض كلها لله وهو مالكها ومتوليها فأينما تولوا ففي أي مكان فعلتم التولية يعني تولية وجوهكم
شطر القبلة بدليل قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره فثم وجه الله أي جهته
التي أمر بها ورضيها والمعنى أنكم إذا منعتم أن تصلوا في المسجد الحرام أو في بيت المقدس فقد جعلت لكم الأرض
مسجدا فصلوا في أي بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا التولية فيها فإن التولية ممكنة في كل مكان لا يختص
إمكانها في مسجد دون مسجد ولا في مكان دون مكان إن الله واسع الرحمة يريد التوسعة على عباده
والتيسير عليهم عليم بمصالحهم وعن ابن عمر نزلت في صلاة المسافر على الراحلة أينما توجهت وعن عطاء
عميت القبلة على قوم فصلوا إلى أنحاء مختلفة فلما أصبحوا تبينوا خطأهم فعذروا وقيل معناه فأينما
تولوا للدعاء والذكر ولم يرد الصلاة وقرأ الحسن فأينما تولوا بفتح التاء من التولي يريد فأينما توجهوا
القبلة وقالوا اتخذ الله ولدا وقرئ بغير واو يريد الذين قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن الله والملائكة بنات الله سبحانه
تنزيه له وتبعيد عن ذلك بل له ما في السموات والأرض هو خالقه ومالكه ومن جملته الملائكة وعزير والمسيح
كل له قانتون منقادون لا يمتنع شيء منهم على تكوينه وتقديره ومشيئته ومن كان بهذه الصفة لم يجانس ومن
حق الولد أن يكون من جنس الوالد والتنوين في كل عوض من المضاف إليه أي كل ما في السموات والأرض ويجوز أن
يراد كل من جعلوه لله ولدا له قانتون مطيعون عابدون مقرون بالربوبية منكرون لما أضافوا إليهم فإن قلت
كيف جاء بما الذي لغير أولي العلم مع قوله قانتون قلت هو كقوله سبحان ما سخركن لنا وكأنه جاء بما دون من
تحقيرا لهم وتصغيرا لشأنهم كقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا بديع السموات والأرض
بديع كقولك بدع الرجل فهو بديع وبديع السموات من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها أي بديع سمواته وأرضه
وقيل البديع بمعنى المبدع كما أن السميع في قول عمرو أمن ريحانة الداعي السميع بمعنى المسمع وفيه نظر

ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى
قوم يوقنون انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسال عن اصحاب الجحيم
وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله او تاتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات

كن فيكون من كان التامة اي احدث فيحدث وهذا مجاز من الكلام وتمثيل ولا قول ثم كما لا قول في قوله اذ قالت الانساع للبطن الحق وانما المعنى ان ما قضاه من الامور واراد كونه فانما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف كما ان المامور المطيع الذي يومر فيمتثل لا يتوقف ولا يمتنع ولا يكون منه الاباء اكد بهذا استبعاد الولادة لان من كان بهذه الصفة من القدرة كانت حاله مباينة لاحوال الاجسام في توالدها وقرئ بديع السموات مجرورا على انه بدل من الضمير في له وقرا المنصور بالنصب على المدح وقال الذين لا يعلمون وهم الجهلة من المشركين وقيل من اهل الكتاب ونفى عنهم العلم لانهم لم يعملوا به لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة وكلم موسى استكبارا منهم وعتوا او تاتينا آية جحودا لان يكون ما اتاهم من آيات الله آيات واستهانة بها تشابهت قلوبهم اي قلوب هولاء ومن قبلهم في العمى كقوله اتواصوا به قد بينا الآيات لقوم يوقنون ينصفون فيوقنون انها آيات يجب الاعتراف بها والاذعان لها والاكتفاء بها عن غيرها انا ارسلناك لان تبشر وتنذر لا لتجبر على الايمان وهذه تسلية لرسول الله وتسرية عنه لانه كان يغتم ويضيق صدره لاصرارهم وتصميمهم على الكفر ولا تسال عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يومنوا بعد ان بلغت وبلغت جهدك في دعوتهم كقوله فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقرئ ولا تسال عن اصحاب الجحيم على النهي روي انه قال ليت شعري ما فعل ابواي فنهي عن السوال عن احوال الكفرة والاهتمام باعداء الله وقيل معناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب كما تقول كيف فلان سايلا عن الواقع في بلية فيقال لك لا تسال عنه ووجه التعظيم ان المستخبر يجزع ان يجري على لسانه ما هو فيه لفظاعته فلا تساله ولا تكلفه ما يضجره او انت يا مستخبر لا تقدر على استماع خبره لايحاشه السامع واضجاره فلا تسال وتعضد القراءة الاولى قراءة عبد الله ولن تسال وقراءة ابي وما تسال كانهم قالوا لن نرضى عنك وان ابلغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا اقناطا منهم لرسول الله عن دخولهم في الاسلام فحكى الله عز وعلا كلامهم ولذلك قال قل ان هدى الله هو الهدى على طريقة اجابتهم عن قولهم يعني ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى بالحق والذي يصح ان يسمى هدى وهو الهدى كله ليس وراءه هدى وما تدعون الى اتباعه ما هو بهدى انما هو هوى الا ترى الى قوله ولئن اتبعت اهواءهم اي اقوالهم التي هي اهواء وبدع بعد الذي جاءك من العلم اي من الدين المعلوم صحته بالبراهين الصحيحة الذين آتيناهم الكتاب هم مومنو اهل الكتاب يتلونه حق تلاوته لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله اولئك يومنون بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر به من المحرفين فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الضلالة بالهدى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات اختبره باوامر ونواه واختبار الله عبده مجاز عن تمكينه من اختيار احد الامرين ما يريد الله وما يشتهيه العبد كانه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك وقرا ابو حنيفة رحمه الله وهي قراءة ابن عباس رضي الله عنه ابراهيم ربه رفع ابراهيم ونصب ربه والمعنى انه دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه اليهن ام لا فان قلت الفاعل على القراءة المشهورة يلي الفعل في التقدير فتعليق الضمير به اضمار قبل الذكر قلت الاضمار قبل الذكر ان يقال ابتلى ربه ابراهيم فاما ابتلى ابراهيم ربه او ابتلى ربه ابراهيم فليس واحد منهما باضمار

واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى

قبل الذكر اما الاول ففيه ذكر صاحب الضمير قبل الضمير ذكرا ظاهرا واما الثاني فابراهيم فيه متقدم في المعنى وليس كذلك ابتلى ربه ابراهيم فان الضمير فيه قد تقدم لفظا ومعنى فلا سبيل الى صحته والمستكن في فاتمهن في احدى القراءتين لابراهيم بمعنى فقام بهن حق القيام واداهن احسن التادية من غير تفريط وتوان ونحوه وابراهيم الذي وفى وفي الاخرى لله تعالى بمعنى فاعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيا ويعضده ما روي عن مقاتل انه فسر الكلمات بما سال ابراهيم ربه في قوله رب اجعل هذا بلدا امنا واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم رسولا ربنا تقبل منا فان قلت ما العامل في اذ قلت اما مضمر نحو واذكر اذ ابتلى او اذ ابتلاه كان كيت وكيت واما قال اني جاعلك فان قلت فما موقع قال قلت هو على الاول استيناف كانه قيل فماذا قال له ربه حين اتم الكلمات فقيل قال اني جاعلك للناس اماما وعلى الثاني جملة معطوفة على ما قبلها ويجوز ان يكون بيانا لقوله ابتلى وتفسيرا له فيراد بالكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام قبل ذلك في قوله اذ قال له ربه اسلم وقيل في الكلمات هي خمس في الراس الفرق وقص الشارب والسواك والمضمضة والاستنشاق وخمس في البدن الختان والاستحداد والاستنجاء وتقليم الاظفار ونتف الابط وقيل ابتلاه بثلاثين خصلة من شرائع الاسلام عشر في براءة التائبون العابدون وعشر في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات وعشر في المومنون وسال سايل الى قوله والذين هم على صلاتهم يحافظون وقيل هي مناسك الحج كالطواف والسعي والرمي والاحرام والتعريف وغيرهن وقيل ابتلاه بالكوكب والقمر والشمس والختان وذبح ابنه والنار والهجرة والامام اسم من يوتم به على زنة الآلة كالازار لما يوتزر به اي ياتمون بك في دينهم ومن ذريتي عطف على الكاف كانه قال وجاعل بعض ذريتي كما يقال لك ساكرمك فتقول وزيدا لا ينال عهدي الظالمين وقرئ الظالمون اي من كان ظالما من ذريتك لا يناله استخلافي وعهدي اليه بالامامة وانما ينال من كان عادلا بريا من الظلم وقالوا في هذا دليل على ان الفاسق لا يصلح للامامة وكيف يصلح لها من لا يجوز حكمه وشهادته ولا تجب طاعته ولا يقبل خبره ولا يقدم للصلوة وكان ابو حنيفة رضي الله عنه يفتي سرا بوجوب نصرة زيد بن علي رضي الله عنه وحمل المال اليه والخروج معه على اللص المتغلب المتسمي بالامام والخليفة كالدوانيقي واشباهه وقالت له امراة اشرت على ابني بالخروج مع ابراهيم ومحمد ابني عبد الله بن الحسن حتى قتل فقال ليتني مكان ابنك وكان يقول في المنصور واشياعه لو ارادوا بناء مسجد وارادوني على عد آجره لما فعلت وعن ابن عيينة لا يكون الظالم اماما قط وكيف يجوز نصب الظالم للامامة والامام انما هو لكف الظلمة فاذا نصب من كان ظالما في نفسه فقد جاء المثل السائر من استرعى الذيب ظلم واذ جعلنا البيت اي الكعبة وهو اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا مثابة للناس مباءة ومرجعا للحجاج والعمار يتفرقون عنه ثم يثوبون اليه اي يثوب اليه اعيان الذين يزورونه او امثالهم وامنا وموضع امن كقوله حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم ولان الجاني ياوي اليه فلا يتعرض له حتى يخرج وقرئ مثابات لانه مثابة لكل من الناس لا يختص به واحد منهم سواء العاكف فيه والبادي واتخذوا على ارادة القول اي وقلنا اتخذوا منه موضع صلوة

وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا امنا
وارزق اهله من الثمرات من امن منهم بالله واليوم الاخر قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس
المصير واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم

يصلون فيه وهو على وجه الاختيار للاستحباب دون الوجوب وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه اخذ بيد عمر فقال هذا مقام
ابراهيم فقال عمر رضي الله عنه افلا نتخذه مصلى يريد افلا نؤثره لفضله بالصلوة فيه تبركا به وتيمنا بموطئ
قدم ابراهيم فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وعن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استلم الحجر
ورمل ثلاثة اشواط ومشى اربعة حتى اذا فرغ عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرا واتخذوا من مقام
ابراهيم مصلى وقيل مصلى مدعى ومقام ابراهيم الحجر الذي فيه اثر قدميه والموضع الذي كان فيه الحجر حين
وضع عليه قدميه وهو الموضع الذي يسمى مقام ابراهيم وعن عمر رضي الله عنه انه سال المطلب بن ابي وداعة
هل تدري اين كان موضعه الاول قال نعم فاراه موضعه اليوم وعن عطاء مقام ابراهيم عرفة والمزدلفة
والجمار لانه قام في هذه المواضع ودعا فيها وعن النخعي الحرم كله مقام ابراهيم وقرئ واتخذوا بلفظ
الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس من مكان ابراهيم الذي وسم به لاهتمامه به واسكان ذريته عنده قبلة
يصلون اليها وعهدنا امرناهما ان طهرا بيتي بان طهرا او اي طهرا والمعنى طهراه من الاوثان والانجاس وطواف الجنب
والحائض والخبائث كلها او اخلصاه لهؤلاء لا يغشه غيرهم والعاكفين المجاورين الذين عكفوا عنده اي اقاموا
لا يبرحون او المعتكفين ويجوز ان يريد بالعاكفين الواقفين يعني القائمين في الصلوة كما قال للطائفين والقائمين
والركع السجود والمعنى للطائفين والمصلين لان القيام والركوع والسجود هيئات المصلي واذ قال ابراهيم
رب اجعل هذا اي اجعل هذا البلد او هذا المكان بلدا امنا ذا امن كقوله عيشة راضية او امنا من فيه كقولك ليل نائم ومن
امن منهم بدل من اهله يعني وارزق المؤمنين من اهله خاصة ومن كفر عطف على من امن كما عطف ومن ذريتي على
الكاف في جاعلك فان قلت لم خص ابراهيم عليه السلام المؤمنين حتى رد عليه قلت قاس الرزق على الامامة فعرف الفرق
بينهما بان الاستخلاف استرعاء يختص بمن ينصح المرعي وابعد الناس عن النصيحة الظالم بخلاف الرزق فانه
قد يكون استدراجا للمرزوق والزاما للحجة له والمعنى وارزق من كفر فامتعه ويجوز ان يكون من كفر
مبتدا متضمنا معنى الشرط وقوله فامتعه جوابا للشرط اي ومن كفر فانا امتعه وقرئ فامتعه فاضطره
قليلا ثم اضطره الى عذاب النار لز المضطر الذي لا يملك الامتناع مما اضطر اليه وقرا ابي فنمتعه ثم نضطره
وقرا يحيى بن وثاب فاضطره بكسر الهمزة وقرا ابن عامر فامتعه ثم اضطره على لفظ الامر والمراد
الدعاء من ابراهيم دعا ربه بذلك فان قلت فكيف تقدير الكلام على هذه القراءة قلت في قال ضمير ابراهيم اي قال ابراهيم بعد مسئلته
اختصاص المؤمنين بالرزق ومن كفر فامتعه فليلا ثم اضطره وقرا ابن محيصن فاطره بادغام الضاد في الطا كما قالوا
اطجع وهي لغة مرذولة لان الضاد من الحروف الخمسة التي يدغم فيها ما يجاورها ولا تدغم هي فيما يجاورها وهي حروف
ضم شفر واذ يرفع ابراهيم القواعد حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس والاصل
لما فوقه وهي صفة غالبة ومعناها الثابتة ومنه قعدك الله اي اسال الله ان يقعدك اي يثبتك ورفع الاساس
البناء عليها لانها اذا بني عليها نقلت عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر ويجوز
ان يكون المراد بها سافات البناء لان كل ساف قاعدة للذي يبنى عليه ويوضع فوقه ومعنى رفع القواعد رفعها
بالبناء لانه اذا وضع سافا فوق ساف فقد رفع السافات ويجوز ان يكون المعنى واذ يرفع ابراهيم ما قعد من البيت

ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا
منهم يتلو عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه

البيت اي استوطا يعني جعل هيئة القاعدة المستوطاة مرتفعة عالية بالبناء وروي انه كان مؤسسا قبل
ابراهيم فبنى على الاساس وروي ان الله تعالى انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقي وغربي
وقال لادم اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه ادم من ارض الهند اليه ماشيا وتلقته الملائكة
فقالوا بر حجك يا ادم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وحج ادم اربعين حجة من ارض الهند الى مكة
على رجليه فكان على ذلك الى ان رفعه الله ايام الطوفان الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور ثم ان الله امر ابراهيم
ببنائه وعرفه جبريل مكانه وقيل بعث الله سحابة اظلته ونودي ان ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص
وقيل بناه من خمسة اجبل طور سينا وطور زيتا ولبنان والجودي واسسه من حراء وجاء جبريل بالحجر
الاسود من السماء وقيل تمخض ابو قبيس فانشق عنه وقد خبئ فيه ايام الطوفان وكان ياقوتة بيضاء من
الجنة فلما لمسته الحيض في الجاهلية اسود وقيل كان ابراهيم يبني واسمعيل يناوله الحجارة ربنا اي
يقولان ربنا وهذا الفعل في محل النصب على الحال وقد اظهره عبد الله في قراءته ومعناه يرفعانها قائلين ربنا
انك انت السميع العليم لدعائنا العليم بضمائرنا ونياتنا فان قلت هلا قيل قواعد البيت واي فرق بين العبارتين
قلت في ابهام القواعد وتبيينها بعد الابهام ما ليس في اضافتها لما في الايضاح بعد الابهام من تفخيم لشان المبين
ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك اوجهنا من قوله اسلم وجهه لله او مستسلمين يقال اسلم له وسلم واستسلم
اذا خضع واذعن والمعنى زدنا اخلاصا او اذعانا لك وقرئ مسلمين على الجمع كانهما ارادا انفسهما
وهاجر او اجريا التثنية على حكم الجمع لانها منه ومن ذريتنا واجعل من ذريتنا امة مسلمة لك ومن للتبعيض
او للتبيين كقوله وعد الله الذين امنوا منكم فان قلت لم خصا ذريتهما بالدعاء قلت لانهم احق بالشفقة والنصيحة
قوا انفسكم واهليكم نارا ولان اولاد الانبياء اذا صلحوا صلح بهم غيرهم وشايعوهم على الخير الا ترى ان المتقدمين
من العلماء والكبراء اذا كانوا على السداد كيف يتسببون لسداد من وراءهم وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه وسلم
وارنا منقول من راى بمعنى ابصر او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين اي بصرنا متعبداتنا في الحج
او عرفناها وقيل مذابحنا وقرئ وارنا بسكون الراء قياسا على فخذ في فخذ وقد استرذل لان
الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها فاسقاطها اجحاف وقرا ابو عمرو باشمام الكسرة
وقرا عبد الله وارهم مناسكهم وتب علينا ما فرط منا من الصغائر او استتابا لذريتهما ربنا وابعث
فيهم في الامة المسلمة رسولا منهم من انفسهم وروي انه قيل له قد استجيب لك وهو في اخر الزمان فبعث
الله فيهم محمدا صلى الله عليه وسلم قال عليه السلام انا دعوة ابي ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي يتلو عليهم اياتك يقرا
عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من دلائل وحدانيتك وصدق انبيائك ويعلمهم الكتاب القران والحكمة
والشريعة وبيان الاحكام ويزكيهم ويطهرهم من الشرك وسائر الارجاس كقوله ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم
الخبائث ومن يرغب انكار واستبعاد لان يكون في العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذي هو ملة ابراهيم
ومن سفه في محل الرفع على البدل من الضمير في يرغب وصح البدل لان من يرغب غير موجب كقولك هل جاءك
احد الا زيد سفه نفسه امتهنها واستخف بها واصل السفه الخفة ومنه زمام سفيه وقيل انتصاب

ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة
لمن الصالحين اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين
ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله

اصطفى لكم الدين النفس على التمييز نحو غبن رأيه وألم رأسه ويجوز ان يكون في شذوذ تعريف المميز نحو قوله
فلا تموتن الا وانتم مسلمون ولا بفزارة الشعر الرقابا ❊ اجب الظهر ليس له سنام ❊ وقيل معناه سفه في نفسه فحذف الجار كقولهم
ام كنتم شهداء اذ حضر زيد ظني مقيم اي في ظني والوجه هو الاول وكفى شاهدا له ما جاء في الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس
يعقوب الموت وذلك انه اذا رغب عما لا يرغب عنه عاقل قط فقد بالغ في اذالة نفسه وتعجيزها حيث خالف بها كل نفس عاقلة
ولقد اصطفيناه بيان لخطأ رأي من رغب عن ملته لان من جمع الكرامة عند الله في الدارين بان كان صفوته وخيرته
في الدنيا وكان مشهودا له بالاستقامة على الخير في الآخرة لم يكن احد اولى بالرغبة في طريقته منه اذ قال ظرف لاصطفيناه
اي اخترناه في ذلك الوقت او انتصب باضمار اذكر استشهادا على ما ذكر من حاله كأنه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم
انه المصطفى الصالح الذي لا يرغب عن ملة مثله ومعنى قال له اسلم اي اذعن واطع او اخطر بباله النظر في الدلائل
المؤدية الى المعرفة والاسلام قال اسلمت اي فنظر وعرف وقيل اسلم اي اذعن واطع روي ان عبد الله بن سلام
دعا ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال في التوراة اني باعث من ولد اسمعيل
نبيا اسمه احمد من آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر ان يسلم فنزلت
ووصى بها ابراهيم بنيه وقرئ واوصى وهي في مصاحف اهل الحجاز والشام والضمير في بها لقوله اسلمت لرب العالمين على تأويل
الكلمة والجملة ونحوه رجوع الضمير في قوله وجعلها كلمة باقية الى قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني وقوله كلمة
باقية دليل على ان التأنيث على تأويل الكلمة ويعقوب عطف على ابرهيم داخل في حكمه والمعنى ووصى بها يعقوب
بنيه ايضا وقرئ يعقوب بالنصب عطفا على بنيه ومعناه ووصى بها ابرهيم بنيه ونافلته يعقوب يا بني على
اضمار القول عند البصريين وعند الكوفيين يتعلق بوصى لانه في معنى القول ونحوه قول الراجز
رجلان من ضبة اخبرانا ❊ انا رأينا رجلا عريانا ❊ بكسر الهمزة فهو بتقدير القول عندنا وعندهم يتعلق بفعل الاخبار
وفي قراءة ابي وابن مسعود رضي الله عنهما ان يا بني ان الله اصطفى لكم الدين اعطاكم الدين الذي هو صفوة الاديان
وهو دين الاسلام ووفقكم للاخذ به فلا تموتن معناه فلا يكن موتكم الا على حال كونكم ثابتين على الاسلام فالنهي
في الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الاسلام اذا ماتوا كقولك لا تصل الا وانت خاشع فلا تنهاه عن الصلاة ولكن
عن ترك الخشوع في صلاته فان قلت فاي نكتة في ادخال حرف النهي على الصلاة وليس بمنهي عنها قلت النكتة اظهار ان الصلاة
التي لا خشوع فيها كلا صلاة وكأنه قال انهاك عنها اذا لم تصلها على هذه الحالة الا ترى الى قوله عليه السلام لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد
فانه كالتصريح بقولك لجار المسجد لا تصل الا في المسجد وكذلك المعنى في الآية اظهار ان موتهم لا على حال الثبات على
الاسلام موت لا خير فيه وانه ليس بموت السعداء وان من حق هذا الموت ان لا يحل فيهم والمعنى لا تموتن اي لا يحلن
بكم الموت وكذلك اذا الفت فلا يكن معناه حلة الموت وتقول في الامر مت وانت شهيد وليس مرادك الامر
بالموت ولكن بالكون على صفة الشهداء اذا مات وانما امرته بالموت اعتدادا منك بميتته واظهارا لفضلها
على غيرها وانها حقيقة بان يحث عليها ام كنتم شهداء ام هي المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار
والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر اي ما كنتم حاضرين يعقوب عليه السلام اذ حضره الموت اي حضر اسبابه والخطاب
للمؤمنين بمعنى ما شاهدتم ذلك وانما حصل لكم العلم به من طريق الوحي وقيل الخطاب لليهود لانهم كانوا

اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون تلك امة قد
خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم
حنيفا وما كان من المشركين قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط
وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا

يقولون ما مات نبي الا على اليهودية الا انهم لو شهدوه وسمعوا ما قال لبنيه وما قالوه لظهر لهم حرصه على ملة الاسلام ولما
ادعوا عليه اليهودية فالآية منافية لقولهم فكيف يقال لهم ام كنتم شهداء ولكن الوجه ان تكون ام متصلة على ان
يقدر قبلها محذوف كأنه قيل اتدعون على الانبياء اليهودية ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت يعني ان اوائلكم
من بني اسرائيل كانوا مشاهدين له اذ اراد بنيه على التوحيد وملة الاسلام وقد علمتم ذلك فما لكم تدعون على الانبياء
ما هم منه براء وقرئ حضر بكسر الضاد وهي لغة ما تعبدون اي شيء تعبدون وما عام في كل شيء فاذا علم
فرق بما ومن وكفاك دليلا قول العلماء من لما يعقل ولو قيل من تعبدون لم يعم الا اولي العلم وحدهم ويجوز ان يقال
ما تعبدون سؤال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد افقيه ام طبيب ام غير ذلك من الصفات وابراهيم واسمعيل واسحق
عطف بيان لآبائك وجعل اسمعيل وهو عمه من جملة آبائه لان العم اب والخالة ام لانخراطهما في سلك واحد
وهو الاخوة لا تفاوت بينهما ومنه قوله عليه السلام عم الرجل صنو ابيه اي لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوي النخلة
وقال في العباس هذا بقية آبائي وقال ردوا علي ابي فاني اخشى ان تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود
وقرأ ابي واله ابراهيم بطرح آبائك وقرئ ابيك وفيه وجهان ان يكون واحدا وابراهيم وحده عطف بيان له وان
يكون جمعا بالواو والنون قال وفديننا بالابينا الها واحدا بدل من اله آبائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة
او على الاختصاص اي نريد باله آبائك الها واحدا ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او من مفعوله لرجوع
الهاء اليه في له ويجوز ان تكون جملة معطوفة على نعبد وان تكون جملة اعتراضية مؤكدة اي ومن حالنا انا
له مسلمون مخلصون التوحيد او مذعنون تلك امة قد خلت تلك اشارة الى الامة المذكورة التي هي ابرهيم ويعقوب
وبنوهما الموحدون والمعنى ان احدا لا ينفعه كسب غيره متقدما كان او متأخرا فكما ان اولئك لا ينفعهم
الا ما اكتسبوا فكذلك انتم لا ينفعكم الا ما اكتسبتم وذلك انهم افتخروا باوائلهم ونحوه قول رسول الله عليه السلام
يا بني هاشم لا يأتيني الناس باعمالهم وتأتوني بانسابكم ولا تسألون عما كانوا يعملون ولا تؤاخذون
بسيئاتهم كما لا تنفعكم حسناتهم بل ملة ابرهيم بل نكون ملة ابرهيم اي اهل ملته كقول عدي بن حاتم الطائي
اني من دين اي من اهل دين وقيل بل نتبع ملة ابرهيم وقرئ ملة ابرهيم بالرفع اي ملته ملتنا او امرنا ملته
او نحن ملته بمعنى اهل ملته وحنيفا حال من المضاف اليه كقولك رأيت وجه هند قائمة والحنيف المائل عن كل دين
باطل الى دين الحق والحنف الميل في القدمين وتحنف اذا مال وانشد ولكنا خلقنا اذ خلقنا ❊ حنيفا ديننا عن كل دين
وما كان من المشركين تعريض باهل الكتاب وغيرهم لان كلا منهم يدعي اتباع ابرهيم وهو على الشرك قولوا آمنا
بالله قولوا خطاب للمؤمنين ويجوز ان يكون خطابا للكافرين اي قولوا لتكونوا على الحق والا فانتم على الباطل وكذلك قوله
بل ملة ابرهيم يجوز ان يكون على بل اتبعوا انتم ملة ابرهيم او كونوا اهل ملته والاسباط الحفدة وكان الحسن والحسين رضي الله عنهما
سبطي رسول الله والاسباط حفدة يعقوب ذراري ابنائه الاثني عشر لا نفرق بين احد منهم لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما
فعلت اليهود والنصارى واحد في معنى الجماعة ولذلك صح دخول بين عليه فان آمنوا بمثل ما آمنتم به من باب التبكيت
لان دين الحق واحد لا مثل له وهو دين الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه فلا يوجد اذا دين آخر يماثله
دين الاسلام في كونه حقا حتى ان آمنوا بذلك الدين المماثل له كانوا مهتدين فقيل فان آمنوا بكلمة الشك على

وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم صبغة الله ومن احسن من الله صبغة ونحن له عابدون قل اتحاجوننا في الله وهو
ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون ام تقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى

على سبيل الفرض والتقدير اي فان تحصلوا دينا اخر مثل دينكم مساويا له في الصحة والسداد فقد اهتدوا وفيه دينهم
الذي هم عليه وكل دين سواه مغاير له غير مماثل له لانه حق وهدى وما سواه باطل وضلال ونحو هذا قولك للرجل الذي
تشير عليه هذا هو الراي الصواب فان كان عندك راي اصوب منه فاعمل به وقد علمت ان لا اصوب من رايك ولكنك
تريد تبكيت صاحبك وتوقيفه على ان ما رايت لا راي وراءه ويجوز ان لا تكون الباء صلة وتكون باء الاستعانة كقولك كتبت
بالقلم وعملت بالقدوم اي فان دخلوا في الايمان بشهادة مثل شهادتكم التي امنتم بها وقرا ابن عباس وابن مسعود بما امنتم
به وقرا ابي بالذي امنتم به وان تولوا عما تقولون لهم ولم ينصفوا فانما هم في شقاق اي في مناواة ومعاندة لا غير وليسوا
من طلب الحق في شيء او وان تولوا عن الشهادة والدخول في الايمان بها فسيكفيكهم الله ضمان من الله لاظهار رسول
الله عليهم وقد انجز وعده بقتل قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير ومعنى السين ان ذلك كائن لا محالة وان تاخر
الى حين وهو السميع العليم وعيد لهم اي يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرون من الحسد والغل وهو معاقبهم
عليه او وعد لرسول الله بمعنى يسمع ما تدعو به ويعلم نيتك وما تريده من اظهار دين الحق وهو مستجيب لك وموصلك الى
مرادك صبغة الله مصدر مؤكد منتصب عن قوله امنا بالله كما انتصب وعد الله عما تقدمه وهي فعلة من صبغ
كالجلسة من جلس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ والمعنى تطهير الله لان الايمان يطهر النفوس والاصل فيه ان النصارى
كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم واذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال
الان صار نصرانيا حقا فامر المسلمون بان يقولوا لهم قولوا امنا بالله وصبغنا الله بالايمان صبغة لا مثل صبغتنا
وطهرنا به تطهيرا لا مثل تطهيرنا او يقول المسلمون صبغنا الله بالايمان صبغته ولم يصبغ صبغتكم وانما جيء
بلفظ الصبغة على طريقة المشاكلة كما تقول لمن يغرس الاشجار اغرس كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع
الكرام ومن احسن من الله صبغة يعني انه يصبغ عباده بالايمان ويطهرهم به من اوضار الكفر فلا صبغة
احسن من صبغته ونحن له عابدون عطف على امنا بالله وهذا العطف يرد قول من زعم ان صبغة
الله بدل من ملة ابرهيم او نصب على الاغراء بمعنى عليكم صبغة الله لما فيه من فك النظم واخراج الكلام
عن التئامه واتساقه وانتصابها على انها مصدر مؤكد هو الذي ذكره سيبويه والقول ما قالت حذام قل اتحاجوننا
في الله وقرا زيد بن ثابت اتحاجونا بادغام النون والمعنى اتجادلوننا في شان الله واصطفائه النبي من العرب دونكم
وتقولون لو انزل الله على احد لانزل علينا وترونكم احق بالنبوة منا وهو ربنا وربكم نشترك جميعا في انا عباده وهو ربنا
يصيب برحمته وكرامته من يشاء من عباده فهو يختص بذلك لا يختص به عجمي دون عربي اذا كان اهلا للكرامة
ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم يعني ان العمل هو اساس الامر وبه العبرة وكما ان لكم اعمالا يعتبرها الله في اعطاء
الكرامة ومنعها فنحن كذلك ثم قال ونحن له مخلصون فجابهم بما هو سبب الكرامة اي نحن له موحدون نخلصه بالايمان
فلا تستبعدوا ان يؤهل اهل اخلاصه لكرامته بالنبوة وكانوا يقولون نحن احق بان تكون النبوة فينا لانا
اهل كتاب والعرب عبدة اوثان ام تقولون يحتمل فيمن قرا بالتاء ان تكون ام معادلة للهمزة في اتحاجوننا
يعني اي الامرين تاتون المحاجة في حكمة الله ام ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء والمراد بالاستفهام
عنهما انكارهما معا وان تكون منقطعة بمعنى بل اتقولون والهمزة للانكار ايضا وفيمن قرا بالياء لا تكون الا
منقطعة

قل أأنتم اعلم ام الله ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون تلك
امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم
عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وكذلك جعلناكم
امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التي كنت عليها

قل أأنتم اعلم ام الله يعني ان الله شهد لهم بملة الاسلام في قوله ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ومن
اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله اي كتم شهادة الله التي عنده انه شهد بها وهي شهادته لابرهيم بالحنيفية ويحتمل معنيين
احدهما ان اهل الكتاب لا احد اظلم منهم لانهم كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها والثاني انا لو كتمنا هذه الشهادة
لم يكن احد اظلم منا فلا نكتمها وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد عليه السلام بالنبوة في كتبهم وساير شهاداته ومن
في قوله شهادة عنده من الله مثلها في قولك هذه شهادة مني لفلان اذا شهدت له ومثله براءة من الله ورسوله سيقول
السفهاء من الناس الخفاف الاحلام وهم اليهود لكراهتهم التوجه الى الكعبة وانهم لا يرون النسخ وقيل
المنافقون لحرصهم على الطعن والاستهزاء وقيل المشركون قالوا رغب عن قبلة ابائه ثم رجع اليها والله ليرجعن
الى دينهم فان قلت اي فائدة في الاخبار بقولهم قبل وقوعه قلت فائدته ان مفاجاة المكروه اشد والعلم به قبل وقوعه
ابعد من الاضطراب اذا وقع لما يتقدمه من توطين النفس وان الجواب العتيد قبل الحاجة اليه اقطع للخصم وارد لشغبه
وقبل الرمي يراش السهم ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم وهي بيت المقدس لله المشرق والمغرب اي بلاد المشرق والمغرب
والارض كلها لله يهدي من يشاء من اهلها الى صراط مستقيم وهو ما توجبه الحكمة والمصلحة من توجيههم تارة الى
بيت المقدس واخرى الى الكعبة وكذلك جعلناكم ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم امة وسطا خيارا وهي صفة بالاسم
الذي هو وسط الشيء ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ونحوه قوله عليه السلام انطوا الثبجة يريد
الوسيطة بين السمينة والعجفاء وصفا بالثبج وهو وسط الظهر الا انه الحق تاء التانيث مراعاة لحق الوصف
وقيل للخيار وسط لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والاعوار والاوساط محمية محوطة ومنه قول الطائي
كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتى اصبحت طرفا وقد اكتنفت بمكة جملة اعرابي الحج
فقال اعطني من سطاتهن اراد من خيار الدنانير او عدولا لان الوسط عدل بين الاطراف ليس الى بعضها اقرب
من بعض لتكونوا شهداء على الناس روي ان الامم يوم القيامة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالب الله الانبياء بالبينة على
انهم قد بلغوا وهو اعلم فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فتقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله سبحانه
في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد عليه السلام فيسال عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله فكيف اذا
جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فان قلت هلا قيل لكم شهيدا وشهادته لهم لا عليهم قلت لما كان الشهيد
كالرقيب والمهيمن على المشهود له جيء بكلمة الاستعلاء ومنه قوله تعالى والله على كل شيء شهيد كنت انت الرقيب
عليهم وانت على كل شيء شهيد وقيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح الا بشهادة العدول الاخيار ويكون الرسول
عليكم شهيدا يزكيكم ويعلم بعدالتكم فان قلت لم اخرت صلة الشهادة اولا وقدمت اخرا قلت لان الغرض في الاول اثبات
شهادتهم على الامم وفي الاخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم وما جعلنا القبلة التي كنت عليها ليست بصفة
للقبلة انما هي ثاني مفعولي جعل يريد وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي بمكة الى
الكعبة ثم امر بالصلوة الى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تالفا لليهود ثم حول الى الكعبة فيقول وما جعلنا القبلة التي تحب
ان تستقبلها الجهة التي كنت عليها اولا بمكة يعني وما رددناك اليها الا امتحانا للناس وابتلاء لنعلم الثابت على الاسلام
الصادق فيه ممن هو على حرف ينكص على عقبيه لقلقه فيرتد كقوله وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الاية ويجوز ان
يكون بيانا للحكمة في جعل بيت المقدس قبلته يعني ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وان استقبالك بيت المقدس كان

وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرءوف رحيم قد نرى تقلب وجهك
في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين
اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما تعملون ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب

امرا عارضا لغرض وانما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها قبل وقتك هذا وهي بيت المقدس لنمتحن الناس وننظر من يتبع الرسول منهم ومن لا يتبعه وينفر عنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه فان قلت كيف قال لنعلم ولم يزل عالما بذلك قلت معناه لنعلمه علما يتعلق به الجزاء وهو ان يعلمه موجودا حاصلا ونحوه ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وقيل ليعلم رسول الله والمؤمنون وانما اسند علمهم الى ذاته لانهم خواصه واهل الزلفى عنده وقيل معناه لنميز التابع من الناكص كما قال ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز لان العلم به يقع التمييز وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله هي ان المخففة التي تلزمها اللام الفارقة والضمير في كانت لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الردة او التحويلة او الجعلة ويجوز ان يكون للقبلة لكبيرة لثقيلة شاقة الا على الذين هدى الله الا على الثابتين الصادقين في اتباع الرسول الذين لطف الله بهم وكانوا اهلا للطفه وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ثباتكم على الايمان وانكم لم تزلوا ولم ترتابوا بل شكر صنيعكم واعد لكم الثواب العظيم ويجوز ان يراد وما كان الله ليترك تحويلكم لعلمه ان تركه مفسدة واضاعة لايمانكم وقيل من كان صلى الى بيت المقدس قبل التحويل فصلاته غير ضائعة عن ابن عباس لما وجه رسول الله الى الكعبة قالوا كيف بمن مات قبل التحويل من اخواننا فنزلت لرءوف رحيم لا يضيع اجورهم ولا يترك ما يصلحهم ويحكى عن الحجاج انه قال للحسن ما رايك في ابي تراب فقرا قوله الا على الذين هدى الله ثم قال وعلي منهم وهو ابن عم رسول الله وختنه على ابنته واقرب الناس اليه واحبهم وقرئ ليعلم على البناء للمفعول ومعنى العلم المعرفة ويجوز ان يكون من متضمنة لمعنى الاستفهام معلقا عنها العلم كقولك علمت ازيد في الدار ام عمرو وقرا ابن ابي اسحق على عقبيه بسكون القاف وقرا اليزيدي لكبيرة بالرفع ووجهها ان تكون كان مزيدة كما في قوله وجيران لنا كانوا كرام والاصل وان هي لكبيرة كقولك ان زيد لمنطلق ثم وان كانت لكبيرة وقرئ ليضيع بالتشديد قد نرى تقلب وجهك في السماء ربما نرى ومعناه كثرة الرؤية كقوله قد اترك القرن مصفرا انامله تقلب وجهك تردد وجهك وتصرف نظرك في جهة السماء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم وادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم ولمخالفة اليهود فكان يراعي نزول جبريل والوحي بالتحويل فلنولينك فلنعطينك ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا جعلته واليا له او فلنجعلنك تلي سمتها دون سمت بيت المقدس ترضاها تحبها وتميل اليها لاغراضك الصحيحة التي اضمرتها ووافقت مشيئة الله وحكمته شطر المسجد الحرام نحوه قال واطعن بالقوم شطر الملوك وقرا ابي تلقاء المسجد الحرام عن البراء بن عازب قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة وقيل كان ذلك في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله في بني سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من صلاة الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي المسجد مسجد القبلتين وشطر المسجد نصب على الظرف اي اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد اي في جهته وسمته لان استقبال عين القبلة فيه حرج عظيم على البعيد وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على ان الواجب مراعاة الجهة دون العين ليعلمون انه الحق

بكل آية ما تبعوا قبلتك وما انت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك
من العلم انك اذا لمن الظالمين الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم
يعلمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات اينما تكونوا يات بكم الله جميعا

ان التحويل الى الكعبة هو الحق لانه كان في بشارة انبيائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم انه يصلي الى القبلتين يعملون قرئ بالياء والتاء ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب ما تبعوا جواب القسم المحذوف وسد مسد جواب الشرط بكل آية برهان قاطع ان التوجه الى الكعبة هو الحق ما تبعوا قبلتك لان تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بايراد الحجة انما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم بما في كتبهم من نعتك انك على الحق وما انت بتابع قبلتهم حسم لاطماعهم اذ كانوا ماجوا في ذلك وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا الذي ننتظره وطمعوا في رجوعه الى قبلتهم وقرئ بتابع قبلتهم على الاضافة وما بعضهم بتابع قبلة بعض يعني انهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون في شان القبلة لا يرجى اتفاقهم كما لا ترجى موافقتهم لك وذلك ان اليهود تستقبل بيت المقدس والنصارى مطلع الشمس اخبر عز وجل عن تصلب كل حزب فيما هو فيه وثباته عليه فالمحق منهم لا يزل عن مذهبه لتمسكه بالبرهان والمبطل لا يقلع عن باطله لشدة شكيمته في عناده ولئن اتبعت اهواءهم بعد الافصاح عن حقيقة حاله المعلومة عندي في قوله وما انت بتابع قبلتهم كلام وارد على سبيل الفرض والتقدير بمعنى ولئن اتبعتهم مثلا بعد وضوح البرهان والاحاطة بحقيقة الامر انك اذا لمن الظالمين المرتكب الظلم الفاحش وفي ذلك لطف للسامعين وزيادة تحذير واستفظاع لحال من يترك الدليل بعد انارته ويتبع الهوى وتهييج والهاب للثبات على الحق فان قلت كيف قال وما انت بتابع قبلتهم ولهم قبلتان لليهود قبلة وللنصارى قبلة قلت كلتا القبلتين باطلة مخالفة لقبلة الحق فكانتا بحكم الاتحاد في البطلان قبلة واحدة الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم معرفة جلية يميزون بينه وبين غيره بالوصف المعين المشخص كما يعرفون ابناءهم لا يشتبه عليهم ابناؤهم وابناء غيرهم وعن عمر رضي الله عنه انه سال عبد الله بن سلام عن رسول الله فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت فقبل عمر راسه وجاز الاضمار وان لم يسبق له ذكر لان الكلام يدل عليه ولا يلتبس على السامع ومثل هذا الاضمار فيه تفخيم واشعار بانه لشهرته وكونه علما معلوما بغير اعلام وقيل الضمير للعلم في قوله من بعد ما جاءك من العلم او القرآن او تحويل القبلة وقوله كما يعرفون ابناءهم يشهد للاول وينصره الحديث عن عبد الله بن سلام فان قلت لم خص الابناء قلت لان الذكور اشهر واعرف وهم لصحبة الاباء الزم وبقلوبهم الصق وان فريقا منهم استثناء لمن آمن منهم او لجهالهم الذين قال فيهم ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الحق من ربك يحتمل ان يكون الحق خبر مبتدا محذوف اي هو الحق او مبتدا خبره من ربك وفيه وجهان ان يكون اللام للعهد والاشارة الى الحق الذي عليه رسول الله او الى الحق الذي في قوله ليكتمون الحق اي هذا الذي يكتمونه هو الحق من ربك وان يكون للجنس على معنى الحق من الله لا من غيره يعني ان الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه وما لم يثبت انه من الله كالذي عليه اهل الكتاب فهو الباطل فان قلت اذا جعلت الحق خبر مبتدا فما محل من ربك قلت يجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون حالا وقرا علي رضي الله عنه الحق من ربك على الابدال من الاول اي يكتمون الحق الحق من ربك فلا تكونن من الممترين الشاكين في كتمانهم الحق مع علمهم او في انه من ربك ولكل وجهة من اهل الاديان المختلفة وجهة قبلة وفي قراءة ابي ولكل قبلة هو موليها وجهه فحذف احد المفعولين وقيل هو لله تعالى اي الله موليها اياه وقرئ ولكل وجهة على الاضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها فزيدت اللام لتقدم المفعول كقولك لزيد ضربت ولزيد ابوه ضاربه وقرا ابن عامر هو مولاها اي هو مولى تلك الجهة قد وليها والمعنى لكل امة قبلة تتوجه اليها منكم ومن غيركم فاستبقوا انتم الخيرات واستبقوا اليها غيركم من امر القبلة وغيره ومعنى آخر وهو ان يراد ولكل منكم يا امة محمد وجهة اي جهة يصلي اليها جنوبية او شمالية او شرقية او غربية فاستبقوا الخيرات اينما تكونوا يات بكم الله جميعا

ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ومن حيث خرجت فول وجهك
شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني
ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم اياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم

من موافق وفي الف لا تعجزونه ويحتمل ان يكون المعنى فاستبقوا الفاضلات من الجهات وهي الجهات المسامتة للكعبة
وان اختلفت ثمّا تكونوا من الجهات المختلفة يأت بكم الله جميعًا يجمعكم ويجعل صلواتكم كانها الى جهة واحدة وكانكم
تصلون حاضري المسجد ومن اي بلد خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه وان
هذا المامور به وقرئ يعملون بالياء والتاء وهذا التكرير لتاكيد امر القبلة وتشديده لان النسخ من مظان الفتنة والشبهة وتسويل
الشيطان والحاجة الى التفصلة بينه وبين البداء فكرر عليهم ليثبتوا ويعزموا ويجدوا ولانه نيط بكل واحد ما لم ينط بالاخر
فاختلفت فوايدها الا الذين ظلموا استثناء من الناس ومعناه لئلا يكون حجة لاحد من اليهود الا للمعاندين منهم القائلين ما
ترك قبلتنا الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الانبياء فان قلت اي حجة كانت تكون للمنصفين
منهم لو لم يحول حتى احترز من تلك الحجة ولم يبال بحجة المعاندين قلت كانوا يقولون ما له لا يتحول الى قبلة ابيه ابراهيم
كما هو مذكور في نعته في التوراة فان قلت كيف اطلق اسم الحجة على قول المعاندين قلت لانهم يسوقونه سياق الحجة ويجوز ان
يكون المعنى لئلا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض في ترككم التوجه الى الكعبة التي هي قبلة ابراهيم واسمعيل ابي العرب الا
الذين ظلموا منهم وهم اهل مكة حين يقولون بدا له فرجع الى قبلة ابائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وقرأ زيد بن علي
رضي الله عنه الا الذين ظلموا منهم على ان الا للتنبيه ووقف على حجة ثم استانف منبها فلا تخشوهم فلا تخافوا
مطاعنهم في قبلتكم فانهم لا يضرونكم واخشوني فلا تخالفوا امري وما رأيته مصلحة لكم ومتعلق اللام محذوف معناه
ولاتمامي النعمة عليكم واراد تي اهتداءكم امرتكم بذلك او تعطف على علة مقدرة كانه قيل واخشوني لاوفقكم
ولاتم نعمتي عليكم وقيل هو معطوف على لئلا يكون وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضي الله عنه تمام النعمة
الموت على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا اما ان يتعلق بما قبله اي ولاتم نعمتي عليكم في الاخرة بالثواب كما اتممتها
عليكم في الدنيا بارسال الرسول او بما بعده اي كما ذكرتكم بارسال الرسول فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لي ما انعمت
به عليكم ولا تكفرون ولا تجحدوا نعمائي ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات اي هم اموات بل هم احياء ولكن لا تشعرون كيف
حالهم في حيوتهم وعن الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما
تعرض النار على ارواح آل فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الوجع وعن مجاهد يرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا
فيها وقالوا يجوز ان يجمع الله من اجزاء الشهيد جملة فيحييها ويوصل اليها النعيم وان كانت في حجم الذرة وقيل نزلت في شهداء
بدر وكانوا اربعة عشر ولنبلونكم بشيء ولنصيبنكم بذلك اصابة تشبه فعل المختبر لاحوالكم هل تصبرون وتثبتون على ما انتم
عليه من الطاعة وتسلمون لامر الله وحكمه ام لا بشيء بقليل من كل واحد من هذه البلايا وطرف منه وبشر الصابرين
المسترجعين عند البلاء لان الاسترجاع تسليم واذعان وعن النبي عليه السلام من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه
وجعل له خلفا صالحا يرضاه وروي انه طفئ سراج رسول الله فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل امصيبة هي قال نعم كل شيء
يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وانما قلل في قوله بشيء ليؤذن ان كل بلاء اصاب الانسان وان جل ففوقه ما يقل اليه وليخفف عليهم
وليريهم ان رحمته معهم في كل حال لا تزايلهم وانما وعدهم ذلك قبل كونه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص عطف على شيء او على الخوف
بمعنى وشيء من نقص الاموال والخطاب في وبشر لرسول الله او لكل من يتاتى منه البشارة وعن الشافعي الخوف خوف الله والجوع
صيام شهر رمضان والنقص من الاموال الزكوات والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي عليه السلام
اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا

ما لم تكونوا تعلمون فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون

اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان
الله شاكر عليم ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الا الذين تابوا واصلحوا
وبينوا فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها
لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم

قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد والصلوة الحنو والتعطف فوضعت موضع
الرافة وجمع بينها وبين الرحمة كقوله تعالى رافة ورحمة رؤف رحيم والمعنى عليهم رافة بعد رافة ورحمة اي رحمة
واولئك هم المهتدون لطريق الصواب حيث استرجعوا وسلموا لامر الله ان الصفا والمروة من شعائر الله الصفا
والمروة علمان للجبلين كالصمان والمقطم والشعائر جمع شعيرة وهي العلامة اي من اعلام مناسكه ومتعبداته والحج
القصد والاعتمار الزيارة فغلبا على قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين وهما في المعاني كالنجم والبيت في الاعيان
واصل يطوف يتطوف فادغم وقرئ ان يطوف من طاف فان قلت كيف قيل انهما من شعائر الله ثم قيل لا جناح
عليه ان يطوف بهما قلت كان على الصفا اساف وعلى المروة نائلة وهما صنمان يروى انهما كانا رجلا وامراة زنيا
في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله وكان اهل الجاهلية
اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاوثان كره المسلمون الطواف بينهما لاجل فعل الجاهلية وان لا يكون عليهم
جناح في ذلك فرفع عنهم الجناح واختلف في السعي فمن قائل هو تطوع بدليل رفع الجناح وما فيه من التخيير بين
الفعل والترك كقوله فلا جناح عليهما ان يتراجعا وغير ذلك ولقوله ومن تطوع خيرا كقوله فمن تطوع خيرا فهو
خير له ويروى ذلك عن انس وابن عباس وابن الزبير وتنصره قراءة ابن مسعود فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما وعن
ابي حنيفة انه واجب وليس بركن وعلى تاركه دم وعند الاولين لا شيء عليه وعند مالك والشافعي هو ركن لقوله عليه السلام
اسعوا فان الله كتب عليكم السعي وقرئ ومن يطوع بمعنى ومن يتطوع فادغم وفي قراءة عبد الله ومن يتطوع بخير
ان الذين يكتمون ما انزلنا من احبار اليهود ما انزلنا في التوراة من البينات من الايات الشاهدة على
امر محمد عليه السلام والهدى والهداية بوصفه الى اتباعه والايمان به من بعد ما بيناه ولخصناه للناس في الكتاب
في التوراة لم ندع فيه موضع اشكال ولا اشتباه على احد منهم فعمدوا الى ذلك المبين الملخص فكتموه ولبسوا
على الناس اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الذين يتاتى منهم اللعن عليهم من الملائكة والمؤمنين من
الثقلين واصلحوا ما افسدوا من احوالهم وتداركوا ما فرط منهم وبينوا ما بينه الله في كتابهم فكتموه او بينوا
للناس ما احدثوه من توبتهم ليمحوا سمة الكفر عنهم ويعرفوا بضد ما كانوا يعرفون به ويقتدي بهم
غيرهم من المفسدين ان الذين كفروا يعني الذين ماتوا من هؤلاء الكاتمين ولم يتوبوا ذكر لعنتهم احياء ثم لعنتهم
امواتا وقرأ الحسن والملائكة والناس اجمعون بالرفع عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في التقدير كقولك عجبت
من ضرب زيد وعمرو كانه قيل اولئك عليهم ان لعنهم الله والملائكة فان قلت ما معنى قوله والناس اجمعين وفي الناس
المسلم والكافر قلت اراد بالناس من يعتد بلعنه وهم المؤمنون وقيل يوم القيامة يلعن بعضهم بعضا خالدين فيها
في اللعنة وقيل في النار الا انها اضمرت تفخيما لشانها وتهويلا ولا هم ينظرون من الانظار اي لا يمهلون ولا يؤجلون
او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة والهكم اله واحد فرد في الالهية لا شريك له فيها ولا يصح ان
يسمى غيره الها لا اله الا هو تقرير للوحدانية بنفي غيره واثباته الرحمن الرحيم المولي لجميع النعم اصولها
وفروعها ولا شيء سواه بهذه الصفة فان كل ما سواه اما نعمة واما منعم عليه وقيل كان للمشركين حول الكعبة
ثلثمائة وستون صنما فلما سمعوا بهذه الاية تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فائت باية نعرف بها صدقك

ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض
بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم
كحب الله والذين آمنوا اشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا وان الله شديد العذاب اذ تبرأ الذين اتبعوا
من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا كذلك يريهم الله اعمالهم

ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار واعتقابهما كل واحد منهما يعقب الآخر كقوله جعل الليل والنهار خلفة بما ينفع الناس بالذي ينفعهم مما يحمل فيها او ينفع الناس فان قيل قوله وبث فيها عطف على انزل ام احيا قلت الظاهر انه عطف على انزل داخل تحت حكم الصلة لان قوله فاحيا به الارض عطف على انزل فاتصل به وصارا جميعا كالشيء الواحد فكانه قيل وما انزل في الارض من ماء وبث فيها من كل دابة ويجوز عطفه على احيا على معنى فاحيا بالمطر الارض وبث فيها من كل دابة لانهم ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا وتصريف الرياح في مهابها قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا وفي احوالها حارة وباردة وعاصفة ولينة وعقيما ولواقح وقيل تارة بالرحمة وتارة بالعذاب والسحاب المسخر بتسخير الرياح تقلبه في الجو بمشيئة الله يمطر حيث شاء لآيات لقوم يعقلون ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون لانها دلائل على عظم القدرة وباهر الحكمة وعن النبي عليه السلام ويل لمن قرا هذه الآية فمج بها اي لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها وقرئ الفلك بضمتين وتصريف الريح على الافراد ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يتبعونهم ويطيعونهم وينزلون على اوامرهم ونواهيهم واستدل بقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ومعنى يحبونهم يعظمونهم ويخضعون لهم تعظيم المحبوب كحب الله كتعظيم الله والخضوع له اي كما يحب الله على انه مصدر من المبني للمفعول وانما استغنى عن ذكر من يحبه لانه غير ملبس وقيل كحبهم الله اي يسوون بينه وبينهم في محبتهم لانهم كانوا يقرون بالله ويتقربون اليه والذين آمنوا اشد حبا لله لانهم لا يعدلون عنه الى غيره بحال والمشركين فانهم يعدلون عن اندادهم الى الله عند الشدائد فيفزعون اليه ويخضعون له ويجعلونهم وسائط بينهم وبينه فيقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره او ياكلونه كما اكلت باهلة الهها من حيس عام المجاعة ولو يرى الذين ظلموا اشارة الى متخذي الانداد اي ولو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم ان القدرة كلها لله على كل شيء من العقاب والثواب دون اندادهم ويعلمون شدة عقابه للظالمين اذا عاينوا العذاب يوم القيامة لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم فحذف الجواب كما في قوله ولو ترى اذ وقفوا وقولهم لو رأيت فلانا والسياط تاخذه وقرئ ولو ترى على خطاب الرسول وكل مخاطب اي ولو ترى ذلك لرأيت امرا عظيما وقرئ اذ يرون على البناء للمفعول واذ في المستقبل كقوله ونادى اصحاب الجنة اذ تبرأ بدل من اذ يرون العذاب اي تبرأ المتبوعون وهم الرؤساء من الاتباع وقرأ مجاهد الاول على البناء للفاعل والثاني على البناء للمفعول اي تبرأ الاتباع من الرؤساء ورأوا العذاب اي والحال انهم رأوا العذاب وتقطعت عطف على تبرأ او رأوا بهم الاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن الانساب والمحاب والاتباع والاستتباع كقوله لقد تقطع بينكم لو للتمني ولذلك اجيب بالفاء الذي يجاب به التمني كانه قيل ليت لنا كرة فنتبرأ منهم كذلك مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات اي ندامات وحسرات ثالث مفاعيل يرى ومعناه ان اعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون الا حسرات مكان اعمالهم وما هم بخارجين هم بمنزلته في قوله هم يفترشون اللبد كل طمرة في دلالته على قوة امرهم فيما اسند اليهم لا على الاختصاص يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا مفعول كلوا او حال مما في الارض طيبا طاهرا من كل شبهة ولا تتبعوا خطوات الشيطان فتدخلوا في حرام او شبهة او تحريم

حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين

انما يامركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله ما لا تعلمون واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا اولو كان آباؤهم لا يعقلون
شيئا ولا يهتدون ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا
لله ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم ٣٧

حلالا او تحليل حرام ومن للتبعيض اذ كل ما في الارض ليس بماكول وقرئ خطوات بضمتين خطوات بضمة وسكون وخطؤات بضمتين وهمزة جعلت الضمة على الطاء كانها على الواو وخطوات بفتحتين وخطوات بفتحة وسكون والخطوة المرة من الخطو والخطوة ما بين قدمي الخاطي وهما كالغرفة والغرفة والقبضة والقبضة يقال اتبع خطواته ووطئ على عقبه اذا اقتدى به واستن بسنته انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة لا خفاء به انما يامركم بيان لوجوب الانتهاء عن اتباعه وظهور عداوته اي لا يامركم بخير قط انما يامركم بالسوء بالقبيح والفحشاء وهو ما يتجاوز الحد في القبح من العظائم وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما يجب فيه الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون وهو قولكم هذا حلال وهذا حرام بغير علم ويدخل فيه كل ما يضاف الى الله مما لا يجوز عليه فان قيل كيف كان للشيطان امر مع قوله ليس لك عليهم سلطان قلت شبه تزيينه وبعثه على الشر بامر الآمر كما تقول امرتني نفسي بكذا وتحته رمز الى انكم منه بمنزلة المامورين لطاعتكم له وقبولكم وساوسه ولذلك قال ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله وقال ان النفس لامارة بالسوء لما كان الانسان يطيعها فيعطيها ما اشتهت واذا قيل لهم الضمير للناس وعدل بالخطاب عنهم على طريقة الالتفات للنداء على ضلالهم لانه لا ضال اضل من المقلد كانه يقول للعقلاء انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون فالهم المشركون وقيل هم طائفة من اليهود دعاهم رسول الله الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا فانهم كانوا خيرا منا واعلم والفينا بمعنى وجدنا بدليل قوله بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا اولو كان آباؤهم الواو للحال والهمزة بمعنى الرد والتعجب ومعناه ايتبعونهم ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب ومثل الذين كفروا لا بد من مضاف محذوف تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق او ومثل الذين كفروا كالبهائم الذي ينعق والمعنى ومثل داعيهم الى الايمان في انهم لا يسمعون من الدعاء الا جرس النغمة ودوي الصوت من غير القاء اذهان واستبصار كمثل الناعق بالبهائم التي لا تسمع الا دعاء الناعق ونداءه الذي هو تصويت بها وزجرها ولا تفقه شيئا آخر ولا تعي كما يفهم العقلاء ويعون ويجوز ان يراد بما لا يسمع الاصم الاصلخ الذي لا يسمع من كلام الرافع صوته بكلامه الا النداء والتصويت لا غير من غير فهم للحروف وقيل معناه ومثلهم في اتباعهم آباءهم وتقليدهم لهم كمثل البهائم التي لا تسمع الا ظاهر الصوت ولا تفهم ما تحته فكذلك هؤلاء يتبعونهم على ظاهر حالهم ولا يفقهون اهم على حق ام على باطل وقيل معناه ومثلهم في دعائهم الاصنام كمثل الناعق بما لا يسمع الا ان قوله الا دعاء ونداء لا يساعد عليه لان الاصنام لا تسمع شيئا والنعيق التصويت يقال نعق المؤذن ونعق الراعي بالضأن قال الاخطل فانعق بضأنك يا جرير فانما منتك نفسك في الخلاء ضلالا واما نغق الغراب فبالغين المعجمة صم بكم عمي رفع على الذم يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم مستلذاته او من حلاله لان كل ما رزقه الله لا يكون الا حلالا واشكروا لله الذي رزقكموها ان كنتم اياه تعبدون ان صح انكم تختصونه بالعبادة وتقرون انه مولى النعم وعن النبي عليه السلام يقول الله تعالى اني والجن والانس في نبأ عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري انما حرم عليكم الميتة وقرئ حرم على البناء للفاعل وحرم على البناء للمفعول وحرم بوزن كرم وما اهل به لغير الله اي رفع به الصوت للصنم وذلك قول اهل الجاهلية باسم اللات والعزى غير باغ على مضطر آخر بالاستيثار عليه ولا عاد سد الجوعة فان قيل في الميتات ما يحل وهو السمك والجراد

ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا اولئك ما ياكلون في بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم اولئك الذين
اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما اصبرهم على النار ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد
ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر والملئكة والكتاب والنبيين واتى المال على حبه ذوي القربى

قال النبي صلى الله عليه وسلم احلت لنا ميتتان ودمان قلت قصد ما يتفاهمه الناس ويتعارفونه في العادة الا ترى ان القائل اذا
قال اكل فلان ميتة لم يسبق الوهم الى السمك والجراد كما لو قال اكل دما لم يسبق الى الكبد والطحال ولاعتبار العادة
والتعارف قالوا من حلف لا ياكل لحما فاكل سمكا لم يحنث وان اكل لحما في الحقيقة وقال الله تعالى لتاكلوا منه
لحما طريا وشبهوه بمن حلف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث وان سماه الله دابة في قوله ان شر الدواب عند
الله الذين كفروا فان قلت لم ذكر لحم الخنزير دون شحمه قلت لان الشحم داخل في ذكر اللحم لكونه تابعا له وصفة فيه
بدليل قولهم لحم سمين يريدون انه شحيم ان الذين يكتمون الاية في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل فلان في بطنه واكل في بعض
بطنه الا النار لانه اذا اكل ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكأنه اكل النار ومنه قولهم اكل فلان الدم اذا اكل الدية
التي هي بدل منه قال اكلت دما ان لم ارعك بضرة وقال يا كل كل ليلة اكافا اراد ثمن الاكاف فسماه اكافا
لتلبسه به لكونه ثمنا له ولا يكلمهم الله تعريض بحرمانهم حال اهل الجنة في تكرمة الله تعالى اياهم بكلامه
وتزكيتهم بالثناء عليهم وقيل نفي الكلام عبارة عن غضبه عليهم كمن غضب على صاحبه فصرمه وقطع كلامه وقيل
لا يكلمهم بما يحبون ولكن بنحو قوله اخسئوا فيها ولا تكلمون فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم في التباسهم
بموجبات النار من غير مبالاة منهم كما تقول لمن يتعرض لما يوجب غضب السلطان ما اصبرك على القيد والسجن
تريد انه لا يتعرض لذلك الا من هو شديد الصبر على العذاب وقيل فما اصبرهم فاي شيء صبرهم يقال اصبره على كذا
وصبره بمعنى وهذا اصل معنى فعل التعجب والذي روى عن الكسائي انه قال قال لي قاضي اليمن بمكة اختصم الي رجلان
من العرب فحلف احدهما على حق صاحبه فقال له ما اصبرك على الله فمعناه ما اصبرك على عذاب الله ذلك بان الله نزل اي ذلك العذاب
بسبب ان الله نزل ما نزل من الكتب بالحق وان الذين اختلفوا في كتب الله فقالوا في بعضها حق وفي بعضها باطل وهم اهل الكتاب
لفي شقاق لفي خلاف بعيد عن الحق والكتاب للجنس او كفرهم ذلك بسبب ان الله تعالى نزل القرآن بالحق كما يعلمون
وان الذين اختلفوا فيه من المشركين فقال بعضهم سحر وبعضهم اساطير لفي شقاق بعيد يعني ان اولئك لو لم يختلفوا
ولم يشاقوا لما جسروا على ان يفعلوا ليس البر ان تولوا وجوهكم البر اسم للخير ولكل فعل مرضي ان تولوا وجوهكم
قبل المشرق والمغرب الخطاب لاهل الكتاب فان اليهود تصلي قبل المغرب الى بيت المقدس والنصارى قبل المشرق وذلك انهم
اكثروا الخوض في امر القبلة حين حول رسول الله الى الكعبة وزعم كل واحد من الفريقين ان البر التوجه الى قبلته فرد
عليهم وقيل ليس البر فيما انتم عليه فانه منسوخ خارج من البر ولكن البر ما بينته وقيل كثر خوض المسلمين واهل
الكتاب في امر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذي يحسن ان تذهلوا بشانه عن سائر صنوف البر امر القبلة ولكن
البر الذي يجب الاهتمام به وصرف الهمة اليه بر من امن وقام بهذه الاعمال وقرئ ليس البر بالنصب على انه
خبر مقدم وقرأ عبد الله بان تولوا على ادخال الباء على الخبر للتاكيد كقولك ليس المنطلق بزيد ولكن البر
من امن على تاويل حذف المضاف اي بر من امن او بتأويل البر بمعنى ذي البر او كما قالت فانما هي اقبال وادبار
وعن المبرد لو كنت ممن يقرأ القرآن لقرأت ولكن البر بفتح الباء وقرئ ولكن البار وقرأ ابن عامر
ونافع ولكن البر بالتخفيف والكتاب جنس كتب الله او القرآن على حبه مع حب المال والشح به كما قال
ابن مسعود رضي الله عنه ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا

واقام الصلوة واتى الزكوة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون
يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه
باحسان

بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل على حب الله وقيل على حب الايتاء يريد ان يعطيه وهو طيب النفس
باعطائه وقدم ذوي القربى لانهم احق قال عليه السلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك اثنتان
لانها صدقة وصلة وقال افضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح واطلق ذوي القربى واليتامى والمراد
الفقراء منهم لعدم الالتباس والمساكين لدائم السكون الى الناس لانه لا شيء له كالمسكير للدائم السكر وابن
السبيل المسافر المنقطع وجعل ابنا للسبيل لملازمته له كما يقال للص القاطع ابن الطريق وقيل هو الضيف
لان السبيل يرعف به والسائلين المستطعمين قال عليه السلام للسائل حق وان جاء على ظهر فرسه وفي الرقاب وفي معاونة المكاتبين
حتى يفكوا رقابهم وقيل في ابتياع الرقاب واعتاقها وقيل في فك الاسارى فان قلت قد ذكر ايتاء المال في هذه الوجوه ثم
قفاه بايتاء الزكوة فهل دل ذلك على ان في المال حقا سوى الزكوة قلت يحتمل ذلك وعن الشعبي ان في المال حقا سوى
الزكوة وتلا هذه الاية ويحتمل ان يكون ذلك بيان مصارف الزكوة او يكون حثا على نوافل الصدقات والمبار
وفي الحديث نسخت الزكوة كل صدقة يعني وجوبها وروي ليس في المال حق سوى الزكوة والموفون عطف على من
امن واخرج الصابرين منصوبا على الاختصاص والمدح اظهارا لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال على
ساير الاعمال وقرئ والصابرون وقرئ والموفين والصابرين والبأساء الفقر والشدة والضراء المرض
والزمانة صدقوا كانوا صادقين جادين في الدين يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص الاية عن عمر بن عبد العزيز
والحسن البصري وعطاء وعكرمة وهو مذهب مالك والشافعي رحمهم الله ان الحر لا يقتل بالعبد والذكر لا يقتل
بالانثى اخذا بهذه الاية ويقولون هي مفسرة لما ابهم في قوله النفس بالنفس ولان تلك واردة لحكاية ما كتب في
التورية على اهلها وهذه خوطب بها المسلمون وكتب عليهم ما فيها وعن سعيد بن المسيب والشعبي والنخعي
والثوري وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه انها منسوخة بقوله النفس بالنفس والقصاص ثابت بين العبد والحر
والذكر والانثى ويستدلون بقوله عليه السلام المسلمون تتكافأ دماؤهم وبان التفاضل غير معتبر في
الانفس بدليل ان جماعة لو قتلوا واحدا قتلوا به وروي انه كان بين حيين من احياء العرب دماء في الجاهلية
وكان لاحدهما طول على الاخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى والاثنين بالواحد فتحاكموا
الى رسول الله حين جاء بالاسلام فنزلت وامرهم ان يتباوءوا فمن عفي له من اخيه شيء معناه فمن عفي
له من جهة اخيه شيء من العفو على انه كقولك سير بزيد بعض السير وطائفة من السير ولا يصح ان يكون شيء في
معنى المفعول به لان عفا لا يتعدى الى مفعول به الا بواسطة واخوه هو ولي المقتول وقيل له اخوه لانه
من بيانه ولي الدم ومطالبه به كما تقول للرجل قل لصاحبك كذا لمن بينه وبينه ادنى ملابسة او ذكره بلفظ الاخوة
ليعطف احدهما على صاحبه بذكر ما هو ثابت بينهما من الجنسية والاسلام فان قلت ان عفا يتعدى بعن لا باللام
فما وجه قوله فمن عفي له قلت يتعدى بعن الى الجاني والى الذنب فيقال عفوت عن فلان وعن ذنبه قال الله تعالى
عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فاذا تعدى الى الذنب قيل عفوت لفلان عما جنى كما تقول غفرت له
ذنبه وتجاوزت له عنه وعلى هذا ما في الاية كأنه قيل فمن عفي له عن جنايته فاستغنى عن ذكر الجناية
فان قلت هلا فسرت عفي بترك حتى يكون شيء في معنى المفعول به قلت لان عفا الشيء بمعنى تركه ليس

ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم ولكم في القصاص حيوة يا اولي الالباب لعلكم تتقون كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف

بتشبيب وكذا عفاه ومنه قوله عليه السلام واعفوا اللحى فقد تأولوها عفا اثره اذا محاه وازاله فهلا جعلت معناه فمن محي له من اخيه شيء قلت عبارة قلقة في مكانها والعفو في باب الجنايات عبارة متداولة مشهورة في الكتاب والسنة واستعمال الناس فلا يعدل عنها الى اخرى قلقة نابية عن مكانها وترى كثيرا ممن يتعاطى هذا العلم يجترئ اذا اعضل عليه تخريج وجه للمشكل من كلام الله على اختراع لغة وادعاء على العرب ما لا تعرفه وهذه جراءة يستعاذ بالله منها فان قلت لم قيل من العفو قلت للاشعار بانه اذا عفي له طرف من العفو وبعض منه بان يعفى عن بعض الدم او عفا عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص ولم تجب الا الدية فاتباع بالمعروف فليكن اتباع بالمعروف او فالامر اتباع وهذه توصية للمعفو عنه والعافي جميعا يعني فليتبع الولي القاتل بالمعروف بان لا يعنف به ولا يطالبه الا مطالبة جميلة وليؤد اليه القاتل بدل الدم اداء باحسان بان لا يمطله ولا يبخسه ذلك الحكم المذكور من العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة لان اهل التورية كتب عليهم القصاص البتة وحرم العفو واخذ الدية وعلى اهل الانجيل العفو وحرم القصاص والدية وخيرت هذه الامة بين الثلاث القصاص والدية والعفو توسعة عليهم وتيسيرا فمن اعتدى بعد ذلك التخفيف فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل او القتل بعد اخذ الدية فقد كان الولي في الجاهلية يؤمن القاتل بقبوله الدية ثم يظفر به فيقتله فله عذاب اليم نوع من العذاب شديد الالم في الاخرة وعن قتادة العذاب الاليم ان يقتل لا محالة ولا يقبل منه دية لقوله عليه السلام لا اعافي احدا قتل بعد اخذه الدية ولكم في القصاص حيوة كلام فصيح لما فيه من الغرابة وهو ان القصاص قتل وتفويت للحيوة وقد جعل مكانا وظرفا للحيوة ومن اصابة محز البلاغة تعريف القصاص وتنكير الحيوة لان المعنى ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حيوة عظيمة وذلك انهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة وكم قتل مهلهل باخيه كليب حتى كاد يفني بكر بن وائل وكان يقتل بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويقع بينهم التناحر فلما جاء الاسلام بشرع القصاص كانت فيه حيوة اي حيوة او نوع من الحيوة وهي الحيوة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل لانه اذا هم بالقتل فعلم انه يقتص منه فارتدع سلم صاحبه من القتل وسلم هو من القود فكان القصاص سبب حيوة نفسين وقرأ ابو الجوزاء ولكم في القصص حيوة اي فيما قص عليكم من حكم القتل والقصاص وقيل القصص القرآن اي لكم في القرآن حيوة للقلوب كقوله روحا من امرنا ويحيى من حي عن بينة لعلكم تتقون تعملون عمل اهل التقوى في المحافظة على القصاص والحكم به وهو خطاب له فضل اختصاص بالائمة كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت اذا دنا منه وظهرت اماراته ان ترك خيرا مالا كثيرا وعن عائشة رضي الله عنها ان رجلا اراد الوصية وله عيال واربع مائة دينار فقالت ما ارى فيه فضلا واراد اخر ان يوصي فسالته كم مالك فقال ثلاثة الاف فقالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك وعن علي رضي الله عنه ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعمائة فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال وليس لك مال والوصية فاعل كتب وذكر فعلها للفاصل ولانها بمعنى ان يوصي ولذلك ذكر الراجع في قوله فمن بدله بعدما سمعه

٢٩

حقا على المتقين فمن بدله بعدما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم فمن خاف من موص جنفا او اثما فاصلح بينهم فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون اياما معدودات فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر

والوصية للوارث كانت في بدء الاسلام فنسخت باية المواريث وبقوله عليه السلام ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وبتلقي الامة اياه بالقبول حتى لحق بالمتواتر وان كان من الاحاد لانهم لا يتلقون بالقبول الا الثبت الذي صحت روايته وقيل لم تنسخ والوارث يجمع له بين الوصية والميراث بحكم الايتين وقيل ما هي بمخالفة لاية المواريث ومعناها كتب عليكم ما اوصى الله به من توريث الوالدين والاقربين من قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم او كتب على المحتضر ان يوصي للوالدين والاقربين بتوفير ما اوصى الله لهم عليهم وان لا ينقص من انصبائهم بالمعروف بالعدل وهو ان لا يوصي للغني ويدع الفقير ولا يتجاوز الثلث حقا مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا فمن بدله فمن غير الايصاء عن وجهه ان كان موافقا للشرع من الاوصياء والشهود بعدما سمعه وتحققه فانما اثمه على الذين يبدلونه فما اثم الايصاء المغير او التبديل الا على مبدليه دون غيرهم من الموصي والموصى له لانهما بريئان من الحيف ان الله سميع عليم وعيد للمبدل فمن خاف فمن توقع وعلم وهذا في كلامهم شائع يقولون اخاف ان ترسل السماء يريدون التوقع والظن الغالب الجاري مجرى العلم جنفا ميلا عن الحق بالخطاء في الوصية او اثما وتعمدا للحيف فاصلح بينهم بين الموصى لهم وهم الوالدان والاقربون باجرائهم على طريق الشرع فلا اثم عليه حينئذ لان تبديله تبديل باطل الى حق ذكر من يبدل بالباطل ثم من يبدل بالحق ليعلم ان كل تبديل لا يؤثم يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم على الانبياء والامم من لدن ادم عليه السلام الى عهدكم قال علي رضي الله عنه اولهم ادم يعني ان الصوم عبادة قديمة اصلية ما اخلى الله امة من افتراضها عليهم لم يفرضها عليكم وحدكم لعلكم تتقون بالمحافظة عليها وتعظيمها لاصالتها وقدمها او لعلكم تتقون المعاصي لان الصائم اظلف لنفسه واردع لها من مواقعة السوء قال عليه السلام فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء او لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين لان الصوم شعارهم وقيل معناه انه كصومهم في عدد الايام وهو شهر رمضان كتب على اهل الانجيل فاصابهم موتان فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده فجعلوه خمسين يوما وقيل كان وقوعه في البرد الشديد والحر الشديد فشق عليهم في اسفارهم ومعايشهم فجعلوه بين الشتاء والربيع وزادوا عشرين يوما كفارة لتحويله عن وقته وقيل الايام المعدودات عاشوراء وثلاثة من كل شهر كتب على رسول الله صلى الله عليه وسلم صيامها حين هاجر ثم نسخت بشهر رمضان وقيل كما كتب عليهم ان يتقوا المفطر بعد ان يصلوا العشاء وبعد ان يناموا ثم نسخ ذلك بقوله احل لكم ليلة الصيام الاية ومعنى معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل كقوله دراهم معدودة واصله ان المال القليل يقدر بالعدد ويتحكر فيه والكثير يهال هيلا ويحثى حثيا وانتصاب اياما بالصيام كقولك نويت الخروج يوم الجمعة فمن كان منكم مريضا او على سفر او راكب سفر فعدة فعليه عدة وقرئ بالنصب بمعنى فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل مكتوب عليهما ان يفطرا ويصوما عدة من ايام اخر واختلف في المرض المبيح للافطار فمن قائل كل مرض لان الله لم يخص مرضا دون مرض كما لم يخص سفرا دون سفر فكما ان لكل مسافر ان يفطر فكذلك لكل مريض وعن ابن سيرين انه دخل عليه في رمضان وهو ياكل فاعتل بوجع اصبعه وسئل مالك عن الرجل يصيبه الرمد الشديد او الصداع المضر وليس به مرض يضجعه فقال انه في سعة من الافطار وقائل هو المرض الذي يعسر معه الصوم ويزيد فيه

وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون شهر رمضان الذي انزل فيه القران هدى
للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر

لقوله يريد الله بكم اليسر وعن الشافعي لا يفطر حتى يجهده الجهد غير المحتمل واختلف ايضا في القضا فعامة العلما
على التخيير وعن ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ان الله لم يرخص لكم في فطره وهو يريد ان يشق عليكم في قضائه
ان شئت فواتر وان شئت ففرق وعن علي وابن عمر والشعبي وغيرهم انه يقضى كما فات متتابعا وفي قراءة
ابي فعدة من ايام اخر متتابعات فان قلت فكيف قيل فعدة على التنكير ولم يقل فعدتها اي فعدة الايام المعدودات
قلت لما قيل فعدة والعدة بمعنى المعدود فامر بان يصوم اياما معدودة مكانها علم انه لا يؤثر عدد على
عددها فاغنى ذلك عن التعريف بالاضافة وعلى الذين يطيقونه وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر بهم ان
افطروا فدية طعام مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره عند اهل العراق وعند اهل الحجاز مد وكان
ذلك في بدء الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم فرخص لهم في الافطار والفدية وقرا ابن عباس
يطوقونه تفعيل من الطوق اما بمعنى الطاقة او القلادة اي يكلفونه او يقلدونه ويقال لهم صوموا وعنه
يتطوقونه بمعنى يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه بادغام التاء في الطاء ويطيقونه ويطيقونه بمعنى
يتطيقونه واصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه على انهما من فيعل وتفيعل من الطوق فادغمت
اليا في الواو بعد قلبها يا كقولهم تديّر المكان وما بها ديّار وفيه وجهان احدهما نحو معنى يطيقونه
والثاني يكلفونه او يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز وحكم هولاء الافطار
والفدية وهو على هذا الوجه ثابت غير منسوخ ويجوز ان يكون هذا معنى يطيقونه اي يصومونه جهدهم
وطاقتهم ومبلغ وسعهم فمن تطوع خيرا فزاد على مقدار الفدية فهو خير له فالتطوع اخير له او الخير وقرى
فمن يطوع بمعنى يتطوع وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وجهلتم على انفسكم وجهدتم طاقتكم
خير لكم من الفدية وتطوع الخير ويجوز ان ينتظم في الخطاب المريض والمسافر ايضا وفي قراءة ابي والصيام خير
لكم شهر رمضان الذي الرمضان مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف
للتعريف والالف والنون كما قيل ابن داية للغراب باضافة ابن الى داية البعير لكثرة وقوعه عليها اذا دبرت فان
قلت لم سمي شهر رمضان قلت الصوم فيه عبادة قديمة فكانهم سموه بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع
ومقاساة شدته كما سموه ناتقا لانه كان ينتقهم اي يزعجهم اضجارا بشدته عليهم وقيل لما نقلوا اسما
الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر ايام رمض الحر فان قلت فاذا
كانت التسمية واقعة مع المضاف والمضاف اليه جميعا فما وجه ما جاء في الاحاديث من قوله عليه السلام من صام رمضان ايمانا
واحتسابا من ادرك رمضان فلم يغفر له قلت هو من باب الحذف لامن الالباس كما قال بما اعيا
النطاسي حذيما اراد ابن حذيم وارتفاعه على انه مبتدا خبره الذي انزل فيه القران او على انه بدل من
الصيام في قوله كتب عليكم الصيام او على انه خبر مبتدا محذوف وقرى بالنصب على صوموا شهر رمضان
او على الابدال من اياما معدودات او على انه مفعول وان تصوموا ومعنى انزل فيه القران ابتدى فيه انزاله وكان
ذلك في ليلة القدر وقيل انزل جملة الى سما الدنيا ثم نزل الى الارض نجوما وقيل انزل في شانه
القران وهو قوله كتب عليكم الصيام كما تقول انزل في عمر كذا وفي علي كذا وعن النبي صلى

ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب
دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون احل لكم ليلة الصيام
الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم

الله عليه وعلى اله وسلم نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التورية لست مضين والانجيل لثلاث
عشرة والقران لاربع وعشرين هدى للناس وبينات نصب على الحال اي انزل وهو هداية للناس الى الحق وهو
ايات واضحات مكشوفات مما يهدي الى الحق ويفرق بين الحق والباطل فان قلت ما معنى قوله وبينات من الهدى بعد قوله
هدى للناس قلت ذكر اولا انه هدى ثم ذكر انه بينات من جملة ما هدى به الله وفرق به بين الحق والباطل من وحيه وكتبه
السماوية الهادية الفارقة بين الهدى والضلال فمن شهد منكم الشهر فليصمه فمن كان شاهدا اي حاضرا مقيما غير مسافر
في الشهر فليصم فيه ولا يفطر والشهر منصوب على الظرف وكذلك الهاء في فليصمه ولا يكون مفعولا به كقوله شهدت الجمعة
لان المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر يريد الله ان ييسر عليكم ولا يعسر وقد نفى عنكم الحرج في الدين
وامركم بالحنيفية السمحة التي لا اصر فيها ومن جملة ذلك ما رخص لكم فيه من اباحة الفطر في السفر والمرض ومن
الناس من فرض الفطر على المريض والمسافر حتى زعم ان من صام منهما فعليه الاعادة وقرى اليسر والعسر
يضمتين ولتكملوا العدة الفعل المعلل محذوف مدلول عليه بما سبق تقديره ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم
تشكرون شرع ذلك يعني جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر وامر المرخص له بمراعاة عدة ما افطر
فيه ومن الترخيص في اباحة الفطر فقوله لتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من
كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير وهذا نوع من
اللف لطيف المسلك لا يكاد يهتدي الى تبيينه الا النقاب المحدث من علماء البيان وانما عدي فعل
التكبير بحرف الاستعلاء لكونه مضمنا معنى الحمد كانه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم ومعنى ولعلكم
تشكرون وارادة ان تشكروا وقرى ولتكملوا بالتشديد فان قلت هل يصح ان يكون ولتكملوا معطوفا
على علة مقدرة كانه قيل لتعلموا ما تعملون ولتكملوا العدة او على اليسر كانه قيل يريد الله بكم اليسر ويريد بكم لتكملوا
كقوله يريدون ليطفئوا قلت لا يبعد ذلك والاول اوجه فان قلت ما المراد بالتكبير قلت تعظيم الله والثناء عليه وقيل هو
تكبير يوم الفطر وقيل هو التكبير عند الاهلال واذا سالك عبادي عني فاني قريب تمثيل لحاله في سهولة اجابته لمن
دعاه وسرعة انجاحه حاجة من ساله بحال من قرب مكانه فاذا دعي اسرعت تلبيته ونحوه ونحن اقرب اليه من
حبل الوريد وقوله عليه السلام هو بينكم وبين اعناق رواحلكم وروي ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه اقريب ربنا فنناجيه
ام بعيد فنناديه فنزلت فليستجيبوا لي اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اني اجيبهم اذا دعوني لحوائجهم وقرى
يرشدون بفتح الشين وكسرها احل لكم كان الرجل اذا امسى حل له الاكل والشرب والجماع الى ان يصلي العشا الاخرة او يرقد
فاذا صلاها او رقد ولم يفطر حرم عليه الطعام والشراب والنساء الى القابلة ثم ان عمر رضي الله عنه واقع اهله بعد صلوة
العشا الاخرة فلما اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه فاتى النبي عليه السلام وقال يا رسول الله اني اعتذر الى الله واليك من نفسي هذه الخاطئة
واخبره بما فعل فقال عليه السلام ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بما كانوا صنعوا بعد العشا فنزلت وقرى احل
لكم ليلة الصيام الرفث اي احل الله وقرا عبد الله الرفوث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه كلفظ النيك وقد ارتث الرفث
وعن ابن عباس انه انشد وهو محرم وهن يمشين بنا هميسا ان تصدق الطير ننك لميسا
فقيل له ارفثت فقال انما الرفث ما كان عند النسا وقال الله تعالى فلا رفث ولا فسوق فكنى به عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من ذلك

فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام

بخلاف قوله وقد افضى بعضكم الى بعض
من ذلك من شيء فان قلت لم كنى عنه ها هنا بلفظ الرفث الدال على معنى القبح فما استمتعتم به
فلما تغشاها باشروهن او لامستم النساء دخلتم بهن فأتوا حرثكم من قبل ان تمسوهن
منهن ولا تقربوهن قلت استهجانا لما وجد منهم قبل الاباحة كما سماه اختيانا لانفسهم فان قلت لم
عدي الرفث بالى قلت لتضمينه معنى الافضا لما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه
في عناقه شبه باللباس المشتمل عليه قال الجعدي اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا
فان قلت ما موقع قوله هن لباس لكم قلت هو استئناف كالبيان لسبب الاحلال وهو انه اذا كانت بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة
والملابسة قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلذلك رخص لكم في مباشرتهن تختانون انفسكم تظلمونها
وتنقصونها حظها من الخير والاختيان من الخيانة كالاكتساب من الكسب فيه زيادة وشدة فتاب عليكم حين
تبتم مما ارتكبتم من المحظور وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قسم الله لكم واثبت في اللوح من الولد
بالمباشرة اي لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ما وضع الله له النكاح من التناسل وقيل
هو نهي عن العزل لانه في الحرائر وقيل وابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم وحلله دون ما لم يكتب لكم من المحل
المحرم وعن قتادة وابتغوا ما كتب الله لكم من الاباحة بعد الحظر وقرأ ابن عباس واتبعوا وقرأ الاعمش واتوا
وقيل معناه واطلبوا ليلة القدر وما كتب الله لكم من الثواب ان اصبتموها وقمتموها وهو من بدع التفاسير
الخيط الابيض اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق كالخيط الممدود والخيط
الاسود ما يمتد معه من غبش الليل شبها بخيطين ابيض واسود قال ابو دواد فلما اضاءت لنا سدفة
ولاح من الصبح خيط انارا وقوله من الفجر بيان للخيط الابيض واكتفى به عن بيان الخيط الاسود لان بيان
احدهما بيان للثاني ويجوز ان يكون من للتبعيض لانه بعض الفجر واوله فان قلت اهذا من باب الاستعارة ام من
باب التشبيه قلت قوله من الفجر اخرجه من باب الاستعارة كما ان قولك رأيت اسدا مجاز فاذا زدت من فلان رجع
تشبيها فان قلت فلم زيد من الفجر حتى كان تشبيها وهلا اقتصر به على الاستعارة التي هي ابلغ من التشبيه وادخل
في الفصاحة قلت لان من شرط المستعار ان يدل عليه الحال او الكلام ولو لم يذكر من الفجر لم يعلم ان الخيطين
مستعاران فزيد من الفجر فكان تشبيها بليغا وخرج من ان يكون استعارة فان قلت كيف التبس على عدي بن حاتم مع هذا
البيان حتى قال عمدت الى عقالين ابيض واسود فجعلتهما تحت وسادي فكنت اقوم من الليل فانظر اليهما فلا يتبين لي
الابيض من الاسود فلما اصبحت غدوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فضحك وقال ان كان وسادك لعريضا وروي
انك لعريض القفا انما ذاك بياض النهار وسواد الليل قلت غفل عن البيان ولذلك عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قفاه لانه مما
يستدل به على بلاهة الرجل وقلة فطنته وانشدتني بعض البدويات لبدوي عريض القفا ميزانه في شماله قد انحص
من حسب القراريط شاربه فان قلت فما تقول فيما روي عن سهل بن سعد الساعدي انها نزلت ولم ينزل من الفجر
فكان رجال اذا ارادوا الصوم ربط احدهم في رجله الخيط الابيض والخيط الاسود فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبينا
له فنزل بعد ذلك من الفجر فعلموا انه انما يعني بذلك الليل والنهار وكيف جاز تأخير البيان وهو يشبه العبث حيث
لا يفهم منه المراد اذ ليس باستعارة لفقد الدلالة ولا بتشبيه قبل ذكر الفجر فلا يفهم منه الا الحقيقة وهي غير

ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون ولا تأكلوا اموالكم بينكم
بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج
وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون

مرادة قلت اما من لا يجوز تأخير البيان وهم اكثر الفقهاء والمتكلمين وهو مذهب ابي علي وابي هاشم فلم يصح عندهم
هذا الحديث واما من يجوزه فيقول ليس بعبث لان المخاطب يستفيد منه وجوب الخطاب ويعزم على فعله اذا استوضح
المراد به ثم اتموا الصيام الى الليل قالوا فيه دليل على جواز النية بالنهار في صوم رمضان وعلى جواز تأخير الغسل الى
الفجر وعلى نفي صوم الوصال عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف ان يحبس نفسه في المسجد يتعبد
فيه والمراد بالمباشرة الجماع لما تقدم من قوله احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم فالآن باشروهن
وقيل معناه ولا تلامسوهن بشهوة والجماع يفسد الاعتكاف وكذلك اذا انزل باللمس او القبلة وعن قتادة
كان الرجل اذا اعتكف خرج فباشر امرأته ثم رجع الى المسجد فنهاهم الله عن ذلك وقالوا فيه دليل على ان
الاعتكاف لا يكون الا في مسجد وانه لا يختص به مسجد دون مسجد وقيل لا يجوز الا في مسجد نبي وهو احد المساجد
الثلاثة وقيل في مسجد جامع والعامة على انه في مسجد جماعة وقرأ مجاهد في المسجد تلك حدود الله اي تلك
الاحكام التي ذكرت حدود الله فلا تقربوها فان قلت كيف قيل فلا تقربوها مع قوله فلا تعتدوها
ومن يتعد حدود الله قلت من كان في طاعة الله والعمل بشرائعه فهو متصرف في حيز الحق فنهي ان يتعداه
لان من تعداه وقع في حيز الباطل ثم بولغ في ذلك فنهي ان يقرب الحد الذي هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل
لئلا يداني الباطل وان يكون في الواسطة متباعدا عن الطرف فضلا ان يتخطاه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل
ملك حمى وحمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه فالرتع حول الحمى وقربان حيزه واحد ويجوز
ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه خصوصا لقوله ولا تباشروهن وهي حدود لا تقرب ولا تأكلوا اموالكم
ولا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل بالوجه الذي لم يبحه الله ولم يشرعه ولا تدلوا بها ولا تلقوا امرها
والحكومة فيها الى الحكام لتأكلوا بالتحاكم فريقا طائفة من اموال الناس بالاثم بشهادة الزور او باليمين
الكاذبة او بالصلح مع العلم بان المقضي له ظالم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال للخصمين انما انا بشر وانتم تختصمون
الي ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فلا يأخذن
منه شيئا فانما اقضي له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما
ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه وقيل وتدلوا بها وتلقوا بعضها الى حكام السوء على وجه الرشوة وتدلوا
مجزوم داخل في حكم النهي او منصوب باضمار ان كقوله وتكتموا الحق وانتم تعلمون انكم على الباطل وارتكاب المعصية
مع العلم بقبحها اقبح وصاحبه احق بالتوبيخ يسألونك عن الاهلة روي ان معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاري
قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلئ ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا
لا يكون على حالة واحدة فنزلت مواقيت معالم يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم
وفطرهم وعدد نسائهم وايام حيضهن ومدد حملهن وغير ذلك ومعالم للحج يعرف بها وقته وليس البر
بان تأتوا البيوت من ظهورها كان ناس من الانصار اذا احرموا لم يدخل احد منهم حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من باب فان
كان من اهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج او يتخذ سلما يصعد فيه وان كان من اهل الوبر خرج من
خلف الخباء فقيل لهم ليس البر بتحرجكم من دخول الباب ولكن البر بر من اتقى ما حرم الله فان قلت ما وجه اتصاله

وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث
اخرجوكم ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا فان الله
غفور رحيم وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين

بما قبله قلت كانه قيل لهم عند سؤالهم عن الاهلة وعن الحكمة في نقصانها وتمامها معلوم ان كل ما يفعله الله عز
وعلا لا يكون الا حكمة بالغة ومصلحة لعباده فدعوا السؤال عنه وانظروا في واحدة تفعلونها انتم مما ليس من البر
في شيء وانتم تحسبونها برا ويجوز ان يجري ذلك على سبيل الاستطراد لما ذكر انها مواقيت للحج لانه كان من افعالهم في
الحج ويحتمل ان يكون هذا تمثيلا لتعكيسهم في سؤالهم وان مثلهم فيه كمثل من ترك باب البيت ودخله من ظهره
والمعنى ليس البر وما ينبغي ان تكونوا عليه بان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر بر من اتقى ذلك وتجنبه
ولم يجسر على مثله ثم قال واتوا البيوت من ابوابها اي وباشروا الامور من وجوهها التي يجب ان تباشر
عليها ولا تعكسوا والمراد وجوب توطين النفوس وربط القلوب على ان جميع افعال الله حكمة
وصواب من غير اختلاج شبهة ولا اعتراض شك في ذلك حتى لا يسال عنه لما في السؤال من الاتهام بمقارفة
الشك لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وقاتلوا في سبيل الله المقاتلة في سبيل الله هو الجهاد لاعلاء كلمة الله واعزاز
الدين الذين يقاتلونكم الذين يناجزونكم القتال دون المحاجزين وعلى هذا يكون منسوخا بقوله وقاتلوا المشركين كافة
وعن الربيع بن انس هي اول اية نزلت في القتال بالمدينة فكان رسول الله يقاتل من قاتل ويكف عمن كف او الذين
يناصبونكم القتال دون من ليس من اهل المناصبة من الشيوخ والصبيان والرهبان والنساء او الكفرة
كلهم لانهم جميعا مضادون للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم فهم في حكم المقاتلة قاتلوا او لم يقاتلوا وقيل لما
صد المشركون رسول الله صلى الله عليه عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة ايام فرجع لعمرة
القضا خاف المسلمون ان لا تفي لهم قريش ويصدوهم ويقاتلوهم في الحرم او في الشهر الحرام وكرهوا ذلك نزلت واطلق
لهم قتال الذين يقاتلونهم منهم في الحرم والشهر الحرام ورفع عنهم الجناح في ذلك ولا تعتدوا بابتداء القتال او
بقتال من نهيتم عن قتاله من النساء والشيوخ والصبيان والذين بينكم وبينهم عهد او بالمثلة او بالمفاجاة من غير
دعوة واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل او حرم والثقف وجود على وجه الاخذ والغلبة ومنه
رجل ثقف سريع الاخذ لاقرانه قال فاما تثقفوني فاقتلوني فمن اثقف فليس الى خلود من حيث اخرجوكم
اي من مكة وقد فعل رسول الله صلى الله عليه بمن لم يسلم منهم يوم الفتح والفتنة اشد من القتل اي المحنة والبلاء
الذي ينزل بالانسان يتعذب به اشد عليه من القتل وقيل لبعض الحكما ما اشد من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت
جعل الاخراج من الوطن من الفتن والمحن التي يتمنى عندها الموت ومنه قول القائل لقتل بحد السيف اهون موقعا
على النفس من قتل بحد فراق وقيل الفتنة عذاب الاخرة ذوقوا فتنتكم وقيل الشرك اعظم من القتل في الحرم وذلك
انهم كانوا يستعظمون القتل في الحرم ويعيبون به المسلمين فقيل والشرك الذي هم عليه اشد واعظم مما يستعظمونه
ويجوز ان يراد فتنتهم اياكم بصدكم عن المسجد الحرام اشد من قتلكم اياهم في الحرم او من قتلهم اياكم ان قتلوكم فلا
تبالوا بقتالهم اياكم وقرئ ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم جعل وقوع القتل في بعضهم كوقوعه فيهم يقال قتلتنا
بنو فلان وقال فان تقتلونا نقتلكم فان انتهوا عن الشرك والقتال كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقاتلوهم
حتى لا تكون فتنة اي شرك ويكون الدين لله خالصا ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا عن الشرك فلا عدوان الا على
الظالمين فلا تعتدوا على المنتهين لان مقاتلة المنتهين عدوان وظلم فوضع قوله الا على الظالمين موضع
على المنتهين او فلا تظلموا الا الظالمين غير المنتهين سمى جزاء الظالمين ظلما للمشاكلة كقوله فمن اعتدى

الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله
واعلموا ان الله مع المتقين وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين واتموا الحج والعمرة
لله فان احصرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه

٥٢

عليكم فاعتدوا عليه او اريد انكم ان تعرضتم لهم بعد الانتهاء كنتم ظالمين فيسلط عليكم من يعدو عليكم
الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم المشركون عام الحديبية في الشهر الحرام وهو ذو القعدة فقيل لهم
عند خروجهم لعمرة القضا وكراهتهم القتال وذلك في ذي القعدة الشهر الحرام بالشهر الحرام
اي هذا الشهر بذاك الشهر وهتكه بهتكه يعني تهتكون حرمته عليهم كما هتكوا حرمته عليكم والحرمات
قصاص اي وكل حرمة يجري فيها القصاص من هتك حرمة اي حرمة كانت اقتص منه بان تهتك له حرمة فحين
هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم نحو ذلك ولا تبالوا واكد ذلك بقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى
عليكم واتقوا الله في حال كونكم منتصرين ممن اعتدى عليكم فلا تعتدوا الى ما لا يحل لكم وانفقوا في سبيل الله الباء في بايديكم
مزيدة مثلها في اعطى بيده للمنقاد والمعنى ولا تقبضوا التهلكة ايديكم اي لا تجعلوها اخذة بايديكم مالكة لكم
وقيل بايديكم بانفسكم وقيل تقديره ولا تلقوا انفسكم بايديكم كما يقال اهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب لهلاكها
والمعنى النهي عن ترك الانفاق في سبيل الله لانه سبب الهلاك او عن الاسراف في النفقة حتى يفقر نفسه ويضيع عياله
او عن الاستقتال والاخطار بالنفس او عن ترك الغزو الذي هو تقوية للعدو وروي ان رجلا من المهاجرين حمل
على صف العدو فصاح به الناس القى بيده الى التهلكة فقال ابو ايوب الانصاري نحن اعلم بهذه الاية وانما انزلت فينا
صحبنا رسول الله فنصرناه وشهدنا معه المشاهد واثرناه على اهالينا واموالنا واولادنا فلما فشا الاسلام
وكثر اهله ووضعت الحرب اوزارها رجعنا الى اهالينا واولادنا واموالنا نصلحها ونقيم فيها فكانت التهلكة
الاقامة في الاهل والمال وترك الجهاد وحكى ابو علي في الحلبيات عن ابي عبيدة التهلكة والهلاك والهلك واحد
قال فدل هذا من قوله على ان التهلكة مصدر ومثله ما حكاه سيبويه من قولهم التضرة والتسرة
ونحوها في الاعيان التنضبة والتتفلة ويجوز ان يقال اصلها التهلكة كالتجربة والتبصرة ونحوهما
على انها مصدر من هلك فابدلت من الكسرة ضمة كما جاء الجوار في الجوار واتموا الحج والعمرة لله ايتوا
بهما تامين كاملين بمناسكهما وشرائطهما لوجه الله من غير توان ولا نقصان يقع منكم فيهما قال
تمام الحج ان تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام جعل الوقوف عليها كبعض مناسك الحج الذي لا يتم
الا به وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك روي ذلك عن علي وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم
وقيل ان تفرد لكل واحد منهما سفرا كما قال محمد حجة كوفية وعمرة كوفية افضل وقيل ان تكون النفقة
حلالا وقيل ان تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما بشيء من التجارة والاغراض الدنيوية فان قلت هل فيه دليل
على وجوب العمرة قلت ما هو الا امر باتمامهما ولا دليل في ذلك على كونهما واجبين او تطوعين فقد يؤمر باتمام الواجب
والتطوع جميعا الا ان تقول الامر باتمامهما امر بادائهما بدليل قراءة من قرا واقيموا الحج والعمرة لله والامر للوجوب
في اصله الا ان يدل دليل على خلاف الوجوب كما دل في قوله فاصطادوا فانتشروا ونحو ذلك فيقال لك فقد دل الدليل على نفي
الوجوب وهو ما روي انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج قال لا ولكن ان تعتمر خير لك وعنه الحج جهاد
والعمرة تطوع فان قلت فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال ان العمرة لقرينة الحج وعن عمر رضي الله عنه
ان رجلا قال له اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك وقد نظمت مع

فقدره من صيام او صدقة او نسك فاذا امنتم فمن تمتع بالعمرة
الى الحج فما استيسر من الهدى

الحج في الامر بالاتمام فكانت واجبة مثل الحج قلت كونها قرينة للحج ان القارن يقرن بينهما وانهما
تقترنان في الذكر فيقال حج فلان واعتمر والحجاج والعمار ولانها الحج الاصغر ولا دليل في ذلك على كونها فريضة
لان الوجوب واما حديث عمر فقد فسر الرجل كونهما مكتوبين عليه بقوله اهللت بهما واذا اهل بالعمرة وجبت عليه
كما اذا كبر بالتطوع من الصلوة والدليل الذي ذكرنا اخرج العمرة من صفة الوجوب فبقي الحج وحده فيهما
فهما بمنزلة قولك صم شهر رمضان وستة من شوال في انك تأمره بفرض وتطوع وقرا علي وابن مسعود والشعبي
والعمرة لله بالرفع كانهم قصدوا بذلك اخراجها عن حكم الحج وهو الوجوب فان احصرتم يقال احصر فلان اذا منعه
امر من خوف او مرض او عجز قال الله تعالى الذين احصروا في سبيل الله وقال ابن ميادة وما هجر ليلى ان تكون تباعدت
عليك ولا ان احصرتك شغول وحصر ان حبسه عدو عن المضي او سجن ومنه قيل للمحبس الحصير
وللملك الحصير لانه محجوب هذا هو الاكثر في كلامهم وهما بمعنى المنع في كل شيء مثل صده واصده وكذلك قال
الفراء وابو عمرو والشيباني وعليه قول ابي حنيفة رحمه الله كل منع عنده من عدو كان او مرض او غيرهما معتبر
في اثبات حكم الاحصار وعند مالك والشافعي منع العدو وحده وعن النبي عليه السلام من كسر او عرج فقد حل وعليه
الحج من قابل فما استيسر من الهدى فما تيسر منه يقال يسر الامر واستيسر كما يقال صعب واستصعب
والهدي جمع هدية كما يقال في جدية السرج جدي وقرئ من الهدي بالتشديد جمع هدية كمطية ومطي يعني
فان منعتم من المضي الى البيت وانتم محرمون بحج او عمرة فعليكم اذا اردتم التحلل ما استيسر من الهدى من بعير او
بقرة او شاة فان قلت اين ومتى ينحر هدي المحصر قلت ان كان حاجا فبالحرم متى شاء عند ابي حنيفة يبعث
ويجعل للمبعوث على يده يوم امارات وعندهما في ايام النحر وان كان معتمرا فبالحرم في كل وقت عندهم جميعا
وما استيسر رفع بالابتداء اي فعليه ما استيسر او نصب على فاهدوا ما استيسر ولا تحلقوا روسكم الخطاب
للمحصرين اي لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدي الذي بعثتموه الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي يجب
نحره فيه ومحل الدين وقت وجوب قضائه وهو ظاهر على مذهب ابي حنيفة رحمه الله عنده فان قلت فان النبي عليه السلام نحر هديه
حيث احصر قلت كان محصره طرف الحديبية الذي الى اسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهري ان رسول الله نحر هديه
في الحرم وقال الواقدي الحديبية هي طرف الحرم على تسعة اميال من مكة فمن كان منكم مريضا فمن كان به مرض يحوجه الى
الحلق او به اذى من راسه وهو القمل او الجراحة فعليه اذا احتلق فدية من صيام ثلاثة ايام او صدقة على ستة مساكين
لكل مسكين نصف صاع من بر او نسك وهو شاة وعن كعب بن عجرة ان رسول الله عليه السلام قال له لعلك اذاك هوامك
قال نعم يا رسول الله قال احلق راسك وصم ثلاثة ايام او اطعم ستة مساكين او انسك شاة وكان كعب يقول
فيّ نزلت هذه الاية وروي انه مر به وقد قرح راسه فقال كفى بهذا اذى وامره بان يحلق ويطعم او يصوم
والنسك مصدر وقيل جمع نسيكة وقرئ او نسك بالتخفيف فاذا امنتم الاحصار يعني فاذا
لم تحصروا وكنتم في حال امن وسعة فمن تمتع اي استمتع بالعمرة الى الحج واستمتاعه بالعمرة الى وقت
الحج انتفاعه بالتقرب بها الى الله قبل الانتفاع بتقربه بالحج وقيل اذا احل من عمرته انتفع باستباحة
ما كان محرما عليه الى ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدي هو هدي المتعة وهو نسك عند ابي حنيفة رحمه الله
ويأكل منه وعند الشافعي
يجري مجرى [illegible]

ثم لم يجد فصيام ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا ان
الله شديد العقاب الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله

يجري مجرى الجنايات ولا يأكل منه ويذبحه يوم النحر عنده وعنده يجوز ذبحه اذا احرم بالحجة فمن لم يجد
الهدي فعليه صيام ثلاثة ايام في الحج اي في وقته وهو اشهره ما بين الاحرامين احرام العمرة واحرام الحج وهو مذهب
ابي حنيفة رحمه الله والافضل ان يصوم يوم التروية وعرفة ويوما قبلهما وان مضى هذا الوقت لم يجزه الا
الدم وعند الشافعي رحمه الله لا تصام الا بعد الاحرام بالحج تمسكا بالظاهر قوله في الحج وسبعة اذا رجعتم
بمعنى اذا نفرتم وفرغتم من افعال الحج عند ابي حنيفة وعند الشافعي هو الرجوع الى اهاليهم وقرا ابن
ابي عبلة وسبعة بالنصب عطفا على محل ثلاثة ايام كانه قيل فصيام ثلاثة ايام كقوله او اطعام في يوم ذي مسغبة
يتيما فان قلت ما فائدة الفذلكة قلت الواو قد تجيء للاباحة في نحو قولك جالس الحسن وابن سيرين الا ترى انه
لو جالسهما جميعا او واحدا منهما كان ممتثلا ففذلكت نفيا لتوهم الاباحة وايضا ففائدة الفذلكة
في كل حساب ان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا ليحاط به من جهتين فيتأكد العلم وفي امثال العرب
علمان خير من علم وكذلك كاملة تأكيد اخر وفيه زيادة توصية بصيامها وان لا يتهاون بها ولا ينقص
من عددها كما تقول للرجل اذا كان لك اهتمام بامر تأمره به وكان منك بمنزل الله الله لا تقصر وقيل
كاملة في وقوعها بدلا من الهدي وقرئ فصيام ثلاثة ايام متتابعات ذلك اشارة الى التمتع عند ابي حنيفة
واصحابه لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام عندهم ومن تمتع منهم او قرن كان عليه دم وهو دم جناية
لا يأكل منه واما القارن والمتمتع من اهل الافاق فدمهما دم نسك يأكلان منه وعند الشافعي اشارة الى
الحكم الذي هو وجوب الهدي او الصيام ولم يوجب عليهم شيئا وحاضرو المسجد الحرام اهل المواقيت فمن دونها
الى مكة وعنده اهل الحرم ومن كان من الحرم على مسافة تقصر فيها الصلوة واتقوا الله في المحافظة على حدوده
وما امركم به ونهاكم عنه في الحج وغيره واعلموا ان الله شديد العقاب لمن خالف ليكون علمكم بشدة عقابه لطفا لكم في التقوى
الحج اشهر معلومات اي وقت الحج اشهر معلومات كقولك البرد شهران والاشهر المعلومات شوال وذو القعدة
وعشر ذي الحجة عند ابي حنيفة وعند الشافعي رحمهما الله تسع ذي الحجة وليلة يوم النحر وعند مالك ذو الحجة كله
فان قلت ما فائدة توقيت الحج بهذه الاشهر قلت فائدته ان شيئا من افعال الحج لا يصح الا فيها والاحرام بالحج لا
ينعقد ايضا عند الشافعي في غيرها وعند ابي حنيفة ينعقد الا انه مكروه فان قلت فكيف كان الشهران وبعض
الثالث اشهرا قلت اسم الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما فلا سؤال فيه
اذا وانما كان يكون موضعا للسؤال لو قيل ثلاثة اشهر معلومات وقيل نزل بعض الشهر منزلة كله كما
يقال رايتك سنة كذا او على عهد فلان ولعل العهد عشرون سنة او اكثر وانما رآه في ساعة منها فان قلت ما وجه
مذهب مالك وهو مروي عن عروة بن الزبير قلت قالوا وجهه ان العمرة غير مستحبة فيها عند عمر وابن عمر
فكانها مخلصة للحج لا مجال فيها للعمرة وعن عمر انه كان يخفق الناس بالدرة وينهاهم عن الاعتمار
فيهن وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال لرجل ان اطعتني انتظرت حتى اذا اهللت المحرم
خرجت الى ذات عرق فاهللت منها بعمرة وقالوا العلة من مذهب عروة جواز تاخير طواف الزيارة الى اخر الشهر
معلومات معروفات عند الناس لا يشكلن عليهم وفيه ان الشرع لم يات على خلاف ما عرفوه وانما جاء مقررا له فمن

وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا اولي الالباب ليس عليكم
جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله
عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين
فرض فيهن الحج من الزمه نفسه بالتلبية او بتقليد الهدي وسوقه عند ابي حنيفة وعند الشافعي بالنية فلا رفث فلا جماع
لانه يفسده او فلا فحش من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشريعة وقيل هو السباب والتنابز بالالقاب
ولا جدال ولا مراء مع الرفقاء والخدم والمكارين وانما امر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب في كل حال
لانه مع الحج اسمج كلبس الحرير في الصلوة والتطريب في قراءة القران والمراد بالنفي وجوب انتفائها وانها حقيقة بان لا
تكون وقرى المنفيات الثلاث بالنصب وبالرفع وقرا ابو عمرو وابن كثير الاولين بالرفع والاخير بالنصب لانهما حملا
الاولين على معنى النهي كانه قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق والثالث على معنى الاخبار بانتفاء الجدال كانه قيل ولا شك
ولا خلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام وسائر العرب يقفون بعرفة وكانوا
يقدمون الحج سنة ويؤخرونه سنة وهو النسيء فرد الى وقت واحد ورد الوقوف الى عرفة فاخبر الله انه قد
ارتفع الخلاف في الحج واستدل على ان المنهي عنه هو الرفث والفسوق دون الجدال بقوله عليه السلام من حج فلم
يرفث ولم يفسق خرج كهيئة يوم ولدته امه وانه لم يذكر الجدال وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على الخير عقيب
النهي عن الشر وان يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق
والاخلاق الجميلة او جعل فعل الخير عبارة عن ضبط انفسهم حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه وينصره
قوله وتزودوا فان خير الزاد التقوى اي اجعلوا زادكم الى الاخرة اتقاء القبائح فان خير الزاد اتقاؤها
وقيل كان اهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن متوكلون ونحن نحج بيت الله افلا يطعمنا فيكونون
كلا على الناس فنزلت فيهم ومعناه تزودوا واتقوا الاستطعام وابرام الناس والتثقيل عليهم
فان خير الزاد التقوى واتقون يا اولي الالباب فان قضية اللب تقوى الله ومن لم
يتقه من الالباء فكانه لا لب له ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم عطاء منه وتفضلا وهو النفع والربح بالتجارة
وكان ناس من العرب يتأثمون ان يتجروا ايام الحج واذا دخل العشر كفوا عن البيع والشراء فلم يقم لهم سوق
ويسمون من يخرج بالتجارة الداج ويقولون هؤلاء الداج وليسوا بالحاج وقيل كانت عكاظ ومجنة وذو
المجاز اسواقهم في الجاهلية يتجرون فيها في ايام الموسم وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا فرفع
عنهم الجناح في ذلك وابيح لهم وانما يباح ما لم يشغل عن العبادة وعن ابن عمر ان رجلا قال له انا قوم نكري
في هذا الوجه وان قوما يزعمون ان لا حج لنا فقال سال رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما سالت فلم يرد عليه حتى نزل
ليس عليكم جناح فدعا به فقال انتم حجاج وعن عمر رضي الله عنه انه قيل له هل كنتم تكرهون التجارة في الحج فقال
وهل كانت معايشنا الا من التجارة في الحج وقرا ابن عباس فضلا من ربكم في مواسم الحج ان تبتغوا في ان تبتغوا
فاذا افضتم دفعتم بكثرة وهو من افاضة الماء وهو صبه بكثرة واصله افضتم انفسكم فترك ذكر المفعول
كما ترك في دفعوا من موضع كذا وصبوا وفي حديث ابي بكر رضي الله عنه صب في دقران وهو يحلش بعيره
بمحجنه وتفاكروا اذا ضوا في الحديث وهضبوا فيه وعرفات علم للموقف سمي بجمع كاذرعات
فان قلت هلا منعت الصرف وفيها السببان التعريف والتانيث قلت لا يخلو التانيث اما ان يكون بالتا
التي في لفظها واما بتاء مقدرة كما في سعاد فالتي في لفظها ليست للتانيث وانما هي مع الالف التي قبلها

علامة جمع المؤنث ولا يصح تقدير التاء فيها لان هذه التاء لاختصاصها بجمع المؤنث مانعة من تقديرها
كما لا تقدر تاء التانيث في بنت لان التاء التي هي بدل من الواو لاختصاصها بالمؤنث كتاء التانيث فابت
تقديرها وانما سميت بذلك لانها وصفت لابراهيم عليه السلام فلما ابصرها عرفها وقيل ان جبريل حين
كان يدور به في المشاعر اراه اياها فقال قد عرفت وقيل التقى فيها ادم عليه السلام وحواء رضي الله عنها
فتعارفا وقيل لان الناس يتعارفون فيها والله اعلم بحقيقة ذلك وهي من الاسماء المرتجلة الا ان العرفة
لا تعرف في اسماء الاجناس الا ان تكون جمع عارف وفيها دليل على وجوب الوقوف بعرفة لان الافاضة لا تكون
الا بعده وعن النبي عليه السلام الحج عرفة فمن ادرك عرفة فقد ادرك الحج فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء
والدعوات وقيل بصلوة المغرب والعشاء عند المشعر الحرام قزح وهو الجبل الذي يقف عليه
الامام وعليه الميقدة وقيل المشعر الحرام ما بين جبلي المزدلفة من مازمي عرفة الى وادي محسر
وليس المازمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام والصحيح انه الجبل لما روى جابر ان النبي عليه السلام لما صلى
الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر
وقوله عند المشعر الحرام معناه مما يلي المشعر الحرام قريبا منه وذلك للفضل كالقرب من جبل الرحمة
والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر وجعلت اعقاب المزدلفة لكونها في حكم المشعر ومتصلة به عند
المشعر والمشعر المعلم لانه معلم للعبادة ووصف بالحرام لحرمته وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه
نظر الى الناس ليلة جمع فقال لقد ادركت الناس هذه الليلة لا ينامون وقيل سميت المزدلفة وجمعا
لان ادم اجتمع فيها مع حواء وازدلف اليها اي دنا منها وعن قتادة لانه يجمع فيها بين الصلوتين
ويجوز ان يقال وصفت بفعل اهلها لانهم يزدلفون الى الله اي يتقربون بالوقوف فيها كما هديكم ما
مصدرية او كافة والمعنى واذكروه ذكرا حسنا كما هديكم هداية حسنة او اذكروه كما علمكم كيف
تذكرونه لا تعدلوا عنه وان كنتم من قبله لمن الضالين الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه
وتعبدونه وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة ثم افيضوا ثم لتكن افاضتكم من حيث افاض
الناس ولا تكن من المزدلفة وذلك لما كان عليه الحمس من الترفع على الناس والتعالي عليهم
وتعظمهم عن ان يساووهم في الموقف وقولهم نحن اهل الله وقطان حرمه فلا نخرج منه فيقفون
بجمع وسائر الناس بعرفات فان قلت فكيف موقع ثم قلت نحو موقعها في قولك احسن الى الناس
ثم لا تحسن الى غير كريم تاتي بثم لتفاوت ما بين الاحسان الى الكريم والاحسان الى غيره وبعد ما بينهما
فكذلك حين امرهم بالذكر عند الافاضة من عرفات قال ثم افيضوا لتفاوت ما بين الافاضتين
وان احديهما صواب والثانية خطا وقيل ثم افيضوا من حيث افاض الناس وهم الحمس اي من المزدلفة
الى منى بعد الافاضة من عرفات وقرئ من حيث افاض الناس بكسر السين اي الناسي وهو ادم صلوات الله عليه
من قوله ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي يعني ان الافاضة من عرفات شرع قديم فلا تخالفوا عنه

واذكروا الله في ايام معدودات فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا
اثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون

فاذا قضيتم مناسككم فاذا فرغتم من عباداتكم واستغفروا الله من الغفلتكم في الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم
الحجية ونفرتم فاذكروا الله كذكركم اباكم فاكثروا ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون في ذكر اباءكم ومفاخرهم وايامهم وكانوا اذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنا وبين الجبل فيعدّدون فضايل ابايهم
ويذكرون محاسن اباءهم او اشد ذكرا في موضع جر عطف على ما اضيف اليه الذكر في قوله كذكركم كما تقول كذكر
قريش اباءهم او قوم اشد منهم ذكرا او في موضع نصب عطف على اباءكم بمعنى او اشد ذكرا من اباءكم على
ان ذكرا من فعل المذكور فمن الناس من يقول معناه اكثروا ذكر الله ودعاءه فان الناس من بين مقل
لا يطلب بذكر الله الا اغراض الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين فكونوا من المكثرين ربنا اتنا في الدنيا اجعل ايتاءنا اي اعطانا
في الدنيا خاصة وماله في الاخرة من خلاق اي من طلب خلاق وهو النصيب او ما لهذا الداعي في الاخرة من نصيب
لان همته مقصورة على الدنيا والحسنة في الدنيا وهو طلبة الصالحين في الدنيا الصحة والكفاف والتوفيق
في الخير وطلبتهم في الاخرة من الثواب وعن علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المراة الصالحة
وفي الاخرة الحوراء وعذاب النار المراة السوء اولئك الداعون بالحسنتين لهم نصيب مما كسبوا من
الاعمال الحسنة وهو الثواب الذي هو المنافع الحسنة او من اجل ما كسبوا كقوله مما خطياتهم اغرقوا
او لهم نصيب مما دعوا به نعطيهم منه ما يستوجبونه بحسب مصالحهم في الدنيا واستحقاقهم في الاخرة وسمى
الدعاء كسبا لانه من الاعمال والاعمال موصوفة بالكسب بما كسبت ايديكم ويجوز ان يكون ولكل الفريقين
جميعا وان لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا والله سريع الحساب يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب
العباد فبادروا اكثار الذكر وطلب الاخرة او وصف نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم وكثرة
اعمالهم ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر عنه وروي انه يحاسب الخلق في قدر حلب شاة وروي في مقدار فواق
ناقة وروي في مقدار لمحة واذكروا الله في ايام معدودات الايام المعدودات ايام التشريق وذكر الله فيها التكبير
في ادبار الصلوات وعند الجمار وعن عمر رضي الله عنه انه كان يكبر في فسطاطه بمنى فيكبر من حوله حتى يكبر الناس
في الطريق وفي الطواف فمن تعجل فمن عجل في النفر واستعجل النفر وتعجل واستعجل يجيئان مطاوعين
بمعنى عجل يقال تعجل في الامر واستعجل ومتعدين يقال تعجل الذهاب واستعجله والمطاوعة اوفق لقوله
ومن تاخر كما هي كذلك في قوله قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون من المستعجل الزلل لاجل المتاني في
يومين بعد يوم النحر يوم القر وهو الذي يسميه اهل مكة يوم الرؤس واليوم بعده ينفر اذا فرغ من
رمي الجمار كما يفعل الناس اليوم وهو مذهب الشافعي ويروى عن قتادة وعند ابي حنيفة واصحابه ينفر قبل طلوع
الفجر ومن تاخر حتى رمى في اليوم الثالث والرمي في اليوم الثالث يجوز تقديمه على الزوال عند ابي حنيفة
وعند الشافعي لا يجوز فان قلت كيف قال فلا اثم عليه عند التعجل والتاخر جميعا قلت دلالة على ان التعجل
والتاخر مخير فيهما كانه قيل فتعجلوا او تاخروا فان قلت اليس التاخر بافضل قلت بلى ويجوز ان يقع
التخيير بين الفاضل والافضل كما خير المسافر بين الصوم والافطار وان كان الصوم افضل وقيل ان اهل الجاهلية
كانوا فريقين منهم من جعل المتعجل اثما ومنهم من جعل المتاخر اثما فورد القران بنفي الماثم عنهما جميعا
لمن اتقى اي ذلك التخيير ونفي الاثم عن المتعجل والمتاخر لاجل الحاج المتقي لئلا يتخالج في قلبه شيء منهما فيحسب

ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام واذا تولى سعى في الارض
ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس
المهاد ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات
الشيطان انه لكم عدو مبين

ان احدهما ربما سبق صاحبه انه اثم في الاقدام عليه لان ذا التقوى حذر متحرز من كل ما يريبه ولانه هو الحاج على
الحقيقة عند الله ثم قال واتقوا الله ليعبا بكم ويجوز ان يراد ذلك الذي مر ذكره من احكام الحج وغيره
لمن اتقى لانه هو المنتفع به دون من سواه كقوله ذلك خير للذين يريدون وجه الله ومن الناس من يعجبك قوله اي يروقك
ويعظم في قلبك ومنه الشيء العجيب الذي يعظم في النفس وهو الاخنس بن شريق كان رجلا حلو المنطق اذا لقي رسول الله
الان له القول وادعى انه يحبه وانه مسلم وقال يعلم الله اني صادق وقيل هو عام في المنافقين كانت تحلو السنتهم
وقلوبهم امر من الصبر فان قلت بم يتعلق قوله في الحيوة الدنيا قلت بالقول اي يعجبك ما يقوله في معنى الدنيا
لان ادعاءه المحبة بالباطل يطلب به حظا من حظوظ الدنيا ولا يريد به الاخرة كما تراد بالايمان الحقيقي والمحبة
الصادقة للرسول فكلامه اذن في الدنيا لا في الاخرة ويجوز ان يتعلق بيعجبك اي قوله حلو فصيح في الدنيا فهو يعجبك
ولا يعجبك في الاخرة لما يرهقه في الموقف من الحبسة واللكنة او لانه لا يؤذن له في الكلام فلا يتكلم حتى يعجبك كلامه
ويشهد الله على ما في قلبه اي يحلف ويقول الله شاهد على ما في قلبي من محبتك ومن الاسلام وقرئ ويشهد الله على ما
في قلبه وفي مصحف ابي ويستشهد الله وهو الد الخصام وهو شديد الجدال والعداوة للمسلمين وقيل كان بينه وبين
ثقيف خصومة فبيتهم ليلا واهلك مواشيهم واحرق زروعهم والخصام المخاصمة واضافة الالد بمعنى في كقولهم
ثبت الغدر او جعل الخصام الد على المبالغة وقيل الخصام جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى وهو
اشد الخصوم خصومة واذا تولى سعى في الارض واذا تولى عنك وذهب بعد القول واللاء المنطق
سعى في الارض ليفسد فيها كما فعل بثقيف وقيل واذا تولى واذا كان واليا فعل ما يفعله ولاة
السوء من الفساد في الارض باهلاك الحرث والنسل وقيل يظهر الظلم حتى يمنع الله بشؤم ظلمه
القطر فيهلك الحرث والنسل وقرئ ويهلك الحرث والنسل على ان الفعل للحرث والنسل والرفع
للعطف على سعى وقرا الحسن بفتح اللام وهي لغة نحو ابى يابى وروي عنه ويهلك على البناء
للمفعول واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه اي
حملته العزة التي فيه وحمية الجاهلية على الاثم الذي ينهى عنه والزمته ارتكابه وان لا يخلي عنه ضرارا و
لجاجا او على رد قول الواعظ ومن الناس من يشري نفسه يبيعها اي يبذلها في الجهاد وقيل يامر بالمعروف
وينهى عن المنكر حتى يقتل وقيل نزلت في صهيب بن سنان اراده المشركون على ترك الاسلام وقتلوا نفرا
كانوا معه فقال لهم انا شيخ كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فخلوني وما انا عليه وخذوا
مالي فقبلوا منه ماله واتى المدينة والله رءوف بالعباد حيث كلفهم الجهاد فعرضهم لثواب الشهداء يا ايها
الذين امنوا ادخلوا في السلم بكسر السين وفتحها وقرا الاعمش بفتح السين واللام وهو الاستسلام
والطاعة اي استسلموا لله واطيعوه كافة لا يخرج احد منكم يده عن طاعته وقيل هو الاسلام والخطاب
لاهل الكتاب لانهم امنوا بنبيهم وكتابهم او للمنافقين لانهم امنوا بالسنتهم ويجوز ان يكون كافة حالا من
السلم لانها تؤنث كما تؤنث الحرب قال السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع
على ان المؤمنين امروا بان يدخلوا في الطاعات كلها وان لا يدخلوا في طاعة دون طاعة او في شعب الاسلام

فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا ان الله عزيز حكيم هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الامر والى الله ترجع

وشرايعه كلها وان لا تخلوا بشيء منها وعن عبد الله بن سلام انه استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقيم على السبت
وان يقرأ من التوراة في صلاته من الليل وكافة من الكف كأنهم كفوا ان يخرج منهم احد باجتماعهم فان زللتم
عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات اي الحجج والشواهد على ان ما دعيتم الى الدخول فيه هو الحق
فاعلموا ان الله عزيز غالب لا يعجزه الانتقام منكم حكيم لا ينتقم الا بحق روي ان قاريا قرأ غفور رحيم
فسمعه اعرابي فانكره ولم يقرأ القران وقال ان كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لا يذكر الغفران عند
الزلل لانه اغراء عليه وقرأ ابو السمال زللتم بكسر اللام وهما لغتان نحو ضللت وضللت هل ينظرون
الا ان يأتيهم الله اي يأتيهم امره او بأسه كقوله او يأتي امر ربك فجاءهم بأسنا ويجوز ان يكون المأتي به
محذوفا بمعنى ان يأتيهم الله ببأسه او بنقمته للدلالة عليه بقوله فان الله عزيز في ظلل جمع ظلة وهي ما اظلك
وقرئ ظلال وهي جمع ظلة كقلة وقلال او جمع ظل من الغمام والملائكة بالرفع كقوله هل ينظرون الا
ان تأتيهم الملائكة وبالجر عطفا على ظلل او على الغمام فان قلت لم يأتيهم العذاب في الغمام قلت لان الغمام
مظنة الرحمة فاذا نزل منه العذاب كان الامر افظع واهول لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان
اغم كما ان الخير اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اسر فكيف اذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير ولذلك
كانت الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث يتوقع الغيث ومن ثم اشتد على المتفكرين في كتاب
الله تعالى قوله وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقضي الامر واتم امر اهلاكهم وتدميرهم وفرغ منه وقرئ
وقضاء الامر على المصدر المرفوع عطفا على الملائكة وقرئ ترجع وترجع على البناء
للفاعل والمفعول بالتانيث والتذكير فيهما سل بني اسرائيل امر للرسول او لكل احد وهذا السؤال
سؤال تقريع كما تسأل الكفرة يوم القيامة كم اتيناهم من اية بينة على ايدي انبيائهم وهي معجزاتهم او من اية
في الكتب شاهدة على صحة دين الاسلام ونعمة الله اياته وهي اجل نعمة من الله لانها اسباب الهدى والنجاة من الضلالة
وتبديلهم اياها ان الله اظهرها لتكون اسباب هداهم فجعلوها اسباب ضلالتهم كقوله فزادتهم رجسا
الى رجسهم او حرفوا ايات الكتب الدالة على دين محمد صلى الله عليه وسلم فان قلت كم استفهامية ام خبرية قلت
تحتمل الامرين ومعنى الاستفهام فيها للتقرير فان قلت ما معنى من بعد ما جاءته قلت معناه من بعد ما تمكن
من معرفتها او عرفها كقوله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه لانه اذا لم يتمكن من معرفتها او لم يعرفها فكانها
غائبة عنه وقرئ ومن يبدل بالتخفيف زين للذين كفروا الحيوة الدنيا المزين هو الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها
في اعينهم بوساوسه وحببها اليهم فلا يريدون غيرها ويجوز ان يكون الله قد زينها لهم بان خذلهم حتى استحسنوها
واحبوها او جعل امهال المزين تزيينا ويدل عليه قراءة من قرأ زين للذين كفروا الحيوة الدنيا على البناء للفاعل
ويسخرون من الذين امنوا كان الكفرة يسخرون من المؤمنين الذين لا حظ لهم من الدنيا كابن مسعود وعمار وصهيب وغيرهم
اي لا يريدون غيرها وهم يسخرون ممن لا حظ له فيها او ممن يطلب غيرها والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة لانهم في
عليين من السماء وهم في سجين من الارض او حالهم عالية لحالهم لانهم في كرامة وهم في هوان او هم عالون عليهم متطاولون يضحكون
منهم كما يتطاول هؤلاء عليهم في الدنيا ويرون الفضل لهم عليهم فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون والله يرزق من يشاء

الامور سل بني اسرائيل كم اتيناهم من اية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب
زين للذين كفروا الحيوة الدنيا ويسخرون من الذين امنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة والله يرزق من يشاء

ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا
فيه وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم
فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه
والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ام حسبتم ان تدخلوا
الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء
والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين امنوا معه

بغير حساب بغير تقدير يعني انه يوسع على من توجب الحكمة التوسعة عليه كما وسع على قارون وغيره فهذه
التوسعة عليكم من جهة الله لما فيها من الحكمة وهي استدراجهم بالنعمة ولو كانت كرامة لكان اولياؤه المؤمنون احق
بها منكم فان قلت لم قال من الذين امنوا ثم قال والذين اتقوا قلت ليريك انه لا يسعد عنده الا المؤمن المتقي وليكون بعثا
للمؤمنين على التقوى اذا سمعوا ذلك كان الناس امة واحدة متفقين على دين الاسلام فبعث الله النبيين يريد
فاختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه عليه وفي قراءة عبد الله كان الناس امة
واحدة فبعث فاختلفوا فبعث الله النبيين والدليل عليه قوله عز وعلا وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا وقيل كان
الناس امة واحدة كفارا فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم والاول الوجه فان قلت متى كان الناس امة واحدة متفقين على
الحق قلت عن ابن عباس انه كان بين ادم وبين نوح عشرة قرون على شريعة من الحق فاختلفوا وقيل هم نوح ومن كان معه
في السفينة وانزل معهم الكتاب يريد الجنس او مع كل واحد منهم كتابه ليحكم الله او الكتاب او النبي المنزل
عليه فيما اختلفوا فيه من الحق ودين الاسلام الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق وما اختلف فيه في الحق الا الذين اوتوه
الا الذين اوتوا الكتاب المنزل لازالة الاختلاف اي ازدادوا في الاختلاف لما انزل عليهم الكتاب وجعلوا نزول الكتاب سببا
في شدة الاختلاف واستحكامه بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا وقلة انصاف منهم من الحق
بيان لما اختلفوا فيه اي فهدى الله الذين امنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف ام حسبتم ان تدخلوا الجنة
ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها للتقرير وانكار الحسبان واستبعاده لما ذكر ما كانت عليه الامم من الاختلاف
على النبيين بعد مجيء البينات تشجيعا لرسول الله والمؤمنين على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا
عليه من المشركين واهل الكتاب وانكارهم لاياته وعداوتهم له قال لهم على طريقة الالتفات التي هي ابلغ
ام حسبتم ولما فيها معنى التوقع وهي في النفي نظيرة قد في الاثبات والمعنى ان اتيان ذلك متوقع منتظر
مثل الذين خلوا حالهم التي هي مثل في الشدة ومستهم بيان للمثل وهو استئناف كان قائلا قال كيف كان ذلك
المثل فقيل مستهم البأساء والضراء وزلزلوا وازعجوا ازعاجا شديدا شبيها بالزلزلة بما اصابهم من الاهوال
والافزاع حتى يقول الرسول الى الغاية التي قال الرسول ومن معه فيها متى نصر الله اي بلغ بهم الضجر ولم يبق
لهم صبر حتى قالوا ذلك ومعناه طلب النصر وتمنيه واستطالة زمان الشدة وفي هذه الغاية دليل على تناهي
الامر في الشدة وتماديه في العظم لان الرسل لا يقادر قدر ثباتهم واصطبارهم وضبطهم لانفسهم
فاذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك الغاية في الشدة التي لا مطمح وراءها الا ان نصر الله قريب
على ارادة القول يعني فقيل لهم ذلك اجابة لهم الى طلبتهم من عاجل النصر وقرئ حتى يقول الرسول بالنصب على
اضمار ان ومعنى الاستقبال لان ان علم له وبالرفع على انه في معنى الحال كقولك شربت الابل حتى يجيء
البعير يجر بطنه الا انها حال ماضية محكية يسألونك ماذا ينفقون فان قلت كيف طابق الجواب السؤال في قوله
قل ما انفقتم وهم قد سألوا عن بيان ما ينفقون واجيبوا ببيان المصرف قلت قد تضمن قوله ما انفقتم من خير بيان ما
ينفقونه وهو كل خير وبني الكلام على ما هو اهم وهو بيان المصرف لان النفقة لا يعتد بها الا ان تقع
موقعها ان الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع وعن ابن عباس انه جاء عمرو بن الجموح

يسألونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل
وما تفعلوا من خير فان الله به عليم

كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم و
عسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون يسألونك
عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير
وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد

وهو شيخ هم وله مال عظيم فقال ماذا ننفق من أموالنا وأين نضعها فنزلت وعن السدي هي
منسوخة بفرض الزكوة وعن الحسن هي في التطوع كتب عليكم القتال وهو كره لكم من الكراهة
بدليل قوله وعسى أن تكرهوا شيئا ثم إما أن يكون بمعنى الكراهة على وضع المصدر موضع الوصف مبالغة
كقوله فإنما هي إقبال وإدبار كأنه في نفسه كراهة لفرط كراهتهم له وإما أن يكون فعلا بمعنى المفعول
كالضعف والضعف ويجوز أن يكون بمعنى الإكراه على سبيل المجاز كأنهم أكرهوا عليه لشدة كراهتهم له
ومشقته عليهم ومنه قوله تعالى حملته أمه كرها ووضعته كرها وعسى أن تكرهوا شيئا جميع
ما كلفوه فإن النفوس تكرهه وتنفر عنه وتحب خلافه والله يعلم ما يصلحكم وما هو خير لكم وأنتم لا
تعلمونه يسألونك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش على سرية في جمادى الآخرة قبل قتال
بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيها عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلاثة معه فقتلوه وأسروا اثنين
واستاقوا العير وفيها من تجارة الطائف وكان ذلك أول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة
فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس إلى معايشهم فوقف
رسول الله العير وعظم ذلك على أصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله
العير والأسارى وعن ابن عباس لما نزلت أخذ رسول الله الغنيمة والمعنى يسألك الكفار أو المسلمون
عن القتال في الشهر الحرام وقتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وفي قراءة عبد الله عن قتال فيه على تكرير
العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم وقرأ عكرمة قتل فيه قل قتل فيه كبير أي إثم كبير وعن عطاء أنه سئل
عن القتال في الشهر الحرام فحلف بالله ما يحل للناس أن يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام إلا أن يقاتلوا فيه وما نسخت
وأكثر الأقاويل على أنها منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وصد عن سبيل الله مبتدأ
وأكبر خبره يعني وكبائر قريش من صدهم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وكفرهم بالله وإخراج
أهل المسجد الحرام وهم رسول الله والمؤمنون أكبر عند الله مما فعلته السرية من القتال في الشهر الحرام
على سبيل الخطأ والبناء على الظن والفتنة الإخراج أو الشرك والمسجد الحرام عطف على سبيل الله
ولا يجوز أن يعطف على الهاء في به ولا يزالون يقاتلونكم إخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وأنهم لا
ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى معناها التعليل كقولك فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة أي
يقاتلونكم كي يردوكم وإن استطاعوا استبعاد لاستطاعتهم كقول الرجل لعدوه إن ظفرت بي فلا تبق علي وهو
واثق بأنه لا يظفر به ومن يرتدد منكم ومن يرجع عن دينه إلى دينهم ويطاوعهم على ردته ثم يمت على الردة
فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة لما يفوتهم بإحداث الردة مما للمسلمين في الدنيا من ثمرات الإسلام وباستدامتها
والموت عليها من ثواب الآخرة وبها احتج الشافعي على أن الردة لا تحبط الأعمال حتى يموت عليها وعند أبي حنيفة
أنها تحبطها وإن رجع مسلما إن الذين آمنوا والذين هاجروا روي أن عبد الله بن جحش وأصحابه حين قتلوا الحضرمي
ظن قوم أنهم إن سلموا من الإثم فليس لهم أجر فنزلت أولئك يرجون رحمة الله عن قتادة هؤلاء خيار هذه الأمة ثم جعلهم
الله تعالى أهل رجاء كما تسمعون وإنه من رجا طلب ومن خاف هرب يسألونك عن الخمر والميسر الآية نزلت في الخمر

٥٧

والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم
عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك
أصحاب النار هم فيها خالدون إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله
والله غفور رحيم يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما
أربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا وكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال
ثم إن عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة قالوا يا رسول الله أفتنا في الخمر فإنها مذهبة للعقل مسلبة
للمال فنزلت فيهما إثم كبير ومنافع للناس فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف
ناسا منهم فشربوا وسكروا فأم بعضهم فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة
وأنتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك قوما فيهم سعد بن أبي وقاص فلما سكروا افتخروا
وتناشدوا حتى أنشد سعد شعرا فيه هجاء الأنصار فضربه أنصاري بلحي بعير فشجه موضحة فشكا
إلى رسول الله فقال عمر رضي الله عنه اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت إنما الخمر والميسر والأنصاب
إلى قوله فهل أنتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب وعن علي رضي الله عنه لو وقعت قطرة في بئر فبنيت مكانها
منارة لم أؤذن عليها ولو وقعت في بحر ثم جف ونبت فيه الكلأ لم أرعه وعن ابن عمر لو أدخلت
أصبعي فيه لم تتبعني وهذا هو الإيمان حقا وهم الذين اتقوا الله حق تقاته والخمر ما غلا واشتد
وقذف بالزبد من عصير العنب وهو حرام وكذلك نقيع الزبيب والتمر الذي لم يطبخ فإن طبخ حتى
ذهب ثلثاه ثم غلا واشتد ذهب خبثه ونصيب الشيطان وحل شربه ما دون السكر إذا لم يقصد بشربه
اللهو والطرب عند أبي حنيفة وعن بعض أصحابه لأن أقول مرارا هو حلال أحب إلي من أن أقول مرة هو حرام
ولأن أخر من السماء فأتقطع قطعا أحب إلي من أن أتناول منه قطرة وعند أكثر الفقهاء هو حرام كالخمر
وكذلك كل ما أسكر من كل شراب وسميت خمرا لتغطيتها العقل والتمييز كما سميت سكرا
لأنها تسكرهما أي تحجزهما وكأنها سميت بالمصدر من خمره خمرا إذا ستره للمبالغة والميسر
القمار مصدر من يسر كالموعد والمرجع من فعلهما يقال يسرته إذا قمرته واشتقاقه من اليسر لأنه
أخذ مال الرجل بيسر وسهولة من غير كد ولا تعب أو من اليسار لأنه سلب يساره وعن ابن عباس كان
الرجل في الجاهلية يخاطر على أهله وماله قال أقول لهم بالشعب إذ ييسرونني أي يفعلون ما يفعل
الياسر وإن قلت كيف صفة الميسر قلت كانت لهم عشرة أقداح وهي الأزلام والأقلام الفذ
والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل واحد منها
نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزئونها عشرة أجزاء وقيل ثمانية وعشرين إلا الثلاثة وهي
وللحلس أربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة
ويضعونها على يدي عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا منها فمن خرج له قدح
من ذوات الأنصباء أخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ومن خرج له قدح مما لا نصيب له لم يأخذ
شيئا وغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الأنصباء إلى الفقراء ولا يأكلون منها ويفتخرون
بذلك ويذمون من لم يدخل فيه ويسمونه البرم وفي حكم الميسر أنواع القمار من النرد والشطرنج
وغيرهما وعن النبي عليه السلام إياكم وهاتين اللعبتين المشؤومتين فإنهما من ميسر العجم وعن علي
رضي الله عنه أن النرد والشطرنج من الميسر وعن ابن سيرين كل شيء فيه خطر فهو من الميسر والمعنى

يسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النار

يسألونك عما في تعاطيهما بدليل قوله فيهما إثم كبير وإثمهما وعقاب الإثم في تعاطيهما أكبر من نفعهما وهو الالتذاذ بشرب الخمر والقمار والطرب فيهما والتوصل بهما إلى مصادقات الفتيان ومعاشرتهم والنيل من مطاعمهم ومشاربهم وأعطياتهم وسلب الأموال بالقمار والافتخار على الأبرام **وقرئ** إثم كثير بالثاء وفي قراءة أبي وإثمهما أقرب ومعنى الكثرة أن أصحاب الشرب والقمار يقترفون فيهما الآثام من وجوه كثيرة **ويسألونك ماذا ينفقون** **قل العفو** العفو نقيض الجهد ومنه يقال للأرض السهلة العفو وهو أن ينفق ما تيسر له بذله ولا يبلغ منه الجهد واستفراغ الوسع قال أخذي العفو مني تستديمي مودتي وعن النبي عليه السلام أن رجلا أتاه ببيضة من ذهب أصابها في بعض المغازي فقال خذها مني صدقة فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه من الجانب الأيمن فقال مثله فأعرض عنه ثم أتاه من الجانب الأيسر فأعرض عنه فقال هاتها مغضبا فأخذها فحذفه بها حذفا لو أصابه لشجه أو عقره ثم قال يجيء أحدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس إنما الصدقة عن ظهر غنى **في الدنيا والآخرة** إما أن يتعلق بتتفكرون فيكون المعنى لعلكم تتفكرون فيما يتعلق بالدارين فتأخذون بما هو أصلح لكم كما بينت لكم أن العفو أصلح من الجهد في النفقة أو تتفكرون في الدارين فتؤثرون أبقاهما وأكثرهما منافع ويجوز أن يكون إشارة إلى قوله وإثمهما أكبر من نفعهما لتتفكروا في عقاب الإثم في الآخرة والنفع في الدنيا حتى لا تختاروا النفع العاجل على النجاة من العقاب العظيم وإما أن يتعلق بيبين على معنى يبين لكم الآيات في أمر الدارين وفيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون **ويسألونك عن اليتامى** لما نزلت إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى ومخالطتهم وتركوا مخالطتهم والقيام بأموالهم والاهتمام بمصالحهم فشق ذلك عليهم وكاد يوقعهم في الحرج فنزلت **قل إصلاح لهم خير** أي مداخلتهم على وجه الإصلاح لهم ولأموالهم خير من مجانبتهم **وإن تخالطوهم** وتعاشروهم ولم تجانبوهم **فإخوانكم** أي فهم إخوانكم في الدين ومن حق الأخ أن يخالط أخاه وقد حملت المخالطة على المصاهرة **والله يعلم المفسد من المصلح** أي لا يخفى على الله من داخلهم بإفساد وإصلاح فيجازيه على حسب مداخلته فاحذروه ولا تتحروا غير الإصلاح **ولو شاء الله لأعنتكم** لحملكم على العنت وهو المشقة وأحرجكم فلم يطلق لكم مداخلتهم **وقرأ** طاوس قل إصلاح إليهم ومعناه إيصال الصلاح إليهم وقرئ لعنتكم بطرح الهمزة وإلقاء حركتها على اللام **وكذلك** فلا إثم عليه **إن الله عزيز** غالب يقدر على أن يعنت عباده ويحرجهم **حكيم** لا يكلف إلا ما يتسع فيه طاقتهم **ولا تنكحوا** وقرئ بضم التاء أي لا تزوجوهن **المشركات حتى يؤمن** والمشركات الحربيات والآية ثابتة والحربيات والكتابيات جميعا لأن أهل الكتاب من أهل الشرك لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله إلى قوله سبحانه عما يشركون وهي منسوخة بقوله والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وسورة المائدة كلها ثابتة لم ينسخ منها شيء قط وهو قول ابن عباس والأوزاعي وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مرثد بن أبي مرثد الغنوي إلى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين وكان يهوى امرأة في الجاهلية اسمها عناق فأتته وقالت ألا تخلو فقال ويحك إن الإسلام قد حال بيننا فقالت هل لك أن تتزوج بي فقال نعم ولكن أرجع إلى رسول الله فأستأمره فنزلت **ولأمة مؤمنة** ولامرأة مؤمنة حرة كانت أو مملوكة وكذلك ولعبد مؤمن لأن الناس كلهم عبيد الله وإماؤه **ولو أعجبتكم** ولو كان الحال أن المشركة تعجبكم وتحبونها فإن المؤمنة خير منها مع ذلك أولئك إشارة إلى المشركات والمشركين أي

والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم

يدعون إلى الكفر فحقهم أن لا يوالوا ولا يصاهروا ولا يكون بينهم وبين المؤمنين إلا المناصبة والقتال **والله يدعو إلى الجنة** يعني أولياء الله وهم المؤمنون يدعون إلى الجنة **والمغفرة** وما يوصل إليهما فهم الذين تجب موالاتهم ومصاهرتهم وأن يؤثروا على غيرهم **بإذنه** بتيسير الله للعمل وتوفيقه للعمل الذي به يستحق الجنة والمغفرة **وقرئ** والمغفرة بإذنه بالرفع أي والمغفرة حاصلة بتيسيره **ويسألونك عن المحيض** هو المحيض مصدر يقال حاض محيضا كقولك جاء مجيئا وبات مبيتا **قل هو أذى** أي الحيض شيء يستقذر ويؤذي من يقربه نفرة منه وكراهة له **فاعتزلوا النساء** فاجتنبوهن يعني فاجتنبوا مجامعتهن روي أن أهل الجاهلية كانوا إذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها على فرش ولم يساكنوها في بيت كفعل اليهود والمجوس فلما نزلت أخذ المسلمون بظاهر اعتزالهن فأخرجوهن من بيوتهم فقال ناس من الأعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة فإن آثرناهن بالثياب هلك سائر أهل البيت وإن استأثرنا بها هلكت الحيض فقال عليه السلام إنما أمرتم أن تعتزلوا مجامعتهن إذا حضن ولم يأمركم بإخراجهن من البيوت كفعل الأعاجم وقيل إن النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يعتزلونهن في كل شيء فأمر الله تعالى بالاقتصاد بين الأمرين ومن الفقهاء خلاف في الاعتزال فأبو حنيفة وأبو يوسف رحمهما الله يوجبان اعتزال ما اشتمل عليه الإزار ومحمد بن الحسن لا يوجب إلا اعتزال الفرج وروى محمد حديث عائشة رضي الله عنها أن عبد الله بن عمر سألها هل يباشر الرجل امرأته وهي حائض فقالت تشد إزارها على سفلتها ثم ليباشرها إن شاء وما روى زيد بن أسلم أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم ما يحل لي من امرأتي وهي حائض قال لتشد عليها إزارها ثم شأنك بأعلاها ثم قال وهذا قول أبي حنيفة وقد جاء ما هو أرخص من هذا عن عائشة أنها قالت يجتنب شعار الدم وله ما سوى ذلك **وقرئ** يطهرن بالتشديد أي يتطهرن بدليل قوله فإذا تطهرن وقرأ عبد الله حتى يتطهرن ويطهرن بالتخفيف والتطهر الاغتسال والطهر انقطاع دم الحيض وكلتا القراءتين مما يجب العمل به فذهب أبو حنيفة إلى أن له أن يقربها في أكثر الحيض بعد انقطاع الدم وإن لم تغتسل وفي أقل الحيض لا يقربها حتى تغتسل أو يمضي عليها وقت صلاة وذهب الشافعي إلى أنه لا يقربها حتى تطهر وتتطهر فتجمع بين الأمرين وهو قول واضح ويعضده قوله فإذا تطهرن **من حيث أمركم الله** من المأتى الذي أمركم الله به وحلله لكم وهو القبل **إن الله يحب التوابين** مما عسى يندر منهم من ارتكاب ما نهوا عنه من ذلك **ويحب المتطهرين** المتنزهين عن الفواحش أو إن الله يحب التوابين الذين يطهرون أنفسهم بطهرة التوبة من كل ذنب ويحب المتطهرين من جميع الأقذار كمجامعة الحائض والطاهر قبل الغسل وإتيان ما ليس بمباح وغير ذلك **حرث لكم** مواضع حرث لكم وهذا مجاز شبههن بالمحارث تشبيها لما يلقى في أرحامهن من النطف التي منها النسل بالبذور **فأتوا حرثكم أنى شئتم** تمثيل أي فأتوهن كما تأتون أراضيكم التي تريدون أن تحرثوها من أي جهة شئتم لا يحظر عليكم جهة دون جهة والمعنى جامعوهن من أي شق أردتم بعد أن يكون المأتى واحدا وهو موضع الحرث وقوله هو أذى فاعتزلوا النساء من حيث أمركم الله فأتوا حرثكم أنى شئتم من الكنايات اللطيفة والتعريضات

وقدموا لانفسكم واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وبشر المؤمنين ولا
تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس
والله سميع عليم لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم
بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم

المستحسنة وهذه واشباهها من كلام الله آداب حسنة على المؤمنين ان يتعلموها ويتأدبوا بها ويتكلفوا مثلها
في محاوراتهم ومكاتباتهم وروي ان اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته وهي مجبية من دبرها في قبلها
كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كذبت اليهود ونزلت وقدموا لانفسكم ما يجب تقديمه من
الاعمال الصالحة وما هو خلاف ما نهيتم عنه وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطء واتقوا الله فلا تجترئوا
على المناهي واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا ما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين المستوجبين للمدح والتعظيم
بترك القبائح وفعل الحسنات فان قلت ما موقع قوله نساؤكم حرث لكم مما قبله قلت موقعه موقع البيان والتوضيح
لقوله فأتوهن من حيث امركم الله يعني ان المأتى الذي امركم الله به هو مكان الحرث ترجمة له وتفسيرا او ازالة للشبهة
ودلالة على ان الغرض الاصيل في الاتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فلا تأتوهن الا من المأتى الذي يتعلق به هذا
الغرض فان قلت ما بال يسألونك جاء بغير واو ثلاث مرات ثم مع الواو ثلاثا قلت كان سؤالهم عن تلك الحوادث الاول
وقع في احوال متفرقة فلم يؤت بحرف العطف لان كل واحد من السؤالات سؤال مبتدأ وسألوا عن الحوادث الاخر
في وقت واحد فجيء بحرف الجمع لذلك كأنه قيل يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر والسؤال عن الانفاق
والسؤال عن كذا وكذا ولا تجعلوا الله عرضة العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة وهي اسم ما
تعرضه دون الشيء من عرض العود على الاناء فيتعرض دونه ويصير حاجزا ومانعا منه تقول فلان عرضة
دون الخير والعرضة ايضا المعرض للامر قال فلا تجعلوني عرضة للوائم ومعنى الآية على الاولى
ان الرجل كان يحلف على بعض الخيرات من صلة رحم او اصلاح ذات بين او احسان الى احد او عبادة ثم يقول
اخاف الله ان احنث في يميني فيترك البر ارادة البر في يمينه فقيل لهم لا تجعلوا الله عرضة لايمانكم اي حاجزا
لما حلفتم عليه وسمي المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين كما قال النبي عليه السلام لعبد الرحمن بن سمرة اذا حلفت
على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فائت الذي هو خير وكفر عن يمينك اي على شيء مما تحلف عليه وقوله ان تبروا
وتتقوا وتصلحوا عطف بيان لايمانكم اي للامور المحلوف عليها التي هي البر والتقوى والاصلاح بين الناس
فان قلت بم تتعلق اللام في لايمانكم قلت بالفعل اي ولا تجعلوا الله لايمانكم برزخا وحاجزا ويجوز ان يتعلق
بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض بمعنى لا تجعلوه شيئا يعترض البر من اعترضني كذا ويجوز ان يكون
اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا بالفعل او بالعرضة اي ولا تجعلوا الله لاجل ايمانكم به عرضة لان تبروا
ومعناها على الاخرى ولا تجعلوا الله معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم من انزل
فيه ولا تطع كل حلاف مهين باشنع المذام وجعل الحلاف مقدمتها وان تبروا علة للنهي اي ارادة
ان تبروا وتتقوا وتصلحوا لان الحلاف مجترئ على الله غير معظم له فلا يكون برا متقيا ولا يثق به
الناس فلا يدخلونه في وساطاتهم واصلاح ذات بينهم لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو الساقط
الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولذلك قيل لما لا يعتد به في الدية من اولاد الابل لغو واللغو من اليمين الساقط
الذي لا يعتد به في الايمان وهو الذي لا عقد معه والدليل عليه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان بما كسبت
قلوبكم واختلف الفقهاء فيه فعند ابي حنيفة واصحابه هو ان يحلف على الشيء يظنه على ما حلف عليه ثم يظهر

للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر فان فاءوا فان الله غفور رحيم وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم والمطلقات
يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن

خلافه وعند الشافعي هو قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف ولو قيل
لواحد منهم سمعتك اليوم تحلف في المسجد الحرام لانكر ذلك ولعله قال لا والله الف مرة وفيه معنيان احدهما
لا يؤاخذكم اي لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه احدكم بالظن ولكن يعاقبكم بما كسبت قلوبكم اي اقترفته
من اثم القصد الى الكذب في اليمين وهو ان يحلف على ما يعلم انه خلاف ما يقوله وهي اليمين الغموس والثاني
لا يؤاخذكم اي لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين الذي لا قصد معه ولكن يلزمكم الكفارة بما كسبت قلوبكم
اي بما نوت قلوبكم وقصدت من الايمان ولم يكن كسب اللسان وحده والله غفور حليم حيث لم يؤاخذكم
باللغو في ايمانكم للذين يؤلون من نسائهم قرأ عبد الله آلوا من نسائهم وقرأ ابن عباس يقسمون من
نسائهم فان قلت كيف عدي بمن وهو معدى بعلى قلت قد ضمن في هذا القسم المخصوص معنى البعد
فكأنه قيل يبعدون من نسائهم مولين او مقسمين ويجوز ان يراد لهم من نسائهم تربص اربعة اشهر
كقولك لي منك كذا والايلاء من المرأة ان يقول والله لا اقربك اربعة اشهر فصاعدا على التقييد بالاشهر
او لا اقربك على الاطلاق ولا يكون فيما دون اربعة اشهر الا ما يحكى عن ابراهيم النخعي وحكم ذلك انه
اذا فاء اليها في المدة بالوطء ان امكنه او بالقول ان عجز عنه صح الفيء وحنث القادر ولا كفارة على العاجز فعليه
ولزمته كفارة اليمين ولا كفارة على العاجز وان مضت الاربعة بانت بتطليقة عند ابي حنيفة وعند الشافعي
لا يصح الايلاء الا في اكثر من اربعة اشهر ثم يوقف المولي فاما ان يفيء واما ان يطلق وان ابى طلق عليه
الحاكم ومعنى قوله فان فاءوا فان رجعوا في الاشهر بدليل قراءة عبد الله فان فاءوا فيهن فان الله غفور رحيم يغفر للمولين
ما عسى يقدمون عليه من طلب ضرار النساء بالايلاء وهو الغالب وان كان يجوز ان يكون على رضا منهن اشفاقا
منهن على الولد من الغيل او لبعض الاسباب لاجل الفيئة التي هي مثل التوبة وان عزموا
الطلاق فتربصوا الى مضي المدة فان الله سميع عليم وعيد على اصرارهم وتركهم الفيئة وعلى قول
الشافعي معناه فان فاءوا وان عزموا بعد مضي المدة فان قلت كيف موقع الفاء اذا كانت الفيئة
قبل انتهاء مدة التربص قلت موقع صحيح لان قوله فان فاءوا وان عزموا تفصيل لقوله للذين يؤلون من
نسائهم والتفصيل يعقب المفصل كما تقول انا نزيلكم هذا الشهر فان احمدتكم اقمت عندكم الى آخره
والا لم اقم الا ريثما اتحول فان قلت ما تقول في قوله فان الله سميع عليم وعزمهم الطلاق مما يعلم ولا يسمع
قلت الغالب ان العازم للطلاق وترك الفيئة والضرار لا يخلو من مقاولة ودمدمة ولا بد له من ان
يحدث نفسه ويناجيها بذلك وذلك حديث لا يسمعه الا الله كما يسمع وسوسة الشيطان والمطلقات
يتربصن بانفسهن اراد المدخول بهن من ذوات الاقراء فان قلت كيف جازت ارادتهن خاصة واللفظ يقتضي
العموم قلت بل اللفظ مطلق في تناول الجنس صالح لكله وبعضه فجاء في احد ما يصلح له كالاسم المشترك فان قلت فما
معنى الاخبار عنهن بالتربص قلت هو خبر في معنى الامر واصل الكلام وليتربص المطلقات واخراج الامر
في صورة الخبر تأكيد للامر واشعار بانه مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى امتثاله فكأنهن امتثلن
الامر بالتربص فهو يخبر عنه موجودا ونحوه قولهم في الدعاء رحمك الله اخرج في صورة الخبر ثقة

ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن احق بردهن في ذلك

بالاستجابة كانما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها وبناؤه على المبتدأ مما زاده ايضا فضل تاكيد
ولو قيل وتتربص المطلقات لم يكن بتلك الوكادة فان قلت هلا قيل يتربصن ثلاثة قروء كما قيل تربص
اربعة اشهر وما معنى ذكر الانفس قلت في ذكر الانفس تهييج لهن على التربص وزيادة بعث لان فيه ما
يستنكفن منه فيحملهن على ان يتربصن وذلك ان انفس النساء طوامح الى الرجال فامرن ان يقمعن
انفسهن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على التربص والقروء جمع قرء او قرء وهو
الحيض بدليل قوله عليه السلام دعي الصلوة ايام اقرائك وقوله طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان
ولم يقل طهران وقوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر فاقام الاشهر
مقام الحيض دون الاطهار ولان الغرض الاصيل في العدة استبراء الرحم والحيض هو الذي يستبرأ به
الارحام دون الطهر ولذلك كان الاستبراء من الامة بالحيضة ويقال اقرأت المرأة اذا حاضت وامرأة مقرئ
وقال ابو عمرو بن العلاء دفع فلان جاريته الى فلانة تقرئها اي تمسكها عندها حتى تحيض للاستبراء
فان قلت فما تقول في قوله تعالى فطلقوهن لعدتهن والطلاق المشروع انما يكون في الطهر قلت معناه
مستقبلات لعدتهن كما تقول لقيته لثلاث بقين من الشهر تريد مستقبلا لثلاث وعدتهن الحيض
الثلاث فان قلت فما تقول في قول الاعشى لما ضاع فيها من قروء نسائكا قلت اراد لما ضاع فيها من عدة نسائك
لشهرة القروء عندهم في الاعتداد بهن اي من مدة طويلة كالمدة التي تعتد فيها النساء استطال مدة غيبته
عن اهله كل عام لاقتحامه في الحروب والغارات وانه يمر على نسائه مدة كمدة العدة ضائعة لا يضاجعهن
فيها او اراد من اوقات نسائك فان القرء والقارئ جاء في معنى الوقت ولم يرد لا حيضا ولا طهرا
فان قلت فعلام انتصب ثلاثة قروء قلت على انه مفعول به كقولك المحتكر يتربص الغلاء اي يتربصن
مضي ثلاثة قروء او على انه ظرف اي يتربصن مدة ثلاثة قروء فان قلت لم جاء المميز على جمع الكثرة دون القلة
التي هي الاقراء قلت يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من الجمعين مكان الآخر لاشتراكهما في الجمعية
الا ترى الى قوله بانفسهن وما هي الا نفوس كثيرة ولعل القروء كانت اكثر استعمالا في جمع قرء
من الاقراء فاوثر عليه تنزيلا للقليل الاستعمال منزلة المهمل فيكون مثل قولهم ثلاثة شسوع وقرأ
الزهري ثلاثة قرو بغير همز ما خلق الله في ارحامهن من الولد او من دم الحيض وذلك اذا
ارادت المرأة فراق زوجها فكتمت حملها لئلا ينتظر بطلاقها ان تضع ولئلا يشفق على الولد
فيترك تسريحها او كتمت حيضتها وقالت وهي حائض قد طهرت استعجالا للطلاق
ويجوز ان يراد اللاتي يبغين اسقاط ما في بطونهن من الاجنة فلا يعترفن به ويجحدنه لذلك
فجعل كتمان ما في ارحامهن كناية عن اسقاطه ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر تعظيم
لفعلهن وان من آمن بالله وبعقابه لا يجترئ على مثله من العظائم والبعول جمع بعل
والتاء لاحقة لتأنيث الجمع كما في الحزونة والسهولة ويجوز ان يراد بالبعولة المصدر من قولك
بعل حسن البعولة يعني واهل بعولتهن احق بردهن في ذلك وفي قراءة ابي بردتهن
في ذلك في مدة ذلك التربص فان قلت كيف جعلوا احق بالرجعة كان للنساء حقا فيها قلت

ان ارادوا اصلاحا ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم الطلاق مرتان
فامساك بمعروف او تسريح باحسان ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله

المعنى ان الرجل اذا اراد الرجعة وابتها المرأة وجب ايثار قوله على قولها وكان هو احق منها لا ان لها حقا في الرجعة
ان ارادوا بالرجعة اصلاحا لما بينهم وبينهن واحسانا اليهن ولم يريدوا مضارتهن ولهن مثل الذي عليهن
ويجب لهن من الحق على الرجال مثل الذي يجب لهم عليهن بالمعروف بالوجه الذي لا ينكر في الشرع
وعادات الناس فلا يكلفنهم ما ليس لهن ولا يكلفونهن ما ليس لهم ولا يعنف احد الزوجين صاحبه والمراد
بالمماثلة مماثلة الواجب الواجب في كونه حسنة لا في جنس الفعل فلا يجب عليه اذا غسلت ثيابه او
خبزت له ان يفعل نحو ذلك ولكن يقابله بما يليق بالرجال درجة زيادة في الحق وفضيلة قيل المرأة
تنال من اللذة مثل ما ينال الرجل وله الفضيلة بقيامه عليها وانفاقه في مصالحها الطلاق مرتان
الطلاق بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم اي التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق
دون الجمع والارسال دفعة واحدة ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله ثم ارجع
البصر كرتين اي كرة بعد كرة لا كرتين اثنتين ونحو ذلك من التثاني التي يراد بها التكرير قولهم لبيك وسعديك
وحنانيك وهذاذيك ودواليك وقوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان تخيير لهم بعد ان علمهم
كيف يطلقون بين ان يمسكوا النساء بحسن العشرة والقيام بمواجبهن وبين ان يسرحوهن السراح
الجميل الذي علمهم وقيل معناه الطلاق الرجعي مرتان لانه لا رجعة بعد الثلاث فامساك بمعروف اي
برجعة او تسريح باحسان اي بان لا يراجعها حتى تبين بالعدة او بان لا يراجعها مراجعة يريد بها
تطويل العدة عليها وضرارها وقيل بان يطلقها الثالثة في الطهر الثالث وروي ان سائلا سأل رسول
الله صلى الله عليه وسلم اين الثالثة فقال عليه السلام او تسريح باحسان وعند ابي حنيفة واصحابه الجمع بين التطليقتين
والثلاث بدعة والسنة ان لا يوقع عليها الا واحدة في طهر لم يجامعها فيه لما روي في حديث ابن عمر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له انما السنة ان تستقبل الطهر استقبالا فتطلقها لكل قرء تطليقة وعند
الشافعي لا بأس بارسال الثلاث لحديث العجلاني الذي لاعن امرأته فطلقها ثلاثا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلم ينكر عليه ولا يحل لكم ان تأخذوا روي ان جميلة بنت عبد الله بن ابي كانت تحت ثابت بن قيس بن
شماس وكانت تبغضه وهو يحبها فاتت رسول الله صلى الله عليه فقالت يا رسول الله لا انا ولا ثابت لا يجمع
رأسي ورأسه شيء والله ما اعيب عليه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت
جانب الخباء فرأيته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت وكان
قد اصدقها حديقة فاختلعت منه بها وهو اول خلع كان في الاسلام فان قلت لمن الخطاب في قوله ولا يحل لكم ان
تأخذوا ان قلت للازواج لم يطابقه قوله فان خفتم الا يقيما حدود الله وان قلت للائمة والحكام فهؤلاء
ليسوا بآخذين منهن ولا بمؤتيهن قلت يجوز الامران جميعا ان يكون اول الخطاب للازواج وآخره للائمة
والحكام ونحو ذلك غير عزيز في القرآن وغيره وان يكون الخطاب كله للائمة والحكام لانهم الذين يأمرون
بالاخذ والايتاء عند الترافع اليهم فكأنهم الآخذون والمؤتون مما آتيتموهن مما اعطيتموهن من الصدقات
الا ان يخافا الا يقيما حدود الله الا ان يخاف الزوجان ترك اقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية

فان خفتم ان لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود
الله فاولئك هم الظالمون فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فان طلقها فلا جناح عليهما ان
يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن

لما يحدث من نشوز المراة وسوء خلقها فلا جناح عليهما فلا جناح على الرجل فيما اخذ ولا عليها فيما اعطته
فيما افتدت به نفسها واختلعت به من بذل ما اوتيت من المهر والخلع بالزيادة على المهر مكروه
وهو جائز في الحكم وروي ان امراة نشزت على زوجها فرفعت الى عمر رضي الله عنه فاباتها في بيت الزبل
ثلث ليال ثم دعاها فقال كيف وجدت مبيتك قالت ما بت منذ كنت عنده اقر لعيني منهن فقال
لزوجها اخلعها ولو بقرطها قال قتادة يعني بمالها كله هذا اذا كان النشوز منها فان كان منه كره له
ان ياخذ منها شيئا وقرئ الا ان يخافا على البناء للمفعول وابدال ان بصلته من الف الضمير وهو من بدل
الاشتمال كقولك خيف زيد تركه اقامة حدود الله ونحوه واسروا النجوى الذين ظلموا ويعضده قراءة
عبد الله الا ان يخافوا وفي قراءة ابي الا ان يظنا ويجوز ان يكون الخوف بمعنى الظن يقولون خفت ان
يكون كذا واخاف ان يكون يريدون اظن فان طلقها الطلاق المذكور الموصوف بالتكرار في قوله الطلاق
مرتان واستوفى نصابه او فان طلقها مرة ثالثة بعد المرتين فلا تحل له من بعد من بعد ذلك التطليق حتى
تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى المراة كما يسند الى الرجل كما التزوج
ويقال فلانة ناكح في بني فلان وقد تعلق من اقتصر على العقد في التحليل بظاهره وهو سعيد بن المسيب
والذي عليه الجمهور انه لا بد من الاصابة لما روى عروة عن عائشة رضي الله عنها ان امراة رفاعة
جاءت الى النبي عليه السلام فقالت ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني
وانما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلى الله عليه اتريدين ان ترجعي الى رفاعة لا حتى تذوقي
عسيلته ويذوق عسيلتك وروي انها لبثت ما شاء الله ثم رجعت فقالت انه كان مسني فقال لها كذبت
في قولك الاول فلن اصدقك في الاخر فلبثت حتى قبض رسول الله عليه السلام فاتت ابا بكر رضي الله عنه فقالت
ا ارجع الى زوجي الاول فقال قد عهدت رسول الله حين قال لك ما قال فلا ترجعي اليه فلما قبض ابو بكر
قالت مثله لعمر فقال ان اتيتني بعد مرتك هذه لارجمنك فمنعها فان قيل فما تقول في النكاح
المعقود بشرط التحليل قلت ذهب سفين والاوزاعي وابو عبيد ومالك وغيرهم الى انه غير جائز
وهو جائز عند ابي حنيفة مع الكراهة وعنه انهما ان اضمرا التحليل ولم يصرحا به فلا كراهة
وعن النبي عليه السلام انه لعن المحلل والمحلل له وعن عمر رضي الله عنه لا اوتى بمحلل ولا محلل له
الا رجمتهما وعن عثمان رضي الله عنه لا الا نكاح رغبة غير مدالسة فان طلقها الزوج الثاني
ان يتراجعا ان يرجع كل واحد منهما الى صاحبه بالزواج ان ظنا ان كان في ظنهما انهما يقيمان
حقوق الزوجية ولم يقل ان علما انهما يقيمان لان اليقين مغيب عنهما لا يعلمه الا الله فمن فسر
الظن هنا بالعلم فقد وهم من طريق اللفظ والمعنى لانك لا تقول علمت ان يقوم زيد ولكن علمت
انه يقوم زيد ولكن علمت انه يقوم ولان الانسان لا يعلم ما في الغد وانما يظن ظنا واذا طلقتم
النساء فبلغن اجلهن اي اخر عدتهن وشارفن منتهاها والاجل يقع على المدة كلها وعلى
اخرها يقال لعمر الانسان اجل وللموت الذي ينتهي به اجل وكذا الغاية والامد يقول

فامسكوهن بمعروف او سرحوهن
بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا
ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا ايات

النحويون من لابتداء الغاية والى لانتهاء الغاية ويقال اذا انتهى امده ويتسع في البلوغ ايضا فيقال بلغ البلد اذا
شارفه وداناه ويقال قد وصلت ولم يصل وانما شارف ولانه قد علم ان الامساك بعد تقضي الاجل لا وجه له لانها
بعد تقضيه غير زوجة له وفي غير عدة منه فلا سبيل له عليها فامسكوهن بمعروف فاما ان يراجعها من غير طلب ضرار
بالمراجعة او سرحوهن باحسان واما ان يخليها حتى تنقضي عدتها وتبين من غير ضرار ولا تمسكوهن ضرارا
كان الرجل يطلق المراة ويتركها حتى يقرب انقضاء عدتها ثم يراجعها لا عن حاجة ولكن ليطول العدة عليها
فهو الامساك ضرارا لتعتدوا لتظلموهن وقيل لتلجئوهن الى الافتداء فقد ظلم نفسه بتعريضها العقاب
الله ولا تتخذوا ايات الله هزوا اي جدوا في الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها والا فقد اتخذتموها
هزوا ولعبا ويقال لمن لم يجد في الامر انما انت لاعب وهازئ ويقال كن يهوديا والا فلا تلعب بالتورية
وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا وعن النبي عليه السلام ثلث جدهن جد وهزلهن جد
الطلاق والنكاح والرجعة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام وبنبوة محمد عليه السلام وما انزل عليكم من
الكتاب والحكمة من القران والسنة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها يعظكم به بما انزل عليكم
واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن اما ان يخاطب به الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء
العدة ظلما وقسرا ولحمية الجاهلية لا يتركونهن يتزوجن من شئن من الازواج والمعنى ان ينكحن 71
ازواجهن الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهن واما ان يخاطب به الاولياء في عضلهن ان يرجعن الى ازواجهن
روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته ان ترجع الى الزوج الاول وقيل في جابر بن عبد الله حين
عضل بنت عم له والوجه ان يكون خطابا للناس اي لا يوجد فيما بينكم عضل لانه اذا وجد بينهم وهم راضون
كانوا في حكم العاضلين والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها فلم يخرج وانشد
لابن هرمة وان قصائدي لك فاصطنعني عقائل قد عضلن عن النكاح وبلوغ الاجل على الحقيقة
وعن الشافعي رحمه الله دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين اذا تراضوا اذا تراضى الخطاب والنساء بالمعروف
بما يحسن في الدين والمروة من الشرائط وقيل بمهر المثل ومن مذهب ابي حنيفة انها اذا زوجت نفسها باقل
من مهر مثلها فللاولياء ان يعترضوا ذلك خطاب لرسول الله ولكل
احد ذلكم خير لكم واطهر ازكى لكم واطهر من ادناس الاثام وقيل ازكى لكم واطهر افضل واطيب والله يعلم
ما في ذلك من الزكاء والطهر وانتم لا تعلمونه او والله يعلم ما تستصلحون به من الاحكام والشرائع وانتم تجهلونه والوالدات
يرضعن مثل يتربصن في انه خبر في معنى الامر المؤكد كاملين توكيد كقوله تلك عشرة كاملة لانه مما يتسامح
به فتقول اقمت عند فلان حولين ولم تستكملهما وقرا ابن عباس ان يكمل الرضاعة وقرئ الرضاعة بكسر
الراء والرضعة وان يتم الرضاعة فان قيل كيف اتصل قوله لمن اراد بما قبله قلت هو بيان لمن توجه اليه الحكم كقوله
تعالى هيت لك لك بيان للمهيت به اي هذا الحكم لمن اراد اتمام الرضاع وعن قتادة حولين كاملين انزل
الله تعالى فيه اليسر والتخفيف فقال لمن اراد ان يتم الرضاعة اراد انه يجوز النقصان وعن الحسن ليس ذلك
بوقت لا ينقص منه بعد ان لا يكون في الفطام ضرر وقيل اللام متعلقة بيرضعن كما تقول ارضعت فلانة

وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس الا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك

لفلان ولده اي يرضعن حولين لمن اراد ان يتم الرضاعة من الاب لان الاب يجب عليه ارضاع الولد دون الام وعليه ان يتخذ له ظئرا الا اذا تطوعت الام بارضاعه وهي مندوبة الى ذلك ولا تجبر عليه ولا يجوز استئجار الام عند ابي حنيفة رحمه الله ما دامت زوجة او معتدة من نكاح وعند الشافعي يجوز فان انقضت عدتها جاز بالاتفاق فان قلت فما بال الوالدات مأمورات بان يرضعن اولادهن قلت اما ان يكون امرا على وجه الندب واما على وجه الوجوب اذا لم يقبل الصبي الا ثدي امه او لم توجد له ظئر او كان الاب عاجزا عن الاستئجار وقيل اراد الوالدات المطلقات وايجاب النفقة والكسوة لاجل الرضاع وعلى المولود له وعلى الذي يولد له وهو الوالد وله في محل الرفع على الفاعلية نحو عليهم في المغضوب عليهم فان قلت لم قيل المولود له دون الوالد قلت ليعلم ان الوالدات انما ولدن لهم لان الاولاد للاباء ولذلك ينسبون اليهم لا الى الامهات وانشد للمأمون بن الرشيد

فانما امهات الناس اوعية مستودعات وللابناء آباء

فكان عليهم ان يرزقوهن ويكسوهن اذا ارضعن ولدهم كالاظآر الا ترى انه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعنى وهو قوله واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا بالمعروف تفسيره ما يعقبه وهو ان لا يكلف واحد منهما ما ليس في وسعه ولا يتضارا وقرئ لا تكلف بفتح التاء ولا نكلف بالنون وقرئ لا تضار بالرفع على الاخبار وهو يحتمل البناء للفاعل والمفعول وان يكون الاصل تضارر بكسر الراء او تضارر بفتحها وقرأ الحسن بالكسر على النهي وهو محتمل للبنائين ويبين ذلك انه قرئ لا تضارر ولا تضارر بالجزم وفتح الراء الاولى وكسرها وقرأ ابو جعفر لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وعن الاعرج لا تضار بالسكون والتخفيف وهو من ضاره يضيره ونوى الوقف كما نواه ابو جعفر او اختلس الضمة فظنه الراوي سكونا وعن كاتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تضرر والمعنى لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو ان تعنف به وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وان تشغل قلبه بالتفريط في شأن الولد وان تقول بعد ما ألفها الصبي اطلب له ظئرا وما اشبه ذلك ولا يضار مولود له امرأته بسبب ولده بان يمنعها شيئا مما وجب عليه من رزقها وكسوتها ولا يأخذه منها وهي تريد ارضاعه ولا يكرهها على الارضاع وكذلك اذا كان مبنيا للمفعول فهو نهي عن ان يلحق بها الضرار من قبل الزوج وعن ان يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد ويجوز ان يكون تضار بمعنى تضر وان تكون الباء من صلته اي لا تضر والدة بولدها فلا تسيء غذاءه وتعهده ولا تفرط فيما ينبغي له ولا تدفعه الى الاب بعد ما ألفها ولا يضر الوالد به بان ينتزعه من يدها او يقصر في حقها فتقصر هي في حق الولد فان قلت كيف قيل بولدها وبولده قلت لما نهيت المرأة عن المضارة اضيف اليها الولد استعطافا لها عليه وانه ليس باجنبي منها فمن حقها ان تشفق عليه وكذلك الوالد وعلى الوارث عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تفسير للمعروف معترض بين المعطوف والمعطوف عليه فكان المعنى وعلى وارث المولود له مثل ما وجب عليه من الرزق والكسوة

فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم فلا جناح عليكم اذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن

اي ان مات المولود له لزم من يرثه ان يقوم مقامه في ان يرزقها ويكسوها بالشريطة التي ذكرت من المعروف وتجنب الضرار وقيل هو وارث الصبي الذي لو مات الصبي ورثه واختلفوا فعند ابن ابي ليلى كل من ورثه وعند ابي حنيفة من كان ذا رحم محرم منه وعند الشافعي لا نفقة فيما عدا الولاد وقيل من ورثه من عصبته مثل الجد والاخ وابن الاخ والعم وابن العم وقيل المراد وارث الاب وهو الصبي نفسه وانه ان مات ابوه وورثه وجبت عليه اجرة رضاعه في ماله ان كان له مال فان لم يكن له مال اجبرت الام على ارضاعه وقيل على الوارث على الباقي من الابوين من قوله واجعله الوارث منا فان ارادا فصالا صادرا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما في ذلك زادا على الحولين او نقصا وهذه توسعة بعد التحديد وقيل هو في غير الحولين لا يتجاوز وانما اعتبر تراضيهما في الفصال وتشاورهما اما الاب فلا كلام فيه واما الام فانها احق بالتربية وهي اعلم بحال الصبي وقرئ فان اراد استرضع منقول من ارضع يقال ارضعت المرأة الصبي واسترضعتها الصبي فتعديه الى مفعولين كما تقول انجح الحاجة واستنجحته الحاجة والمعنى ان تسترضعوا المراضع اولادكم فحذف احد المفعولين للاستغناء عنه كما تقول استنجحت الحاجة ولا تذكر من استنجحته وكذلك حكم كل مفعولين لم يكن احدهما عبارة عن الاول اذا سلمتم الى المراضع ما آتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة وقرئ ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله ومنه قوله تعالى انه كان وعده مأتيا اي مفعولا وروى شيبان عن عاصم ما اوتيتم اي ما آتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة ونحوه وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وليس التسليم بشرط للجواز والصحة وانما هو ندب الى الاولى ويجوز ان يكون بعثا على ان يكون الشيء الذي تعطاه المرضع من اهنأ ما يكون لتكون طيبة النفس راضية فيعود ذلك اصلاحا لشأن الصبي واحتياطا في امره بان تأتيها به ناجزا يدا بيد كانه قيل اذا اديتم اليهن يدا بيد بالمعروف متعلق بسلمتم امروا بان يكونوا عند تسليم الاجرة مستبشري الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لانفس المراضع بما امكن حتى يؤمن تفريطهن بقطع معاذيرهن والذين يتوفون منكم على تقدير حذف المضاف اي وازواج الذين يتوفون منكم يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم اي منوان منه بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء اي يستوفون آجالهم وهي قراءة علي رضي الله عنه والذي يحكى ان ابا الاسود الدؤلي كان يمشي خلف جنازة فقال له رجل من المتوفي بكسر الفاء فقال الله وكان احد الاسباب الباعثة لعلي رضي الله عنه على ان امره بان يضع كتابا في النحو يناقضه هذه القراءة يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا يعتددن هذه المدة وهي اربعة اشهر وعشرة ايام وقيل عشرا ذهابا الى الليالي والايام داخلة معها ولا تراهم قط يستعملون التذكير فيه ذاهبين الى الايام تقول صمت عشرا ولو ذكرت خرجت من كلامهم ومن البين فيه قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما فاذا بلغن اجلهن فاذا انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة وجماعة المسلمين فيما فعلن في انفسهن من التعرض للخطاب بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع والمعنى انهن لو فعلن ما هو منكر كان على الائمة ان يكفوهن وان فرطوا كان عليهم

ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء او اكننتم في انفسكم علم الله انكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا
الا ان تقولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم
فاحذروه واعلموا ان الله غفور حليم لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن

الجناح فيما عرضتم به هو ان يقول لها انك لجميلة او صالحة او نافقة ومن غرضي ان اتزوج
وعسى الله ان ييسر لي امراة صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها
عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح فلا يقول اني اريد ان انكحك او اتزوجك او اخطبك وروى
ابن المبارك عن عبد الرحمن بن سليمان عن خالته قالت دخل علي ابو جعفر محمد بن علي وانا في عدتي فقال قد
علمت قرابتي من رسول الله وحق جدي علي وقدمي في الاسلام فقلت غفر الله لك اتخطبني في عدتي وانت
يؤخذ عنك فقال او قد فعلت انما اخبرتك بقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وموضعي قد دخل رسول
الله صلى الله عليه على ام سلمة وكانت عند ابن عمها ابي سلمة فتوفي عنها فلم يزل يذكر لها منزلته من الله وهو
متحامل على يده حتى اثر الحصير في يده من شدة تحامله عليها فما كانت تلك خطبة فان قلت اي فرق
بين الكناية والتعريض قلت الكناية ان تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له والتعريض ان تذكر شيئا تدل
به على شيء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج اليه جئتك لاسلم عليك ولانظر الى وجهك الكريم ولذلك قالوا
وحسبك بالتسليم مني تقاضيا وكانه امالة الكلام الى عرض يدل على الغرض ويسمى التلويح لانه يلوح منه ما يريده
او اكننتم في انفسكم او سترتم واضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بالسنتكم لا معرضين ولا مصرحين علم الله انكم ستذكرونهن
لا محالة ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن ولا تصبرون عنهن وفيه طرف من التوبيخ كقوله علم الله
انكم كنتم تختانون انفسكم فان قلت اين المستدرك بقوله ولكن لا تواعدوهن قلت هو محذوف لدلالة ستذكرونهن عليه تقديره
علم الله انكم ستذكرونهن فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا والسر
وقع كناية عن النكاح الذي هو الوطء لانه مما يسر قال الاعشى ولا تقربن جارة ان سرها عليك حرام فانكحن او تابدا
ثم عبر به عن النكاح الذي هو العقد لانه سبب فيه كما فعل بالنكاح الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا
فان قلت بم يتعلق حرف الاستثناء قلت بلا تواعدوهن اي لا تواعدوهن مواعدة قط الا مواعدة معروفة غير منكرة
او لا تواعدوهن الا بان تقولوا اي لا تواعدوهن الا بالتعريض ولا يجوز ان يكون استثناء منقطعا من سرا لادائه
الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وقيل معناه لا تواعدوهن جماعا وهو ان يقول لها ان نكحتك كان كيت
وكيت يريد ما يجري بينهما تحت اللحاف الا ان تقولوا قولا معروفا يعني من غير رفث ولا افحاش في الكلام وقيل
لا تواعدوهن سرا اي في السر على ان المواعدة في السر عبارة عن المواعدة بما يستهجن لان مسارتهن
في الغالب بما يستحيا من المجاهرة به وعن ابن عباس الا ان تقولوا قولا معروفا هو ان تتواثقا ان لا تتزوج
غيره ولا تعزموا عقدة النكاح من عزم الامر وعزم عليه وذكر العزم مبالغة في النهي عن
عقد النكاح في العدة لان العزم على الفعل يتقدمه فاذا نهى عنه كان عن الفعل انهى ومعناه ولا تعزموا
عقد عقدة النكاح وقيل معناه ولا تقطعوا عقدة النكاح وحقيقة العزم القطع بدليل قوله عليه السلام
لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروي لم يبيت الصيام حتى يبلغ الكتاب اجله يعني ما كتب وفرض من
العدة يعلم ما في انفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموا عليه غفور حليم لا يعاجلكم
بالعقوبة لا جناح عليكم لا تبعة عليكم من ايجاب مهر ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن ما لم تجامعوهن

او تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين وان
طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم الا ان يعفون او يعفو الذي
بيده عقدة النكاح وان تعفوا اقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم ان الله بما تعملون بصير حافظوا على الصلوات
والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين

٦٣

او تفرضوا لهن فريضة الا ان تفرضوا لهن فريضة او حتى تفرضوا وفرض الفريضة تسمية المهر وذلك ان المطلقة غير
المدخول بها ان سمي لها مهر فلها نصف المسمى وان لم يسم لها فليس لها نصف مهر المثل ولكن المتعة والدليل على ان الجناح تبعة المهر
قوله وان طلقتموهن الى قوله فنصف ما فرضتم فقوله فنصف ما فرضتم اثبات للجناح المنفي ثمة والمتعة درع وملحفة
وخمار على حسب الحال عند ابي حنيفة الا ان يكون مهر مثلها اقل من ذلك فلها الاقل من نصف مهر المثل ومن المتعة ولا ينقص
من خمسة دراهم لان اقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها والموسع الذي له سعة والمقتر الضيق الحال وقدره
مقداره الذي يطيقه لان ما يطيقه هو الذي يختص به وقرئ بفتح الدال والقدر والقدر لغتان وعن النبي صلى الله عليه
انه قال لرجل من الانصار تزوج امراة ولم يسم لها مهرا ثم طلقها قبل ان يمسها امتعتها قال لم يكن عندي
شيء قال امتعها بقلنسوتك وعند اصحابنا رحمهم الله لا تجب المتعة الا لهذه وحدها وتستحب لسائر
المطلقات ولا تجب متاعا تاكيد لمتعوهن بمعنى تمتيعا بالمعروف بالوجه الذي يحسن في الشرع والمروة
حقا صفة لمتاعا اي متاعا واجبا عليهم او حق ذلك حقا على المحسنين على الذين يحسنون الى المطلقات
بالتمتيع وسماهم قبل الفعل محسنين كما قال عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه الا ان يعفون يريد المطلقات
فان قلت اي فرق بين قولك الرجال يعفون والنساء يعفون قلت الواو في الاول ضميرهم والنون علم الرفع والواو
في الثاني لام الفعل والنون ضميرهن والفعل مبني لا اثر في لفظه للعامل وهو في محل النصب
ويعفو عطف على محله والذي بيده عقدة النكاح الولي يعني الا ان يعفو المطلقات عن ازواجهن
فلا يطالبنهم بنصف المهر وتقول المراة ما رآني ولا خدمته ولا استمتع بي فكيف آخذ منه شيئا او يعفو
الولي الذي يلي عقد نكاحهن وهو مذهب الشافعي وقيل هو الزوج وعفوه ان يسوق اليها المهر كاملا
وهو مذهب ابي حنيفة والاول ظاهر الصحة وتسمية الزيادة على الحق عفوا فيها نظر الا ان يقال كان
الغالب عندهم ان يسوق اليها المهر عند التزوج فاذا طلقها استحق ان يطالبها بنصف ما ساق
اليها فاذا ترك المطالبة فقد عفا عنها او سماه عفوا على طريق المشاكلة وعن جبير بن مطعم انه تزوج
امراة وطلقها قبل ان يدخل بها فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو وعنه انه دخل على سعد بن
ابي وقاص فعرض عليه بنتا له فتزوجها فلما خرج طلقها وبعث اليها بالصداق كاملا فقيل له لم تزوجتها
فقال عرضها علي فكرهت رده قيل فلم بعثت بالصداق قال فاين الفضل ولا تنسوا الفضل بينكم اي ولا تنسوا
ان يتفضل بعضكم على بعض ولا تستقصوا وقرأ الحسن او يعفو الذي بسكون الواو واسكان
الواو والياء في موضع النصب تشبيه لهما بالالف لانهما اختاها وقرأ ابو نهيك وان يعفوا بالياء وقرئ ولا
تنسوا الفضل بكسر الواو والصلوة الوسطى اي الوسطى بين الصلوات او الفضلى من قولهم للافضل الاوسط
وانما افردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وهي صلوة العصر وعن النبي صلى الله عليه انه قال
يوم الاحزاب شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملا الله بيوتهم نارا وقال عليه السلام انها الصلوة التي
شغل عنها سليمان بن داود حتى توارت بالحجاب وعن حفصة انها قالت لمن كتب لها المصحف اذا
بلغت هذه الآية فلا تكتبها حتى املها عليك كما سمعت رسول الله صلى الله عليه يقرأها فاملت عليه

ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن
من معروف والله عزيز حكيم

والصلوة الوسطى صلوة العصر وروي عن عائشة وابن عباس والصلوة الوسطى وصلوة العصر بالواو فعلى
هذه القراءة يكون التخصيص لصلوتين احديهما الصلوة الوسطى اما الظهر واما الفجر واما المغرب على
اختلاف الروايات فيها والثانية العصر وقيل فضلها لما في وقتها من اشتغال الناس بتجاراتهم
ومعايشهم وعن ابن عمر هي صلوة الظهر لانها في وسط النهار وكان رسول الله صلى الله عليه يصليها
بالهاجرة ولم يكن صلوة اشد على الصحابة منها وعن مجاهد هي الفجر لانها بين صلوتي النهار وصلاتي
الليل وعن قبيصة هي المغرب لانها وتر النهار ولا تنقص في السفر من ثلث وقرا
عبد الله وعلى الصلوة الوسطى وقرات عائشة والصلوة الوسطى بالنصب على المدح والاختصاص وقرا
نافع الوصطى بالصاد وقوموا لله في الصلوة قانتين ذاكرين لله في قيامكم والقنوت
ان تذكر الله قائما وعن عكرمة كانوا يتكلمون في الصلوة فنهوا وعن مجاهد هو الركود وكف الايدي
والبصر وروي انهم كانوا اذا قام احدهم الى الصلوة هاب الرحمن ان يمد بصره او يلتفت او يقلب
الحصى او يحدث نفسه بشيء من امور الدنيا فان خفتم فان كان بكم خوف من عدو او غيره فرجالا فصلوا
راجلين وهو جمع راجل كقائم وقيام او رجل يقال رجل رجل اي راجل وقرى فرجالا بضم الراء ورجالا
بالتشديد ورجلا وعند ابي حنيفة لا يصلون في حال المشي والمسايفة ما لم يمكن الوقوف وعند الشافعي يصلون في كل حال
والراكب يومي ويسقط عنه التوجه الى القبلة فاذا امنتم فاذا زال الخوف فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون
من صلوة الامن او فاذا امنتم فاشكروا الله على الامن واذكروه بالعبادة كما احسن اليكم بما علمكم من الشرائع
وكيف تصلون في حال الخوف ومن حال الامن تقديره فيمن قرا وصية بالرفع وصية الذين يتوفون او وحكم
الذين يتوفون وصية لازواجهم او والذين يتوفون اهل وصية لازواجهم وفيمن قرا بالنصب والذين يتوفون
يوصون وصية كقولك انما انت سير البريد باضمار تسير او والزم الذين يتوفون وصية ويدل عليه قراءة
عبد الله كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكان قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية
لازواجهم متاعا الى الحول وقرا ابي متاع لازواجهم متاعا وروي عنه فمتاع لازواجهم ومتاعا نصب بالوصية
الا اذا اضمرت يوصون فانه نصب بالفعل وعلى قراءة ابي متاعا نصب بمتاع لانه في معنى التمتيع كقولك الحمد لله حمد
الشاكرين واعجبني ضرب لك زيدا ضربا شديدا وغير اخراج مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول
او بدل من متاعا او حال من الازواج اي غير مخرجات والمعنى ان حق الذين يتوفون عن ازواجهم ان يوصوا قبل
ان يحتضروا بان تمتع ازواجهم بعدهم حولا كاملا اي ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن وكان ذلك
في اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا وقيل نسخ ما زاد منه على هذا المقدار ونسخت النفقة بالارث
الذي هو الربع او الثمن والربع واختلف في السكنى فعند ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله لا سكنى لهن فيما فعلن في انفسهن
من التزين والتعرض للخطاب من معروف مما ليس بمنكر شرعا فان قيل كيف نسخت الاية المتقدمة المتاخرة قلت
قد تكون الاية متقدمة في التلاوة وهي متاخرة في التنزيل كقوله تعالى سيقول السفهاء مع قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك في
السماء وللمطلقات متاع عم المطلقات بايجاب المتعة لهن بعد ما اوجبها لواحدة منهن وهي المطلقة غير المدخول بها

وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم
وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون
وقاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله سميع عليم من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط واليه ترجعون

وقال حقا على المتقين كما قال ثمة حقا على المحسنين وعن سعيد بن جبير وابي العالية والزهري انها واجبة لكل مطلقة
وقيل قد تناول التمتيع الواجب والمستحب جميعا وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة الم تر تقرير لمن سمع
بقصتهم من اهل الكتاب واخبار الاولين وتعجيب من شانهم ويجوز ان يخاطب به من لم ير ولم يسمع لان
هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجب روي ان اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون
فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا انه لا مفر من حكم الله وقضائه وقيل مر عليهم
حزقيل بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فلوى شدقه واصابعه تعجبا مما
راى فاوحي اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله فنادى فنظر اليهم قياما يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا
انت وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذرا من الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم
احياهم وهم الوف فيه دليل على الالوف الكثيرة واختلف في ذلك فقيل عشرة وقيل ثلثون وقيل سبعون الفا
ومن بدع التفاسير الوف متآلفون جمع آلف كقاعد وقعود فقال لهم الله موتوا معناه
فاماتهم وانما جيء به على هذه العبارة للدلالة على انهم ماتوا ميتة رجل واحد بامر الله ومشيئته وتلك ميتة خارجة
عن العادة كانهم امروا بشيء فامتثلوا امتثالا من غير اباء ولا توقف كقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول
له كن فيكون وهذا تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وان الموت اذا لم يكن منه بد ولم ينفع منه
مفر فاولى ان يكون في سبيل الله ان الله لذو فضل على الناس حيث يبصرهم ما يعتبرون به ويستبصرون كما بصر
اولئك وكما بصركم باقتصاص خبرهم او لذو فضل على الناس حيث احياهم ليعتبروا فيفوزوا ولو
شاء لتركهم موتى الى يوم البعث والدليل على انه ساق هذه القصة بعثا على الجهاد ما اتبعه من الامر بالقتال
في سبيل الله بقوله وقاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله سميع لما يقوله المتخلفون والسابقون عليم بما يضمرونه
وهو من وراء الجزاء من ذا الذي يقرض الله مثل تقديم العمل الذي يطلب به ثوابه والغرض الحسن اما المجاهدة في نفسها
واما النفقة في سبيل الله اضعافا كثيرة قيل الواحد بسبعمائة وعن السدي كثيرة لا يعلم كنهها الا الله تعالى
والله يقبض ويبسط يوسع على عباده ويقتر فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لا يبدل لكم الضيقة بالسعة
واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم الم تر الى الملا من بني اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم هو يوشع او
شمعون او اشمويل ابعث لنا ملكا اقم لنا اميرا ننهض معه للقتال يدبر امر الحرب ونصدر فيه عن رايه وننتهي الى
امره طلبوا من نبيهم نحو ما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه من التامير على الجيوش التي كان
يجهزها ومن امرهم بطاعته وامتثال اوامره وروي انه امر الناس اذا سافروا ان يجعلوا احدهم
اميرا عليهم نقاتل قرئ بالنون والجزم على الجواب وبالنون والرفع على انه حال اي ابعثه لنا مقدرين
القتال او استئنافا كانه قال لهم ما تصنعون بالملك فقالوا نقاتل وقرئ يقاتل بالياء والجزم على
الجواب وبالرفع على انه صفة لملكا وخبر عسيتم ان لا تقاتلوا بمعنى اتوقع جبنكم عن القتال
ان لا تقاتلون فادخل هل مستفهما عما هو متوقع عنده ومظنون واراد بالاستفهام التقرير
وتثبيت ان المتوقع كائن وانه صائب في توقعه كقوله تعالى هل اتى على الانسان معناه التقرير وقرى عسيتم

...وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله
عليم بالظالمين وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا انى يكون له الملك
علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم

بكسر السين وهي ضعيفة وما لنا ان لا نقاتل واي داع لنا الى ترك القتال واي غرض لنا فيه وقد اخرجنا من ديارنا
وابنائنا وذلك ان قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فاسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة
واربعين الا قليلا منهم قيل كان القليل منهم ثلثمائة وثلثة عشر على عدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم على
ظلمهم في القعود عن القتال وترك الجهاد وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا الآية طالوت اسم اعجمي كجالوت
وداود وانما امتنع من الصرف لتعريفه وعجمته وزعموا انه من الطول لما وصف به من البسطة في الجسم ووزنه ان
كان من الطول فعلوت منه اصله طولوت الا ان امتناع صرفه يدفع ان يكون منه الا ان يقال هو اسم عبراني
وافق عربيا كما وافق حنطا حنطة وبشماها رحمانا رحيما بسم الله الرحمن الرحيم فهو من الطول
كما لو كان عربيا وكان احد سببيه العجمة لكونه عبرانيا انى كيف ومن اين وهو انكار لتملكه عليهم واستبعاد له
فان قلت ما الفرق بين الواوين في ونحن احق ولم يؤت قلت الاولى للحال والثانية لعطف الجملة على الجملة الواقعة حالا قد انتظمتهما
معا في حكم واو الحال والمعنى كيف يتملك علينا والحال انه لا يستحق التملك لوجود من هو احق بالملك وانه فقير ولا بد
للملك من مال يعتضد به وانما قالوا ذلك لان النبوة كانت في سبط لاوي بن يعقوب والملك في سبط يهوذا ولم يكن طالوت من
احد السبطين ولانه كان رجلا سقاء او دباغا فقيرا وروي ان نبيهم دعا الله حين طلبوا منه ملكا فاتي بعصا
يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قال ان الله اصطفاه عليكم يريد ان الله هو الذي اختاره عليكم
وهو اعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على حكم الله ثم ذكر مصلحتين انفع مما ذكروا من النسب والمال وهما العلم
المبسوط والجسامة والظاهر ان المراد بالعلم المعرفة بما طلبوه لاجله من امر الحرب ويجوز ان يكون عالما بالديانات
وبغيرها وقيل قد اوحي اليه ونبئ وذلك ان الملك لا بد ان يكون من اهل العلم فان الجاهل مزدرى غير منتفع
به وان يكون جسيما يملأ العين جهارة لانه اعظم في النفوس واهيب في القلوب والبسطة السعة والامتداد
وروي ان الرجل القائم كان يمد يده فينال رأسه يؤتي ملكه من يشاء اي الملك له غير منازع فيه فهو يؤتيه
من يشاء من يستصلحه للملك والله واسع الفضل والعطاء يوسع على من ليس له سعة من المال ويغنيه بعد الفقر
عليم بمن يصطفيه للملك وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت الآية التابوت صندوق التوراة وكان موسى عليه السلام اذا
قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون والسكينة السكون والطمأنينة وقيل هي صورة
كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها رأس كرأس الهر وذنب كذنبه وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو
وهم يمضون معه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن علي رضي الله عنه كان لها وجه كوجه الانسان
وفيها ريح هفافة وبقية هي رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التوراة وكان رفعه الله بعد
موسى عليه السلام فنزلت به الملائكة تحمله وهم ينظرون اليه فكان ذلك آية لاصطفاء الله طالوت وقيل كان مع موسى
عليه السلام ومع انبياء بني اسرائيل عليهم السلام بعده يستفتحون به فلما غيرت بنو اسرائيل غلبهم عليه الكفار وكان في ارض
جالوت فلما اراد الله ان يملك طالوت اصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مدائن فقالوا هذا بسبب التابوت بين اظهرنا
فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة الى طالوت وقيل كان من خشب الشمشاد مموها بالذهب نحوا من ثلاثة
اذرع في ذراعين وقرأ ابي وزيد بن ثابت التابوه بالهاء وهي لغة الانصار فان قلت ما وزن التابوت قلت

لا يخلو من ان

فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم
بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني الا
من اغترف غرفة بيده فشربوا منه الا قليلا منهم فلما
جاوزه هو والذين امنوا معه قالوا لا طاقة لنا
اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون انهم
ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة
باذن الله والله مع الصابرين

يكون فعلوتا او فاعولا فلا يكون فاعولا لقلته نحو سلس وقلق ولانه تركيب غير معروف فلا يجوز ترك المعروف اليه فهو اذا
فعلوت من التوب لانه ظرف توضع فيه الاشياء وتودعه فلا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وصاحبه يرجع
اليه فيما يحتاج اليه من مودعاته واما من قرأها بالهاء فهو فاعول عنده الا فيمن جعل هاءه بدلا من التاء
لاجتماعهما في الهمس وانهما من حروف الزيادة ولذلك ابدلت من تاء التأنيث وقرأ ابو السمال سكينة بفتح
السين والتشديد وهو غريب وقرئ يحمله بالياء فان قلت من آل موسى وآل هارون قلت الانبياء من بني يعقوب
بعدهما لان عمران هو ابن قاهث بن لاوي بن يعقوب فكانا من اولاد يعقوب آلا لهما ويجوز ان
يراد مما تركه موسى وهارون والآل مقحم لتفخيم شأنهما فلما فصل طالوت بالجنود فصل عن موضع
كذا اذا انفصل عنه وجاوزه واصله فصل نفسه ثم كثر محذوف المفعول حتى صار في حكم غير
المتعدي كانفصل وقيل فصل عن البلد فصولا ويجوز ان يكون فصله فصلا وفصل فصولا كوقف وصد
ونحوهما والمعنى انفصل عن بلده بالجنود روي انه قال لقومه لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ
منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامرأة لم يبن عليها ولا ابتغي الا الشاب النشيط
الفارغ فاجتمع اليه مما اختار ثمانون الفا وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة فسألوا ان
يجري الله لهم نهرا فقال ان الله مبتليكم بما اقترحتموه من النهر فمن شرب منه فمن ابتدأ شربه
من النهر بان كرع فيه فليس مني فليس بمتصل بي ومتحد معي من قولهم فلان مني كأنه بعضه لاختلاطهما
واتحادهما ويجوز ان يراد فليس من جملتي واشياعي ومن لم يطعمه ومن لم يذقه من طعم الشيء
اذا ذاقه ومنه طعم الشيء لمذاقه قال وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا الا ترى كيف عطف
عليه البرد وهو النوم ويقال ما ذقت غماضا ونحوه من الابتلاء ما ابتلي به اهل ايلة من ترك
الصيد مع اتيان الحيتان شرعا بل هو اشد منه واصعب وانما عرف ذلك طالوت باخبار
من النبي وان كان نبيا كما يروى عن بعضهم فبالوحي وقرئ بنهر بالسكون فان قلت مم استثنى
قوله الا من اغترف قلت من قوله فمن شرب منه فليس مني والجملة الثانية في حكم المتأخرة الا انها قدمت
للعناية كما قدم والصابئون في قوله ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئون ومعناه الرخصة في اغتراف
الغرفة باليد دون الكرع والدليل عليه قوله فشربوا منه اي فكرعوا فيه الا قليلا منهم وقرئ غرفة
بالفتح بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف وقرأ ابي والاعمش الا قليل بالرفع وهذا من ميلهم
مع المعنى والاعراض عن اللفظ جانبا وهو باب جليل من علم العربية فلما كان معنى فشربوا منه في معنى
فلم يطيعوه حمل عليه كأنه قيل فلم يطيعوه الا قليل منهم ونحوه قول الفرزدق لم يدع من المال الا مسحت او مجلف
كأنه قال لم يبق من المال الا مسحت او مجلف وقيل لم يبق مع طالوت الا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا فلما جاوزه
هو والذين امنوا معه يعني القليل قال الذين يظنون يعني الخلص منهم الذين نصبوا بين اعينهم لقاء الله
وايقنوه او الذين تيقنوا انهم يستشهدون عما قريب ويلقون الله والمؤمنون مختلفون في قوة اليقين
ونصوع البصيرة وقيل الضمير في قالوا لا طاقة لنا للكثير الذين انخزلوا والذين يظنون هم القليل

فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت واتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشا ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين تلك ايات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات واتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس

الذين ثبتوا معه كانهم تقاولوا بذلك والنهر بينهما يظهرا ولبك عذرهم في الانخزال ويرد عليهم هولا ما يعتذرون وروي ان الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه والذين شربوا منه اسودت شفاههم وغلبهم العطش وجالوت جبار من العمالقة من اولاد عمليق بن عاد وكانت بيضته فيها ثلثماية رطل **ولما برزوا لجالوت وجنوده** ظهروا لهم ودنوا منهم **قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا** وهب لنا ما نثبت به في مداحض الحرب من قوة القلوب والقاء الرعب في قلب العدو ونحو ذلك من الاسباب كان ايشي ابو داود في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وهو صغير يرعى الغنم فاوحى الى اشمويل ان داود بن ايشي هو الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجا وقد مر في طريقه بثلاثة احجار دعاه كل واحد منها ان يحمله وقالت له انك تقتل بنا جالوت فحملها في مخلاته ورمى بها جالوت فقتله وزوجه طالوت بنته وروي انه حسده واراد قتله ثم تاب **واتاه الله الملك** في مشارق الارض المقدسة ومغاربها وما اجتمعت بنو اسرايل على ملك قط قبل داود **والحكمة** النبوة **وعلمه مما يشا** من صنعة الدروع وكلام الطير والدواب وغير ذلك **ولولا دفع الله الناس** ولولا ان الله يدفع بعض الناس **ببعض** ويكف بهم فسادهم لغلب المفسدون و **لفسدت الارض** وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وساير ما يعمر الارض وقيل لولا ان الله ينصر المسلمين على الكفار لفسدت الارض بعبث الكفار فيها وقتل المسلمين او لو لم يدفعهم بهم لعم الكفر ونزلت السخطة فاستوصل اهل الارض **تلك ايات الله** يعني القصص التي اقتصها من حديث الالوف واماتتهم واحيايهم وتمليك طالوت واظهاره بالاية التي هي نزول التابوت من السما وغلبة الجبابرة على يد صبي **بالحق** باليقين الذي لا يشك فيه اهل الكتاب لانه في كتبهم كذلك **وانك لمن المرسلين** حيث تخبر بها من غير ان تعرف بقراءة كتاب او سماع اخبار **تلك الرسل** اشارة الى جماعة الرسل التي ذكرت قصصها في السورة او التي ثبت علمها عند رسول الله **فضلنا بعضهم على بعض** بان خصصناه بمنقبة ليست لغيره **منهم من كلم الله** تفصيل له اي منهم من فضله الله بان كلمه من غير سفير وهو موسى عليه السلام وقد كلم محمدا عليه السلام ليلة المعراج وقرئ كلم الله بالنصب وقرا اليماني كالم الله من المكالمة ويدل عليه قولهم كليم الله بمعنى مكالمه **ورفع بعضهم درجات** اي ومنهم من رفعه على ساير الانبيا فكان بعد تفاوتهم في الفضل افضل منهم بدرجات كثيرة والظاهر انه اراد محمدا صلى الله عليه وسلم لانه هو المفضل عليهم حيث اوتي ما لم يوته احد من الايات المتكاثرة المرتقية الى الف اية واكثر ولو لم يوت الا القران وحده لكفى به فضلا منيفا على ساير ما اوتي الانبيا لانه المعجزة الباقية على وجه الدهر دون ساير المعجزات وفي هذا الابهام من تفخيم فضله واعلا قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على انه العلم الذي لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس ويقال للرجل من فعل هذا فيقول احدكم او بعضكم يريد به الذي تعورف واشتهر بنحوه من الافعال فيكون افخم من التصريح به وانوه بصاحبه وسيل الحطيئة عن اشعر الناس فذكر زهيرا والنابغة ثم قال ولو شئت لذكرت الثالث اراد نفسه ولو قال لو شئت لذكرت نفسي لم يفخم امره ويجوز ان يريد محمدا وابراهيم وغيرهما من اولي العزم من الرسل وعن ابن عباس كنا في المسجد نتذاكر فضل الانبياء فذكرنا نوحا بطول عبادته وابرهيم بخلته

ولو شا الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من امن ومنهم من كفر ولو شا الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد يا ايها الذين امنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشي من علمه الا بما شا وسع كرسيه السموات والارض ولا يوده حفظهما وهو العلي العظيم

وموسى بتكليم الله اياه وعيسى برفعه الى السما وقلنا رسول الله افضل منهم بعث الى الناس كافة وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وهو خاتم الانبيا فدخل فقال فيم انتم فذكرنا له فقال لا ينبغي لاحد ان يكون خيرا من يحيى بن زكريا فذكر انه لم يعمل سيئة قط ولم يهم بها **واتينا** عيسى بن مريم البينات **وايدناه بروح القدس** فلم خص موسى وعيسى من بين الانبيا بالذكر قلت لما اوتيا من الايات العظيمة والمعجزات الباهرة ولقد بين الله وجه التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو اية من الايات فلما كان هذان النبيان قد اوتيا ما اوتيا من عظام الايات خصا بالذكر في باب التفضيل وهذا دليل بين ان من زيد تفضيلا بالايات منهم فقد فضل على غيره ولما كان نبينا صلى الله عليه وسلم هو الذي اوتي منها ما لم يوت احد في كثرتها وعظمها كان هو المشهود له باحراز قصبات الفضل غير مدافع اللهم ارزقنا شفاعته يوم الدين **ولو شا الله** هدى الناس جميعا **ما اقتتل الذين من بعدهم** من بعد الرسل لاختلافهم في الدين وتشعب مذاهبهم وتكفير بعضهم بعضا **ولكن اختلفوا فمنهم من امن** لالتزامه دين الانبيا **ومنهم من كفر** لاعراضه عنه **ولو شا الله ما اقتتلوا** كرره للتاكيد **ولكن الله يفعل ما يريد** من الخذلان والعصمة **يا ايها الذين امنوا انفقوا مما رزقناكم** ما اوجبت عليكم انفاقه **من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه** من قبل ان ياتي يوم لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الانفاق لانه لا بيع فيه حتى تبتاعوا ما تنفقونه **ولا خلة** حتى يسامحكم اخلاؤكم به وان اردتم ان يحط عنكم ما في ذمتكم من الواجب لم تجدوا شفيعا يشفع لكم في حط الواجبات لان الشفاعة ثم في زيادة الفضل لا غير **والكافرون هم الظالمون** اراد والتاركون الزكوة هم الظالمون فقال والكافرون للتغليظ كما قال في اخر اية الحج ومن كفر مكان ومن لم يحج ولانه جعل ترك الزكوة من صفات الكفار في قوله وويل للمشركين الذين لا يوتون الزكوة وقرئ لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة بالرفع **الله لا اله الا هو الحي القيوم** الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للفنا وهو على اصطلاح المتكلمين الذي يصح ان يعلم ويقدر **والقيوم** الدايم القيام بتدبير الخلق وحفظه وقرئ القيام والقيم **لا تاخذه سنة** ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى النعاس قال ابن الرقاع العاملي وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنايم اي لا ياخذه نعاس ولا نوم وهو تاكيد للقيوم لان من جاز عليه ذلك استحال ان يكون قيوما ومنه حديث موسى انه سال الملايكة وكان ذلك من قومه كطلب الروية اينام ربنا فاوحى الله اليهم ان يوقظوه ثلاثا ولا يتركوه ينام ثم قال خذ بيدك قارورتين مملوتين فاخذهما والقى الله عليه النعاس فضرب احداهما على الاخرى فانكسرتا ثم اوحى اليه قل لهولا اني امسك السموات والارض بقدرتي فلو اخذني نوم او نعاس لزالتا **من ذا الذي يشفع عنده** بيان لملكوته وكبريايه وان احدا لا يتمالك ان يتكلم يوم القيامة الا اذا اذن له في الكلام كقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن **يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم** ما كان قبلهم وما يكون بعدهم والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه من ذا من الملايكة والانبيا **من علمه** من معلوماته **الا بما شا** الا بما علم **الكرسي** ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وفي قوله وسع كرسيه اربعة اوجه ان كرسيه لم يضق عن السموات والارض لبسطته وسعته وما هو الا تصوير لعظمته وتخييل فقط ولا كرسي ثمة ولا قعود ولا قاعد كقوله وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه من غير تصور قبضة وطي ويمين وانما هو تخييل لعظمة شانه وتمثيل

قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها
والله سميع عليم الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم

حتى لا ترى الى قوله وما قدروا الله حق قدره والثاني وسع علمه وسمي العلم كرسيا تسمية بمكانه الذي
هو كرسي العالم والثالث وسع ملكه تسمية بمكانه الذي هو كرسي الملك والرابع ما روي انه
خلق كرسيا هو بين يدي العرش دونه السموات والارض وهو العلي الشان العظيم الملك والقدرة فان قلت
كيف ترتبت الجمل في آية الكرسي من غير حرف عطف قلت ما منها جملة الا وهي واردة على سبيل البيان
لما ترتبت عليه والبيان متحد بالمبين فلو توسط بينهما عاطف لكان كما تقول العرب بين العصا
ولحائها فالاولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساه عنه والثانية لكونه مالكا لما
يدبره والثالثة لكبر شانه والرابعة لاحاطته باحوال الخلق وعلمه بالمرتضى منهم المستوجب للشفاعة
وغير المرتضى والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها او لجلاله وعظم قدره فان قلت لم فضلت هذه
الآية حتى ورد في فضلها ما ورد منه قوله عليه السلام ما قرئت هذه الآية في دار الا اهتجرتها الشياطين ثلثين يوما
ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة يا علي علمها ولدك واهلك وجيرانك فما نزلت آية اعظم منها
وعن علي رضي الله عنه سمعت نبيكم على اعواد المنبر وهو يقول من قرا آية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم
يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قراها اذا اخذ مضجعه
آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وتذاكر الصحابة افضل ما في القرآن فقال
لهم علي اين انتم عن آية الكرسي ثم قال قال لي رسول الله صلى الله عليه يا علي سيد البشر آدم وسيد العرب
محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد
الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسي قلت لما فضلت له
سورة الاخلاص من اشتمالها على توحيد الله وتمجيده وصفاته العظمى ولا مذكور اعظم من رب
العزة فما كان ذكرا له كان افضل من سائر الاذكار وبهذا يعلم ان اشرف العلوم واعلاها منزلة عند
الله علم اهل العدل والتوحيد ولا يغرنك عنه كثرة اعدائه فان العرانين تلقاها محسدة
لا اكراه في الدين لم يجر الله امر الايمان على الاجبار والقسر ولكن على التمكين والاختيار ونحوه
قوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين اي لو شاء لقسرهم
على الايمان ولكنه لم يفعل وبنى الامر على الاختيار قد تبين الرشد من الغي قد تميز الايمان من الكفر
بالدلائل الواضحة فمن يكفر بالطاغوت فمن اختار الكفر بالشيطان او الاصنام والايمان
بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق المحكم المامون انفصامها اي انقطاعها
وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره السامع كانه
ينظر اليه بعينه فيحكم اعتقاده والتيقن به وقيل هو اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين ثم
قال بعضهم هو منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل هو في اهل الكتاب
خاصة لانهم حصنوا انفسهم باداء الجزية وروي انه كان لانصاري من بني سليم بن عوف ابنان فتنصرا
قبل ان يبعث رسول الله ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا

من النور الى الظلمات اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه ان آتاه الله الملك
اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال انا احيي واميت قال ابراهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب
فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين او كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال انى يحيي هذه الله بعد

الى رسول الله فقال الانصاري يا رسول الله ايدخل بعضي النار وانا انظر فنزلت فخلاهما الله ولي الذين آمنوا
اي ارادوا ان يؤمنوا يلطف بهم حتى يخرجهم بلطفه وتاييده من الكفر الى الايمان والذين كفروا اي صمموا
على الكفر امرهم على عكس ذلك او الله ولي المؤمنين يخرجهم من الشبه في الدين ان وقعت لهم بما يهديهم ويوفقهم
له من حلها حتى يخرجوا منها الى نور اليقين والذين كفروا اولياؤهم الشياطين يخرجونهم من نور البينات
التي تظهر لهم الى ظلمات الشك والشبهة الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه الم تر تعجيب من محاجة نمرود
في الله وكفره به ان آتاه الله الملك متعلق بحاج على وجهين احدهما حاج لان آتاه الله الملك على معنى ان ايتاء
الملك ابطره واورثه الكبر والعتو فحاج لذلك او على انه وضع المحاجة في ربه موضع ما وجب عليه
من الشكر على ان آتاه الملك فكان المحاجة كانت لذلك كما تقول عاداني فلان لاني احسنت اليه تريد انه عكس
ما كان يجب عليه من الموالاة لاجل الاحسان ونحوه قوله وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والثاني حاج وقت
ان آتاه الله الملك فان قلت كيف جاز ان يوتي الله الملك الكافر قلت فيه قولان آتاه ما غلب به وتسلط من المال
والخدم والاتباع واما التغليب والتسليط فلا وقيل ملكه امتحانا للعباد واذ قال نصب بحاج او بدل
من آتاه اذا جعل بمعنى الوقت انا احيي واميت يريد اعفي عن القتل واقتل وكان الاعتراض عتيدا
ولكن ابراهيم صلوات الله عليه لما سمع جوابه الاحمق لم يحاجه فيه ولكن انتقل الى ما لا يقدر فيه على نحو ذلك
الجواب ليبهته اول شيء وهذا دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجة الى حجة وقرئ فبهت الذي كفر اي
فغلب ابراهيم الكافر وقرا ابو حيوة فبهت بوزن قرب وقيل كانت هذه المحاجة حين كسر الاصنام
وسجنه نمرود ثم اخرجه من السجن ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعو اليه فقال ربي الذي يحيي ويميت
او كالذي معناه او ارايت مثل الذي فحذف لدلالة الم تر عليه لان كلتيهما كلمة تعجيب ويجوز ان يحمل
على المعنى دون اللفظ كانه قيل ارايت كالذي حاج ابراهيم او كالذي مر على قرية والمار كان كافرا بالبعث وهو
الظاهر لانتظامه مع نمرود في سلك ولكلمة الاستبعاد التي هي انى يحيي وقيل هو عزير او الخضر
اراد ان يعاين احياء الموتى ليزداد بصيرة كما طلبه ابراهيم وقوله انى يحيي اعتراف بالعجز
عن معرفة طريقة الاحياء واستعظام لقدرة المحيي والقرية بيت المقدس حين خربه بختنصر
وقيل هي التي خرج منها الالوف او كالذي مر على قرية الآية وهي خاوية على عروشها [illegible]
يوما او بعض يوم بناء على الظن روي انه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة الشمس فقال قبل النظر
الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال او بعض يوم روي ان طعامه كان تينا وعنبا وشرابه
عصيرا او لبنا فوجد التين والعنب كما جنيا والشراب على حاله لم يتسنه اي لم يتغير والهاء اصلية
او هاء سكت واشتقاقه من السنة على الوجهين لان لامها هاء او واو وذلك ان الشيء يتغير بمرور الزمان
وقيل اصله يتسنن من الحما المسنون فقلبت نونه حرف علة كتقضي البازي ويجوز ان يكون معنى لم يتسنه
لم تمر عليه السنون التي مرت عليه يعني هو بحاله كما كان كانه لم يلبث مائة سنة وفي قراءة عبد الله فانظر الى
طعامك وهذا شرابك لم يتسن وقرا ابي لم يسنه بادغام التاء في السين وانظر الى حمارك

والعظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال اعلم ان الله على كل شيء قدير واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم ان الله عزيز حكيم

كيف تفرقت عظامه ونخرت وكان له حمار قد ربطه ويجوز ان يراد وانظر اليه سالما في مكانه كما ربطته وذلك من اعظم الآيات ان تعيشه مائة عام من غير علف وماء كما حفظ طعامه وشرابه من التغير ولنجعلك آية للناس يعني فعلنا ذلك لنجعلك آية للناس اي ليحيا. بعد الموت وحفظ ما معه وقيل اتى قومه راكب حماره وقال انا عزير فكذبوه فقال هاتوا التوراة فاخذ يهذها هذا عن ظهر قلبه وهم ينظرون في الكتاب فما خرم حرفا فقالوا هو ابن الله ولم يقرأ التوراة ظاهرا احد قبل عزير فبذلك كونه آية وقيل رجع الى منزله فرأى اولاده شيوخا وهو شاب فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة وانظر الى العظام يعني عظام الحمار او عظام الموتى الذين تعجب من احيائهم كيف ننشزها كيف نحييها وقرأ الحسن ننشرها من نشر الله الموتى بمعنى انشرهم فنشروا وقرئ بالزاي بمعنى نحركها ونرفع بعضها الى بعض للتركيب وفاعل تبين مضمر تقديره فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كما في قولهم ضربني وضربت زيدا ويجوز فلما تبين له ما اشكل عليه يعني امر احياء الموتى وقرأ ابن عباس فلما تبين له على البناء للمفعول وقرأ قال اعلم على لفظ الامر وقرأ عبد الله قيل اعلم فان قلت فان كان رجلا كافرا فكيف يسوغ ان يكلمه الله قلت كان الكلام بعد البعث ولم يكن اذ ذاك كافرا واذ قال ابراهيم رب ارني بصرني فان قلت كيف قال له اولم تؤمن وقد علم انه اثبت الناس ايمانا قلت ليجيب بما اجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين وبلى ايجاب لما بعد النفي معناه بلى آمنت ولكن ليطمئن قلبي ليزيد سكونا وطمأنينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال وتظاهر الادلة اسكن للقلوب وازيد للبصيرة واليقين ولان علم الاستدلال يجوز معه التشكيك بخلاف العلم الضروري فاراد بطمأنينة القلب العلم الذي لا مجال فيه للتشكيك فان قلت بم تعلقت اللام في ليطمئن قلت بمحذوف تقديره ولكن سألت ذلك ارادة طمأنينة القلب فخذ اربعة من الطير قيل طاووسا وديكا وغرابا وحمامة فصرهن اليك بضم الصاد وكسرها بمعنى فاملهن واضممهن اليك قال ولكن اطراف الرماح تصورها وقال وفرع يصير الجيد وحف كانه على الليت قنوان الكروم الدوالح وقرأ ابن عباس فصرهن بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صره يصره ويصره اذا جمعه نحو ضره يضره ويضره وعنه فصرهن من التصرية وهي الجمع ايضا ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا يريد ثم جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال والمعنى على كل جبل من الجبال التي بحضرتك وفي ارضك قيل كانت اربعة اجبل وعن السدي سبعة ثم ادعهن وقل لهن تعالين باذن الله يأتينك سعيا ساعيات مسرعات في طيرانهن او في مشيهن على ارجلهن فان قلت ما معنى امره بضمها الى نفسه بعد ان يأخذها قلت ليتأملها ويعرف اشكالها وهيآتها وحلاها لئلا تلتبس عليه بعد الاحياء ولا يتوهم انها غير تلك ولذلك قال يأتينك سعيا وروي انه امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق اجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها وان يمسك رؤسها ثم امر ان يجعل اجزاءها على الجبال على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين باذن الله فجعل كل جزء يطير الى الآخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤسهن كل جثة الى رأسها وفرك

مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى والله غني حليم يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب

جزوا بضمتين وجزا بالتشديد ووجهه انه خفف بطرح همزته ثم شدد كما يشدد في الوقف اجراء للوصل مجرى الوقف مثل الذين ينفقون لا بد من حذف مضاف اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة والمنبت هو الله ولكن الحبة لما كانت سببا اسند اليها الانبات كما تسند الى الارض والى الماء ومعنى انباتها سبع سنابل ان تخرج ساقا يتشعب منها سبع شعب لكل واحدة سنبلة وهذا التمثيل تصوير للاضعاف كأنها ماثلة بين عيني الناظر فان قلت كيف صح هذا التمثيل والممثل به غير موجود قلت بل هو موجود في الدخن والذرة وغيرهما وربما فرخت ساق البرة في الاراضي القوية المغلة فيبلغ حبها هذا المبلغ ولو لم يوجد لكان صحيحا على سبيل الفرض والتقدير فان قلت هلا قيل سبع سنبلات على حقه من التمييز بجمع القلة كما قال وسبع سنبلات خضر قلت هذا لما قدمت عند قوله ثلاثة قروء من وقوع امثلة الجمع متعاورة مواقعها والله يضاعف لمن يشاء اي يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق لتفاوت احوال المنفقين او يضاعف سبع المائة ويزيد عليها اضعافها لمن يستوجب ذلك الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله المن ان يعتد على من احسن اليه باحسانه ويريه انه اصطنعه واوجب عليه حقا له وكانوا يقولون اذا اصطنعتم صنيعة فانسوها ولبعضهم وان امرأ اسدى الي صنيعة وذكرنيها مرة للئيم وفي نوابغ الكلم صنوان من منح سائله ومن ومن منع نائله وضن وفيها طعم الآلاء احلى من المن وهي امر من الآلاء مع المن والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما ازل اليه ومعنى ثم اظهار التفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى وان تركهما خير من نفس الانفاق كما جعل الاستقامة على الايمان خيرا من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا فان قلت اي فرق بين قوله لهم اجرهم وقوله فلهم اجرهم قلت الموصول لم يضمن هاهنا معنى الشرط وضمنه ثمة والفرق بينهما من جهة المعنى ان الفاء فيها دلالة على ان الانفاق به استحق الاجر وطرحها عار عن تلك الدلالة قول معروف رد جميل ومغفرة وعفو عن السائل اذا وجد منه ما يثقل على المسؤول او ونيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل او وعفو من جهة السائل لانه اذا رده ردا جميلا عذره خير من صدقة يتبعها اذى وصح الاخبار عن المبتدأ النكرة لاختصاصه بالصفة والله غني لا حاجة به الى منفق يمن ويؤذي حليم عن معاجلته بالعقوبة وهذا سخط منه ووعيد له ثم بالغ في ذلك بما اتبعه كالذي ينفق ماله يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله اي لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كابطال المنافق الذي ينفق ماله رئاء الناس لا يريد بانفاقه رضا الله ولا ثواب الآخرة فمثله كمثل صفوان مثله ونفقته التي لا ينتفع بها البتة بصفوان بحجر املس عليه تراب وقرأ سعيد بن المسيب صفوان بوزن كروان فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا اجرد نقيا من التراب الذي كان عليه ومنه صلد جبين الاصلع اذا برق لا يقدرون على شيء مما كسبوا كقوله فجعلناه هباء منثورا ويجوز ان يكون الكاف في محل النصب على الحال اي لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذي ينفق فان قلت كيف قال لا يقدرون بعد قوله كالذي ينفق قلت اراد بالذي ينفق الجنس او الفريق الذي ينفق ولان من والذي يتعاقبان فكأنه قيل كمن ينفق ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من انفسهم

ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة اصابها وابل فآتت اكلها ضعفين فان
لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات
واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون

وليثبتوا منها بذل المال الذي هو شقيق الروح وبذله اشق شيء على النفس على سائر العبادات الشاقة وعلى
الايمان لان النفس اذا ريضت بالتحامل عليها وتكليفها ما يصعب عليها ذلت خاضعة لصاحبها وقل
طمعها في اتباعه لشهواتها وبالعكس فكان انفاق المال تثبيتا لها على الايمان واليقين ويجوز ان يراد
وتصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء مبتدأ من اصل انفسهم لانه اذا انفق المسلم ماله في سبيل الله علم ان تصديقه وايمانه
بالثواب من اصل نفسه واخلاص قلبه ومن على التفسير الاول مثلها في قولهم هز من عطفه وحرك من
نشاطه وعلى الثاني لابتداء الغاية كقوله تعالى حسدا من عند انفسهم ويحتمل ان يكون المعنى وتثبيتا بعض
انفسهم قال فلم قال معنى التبعيض قلت معناه ان من بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه معا
فهو الذي ثبتها كلها وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم والمعنى ومثل نفقة هؤلاء في زكائها عند الله كمثل جنة
وهي البستان بربوة بمكان مرتفع وخصها لان الشجر فيها ازكى واحسن ثمرا اصابها وابل مطر عظيم
القطر فآتت اكلها ثمرتها ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل فان لم يصبها وابل فطل اي فيطل
ضعيف القطر يكفيها لكرم منبتها او مثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة
والقليلة بالوابل والطل وكما ان كل واحد من المطرين يضعف اكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت
او قليلة بعد ان يطلب بها وجه الله ويبذل فيها الوسع زاكية عند الله زائدة في زلفاهم وحسن
حالهم عنده وقرئ كمثل حبة وبربوة بالحركات الثلاث واكلها بضمتين ايود احدكم الهمزة فيه
للانكار وقرئ لحنات وذرية ضعاف والاعصار الريح التي تستدير في الارض ثم تسطع نحو السماء كالعمود
وهذا مثل لمن يعمل الاعمال الحسنة لا يبتغي بها وجه الله فاذا كان يوم القيامة وجدها محبطة فيتحسر
عند ذلك حسرة من كانت له جنة من ابهى الجنان واجمعها للثمار فبلغ الكبر وله اولاد ضعاف
والجنة معاشهم ومنتعشهم فهلكت بالصاعقة وعن عمر رضي الله عنه انه سأل الصحابة
فقالوا الله اعلم فغضب وقال قولوا نعلم او لا نعلم فقال ابن عباس في نفسي منها شيء يا امير المؤمنين قال
قل يا ابن اخي ولا تحقر نفسك قال ضرب مثلا لعمل قال لاي عمل قال لرجل غني يعمل الحسنات ثم بعث
الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى اغرق اعماله كلها وعن الحسن هذا مثل قل والله من يعقله
من الناس شيخ كبير ضعف جسمه وكثر صبيانه افقر ما كان الى جنته وان احدكم والله افقر ما
يكون الى عمله اذا انقطعت عنه الدنيا فان قلت كيف قال جنة من نخيل واعناب ثم قال له فيها من كل الثمرات
قلت النخيل والاعناب لما كانا اكرم الشجر واكثرها منافع خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما وان
كانت محتوية على سائر الاشجار تغليبا لهما على غيرهما ثم اردفهما ذكر كل الثمرات ويجوز ان يريد بالثمرات
المنافع التي كانت تحصل له فيها كقوله وكان له ثمر بعد قوله جنتين من اعناب وحففناهما بنخل فان قلت علام
عطف قوله واصابه الكبر قلت الواو للحال لا للعطف ومعناه ان تكون له جنة وقد اصابه الكبر وقيل يقال وددت
ان يكون كذا وودت لو كان كذا فحمل العطف على المعنى كانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر يا ايها
الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم من جياد مكسوباتكم ومما اخرجنا لكم من الارض من الحب والثمر والمعادن وغيرها
فان قلت هلا قيل وما اخرجنا لكم عطفا على ما كسبتم حتى يشمل الطيب المكسوب والمخرج من الارض قلت معناه ومن

طيبات ما اخرجنا لكم الا انه حذف لذكر الطيبات ولا تيمموا الخبيث ولا تقصدوا المال الرديء منه تنفقون
تخصونه بالانفاق وهو في محل الحال وفي قراءة عبد الله ولا تأمموا وقرأ ابن عباس ولا تيمموا بضم التاء ويممه
وتيممه وتأممه سواء في معنى قصده ولستم بآخذيه وحالكم انكم لا تأخذونه في حقوقكم الا ان تغمضوا
فيه الا بان تتسامحوا في اخذه وتترخصوا فيه من قولك اغمض فلان عن بعض حقه اذا غض بصره
ويقال للبائع اغمض اي لا تستقص كانك لا تبصر وقال الطرماح لم يفتنا بالوتر قوم وللضيم رجال
يرضون بالاغماض وقرأ الزهري تغمضوا واغمض وغمض بمعنى وعنه تغمضوا بضم الميم وكسرها من
غمض يغمض وقرأ قتادة تغمضوا على البناء للمفعول بمعنى الا ان تدخلوا فيه وتجذبوا اليه وقيل الا
ان توجدوا مغمضين وعن الحسن لو وجدتموه في السوق يباع ما اخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه
وعن ابن عباس كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه الشيطان يعدكم الفقر اي يعدكم في الانفاق
الفقر ويقول لكم ان عاقبة انفاقكم ان تفتقروا وقرئ الفقر بالضم والفقر بفتحتين والوعد يستعمل في الخير والشر
قال الله تعالى النار وعدها الله الذين كفروا ويأمركم بالفحشاء ويغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الآمر
للمأمور والفاحش عند العرب البخيل والله يعدكم في الانفاق مغفرة لذنوبكم وكفارة لها وفضلا وان
يخلف عليكم افضل مما انفقتم او وثوابا عليه في الآخرة يؤتي الحكمة من يشاء يوفق للعلم والعمل به
والحكيم عند الله هو العالم العامل وقرئ ومن يؤت الحكمة بمعنى ومن يؤته الله الحكمة وهكذا
قرأ الاعمش وخيرا كثيرا تنكير تعظيم كانه قال فقد اوتي اي خير كثير وما يذكر الا اولو الالباب
يريد الحكماء العلماء العمال والمراد به الحث على العمل بما تضمنت الآي في معنى الانفاق وما انفقتم
من نفقة في سبيل الله او في سبيل الشيطان او نذرتم من نذر في طاعة الله او في معصيته فان الله يعلمه لا يخفى
عليه وهو مجازيكم عليه وما للظالمين الذين يمنعون الصدقات او ينفقون اموالهم في المعاصي او لا
يفون بالنذور او ينذرون في المعاصي من انصار ممن ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه ان تبدوا الصدقات
فنعما هي فنعم شيئا ابداؤها وقرئ بكسر
النون وفتحها وان تخفوها وتؤتوها الفقراء وتصيبوا بها مصارفها مع الاخفاء فهو خير لكم فالاخفاء
خير لكم والمراد الصدقات المتطوع بها فان الافضل في الفرائض ان يجاهر بها وعن ابن عباس رضي
الله عنهما صدقات السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل
من سرها بخمسة وعشرين ضعفا وانما كانت المجاهرة بالفرائض افضل لنفي التهمة حتى اذا كان المزكي ممن
لا يعرف باليسار كان اخفاؤه افضل والمتطوع ان اراد ان يقتدى به كان اظهاره افضل ويكفر
قرئ بالنون مرفوعا عطفا على محل ما بعد الفاء او على انه خبر مبتدأ محذوف اي ونحن نكفر او على
انه جملة من فعل وفاعل مبتدأة ومجزوما عطفا على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط وقرئ
ويكفر بالياء مرفوعا والفعل لله او للاخفاء وتكفر بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات
وقرأ الحسن بالياء والنصب باضمار ان ومعناه ان تخفوها يكن خيرا لكم وان نكفر عنكم ليس عليك

ليس عليك هديهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلانفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير
يوف اليكم وانتم لا تظلمون للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف
تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا وما تنفقوا من خير فان الله به عليم الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم
اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون

هديهم لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين الى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والاذى والانفاق من الخبيث
وغير ذلك وما عليك الا البلاغ ولكن الله يهدي من يشاء يلطف بمن يعلم ان اللطف ينفع فيه
فينتهي عما نهي عنه وما تنفقوا من خير من مال فلانفسكم فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا به
على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم وما تنفقون من خير من مال وليست نفقتكم الا لابتغاء وجه الله ولطلب
ما عنده فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله الى الله تعالى وما تنفقوا من خير يوف اليكم
ثوابه اضعافا مضاعفة فلا عذر لكم في ان ترغبوا عن انفاقه وان يكون على احسن الوجوه واجملها وقيل
نهيت اسماء بنت ابي بكر فاتتها امها تسالها وهي مشركة فابت ان تعطيها فنزلت وعن سعيد بن جبير كانوا يتقون
ان يرضخوا لقراباتهم من المشركين وروي ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار في اليهود ورضاع وقد كانوا ينفقون
عليهم قبل الاسلام فلما اسلموا كرهوا ان ينفعوهم وعن بعض العلماء لو كان شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك ولا خلاف في انه
يجوز صرف الصدقة الى اهل الذمة واما عند ابي حنيفة فيجوز صرف الصدقة الواجبة ايضا للفقراء الذين احصروا الاية متعلق بمحذوف
والمعنى اعمدوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقون للفقراء كقوله في تسع آيات ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف اي صدقاتكم
للفقراء الذين احصروا في سبيل الله هم الذين احصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا
في الارض للكسب وقيل هم اصحاب الصفة وهم نحو من اربعمائة رجل من مهاجري قريش لم يكن لهم مساكن في
المدينة ولا عشائر وكانوا في صفة المسجد وهي سقيفته يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار
وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن كان عنده فضل اتاهم به اذا امسى وعن ابن عباس
وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على اصحاب الصفة فرأى فقرهم وجهدهم فطيب قلوبهم فقال ابشروا يا اصحاب الصفة
فمن بقي من امتي على النعت الذي انتم عليه راضيا بما فيه فانه من رفقائي يحسبهم الجاهل بحالهم اغنياء من التعفف مستغنين
من اجل تعففهم عن المسألة تعرفهم بسيماهم من صفرة الوجه ورثاثة الحال لا يسألون الناس الحافا الحاحا وهو اللزوم
وان لا يفارق الا بشيء يعطاه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده وعن النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى يحب الحيي الحليم المتعفف ويبغض البذي السائل الملحف ومعناه انهم ان سالوا سالوا
بتلطف ولم يلحوا وقيل هو نفي للسؤال والالحاف جميعا كقوله على لاحب لا يهتدى بمناره يريد نفي المنار
والاهتداء به الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية يعمون الاوقات والاحوال بالصدقة لحرصهم على الخير
فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال وقيل نزلت في ابي بكر الصديق
رضي الله عنه حين تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة في السر وعشرة في العلانية
وعن ابن عباس نزلت في علي رضي الله عنه لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم
علانية وقيل نزلت في علف الخيل وارتباطها في سبيل الله وعن ابي هريرة كان اذا مر بفرس سمين قرأ هذه الاية
الذين يأكلون الربوا لا يقومون الربوا كتب بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلوة والزكوة وزيدت الالف
بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان الا
المصروع وتخبط الشيطان من زعمات العرب يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط

الذين يأكلون الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا واحل الله البيع وحرم الربوا
فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يمحق الله الربوا ويربي
الصدقات والله لا يحب كل كفار اثيم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة واتوا الزكوة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله

الضرب على غير استواء كخبط العشواء فورد على ما كانوا يعتقدون والمس الجنون ورجل ممسوس وهذا ايضا من
زعماتهم وان الجني يمسه فيختلط عقله وكذلك جن الرجل معناه مسه الجن ورأيتهم لهم في الجن
قصص واخبار وعجائب وانكار ذلك عندهم كانكار المشاهدات فان قلت بم يتعلق قوله من المس قلت بلا يقومون
اي لا يقومون من المس الذي بهم الا كما يقوم المصروع ويجوز ان يتعلق بيقوم اي كما يقوم المصروع من جنونه والمعنى
انهم يقومون يوم القيمة مخبلين كالمصروعين تلك سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف وقيل الذين يخرجون
من الاجداث يوفضون الا اكلة الربوا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لانهم اكلوا الربوا فاربا
الله في بطونهم حتى اثقلهم فلا يقدرون على الايفاض ذلك العقاب بسبب قولهم انما البيع مثل الربوا
فان قلت هلا قيل انما الربوا مثل البيع لان الكلام في الربوا لا في البيع فوجب ان يقال انهم شبهوا الربوا بالبيع
فاستحلوه وكانت شبهتهم انهم قالوا لو اشترى الرجل ما لا يساوي الا درهما بدرهمين جاز فكذلك اذا باع
درهما بدرهمين قلت جيء به على طريق المبالغة وهو انه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربوا انهم جعلوه
اصلا وقانونا في الحل حتى شبهوا به البيع وقوله احل الله البيع وحرم الربوا انكار لتسويتهم بينهما
ودلالة على ان القياس يهدمه النص لانه جعل الدليل على بطلان قياسهم احلال الله وتحريمه فمن جاءه
موعظة من ربه فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهي عن الربوا فانتهى فتبع النهي وامتنع فله ما
سلف فلا يؤاخذ بما مضى منه لانه اخذ قبل نزول التحريم وامره الى الله يحكم في شانه يوم القيمة وليس من امره
اليكم شيء فلا تطالبوه به ومن عاد الى الربوا فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وهذا
دليل بين على تخليد الفساق وذكر فعل الموعظة لان تانيثها غير حقيقي ولانها
في معنى الوعظ وقرأ ابي والحسن فمن جاءته يمحق الله الربوا يذهب ببركته ويهلك المال
الذي يدخل فيه وعن ابن مسعود الربوا وان كثر الى قل ويربي الصدقات ما يتصدق
به بان يضاعف عليه الثواب ويزيد المال الذي اخرجت منه الصدقة ويبارك فيه وفي
الحديث ما نقصت زكوة من مال قط والله لا يحب كل كفار اثيم تغليظ في امر الربوا وايذان بانه
من فعل الكفار لا من فعل المسلمين يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا اخذوا ما شرطوا على الناس من الربوا
وبقيت لهم بقايا فامروا ان يتركوها ولا يطالبوا بها روي انها نزلت في ثقيف وكان لهم
على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا وقرأ الحسن ما بقي بقلب
الياء الفا على لغة طي وعنه ما بقي بياء ساكنة ومنه قول جرير هو الخليفة فارضوا ما رضي لكم
ماضي العزيمة ما في حكمه جنف ان كنتم مؤمنين فان من شرط ايمانكم يعني ان دليل صحة الايمان
وثباته امتثال ما امرتم به من ذلك فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب فاعلموا بها من اذن بالشيء اذا علم به وقرئ
فآذنوا فاعلموا بها غيركم وهو من الاذن وهو الاستماع لانه من طرق العلم وقرأ الحسن فايقنوا
وهو دليل لقراءة العامة فان قلت هلا قيل بحرب الله ورسوله قلت كان هذا ابلغ لان المعنى فاذنوا بنوع من الحرب
عظيم من عند الله ورسوله وروي انها لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتباء

فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن
تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون يا أيها الذين آمنوا إذا
تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله

فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون المديونين بطلب الزيادة عليها ولا تظلمون بالنقصان منها فإن قلت هذا حكمهم إن تابوا
فما حكمهم لو لم يتوبوا قلت قالوا يكون مالهم فيئا للمسلمين وروى المفضل عن عاصم لا تظلمون ولا تظلمون وإن كان
ذو عسرة وإن وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة أي ذو إعسار وقرأ عثمان رضي الله عنه ذا عسرة وقرئ ومن كان
ذا عسرة فنظرة فالحكم أو فالأمر نظرة وهي الإنظار وقرئ فنظرة بسكون الظاء وقرأ عطاء فناظره بمعنى
فصاحب الحق ناظره أي منتظره أو صاحب نظرته على طريقة النسب كقولهم مكان عاشب وباقل بمعنى ذو عشب
وذو بقل وعنه فناظره على الأمر بمعنى فسامحه بالنظرة وباشره بها إلى ميسرة إلى يسار وقرئ بضم
السين كمقبرة ومقبرة ومشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الإضافة كقوله
وأخلفوك عد الأمر الذي وعدوا وقوله تعالى وإقام الصلوة وأن تصدقوا خير لكم ندب إلى أن
يتصدقوا برؤوس أموالهم على من أعسر من غرمائهم أو ببعضها كقوله وأن تعفوا أقرب للتقوى وقيل
أريد بالتصدق الإنظار لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره إلا كان له بكل يوم صدقة إن كنتم
تعلمون أنه خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل به وإن علمه كأنه لا يعلمه وقرئ تصدقوا بتخفيف الصاد
على حذف التاء ترجعون قرئ على البناء للفاعل والمفعول وقرئ يرجعون بالياء على طريقة الالتفات
وقرأ عبد الله تردون وقرأ أبي تصيرون وعن ابن عباس أنها آخر آية نزل بها جبريل عليه السلام وقال
ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها أحدا وعشرين يوما وقيل أحدا وثمانين
وقيل سبعة أيام وقيل ثلاث ساعات يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم إذا داين بعضكم بعضا تقول داينت الرجل
إذا عاملته بدين معطيا أو آخذا كما تقول بايعته إذا بعته أو باعك قال رؤبة داينت أروى والديون تقضى
فمطلت بعضا وأدت بعضا والمعنى إذا تعاملتم بدين مؤجل فاكتبوه فإن قلت هلا قيل إذا تداينتم
إلى أجل مسمى وأي حاجة إلى ذكر الدين كما قال داينت أروى ولم يقل بدين قلت ذكر ليرجع الضمير
إليه في قوله فاكتبوه إذ لو لم يذكر لوجب أن يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ولأنه أبين
لتنويع الدين إلى مؤجل وحال فإن قلت ما فائدة قوله مسمى قلت ليعلم أن من حق الأجل أن يكون معلوما
كالتوقيت بالسنة والأشهر والأيام ولو قال إلى الحصاد والدياس ورجوع الحاج لم يجز لعدم التسمية
وإنما أمر بكتبة الدين لأن ذلك أوثق وآمن من النسيان وأبعد من الجحود والأمر للندب وعن ابن
عباس أن المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا أباح السلف وعنه أشهد أن الله أباح السلم
المضمون إلى أجل معلوم في كتابه وأنزل فيه أطول آية بالعدل متعلق بكاتب صفة له أي كاتب
مأمون على ما يكتب يكتب بالسوية والاحتياط لا يزيد على ما يجب أن يكتب ولا ينقص وفيه أن يكون
الكاتب فقيها عالما بالشروط حتى يجيء مكتوبه معدلا بالشرع وهو أمر للمتداينين بتخير الكاتب
وأن لا يستكتبوا إلا فقيها دينا ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله ولا يمتنع أحد من الكتاب
وهو معنى تنكير كاتب أن يكتب كما علمه الله مثل ما علمه الله كتابة الوثائق لا يبدل ولا يغير

فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فإن كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو
فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما
الأخرى ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا

وقيل هو كقوله تعالى وأحسن كما أحسن الله إليك أي ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها وعن الشعبي
هي فرض كفاية وكما علمه الله يجوز أن يتعلق بأن يكتب وبقوله فليكتب فإن قلت أي فرق بين الوجهين قلت إن علقته
بأن يكتب فقد نهى عن الامتناع من الكتابة المقيدة ثم قيل له فليكتب يعني فليكتب تلك الكتابة لا يعدل
عنها للتوكيد وإن علقته بقوله فليكتب فقد نهى عن الامتناع من الكتابة على سبيل الإطلاق ثم أمر بها
مقيدة وليملل الذي عليه الحق ولا يكن المملي إلا من وجب عليه الحق لأنه هو المشهود على ثباته في ذمته وإقراره
به والإملال والإملاء لغتان قد نطق بهما القرآن فهي تملى عليه ولا يبخس منه من الحق شيئا والبخس النقص
وقرئ شيا بطرح الهمزة وشيا بالتشديد فإن كان الذي عليه الحق سفيها محجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف
أو ضعيفا صبيا أو شيخا مختلا أو لا يستطيع أن يمل هو أو غير مستطيع للإملاء بنفسه لعي به أو خرس فليملل
وليه الذي يلي أمره من وصي إن كان سفيها أو صبيا أو وكيل إن كان غير مستطيع أو ترجمان يمل عنه وهو
يصدقه وفي قوله أن يمل هو فيه أنه غير مستطيع بنفسه ولكن بغيره وهو الذي يترجم عنه واستشهدوا
شهيدين واطلبوا أن يشهد لكم شهيدان على الدين من رجالكم من رجال المؤمنين والحرية والبلوغ شرط مع الإسلام
عند عامة العلماء وعن علي رضي الله عنه لا تجوز شهادة العبد في شيء وعند شريح وابن سيرين وعثمان البتي أنها
جائزة ويجوز عند أبي حنيفة شهادة الكفار بعضهم على بعض على اختلاف الملل فإن لم يكونا فإن لم يكن الشهيدان
رجلين فرجل وامرأتان فليشهد رجل وامرأتان وشهادة النساء مع الرجال مقبولة عند أبي حنيفة فيما عدا
الحدود والقصاص ممن ترضون ممن تعرفون عدالتهم أن تضل إحداهما أن لا تهتدي إحداهما للشهادة
بأن تنساها من ضل الطريق إذا لم يهتد له وانتصابه على أنه مفعول له أي إرادة أن تضل فإن قلت كيف يكون ضلالها
مرادا لله قلت لما كان الضلال سببا للإذكار والإذكار مسببا عنه وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب منزلة
الآخر لالتباسهما واتصالهما كانت إرادة الضلال المسبب عنه الإذكار إرادة للإذكار فكأنه قيل إرادة أن تذكر
إحداهما الأخرى إن ضلت ونظيره قولهم أعددت الخشبة أن يميل الحائط فأدعمه وأعددت السلاح
أن يجيء عدو فأدفعه وقرئ فتذكر بالتخفيف والتشديد وهما لغتان وفتذاكر وقرأ حمزة إن تضل
إحداهما على الشرط فتذكر بالرفع والتشديد كقوله ومن عاد فينتقم الله منه وقرئ أن تضل على البناء للمفعول والتأنيث
ومن بدع التفاسير فتذكر فتجعل إحداهما الأخرى ذكرا يعني أنهما إذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر إذا ما دعوا
ليقيموا الشهادة وقيل ليستشهدوا وقيل لهم شهداء قبل التحمل تنزيلا لما يشارف منزلة الكائن وعن قتادة كان الرجل
يطوف في الحواء العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم أحد فنزلت كنى بالسأم عن الكسل لأن الكسل صفة المنافق ومنه
الحديث لا يقول المؤمن كسلت ويجوز أن يراد من كثرت مداينته فاحتاج أن يكتب لكل دين صغيرا أو كبيرا كتابا فربما
مل كثرة الكتب والضمير في تكتبوه للدين أو الحق صغيرا أو كبيرا على أي حال كان الحق من صغر أو كبر ويجوز أن يكون الضمير
للكتاب وأن تكتبوه مختصرا أو مشبعا ولا تخلوا بكتابته إلى أجله إلى وقته الذي اتفق الغريمان على تسميته
ذلكم إشارة إلى أن تكتبوه لأنه في معنى المصدر أي ذلكم الكتب أقسط أعدل من القسط وأقوم للشهادة وأعون
على إقامة الشهادة وأدنى أن لا ترتابوا وأقرب من انتفاء الريب فإن قلت مم بني أفعلا التفضيل أعني أقوم وأقسط

قلت يجوز على مذهب سيبويه ان يكونا مبنيين من اقسط واقام وان يكون اقسط من قاسط على طريقة النسب
بمعنى ذي قسط واقوم من قويم وقرئ ولا يسأموا ان يكتبوه بالياء فيهما فان قلت ما معنى تجارة حاضرة
وسواء كانت المبايعة بدين او بعين فالتجارة حاضرة وما معنى ادارتها بينهم قلت اريد بالتجارة ما يتجر فيه من
الابدال ومعنى ادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد والمعنى الا ان تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد فلا بأس ان لا
تكتبوه لانه لا يتوهم فيه ما يتوهم في التداين وقرئ تجارة حاضرة بالرفع على كان التامة وقيل هي الناقصة على
ان الاسم تجارة حاضرة والخبر تديرونها وبالنصب على الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة
كقوله بني اسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا اي اذا كان اليوم يوما واشهدوا
اذا تبايعتم امر بالاشهاد على التبايع مطلقا ناجزا او كاليا لانه احوط وابعد مما عسى يقع من
الاختلاف ويجوز ان يراد واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع يعني التجارة الحاضرة على ان الاشهاد كاف
فيه دون الكتابة وعن الحسن ان شاء اشهد وان شاء لم يشهد وعن الضحاك هي عزيمة من الله ولو على باقة بقل
ولا يضار يحتمل البناء للفاعل والمفعول والدليل عليه قراءة عمر رضي الله عنه ولا يضارر بالاظهار والكسر
وقراءة ابن عباس ولا يضارر بالاظهار والفتح والمعنى نهي الكاتب والشهيد عن ترك الاجابة
الى ما يطلب منهما وعن التحريف والزيادة والنقصان او النهي عن الضرار
بهما بان يعجلا عن مهم ويلزا او لا يعطى الكاتب حقه من الجعل
او يحمل الشهيد مؤنة مجيئه من بلد وقرأ ولا يضار بالكسر وان تفعلوا وان تضاروا
فانه فان الضرار فسوق بكم وقيل وان تفعلوا شيئا مما نهيتم عنه على سفر مسافرين وقرأ ابن عباس
ولم تجدوا كتابا وقال ابن عباس ارأيت ان وجدت الكاتب ولم تجد الصحيفة والدواة وقرأ ابو العالية كتبا
وقرأ الحسن كتابا جمع كاتب فرهن فالذي يستوثق به رهن وقرئ فرهن بضم الهاء وسكونها
وهو جمع رهن كسقف وسقف وفرهان فان قلت لم شرط السفر في الارتهان ولا يختص به سفر دون
حضر وقد رهن رسول الله صلى الله عليه وسلم درعه في غير سفر قلت ليس الغرض تجويز الارتهان في السفر
خاصة ولكن السفر لما كان مظنة لاعواز الكتب والاشهاد امر على سبيل الارشاد الى حفظ المال
من كان على سفر بان يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب والاشهاد وعن مجاهد والضحاك
انهما لم يجوزاه الا في حال السفر اخذا بظاهر الاية واما القبض فلا بد من اعتباره وعند مالك يصح
الارتهان بالايجاب والقبول بدون القبض فان امن بعضكم بعضا فان امن بعض الدائنين بعض
المديونين لحسن ظنه به وقرأ ابي فان اومن اي امنه الناس ووصفوا المديون بالامانة والوفاء
والاستغناء عن الارتهان من مثله فليؤد الذي اؤتمن امانته حث للمديون على ان يكون عند ظن الدائن
وامنه منه وائتمانه له وان يؤدي اليه الحق الذي ائتمنه عليه فلم يرتهن منه وسمي الدين امانة وهو مضمون
لائتمانه عليه بترك الارتهان منه والقراءة ان ينطق بهمزة ساكنة بعد الذال او ياء
فتقول الذيتمن او الذي ايتمن وعن عاصم انه قرأ الذتمن بادغام الياء في التاء قياسا على اتسر

في الافتعال من اليسر وليس بصحيح لان الياء منقلبة عن الهمزة فهي في حكم الهمزة واتزر عامي وكذلك ريّا
في رؤيا آثم خبر ان وقلبه رفع بآثم على الفاعلية كانه قيل فانه يأثم قلبه ويجوز ان يرتفع قلبه بالابتداء وآثم
خبر مقدم والجملة خبر ان فان قلت هلا اقتصر على قوله فانه آثم وما فائدة ذكر القلب والجملة هي الآثمة
لا القلب وحده قلت كتمان الشهادة هو ان يضمرها ولا يتكلم بها فلما كان آثما مقترفا بالقلب اسند اليه
لان اسناد الفعل الى الجارحة التي يعمل بها ابلغ الا تراك تقول اذا اردت التوكيد هذا مما ابصرته عيني
ومما سمعته اذني ومما عرفه قلبي ولان القلب هو رئيس الاعضاء والمضغة التي ان صلحت صلح الجسد
كله وان فسدت فسد الجسد كله فكانه قيل فقد تمكن الاثم في اصل نفسه وملك اشرف مكان فيه ولئلا يظن ان
كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان فقط وليعلم ان القلب اصل متعلقه ومعدن اقترافه
واللسان ترجمان عنه ولان افعال القلوب اعظم من افعال سائر الجوارح وهي لها كالاصول التي
تتشعب منها الا ترى ان اصل الحسنات والسيئات الايمان والكفر وهما من افعال القلوب فاذا جعل كتمان
الشهادة من آثام القلوب فقد شهد له بانه من معاظم الذنوب وعن ابن عباس رضي الله عنه اكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله فقد حرم
الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة وقرئ قلبه بالنصب كقوله سفه نفسه وقرأ ابن ابي عبلة اثم قلبه اي جعله
آثما لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يعني من السوء يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء لمن
استوجب المغفرة بالتوبة مما اظهر منه او اضمر ويعذب من يشاء ممن استوجب العقوبة بالاصرار ولا يدخل فيما
يخفيه الانسان الوساوس وحديث النفس لان ذلك مما ليس في وسعه الخلو منه ولكن ما اعتقده وعزم عليه
وعن عبد الله بن عمر انه تلاها فقال لئن اخذنا الله بهذا لنهلكن ثم بكى حتى سمع نشيجه فذكر لابن عباس فقال يغفر
الله لابي عبد الرحمن قد وجد المسلمون منها مثل ما وجد فنزل لا يكلف الله وقرئ فيغفر ويعذب مجزومين
عطفا على جواب الشرط ومرفوعين على فهو يغفر ويعذب فان قلت كيف يقرأ الجازم قلت يظهر الراء ويدغم الباء ومدغم
الراء في اللام لاحن مخطئ خطأ فاحشا وراويه عن ابي عمرو مخطئ مرتين لانه يلحن وينسب الى اعلم الناس بالعربية ما
يؤذن بجهل عظيم والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواة والسبب في قلة الضبط قلة الدراية ولا يضبط نحو هذا
الا اهل النحو وقرأ الاعمش يغفر بغير فاء مجزوما على البدل من يحاسبكم كقوله متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا
تجد حطبا جزلا ونارا تأججا ومعنى هذا البدل التفصيل لجملة الحساب لان التفصيل اوضح من المفصل فهو جار مجرى
بدل البعض من الكل او بدل الاشتمال كقولك ضربت زيدا رأسه واحببت زيدا عقله وهذا البدل واقع في الافعال وقوعه
في الاسماء لحاجة القبيلين الى البيان آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون ان عطف على الرسول
كان الضمير الذي التنوين نائب عنه في كل راجعا الى الرسول والمؤمنين اي كلهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
من المذكورين ووقف عليه وان كان مبتدأ كان الضمير للمؤمنين ووحد ضمير كل في آمن على معنى كل واحد منهم
آمن وكان يجوز ان يجمع كقوله وكل اتوه داخرين وقرأ ابن عباس وكتابه يريد القرآن او الجنس وعنه
الكتاب اكثر من الكتب فان قلت كيف يكون الواحد اكثر من الجمع قلت لانه اذا اريد بالواحد الجنس والجنسية
قائمة في وحدان الجنس كلها لم يخرج منه شيء فاما الجمع فلا يدخل تحته الا ما فيه الجنسية من الجموع

لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين

لا نفرق يقولون لا نفرق وعن ابي عمرو يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرا عبد الله لا يفرقون واحد في معنى الجمع كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين **سمعنا** اجبنا غفرانك منصوب باضمار فعله يقال غفرانك لا كفرانك اي نستغفرك ولا نكفرك وقوى وكتبه ورسله بالسكون الوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه اي لا يكلفها الا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر عليه دون مدى الطاقة والمجهود وهذا اخبار عن عدله ورحمته كقوله يريد الله بكم اليسر لانه كان في امكان الانسان وطاقته ان يصلي اكثر من الخمس ويصوم اكثر من الشهر ويحج اكثر من حجة وقرا ابن ابي عبلة وسعها بالفتح **لها ما كسبت** وعليها ما اكتسبت ينفعها ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شر لا يواخذ بذنبها غيرها ولا يثاب غيرها بطاعتها **فان قلت** لم خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب **قلت** في الاكتساب اعتمال فلما كان الشر مما تشتهيه النفس وهي منجذبة اليه وامارة به كانت في تحصيله اعمل واجد فجعلت لذلك مكتسبة فيه ولما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال اي لا تواخذنا بالنسيان او الخطا ان فرطنا **فان قلت** النسيان والخطا متجاوز عنهما فما معنى الدعاء بترك المواخذة بهما **قلت** ذكر النسيان والخطا والمراد بهما ما هما مسببان عنه من التفريط والاغفال الا ترى الى قوله وما انسانيه الا الشيطان والشيطان لا يقدر على فعل النسيان وانما يوسوس فتكون وسوسته سببا للتفريط الذي منه النسيان ولانهم كانوا متقين الله حق تقاته فما كانت تفرط منهم فرطة الا على وجه النسيان والخطا فكان وصفهم بالدعاء بذلك ايذانا ببراءة ساحتهم عما يواخذون به كانه قيل ان كان النسيان والخطا مما يواخذ به فما فيهم سبب مواخذة الا الخطا والنسيان ويجوز ان يدعو الانسان بما علم انه حاصل له قبل الدعاء من فضل الله لاستدامته والاعتداد بالنعمة فيه **الاصر** العبء الذي يأصر حامله اي يحبسه مكانه لا يستقل به لثقله استعير للتكليف الشاق من نحو قتل الانفس وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب وغير ذلك وقرئ آصارا على الجمع وفي قراءة ابي ولا تحمل علينا بالتشديد

فان قلت كيف جاز الفتح وحركتها حركة همزة وصل لا تثبت في درج الكلام فلا تثبت حركتها لان ثبات حركتها كثباتها

فان قلت اي فرق بين هذه التشديد والتي في ولا تحملنا **قلت** هذه للمبالغة في حمل عليه وتلك لنقل حمله من مفعول واحد الى مفعولين **ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به** من العقوبات النازلة بمن قبلنا طلبوا الاعفاء عن التكليفات الشاقة التي كلفها من قبلهم ثم عما نزل عليهم من العقوبات على تفريطهم في المحافظة عليها وقيل المراد به الشاق الذي لا يكاد يستطاع من التكاليف وهذا تكرير لقوله ولا تحمل علينا اصرا مولانا سيدنا ونحن عبيدك او ناصرنا او متولي امورنا فانصرنا فمن حق المولى ان ينصر عبيده او فان ذلك من امورنا التي عليك توليها وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة قد فعلت وعنه عليه السلام من قرا الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وعنه عليه السلام اوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهن نبي قبلي وعنه انزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة من قراهما بعد العشاء الآخرة اجزاتاه عن قيام الليل **فان قلت** هل يجوز ان تقول قرات سورة البقرة او قرات البقرة **قلت** لا باس بذلك وقد جاء في حديث النبي عليه السلام من آخر سورة البقرة وخواتيم سورة البقرة وعن علي رضي الله عنه خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش وعن عبد الله بن مسعود انه رمى الجمرة ثم قال من ههنا والذي لا اله غيره رمى الذي انزلت عليه سورة البقرة ولا فرق بين هذا وبين قولك سورة الزخرف وسورة الممتحنة وسورة المجادلة واذا قيل قرات البقرة لم يشكل ان المراد سورة البقرة كقوله واسال القرية وعن بعضهم انه كره ذلك وقال يقال قرات السورة التي يذكر فيها البقرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التي يذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن يستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

سورة آل عمران مدنية وهي مائتا آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم الله لا اله الا هو الحي القيوم ميم حقها ان يوقف عليها كما وقف على الف ولام وان يبدا ما بعدها كما تقول واحد اثنان وهي قراءة عاصم واما فتحها فهي حركة الهمزة القيت عليها حين اسقطت للتخفيف **فان قلت** كيف جاز القاء حركتها عليها وهي حركة همزة وصل لا تثبت في درج الكلام فلا تثبت حركتها لان ثبات حركتها كثباتها **قلت** ليس هذا بدرج لان ميم في حكم الوقف والسكون والهمزة في حكم الثابت وانما حذفت تخفيفا والقيت حركتها على الساكن قبلها لتدل عليها ونظيره قولهم واحد اثنان بالقاء حركة الهمزة على الدال **فان قلت** هلا زعمت انها حركة لالتقاء الساكنين **قلت** لان التقاء الساكنين لا يبالى به في باب الوقف وذلك كقولك هذا ابراهيم وداود واسحق ولو كان التقاء الساكنين في حال الوقف يوجب التحريك لحرك الميمان في الف لام ميم لالتقاء الساكنين ولما انتظر ساكن آخر **فان قلت** انما لم يحركوا لالتقاء الساكنين في ميم لانهم ارادوا الوقف وامكنهم النطق بساكنين فاذا جاء ساكن ثالث لم يمكن الا التحريك فحركوا **قلت** الدليل على ان الحركة ليست لملاقاة الساكن انه كان يمكنهم ان يقولوا واحد اثنان بسكون الدال مع طرح الهمزة فيجمعوا بين ساكنين كما قالوا اصيم ومديق فلما حركوا الدال علم ان حركتها هي حركة الهمزة الساقطة لا غير وليست لالتقاء الساكنين **فان قلت** فما وجه قراءة عمرو بن عبيد رحمه الله بالكسر **قلت** هذه القراءة على توهم التحريك لالتقاء الساكنين ولا تقبل الميم مكسورة بياء وما هي بمقبولة **والتوراة والانجيل** اسمان اعجميان وتكلف اشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل انما يصح بعد كونهما عربيين وقرا الحسن الانجيل بفتح الهمزة وهو دليل على العجمة لان افعيل عديم في اوزان العرب **فان قلت** لم قيل نزل الكتاب وانزل التوراة والانجيل **قلت** لان القرآن نزل منجما ونزل الكتابان جملة وقرا الاعمش نزل عليك الكتاب بالتخفيف ورفع الكتاب **هدى للناس** لقوم موسى وعيسى عليهما السلام ومن قال انا متعبدون بشرائع من قبلنا فسره على العموم

فان قلت ما المراد بالفرقان قلت جنس الكتب السماوية لان كلها فرقان يفرق بين الحق والباطل او الكتب
التي ذكرها كانه قال بعد ذكر الكتب الثلاثة وانزل ما يفرق به بين الحق والباطل من كتبه او من هذه الكتب
او اراد الكتاب الرابع وهو الزبور كما قال وآتينا داود زبورا وهو ظاهر او كرر ذكر القرآن بما هو
نعت له ومدح من كونه فارقا بين الحق والباطل بعد ما ذكره باسم الجنس تعظيما لشانه واظهارا للفضل
بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها ذو انتقام له انتقام شديد لا يقدر على مثله منتقم ان الله لا يخفى
عليه شيء في العالم فعبر عنه بالسماء والارض فهو مطلع على كفر من كفر وايمان من آمن وهو مجازيهم
عليه كيف يشاء من الصور المختلفة المتفاوتة وقرأ طاوس تصوركم اي صوركم لنفسه ولتعبده كقولك
أثّلت مالا اذا جعلته اثلة اي اصلا وتأثلته اذا اثلته لنفسك وعن سعيد بن جبير هذا حجاج على
من زعم ان عيسى عليه السلام كان ربا كانه نبه بكونه مصورا في الرحم على انه عبد كغيره وكان يخفى عليه ما لا يخفى
على الله محكمات احكمت عباراتها بان حفظت من الاحتمال والاشتباه متشابهات مشتبهات
محتملات هن ام الكتاب اي اصل الكتاب تحمل المتشابهات عليها وترد اليها ومثال ذلك لا تدركه الابصار
الى ربها ناظرة لا يامر بالفحشاء امرنا مترفيها فان قلت هلا كان القرآن كله محكما قلت لو كان كله
محكما لتعلق الناس به لسهولة ماخذه ولاعرضوا عما يحتاجون فيه الى الفحص والتامل من النظر والاستدلال
ولو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق الذي لا يتوصل الى معرفة الله وتوحيده الا به ولما في المتشابه من الابتلاء
والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه ولما في تقادح العلماء واتعابهم القرائح في استخراج
معانيه ورده الى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند الله ولان المؤمن المعتقد
ان لا مناقضة في كلام الله ولا اختلاف اذا راى فيه ما يتناقض في ظاهره واهمه طلب ما يوفق
بينه واجراه على سنن واحد ففكر وراجع نفسه وغيره ففتح الله عليه وتبين مطابقة المتشابه
المحكم ازداد طمانينة الى معتقده وقوة في ايقانه الذين في قلوبهم زيغ هم اهل البدع فيتبعون
ما تشابه منه فيتعلقون بالمتشابه الذي يحتمل ما يذهب اليه المبتدع مما لا يطابق المحكم
ويحتمل ما يطابقه من قول اهل الحق ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم
وابتغاء تاويله وطلب ان يؤولوه التاويل الذي يشتهونه وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم اي
لا يهتدي الى تاويله الحق الذي يجب ان يحمل عليه الا الله وعباده الذين رسخوا في العلم اي ثبتوا فيه
وتمكنوا وعضوا فيه بضرس قاطع ومنهم من يقف على قوله الا الله ويبتدئ والراسخون في العلم
يقولون ويفسرون المتشابه بما استاثر الله بعلمه وبمعرفة الحكمة فيه من آياته كعدد
الزبانية ونحوه والاول هو الوجه ويقولون كلام مستانف موضح لحال الراسخين بمعنى هؤلاء العالمون
بالتاويل يقولون آمنا به اي بالمتشابه كل من عند ربنا اي كل واحد منه ومن المحكم من عنده او
بالكتاب كل من محكمه ومتشابهه من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه ولا يختلف
كتابه وما يذكر الا اولو الالباب مدح للراسخين بالقاء الذهن وحسن التامل ويجوز ان يكون يقولون

يقولون حالا من الراسخين وقرأ عبد الله ان تاويله الا عند الله وقرأ أبي ويقول الراسخون ربنا لا تزغ قلوبنا
لا تبتلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا وارشدتنا للرسل ولا تمنعنا الطافك بعد ان
لطفت بنا من لدنك رحمة من عندك نعمة بالتوفيق والمعونة وقرئ لا يزغ قلوبنا بالتاء والياء
ورفع القلوب ربنا انك جامع الناس ليوم اي لحساب يوم او لجزاء يوم كقوله يوم يجمعكم ليوم
الجمع وقرئ جامعُ الناس على الاصل ان الله لا يخلف الميعاد معناه ان الالهية تنافي خلف الميعاد
كقولك ان الجواد لا يخيب سائله والميعاد الموعد ان الذين كفروا قرأ علي رضي الله عنه لن تغني بسكون الياء وهو
من الجد في استثقال الحركة على حروف اللين من بني قولهم مثله في قوله ان الظن لا يغني من الحق شيئا
والمعنى لن تغني عنهم من رحمة الله او من طاعة الله شيئا اي بدل رحمته وطاعته وبدل الحق ومنه
ولا ينفع ذا الجد منك الجد اي لا ينفعه جده وحظه من الدنيا بدلك اي بدل طاعتك وعبادتك وما
عندك وفي معناه قوله وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى وقرئ وُقود
بمعنى اهل وقودها والمراد بالذين كفروا من كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنه
هم قريظة والنضير كدأب آل فرعون الدأب مصدر دأب في العمل اذا كدح فيه فوضع موضع
ما عليه الانسان من شانه وحاله والكاف مرفوع المحل تقديره دأب هؤلاء الكفرة كدأب من قبلهم
من آل فرعون وغيرهم ويجوز ان ينتصب محل الكاف بلن تغني مثل ما لم تغن عن اولئك او توقد
بهم النار كما توقد بهم تقول انك لتظلم الناس كدأب ابيك تريد كظلم ابيك ومثل ما كان
يظلمهم وان فلانا لمحارف كدأب ابيه تريد كما حورف ابوه كذبوا بآيات الله تفسير لدأبهم
مما فعلوا او فعل بهم على انه جواب سؤال مقدر عن حالهم قل للذين كفروا هم مشركو مكة ستغلبون
يعني يوم بدر قالوا هذا والله النبي الامي الذي بشرنا به موسى وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا
حتى ننظر الى وقعة اخرى فلما كان يوم احد شكوا وقيل جمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
وقعة بدر في سوق بني قينقاع فقال يا معشر اليهود احذروا مثل ما نزل بقريش واسلموا قبل
ان ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم اني نبي مرسل فقالوا لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم
بالحرب فاصبت منهم فرصة لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت وقرئ سيغلبون ويحشرون
بالياء كقوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف على قل لهم قولي لك سيغلبون فان قلت
اي فرق بين القراءتين من حيث المعنى قلت معنى القراءة بالتاء الامر بان يخبرهم بما سيجري عليهم
من الغلبة والحشر الى جهنم فهو اخبار بمعنى سيغلبون ويحشرون وهو الكائن من نفس المتوعد
به والذي يدل عليه اللفظ ومعنى القراءة بالياء الامر بان يحكي لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه
كانه قال اد اليهم هذا القول الذي هو قولي لك ستغلبون وتحشرون قد كان لكم آية الخطاب لمشركي قريش
في فئتين التقتا يوم بدر يرونهم مثليهم يرى المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين قريبا من الفين او مثلي عدد
المسلمين ستمائة ونيفا وعشرين اراهم الله اياهم مع قلتهم اضعافهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم

[قد كان لكم آية في] فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء
إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة
والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات

وكان ذلك مددا لهم كما أمدهم بالملائكة والدليل عليه قراءة نافع ترونهم بالتاء اي ترون يا مشركي
قريش المسلمين مثلي فئتكم الكافرة او مثلي انفسهم فان قلت فهذا مناقض لقوله في سورة الانفال
ويقللكم في اعينهم قلت قللوا اولا في اعينهم حتى اجترؤا عليهم فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتى
غلبوا فكان التقليل والتكثير في حالين مختلفين ونظيره من المحمول على اختلاف الاحوال قوله تعالى فيومئذ
لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان وقوله وقفوهم انهم مسئولون وتقليلهم تارة وتكثيرهم اخرى في اعينهم ابلغ
في القدرة واظهار الآية وقيل يرى المسلمون المشركين مثلي المسلمين على ما قرر عليه امرهم من مقاومة الواحد
الاثنين في قوله تعالى فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين بعد ما كلفوا ان يقاوم الواحد العشرة في قوله ان يكن منكم
عشرون صابرون يغلبوا مائتين ولذلك وصف ضعفهم بالقلة لانه قليل بالاضافة الى عشرة الاضعاف وكان
الكافرون ثلاثة امثالهم وقراءة نافع لا تساعد عليه وقرأ ابن مصرف يرونهم على البناء للمفعول بالياء
والتاء اي يريهم الله ذلك بقدرته وقرئ فئة تقاتل واخرى كافرة بالجر على البدل من فئتين وبالنصب
على الاختصاص او على الحال من الضمير في التقتا رأي العين يعني رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها
معاينة كسائر المعاينات والله يؤيد بنصره كما ايد اهل بدر بتكثيرهم في عين العدو زين للناس المزين
هو الله سبحانه للابتلاء كقوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ويدل عليه قراءة مجاهد زَيَّن
للناس على تسمية الفاعل وعن الحسن الشيطان والله زينها لهم لانا لا نعلم احدا اذم لها من خالقها
حب الشهوات جعل الاعيان التي ذكرها شهوات مبالغة كأنها نفس الشهوات كونها مشتهاة محروصا على الاستمتاع
بها والوجه ان يقصد تخسيسها فيسميها شهوات لان الشهوة مسترذلة عند الحكماء
مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية وقال زين للناس حب الشهوات ثم جاء بالتفسير
ليقرر اولا في النفوس ان المزين لهم حبه ما هو الا شهوات لا غير ثم يفسره بهذه الاجناس
فيكون اقوى لتخسيسها وادل على ذم من يستعظمها ويتهالك عليها ويرجح طلبها على طلب
ما عند الله تعالى والقنطار المال الكثير قيل ملء مسك ثور وعن سعيد بن جبير مائة الف دينار
ولقد جاء الاسلام يوم جاء بمكة مائة رجل قد قنطروا والمقنطرة مبنية من لفظ القنطار للتوكيد
كقولهم الف مؤلفة وبدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهي العلامة او المطهمة او
المرعية من اسام الدابة وسومها والانعام الازواج الثمانية ذلك المذكور متاع الحياة
الدنيا للذين اتقوا عند ربهم جنات كلام مستأنف فيه دلالة على بيان ما هو خير من ذلكم كما
تقول هل ادلك على رجل عالم عندي رجل صفته كيت وكيت ويجوز ان يتعلق اللام بخير واختص
المتقين لانهم هم المنتفعون به وترتفع جنات على هو جنات وتنصره قراءة من قرأ جنات بالجر على
البدل من خير والله بصير بالعباد يثيب ويعاقب على الاستحقاق او بصير بالذين اتقوا وباحوالهم فلذلك
اعد لهم الجنات الذين يقولون نصب على المدح او رفع ويجوز الجر صفة للمتقين او للعباد والواو
المتوسطة بين الصفات للدلالة على كمالهم في كل واحدة منها وقد مر الكلام في ذلك وخص الاسحار

اي الصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين

شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم
ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم
العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب

لانهم كانوا يقدمون قيام الليل فيحسن طلب الحاجة بعده اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه
وعن الحسن رضي الله عنه كانوا يصلون في اول الليل حتى اذا كان السحر اخذوا في الدعاء والاستغفار
هذا نهارهم وهذا ليلهم شهد الله شبهت دلالته على وحدانيته بافعاله الخاصة التي لا يقدر
عليها غيره وبما اوحى من آياته الناطقة بالتوحيد كسورة الاخلاص وآية الكرسي وغيرهما بشهادة
الشاهد في البيان والكشف وكذلك اقرار الملائكة واولي العلم بذلك واحتجاجهم عليه قائما بالقسط
مقيما للعدل فيما يقسم من الارزاق والآجال ويثيب ويعاقب وما يأمر به عباده من انصاف بعضهم
لبعض والعمل على السوية فيما بينهم وانتصابه على انه حال مؤكدة منه كقوله وهو الحق مصدقا فان
قلت لم جاز افراده بنصب الحال دون المعطوفين عليه ولو قلت جاءني زيد وعمرو راكبا لم يجز قلت انما جاز هذا لعدم
الالباس كما جاز في قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة ان انتصب نافلة حالا عن يعقوب ولو قلت جاءني
زيد وهند راكبا جاز لتميزه بالذكورة او على المدح فان قلت أليس من حق المنتصب على المدح ان يكون معرفة
كقولك الحمد لله الحميد انا معشر الانبياء لا نورث انا بني نهشل لا ندعي لأب قلت قد جاء نكرة كما جاء
معرفة وانشد سيبويه فيما جاء منه نكرة قول الهذلي ويأوي الى نسوة عطل وشعثا مراضيع مثل السعالى
فان قلت هل يجوز ان يكون صفة للمنفي كأنه قيل لا اله قائما بالقسط الا هو قلت لا يبعد فقد رأيناهم
يتسعون في الفصل بين الصفة والموصوف فان قلت قد جعلته حالا من فاعل شهد فهل يصح ان ينتصب
حالا عن هو في لا اله الا هو قلت نعم لانها حال مؤكدة والحال المؤكدة لا تستدعي ان يكون في الجملة
التي هي زيادة في فائدتها عامل فيها كقولك انا عبد الله شجاعا وكذلك لو قلت لا رجل الا عبد الله شجاعا
وهو اوجه من انتصابه عن فاعل شهد وكذلك انتصابه على المدح فان قلت هل دخل قيامه بالقسط في حكم
شهادة الله والملائكة واولي العلم كما دخلت الوحدانية قلت نعم اذا جعلته حالا من هو او نصبا على
المدح منه او صفة للمنفي كأنه قيل شهد الله والملائكة واولو العلم انه لا اله الا هو وانه قائم بالقسط
وقرأ عبد الله القائم بالقسط على انه بدل من هو او خبر مبتدأ محذوف وقرأ ابو حنيفة قيما بالقسط العزيز الحكيم
صفتان مقررتان لما وصف به ذاته من الوحدانية والعدل يعني انه العزيز الذي لا يغالبه اله آخر
الحكيم الذي لا يعدل عن العدل في افعاله فان قلت ما المراد باولي العلم الذين عظمهم هذا التعظيم حيث جمعهم
معه ومع الملائكة في الشهادة على وحدانيته وعدله قلت هم الذين يثبتون وحدانيته وعدله بالحجج الساطعة
والبراهين القاطعة وهم علماء العدل والتوحيد وقرئ انه بالفتح وان الدين بالكسر على ان الفعل واقع
على انه بمعنى شهد الله على انه او بانه وقوله ان الدين عند الله الاسلام جملة مستأنفة مؤكدة للجملة
الاولى فان قلت ما فائدة هذا التوكيد قلت فائدته ان قوله لا اله الا هو توحيد وقوله قائما بالقسط تعديل
فاذا اردفه قوله ان الدين عند الله الاسلام فقد آذن ان الاسلام هو العدل والتوحيد وهو الدين عند الله تعالى
وما عداه فليس عنده في شيء من الدين وفيه ان من ذهب الى تشبيه او ما يؤدي اليه كاجازة الرؤية وقرئا
مفتوحين على ان الثاني بدل من الاول كأنه قيل شهد الله ان الدين عند الله الاسلام والبدل هو المبدل

فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ

منه في المعنى فكان بيانا صريحا لأن دين الله هو التوحيد والعدل وقرئ الأول بالكسر والثاني بالفتح على أن الفعل واقع على أن وما بينهما اعتراض مؤكد وهذا أيضا شاهد على أن دين الإسلام هو التوحيد فتدبر لكن القراءات كلها متعاضدة على ذلك وقرأ عبد الله أن لا إله إلا هو وقرأ أبي إن الدين عند الله للإسلام وهي مقوية لقراءة من فتح الأولى وكسر الثانية وقرئ شهداء لله بالنصب على أنه حال من المذكورين قبله وبالرفع على هم شهداء لله فإن قلت علام عطف على هذه القراءة والملائكة وأولوا العلم قلت على الضمير في شهداء وجاز لوقوع الفاصل بينهما فإن قلت لم كرر قوله لا إله إلا هو قلت ذكره أولا للدلالة على اختصاصه بالوحدانية وأنه لا إله إلا تلك الذات المتميزة ثم ذكره ثانيا بعدما قرن بإثبات الوحدانية إثبات العدل للدلالة على اختصاصه بالوحدانية وأنه لا إله إلا تلك الذات المتميزة ثم ذكره ثانيا بالأمرين كأنه قال لا إله إلا هذا الموصوف بالصفتين ولذلك قرن به قوله العزيز الحكيم لتضمنهما معنى الوحدانية والعدل الذين أوتوا الكتاب أهل الكتاب من اليهود والنصارى واختلافهم أنهم تركوا الإسلام وهو التوحيد والعدل من بعد ما جاءهم العلم أنه الحق الذي لا محيد عنه فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالوا كنا أحق بأن تكون النبوة فينا من قريش لأنهم أميون ونحن أهل الكتاب وهذا تجوير لله تعالى بغيا بينهم أي ما كان ذلك الاختلاف وتظاهر هؤلاء بمذهب وهؤلاء بمذهب إلا حسدا بينهم وطلبا للرياسة وحظوظ الدنيا واستتباع كل فريق ناسا يطؤون أعقابهم لا شبهة في الإسلام وقيل هو اختلافهم في نبوة محمد عليه السلام حيث آمن به بعض وكفر بعض وقيل هو اختلافهم في الإيمان بالأنبياء عليهم السلام فمنهم من آمن بموسى ومنهم من آمن بعيسى عليهما السلام وقيل هم اليهود واختلافهم أن موسى عليه السلام حين احتضر استودع التوراة سبعين حبرا من بني إسرائيل وجعلهم أمناء عليها واستخلف يوشع فلما مضى قرن بعد قرن اختلف أبناء السبعين بعد ما جاءهم علم التوراة بغيا بينهم وتحاسدا على حظوظ الدنيا والرياسة وقيل هم النصارى واختلافهم في أمر عيسى عليه السلام بعد ما جاءهم العلم أنه عبد الله ورسوله فإن حاجوك فإن جادلوك في الدين فقل أسلمت وجهي لله أي أخلصت نفسي وجملتي لله وحده لم أجعل فيها لغيره شركا بأن أعبده وأدعو إلها معه يعني أن ديني دين التوحيد وهو الدين القويم الذي ثبتت عندكم صحته كما ثبتت عندي وما جئت بشيء بديع حتى تجادلوني فيه ونحوه قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا فهو دفع للمحاجة بأن ما هو عليه ومن معه من المؤمنين هو الحق اليقين الذي لا لبس فيه فما معنى المحاجة فيه ومن اتبعن عطف على التاء في أسلمت وحسن للفاصل ويجوز أن تكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا معه وقل للذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى والأميين الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب أأسلمتم

يعني أنه قد أتاكم من البينات ما يوجب الإسلام ويقتضي حصوله لا محالة فهل أسلمتم أم أنتم بعد على كفركم وهذا كقولك لمن لخصت له المسألة ولم تبق من طرق البيان والكشف طريقا إلا سلكته هل فهمتها لا أم لك ومنه قوله عز وجل فهل أنتم منتهون بعد ما ذكر الصوارف عن الخمر والميسر وفي هذا الاستفهام استقصار وتعيير بالمعاندة وقلة الإنصاف لأن المنصف إذا تجلت له الحجة لم يتوقف إذعانه للحق وللمعاند بعد تجلي الحجة ما يضرب أسدادا بينه وبين الإذعان وكذلك في هل فهمتها توبيخ بالبلادة وكلة القريحة وفي فهل أنتم منتهون بالتقاعد عن الانتهاء والحرص الشديد على تعاطي المنهي عنه فإن أسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا أنفسهم حيث خرجوا من الضلال إلى الهدى ومن الظلمة إلى النور وإن تولوا لم يضروك فإنك رسول منبه ما عليك إلا أن تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الهدى إن الذين يكفرون قرأ الحسن رضي الله عنه ويقتلون النبيين وقرأ حمزة رضي الله عنه ويقاتلون الذين يأمرون وقرأ عبد الله وقاتلوا وقرأ أبي يقتلون النبيين والذين يأمرون وهم أهل الكتاب قتل أولوهم الأنبياء وقتلوا أتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا حول قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لولا عصمة الله وعن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قلت يا رسول الله أي الناس أشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا أو رجلا أمر بمعروف ونهى عن منكر ثم قرأها ثم قال يا أبا عبيدة قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني إسرائيل فأمروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار في الدنيا والآخرة لأن لهم اللعنة والخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة فإن قلت لم دخلت الفاء في خبر إن قلت لتضمن اسمها معنى الجزاء كأنه قيل الذين يكفرون فبشرهم بمعنى من يكفر فبشرهم وإن لا تغير معنى الابتداء فكأن دخولها كلا دخول ولو كان مكانها ليت ولعل لامتنع إدخال الفاء لتغير معنى الابتداء ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يريد أحبار اليهود وأنهم حصلوا نصيبا وافرا من التوراة ومن إما للتبعيض وإما للبيان أو حصلوا من جنس الكتب المنزلة أو من اللوح التوراة وهي نصيب عظيم يدعون إلى كتاب الله وهو التوراة ليحكم بينهم وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مدراسهم فدعاهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على أي دين أنت قال على ملة إبراهيم عليه السلام قالا إن إبراهيم كان يهوديا قال إن بيننا وبينكم التوراة فهلموا إليها فأبيا وقيل نزلت في الرجم وقد اختلفوا فيه وعن الحسن وقتادة رضي الله عنهما كتاب الله القرآن لأنهم قد علموا أنه كتاب الله لم يشكوا فيه ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم بعد علمهم بأن الرجوع إلى كتاب الله واجب وهم معرضون وهم قوم لا يزال الإعراض ديدنهم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول والوجه أن يراد ما وقع من الاختلاف والتعادي بين من أسلم من أحبارهم وبين من لم يسلم وأنهم دعوا إلى كتاب الله الذي لا اختلاف بينهم في صحته وهو التوراة ليحكم بين المحق والمبطل منهم ثم يتولى فريق منهم وهم الذين لم يسلموا وذلك أن قوله ليحكم بينهم يقتضي أن يكون اختلافا واقعا فيما بينهم لا فيما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه ذلك التولي والإعراض بسبب تسهيلهم على أنفسهم أمر العقاب وطمعهم في الخروج من النار بعد أيام قلائل وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من أن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم فكيف إذا جمعناهم فكيف يصنعون

او مكيف يكون حالهم وهو استعظام لما اعد لهم وتهويل لهم وانهم يقعون فيما لا حيلة في دفعه والتخلص منه وان ما حدثوا به انفسهم وسهلوه عليها تعلل بباطل وتطمع بما لا يكون وروي ان اول راية ترفع لاهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤوس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار. وهم لا يظلمون يرجع الى كل نفس على المعنى لانه في معنى كل الناس كما تقول ثلاثة انفس تريد ثلاثة اناسي. اللهم الميم عوض من يا ولذلك لا يجتمعان وهذا بعض خصائص هذا الاسم كما اختص بالتاء في القسم وبدخول حرف النداء عليه وفيه لام التعريف وبقطع همزته في يا الله وبغير ذلك. مالك الملك اي تملك جنس الملك فتتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون. تؤتي الملك من تشاء تعطي النصيب الذي قسمت له واقتضته حكمتك من الملك وتنزع الملك ممن تشاء النصيب الذي اعطيته منه فالملك الاول عام شامل والملكان الآخران خاصان بعضان من الكل. روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة وعد امته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من اين لمحمد ملك فارس والروم هم اعز وامنع من ذلك. وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون خرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله عليه السلام يخبره فاخذ المعول من سلمان فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم وكبر وكبر المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي قصور صنعاء واخبرني جبريل ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت. فان قلت كيف قال بيدك الخير فذكر الخير دون الشر قلت لان الكلام انما وقع في الخير الذي يسوقه الى المؤمنين وهو الذي انكرته الكفرة فقال بيدك الخير تؤتيه اولياءك على رغم من اعدائك ولان كل افعال الله تعالى من نافع وضار صادر عن الحكمة والمصلحة فهو خير كله كايتاء الملك ونزعه ثم ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار في المعاقبة بينهما وحال الحي والميت في اخراج احدهما من الآخر وعطف عليه رزقه بغير حساب دلالة على ان من قدر على تلك الافعال العظيمة المحيرة للافهام ثم قدر ان يرزق بغير حساب من يشاء من عباده فهو قادر على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم. وفي بعض الكتب انا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم وهو معنى قوله عليه السلام كما تكونون يولى عليكم. لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء نهوا ان يوالوا الكافرين لقرابة بينهم او صداقة قبل الاسلام او غير ذلك من الاسباب التي يتصادق بها ويتعاشر وقد كرر ذلك في القرآن ومن يتولهم

لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا ان تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه والى الله المصير قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الارض والله على كل شيء قدير يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد

منكم فانه منهم لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء لا تجد قوما يؤمنون بالله والمحبة في الله والبغض في الله باب عظيم واصل من اصول الايمان. من دون المؤمنين يعني ان لكم في موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم. ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ومن يوال الكفرة فليس من ولاية الله في شيء يقع عليه اسم الولاية يعني انه منسلخ من ولاية الله راسا وهذا امر معقول فان موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيان قال: تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك بعازب. الا ان تتقوا منهم تقاة الا ان تخافوا من جهتهم امرا يجب اتقاؤه وقرئ تقية قيل للمتقي تقاة وتقية كقولهم ضرب الامير لمضروبه رخص لهم في موالاتهم اذا خافوهم والمراد بتلك الموالاة مخالفة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر العصا كقول عيسى صلوات الله عليه كن وسطا وامش جانبا. ويحذركم الله نفسه فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة اعدائه وهذا وعيد شديد ويجوز ان يكون تضمن تتقوا معنى تحذروا وتخافوا فيعدى بمن وينتصب تقاة او تقية على المصدر كقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته. ان تخفوا ما في صدوركم اي ضمائركم من ولاية الكفار او غيرها مما لا يرضى الله يعلمه الله ولم يخف عليه وهو الذي يعلم ما في السموات وما في الارض لا يخفى عليه منه شيء قط فلا يخفى عليه سركم وعلنكم. والله على كل شيء قدير فهو قادر على عقوبتكم وهذا بيان لقوله تعالى ويحذركم الله نفسه لان نفسه وهي ذاته المتميزة من سائر الذوات متصفة بعلم ذاتي لا يختص بمعلوم دون معلوم فهي متعلقة بالمعلومات كلها وبقدرة ذاتية لا تختص بمقدور دون مقدور فهي قادرة على المقدورات كلها فكان حقها ان تحذر وتتقى فلا يجسر احد على قبيح ولا يقصر عن واجب فان ذلك مطلع عليه لا محالة فلاحق به العقاب ولو علم بعض عبيد السلطان انه اراد الاطلاع على احواله فوكل همه بما يورد ويصدر ونصب عليه عيونا وبث من يتجسس عن بواطن اموره لاخذ حذره وتيقظ في امره واتقى كل ما يتوقع فيه الاسترابة به فما بال من علم ان العالم الذات الذي يعلم السر واخفى مهيمن عليه وهو آمن. اللهم انا نعوذ بك من اغترارنا بسترك. يوم تجد منصوب بتود والضمير في بينه لليوم اي يوم القيامة حين تجد كل نفس خيرها وشرها حاضرين تتمنى لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا ويجوز ان ينتصب يوم تجد بمضمر نحو اذكر ويقع تجد على ما عملت وحده ويرتفع وما عملت على الابتداء وتود خبره اي والذي عملته من سوء تود هي لو تباعد ما بينها وبينه ولا يصح ان تكون ما شرطية لارتفاع تود. فان قلت فهل يصح ان تكون شرطية على قراءة عبد الله ودت قلت لا كلام في صحته ولكن الحمل على الابتداء والخبر اوقع في المعنى لانه حكاية الكائن في ذلك اليوم واثبت لموافقة قراءة العامة ويجوز ان يعطف وما عملت على ما عملت ويكون تود حالا اي يوم تجد عملها محضرا وادة تباعد ما بينها وبين اليوم او عمل السوء محضرا كقوله ووجدوا ما عملوا حاضرا يعني مكتوبا في صحفهم يقرؤونه ونحوه فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه. والامد المسافة كقوله يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين وكرر قوله ويحذركم الله نفسه ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه. والله رؤوف بالعباد يعني ان تحذيره نفسه وتعريفه حالها من العلم والقدرة من الرأفة العظيمة بالعباد لانهم اذا عرفوه حق المعرفة

قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين
إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم

ويحذّره دعاهم ذلك إلى طلب رضاه واجتناب سخطه وعن الحسن رضي الله عنه من رأفته بهم أن حذرهم نفسه
ويجوز أن يريد أنه مع كونه محذورا لعلمه وقدرته مرجوّ لسعة رحمته كقوله إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم
قل إن كنتم تحبون الله محبة العباد لله مجاز عن إرادة نفوسهم اختصاصه بالعبادة دون غيره ورغبتهم
فيها ومحبة الله عباده أن يرضى عنهم ويحمد فعلهم والمعنى إن كنتم مريدين لعبادة الله على الحقيقة فاتبعوني حتى
يصح ما تدعونه من إرادة عبادته يرض عنكم ويغفر لكم وعن الحسن رحمه الله زعم أقوام على عهد رسول الله عليه السلام
أنهم يحبون الله فأراد أن يجعل لقولهم تصديقا من عمل فمن ادعى محبته وخالف سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله يكذبه
وإذا رأيت من يذكر محبة الله ويصفق بيديه مع ذكرها ويطرب وينعر ويصعق فلا تشك أنه لا يعرف ما الله ولا يدري
ما محبة الله وما تصفيقه وطربه ونعرته وصعقته إلا لأنه تصور في نفسه الخبيثة صورة مستملحة معشقة
فسماها الله بجهله ودعارته ثم صفق وطرب ونعر وصعق على تصورها وربما رأيت المني قد
ملأ إزار ذلك المحب عند صعقته وحمقى العامة حواليه قد ملؤوا أردانهم بالدموع لما رققهم
من حاله وقرئ تحبون ويحببكم من حبه يحبه قال: أحب أبا ثروان من حب تمره
واعلم أن الرفق بالجار أرفق. والله لولا تمره ما حببته. ولا كان أدنى من عبيد ومشرق. فإن تولوا
يحتمل أن يكون ماضيا وأن يكون مضارعا بمعنى فإن تتولوا ويدخل في جملة ما يقول الرسول لهم إن الله اصطفى
آدم ونوحا وآل إبراهيم إسمعيل وإسحق وأولادهما وآل عمران موسى وهارون ابنا عمران بن يصهر
وقيل عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان وبين العمرانين ألف وثمانمائة سنة ذرية بدل من آل إبراهيم وآل عمران
بعضها من بعض يعني أن الآلين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض موسى وهرون من عمران
وعمران من يصهر ويصهر من قاهث وقاهث من لاوي ولاوي من يعقوب ويعقوب من إسحق وكذلك
عيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان بن سليمان بن داود بن ايشى بن يهوذا بن يعقوب بن إسحق وقد دخل
في آل إبراهيم رسول الله صلى الله عليه وعليهم وقيل بعضها من بعض في الدين كقوله المنافقون والمنافقات
بعضهم من بعض والله سميع عليم يعلم من يصلح للاصطفاء أو يعلم أن بعضهم من بعض في الدين أو سميع عليم
لقول امرأة عمران ونيتها وإذ منصوب به وقيل بإضمار اذكر وامرأة عمران هي امرأة عمران بن ماثان
أم مريم البتول جدة عيسى صلوات الله عليه وهي حنة بنت فاقوذ وقوله إذ قالت امرأة عمران
على أثر قوله وآل عمران مما يرجح أن عمران هو عمران بن ماثان جد عيسى عليه السلام والقول
الآخر يرجحه أن موسى يقرن بإبراهيم كثيرا في الذكر فإن قلت كانت لعمران بن يصهر بنت اسمها
مريم أكبر من موسى وهرون عليهما السلام قلت كفى بكفالة زكريا دليلا على أنه عمران أبو البتول لأن زكريا
ابن آذن وعمران بن ماثان كانا في عصر واحد وقد تزوج زكريا بنته ايشاع أخت مريم فكان
يحيى وعيسى عليهما السلام ابني خالة وروي أنها كانت عاقرا لم تلد إلى أن عجزت فبينما هي في ظل شجرة
بصرت بطائر يطعم فرخا له فتحركت نفسها للولد وتمنته فقالت اللهم إن لك علي نذرا
شكرا إن رزقتني ولدا أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فحملت بمريم وهلك

عمران وهي حامل إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محررا معتقا لخدمة بيت المقدس
لا يد لي عليه ولا أستخدمه ولا أشغله بشيء وكان هذا النوع من النذر مشروعا عندهم وروي أنهم
كانوا ينذرون هذا النذر فإذا بلغ الغلام خير بين أن يفعل وأن لا يفعل وعن الشعبي رضي الله عنه
محررا مخلصا للعبادة وما كان التحرير إلا للغلمان وإنما بنت الأمر على التقدير أو طلبت أن
ترزق ذكرا فلما وضعتها الضمير لما في بطني وإنما أنث على المعنى لأن ما في بطنها كان أنثى
في علم الله أو على تأويل الحبلة أو النفس أو النسمة فإن قلت كيف جاز انتصاب أنثى حالا من الضمير في
وضعتها وهو كقولك وضعت الأنثى أنثى قلت الأصل وضعته أنثى وإنما أنث لتأنيث الحال لأن الحال
وذا الحال لشيء واحد كما أنث الاسم في ما كانت أمك لتأنيث الخبر ونظيره قوله تعالى فإن كانتا
اثنتين وأما على تأويل الحبلة أو النسمة فهو ظاهر كأنه قيل إني وضعت الحبلة أو النسمة
أنثى فإن قلت لم قالت إني وضعتها أنثى وما أرادت إلى هذا القول قلت قالته تحسرا على ما رأت من خيبة
رجائها وعكس تقديرها فتحزنت إلى ربها لأنها كانت ترجو وتقدر أن تلد ذكرا ولذلك نذرته
محررا للسدانة ولتكلمها بذلك على وجه التحسر والتحزن قال الله تعالى والله أعلم بما وضعت
تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بقدر ما وهب لها منه ومعناه والله أعلم بالشيء الذي وضعت وما
علق به من عظائم الأمور وأن يجعله وولده آية للعالمين وهي جاهلة بذلك لا تعلم منه شيئا فلذلك
تحسرت وفي قراءة ابن عباس رضي الله عنه والله أعلم بما وضعتِ على خطاب الله لها أي إنك لا تعلمين
قدر هذا الموهوب وما علم الله من عظم شأنه وعلو قدره وقرئ وضعتُ بمعنى لعل لله فيه سرا
وحكمة ولعل هذه الأنثى خير من الذكر تسلية لنفسها فإن قلت فما معنى قوله وليس الذكر كالأنثى
قلت هو بيان لما في قوله والله أعلم بما وضعت من التعظيم للموضوع والرفع منه ومعناه وليس الذكر
الذي طلبت كالأنثى التي وهبت لها واللام فيهما للعهد فإن قلت علام عطف قوله وإني سميتها مريم قلت
هو عطف على إني وضعتها أنثى وما بينهما جملتان معترضتان كقوله وإنه لقسم لو تعلمون عظيم
فإن قلت فلم ذكرت تسميتها مريم لربها قلت لأن مريم في لغتهم بمعنى العابدة فأرادت بذلك
التقرب والطلب إليه أن يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها وأن يصدق فيها ظنها
بها ألا ترى كيف أتبعه طلب الإعاذة لها ولولدها من الشيطان وإغوائه وما يروى من الحديث ما من
مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان إياه إلا مريم وابنها فالله أعلم
بصحته فإن صح فمعناه أن كل مولود يطمع الشيطان في إغوائه إلا مريم وابنها فإنهما كانا معصومين
وكذلك كل من كان في صفتهما كقوله لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين واستهلاله صارخا
من مسه تخييل وتصوير لطمعه فيه كأنه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممن أغويه ونحوه من التخييل
قول ابن الرومي: لما تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد وأما حقيقة المس
والنخس كما يتوهم أهل الحشو فكلا ولو سلط إبليس على الناس ينخسهم لامتلأت

الدنيا طرفا وعيا طا انما ابتلوا به من نخسه فتقبلها ربها فرضي بها في النذر مكان الذكر بقبول حسن
فيه وجهان احدهما ان يكون القبول اسم ما يقبل به الشي كالسعوط واللدود لما يسعط به ويلد
وهو اختصاصه لها باقامتها مقام الذكر في النذر ولم يقبل قبلها انثى في ذلك او بان تسلمها من امها
عقيب الولادة قبل ان تنشأ وتصلح للسدانة روي ان حنة حين ولدتها لفتها في خرقة
وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هارون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة
فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم وكانت
بنو ماثان رؤس بني اسرائيل واحبارهم وملوكهم فقال لهم زكريا انا احق بها عندي خالتها فقالوا لا
حتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفا قلم زكريا
فوق الماء ورسبت اقلامهم فتكفلها والثاني ان يكون مصدرا على تقدير حذف المضاف بمعنى فتقبلها
بذي قبول حسن اي بامر ذي قبول حسن وهو الاختصاص ويجوز ان يكون معنى فتقبلها فاستقبلها كقولك
تعجله بمعنى استعجله وتقصاه بمعنى استقصاه وهو كثير في كلامهم من استقبل الامر اذا اخذه باوله
وعنفوانه قال القطامي وخير الامر ما استقبلت منه وليس بان تتبعه اتباعا ومنه المستقبل
الامر بقوابله اي فاخذها في اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا مجاز عن
التربية الحسنة العائدة عليها بما يصلحها في جميع احوالها وكفلها زكريا بوزن
وعملها وكفلها زكريا بتشديد الفاء ونصب زكريا والفعل لله تعالى بمعنى وضمها اليه وجعله
كافلا لها وضامنا لمصالحها ويؤيدها قراءة ابي رضي الله عنه واكفلها من قولهم اكفلتها
وقرا مجاهد فتقبلها ربها وانبتها وكفلها على لفظ الامر في الكل لله تعالى بالالفاظ الثلاثة ونصب
ربها ودعائها من التربية واجعل زكريا كافلا لها قيل بنى لها زكريا عليه السلام محرابا في
المسجد اي غرفة يصعد اليها بسلم وقيل المحراب اشرف المجالس ومقدمها كانها وضعت
في اشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب وروي انه كان لا يدخل
عليها الا هو وحده وكان اذا خرج غلق عليها سبعة ابواب وجد عندها رزقا كان رزقها
ينزل عليها من الجنة ولم ترضع ثديا قط وكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف
في الشتاء انى لك هذا من اين لك هذا الرزق الذي لا يشبه ارزاق الدنيا وهو ات في غير حينه والابواب
مغلقة عليك لا سبيل للداخل به اليك قالت هو من عند الله فلا تستبعد قيل تكلمت وهي صغيرة
كما تكلم عيسى عليه السلام وهو في المهد وعن النبي عليه السلام انه جاع في زمن قحط فاهدت له فاطمة رضي الله عنها
رغيفين وبضعة لحم اثرته بها فرجع بها اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا
هو مملوء خبزا ولحما فبهتت وعلمت انها نزلت من عند الله فقال لها صلى الله عليه انى لك
هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال عليه السلام الحمد لله الذي جعلك
شبيهة سيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع رسول الله صلى الله عليه علي بن ابي طالب والحسن والحسين وجميع

اهل بيته عليه حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت فاطمة على جيرانها ان الله يرزق من جمله
كلام مريم عليها السلام او من كلام رب العزة عز من قائل بغير حساب بغير تقدير لكثرته
او تفضلا بغير محاسبة ومجازاة على عمل بحسب الاستحقاق هنالك في ذلك المكان حيث
هو قاعد عند مريم في المحراب او في ذلك الوقت فقد يستعار هنا وحيث وثم للزمان لما
راى حال مريم في كرامتها على الله ومنزلتها رغب في ان يكون له من ايشاع ولد مثل ولد اختها حنة
في النجابة والكرامة على الله وان كانت عاقرا عجوزا فقد كانت اختها كذلك وقيل لما راى الفاكهة
في غير وقتها انتبه على جواز ولادة العاقر ذرية ولدا والذرية تقع على الواحد والجمع
سميع الدعاء مجيبه فنادته الملائكة وقيل ناداه جبريل وانما قيل الملائكة على قولهم
فلان يركب الخيل ان الله يبشرك بالفتح على ان الله يبشرك وبالكسر على ارادة القول اولان
النداء نوع من القول وقرا يبشرك ويبشرك من بشره وابشره ويبشرك بفتح الياء من
بشره ويحيى ان كان اعجميا وهو الظاهر فمنع صرفه للتعريف والعجمة كموسى وعيسى عليهما
السلام وان كان عربيا فللتعريف ووزن الفعل كيعمر مصدقا بكلمة من الله مصدقا بعيسى مؤمنا به
قيل هو اول من امن به وسمي عيسى كلمة لانه لم يوجد الا بكلمة الله وهو قوله كن من غير سبب اخر
وقيل مصدقا بكلمة من الله مؤمنا بكتاب منه وسمي الكتاب كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته
وسيدا الذي يسود قومه اي يفوقهم في الشرف وكان يحيى عليه السلام فائقا لقومه وفائقا للناس
كلهم في انه لم يركب سيئة قط ويا لها من سيادة وحصورا الذي لا يقرب النساء حصرا لنفسه اي
منعا لها من الشهوات وقيل هو الذي لا يدخل مع القوم في الميسر قال الاخطل وشارب مربح بالكاس نادمني
لا بالحصور ولا فيها بسوار فاستعير لمن لا يدخل في اللعب واللهو وقد روي انه مر وهو طفل بصبيان
فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا من الصالحين ناشئا من الصالحين لانه كان من اصلاب الانبياء او
كائنا من جملة الصالحين كقوله وانه في الاخرة لمن الصالحين قال رب انى يكون لي غلام استبعاد من حيث
العادة كما قالت مريم وقد بلغني الكبر كقولهم ادركته السن العالية والمعنى اثر في الكبر واضعفني
وكانت له تسع وتسعون سنة ولامراته ثمان وتسعون كذلك الله يفعل ما يشاء من الافعال العجيبة
مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد من الشيخ الفاني والعجوز العاقر او كذلك الله مبتدا وخبر اي
على نحو هذه الصفة الله ويفعل ما يشاء بيان له اي يفعل ما يريد من الافاعيل الخارقة للعادات اية علامة
اعرف بها الحبل لاتلقى النعمة اذا جاءت بالشكر قال ايتك الا تقدر على تكليم الناس ثلاثة
ايام وانما خص تكليم الناس ليعلمه انه يحبس لسانه عن القدرة على تكليمهم خاصة مع ابقاء
قدرته على التكلم بذكر الله ولذلك قال واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار يعني في ايام
عجزك عن تكليم الناس وهي من الايات الباهرة فان قلت لم حبس لسانه عن كلام الناس قلت
ليخلص المدة لذكر الله لا يشغل لسانه بغيره توفرا منه على قضاء حق تلك النعمة الجسيمة وشكرها

الا كخطاب لجميع مراحله كانه لما طلب الآية من اجل الشكر قيل له آيتك ان تحبس لسانك الا عن الشكر واحسن
الجواب واوقعه ما كان مشتقا من السوال ومنتزعا منه الرمز الاشارة بيد او رأس او غيرهما
واصله التحرك يقال ارتمز اذا تحرك ومنه قيل للبحر الراموز وقرا يحيى بن وثاب الا رمزا
بضمتين جمع رموز كرسول ورسل وقرئ رمزا بفتحتين جمع رامز كخادم وخدم وهو حال
منه ومن الناس دفعة كقوله متى ما تلقني فردين ترجف روانف اليتيك وتستطارا
بمعنى الا مترامزين كما يكلم الناس الاخرس بالاشارة ويكلمهم والعشي من حين تزول
الشمس الى ان تغيب والابكار من طلوع الفجر الى وقت الضحى وقرئ والابكار بفتح الهمزة جمع بكر
كسحر واسحار يقال اتيته بكرا بفتحتين فان قلت الرمز ليس من جنس الكلام فكيف استثنى منه قلت
لما ادى مودى الكلام وفهم منه ما يفهم منه سمي كلاما ويجوز ان يكون استثناء منقطعا
واذ قالت الملائكة روي انهم كلموها شفاها معجزة لزكريا عليه السلام او ارهاصا لنبوة عيسى
عليهم اصطفاك اولا حين تقبلك من امك ورباك واختصك بالكرامة السنية وطهرك
مما يستقذر من الافعال ومما قرفك به اليهود واصطفاك آخرا على نساء العالمين بان
وهب لك عيسى من غير اب ولم يكن ذلك لاحد من النساء امرت بالصلاة بذكر القنوت والسجود
لكونهما من هيئات الصلوة واركانها ثم قيل لها واركعي مع الراكعين بمعنى ولتكن صلوتك
مع المصلين اي في الجماعة او وانظمي نفسك في جملة المصلين وكوني معهم في عدادهم ولا تكوني
في عداد غيرهم ويحتمل ان يكون في زمانها من كان يقوم ويسجد في صلوته ولا يركع وفيه من يركع
فامرت بان تركع مع الراكعين ولا تكون مع من لا يركع ذلك اشارة الى ما سبق من نبا زكريا
ويحيى ومريم وعيسى صلوات الله عليهم يعني ان ذلك من الغيوب التي لم تعرفها الا بالوحي
فان قلت لم نفيت المشاهدة وانتفاؤها معلوم بغير شبهة وترك نفي استماع الانباء من حفاظها
وهو موهوم قلت كان معلوما عندهم علما يقينا انه ليس من اهل السماع والقراءة وكانوا منكرين
للوحي فلم يبق الا المشاهدة وهي في غاية الاستبعاد والاستحالة فنفيت على سبيل التهكم بالمنكرين
للوحي مع علمهم بانه لا سماع له ولا قراءة ونحوه وما كنت بجانب الغربي وما كنت بجانب الطور وما كنت
لديهم اذ اجمعوا امرهم اقلامهم ازلامهم وهي قداحهم التي طرحوها في النهر مقترعين وقيل هي
الاقلام التي كانوا يكتبون بها التورية اختاروها للقرعة تبركا بها اذ يختصمون في شانها
تنافسا في التكفل بها فان قلت ايهم يكفل مريم بم يتعلق قلت بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم كانه
قيل يلقونها ينظرون ايهم يكفل او ليعلموا او يقولون المسيح لقب من الالقاب المشرفة كالصديق والفاروق
واصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك كقوله وجعلني مباركا اينما كنت وكذلك عيسى معرب من
ايشوع ومشتقهما من المسح والعيس كالراقم في الماء فان قلت اذ قالت بم يتعلق قلت هو بدل من واذ قالت
الملائكة ويجوز ان يبدل من اذ يختصمون على ان الاختصام والبشارة وقعا في زمان واسع كما تقول لقيته سنة كذا

فان قلت لم قيل عيسى بن مريم والخطاب لمريم قلت لان الابناء ينسبون الى الآباء لا الى الامهات فاعلمت
بنسبته اليها انه يولد من غير اب فلا ينسب الا الى امه وبذلك فضلت واصطفيت على نساء العالمين
فان قلت لم ذكر ضمير الكلمة قلت لان المسمى بها مذكر فان قلت لم قيل اسمه المسيح عيسى بن مريم وهذه ثلاثة
اشياء الاسم منها عيسى واما المسيح والابن فلقب وصفة قلت الاسم للمسمى علامة يعرف بها ويتميز
من غيره فكانه قيل الذي يعرف به ويتميز ممن سواه مجموع هذه الثلاثة وجيها حال من كلمة وكذلك
قوله ومن المقربين ويكلم ومن الصالحين اي يبشرك به موصوفا بهذه الصفات وصح انتصاب الحال
من النكرة لكونها موصوفة والوجاهة في الدنيا النبوة والتقدم على الناس وفي الآخرة الشفاعة
وعلو الدرجة في الجنة وكونه من المقربين رفعه الى السماء وصحبته للملائكة والمهد ما يمهد
للصبي من مضجعه سمي بالمصدر وفي المهد في محل النصب على الحال وكهلا عطف عليه بمعنى ويكلم
الناس طفلا وكهلا ومعناه يكلم الناس في هاتين الحالتين كلام الانبياء من غير تفاوت بين حال الطفولة وحال
الكهولة التي يستحكم فيها العقل ويستنبأ فيها الانبياء ومن بدع التفاسير ان قولها رب نداء لجبريل بمعنى يا
سيدي ويعلمه عطف على يبشرك او على وجيها او على يخلق او هو كلام مبتدأ وقرا عاصم ونافع
ويعلمه بالياء فان قلت علام تحمل ورسولا ومصدقا من المنصوبات المتقدمة وقوله اني قد جئتكم ولما بين
يدي يابى حمله عليها قلت هو من المضايق وفيه وجهان احدهما ان تضمر له وارسلت على ارادة القول
تقديره ويعلمه الكتاب والحكمة ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم ومصدقا لما بين يدي والثاني
ان الرسول والمصدق فيهما معنى النطق فكانه قيل وناطقا باني قد جئتكم وناطقا باني اصدق ما بين يدي وقرا
اليزيدي رضي الله عنه ورسول عطفا على كلمة اني قد جئتكم اصله باني قد جئتكم فحذف الجار وانتصب
بالفعل واني اخلق نصب بدل من اني قد جئتكم او جر بدل من آية او رفع على هي اني اخلق لكم وقرئ اني
بالكسر على الاستئناف اي اقدر لكم شيئا مثل صورة الطير فانفخ فيه الضمير للكاف اي في ذلك الشيء
المماثل لهيئة الطير فيكون طيرا فيصير طيرا كسائر الطيور حيا طيارا وقرا عبد الله فانفخها قال والحوالي
... الاكمه
الذي ولد اعمى وقيل هو الممسوح العين ويقال لم يكن في هذه الامة اكمه غير قتادة بن دعامة السدوسي
صاحب التفسير وروي انه ربما اجتمع عليه خمسون الفا من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه
عيسى وما كانت مداواته الا بالدعاء وحده وكرر باذن الله دفعا لمن توهم فيه اللاهوتية وروي انه احيا سام بن
نوح وهم ينظرون فقالوا هذا سحر فارنا آية فقال يا فلان اكلت كذا ويا فلان خبئ لك كذا وقرئ تذخرون
بالذال والتخفيف ولاحل رد على قوله بآية من ربكم اي جئتكم بآية من ربكم ولاحل لكم ويجوز ان يكون مصدقا مردودا
عليها ايضا اي جئتكم بانه وجئتكم مصدقا وما حرم الله عليهم في شريعة موسى الشحوم والثروب ولحوم الابل
والسمك وكل ذي ظفر فاحل لهم عيسى بعض ذلك قيل احل لهم من السمك والطير ما لا صيصية له واختلفوا في احلاله
لهم السبت وقرئ وحرم عليكم على تسمية الفاعل وهو ما بين يدي من التورية او الله عز وجل او موسى عليه السلام لان ذكر التورية

وكذلك لما بين يدي بالحال مصدقا على المنصوبات المتقدم
ايضا لان المنصوبات المتقدمه في حكم الغيبه ... في حكم التكلم

دل عليه ولانه كان معلوما عندهم وقرئ حرم بوزن كرم ﴿وجئتكم بآية من ربكم﴾ شاهدة
على صحة رسالتي وهي قولي ﴿ان الله ربي وربكم﴾ لان جميع الرسل كانوا على هذا القول لم يختلفوا فيه
﴿ان الله ربي وربكم﴾ وقرئ بالفتح على البدل من آية وقوله ﴿فاتقوا الله واطيعون﴾ اعتراض ﴿فان قيل﴾ كيف جعل هذا
القول آية من ربه ﴿قلت﴾ لان الله تعالى جعله علامة يعرف بها انه رسول كساير الرسل حيث هداه للنظر في ادلة
العقل والاستدلال ويجوز ان يكون تكريرا لقوله جئتكم بآية من ربكم اي جئتكم بآية بعد اخرى مما ذكرت لكم من خلق
الطير والابراء والاحياء والانباء بالخفيات وبغيره من ولادتي بغير اب ومن كلامي في المهد ومن ساير ذلك
وقرأ عبد الله وجئتكم بآيات من ربكم ﴿فاتقوا الله﴾ لما جئتكم من الآيات ﴿واطيعون﴾ فيما ادعوكم اليه ثم ابتدأ
فقال ﴿ان الله ربي وربكم﴾ ومعنى من فتح ولان الله ربي وربكم فاعبدوه كقوله لايلاف قريش فليعبدوا ويجوز
ان يكون المعنى وجئتكم بآية على ان الله ربي وربكم وما بينهما اعتراض ﴿فلما احس عيسى﴾ فلما علم منهم
الكفر علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس ﴿والى الله﴾ من صلة انصاري مضمنا معنى الاضافة كانه قيل
من الذين يضيفون انفسهم الى الله ينصرونني كما ينصرني او يتعلق بمحذوف حال من الياء اي من انصاري
ذاهبا الى الله ملتجئا اليه ﴿نحن انصار الله﴾ اي انصار دينه ورسوله وحواري الرجل صفوته وخالصته ومنه قيل
للحضريات الحواريات لخلوص الوانهن ونظافتهن قال فقل للحواريات يبكين غيرنا ولا يبكنا الا الكلاب النوابح
ويدور ذلك الحوالي وهو الكثير الحيلة وانما طلبوا شهادته باسلامهم تاكيدا لايمانهم لان الرسل يشهدون
لقومهم او مع الذين يشهدون بالوحدانية وقيل مع امة محمد عليه السلام لانهم شهداء على الناس ﴿ومكروا﴾ اي الكفار من
بني اسرائيل الذين احس منهم الكفر ومكرهم انهم وكلوا به من يقتله غيلة ﴿ومكر الله﴾ حين رفع عيسى الى
السماء والقى شبهه على من اراد اغتياله حتى قتل ﴿والله خير الماكرين﴾ اقواهم مكرا وانفذهم كيدا واقدرهم
على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب ﴿اذ قال الله﴾ ظرف لخير الماكرين او لمكر الله ﴿اني متوفيك﴾ اي مستوفي
اجلك ومعناه اني عاصمك من ان يقتلك الكفار ومؤخرك الى اجل كتبته لك ومميتك حتف انفك
لا قتلا بايديهم ﴿ورافعك الي﴾ الى سمائي ومقر ملائكتي ﴿ومطهرك من الذين كفروا﴾ من سوء جوارهم وخبث
صحبتهم وقيل متوفيك قابضك من الارض من توفيت مالي على فلان اذا استوفيته وقيل مميتك
في وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الآن وقيل متوفي نفسك بالنوم من قوله تعالى والتي لم تمت
في منامها ورافعك وانت نائم حتى لا يلحقك خوف وتستيقظ وانت في السماء آمن مقرب
﴿فوق الذين كفروا﴾ الى يوم القيامة يعلونهم بالحجة وفي اكثر الاحوال بها او بالسيف ومتبعوه هم المسلمون
لانهم متبعوه في اصل الاسلام وان اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى
﴿فاحكم﴾ بينكم تفسير الحكم قوله فاعذبهم فنوفيهم اجورهم وقرئ فيوفيهم بالياء ﴿ذلك﴾ اشارة الى ما سبق
من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره نتلوه ومن الآيات خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون
ذلك بمعنى الذي ونتلوه صلته ومن الآيات الخبر ويجوز ان ينتصب ذلك بمضمر يفسره نتلوه ﴿والذكر
الحكيم﴾ القرآن وصفه بصفة من هو من سببه او كانه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه ﴿ان مثل عيسى﴾ ان شأن

عيسى وحاله الغريبة ﴿كمثل آدم﴾ كشأن آدم وقوله ﴿خلقه من تراب﴾ جملة مفسرة لما له شبه عيسى بآدم
اي خلق آدم من تراب ولم يكن ثمه اب ولا ام وكذلك حال عيسى عليه السلام ﴿فان قيل﴾ كيف شبهه به وقد وجد هو بغير
اب ووجد آدم بغير اب وام ﴿قلت﴾ هو مثيله في احد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه
به لان المماثلة مشاركة في بعض الاوصاف ولانه شبه به في انه وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة وهما في
ذلك نظيران ولان الوجود من غير اب وام اغرب واخرق للعادة من الوجود من غير اب فشبه الغريب بالاغرب
ليكون اقطع للخصم واحسم لمادة شبهته اذا نظر فيما هو اغرب مما استغربه وعن بعض العلماء انه اسر بالروم
فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا اب له قال فآدم اولى لانه لا ابوين له قالوا كان يحيي الموتى قال فحزقيل احق لان عيسى
احيا اربعة نفر واحيا حزقيل ثمانية آلاف فقالوا كان يبرئ الاكمه والابرص قال فجرجيس احق لانه طبخ
واحرق ثم قام سالما ﴿خلقه﴾ من تراب قدره جسدا من طين ثم قال له كن اي انشأه بشرا كقوله ثم انشأناه خلقا آخر
فيكون حكاية حال ماضية ﴿الحق﴾ من ربك خبر مبتدأ محذوف اي هو الحق كقول اهل خيبر محمد والخميس وقيل
عن الممترين وجاء رسول الله ان يكون ممتريا من باب التهييج لزيادة الثبات والطمأنينة وان يكون لطفا لغيره
﴿فمن﴾ حاجك من النصارى فيه في عيسى من بعد ما جاءك من العلم اي من البينات الموجبة للعلم ﴿تعالوا﴾ هلموا
والمراد المجيء بالرأي والعزم كما تقول تعال نفكر في هذه المسألة ندع ابناءنا وابناءكم اي يدع كل منا
ومنكم ابناءه ونساءه ونفسه الى المباهلة ثم نبتهل ثم نتباهل بان نقول بهلة الله على
الكاذب منا ومنكم والبهلة بالفتح والضم اللعنة وبهله الله لعنه وابعده من رحمته من قولك
ابهله اذا اهمله وناقة باهل لا صرار عليها واصل الابتهال هذا ثم استعمل في كل دعاء يجتهد
فيه وان لم يكن التعانا وروي انه لما دعاهم الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان
ذا رأيهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من امر
صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان ابيتم الا الف
دينكم والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله وقد غدا محتضنا
الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا
فقال اسقف نجران يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو شاء الله ان يزيل جبلا من مكانه
لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيامة فقالوا يا ابا
القاسم رأينا ان لا نباهلك وان نقرك على دينك ونثبت على ديننا قال فاذا ابيتم
المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فابوا قال فاني اناجزكم فقالوا ما لنا
بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان
نؤدي اليك كل عام الفي حلة الف في صفر والف في رجب وثلاثين درعا عادية من حديد فصالحهم على
ذلك وقال والذي نفسي بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير
ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستأصل الله نجران واهله حتى الطير على رؤس الشجر ولما.

إن هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين قل يا أهل الكتاب تعالوا
إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون
يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم

حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وعليه
مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن فأدخله ثم جاء الحسين فأدخله ثم فاطمة ثم علي
ثم قال إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت فإن قلت ما كان دعاؤه إلى المباهلة إلا ليتبين الكاذب منه
ومن خصمه وذلك أمر يختص به وبمن يكاذبه فما معنى ضم الأبناء والنساء قلت ذلك آكد في الدلالة على ثقته
بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على تعريض أعزته وأفلاذ كبده وأحب الناس إليه لذلك ولم يقتصر
على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع أحبته وأعزته هلاك الاستئصال
إن تمت المباهلة وخص الأبناء والنساء لأنهم أعز الأهل وألصقهم بالقلوب وربما فداهم الرجل
بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل ومن ثم كانوا يسوقون مع أنفسهم الظعائن في الحروب لتمنعهم
من الهرب ويسمون الذادة عنها بأرواحهم حماة الحقائق وقدمهم في الذكر على الأنفس لينبه على
لطف مكانهم وقرب منزلتهم وليؤذن أنهم مقدمون على الأنفس مفدون بها وفيه دليل لا شيء أقوى
منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام وفيه برهان واضح على صحة نبوة النبي عليه السلام لأنه لم يرو أحد من موافق
ولا مخالف أنهم أجابوا إلى ذلك إن هذا الذي قص عليك من نبأ عيسى لهو القصص الحق قرئ بتحريك
الهاء على الأصل وبالسكون لأن اللام تنزل من هو منزلة بعضه كما خفف عضد وهو إما فصل بين اسم
إن وخبرها وإما مبتدأ والقصص الحق خبره والجملة خبر إن فإن قلت لم جاز دخول اللام على الفصل
إذا جاز دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل أجوز لأنه أقرب إلى المبتدأ منه وأصلها أن تدخل على المبتدأ
ومن في قوله وما من إله إلا الله بمنزلة البناء على الفتح في لا إله إلا الله في إفادة معنى الاستغراق والمراد الرد
على النصارى في تثليثهم فإن الله عليم بالمفسدين وعيد لهم بالعذاب المذكور في قوله زدناهم عذابا فوق العذاب
بما كانوا يفسدون قل يا أهل الكتاب يعم أهل الكتابين وقيل وفد نجران وقيل يهود المدينة سواء
بيننا وبينكم مستوية بيننا وبينكم لا يختلف فيها القرآن والتورية والإنجيل وتفسير الكلمة
قوله أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله يعني تعالوا إليها حتى لا
نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله لأن كل واحد منهما بعضنا بشر مثلنا ولا نطيع أحبارنا فيما أحدثوا من
التحريم والتحليل من غير رجوع إلى ما شرع الله كقوله اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله
والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا وعن عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال أليس كانوا
يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك وعن الفضيل لا أبالي أطعت مخلوقا في معصية
الخالق أو صليت لغير القبلة وقرئ كلمة بسكون اللام وقرأ الحسن سواء بالنصب بمعنى استوت استواء
فإن تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون أي لزمتكم الحجة فوجب عليكم أن تعترفوا وتسلموا
بأنا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب في جدال أو صراع أو غيرهما اعترف بأني أنا الغالب وسلم
لي الغلبة ويجوز أن يكون من باب التعريض ومعناه اشهدوا واعترفوا بأنكم كافرون حيث توليتم عن الحق
بعد ظهوره يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم زعم كل فريق من اليهود والنصارى أن إبراهيم كان منهم

إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا
ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين
وما أنزلت التورية والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم
لا تعلمون ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا

منهم وجادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فيه فقيل لهم إن اليهودية إنما حدثت بعد نزول التورية والنصرانية
بعد نزول الإنجيل وبين إبراهيم وموسى ألف سنة وبين عيسى ألفان فكيف يكون إبراهيم على دين لم يحدث إلا بعد
عهده بأزمنة متطاولة أفلا تعقلون حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال ها أنتم هؤلاء ها للتنبيه وأنتم
مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة مستأنفة مبينة للجملة الأولى يعني أنتم هؤلاء الأشخاص
الحمقى وبيان حماقتكم وقلة عقولكم أنكم جادلتم فيما لكم به علم مما نطق به التورية والإنجيل فلم تحاجون
فيما ليس لكم به علم ولا ذكر له في كتابيكم من دين إبراهيم وعن أبي عمرو ونافع هأنتم على الاستفهام فقلبت الهمزة
هاء ومعنى الاستفهام التعجب من حماقتهم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته والله يعلم ما حاججتم
فيه وأنتم جاهلون به ثم أعلمهم بأنه بريء من دينكم وما كان إلا حنيفا مسلما وما كان من المشركين كما لم يكن
منكم أو أراد بالمشركين اليهود والنصارى لإشراكهم به عزيرا والمسيح إن أولى الناس بإبراهيم إن
أخصهم به وأقربهم منه من الولي وهو القرب للذين اتبعوه في زمانه وبعده وهذا النبي خصوصا والذين
آمنوا من أمته وقرئ وهذا النبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه أي اتبعوه واتبعوا هذا النبي وبالجر
عطفا على إبراهيم ودت طائفة هم اليهود دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا إلى اليهودية وما يضلون إلا
أنفسهم وما يعود وبال الإضلال إلا عليهم إذ العذاب يضاعف عليهم بضلالهم وإضلالهم أو وما
يقدرون على إضلال المسلمين وإنما يضلون أمثالهم من أشياعهم بآيات الله بالتورية والإنجيل
وكفرهم بها أنهم لا يؤمنون بما نطقت به من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرها وشهادتهم
اعترافهم بأنها آيات الله أو تكفرون بالقرآن ودلائل نبوة الرسول وأنتم تشهدون نعته في الكتابين
أو تكفرون بآيات الله جميعا وأنتم تعلمون أنها حق لم تلبسون قرئ تلبّسون بالتشديد وقرأ يحيى
وتلبَسون بفتح الباء أي تلبسون الحق مع الباطل كقوله عليه السلام كلابس ثوبي زور وقوله
إذا هو بالمجد ارتدى وتأزرا وجه النهار أوله قال من كان مسرورا بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار
والمعنى أظهروا الإيمان بما أنزل على المسلمين في أول النهار واكفروا به في آخره لعلهم يشكون في دينهم ويقولون
ما رجعوا وهم أهل كتاب وعلم إلا لأمر قد تبين لهم فيرجعون برجوعكم وقيل تواطأ اثنا عشر من
أحبار يهود خيبر وقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد أول النهار من غير اعتقاد واكفروا آخر
النهار وقولوا إنا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا ليس بذلك المنعوت وظهر لنا
كذبه وبطلان دينه فإذا فعلتم ذلك شك أصحابه في دينهم وقيل هذا في شأن القبلة لما صرفت
إلى الكعبة قال كعب بن الأشرف لأصحابه آمنوا بما أنزل عليهم من الصلوة إلى الكعبة وصلوا إليها في أول
النهار ثم اكفروا به في آخره وصلوا إلى الصخرة لعلهم يقولون هم أعلم منا وقد رجعوا فيرجعون ولا تؤمنوا
متعلق بقوله أن يؤتى أحد وما بينهما اعتراض أي ولا تظهروا إيمانكم بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا
لأهل دينكم دون غيرهم أرادوا أسروا تصديقكم بأن المسلمين قد أوتوا من كتب الله مثل ما أوتيتم
ولا تفشوه إلا إلى أشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا ودون المشركين لئلا يدعوهم

والله ولي المؤمنين ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون
يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم
يرجعون ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء
والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم

ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت
عليه قائما ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل

الى الاسلام او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى والضمير في يحاجوكم لاحد لانه في معنى الجمع بمعنى ولا تؤمنوا لغير اتباعكم ان المسلمين يحاجونكم يوم القيامة بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة فان قلت فما معنى الاعتراض قلت معناه ان الهدى هدى الله من شاء ان يلطف به حتى يسلم او يزيد ثباته على الاسلام كان ذلك ولم ينفع كيدكم وحيلكم وزيكم تصديقكم عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء يريد الهداية والتوفيق او يتم الكلام عند قوله الا لمن تبع دينكم على معنى ولا تؤمنوا هذا الايمان الظاهر وهو ايمانهم وجه النهار الا لمن تبع دينكم الا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن اسلموا منكم لان رجوعهم كان ارجى عندهم من رجوع من سواهم ولان اسلامهم كان اغيظ لهم وقوله ان يؤتى معناه لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم قلتم ذلك ودبرتموه لا لشيء آخر يعني ان ما بكم من الحسد والبغي ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من فضل العلم والكتاب دعاكم الى ان قلتم ما قلتم والدليل عليه قراءة ابن كثير أأن يؤتى احد بزيادة همزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ بمعنى ألأن يؤتى احد فان قلت فما معنى قوله او يحاجوكم على هذا قلت معناه دبرتم ما دبرتم لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم ولما يتصل به عند كفركم به من محاجتهم لكم عند ربكم ويجوز ان يكون هدى الله بدلا من الهدى وان يؤتى احد خبر ان على معنى قل ان هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم حتى يحاجوكم عند ربكم فيقرعوا باطلكم بحقهم ويدحضوا حجتكم وقرئ إن يؤتى على إن النافية وهو متصل بكلام اهل الكتاب اي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم حتى يحاجوكم عند ربكم يعني ما يؤتون مثله فلا يحاجونكم ويجوز ان ينتصب ان يؤتى بفعل مضمر يدل عليه قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم كانه قيل قل ان الهدى هدى الله فلا تنكروا ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم لان قولهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم انكار لان يؤتى احد مثل ما اوتوا ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يؤده اليك عن ابن عباس رضي الله عنه من ان تامنه بقنطار هو عبد الله بن سلام استودعه رجل من قريش الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه ومن ان تامنه بدينار فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش دينارا فجحده وخانه وقيل المامونون على الكثير النصارى لغلبة الامانة عليهم والخائنون في القليل اليهود لغلبة الخيانة عليهم الا ما دمت عليه قائما الا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائما على راسه متوكلا عليه بالمطالبة والتعنيف او بالرفع الى الحاكم واقامة البينة عليه وقرئ يؤده بكسر الهاء والوصل وبكسرها بغير وصل وبسكونها وقرا يحيى بن وثاب تيمنه بكسر التاء ودمت بكسر الدال من دام يدام ذلك اشارة الى ترك الاداء الذي دل عليه لا يؤده اي تركهم اداء الحقوق بسبب قولهم ليس علينا في الاميين اي لا يتطرق علينا عتاب وذم في شأن الاميين يعنون الذين ليسوا من اهل الكتاب وما فعلنا بهم من حبس اموالهم والاضرار بهم لانهم ليسوا على ديننا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم ويقولون لم يجعل لهم في كتابنا حرمة وقيل بايع اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم وادعوا انهم وجدوا ذلك في كتابهم وعن النبي عليه السلام انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر وعن ابن عباس

ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون بلى من اوفى بعهده واتقى
فان الله يحب المتقين ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا
اولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم
ولهم عذاب اليم وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب

رضي الله عنه انه ساله رجل فقال انا نصيب في الغزو من اموال اهل الذمة الدجاجة والشاة قال فتقولون ماذا قال نقول ليس علينا في ذلك باس قال هذا كما قال اهل الكتاب ليس علينا في الاميين سبيل انهم اذا ادوا الجزية لم تحل لكم اموالهم الا بطيبة انفسهم ويقولون على الله الكذب بادعائهم ان ذلك في كتابهم وهم يعلمون انهم كاذبون بلى اثبات لما نفوه من السبيل عليهم في الاميين اي بلى عليهم سبيل فيهم وقوله من اوفى بعهده جملة مستانفة مقررة للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير في بعهده راجع الى من اوفى على ان كل من اوفى بما عاهد عليه واتقى الله في ترك الخيانة والغدر فان الله يحبه فان قلت هذا عام يخيل انه لو وفى اهل الكتاب بعهودهم وتركوا الخيانة لكسبوا محبة الله قلت اجل لانهم اذا وفوا بالعهود وفوا اول شيء بالعهد الاعظم وهو ما اخذ عليهم في كتابهم من الايمان برسول الله المصدق لما معهم ولو اتقوا الله في ترك الخيانة لاتقوه في ترك الكذب على الله وتحريف كلمه ويجوز ان يرجع الضمير الى الله تعالى على ان كل من وفى بعهد الله واتقاه فان الله يحبه ويدخل في ذلك الايمان وغيره من الصالحات وما وجب اتقاؤه من الكفر واعمال السوء فان قلت فاين الضمير الراجع من الجزاء الى من قلت عموم المتقين قام مقام رجوع الضمير وعن ابن عباس رضي الله عنه نزلت في عبد الله بن سلام وبحيراء الراهب ونظرائهما من مسلمة اهل الكتاب ان الذين يشترون بعهد الله يستبدلون بعهد الله بما عاهدوه عليه من الايمان بالرسول المصدق لما معهم وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا من الترؤس والارتشاء ونحو ذلك وقيل نزلت في ابي رافع ولبابة بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب حرفوا التوراة وبدلوا صفة رسول الله صلى الله عليه واخذوا الرشوة على ذلك وقيل جاءت جماعة من اليهود الى كعب بن الاشرف في سنة اصابتهم ممتارين فقال لهم هل تعلمون ان هذا الرجل رسول الله قالوا نعم قال لقد هممت ان اميركم واكسوكم فحرمكم الله خيرا كثيرا فقالوا لعله شبه علينا فرويدا حتى نلقاه فانطلقوا فكتبوا صفة غير صفته ثم رجعوا اليه وقالوا قد غلطنا وليس هو بالنعت الذي نعت لنا ففرح ومارهم وعن الاشعث بن قيس نزلت فيّ كانت بيني وبين رجل خصومة في بئر فاختصمنا الى رسول الله صلى الله عليه فقال شاهداك او يمينه فقلت اذن يحلف ولا يبالي فقال من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان وقيل نزلت في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد اعطي بها ما لم يعطه والوجه ان نزولها في اهل الكتاب وقوله بعهد الله يقوي رجوع الضمير في بعهده ولا ينظر اليهم مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم تقول فلان لا ينظر الى فلان تريد نفي اعتداده به واحسانه اليه ولا يزكيهم ولا يثني عليهم فان قلت اي فرق بين استعماله فيمن يجوز عليه النظر وفيمن لا يجوز قلت اصله فيمن يجوز عليه النظر الكناية لان من اعتد بالانسان التفت اليه واعاره نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثم نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجردا لمعنى الاحسان مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر وان منهم لفريقا هم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيي بن اخطب وغيرهم يلوون السنتهم بالكتاب يفتلونها بقراءته عن الصحيح الى المحرف وقرا اهل المدينة يلوّون بالتشديد كقوله لووا رؤوسهم وعن مجاهد وابن كثير يلون ووجهه انهما قلبا الواو المضمومة همزة

ويقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم
أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا

خففها هاهنا فحذفها وألقى حركتها على الساكن قبلها. فإن قلت إلام يرجع الضمير في لتحسبوه؟ قلت إلى ما دل عليه يلوون ألسنتهم بالكتاب وهو المحرف، ويجوز أن يراد يعطفون ألسنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب. وقرئ ليحسبوه بالياء، بمعنى يفعلون ذلك ليحسبه المسلمون من الكتاب. ويقولون هو من عند الله تأكيد لقوله هو من الكتاب وزيادة تشنيع عليهم وتسجيل بالكذب ودلالة على أنهم لا يعرّضون ولا يورّون وإنما يصرّحون بأنه في التوراة هكذا وقد أنزله الله على موسى كذلك لفرط جرأتهم على الله وقساوة قلوبهم ويأسهم من الآخرة. وعن ابن عباس هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الأشرف غيّروا التوراة وكتبوا كتابا بدّلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه ثم أخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم. ما كان لبشر تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى. وقيل إن أبا رافع القرظي والسيد من نصارى نجران قالا لرسول الله صلى الله عليه أتريد أن نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله أن نعبد غير الله أو أن نأمر بعبادة غير الله فما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني فنزلت. وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك قال لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لأهله. والحكم والحكمة وهي السنة. ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا. والرباني منسوب إلى الرب بزيادة الألف والنون كما يقال رقباني ولحياني وهو الشديد التمسك بدين الله وطاعته. وعن محمد بن الحنفية أنه قال حين مات ابن عباس رضي الله عنهما اليوم مات رباني هذه الأمة. وعن الحسن رضي الله عنه ربانيين علماء فقهاء، وقيل علماء معلمين، وكانوا يقولون الشارع الرباني العالم العامل المعلم. بما كنتم بسبب كونكم عالمين وبسبب كونكم دارسين للعلم، أوجب أن يكون الربانية التي هي قوة التمسك بطاعة الله مسببة عن العلم والدراسة، وكفى به دليلا على خيبة سعي من جهد نفسه وكد روحه في جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة إلى العمل فكان مثله مثل من غرس شجرة حسناء تونقه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها. وقرئ تعلمون وتعلّمون من التعليم. تدرسون تقرؤون. وقرئ تدرّسون من التدريس وتُدرِسون على أن أدرس بمعنى درّس كأكرم وكرّم وأنزل ونزّل. وتدّرّسون من التدرّس. ويجوز أن يكون معناه ومعنى تدرسون بالتخفيف تدرسونه على الناس كقوله لتقرأه على الناس فيكون معناهما معنى تدرّسون من التدريس. وفيه أن من علم ودرس العلم ولم يعمل به فليس من الله في شيء وأن السبب بينه وبين ربه منقطع حيث لم يثبت النسبة إليه إلا للمتمسكين بطاعته. ولا يأمركم قرئ ولا يأمركم بالنصب عطفا على ثم يقول وفيه وجهان أحدهما أن تجعل لا مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله ما كان لبشر والمعنى ما كان لبشر أن يستنبئه الله وينصبه للدعاء إلى اختصاص الله بالعبادة وترك الأنداد ثم يأمر الناس بأن يكونوا عبادا له ويأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا كما تقول ما كان لزيد أن أكرمه ثم يهينني ولا يستخف بي. والثاني أن تجعل لا غير مزيدة والمعنى أن رسول الله صلى الله عليه كان

ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري
قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون

ينهى قريشا عن عبادة الملائكة واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح فلما قالوا له أنتخذك ربا قيل لهم ما كان لبشر أن يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادته وينهاكم عن عبادة الملائكة والأنبياء. والقراءة بالرفع على ابتداء الكلام أظهر وتنصرها قراءة عبد الله ولن يأمركم، والضمير في ولا يأمركم وأيأمركم للبشر. وتلك الهمزة في أيأمركم للإنكار. بعد إذ أنتم مسلمون دليل على أن المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استأذنوه أن يسجدوا له. وإذ أخذ الله ميثاق النبيين فيه غير وجه: أحدها أن يكون على ظاهره من أخذ الميثاق على النبيين بذلك. والثاني أن تضيف الميثاق إلى النبيين إضافته إلى الموثِق لا إلى الموثَق عليه كما تقول ميثاق الله وعهد الله كأنه قيل وإذ أخذ الله الميثاق الذي وثقه الأنبياء على أممهم. والثالث أن يراد ميثاق أولاد النبيين وهم بنو إسرائيل على حذف المضاف. والرابع أن يراد أهل الكتاب وأن يرد على زعمهم تهكما بهم لأنهم كانوا يقولون نحن أولى بالنبوة من محمد لأنا أهل الكتاب ومنا كان النبيون. ويدل عليه قراءة ابن مسعود وأبي وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب. واللام في لما آتيتكم لام التوطئة لأن أخذ الميثاق في معنى الاستحلاف، وفي لتؤمنن لام جواب القسم. وما تحتمل أن تكون المتضمنة لمعنى الشرط ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا، وأن تكون موصولة بمعنى للذي آتيتكموه لتؤمنن. وقرئ لما آتيناكم. وقرأ حمزة لِما آتيتكم بكسر اللام ومعناه لأجل إيتائي إياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به على أن ما مصدرية والفعلان معها أعني آتيتكم وجاءكم في معنى المصدرين، واللام داخلة للتعليل على معنى أخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه لأجل أني آتيتكم الحكمة وأن الرسول الذي آمركم بالإيمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف. ويجوز أن تكون ما موصولة. فإن قلت كيف يجوز ذلك والعطف على آتيتكم وهو قوله ثم جاءكم لا يجوز أن يدخل تحت حكم الصلة لأنك لا تقول للذي جاءكم رسول مصدق لما معكم؟ قلت بلى لأن ما معكم في معنى ما آتيتكم فكأنه قيل للذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له. وقرأ سعيد بن جبير لمّا بالتشديد بمعنى حين آتيتكم بعض الكتاب والحكمة ثم جاءكم رسول مصدق له وجب عليكم الإيمان به ونصرته. وقيل أصله لمن ما فاستثقلوا اجتماع ثلاث ميمات وهي الميمان والنون المنقلبة ميما بإدغامها في الميم فحذفوا إحداها فصارت لمّا ومعناه لمن أجل ما آتيتكم لتؤمنن به وهذا نحو من قراءة حمزة في المعنى. إصري عهدي. وقرئ أُصري بالضم وسمي إصرا لأنه مما يؤصر أي يشد ويعقد ومنه الإصار الذي يعقد به، ويجوز أن يكون المضموم لغة في إصر كعِبر وعُبر وأن يكون جمع إصار. فاشهدوا فليشهد بعضكم على بعض بالإقرار وأنا على ذلكم من إقراركم وتشاهدكم من الشاهدين، وهذا توكيد عليهم وتحذير من الرجوع إذا علموا بشهادة الله وشهادة بعضهم على بعض. وقيل الخطاب للملائكة. فمن تولى بعد ذلك الميثاق والتوكيد فأولئك هم الفاسقون أي المتمردون من الكفار. أفغير دين الله دخلت همزة الإنكار على الفاء العاطفة جملة على جملة، والمعنى فأولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون ثم توسطت الهمزة بينهما، ويجوز أن تعطف على محذوف تقديره أيتولون فغير دين الله يبغون. وقدم المفعول الذي هو غير دين الله على فعله لأنه أهم من حيث إن الإنكار الذي هو معنى الهمزة متوجه إلى المعبود بالباطل. وروي أن أهل الكتاب اختصموا إلى رسول الله صلى الله عليه فيما اختلفوا فيه

طوعا وكرها واليه يرجعون قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما
اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من
الخاسرين كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين

من دين ابرهيم عليه السلم وكل واحد من الفريقين ادعى انه اولى به فقال عليه السلم كلا الفريقين بريء من دين ابرهيم عليه السلم
فقالوا ما نرضى بقضائك ولا ناخذ بدينك فنزلت وقرئ يبغون بالياء وترجعون بالتاء وهي قراءة ابي عمرو الا الباقين
هم المتولون والراجعون جميع الناس **طوعا** بالنظر واتباع الحجة والانصاف من
نفسه **وكرها** بالسيف او بمعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل على بني اسرائيل وادراك الغرق
فرعون والاشفاء على الموت فلما راوا باسنا قالوا آمنا بالله وحده وانتصب طوعا وكرها على الحال
بمعنى طائعين ومكرهين **قل آمنا بالله** امر رسول الله بان يخبر عن نفسه وعمن معه بالايمان
فلذلك وحد الضمير في قل وجمع في آمنا ويجوز ان يؤمر بان يتكلم عن نفسه كما تتكلم الملوك اجلالا
من الله لقدر نبيه **فان قلت** لم عدي انزل في هذه الآية بحرف الاستعلاء وفيما تقدم من مثلها
بحرف الانتهاء **قلت** لوجود المعنيين جميعا لان الوحي ينزل من فوق وينتهي الى الرسل فجاء تارة
باحد المعنيين واخرى بالآخر ومن قال انما قيل علينا لقوله قل وانما قيل الينا لقوله قولوا تفرقة بين الرسول والمؤمنين لان
الرسول ياتيه الوحي على طريق الاستعلاء وياتيهم على وجه الانتهاء فقد تعسف الا ترى الى قوله بما انزل اليك
وانزلنا اليك الكتاب والى قوله آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار ونحن له مسلمون موحدون
مخلصون انفسنا له لا نجعل له شريكا في عبادتها **ومن يبتغ غير الاسلام** يعني التوحيد واسلام
الوجه لله دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين من الذين وقعوا في الخسران مطلقا من غير تقييد
للشياع وقرئ ومن يبتغ غير الاسلام بالادغام **كيف يهدي الله** قوما كيف يلطف بهم وليسوا
من اهل اللطف لما علم الله من تصميمهم على كفرهم ودل على تصميمهم بانهم كفروا بعد ايمانهم
وبعد ما شهدوا بان الرسول حق وبعد ما جاءهم الشواهد من القرآن وسائر المعجزات التي تثبت
بمثلها النبوة وهم اليهود كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد ان كانوا مؤمنين به وذلك حين عاينوا
ما يوجب قوة ايمانهم من البينات وقيل نزلت في رهط كانوا اسلموا ثم رجعوا عن الاسلام ولحقوا
بمكة منهم طعمة بن ابيرق ووحوح بن الاسلت والحارث بن سويد بن الصامت **فان
قلت** علام عطف قوله وشهدوا **قلت** فيه وجهان ان يعطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل لان
معناه بعد ان آمنوا كقوله تعالى فاصدق واكن وقال الشاعر مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة
ولا ناعب الا ببين غرابها ويجوز ان تكون الواو للحال باضمار قد بمعنى كفروا وقد شهدوا ان الرسول حق
والله لا يهدي القوم الظالمين المعاندين الذين علم ان اللطف لا ينفعهم **الا الذين تابوا** من بعد ذلك
الكفر العظيم والارتداد واصلحوا ما افسدوا او ودخلوا في الصلاح نزلت في الحارث بن سويد حين ندم
على ردته وارسل الى قومه ان سلوا هل لي من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس بالآية فاقبل الى المدينة
فتاب وقبل رسول الله توبته **ثم ازدادوا كفرا** هم اليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد ايمانهم بموسى
والتوراة ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد والقرآن او كفروا برسول الله بعد ما كانوا به مؤمنين قبل
مبعثه ثم ازدادوا كفرا باصرارهم على ذلك وطعنهم فيه في كل وقت وعداوتهم له ونقضهم

والاصرار
زمان

ثم قال ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم واولئك هم الضالون

ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به
اولئك لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون الآية
وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم

٨٥

ميثاقه وفتنتهم للمؤمنين وصدهم عن الايمان به وسخريتهم بكل آية تنزل وقيل نزلت في الذين ارتدوا
ولحقوا بمكة وازديادهم الكفر ان قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون وان اردنا الرجعة
نافقنا باظهار التوبة **فان قلت** قد علم ان المرتد كيف ما ازداد كفرا فانه مقبول التوبة اذا تاب فما معنى لن تقبل
توبتهم **قلت** جعلت عبارة عن الموت على الكفر لان الذي لا تقبل توبته من الكفار هو الذي يموت على الكفر كانه قيل
ان اليهود او المرتدين الذين فعلوا ما فعلوا مائتون على الكفر داخلون في جملة من لا تقبل توبتهم **فان قلت**
فلم قيل في احدى الآيتين لن تقبل بغير فاء وفي الاخرى فلن يقبل **قلت** قد اوذن بالفاء ان الكلام بني على الشرط والجزاء
وان سبب امتناع قبول التوبة الفدية هو الموت على الكفر وبترك الفاء ان الكلام مبتدأ وخبر ولا دليل فيه على التسبيب كما
تقول الذي جاءني له درهم لم تجعل المجيء سببا في استحقاق الدرهم بخلاف قولك فله درهم **فان قلت** فحين كان معنى
لن تقبل توبتهم بمعنى الموت على الكفر فهلا جعل الموت على الكفر مسببا عن ازديادهم وازديادهم الكفر
لما في ذلك من قساوة القلوب وركوب الرين وجره الى الموت على الكفر **قلت** لانه كم من مرتد مزداد للكفر يرجع الى
الاسلام ولا يموت على الكفر **فان قلت** فاي فائدة في هذه الكناية اعني ان كني عن الموت على الكفر بامتناع
قبول التوبة **قلت** الفائدة فيها جليلة وهي التغليظ في شان اولئك الفريق من الكفار وابراز حالهم في صورة
حال الآيسين من الرحمة التي هي اشد الاحوال واغلظها الا ترى ان الموت على الكفر انما يخاف من اجل
اليأس من الرحمة **ذهبا** نصب على التمييز وقرأ الاعمش ذهب بالرفع ردا على ملء كما يقال عندي
عشرون نفسا رجال **فان قلت** كيف موقع قوله ولو افتدى به **قلت** هو كلام محمول على المعنى كانه قيل فلن
يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا ويجوز ان يراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو ان للذين
ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف كثيرا في كلامهم كقولك ضربته ضرب زيد تريد
مثل ضربه وابو يوسف ابو حنيفة تريد مثله ولا هيثم الليلة للمطي وقضية ولا ابا حسن لها تريد ولا
مثل هيثم ولا مثل ابي حسن كما انه يزاد في نحو قولهم مثلك لا يفعل كذا تريد انت وذلك ان المثلين
يسد احدهما مسد الآخر فكانا في حكم شيء واحد وان يراد فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا
كان قد تصدق به ولو افتدى به ايضا لم يقبل **وقرئ** فلن نقبل من احدهم ملء الارض على البناء للفاعل
وهو الله عز وعلا ونصب ملء وملء الارض بتخفيف الهمزتين **لن تنالوا البر** لن تبلغوا
حقيقة البر ولن تكونوا ابرارا وقيل لن تنالوا بر الله وهو ثوابه **حتى** تنفقوا مما تحبون حتى تكون
نفقتكم من اموالكم التي تحبونها وتؤثرونها كقوله انفقوا من طيبات ما كسبتم وكان السلف
رحمهم الله اذا احبوا شيئا جعلوه لله وروي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي
الي بيرحاء فضعها يا رسول الله حيث اراك الله فقال صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذاك مال رابح او مال رائح
واني ارى ان تجعلها في الاقربين فقال ابو طلحة افعل يا رسول الله فقسمها في اقاربه وجاء زيد بن
حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله اسامة بن زيد فكان زيدا
وجد في نفسه وقال انما اردت ان اتصدق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان الله تعالى قد قبلها

كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية قل فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فاولئك هم الظالمون قل صدق الله فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه ايات بينات مقام ابرهيم ومن دخله كان امنا

منك وكتب عمر الى ابي موسى الاشعري رضي الله عنهما ان يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت مدائن كسرى فلما جاءت اعجبته فقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها ونزل بابي ذر ضيف فقال للراعي ايتني بخير ابلي فجاء بناقة مهزولة فقال خنتني قال وجدت خير الابل فحلها فذكرت يوم حاجتكم اليه فقال ان يوم حاجتي اليه ليوم اوضع في حفرتي وقرأ عبد الله حتى تنفقوا بعض ما تحبون وهذا دليل على ان من للتبعيض ونحوه اخذت من المال ومن في من شيء لتبيين ما تنفقوا اي من اي شيء كان طيب تحبونه او خبيث تكرهونه فان الله عليم بكل شيء تنفقونه فمجازيكم بحسبه كل الطعام كل المطعومات او كل انواع الطعام والحل مصدر يقال حل الشيء حلا كقولك ذلت الدابة ذلا وعز الرجل عزا وفي حديث عائشة رضي الله عنها كنت اطيبه لحله وحرمه ولذلك استوى في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع قال الله تعالى لا هن حل لهم والذي حرم اسرائيل على نفسه وهو يعقوب عليه السلام على نفسه لحوم الابل والبانها وقيل العروق كان به عرق النسا فنذر ان شفي ان يحرم على نفسه احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه فحرمه وقيل اشارت عليه الاطباء باجتنابه ففعل وذلك باذن من الله فهو كتحريم الله ابتداء والمعنى ان المطاعم كلها لم تزل حلالا لبني اسرائيل من قبل انزال التورية وتحريم ما حرم عليهم منها لظلمهم وبغيهم لم يحرم منها شيء قبل ذلك غير المطعوم الواحد الذي حرمه ابوهم اسرائيل على نفسه فتبعوه على تحريمه وهو رد على اليهود وتكذيب لهم حيث ارادوا براءة ساحتهم مما نعى عليهم في قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الى قوله عذابا اليما وفي قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم وجحود ما غاظهم واشمأزوا منه وامتعضوا مما نطق به القرآن من تحريم الطيبات عليهم لبغيهم وظلمهم فقالوا لسنا باول من حرمت عليه وما هو الا تحريم قديم كانت محرمة على نوح وعلى ابرهيم ومن بعده من بني اسرائيل وهلم جرا الى ان انتهى التحريم الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وغرضهم تكذيب شهادة الله عليهم بالبغي والظلم والصد عن سبيل الله واكل الربوا واخذ اموال الناس بالباطل وما عدد من مساويهم التي كلما ارتكبوا منها كبيرة حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم قل فأتوا بالتورية فاتلوها امر بان يحاجهم بكتابهم ويبكتهم بما هو ناطق به من ان تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم لا تحريم قديم كما يدعونه فروي انهم لم يجسروا على اخراج التورية وبهتوا وانقلبوا صاغرين وفي ذلك الحجة البينة على صدق النبي عليه السلام وعلى جواز النسخ الذي ينكرونه فمن افترى على الله الكذب بزعمه ان ذلك كان محرما على بني اسرائيل قبل انزال التورية من بعد ما لزمتهم من الحجة القاطعة فاولئك هم الظالمون المكابرون الذين لا ينصفون من انفسهم ولا يلتفتون الى البينات قل صدق الله تعريض بكذبهم كقوله ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون اي ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون فاتبعوا ملة ابرهيم

حنيفا وهي ملة الاسلام التي عليها محمد صلى الله عليه ومن آمن معه حتى تتخلصوا من اليهودية التي ورطتكم في فساد دينكم ودنياكم حيث اضطرتكم الى تحريف كتاب الله تعالى لتسوية اغراضكم والزمتكم تحريم الطيبات التي احلها الله تعالى لابرهيم ولمن تبعه ان اول بيت وضع للناس الجملة صفة لبيت والواضع هو الله تعالى يدل عليه قراءة من قرأ وضع للناس بتسمية الفاعل وهو الله تعالى ومعنى وضع الله بيتا للناس انه جعله متعبدا لهم فكأنه قال ان اول متعبد للناس الكعبة وعن رسول الله صلى الله عليه انه سئل عن اول مسجد وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة وعن علي رضي الله عنه ان رجلا قال له اهو اول بيت قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه اول بيت وضع للناس مباركا فيه الهدى والرحمة والبركة واول من بناه ابرهيم عليه السلام ثم بناه قوم من العرب من جرهم ثم هدم فبنته العمالقة ثم هدم فبناه قريش وعن ابن عباس رضي الله عنه هو اول بيت حج بعد الطوفان وقيل هو اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والارض خلقه قبل الارض بالفي عام وكان زبدة بيضاء على الماء فدحيت الارض تحته وقيل هو اول بيت بناه آدم في الارض وقيل لما اهبط آدم عليه السلام قالت له الملائكة طف حول هذا البيت فلقد طفنا قبلك بالفي عام وكان في موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح فرفع في الطوفان الى السماء الرابعة يطوف به ملائكة السموات للذي ببكة للبيت الذي ببكة وهي علم للبلد الحرام ومكة وبكة لغتان فيه نحو قولهم النبيط والنميط في اسم موضع بالدهناء ونحوه من الاعتقاب امر راتب وراتم وحمى مغمطة ومغبطة وقيل مكة البلد وبكة موضع المسجد وقيل اشتقاقها من بكه اذا زحمه لازدحام الناس فيها وعن قتادة رضي الله عنه يبك الناس بعضهم بعضا الرجال والنساء يصلي بعضهم بين يدي بعض لا يصلح ذلك الا بمكة كانها سميت ببكة وهي الزحمة قال اذا الشريب اخذته الاكه فخله حتى يبك بكه وقيل تبك اعناق الجبابرة اي تدقها لم يقصدها جبار الا قصمه الله مباركا كثير الخير لما يحصل لمن حجه واعتمره وعكف عنده وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب وانتصابه على الحال من المستكن في الظرف لان التقدير للذي ببكة هو والعامل فيه المقدر في الظرف من فعل الاستقرار وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم مقام ابرهيم عطف بيان لقوله آيات بينات فان قلت كيف صح بيان الجماعة بالواحد قلت فيه وجهان احدهما ان يجعل وحده بمنزلة آيات كثيرة لظهور شأنه وقوة دلالته على قدرة الله ونبوة ابرهيم عليه السلام من تأثير قدمه في حجر صلد كقوله تعالى ان ابرهيم كان امة والثاني اشتماله على آيات لان اثر القدم في الصخرة الصماء آية وغوصه فيها الى الكعبين آية والانة بعض الصخرة دون بعض آية وابقاؤه دون سائر آيات الانبياء آية لابرهيم خاصة وحفظه مع كثرة اعدائه من المشركين واهل الكتاب والملاحدة الوف سنة آية ويجوز ان يراد فيه آيات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله لان الاثنين نوع من الجمع كالثلاثة والاربعة ويجوز ان تذكر هاتان الآيتان ويطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات كأنه قيل فيه آيات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله وكثير سواهما ونحوه في طي الذكر قول جرير كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم من العبيد وثلث من مواليها ومنه قوله عليه السلام حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلوة

ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين

وقرا ابن عباس وابي ومجاهد وابو جعفر المدني في رواية قتيبة آية بينة على التوحيد وفيها دليل على ان
مقام ابرهيم واقع وحده عطف بيان فيكون مؤيدا للوجه الاول فان قلت كيف اجزت ان يكون مقام
ابرهيم والامن عطف بيان للآيات وقوله ومن دخله كان آمنا جملة مستانفة اما ابتدائية واما شرطية
قلت اجزت ذلك من حيث المعنى لان قوله ومن دخله كان آمنا دل على امن داخله فكانه قيل فيه آيات بينات مقام
ابرهيم وامن داخله الا ترى انك لو قلت فيه آية بينة من دخله كان آمنا صح لانه في معنى قولك فيه آية بينة امن من دخله
فان قلت كيف كان سبب هذا الاثر قلت فيه قولان احدهما انه لما ارتفع بنيان الكعبة وضعف ابرهيم عن رفع
الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه وقيل انه جاء زائرا من الشام الى مكة فقالت له امراة اسمعيل
انزل حتى يغسل راسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى
غسلت شق راسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الاخر فبقي اثر قدميه عليه ومعنى ومن
دخله كان آمنا معنى قوله اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وذلك بدعوة
ابرهيم عليه السلام رب اجعل هذا البلد آمنا وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجا الى الحرم لم يطلب
وعن عمر رضي الله عنه لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه وعند ابي حنيفة رحمه
الله عنه من لزمه القتل في الحل بقصاص او ردة او زنى فالتجا الى الحرم لم يتعرض له الا انه لا يؤوى
ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج وقيل آمنا من النار وعن النبي صلى الله عليه
من مات في احد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا وعنه عليه السلام الحجون والبقيع يؤخذ باطرافهما وينثران
في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود رضي الله عنه وقف رسول الله صلى الله عليه على ثنية الحجون
وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين الفا وجوههم
كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين الفا وجوههم كالقمر
ليلة البدر وعن النبي عليه السلام من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي
عام من استطاع بدل من الناس وروي ان رسول الله صلى الله عليه فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة
وكذا عن ابن عباس وابن عمر وعليه اكثر العلماء رضوان الله عليهم وعن ابن الزبير هو على قدر القوة ومذهب
مالك ان الرجل اذا وثق بقوته لزمه وعنه ذلك على قدر الطاقة وقد يجد الزاد والراحلة من لا
يقدر على السفر وقد يقدر عليه من لا راحلة له ولا زاد وعن الضحاك اذا قدر ان يؤجر نفسه فهو
مستطيع وقيل له في ذلك فقال ان كان لبعضهم ميراث بمكة اكان يتركه بل كان ينطلق اليه ولو حبوا
فكذلك يجب عليه الحج والضمير في اليه للبيت او للحج وكل ما اتى الى الشيء فهو سبيله وفي
هذا الكلام انواع من التوكيد والتشديد منها قوله ولله على الناس حج البيت يعني انه حق واجب
لله في رقاب الناس لا ينفكون عن ادائه والخروج عن عهدته ومنها انه ذكر الناس ثم ابدل
عنه من استطاع اليه سبيلا وفيه ضربان من التوكيد احدهما ان الابدال تثنية للمراد وتكرير له والثاني ان
الايضاح بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال ايراد له في صورتين مختلفتين ومنها قوله ومن كفر

قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله
من آمن تبغونها عوجا وانتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من
الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين

مكان ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا
ونحوه من التغليظ من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر ومنها ذكر الاستغناء عنه وذلك مما يدل على المقت والسخط
والخذلان ومنها قوله عن العالمين وان لم يقل عنه وما فيه من الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان لانه اذا استغنى
عن العالمين تناوله الاستغناء لا محالة ولانه يدل على الاستغناء الكامل فكان ادل على عظم السخط الذي وقع
عبارة عنه وعن سعيد بن المسيب رضي الله عنه نزلت في اليهود فانهم قالوا الحج الى مكة غير واجب وروي انه
لما نزل قوله ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله صلى الله عليه اهل الاديان كلهم فخطبهم فقال ان الله كتب عليكم
الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزل
ومن كفر وعن النبي عليه السلام حجوا قبل ان لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع في الثالثة وروي حجوا قبل ان لا
تحجوا حجوا قبل ان يمنع البر جانبه وعن ابن مسعود رضي الله عنه حجوا هذا البيت قبل ان تنبت في البادية شجرة
لا تاكل منها دابة الا نفقت وعن عمر رضي الله عنه لو ترك الناس الحج عاما واحدا ما نوظروا وقرى
حج البيت بالكسر والله شهيد الواو للحال والمعنى لم تكفرون بآيات الله التي دلتكم على صدق محمد عليه السلام والحال
ان الله شهيد على اعمالكم فمجازيكم عليها وهذه الحال توجب ان لا تجسروا على الكفر بآياته قرا الحسن رضي الله عنه
تصدون من اصد عن سبيل الله عن دين حق علم انه سبيل الله التي امر بسلوكها وهو الاسلام وكانوا يفتنون
المؤمنين ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون من اراد الدخول فيه بجهدهم وقيل اتت اليهود الاوس والخزرج
فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا لمثله تبغونها عوجا تطلبون لها اعوجاجا
وميلا عن القصد والاستقامة فان قلت كيف تبغونها عوجا وهو محال قلت فيه معنيان احدهما انكم تلبسون على الناس حتى
توهموهم ان فيها عوجا بقولكم ان شريعة موسى عليه السلام لا تنسخ وبتغييركم صفة رسول الله عن وجهها ونحو ذلك
والثاني انكم تتعبون انفسكم في اخفاء الحق وابتغاء ما لا يتاتى لكم من وجود العوج فيما هو اقوم من كل مستقيم
وانتم شهداء انها سبيل الله التي لا يصد عنها الا ضال مضل او وانتم شهداء بين اهل دينكم عدول يثقون باقوالكم
ويستشهدونكم في عظائم امورهم وهم الاحبار وما الله بغافل وعيد ومحل تبغونها نصب على الحال يا ايها الذين
آمنوا ان تطيعوا الاية قيل مر شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد
لهم على نفر من الانصار من الاوس والخزرج في مجلس لهم يتحدثون فغاظه ذلك حيث تالفوا واجتمعوا
بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة وقال ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فامر شابا من اليهود ان
يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه من الاشعار وكان يوما اقتتلت فيه الاوس
والخزرج وكان الظفر فيه للاوس ففعل فتنازع القوم عند ذلك وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا
السلاح السلاح فبلغ النبي صلى الله عليه فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين والانصار فقال اتدعون
الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعرف
القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا
مع رسول الله صلى الله عليه فما كان يوم اقبح اولا واحسن آخرا من ذلك اليوم وكيف تكفرون

وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته
ولا تموتن الا وانتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم
بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها

معنى الاستفهام فيه الانكار والتعجيب والمعنى من اين يتطرق اليكم الكفر والحال ان ايات الله وهي القرآن
المعجز تتلى عليكم على لسان الرسول غضة طرية وبين اظهركم رسول الله ينبهكم ويعظكم
ويزيح شبهكم **ومن يعتصم بالله** ومن يتمسك بدينه ويجوز ان يكون حثا لهم على الالتجاء اليه
في دفع شرور الكفار ومكايدهم **فقد هدي** فقد حصل له الهدى لا محالة كما تقول اذا جئت فلانا فقد
افلحت كان الهدى قد حصل فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع في قد ظاهر لان المعتصم بالله متوقع
للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للفلاح عنده **حق تقاته** واجب تقواه وما يحق منها وهو
القيام بالواجب واجتناب المحارم ونحوه فاتقوا الله ما استطعتم يريد بالغوا في التقوى حتى لا
تتركوا من المستطاع منها شيا وعن عبد الله رضي الله عنه هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر
ويذكر فلا ينسى وروي مرفوعا وقيل هو ان لا تاخذه في الله لومة لايم ويقوم بالقسط ولو على نفسه او ابنه
او ابيه وقيل لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتاد
ولا تموتن معناه ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادرككم الموت كما تقول لمن تستعين به على لقاء
العدو لا تاتني الا وانت على حصان فلا تنهاه عن الاتيان ولكنك تنهاه عن خلاف الحال التي شرطت
عليه في وقت الاتيان قولهم اعتصمت بحبله يجوز ان يكون تمثيلا لاستظهاره به ووثوقه بحمايته
بامتساك المتدلي من مكان مرتفع بحبل وثيق يامن انقطاعه وان يكون الحبل استعارة لعهده
والاعتصام لوثوقه بالعهد او ترشيحا لاستعارة الحبل بما يناسبه والمعنى واجتمعوا على
استعانتكم بالله ووثوقكم به ولا تفرقوا عنه او واجتمعوا على التمسك بعهده الى عباده وهو
الايمان والطاعة او بكتابه لقول النبي صلى الله عليه القرآن حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه ولا
يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدي الى صراط مستقيم
ولا تفرقوا ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلف النصارى واليهود او كما كنتم
متفرقين في الجاهلية متدابرين يعادي بعضكم بعضا ويحاربه او ولا تحدثوا ما يكون عنه التفرق
ويزول معه الاجتماع والالفة التي انتم عليها مما ياباه جامعكم والمولف بينكم وهو اتباع الحق
والتمسك بالاسلام كانوا في الجاهلية بينهم الاحن والعداوات والحروب المتواصلة فالف
الله بين قلوبهم بالاسلام وقذف فيها المحبة فتحابوا وتوافقوا وصاروا اخوانا متراحمين
متناصحين مجتمعين على امر واحد قد نظم بينهم وازال الاختلاف وهو الاخوة في الله وقيل هم
الاوس والخزرج كانا اخوين لاب وام فوقعت بينهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين
سنة الى ان اطفا الله ذلك بالاسلام والف بينهم برسول الله صلى الله عليه وآله **وكنتم على شفا حفرة**
من النار وكنتم مشفين على ان تقعوا في نار جهنم لما كنتم عليه من الكفر فانقذكم منها بالاسلام والضمير
للحفرة او للنار او للشفا وانما انث لاضافته الى الحفرة وهو منها كما قال كما شرقت صدر القناة
من الدم وشفا الحفرة وشفتها حرفها بالتذكير والتانيث ولامها واو الا انها في المذكر مقلوبة

كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تهتدون ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون
عن المنكر واولئك هم المفلحون ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات

وفي المونث محذوفة ونحو الشفا والشفة الجانب والجانبة **فان قلت** كيف جعلوا على حرف حفرة من النار
قلت لو ماتوا على ما كانوا عليه وقعوا في النار فمثلت حياتهم التي يتوقع بعدها الوقوع في النار بالقعود
على حرفها مشفين على الوقوع فيها **كذلك** مثل ذلك البيان البليغ **يبين الله** لكم اياته لعلكم تهتدون
ارادة ان تزدادوا هدى **ولتكن** منكم امة من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات
ولانه لا يصلح له الا من علم المعروف والمنكر وعلم كيف يرتب الامر في اقامته وكيف يباشر فان
الجاهل ربما نهى عن معروف وامر بمنكر وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه
فنهاه عن غير منكر وقد يغلظ في موضع اللين ويلين في موضع الغلظة وينكر على من لا يزيده انكاره
الا تماديا او على من الانكار عليه عبث كالانكار على اصحاب المآصر والجلادين واضرابهم وقيل من
للتبيين بمعنى وكونوا امة تامرون كقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون **واولئك هم المفلحون**
هم الاخصاء بالفلاح دون غيرهم وعن النبي عليه السلام انه سيل وهو على المنبر من خير الناس قال امرهم
بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم وعنه عليه السلام من امر بالمعروف ونهى عن
المنكر فهو خليفة الله في ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعن علي رضي الله عنه افضل الجهاد الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له وعن حذيفة رضي الله عنه ياتي
على الناس زمان يكون فيهم جيفة الحمار احب اليهم من مومن يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر
وعن سفيان الثوري رضي الله عنه اذا كان الرجل محببا في جيرانه محمودا عند اخوانه فاعلم انه مداهن
والامر بالمعروف تابع للمامور به ان كان واجبا فواجب وان كان ندبا فندب واما النهي عن المنكر فواجب
كله لان جميع المنكر تركه واجب لاتصافه بالقبح **فان قلت** ما طريق الوجوب **قلت** قد اختلف فيه الشيخان
رحمهما الله فعند ابي علي السمع والعقل وعند ابي هاشم السمع وحده **فان قلت** ما شرايط النهي **قلت** ان
يعلم الناهي ان ما ينكره قبيح لانه اذا لم يعلم لم يامن ان ينكر الحسن وان لا يكون ما ينهى عنه واقعا لان الواقع
لا يحسن النهي عنه وانما يحسن الذم عليه والنهي عن امثاله وان لا يغلب على ظنه ان المنهي يزيد في
منكراته وان لا يغلب على ظنه ان نهيه لا يوثر لانه عبث **فان قلت** فما شروط الوجوب **قلت** ان يغلب على ظنه
وقوع المعصية نحو ان يرى الشارب قد تهيا لشرب الخمر باعداد آلاته وان لا يغلب على ظنه انه ان
انكر لحقته مضرة عظيمة **فان قلت** كيف يباشر الانكار **قلت** يبتدي بالسهل فان لم ينفع ترقى الى الصعب
لان الغرض كف المنكر قال الله تعالى فاصلحوا بينهما ثم قال فقاتلوا **فان قلت** فمن يباشر **قلت** كل مسلم تمكن
منه واختص بشرايطه وقد اجمعوا ان من راى غيره تاركا للصلوة وجب عليه الانكار لانه معلوم قبحه
لكل احد واما الانكار الذي بالقتال فالامام وخلفاوه اولى لانهم اعلم بالسياسة ومعهم عدتها **فان قلت** فمن يومر
وينهى **قلت** كل مكلف وغير المكلف اذا هم بضرر غيره منع كالصبيان والمجانين وينهى الصبيان عن المحرمات
حتى لا يتعودوها كما يوخذون بالصلوة ليتمرنوا عليها **فان قلت** هل يجب على مرتكب المنكر ان ينهى عما يرتكبه
قلت نعم يجب عليه لان ترك ارتكابه وانكاره واجبان عليه فبتركه احد الواجبين لا يسقط عنه الواجب الاخر

ولهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون تلك ايات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور كنتم خير امة اخرجت للناس

وعن السلف رحمهم الله مروا بالخير وان لم تفعلوه وعن الحسن رضي الله عنه انه سمع مطرف بن
عبد الله يقول لا اقول ما لا افعل فقال واينا يفعل ما يقول ود الشيطان لو ظفر بهذه منكم فلا
يامر احد بمعروف ولا ينهى عن منكر فان قلت كيف قيل يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف قلت
الدعاء الى الخير عام في التكاليف من الافعال والتروك والامر بالمعروف والنهي عن المنكر خاص
فجيء بالعام ثم عطف عليه الخاص ايذانا بفضله كقوله والصلوة الوسطى كالذين تفرقوا واختلفوا
وهم اليهود والنصارى من بعد ما جاءهم البينات الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة وهي كلمة الحق
وقيل هم مبتدعو اهل هذه الامة وهم المشبهة والمجبرة والحشوية واشباههم يوم تبيض وجوه
نصب بالظرف وهو لهم او باضمار اذكروا وقرئ تبيض وتسود بكسر حروف المضارعة
وتبياض وتسواد والبياض من النور والسواد من الظلمة فمن كان من اهل نور الحق وسم
ببياض اللون واسفاره واشراقه وابيضت صحيفته واشرقت وسعى النور بين يديه وبيمينه
ومن كان من اهل ظلمة الباطل وسم بسواد اللون وكسوفه وكمده واسودت صحيفته واظلمت
واحاطت به الظلمة من كل جانب نعوذ بالله وبسعة رحمته من ظلمات الباطل واهله اكفرتم
فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجب من حالهم والظاهر انهم من اهل الكتاب وكفرهم
بعد الايمان تكذيبهم برسول الله صلى الله عليه بعد اعترافهم به قبل مجيئه وعن عطاء رضي
الله عنه تبيض وجوه المهاجرين والانصار وتسود وجوه بني قريظة والنضير وقيل هم المرتدون
وقيل اهل البدع والاهواء وعن ابي امامة رضي الله عنه هم الخوارج ولما راهم على درج دمشق
دمعت عيناه ثم قال كلاب النار هؤلاء شر قتلى تحت اديم السماء وخير قتلى تحت اديم السماء
الذين قتلهم هؤلاء فقال له ابو غالب اشيء تقوله برايك ام شيء سمعته من رسول الله قال بل سمعته
من رسول الله غير مرة قال فما شانك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من اهل الاسلام فكفروا
ثم قرا هذه الاية ثم اخذ بيده فقال ان بارضك منهم كثيرا فاعاذك الله منهم وقيل هم جميع
الكفار لاعراضهم عما وجب الاقرار حين اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا ففي رحمة الله ففي
نعمته وهي الثواب المخلد فان قلت كيف موقع قوله تعالى هم فيها خالدون بعد قوله ففي رحمة الله قلت
موقع الاستيناف كانه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون
تلك ايات الله الواردة في الوعد والوعيد نتلوها عليك ملتبسة بالعدل والحق من جزاء المحسن
والمسيء بما يستوجبانه وما الله يريد ظلما فياخذ احدا بغير جرم او يزيد في عقاب مجرم او ينقص
من ثواب محسن ونكر ظلما وقال للعالمين على معنى ما يريد شيئا من الظلم لاحد من خلقه فسبحان
من يحلم عمن يصفه بارادة القبائح والرضا بها كنتم خير امة كان عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض
على سبيل الابهام وليس فيه دليل على عدم سابق ولا على انقطاع طارئ ومنه قوله تعالى وكان الله غفورا
رحيما ومنه قوله كنتم خير امة كانه قيل وجدتم خير امة وقيل كنتم في علم الله خير امة وقيل كنتم في

تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو امن اهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله

الامم قبلكم مذكورين بانكم خير امة موصوفين به اخرجت للناس اظهرت وقوله تامرون كلام مستانف
يبين به كونهم خير امة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بما يصلحهم وتؤمنون بالله جعل
الايمان بكل ما يجب الايمان به ايمانا بالله لان من امن ببعض ما يجب الايمان به من رسول او كتاب او بعث او حساب
او عقاب او ثواب او غير ذلك لم يعتد بايمانه فكانه غير مؤمن بالله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض
ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا والدليل عليه قوله تعالى ولو امن اهل
الكتاب مع ايمانهم بالله لكان خيرا لهم لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه لانهم انما اثروا دينهم
على دين الاسلام حبا للرياسة واستتباع العوام ولو امنوا لكان لهم من الرياسة والاتباع
وحظوظ الدنيا ما هو خير مما اثروا ودين الباطل مع الفوز بما وعدوه على الايمان من ايتاء الاجر
مرتين منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر لن يضروكم الا اذى
الا ضررا مقتصرا على اذى بقول من طعن في الدين او تهديد او نحو ذلك وان يقاتلوكم يولوكم الادبار منهزمين ولا يضروكم
بقتل او اسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون لهم نصر من احد ولا يمتنعون منكم وفيه تثبيت لمن اسلم منهم لانهم كانوا يؤذونهم
بالتلهي بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم بانهم لا يقدرون ان يتجاوزوا الاذى بالقول الى ضرر
يبالى به مع انه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم وان عاقبة امرهم الخذلان والذل فان قلت
هلا جزم المعطوف في قوله ثم لا ينصرون قلت عدل به عن حكم الجزاء الى حكم الاخبار ابتداء كانه قيل ثم اخبركم انهم
لا ينصرون فان قلت فاي فرق بين رفعه وجزمه في المعنى قلت لو جزم لكان نفي النصر مقيدا بمقاتلتهم كتولية
الادبار وحين رفع كان نفي النصر وعدا مطلقا كانه قال ثم شانهم وقصتهم التي اخبركم عنها وابشركم
بها بعد التولية انهم مخذولون منتف عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعدها بجناح ولا يستقيم
لهم امر وكان كما اخبر من حال بني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر فان قلت فما الذي
عطف عليه هذا الخبر قلت جملة الشرط والجزاء كانه قيل اخبركم انهم ان يقاتلوكم ينهزموا ثم اخبركم انهم
لا ينصرون فان قلت ما معنى التراخي في ثم قلت التراخي في المرتبة لان الاخبار بتسليط الخذلان عليهم اعظم من الاخبار
بتوليتهم الادبار فان قلت ما موقع الجملتين اعني منهم المؤمنون ولن يضروكم قلت هما كلامان واردان على طريق
الاستطراد عند اجراء ذكر اهل الكتاب كما يقول القائل وعلى ذكر فلان فان من شانه كيت وكيت ولذلك جاءا
من غير عاطف بحبل من الله في محل النصب على الحال بتقدير الا معتصمين او متمسكين او ملتبسين بحبل من الله وهو استثناء
من اعم عام الاحوال والمعنى ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل
الناس يعني ذمة الله وذمة المسلمين اي لا عز لهم قط الا هذه الواحدة وهي التجاؤهم الى الذمة لما قبلوه من
الجزية وباءوا بغضب من الله استوجبوه وضربت عليهم المسكنة كما يضرب البيت على اهله فهم ساكنون في
المسكنة غير ظاعنين عنها وهم اليهود عليهم لعنة الله تعالى وغضبه ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب
الذلة والمسكنة والبواء بغضب الله اي ذلك كائن بسبب كفرهم بايات الله وقتلهم الانبياء ذلك بما عصوا اي
ذلك كائن بسبب عصيانهم لله واعتدائهم لحدوده ليعلم ان الكفر وحده ليس بسبب في استحقاق سخط الله وان
سخط

ليسوا سواء من أهل الكتاب
ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون
أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر
ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين
وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين إن الذين كفروا لن تغني عنهم

الله يستحق بركوب المعاصي كما يستحق بالكفر ونحوه مما خطيئاتهم أغرقوا وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل الضمير في ليسوا لأهل الكتاب أي ليس أهل الكتاب مستوين وقوله من أهل الكتاب أمة قائمة كلام مستأنف لبيان قوله ليسوا سواء كما وقع قوله تأمرون بالمعروف بيانا لقوله كنتم خير أمة أمة قائمة مستقيمة عادلة من قولك أقمت العود فقام بمعنى استقام وهم الذين أسلموا منهم وعبر عن تهجدهم بتلاوة القرآن في ساعات الليل مع السجود لأنه أبين لما يفعلون وأدل على حسن صورة أمرهم وقيل عنى صلوة العشاء لأن أهل الكتاب لا يصلونها وعن ابن مسعود رضي الله عنه أخر رسول الله صلى الله عليه صلوة العشاء ثم خرج إلى المسجد فإذا الناس ينتظرون الصلوة فقال أما إنه ليس من أهل الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرأ هذه الآية يؤمنون في محل الرفع صفتان لأمة أي أمة قائمة تالون مؤمنون وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود من تلاوة آيات الله بالليل ساجدين ومن الإيمان بالله لأن إيمانهم به كلا إيمان لإشراكهم به عزيرا وكفرهم ببعض الكتب والرسل دون بعض ومن الإيمان باليوم الآخر لأنهم يصفونه بخلاف صفته ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنهم كانوا مداهنين ومن المسارعة في الخيرات لأنهم كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه لأن من رغب في الأمر سارع في توليه والقيام به وآثر الفور على التراخي وأولئك الموصوفون بما وصفوا به من جملة الصالحين الذين صلحت أحوالهم عند الله ورضيهم واستحقوا ثناءه عليهم ويجوز أن يريد بالصالحين المسلمين وما يفعلوا من خير فلن يكفروه لما جاء وصف الله عز وعلا نفسه بالشكر في قوله والله شكور حليم في معنى توفية الثواب نفى عنه نقيض ذلك فإن قلت لم عدي إلى مفعولين وشكر وكفر لا يتعديان إلا إلى واحد تقول شكر النعمة وكفرها قلت ضمن معنى الحرمان فكأنه قيل فلن تحرموه بمعنى فلن تحرموا جزاءه وقرئ يفعلوا ويكفروه بالياء والتاء والله عليم بالمتقين بشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على أنه لا يفوز عنده إلا أهل التقوى الصر الريح الباردة نحو الصرصر قال

لا تعدلن أتاويين تضربهم نكباء صر بأصحاب المحلات

كما قالت ليلى الأخيلية

ولم تغلب الخصم الألد وتملأ الجفان سديفا يوم نكباء صرصر

فإن قلت فما معنى قوله كمثل ريح فيها صر قلت فيه أوجه أحدها أن الصر في صفة الريح بمعنى الباردة فوصف بها القرة بمعنى فيها قرة صر كما تقول برد بارد على المبالغة والثاني أن يكون الصر مصدرا في الأصل بمعنى البرد فجيء به على أصله والثالث أن يكون من قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ومن قولك إن ضيعني فلان ففي الله كاف وكافل وقال في الرحمن للضعفاء كافي شبه ما كانوا ينفقون من أموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون به وجه الله بالزرع الذي حسه البرد فذهب حطاما وقيل هو ما كانوا يتقربون به إلى الله مع كفرهم وقيل ما أنفقوا في عداوة رسول الله فضاع عنهم لأنهم لم يبلغوا بإنفاقه ما أنفقوه لأجله وشبه بحرث قوم ظلموا أنفسهم.

عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته

أنفسهم فأهلك عقوبة لهم على معاصيهم لأن الإهلاك عن سخط أشد وأبلغ فإن قلت الغرض تشبيه ما أنفقوا في قلة جدواه وضياعه بالحرث الذي ضربته الصر والكلام غير مطابق للغرض حيث جعل ما ينفقون ممثلا بالريح قلت هو من التشبيه المركب الذي مر في تفسير قوله كمثل الذي استوقد نارا ويجوز أن يراد مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك ريح أو مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث وقرئ تنفقون بالتاء وما ظلمهم الله الضمير للمنفقين على معنى وما ظلمهم الله بأن لم يقبل نفقاتهم ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث لم يأتوا بها مستحقة للقبول أو لأصحاب الحرث الذين ظلموا أنفسهم أي وما ظلمهم الله بإهلاك حرثهم ولكن ظلموا أنفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن بالتشديد بمعنى ولكن أنفسهم يظلمونها هم ولا يجوز أن يراد ولكنه أنفسهم يظلمون على إسقاط ضمير الشأن لأنه إنما يجوز في الشعر بطانة الرجل ووليجته خصيصه وصفيه الذي يفضي إليه بشقوره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما يقال فلان شعاري وعن النبي صلى الله عليه وسلم الأنصار شعار والناس دثار من دونكم من دون أبناء جنسكم وهم المسلمون ويجوز تعلقه بلا تتخذوا وببطانة على الوصف أي بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم لا يألونكم خبالا يقال ألا في الأمر يألو إذا قصر فيه ثم استعمل معدى إلى مفعولين في قولهم لا آلوك نصحا ولا آلوك جهدا على التضمين والمعنى لا أمنعك نصحا ولا أنقصكه والخبال الفساد ودوا ما عنتم ودوا عنتكم على أن ما مصدرية والعنت شدة الضرر والمشقة وأصله انهياض العظم بعد جبره أي تمنوا أن يضروكم في دينكم ودنياكم أشد الضرر وأبلغه قد بدت البغضاء من أفواههم لأنهم لا يتمالكون مع ضبطهم أنفسهم وتحاملهم عليها أن ينفلت من ألسنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين وعن قتادة رضي الله عنه قد بدت البغضاء لأوليائهم من المنافقين والكفار لاطلاع بعضهم بعضا على ذلك وفي قراءة عبد الله قد بدا البغضاء قد بينا لكم الآيات الدالة على وجوب الإخلاص في الدين وموالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه إن كنتم تعقلون ما بين لكم فعملتم به فإن قلت كيف موقع هذه الجمل قلت يجوز أن يكون لا يألونكم صفة للبطانة وكذلك قد بدت البغضاء كأنه قيل بطانة غير آليكم خبالا بادية بغضاؤهم وأما قد بينا فكلام مبتدأ وأحسن منه وأبلغ أن تكون مستأنفات كلها على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة ها أنتم ها للتنبيه وأنتم مبتدأ وأولاء خبره أي أنتم أولاء الخاطئون في موالاة منافقي أهل الكتاب وقوله تحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطئهم في موالاتهم حيث تبذلون محبتكم لأهل البغضاء وقيل أولاء موصول تحبونهم صلته والواو في وتؤمنون للحال وانتصابها من لا يحبونكم أي لا يحبونكم والحال أنكم تؤمنون بكتابهم كله وهم مع ذلك يبغضونكم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم وفيه توبيخ شديد بأنهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم ونحوه فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون ويوصف المغتاظ والنادم بعض الأنامل والبنان والإبهام قال الحارث بن ظالم المري

فأقتل أقواما لئاما أذلة يعضون من غيظ رؤوس الأباهم

قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بأن يزداد غيظهم حتى يهلكوا به والمراد بزيادة الغيظ زيادة ما يغيظهم من قوة الإسلام وعز أهله وما لهم في ذلك من الذل والخزي والتبار إن الله عليم بذات الصدور فهو يعلم ما في صدور المنافقين من الحنق.

وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء
من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون
بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور

وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط واذ غدوت من اهلك
تبوئ المؤمنين

والبغضاء وما يكون منهم في حال خلوتهم بعضهم ببعض وهو كلام داخل في جملة المقول او خارج منه
فان قلت كيف معناه على الوجهين قلت اذا كان داخلا في جملة المقول فمعناه اخبرهم بما يسرونه من عضهم
الانامل غيظا اذا خلوا وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما تسرونه بينكم وهو مضمرات الصدور
فلا تظنوا ان شيئا من اسراركم يخفى عليه واذا كان خارجا فمعناه قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من
اطلاعي اياك على ما يسرون فاني اعلم ما هو اخفى من ذلك وهو ما اضمروه في صدورهم ولم يظهروه
بالسنتهم ويجوز ان لا يكون ثم قول وان يكون قوله قل موتوا بغيظكم امرا لرسول الله عليه السلام
بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله ان يهلكوا غيظا باعزاز الاسلام
واذلالهم به كانه قيل حدث نفسك بذلك ان تمسسكم الحسنة هي الرخاء والخصب والنصرة
والغنيمة ونحوها من المنافع والسيئة ما كان ضد ذلك وهذا بيان لفرط معاداتهم حيث يحسدونهم
على ما نالهم من الخير ويشمتون بهم فيما اصابهم من الشدة فان قلت كيف وصفت الحسنة بالمس والسيئة
بالاصابة قلت المس مستعار لمعنى الاصابة فكان المعنى واحدا الا ترى الى قوله ان تصبك حسنة تسؤهم
وان تصبك مصيبة ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك اذا مسه الشر جزوعا واذا
مسه الخير منوعا وان تصبروا على عداوتهم وتتقوا ما نهيتم عنه من موالاتهم او وان تصبروا على
تكاليف الدين ومشاقه وتتقوا الله في اجتنابكم محارمه كنتم في كنف الله فلا يضركم كيدهم وقرئ لا يضركم
من ضاره يضيره ويضركم على ان ضمة الراء لاتباع كقولك مد يا هذا وروى المفضل عن عاصم
رضي الله عنه لا يضركم بفتح الراء وهذا تعليم من الله وارشاد الى ان يستعان على كيد العدو
بالصبر والتقوى وقد قال الحكماء اذا اردت ان تكبت من يحسدك فازدد فضلا في نفسك
ان الله بما تعملون من الصبر والتقوى وغيرهما محيط ففاعل بكم ما انتم اهله وقرئ بالياء
بمعنى انه عالم بما يعملون في عداوتكم فمعاقبهم عليه واذكر اذ غدوت من اهلك بالمدينة وهو
غدوه الى احد من حجرة عائشة رضي الله عنها روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء
فاستشار رسول الله صلى الله عليه اصحابه ودعا عبد الله بن ابي بن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره
فقال عبد الله واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها
الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا
اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة
وان رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا الى هؤلاء الاكلب لا يرون
انا قد جبنا عنهم وقال عليه السلام اني رأيت في منامي بقرا مذبحة حولي فاولتها خيرا ورأيت
في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورأيت كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها
بالمدينة فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين فاتتهم بدر واكرمهم
الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا فلم يزالوا به حتى دخل فلبس لأمته فلما رأوه
قد لبس لأمته ندموا وقالوا بئس ما صنعنا نشير على رسول الله والوحي يأتيه وقالوا اصنع

تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون
ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين
بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما
النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم فينقلبوا خائبين

91

يا رسول الله ما رأيت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلاة
الجمعة واصبح بالشعب من احد يوم السبت للنصف من شوال فمشى على رجليه فجعل يصف اصحابه للقتال
كانما يقوم بهم القدح ان رأى صدرا خارجا قال تأخر وكان نزوله في عدوة الوادي
وجعل ظهره وعسكره الى احد وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم انضحوا عنا بالنبل لا
يأتونا من ورائنا تبوئ المؤمنين تنزلهم وقرأ عبد الله للمؤمنين بمعنى تسوي لهم وتهيئ مقاعد
للقتال مواطن ومواقف وقد اتسع في قعد وقام حتى اجريا مجرى صار واستعمل المقعد والمقام
في معنى المكان ومنه قوله تعالى في مقعد صدق قبل ان تقوم من مقامك من مجلسك وموضع حكمك والله سميع
لاقوالكم عليم بنياتكم وضمائركم اذ همت بدل من اذ غدوت او عمل فيه معنى سميع عليم والطائفتان
حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما الجناحان خرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم في الف وقيل في تسعمائة وخمسين والمشركون في ثلاثة آلاف ووعدهم الفتح ان صبروا فانخزل
عبد الله بن ابي بثلث الناس وقال يا قوم علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم
الانصاري فقال انشدكم الله في نبيكم وانفسكم فقال عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباع عبد
الله فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وعن ابن عباس رضي الله عنه اضمروا ان يرجعوا فعزم
الله لهم على الرشد فثبتوا والظاهر انها ما كانت الا همة وحديث نفس وكما لا تخلو النفس عند الشدة
من بعض الهلع ثم يردها صاحبها الى الثبات والصبر ويوطنها على احتمال المكروه كما قال عمرو بن
الاطنابة اقول لها اذا جشأت وجاشت مكانك تحمدي او تستريحي حتى قال معاوية عليكم بحفظ
الشعر فقد كدت اضع رجلي في الركاب يوم صفين فما ثبتني الا قول عمرو بن الاطنابة ولو كانت عزيمة
لما ثبتت معها الولاية والله تعالى يقول والله وليهما ويجوز ان يراد والله ناصرهما ومتولي امرهما فما لهما
تفشلان ولا تتوكلان على الله تعالى فان قلت ما معنى ما روي من قول بعضهم عند نزول الآية والله ما يسرنا انا لم
نهم بالذي هممنا به وقد اخبرنا الله بانه ولينا قلت معنى ذلك فرط الاستبشار بما حصل لهم من الشرف بثناء
الله تعالى وانزاله فيهم آية ناطقة بصحة الولاية وان تلك الهمة غير المأخوذ بها لانها لم تكن عن عزيمة
وتصميم كانت سببا لنزولها والفشل الجبن والخور وفي قراءة عبد الله والله وليهم كقوله وان طائفتان من المؤمنين
اقتتلوا امرهم بان لا يتوكلوا الا عليه ولا يفوضوا امورهم الا اليه ثم ذكرهم ما يوجب عليهم التوكل مما يسر
لهم من الفتح يوم بدر وهم في حال قلة وذلة والاذلة جمع قلة والذلان جمع الكثرة وجاء بجمع القلة ليدل
على انهم على ذلتهم كانوا قليلا وذلتهم ما كان بهم من ضعف الحال وقلة السلاح والمال والمركوب وذلك
انهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد وما كان معهم الا فرس واحد وقلتهم
انهم كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر وكان عدوهم في حال كثرة زهاء الف مقاتل ومعهم مائة فرس والشكة
والشوكة وبدر اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به فاتقوا الله في الثبات مع رسوله لعلكم
تشكرون بتقواكم ما انعم به عليكم من نصرته او لعلكم ينعم الله عليكم نعمة اخرى تشكرونها فوضع الشكر

موضع الانعام لانه يستر له اذ تقول ظرف لنصركم على ان يقول لهم ذلك يوم بدر او بدل ثان من اذ غدوت
على ان يقوله لهم يوم احد فان قلت كيف يصح ان يقول لهم يوم احد ولم تنزل فيه الملائكة قلت قاله لهم مع
اشتراط الصبر والتقوى عليهم فلم يصبروا عن الغنائم ولم يتقوا حيث خالفوا امر رسول الله فلذلك لم
تنزل الملائكة ولو تموا على ما شرط عليهم لنزلت وانما قدم لهم الوعد بنزول الملائكة لتقوى
قلوبهم ويعزموا على الثبات ويثقوا بنصر الله ومعنى الن يكفيكم انكار ان لا يكفيهم
الامداد بثلاثة الاف من الملائكة وانما جيء بلن الذي هو لتاكيد النفي للاشعار بانهم
كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكته كالآيسين من النصر بلى ايجاب
لما بعد لن يعني بل يكفيكم الامداد بهم فاوجب الكفاية ثم قال ان تصبروا وتتقوا يمددكم
باكثر من ذلك العدد مسومين للقتال ويأتوكم يعني المشركين من فورهم هذا من قولك قفل من
غزوته وخرج من فوره الى غزوة اخرى وجاء فلان ورجع من فوره ومنه قول ابي حنيفة رضي الله عنه الامر
على الفور لا على التراخي وهو مصدر من فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم سميت به الحالة التي
لا ريث فيها ولا تعريج على شيء من صاحبها فقيل خرج من فوره كما تقول من ساعته لم يلبث والمعنى
انهم ان يأتوكم من ساعتهم هذه يمددكم ربكم بالملائكة في حال اتيانهم لا يتاخر نزولها
عن اتيانهم يريد ان الله تعالى يعجل نصرتكم وييسر فتحكم ان صبرتم واتقيتم وقرئ منزلين
بالتشديد ومنزلين بكسر الزاي بمعنى منزلين النصرة ومسومين بفتح الواو وكسرها
بمعنى معلمين ومعلمين انفسهم او خيلهم قال الكلبي معلمين بعمائم صفر مرخاة
على اكتافهم وعن الضحاك معلمين بالصوف الابيض في نواصي الدواب واذنابها
وعن مجاهد مجزوزة اذناب خيلهم وعن قتادة كانوا على خيل بلق وعن عروة بن
الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك وعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت وما جعله الله الهاء لان يمددكم
اي وما جعل الله امدادكم بالملائكة الا بشارة لكم بانكم تنصرون ولتطمئن به قلوبكم
كما كانت السكينة لبني اسرائيل بشارة بالنصر وطمانينة لقلوبهم وما النصر الا من
عند الله لا من عند المقاتلة اذا تكاثروا ولا من عند الملائكة والسكينة ولكن ذلك مما
يقوي به الله رجاء النصرة والطمع في الرحمة ويربط به على قلوب المجاهدين العزيز الذي
لا يغالب في حكمه الحكيم الذي يعطي النصرة ويمنعها لما يرى من المصلحة ليقطع طرفا
من الذين كفروا ليهلك طائفة منهم بالقتل والاسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر
سبعين من رؤساء قريش وصناديدهم او يكبتهم او يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فينقلبوا
خائبين غير ظافرين بمبتغاهم ونحوه ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ويقال
كبته بمعنى كبده اذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة وقيل في قول ابي الطيب

ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون ولله ما في السموات وما في الارض يغفر لمن يشاء
ويعذب من يشاء والله غفور رحيم يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون
واتقوا النار التي اعدت للكافرين واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وسارعوا الى مغفرة من ربكم
وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء

لاكبت حاسدا واري عدوا هو من الكبد والرية واللام متعلقة بقوله ولقد نصركم الله او
بقوله وما النصر الا من عند الله او يتوب عطف على ما قبله وليس لك من الامر شيء اعتراض والمعنى ان
الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يهزمهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا على الكفر
وليس لك من امرهم شيء اعتراض والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يهزمهم او يتوب عليهم ان
اسلموا انما انت عبد مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم وقيل ان يتوب منصوب باضمار ان وان يتوب في حكم اسم
معطوف باو على الامر او على شيء اي ليس لك من امرهم شيء او من التوبة عليهم او من التعذيب او ليس لك من امرهم
شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم وقيل او بمعنى الا ان كقولك لالزمنك او تعطيني حقي على معنى ليس لك
من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم او يعذبهم فتتشفى منهم وقيل شجه عتبة بن ابي وقاص
يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه وسالم مولى ابي حذيفة يغسل عن وجهه الدم وهو
يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم فنزلت وقيل اراد ان يدعو عليهم
فنهاه الله لعلمه ان فيهم من يؤمن عن الحسن رضي الله عنه يغفر لمن يشاء بالتوبة ولا يشاء ان يغفر
الا للتائبين ويعذب من يشاء ولا يشاء ان يعذب الا المستوجبين للعذاب وعن عطاء رضي الله عنه يغفر لمن
يتوب اليه ويعذب من لقيه ظالما واتباعه قوله او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون تفسير
بين لمن يشاء وانهم المتوب عليهم او الظالمون ولكن اهل الاهواء والبدع يتصامون ويتعامون عن آيات
الله فيخبطون خبط عشواء ويطيبون انفسهم بما يفترون على ابن عباس من قولهم يهب الذنب
الكبير لمن يشاء ويعذب من يشاء على الذنب الصغير لا تاكلوا الربوا اضعافا نهي عن الربوا مع
توبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه كان الرجل منهم اذا بلغ الدين محله زاد في الاجل فاستغرق
بالشيء الطفيف مال المديون واتقوا النار التي اعدت للكافرين كان ابو حنيفة رحمه الله يقول هي
اخوف آية في القرآن حيث اوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه
وقد امد ذلك بما اتبعه من تعليق رجاء المؤمنين لرحمته بتوفرهم على طاعته وطاعة رسوله
ومن تامل هذه الآيات وامثالها لم يحدث نفسه بالاطماع الفارغة والتمني على الله وفي
ذكره تعالى لعل وعسى في نحو هذه المواضع وان قال الناس ما قالوا ما لا يخفى على العارف الفطن
من دقة مسلك التقوى وصعوبة اصابة رضا الله وعزة التوصل الى رحمته وثوابه في مصاحف
اهل المدينة والشام سارعوا بغير واو وقرا الباقون بالواو وفي قراءة ابي وعبد الله وسابقوا
ومعنى المسارعة الى المغفرة والجنة الاقبال على ما تستحقان به عرضها السموات والارض اي
عرضها عرض السموات والارض كقوله عرضها كعرض السماء والارض والمراد وصفها بالسعة والبسطة
فشبهت باوسع ما علمه الناس من خلقه وابسطه وخص العرض لانه في العادة ادنى من الطول للمبالغة
كقوله بطائنها من استبرق وعن ابن عباس رضي الله عنه كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها
ببعض في السراء والضراء في حال الرخاء واليسر وحال الضيقة والعسر لا يخلون بان ينفقوا

والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا
الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم
وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين

في كلتا الحالتين ما قدروا عليه من قليل او كثير او كما يحكى عن بعض السلف رحمهم الله انه ربما تصدق ببصلة
وعن عائشة رضي الله عنها انها تصدقت بحبة عنب او في جميع الاحوال لانها لا تخلو من حال مسرة ومضرة
لا يمنعهم حال فرح وسرور ولا محنة وبلاء من المعروف وسواء عليهم كان الواحد منهم في عرس او حبس
فانه لا يدع الاحسان وافتتح بذكر الانفاق لانه اشق شيء على النفس وادله على الاخلاص ولانه كان في ذلك
الوقت اعظم الاعمال للحاجة اليه في مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين كظم القربة اذا ملاها
وشد فاها وكظم البعير اذا لم يجتر ومنه كظم الغيظ وهو ان يمسك على ما في نفسه منه بالصبر ولا
يظهر له اثرا وعن النبي صلى الله عليه من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملا الله قلبه امنا وايمانا
وعن عائشة رضي الله عنها ان خادما لها غاظها فقالت لله در التقوى ما تركت لذي غيظ شفاء والعافين
عن الناس اذا جنى عليهم احد لم يؤاخذوه وروي ينادي مناد يوم القيامة اين الذين كانت اجورهم على
الله فلا يقوم الا من عفا وعن ابن عيينة رضي الله عنه انه رواه للرشيد وقد غضب على رجل فخلاه
وعن النبي صلى الله عليه ان هؤلاء في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت والله يحب
المحسنين يجوز ان يكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل تحته هؤلاء المذكورون وان تكون للعهد
فتكون اشارة الى هؤلاء والذين عطف على المتقين اي اعدت للمتقين وللتائبين وقوله اولئك اشارة الى الفريقين
ويجوز ان يكون والذين مبتدا خبره اولئك فاحشة فعلة متزايدة القبح او ظلموا انفسهم او اذنبوا
اي ذنب كان مما يؤاخذون به وقيل الفاحشة الزنا وظلم النفس ما دونه من القبلة واللمسة ونحوهما
وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ذكروا الله تذكروا عقابه او وعيده او نهيه
او حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء منه فاستغفروا لذنوبهم فتابوا عنها لقبحها نادمين
عازمين ومن يغفر الذنوب الا الله وصف لذاته بسعة الرحمة وقرب المغفرة وان التائب من الذنب عنده
كمن لا ذنب له وانه لا مفزع للمذنبين الا فضله وكرمه وان عدله يوجب المغفرة للتائب لان العبد اذا جاء
في الاعتذار والتنصل باقصى ما يقدر عليه وجب العفو والتجاوز وفيه تطييب لنفوس العباد وتنشيط
للتوبة وبعث عليها وردع عن الياس والقنوط وان الذنوب وان جلت فان عفوه اجل وكرمه اعظم
والمعنى انه وحده معه مصححات المغفرة وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه
ولم يصروا ولم يقيموا على قبيح فعلهم غير مستغفرين وعن النبي صلى الله عليه ما اصر من استغفر
وان عاد في اليوم سبعين مرة وروي لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار وهم يعلمون حال من فعل
الاصرار وحرف النفي منصب عليهما معا والمعنى وليسوا ممن يصرون على الذنوب وهم
عالمون بقبحها وبالنهي عنها والوعيد عليها لانه قد يعذر من لا يعلم قبح القبيح وفي
هذه الايات بيان قاطع ان الذين امنوا ثلاث طبقات متقون وتائبون ومصرون وان الجنة للمتقين
والتائبين منهم دون المصرين ومن خالف في ذلك فقد كابر عقله وعاند ربه قال اجر العاملين
بعد قوله جزاؤهم لانهما في معنى واحد وانما خالف بين اللفظين لزيادة التنبيه على ان

قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض
فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين هذا بيان
للناس وهدى وموعظة للمتقين ولا تهنوا ولا
تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين

ذلك جزاء واجب على عمل واجر مستحق عليه لا كما يقول المبطلون وروي ان الله عز وجل اوحى الى موسى
ما اقل حياء من يطمع في جنتي بغير عمل كيف اجود برحمتي على من يبخل بطاعتي وعن شهر بن
حوشب رضي الله عنه طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من
الغرور وارتجاء الرحمة ممن لا يطاع حمق وجهالة وعن الحسن رضي الله عنه يقول الله تعالى يوم
القيامة جوزوا الصراط بعفوي وادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها باعمالكم وعن رابعة البصرية
رحمها الله انها كانت تنشد ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ان السفينة لا تجري على اليبس
والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات قد خلت من قبلكم
سنن يريد ما سنه الله في الامم المكذبين من وقائعه كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل
ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التي قد خلت من قبل هذا بيان للناس ايضاح لسوء عاقبة ما هم عليه
من التكذيب يعني حثهم على النظر في سوء عواقب المكذبين قبلهم والاعتبار بما يعاينون من اثار هلاكهم
وهدى وموعظة للمتقين يعني انه مع كونه بيانا وتنبيها للمكذبين فهو زيادة تثبيت وموعظة
للذين اتقوا من المؤمنين ويجوز ان يكون قوله قد خلت جملة معترضة للبعث على الايمان وما يستحقون به ما
ذكر من اجر العاملين ويكون قوله هذا بيان اشارة الى ما لخص وبين من امر المتقين والتائبين
والمصرين ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية من الله لرسوله وللمؤمنين عما اصابهم يوم احد وتقوية
من قلوبهم يعني ولا تضعفوا عن الجهاد لما اصابكم اي لا يورثنكم ذلك وهنا وجبنا ولا تبالوا به ولا
تحزنوا على من قتل منكم وجرح وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم واغلب لانكم اصبتم منهم يوم
بدر اكثر مما اصابوا منكم يوم احد وانتم الاعلون شانا لان قتالكم لله ولاعلاء كلمته وقتالهم للشيطان
ولاعلاء كلمة الكفر ولان قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار او هي بشارة لهم بالعلو والغلبة اي وانتم
الاعلون في العاقبة وان جندنا لهم الغالبون ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي بمعنى ولا تهنوا ان صح ايمانكم
على ان صحة الايمان توجب قوة القلب والثقة بصنع الله وقلة المبالاة باعدائه او بالاعلون
اي ان كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم به من الغلبة قرئ قرح بفتح القاف وضمها وهما لغتان
كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها وقرا ابو السمال قرح بفتحتين
وقيل القرح والقرح كالطرد والطرد والمعنى ان نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم قبله يوم
بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فانتم اولى ان لا تضعفوا ونحوه
فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون وقيل كان ذلك يوم احد فقد نالوا منهم قبل ان
يخالفوا امر رسول الله صلى الله عليه فان قلت كيف قيل قرح مثله وما كان قرحهم يوم احد مثل قرح
المشركين قلت بلى كان مثله ولقد قتل يومئذ خلق من الكفار الا ترى الى قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده
اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون وتلك الايام
تلك مبتدا والايام صفته ونداولها خبره ويجوز ان يكون تلك الايام مبتدا وخبرا كما تقول

ان يمسسكم قرح فقد
مس القوم قرح مثله
وتلك الايام نداولها

بين الناس وليعلم الله الذين امنوا ويتخذ منكم شهدا والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين امنوا ويمحق
الكافرين ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ولقد كنتم تمنون الموت
من قبل ان تلقوه فقد رايتموه وانتم تنظرون

مع الايام تبلي كل جديد والمراد بالايام اوقات الظفر والغلبة نداولها نصرفها بين الناس نديل
تارة لهولاء وتارة لهولاء كقوله وهو من ابيات الكتاب فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر
وفي امثالهم الحرب سجال وعن ابي سفيان انه صعد الجبل يوم احد فمكث ساعة ثم قال اين ابن ابي كبشة
اين ابن ابي قحافة اين ابن الخطاب فقال عمر هذا رسول الله وهذا ابو بكر وها انا عمر فقال ابو سفيان يوم بيوم
والايام دول والحرب سجال فقال عمر رضي الله عنه لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال انكم تزعمون
ذلك فقد خبنا اذن وخسرنا والمداولة مثل المعاورة وهي يرد المياه فلا يزال هذا ولا
في الناس بين ممثل وسمارح يقال داولت بينهم الشي فتداولوه وليعلم الله الذين امنوا فيه وجهان احدهما
ان يكون المعلل محذوفا معناه وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك وهو
من باب التمثيل بمعنى فعلنا ذلك فعل من يريد ان يعلم من الثابت على الايمان منكم من غير الثابت والا
فالله عز وجل لم يزل عالما بالاشيا قبل كونها وقيل معناه وليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو ان
يعلمهم موجودا منهم الثبات والثاني ان تكون العلة محذوفة وهذا عطف عليه معناه وفعلنا ذلك ليكون كيت
وكيت وليعلم الله وانما حذف للايذان بان المصلحة فيما فعل ليست بواحدة ليسليهم عما جرى عليهم وليبصرهم ان العبد
يسوؤه ما يجري عليه من المصايب ولا يشعر ان لله في ذلك من المصالح ما هو غافل عنه ويتخذ منكم شهدا وليكرم ناسا
منكم بالشهادة يريد المستشهدين يوم احد او وليتخذ منكم من يصلح للشهادة على الامم يوم القيامة بما يبتلي به صبركم
من الشدايد من قوله تعالى لتكونوا شهدا على الناس والله لا يحب الظالمين اعتراض بين بعض التعليل وبعض ومعناه
والله لا يحب من ليس من هولاء الثابتين على الايمان المجاهدين في سبيل الله الممحصين من الذنوب
والتمحيص التطهير والتصفيه ويمحق الكافرين ويهلكهم يعني ان كانت الدولة على المومنين فللتميز
والاستشهاد والتمحيص وغير ذلك مما هو اصلح لهم وان كانت على الكافرين فلمحقهم ومحو اثارهم
ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار ولما يعلم الله يعني ولما تجاهدوا لان العلم متعلق بالمعلوم
فنزل نفي العلم منزلة نفي متعلقه لانه منتف بانتفايه يقول الرجل ما علم الله في فلان خيرا يريد ما فيه
خير حتى يعلمه ولما بمعنى لم الا ان فيها ضربا من التوقع فدل على نفي الجهاد فيما مضى وعلى توقعه
فيما يستقبل وتقول وعدني ان يفعل كذا ولما تريد ولما يفعل وانا اتوقع فعله وقرى
ولما يعلم الله بفتح الميم وقيل اراد النون الخفيفة ولما يعلمن فحذفها ويعلم الصابرين نصب
باضمار ان والواو بمعنى الجمع كقولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن وقرا الحسن رضي الله عنه بالجزم
على العطف وروى عبد الوارث عن ابي عمرو رضي الله عنهما ويعلم بالرفع على ان الواو للحال كانه قيل ولما
تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت خوطب به الذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون ان
يحضروا مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصيبوا من كرامة الشهادة ما نال شهدا بدر وهم الذين
الحوا على رسول الله في الخروج الى المشركين وكان رايه في الاقامة بالمدينة يعني وكنتم تمنون الموت
قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته وصعوبة مقاساته فقد رايتموه وانتم تنظرون اي رايتموه معاينين

وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم
على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن
يضر الله شيا

مشاهدين له حين قتل بين ايديكم من قتل من اخوانكم واقاربكم وشارفتم ان تقتلوا وهذا توبيخ لهم على تمنيهم
الموت وعلى ما تسببوا له من خروج رسول الله بالحاحهم عليه ثم انهزامهم عنه وقلة ثباتهم عنده
فان قلت كيف يجوز تمني الشهادة وفي تمنيها تمني غلبة الكافر المسلم قلت قصد متمني الشهادة الى نيل كرامة
الشهدا لا غير ولا يذهب وهمه الى ذلك المتضمن كما ان من يشرب دوا الطبيب النصراني قاصد
الى حصول المقصود المامول من الشفا ولا يخطر بباله ان فيه جر منفعة واحسان الى عدو الله وتنفيقا لصناعته
ولقد قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه حين نهض الى موتة وقيل له ردكم الله لكنني اسال الرحمن مغفرة
وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا او طعنة بيدي حران مجهزة بحربة تنفذ الاحشا والكبدا
حتى يقولوا اذا مروا على جدثي ارشده الله من غاز وقد رشدا لما رمى عبد الله بن قمية الحارثي
رسول الله صلى الله عليه وعلى اله بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه اقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن
عمير وهو صاحب الراية يوم بدر ويوم احد حتى قتله ابن قمية وهو يرى انه رسول الله صلى الله عليه فقال
قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل وقيل كان الصارخ الشيطان ففشا في الناس
خبر قتله فانكفاوا وجعل رسول الله عليه يدعو الي عباد الله حتى انحازت اليه طايفة من
اصحابه فلامهم على هربهم فقالوا يا رسول الله فديناك باباينا وامهاتنا اتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين
فنزلت وروي انه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين ليت عبد الله بن ابي ياخذ لنا امانا من ابي سفين وقال
ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك رضي
الله عنهما يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحيوة بعد رسول الله فقاتلوا على
ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول هولا وابرا اليك مما جا به هولا ثم شد
بسيفه فقاتل حتى قتل وعن بعض المهاجرين انه مر بانصاري يتشحط في دمه فقال يا فلان اشعرت ان محمدا قد
قتل فقال ان كان قتل فقد بلغ قاتلوا على دينكم والمعنى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلو كما
خلوا وكما ان اتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فعليكم ان تتمسكوا بدينه بعد خلوه لان الغرض
من بعثة الرسول تبليغ الرسالة والزام الحجة لا وجوده بين اظهر قومه افان مات الفا معلقة للجملة الشرطية
بالجملة قبلها على معنى التسبيب والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم
بعد هلاكه بموت او قتل مع علمهم ان خلو الرسل قبله وبقا دينهم متمسكا به يجب ان يجعل سببا
للتمسك بدين محمد صلى الله عليه لا للانقلاب عنه فان قلت لم ذكر القتل وقد علم انه لا يقتل قلت لكونه مجوزا عند
المخاطبين فان قلت اما علموه من ناحية قوله تعالى والله يعصمك من الناس قلت هذا مما يختص بالعلما
منهم وذوي البصيرة الا ترى انهم سمعوا بخبر قتله فهربوا على انه يحتمل العصمة من فتنة الناس واذلالهم
والانقلاب على الاعقاب الادبار عما كان رسول الله صلى الله عليه يقوم به من امر الجهاد وغيره
وقيل الارتداد وما ارتد احد من المسلمين ذلك اليوم الا ما كان من قول المنافقين ويجوز ان يكون
على وجه التغليظ عليهم فيما كان منهم من الفرار والانكشاف عن رسول الله واسلامه فلن يضر الله شيا

يعني فما ضرّ الا نفسه لان الله تبارك وتعالى لا يجوز عليه المضارّ والمنافع وسيجزي الله الشاكرين الذين لم ينقلبوا كأنس بن النضر واضرابه وسمّاهم شاكرين لانهم شكروا نعمة الاسلام فيما فعلوا وما كان لنفس ان تموت المعنى ان موت الانفس محال ان يكون الا بمشيئة الله تعالى فاخرجه مخرج فعل لا ينبغي له ان يقدم عليه الا ان ياذن الله فيه تمثيلا ولان ملك الموت هو الموكّل بذلك فليس له ان يقبض نفسا الا باذن من الله وهو على معنيين احدهما تحريضهم على الجهاد وتشجيعهم على لقاء العدوّ باعلامهم ان الحذر لا ينفع وان احدا لا يموت قبل بلوغ اجله وان خوّض المهالك واقتحم المعارك والثاني ذكر ما صنع الله تعالى برسوله عند غلبة العدوّ والتفافهم عليه واسلام قومه له نهزة للمختلس من الحفظ والكلاءة وتاخير الاجل كتابا مصدر مؤكد لان المعنى كتب الموت كتابا مؤجلا موقتا له اجل معلوم لا يتقدم ولا يتاخر ومن يرد ثواب الدنيا تعريض بالذين شغلتهم الغنائم يوم احد نؤته منها اي من ثوابها وسنجزي الشاكرين الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد وقرئ يؤته وسيجزي بالياء فيهما وقرئ قاتل وقتل وقتّل بالتشديد والفاعل ربيون او ضمير النبي ومعه ربيون حال عنه بمعنى قتل كائنا معه ربيون والقراءة بالتشديد تنصر الوجه الاول وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه ما سمعنا بنبي قتل في القتال والربيون الربانيون وقرئ بالحركات الثلث والفتح على القياس والضم والكسر من تغييرات النسب وقرئ فما وهنوا بكسر الهاء والمعنى فما وهنوا عند قتل النبي وما ضعفوا عن الجهاد بعده وما استكانوا للعدو وهذا تعريض بما اصابهم من الوهن والانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حتى ارادوا ان يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن ابيّ في طلب الامان من ابي سفيان وما كان قولهم الا ان قالوا الآية وما كان قولهم مع ثباتهم وقوّتهم في الدين وكونهم ربانيين الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم هضما لها واستقصارا والدعاء بالاستغفار منها مقدّما على طلب تثبيت الاقدام في مواطن الحرب والنصرة على العدو ليكون طلبهم الى ربهم عن زكاء وطهارة وخضوع اقرب الى الاستجابة فآتاهم الله ثواب الدنيا النصر والغنيمة والعز وطيب الذكر وخص ثواب الآخرة بالحسن دلالة على فضله وتقدّمه وانه هو المعتدّ به عنده تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الآية قال علي رضي الله عنه نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم وعن الحسن رضي الله عنه ان تستنصحوا اليهود والنصارى وتقبلوا منهم لانهم كانوا يستغوونهم ويوقعون لهم الشبه في الدين ويقولون لو كان نبيا حقا لما غلب ولما اصابه واصحابه ما اصابهم وانما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما له ويوما عليه وعن السدي رضي الله عنه ان تستكينوا لابي سفيان واصحابه وتستامنوهم يردّوكم الى دينهم وقيل هو عام في جميع الكفار وان على المؤمنين

يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين

٩٥

ان يجانبوهم ولا يطيعوهم في شيء ولا ينزلوا على حكمهم وعلى مشورتهم حتى لا يستجروهم الى موافقتهم بل الله مولاكم اي ناصركم لا تحتاجون معه الى نصرة احد وولايته وقرئ بالنصب على بل اطيعوا الله مولاكم سنلقي قرئ بالنون والياء والرعب بسكون العين وضمها قيل قذف الله في قلوب المشركين الخوف يوم احد فانهزموا الى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة وقيل ذهبوا الى مكة فلما كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيئا قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون ارجعوا فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك القى الله الرعب في قلوبهم فامسكوا بما اشركوا بسبب اشراكهم اي كان السبب في القاء الله الرعب في قلوبهم اشراكهم به ما لم ينزل به سلطانا آلهة لم ينزل الله باشراكها حجة فان قلت كان ثمّ هناك حجة حتى ينزلها الله فيصح لهم الاشراك قلت لم يعن ان هناك حجة الا انها لم تنزل عليهم لان الشرك لا يستقيم ان يقوم عليه حجة وانما المراد نفي الحجة ونزولها جميعا كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر ولقد صدقكم الله وعده اي وعده اياهم بالنصر بشرط الصبر والتقوى في قوله ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ويجوز ان يكون الوعد قوله تعالى سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب فلما فشلوا وتنازعوا لم يرعبهم وقيل لما رجعوا الى المدينة قال ناس من المؤمنين من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزلت وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل احدا خلف ظهره واستقبل المدينة واقام الرماة عند الجبل وامرهم ان يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا كانت الدولة للمسلمين او عليهم فلما اقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم اذ تحسّونهم اي تقتلونهم قتلا ذريعا حتى اذا فشلتم والفشل الجبن وضعف الرأي وتنازعتم فقال بعضهم قد انهزم المشركون فما موقفنا ههنا وقال بعضهم لا نخالف امر رسول الله فثبت مكانه عبد الله بن جبير امير الرماة في نفر دون العشرة وهم المعنيون بقوله ومنكم من يريد الآخرة ونفر اعقابهم ينهبون وهم الذين ارادوا الدنيا فكرّ المشركون على الرماة وقتلوا عبد الله بن جبير واقبلوا على المسلمين وحالت الريح دبورا وكانت صبا حتى هزموهم وقتلوا من قتلوا وهو قوله ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ليمتحن صبركم على المصائب وثباتكم على الايمان عندها ولقد عفا عنكم لما علم من ندمكم على ما فرط منكم من عصيان امر رسول الله والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو او هو متفضل عليهم في جميع الاحوال سواء اديل لهم او اديل عليهم لان الابتلاء رحمة كما ان النصرة رحمة فان قلت اين متعلق حتى اذا قلت محذوف وتقديره حتى اذا فشلتم منعكم نصره ويجوز ان يكون المعنى صدقكم الله وعده الى وقت فشلكم اذ تصعدون نصب بصرفكم او بقوله ليبتليكم او باضمار اذكر والاصعاد الذهاب في الارض والابعاد فيه يقال اصعدنا من مكة الى المدينة وقرأ الحسن رضي الله عنه تصعدون يعني في الجبل وتعضده الاولى قراءة ابيّ رضي الله عنه اذ تصعدون في الوادي وقرأ ابو حيوة تصعّدون بفتح التاء وتشديد العين من تصعّد في السلم وقرأ الحسن رحمه الله تلوون بواو واحدة وقد قرئ بهما وقرئ يصعدون ويلوون بالياء والرسول يدعوكم كان يقول الي عباد الله الي عباد الله انا رسول الله من يكرّ فله الجنة في اخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى ومن المتأخرة يقال جئت في آخر الناس واخراهم كما تقول في اولهم واولاهم بتأويل مقدمتهم وجماعتهم الاولى فاثابكم

ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا يغشى طائفة منكم
غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم والله خبير بما تعملون هل لنا من الامر من شيء قل ان الامر كله لله يخفون في انفسهم
وطائفة قد اهمتهم انفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون
ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا

عطف على صرفكم اي فجازاكم الله غما حين صرفكم عنهم وابتلاكم بسبب غم اذقتموه رسول الله بعصيانكم
له او غما مضاعفا غما بعد غم متصلا بغم من الاغتمام بما ارجف من قتل رسول الله صلى الله عليه
والجرح والقتل وظفر المشركين وفوت الغنيمة والنصر لكيلا تحزنوا لتتمرنوا على
تجرع الغموم وتضروا باحتمال الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ولا على مصيب
من المضار ويجوز ان يكون الضمير في فاثابكم للرسول اي فآساكم في الاغتمام وكما غمكم ما نزل
به من كسر الرباعية والشجة وغيرهما غمه ما نزل بكم فاثابكم غما اغتمه لاجلكم بسبب غم اغتممتموه
لاجله ولم يثربكم على عصيانكم ومخالفتكم لامره وانما فعل ذلك ليسليكم وينفس عنكم
لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نصر الله ولا على ما اصابكم من غلبة العدو امنة نعاسا انزل الله الامن
على المؤمنين وازال عنهم الخوف الذي كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم وعن ابي طلحة رضي
الله عنه غشينا النعاس ونحن في مصافنا فكان السيف يسقط من يد احدنا فياخذه وما احد
الا يميل تحت حجفته وعن الزبير رضي الله عنه لقد رايتني مع رسول الله صلى الله عليه حين اشتد
علينا الخوف فارسل الله تعالى علينا النوم والله اني لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس
يغشاني يقول لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا والامنة الامن وقرئ امنة بسكون الميم كانها
المرة من الامن ونعاسا بدل من امنة ويجوز ان يكون هو المفعول وامنة حال منه مقدمة عليه
كقولك رأيت راكبا رجلا او مفعولا له بمعنى نعستم امنة ويجوز ان يكون حالا من المخاطبين بمعنى
ذوي امنة او على انه جمع آمن كبار وبررة يغشى قرئ بالياء والتاء ردا على النعاس او على الامنة
طائفة منكم هم اهل الصدق واليقين وطائفة هم المنافقون قد اهمتهم انفسهم ما بهم الا هم انفسهم
لا هم الدين ولا هم رسول الله والمسلمين او اوقعتهم انفسهم وما حل بهم في الهموم والاشجان
فهم في التشاكي والتباكي غير الحق في حكم المصدر ومعناه يظنون بالله غير الظن الحق الذي يحق
ان يظن به وظن الجاهلية بدل منه ويجوز ان يكون المعنى يظنون بالله ظن الجاهلية وغير الحق
تاكيدا ليظنون كقولك هذا القول غير ما تقول وهذا القول لا قولك وظن الجاهلية كقولك
حاتم الجود ورجل صدق تريد الظن المختص بالملة الجاهلية ويجوز ان يراد ظن اهل الجاهلية اي
لا يظن مثل ذلك الظن الا اهل الشرك الجاهلون بالله تعالى يقولون لرسول الله سائلين هل
لنا من الامر من شيء معناه هل لنا معاشر المسلمين من امر الله نصيب قط يعنون النصر والا
ظهار على العدو قل ان الامر كله لله ولاوليائه المؤمنين وهو النصر والغلبة كتب الله لاغلبن
انا ورسلي وان جندنا لهم الغالبون يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك معناه يقولون لك فيما
يظهرون هل لنا من الامر من شيء سؤال المؤمن المسترشد وهم فيما يبطنون على النفاق
يقولون في انفسهم او لبعضهم لبعض منكرين لقولك لهم ان الامر كله لله لو كان لنا من الامر شيء
اي لو كان الامر كما قال محمد ان الامر كله لله ولاوليائه وانهم الغالبون لما غلبنا قط ولما قتل

قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم
بذات الصدور ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله
غفور حليم يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض او كانوا غزى لو كانوا عندنا
ما ماتوا وما قتلوا

٩٦

من المسلمين من قتل في هذه المعركة قل لو كنتم في بيوتكم يعني من علم الله منه انه يقتل ويصرع في
هذه المصارع وكتب ذلك في اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم في بيوتكم لبرز من بينكم الذين علم
الله انهم يقتلون الى مضاجعهم ومصارعهم ليكون ما علم انه يكون والمعنى ان الله كتب في اللوح
قتل من يقتل من المؤمنين وكتب مع ذلك انهم الغالبون لعلمه ان العاقبة في الغلبة لهم وان دين
الاسلام يظهر على الدين كله وان ما ينكبون به في بعض الاوقات تمحيص لهم وترغيب في الشهادة
وحرصهم على الشهادة مما يحرضهم على الجهاد فتحصل الغلبة وقيل معناه هل لنا من التدبير
من شيء يعنون لم نملك شيئا من التدبير حيث خرجنا من المدينة الى احد وكان علينا ان نقيم ولا
نبرح كما كان رأي عبد الله بن ابي وغيره ولو ملكنا من التدبير شيئا لما قتلنا في هذه المعركة
قل ان التدبير كله لله يريد ان الله عز وعلا قد دبر الامر كما جرى ولو اقمتم بالمدينة ولم تخرجوا
من بيوتكم لما نجا من القتل من قتل منكم وقرئ كتب عليهم القتال وكتب عليهم القتل على
البناء للفاعل ولبرز بالتشديد وضم الباء وليبتلي الله وليمتحن ما في صدور المؤمنين من
الاخلاص وليمحص ما في قلوبهم من وساوس الشيطان فعل ذلك او فعل ذلك لمصالح جمة
وللابتلاء والتمحيص فان قلت كيف مواقع الجمل التي بعد قوله وطائفة قلت قد اهمتهم صفة
لطائفة ويظنون صفة اخرى او حال بمعنى قد اهمتهم انفسهم ظانين او استئناف
على وجه البيان للجملة قبلها ويقولون بدل من يظنون فان قلت كيف صح ان يقع ما هو مسألة
عن الامر بدلا من الاخبار بالظن قلت كانت مسألتهم صادرة عن الظن فلذلك جاز ابداله منه ويخفون
حال من يقولون وقل ان الامر كله لله اعتراض بين الحال وذي الحال ويقولون بدل من يخفون والاجود ان
يكون استئنافا ان الذين تولوا منكم انما استزلهم الشيطان طلب منهم الزلل ودعاهم اليه ببعض ما كسبوا
من ذنوبهم ومعناه ان الذين انهزموا يوم احد كان السبب في توليهم انهم كانوا اطاعوا الشيطان
فاقترفوا ذنوبا فلذلك منعتهم التأييد وتقوية القلوب حتى تولوا وقيل استزلال الشيطان
اياهم هو التولي وانما دعاهم اليه بذنوب قد تقدمت لهم لان الذنب يجر الى الذنب كما ان الطاعة تجر
الى الطاعة وتكون لطفا فيها وقال الحسن رضي الله عنه استزلهم بقبول ما زين لهم من الهزيمة وقيل بعض
ما كسبوا هو تركهم المركز الذي امرهم رسول الله صلى الله عليه بالثبات فيه فجرهم ذلك الى الهزيمة وقيل
ذكرهم تلك الخطايا فكرهوا لقاء الله تعالى معها فاخروا الجهاد حتى يصلحوا امرهم ويجاهدوا
على حال مرضية فان قلت لم قيل ببعض ما كسبوا قلت هو كقوله تعالى ويعفوا عن كثير ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم
واعتذارهم ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بالعقوبة يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا
لاخوانهم اي لاجل اخوانهم كقوله وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه ومعنى الاخوة
اتفاق الجنس او النسب اذا ضربوا في الارض اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها او كانوا غزى
جمع غاز كعاف وعفى وقوله عفى الحياض اجون وقرئ بتخفيف الزاي على حذف التاء من غزاة

ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير ولئن قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله

فان قلت كيف قيل اذا ضربوا مع قالوا قلت هو على حكاية الحال الماضية كقولك حين يضربون في الارض فان قلت ما متعلق ليجعل قلت قالوا اي قالوا ذلك واعتقدوه ليكون حسرة في قلوبهم على ان اللام مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا او لا تكونوا بمعنى لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعله الله حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم فان قلت ما معنى اسناد الفعل الى الله تعالى قلت معناه ان الله عز وجل عند اعتقادهم ذلك المعتقد الفاسد يضع الغم والحسرة في قلوبهم ويضيق صدورهم عقوبة فاعتقادهم فعلهم وما يكون عنده من الغم والحسرة وضيق الصدور فعل الله عز وجل كقوله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم لان مخالفتهم فيما يقولون ويعتقدون ومضادتهم مما يغمهم ويغيظهم والله يحيي ويميت رد لقولهم اي الامر بيده قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد كما شاء وعن خالد بن الوليد رضي الله عنه انه قال عند موته ما في موضع شبر الا وفيه ضربة او طعنة وها انا ذا اموت كما يموت العير فلا نامت اعين الجبناء والله بما تعملون بصير فلا تكونوا مثلهم وقرئ بالياء يعني الذين كفروا ولئن قتلتم اللام موطئة للقسم لمغفرة جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط وكذلك لالى الله تحشرون كذب الكافرين اولا في زعمهم ان من سافر من اخوانهم او غزا لو كان بالمدينة لما مات ونهى المسلمين عن ذلك لانه سبب التقاعد عن الجهاد ثم قال لهم ولئن تم عليكم ما تخافونه من الهلاك بالموت والقتل في سبيل الله فان ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت في سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا وعن ابن عباس رضي الله عنه خير من طلاع الارض ذهبة حمراء وقرئ بالياء اي يجمع الكفار لالى الله تحشرون لالى الرحيم الواسع الرحمة المثيب العظيم الثواب تحشرون ولوقوع اسم الله هذا الموقع مع تقديمه وادخال اللام على الحرف المتصل به شان ليس بالخفي وقرئ متم بضم الميم وكسرها من مات يموت ومات يمات فبما رحمة من الله لنت لهم ما مزيدة للتوكيد والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله ونحوه فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم ومعنى الرحمة ربطه على جاشه وتوفيقه للرفق والتلطف بهم حتى اثابهم غما بغم واساهم بالمباثة بعد ما خالفوه وعصوا امره وانهزموا وتركوه ولو كنت فظا جافيا غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك احد منهم فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله اتماما للشفقة عليهم وشاورهم في الامر يعني في امر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحي لتستظهر برايهم ولما فيه من تطييب نفوسهم والرفع من اقدارهم وعن الحسن رضي الله عنه قد علم الله انه ما به اليهم حاجة ولكنه اراد ان يستن به من بعده وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما تشاور قوم قط الا هدوا لارشد امرهم وعن ابي هريرة رضي الله عنه ما رايت احدا اكثر مشاورة من اصحاب رسول الله عليهم وقيل كان سادات العرب اذا لم يشاوروا في الامر شق عليهم فامر الله رسوله بمشاورة اصحابه لئلا يثقل عليهم استبداده بالراي دونهم وقرئ وشاورهم في بعض الامر فاذا عزمت فاذا قطعت الراي على شيء بعد الشورى فتوكل على الله في امضاء امرك على الارشد الاصلح فان ما هو اصلح لك لا يعلمه الا الله لا انت ولا من تشاور

ان الله يحب المتوكلين ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون وما كان لنبي ان يغل ومن يغلل يات بما غل يوم القيمة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون

٩٧

وقرئ فاذا عزمت بضم التاء بمعنى فاذا عزمت لك على شيء وارشدتك اليه فتوكل علي ولا تشاور بعد ذلك احدا ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا احد يغلبكم وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم وهذا تنبيه على ان الامر كله لله تعالى وعلى وجوب التوكل عليه ونحوه ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده من بعده من بعد خذلانه او هو من قولك ليس لك من يحسن اليك من بعد فلان تريد اذا جاوزته وقرا عبيد بن عمير رضي الله عنه وان يخذلكم من اخذله اذا جعله مخذولا وفيه ترغيب في الطاعة وفيما يستحقون به النصر من الله والتاييد وتحذير من المعصية ومما يستوجبون به العقوبة بالخذلان وعلى الله وليخص المؤمنون ربهم بالتوكل والتفويض اليه لعلمهم انه لا ناصر سواه ولان ايمانهم يوجب ذلك ويقتضيه وما كان لنبي ان يغل يقال غل شيئا من المغنم غلولا واغل اغلالا اذا اخذه في خفية يقال اغل الجازر اذا سرق من اللحم شيئا مع الجلد والغل الحقد الكامن في الصدر ومنه قوله عليه السلام من بعثناه على عمل فغل شيئا جاء يوم القيمة يحمله على عنقه وقوله هدايا الولاة غلول وعنه عليه السلام ليس على المستعير غير المغل ضمان وعنه لا اغلال ولا اسلال ويقال اغله اذا وجده غالا كقولك ابخلته وافحمته ومعنى وما كان لنبي ان يغل وما صح له ذلك يعني ان النبوة تنافي الغلول وكذلك من قرا على البناء للمفعول فهو راجع الى معنى الاول لان معناه وما صح له ان يوجد غالا ولا يوجد غالا الا اذا كان غالا وفيه وجهان احدهما ان يبرا رسول الله من ذلك وينزه وينبه على عصمته بان النبوة والغلول متنافيان لئلا يظن به ظان شيئا منه وان لا يستريب به احد كما روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله اخذها وروي انها نزلت في غنائم احد حين ترك الرماة المركز وقالوا نخشى ان يقول رسول الله من اخذ شيئا فهو له وان لا يقسم الغنائم كما لم يقسم يوم بدر فقال النبي عليه السلام الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى ياتيكم امري فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال عليه السلام بل ظننتم انا نغل ولا نقسم لكم والثاني ان يكون مبالغة في النهي لرسول الله صلى الله عليه على ما روي انه بعث طلائع فغنمت غنائم فقسمها ولم يقسم للطلائع فنزلت يعني وما كان لنبي ان يعطي قوما ويمنع آخرين بل عليه ان يقسم بالسوية وسمى حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا وتقبيحا لصورة الامر ولو قرئ ان يغل من اغل بمعنى غل لجاز يات بما غل يوم القيمة يات بالشيء الذي غله بعينه يحمله كما جاء في الحديث جاء يوم القيمة يحمله على عنقه وروي الا لا اعرفن احدكم ياتي ببعير له رغاء وببقرة لها خوار وبشاة لها ثغاء فينادي يا محمد يا محمد فاقول لا املك لك من الله شيئا فقد بلغتك وعن بعض جفاة الاعراب انه سرق نافجة مسك فتليت عليه الآية فقال اذا احملها طيبة الريح خفيفة المحمل ويجوز ان يراد يات بما احتمل من وباله وتبعته واثمه فان قلت هلا قيل ثم يوفى ما كسب ليتصل به قلت جيء بعام دخل تحته كل كاسب من الغال وغيره فاتصل به من حيث المعنى وهو ابلغ واثبت لانه اذا علم الغال ان كل كاسب خيرا كان او شرا مجزي موفى جزاءه علم انه غير متخلص من تبعته مع عظم ما اكتسب وهم

افمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأويه جهنم وبئس المصير هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون
لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان
كانوا من قبل لفي ضلال مبين اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا قل هو من
عند انفسكم ان الله على كل شيء قدير

هم درجات اى هم متفاوتون كما تفاوت الدرجات كقوله انصب للمنية تعتريهم رجالى ام هم درج السيول وقيل ذوو درجات والمعنى تفاوت منازل المثابين منهم ومنازل المعاقبين او التفاوت بين الثواب والعقاب لا يظلمون اى تعدل بينهم في الجزاء كل جزاء على قدر كسبه والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتها فيجازيهم على حسبها لقد من الله على المؤمنين على من آمن مع رسول الله من قومه وخص المؤمنين منهم لانهم هم المنتفعون بمبعثه رسولا من انفسهم من جنسهم عربيا مثلهم وقيل من ولد اسمعيل كما انهم من ولده فان قلت ما وجه المنة عليهم ان كان من انفسهم قلت اذا كان منهم كان اللسان واحدا فسهل اخذ ما يجب عليهم اخذه منه وكانوا واقفين على احواله في الصدق والامانة فكان ذلك اقرب لهم الى تصديقه والوثوق به وفي كونه من انفسهم شرف لهم كقوله وانه لذكر لك ولقومك وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقراءة فاطمة رضي الله عنها من انفسهم اى من اشرفهم لان عدنان ذروة ولد اسمعيل عليه السلم ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان وخندف ذروة مضر ومدركة ذروة خندف وقريش ذروة مدركة وذروة قريش محمد صلى الله عليه وسلم وفيما خطب به ابو طالب في تزويج خديجة رضي الله عنها وقد حضر معه بنو هاشم ورؤساء مضر الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابرهيم وزرع اسمعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن اخي هذا محمد بن عبد الله من لا يوزن به فتى من قريش الا رجح به وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل وقرئ لمن من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم وفيه وجهان ان يراد لمن من الله على المؤمنين منه او بعثه اذ بعث فيهم فحذف لقيام الدلالة او يكون اذ في محل الرفع كاذا في قولك اخطب ما يكون الامير اذا كان قائما بمعنى لمن من الله على المؤمنين وقت بعثه يتلو عليهم آياته بعد ما كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي ويزكيهم ويطهرهم من دنس القلوب بالكفر ونجاسة سائر الجوارح بملابسة المحرمات والخبائث وقيل ويأخذ منهم الزكوة ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة بعد ما كانوا اجهل الناس وابعدهم من دراسة العلوم وان كانوا من قبل من قبل بعثة الرسول لفي ضلال ان هي المخففة من المثقلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية وتقديره وان الشان والحديث كانوا من قبل في ضلال مبين ظاهر لا شبهة فيه اولما اصابتكم مصيبة يريد ما اصابهم يوم احد من قتل سبعين منهم قد اصبتم مثليها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين ولما نصب بقلتم واصابتكم في محل الجر باضافة لما اليه وتقديره قلتم حين اصابتكم انى هذا فان قلت علام عطفت الواو هذه الجملة قلت على ما مضى من قصة احد من قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده ويجوز ان تكون معطوفة على محذوف كانه قيل افعلتم كذا وقلتم حينئذ كذا انى هذا من اين هذا كقوله انى لك هذا لقوله من عند انفسكم قل هو من عند انفسكم والمعنى انتم السبب فيما اصابكم لاختياركم الخروج من المدينة او لتخليتكم المركز وعن علي رضي الله عنه لاخذكم الفداء من اسارى بدر قبل ان يؤذن لكم ان الله على كل شيء

وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم والله اعلم بما يكتمون
الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو اطاعونا ما قتلوا قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين

٩٨

قدير فهو قادر على النصر وعلى منعه وعلى ان يصيب بكم تارة ويصيب منكم اخرى وما اصابكم يوم احد يوم التقى جمعكم وجمع المشركين فهو كائن باذن الله اى بتخليته استعار الاذن لتخلية الكفار وانه لم يمنعهم منهم ليبتليهم لان الاذن مخل بين المأذون له ومراده وليعلم وهو كائن ليتميز المؤمنون والمنافقون وليظهر ايمان هؤلاء ونفاق هؤلاء وقيل لهم من جملة الصلة عطف على نافقوا وانما لم يقل فقالوا لانه جواب لسؤال اقتضاه دعاء المؤمنين لهم الى القتال كانه قيل فماذا قالوا لهم فقيل قالوا لو نعلم ويجوز ان تقتصر الصلة على نافقوا ويكون وقيل لهم كلاما مبتدأ قسم الامر عليهم بين ان يقاتلوا للآخرة كما يقاتل المؤمنون وبين ان يقاتلوا ان لم يكن بهم غم الآخرة دفعا عن انفسهم واهليهم واموالهم فابوا القتال وجحدوا القدرة عليه رأسا لنفاقهم ودغلهم وذلك ما روي ان عبد الله بن ابي انخزل مع حلفائه فقيل له فقال ذلك وقيل او ادفعوا العدو بتكثيركم سواد المجاهدين وان لم تقاتلوا لان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه وقد كف بصره لو امكنني لبعت داري ولحقت بثغر من ثغور المسلمين فكنت بينهم وبين عدوهم قيل وكيف وقد ذهب بصرك قال لقوله تعالى او ادفعوا اراد اكثروا سوادهم ووجه اخر وهو ان يكون معنى قولهم لو نعلم قتالا لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم يعنون ان ما انتم فيه لخطأ رأيكم وزللكم عن الصواب ليس بشيء ولا يقال لمثله قتال انما هو القاء بالانفس الى التهلكة لان رأي عبد الله كان في الاقامة بالمدينة وما كان يستصوب الخروج هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يعني انهم قبل ذلك اليوم كانوا يتظاهرون بالايمان وما ظهرت منهم امارة تؤذن بكفرهم فلما انخزلوا عن عسكر المؤمنين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الايمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليلهم سواد المسلمين بالانخزال تقوية للمشركين يقولون بافواههم لا تجاوز ايمانهم افواههم ومخارج الحروف منهم ولا تعي قلوبهم منه شيئا وذكر الافواه مع القلوب تصوير لنفاقهم وان ايمانهم موجود في افواههم معدوم في قلوبهم خلاف صفة المؤمنين في مواطأة قلوبهم لافواههم والله اعلم بما يكتمون من النفاق وبما يجري بعضهم مع بعض من ذم المؤمنين وتجهيلهم وتخطئة رأيهم والشماتة بهم وغير ذلك لانكم تعلمون بعض ذلك علما مجملا بامارات وانا اعلم كله علم احاطة بتفاصيله وكيفياته الذين قالوا في اعرابه اوجه ان يكون نصبا على الذم او على الرد على الذين نافقوا او رفعا على هم الذين قالوا او على الابدال من واو يكتمون ويجوز ان يكون مجرورا بدلا من الضمير في بافواههم او قلوبهم كقوله على حالة لو ان في القوم حاتما على جوده لضن بالماء حاتم لاخوانهم لاجل اخوانهم من جنس المقتولين يوم احد او اخوانهم في النسب وفي سكنى الدار وقعدوا اى قالوا وقد قعدوا عن القتال لو اطاعونا اخواننا فيما امرناهم به من القعود ووافقونا فيه لما قتلوا كما لم نقتل قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين

ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله ويستبشرون
بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع اجر
المؤمنين

معناه ان كنتم صادقين في انكم وجدتم الى دفع القتل سبيلا وهو القعود عن القتال فجدوا الى دفع
الموت سبيلا يعني ان ذلك الدفع غير مغن عنكم لانكم ان دفعتم القتل الذي هو احد اسباب الموت
لم تقدروا على دفع سائر اسبابه المبثوثة ولا بد لكم من ان يتعلق بكم بعضها وروي انه مات يوم
قالوا هذه المقالة سبعون منافقا **فان قلت** فقد كانوا صادقين في انهم دفعوا القتل عن انفسهم
بالقعود فما معنى قوله ان كنتم صادقين **قلت** معناه ان النجاة من القتل يجوز ان يكون سببها القعود عن
القتال وان يكون غيره لان اسباب النجاة كثيرة وقد يكون قتال الرجل سبب نجاته ولولم يقاتل
لقتل فما يدريكم ان سبب نجاتكم القعود وانكم صادقون في مقالتكم وما انكرتم ان يكون السبب غيره
ووجه اخر ان كنتم صادقين في قولكم لو اطاعونا وقعدوا ما قتلوا يعني انهم لو اطاعوكم وقعدوا
لقتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين وقوله فادرءوا عن انفسكم الموت استهزاء بهم اي ان
كنتم رجالا دفاعين لاسباب الموت فادرءوا جميع اسبابه حتى لا تموتوا **ولا تحسبن** الخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد وقرئ بالياء على ولا يحسبن رسول الله او ولا يحسبن حاسب ويجوز ان يكون
الذين قتلوا فاعلا ويكون التقدير ولا يحسبنهم الذين قتلوا امواتا اي ولا يحسبن الذين قتلوا انفسهم امواتا
فان قلت كيف جاز حذف المفعول الاول **قلت** هو في الاصل مبتدا فحذف كما حذف المبتدا في قوله احياء
والمعنى هم احياء لدلالة الكلام عليهما وقرئ تحسبن بفتح السين وقتلوا بالتشديد واحياء بالنصب
على معنى بل احسبهم احياء عند ربهم مقربون عنده ذوو زلفى كقوله ان الذين عند ربك **يرزقون** مثل
ما يرزق سائر الاحياء ياكلون ويشربون وهو تاكيد لكونهم احياء ووصف لحالهم التي هم عليها من التنعم برزق
الله **فرحين** بما اتاهم الله من فضله وهو التوفيق في الشهادة وما ساق اليهم من الكرامة والتفضيل على غيرهم من كونهم
احياء مقربين معجلا لهم رزق الجنة ونعيمها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم
في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل من ذهب معلقة في
ظل العرش **ويستبشرون** باخوانهم المجاهدين الذين لم يلحقوا بهم اي لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم
يريد الذين من خلفهم قد بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم وقيل لم يلحقوا بهم لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم ان لا خوف
عليهم بدل من الذين والمعنى ويستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم يبعثون
امنين يوم القيامة بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به وفي ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم
بعث للباقين بعدهم على ازدياد الطاعة والجد في الجهاد والرغبة في نيل منازل الشهداء واصابة
فضلهم واحماد لحال من يرى نفسه في خير فيتمنى مثله لاخوانه في الله وبشرى للمؤمنين بالفوز
في الماب وكرر يستبشرون ليعلق به ما هو بيان لقوله ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون من
ذكر النعمة والفضل وان ذلك اجر لهم على ايمانهم يجب في عدل الله وحكمته ان يحصل لهم ولا يضيع
وقرئ وان الله بالفتح عطفا على النعمة والفضل وبالكسر على الابتداء وعلى ان الجملة اعتراض
وهي قراءة الكسائي وتعضدها قراءة عبد الله رضي الله عنه والله لا يضيع الذين استجابوا مبتدا خبره

الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم الذين قال لهم الناس ان
الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا

٩٩

للذين احسنوا او صفة للمؤمنين او نصب على المدح روي ان ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء
ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فاراد ان يرهبهم ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب
اصحابه للخروج في طلب ابي سفيان وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس فخرج صلى الله عليه وسلم
مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية اميال وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم
حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت ومن في للذين احسنوا للتبيين
مثلها في قوله تعالى وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لان الذين استجابوا لله والرسول
قد احسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم وعن عروة بن الزبير قالت لي عائشة رضي الله عنها ان ابويك لمن
الذين استجابوا لله والرسول تعني ابا بكر والزبير رضي الله عنهما **الذين قال** لهم الناس الاية روي ان ابا سفيين نادى
عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر القابل ان شئت فقال صلى الله عليه وسلم ان شاء الله فلما كان القابل خرج
ابو سفيان في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فالقى الله الرعب في قلبه فبدا له ان يرجع فلقي نعيم بن
مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم اني واعدت محمدا ان نلتقي بموسم بدر وان
هذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي ولكن ان خرج
محمد ولم اخرج زاده ذلك جراة فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندي عشر من الابل فخرج نعيم
فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم ما هذا بالراي اتوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم الا الشريد
افتريدون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم فوالله لا يفلت منكم احد وقيل مر ابو
سفيان بركب من عبد القيس يريدون المدينة للميرة فجعل لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوهم
فكره المسلمون الخروج فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج
في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل وقيل هي الكلمة التي قالها ابراهيم عليه السلام
حين القي في النار حتى وافوا بدرا واقاموا بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها واصابوا
خيرا ثم انصرفوا الى المدينة سالمين غانمين ورجع ابو سفيان الى مكة فسمى اهل مكة جيشه جيش
السويق وقالوا انما خرجتم لتشربوا السويق فالناس الاولون المثبطون والاخرون ابو سفيان
واصحابه **فان قلت** كيف قيل الناس ان كان نعيم هو المثبط وحده **قلت** قيل ذلك لانه من جنس الناس كما يقال
فلان يركب الخيل ويلبس البرود وما له الا فرس واحد وبرد فرد ولانه حين قال ذلك لم يخل من ناس من
اهل المدينة يضامونه ويصلون جناح كلامه ويثبطون مثل تثبيطه **فان قلت** الام يرجع المستكن
في فزادهم **قلت** الى المقول الذي هو ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم كانه قيل قالوا لهم هذا الكلام فزادهم
ايمانا او الى مصدر قالوا كقولك من صدق كان خيرا له او الى الناس اذا اريد به نعيم وحده **فان قلت** كيف
زادهم نعيم او مقوله ايمانا **قلت** لما لم يسمعوا قوله واخلصوا عنده النية والعزم على الجهاد واظهروا
حمية الاسلام كان ذلك اثبت ليقينهم واقوى لاعتقادهم كما يزداد الايقان بتناصر الحجج ولان خروجهم
على اثر تثبيطه الى وجهة العدو طاعة عظيمة والطاعات من جملة الايمان لان الايمان اعتقاد
واقرار وعمل

وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر انهم لن يضروا الله شيئا يريد الله الا يجعل لهم حظا في الآخرة ولهم عذاب عظيم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم ولا يحسبن الذين كفروا

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قلنا يا رسول الله ان الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة
وينقص حتى يدخل صاحبه النار وعن عمر رضي الله عنه انه كان يأخذ بيد الرجل فيقول قم بنا نزدد ايمانا
وعنه لو وزن ايمان ابي بكر بايمان هذه الامة لرجح به حسبنا الله محسبنا الله اي كافينا يقال احسبه
الشيء اذا كفاه والدليل على انه بمعنى المحسب انك تقول هذا رجل حسبك فتصف به النكرة لان اضافته لكونه في معنى
اسم الفاعل غير حقيقية ونعم الوكيل ونعم الموكول اليه هو فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة من الله وهي السلامة
وحذر العدو منهم وفضل وهو الربح في التجارة كقوله تعالى ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم
لم يمسسهم سوء لم يلقوا ما يسوؤهم من كيد عدو واتبعوا رضوان الله بجراءتهم وخروجهم
والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا وفي ذلك تحسير لمن تخلف عنهم
واظهار لخطأ رأيهم حيث حرموا انفسهم ما فاز به هؤلاء وروي انهم قالوا هل يكون هذا غزوا
فاعطاهم الله ثواب الغزو ورضي عنهم الشيطان خبر ذلكم بمعنى انما ذلكم المثبط هو
الشيطان ويخوف اولياءه جملة مستأنفة بيان لشيطنته او الشيطان صفة لاسم الاشارة
ويخوف الخبر والمراد بالشيطان نعيم او ابو سفيان ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف
بمعنى انما ذلكم قول الشيطان اي قول ابليس عليه لعنة الله يخوف اولياءه يخوفكم اولياءه الذين هم ابو سفيان
واصحابه وتدل عليه قراءة ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما يخوفكم اولياءه فان قلت
وقوله فلا تخافوهم وقيل يخوف اولياءه القاعدين عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تخافوهم
فالام رجع الضمير فلا تخافوهم على هذا التفسير قلت الى الناس في قوله ان الناس قد جمعوا لكم فلا تخافوهم
فتقعدوا عن القتال وتجبنوا وخافوني فجاهدوا مع رسولي وسارعوا الى ما يأمركم به ان كنتم مؤمنين
يعني ان الايمان يقتضي ان تؤثروا خوف الله على خوف الناس ولا يخشون احدا الا الله يسارعون في الكفر يقعون
فيه سريعا ويرغبون فيه اشد رغبة وهم الذين نافقوا من المتخلفين وقيل هم قوم ارتدوا عن
الاسلام فان قلت فما معنى قوله ولا يحزنك ومن حق الرسول ان يحزن لنفاق من نافق وارتداد من ارتد قلت
معناه لا يحزنوك لخوف ان يضروك ويعينوا عليك الا ترى الى قوله انهم لن يضروا الله شيئا يعني انهم لا
يضرون بمسارعتهم في الكفر غير انفسهم وما وباله عائد على غيرهم ثم بين كيف يعود وباله
عليهم بقوله يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الآخرة اي نصيبا من الثواب ولهم بدل الثواب عذاب عظيم
وذلك ابلغ ما ضر به الانسان نفسه فان قلت هلا قيل لا يجعل الله لهم حظا في الآخرة واي فائدة في ذكر
الارادة قلت فائدته الاشعار بان الداعي الى حرمانهم وتعذيبهم قد خلص خلوصا لم يبق معه صارف
قط حين سارعوا في الكفر تنبيها على تمادي الطغيان وبلوغهم الغاية فيه حتى ان ارحم الراحمين يريد
ان لا يرحمهم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان اما ان يكون تكريرا للمذكورين للتأكيد والتسجيل عليهم بما اضاف اليهم
واما ان يكون عاما للكفار والاول خاصا فيمن نافق من المتخلفين او ارتد عن الاسلام او على العكس
وشيئا نصب على المصدر لان المعنى شيئا من الضرر وبعض الضرر ولا يحسبن الذين كفروا فيمن قرأ
بالتاء نصب وانما نملي لهم خير لانفسهم بدل منه اي ولا تحسبن ان ما نملي للكافرين خير لهم وان مع ما

ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء

في حيز منصوب عن المفعولين كقوله ام تحسب ان اكثرهم يسمعون وما مصدرية بمعنى ولا تحسبن ان املاءنا خير وكان
حقها في قياس علم الخط ان تكتب مفصولة ولكنها وقعت في الامام متصلة فلا يخالف وتتبع سنة الامام في خط
المصاحف فان قلت كيف صح مجيء البدل ولم يذكر الا احد المفعولين ولا يجوز الاقتصار بفعل الحسبان على مفعول
واحد قلت صح ذلك من حيث ان التعويل على البدل والمبدل منه في حكم المنحى الا تراك تقول جعلت متاعك
بعضه فوق بعض مع امتناع سكوتك على متاعك ويجوز ان يقدر مضاف محذوف على ولا تحسبن الذين
كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او ولا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم ومعنى
من قرأ بالياء رفع والفعل متعلق بان وما في حيزه والاملاء لهم تخليتهم وشأنهم مستعار من املى
لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شاء وقيل هو امهالهم واطالة عمرهم والمعنى ولا تحسبن ان الاملاء
خير لهم من منعهم او قطع آجالهم انما نملي لهم ما هذه حقها ان تكتب متصلة لانها كافة دون
الاولى وهذه جملة مستأنفة تعليل للجملة قبلها كانه قيل ما بالهم لا يحسبون الاملاء خيرا لهم فقيل
انما نملي لهم ليزدادوا اثما فان قلت كيف جاز ان يكون ازدياد الاثم غرضا لله تعالى في املائه لهم قلت هو علة
للاملاء وما كل علة بغرض لك وانما هي علل واسباب فكذلك ازدياد الاثم جعل علة للامهال
وسببا فيه فان قلت كيف يكون ازدياد الاثم علة للاملاء كما كان العجز علة للقعود عن الحرب قلت
لما كان في علم الله المحيط بكل شيء انهم مزدادون اثما فكان الاملاء وقع من اجله وبسببه على طريق المجاز
وقرأ يحيى بن وثاب بكسر الاولى وفتح الثانية ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا
ان املاءنا لازدياد الاثم كما يفعلون وانما هو ليتوبوا ويدخلوا في الايمان وقوله انما نملي لهم
خير لانفسهم اعتراض بين الفعل ومعموله ومعناه ان املاءنا خير لانفسهم ان عملوا فيه
وعرفوا انعام الله عليهم بتفسيح المدة وترك المعاجلة بالعقوبة فان قلت فما معنى قوله
ولهم عذاب مهين على هذه القراءة قلت معناه ولا تحسبوا ان املاءنا لزيادة الاثم وللتعذيب والواو للحال كانه قيل
ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين ليذر اللام لتأكيد النفي على ما انتم عليه من اختلاط المؤمنين
المخلصين والمنافقين حتى يميز الخبيث من الطيب حتى يعزل المنافق من المخلص وقرئ يميز من ميز
وفي رواية عن ابن كثير يميز من اماز بمعنى ميز فان قلت لمن الخطاب في انتم قلت للمصدقين جميعا من
اهل الاخلاص والنفاق كانه قال ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التي انتم عليها من اختلاط
بعضكم ببعض وانه لا يعرف مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم على التصديق جميعا حتى يميزهم منكم بالوحي
الى نبيه واخباره باحوالكم ثم قال وما كان الله ليطلعكم على الغيب وما كان الله ليؤتي احدا منكم علم
الغيوب فلا تتوهموا عند اخبار الرسول بنفاق الرجل واخلاص الآخر انه يطلع على ما في القلوب اطلاع
الله عز وجل فيخبر عن كفرها وايمانها ولكن الله يرسل الرسول فيوحي اليه ويخبره بان في الغيب كذا وان فلانا
في قلبه النفاق وفلانا في قلبه الاخلاص فيعلم ذلك من جهة اخبار الله لا من جهة اطلاعه على المغيبات ويجوز
ان يراد لا يترككم مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب بان يكلفكم التكاليف الصعبة التي لا يصبر عليها

فامنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة ولله ميراث السموات والارض والله بما تعملون خبير لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق

الا الخلص الذين امتحن الله قلوبهم كبذل الارواح في الجهاد وانفاق الاموال في سبيل الله تعالى
يجعل ذلك عيارا على عقائدكم وشاهدا بضمائركم حتى علم بعضكم ما في قلب بعض من طريق
الاستدلال لا من جهة الوقوف على ذات الصدور والاطلاع عليها فان ذلك مما استاثر
الله به وما كان الله ليطلع احدا منكم على الغيب ومضمرات القلوب حتى يعرف صحيحها
من فاسدها مطلعا عليها ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فيخبره ببعض المغيبات
فامنوا بالله ورسله بان تقدروه حق قدره وتعلموه وحده مطلعا على الغيوب وان
تنزلوهم منازلهم بان تعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يخبرون الا عن
ما اخبرهم الله به من الغيوب وليسوا من علم الغيب في شيء وعن السدي رضي الله عنه قال الكافرون
ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت ولا تحسبن من قرا بالتاء قدر مضافا محذوفا
اي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذلك من قرا بالياء وجعل فاعل يحسبن ضمير رسول الله او
ضمير احد ومن جعل فاعله الذين يبخلون كان المفعول الاول عنده محذوفا تقديره ولا يحسبن الذين يبخلون
بخلهم هو خيرا لهم والذي سوغ حذفه دلالة يبخلون عليه وهو فصل وقرا الاعمش رضي الله عنه بغير
هو سيطوقون تفسير لقوله هو شر لهم اي سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق وفي امثالهم
تقلدها طوق الحمامة اذا جاء بهنة يسب بها ويذم وقيل يجعل ما بخل به من الزكوة حية يطوقها
في عنقه يوم القيامة تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر راسه وتقول انا مالك وعن النبي صلى
الله عليه في مانع الزكوة يطوق بشجاع اقرع وروي بشجاع اسود وعن النخعي سيطوقون
بطوق من نار ولله ميراث السموات والارض اي وله ما فيهما مما يتوارثه اهلهما من مال
وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله ونحوه قوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه
وقرئ بما تعملون بالتاء والياء فالتاء على طريقة الالتفات وهي ابلغ في الوعيد والياء على الظاهر لقد سمع
الله قول الذين قالوا ان الله فقير قال ذلك اليهود حين سمعوا قول الله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فلا
يخلو اما ان يقولوه عن اعتقاد لذلك او عن استهزاء بالقرآن وايهما كان فالكلمة عظيمة لا تصدر الا عن
متمردين في كفرهم ومعنى سماع الله له انه لم يخف عليه وانه اعد له كفاءه من العقاب سنكتب ما
قالوا في صحائف الحفظة او سنحفظه ونثبته في علمنا لا ننساه كما يثبت المكتوب فان قلت كيف قال
لقد سمع الله ثم قال سنكتب وهلا قيل لقد كتبنا قلت ذكر وجود السماع اولا مؤكدا بالقسم ثم
قال سنكتب على جهة الوعيد بمعنى لن يفوتنا ابدا اثباته وتدوينه كما لن يفوتنا قتلهم الانبياء وجعل
قتلهم الانبياء قرينة له ايذانا بانهما في العظم اخوان وبان هذا ليس باول ما ركبوه من العظائم
وانهم اصلاء في الكفر ولهم فيه سوابق وان من قتل الانبياء لم يستبعد منه الاجتراء على
مثل هذا القول وروي ان رسول الله صلى الله عليه كتب مع ابي بكر رضي الله عنه الى يهود بني
قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا

ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد الذين قالوا ان الله عهد الينا الا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيمة فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز

فقال فنحاص اليهودي ان الله فقير حين سالنا القرض فلطمه ابو بكر في وجهه وقال لولا الذي
بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله وجحد ما قاله فنزلت ونحوه
قولهم يد الله مغلولة ونقول لهم ذوقوا وننتقم منهم بان نقول لهم يوم القيمة ذوقوا عذاب
الحريق كما اذقتم المسلمين الغصص يقال للمنتقم منه احس وذق وقال ابو سفيان لحمزة
ذق عقق وقرا حمزة رضي الله عنه سيكتب بالياء على البناء للمفعول ويقول بالياء وقرا الاعرج
والحسن رضي الله عنهما سيكتب بالياء وتسمية الفاعل وقرا ابن مسعود رضي الله عنه ويقال ذوقوا
ذلك بما قدمت ايديكم اشارة الى ما تقدم من عقابهم وذكر الايدي لان اكثر الاعمال يزاول
بهن فجعل كل عمل كالواقع بالايدي على سبيل التغليب فان قلت فلم عطف قوله وان الله ليس
بظلام للعبيد على ما قدمت ايديكم وكيف جعل كونه غير ظلام للعبيد شريكا لاجتراحهم
السيئات في استحقاق التعذيب قلت معنى كونه غير ظلام للعبيد انه عادل عليهم ومن العدل
ان يعاقب المسيء منهم ويثيب المحسن عهد الينا امرنا في التورية واوصانا بان لا نؤمن لرسول
حتى ياتينا بهذه الآية الخاصة وهي ان يرينا قربانا تنزل نار من السماء فتاكله كما كان
انبياء بني اسرائيل تلك آيتهم كان يتقرب بالقربان فيقوم النبي عليه السلم فيدعو فتنزل نار
من السماء فتاكله وهذه دعوى باطلة وافتراء على الله تعالى لان اكل النار القربان لم يجب الايمان للرسول
الاتي به لكونه آية ومعجزة فهو اذا وسائر الآيات سوا فلا يجوز ان يعينه الله من بين الآيات وقد الزمهم
الله تعالى ان انبياءهم جاؤهم بالبينات الكثيرة التي اوجبت عليهم التصديق وجاؤهم ايضا بهذه التي
اقترحوها فلم قتلوهم ان كنتم صادقين في ان الايمان يلزمكم باتيانها وقرئ بقربان بضمتين ونظيره
السلطان فان قلت ما معنى قوله وبالذي قلتم قلت معناه وبمعنى الذي قلتموه من قولكم قربان تاكله النار
ومؤداه كقوله ثم يعودون لما قالوا اي لمعنى ما قالوا والزبر في مصاحف اهل الشام وبالزبر وهي الصحف
والكتاب المنير التورية والانجيل والزبور وهذه تسلية لرسول الله من تكذيب قومه وتكذيب اليهود
قرا اليزيدي ذائقة الموت على الاصل وقرا الاعمش ذائقة الموت بطرح التنوين مع النصب كقوله
ابي الاسود الدؤلي فالفيته غير مستعتب ولا ذاكر الله الا قليلا فان قلت كيف اتصل به قوله وانما
توفون اجوركم قلت اتصاله به على ان كلكم تموتون لا بد لكم من الموت ولا توفون اجوركم على طاعاتكم
ومعاصيكم عقيب موتكم وانما توفونها يوم قيامكم عن القبور فان قلت فهذا يوهم نفي ما يروى ان
القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار قلت كلمة التوفية تزيل هذا الوهم لان المعنى ان
توفية الاجور وتكميلها يكون ذلك اليوم وما يكون قبل ذلك فبعض الاجور الزحزحة التنحية
والابعاد تكرير الزح وهو الجذب بعجلة فقد فاز فقد حصل له الفوز المطلق المتناول لكل
ما يفاز به ولا غاية للفوز وراء النجاة من سخط الله تعالى والعذاب السرمد ونيل رضوان
الله والنعيم المخلد اللهم وفقنا لما ندرك به عندك الفوز في المآب وعن النبي عليه السلام من احب

وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا
وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء
ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا

ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وياتي الى
الناس ما يحب ان يؤتى اليه وهذا شامل للمحافظة على حقوق الله تعالى وحقوق العباد (وما الحيوة
الدنيا الا متاع الغرور) شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه
ثم يتبين له فساده ورداءته والشيطان هو المدلس الغرور وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه انما
هذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب الآخرة بها فانها متاع بلاغ (لتبلون في اموالكم)
خوطب المؤمنون بذلك ليوطنوا انفسهم على احتمال ما سيلقون من الاذى والشدائد والصبر
عليها حتى اذا لقوها لقوها وهم مستعدون لا يرهقهم ما يرهق من تصيبه الشدة
بغتة فينكرها وتشمئز منها نفسه والبلاء في الانفس القتل والاسر والجراح
وما يرد عليها من انواع المخاوف والمصايب وفي الاموال الانفاق في سبل الخير وما يقع فيها
من الآفات وما يسمعون من اهل الكتاب المطاعن في الدين الحنيف وصد من اراد
الايمان وتخطئة من آمن وما كان من كعب بن الاشرف من هجائه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتحريض
المشركين ومن فنحاص ومن بني قريظة والنضير (فان ذلك) فان الصبر والتقوى من عزم
الامور من معزومات الامور اي مما يجب العزم عليه من الامور او مما عزم الله ان يكون يعني
ان ذلك عزمة من عزمات الله لا بد لكم ان تصبروا وتتقوا (واذ اخذ الله) واذكر وقت اخذ الله ميثاق اهل
الكتاب (لتبيننه) الضمير للكتاب اكد عليهم ايجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه كما يؤكد على
الرجل اذا عزم عليه وقيل له بالله لتفعلن (فنبذوه وراء ظهورهم) فنبذوا الميثاق وتاكيده عليهم
يعني لم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل في الطرح وترك الاعتداد ونقيضه
جعله نصب عينيه والقاه بين عينيه وكفى به دليلا على انه ماخوذ على العلماء ان يبينوا الحق
للناس وما علموه وان لا يكتموا منه شيئا لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم
واستجلاب لمسارهم او لجر منفعة وحطام دنيا او لتقية مما لا دليل عليه ولا امارة او لبخل
بالعلم وغيرة ان ينسب اليه غيرهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن اهله الجم
بلجام من نار وعن طاوس انه قال لوهب رضي الله عنهما اني ارى الله سوف يعذبك بهذه
الكتب وقال والله لو كنت نبيا فكتمت العلم كما تكتمه لرايت ان الله سيعذبك وعن محمد بن
كعب رضي الله عنه لا يحل لاحد من العلماء ان يسكت على علمه ولا يحل للجاهل ان يسكت على جهله
حتى يسال وعن علي رضي الله عنه ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا
(وقرئ) لتبيننه ولا يكتمونه بالياء لانهم غيب وبالتاء على حكاية مخاطبتهم كقوله تعالى وقضينا
الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن (لا تحسبن) خطاب لرسول الله واحد المفعولين الذين يفرحون والثاني
بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تاكيد تقديره لا تحسبنهم فلا تحسبنهم فائزين وقرئ لا تحسبن
فلا تحسبنهم بضم الباء على خطاب المؤمنين ولا يحسبن فلا يحسبنهم بالياء وفتح الباء فيهما

ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم ولله ملك السموات والارض والله على كل شيء قدير ان في خلق السموات
والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب

على ان الفعل للرسول عليه السلام وقرا ابو عمرو رضي الله عنه بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان الفعل للذين يفرحون
والمفعول الاول محذوف على لا يحسبنهم الذين يفرحون بمفازة بمعنى لا يحسبن انفسهم الذين يفرحون فائزين
وفلا يحسبنهم تاكيد ومعنى بما اتوا بما فعلوا واتى وجاء يستعملان بمعنى فعل قال الله تعالى انه كان وعده ماتيا
لقد جئت شيئا فريا ويدل عليه قراءة ابي رحمه الله يفرحون بما فعلوا وقرئ آتوا بمعنى اعطوا وعن علي رضي الله عنه بما
اوتوا (بمفازة) بمنجاة من العذاب روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سال اليهود عن شيء مما في التورية فكتموا الحق
واخبروه بخلافه واروه انهم قد صدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا فاطلع الله رسوله على ذلك
وسلاه بما انزل من وعيدهم اي لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عليك ويحبون
ان تحمدهم بما لم يفعلوا من اخبارك بالصدق عما سالتهم عنه ناجين من العذاب ومعنى يفرحون بما
اوتوا بما اوتوا من علم التورية وقيل يفرحون بما فعلوا من كتمان نعت رسول الله ويحبون ان
يحمدوا بما لم يفعلوا من اتباع دين ابرهيم عليه السلام حيث ادعوا ان ابرهيم كان على اليهودية وانهم على دينه وقيل
هم قوم تخلفوا عن الغزو مع رسول الله عليه السلام فلما قفل اعتذروا اليه بانهم راوا المصلحة في التخلف واستحمدوا
اليه بترك الخروج وقيل هم المنافقون يفرحون بما اتوا من اظهار الايمان للمسلمين ومنافقتهم وتوصلهم
بذلك الى اغراضهم ويستحمدون اليهم بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة لابطانهم الكفر ويجوز ان
يكون شاملا لكل من ياتي بحسنة فيفرح بها فرح اعجاب ويحب ان يحمده الناس ويثنوا
عليه بالديانة والزهد بما ليس فيه (ولله ملك السموات والارض) فهو يملك امرهم (وهو على كل شيء قدير)
فهو يقدر على عقابهم (ان في خلق السموات والارض) واختلاف الليل والنهار لايات لادلة واضحة
على الصانع وعظيم قدرته وباهر حكمته لاولي الالباب الذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال
والاعتبار ولا ينظرون اليها نظر البهائم غافلين عما فيها من عجائب الفطر وفي النصائح الصغار املا
عينيك من زينة هذه الكواكب واجلهما في جملة هذه العجائب متفكرا في قدرة مقدرها متدبرا حكمة مدبرها
قبل ان يسافر بك القدر ويحال بينك وبين النظر وعن ابن عمر رضي الله عنه قلت لعائشة رضي الله عنها اخبريني
باعجب ما رايت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت واطالت البكاء ثم قالت كل امره عجب اتاني في ليلتي فدخل في لحافي حتى
الصق جلده بجلدي ثم قال يا عائشة هل لك ان تاذني لي الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله اني لاحب قربك واحب
هواك قد اذنت لك فقام الى قربة من ماء في البيت فتوضا ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي فقرا من القران
وجعل يبكي ثم رفع حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله واثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع يديه فجعل يبكي
حتى رايت دموعه قد بلت الارض فاتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فراه يبكي فقال له يا رسول الله ابتكي وقد
غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ثم قال وما لي لا ابكي وقد انزل
الله علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض ثم قال ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها وروي ويل لمن لاكها بين فكيه
ولم يتامل فيها وعن علي رضي الله عنه كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان في خلق السموات والارض
وحكي ان الرجل من بني اسرائيل كان اذا عبد الله ثلاثين سنة اظلته سحابة فعبدها فتى فلم تظله فقالت

الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار
ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته وما للظالمين من انصار ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان

لامه لعل فيه فطنة فرطت منك في مدتك قال اما اذكر قالت لعلك نظرت مرة الى السما ولم تعتبر قال لعل قالت فما اتيت الا من ذاك يذكرون الله ذكرا دائبا على اي حال كانوا من قيام وقعود واضطجاع لا يخلون بالذكر في اغلب احوالهم وعن ابن عمر وعروة بن الزبير وجماعة رضي الله عنهم انهم خرجوا يوم العيد الى المصلى فجعلوا يذكرون الله فقال بعضهم اما قال الله تعالى يذكرون الله قياما وقعودا فقاموا يذكرون الله على اقدامهم وعن النبي عليه السلام من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله تعالى وقيل معناه يصلون في هذه الاحوال على حسب استطاعتهم قال النبي عليه السلام لعمران بن الحصين صل قايما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومي ايماء وهذه حجة للشافعي في اضجاع المريض على جنبه كما في اللحد وعند ابي حنيفة رضي الله عنه انه يستلقي حتى اذا وجد خفة قعد ومحل على جنوبهم نصب على الحال عطفا على ما قبله كانه قيل قياما وقعودا ومضطجعين ويتفكرون في خلق السموات والارض وما يدل عليه اختراع هذه الاجرام العظام وابداع صنعتها وما دبر فيها مما تكل الافهام عن ادراك بعض عجائبه على عظم شان الصانع عز وجل وكبر سلطانه وعن سفيان الثوري رضي الله عنه انه صلى خلف المقام ركعتين ثم رفع راسه الى السما فلما راى الكواكب غشي عليه وكان يبول الدم من طول حزنه وفكرته وعن النبي عليه السلام بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه فنظر الى النجوم والى السما فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وقال النبي صلى الله عليه لا عبادة كالتفكر وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما تحدث الما للزرع النبات وما جليت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكرة وروي عن النبي عليه السلام لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له في كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله الذي هو عمل القلب لان احدا لا يقدر ان يعمل بجوارحه في اليوم مثل عمل اهل الارض ما خلقت هذا باطلا على ارادة القول اي يقولون ذلك وهو في محل الحال بمعنى يتفكرون قائلين والمعنى ما خلقته خلقا باطلا بغير حكمة بل خلقته لداعي حكمة عظيمة وهو ان تجعلها مساكن للمكلفين وادلة لهم على معرفتك ووجوب طاعتك واجتناب معصيتك ولذلك وصل به قوله فقنا عذاب النار لانه جزا من عصى ولم يطع فان قلت هذا اشارة الى ماذا قلت الى الخلق على ان المراد به المخلوق كانه قيل في مخلوق السموات والارض اي فيما خلق منهما ويجوز ان يكون اشارة الى السموات والارض لانهما في معنى المخلوق كانه قيل ما خلقت هذا المخلوق العجيب باطلا وفي هذا ضرب من التعظيم كقوله ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم ويجوز ان يكون باطلا حالا من هذا وسبحانك اعتراض للتنزيه من العبث وان يخلق شيا بغير حكمة فقد اخزيته فقد ابلغت في اخزايه ونظيره قوله فقد فاز ونحوه في كلامهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك ومن سبق فلانا فقد سبق وما للظالمين اللام اشارة الى من يدخل النار واعلام بان من يدخل النار فلا ناصر له بشفاعة ولا غيرها سمعنا مناديا تقول سمعت رجلا يقول كذا وسمعت زيدا يتكلم فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع لانك وصفته بما يسمع او جعلته

دائب في العمل پيوستكي كردن در كار

يرتع چراگاه

يتفكرون

ان امنوا بربكم فامنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سياتنا وتوفنا مع الابرار ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا
يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم
واوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سياتهم

حالا عنه فاغنيتك عن ذكره ولولا الوصف والحال لم يكن منه بد وان يقال سمعت كلام فلان او قوله فان قلت فاي فائدة في الجمع بين المنادي وينادي قلت ذكر النداء مطلقا ثم مقيدا بالايمان تفخيما لشان المنادي لانه لا منادي اعظم من مناد ينادي للايمان ونحوه قولك مررت بهاد يهدي للاسلام وذلك لان المنادي اذا اطلق ذهب الوهم الى مناد للحرب او لاطفاء النائرة او لاغاثة المكروب او لكفاية بعض النوازل او لبعض المنافع وكذلك الهادي قد يطلق على من يهدي للطريق ويهدي لسداد الراي وغير ذلك فاذا قلت ينادي للايمان ويهدي للاسلام فقد رفعت من شان المنادي والهادي وفخمته ويقال دعاه لكذا والى كذا وندبه له واليه وناداه له واليه ونحوه هداه للطريق واليه وذلك لان معنى انتهاء الغاية ومعنى الاختصاص واقعان جميعا والمنادي هو الرسول ادعو الى الله ادع الى سبيل ربك وعن محمد بن كعب رضي الله عنه القران ان امنوا اي امنوا او بان امنوا ذنوبنا كبايرنا سياتنا صغايرنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم معدودين في جملتهم والابرار جمع بر او بار كرب وارباب وصاحب واصحاب على رسلك على هذه صلة للوعد في قولك وعد الله الجنة على الطاعة والمعنى ما وعدتنا على تصديق رسلك الا تراه كيف اتبع ذكر المنادي للايمان وهو الرسول وقوله امنا وهو التصديق ويجوز ان يكون متعلقا بمحذوف اي ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا على رسلك لان الرسل محملون ذلك فانما عليه ما حمل وقيل على السنة رسلك والموعود هو الثواب وقيل النصرة على الاعدا فان قلت كيف دعوا الله بانجاز ما وعد والله لا يخلف الميعاد قلت معناه طلب التوفيق فيما يحفظ عليهم اسباب انجاز الميعاد او هو باب من اللجا الى الله والخضوع له كما كان الانبيا عليهم السلام يستغفرون مع علمهم انهم مغفور لهم يقصدون بذلك التذلل لربهم والتضرع اليه واللجا الذي هو سيما العبودية فاستجاب لهم يقال استجاب له واستجابه قال وداع دعا يا من يجيب الى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب اني لا اضيع قرى بالفتح على حذف البا وبالكسر على ارادة القول وقرى لا اضيع بالتشديد من ذكر او انثى بيان لعامل بعضكم من بعض اي يجمع ذكوركم واناثكم اصل واحد فكل واحد منكم من الاخر اي من اصله او كانه منه لفرط اتصالكم واتحادكم وقيل المراد وصلة الاسلام وهذه جملة معترضة بينت بها شركة النسا مع الرجال فيما وعد الله عباده العاملين وروي ان ام سلمة رضي الله عنها قالت يا رسول الله اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النسا فنزلت فالذين هاجروا تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له والتفخيم كانه قال فالذين عملوا هذه الاعمال السنية الفائقة وهي المهاجرة عن اوطانهم فارين الى الله بدينهم من دار الفتنة واضطروا الى الخروج من ديارهم التي ولدوا فيها ونشاوا بما سامهم المشركون من الخسف واوذوا في سبيلي من اجله وبسببه يريد سبيل الدين وقاتلوا وقتلوا وغزوا المشركين واستشهدوا وقرى وقتلوا بالتشديد وقتلوا وقاتلوا على التقديم بالتخفيف والتشديد وقتلوا وقتلوا على بنا الاول للفاعل والثاني للمفعول وقتلوا وقاتلوا على بنائهما للفاعل ثوابا في موضع المصدر المؤكد بمعنى اثابة

ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد
متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلا من عند الله
وما عند الله خير للأبرار وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله

أو ثوابا من عند الله لأن قوله لأكفرن عنهم ولأدخلنهم في معنى لأثيبنهم وعنده مثل أي
يختص به وبقدرته وفضله لا يثيبه غيره ولا يقدر عليه كما يقول الرجل عندي ما تريد
يريد اختصاصه به وبملكه وإن لم يكن بحضرته وهذا تعليم من الله كيف يدعى وكيف يبتهل إليه ويتضرع
وتكرير ربنا من باب الابتهال وإعلام بما يوجب حسن الإجابة وحسن الإثابة من احتمال المشاق في دين الله والصبر
على صعوبة تكاليفه وقطع لأطماع الكسالى المتمنين عليه وتسجيل على من لا يرى الثواب موصولا
إليه بالعمل بالجهل والغباوة وروي عن جعفر الصادق رضي الله عنه من حزبه أمر فقال خمس مرات ربنا
أنجاه الله مما يخاف وأعطاه ما أراد وقرأ هذه الآية وعن الحسن رضي الله عنه حكى الله عنهم أنهم قالوا خمس مرات
ربنا ثم أخبر أنه استجاب لهم إلا أنه أتبع ذلك رافع الدعاء وما يستجاب به فلا بد من تقديمه بين يدي
الدعاء لا يغرنك الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد أي لا تنظر إلى ما هم عليه من سعة الرزق والمضطرب
ودرك العاجل وإصابة حظوظ الدنيا ولا تغترر بظاهر ما ترى من تبسطهم في الأرض وتصرفهم في
البلاد يتكسبون ويتجرون ويتدهقنون عن ابن عباس رضي الله عنهما هم أهل مكة وقيل هم اليهود وروي أن
ناسا من المؤمنين كانوا يرون ما كانوا فيه من الخصب والرخاء ولين العيش فيقولون إن أعداء الله فيما
نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فإن قلت كيف جاز أن يغتر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك حتى ينهى
عن الاغترار به قلت فيه وجهان أحدهما أن مدره القوم ومقدمهم يخاطب بشيء فيقوم خطابه مقام خطابهم
جميعا فكأنه قيل لا يغرنكم والثاني أن رسول الله لم يكن مغرورا بحالهم فأكد عليه ما كان عليه وثبت على التزامه
كقوله ولا تكونن من الكافرين فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين فلا تطع المكذبين وهذا
في النهي نظير قوله في الأمر اهدنا الصراط المستقيم يا أيها الذين آمنوا آمنوا وقد جعل النهي في الظاهر للتقلب
وهو في المعنى للمخاطب وهذا من تنزيل السبب منزلة المسبب لأن التقلب لو غره لاغتر به فمنع
السبب ليمتنع المسبب وقرئ لا يغرنك بالنون الخفيفة متاع قليل خبر مبتدأ محذوف أي ذلك
متاع قليل وهو التقلب في البلاد أراد قلته في جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة أو في جنب ما أعد الله للمؤمنين
من الثواب أو أراد أنه قليل في نفسه لانقضائه وكل زائل قليل قال النبي عليه السلام ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما
يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بم يرجع وبئس المهاد وساء ما مهدوا لأنفسهم النزل والنزل
ما يقام للنازل قال أبو الشعر الضبي وكنا إذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات
له نزلا وانتصابه إما على الحال من جنات لتخصصها بالوصف والعامل اللام في لهم أي حاصلة
لهم الجنات ويجوز أن يكون بمعنى مصدر مؤكد كأنه قيل رزقا وعطاء من عند الله وما عند
الله من الكثير الدائم خير للأبرار مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل وقرأ مسلمة بن محارب
والأعمش رضي الله عنهما نزلا بالسكون وقرأ يزيد بن القعقاع رضي الله عنه لكن الذين اتقوا بالتشديد
وإن من أهل الكتاب عن مجاهد رضي الله عنه نزلت في عبد الله بن سلام وغيره من مسلمة أهل الكتاب وقيل
في أربعين من أهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام فأسلموا

لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم
عند ربهم إن الله سريع الحساب يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون
بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا

وقيل في أصحمة النجاشي ملك الحبشة ومعنى أصحمة عطية بالعربية وذلك أنه لما مات نعاه جبريل إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم فخرج إلى البقيع ونظر إلى
الحبشة فأبصر سرير النجاشي وصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا إلى هذا يصلي على علج
نصراني لم يره قط وليس على دينه فنزلت لمن يؤمن لام الابتداء دخلت على اسم إن لفصل الظرف
بينهما كقوله وإن منكم لمن ليبطئن وما أنزل إليكم من القرآن وما أنزل إليهم من الكتابين خاشعين
حال من فاعل يؤمن لأن من يؤمن في معنى الجمع لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعل من لم
يسلم من أحبارهم وكبارهم أولئك لهم أجرهم عند ربهم أي ما يختص بهم من الأجر وهو ما وعدوه في قوله أولئك
يؤتون أجرهم مرتين يؤتكم كفلين من رحمته إن الله سريع الحساب لنفوذ علمه في كل شيء فهو عالم بما يستوجبه
كل عامل من الأجر ويجوز أن يراد إنما توعدون لآت قريب بعد ذكر الموعد اصبروا على الدين وتكاليفه
وصابروا أعداء الله في الجهاد أي غالبوهم في الصبر على شدائد الحرب لا تكونوا أقل صبرا منهم
وثباتا والمصابرة باب من الصبر ذكر بعد الصبر على ما يجب الصبر عليه تخصيصا لشدته وصعوبته
ورابطوا وأقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو قال الله تعالى ومن
رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان
كعدل صيام شهر وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلاته إلا لحاجة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة آل عمران أعطي بكل آية منها أمانا على جسر جهنم وعنه عليه السلام من قرأ السورة
التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس

سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الناس اتقوا ربكم يا أيها الناس يا بني آدم خلقكم من نفس واحدة فرعكم من أصل واحد وهو نفس
آدم أبيكم فإن قلت علام عطف قوله وخلق منها زوجها قلت فيه وجهان أحدهما أن يعطف على محذوف
كأنه قيل من نفس واحدة أنشأها أو ابتدأها وخلق منها زوجها وإنما حذف لدلالة المعنى عليه والمعنى
شعبكم من نفس واحدة هذه صفتها وهي أنه أنشأها من تراب وخلق زوجها حواء من ضلع من أضلاعها
وبث منهما نوعي جنس الإنس وهما الذكور والإناث فوصفها بصفة هي بيان وتفصيل لكيفية خلقكم منها
والثاني أن يعطف على خلقكم ويكون الخطاب في يا أيها الناس للذين بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمعنى خلقكم من نفس آدم لأنهم من جملة الجنس المفرع منه وخلق منها أمكم حواء وبث منهما
رجالا كثيرا ونساء غيركم من الأمم الفائتة للحصر فإن قلت الذي يقتضيه سداد نظم الكلام
وجزالته أن يجاء عقيب الأمر بالتقوى بما يوجبها أو يدعو إليها ويبعث عليها فكيف كان
خلقه إياهم من نفس واحدة على التفصيل الذي ذكره موجبا للتقوى وداعيا إليها قلت لأنه لكما

يدل على القدرة العظيمة ومن قدر على نحوه كان قادرا على كل شيء ومن المقدورات عقاب العصاة
فالنظر فيه يؤدي إلى أن يتقي القادر عليه ويخشى عقابه ولأنه يدل على النعمة السابغة عليهم
فحقهم أن يتقوه في كفرانها والتفريط فيما يلزمهم من القيام بشكرها أو أراد بالتقوى
تقوى خاصة وهي أن يتقوه فيما يتصل بحفظ الحقوق بينهم فلا يقطعوا ما يجب عليهم
وصله فقيل اتقوا ربكم الذي وصل بينكم حيث جعلكم صنوانا مفرعة من أرومة
واحدة فيما يجب على بعضكم لبعض فحافظوا عليه ولا تغفلوا عنه وهذا المعنى مطابق
لمعاني السورة وقرئ وخالق منها زوجها وباث منهما بلفظ اسم الفاعل وهو
خبر مبتدأ محذوف تقديره وهو خالق تسائلون به تتساءلون به فأدغمت التاء
في السين وقرئ تساءلون بطرح التاء الثانية أي يسأل بعضكم بعضا بالله وبالرحم فيقول
بالله وبالرحم افعل كذا على سبيل الاستعطاف وأناشدك الله والرحم أو تسألون غيركم
بالله والرحم فقيل تفاعلون موضع تفعلون للجمع كقولك رأيت الهلال وتراءيناه
وتنصره قراءة من قرأ تسألون به مهموزا وغير مهموز وقرئ والأرحام بالحركات الثلاث
فالنصب على وجهين إما على واتقوا الله والأرحام أو أن تعطف على محل الجار والمجرور
كقولك مررت بزيد وعمرا وتنصره قراءة ابن مسعود تساءلون به وبالأرحام والجر على عطف
الظاهر على المضمر وليس بسديد لأن الضمير المتصل متصل كاسمه والجار والمجرور
كشيء واحد فكانا في قولك مررت به وزيد وهذا غلامه وزيد شديدي الاتصال فلما اشتد
الاتصال لتكرره أشبه العطف على بعض الكلمة فلم يجز ووجب تكرير العامل كقولك مررت به
وبزيد وهذا غلامه وغلام زيد ألا ترى إلى صحة قولك رأيتك وزيدا ومررت بزيد وعمرو لما
لم يقو الاتصال لأنه لم يتكرر وقد تمحل لصحة هذه القراءة بأنها على تقدير تكرير الجار ونظيرها
قول الشاعر فما بك والأيام من عجب والرفع على أنه مبتدأ خبره محذوف كأنه قيل
والأرحام كذلك على معنى والأرحام مما يتقى أو والأرحام مما يتساءل به والمعنى أنهم كانوا
يقرون بأن لهم خالقا وكانوا يتساءلون بذكر الله والرحم فقيل لهم اتقوا الذي خلقكم واتقوا الذي
تتناشدون به والأرحام فلا تقطعوها أو واتقوا الله الذي تتعاطفون بإذكاره وبإذكار
الرحم وقد آذن عز وعلا إذ قرن الأرحام باسمه أن صلتها منه بمكان كما قال ألا
تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا وعن الحسن إذا سألك بالله فأعطه وإذا سألك بالرحم
فأعطه وللرحم حجنة عند العرش ومعناه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه الرحم معلقة
بالعرش فإذا أتاها الواصل بشت به وكلمته وإذا أتاها القاطع احتجبت منه وسئل
ابن عيينة عن قوله عليه السلام تخيروا لنطفكم فقال يقول لأولادكم وذلك أن يضع ولده في الحلال ألم تسمع
قوله واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام وأول صلتها أن يختار له الموضع الحلال فلا يقطع رحمه

ولا نسبة فإنما للعاهر الحجر ثم يختار الصحة ويجتنب الدعوة ولا يضعه موضع سوء
يتتبع شهوته وهواه بغير هدى من الله زائد إنما يحسن أن يكون الخطاب بقوله يا أيها الناس على الوجه
الثاني الذين بعث إليهم لأن قوله بث إذا يكون معطوفا على خلقكم والمعطوف غير المعطوف عليه
فيحسن أن يكون المراد بقوله بث منهما رجالا كثيرا ونساء غير المراد بقوله خلقكم من نفس واحدة
وأما على الوجه الأول فقوله بث يكون معطوفا على أنشأها المحذوف فيجوز أن يكون الخطاب متناولا
عامة الناس ويجوز أن يخص الذين بعث إليهم وإنما جاز تناول الخطاب عامة الناس على سبيل
التغليب ومن قال المراد بقوله يا أيها الناس المؤمنون كان من حجته أن الأوامر التي تتلوها
موجهة إلى المؤمنين وأما قراءة من قرأ وخالق وباث فإنما أعمل اسم الفاعل وهو
بمعنى المضي حكاية لما كان مستقبلا في ذلك الوقت كقوله والله مخرج ما كنتم تكتمون
حكى ما كان مستقبلا في وقت التدارؤ ونظيره قوله تعالى خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها
زوجها إنما كان متراخيا جعل زوجها منه من معنى الوحدة لا من معنى خلقكم منها زائد روي
عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه كان يعلمنا خطبة النكاح وخطبة الحاجة
كما يعلمنا سورة من القرآن فيقول الحمد لله نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه ونعوذ
بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ولن
تجد له نصيرا ثم يقرأ ثلاث آيات من القرآن قوله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا
إلى قوله فقد فاز فوزا عظيما وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا
وأنتم مسلمون وقوله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم إلى قوله كان عليكم رقيبا ثم سأل حاجته
الآية خطاب متناول للناس عامة الكافر والمؤمن لأن التقوى من الكفر واجب على الكفار
لأن التقوى من الكفر واجب على الكفار والتقوى من المعاصي واجب على المؤمنين فلا تخصيص
فيه في حق جميع العقلاء وأنث واحدة لتأنيث النفس وإن لم يكن في معناه تأنيث لأن المراد به آدم
عليه السلام جاء في التفسير أنه خلق حواء من ضلع آدم وهو بين النائم واليقظان فإنه لو كان نائما لم
يعلم أنها منه ولم يكن عليها شفقة ولو كان يقظان لتألم بذلك فتنفر نفسه
عنها فلذلك خلقها منه على هذه الحالة اهتماما للمصلحة وقوله وبث منهما رجالا
كثيرا ونساء أي فرق منهما تقول بثه فهو مبثوث وأبثه واللغة الأولى أولى
وبه نطق القرآن قوله عز وجل كالفراش المبثوث قوله واتقوا الله الذي تساءلون به إنما
كرر الأمر بالتقوى تنبيها على أنكم بعد ما خلقكم الله غير مستغنين عنه وعن تقواه لأن
حاجتكم إليه لازمة لكم في جميع أحوالكم وأما قراءة حمزة بجر الأرحام عطفا على الهاء
فيه فمثله في الشعر تعلق في مثل السواري سيوفنا وما بينها والكعب غوط نفانف
ولكنه في غير ضرورة الشعر خطأ لا يجوز أن تقول مررت بك وزيد إلا بإعادة الجار نحو

وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا

مررت بك وبزيد. ذكر المازني أن العلة فيه أن المعطوف والمعطوف عليه شريكان فإذا كان عطف أحدهما على الآخر جاز عطف الآخر عليه كما في الاسمين الظاهرين فلا يجوز بك وزيد كما لا يجوز بزيد وبك. ألا ترى أنه لما جاز بك مررت وبزيد جاز مررت بزيد وبك. وكذلك يمتنع هذه القراءة من جهة الشرع لأنا نهينا عن الحلف بما دون الله تعالى وقوله عليه السلام لا تحلفوا بآبائكم وعنه عليه السلام من كان حالفا فليحلف بالله وإلا فليذر. وإذا لم يجز الحلف بالأرحام فلا يجوز أن يقرره الله على ذكر منته علينا. وقيل كان عليكم رقيبا أي إن الله منذ خلقكم رقيبا عليكم أي حافظا لأحوالكم عالما بكم. يقول رقب يرقب رقوبا والاسم منه الرقيب وجمعه الرقباء.

وآتوا اليتامى أموالهم اليتامى الذين ماتت آباؤهم فانفردوا عنهم واليتم الانفراد ومنه الرملة اليتيمة والدرة اليتيمة. وقيل اليتم في الأناسي من قبل الآباء وفي البهائم من قبل الأمهات. فإن قلت كيف جمع اليتيم وهو فعيل كمريض على يتامى. قلت فيه وجهان أن يجمع على يتمى كأسرى لأن اليتم من وادي الآفات والأوجاع ثم يجمع فعلى على فعالى كأسارى. ويجوز أن يجمع على فعائل لجري اليتيم مجرى الأسماء نحو صاحب وفارس فيقال يتائم ثم يتامى على القلب. وحق هذا الاسم أن يقع على الصغار والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الآباء إلا أنه قد غلب على أن يسموا به قبل أن يبلغوا مبلغ الرجال فإذا استغنوا بأنفسهم عن كافل وقائم عليهم وانتصبوا كفاة يكفلون غيرهم ويقومون عليهم زال عنهم هذا الاسم. وكانت قريش تقول لرسول الله يتيم أبي طالب إما على القياس وإما حكاية للحال التي كان عليها صغيرا ناشئا في حجر عمه توضيعا له. وأما قوله عليه السلام لا يتم بعد الحلم فما هو إلا تعليم شريعة لا لغة يعني أنه إذا احتلم لم تجر عليه أحكام الصغار. فإن قلت فما معنى قوله وآتوا اليتامى أموالهم. قلت إما أن يراد باليتامى الصغار وبإتيانهم الأموال أن لا يطمع فيها الأولياء والأوصياء وولاة السوء وقضاته ويكفوا عنها أيديهم الخاطفة حتى تأتي اليتامى إذا بلغوا سالمة غير محذوفة. وإما أن يراد الكبار تسمية لهم يتامى على القياس أو لقرب عهدهم إذا بلغوا بالصغر كما تسمى الناقة عشراء بعد وضعها على أن فيه إشارة إلى أن لا يؤخر دفع أموالهم إليهم عن حد البلوغ ولا يمطلوا إن أونس منهم الرشد وأن يؤتوها قبل أن يزول عنهم اسم اليتامى والصغار. وقيل هي في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم فلما بلغ طلب المال فمنعه عمه فترافعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت فلما سمعها العم قال أطعنا الله وأطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع ماله إليه. فقال النبي عليه السلام ومن يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فإنه يحل داره يعني جنته. فلما قبض الفتى ماله أنفقه في سبيل الله فقال النبي عليه السلام ثبت الأجر وبقي الوزر. فقالوا يا رسول الله قد عرفنا أنه ثبت الأجر فكيف بقي الوزر وهو ينفق في سبيل الله فقال ثبت

وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء

أجر الغلام وبقي الوزر على والده. ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم وما أبيح لكم من المكاسب ورزق الله المبثوث في الأرض فتأكلوه مكانه. أو لا تستبدلوا الأمر الخبيث وهو اختزالكم أموال اليتامى بالأمر الطيب وهو حفظها والتورع منها. والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز منه التعجل بمعنى الاستعجال والتأخر بمعنى الاستئخار. قال ذو الرمة:

فيا كرم السكن الذين تحملوا ... عن الدار والمستخلف المتبدل

أراد ويا لؤم ما استخلفته الدار واستبدلته. وقيل هو أن يعطي رديئا ويأخذ جيدا. وعن السدي أن يجعل شاة مهزولة مكان سمينة من مال الصبي. وهذا ليس بتبدل إنما هو تبديل إلا أن يكارم صديقا له فيأخذ منه عجفاء مكان سمينة من مال الصبي. ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم ولا تنفقوها معها وحقيقته ولا تضموها إليها في الإنفاق حتى لا تفرقوا بين أموالكم وأموالهم قلة مبالاة بما لا يحل لكم وتسوية بينه وبين الحلال. فإن قلت قد حرم عليهم أكل مال اليتامى وحده ومع أموالهم فلم ورد النهي عن أكله معها. قلت لأنهم إذا كانوا مستغنين عن أموال اليتامى بما رزقهم الله من مال حلال وهم على ذلك يطمعون فيها كان القبح أبلغ والذم أحق ولأنهم كانوا يفعلون كذلك فنعى عليهم فعلهم وسمع بهم ليكون أزجر لهم. والحوب الذنب العظيم ومنه قوله عليه السلام إن طلاق أم أيوب لحوب فكأنه قيل إنه كان ذنبا عظيما كبيرا. وقرأ الحسن حوبا وهو مصدر حاب حوبا. وقرئ حابا ونظير الحوب والحاب القول والقال والطرد والطراد. ولما نزلت الآية في اليتامى وما في أكل أموالهم من الحوب الكبير خاف الأولياء أن يلحقهم الحوب بترك الإقساط في حقوق اليتامى وأخذوا يتحرجون من ولايتهم. وكان الرجل منهم ربما كانت تحته العشر من الأزواج والثمان والست فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهن فقيل لهم إن خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا أيضا ترك العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات لأن من تحرج من ذنب أو تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متحرج ولا تائب لأنه إنما وجب أن يتحرج من الذنب ويتاب عنه لقبحه والقبح قائم في كل ذنب. وقيل كانوا لا يتحرجون من الزنا وهم يتحرجون من ولاية اليتامى فقيل إن خفتم الحوب في حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات. وقيل كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال أو يكون وليها فيتزوجها ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن فيخاف لضعفهن وفقد من يغضب لهن أن يظلمهن حقوقهن ويفرط فيما يجب لهن فقيل لهم إن خفتم أن لا تقسطوا في يتامى النساء فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم. ويقال للإناث اليتامى كما يقال للذكور وهو جمع يتيمة على القلب كما قيل أيامى والأصل أيايم ويتايم. وقرأ النخعي أن لا تقسطوا بفتح التاء على أن لا مزيدة مثلها في لئلا يعلم. يريد وإن خفتم أن تجوروا. ما طاب لكم ما حل لكم من النساء لأن منهن ما حرم كاللاتي في آية التحريم. وقيل ما ذهابا إلى الصفة ولأن الإناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء ومنه قوله تعالى أو ما ملكت

اسمائكم **مثنى وثلاث ورباع** معدولة عن اعداد مكررة وانما منعت الصرف لما فيها من العدلين عدلها
عن صيغها وعدلها عن تكررها وهي نكرات تعرف بلام التعريف تقول فلان ينكح المثنى
والثلاث والرباع ومحلهن النصب على الحال مما طاب تقديره فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد
ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا **فان قلت** الذي اطلق للناكح في الجمع ان يجمع بين ثنتين او ثلاث او اربع فما معنى
التكرير في مثنى وثلاث ورباع **قلت** الخطاب للجميع فوجب التكرير ليصيب كل ناكح يريد الجمع ما اراد
من العدد الذي اطلق له كما تقول للجماعة اقتسموا هذا المال وهو الف درهم درهمين درهمين
وثلاثة ثلاثة واربعة اربعة ولو افردت لم يكن له معنى **فان قلت** فلم جاء العطف بالواو دون او **قلت**
كما جاء بالواو في المثال الذي حذوته لك ولو ذهبت تقول اقتسموا هذا المال درهمين درهمين او
ثلاثة ثلاثة او اربعة اربعة اعلمت انه لا يسوغ لهم ان يقتسموه الا على احد انواع هذه القسمة وليس
لهم ان يجمعوا بينها فيجعلوا بعض القسم على تثنية وبعضه على تثليث وبعضه على تربيع
وذهب معنى تجويز الجمع بين انواع القسمة الذي دلت عليه الواو وتحريره ان الواو دلت
على اطلاق ان ياخذ الناكحون من ارادوا نكاحها من النساء على طريق الجمع ان شاؤوا مختلفين
في تلك الاعداد وان شاؤوا متفقين فيها محظورا عليهم ما وراء ذلك وقرا ابراهيم وثلث
وربع على القصر من ثلاث ورباع فان خفتم ان لا تعدلوا بين هذه الاعداد كما خفتم ترك
العدل فيما فوقها فواحدة فالزموا او فاختاروا واحدة وذروا الجمع راسا فان الامر
كله يدور مع العدل فاينما وجدتم العدل فعليكم به **وقرئ** فواحدة بالرفع على فالمقنع واحدة
او فكفت واحدة او فحسبكم واحدة او ما ملكت ايمانكم سوى في السهولة واليسر بين الحرة الواحدة
وبين الاماء من غير حصر ولا توقيت عدد ولعمري انهن اقل تبعة واقصر شغبا واخف
مؤونة من المهائر لا عليك اكثرت منهن ام اقللت عدلت بينهن في القسم ام لم تعدل وقرا ابن
ابي عبلة من ملكت **ذلك** اشارة الى اختيار الواحدة والتسري **ادنى ان لا تعولوا** اقرب من ان لا
تميلوا من قولهم عال الميزان عولا اذا مال وميزان فلان عائل وعال الحاكم في حكمه اذا جار
وروي ان اعرابيا حكم عليه حاكم فقال له اتعول علي وقد روت عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا
تعولوا ان لا تجوروا والذي يحكى عن الشافعي رحمه الله انه فسر ان لا تعولوا ان لا يكثر عيالكم
فوجهه ان يجعل من قولك عال الرجل عياله يعولهم كقولك مانهم يمونهم اذا انفق عليهم
لان من كثر عياله لزمه ان يعولهم وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب
الحلال والرزق الطيب وكلام مثله من اعلام العلم وائمة الشرع ورؤوس المجتهدين حقيق
بالحمل على الصحة والسداد وان لا يظن به تحريف تعيلوا الى تعولوا فقد روي عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه لا تظنن بكلمة خرجت من اخيك سوءا وانت تجد لها في الخير محملا وكفى
بكتابنا المترجم بكتاب شافي العي من كلام الشافعي شاهدا بانه كان اعلى كعبا واطول باعا

وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا

في كلام العرب من ان يخفى عليه مثل هذا ولكن للعلماء طرقا واساليب فسلك في تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات
فان قلت كيف يقل عيال من تسرى وفي السراري نحو ما في المهائر **قلت** ليس كذلك لان الغرض بالتزوج
التوالد والتناسل بخلاف التسري ولذلك جاز العزل عن السراري بغير اذنهن فكان التسري مظنة
لقلة الولد بالاضافة الى التزوج كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج الاربع وقرا طاوس ان لا تعيلوا من
اعال الرجل اذا كثر عياله وهذه القراءة تعضد تفسير الشافعي رحمه الله من حيث المعنى الذي قصده **صدقاتهن**
مهورهن وفي حديث شريح قضى ابن عباس لها بالصدقة وقرئ صدقاتهن بفتح الصاد وسكون
الدال على تخفيف صدقاتهن وصدقاتهن بضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة بوزن غرفة
وقرئ صدقتهن بضم الصاد والدال على التوحيد وهو تثقيل صدقة كقولك في ظلمة ظلمة **نحلة** من نحله
كذا اذا اعطاه اياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا ومنه حديث ابي بكر رضي الله عنه اني كنت
نحلتك جداد عشرين وسقا بالعالية وانتصابها على المصدر لان النحلة والايتاء بمعنى الاعطاء
فكانه قيل وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة اي اعطوهن مهورهن عن طيبة انفسكم او على الحال من
المخاطبين اي آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالاعطاء او من الصدقات اي منحولة معطاة
عن طيبة الانفس وقيل نحلة من الله عطية من عنده وتفضلا منه عليهن وقيل النحلة الملة ونحلة
الاسلام خير النحل وفلان ينتحل كذا اي يدين به والمعنى آتوهن مهورهن ديانة على انها مفعول لها
ويجوز ان يكون حالا من الصدقات اي دينا من الله شرعة وفرضة والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم
كانوا ياخذون مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيئا لك النافجة لمن تولد له بنت يعنون تاخذ مهرها
فتنفج به مالك اي تعظمه **منه** الضمير في منه جار مجرى اسم الاشارة كانه قيل عن شيء من ذلك كما قال الله
قل اؤنبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات ومن الحجج المسموعة من افواه العرب ما روي عن رؤبة انه قيل
له في قوله كانه في الجلد توليع البهق فقال اردت كان ذاك او يرجع الى ما هو في معنى الصدقات وهو
الصداق لانك لو قلت وآتوا النساء صداقهن لم تخل بالمعنى فهو نحو قوله فاصدق واكن من الصالحين
كانه قيل اصدق **ونفسا** تمييز وتوحيدها لان الغرض بيان الجنس والواحد يدل عليه والمعنى فان وهبن
لكم شيئا من الصداق وتجافت عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن الى الهبة من شكاسة
اخلاقكم وسوء معاشرتكم **فكلوه** فانفقوه قالوا فان وهبت ثم طلبت منه بعد الهبة علم انها لم تطب عنه نفسا
وعن الشعبي ان رجلا اتى مع امراته شريحا في عطية اعطتها اياه وهي تطلب ان ترجع فقال شريح رد
عليها فقال الرجل اليس قد قال الله تعالى فان طبن لكم قال لو طابت نفسها عنه لما رجعت فيه وعنه اقيلها
فيما وهبت ولا اقيله لانهن يخدعن وحكي ان رجلا من آل ابي معيط اعطته امراته الف دينار
صداقا كان لها عليه فلبث شهرا ثم طلقها فخاصمته الى عبد الملك بن مروان فقال الرجل اعطتني طيبة بها
نفسها فقال عبد الملك فاين الآية التي بعدها فلا تاخذوا منه شيئا اردد عليها وعن عمر انه كتب الى
قضاته ان النساء يعطين رغبة ورهبة فايما امراة اعطت ثم ارادت ان ترجع فذلك لها

وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية فقال اذا جادت لزوجها بالعطية طايعة غير مكرهة
لا يقضى به عليكم سلطان ولا يواخذكم الله به في الآخرة وروي ان ناسا كانوا يتأثمون ان يرجع احدهم في شيء مما ساق
الى امرأته فقال الله تعالى ان طابت نفس واحدة من غير اكراه ولا خديعة فكلوه سايغا هنيئا وفي الآية دليل على
ضيق المسلك في ذلك ووجوب الاحتياط حيث بنى الشرط على طيب النفس فقيل ان طبن ولم يقل فان وهبن او
سمحن اعلاما بان المراعى هو تجافي نفسها عن الموهوب طيبة وقيل فان طبن لكم عن شيء منه ولم يقل فان طبن
لكم عنه بعثا لهن على تقليل الموهوب وعن الليث بن سعد لا يجوز تبرعها الا باليسير وعن الاوزاعي لا
يجوز تبرعها ما لم تلد او تقم في بيت زوجها سنة ويجوز ان يكون تذكير الضمير لينصرف الى الصداق الواحد
فيكون متناولا بعضه ولو انث لتناول ظاهره هبة الصداق كله لان بعض الصدقات واحدة منها فصاعدا
الهنيء والمريء صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سايغا لا تنغيص فيه وقيل الهنيء ما يلذه الآكل
والمريء ما يحمد عاقبته وقيل هو ما ينساغ في مجراه وقيل لمدخل الطعام من الحلقوم الى فم المعدة المريء
لمروء الطعام فيه وهو انسياغه وهما وصف للمصدر اي اكلا هنيئا مريئا او حال من الضمير اي كلوه وهو
هنيء مريء وقد يوقف على فكلوه ويبتدأ هنيئا مريئا على الدعاء وعلى انهما صفتان اقيمتا مقام المصدرين
كانه قيل هنأ مرأ وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة في الاباحة وازالة التبعة وايد اصل كلمة
اليتم الانفراد ويقال للدرة اليتيمة كما يقال لها الفريدة ومنه في سيره يتم اي ابطاء لان المبطئ ينفرد
عن اصحابه وسمي الحيوان خصوصه بالانفراد عن الحرث من حيث اللغة لا يقال للمنفرد عن الاخ او
الزوج يتيم ولذلك ما كان اليتم في الاناسي من قبل الآباء وفي البهايم من قبل الامهات ثم ان الكبير لما استغنى
عن المربي وقام مربيا لغيره كان خروجه عن اسم اليتيم من حيث اللغة الا ان الحد الفاصل بين الصغير
والكبير هو ما ورد به الشرع قوله لا يتم بعد الحلم واما الحديث تقبض الرجل على لحيته وهو يتيم اي
ضعيف الراي اطلق عليه اسم اليتيم لاحتياجه الى مرب على كبره جريا على حكم اللغة قوله في مثنى
وثلاث ورباع انما منعت الصرف لما فيهما من العدلين الصحيح وهو ما عليه الاكثرون ان السببين فيهما
العدل والوصفية لان فيهما عدلا واحدا عدل مثنى عن اثنين اثنين دفعة واحدة ليس الوجه ان اثنين اثنين
عدل الى اثنين ثم عدل اثنان الى مثنى لان اثنين مفردا لا يكاد يكون بمعنى اثنين اثنين وكذا ان يقال ان اثنين
اثنين عدل الى مثنى على التكرير ثم عدل عن التكرير فقيل مثنى مرة واحدة بل الوجه فيه ان يقال
ان اثنين اثنين هكذا مكررا عدل الى مثنى وهذا عدل واحد وقوله فلان ينكح المثنى والثلاث والرباع
بخلاف ما نقل عنهم ذكر ... انهما لا تكون الا تابعة لا تقول جاءني مثنى ولا رأيت ثلاث كما لا تقول جاءني اثنان
اثنان ولا رأيت ثلاثة ثلاثة وانما يكون خبر مبتدا او صفة موصوف وحالا لذي حال تقول القوم مثنى واولي
اجنحة مثنى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وقال ... اولي اجنحة مثنى اما الوصفية فلا تغتر والحال
فيهما بين المعدول والمعدول عنها الا ترى انك تقول مررت بنسوة اربع وبرجال ثلاثة فلا يعرج عليها
والجواب عن هذا الزايد ان الحالة الوصفية تفرق بينهما وذلك ان اسماء العدد في الاصل اسماء للمقادير

١٠٨

ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا وابتلوا
اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منه رشدا فادفعوا اليهم اموالهم

وانما يوصف بها على ضرب من التأويل فقولك مررت بنسوة اربع نظيره قولك عندي خل راقود
والتأويل فيهما مقدار بذلك المقدار ولذلك انصرف اربع ولم تعتبر الوصفية فيهما اصلا مع زنة
الفعل واما المعدولة فهي عريقة في الوصفية من احمر وسكران الا انهما لانك تقول جاءني الاحمر ورايت
السكران من غير ان تجري بهما تبعا على شيء ولا تقول جاءني المثنى ولا تاتي الا جارية على شيء تابعة
له السفهاء المبذرون اموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينبغي ولا يدي لهم باصلاحها وتثميرها
والتصرف فيها والخطاب للاولياء واضاف الاموال اليهم لانها من جنس ما يقيم به الناس
معايشهم كما قال ولا تقتلوا انفسكم فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات والدليل على انه خطاب
للاولياء في اموال اليتامى قوله وارزقوهم فيها واكسوهم جعل الله لكم قياما اي تقومون بها وتنتعشون
ولو ضيعتموها لضعتم فكانها في انفسها قيامكم وانتعاشكم وقرئ قيما بمعنى قياما كما جاء عوذا
بمعنى عياذا وقرأ عبد الله بن عمر رضي الله عنه قواما بالواو وقوام الشيء ما يقام به كقولك هو ملاك الامر
لما يملك به وكان السلف رحمهم الله يقولون المال سلاح المؤمن ولان اترك ما لا يحاسبني
الله عليه خير من ان احتاج الى الناس وعن سفيان رحمه الله وكانت له بضاعة يقلبها لولاها لتمندل
بي بنو العباس وعن غيره وقيل له انها تدنيك من الدنيا لئن ادنتني من الدنيا لقد صانتني
عنها وكانوا يقولون اتجروا واكتسبوا فانكم في زمان اذا احتاج احدكم كان اول ما ياكل دينه وربما
راى رجلا في جنازة فقالوا له اذهب الى دكانك وارزقوهم فيها واجعلوها مكانا لرزقهم
بان تتجروا فيها وتتربحوا حتى تكون نفقتهم من الارباح لا من صلب المال فلا ياكلها الا
الانفاق وقيل هو امر لكل احد ان لا يخرج ماله الى احد من السفهاء قريب او اجنبي رجل او امراة
يعلم انه يضعه فيما لا ينبغي ويفسده قولا معروفا قال ابن جريج عدة جميلة ان صلحتم
ورشدتم سلمنا اليكم اموالكم وعن عطاء رضي الله عنه اذا ربحت اعطيتك وان غنمت في غزاتي
جعلت لك حظا وقيل ان لم يكن ممن وجبت عليك نفقته فقل عافانا الله واياك بارك الله فيك
وكل ما سكنت اليه النفس واحبته لحسنه عقلا او شرعا من قول او عمل فهو معروف وما
انكرته ونفرت منه لقبحه فهو منكر وابتلوا اليتامى واختبروا عقولهم وذوقوا احوالهم ومعرفتهم
بالتصرف قبل البلوغ حتى اذا تبينتم منهم رشدا اي هداية دفعتم اليهم اموالهم من غير تاخير
عن حد البلوغ وبلوغ النكاح ان يحتلم لانه يصلح للنكاح عنده ولطلب ما هو مقصود به وهو
التوالد والايناس الاستيضاح فاستعير للتبين واختلف في الابتلاء والايناس فالابتلاء عند ابي حنيفة
واصحابه رحمهم الله ان يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى تستبين حاله فيما يجيء منه والرشد التهدي الى وجوه التصرف
وعن ابن عباس رضي الله عنه الصلاح في العقل والحفظ للمال وعند مالك والشافعي رحمهما الله الابتلاء ان تتبع
احواله وتصرفه في الاخذ والاعطاء ويتبصر مخايله وميله الى الدين والرشد الصلاح في الدين لان
الفسق مفسدة للمال فان قلت فان لم يونس منه رشد الى حد البلوغ قلت عند ابي حنيفة رضي الله عنه ينتظر الى خمس وعشرين سنة

ولا تأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم

لازمة بلوغ الذكر عنده بالسن ثماني عشرة سنة فاذا زادت عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير احوال
الانسان لقوله عليه السلام مروهم بالصلوة لسبع دفع اليه ماله اونس منه رشدا او لم يونس وعند اصحابه رحمهم الله لا
تدفع اليه ابدا الا بايناس الرشد فان قيل ما معنى تنكير الرشد قلت معناه نوعا من الرشد وهو الرشد
في التصرف والتجارة او طرفا من الرشد ومخيلة من مخايله حتى لا ينتظر به تمام الرشد فان قيل كيف نظم
هذا الكلام قلت ما بعد حتى الى فادفعوا اليهم اموالهم جعل غاية للابتلاء وهي حتى التي تقع بعدها
الجمل كالتي في قوله فما زالت القتلى تمج دماءها بدجلة حتى ماء دجلة اشكل والجملة الواقعة
بعدها جملة شرطية لان اذا متضمنة معنى الشرط وفعل الشرط بلغوا النكاح وقوله فان آنستم
منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم جملة من شرط وجزاء واقعة جوابا للشرط الاول الذي هو اذا بلغوا
النكاح وكأنه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم فاستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد
منهم وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه فان احستم بمعنى احسستم قال خلا ان العتاق من المطايا
احسن به فهن اليه شوس وقرئ رشدا بفتحتين ورشدا بضمتين اسرافا وبدارا مسرفين ومبادرين
كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون في انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي
قبل ان يكبر اليتامى فينتزعوها من ايدينا ومن كان غنيا ثم قسم الامر بين ان يكون الوصي غنيا
وبين ان يكون فقيرا فالغني يستعفف من اكلها ولا يطمع ويقتنع بما رزقه الله من الغنى اشفاقا على اليتيم
وابقاء على ماله والفقير يأكل قوتا مقدرا محتاطا في تقديره على وجه الاجرة او استقراضا على ما في ذلك
من الاختلاف ولفظ الاكل بالمعروف والاستعفاف مما يدل على ان للوصي حقا لقيامه عليها وعن
النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له ان في حجري يتيما افآكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا
ولا واق مالك بماله فقال افاضربه قال مما كنت ضاربا منه ولدك وعن ابن عباس رضي الله عنه ان ولي
اليتيم قال له افاشرب من لبن ابله قال ان كنت تبغي ضالتها وتلوط حوضها وتهنأ جرباها
وتسقيها يوم وردها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب وعنه يضرب
بيده مع ايديهم فليأكل بالمعروف ولا يلبس عمامة فما فوقها وعن ابراهيم لا يلبس الكتان
والحلل ولكن ما سد الجوعة ووارى العورة وعن محمد بن كعب يتقرم تقرم البهيمة وينزل نفسه
منزلة الاجير فيما لا بد منه وعن الشعبي يأكل من ماله بقدر ما يعين فيه وعنه كالميتة يتناول
عند الضرورة ويقضي وعن مجاهد يستسلف فاذا ايسر ادى وعن سعيد بن جبير ان شاء
شرب فضل اللبن وركب الظهر ولبس ما يستره من الثياب واخذ القوت ولا يجاوزه فان ايسر قضاه وان
اعسر فهو في حل وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعن المذكورين من الرحمة اني انزلت نفسي من مال الله
منزلة والي اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف واذا ايسرت قضيت واستعف
ابلغ من عف كأنه طالب زيادة العفة فاشهدوا عليهم بانهم تسلموها وقبضوها وبرئت عنها ذممكم
وذلك ابعد من التخاصم والتجاحد وادخل في الامانة وبراءة الساحة الا ترى انه اذا لم يشهد فادعى

وكفى بالله حسيبا للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر
نصيبا مفروضا واذا حضر القسمة اولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا وليخش الذين لو تركوا من خلفهم
ذرية ضعافا خافوا عليهم

عليه القول مع اليمين عند ابي حنيفة واصحابه رضي الله عنهم وعند مالك والشافعي رضي الله عنهما لا يصدق الا بالبينة
فكان في الاشهاد الاستحراز من توجه الحلف المفضي الى التهمة او من وجوب الضمان اذا لم يقم البينة
وكفى بالله حسيبا اي كافيا في الشهادة عليكم بالدفع والقبض او محاسبا فعليكم بالتصادق واياكم والتكاذب
للرجال نصيب الاية الاقربون هم المتوارثون من ذوي القرابات دون غيرهم مما قل منه او كثر بدل مما
ترك بتكرير العامل نصيبا مفروضا نصب على الاختصاص بمعنى اعني نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا
لا بد لهم من ان يحوزوه ولا يستأثر به ويجوز ان ينتصب انتصاب المصدر المؤكد كقوله فريضة
من الله كأنه قيل قسمة مفروضة روي ان اوس بن الصامت الانصاري ترك امرأته ام كجة وثلاث
بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن وكان اهل الجاهلية
لا يورثون النساء والاطفال ويقولون لا يرث الا من طاعن بالرماح وذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة
فجاءت ام كجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث
الله تعالى فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين
فنزلت يوصيكم الله فاعطى ام كجة الثمن والبنات الثلثين والباقي لابني العم واذا حضر القسمة اي
قسمة التركة اولو القربى ممن لا يرث فارزقوهم منه الضمير لما ترك الوالدان والاقربون وهو امر
على الندب قال الحسن رضي الله عنه كان المؤمنون يفعلون ذلك اذا اجتمعت الورثة حضرهم هؤلاء
فرضخوا لهم بالشيء من رثة المتاع فحضهم الله تعالى على ذلك تأديبا من غير ان يكون فريضة قالوا
ولو كان فريضة لضرب له حد ومقدار كما لغيره من الحقوق وروي ان عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي
بكر رضي الله عنهم قسم ميراث ابيه وعائشة رضي الله عنها حية فلم يدع في الدار احدا الا اعطاه وتلا هذه الاية
وقيل هو على الوجوب وقيل هو منسوخ باية المواريث كالوصية وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه ان ناسا يقولون
نسخت والله ما نسخت ولكنها مما تهاون به الناس وقولوا لهم قولا معروفا وهو ان تلطفوا لهم القول
ويقولوا خذوا بارك الله عليكم ويعتذروا اليهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يستكثروه ولا يمنوا
عليهم وعن الحسن والنخعي رضي الله عنهما ادركنا الناس وهم يقسمون على القرابات والمساكين
واليتامى من العين يعنيان الورق والذهب فاذا قسم الورق والذهب وصارت القسمة الى
الارضين والرقيق وما اشبه ذلك قالوا لهم قولا معروفا كانوا يقولون لهم بورك فيكم وليخش الذين لو تركوا
لو مع ما في حيزه صلة للذين والمراد بهم الاوصياء امروا بان يخشوا الله فيخافوا على من في حجورهم
من اليتامى ويشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا وشفقتهم عليهم وان يقدروا
ذلك في انفسهم ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة ويجوز ان يكون المعنى وليخشوا
على اليتامى من الضياع وقيل هم الذين يجلسون الى المريض فيقولون ان ذريتك لا يغنون عنك من
الله شيئا فقدم مالك فيستغرقه بالوصايا فامروا بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض ويشفقوا
عليهم شفقتهم على اولاد انفسهم لو كانوا ويجوز ان يتصل بما قبله وان يكون امرا للورثة بالشفقة على الذين

فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فان كن نساء فوق اثنتين

يحضرون القسمة من ضعفاء اقاربهم واليتامى والمساكين وان يتصوروا انهم لو كانوا اولادهم
بقوا خلفهم ضايعين محتاجين هل كانوا يخافون عليهم الحرمان والخيبة فان قلت ما معنى
وقوع لو تركوا وجوابه صلة للذين قلت معناه وليخش الذين صفتهم وحالهم انهم لو شارفوا ان
يتركوا خلفهم ذرية ضعافا وذلك عند احتضارهم خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب كافلهم
وكاسبهم كما قال القايل ٭ لقد زاد الحيوة الي حبا ٭ بناتي انهن من الضعاف ٭ احاذر ان
يرين البؤس بعدي ٭ وان يشربن رنقا بعد صاف ٭ وقرئ ضعفاء وضعافى وضعافا في
نحو سكارى وسكارى قولا سديدا القول السديد من الاوصياء ان لا يؤذوا اليتامى ويكلموهم
كما يكلمون اولادهم بالادب الحسن والترحيب ويدعوهم بيا بني ويا ولدي ومن الجالسين الى المريض
ان يقولوا له اذا اراد الوصية لا تسرف في وصيتك فتجحف باولادك مثل قول رسول الله صلى الله عليه
لسعد انك ان تترك ولدك اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس وكان الصحابة رضي
الله عنهم يستحبون ان لا تبلغ الوصية الثلث وان الخمس افضل من الربع والربع من الثلث
ومن المتقاسمين ميراثهم ان يلطفوا القول ويجملوه للحاضرين ان الذين يأكلون ظلما
ظالمين او على وجه الظلم من اولياء السوء وقضاته في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل فلان في بطنه
وفي بعض بطنه قال كلوا في بعض بطنكم تعفوا ومعنى يأكلون نارا يأكلون ما يجر الى النار فكانه نار
في الحقيقة وروي انه يبعث آكل مال اليتيم يوم القيمة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وانفه
واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان يأكل مال اليتيم في الدنيا وقرئ سيصلون بضم الياء
وتخفيف اللام وتشديدها سعيرا نارا من النيران يوصيكم الله يعهد اليكم ويأمركم
في اولادكم في شأن ميراثهم بما هو العدل والمصلحة وهذا اجمال تفصيله للذكر مثل حظ الانثيين
فان قلت هلا قيل للانثيين مثل حظ الذكر او للانثى نصف حظ الذكر قلت ليبدأ ببيان حظ
الذكر لفضله كما ضوعف حظه لذلك ولان قوله للذكر مثل حظ الانثيين قصد الى بيان
فضل الذكر وقولك للانثيين مثل حظ الذكر قصد الى بيان نقص الانثى وما كان قصدا الى بيان
فضله كان ادل على فضله من القصد الى نقص غيره عنه ولانهم كانوا يورثون الذكور دون
الاناث وهو السبب لورود الآية فقيل كفى الذكور ان ضوعف لهم نصيب الاناث فلا يتمادى في
حظهن حتى يحرمن مع ادلائهن من القرابة بمثل ما يدلون به فان قلت فان حظ الانثيين
الثلثان فكانه قيل للذكر الثلثان قلت اريد حال الاجتماع لا الانفراد اي اذا اجتمع الذكر
والانثيان كان له سهمان كما ان لهما سهمين واما في حال الانفراد فالابن ياخذ المال كله والبنتان ياخذان
الثلثين والدليل على ان الغرض حكم الاجتماع انه اتبعه حكم الانفراد وهو قوله فان كن نساء فوق اثنتين فلهن
ثلثا ما ترك والمعنى للذكر منهم اي من اولادكم فحذف الراجع اليه لانه مفهوم كقولهم السمن منوان بدرهم
فان كن نساء فوق اثنتين فان كانت البنات او المولودات نساء خلصا ليس معهن رجل يعني بنات ليس معهن ابن

آله م

الوصية م

بيان م

فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلامه الثلث

ثانيا م

بالربع م

يجوز ان يكون خبرا ثانيا لكان وان يكون صفة لنساء اي نساء زايدات على اثنتين وان كانت واحدة
وان كانت البنت او المولودة منفردة فذة ليس معها اخرى فلها النصف وقرئ واحدة على كان
التامة والقراءة بالنصب اوفق لقوله فان كن نساء وقرا زيد بن ثابت رضي الله عنه النصف بالضم
والضمير في ترك للميت لان الآية لما كانت في الميراث علم ان التارك هو الميت فان قلت قوله للذكر
مثل حظ الانثيين كلام مسوق لبيان حظ الذكر من الاولاد لا لبيان حظ الانثيين فكيف صح ان يردف
قوله فان كن نساء وهو لبيان حظ الاناث قلت وان كان مسوقا لبيان حظ الذكر الا انه لما فقه
منه وتبين حظ الانثيين مع اخيهما كان كانه مسوق للامرين جميعا فلذلك صح ان يقال فان كن نساء
فان قلت هل يصح ان يكون الضميران في كن وكانت مبهمين ويكون نساء وواحدة تفسيرا لهما على ان
كان تامة قلت لا ابعد ذلك فان قلت لم قيل فان كن نساء ولم يقل وان كانت امراة قلت لان الغرض
ثمة خلوصهن اناثا لا ذكر فيهن ليميز بين ما ذكر من اجتماعهن مع الذكور في قوله للذكر مثل حظ الانثيين
وبين انفرادهن واريد هاهنا ان يميز بين كون البنت مع غيرها وبين كونها وحدها لا قرينة
لها فان قلت قد ذكر حكم البنتين في حال اجتماعهما مع الابن وحكم البنات والبنت في حال الانفراد
ولم يذكر حكم البنتين في حال الانفراد فما حكمهما وما باله لم يذكر قلت اما حكمهما فمختلف فيه
فابن عباس ابى تنزيلهما منزلة الجماعة لقوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين فاعطاهما حكم
الواحدة وهو ظاهر مكشوف واما ساير الصحابة فقد اعطوهما حكم الجماعة والذي يعلل به قولهم
ان قوله للذكر مثل حظ الانثيين قد دل على ان حكم الانثيين حكم الذكر وذلك ان الذكر
كما يحوز الثلثين مع الواحدة فالانثيان كذلك يحوزان الثلثين فلما ذكر ما دل على حكم الانثيين
قيل فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك على معنى فان كن جماعة بالغات ما بلغن
من العدد فلهن ما للانثيين وهو الثلثان لا يتجاوزنه لكثرتهن ليعلم ان حكم الجماعة حكم
الثنتين بغير تفاوت وقيل ان البنتين امس رحما بالميت من الاختين فاوجبوا لهما ما اوجب الله تعالى للاختين
ولم يروا ان يقصروا بهما عن حظ من هو ابعد رحما منهما وقيل ان البنت لما وجب لها مع اخيها
الثلث كانت احرى ان يجب لها الثلث اذا كانت مع اخت مثلها ويكون لاختها معها مثل ما كان يجب لها
ايضا مع اخيها لو انفردت معه فوجب لهما الثلثان ولابويه الضمير للميت لكل واحد منهما بدل
من لابويه بتكرير العامل وفايدة هذا البدل انه لو قيل ولابويه السدس لكان ظاهره اشتراكهما فيه ولو قيل
ولابويه السدسان لاوهم قسمة السدسين عليهما على التسوية وعلى خلافها فان قلت فهلا قيل ولكل واحد
من ابويه السدس واي فايدة في ذكر الابوين اولا ثم في الابدال منهما قلت لان في الابدال والتفصيل بعد الاجمال تاكيدا
وتشديدا كالذي تراه في الجمع بين المفسر والتفسير والسدس مبتدأ وخبره لابويه والبدل متوسط بينهما للبيان
وقرا الحسن ونعيم بن ميسرة السدس بالتخفيف وكذلك الثلث والربع والثمن والولد يقع على الذكر والانثى
ويختلف حكم الاب في ذلك فان كان ذكرا اقتصر بالاب على السدس وان كان انثى عصب مع اعطاء السدس

فان كان له اخوة فلامه السدس من بعد وصية يوصي بها او دين اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا

فان قلت قد بين حكم الابوين في الارث مع الولد ثم حكمهما مع عدمه فهلا قيل فان لم يكن له ولد
فلامه الثلث واي فايدة في قوله وورثه ابواه قلت معناه فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فحسب فلامه
الثلث مما ترك كما قال لكل واحد منهما السدس مما ترك لانه اذا ورثه ابواه مع احد الزوجين كان
للام ثلث ما بقي بعد اخراج نصيب الزوج لا ثلث ما ترك الا عند ابن عباس رضي الله عنه والمعنى ان الابوين
اذا خلصا تقاسما الميراث للذكر مثل حظ الانثيين فان قلت ما العلة في ان كان لها ثلث ما بقي دون
ثلث المال قلت فيه وجهان احدهما ان الزوج انما استحق ما يسهم له بحق العقد لا بالقرابة فاشبه الوصية
في قسمة ما وراءه والثاني ان الاب اقوى في الارث من الام بدليل انه تضعف عليها اذا خلصا ويكون
صاحب فرض وعصبة وجامعا بين الامرين فلو ضرب لها الثلث كملا لادى الى حط نصيبه عن نصيبها الا ترى
ان امراة لو تركت زوجا وابوين فصار للزوج النصف وللام الثلث والباقي للاب حازت الام سهمين والاب
سهما واحدا فينقلب الحكم الى ان يكون للانثى مثل حظ الذكرين فان كان له اخوة فلامه السدس الاخوة
يحجبون الام عن الثلث وان كانوا لا يرثون مع الاب فيكون لها السدس وللاب خمسة الاسداس ويستوي
في الحجب الاثنان فصاعدا الا عند ابن عباس رضي الله عنه وعنه انهم ياخذون السدس الذي حجبوا عنه
الام فان قلت فكيف صح ان يتناول الاخوة الاخوين والجمع خلاف التثنية قلت الاخوة تفيد معنى الجمعية
المطلقة بغير كمية والتثنية كالتثليث والتربيع في افادة الكمية وهذا موضع
الدلالة على الجمع المطلق فدل بالاخوة عليه وقرئ فلامه بكسر الهمزة اتباعا للجرة
الا تراها لا تكسر في قوله وجعلنا ابن مريم وامه اية من بعد وصية متعلق بما تقدمه من
قسمة المواريث كلها لا بما يليه وحده كانه قيل قسمة هذه الانصباء من بعد وصية يوصي بها
وقرئ يوصي بها بالتخفيف والتشديد ويوصى بها على البناء للمفعول مخففا فان قلت ما معنى او
قلت معناها الاباحة وانه ان كان احدهما او كلاهما قدم على قسمة الميراث كقولك جالس الحسن
او ابن سيرين فان قلت لم قدمت الوصية على الدين والدين مقدم عليها في الشريعة قلت لما كانت
الوصية مشبهة للميراث في كونها ماخوذة من غير عوض كان اخراجها مما يشق على الورثة
ويتعاظمهم ولا تطيب انفسهم بها فكان اداؤها مظنة للتفريط بخلاف الدين فان نفوسهم
مطمئنة الى ادائه فلذلك قدمت على الدين بعثا على وجوبها والمسارعة الى اخراجها مع الدين
ولذلك جيء بكلمة او للتسوية بينهما في الوجوب ثم اكد ذلك ورغب فيه بقوله اباؤكم وابناؤكم
اي لا تدرون من انفع لكم من ابائكم وابنائكم الذين يموتون امن اوصى منهم ام من لم يوص يعني
ان من اوصى ببعض ماله فعرضكم لثواب الاخرة بامضاء وصيته فهو اقرب لكم نفعا واحضر
جدوى ممن ترك الوصية فوفر عليكم عرض الدنيا وجعل ثواب الاخرة اقرب واحضر
من عرض الدنيا ذهابا الى حقيقة الامر لان عرض الدنيا وان كان عاجلا قريبا في الصورة
الا انه فان فهو في الحقيقة الابعد الاقصى وثواب الاخرة وان كان اجلا الا انه باق فهو في الحقيقة الاقرب

فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان
لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد
فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين وان كان رجل يورث كلالة او امراة
وله اخ او اخت فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها او دين

الذي قد طلب ان كان ارفع درجة من ابيه في الجنة ان يرفع ابوه اليه فيرفع وكذلك ان كان الاب ارفع درجة
من ابنه سال ان يرفع ابنه اليه فانتم لا تدرون في الدنيا ايهم اقرب لكم نفعا وقيل قد فرض الله الفرائض على ما هو عنده
حكمة ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا ايهم لكم انفع فوضعتم انتم الاموال على غير حكمة وقيل الاب تجب عليه
النفقة على الابن اذا احتاج وكذلك الابن اذا كان محتاجا فهما في النفع بالنفقة لا يدرى ايهما اقرب نفعا وليس شيء
من هذه الاقاويل بملائم للمعنى ولا مجاوب له لان هذه الجملة اعتراضية ومن حق الاعتراض ان يؤكد ما اعترض بينه
ويناسبه والقول ما تقدم فريضة نصبت نصب المصدر المؤكد اي فرض ذلك فرضا ان الله كان عليما بمصالح
خلقه حكيما في كل ما فرض وقسم من المواريث وغيرها فان كان لهن ولد منكم او من غيركم جعلت المراة على النصف
من الرجل بحق الزواج كما جعلت كذلك بحق النسب والواحدة والجماعة سواء في الربع والثمن وان كان رجل يعني الميت
يورث من ورث اي يورث منه وهو صفة لرجل وكلالة خبر كان اي وان كان رجل موروث منه كلالة
او يجعل يورث خبر كان وكلالة حالا من الضمير في يورث وقرئ يورث ويورث بالتخفيف
والتشديد على البناء للفاعل وكلالة حال او مفعول به اي يورث كلالة فان قلت ما الكلالة قلت
تنطلق على ثلاثة على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلفين
وعلى القرابة من غير جهة الولد والوالد ومنه قولهم ما ورث المجد عن كلالة كما تقول ما
صمت عن عي وما كف عن جبن والكلالة في الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة
من الاعياء قال الاعشى فاليت لا ارثي لها من كلالة فاستعيرت للقرابة
من غير جهة الولد والوالد لانها بالاضافة الى قرابتهما كالة ضعيفة واذا جعلت صفة للموروث
او الوارث فبمعنى ذي كلالة كما تقول فلان من قرابتي تريد من ذوي قرابتي ويجوز ان تكون صفة
كالهجاجة والفقاقة للاحمق فان قلت فان جعلتها اسما للقرابة في الاية فعلام تنصبها قلت
على انها مفعول له اي يورث لاجل الكلالة او يورث غيره لاجلها فان قلت فان جعلت يورث على البناء للمفعول
من اورث فما وجهه قلت الرجل حينئذ هو الوارث لا الموروث فان قلت فالضمير في قوله فلكل واحد منهما الى من يرجع
حينئذ قلت الى الرجل والى اخيه او اخته وعلى الاول اليهما فان قلت اذا رجع الضمير اليهما افاد استواءهما
في حيازة السدس من غير مفاضلة الذكر الانثى فهل تبقى هذه الفائدة قائمة في هذا الوجه قلت نعم لانك
اذا قلت السدس له او لواحد من الاخ او الاخت على التخيير فقد سويت بين الذكر والانثى وعن
ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه سئل عن الكلالة فقال اقول فيها برايي فان كان صوابا فمن الله وان
كان خطأ فمني ومن الشيطان والله منه بريء الكلالة ما خلا الولد والوالد وعن عطاء
والضحاك رضي الله عنهما ان الكلالة هو الموروث وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه هو الوارث وقد
اجمعوا على ان المراد اولاد الام وتدل عليه قراءة ابي رضي الله عنه وله اخ او اخت من الام وقراءة سعد
بن ابي وقاص رضي الله عنه وله اخ او اخت من ام وقيل انما استدل على ان الكلالة ههنا الاخوة
للام خاصة بما ذكر في اخر السورة من ان للاختين الثلثين وان للاخوة كل المال فعلم

لما جعل للواحد السدس وللاثنين الثلث ولم يزادوا على الثلث شيئا انه يعني بهم الاخوة للام وقيل
والكلالة عامة لمن عدا الولد والوالد من ساير الاخوة الاخياف والاعيان واولاد
العلات وغيرهم غير مضار حال اي يوصي بها وهو غير مضار لورثته وذلك ان يوصي
بزيادة على الثلث او يوصي بالثلث فما دونه ونيته مضارة ورثته ومغاضبتهم لا وجه الله تعالى
وعن قتادة رضي الله عنه كره الله الضرار في الحيوة وعند الممات ونهى عنه وعن الحسن المضارة
في الدين ان يوصي بدين ليس عليه ومعناه الاقرار وصية من الله مصدر مؤكد اي يوصيكم
بذلك وصية كقولك له فريضة من الله ويجوز ان تكون منصوبة بغير مضار اي لا يضار وصية
من الله وهو الثلث فما دونه بزيادة على الثلث او وصية من الله بالاولاد وان لا يدعهم عالة
باسرافه في الوصية وينصر هذا الوجه قراءة الحسن غير مضار وصية من الله بالاضافة
والله عليم بمن جار او عدل في وصيته حليم عن الجاير لا يعاجله وهذا وعيد فان قلت في
يوصي ضمير الرجل اذا جعلته الموروث فكيف تعمل اذا جعلته الوارث قلت كما عملت في قوله تعالى فلهن
ثلثا ما ترك لانه علم ان التارك والموصي هو الميت فان قلت فاين ذو الحال فيمن قرا يوصى بها على ما لم يسم فاعله
قلت يضمر يوصي فينتصب عن فاعله لانه لما قيل يوصى بها علم ان ثم موصيا كما قال يسبح له فيها على ما لم يسم
فاعله فعلم ان ثم مسبحا فاضمر يسبح فكما كان رجال فاعل ما يدل عليه يسبح كان غير مضار حالا عما يدل
عليه يوصى بها تلك اشارة الى الاحكام التي ذكرت في باب اليتامى والوصايا والمواريث وسماها حدودا
لان الشرايع كالحدود المضروبة الموقتة للمكلفين لا يجوز لهم ان يتجاوزوها ويتخطوها الى ما ليس لهم بحق
يدخله قرئ بالياء والنون وكذلك ندخله نارا وقيل يدخله وخالدين حملا على لفظ من ومعناه وانتصب
خالدا وخالدين على الحال فان قلت هل يجوز ان يكونا صفتين لجنات ونارا قلت لا لانهما جريا على غير من هما
له فلا بد من الضمير وهو قولك خالدين هم فيها وخالدا هو فيها ياتين الفاحشة والفاحشة الزنا لزيادتها
في القبح على كثير من القبايح فامسكوهن في البيوت قيل معناه فخلدوهن محبوسات في بيوتكم وكان ذلك
عقوبتهن في اول الاسلام ثم نسخ بقوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا ويجوز ان تكون غير منسوخة بان
يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصى بامساكهن في البيوت بعد ان يحددن
صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال او يجعل الله لهن سبيلا
هو النكاح الذي يستغنين به عن السفاح وقيل السبيل هو الحد لانه لم يكن مشروعا ذلك الوقت
فان قلت ما معنى يتوفيهن الموت والتوفي والموت بمعنى واحد كانه قيل او يميتهن الموت قلت يجوز ان
يراد حتى يتوفيهن ملايكة الموت كقوله الذين تتوفيهم الملايكة ان الذين توفيهم الملايكة قل يتوفيكم
ملك الموت او حتى ياخذهن الموت ويستوفي ارواحهن واللذان ياتيانها منكم يريد الزاني والزانية
فآذوهما فوبخوهما وذموهما وقولوا لهما اما استحييتما اما خفتما الله فان تابا واصلحا وغيرا الحال
فاعرضوا عنهما واقطعوا التوبيخ والمذمة فان التوبة تمنع استحقاق الذم والعقاب ويحتمل

ان يكون خطابا للشهود العاثرين على سترهما ويراد بالايذاء ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع الى الامام والحد
فان تابا قبل الرفع الى الامام فاعرضوا عنهما ولا تتعرضوا لهما وقيل نزلت الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين
وقرئ واللذان بتشديد النون واللذأن بالهمزة وتشديد النون التوبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته وغفر له
يعني انما القبول والغفران واجب على الله لهؤلاء بجهالة في موضع الحال اي يعملون السوء جاهلين سفهاء لان ارتكاب
القبيح مما يدعو اليه السفه والشهوة لا مما تدعو اليه الحكمة والعقل وعن مجاهد رضي الله عنه من عصى الله فهو جاهل
حتى ينزع عن جهالته من قريب من زمان قريب والزمان القريب ما قبل حضرة الموت الا ترى الى قوله حتى اذا حضر احدهم
الموت فبين ان وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ما وراء ذلك في حكم القريب وعن ابن عباس رضي الله عنه
قبل ان ينزل به سلطان الموت وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن النخعي ما لم يؤخذ بكظمه وروى ابو ايوب
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وعن عطا ولو قبل موته بفواق ناقة وعن الحسن رضي الله عنه
ان ابليس قال حين اهبط الى الارض وعزتك لا افارق ابن آدم ما دام روحه في جسده فقال وعزتي لا اغلق عليه باب التوبة
ما لم يغرغر فان قلت ما معنى من في قوله من قريب قلت معناه التبعيض اي يتوبون بعض زمان قريب كانه سمى ما بين وجود
المعصية وبين حضرة الموت زمانا قريبا ففي اي جزء تاب من اجزاء هذا الزمان فهو تائب من قريب والا فهو تائب
بعيد فان قلت ما فايدة قوله فاولئك يتوب الله عليهم بعد قوله انما التوبة على الله لهم قلت قوله انما التوبة على الله اعلام
بوجوبها عليه كما يجب على العبد بعض الطاعات وقوله فاولئك يتوب الله عليهم عدة بانه يفي بما وجب عليه واعلام بان الغفران
كاين لا محالة كما يعد العبد الوفاء بالواجب ولا الذين يموتون عطف على الذين يعملون السيئات سوى بين الذين
سوفوا توبتهم الى حضرة الموت وبين الذين ماتوا على الكفر في انه لا توبة لهم لان حضرة الموت اول احوال الاخرة فكما
ان المايت على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين فكذلك المسوف الى حضرة الموت لمجاوزة كل واحد منهما اوان
التكليف والاختيار اولئك اعتدنا لهم في الوعيد نظير قوله فاولئك يتوب الله عليهم في الوعد ليتبين ان الامرين
كاينان لا محالة فان قلت من المراد بالذين يعملون السيئات اهم الفساق من اهل القبلة ام الكفار قلت فيه وجهان احدهما ان يراد
الكفار لظاهر قوله وهم كفار وان يراد الفساق لان الكلام انما وقع في الزانيين والاعراض عنهما ان تابا واصلحا
ويكون قوله وهم كفار واردا على سبيل التغليظ كقوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين وقوله من مات ولم يحج فليمت
ان شاء يهوديا او نصرانيا من ترك صلوة متعمدا فقد كفر لان من كان مصدقا ومات وهو لا يحدث نفسه بالتوبة حاله
قريبة من حال الكافر لانه لا يجترئ على ذلك الا قلب مصمت ان ترثوا النساء كرها كانوا يبلون النساء بضروب من البلاء
ويظلمونهن بانواع من الظلم فزجروا عن ذلك كان الرجل اذا مات له قريب من اهله او حميم عن امراة القى
ثوبه عليها وقال انا احق بها من كل احد فقيل لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها اي ان تاخذوهن على سبيل الارث كما تحاز
المواريث وهن كارهات لذلك او مكرهات وقيل كان يمسكها حتى تموت فقيل لا يحل لكم ان تمسكوهن حتى ترثوا منهن
وهن غير راضيات بامساككم ولا تعضلوهن وكان الرجل اذا تزوج امراة ولم تكن من حاجته حبسها
مع سوء العشرة والقهر لتفتدي منه بمالها وتختلع فقيل ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن والعضل
الحبس والتضييق ومنه عضلت المراة بولدها اذا اختنقت رحمها به فخرج بعضه وبقي بعضه الا ان ياتين بفاحشة مبينة
قال ... ان الله كان توابا رحيما انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما

وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وان اردتم استبدال زوج مكان زوج
وآتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا اتاخذونه بهتانا واثما مبينا وكيف تاخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن
منكم ميثاقا غليظا ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النسا الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وسا سبيلا

وهي النشوز وشكاسة الخلق وايذاء الزوج واهله بالبذاء والسلاطة اي الا ان يكون سوء العشرة
من جهتهن فقد عذرتم في طلب الخلع ويدل عليه قراءة ابي الا ان يفحشن عليكم وعن الحسن رضي الله عنه
الفاحشة الزنى فان فعلت حل لزوجها ان يسالها الخلع وقد كانوا اذا اصابت امراة فاحشة اخذ
منها ما ساق اليها واخرجها وعن ابي قلابة ومحمد بن سيرين رحمهما الله لا يحل الخلع حتى يوجد
رجل على بطنها وعن قتادة لا يحل له ان يحبسها ضرارا حتى تفتدي منه يعني وان زنت وقيل نسخ
ذلك بالحدود وكانوا يسيئون معاشرة النسا فقيل لهم وعاشروهن بالمعروف وهو
النصفة في المبيت والنفقة والاجمال في القول فان كرهتموهن فلا تفارقوهن لكراهة الانفس وحدها
فربما كرهت النفس ما هو اصلح في الدين واحمد وادنى الى الخير واحبت ما هو بضد ذلك ولكن للنظر
في اسباب الصلاح وكان الرجل اذا طمحت عينه الى استطراف امراة بهت التي تحته ورماها بفاحشة
حتى يلجيها الى الافتدا منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج غيرها فقيل وان اردتم استبدال الزوج الاية
والقنطار المال العظيم من قنطرت الشي اذا رفعته ومنه القنطرة لانها بنا مشيد قال
كقنطرة الرومي اقسم ربها لتكتنفن حتى تشاد بقرمد وعن عمر رضي الله عنه انه قام
خطيبا فقال ايها الناس لا تغالوا بصدق النسا فلو كانت مكرمة في الدنيا او تقوى عند الله لكان
اولاكم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اصدق امراة من نسائه اكثر من اثنتي عشرة اوقية فقامت اليه امراة
فقالت له يا امير المومنين لم تمنعنا حقا جعله الله لنا والله يقول وآتيتم احداهن قنطارا فقال
عمر كل احد اعلم من عمر ثم قال لاصحابه تسمعونني اقول مثل هذا فلا تنكرونه علي حتى ترد علي
امراة ليست من اعلم النسا والبهتان ان تستقبل الرجل بامر قبيح تقذفه به وهو بري منه لانه
يبهت عند ذلك اي يتحير وانتصبهما على الحال اي باهتين وآثمين وعلى انه مفعول له وان
لم يكن غرضا كقوله قعد عن القتال جبنا والميثاق الغليظ حق الصحبة والمضاجعة كانه
قيل واخذن به منكم ميثاقا غليظا اي بافضاء بعضكم الى بعض ووصفه بالغلظ لقوته وعظمه
فقد قالوا صحبة عشرين يوما قرابة فكيف بما يجري بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج وقيل
هو قول الولي عند العقد انكحتك على ما في كتاب الله من امساك بمعروف او تسريح باحسان وعن
النبي صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنسا خيرا فانهن عوان في ايديكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم
فروجهن بكلمة الله وكانوا ينكحون روابهم وناس منهم يمقتونه من ذوي مروآتهم ما نكح اباؤكم
ويسمونه نكاح المقت وكان المولود عليه يقال له المقتي ومن ثم قيل ومقتا كانه قيل هو فاحشة
في دين الله بالغة في القبح قبيح ممقوت في المروة ولا مزيد على ما يجمع القبحين وقرئ لا تحل لكم
بالتاء على ان ترثوا بمعنى الوراثة وكرها بالفتح والضم من الكراهة والاكراه وقرئ
بفاحشة مبينة من ابانت بمعنى تبينت او بينت كما قرئ مبينة بكسر اليا وفتحها ويجعل الله
بالرفع على انه في موضع الحال وآتيتم احداهن بوصل همزة احداهن كما

حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وامهاتكم اللاتي
ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي
دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل

قرئ [illegible] عليه فان قلت تعضلوهن من اي وجه اعرابه قلت النصب عطفا على ان ترثوا ولا لتاكيد النفي
اي لا يحل لكم ان ترثوا النسا ولا ان تعضلوهن فان قلت اي فرق بين تعدية ذهب بالبا وبينها بالهمزة قلت اذا
عدي بالبا فمعناه الاخذ والاستصحاب كقوله فلما ذهبوا به واما الاذهاب فكالازالة فان قلت الا ان ياتين ما هذا
قلت هو استثنا من اعم عام الظرف او المفعول له كانه قيل لا تعضلوهن في جميع الاوقات الا وقت ان ياتين
بفاحشة او ولا تعضلوهن لعلة من العلل الا لان ياتين بفاحشة فان قلت من اي وجه صح قوله فعسى ان تكرهوا
جزا للشرط قلت من حيث ان المعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه
خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه فان قلت كيف استثنى ما قد سلف مما نكح اباؤكم قلت كما استثنى غير ان سيوفهم
من قوله ولا عيب فيهم يعني ان امكنكم ان تنكحوا ما قد سلف فانكحوه فلا يحل لكم غيره وذلك غير ممكن والغرض
المبالغة في تحريمه وسد الطريق الى اباحته كما يعلق بالمحال في التابيد في قولهم حتى يبيض القار
وحتى يلج الجمل في سم الخياط معنى حرمت عليكم امهاتكم تحريم نكاحهن لقوله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النسا
ولان تحريم نكاحهن هو الذي يفهم من تحريمهن كما يفهم من تحريم الخمر تحريم شربها ومن تحريم لحم
الخنزير تحريم اكله وقرئ وبنات الاخت بتخفيف الهمزة وامهاتكم اللاتي ارضعنكم وقد انزل الله
الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما للرضيع والمرضعة اختا وكذلك زوج المرضعة ابوه وابواه
جداه واخته عمته وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم اخوته واخواته لا
ومنه قوله عليه السلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وقالوا تحريم الرضاع كتحريم النسب الا في مسالتين
احداهما انه لا يجوز للرجل ان يتزوج اخت ابنه من النسب ويجوز ان يتزوج اخت ابنه من الرضاع
لان المانع في النسب وطؤه امها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع والثانية لا يجوز ان يتزوج ام اخيه
من النسب ويجوز في الرضاع لان المانع في النسب وطء الاب اياها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع من نسائكم
متعلق بربائبكم ومعناه ان الربيبة من المراة المدخول بها محرمة على الرجل حلال له اذا لم يدخل بها فان قلت
هل يصح ان يتعلق بقوله وامهات نسائكم قلت لا يخلو اما ان يتعلق بهن وبالربائب فتكون حرمتهن وحرمة
الربائب غير مبهمتين جميعا واما ان يتعلق بهن دون الربائب فتكون حرمتهن غير مبهمة وحرمة الربائب
مبهمة ولا يجوز الاول لان معنى من مع احد المتعلقين خلاف معناه مع الاخر الا تراك اذا قلت وامهات
نسائكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فقد جعلت من لبيان النسا وتمييز المدخول بهن من غير المدخول بهن
واذا قلت وربائبكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فانك جاعل من لابتدا الغاية كما تقول بنات رسول الله من خديجة
وليس بصحيح ان يعني بالكلمة الواحدة في خطاب واحد معنيان مختلفان ولا يجوز الثاني لان ما يليه هو الاكثر
يستوجب التعلق به ما لم يعترض امر لا يرد الا ان تقول اعلقه بالنسا والربائب واجعل من للاتصال
كقوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض امر لا يرد الا ان تقول اعلقه بالنسا
والربائب فاني لست منك ولست مني ما انا من دد ولا الدد مني وامهات النسا متصلات بالنسا لانهن
امهاتهن كما ان الربائب متصلات بامهاتهن لانهن بناتهن هذا وقد اتفقوا على ان

وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما
والمحصنات من النسا الا ما ملكت ايمانكم

امها تحريم امهات النسا مبهم دون تحريم الربايب على ما عليه ظاهر كلام الله وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في
رجل تزوج امراة ثم طلقها قبل ان يدخل بها انه قال لا باس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج
امها وعن عمر وعمران بن الحصين ان الام تحرم بنفس العقد وعن مسروق هي مرسلة فارسلوا ما ارسل الله
وعن ابن عباس رضي الله عنه ابهموا ما ابهم الله الا ما روي عن علي وابن عباس وزيد وابن عمر وابن الزبير رضي الله عنهم انهم
قراوا وامهات نسايكم اللاتي دخلتم بهن وكان ابن عباس يقول والله ما نزل الا هكذا وعن جابر روايتان وعن
سعيد بن المسيب عن زيد رضي الله عنهم اذا ماتت عنده فاخذ ميراثها كره ان يخلف على امها واذا
طلقها قبل ان يدخل بها فان شا فعل اقام الموت مقام الدخول في ذلك كما قام مقامه في باب المهر
وسمي ولد المراة من غير زوجها ربيبا وربيبة لانه يربهما كما يرب ولده في غالب الامر ثم اتسع فيه فسميا بذلك
وان لم يربهما فان قلت ما فايدة قوله في حجوركم قلت فايدته التعليل للتحريم وانهن لاحتضانكم لهن او
لكونهن بصدد احتضانكم وفي حكم التقلب في حجوركم اذا دخلتم بامهاتهن وتمكن بدخولكم حكم الزواج
وثبتت الخلطة والالفة وجعل الله بينكم المودة والرحمة وكانت الحال خليقة بان تجروا اولادهن
مجرى اولادكم كانكم في العقد على بناتهن عاقدون على بناتكم وعن علي رضي الله عنه انه شرط ذلك في التحريم وبه اخذ
داود فان قلت ما معنى دخلتم بهن قلت هي كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب يعني
ادخلتموهن الستر والبا للتعدية واللمس ونحوه يقوم مقام الدخول عند ابي حنيفة رضي الله عنه وعن عمر
رضي الله عنه انه خلا بجارية فجردها فاستوهبها ابن له فقال انها لا تحل لك وعن مسروق انه امر ان تباع
جاريته بعد موته وقال اني لم اصب منها الا ما يحرمها على ولدي من اللمس والنظر وعن الحسن في الرجل
يملك الامة فيغمزها لشهوة او يقبلها او يكشفها انها لا تحل لولده بحال وعن عطا وحماد بن ابي سليمان
اذا نظر الى فرج امراة فلا ينكح امها ولا ابنتها وعن الاوزاعي اذا دخل بالام فعراها ولمسها بيده واغلق
الباب وارخى الستر فلا يحل له نكاح ابنتها وعن ابن عباس وطاوس رضي الله عنهم اجمعين ان التحريم لا
يقع الا بالجماع وحده الذين من اصلابكم دون من تبنيتم وقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش
الاسدية بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب حين فارقها زيد بن حارثة وقال عز وجل لكيلا يكون على المومنين
حرج في ازواج ادعيايهم وان تجمعوا في موضع الرفع عطف على المحرمات اي حرم عليكم الجمع بين
الاختين والمراد حرمة النكاح لان التحريم في الاية تحريم النكاح واما الجمع بينهما في ملك اليمين فعن عثمان
وعلي رضي الله عنهما انهما قالا احلتهما اية وحرمتهما اية يعنيان هذه الاية وقوله او ما ملكت ايمانكم فرجح
علي التحريم وعثمان التحليل الا ما قد سلف ولكن ما مضى مغفور بدليل قوله ان الله كان غفورا
رحيما والمحصنات القراة بفتح الصاد وعن طلحة بن مصرف رضي الله عنه انه قرا بكسر الصاد
وهن ذوات الازواج لانهن احصن فروجهن بالتزويج فهن محصنات ومحصنات الا ما ملكت
ايمانكم يريد ما ملكت ايمانهم من اللاتي سبين ولهن ازواج في دار الكفر فهن حلال لغزاة المسلمين وان
كن محصنات وفي معناه قول الفرزدق وذات حليل انكحتها رماحنا حلال لمن يبني بها لم تطلق كتاب

كتاب الله عليكم واحل لكم ما ورا ذلكم ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم
به منهن فاتوهن اجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ان الله كان عليما حكيما ومن لم يستطع
منكم طولا ان ينكح المحصنات المومنات فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المومنات والله اعلم بايمانكم

كتاب الله مصدر موكد اي كتب الله ذلك عليكم كتابا وفرضه فرضا وهو تحريم ما حرم فان قلت علام عطف قوله
واحل لكم قلت على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله اي كتب الله عليكم تحريم ذلك واحل لكم ما ورا ذلكم
ويدل عليه قراة اليماني كتب الله عليكم واحل لكم وروي عن اليماني كتب الله عليكم على الجمع والرفع اي هذه
فرايض الله عليكم ومن قرا واحل لكم على البنا للمفعول فقد عطفه على حرمت ان تبتغوا مفعول له
بمعنى بين لكم ما يحل مما يحرم اراده ان يكون ابتغاوكم باموالكم التي جعل الله لكم قياما في حال كونكم محصنين غير
مسافحين لئلا تضيعوا اموالكم وتفقروا انفسكم فيما لا يحل لكم فتخسروا دنياكم ودينكم ولا مفسدة
اعظم مما يجمع بين الخسرانين والاحصان العفة وتحصين النفس من ان تقع في الحرام والاموال
المهور وما يخرج في المناكح فان قلت اين مفعول تبتغوا قلت يجوز ان يكون مقدرا وهو النسا والاجود
ان لا يقدر وكانه قيل ان تخرجوا اموالكم ويجوز ان يكون ان تبتغوا بدلا مما ورا ذلكم والمسافح الزاني من السفح
وهو صب المني وكان الفاجر يقول للفاجرة سافحيني وماذيني من المذي فما استمتعتم به منهن فما
استمتعتم به من المنكوحات من جماع او خلوة صحيحة او عقد عليهن فاتوهن اجورهن عليه
فاسقط الراجع الى ما لانه لا يلبس كقوله ان ذلك لمن عزم الامور باسقاط منه ويجوز ان يكون ما في معنى
النسا ومن للتبعيض او البيان ويرجع الضمير اليه على اللفظ في به وعلى المعنى في فاتوهن اجورهن مهورهن
لان المهر ثواب على البضع فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او وضعت موضع ايتا لان الايتا مفروض
او مصدر موكد اي فرض ذلك فريضة فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فيما تحط عنه من المهر او تهب له من
كله او يزيد لها على مقداره وقيل فيما تراضيا به من مقام او فراق وقيل نزلت في المتعة التي كانت ثلاثة ايام حين
فتح الله مكة على رسوله ثم نسخت كان الرجل ينكح المراة وقتا معلوما ليلة او ليلتين او اسبوعا بثوب او غير ذلك
ويقضي منها وطره ثم يسرحها سميت متعة لاستمتاعه بها او لتمتيعه لها بما يعطيها وعن عمر رضي الله عنه
لا اوتى برجل تزوج امراة الى اجل الا رجمتهما بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه اباحها ثم اصبح يقول يا ايها
الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النسا الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيامة وقيل ابيح مرتين
وحرم مرتين وعن ابن عباس رضي الله عنه هي محكمة يعني لم تنسخ وكان يقرا فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى
ويروى انه رجع عن ذلك عند موته وقال اللهم اني اتوب اليك من قولي بالمتعة وقولي في الصرف الطول
الفضل يقول لفلان على فلان طول اي زيادة وفضل وقد طاله طولا فهو طايل قال لقد زادني حبا لنفسي انني
بغيض الى كل امري غير طايل ومنه قولهم ما خلا منه بطايل اي بشي يعتد به مما له فضل وخطر ومنه
الطول في الجسم لانه زيادة فيه كما ان القصر قصور فيه ونقصان والمعنى ومن لم يستطع زيادة في المال وسعة يبلغ
بها نكاح الحرة فلينكح امة قال ابن عباس من ملك ثلاثماية درهم فقد وجب عليه الحج وحرم عليه نكاح
الاما وهو الظاهر وعليه مذهب الشافعي واما ابو حنيفة رضي الله عنه فيقول الفقير والغني سوا في جواز نكاح
الامة ويفسر الاية بان من لم يملك فراش الحرة على ان النكاح هو الوطء فله ان ينكح امة وفي رواية عن ابن عباس
انه قال ومما وسع الله على هذه الامة نكاح الامة واليهودية والنصرانية وان كان موسرا وكذلك قوله

بعضكم من بعض فانكحوهن بإذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير
مسافحات ولا متخذات أخدان فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة فعليهن
نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشي العنت منكم وأن تصبروا خير
لكم والله غفور رحيم يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم

من فتياتكم المؤمنات الظاهر أنه لا يجوز نكاح الأمة الكتابية وهو مذهب أهل الحجاز وعند
أهل العراق يجوز نكاحها ونكاح الأمة المؤمنة أفضل فحملوه على الفضل لا على الوجوب واستشهدوا
على أن الإيمان ليس بشرط بوصف الحرائر به مع علمنا أنه ليس بشرط فيهن على الاتفاق لكنه
أفضل فإن قلت لم كان نكاح الأمة منحطا عن نكاح الحرة قلت لما فيه من اتباع الولد الأم في الرق ولثبوت
حق المولى فيها وفي استخدامها ولأنها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله نقصان راجع إلى
الناكح ومهانة والعزة من صفات المؤمنين وقوله من فتياتكم أي من فتيات المسلمين لا من فتيات غيركم
وهم المخالفون في الدين فإن قلت فما معنى قوله والله أعلم بإيمانكم قلت معناه أن الله أعلم بتفاضل
ما بينكم وبين أرقائكم في الإيمان ورجحانه ونقصانه فيهم وفيكم وربما كان إيمان الأمة أرجح من إيمان
الحرة والمرأة أفضل في الإيمان من الرجل وحق المؤمنين أن لا يعتبروا إلا فضل الإيمان لا فضل
الأحساب والأنساب وهذا تأنيس بنكاح الإماء وترك للاستنكاف منه بعضكم من بعض
أي أنتم وأرقاؤكم متواصلون متناسبون لاشتراككم في الإيمان لا يفضل حر عبدا إلا برجحان
فيه بإذن أهلهن اشتراط لإذن الموالي في نكاحهن ويحتج به لقول أبي حنيفة أن لهن أن يباشرن
العقد بأنفسهن لأنه اعتبر إذن الموالي لا عقدهم وآتوهن أجورهن بالمعروف وأدوا إليهن مهورهن
بغير مطل وضرار وإحواج إلى الاقتضاء واللز فإن قلت الموالي هم ملاك مهورهن لا هن والواجب أداؤها
إليهم لا إليهن فلم قال وآتوهن قلت لأنهن وما في أيديهن مال الموالي فكان أداؤها إليهن أداء إلى الموالي أو على
أن أصله فآتوا مواليهن فحذف المضاف محصنات عفائف والأخدان الأخلاء في السر كأنه قال غير
مجاهرات بالسفاح ولا مسرات له فإذا أحصن بالتزويج وقرئ أحصن نصف ما على المحصنات
أي الحرائر من العذاب من الحد كقوله وليشهد عذابهما ويدرأ عنها العذاب ولا رجم عليهن
لأن الرجم لا يتنصف ذلك إشارة إلى نكاح الإماء لمن خشي العنت منكم لمن خاف الإثم الذي يؤدي إليه
غلبة الشهوة وأصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر ولا ضرر أعظم
من مواقعة المآثم وقيل أريد به الحد لأنه إذا هويها خشي أن يواقعها فيحد فيتزوجها وأن
تصبروا في محل الرفع على الابتداء أي وصبركم عن نكاح الإماء متعففين خير لكم وعن النبي عليه السلام الحرائر
صلاح البيت والإماء هلاك البيت يريد الله ليبين لكم أصله يريد الله أن يبين لكم فزيدت اللام مؤكدة
لإرادة التبيين كما زيدت في لا أبا لك لتأكيد إضافة الأب والمعنى يريد الله أن يبين لكم ما هو خفي عنكم
من مصالحكم وأفاضل أعمالكم وأن يهديكم مناهج من كان قبلكم من الأنبياء والصالحين والطرق التي
سلكوها في دينهم لتقتدوا بهم ويتوب عليكم ويرشدكم إلى طاعات إن قمتم بها كانت كفارات لسيئاتكم
فيتوب عليكم ويكفر لكم والله يريد أن يتوب عليكم أن تفعلوا ما تستوجبون به أن يتوب عليكم ويريد
الفجرة الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما وهو الميل عن القصد والحق ولا ميل أعظم
منه بمساعدتهم وموافقتهم على اتباع الشهوات وقيل هم اليهود وقيل المجوس كانوا يحلون نكاح الأخوات

ويتوب عليكم والله عليم حكيم والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا
ميلا عظيما

يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض
منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا
إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما

من الجنس وبنات الأخ فلما حرم ذلك قالوا فإنكم تحلون بنت الخالة والعمة والخالة والعمة عليكم حرام
فانكحوا بنات الأخ والأخت فنزلت يقول يريدون أن تكونوا زناة مثلهم يريد الله أن يخفف عنكم بإحلال
نكاح الأمة وغيره من الرخص وخلق الإنسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات وعلى مشاق الطاعات وعن
سعيد بن المسيب رضي الله عنه ما أيس الشيطان من بني آدم قط إلا أتاهم من قبل النساء فقد أتى علي ثمانون
سنة وذهبت إحدى عيني وأنا أعشو بالأخرى وإن أخوف ما أخاف علي فتنة النساء وقرئ أن يميلوا بالياء
والضمير للذين يتبعون الشهوات وقرأ ابن عباس رضي الله عنه وخلق الإنسان على البناء للفاعل ونصب الإنسان
وعنه رضي الله عنه ثماني آيات في سورة النساء هي خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين
لكم والله يريد أن يتوب عليكم يريد الله أن يخفف عنكم إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه إن الله لا يغفر أن يشرك به
إن الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم بالباطل بما لم تبحه الشريعة
نحو السرقة والخيانة والغصب والقمار وعقود الربا إلا أن تكون تجارة إلا أن تقع تجارة وقرئ
تجارة على إلا أن تكون التجارة تجارة عن تراض منكم والاستثناء منقطع معناه ولكن اقصدوا كون
تجارة عن تراض أو ولكن كون تجارة عن تراض غير منهي عنه وقوله عن تراض صفة لتجارة أي تجارة
صادرة عن تراض وخص التجارة بالذكر لأن أسباب الرزق أكثرها متعلق بها والتراضي رضا المتبايعين بما
تعاقدا عليه حال البيع وقت الإيجاب والقبول وهو مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه وعند الشافعي رضي الله عنه
تفرقهما عن مجلس العقد متراضيين ولا تقتلوا أنفسكم من كان من جنسكم من المؤمنين وعن الحسن
رضي الله عنه لا تقتلوا إخوانكم أو ولا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة وعن عمرو بن
العاص أنه تأوله في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه وقرأ علي رضي الله عنه ولا
تقتّلوا بالتشديد إن الله كان بكم رحيما ما نهاكم عما يضركم إلا لرحمته عليكم وقيل معناه أنه أمر بني إسرائيل
بقتلهم أنفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم وكان بكم يا أمة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف
الصعبة ذلك إشارة إلى القتل أي ومن يقدم على قتل الأنفس عدوانا وظلما لا خطأ ولا اقتصاصا
وقرئ عِدوانا بالكسر ونصليه بتخفيف اللام وتشديدها ونَصليه بفتح النون من صلاه
يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله أو لذلك لكونه سببا للصلي نارا نارا مخصوصة
شديدة العذاب وكان ذلك على الله يسيرا لأن الحكمة تدعو إليه ولا صارف عنه من ظلم أو نحوه كبائر
ما تنهون عنه وقرئ كبير ما تنهون عنه أي ما كبر من المعاصي التي نهاكم الله عنها والرسول نكفر
عنكم سيئاتكم نمط ما تستحقونه من العقاب في كل وقت على صغائركم ونجعلها كأن لم تكن لزيادة الثواب
المستحق على اجتنابكم الكبائر وصبركم عنها على عقاب السيئات والكبيرة والصغيرة إنما وصفتا
بالصغر والكبر بإضافتهما إما إلى طاعة أو معصية أو ثواب فاعلهما والتكفير إماطة المستحق من
العقاب بثواب أزيد أو بتوبة والإحباط نقيضه وهو إماطة الثواب المستحق بعقاب أزيد أو بندم
على الطاعة وعن علي رضي الله عنه الكبائر سبع الشرك والقتل والقذف والربوا ومال اليتيم

الاقربون والذين عقدت ايمانكم فاتوهم نصيبهم ان الله كان على كل شيء شهيدا الرجال قوامون
على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض

والفرار من الزحف والتعرب بعد الهجرة وزاد ابن عمر السحر واستحلال البيت الحرام وعن ابن عباس رضي الله عنه ان رجلا قال له الكبائر سبع فقال هي الى سبع مائة اقرب لانه لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وروي الى سبعين وقرئ يكفر بالياء ومدخلا بضم الميم وفتحها بمعنى المكان والمصدر فيهما ولا تتمنوا نهوا عن التحاسد وعن تمني ما فضل الله به بعض الناس على بعض من الجاه والمال لان ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير وعلم باحوال العباد وبما يصلح المقسوم له من بسط في الرزق او قبض ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض فعلى كل احد ان يرضى بما قسم له علما بان ما قسم له هو مصلحته ولو كان خلافه لكان مفسدة له ولا يحسد اخاه على حظه للرجال نصيب مما اكتسبوا جعل ما قسم لكل من الرجال والنساء على حسب ما عرف الله من حاله الموجبة للبسط او القبض كسبا له واسألوا الله من فضله ولا تتمنوا انصباء غيركم من الفضل ولكن سلوا الله من خزائنه التي لا تنفد وقيل كان الرجال قالوا ان الله فضلنا على النساء في الدنيا لنا سهمان ولهن سهم واحد فنرجو ان يكون لنا اجران في الاخرة على الاعمال ولهن اجر واحد فقالت ام سلمة ونسوة معها ليت الله كتب الجهاد علينا كما كتبه على الرجال فيكون لنا من الاجر مثل ما لهم فنزلت مما ترك تبيين لكل اي لكل شيء مما ترك الوالدان والاقربون من المال جعلنا موالي وراثا يلونه ويحرزونه او ولكل قوم جعلناهم موالي نصيب مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالي صفة لكل والضمير الراجع الى كل محذوف والكلام مبتدا وخبر كما تقول لكل من خلقه الله انسانا من رزق الله اي حظ من رزق الله او ولكل احد جعلنا موالي مما ترك اي وراثا مما ترك على ان من صلة موالي لانهم في معنى الوراث وفي ترك ضمير كل ثم فسر الموالي بقوله الوالدان والاقربون كانه قيل من هم فقيل الوالدان والاقربون والذين عاقدت ايمانكم مبتدا ضمن معنى الشرط فوقع خبره مع الفاء وهو قوله فاتوهم نصيبهم ويجوز ان يكون منصوبا على قولك زيدا فاضربه ويجوز ان يعطف على الوالدان ويكون المضمر في فاتوهم للموالي والمراد بالذين عاقدت ايمانكم موالي الموالاة كان الرجل يعاقد الرجل فيقول دمي دمك وهدمي هدمك وثاري ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك وترثني وارثك وتطلب بي واطلب بك وتعقل عني واعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف فنسخ وعن النبي صلى الله عليه انه خطب يوم الفتح فقال ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به فانه لم يزده الاسلام الا شدة ولا تحدثوا حلفا في الاسلام وعند ابي حنيفة رحمه الله لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح عنده وورث بحق الموالاة خلافا للشافعي رضي الله عنه وقيل المعاقدة التبني ومعنى عاقدت ايمانكم عاقدتهم ايديكم وماسحتموهم وقرئ عقدت بالتشديد والتخفيف بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم قوامون على النساء يقومون عليهن آمرين ناهين كما يقوم الولاة على الرعايا وسموا قواما لذلك والضمير في بعضهم للرجال والنساء جميعا يعني انما كانوا مسيطرين عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء وفيه دليل على ان الولاية انما

لتذوقوا العذاب ان الله كان عزيزا حكيما والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا لهم فيها ازواج
مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها
واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا
بصيرا يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم

وعن رسول الله صلى الله عليه تبدل جلودهم كل يوم سبع مرات وعن الحسن سبعين مرة بدلوا جلودا بيضا كالقراطيس ليذوقوا العذاب ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز اعزك الله اي ادامك على عزك وزادك فيه عزيزا لا يمتنع عليه شيء مما يريده بالمجرمين حكيما لا يعذب الا بعدل من يستحقه ظليلا صفة مشتقة من لفظ الظل لتاكيد معناه كما يقال ليل اليل ويوم ايوم وما اشبه ذلك وهو ما كان فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وسجسجا لا حر فيه ولا برد وليس ذلك الا ظل الجنة رزقنا الله بتوفيقه لما يزلف اليه التفيؤ تحت ذلك الظل وقرأ عبد الله سيدخلهم بالياء ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الخطاب عام لكل احد في كل امانة وقيل نزلت في عثمن بن طلحة بن عبد الدار وكان سادن الكعبة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه حين دخل مكة يوم الفتح اغلق عثمن باب الكعبة وصعد السطح وابى ان يدفع المفتاح اليه وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى علي بن ابي طالب رضي الله عنه يده واخذ منه وفتح ودخل رسول الله وصلى ركعتين فلما خرج ساله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فامر عليا ان يرده الى عثمن ويعتذر اليه فقال عثمن لعلي اكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال لقد انزل الله في شانك قرآنا وقرا عليه الاية فقال عثمن اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فهبط جبريل واخبر رسول الله ان السدانة في اولاد عثمن ابدا وقيل هو خطاب للولاة باداء الامانات والحكم بالعدل وقرئ نعما بفتح النون يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله لما امر الولاة باداء الامانات الى اهلها وان يحكموا بالعدل امر الناس بان يطيعوهم وينزلوا على قضاياهم والمراد باولي الامر منكم امراء الحق لان امراء الجور الله ورسوله بريئان منهم فلا يعطفون على الله ورسوله في وجوب الطاعة لهم وانما يجمع بين الله ورسوله والامراء الموافقين لهما في ايثار الحق واختيار العدل والامر بهما والنهي عن اضدادهما كالخلفاء الراشدين ومن تبعهم باحسان وكان الخلفاء يقولون اطيعوني ما عدلت فيكم فان خالفت فلا طاعة لي عليكم وعن ابي حازم ان مسلمة بن عبد الملك قال له الستم امرتم بطاعتنا في قوله واولي الامر منكم قال اليس قد نزعت عنكم اذا خالفتم الحق بقوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول وقيل هم امراء السرايا وعن النبي صلى الله عليه من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع اميري فقد اطاعني ومن يعص اميري فقد عصاني وقيل هم العلماء الدينون الذين يعلمون الناس الدين ويامرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فان تنازعتم في شيء فان اختلفتم انتم واولو الامر منكم في شيء من امور الدين فردوه الى الله ورسوله اي ارجعوا فيه الى الكتاب والسنة وكيف تلزم طاعة امراء الجور وقد جنح الله الامر بطاعة اولي الامر بما لا يبقى معه شك وهو ان امرهم اولا باداء الامانات وبالعدل في الحكم وامرهم آخرا بالرجوع الى الكتاب والسنة فيما اشكل وامراء الجور لا يؤدون امانة ولا يحكمون بعدل ولا يردون شيئا الى كتاب ولا الى سنة انما يتبعون شهواتهم حيث ذهبت بهم فهم منسلخون عن صفات الذين هم

ذلك خير واحسن تأويلا الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم ثم جاءوك يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا وتوفيقا اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فاعرض عنهم وعظهم وقل لهم في انفسهم قولا بليغا

اولو الامر عند الله ورسوله واحق اسمائهم اللصوص المتغلبة ذلك اشارة الى الرد اى الرد الى الكتاب والسنة خير لكم واصلح واحسن تأويلا واحسن عاقبة وقيل احسن تأويلا من تأويلكم انتم الم تر الى الذين يزعمون روي ان بشرا المنافق خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي صلى الله عليه ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله عليه السلام فقضى لليهودي فلم يرض المنافق وقال تعال نتحاكم الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال اليهودي لعمر قضى لنا رسول الله فلم يرض بقضائه فقال للمنافق اكذلك قال نعم فقال عمر مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله تعالى ورسوله فنزلت وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله صلى الله عليه انت الفاروق والطاغوت كعب بن الاشرف سماه الله طاغوتا لافراطه في الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه او على التشبيه بالشيطان والتسمية باسمه او جعل اختيار التحاكم الى غير رسول الله على التحاكم اليه تحاكما الى الشيطان بدليل قوله وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم واذا قيل لهم تعالوا الآية وقرئ بما أنزل وما انزل على البناء للفاعل وقرأ عباس بن الفضل ان يكفروا بهن ذهابا بالطاغوت الى الجمع كقوله سبحانه اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم وقرأ الحسن رضي الله عنه تعالوا بضم اللام على انه حذف اللام من تعاليت تخفيفا كما قالوا ما باليت به بالة واصلها بالية كعافية وكما قال الكسائي في آية ان اصلها آيية فاعلة فحذفت اللام فلما حذفت اللام بقيت واو الجمع بعد اللام من تعالوا فضمت فصار تعالوا نحو تقدموا ومنه قول اهل مكة تعالي بكسر اللام للمرأة وفي شعر الحمداني تعالي اقاسمك الهموم تعالي والوجه فتح اللام فكيف اذا اصابتهم اي فكيف يكون حالهم وكيف يصنعون يعني انهم يعجزون عند ذلك فلا يصدرون امرا ولا يوردونه اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك واتهامهم لك في الحكم ثم جاءوك حين يصابون يعتذرون اليك ويحلفون ما اردنا بتحاكمنا الى غيرك الا احسانا لا اساءة وتوفيقا بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك ولا تسخطا لحكمك ففرج عنا بدعائك وهذا وعيد لهم على فعلهم وانهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار عند حلول بأس الله وقيل جاء اولياء المنافق يطلبون بدمه وقد اهدره الله تعالى فقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا بحكومة العدل والتوفيق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا انه يحكم له بما حكم به فاعرض عنهم لا تعاقبهم لمصلحة في استبقائهم ولا تزد على كفهم بالموعظة والنصيحة عما هم عليه وقل لهم في انفسهم قولا بليغا بالغا في وعظهم بالتخويف والانذار في انفسهم يتعلق بقوله بليغا اي قل لهم قولا بليغا في انفسهم مؤثرا في قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه الخوف استشعارا وهو التوعد بالقتل والاستئصال ان نجم منهم النفاق واطلع قرنه واخبرهم ان ما في نفوسهم من الدغل والنفاق معلوم عند الله وانه لا فرق بينكم وبين المشركين وما هذه المكافة الا لاظهاركم الايمان واسراركم الكفر واضماره فان فعلتم ما تكشفون به غطاءكم لم يبق الا السيف او يتعلق بقوله فقل لهم اي قل لهم في

١١٨

وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم

معنى انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولا بليغا وان الله يعلم ما في قلوبكم لا يخفى عليه فلا يغني عنكم ابطانه فاصلحوا انفسكم وطهروا قلوبكم وداووها من مرض النفاق والا انزل الله بكم ما انزل بالمجاهرين بالشرك من انتقامه وشرا من ذلك واغلظ او قل لهم في انفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا لهم بالنصيحة لانها في السر انجع وفي الامحاض ادخل قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم وما ارسلنا من رسول وما ارسلنا رسولا قط الا ليطاع باذن الله بسبب اذن الله في طاعته وبانه امر المبعوث اليهم بان يطيعوه ويتبعوه لانه مؤد عن الله فطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله ويجوز ان يراد بتيسير الله وتوفيقه في طاعته ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالتحاكم الى الطاغوت جاءوك تائبين من النفاق متنصلين عما ارتكبوا فاستغفروا الله من ذلك بالاخلاص وبالغوا في الاعتذار اليك من ايذائك برد قضائك حتى انتصبت لهم شفيعا الى الله ومستغفرا لوجدوا الله توابا رحيما لعلموه توابا اي لتاب عليهم ولم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه الى طريق الالتفات تفخيما لشأن رسول الله وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على ان شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان فلا وربك معناه فوربك كقوله فوربك لنسألنهم ولا مزيدة لتأكيد معنى القسم كما زيدت في لئلا يعلم لتأكيد وجوب العلم ولا يؤمنون جواب القسم فان قلت هلا زعمت انها زيدت لتظاهر لا في لا يؤمنون قلت يأبى ذلك استواء النفي والاثبات فيه وذلك قوله فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم فيما شجر فيما اختلف واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه حرجا ضيقا اي لا تضيق صدورهم من حكمك وقيل شكا لان الشاك في ضيق من امره حتى يلوح له اليقين ويسلموا وينقادوا ويذعنوا لما تأتي به من قضائك لا يعارضونه بشيء من قولك سلم الامر لله عليه واسلم له وحقيقته سلم نفسه له واسلمها اذا جعلها سالمة خالصة وتسليما تأكيد للفعل بمنزلة تكريره كانه قيل وينقادوا لحكمه انقيادا لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم قيل نزلت في شأن المنافق واليهودي وقيل في شأن الزبير بن العوام وحاطب بن ابي بلتعة وذلك انهما اختصما الى رسول الله صلى الله عليه في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فغضب حاطب وقال لان كان ابن عمتك فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وقال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك كان قد اشار على الزبير برأي فيه السعة له ولخصمه فلما احفظ رسول الله استوعب للزبير حقه في صريح الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة في حياة موسى فدعانا الى التوبة منه وقال فاقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه اما والله ان الله ليعلم مني الصدق لو امرني محمد ان اقتل نفسي لقتلتها وروي انه قال ذلك ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر رضي الله عنهم فقال رسول الله والذي نفسي بيده ان من امتي رجالا الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال والله لو امرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل بنا ذلك ونزلت الآية في شأن حاطب ونزلت في شأن ثابت ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم اي لو اوجبنا عليهم مثل ما اوجبنا على بني اسرائيل

ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم واشد تثبيتا واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات او انفروا جميعا وان منكم لمن ليبطئن فان اصابتكم مصيبة قال قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا

من قتل انفسهم او خروجهم من ديارهم حين استتيبوا من عبادة العجل ما فعلوه الا ناس قليل منهم وهذا توبيخ عظيم والرفع على البدل من الواو في فعلوه وقرئ الا قليلا بالنصب على اصل الاستثناء او على الا فعلا قليلا ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من اتباع رسول الله وطاعته والانقياد لما يراه ويحكم به لانه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى لكان خيرا لهم في عاجلهم وآجلهم واشد تثبيتا لايمانهم وابعد من الاضطراب فيه واذا جواب لسؤال مقدر كانه قيل وماذا يكون لهم ايضا بعد التثبيت فقيل واذا لو ثبتوا لآتيناهم لان اذا جواب وجزاء من لدنا اجرا عظيما كقوله ويؤت من لدنه اجرا عظيما اي ان المراد العطاء المتفضل من عنده وتسميته اجرا لانه تابع للاجر لا تثبت الا بثباته ولهديناهم صراطا مستقيما لطفنا بهم ووفقناهم لازدياد الخيرات ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين افاضل صحابة الانبياء الذين تقدموا في تصديقهم كابي بكر الصديق رضي الله عنه وصدقوا في اقوالهم وافعالهم وهذا ترغيب للمؤمنين في الطاعة حيث وعدوا مرافقة اقرب عباد الله الى الله وارفعهم درجات عنده وحسن اولئك رفيقا فيه معنى التعجب كانه قيل وما احسن اولئك رفيقا ولاستقلاله بمعنى التعجب قرئ وحسن بسكون السين يقول المتعجب حسن الوجه وجهك بالفتح والضم مع التسكين والرفيق كالصديق والخليط يستوي فيه الواحد والجمع ويجوز ان يكون مفردا بين به الجنس في باب التمييز وروي ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله قليل الصبر عنه فاتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله عن حاله فقال يا رسول الله ما بي من وجع غير اني اذا لم ارك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك فذكرت الآخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم ادخل فذلك حين لا اراك ابدا فنزلت فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى اكون احب اليه من نفسه وابويه واهله وولده والناس اجمعين وحكي ذلك عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم ذلك مبتدأ والفضل صفته ومن الله الخبر ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ والفضل من الله خبره والمعنى ان ما اعطي المطيعون من الاجر العظيم ومرافقة المنعم عليهم من الله لانه تفضل منه عليهم تبعا لثوابهم وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه او اراد ان فضل المنعم عليهم ومزيتهم من الله لانهم اكتسبوه بتمكينه وتوفيقه وكفى بالله عليما بعباده فهو يوفقهم على حسب احوالهم خذوا حذركم الحذر والحذر بمعنى كالاثر والاثر يقال اخذ حذره اذا تيقظ واحترز من المخوف كانه جعل الحذر آلته التي يقي بها نفسه ويعصم بها روحه والمعنى احذروا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من انفسكم فانفروا اذا نفرتم الى العدو اما ثبات جماعات متفرقة سرية بعد سرية واما جميعا اي مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا فتلقوا بانفسكم الى التهلكة وقرئ فانفروا بضم الفاء وان منكم لمن ليبطئن اللام في لمن للابتداء بمنزلتها في قوله ان الله لغفور وفي ليبطئن جواب قسم محذوف تقديره وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن والقسم وجوابه صلة من والضمير الراجع منها اليه ما استكن في ليبطئن والخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمبطئون منهم المنافقون لانهم كانوا يغزون معهم نفاقا ومعنى ليبطئن ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد وبطأ بمعنى ابطأ كعتم بمعنى اعتم اذا ابطأ وقرئ ليبطئن

وبما انفقوا من اموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا كبيرا

يستحقون الفضل لا بالتغلب والاستطالة والقهر وقد ذكروا في فضل الرجال العقل والحزم والعزم والقوة والكتابة في الغالب والفروسية والرمي وان منهم الانبياء والعلماء وفيهم الامامة الكبرى والصغرى والجهاد والاذان والخطبة والاعتكاف وتكبيرات التشريق عند ابي حنيفة رضي الله عنه والشهادة في الحدود والقصاص وزيادة السهم والتعصيب في الميراث والحمالة والقسامة والولاية في النكاح والطلاق والرجعة وعدد الازواج واليهم الانتساب وهم اصحاب اللحى والعمائم وبما انفقوا وبسبب ما اخرجوا في نكاحهن من اموالهم في المهور والنفقات وروي ان سعد بن الربيع وكان نقيبا من نقباء الانصار نشزت عليه امراته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال افرشته كريمتي فلطمها فقال لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير ورفع القصاص واختلف في ذلك فقيل لا قصاص بين الرجل وامراته فيما دون النفس ولو شجها ولكن يجب العقل وقيل لا قصاص الا في الجرح والقتل واما اللطمة ونحوها فلا قانتات مطيعات قائمات بما عليهن للازواج حافظات للغيب الغيب خلاف الشهادة اي حافظات لمواجب الغيب اذا كان الازواج غير شاهدين لهن حفظن ما يجب عليهن حفظه في حال الغيبة من الفروج والبيوت والاموال وعن النبي صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الآية وقيل للغيب لاسرارهم بما حفظ الله بما حفظهن الله حين اوصى بهن الازواج في كتابه وامر رسوله فقال استوصوا بالنساء خيرا او بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب او بما حفظهن حين وعدهن الثواب العظيم على حفظ الغيب واوعدهن بالعذاب الشديد على الخيانة وما مصدرية وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه فالصوالح قوانت حوافظ للغيب بما حفظ الله فاصلحوا اليهن واللاتي تخافون نشوزهن عصيانهن ونشوزها ان تعصي زوجها ولا تطمئن اليه واصله الانزعاج فعظوهن واهجروهن في المضاجع اي لا تداخلوهن تحت اللحف وهي كناية عن الجماع وقيل هو ان يوليها ظهره في المضجع وقيل في المضاجع في بيوتهن التي يبتن فيها اي لا تبايتوهن وترك المضجع وفي المضطجع وذلك لتعرفوا احوالهن وتحققوا امرهن في النشوز امر بوعظهن اولا ثم بهجرانهن في المضاجع ثم بالضرب ان لم ينجع فيهن الوعظ والهجران وقيل معناه اكرهوهن على الجماع واربطوهن من هجر البعير اذا شده بالهجار وهذا من تفسير الثقلاء وقالوا يجب ان يكون ضربا غير مبرح لا يجرحها ولا يكسر لها عظما ويجتنب الوجه وعن النبي صلى الله عليه وسلم علق سوطك حيث يراه اهلك وعن اسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما كنت رابعة اربع نسوة عند الزبير بن العوام فاذا غضب على احدنا ضربها بعود المشجب حتى يكسره عليها ويروى عن الزبير رضي الله عنه ابيات ولولا بنوها حولها لخبطتها فلا تبغوا عليهن سبيلا فازيلوا عنهن التعرض بالاذى والتوبيخ والتجني وتوبوا عليهن واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن بعد رجوعهن الى الطاعة والانقياد وترك النشوز ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه واعلموا ان قدرته عليكم اعظم من قدرتكم على من تحت ايديكم وروي ان ابا مسعود الانصاري رضي الله عنه رفع سوطه ليضرب

وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا
واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب
والصاحب بالجنب وابن السبيل

غلاما له فبصر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاح به أبا مسعود لله أقدر عليك منك عليه فرمى بالسوط وأعتق الغلام أو إن الله كان عليا كبيرا وأنكم تعصونه على علو شأنه وكبرياء سلطانه ثم تتوبون فيتوب عليكم فأنتم أحق بالعفو عمن يجني عليكم إذا رجع. **شقاق بينهما** أصله شقاقا بينهما فأضيف الشقاق إلى الظرف على طريق الاتساع كقوله بل مكر الليل والنهار وأصله بل مكر في الليل والنهار أو على أن جعل البين مشاقا والليل والنهار ماكرين على قولهم نهارك صائم والضمير للزوجين ولم يجر ذكرهما لجري ذكر ما يدل عليهما وهو الرجال والنساء. **حكما** من أهله رجلا مقنعا رضيا يصلح لحكومة العدل والإصلاح بينهما وإنما كان بعث الحكمين من أهلهما لأن الأقارب أعرف ببواطن الأحوال وأطلب للصلاح وإنما تسكن إليهم نفوس الزوجين ويبرز إليهم ما في ضمائرهما من الحب والبغض وإرادة الصحبة والفرقة وموجبات ذلك ومقتضياته وما يزويانه عن الأجانب ولا يحبان أن يطلعوا عليه. **فإن قلت** فهل يليان الجمع بينهما والتفريق إن رأيا ذلك. **قلت** قد اختلف فيه فقيل ليس إليهما ذلك إلا بإذن الزوجين وقيل ذلك إليهما وما جعلا حكمين إلا وإليهما بناء الأمر على ما يقتضيه اجتهادهما وعن عبيدة السلماني شهدت عليا رضي الله عنه وقد جاءته امرأة وزوجها ومع كل واحد منهما فئام من الناس فأخرج هؤلاء حكما وهؤلاء حكما فقال علي للحكمين أتدريان ما عليكما إن عليكما إن رأيتما أن تفرقا فرقتما وإن رأيتما أن تجمعا جمعتما فقال الزوج أما الفرقة فلا فقال علي كذبت والله لا تبرح حتى ترضى بكتاب الله لك وعليك فقالت المرأة رضيت بكتاب الله لي وعلي وعن الحسن رضي الله عنه يجمعان ولا يفرقان وعن الشعبي ما قضى الحكمان جاز. **إن يريدا** إصلاحا الألف في يريدا ضمير الحكمين وفي يوفق الله بينهما للزوجين أي إن قصدا إصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله بورك في وساطتهما وأوقع الله بطيب نفسهما وحسن سعيهما بين الزوجين الوفاق والألفة وألقى في نفوسهما المودة والرحمة وقيل الضميران للحكمين أي إن قصدا إصلاح ذات البين والنصيحة للزوجين يوفق الله بينهما فيتفقان على الكلمة الواحدة ويتساندان في طلب الوفاق حتى يحصل الغرض ويتم المراد وقيل الضميران للزوجين أي إن يريدا إصلاح ما بينهما وطلبا الخير وأن يزول عنهما الشقاق يطرح الله بينهما الألفة وأبدلهما بالشقاق وفاقا وبالبغضاء مودة. **إن الله كان** عليما خبيرا يعلم كيف يوفق بين المختلفين ويجمع بين المفترقين لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم. **وبالوالدين إحسانا** وأحسنوا بهما إحسانا وبذي القربى وبكل من بينكم وبينه قربى من أخ أو عم أو غيرهما. **والجار** ذي القربى الذي قرب جواره والجار الجنب الذي جواره بعيد وقيل الجار القريب النسيب والجار الجنب الأجنبي وأنشد لبلعاء بن قيس: لا يجتوينا مجاور أبدا ذو رحم أو مجاور جنب. وقرئ والجار ذا القربى نصبا على الاختصاص كما قرئ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى تنبيها على عظم حقه لإدلائه بحقي الجوار والقربى. والصاحب بالجنب هو الذي صحبك بأن حصل بجنبك إما رفيقا في سفر وإما جارا

وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله
وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا
وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها

١٢٠

ملاصقا وإما شريكا في تعلم علم أو حرفة وإما قاعدا إلى جنبك في مجلس أو مسجد أو غير ذلك من أدنى صحبة التأمت بينك وبينه فعليك أن ترعى ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة إلى الإحسان وقيل الصاحب بالجنب المرأة. وابن السبيل المسافر المنقطع وقيل الضيف. والمختال التياه الجهول الذي يتكبر عن إكرام أقاربه وأصحابه ومماليكه فلا يتحفى بهم ولا يلتفت إليهم. **وقرئ** والجار الجنب بفتح الجيم وسكون النون. **الذين يبخلون** بدل من قوله من كان مختالا فخورا أو نصب على الذم ويجوز أن يكون رفعا عليه وأن يكون مبتدأ خبره محذوف كأنه قيل الذين يبخلون ويفعلون ويصنعون أحقاء بكل ملامة. وقرئ بالبخل بضم الباء وفتحها وبفتحتين وبضمتين أي يبخلون بذات أيديهم وبما في أيدي غيرهم فيأمرونهم بأن يبخلوا به مقتا للسخاء ممن وجد وفي أمثال العرب أبخل من الضنين بنائل غيره. وإن امرأ ضنت يداه على امرئ بنيل يد من غيره لبخيل. ولقد رأينا ممن بلي بداء البخل من إذا طرق سمعه أن أحدا جاد على أحد شخص به وحل حبوته واضطرب ودارت عيناه في رأسه كأنما نهب رحله وكسرت خزانته ضجرا من ذلك وحسرة على وجوده. وقيل هم اليهود كانوا يأتون رجالا من الأنصار يتنصحون لهم ويقولون لا تنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون. **ويكتمون** ما آتاهم الله من فضله من الغنى والتفاقر إلى الناس وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا أنعم الله على عبد نعمة أحب أن ترى نعمته على عبده وبنى عامل للرشيد قصرا حذاء قصره فنم به عنده فقال الرجل يا أمير المؤمنين إن الكريم يسره أن يرى أثر نعمته فأحببت أن أسرك بالنظر إلى آثار نعمتك فأعجبه كلامه. وقيل نزلت في شأن اليهود الذين كتموا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم. **رئاء الناس** للفخار وليقال ما أسخاهم وما أجودهم لا ابتغاء وجه الله وقيل نزلت في مشركي مكة المنفقين أموالهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فساء قرينا حيث حملهم على البخل والرياء وكل شر ويجوز أن يكون وعيدا لهم بأن الشيطان يقرن بهم في النار. **وماذا عليهم** وأي تبعة ووبال عليهم في الإيمان والإنفاق في سبيل الله والمراد الذم والتوبيخ وإلا فكل منفعة ومفلحة في ذلك وهذا كما يقال للمنتقم ما ضرك لو عفوت وللعاق ما كان يرزؤك لو كنت بارا وقد علم أنه لا مضرة ولا مرزئة في العفو والبر ولكنه ذم وتوبيخ وتجهيل بمكان المنفعة. وكان الله بهم عليما وعيد. **الذرة** النملة الصغيرة وفي قراءة عبد الله رضي الله عنه مثقال نملة وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه أدخل يده في التراب فرفعه ثم نفخ فيه فقال كل واحدة من هؤلاء ذرة وقيل كل جزء من أجزاء الهباء في الكوة ذرة وفيه دليل على أنه لو نقص من الأجر أدنى شيء وأصغره أو زاد في العقاب لكان ظلما وأنه لا يفعله لاستحالته في الحكمة لا لاستحالته في القدرة. **وإن تك** حسنة وإن يك مثقال الذرة حسنة وإنما أنث ضمير المثقال لكونه مضافا إلى مؤنث وقرئ بالرفع على كان التامة. يضاعفها يضاعف ثوابها لاستحقاقها عنده الثواب في كل وقت من الأوقات المستقبلة غير المتناهية وعن عثمان النهدي أنه قال لأبي هريرة رضي الله عنه بلغني عنك أنك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله تعالى يعطي عبده المؤمن بالحسنة ألف ألف حسنة قال أبو هريرة لا بل سمعته يقول إن الله تعالى يعطيه ألفي ألف حسنة

ويؤت من لدنه اجرا عظيما فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هولاء شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر

ثم تلا هذه الآية والمراد الكثرة لا التحديد ويؤت من لدنه اجرا عظيما ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل عطاء عظيما وسماه اجرا لانه تابع له وقرئ يضعفها بالتشديد والتخفيف من اضعف وضعّف وقرا ابن هرمز نضاعفها بالنون فكيف يصنع هولاء الكفرة من اليهود وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم كقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وجئنا بك على هولاء المكذبين شهيدا وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قرا سورة النساء على رسول الله عليه السلام حتى بلغ قوله وجئنا بك على هولاء شهيدا فبكى رسول الله وقال حسبنا لو تسوى بهم الارض لو يدفنون فتسوى بهم الارض كما تسوى بالموتى وقيل يودون انهم لم يبعثوا وانهم كانوا والارض سواء وقيل تصير البهائم ترابا فيودون حالها ولا يكتمون الله حديثا ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون ان يدفنوا تحت الارض وانهم لا يكتمون الله حديثا ولا يكذبون في قولهم والله ربنا ما كنا مشركين لانهم اذا قالوا ذلك وجحدوا شركهم ختم الله على افواههم عندئذ لتكلمت ايديهم وارجلهم بتكذيبهم والشهادة عليهم بالشرك فلشدة الامر عليهم يتمنون ان تسوى بهم الارض وقرئ تسوى بحذف التاء من تتسوى يقال سويته فتسوى نحو لويته فتلوى وتسوى بادغام التاء في السين كقوله يسمعون وماضيه اسوى كازكى لا تقربوا الصلوة روي ان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه صنع طعاما وشرابا فدعا نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا فلما ثملوا وجاء وقت صلوة المغرب قدموا احدهم ليصلي بهم فقرا اعبد ما تعبدون وانتم عابدون ما اعبد فنزلت فكانوا لا يشربون في اوقات الصلوة فاذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون ثم نزل تحريمها ومعنى لا تقربوا الصلوة لا تغشوها ولا تقوموا اليها واجتنبوها كقوله ولا تقربوا الزنى ولا تقربوا الفواحش وقيل معناه لا تقربوا مواضعها وهي المساجد لقوله عليه السلام جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وقيل هو سكر النعاس وغلبة النوم كقوله ورانوا بسكر سناتهم كل الربوب وقرئ سكارى بفتح السين وسكرى على ان يكون جمعا نحو هلكى وجوعى لان السكر علة تلحق العقل او مفردا بمعنى وانتم جماعة سكرى كقولك امراة سكرى وسكرى بضم السين كحبلى على ان يكون صفة للجماعة وحكى جناح بن حبيش كسلى وكسلى بالضم والفتح ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى لان محل الجملة مع الواو النصب على الحال كانه قيل لا تقربوا الصلوة سكارى ولا جنبا والجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمونث لانه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الاجناب الا عابري سبيل استثناء من عامة احوال المخاطبين وانتصابه على الحال فان قلت كيف جمع بين هذه الحال والحال التي قبلها قلت كانه قيل لا تقربوا الصلوة في حال الجنابة الا ومعكم حال اخرى تعذرون فيها وهي حال السفر وعبور السبيل عبارة عنه ويجوز ان لا يكون حالا ولكن صفة لقوله جنبا اي لا تقربوا الصلوة جنبا غير عابري سبيل اي جنبا مقيمين غير معذورين فان قلت كيف تصح صلوتهم على الجنابة لعذر السفر قلت اريد بالجنب الذين لم يغتسلوا كانه قيل لا تقربوا الصلوة غير مغتسلين حتى تغتسلوا الا ان تكونوا مسافرين وقال من فسر الصلوة بالمسجد معناه لا تقربوا المسجد

او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم ان الله كان عفوا غفورا الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون ان تضلوا السبيل والله اعلم باعدائكم وكفى بالله وليا

جنبا الا مجتازين فيه اذا كان الطريق فيه الى الماء او كان الماء فيه او احتلمتم فيه وقيل ان رجالا من الانصار كانت ابوابهم في المسجد فتصيبهم الجنابة ولا يجدون ممرا الا في المسجد فرخص لهم وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ياذن لاحد ان يجلس في المسجد ويمر فيه وهو جنب الا لعلي رضي الله عنه لان بيته كان في المسجد فان قلت ادخل في حكم الشرط اربعة وهم المرضى والمسافرون والمحدثون واهل الجنابة فبمن تعلق الجزاء الذي هو الامر بالتيمم عند عدم الماء منهم قلت الظاهر انه متعلق بهم جميعا وان المرضى اذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول اليه فلهم ان يتيمموا وكذلك السفر اذا عدموه لبعده والمحدثون واهل الجنابة كذلك اذا لم يجدوه لبعض الاسباب وقال الزجاج الصعيد وجه الارض ترابا كان او غيره وان كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله فان قلت فما تصنع بقوله في سورة المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي بعضه وهذا لا يتاتى في الصخر الذي لا تراب عليه قلت قالوا ان من لابتداء الغاية فان قلت قولهم انها لابتداء الغاية قول متعسف ولا يفهم احد من العرب من قول القائل مسحت براسه من الدهن ومن الماء ومن التراب الا معنى التبعيض قلت هو كما تقول والاذعان للحق احق من المراء ان الله كان عفوا غفورا كناية عن الترخيص والتيسير لان من كانت عادته ان يعفو عن الخاطئين ويغفر لهم اثر ان يكون ميسرا غير معسر فان قلت كيف نظم في سلك واحد بين المرضى والمسافرين وبين المحدثين والمجنبين والمرض والسفر سبب من اسباب الرخصة والحدث سبب لوجوب الوضوء والجنابة سبب لوجوب الغسل قلت اراد سبحانه ان يرخص للذين وجب عليهم التطهر وهم عادمون للماء في التيمم بالتراب فخص اولا من بينهم مرضاهم وسفرهم لانهم المتقدمون في استحقاق بيان الرخصة لهم لكثرة المرض والسفر وغلبتهما على ساير الاسباب الموجبة للرخصة ثم عم كل من وجب عليه التطهر واعوزه الماء لخوف عدو او سبع او عدم آلة استقاء او ارهاق في مكان لا ماء فيه او غير ذلك مما لا يكثر كثرة المرض والسفر وقرئ من الغيط قيل هو تخفيف الغيط كهين في هين والغيط بمعنى الغايط الم تر من رؤية القلب وعدي بالى على معنى الم ينته علمك اليهم او بمعنى الم تنظر اليهم اوتوا نصيبا من الكتاب حظا من علم التورية وهم احبار اليهود يشترون الضلالة يستبدلونها بالهدى وهو البقاء على اليهودية بعد وضوح الآيات لهم على صحة نبوة رسول الله وانه هو النبي العربي المبشر به في التورية والانجيل ويريدون ان تضلوا السبيل انتم ايها المومنون سبيل الحق كما ضلوه وتنخرطوا في سلكهم لا تكفيهم ضلالتهم بل يحبون ان يضل معهم غيرهم وقرئ ان يضلوا بالياء بفتح الضاد وكسرها والله اعلم منكم باعدائكم وقد اخبركم بعداوة هولاء واطلعكم على احوالهم وما يريدون بكم فاحذروهم ولا تستنصحوهم في اموركم ولا تستشيروهم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا فثقوا بولايته ونصرته دونهم او لا تبالوا بهم فان الله ينصركم عليهم ويكفيكم مكرهم من الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا من الكتاب

وكفى بالله نصيرا من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع و
راعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم

لأنهم يهود ونصارى ومؤمنون والله أعلم وكفى بالله جمل توسطت بين البيان والمبين على سبيل الاعتراض
أو بيان لأعدائكم وما بينهما اعتراض أو صلة لنصيرا أي ينصركم من الذين هادوا كقوله ونصرناه من
القوم الذين كذبوا ويجوز أن يكون كلاما مبتدأ على أن يحرفون صفة مبتدأ محذوف تقديره من الذين
هادوا قوم يحرفون كقوله . وما الدهر إلا تارتان فمنهما . أموت وأخرى أبتغي العيش أكدح .
أي فمنهما تارة أموت فيها **يحرفون** الكلم عن مواضعه يميلونه عنها ويزيلونه لأنهم إذا بدلوه
ووضعوا مكانه كلما غيره فقد أمالوه عن مواضعه التي وضعه الله فيها وأزالوه عنها وذلك
نحو تحريفهم أسمر ربعة عن موضعه في التوراة بوضعهم آدم طوال مكانه ونحو تحريفهم الرجم
بوضعهم الحد بدله **فإن قلت** كيف قيل هاهنا عن مواضعه وفي المائدة من بعد مواضعه **قلت** أما عن
مواضعه فعلى ما فسرنا من إزالته عن مواضعه التي أوجبت حكمة الله وضعه فيها بما اقتضت
شهواتهم من إبدال غيره مكانه وأما من بعد مواضعه فالمعنى أنه كانت له مواضع هو قمن بأن
يكون فيها فحين حرفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له بعد مواضعه ومقاره والمعنيان متقاربان
وقرئ يحرفون الكلام والكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة وقولهم غير
مسمع حال من المخاطب أي اسمع وأنت غير مسمع وهو قول ذو وجهين يحتمل الذم أي اسمع
منا مدعوا عليك بلا سمعت لأنه لو أجيبت دعوتهم عليه لم يسمع فكان أصم غير مسمع
قالوا ذلك اتكالا على أن قولهم لا سمعت دعوة مستجابة أو اسمع غير مجاب إلى ما تدعو إليه
ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك فكأنك لم تسمع شيئا أو اسمع غير مسمع كلاما ترضاه
فسمعك عنه ناب ويجوز على هذا أن يكون غير مسمع مفعول اسمع أي اسمع كلاما
غير مسمع إياك لأن أذنك لا تعيه نبوا عنه ويحتمل المدح أي اسمع غير مسمع مكروها
من قولك أسمع فلان فلانا إذا سبه وكذلك قولهم راعنا يحتمل راعنا نكلمك أي ارقبنا
وانتظرنا ويحتمل شبه كلمة عبرانية أو سريانية كانوا يتسابون بها وهي راعينا
فكانوا سخرية بالدين وهزءا برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمة
والإهانة ويظهرون به التوقير والإكرام **ليا بألسنتهم** فتلا بها وتحريفا أي يفتلون بألسنتهم
الحق إلى الباطل حيث يضعون راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا أسمعت مكروها
أو يفتلون بألسنتهم ما يضمرونه من الشتم إلى ما يظهرونه من التوقير نفاقا **فإن قلت** كيف جاءوا بالقول
المحتمل ذي الوجهين بعد ما صرحوا وقالوا سمعنا وعصينا **قلت** جميع الكفرة كانوا يواجهونه
بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء ويجوز أن يقولوه فيما بينهم ويجوز أن
لا ينطقوا بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا به جعلوا كأنهم نطقوا به وقرأ أبي رضي الله عنه وأنظرنا
من الإنظار وهو الإمهال **فإن قلت** إلام يرجع الضمير في قوله لكان خيرا لهم **قلت** إلى أنهم قالوا
لأن المعنى ولو ثبت قولهم سمعنا وأطعنا لكان قولهم ذلك خيرا لهم وأقوم وأعدل وأسد **ولكن لعنهم**

ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من
قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا إن الله لا يغفر أن يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من

الله بكفرهم أي خذلهم بسبب كفرهم وأبعدهم عن ألطافه فلا يؤمنون إلا إيمانا قليلا أي ضعيفا
ركيكا لا يعبأ به وهو إيمانهم بمن خلقهم مع كفرهم بغيره أو أراد بالقلة العدم كقوله . قليل التشكي
للمهم يصيبه أي عديم التشكي أو إلا قليلا منهم قد آمنوا **أن نطمس** وجوها أي نمحو تخطيط صورها
من عين وحاجب وأنف وفم **فنردها** على أدبارها فنجعلها على هيئة أدبارها وهي الأقفاء مطموسة مثلها
والفاء للتسبيب وإن جعلتها للتعقيب على أنهم توعدوا بعقابين أحدهما عقيب الآخر ردها على
أدبارها بعد طمسها فالمعنى أن نطمس وجوها فننكسها الوجوه إلى خلف والأقفاء إلى قدام **ووجه**
آخر وهو أن يراد بالطمس القلب والتغيير كما طمس أموال القبط فقلبها حجارة وبالوجوه رؤساءهم ووجهاءهم
أي من قبل أن نغير أحوال وجهائهم فنسلبهم إقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارهم وإدبارهم أو
نردهم إلى حيث جاءوا منه وهي أذرعات الشام يريد إجلاء بني النضير **فإن قلت** لمن الراجع في قوله أو نلعنهم
قلت للوجوه إن أريد الوجهاء أو لأصحاب الوجوه لأن المعنى من قبل أن نطمس وجوه قوم أو يرجع إلى الذين
أوتوا الكتاب على طريقة الالتفات أو نلعنهم أو نخزيهم بالمسخ كما مسخنا أصحاب السبت **فإن قلت**
فأين وقوع الوعيد **قلت** هو مشروط بالإيمان وقد آمن منهم ناس وقيل هو منتظر ولا بد من طمس ومسخ
لليهود قبل يوم القيامة ولأن الله تعالى أوعدهم بأحد الأمرين بطمس وجوه منهم أو بلعنهم فإن كان
الطمس تبديل أحوال رؤسائهم أو إجلاءهم إلى الشام فقد كان أحد الأمرين وإن كان غيره فقد حصل اللعن
فإنهم ملعونون بكل لسان والظاهر اللعن المتعارف دون المسخ ألا ترى إلى قوله قل هل أنبئكم بشر من
ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وكان أمر الله مفعولا
فلا بد أن يقع أحد الأمرين إن لم يؤمنوا **فإن قلت** قد ثبت أن الله عز وعلا يغفر الشرك لمن تاب منه وأنه لا يغفر
ما دون الشرك من الكبائر إلا بالتوبة فما وجه قوله إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
قلت الوجه أن يكون الفعل المنفي والمثبت جميعا موجهين إلى قوله لمن يشاء كأنه قيل إن الله لا يغفر لمن يشاء الشرك
ويغفر لمن يشاء ما دون الشرك على أن المراد بالأول من لم يتب وبالثاني من تاب ونظيره قولك إن الأمير لا يبذل
الدينار ويبذل القنطار لمن يشاء تريد لا يبذل الدينار لمن لا يستأهله ويبذل القنطار لمن يستأهله **فقد افترى**
إثما أي ارتكبه وهو مفتر مفتعل ما لا يصح كونه **الذين يزكون** أنفسهم هم اليهود والنصارى قالوا نحن
أبناء الله وأحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى وقيل جاء رجال من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بأطفالهم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن إلا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل
وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار فنزلت ويدخل فيها كل من زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل وزيادة الطاعة
والتقوى والزلفى عند الله **فإن قلت** أما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض **قلت** إنما قال ذلك
حين قال له المنافقون اعدل في القسمة إكذابا لهم إذ وصفوه بخلاف ما وصفه به ربه وشتان من شهد الله له
بالتزكية ومن شهد لنفسه أو شهد له من لا يعلم **بل الله** يزكي من يشاء إعلام بأن تزكية الله هي التي يعتد بها
لا تزكية غيره لأنه هو العالم بمن هو أهل للتزكية ومعنى يزكي من يشاء يزكي المرتضين من عباده الذين

ولا يظلمون فتيلا انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اثما مبينا الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون
بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلا اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن
تجد له نصيرا ام لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله فقد اتينا ال ابراهيم
الكتاب والحكمة واتيناهم ملكا عظيما فمنهم من امن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا ان الذين كفروا باياتنا سوف نصليهم نارا
كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها

اى الذين يزكون انفسهم يعاقبون على تزكيتهم انفسهم حق جزائهم او من يشاء يثابون على زكائهم ولا ينقص من ثوابهم ونحوه فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى كيف يفترون على الله الكذب في زعمهم انهم عند الله ازكياء وكفى بزعمهم هذا اثما مبينا من بين سائر اثامهم الجبت الاصنام وكل ما عبد من دون الله والطاغوت الشيطان وذلك ان حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين خرجا الى مكة مع جماعة من اليهود يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه فقالوا انتم اهل الكتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نامن مكركم فاسجدوا لالهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام واطاعوا ابليس فيما فعلوا وقال ابو سفيان انحن اهدى سبيلا ام محمد فقال كعب ماذا يقول محمد قالوا يامر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت نسقي الحاج ونقري الضيف ونفك العاني وذكروا افعالهم فقال انتم اهدى سبيلا وصف اليهود بالبخل والحسد وهما شر خصلتين يمنعون ما اوتوا من النعمة ويتمنون ان لا يكون لهم نعمة غيرهم فقال ام لهم نصيب من الملك على ان ام منقطعة ومعنى الهمزة لانكار ان يكون لهم نصيب من الملك ثم قال فاذا لا يؤتون الناس اى لو كان لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون احدا مقدار نقير لفرط بخلهم والنقير النقرة في ظهر النواة وهو مثل في القلة كالفتيل والقطمير والمراد بالملك اما ملك اهل الدنيا واما ملك الله تعالى كقوله قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق وهذا اوصف لهم بالشح واحسن لطباقه نظيره من القرآن ويجوز ان يكون معنى الهمزة في ام لانكار انهم قد اوتوا نصيبا من الملك وكانوا اصحاب اموال وبساتين وقصور مشيدة كما تكون احوال الملوك وانهم لا يؤتون احدا مما يملكون شيئا وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه فاذا لا يؤتوا على اعمال اذا عملها الذي هو النصب وهي ملغاة في قراءة العامة كانه قيل فلا يؤتون الناس نقيرا اذا ام يحسدون الناس بل ايحسدون رسول الله والمؤمنين على انكار الحسد واستقباحه وكانوا يحسدونهم على ما اتاهم الله من النصرة والغلبة وازدياد العز والتقدم كل يوم فقد اتينا الزام لهم بما عرفوه من ايتاء الله الكتاب والحكمة ال ابراهيم الذين هم اسلاف محمد صلى الله عليه وانه ليس ببدع ان يؤتيه الله مثل ما اوتي اسلافه وعن ابن عباس رضي الله عنه الملك في ال ابراهيم ملك يوسف وداود وسليمان عليهم السلام وقيل استكثروا نساءه فقيل لهم كيف استكثرتم له التسع وقد كان لداود مائة ولسليمان عليهما السلام ثلثمائة مهيرة وسبعمائة سرية فمنهم من امن به اى من اليهود من امن به اى بما ذكر من حديث ال ابراهيم ومنهم من صد عنه وانكره مع علمه بصحته او من اليهود من امن برسول الله ومنهم من انكر نبوته او من ال ابراهيم من امن بابراهيم ومنهم من كفر كقوله فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون بدلناهم جلودا غيرها ابدلناهم اياها فان قلت كيف تعذب مكان الجلود العاصية جلود لم تعص قلت العذاب للجملة الحساسة وهي التي عصت لا للجلد وعن فضيل يجعل النضيج غير نضيج

ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما
فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه
اجرا عظيما وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا
اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها

بالتخفيف يقال بطأ على فلان وابطأ عليه وبطؤ نحو ثقل ويقال ما ابطأ بك فيعدى بالباء ويجوز ان يكون منقولا من بطؤ نحو ثقل من ثقل فيراد ليبطئن غيره وليثبطنه عن الغزو وكان هذا ديدن المنافق عبد الله بن ابي وهو الذي ثبط الناس يوم احد فان اصابتكم مصيبة من قتل او هزيمة فضل من الله من فتح او غنيمة ليقولن وقرأ الحسن رضي الله عنه ليقولن بضم اللام اعادة للضمير الى معنى من لان قوله لمن ليبطئن في معنى الجماعة وقوله كأن لم تكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل الذي هو ليقولن وبين مفعوله وهو يا ليتني والمعنى كأن لم يتقدم له معكم موادة لان المنافقين كانوا يوادون المؤمنين ويصادقونهم في الظاهر وان كانوا يبغون لهم الغوائل في الباطن والظاهر انه تهكم لانهم كانوا اعدى عدو للمؤمنين واشدهم حسدا لهم فكيف يوصفون بالمودة الا على وجه العكس تهكما بحالهم وقرئ فافوز بالرفع عطفا على كنت معهم لينتظم الكون معهم والفوز في معنى التمني فيكونا متمنيين جميعا ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف بمعنى فانا افوز في ذلك الوقت يشرون بمعنى يشترون ويبيعون قال ابن مفرغ الحميري وشريت بردا ليتني من بعد برد كنت هامة فالذين يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة هم المبطئون وعظوا بان يغيروا ما بهم من النفاق ويخلصوا الايمان بالله ورسوله ويجاهدوا في سبيل الله حق الجهاد والذين يبيعون هم المؤمنون الذين يستحبون الاجلة على العاجلة ويستبدلونها بها والمعنى ان صد الذين مرضت قلوبهم وضعفت نياتهم عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون ووعد المقاتل في سبيل الله ظافرا او مظفورا به ايتاء الاجر العظيم على اجتهاده في اعزاز دين الله تعالى والمستضعفين فيه وجهان ان يكون مجرورا عطفا على سبيل الله اى في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين ومنصوبا على الاختصاص يعني واختص من سبيل الله خلاص المستضعفين لان سبيل الله عام في كل خير وخلاص المستضعفين من المسلمين من ايدي الكفار من اعظم الخير واخصه والمستضعفون هم الذين اسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين اظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون منهم الاذى الشديد فكانوا يدعون الله تعالى بالخلاص ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم الخروج الى المدينة وبقي بعضهم الى الفتح حتى جعل الله لهم من لدنه خير ولي وناصر وهو محمد صلى الله عليه فتولاهم احسن التولي ونصرهم اقوى النصر ولما خرج استعمل على مكة عتاب بن اسيد فراوا منه الولاية والنصرة كما ارادوا قال ابن عباس رضي الله عنهما كان ينصر الضعيف من القوي حتى كانوا اعز بها من الظلمة فان قلت لم ذكر الولدان قلت تسجيلا بافراط ظلمهم حيث بلغ اذاهم الولدان غير المكلفين ارغاما لابائهم وامهاتهم ومبغضة لهم لمكانهم ولان المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم في دعائهم استنزالا لرحمة الله تعالى بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس عليه السلام وكما وردت السنة باخراجهم في الاستسقاء وعن ابن عباس رضي الله عنهما كنت انا وامي من المستضعفين من النساء والولدان ويجوز ان يراد بالرجال والنساء الاحرار والحرائر وبالولدان العبيد والاماء لان العبد والامة يقال لهما الوليد والوليدة وقيل للولدان والولائد الولدان لتغليب الذكور على الاناث كما يقال الاباء والاخوة فان قلت لم ذكر الظالم وموصوفه مؤنث قلت هو وصف للقرية الا انه مسند الى اهلها فاعطي اعراب القرية لانه صفتها وذكر لاسناده الى الاهل

قال صاحب الانتصاف رحمه الله ههنا نكتة وهي ان الظلم نسب في القرآن الى القرية مجازا [illegible] وههنا نسب الظلم الى اهلها اذ المراد مكة فوقعت عن نسبة الظلم اليها

قال رحمه الله من خشية الناس ... على العقد ... لخشية الله ... حال
لغير ... في الجود ... الحج ... الناس ... يكون ... صفة لمصدر
او خشية مثل خشية الله ... لا يكون ذلك ... او اشد خشية معطوف على خشية الله واشد
حال ليس صفة مصدر ان الحال ... مصدر ... كان ... او لا ... المصدر ...
او انه ... بالجر ... مصدر ... لم يكن ... مصدر
لا يكون ... صفة مصدر ... عطف ... لم يكن ... الا ...
صفة ... يكون اشد صفة لمصدر ... الى ... يكون ...
خشية خاشية ... جد جده ... او ... خشية ... اي ...
... خاشية ... لما جعل اشد ... الخشية ... ان يصح ... لمصدر
محذوف ... الى الخشية ... والاشد ... الخشية ... خاشية
... الا ... لمصدر ...
مجرورا ... اشد خشية ... الموصوف ... الكوفة ...
في خشية مجرور ...

واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله
والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان
ضعيفا الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلوة واتوا الزكوة فلما كتب عليهم القتال
اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال

كما تقول من هذه القرية التي ظلم اهلها ولو انث فقيل الظالمة اهلها لجاز لا لتانيث الموصوف ولكن
لان الاهل يذكر ويونث فان قلت هل يجوز من هذه القرية الظالمين اهلها قلت نعم كما تقول التي ظلموا
اهلها على لغة من يقول اكلوني البراغيث ومنه واسروا النجوى الذين ظلموا رغب الله المومنين ترغيبا
وشجعهم تشجيعا باخباره انهم انما يقاتلون في سبيل الله فهو وليهم وناصرهم واعداوهم يقاتلون
في سبيل الشيطان فلا ولي لهم الا الشيطان وكيد الشيطان للمومنين الى جنب كيد الله للكافرين اضعف شي
واوهنه كفوا ايديكم اي كفوها عن القتال وذلك ان المسلمين كانوا مكفوفين عن مقاتلة الكفار ما
داموا بمكة وكانوا يتمنون ان يوذن لهم فيه فلما كتب عليهم القتال بالمدينة كع فريق منهم لا شكا في
الدين ولا رغبة ولكن نفورا عن الاخطار بالارواح وخوفا من الموت كخشية الله من اضافة المصدر الى
المفعول فان قلت ما محل كخشية الله من الاعراب قلت محلها النصب على الحال من الضمير في يخشون اي يخشون الناس
مثل اهل خشية الله اي مشبهين لاهل خشية الله او اشد خشية بمعنى او اشد خشية
من اهل خشية الله واشد معطوف على الحال فان قلت لم عدلت عن الظاهر وهو كونه صفة للمصدر
ولم تقدر يخشون خشية مثل خشية الله بمعنى مثل ما يخشى الله قلت ابى ذلك قوله او اشد خشية لانه
وما عطف عليه في حكم واحد ولو قلت يخشون الناس اشد خشية لم يكن الا حالا عن ضمير الفريق ولم ينتصب
انتصاب المصدر لانك لا تقول خشي فلان اشد خشية فتنصب خشية وانت تريد المصدر انما تقول اشد خشية
فتجرها واذا نصبتها لم يكن اشد خشية الا عبارة عن الفاعل حالا منه اللهم الا ان تجعل الخشية خاشية
وذات خشية على قولهم جد جده فتزعم ان معناه يخشون الناس خشية مثل خشية الله او خشية اشد
خشية من خشية الله ويجوز على هذا ان يكون محل اشد مجرورا عطفا على خشية الله تريد كخشية الله او كخشية اشد
خشية منها لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف واستمهال الى وقت اخر كقوله لولا اخرتني الى اجل
قريب فاصدق ولا تظلمون فتيلا ولا تنقصون ادنى شي من اجوركم على مشاق القتال فلا ترغبوا عنه وقرى ولا
يظلمون بالياء وقرى يدرككم بالرفع وقيل هو على حذف الفاء كانه قيل فيدرككم الموت وشبه بقول القائل من يفعل الحسنات
الله يشكرها اي فالله ويجوز ان يقال حمل على ما يقع موقع اينما تكونوا وهو اينما كنتم كما حمل ولا ناعب على ما
يقع موقع ليسوا مصلحين وهو ليسوا بمصلحين كما رفع زهير اذا اتاه خليل يوم مسألة
يقول لا غائب مالي ولا حرم وهو قول نحوي سيبويه ويجوز ان يتصل بقوله ولا تظلمون فتيلا اي ولا تنقصون
شيئا مما كتب من اجالكم اينما تكونوا في ملاحم حروب وغيرها ثم ابتدا قوله يدرككم الموت ولو كنتم في بروج
مشيدة والوقف على هذا الوجه على اينما تكونوا والبروج الحصون مشيدة مرفوعة وقرى مشيدة
من شاد القصر اذا رفعه او طلاه بالشيد وهو الجص وقرا نعيم بن ميسرة رضي الله عنه مشيدة بكسر
اليا وصفا لها بفعل فاعلها مجازا كما قالوا قصيدة شاعرة وانما الشاعر قارضها السيئة تقع على البلية
والمعصية والحسنة على النعمة والطاعة قال الله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيات لعلهم يرجعون
وقال ان الحسنات يذهبن السيات والمعنى وان تصبهم نعمة من خصب ورخا نسبوها الى الله تعالى وان تصبهم
لولا اخرتنا الى اجل قريب قل متاع الدنيا قليل والاخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة
وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله

فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأرسلناك للناس رسولا وكفى
بالله شهيدا من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي
تقول والله يكتب ما يبيتون فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا أفلا يتدبرون القرآن

بلية من قحط وشدة أضافوها إليك وقالوا هي من عندك وما كانت إلا بشؤمك كما حكى الله تعالى عن قوم
موسى وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن قوم صالح قالوا اطيرنا بك وبمن معك
وروي عن اليهود لعنت أنها تشاءمت برسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا منذ دخل المدينة نقصت ثمارها
وغلت أسعارها فرد الله عليهم قل كل من عند الله يبسط الأرزاق ويقبضها على حسب المصالح
لا يكادون يفقهون حديثا فيعلموا أن الله هو الباسط القابض وكل ذلك صادر عن حكمة وصواب ما
أصابك يا إنسان خطابا عاما من حسنة أي من نعمة وإحسان فمن الله تفضلا منه وإحسانا وامتنانا وامتحانا
وما أصابك من سيئة أي من بلية ومصيبة فمن نفسك لأنك السبب فيها بما اكتسبت يداك وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت
أيديكم ويعفو عن كثير وعن عائشة رضي الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها
وحتى انقطاع شسع نعله إلا بذنب وما يعفو الله أكثر وأرسلناك للناس رسولا أي رسولا
للناس جميعا لست برسول العرب وحدهم أنت رسول العرب والعجم كقوله وما أرسلناك إلا كافة للناس وقل
يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا وكفى بالله شهيدا على ذلك فما ينبغي لأحد أن يخرج من طاعتك واتباعك
من يطع الرسول فقد أطاع الله لأنه لا يأمر إلا بما أمر الله ولا ينهى إلا عما نهى الله عنه فكانت طاعته في امتثال
ما أمر به والانتهاء عما نهى عنه طاعة لله تعالى وروي أنه قال من أحبني فقد أحب الله ومن أطاعني فقد أطاع
الله فقال المنافقون ألا تسمعون إلى ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو ينهى أن يعبد غير الله ما يريد
هذا الرجل إلا أن نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت ومن تولى عن الطاعة فأعرض عنه فما أرسلناك
إلا نذيرا لا حفيظا مهيمنا عليهم تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم كقوله وما
أنت عليهم بوكيل ويقولون إذا أمرتهم بشيء طاعة أي أمرنا طاعة ويجوز النصب بمعنى أطعناك طاعة
وهو من قول المرتسم سمعا وطاعة وسمع وطاعة ونحوه قول سيبويه وسمعنا بعض العرب الموثوق
بهم يقال له كيف أصبحت فيقول حمد الله وثناء عليه كأنه قال أمري وشأني حمد الله ولو نصب حمد
الله وثناء عليه كان على الفعل والرفع يدل على ثبات الطاعة واستقرارها بيت طائفة دبرت طائفة
وسوت غير الذي تقول خلاف ما قلت وما أمرت به أو خلاف ما قالت وما ضمنت من الطاعة لأنهم أبطنوا
الرد لا القبول والعصيان لا الطاعة وإنما ينافقون بما يقولون ويظهرون والتبييت إما من البيتوتة
لأنه قضاء الأمر وتدبيره بالليل يقال هذا أمر بيت بليل وإما من أبيات الشعر لأن الشاعر يدبرها
ويسويها والله يكتب ما يبيتون يثبته في صحائف أعمالهم ويجازيهم عليه على سبيل الوعيد
أو يكتبه في جملة ما يوحى إليك فيطلعك على أسرارهم فلا يحسبوا أن إبطانهم يغني عنهم فأعرض
ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم وتوكل على الله في شأنهم فإن الله يكفيك معرتهم وينتقم لك
منهم إذا قوي أمر الإسلام وعز أنصاره وقرئ بيت طائفة بالإدغام وتذكير الفعل لأن تأنيث
الطائفة غير حقيقي ولأنها في معنى الفريق والجمع أفلا يتدبرون تدبر الأمر تأمله
والنظر في أدباره وما يؤول إليه في عاقبته ومنتهاه ثم استعمل في كل تأمل فمعنى تدبر القرآن

ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك

تأمل معانيه وتبصّر ما فيه **لوجدوا** فيه اختلافا كثيرا لكان الكثير منه مختلفا متناقضا قد تفاوت
نظمه وبلاغته ومعانيه فكان بعضه بالغا حد الاعجاز وبعضه قاصرا عنه تمكن معارضته
وبعضه اخبارا بالغيب قد وافق المخبر عنه وبعضه اخبارا مخالفا للمخبر عنه وبعضه دالا
على معنى فاسد غير ملتئم فلما تجاوب كله بلاغة معجزة فائتة لقوى البلغاء وتناصر صحة
معان وصدق اخبار علم انه ليس الا من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره عالم بما لا يعلمه احد
سواه **فان قلت** اليس نحو قوله فاذا هي ثعبان مبين كأنها جان فوربك لنسألنهم اجمعين فيومئذ
لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان من الاختلاف **قلت** ليس باختلاف عند المتدبرين **اذاعوا به** هم ناس من ضعفة
المسلمين الذين لم تكن فيهم خبرة بالاحوال ولا استبطان للامور كانوا اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول
الله من امن وسلامة او خوف وخلل اذاعوا به وكانت اذاعتهم مفسدة ولو ردوا ذلك الخبر الى الرسول
صلى الله عليه والى اولي الامر وهم كبار الصحابة البصراء بالامور او الذين كانوا يؤمرون منهم لعلمه لعلم
تدبير ما اخبروا به **الذين** يستنبطونه الذين يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور
الحرب ومكايدها وقيل كانوا يقفون من رسول الله صلى الله عليه واولي الامر على امن ووثوق بالظهور على بعض
الاعداء او على خوف واستشعار فيذيعونه فينتشر فيبلغ الاعداء فتعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه
الى الرسول والى اولي الامر وفوضوه اليهم وكانوا كأن لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطونه تدبيره كيف يدبرونه
وما يأتون ويذرون فيه وقيل كانوا يسمعون من افواه المنافقين شيئا من الخبر عن السرايا مظنونا غير معلوم
الصحة فيذيعونه فيعود ذلك وبالا على المؤمنين ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر وقالوا نسكت حتى نسمعه
منهم ونعلم هل هو مما يذاع او لا يذاع لعلمه الذين يستنبطونه منهم لعلم صحته وهل هو مما يذاع او لا يذاع
هؤلاء المذيعون وهم الذين يستنبطونه من الرسول واولي الامر اي يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم
يقال اذاع السر واذاع به قال الذاعة في الناس حتى كأنه يفعل بها ناداه اوردت يتضمن ويجوز ان يكون
المعنى فعلوا به الاذاعة وهو ابلغ من اذاعوه وقرئ لعلمه باسكان اللام كقوله
فان اهجه يضجر كما ضجر بازل من الادم دبرت صفحتاه وغاربه **يستنبطونه** والنبط
الماء يخرج من البئر اول ما يحفر وانباطه واستنباطه اخراجه واستخراجه فاستعير لما يستخرجه
الرجل بفضل ذهنه من المعاني والتدابير فيما يعضل ويهم **ولولا فضل الله** عليكم ورحمته وهو ارسال
الرسول وانزال الكتاب والتوفيق لاتبعتم الشيطان لبقيتم على الكفر الا قليلا منكم او الا اتباعا قليلا
لما ذكر في الآي قبلها تثبطهم عن القتال واظهارهم الطاعة واضمارهم خلافها قال فقاتل في
سبيل الله ان افردوك وتركوك وحدك لا تكلف الا نفسك غير نفسك وحدها ان تقدمها الى الجهاد فان
الله ناصرك لا الجنود فان شاء نصرك وحدك كما ينصرك وحولك الالوف وقيل دعا الناس في بدر الصغرى
الى الخروج وكان ابو سفيان واعد رسول الله اللقاء فيها فكره بعض الناس ان يخرجوا فنزلت فخرج وما معه
الا سبعون لم يلو على احد ولو لم يتبعه احد لخرج وحده **وقرئ** لا تكلف بالجزم على النهي ولا نكلف بالنون

١٠٥

وكسر اللام اي لا نكلف نحن الا نفسك وحدها **وحرض** المؤمنين وما عليك في شأنهم الا التحريض فحسب
لا التعنيف بهم عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا وهم قريش وقد كف بأسهم فقد بدا لابي سفيان وقال
هذا عام مجدب وما كان معهم زاد الا السويق ولا يلقون الا في عام مخصب فرجع بهم **والله** اشد بأسا
من قريش واشد تنكيلا تعذيبا **من يشفع شفاعة حسنة** الشفاعة الحسنة هي التي روعي بها حق مسلم
ودفع بها عنه شر او جلب اليه خير وابتغي بها وجه الله ولم تؤخذ عليها رشوة وكانت في امر جائز لا
في حد من حدود الله تعالى ولا في حق من الحقوق والسيئة ما كان بخلاف ذلك وعن مسروق انه شفع
شفاعة فاهدى اليه المشفوع له جارية فغضب وردها وقال لو علمت ما في قلبك لما تكلمت في حاجتك
ولا اتكلم فيما بقي منها وقيل الشفاعة الحسنة هي الدعوة للمسلم لانها في معنى الشفاعة الى الله تعالى
وعن النبي صلى الله عليه من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك فذلك
النصيب والدعوة على المسلم بضد ذلك **مقيتا** شهيدا حفيظا وقيل مقتدرا واقات على الشيء قال الزبير بن
عبد المطلب وذي ضغن كففت السوء عنه وكنت على اساءته مقيتا وقال السموأل
الي الفضل ام علي اذا حوسبت اني على الحساب مقيت واشتقاقه من القوت لانه يمسك النفس ويحفظها
واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها الاحسن منها ان تقول وعليكم السلام ورحمة الله اذا قال السلام عليكم وان تزيد وبركاته
اذا قال ورحمة الله وروي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر
السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته
فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله تعالى وتلا الآية فقال انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله
او ردوها او اجيبوها بمثلها ورد السلام ورجعه جوابه بمثله لان المجيب يرد قول المسلم ويكرره
وجواب التسليمة واجب والتخيير انما وقع بين الزيادة وتركها وعن ابي يوسف رحمه الله من قال لآخر اقرئ
فلانا السلام وجب عليه ان يفعل وعن النخعي رحمه الله السلام سنة والرد فريضة وعن ابن عباس رضي الله عنهما
الرد واجب وما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت
عليه الملائكة ولا يرد السلام في الخطبة وقراءة القرآن ورواية الحديث وعند مذاكرة العلم والاذان والاقامة وعن
ابي يوسف رحمه الله لا يسلم على لاعب النرد والشطرنج والمغني والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعاري من غير
عذر في حمام او غيره وذكر الطحاوي رحمه الله ان المستحب رد السلام على الطهارة وعن النبي عليه السلام انه تيمم
لرد السلام قالوا ويسلم الرجل اذا دخل على امرأته ولا يسلم على اجنبية ويسلم الماشي على القاعد والراكب على
الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والاقل على الاكثر واذا التقيا ابتدرا وعن ابي
حنيفة رضي الله عنه لا يجهر بالرد يعني الجهر الكثير وعن النبي عليه السلام اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم اي
وعليكم ما قلتم لانهم كانوا يقولون السام عليكم وروي لا تبتدئ اليهودي بالسلام وان بدأك فقل
وعليك وعن الحسن رحمه الله يجوز ان تقول للكافر وعليك السلام ولا تقل ورحمة الله فانها استغفار
وعن الشعبي انه قال لنصراني سلم عليه وعليك السلام ورحمة الله فقيل له فقال اليس في رحمة الله يعيش وقد

ان الله على كل شىء حسيبا الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثا فما لكم في المنافقين فئتين والله اركسهم بما كسبوا اتريدون ان تهدوا من اضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا الا الذين يصلون

رخص بعض العلماء في ان يبدأ اهل الذمة بالسلام اذا دعت اليه حاجة تحوج اليهم وروي ذلك عن النخعي رحمه الله وعن ابي حنيفة رضي الله عنه لا تبدأه بسلام في كتاب ولا غيره وعن ابي يوسف رحمه الله لا تسلم عليهم ولا تصافحهم واذا دخلت فقل السلام على من اتبع الهدى ولا باس بالدعاء له بما يصلحه في دنياه. على كل شيء حسيبا اي يحاسبكم على كل شيء من التحية وغيرها لا اله الا هو اما خبر للمبتدا واما اعتراض والخبر ليجمعنكم ومعناه الله والله ليجمعنكم الى يوم القيمة اي ليحشرنكم اليه والقيامة والقيام كالطلابة والطلاب وهي قيامهم من القبور او قيامهم للحساب قال الله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين ومن اصدق من الله حديثا لانه عز وعلا لا يجوز عليه الكذب وذلك ان الكذب مستقل بصارف عن الاقدام عليه وهو قبحه ووجه قبحه هو كونه كذبا واخبارا عن الشيء بخلاف ما هو عليه فمن كذب لم يكذب الا لانه محتاج الى ان يكذب ليجر منفعة او يدفع مضرة او هو غني عنه الا انه يجهل غناه او هو جاهل بقبحه او سفيه لا يفرق بين الصدق والكذب في اخباره ولا يبالي بايهما نطق وربما كان الكذب احلى على حنكه من الصدق وعن بعض السفهاء انه عوتب على الكذب فقال لو غرغرت لهواتك به ما فارقته وقيل لكذاب هل صدقت قط فقال لولا اني صادق في قولي لا لقلتها فكان الحكيم الغني الذي لا تجوز عليه الحاجات العالم بكل معلوم منزها عنه كما هو منزه عن سائر القبائح فئتين نصب على الحال كقولك ما لك قائما روي ان قوما من المنافقين استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى البدو معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فيهم فقال بعضهم هم كفار وقال بعضهم هم مسلمون وقيل كانوا قوما هاجروا من مكة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا الى رسول الله انا على دينك وما اخرجنا الا اجتواء المدينة والاشتياق الى بلدنا وقيل هم قوم خرجوا مع رسول الله يوم احد ثم رجعوا وقيل هم العرنيون الذين اغاروا على السرح وقتلوا غلاما يسارا وقيل هم قوم اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة ومعناه ما لكم اختلفتم في شان قوم نافقوا نفاقا ظاهرا وتفرقتم فيه فرقتين وما لكم لم تثبتوا القول بكفرهم والله اركسهم اي ردهم الى حكم المشركين كما كانوا بما كسبوا من ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين واحتيالهم على رسول الله عليه السلام او اركسهم في الكفر بان خذلهم حتى ارتكسوا فيه لما علم من مرض قلوبهم اتريدون ان تهدوا ان تجعلوا من جملة المهتدين من اضل الله من جعله من جملة الضلال او حكم عليه بذلك او خذله حتى ضل وقرئ ركسهم وركسوا فيها فتكونون عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز والمعنى ودوا كفركم وكونكم معهم شرعا واستواء فيما هم عليه من الضلال واتباع دين الاباء فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يظاهروا ايمانهم بهجرة صحيحة هي لله ورسوله لا لغرض من اغراض الدنيا مستقيمة ليس بعدها بدا ولا تعرج فان تولوا عن الايمان الظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة فحكمهم حكم سائر المشركين يقتلون حيث وجدوا في الحل والحرم وجانبوهم مجانبة كلية وان بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم الا الذين يصلون استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم ومعنى يصلون الى قوم ينتهون اليهم ويتصلون

الى قوم بينكم وبينهم ميثاق او جاءوكم حصرت صدورهم ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا ستجدون اخرين يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم كلما ردوا الى الفتنة اركسوا

بهم وعن ابي عبيدة هو من الانتساب وصلت فلان واتصلت به اذا انتميت اليه وقيل ان الانتساب لا اثر له في منع القتال فقد قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم من معه من هو من انسابهم والقوم هم الاسلميون كان بينهم وبين رسول الله عهد وذلك انه وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من وصل الى هلال ولجا اليه فله من الجوار مثل الذي لهلال وقيل القوم بنو بكر بن زيد مناة كانوا في الصلح او جاؤكم لا يخلو من ان يكون معطوفا على صفة قوم كانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليكم او على صلة الذين كانه قيل الا الذين يتصلون بالمعاهدين او الذين لا يقاتلونكم والوجه العطف على الصلة لقوله فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا بعد قوله فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم فقرر ان كفهم عن القتال احد سببي استحقاقهم لنفي التعرض عنهم وترك الايقاع بهم فان قلت كل واحد من الاتصالين له تاثير في صحة الاستثناء واستحقاق ازالة التعرض الاتصال بالمعاهدين والاتصال بالكافين لان الاتصال بهؤلاء او هؤلاء دخول في حكمهم فهلا جوزت ان يكون العطف على صفة قوم ويكون قوله فان اعتزلوكم تقريرا لحكم اتصالهم بالمكافين واختلاطهم بهم وجريهم على سننهم قلت هو جائز ولكن الاول اظهر واجرى على اسلوب الكلام وفي قراءة ابي رضي الله عنه بينكم وبينهم ميثاق جاؤكم حصرت صدورهم بغير او ووجهه ان يكون جاؤكم بيانا ليصلون او بدلا او استئنافا او صفة بعد صفة لقوم حصرت صدورهم في موضع الحال باضمار قد والدليل عليه قراءة من قرا حصرة صدورهم وحصرات صدورهم وحاصرات صدورهم وجعله المبرد صفة لموصوف محذوف على او جاؤكم قوما حصرت صدورهم وقيل هو بيان لجاؤكم وهم بنو مدلج جاؤوا رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم عن ان يقاتلوكم او كراهة ان يقاتلوكم فان قلت كيف يجوز ان يسلط الله الكفرة على المؤمنين قلت ما كانت مكافتهم الا لقذف الله الرعب في قلوبهم ولو شاء الله لمصلحة يراها من ابتلاء ونحوه لم يقذفه فكانوا متسلطين مقاتلين غير مكافين فذلك معنى التسليط وقرئ فلقتلوكم بالتخفيف والتشديد فان اعتزلوكم فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم اي الانقياد والاستسلام وقرئ بسكون اللام مع فتح السين فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم ستجدون اخرين هم قوم من اسد وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا ليامنوا المسلمين فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم كلما ردوا الى الفتنة كلما دعاهم قومهم الى قتال المسلمين اركسوا فيها قلبوا فيها اقبح قلب واشنعه وكانوا شرا فيها من كل عدو حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم سلطانا مبينا حجة واضحة لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر واضرارهم باهل الاسلام او تسلطا ظاهرا حيث اذنا لكم في قتلهم وما كان لمؤمن وما صح له ولا استقام ولا لاق بحاله كقوله تعالى وما كان لنبي ان يغل وما يكون لنا ان نعود فيها ان يقتل مؤمنا ابتداء غير قصاص الا خطا الا على وجه الخطا فان قلت بم انتصب خطا قلت بانه مفعول له اي ما ينبغي له ان يقتله لعلة من العلل الا للخطا وحده ويجوز ان يكون حالا بمعنى لا يقتله في حال من الاحوال الا في حال الخطا وان يكون صفة للمصدر الا قتلا خطا والمعنى ان من شان المؤمن ان ينتفي عنه وجود قتل المؤمن ابتداء البتة الا

ومن قتل مؤمنا خطا فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله الا ان يصدقوا

اذا وجد منه خطاء غير قصد بان يرمي كافرا فيصيب مسلما او يرمي شخصا على انه كافر فاذا هو مسلم وقرئ خطاء بالمد وخطا بوزن عمى بتخفيف الهمزة وروي ان عياش بن ابي ربيعة وكان اخا ابي جهل لامه اسلم وهاجر خوفا من قومه الى المدينة وذلك قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه فاقسمت امه لا تاكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل ومعه الحارث بن زيد بن ابي انيسة فاتياه وهو في اطم ففتل منه ابو جهل في الذروة والغارب وقال اليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر امك وانت على دينك حتى نزل وذهب معهما فلما فسحا عن المدينة كتفاه وجلده كل واحد مائة جلدة فقال للحارث هذا اخي فمن انت يا حارث لله علي ان وجدتك خاليا ان اقتلك وقدما به على امه فحلفت لا يحل كتافه او يرتد ففعل ثم هاجر بعد ذلك واسلم الحارث وهاجر فلقيه عياش بظهر قباء ولم يشعر باسلامه فانحى عليه فقتله ثم اخبر باسلامه فاتى رسول الله صلى الله عليه فقال قتلته ولم اشعر باسلامه فنزلت فتحرير رقبة فعليه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر والعتيق الكريم لان الكرم في الاحرار كما ان اللؤم في العبيد ومنه عتاق الخيل وعتاق الطير لكرامها وحر الوجه اكرم موضع منه وقولهم للئيم عبد وفلان عبد الفعال اي لئيم الفعل والرقبة عبارة عن النسمة كما عبر عنها بالراس في قولهم فلان يملك كذا راسا من الرقيق والمراد برقبة مؤمنة كل رقبة كانت على حكم الاسلام عند عامة العلما وعن الحسن رضي الله عنه لا تجزئ الا رقبة قد صلت وصامت ولا تجزئ الصغيرة وقاس عليها الشافعي كفارة الظهار فاشترط الايمان وقيل لما اخرج نفسا مؤمنة عن جملة الاحياء لزمه ان يدخل نفسا مثلها في جملة الاحرار لان اطلاقها من قيد الرق كاحيائها من قبل ان الرقيق ممنوع من تصرف الاحرار ودية مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته يقتسمونها كما يقتسمون الميراث لا فرق بينها وبين سائر التركة في كل شيء يقضى منه الدين وتنفذ الوصية واذا لم يبق وارث فهو لبيت المال لان المسلمين يقومون مقام الورثة كما قال رسول الله صلى الله عليه انا وارث من لا وارث له وعن عمر رضي الله عنه انه قضى بدية المقتول فجاءت امراته تطلب ميراثها من عقله فقال لا اعلم لك شيئا انما الدية للعصبة الذين يعقلون عنه فقام الضحاك بن سفيان الكلابي فقال كتب الي رسول الله ان اورث امراة اشيم الضبابي من عقل زوجها اشيم فورثها عمر وعن ابن مسعود رضي الله عنه يرث كل وارث من الدية غير القاتل وعن شريك لا يقضى من الدية دين ولا ينفذ وصية وعن ربيعة الغرة لام الجنين وحدها وذلك خلاف قول الجماعة فان قلت على من يجب الرقبة والدية قلت على القاتل الا ان الرقبة في ماله والدية يتحملها عنه العاقلة فان لم تكن له عاقلة فهي في بيت المال فان لم يكن ففي ماله الا ان يصدقوا الا ان يتصدقوا عليه بالدية ومعناه العفو كقوله تعالى الا ان يعفون ونحوه وان تصدقوا خير لكم وعن النبي عليه السلام كل معروف صدقة وقرا ابي الا ان يتصدقوا فان قلت بم تعلق ان يصدقوا وما محله قلت تعلق بعليه او بمسلمة كانه قيل وتجب عليه الدية او يسلمها الا حين يتصدقون عليه ومحلها النصب على الظرف بتقدير حذف الزمان كقولهم اجلس ما دام زيد جالسا ويجوز ان يكون حالا من اهله بمعنى الا متصدقين

فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحيوة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة

من قوم عدو لكم من قوم كفار اهل حرب وذلك نحو رجل اسلم في قومه الكفار وهو بين اظهرهم لم يفارقهم فعلى قاتله الكفارة اذا قتله خطا وليس على عاقلته لاهله شيء لانهم كفار محاربون وقيل كان الرجل يسلم ثم ياتي قومه وهم مشركون فيغزوهم جيش المسلمين فيقتل فيهم خطا لانهم يظنونه كافرا مثلهم وان كان من قوم كفرة لهم ذمة كالمشركين الذين عاهدوا المسلمين واهل الذمة من الكتابيين فحكمه حكم مسلم من المسلمين فمن لم يجد رقبة بمعنى لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها فعليه صيام شهرين متتابعين توبة من الله قبولا من الله ورحمة منه من تاب الله عليه اذا قبل توبته يعني شرع ذلك توبة منه او فنقلكم من الرقبة الى الصوم توبة منه ومن يقتل مؤمنا متعمدا هذه الاية فيها من التهديد والايعاد والابراق والارعاد امر عظيم وخطب غليظ ومن ثم روي عن ابن عباس رضي الله عنه ما روي من ان توبة قاتل المؤمن عمدا غير مقبولة وعن سفيان رحمه الله كان اهل العلم اذا سئلوا قالوا لا توبة له وذلك محمول منهم على الاقتداء بسنة الله تعالى في التغليظ والتشديد والا فكل ذنب ممحو بالتوبة وناهيك بمحو الشرك دليلا وفي الحديث لزوال الدنيا اهون على الله تعالى من قتل امرئ مسلم وفيه لو ان رجلا قتل بالمشرق واخر رضي بالمغرب لاشرك في دمه وفيه ان هذا الانسان بنيان الله ملعون من هدم بنيانه وفيه من اعان على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه ايس من رحمة الله والعجب من قوم يقرؤون هذه الاية ويرون ما فيها ويسمعون هذه الاحاديث العظيمة وقول ابن عباس بمنع التوبة في قتل الخطا لما عسى ثم لا تدعهم اشعبيتهم وطماعيتهم الفارغة واتباعهم هواهم وما يخيل اليهم مناهم ان يطمعوا في العفو عن قاتل المؤمن بغير توبة افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها ثم ذكر الله التوبة في قتل الخطا لما عسى يقع من نوع تفريط فيما يجب من الاحتياط والتحفظ فيه حسم للاطماع واي حسم ولكن لا حياة لمن تنادي فان قلت هل فيها دليل على خلود من لم يتب من اهل الكباير قلت ما ابين الدليل فيها وهو تناول قوله تعالى ومن يقتل اي قاتل كان من مسلم او كافر تائب او غير تائب الا ان التائب اخرجه الدليل فمن ادعى اخراج المسلم غير التائب فليات بدليل مثله فتبينوا وقرئ فتثبتوا وهما من التفعل بمعنى الاستفعال اي اطلبوا بيان الامر وثباته ولا تتهوكوا فيه من غير روية وقرئ السلم والسلام وهما الاستسلام وقيل الاسلام وقيل التسليم الذي هو تحية اهل الاسلام لست مؤمنا وقرئ مؤمنا بفتح الميم من امنه اي لا نؤمنك واصله ان مرداس بن نهيك رجلا من اهل فدك اسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله صلى الله عليه كان عليها غالب بن فضالة الليثي فهربوا وبقي مرداس لثقته باسلامه فلما راى الخيل الجا غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد واستاق غنمه فاخبروا رسول الله فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه ثم قرا الاية على اسامة فقال يا رسول الله استغفر لي فقال فكيف بلا اله الا الله قال اسامة فما زال يعيدها حتى وددت اني لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم استغفر لي وقال اعتق رقبة تبتغون عرض الحيوة الدنيا تطلبون الغنيمة التي هي حطام سريع النفاد فهو الذي يدعوكم الى ترك التثبت وقلة البحث عن حال من تقتلونه فعند الله مغانم كثيرة يغنمكموها تغنيكم

فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة

[illegible]

دور مه دور ایمدی کرمه اوقوسن مجموعه شن [illegible] باده [illegible]

نقل [illegible] باده [illegible] اولدی اول تعلیلدن

[illegible] بغرض انکلادی [illegible] ساقی [illegible]

ویردوکون [illegible] ساقی [illegible] کتابش [illegible] باده [illegible]

[illegible] اولدی [illegible] دولت [illegible]

ساقی اول [illegible] اولدی [illegible] اسرار [illegible]

[illegible] فاش [illegible] که بودور [illegible] چاره [illegible]

قیلدی [illegible] اول [illegible] مجلس [illegible] ساقیا [illegible]

ویردی [illegible] اول [illegible] جمال الله [illegible]

صبحدم [illegible] میدر [illegible]

وارب [illegible] زینهار [illegible]

[illegible] کلام [illegible] شاه [illegible]

سندروب [illegible] صورت [illegible] اولی [illegible]

[illegible]

دوشمه سودا [illegible] تغافل قیل [illegible] سوزلی تمام

[illegible] چون [illegible]

[illegible]

اول [illegible] تغافل [illegible]

اوز [illegible] عرق [illegible]

چون عرق [illegible]

ویردی [illegible] دشمن اوله [illegible]

دولت اولدور [illegible]

اولمدین [illegible]

[illegible]

حد [illegible] اوله

اولمیه [illegible] اوله

راحی [illegible]

حذف المضاف الزمان كقولهم اجلس ما دام زيد جالسا ويجوز ان يكون حالا من اهله بمعنى الا متصدقين من

کر بیکا امرن اولسه منقادم
بن بنفر سندبیب معتادم
بر علاج ایله دفع سودا قیل
باشنکا چاره تاپماو اوایل قیل
معقول اسوز وین بزن سین
بیج کیمیم سوزونکا بزن سین
فائده دور باشنکا اوباشی

بنکه بیغامنک الیمه ارسال
انده صلحه استقبال
ای ناکشونینک اوباشی
اکل وقتی سنکا دور ای جانکل
کورسم
متصل نمیتی ارن باشی
بر ایلن قوتی بر بانلق اکل
ضربلن اولی ستکون ایده ایم
ای اساس بانی سر سوداس
ایرسن ای سرایام

ازه بیم بحیه بیم زبون ایده ایم
ای اساسی فی صدو دار الناس
اینی مجالی قیلسور ای سرایده تمام
تعیین یمودن بوزه بیالت و بیغام قرشیدن
انحماسی
بر بانلق بسی بالیده تمامی
بوزه بیالت و بیغام و لاف
یوزان اوق
اسر تصور نیک باطل
ای خرد رهنکه ارناکسرینی
لوبدی می بوزه بنکاس بوزان اوق
ای ناسر دور و نیب بایل
ای خرد ارابلسون سبی
وبدی ای بوزه بحیبی سنکاه
فنق و اعلامه رو در دبر
بتکری جوار
وبری اونینک نکوبهی نی سنددر
ضمیر نکی تقیدبر
وقلاکیک بین
غالبا بکیمر داوله بحیب
باعث بکیبت و قیافتین
ایرسندر
ابتش یوزوف
بنکه بیت شکل و قیافتین
باد بای غرور دن
بورور اسکا زنک
سوبله منکه ای فسرده مزاج
دیشن سن که بر نه دار ایمیر
ولوسنک بوجنونه ایله علاج
سر کو کیم سین کرانیک یرکره بیر
اوکله نمیجه بو
سر کعبه سن کربانینک
ضم اولکه اربه بطبیعه زنک
سنن ایلیه
سندن

ایشتیم بر سبی کورنکاه
اوزردم اوغردم ناکاه
مر سوزه دم بیلکالیغدن ددم
اوزردار اول مرکزه بوزه دارنیم
بر عجب تزینه اوغردم ناکاه
عالمده برزه نک
ایکالا دوم بیلیه ارنک وبویدن
بر عجب سرینک
دیکه عالم ناکس
بیلیه
صدر بزم ایدی ز عجب ادبنک
ایلیر اول ناکس
بودیله ایکالادم بیلمه کفن وبیدن
ثنه وصولی زبنک
منکلک ایرا اولدیر
بوکبیرسن سر
سرنش و سرفراز
بیله کیمیر
اولسه اولدیر
سرجیال القاق ایرن سنن
ایله کوردار
بانی حکمن بسندرمی
سرجیال القاق امن بین
کوردم ایله بیکرار
ایدی ابرسته ایدی
سرنور بیلک ایکن
طامرن خوب دکلدی بی ابرار
وجود برست ایدی
بنی ایلادن بین سنرد ایکون
قالی مغرور وجود برست ایدی
اولدیر بوراره دن ابن سرنور بیلک ایکون
باطنی هسم
اجر مجلس ایدی مست ایدی
بو دولتنه ارلبون
باطنی هسم مکاتبر
اعتماد ایدی
اولی بودولتنه ارلبون
اولی خیال جامرا
دعوی ایله کر خضر دور بکاتبر
زوروند دینسه اعتماد ایدی
رنکی بادیدی
کوره بیر اول خیال جام اوبو
دعوی ایله دعا بیله بکلیر
ابرابر ارینکی بادایدی
سرنکا امر سرنکا منکا منکی ابتیس
اذن الدم دعا بیله
ناسزا ابرا ابرینکی بادایدی
کوره بیر
اذن الدم سیمددم ادیم
حکایتدن اولی حکایتدن
الفعال امن کاری دیابتنس
بر زبان کیم
اشکله بیمد
ای
بتدریج اولدی اول حکایتدن
غابیتی
کوردم راکی ابس
بر زبان کیم
سرکدورت دوم
ادیم
بتدریج اولدی اوتری غابیتدن
کوردم راکی اولی فا
لی تکلف کرکدورت دوم ادیم
غضب وقهری اولدی
بجید یراره
لی تکلف
غضب سخن
شحی کالدی وفلدم اولی فا
صحبتی دکلنا اوتری چوبیچو
ای زلیکی سن
بجیدی یراره وفلدم
وبدی ای باتی زلیکی سن
نک ناشن یجیریم
لیک اعناتیده زرق و لالی اولو
سرنکا کیم سخن سالی
بوینه بنوز دور کرکه
ایدی یاچاره اوزنکا
سنرن اولدی کرکه کوکی نجیم
بوینه بنوز دور کرکه
سندن اولدی کرکه کوکی نجیم

... وفضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما

عن قتل رجل يظهر الإسلام ويتعوذ به من التعرض له لتاخذوا ماله كذلك كنتم من قبل اول ما دخلتم
في الإسلام سمعت من افواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماؤكم واموالكم من غير انتظار الاطلاع
على مواطاة قلوبكم لالسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار بالايمان والتقدم وان
صرتم اعلاما فيه فعليكم ان تفعلوا بالداخلين في الإسلام كما فعل بكم وان تعتبروا وما توهمت طرفة
عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب مستغفر فما ترى حالي عند الله فنزلت وهذا الحديث ينصر قول
من يفسر من يشاء بالتائب عن ذنبه الا اناثا هي اللات والعزى ومناة وعن الحسن لم يكن حي من احياء العرب
الا ولهم صنم يعبدونه يسمونه انثى بني فلان وقيل كانوا يقولون في اصنامهم هن بنات الله وقيل المراد
الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وقرئ انثى جمع انيث واناث ووثنا واثنا بالتخفيف والتثقيل
جمع وثن كقولك اسد واسد وأسد وقلب الواو الفا نحو اجوه في وجوه وقرأت عائشة
رضي الله عنها اوثانا وان يدعون وان يعبدون بعبادة الاصنام الا شيطانا لانه هو الذي اغراهم
على عبادتها فاطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة لعنه الله وقال لاتخذن صفتان بمعنى شيطانا
مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الشنيع نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا فرضته لنفسي
من قولهم فرض له في العطاء وفرض الجند رزقه قال الحسن من كل الف تسعمائة وتسعين الى النار
ولامنينهم الاماني الباطلة من طول الاعمار وبلوغ الامال ورحمة الله للمجرمين بغير توبة والخروج
من النار بعد دخولها بالشفاعة ونحو ذلك وتبتيكهم الآذان فعلهم بالبحائر كانوا يشقون
اذن الناقة اذا ولدت خمسة ابطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على انفسهم الانتفاع بها وتغيير
هم خلق الله فقء عين الحامي واعفاؤه عن الركوب وقيل الخصاء وهو في قول عامة العلماء مباح في البهائم واما في بني
آدم فمحظور وعند ابي حنيفة يكره شراء الخصيان واستخدامهم وامساكهم لان الرغبة فيهم تدعو الى خصائهم وقيل
فطرة الله التي هي دين الإسلام وقيل للحسن ان عكرمة يقول هو الخصاء فقال كذب عكرمة هو دين الله وعن ابن مسعود
هو الوشم وعنه لعن الله الواشرات والمتنمصات والمستوشمات المغيرات خلق الله وقيل التخنث وعد
الله حقا مصدران الاول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره ومن اصدق من الله قيلا توكيد ثالث بليغ فان قلت ما فائدة هذه
التوكيدات قلت معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة واماني الباطلة لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه ترغيبا
للعباد في ايثار ما يستحقون به تنجز وعد الله على ما يتجرعون في عاقبته غصص اخلاف مواعيد الشيطان في ليس
ضمير وعد الله ليس ينال ما وعد الله من الثواب بامانيكم ولا باماني اهل الكتاب والخطاب للمسلمين لانه لا يتمنى وعد
الله الا من آمن به وكذلك ذكر اهل الكتاب معهم لمشاركتهم لهم في الايمان بوعد الله وعن مسروق والسدي هي في المسلمين
وعن الحسن ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ان قوما الهتهم اماني المغفرة حتى خرجوا
من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا لو احسنوا الظن به لاحسنوا العمل وقيل ان المسلمين
واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم وقال المسلمون نحن اولى منكم
نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب التي كانت قبله فنزلت ويحتمل ان يكون الخطاب للمشركين

درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك ماواهم جهنم وساءت مصيرا

لتوليهم اركان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا وتبين ماله والدا ان لهم عنده الحسنى
وكان اهل الكتاب يقولون نحن ابناء الله واحباؤه ولن تمسنا النار الا اياما معدودة ويعضده تقدم ذكر اهل
الشرك قبله وعن مجاهد ان الخطاب للمشركين قوله من يعمل سوءا يجز به ومن يعمل من
الصالحات بعد ذكر تمني اهل الكتاب نحو من قوله بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته وقوله
والذين آمنوا وعملوا الصالحات عقيب قوله وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة واذا ابطل الله الاماني
واثبت ان الامر كله معقود بالعمل وان من اصلح عمله فهو الفائز ومن اساء عمله فهو الهالك
تبين الامر ووضح ووجب قطع الاماني وحسم المطامع والاقبال على العمل الصالح ولكنه
نصح لا تعيه الآذان ولا تلقى له الاذهان فان قلت ما الفرق بين من الاولى والثانية قلت
الاولى للتبعيض اراد ومن يعمل بعض الصالحات لان كلا لا يتمكن من كل الصالحات لاختلاف الاحوال
وانما يعمل منها ما هو تكليفه وفي وسعه وكم من مكلف لا حج عليه ولا جهاد ولا زكاة وتسقط عنه
الصلاة في بعض الاحوال والثانية لتبيين الابهام في ومن يعمل فان قلت كيف خص الصالحين بانهم لا يظلمون
وغيرهم مثلهم في ذلك قلت فيه وجهان احدهما ان يكون الراجع في ولا يظلمون لعمال السوء وعمال
الصالحات جميعا والثاني ان يكون ذكره عند احد الفريقين دالا على ذكره عند الآخر لان كلا
الفريقين مجزيون باعمالهم لا تفاوت بينهم ولان ظلم المسيء ان يزاد في عقابه وارحم الراحمين
معلوم انه لا يزيد في عقاب المجرم فكان ذكره مستغنى عنه واما المحسن فله ثواب وتوابع
للثواب من فضل الله هي في حكم الثواب فجاز ان ينقص من الفضل لانه ليس بواجب فكان نفي الظلم
دلالة على انه لا يقع نقصان في الفضل اسلم وجهه لله اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له لا يعرف
ربا ومعبودا سواه وهو محسن وهو عامل للحسنات تارك للسيئات حنيفا حال من المتبع او من ابراهيم
كقوله بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين وهو الذي تحنف اي مال عن الاديان كلها الى دين الإسلام
واتخذ الله ابراهيم خليلا مجاز عن اصطفائه واختصاصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله والخليل
المخال وهو الذي يخالك اي يوافقك في خلالك او يسايرك في طريقك من الخل وهو الطريق في الرمل او يسد
خللك كما تسد خلله او يداخلك خلال منازلك وحجبك فان قلت ما موقع هذه الجملة قلت هي جملة اعتراضية لا
محل لها من الاعراب كنحو ما يجيء في الشعر من قولهم والحوادث جمة فائدتها تاكيد وجوب اتباع ملته لان
من بلغ من الزلفى عند الله ان اتخذه خليلا فكان جديرا بان يتبع ملته وطريقته ولو جعلتها عطفا على
الجملة قبلها لم يكن لها معنى وقيل ان ابراهيم عليه السلام بعث الى خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار
منه فقال خليله لو كان ابراهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت ولكنه يريدها للاضياف فاجتاز غلمانه ببطحاء
لينة فملؤا منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا ابراهيم ساءه الخبر فحملته عيناه وعمدت امراته
الى غرارة منها فاخرجت احسن حواري واختبزت واستنبه ابراهيم فاشتم رائحة الخبز فقال من اين
لكم فقالت امراته من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله خليلا ولله ما في السموات

إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا

متصل بذكر العمال الصالحين والطالحين ومعناه أن له ملك السموات والأرض فطاعته واجبة عليهم وكان الله بكل
شيء محيطا فكان عالما بأعمالهم فيجازيهم على خيرها وشرها فعليهم أن يختاروا لأنفسهم ما هو خير
لها يعني قوله وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى ما يتلى في محل الرفع أي الله يفتيكم والمتلو في الكتاب في معنى
اليتامى يعني قوله وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى وهو من قولك أعجبني زيد وكرمه ويجوز أن يكون وما يتلى
عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره على أنها جملة معترضة والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ تعظيما للمتلو
عليهم وأن العدل والنصفة في حقوق اليتامى من عظائم الأمور المرفوعة الدرجات عند الله التي تجب مراعاتها
والمحافظة عليها والمخل بها ظالم متهاون بما عظمه الله ونحوه في تعظيم القرآن وإنه في أم الكتاب لدينا
لعلي حكيم ويجوز أن يكون مجرورا على القسم كأنه قيل قل الله يفتيكم فيهن وأقسم بما يتلى عليكم في الكتاب والقسم
أيضا لمعنى التعظيم وليس بسديد لأنه عطف على المجرور وفيه الإخلال من حيث اللفظ والمعنى فإن قلت
بم تعلق قوله في يتامى النساء قلت في الوجه الأول هو صلة يتلى أي يتلى عليكم في معناهن ويجوز أن يكون في يتامى النساء بدلا من
فيهن وأما في الوجهين الأخيرين فبدل لا غير فإن قلت الإضافة في يتامى النساء ما هي قلت إضافة بمعنى من
كقولك عندي سحق عمامة وقرئ في ييامى النساء بيائين على قلب همزة أيامى ياء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن أي فرض
وقرئ ما كتب الله لهن أي ما فرض لهن من الميراث وكان الرجل منهم يضم اليتيمة إلى نفسه وما لها فإن كانت
جميلة تزوجها وأكل المال وإن كانت دميمة عضلها عن التزوج حتى تموت فيرثها وترغبون أن تنكحوهن
يحتمل في أن تنكحوهن لجمالهن وعن أن تنكحوهن لدمامتهن وروي أن عمر بن الخطاب كان إذا جاءه ولي اليتيمة نظر
فإن كانت جميلة غنية قال زوجها غيرك والتمس لها من هو خير منك وإن كانت دميمة ولا مال لها قال
تزوجها فأنت أحق بها والمستضعفين مجرور معطوف على يتامى النساء وكانوا في الجاهلية إنما
يورثون الرجال القوام بالأمور دون الأطفال والنساء ويجوز أن يكون خطابا منصوبا بمعنى ويأمركم
أن تقوموا وهو خطاب للأئمة في أن ينظروا لهم وللأوصياء كقوله ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب وأن تقوموا
مجرور كالمستضعفين بمعنى يفتيكم في يتامى النساء وفي المستضعفين وفي أن تقوموا ويجوز أن يكون
منصوبا بمعنى ويأمركم أن تقوموا وهو خطاب للأئمة في أن ينظروا لهم ويستوفوا لهم حقوقهم ولا يخلوا
أحدا يهتضمهم خافت من بعلها توقعت منه ذلك لما ظهر لها من مخايله وأماراته والنشوز أن
يتجافى عنها بأن يمنعها نفسه ونفقته والمودة والرحمة التي بين الرجل والمرأة وأن يؤذيها بسب وضرب
والإعراض أن يعرض عنها بأن يقل محادثتها ومؤانستها وذلك لبعض الأسباب من طعن في سن أو
دمامة أو شيء في خلق أو خلق أو ملال أو طموح عين إلى غيرها أو غير ذلك فلا بأس بهما أن يصلحا بينهما
وقرئ يصالحا ويصلحا بمعنى يتصالحا ويصطلحا ونحو أصلح اصبر في اصطبر صلحا في معنى مصدر
كل واحد من الأفعال الثلاثة ومعنى الصلح أن يتصالحا على أن تطيب له نفسا عن القسمة أو عن بعضها
كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت أن يفارقها رسول الله وعرفت مكان عائشة من قلبه فوهبت لها
يومها وكما روي أن امرأة أراد أن يطلقها زوجها لرغبته عنها وكان لها منه ولد فقالت لا تطلقني ودعني

١٢٩

أقوم على ولدي وتقسم لي كل شهر من حال أن كان هذا يصلح فهو أحب إلي فأقرها أو تمنعه بعض المهر
أو كله أو النفقة فإن لم تفعل فليس له إلا أن يمسكها بإحسان أو يسرحها والصلح خير من الفرقة أو من
النشوز والإعراض وسوء العشرة أو هو خير من الخصومة في ظاهر الكلام في المكافأة ولا تقولوا إن
يتلبك هذا لا تبتغوا القتل لا تصدق النية فتجعلون سبيلا إلى الإباحة استباحة دمه وماله وقد حرمهما
الله وتوبة فتبينوا تكرير للأمر بالتبيين ليؤكد عليهم إن الله كان بما تعملون خبيرا فلا تتهافتوا في
القتل وكونوا محترزين محتاطين في ذلك غير أولي الضرر قرئ بالحركات الثلاث فالرفع صفة للقاعدين
والنصب استثناء منهم أو حال عنهم والجر صفة للمؤمنين والضرر المرض والعاهة من عمى أو عرج أو
زمانة أو نحوها وعن زيد بن ثابت كنت إلى جنب رسول الله صلى الله عليه فغشيته السكينة فوقعت فخذه
على فخذي حتى خشيت أن ترضها ثم سري عنه فقال اكتب فكتبت في كتف لا يستوي القاعدون من المؤمنين
والمجاهدون فقال ابن أم مكتوم وكان أعمى يا رسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيته السكينة كذلك
ثم قال اقرأ يا زيد فقرأت لا يستوي القاعدون من المؤمنين فقال غير أولي الضرر قال زيد أنزلها الله وحدها فألحقتها
والذي نفسي بيده لكأني أنظر إلى ملحقها عند صدع في الكتف وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا يستوي
القاعدون عن بدر والخارجون إليها وعن مقاتل رضي الله عنه إلى تبوك فإن قلت معلوم أن القاعد بغير عذر والمجاهد
لا يستويان فما فائدة نفي الاستواء قلت معناه الإذكار بما بينهما من التفاوت العظيم والبون البعيد ليأنف القاعد ويترفع
بنفسه عن انحطاط منزلته فيهتز للجهاد ويرغب فيه وفي ارتفاع طبقته ونحوه هل يستوي الذين يعلمون والذين
لا يعلمون أريد به التحريك من حمية الجاهل وأنفته ليهاب إلى التعلم ولينهض بنفسه عن صفة الجهل إلى شرف
العلم فضل الله المجاهدين جملة موضحة لما نفي من استواء القاعدين والمجاهدين كأنه قيل ما لهم لا يستوون فأجيب بذلك
والمعنى على القاعدين غير أولي الضرر لكون الجملة بيانا للجملة الأولى المتضمنة لهذا الوصف وكلا وعد الله الحسنى
وكل فريق من القاعدين والمجاهدين وعد الله المثوبة الحسنى وهي الجنة وإن كان المجاهدون مفضلين على القاعدين
درجة وعن النبي صلى الله عليه لقد خلفتم بالمدينة أقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم وهم
الذين صحت نياتهم ونصحت جيوبهم وكانت أفئدتهم تهوي إلى الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير من ضرر أو غيره
فإن قلت قد ذكر الله سبحانه وتعالى مفضلين درجة ومفضلين درجات فمن هم قلت أما المفضلون درجة واحدة فهم الذين فضلوا
على القاعدين الأضراء وأما المفضلون درجات فالذين فضلوا على القاعدين الذين أذن لهم في التخلف اكتفاء
بغيرهم لأن الغزو فرض كفاية فإن قلت لم نصب درجة وأجرا ودرجات قلت نصب قوله درجة لوقوعها موقع
المرة من التفضيل كأنه قيل فضلهم تفضيلة ونظيره قولك ضربه سوطا بمعنى ضربه ضربة وأما أجرا فقد
انتصب بفضل لأنه في معنى أجرهم أجرا ودرجات ورحمة ومغفرة بدل من أجرا ويجوز أن ينتصب درجات نصب
درجة كما تقول ضربه أسواطا بمعنى ضربات كأنه قيل وفضلهم تفضيلات وينتصب أجرا عظيما على أنه حال عن النكرة
التي هي درجات مقدمة عليها وانتصب مغفرة ورحمة بإضمار فعلهما بمعنى وغفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة إن الذين توفاهم
الملائكة يجوز أن يكون ماضيا كقراءة من قرأ توفتهم ومضارعا بمعنى تتوفاهم كقراءة من قرأ تتوفاهم

ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت
فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم ان
يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا

على مضارع وفيت بمعنى ان الله يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها اي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي
انفسهم في حال ظلمهم انفسهم قالوا اي الملائكة للمتوفين فيم كنتم في اي شيء كنتم من امر دينكم وهم اسر
من اهل مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة فان قلت الجملة التي هي لا يستطيعون ما موقعها قلت
هي صفة للمستضعفين او للرجال والنساء والولدان وانما جاز ذلك والجمل نكرات لان الموصوف وان كان فيه حرف
التعريف فليس لشيء بعينه كقوله ولقد امر على اللئيم يسبني فان قلت لم قيل عسى الله ان يعفو عنهم قلت كلمة الاطماع
للدلالة على ان ترك الهجرة امر مضيق لا توسعة فيه حتى ان المضطر البين الاضطرار من حقه ان يقول عسى الله ان
يعفو عني فكيف بغيره ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما مهاجرا وطريقا يراغم بسلوكه قومه اي يفارقهم
على رغم انوفهم والرغم الذل والهوان واصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب يقال راغمت الرجل اذا فارقته
وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك قال النابغة الجعدي كطود يلاذ باركانه عزيز المراغم والمذهب
وقرئ مرغما قرئ ثم يدركه الموت بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وقيل رفع الكاف منقول من الهاء كانه
اراد ان يقف عليها ثم نقل حركة الهاء الى الكاف كقوله من عنزي سبني لم اضربه وقرئ ثم يدركه بالنصب
على اضمار ان كقوله والحق بالحجاز فاستريحا فقد وقع اجره على الله فقد وجب ثوابه عليه وحقيقة الوجوب الوقوع
والسقوط فاذا وجبت جنوبها ووجبت الشمس سقط قرصها والمعنى فقد علم الله كيف يثيبه وذلك واجب عليه
وروي في قصة جندب بن ضمرة انه لما ادركه الموت اخذ يصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك
ابايعك على ما بايعك عليه رسولك فمات حميدا فبلغ خبره اصحاب رسول الله فقالوا لو توفي بالمدينة لكان اتم
اجرا وقال المشركون وهم يضحكون ما ادرك هذا ما طلب فنزلت وقالوا كل هجرة لغرض ديني من طلب علم
او حج او جهاد او فرار الى بلد يزداد فيه طاعة او قناعة وزهدا في الدنيا او ابتغاء رزق طيب فهي هجرة
الى الله ورسوله فان ادركه الموت في طريقه فاجره واقع على الله واذا ضربتم في الارض سافرتم فالضرب في الارض
هو السفر وادنى مدة السفر الذي يجوز فيه القصر عند ابي حنيفة رضي الله عنه مسيرة ثلاثة ايام ولياليهن
سير الابل ومشي الاقدام على القصد ولا اعتبار بابطاء الضارب واسراعه فلو سار مسيرة ثلاثة
ايام ولياليهن في يوم قصر ولو سار مسيرة يوم في ثلاثة ايام لم يقصر وعند الشافعي رحمه الله ادنى مدة
السفر اربعة برد مسيرة يومين وفوقه فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ظاهره التخيير
بين القصر والاتمام وان الاتمام افضل والى التخيير ذهب الشافعي وروي عن النبي عليه السلام انه اتم في السفر
وعن عائشة رضي الله عنها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه من المدينة الى مكة حتى اذا قدمت مكة قلت
يا رسول الله بابي انت وامي قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عائشة وما عاب علي
وكان عثمان رضي الله عنه يتم ويقصر وعند ابي حنيفة رحمه الله القصر في السفر عزيمة غير رخصة لا يجوز غيره
وعن عمر رضي الله عنه صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم وعن عائشة رضي الله عنها اول
ما فرضت الصلوة فرضت ركعتين ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر فان قلت فما تصنع بقوله
فليس عليكم جناح ان تقصروا قلت كانهم الفوا الاتمام فكانوا مظنة لان يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا

صح م المتن

فان قلت كيف صح وقوع قوله كنا مستضعفين في الارض جوابا عن قولهم فيم كنتم
وكان حق الجواب ان يقولوا كنا في كذا او لم نكن في شيء قلت معنى فيم كنتم التوبيخ بانهم لم
يكونوا في شيء من الدين حيث قدروا على المهاجرة ولم يهاجروا فقالوا كنا مستضعفين
اعتذارا مما وبخوا به واعتلالا بالاستضعاف وانهم لم يتمكنوا من الهجرة حتى
يكونوا في شيء فلم يهاجروا فبكتتهم الملائكة بقولهم الم تكن ارض الله واسعة
فتهاجروا فيها ارادوا انكم كنتم قادرين على الخروج من مكة الى بعض البلاد
التي لا تمنعون فيها من اظهار دينكم ومن الهجرة الى رسول الله كما فعل المهاجرون
الى ارض الحبشة وهذا دليل على ان الرجل اذا كان في بلد لا يتمكن فيه من اقامة امر
دينه كما يجب لبعض الاسباب والعوائق عن اقامة الدين لا تنحصر او علم انه
في غير بلده اقوم بحق الله وادوم على العبادة حقت عليه المهاجرة
وعن النبي صلى الله عليه من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض
استوجبت له الجنة وكان رفيق ابراهيم عليه السلام ونبيه محمد صلى الله عليه اللهم ان
كنت تعلم ان هجرتي لك لم تكن الا للفرار بديني فاجعلها سببا في خاتمة الخير ودرك
المرجو من فضلك والمبتغى من رحمتك وصل جواري لك بعكوفي عند
بيتك بجوارك في دار كرامتك يا واسع المغفرة ثم استثنى من اهل الوعيد
المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة في الخروج لفقرهم وعجزهم
ولا معرفة لهم بالمسالك وروي ان رسول الله صلى الله عليه بعث بهذه الاية
الى مسلمي مكة فقال جندب بن ضمرة او ضمرة بن جندب لبنيه احملوني
فاني لست من المستضعفين واني لاهتدي الطريق والله لا ابيت الليلة
بمكة فحملوه على سرير متوجها الى المدينة وكان شيخا كبيرا فمات بالتنعيم
فان قلت كيف ادخل الولدان في جملة المستثنين من اهل الوعيد
كانهم كانوا يستحقون الوعيد مع الرجال والنساء لو استطاعوا حيلة
واهتدوا سبيلا قلت الرجال والنساء قد يكونون مستطيعين مهتدين وقد لا
يكونون كذلك واما الولدان فلا يكونون الا عاجزين عن ذلك فلا يتوجه عليهم
وعيد لان سبب خروج الرجال والنساء من جملة اهل الوعيد انما هو كونهم
عاجزين فاذا كان العجز متمكنا في الولدان لا ينفكون عنه كانوا خارجين
من جملتهم ضرورة هذا اذا اريد بالولدان الاطفال ويجوز ان يراد المراهقون
منهم الذين عقلوا ما يعقل الرجال والنساء فيلحقوا بهم في التكليف وان اريد
العبيد والاماء البالغون فلا سؤال فان قلت الجملة التي هي لا يستطيعون

وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلوة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم
ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم
وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم
وخذوا حذركم إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا فإذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلوة إن الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا

نقصانا في القصر فنفى عنهم الجناح لتطيب أنفسهم بالقصر ويطمئنوا إليه وقرئ تقصروا من
أقصر وجاء في الحديث إقصار الخطبة بمعنى تقصيرها وقرأ الزهري تقصّروا بالتشديد والقصر ثابت
بنص الكتاب في حال الخوف خاصة وهو قوله إن يفتنكم الذين كفروا وأما في حال الأمن فبالسنة وفي قراءة
عبد الله من الصلوة أن يفتنكم ليس فيها إن خفتم على أنه مفعول له بمعنى كراهة أن يفتنكم والمراد بالفتنة القتال
والتعرض بما يكره وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلوة تعلق بظاهره من خص صلوة الخوف بحضرة رسول الله عليه السلام
حيث شرط كونه فيهم وقال من رآها بعده إن الأئمة نواب عن رسول الله في كل عصر قوام بما كان يقوم به فكان
الخطاب له متناولا لكل إمام يكون حاضرا في الجماعة في حال الخوف عليه أن يؤمهم كما أم رسول الله الجماعات
التي كان يحضرها والضمير في فيهم للخائفين فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم طائفتين فلتقم إحداهما
معك فصل بهم وليأخذوا أسلحتهم الضمير إما للمصلين وإما لغيرهم فإن كان للمصلين
فالوا يأخذوا ضروريا من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلاة كالسيف والخنجر ونحوهما وإن كان لغيرهم فلا كلام
فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم يعني غير المصلين من ورائكم يحرسونكم وصفة صلوة الخوف عند أبي حنيفة
أن يصلي الإمام بإحدى الطائفتين ركعة إن كانت الصلوة ركعتين والأخرى بإزاء العدو ثم تقف هذه بإزاء
العدو وتأتي الأخرى فيصلي بها ركعة ويتم صلوته ثم تقف بإزاء العدو وتأتي الأولى فتؤدي الركعة بغير قراءة
وتتم صلوتها ثم تحرس وتأتي الأخرى فتؤدي الركعة بقراءة وتتم صلاتها والسجود على ظاهره عنده
وعند مالك بمعنى الصلوة لأن الإمام يصلي عنده بطائفة ركعة ويقف قائما حتى تتم صلوتها وتسلم وتذهب
ثم يصلي بالثانية ركعة ويقف قاعدا حتى تتم صلاتها ويسلم بهم ويعضده ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك
وقرئ وأمتعاتكم فإن قلت كيف جمع بين الأسلحة وبين الحذر في الأخذ قلت جعل الحذر وهو التحرز
والتيقظ آلة يستعملها الغازي فلذلك جمع بينه وبين الأسلحة في الأخذ وجعلا مأخوذين ونحوه والذين
تبوءوا الدار والإيمان جعل الإيمان مستقرا لهم ومتبوأ لتمكنهم فيه فكذلك جمع بينه وبين الدار في التبوء
فيميلون عليكم فيشدون عليكم شدة واحدة ورخص لهم في وضع الأسلحة إن ثقل عليهم حملها بسبب ما يبلهم
من مطر أو يضعفهم من مرض وأمرهم مع ذلك بأخذ الحذر لئلا يغفلوا فيهجم عليهم العدو فإن قلت كيف طابق الأمر
بالحذر قوله إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا قلت الأمر بالحذر من العدو يوهم توقع غلبته واعتزازه فنفى
عنهم ذلك الإيهام بإخبارهم أن الله يهين عدوهم ويخذله وينصرهم عليه لتقوى قلوبهم وليعلموا أن الأمر
بالحذر ليس لذلك وإنما هو تعبد من الله كما قال ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة فإذا قضيتم الصلوة فإذا صليتم
في حال الخوف والقتال فاذكروا الله فصلوها قياما مسايفين ومقارعين وقعودا جاثين على الركب مرامين وعلى جنوبكم
مثخنين بالجراح فإذا اطمأننتم حين تضع الحرب أوزارها وأمنتم فأقيموا الصلوة فاقضوا ما صليتم في تلك
الأحوال التي هي أحوال القلق والانزعاج إن الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا محدودا فلا يجوز إخراجها
عن أوقاتها على أي حال كنتم خوفا أو أمنا وهذا ظاهر على مذهب الشافعي رحمه الله في إيجاب الصلوة على المحارب في حالة
المسايفة والمشي والاضطراب في المعركة إذا حضر وقتها فإذا اطمأن فعليه القضاء وأما عند أبي حنيفة رحمه الله فهو معذور

ولا تهنوا فى ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما انا
انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اريك الله ولا تكن للخائنين خصيما واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما
ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله

فى تركها الى ان تطمئنوا وقيل معناه فاذا قضيتم صلوة الخوف فاديموا ذكر الله مهللين مكبرين مسبحين
داعين بالنصرة والتاييد فى كافة احوالكم من قيام وقعود واضطجاع فان ما انتم فيه من خوف وحرب جدير بذكر
الله ودعائه واللجأ اليه فاذا اطمأننتم فاقيموا الصلوة فاتموها ولا تهنوا ولا تضعفوا ولا تتوانوا فى ابتغاء
القوم فى طلب الكفار بالقتال والتعرض به لهم ثم الزمهم الحجة بقوله ان تكونوا تألمون اى ليس ما تكابدون من
الالم بالجرح والقتل مختصا بكم انما هو امر مشترك بينكم وبينهم يصيبهم كما يصيبكم ثم انهم يصبرون عليه
ويتشجعون فما لكم لا تصبرون مثل صبرهم مع انكم اولى منهم بالصبر لانكم ترجون من الله ما لا يرجون من
اظهار دينكم على سائر الاديان ومن الثواب العظيم فى الآخرة وقرأ الاعرج ان تكونوا تألمون بفتح الهمزة
بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا تألمون وقوله فانهم يألمون كما تألمون تعليل وجرى ما بهم يألمون ويتألمون
وروى ان هذا فى بدر الصغرى كان بهم جراح فتواكلوا وكان الله عليما حكيما لا يكلفكم شيئا ولا يأمركم ولا ينهاكم
الا لما هو عالم به مما يصلحكم انا انزلنا اليك الكتاب روى ان طعمة بن ابيرق احد بنى ظفر سرق درعا من
جار له اسمه قتادة بن النعمان فى جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين
رجل من اليهود فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق
حتى انتهى الى منزل اليهودى فاخذوها فقال دفعها الى طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا
بنا الى رسول الله فسألوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودى فهم رسول
الله ان يفعل وان يعاقب اليهودى وقيل هم ان يقطع يده فنزلت وروى ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب
حائطا بمكة ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله بما اراك الله بما عرفك واوحى به اليك وعن عمر رضى
الله لا يقولن احدكم قضيت بما ارانى الله فان الله لم يجعل ذلك الا لنبيه ولكن ليجتهد رأيه لان
الرأى من رسول الله كان مصيبا لان الله كان يريه اياه وهو منا الظن والتكلف ولا تكن للخائنين
خصيما ولا تكن لاجل الخائنين مخاصما للبرآء يعنى لا تخاصم اليهود لاجل بنى ظفر واستغفر
الله مما هممت به من عقاب اليهودى ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم يخونونها بالمعصية
كقوله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم جعلت معصية العصاة خيانة منهم لانفسهم كما جعلت
ظلما لها لان الضرر راجع اليهم فان قلت لم قيل للخائنين ويختانون انفسهم وكان السارق طعمة
وحده قلت لوجهين احدهما ان بنى ظفر شهدوا له بالبراءة ونصروه فكانوا شركاء له فى الاثم والثانى
انه جمع ليتناول طعمة وكل من خان خيانته فلا تخاصم لخائن قط ولا تجادل عنه فان قلت
لم قيل خوانا اثيما على المبالغة قلت كان الله عالما من طعمة بالافراط فى الخيانة وركوب المآثم ومن كانت
تلك خاتمة امره لم يشك فى حاله وقيل اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها اخوات وعن عمر رضى الله عنه انه امر
بقطع يد سارق فجاءت امه تبكى وتقول هذه اول سرقة سرقها فاعف عنه فقال كذبت ان الله تعالى لا يؤاخذ عبده
فى اول مرة يستخفون يستترون من الناس حياء منهم وخوفا من ضررهم ولا يستخفون من الله ولا يستحيون منه
وهو معهم وهو عالم بهم مطلع عليهم لا يخفى عليه خاف من سرهم وكفى بهذه الآية ناعية على الناس ما هم فيه من قلة

وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم فى الحيوة الدنيا
فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة ام من يكون عليهم وكيلا ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله
غفورا رحيما ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل
بهتانا واثما مبينا ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم

الحياء والخشية من ربهم مع علمهم ان كانوا مؤمنين انهم فى حضرته لا سترة ولا غفلة ولا غيبة وليس الا الكشف
الصريح والافتضاح يبيتون يدبرون ويزورون واصله ان يكون بالليل ما لا يرضى من القول وهو
تدبير طعمة ان يرمى بالدرع فى دار زيد ليسرق دونه ويحلف ببراءته فان قلت كيف سمى التدبير
قولا وانما هو معنى فى النفس قلت لما حدث بذلك نفسه سمى قولا على المجاز ويجوز ان يراد بالقول الحلف
الكاذب الذى حلف به بعد ان بيته وتوريكه الذنب على اليهودى ها انتم هؤلاء ها للتنبيه فى انتم واولاء
وهما مبتدأ وخبر وجادلتم جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا كما تقول لبعض الاسخياء انت حاتم تجود بمالك وتؤثر
على نفسك ويجوز ان يكون اولاء اسما موصولا بمعنى الذين وجادلتم صلته والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة وقومه
فى الدنيا فمن يخاصم عنهم فى الآخرة اذا اخذهم الله بعذابه وقرأ عبد الله عنه اى عن طعمة وكيلا حافظا ومحاميا
من بأس الله وانتقامه ومن يعمل سوءا قبيحا متعديا يسوء به غيره كما فعل طعمة بقتادة واليهودى او يظلم نفسه
بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل ومن يعمل سوءا من ذنب دون الشرك او يظلم نفسه بالشرك وهذا بعث لطعمة
على الاستغفار والتوبة لتلزمه الحجة مع العلم بما يكون منه او لقومه لما فرط منهم من نصرته والذب عنه
فانما يكسبه على نفسه اى لا يتعداه ضرره الى غيره فليبق على نفسه من كسب السوء خطيئة صغيرة او اثما كبيرة
ثم يرم به بريئا كما رمى طعمة زيدا فقد احتمل بهتانا واثما لانه بكسب الاثم آثم وبرمى البرئ باهت فهو جامع
بين الامرين وقرأ معاذ بن جبل رضى الله عنه ومن يكسب بكسر الكاف والسين المشددة واصله يكتسب ولولا
فضل الله عليك ورحمته اى عصمته والطافه وما اوحى اليك من الاطلاع على سرهم لهمت طائفة منهم من
بنى ظفر ان يضلوك عن القضاء بالحق وتوخى طريق العدل مع علمهم بان الجانى هو صاحبهم فقد روى ان ناسا
منهم كانوا يعلمون كنه القصة وما يضلون الا انفسهم لان وباله عليهم وما يضرونك من شئ لانك انما عملت
بظاهر الحال وما كان يخطر ببالك ان الحقيقة على خلاف ذلك وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات الامور وضمائر
القلوب او من امور الدين والشرائع ويجوز ان يراد بالطائفة بنو ظفر ويرجع الضمير فى منهم الى الناس
وقيل الآية فى المنافقين لا خير فى كثير من نجويهم من تناجى الناس الا من امر بصدقة الا نجوى من امر على انه مجرور
بدل من كثير كما تقول لا خير فى قيامهم الا قيام زيد ويجوز ان يكون منصوبا على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة
ففى نجواه الخير والمعروف القرض وقيل اغاثة الملهوف وقيل هو عام فى كل جميل ويجوز ان
يراد بالصدقة الواجب وبالمعروف ما يتصدق به على سبيل التطوع وعن النبى صلى الله عليه وسلم كلام ابن آدم
كله عليه لا له الا ما كان من امر بمعروف او نهى عن منكر او ذكر لله وسمع سفيان رجلا يقول ما اشد
هذا الحديث فقال الم تسمع الله يقول لا خير فى كثير من نجويهم فهو هذا بعينه او ما سمعته يقول والعصر
ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا فهو هذا بعينه وشرط به استيجاب الاجر العظيم ان ينوى فاعل الخير
عبادة الله والتقرب به اليه وان يبتغى به وجهه خالصا لان الاعمال بالنيات فان قلت كيف قال الا من امر
ثم قال ومن يفعل ذلك قلت قد ذكر الآمر بالخير ليدل به على فاعله لانه اذا دخل الآمر به فى زمرة الخيرين كان
الفاعل فيهم ادخل ثم قال ومن يفعل ذلك فذكر الفاعل وقرن به الوعد بالاجر العظيم ويجوز ان يراد

لا خير فى كثير من نجويهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما

عطف على بحر من الخصومة وهو مسطور قبل هذه الورقة في السطور من الصفحة اليسرى

ومن امر بذلك فعبر عن الامر بالفعل كما يعبر به عن سائر الافعال وقرئ يؤتيه بالياء ومن يشاقق الرسول
الآية هو السبيل الذي هم عليه من الدين الحنيفي القيم وهو دليل على ان الاجماع حجة لا تجوز مخالفتها كما لا
تجوز مخالفة الكتاب والسنة لان الله عز وعلا جمع بين اتباع سبيل غير المؤمنين وبين مشاقة الرسول في
الشرط وجعل جزاءه الوعيد الشديد فكان اتباعهم واجبا كموالاة الرسول نوله ما تولى نجعله
والياً لما تولى من الضلال بان نخذله ونخلي بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم وقرئ ونصله بفتح النون
من صلاه وقيل هي في طعمة وارتداده وخروجه الى مكة ان الله لا يغفر ان يشرك به تكرير للتأكيد
وقيل كرر لقصة طعمة وروي انه مات مشركا وقيل جاء شيخ من العرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني شيخ منهمك
في الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصي
جراءة على الله ولا مكابرة له وماكل والصلح خير من الخيور كما ان الخصومة شر من الشرور
وهذه الجملة اعتراض وكذلك قوله واحضرت الانفس الشح ومعنى احضار الانفس الشح ان
الشح جعل حاضرا لها لا يغيب عنها ابدا ولا تنفك عنه يعني انها مطبوعة عليه والغرض ان المرأة لا تكاد
تسمح بقسمتها وبغير قسمتها والرجل لا تكاد نفسه تسمح بان يقسم لها وان يمسكها اذا رغب
عنها واحب غيرها وان تحسنوا بالاقامة على نسائكم وان كرهتموهن واحببتم غيرهن وتصبروا
على ذلك مراعاة لحق الصحبة وتتقوا النشوز والاعراض وما يؤدي الى الاذى والخصومة فان
الله كان بما تعملون من الاحسان والتقوى خبيرا وهو يثيبكم عليه وكان عمران بن حطان الخارجي من
ادم بني آدم وامرأته من اجملهم فاجالت في وجهه نظرها يوما ثم تابعت الحمد لله فقال مالك
قالت حمدت الله على اني واياك من اهل الجنة قال كيف قالت لانك رزقت مثلي فشكرت ورزقت مثلك
فصبرت وقد وعد الله الجنة عباده الشاكرين والصابرين ولن تستطيعوا ومحال ان تستطيعوا العدل
بين النساء والتسوية حتى لا يقع ميل البتة ولا زيادة ولا نقصان فيما يجب لهن فرفع لذلك عنكم تمام العدل
وغايته وما كلفتم منه الا ما تستطيعون بشرط ان تبذلوا فيه وسعكم وطاقتكم لان تكليف ما لا يستطاع
داخل في حد الظلم وما ربك بظلام للعبيد وقيل معناه ان تعدلوا في المحبة وعن النبي عليه السلام انه كان
يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما املك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا املك يعني المحبة
لان عائشة رضي الله عنها كانت احب اليه وقيل ان العدل بينهن امر صعب بالغ من الصعوبة حدا يوهم
انه غير مستطاع لانه يجب ان تسوى بينهن في القسمة والنفقة والتعهد والنظر والاقبال والممالحة
والمفاكهة والمؤانسة وغيرها مما لا يكاد الحصر يأتي من وراءه فهو كالخارج من حد الاستطاعة
هذا اذا كن محبوبات كلهن فكيف اذا مال القلب مع بعضهن فلا تميلوا كل الميل فلا تجوروا على المرغوب
عنها كل الجور فتمنعوها قسمتها من غير رضى منها يعني ان اجتناب كل الميل مما هو في حد اليسر والسعة
فلا تفرطوا فيه ان وقع منكم التفريط في العدل كله وفيه ضرب من التوبيخ فتذروها كالمعلقة وهي التي
ليست بذات بعل ولا مطلقة قال هي ما هي الا حظة او تطليق او صلف او بين ذاك تعليق وفي قراءة ابي

فتذروها كالمسجونة وفي الحديث من كانت له امرأتان يميل مع احداهما جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل
وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث الى ازواج رسول الله بمال فقالت عائشة رضي الله عنها الى كل ازواج
رسول الله بعث عمر مثل هذا قالوا لا بعث الى القرشيات بمثل هذا والى غيرهن بغيره فقالت ارفع رأسك
فان رسول الله كان يعدل بيننا في القسمة بماله ونفسه فرجع الرسول فاخبره فاتم لهن جميعا وكان لمعاذ امرأتان
فاذا كان عند احداهما لم يتوضأ في بيت الاخرى فماتتا في الطاعون فدفنهما في قبر واحد وان تصلحوا ما مضى من
ميلكم وتداركوه بالتوبة وتتقوا فيما يستقبل غفر الله لكم وان يتفرقا يعني وان يفارق كل واحد منهما
صاحبه يغن الله كلا يرزقه زوجا خيرا من زوجه وعيشا اهنأ من عيشه والسعة الغنى والمقدرة
والواسع الغني المقتدر من قبلكم متعلق بوصينا او باوتوا واياكم عطف على الذين اوتوا والكتاب اسم
للجنس يتناول الكتب السماوية ان اتقوا الله بان اتقوا او تكون ان المفسرة لان التوصية في معنى القول
وقوله وان تكفروا فان لله عطف على اتقوا لان المعنى امرناهم وامرناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان
لله والمعنى ان لله الخلق كله وهو خالقهم ومالكهم والمنعم عليهم باصناف النعم كلها فحقه ان يكون مطاعا
في خلقه غير معصي يتقون عقابه ويرجون ثوابه ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من الامم السالفة ووصيناكم
ان اتقوا الله يعني انها وصية قديمة ما زال يوصي الله بها عباده لستم بها مخصوصين لانهم بالتقوى يسعدون
عنده وبها ينالون النجاة في العاقبة وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله في سمواته وارضه من الملائكة والثقلين من
يوحده ويعبده ويتقيه وكان الله مع ذلك غنيا عن خلقه وعن عبادتهم جميعا مستحقا لان يحمد لكثرة نعمه وان
لم يحمده احد منهم وتكرير قوله لله ما في السموات وما في الارض تقرير لما هو موجب تقواه ليتقوه فيطيعوه ولا يعصوه
لان الخشية والتقوى اصل الخير كله ان يشأ يذهبكم يفنكم ويعدمكم كما اوجدكم وانشأكم ويأت باخرين ويوجد
اناسا آخرين مكانكم او خلقا آخرين غير الانس وكان الله على ذلك من الاعدام والايجاد قديرا بليغ القدرة
لا يمتنع عليه شيء اراده وهذا غضب عليهم وتخويف وبيان لاقتداره وقيل هو خطاب لمن كان يعادي رسول الله من
العرب اي ان يشأ يمتكم ويأت بناس آخرين يوالونه وروي انها لما نزلت ضرب رسول الله بيده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا
يريد ابناء فارس من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة فما له يطلب
احدهما دون الآخر والذي يطلبه اخسهما لان من جاهد لله خالصا لم تخطئه الغنيمة وله من ثواب الآخرة ما الغنيمة
الى جنبه كلا شيء والمعنى فعند الله ثواب الدنيا والآخرة له ان اراده حتى يتعلق الجزاء بالشرط قوامين بالقسط مجتهدين
في اقامة العدل حتى لا تجوروا شهداء لله تقيمون شهاداتكم لوجه الله كما امرتم باقامتها ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة
على انفسكم او آبائكم واقاربكم فان قلت الشهادة على الوالدين والاقربين ان تقول اشهد ان لفلان على والدي كذا
او على اقاربي فما معنى الشهادة على نفسه قلت هي الاقرار على نفسه لانه في معنى الشهادة عليها بالزام الحق لها
ويجوز ان يكون المعنى وان كانت الشهادة وبالا على انفسكم او على آبائكم واقاربكم وذلك ان يشهد على من يتوقع ضرره
من سلطان ظالم او غيره ان يكن المشهود عليه غنيا فلا يمنع الشهادة عليه لغناه طلبا لرضاه او فقيرا
فلا يمنعها ترحما عليه فالله اولى بهما بالغني والفقير اي بالنظر لهما وارادة مصلحتهما ولولا ان الشهادة

بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله
جميعا وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم ايات الله يكفر بها ويستهزا بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا
مثلهم ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم وان للكافرين
نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم

واستغراب وانه امر لا يكاد يكون وهكذا ترى الفاسق الذي يتوب ثم يرجع ثم يتوب ثم يرجع لا يكاد يرجى منه الثبات
والغالب انه يموت على شر حال واسمج صورة وقيل هم اليهود امنوا بالتورية وبموسى ثم كفروا بالانجيل وبعيسى
ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم بشر المنافقين وضع بشر مكان اخبر تهكما بهم والذين نصب
على الذم او رفع بمعنى اريد الذين او هم الذين وكانوا يمايلون الكفرة ويوالونهم ويقول بعضهم لبعض لا يتم
امر محمد فتولوا اليهود فقال فان العزة لله جميعا يريد لاوليائه الذين كتب الله لهم العز والغلبة على اليهود وغيرهم
وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ان اذا سمعتم هي ان المخففة من الثقيلة والمعنى انه اذا سمعتم اي نزل عليكم
ان الشان كذا والشان ما افادته الجملة بشرطها وجزائها وان مع ما في حيزها في موضع الرفع بنزل او في موضع النصب
بنزل فيمن قراه والمنزل عليهم في الكتاب هو ما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض
عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وذلك ان المشركين كانوا يخوضون في ذكر القران في مجالسهم فيستهزؤون به فنهي
المسلمون عن القعود معهم ماداموا خائضين فيه فكان احبار اليهود بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين
فنهوا ان يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة وكان الذين يقاعدون الخائضين في القران من
الاحبار هم المنافقون فقيل لهم انكم اذا مثل الاحبار في الكفر ان الله جامع المنافقين والكافرين يعني
القاعدين والمقعود معهم فان قلت الضمير في قوله فلا تقعدوا معهم الى من يرجع قلت الى من دل عليه يكفر
بها ويستهزا بها كانه قيل فلا تقعدوا مع الكافرين بها والمستهزئين بها فان قلت لم يكونون مثلهم بالمجالسة
اليهم في وقت الخوض قلت لانهم اذا لم ينكروا عليهم كانوا راضين والراضي بالكفر كافر فان قلت فهلا كان المسلمون
بمكة حين كانوا يجالسون الخائضين من المشركين منافقين قلت لانهم كانوا لا ينكرون لعجزهم وهؤلاء لم ينكروا
مع قدرتهم فكان ترك الانكار لرضاهم الذين يتربصون بدل من الذين يتخذون واما صفة للمنافقين او نصب على
الذم منهم يتربصون بكم اي ينتظرون بكم ما يتجدد لكم من ظفر او اخفاق الم نكن معكم مظاهرين فاسهموا
لنا في الغنيمة الم نستحوذ عليكم الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم واسركم فابقينا عليكم ونمنعكم من المسلمين
بان ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم ومرضوا في قتالكم وتوانينا في مظاهرتهم عليكم فهاتوا
نصيبا لنا مما اصبتم وقرئ ونمنعكم بالنصب باضمار ان قال الحطيئة الم اك جاركم ويكون بيني
وبينكم المودة والاخاء فان قلت لم سمي ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا قلت تعظيما
لشان المسلمين وتخسيسا لحظ الكافرين لان ظفر المسلمين امر عظيم تفتح له ابواب السماء حتى ينزل على
اوليائه واما ظفر الكافرين فما هو الا حظ دنيء ولمظة من الدنيا يصيبونها يخادعون الله يفعلون ما يفعل
المخادع من اظهار الايمان وابطان الكفر وهو خادعهم وهو فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث
تركهم معصومي الدماء والاموال في الدنيا واعد لهم الدرك الاسفل من النار في الاخرة ولم يخلهم في العاجل من فضيحة
واحلال باس ونقمة ورعب دائم والخادع اسم فاعل من خادعته فخدعته اذا غلبته وكنت اخدع منه
وقيل يعطون على الصراط نورا كما يعطى المؤمنون فيمضون بنورهم ثم يطفا نورهم ويبقى نور المؤمنين فينادون
انظرونا نقتبس من نوركم كسالى وقرئ بضم الكاف وفتحها جمع كسلان كسكارى في سكران اي يقومون متثاقلين

يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي
انزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر فقد ضل ضلالا بعيدا ان الذين امنوا ثم كفروا ثم
امنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا

عليهما مصلحة لهما لما شرعها لانه انظر لعباده من كل ناظر فان قلت لم ثنى الضمير في اولى بهما وكان حقه
ان يوحد لان قوله ان يكن غنيا او فقيرا في معنى ان يكن احد هذين قلت قد رجع الضمير الى ما دل
عليه قوله ان يكن غنيا او فقيرا لا الى المذكور فلذلك ثني ولم يفرد وهو جنس الغني وجنس الفقير كانه قيل
فالله اولى بجنس الغني والفقير اي بالاغنياء والفقراء وفي قراءة ابي فالله اولى بهم وهي شاهدة على ذلك
وقرا عبد الله ان يكن غني وفقير على كان التامة ان تعدلوا بين الناس او ارادة ان تعدلوا عن الحق
وان تلووا او تعرضوا وان تلووا السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل او تعرضوا عن الشهادة بما عندكم
وتمنعوها وقرئ وان تلوا او تعرضوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة او اعرضتم عن اقامتها فان الله كان
بما تعملون خبيرا او بمجازاتكم عليه يا ايها الذين امنوا خطاب للمسلمين ومعنى امنوا اثبتوا على الايمان وداوموا
عليه وازدادوه والكتاب الذي انزل من قبل المراد الجنس ما انزل على الانبياء قبله من الكتب والدليل عليه
قوله وكتبه وقرئ وكتابه على ارادة الجنس وقرئ نزل وانزل على البناء للفاعل وقيل الخطاب لاهل الكتاب
لانهم امنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض وروي انه لعبد الله بن سلام واسد واسيد ابني كعب وثعلبة
بن قيس وسلام ابن اخت عبد الله بن سلام وسلمة ابن اخيه ويامين بن يامين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا
رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وموسى والتورية وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال عليه السلام بل امنوا
بالله ورسوله محمد وكتابه القران وبكل كتاب كان قبله فقالوا لا نفعل فنزلت فامنوا كلهم وقيل هو للمنافقين
كانه قيل يا ايها الذين امنوا نفاقا امنوا اخلاصا فان قلت كيف قيل لاهل الكتاب والكتاب الذي انزل من قبل
وكانوا مؤمنين بالتورية والانجيل قلت كانوا مؤمنين بهما فحسب وما كانوا مؤمنين بكل ما انزل من الكتب
فامروا ان يؤمنوا بالجنس كله ولان ايمانهم ببعض الكتب لا يصح ايمانا به لان طريق الايمان هو المعجزة
ولا اختصاص لها ببعض الكتب دون بعض فلو كان ايمانهم بما امنوا به لاجل المعجزة لامنوا به كله فحين امنوا
ببعضه علم انهم لم يعتبروا المعجزة فلم يكن ايمانهم ايمانا وهذا الذي اراد عز وجل في قوله ويقولون
نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا فان قلت لم قيل نزل على
رسوله وانزل من قبل قلت لان القران نزل مفرقا منجما في عشرين سنة بخلاف الكتب قبله ومعنى قوله
ومن يكفر بالله الى اخره ومن يكفر بشيء من ذلك فقد ضل لان الكفر ببعضه كفر بكله الا ترى كيف قدم الامر بالايمان
به جميعا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا نفي للغفران والهداية وهي اللطف على سبيل المبالغة التي
تعطيها اللام والمراد بنفيهما نفي ما يقتضيهما وهو الايمان الخالص الثابت والمعنى ان الذين
تكرر منهم الارتداد وعهد منهم ازدياد الكفر والاصرار عليه يستبعد منهم ان يحدثوا ما يستحقون
به المغفرة ويستوجبون اللطف من ايمان صحيح ثابت يرضاه الله لان قلوب اولئك الذين هذا ديدنهم قلوب
قد ضريت بالكفر ومرنت على الردة وكان الايمان اهون شيء عندهم وادونه حيث يبدو لهم
فيه كرة بعد اخرى وليس المعنى انهم لو اخلصوا الايمان بعد تكرار الردة ونصحت توبتهم لم تقبل
منهم ولم يغفر لهم لان ذلك مقبول حيث هو بذل للطاقة واستفراغ للوسع ولكنه استبعاد له

يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا ان المنافقين في
الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله فاولئك مع
المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما

متقاعسين كما ترى من يفعل شيئا على كره لا على طيبة نفس ورغبة يراءون الناس يقصدون بصلاتهم
الرياء والسمعة ولا يذكرون الله الا قليلا ولا يصلون الا قليلا لانهم لا يصلون قط غائبين عن عيون الناس الا
ما يجاهرون به وما يجاهرون به قليل ايضا لانهم ما وجدوا مندوحة من تكلف ما ليس في قلوبهم لم يتكلفوه
او ولا يذكرون الله بالتسبيح والتهليل الا ذكرا قليلا لانه النادرة وهكذا ترى كثيرا من المتظاهرين بالاسلام
لو صحبته الايام والليالي لم تسمع منه تهليلة ولا تسبيحة ولا تحميدة ولكن حديث الدنيا يستغرق
به اوقاته لا يفتر عنه ويجوز ان يراد بالقلة العدم فان قلت ما معنى المراءاة وهي مفاعلة من الرؤية قلت فيها
وجهان احدهما ان المرائي يريهم عمله وهم يرونه استحسانه والثاني ان يكون من المفاعلة بمعنى التفعيل
فيقال رائى الناس بمعنى رآهم كقولك نعّمه وناعمه وفنّقه وفانقه وعيش مفانق وروى ابو زيد
رأت المرأة المرأة الرجل اذا امسكت لها المرآة ليرى وجهه ويدل عليه قراءة ابن ابي اسحق يرءّونهم بهمزة مشددة
مثل يرعّونهم اي يبصرونهم اعمالهم ويراءونهم كذلك مذبذبين اما حال نحو قوله ولا يذكرون عن الواو
يراءون اي يراءونهم غير ذاكرين مذبذبين او منصوب على الذم ومعنى مذبذبين ذبذبهم الشيطان والهوى
بين الايمان والكفر فهم مترددون بينهما متحيرون وحقيقة المذبذب الذي يذب عن كلا الجانبين اي يذاد
ويدفع فلا يقر في جانب واحد كما قيل فلان يرمى به الرحوان الا ان الذبذبة فيها تكرير ليس في الذب كان
المعنى كلما مال الى جانب ذب عنه وقرا ابن عباس مذبذبين بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم
او دينهم او رأيهم او بمعنى يتذبذبون كما جاء صلصل وتصلصل بمعنى وفي مصحف عبد الله
متذبذبين وعن ابي جعفر مدبدبين بالدال غير المعجمة وكان المعنى اخذ بهم تارة في دبة
وتارة في دبة فليسوا بماضين على دبة واحدة والدبة الطريقة ومنها دبة قريش وذلك اشارة الى
الكفر والايمان لا الى هؤلاء لا منسوبين الى هؤلاء فيكونوا مؤمنين ولا الى هؤلاء فلا منسوبين الى هؤلاء
فيسمون مشركين ولا تتخذوا الكافرين اولياء لا تتشبهوا بالمنافقين في اتخاذهم اليهود وغيرهم من
اعداء الاسلام اولياء سلطانا حجة بينة يعني ان موالاة الكافرين بينة على النفاق وعن صعصعة بن
صوحان انه قال لابن اخ له خالص المؤمن وخالق الكافر والفاجر فان الفاجر يرضى منك بالخلق الحسن
وانه يحق عليك ان تخالص المؤمن الدرك الاسفل الطبق الذي في قعر جهنم والنار سبع دركات سميت
بذلك لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وقرئ بسكون الراء والوجه التحريك لقولهم ادراك
جهنم فان قلت لم كان المنافق اشد عذابا من الكافر قلت لانه مثله في الكفر وضم الى كفره الاستهزاء بالاسلام واهله
ومداجاتهم واصلحوا ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله ووثقوا به كما يثق المؤمنون
الخلص واخلصوا دينهم لله لا يبتغون بطاعتهم الا وجهه فاولئك مع المؤمنين فهم اصحاب المؤمنين
ورفقاؤهم في الدارين وسوف يؤت المؤمنين اجرا عظيما فيشاركونهم فيه ويساهمونهم فان قلت من المنافق
قلت هو في الشريعة من اظهر الايمان وابطن الكفر واما تسميته من ارتكب ما يفسق به بالمنافق فللتغليظ
كقوله من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر ومنه قوله عليه السلام ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى

ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم وكان الله شاكرا عليما لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وكان الله سميعا عليما ان تبدوا
خيرا او تخفوه او تعفوا عن سوء فان الله كان عفوا قديرا ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله و
يريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون
حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا

وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان وقيل لحذيفة رضي الله عنه
من المنافق فقال الذي يصف الاسلام ولا يعمل به وقيل لابن عمر ندخل على السلطان ونتكلم
بكلام فاذا خرجنا تكلمنا بخلافه فقال كنا نعده من النفاق وعن الحسن اتى على النفاق زمان
وهو مقروع فيه فاصبح قد عمم وقلد واعطي سيفا يعني الحجاج ما يفعل الله بعذابكم ابتشفي
به من الغيظ ام يدرك به الثار ام يستجلب به نفعا ام يستدفع به ضررا كما يفعل الملوك بعذابهم
وهو الغني الذي لا يجوز عليه شيء من ذلك وانما هو امر اوجبته الحكمة ان يعاقب المسيء فان
قمتم بشكر نعمته وامنتم به فقد ابعدتم عن انفسكم استحقاق العذاب وكان الله شاكرا
مثيبا موفيا اجوركم عليما بحق شكركم وايمانكم فان قلت لم قدم الشكر على الايمان قلت لان
العاقل ينظر الى ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر شكرا مبهما فاذا
انتهى به النظر الى معرفة المنعم آمن به ثم شكر شكرا مفصلا فكان الشكر متقدما على الايمان وكانه اصل التكليف
ومداره الا من ظلم الا جهر من ظلم استثني من الجهر الذي لا يحبه الله جهر المظلوم وهو ان يدعو على الظالم
ويذكره بما فيه من السوء وقيل هو ان يبدأ بالشتيمة فيرد على الشاتم ولمن انتصر بعد ظلمه
وقيل ضاف رجل قوما فلم يطعموه فاصبح شاكيا فعوتب على الشكاية فنزلت وقرئ الا من
ظلم على البناء للفاعل للانقطاع اي ولكن الظالم راكب ما لا يحبه الله فيجهر بالسوء ويجوز ان يكون
من ظلم مرفوعا كانه قيل لا يحب الجهر بالسوء الا الظالم على لغة من يقول ما جاءني زيد الا عمرو بمعنى
ما جاءني الا عمرو ومنه لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله ثم حث على العفو وان لا يجهر احد
لاحد بسوء وان كان على وجه الانتصار بعدما اطلق الجهر به وجعله محبوبا حثا على الاحب اليه والافضل
عنده والادخل في الكرم والتخشع والعبودية وذكر ابداء الخير واخفاءه تسبيبا للعفو ثم عطفه
عليهما اعتدادا به وتنبيها على منزلته وان له مكانا في باب الخير وسيطا والدليل على ان العفو
هو الغرض المقصود بذكر ابداء الخير واخفائه قوله فان الله كان عفوا قديرا اي يعفو عن الجانين
مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنة الله جعل الذين امنوا بالله وكفروا برسله او
امنوا بالله وببعض رسله وكفروا ببعض كافرين بالله وبرسله جميعا لما ذكر من العلة ومعنى
اتخاذهم بين ذلك سبيلا ان يتخذوا دينا وسطا بين الايمان والكفر كقوله ولا تجهر بصلاتك ولا
تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا اي طريقا وسطا في القراءة وهو ما بين الجهر والمخافتة وقد اخطأوا
فانه لا واسطة بين الكفر والايمان ولذلك قال اولئك هم الكافرون حقا اي هم الكاملون في الكفر
وحقا تاكيد لمضمون الجملة كقولك هو عبد الله حقا اي حق ذلك حقا وهو كونهم كاملين في الكفر او هو صفة لمصدر
الكافرين اي هم الذين كفروا كفرا حقا ثابتا يقينا لا شك فيه فان قلت كيف جاز دخول بين على احد وهو يقتضي شيئين
فصاعدا قلت ان احدا عام في الواحد المذكر والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما تقول ما رايت احدا فتقصد العموم
الا تراك تقول الا بني فلان ولا بنات فلان فالمعنى ولم يفرقوا بين اثنين منهم او بين جماعة ومنه قوله تعالى لستن

[illegible]

والذين امنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اوليك سوف يوتيهم اجورهم وكان الله غفورا رحيما يسلك اهل الكتاب
ان تنزل عليهم كتابا من السما فقد سالوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد
ما جاتهم البينات فعفونا عن ذلك واتينا موسى سلطانا مبينا ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا
لهم لا تعدوا في السبت واخذنا منهم ميثاقا غليظا فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بايات الله وقتلهم الانبيا بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل
طبع الله عليها بكفرهم فلا يومنون الا قليلا وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما

كاحد من النسا سوف يوتيهم اجورهم معناه ان ايتاها كاين لا محالة وان تاخر فالغرض به توكيد الوعد وتثبيته
لا كونه متاخرا روي ان كعب بن الاشرف وفنحاص بن عازورا وغيرهما قالوا لرسول الله صلى الله عليه ان كنت نبيا
صادقا فاتنا بكتاب من السما جملة كما اتي به موسى فنزلت وقيل كتابا الى فلان وكتابا الى فلان بانك رسول
الله وقيل كتابا نعاينه حين ينزل وانما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت قال الحسن ولو سالوه لكي
يتبينوا الحق لاعطاهم وفيما اتاهم كفاية فقد سالوا موسى جواب لشرط مقدر معناه ان استكبرت
ما سالوه منك فقد سالوا موسى اكبر من ذلك وانما اسند السوال اليهم وان وجد من ابايهم في ايام موسى وهم
النقبا السبعون لانهم كانوا على مذهبهم وراضين بسوالهم ومضاهين لهم في التعنت جهرة عيانا بمعنى
ارنا نره جهرة بظلمهم بسبب سوالهم الروية ولو طلبوا امرا جايزا لما سموا ظالمين ولما اخذتهم الصاعقة
كما سال ابرهيم عليه السلام ان يريه احيا الموتى فلم يسمه ظالما ولا رماه بالصاعقة سلطانا تسلطا واستيلا ظاهرا
عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم حتى تاب عليهم فاطاعوه واحتبوا بافنيتهم والسيوف تتساقط عليهم
فيا لك من سلطان مبين بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوا وقلنا لهم والطور مظل عليهم
ادخلوا الباب سجدا ولا تعدوا في السبت وقد اخذ منهم الميثاق على ذلك وقولهم سمعنا واطعنا ومعاهدتهم
على ان يتموا عليه ثم نقضوه بعد وقرى لا تعتدوا ولا تعدوا بادغام التا في الدال فبما نقضهم
فبنقضهم ميثاقهم وما مزيدة للتوكيد فان قلت بم تعلقت الباء وما معنى التوكيد قلت اما ان يتعلق بمحذوف
كانه قيل فبما نقضهم ميثاقهم فعلنا بهم ما فعلنا واما ان يتعلق بقوله حرمنا عليهم على ان قوله فبظلم من الذين
هادوا بدل من قوله فبما نقضهم ميثاقهم واما التوكيد فمعناه تحقيق ان العقاب او تحريم الطيبات لم يكن الا
بنقض العهد وما عطف عليه من الكفر وقتل الانبيا وغير ذلك فان قلت هلا زعمت ان المحذوف الذي
تعلقت به البا ما دل عليه قوله بل طبع الله عليها فيكون التقدير فبما نقضهم طبع الله على قلوبهم بل طبع
الله عليها بكفرهم قلت لم يصح هذا التقدير لان قوله بل طبع الله عليها رد وانكار لقولهم قلوبنا غلف
فكان متعلقا به وذلك انهم ارادوا بقولهم قلوبنا غلف ان الله خلق قلوبنا غلفا اي في اكنة لا يتوصل اليها
شي من الذكر والموعظة كما حكى الله عن المشركين وقالوا لو شا الرحمن ما عبدناهم وكمذهب المجبرة اخزاهم
الله فقيل لهم بل خذلها الله ومنعها الالطاف بسبب كفرهم فصارت كالمطبوع عليها لا ان تخلق
غلفا غير قابلة للذكر ولا متمكنة من قبوله فان قلت علام عطف قوله وبكفرهم قلت الوجه ان يعطف
على فبما نقضهم ويجعل قوله بل طبع الله عليها بكفرهم كلاما تبع قوله وقولهم قلوبنا غلف على وجه الا
ستطراد ويجوز عطفه على ما يليه من قوله بكفرهم فان قلت ما معنى المجي بالكفر معطوفا على ما فيه ذكره
سوا عطف على ما قبل حرف الاضراب او على ما بعده وهو قوله وكفرهم بايات الله وقوله بكفرهم قلت قد تكرر
منهم الكفر لانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد فعطف بعض كفرهم على بعض او عطف مجموع
المعطوف على مجموع المعطوف عليه كانه قيل فبجمعهم بين نقض الميثاق والكفر بايات الله وقتل
الانبيا وقولهم قلوبنا غلف وجمعهم بين كفرهم وبهتهم مريم وافتخارهم بقتل عيسى عاقبناهم

وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به
من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما وان من اهل الكتاب الا ليومنن به قبل موته
ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا

او بل طبع الله عليها بكفرهم وجمعهم بين كفرهم وكذا وكذا والبهتان العظيم هو التزنية فان قلت كانوا
كافرين بعيسى عليه السلام اعدا له عامدين لقتله يسمونه الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فكيف قالوا
انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله قلت قالوه على وجه الاستهزا كقول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون
ويجوز ان يضع الله الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح في الحكاية عنهم رفعا لعيسى عليه السلام عما كانوا يذكرونه
به وتعظيما لما ارادوا بمثله كقوله ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الارض مهدا روي ان رهطا
من اليهود سبوه وسبوا امه فدعا عليهم اللهم انت ربي وبكلمتك خلقتني اللهم العن من سبني وسب
والدتي فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير فاجمعت اليهود على قتله فاخبره الله بانه يرفعه الى السما
ويطهره من صحبة اليهود فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال
رجل منهم انا فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجلا ينافق عيسى فلما ارادوا قتله قال انا
ادلكم عليه فدخل بيت عيسى ورفع عيسى والقي شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون
انه عيسى ثم اختلفوا فقال بعضهم انه اله لا يصح قتله وقال بعضهم انه قتل وصلب وقال بعضهم ان كان هذا
عيسى فاين صاحبنا وان كان صاحبنا فاين عيسى وقال بعضهم رفع الى السما وقال بعضهم الوجه وجه
عيسى والبدن بدن صاحبنا فان قلت شبه مسند الى ماذا ان جعلته مسندا الى المسيح فالمسيح مشبه به وليس
بمشبه وان اسندته الى المقتول فالمقتول لم يجر له ذكر قلت هو مسند الى الجار والمجرور وهو لهم كقولك
خيل اليه كانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه ويجوز ان يسند الى ضمير المقتول لان قوله انا قتلنا يدل عليه كانه
قيل ولكن وقع لهم التشبيه ويجوز ان يسند الى ضمير المقتول لان قوله انا قتلنا يدل عليه كانه قيل ولكن شبه
لهم من قتلوه الا اتباع الظن استثنا منقطع لان اتباع الظن ليس من جنس العلم يعني ولكنهم يتبعون
الظن فان قلت قد وصفوا بالشك والشك ان لا يترجح احد الجايزين ثم وصفوا بالظن والظن ان يترجح
احدهما فكيف يكونون شاكين ظانين قلت اريد انهم شاكون ما لهم من علم قط ولكن ان لاحت لهم امارة
فظنوا فذاك وما قتلوه يقينا وما قتلوه قتلا يقينا او ما قتلوه متيقنين كما ادعوا ذلك في قولهم انا قتلنا
المسيح او يجعل يقينا تاكيدا لقوله وما قتلوه كقولك وما قتلوه حقا اي حق انتفا قتله حقا وقيل
هو من قولهم قتلت الشي علما ونحرته علما اذا تبالغ فيه علمك وفيه تهكم لانه اذا نفي عنهم العلم نفيا
كليا بحرف الاستغراق ثم قيل وما علموه علم يقين واحاطة لم يكن الا تهكما بهم ليومنن به جملة قسمية
واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره وان من اهل الكتاب احد الا ليومنن به ونحوه وما منا الا له مقام معلوم
وان منكم الا واردها والمعنى وما من اليهود والنصارى احد الا ليومنن قبل موته بعيسى وبانه عبد الله ورسوله يعني
اذا عاين قبل ان تزهق روحه حين لا ينفعه ايمانه لانقطاع وقت التكليف وعن شهر بن حوشب قال لي الحجاج
اية ما قراتها الا تخالج في نفسي شي منها يعني هذه الاية وقال اني اوتى بالاسير من اليهود والنصارى فاضرب عنقه
فلا اسمع منه ذلك فقلت ان اليهودي اذا حضره الموت ضربت الملايكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو
الله اتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول امنت انه عبد نبي وتقول للنصراني اتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله او
ابن الله

فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه واكلهم
اموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل
من قبلك والمقيمين الصلوة والمؤتون الزكوة والمؤمنون بالله واليوم الاخر اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما انا اوحينا اليك

يؤمن انه عبد الله ورسوله حين لا ينفعه ايمانه قال وكان متكئا فاستوى جالسا فنظر الي وقال ممن قلت حدثني محمد بن
علي بن الحنفية فاخذ ينكت الارض بقضيبه ثم قال لقد اخذتها من عين صافية او من معدنها قال الكلبي فقلت
له ما اردت الى ان تقول حدثني محمد بن الحنفية قال اردت ان اغيظه يعني بزيادة اسم لانه مشهور بابن الحنفية وعن
ابن عباس انه فسره كذلك فقال له عكرمة فان اتاه رجل فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه
قال وان خر من فوق بيت او احترق او اكله سبع قال يتكلم بها في الهوا ولا تخرج روحه حتى يؤمن به وتدل عليه
قراءة ابي رضي الله عنه الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون على معنى وان منهم احد الا سيؤمنون به قبل موتهم لان احدا
يصلح للجمع فان قلت ما فائدة الاخبار بايمانهم بعيسى قبل موتهم قلت فائدته الوعيد وليكون علمهم بانهم
لا بد لهم من الايمان به عن قريب عند المعاينة وان ذلك لا ينفعهم بعثا لهم وتنبيها على معاجلة الايمان به في اوان
الانتفاع به وليكون الزاما للحجة لهم وقوله ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا يشهد على اليهود بانهم كذبوه
وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله وقيل الضميران لعيسى بمعنى وان منهم احد الا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى
وهم اهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله روي انه ينزل من السماء في اخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب
الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال وتقع الامنة حتى ترتع
الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض اربعين
سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه ويجوز ان يراد انه لا يبقى احد من جميع اهل الكتاب الا
ليؤمنن به على ان الله يحييهم في قبورهم في ذلك الزمان ويعلمهم نزوله وما انزل له ويؤمنون به حين لا ينفعهم
ايمانهم وقيل الضمير في به يرجع الى الله تعالى وقيل الى محمد صلى الله عليه وسلم فبظلم من الذين هادوا فباي ظلم منهم
والمعنى ما حرمنا عليهم الطيبات الا لظلم عظيم ارتكبوه وهو ما عدد لهم من الكفر والكبائر العظيمة
والطيبات التي حرمت عليهم ما ذكره في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر وحرمت عليهم الالبان وكلما اذنبوا
ذنبا صغيرا او كبيرا حرم عليهم بعض الطيبات من المطاعم وغيرها وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ناسا كثيرا او صدا كثيرا
بالباطل بالرشوة التي كانوا ياخذونها من سفلتهم في تحريف الكتاب لكن الراسخون يريد من امن منهم كعبد الله بن سلام
واضرابه والراسخون في العلم الثابتون فيه المتقنون المستبصرون والمؤمنون يعني المؤمنين منهم او المؤمنين من المهاجرين
والانصار وارتفع الراسخون على الابتداء ويؤمنون خبره والمقيمين نصب على المدح لبيان فضل الصلوة وهو باب
واسع قد كسره سيبويه على امثلة وشواهد ولا يلتفت الى ما زعموا من وقوعه لحنا في خط المصحف وربما التفت
اليه من لم ينظر في الكتاب ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتنان وغبي عليه ان
السابقين الاولين الذين مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كانوا ابعد همة في الغيرة على الاسلام وذب المطاعن عنه من ان يتركوا
في كتاب الله ثلمة ليسدها من بعدهم وخرقا يرفوه من يلحق بهم وقيل هو عطف على بما انزل اليك اي يؤمنون بالكتب
وبالمقيمين الصلوة وهم الانبياء وفي مصحف عبد الله والمقيمون بالواو وهي قراءة مالك بن دينار والجحدري
وعيسى الثقفي انا اوحينا جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج
عليهم بان شانه في الوحي اليه كشان سائر الانبياء الذين سلفوا وقرئ زبورا بضم الزاي جمع زبر وهو الكتاب ...

كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون
وسليمان واتينا داود زبورا ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين و
منذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى
بالله شهيدا ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق
جهنم خالدين فيها ابدا وكان ذلك على الله يسيرا يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فامنوا خيرا لكم وان تكفروا فان لله ما في السموات

نصب بمضمر في معنى اوحينا اليك وهو ارسلنا ونبانا وما اشبه ذلك او بما فسره قصصناهم وفي قراءة ابي
ورسل قد قصصناهم عليك من قبل ورسل وعن ابراهيم ويحيى بن وثاب انهما قرا وكلم الله بالنصب ومن بدع
التفاسير انه من الكلم وان معناه وجرح الله موسى باظفار المحن ومخالب الفتن رسلا مبشرين ومنذرين
١٣٦ الاوجه ان ينتصب على المدح ويجوز انتصابه على التكرير فان قلت كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل
وهم محجوجون بما نصبه الله من الادلة التي النظر فيها موصل الى المعرفة والرسل في انفسهم لم يتوصلوا الى
المعرفة الا بالنظر في تلك الادلة ولا عرف انهم رسل الله الا بالنظر فيها قلت الرسل منبهون عن
الغفلة وباعثون على النظر كما ترى علماء اهل العدل والتوحيد مع ما حملوه من تفصيل امور الدين وبيان
احوال التكليف وتعليم الشرائع فكان ارسالهم ازاحة للعلة وتتميما لالزام الحجة لئلا يقولوا لولا ارسلت
الينا رسولا فيوقظنا من سنة الغفلة وينبهنا لما وجب الانتباه له قرا السلمي لكن الله يشهد
بالتشديد فان قلت الاستدراك لا بد له من مستدرك فما هو في قوله لكن الله يشهد قلت لما سال اهل الكتاب انزال
الكتاب من السماء وتعنتوا بذلك واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل
لكن الله يشهد ومعنى شهادة الله بما انزل اليه اثباته لصحته باظهار المعجزات كما تثبت الدعاوى بالبينات
وشهادة الملائكة شهادتهم بانه حق وصدق فان قلت بم يجابون لو قالوا بم يعلم ان الملائكة يشهدون بذلك
قلت يجابون بانه يعلم بشهادة الله لانه لما علم باظهار المعجزات انه شاهد بصحته علم ان الملائكة يشهدون بصحة
ما شهد بصحته لان شهادتهم تبع لشهادته فان قلت ما معنى قوله انزله بعلمه وما موقعه من الجملة التي قبله قلت
معناه انزله ملتبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره وهو تاليفه على نظم واسلوب يعجز عنه كل بليغ وصاحب
بيان وموقعه مما قبله موقع الجملة المفسرة لانه بيان للشهادة وان شهادته لصحته انه انزله بالنظم المعجز
الفائت للقدر وقيل انزله وهو عالم بانك اهل لانزاله اليك وانك مبلغه وقيل انزله بما علم من مصالح العباد
مشتملا عليه ويحتمل انه انزله وهو عالم به رقيب عليه حافظ له من الشياطين برصد من الملائكة والملائكة
يشهدون بذلك كما قال في اخر سورة الجن الى قوله واحاط بما لديهم والاحاطة بمعنى العلم وكفى
بالله شهيدا وان لم يشهد غيره لان التصديق بالمعجزة هو الشهادة حقا قل اي شيء اكبر شهادة قل الله كفروا
وظلموا جمعوا بين الكفر والمعاصي او كان بعضهم كافرين وبعضهم ظالمين اصحاب كبائر لانه لا فرق بين الفريقين في
انه لا يغفر لهما الا بالتوبة ولا ليهديهم طريقا لا يلطف بهم فيسلكون الطريق الموصل الى جهنم او لا يهديهم
يوم القيامة الا طريقها يسيرا اي لا صارف له عنه فامنوا خيرا لكم وكذلك انتهوا خيرا لكم انتصابه بمضمر
وذلك انه لما بعثهم على الايمان وعلى الانتهاء عن التثليث علم انه يحملهم على امر فقال خيرا لكم اي اقصدوا او
ائتوا امرا خيرا لكم مما انتم فيه من الكفر والتثليث وهو الايمان والتوحيد لا تغلوا في دينكم غلت اليهود
في حط المسيح عن منزلته حيث جعلته مولودا لغير رشدة وغلت النصارى في رفعه عن مقداره حيث جعلوه
الها ولا تقولوا على الله الا الحق وهو تنزيهه عن الشريك والولد قرا جعفر بن محمد انما المسيح بوزن السكيت
وقيل لعيسى كلمة الله وكلمة منه لانه وجد بكلمته وامره لا غير من غير واسطة اب ولا نطفة وقيل له روح

والارض وكان الله عليما حكيما يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله
وكلمته القاها الى مريم وروح منه فامنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلثة انتهوا خيرا لكم

انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته

لله وروح منه لانه ذو روح وجد من غير جزء من ذي روح كالنطفة المنفصلة من الاب الحي وانما اخترع اختراعا من عند الله وقدرته خالصة ومعنى القاها الى مريم اوصلها اليها وحصلها فيها ثلاثة خبر مبتدا محذوف فان صحت الحكاية عنهم انهم يقولون هو جوهر واحد ثلاثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم يريدون باقنوم الاب الذات وباقنوم الابن العلم وباقنوم روح القدس الحيوة فتقديره الله ثلاثة والا فتقديره الالهة ثلاثة والذي يدل عليه القران التصريح منهم بان الله والمسيح ومريم ثلثة الهة وان المسيح ولد الله من مريم الا ترى الى قوله انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وقالت النصارى المسيح ابن الله والمشهور المستفيض عنهم انهم يقولون في المسيح لاهوتية وناسوتية من جهة الاب والام ويدل عليه قوله انما المسيح عيسى ابن مريم فاثبت انه ولد لمريم اتصل بها اتصال الاولاد بامهاتهم وان اتصاله بالله عز وعلا من حيث انه رسوله وانه موجود بامره وابتداعه جسدا حيا من غير اب فنفى ان يتصل به اتصال الابناء بالاباء وقوله سبحانه ان يكون له ولد وحكاية الله اوثق من حكاية غيره ومعنى سبحانه ان يكون له ولد سبحه تسبيحا من ان يكون له ولد وقرا الحسن ان يكون له ولد بكسر الهمزة ورفع النون اي سبحانه ما يكون له ولد وعلى ان الكلام جملتان له ما في السموات وما في الارض بيان لتنزهه مما نسب اليه يعني ان كل ما فيهما خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزءا منه على ان الجزء انما يصح في الاجسام وهو متعال عن صفات الاجسام والاعراض وكفى بالله وكيلا يكل اليه الخلق كلهم امورهم فهو الغني عنهم وهم الفقراء اليه لن يستنكف لن يانف ولن يذهب بنفسه عزة من نكفت الدمع اذا نحيته عن خدك باصبعك ولا الملائكة المقربون ولا من هو اعلى منه قدرا واعظم منه خطرا وهم الملائكة الكروبيون الذين حول العرش كجبريل وميكائيل واسرافيل ومن في طبقتهم فان قلت من اين دل قوله ولا الملائكة المقربون على ان المعنى ولا من فوقه قلت من حيث ان علم المعاني لا يقتضي غير ذلك وذلك ان الكلام انما سيق لرد مذهب النصارى وغلوهم في رفع المسيح عن منزلة العبودية فوجب ان يقال لهم لن يترفع عيسى عن العبودية ولا من هو ارفع منه درجة كانه قيل لن يستنكف الملائكة المقربون من العبودية فكيف بالمسيح ويدل عليه دلالة بينة ظاهرة تخصيص المقربين لكونهم ارفع الملائكة درجة واعلاهم منزلة ومثاله قول القايل وما مثله ممن يجاود حاتم ولا البحر ذو الامواج يلتج زاخره لا شبهة في انه قصد بالبحر ذي الامواج ما هو فوق حاتم في الجود ومن كان له ذوق فليذق مع هذه الاية قوله ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى يعترف بالفرق البين وقرا علي رضي الله عنه عبيدا لله على التصغير وروي ان وفد نجران قالوا لرسول الله لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله ورسوله قال انه ليس بعار ان يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت اي لا يستنكف عيسى من ذلك فلا تستنكفوا له منه فلو كان موضع استنكاف لكان هو اولى بان يستنكف لان العار الصق به فان قلت علام عطف قوله ولا الملائكة قلت لا يخلو اما ان تعطف على المسيح او على اسم يكون او على المستتر في عبدا لما فيه

ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك

من معنى الوصف لدلالته على معنى العبادة وقولك مررت برجل عبد ابوه فالعطف على المسيح هو الظاهر لاداء غيره الى ما فيه بعض انحراف عن الغرض وهو ان المسيح لا يانف ان يكون هو ولا من هو فوقه موصوفين بالعبودية او ان يعبد الله هو ومن فوقه فان قلت قد جعلت الملائكة وهم جماعة عبدا لله في هذا العطف فما وجهه قلت فيه وجهان احدهما ان يراد ولا كل واحد من الملائكة او ولا الملائكة المقربون ان يكونوا عبادا لله فحذف ذلك لدلالة عبد الله عليه ايجازا واما اذا عطفتهم على الضمير في عبد الله فقد طاح هذا السوال وقرى فسيحشرهم بضم الشين وكسرها وبالنون فان قلت التفصيل غير مطابق للمفصل لانه اشتمل على الفريقين والمفصل على فريق واحد قلت هو مثل قولك جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به وصحة ذلك لوجهين احدهما ان يحذف ذكر احد الفريقين لدلالة التفصيل عليه ولان ذكر احدهما يدل على ذكر الثاني كما حذف احدهما في التفصيل في قوله عقيب هذا فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به والثاني وهو ان الاحسان الى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا في جملة التنكيل بهم فكانه قيل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيعذب بالحسرة اذا راى اجور العاملين وبما يصيبه من عذاب الله البرهان والنور المبين القران او اراد بالبرهان دين الحق او رسول الله وبالنور المبين ما يبينه ويصدقه من الكتاب المعجز في رحمة وفضل في ثواب مستحق وتفضل ويهديهم اليه الى عبادته صراطا مستقيما وهو طريق الاسلام والمعنى توفيقهم وتثبيتهم يستفتونك الاية روي انه اخر ما نزل من الاحكام كان رسول الله في طريق مكة عام حجة الوداع فاتاه جابر بن عبد الله فقال ان لي اختا فكم اخذ من ميراثها ان ماتت وقيل كان مريضا فعاده رسول الله فقال اني كلالة فكيف اصنع في مالي فنزلت ان امرؤ هلك ارتفع امرؤ بمضمر يفسره الظاهر ومحل ليس له ولد الرفع على الصفة لا النصب على الحال اي ان هلك امرؤ غير ذي ولد والمراد بالولد الابن وهو اسم مشترك يجوز ايقاعه على الذكر وعلى الانثى لان الابن يسقط الاخت ولا تسقطها البنت الا في مذهب ابن عباس وبالاخت التي هي لاب وام او لاب دون التي لام لان الله تعالى فرض لها النصف وجعل اخاها عصبة وقال للذكر مثل حظ الانثيين واما الاخت لام فلها السدس في اية المواريث مسوى بينها وبين اخيها وهو يرثها واخوها يرثها ان قدر الامر على العكس من موتها وبقائه بعدها ان لم يكن لها ولد اي ابن لان الابن يسقط الاخ دون البنت فان قلت الابن لا يسقط الاخ وحده فان الاب نظيره في الاسقاط فلم اقتصر على نفي الولد قلت بين حكم انتفاء الولد ووكل حكم انتفاء الوالد الى بيان السنة وهو قوله عليه السلام الحقوا الفرايض باهلها فما بقي فلاولى عصبة ذكر والاب اولى من الاخ وليسا باول حكمين بين احدهما بالكتاب والاخر بالسنة ويجوز ان يدل حكم انتفاء الولد على حكم انتفاء الوالد لان الولد اقرب الى الميت من الوالد فاذا ورث الاخ عند انتفاء الاقرب فاولى ان يرث عند انتفاء الابعد ولان الكلالة تتناول انتفاء الوالد والولد جميعا فكان ذكر انتفاء احدهما دالا على انتفاء الاخر فان قلت الى من يرجع ضمير التثنية والجمع في قوله فان كانتا اثنتين وان كانوا اخوة قلت اصله فان كان من يرث بالاخوة اثنتين وان كان من يرث بالاخوة ذكورا واناثا وانما قيل فان كانتا وان كانوا كما قيل من كانت امك فكما انث ضمير من لمكان تانيث الخبر كذلك ثني وجمع ضمير من يرث لمكان

وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين يبين الله لكم ان تضلوا والله بكل شيء عليم بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين
امنوا اوفوا بالعقود احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وانتم حرم ان الله يحكم ما يريد يا ايها الذين امنوا لا
تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا امين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا

وكانوا المكان تثنية الخبر وجمعه والمراد بالاخوة الاخوة والاخوات تغليبا للذكورة ان تضلوا مفعول له
ومعناه كراهة ان تضلوا وعن النبي عليه السلام من قرا سورة النساء فكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا
واعطي من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله من الذين يتجاوز عنهم

سورة المائدة مدنية وهي مائة وثلث وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود يقال وفى بالعهد واوفى به ومنه والموفون بعهدهم والعقد العهد الموثق
شبه بعقد الحبل ونحوه قال الحطيئة قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه
الكربا وهي عقود الله التي عقدها على عباده والزمها اياهم من مواجب التكليف وقيل هي ما يعقدون
بينهم من عقود الامانات ويتحالفون عليه ويتماسحون من المبايعات ونحوها والظاهر انها عقود
الله عليهم في دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه وانه كلام قدم مجملا ثم عقب بالتفصيل وهو قوله
احلت لكم وما بعده البهيمة كل ذات اربع في البر والبحر واضافتها الى الانعام للبيان وهي الاضافة
التي بمعنى من كخاتم فضة ومعناه البهيمة من الانعام الا ما يتلى عليكم الا محرم ما يتلى عليكم من القرآن
من نحو قوله حرمت عليكم الميتة او الا ما يتلى عليكم اية تحريمه والانعام الازواج الثمانية وقيل بهيمة
الانعام الظباء وبقر الوحش ونحوها كانهم ارادوا ما يماثل الانعام ويدانيها من جنس البهائم في
الاجترار وعدم الانياب فاضيفت الى الانعام لملابسة الشبه غير محلي الصيد نصب على الحال من الضمير
في لكم اي احلت لكم هذه الاشياء لا محلين الصيد وعن الاخفش انتصابه عن قوله اوفوا بالعقود وقوله وانتم
حرم حال عن محلي الصيد كانه قيل احللنا لكم بعض الانعام في حال امتناعكم من الصيد وانتم محرمون لئلا
نحرج عليكم ان الله يحكم ما يريد من الاحكام ويعلم انه حكمة ومصلحة والحرم جمع حرام وهو المحرم
الشعائر جمع شعيرة وهي اسم ما اشعر اي جعل شعارا وعلما للنسك من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف
والمسعى والافعال التي هي علامات الحاج يعرف بها من الاحرام والطواف والسعي والحلق والنحر والشهر
الحرام شهر الحج والهدي ما اهدي الى البيت وتقرب به اليه من النسائك وهو جمع هدية كجدي
جمع جدية السرج والقلائد جمع قلادة وهي ما قلد به الهدي من نعل وعروة مزادة او
لحا شجر او غيره وامو المسجد الحرام قاصدوه وهم الحجاج والعمار واحلال هذه الاشياء ان يتهاون
بحرمة الشعائر وان يحال بينها وبين المتنسكين بها وان يحدثوا في اشهر الحج ما يصدون به الناس عن الحج
وان يتعرض للهدي بالغصب او بالمنع من بلوغ محله واما القلائد ففيها وجهان احدهما ان يراد بها
ذوات القلائد من الهدي وهي البدن وتعطف على الهدي للاختصاص وزيادة التوصية بها لانها اشرف الهدي
وجبريل وميكائيل كانه قيل والقلائد منها خصوصا والثاني ان ينهى عن التعرض لقلائد الهدي
مبالغة في النهي عن التعرض للهدي على معنى ولا تحلوا قلائدها فضلا ان تحلوها كما قال ولا يبدين زينتهن
نهى عن ابداء الزينة مبالغة في النهي عن ابداء مواقعها ولا امين ولا تحلوا قوما قاصدين المسجد
الحرام يبتغون فضلا من ربهم وهو الثواب ورضوانا وان يرضى عنهم اي لا تتعرضوا لقوم

واذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا وتعاونوا
على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب حرمت عليكم الميتة
والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الا
ما ذكيتم وما ذبح على النصب

١٣٨

هذه صفتهم تعظيما لهم واستنكارا ان يتعرض لمثلهم قيل هي محكمة وعن النبي صلى الله عليه وسلم المائدة
من اخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها وقال الحسن ليس فيها منسوخ وقيل
هي منسوخة وعن ابن عباس كان المسلمون والمشركون يحجون جميعا فنهى الله المسلمين ان يمنعوا
احدا عن حج البيت بقوله لا تحلوا ثم نزل بعد ذلك انما المشركون نجس ما كان للمشركين ان
يعمروا مساجد الله وقال مجاهد والشعبي لا تحلوا نسخ بقوله اقتلوهم حيث وجدتموهم
وفسر ابتغاء الفضل بالتجارة وابتغاء الرضوان بان المشركين كانوا يظنون في انفسهم انهم على
سداد من دينهم وان الحج يقربهم الى الله فوصفهم الله بظنهم وقرا عبد الله ولا امي البيت
الحرام على الاضافة وقرا حميد بن قيس والاعرج تبتغون بالتاء على خطاب المؤمنين فاصطادوا
اباحة للاصطياد بعد حظره عليهم كانه قيل فاذا حللتم فلا جناح عليكم ان تصطادوا وقرئ بكسر الفاء وقيل
هو بدل من كسر الهمزة عند الابتداء وقرئ واذا احللتم يقال حل المحرم واحل جرم يجري مجرى كسب في تعديه الى
مفعول واحد واثنين يقال جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته اياه ويقال اجرمته
ذنبا على نقل المتعدي الى مفعول بالهمزة الى مفعولين كقولهم اكسبته ذنبا وعليه قراءة عبد الله ولا يجرمنكم
بضم الياء واول المفعولين على القراءتين ضمير المخاطبين والثاني ان تعتدوا وان صدوكم بفتح الهمزة متعلق
بالشنآن بمعنى العلة والشنآن شدة البغض وقرئ بسكون النون والمعنى لا يكسبنكم بغض قوم لان
صدوكم الاعتداء ولا يحملنكم عليه وقرئ ان صدوكم على انه شرطية وفي قراءة عبد الله ان يصدوكم ومعنى صدهم
اياكم عن المسجد الحرام منع اهل مكة رسول الله والمؤمنين يوم الحديبية عن العمرة ومعنى الاعتداء
الانتقام منهم بالحاق مكروه بهم وتعاونوا على البر والتقوى على العفو والاغضاء ولا تعاونوا على الاثم
والعدوان على الانتقام والتشفي ويجوز ان يراد العموم لكل بر وتقوى وكل اثم وعدوان فيتناول العموم
العفو والانتصار حرمت عليكم الميتة كان اهل الجاهلية ياكلون هذه المحرمات البهيمة التي تموت حتف
انفها والفصيد وهو الدم في المباعر يشوونها ويقولون لم يحرم من فزد له وما اهل لغير الله به اي
رفع الصوت به لغير الله وهو قولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة التي خنقوها حتى ماتت او انخنقت
بسبب والموقوذة التي اثخنوها ضربا بعصا او حجر حتى ماتت والمتردية التي تردت من جبل او في بير فماتت والنطيحة التي نطحتها
اخرى فماتت بالنطح وما اكل السبع بعضه الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكاته وهو يضطرب اضطراب المذبوح
وتشخب اوداجه وقرا عبد الله والمنطوحة وفي رواية عن ابي عمرو السبع بسكون الباء وقرا ابن عباس واكيل السبع وما
ذبح على النصب كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويشرحون اللحم عليها يعظمونها بذلك ويتقربون
به اليها تسمى الانصاب والنصب واحد قال الاعشى وذا النصب المنصوب لا تعبدنه وقيل هو جمع والواحد نصاب
وقرئ النصب بسكون الصاد وان تستقسموا بالازلام وحرم عليكم الاستقسام بالقداح كان احدهم اذا اراد سفرا
او غزوا او تجارة او نكاحا او امرا من معاظم الامور ضرب بالقداح وهي مكتوب على بعضها امرني ربي وعلى بعضها
نهاني ربي وبعضها غفل فان خرج الامر مضى لطيته وان خرج الناهي امسك وان خرج الغفل

وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين

اجالها عوذا ومعنى الاستقسام بالازلام طلب معرفة ما قسم له مما لم يقسم له بالازلام وقيل هو الميسر وقسمة الجزور على الانصباء المعلومة **ذلكم فسق** اشارة الى الاستقسام او الى تناول ما حرم عليهم لان المعنى حرم عليكم تناول الميتة وكذا وكذا **فان قلت** لم كان استقسام المسافر وغيره بالازلام لتعرف الحال فسقا **قلت** لانه دخول في علم الغيب الذي استاثر به علام الغيوب وقال لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله واعتقاد ان اليه طريقا والى استنباطه وقوله امرني ربي ونهاني ربي افتراء على الله وما يدريه انه امره او نهاه والكهنة والمنجمون بهذه المثابة وان كان اراد بالرب الصنم فقد روي انهم كانوا يجيلونها عند اصنامهم فامره ظاهر **اليوم** لم يرد به يوما بعينه وانما اراد الزمان الحاضر وما يتصل به ويدانيه من الازمنة الماضية والاتية كقولك كنت بالامس شابا وانت اليوم اشيب فلا تريد بالامس اليوم الذي قبل يومك ولا باليوم يومك ونحوه الآن في قوله

الآن لما ابيض مسودّتي وعضضت من نابي على جذم

وقيل اريد يوم نزولها وقد نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع **يئس الذين كفروا** من دينكم يئسوا منه ان يبطلوه وان ترجعوا محللين لهذه الخبائث بعد ما حرمت عليكم وقيل يئسوا من دينكم ان يغلبوه لان الله عز وجل وفى بوعده من اظهاره على الدين كله **فلا تخشوهم** بعد اظهار الدين وزوال الخوف من الكفار وانقلابهم مغلوبين مقهورين بعد ما كانوا غالبين **واخشون** واخلصوا لي الخشية **اكملت** لكم دينكم كفيتكم امر عدوكم وجعلت اليد العليا لكم كما يقول الملوك اليوم كمل لنا الملك وكمل لنا ما نريد اذا كفوا من ينازعهم الملك ووصلوا الى اغراضهم ومباغيهم او اكملت لكم ما تحتاجون اليه في تكليفكم من تعليم الحلال والحرام والتوقيف على الشرائع وقوانين القياس واصول الاجتهاد **واتممت** عليكم نعمتي بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكهم وان لم يحج معكم مشرك ولم يطف بالبيت عريان او اتممت عليكم نعمتي باكمال امر الدين والشرائع كانه قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي بذلك لانه لا نعمة اتم من نعمة الاسلام **ورضيت** لكم الاسلام دينا يعني اخترته لكم من بين الاديان وآذنتكم بانه هو الدين المرضي وحده ومن يبتغ غير الاسلام دينا [illegible] **فان قلت** بم اتصل قوله فمن اضطر **قلت** بذكر المحرمات وقوله ذلكم فسق اعتراض اكد به معنى التحريم وكذلك ما بعده لان تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المنعوت بالرضا دون غيره من الملل ومعناه فمن اضطر الى الميتة او الى غيرها في مخمصة في مجاعة غير متجانف لاثم غير منحرف اليه كقوله غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لا يؤاخذه بذلك **يسألونك** في السؤال معنى القول فلذلك وقع بعده ماذا احل لهم كانه قيل يقولون لك ماذا احل لهم وانما لم يقل ماذا احل لنا حكاية لما قالوه لان يسألونك بلفظ الغيبة كما تقول اقسم زيد ليفعلن ولو قيل لافعلن واحل لنا لكان صوابا وماذا مبتدأ واحل لهم خبره كقولك اي شيء احل لهم ومعناه ماذا احل لهم من المطاعم كانهم حين تلي عليهم ما حرم عليهم من خبيثات المآكل سألوا عما احل لهم منها فقيل احل لكم الطيبات اي ما ليس بخبيث منها وكل ما لم يات تحريمه في كتاب او سنة او قياس مجتهد **وما** علمتم من الجوارح عطف على الطيبات اي احل لكم الطيبات وصيد ما علمتم فحذف المضاف او تجعل ما شرطية وجوابها فكلوا والجوارح الكواسب من سباع البهائم والطير كالكلب والفهد

١٣٩

مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما امسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله ان الله سريع الحساب اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن اجورهن

والنمر والعقاب والصقر والبازي والشاهين **والمكلب** مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد لصاحبها ورائضها لذلك بما علم من الحيل وطرق التأديب والتثقيف واشتقاقه من الكلب لان التأديب اكثر ما يكون في الكلاب فاشتق من لفظه لكثرته في جنسه او لان السبع يسمى كلبا ومنه قوله عليه السلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد او من الكلب الذي هو بمعنى الضراوة يقال هو كلب بكذا اذا كان ضاريا به وانتصاب مكلبين على الحال من علمتم **فان قلت** ما فائدة هذه الحال وقد استغني عنها بعلمتم **قلت** فائدتها ان يكون من يعلم الجوارح نحريرا في علمه مدربا فيه موصوفا بالتكليب وتعلمونهن حال ثانية او استئناف وفيه فائدة جليلة وهي ان على كل آخذ علما ان لا ياخذه الا من اقتل اهله علما وانحرهم دراية واغوصهم على لطائفه وحقائقه وان احتاج الى ان يضرب اليه اكباد الابل فكم من آخذ عن غير متقن قد ضيع ايامه وعض عند لقاء النحارير انامله **مما** علمكم الله من علم التكليب لانه الهام من الله ومكتسب بالعقل او مما عرفكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه وامساك الصيد عليه وان لا ياكل منه **وقرئ** مكلبين بالتخفيف وافعل وفعّل يشتركان كثيرا والامساك على صاحبه ان لا ياكل منه لقوله عليه السلام لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تاكل انما امسك على نفسه وعن علي رضي الله عنه اذا اكل البازي فلا تاكل وفرق العلماء فاشترطوا في سباع البهائم ترك الاكل لانها تؤدب بالضرب ولم يشترطوه في سباع الطير ومنهم من لم يعتبر ترك الاكل اصلا ولم يفرق بين ان يمسك الكل والبعض وعن سلمان وسعد بن ابي وقاص وابي هريرة رضي الله عنهم اذا اكل الكلب ثلثيه وبقي ثلثه وذكرت اسم الله عليه فكل **فان قلت** الام يرجع الضمير في قوله واذكروا اسم الله عليه **قلت** اما ان يرجع الى ما امسكن على معنى وسموا عليه اذا ادركتم ذكاته او الى ما علمتم من الجوارح اي سموا عليه عند ارساله **طعام الذين** اوتوا الكتاب قيل هو ذبائحهم وقيل جميع مطاعمهم ويستوي في ذلك جميع النصارى وعن علي رضي الله عنه انه استثنى نصارى بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر وبه اخذ الشافعي وعن ابن عباس انه سئل عن ذبائح نصارى العرب فقال لا باس وهو قول عامة التابعين وبه اخذ ابو حنيفة واصحابه رضي الله عنهم وحكم الصابئين حكم اهل الكتاب عند ابي حنيفة وقال صاحباه هم صنفان صنف يقرؤون الزبور ويعبدون الملائكة وصنف لا يقرؤون كتابا ويعبدون النجوم فهؤلاء ليسوا من اهل الكتاب واما المجوس فقد سن بهم سنة اهل الكتاب في اخذ الجزية منهم دون اكل ذبائحهم ونكاح نسائهم وقد روي عن ابن المسيب انه قال اذا كان المسلم مريضا فامر المجوسي ان يذكر اسم الله ويذبح فلا باس وقال ابو ثور وان امره بذلك في الصحة فلا باس وقد اساء **وطعامكم** حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم لانه لو كان حراما عليهم طعام المؤمنين لما ساغ لهم اطعامهم **المحصنات** الحرائر او العفائف وتخصيصهن بعث على تخير المؤمنين لنطفهم والاماء من المسلمات يصح نكاحهن بالاتفاق وكذلك نكاح غير العفائف منهن واما الاماء من الكتابيات فعند ابي حنيفة هن كالمسلمات وخالفه الشافعي وكان ابن عمر لا يرى نكاح الكتابيات ويحتج بقوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ويقول لا اعلم شركا اعظم من قولها ان ربها عيسى وعن عطاء قد اكثر الله المسلمات وانما

محصنين غير مسافحين ولا متخذي اخدان ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الاخرة من الخاسرين
يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا برؤسكم وارجلكم الى الكعبين

رخص لهم في نكاح محصنين اعفاء ولا متخذي اخدان صدايق والخدن يقع على الذكر والانثى ومن يكفر
بالايمان بشرايع الاسلام وما احل الله وحرم اذا قمتم الى الصلوة كقوله فاذا قرات القران فاستعذ بالله وكقولك
اذا ضربت غلامك فهون عليه في ان المراد ارادة الفعل فان قلت لم جاز ان يعبر عن ارادة الفعل بالفعل
قلت لان الفعل يوجد بقدرة الفاعل عليه وارادته له وهي قصده اليه وميله وخلوص داعيه فكما عبر عن
القدرة على الفعل بالفعل في قولهم الانسان لا يطير والاعمى لا يبصر اي لا يقدران على الطيران والابصار ومنه
قوله نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين يعني انا كنا قادرين على الاعادة كذلك عبر عن ارادة الفعل بالفعل
وذلك لان الفعل مسبب عن القدرة والارادة فاقيم المسبب مقام السبب للملابسة بينهما ولايجاز
الكلام ونحوه من اقامة المسبب مقام السبب قولهم كما تدين تدان عبر عن الفعل المبتدا الذي هو سبب
الجزاء بلفظ الجزاء الذي هو مسبب عنه وقيل معنى قمتم الى الصلوة قصدتموها لان من توجه الى
الشيء وقام اليه كان قاصدا له لا محالة فعبر عن القصد له بالقيام اليه فان قلت ظاهر الاية يوجب الوضوء
على كل قائم الى الصلوة محدث وغير محدث فما وجهه قلت يحتمل ان يكون الامر للوجوب فيكون الخطاب
للمحدثين خاصة وان يكون للندب وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده انهم كانوا يتوضؤن لكل
صلوة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من توضا على طهر كتب الله له عشر حسنات وعنه عليه السلام انه كان يتوضا لكل
صلوة فلما كان يوم الفتح مسح على خفيه فصلى الصلوات الخمس بوضوء واحد فقال له عمر صنعت شيئا
لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته يا عمر يعني بيانا للجواز فان قلت هل يجوز ان يكون الامر شاملا للمحدثين
وغيرهم لهؤلاء على وجه الايجاب ولهؤلاء على وجه الندب قلت لا لان تناول الكلمة لمعنيين مختلفين
من باب الالغاز والتعمية وقيل كان الوضوء لكل صلوة واجبا اول ما فرض ثم نسخ الى تفيد معنى الغاية
مطلقا فاما دخولها في الحكم وخروجها فامر يدور مع الدليل فمما فيه دليل على الخروج قوله
فنظرة الى ميسرة لان الاعسار علة الانظار وبوجود الميسرة تزول العلة ولو دخلت الميسرة فيه
لكان منظرا في كلتا الحالين معسرا وموسرا وكذلك ثم اتموا الصيام الى الليل لو دخل الليل
لوجب الوصال ومما فيه دليل على الدخول قولك حفظت القران من اوله الى اخره لان الكلام مسوق
لحفظ القران كله ومنه قوله تعالى من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى لوقوع العلم بانه لا يسرى به الى
بيت المقدس من غير ان يدخله وقوله الى المرافق والى الكعبين لا دليل فيه على احد الامرين فاخذ كافة
العلماء بالاحتياط فحكموا بدخولها في الغسل واخذ زفر وداود بالمتيقن فلم يدخلاها
وعن النبي عليه السلام انه كان يدير الماء على مرفقيه وامسحوا برؤسكم المراد الصاق المسح بالراس وماسح
بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح براسه وقد اخذ مالك بالاحتياط فاوجب
الاستيعاب او اكثره على اختلاف الرواية واخذ الشافعي باليقين فاوجب اقل ما يقع عليه اسم المسح
واخذ ابو حنيفة رحمه الله ببيان رسول الله وهو ما روي انه مسح على ناصيته وقدر الناصية بربع الراس
قرا جماعة وارجلكم بالنصب فدل على ان الارجل مغسولة فان قلت فما تصنع بقراءة الجر ودخولها

وان كنتم جنبا فاطهروا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا
صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم
لعلكم تشكرون واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور
يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنان قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم

في حكم المسح قلت الارجل من بين الاعضاء الثلاثة المغسولة تغسل بصب الماء عليها فكانت مظنة
للاسراف المذموم المنهي عنه فعطفت على الرابع الممسوح لا لتمسح ولكن لينبه على
وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها وقيل الى الكعبين فجيء بالغاية اماطة لظن ظان يحسبها
ممسوحة لان المسح لم تضرب له غاية في الشريعة وعن علي رضي الله عنه انه اشرف على فتية من
قريش فراى في وضوئهم تجوزا فقال ويل للاعقاب من النار فلما سمعوا جعلوا يغسلونها غسلا
ويدلكونها دلكا وعن ابن عمر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوضا قوم واعقابهم بيض تلوح
فقال ويل للاعقاب من النار وفي رواية جابر ويل للعراقيب وعن عمر انه راى رجلا يتوضا
فترك باطن قدميه فامره ان يعيد الوضوء وذلك للتغليظ عليه وعن عائشة لان تقطعا
احب الي من ان امسح على القدمين بغير خفين وعن عطاء والله ما علمت ان احدا من اصحاب
رسول الله مسح على القدمين وقد ذهب بعض الناس الى ظاهر العطف فاوجب المسح وعن الحسن انه جمع
بين الامرين وروي عن الشعبي نزل القران بالمسح والغسل سنة وقرا الحسن وارجلكم بالرفع بمعنى
وارجلكم مغسولة او ممسوحة الى الكعبين وقرئ فاطهروا اي فطهروا ابدانكم وكذلك ليطهركم وفي قراءة عبد
الله فاموا صعيدا ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج في باب الطهارة حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن
يريد ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالماء وليتم نعمته عليكم وليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه
لعلكم تشكرون نعمته فيثيبكم واذكروا نعمة الله عليكم وهي نعمة الاسلام وميثاقه الذي واثقكم به اي عاقدكم
به عقدا وثيقا وهو الميثاق الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله على السمع والطاعة في حال
اليسر والعسر والمنشط والمكره فقبلوا وقالوا سمعنا واطعنا وقيل هو الميثاق ليلة العقبة
وفي بيعة الرضوان عدي يجرمنكم بحرف الاستعلاء مضمنا معنى فعل يتعدى به كانه قيل
ولا يحملنكم ويجوز ان يكون قوله ان تعتدوا بمعنى على ان تعتدوا فيحذف مع ان ونحو قوله عليه السلام من
اتبع على ملئ فليتبع لانه بمعنى احيل وقرئ شنان بالسكون ونظيره في المصادر ليان والمعنى
لا يحملنكم بغضكم للمشركين على ان تتركوا العدل فتعتدوا عليهم بان تنتصروا منهم
وتتشفوا بما في قلوبكم من الضغاين بارتكاب ما لا يحل لكم من مثلة او قذف او قتل اولاد
او نساء او نقض عهد او ما اشبه ذلك اعدلوا هو اقرب للتقوى نهاهم اولا ان تحملهم البغضاء
على ترك العدل ثم استانف فصرح لهم بالامر بالعدل تاكيدا وتشديدا ثم استانف فذكر لهم وجه
الامر بالعدل وهو قوله هو اقرب للتقوى اي العدل اقرب الى التقوى وادخل في مناسبتها او اقرب
الى التقوى لكونه لطفا فيها وفيه تنبيه عظيم على ان وجوب العدل مع الكفار الذين هم اعداء
الله اذا كان بهذه الصفة من القوة فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم اولياؤه واحباؤه لهم
مغفرة واجر عظيم بيان للوعد بعد تمام الكلام قبله كانه قال قدم لهم وعدا فقيل اي شيء وعده
لهم فقيل لهم مغفرة واجر عظيم او يكون على ارادة القول بمعنى وعدهم وقال لهم مغفرة

والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل

او على اجراء وعد مجرى قال لانه ضرب من القول او يجعل وعد واقعا على الجملة التي هي لهم مغفرة كما وقع تركنا على قوله سلام على نوح كانه قيل وعدهم هذا القول واذا وعدهم من لا يخلف الميعاد هذا القول فقد وعدهم مضمونه من المغفرة والاجر العظيم وهذا القول يتلقون به عند الموت ويوم القيمة فيسرون به ويستروحون اليه ويهون عليهم السكرات والاهوال قبل الوصول الى الثواب روي ان المشركين راوا رسول الله واصحابه قاموا الى صلوة الظهر يصلون معا وذلك بعسفان في غزوة ذي انمار فلما صلوا ندموا الا كانوا اكبوا عليهم فقالوا ان لهم بعدها صلوة هي احب اليهم من آبائهم وابنائهم يعنون صلوة العصر وهموا بان يوقعوا بهم اذا قاموا اليها فنزل جبريل بصلوة الخوف وروي ان رسول الله اتى بني قريظة ومعه الشيخان وعلي رضي الله عنهم يستقرضهم دية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري خطا يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه في صفة وهموا بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله تعالى يده ونزل جبريل فاخبره فخرج وقيل نزل منزلا وتفرق الناس في العضاة يستظلون بها فعلق رسول الله سلاحه بشجرة فجاء اعرابي فسل سيف رسول الله صلى الله عليه ثم اقبل عليه فقال من يمنعك مني قال الله فاسقط الاعرابي السيف فصاح رسول الله باصحابه فاخبرهم وابى ان يعاقبه يقال بسط اليه لسانه اذا شتمه وبسط اليه يده اذا بطش به ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء ومعنى بسط اليد مدها الى المبطوش به الا ترى الى قولهم فلان بسيط الباع ومديد الباع بمعنى فكف ايديهم عنكم فمنعها ان تمد اليكم لما استقر بنو اسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون امرهم الله بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبابرة وقال لهم اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها واني ناصركم وامر موسى بان ياخذ من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما امروا به توثقة عليهم فاختار النقباء واخذ الميثاق على بني اسرائيل وتكفل لهم به النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون فراوا اجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم وقد نهاهم موسى عليه السلام ان يحدثوهم فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوقنا من سبط يهودا ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف وكانا من النقباء والنقيب الذي ينقب عن احوال القوم ويفتش عنها كما قيل له عريف لانه يتعرفها اني معكم اي ناصركم ومعينكم وعزرتموهم نصرتموهم ومنعتموهم من ايدي العدو ومنه التعزير وهو التنكيل والمنع من معاودة الفساد وقرئ بالتخفيف يقال عزرت الرجل اذا حطته وكنفته والتعزير والتازير من واد واحد ومنه لانصرنك نصرا مؤزرا اي قويا وقيل معناه ولقد اخذنا ميثاقهم بالايمان والتوحيد وبعثنا منهم اثني عشر ملكا يقيمون فيهم العدل ويامرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر واللام في لئن اقمتم موطئة للقسم وفي لاكفرن جواب له وهذا الجواب ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق بالوعد

بعد ذلك منكم

فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه

العظيم فان قلت من كفر قبل ذلك ايضا فقد ضل سواء السبيل قلت اجل ولكن الضلال بعده اظهر واعظم لان الكفر انما عظم قبحه لعظم النعمة المكفورة فاذا زادت النعمة زاد قبح الكفر وتمادى لعناهم طردناهم واخرجناهم من رحمتنا وقيل مسخناهم وقيل ضربنا عليهم الجزية وجعلنا قلوبهم قاسية خذلناهم ومنعناهم الالطاف حتى قست قلوبهم او املينا لهم ولم نعاجلهم بالعقوبة حتى قست وقرا عبد الله قسية اي ردية مغشوشة من قولهم درهم قسي وهو من القسوة لان الذهب والفضة الخالصين فيهما لين والمغشوش فيه يبس وصلابة والقاسي والقاسح اخوان في الدلالة على اليبس والصلابة وقرئ قسية بكسر القاف للاتباع يحرفون الكلم بيان لقسوة قلوبهم لانه لا قسوة اشد من الافتراء على الله وتغيير وحيه ونسوا حظا وتركوا نصيبا جزيلا وقسطا وافيا مما ذكروا به من التورية يعني ان تركهم واعراضهم عن التورية اغفال حظ عظيم او قست قلوبهم وساءت تحرفوا التورية وزلت اشياء منها عن حفظهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الاية وقيل تركوا نصيب انفسهم مما امروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وبيان نعته ولا تزال تطلع اي هذه عادتهم وهجيراهم وكان عليها اسلافهم كانوا يخونون الرسل وهؤلاء يخونونك ينكثون عهودك ويظاهرون المشركين على حربك ويهمون بالفتك بك وان يسموك على خائنة على خيانة او على فعلة ذات خيانة او على نفس او فرقة خائنة ويقال رجل خائنة كقولهم رجل راوية للشعر للمبالغة قال حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن للغدر خائنة مغل الاصبع وقرئ على خيانة منهم الا قليلا منهم وهم الذين امنوا منهم فاعف عنهم بعث على مخالفتهم وقيل هو منسوخ باية السيف وقيل فاعف عن مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم اخذنا ميثاقهم اخذنا من النصارى ميثاق من ذكر قبلهم من قوم موسى اي مثل ميثاقهم بالايمان بالله والرسل وبافعال الخير او اخذنا من النصارى ميثاق انفسهم بذلك فان قلت فهلا قيل من النصارى قلت لانهم انما سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله وهم الذين قالوا لعيسى نحن انصار الله ثم اختلفوا بعد نسطورية ويعقوبية وملكانية انصارا للشيطان فاغرينا فالصقنا والزمنا من غري بالشيء اذا لزمه ولصق به واغراه غيره ومنه الغراء الذي يلصق به بينهم بين فرق النصارى المختلفين وقيل بينهم وبين اليهود ونحوه وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض يا اهل خطاب لليهود والنصارى مما كنتم تخفون من نحو صفة رسول الله ومن نحو الرجم ويعفو عن كثير مما تخفونه لا يبينه اذا لم تضطر اليه مصلحة دينية ولم يكن فيه فائدة الا افتضاحكم وصفتة مما لا بد من بيانه وكذلك الرجم وما فيه احياء شريعة واماتة بدعة وعن الحسن ويعفوا عن كثير منكم لا يؤاخذه قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يريد القرآن لكشفه ظلمات الشرك والشك ولابانته ما كان خافيا على الناس من الحق ولانه ظاهر الاعجاز من اتبع رضوانه من امن منهم سبل السلام طرق السلامة والنجاة من عذاب الله او سبل الله قولهم ان الله هو المسيح معناه بت القول على ان حقيقة الله هو المسيح لا غير قيل كان في النصارى قوم يقولون ذلك وقيل ما صرحوا به ولكن مذهبهم يؤدي اليه حيث اعتقدوا انه يخلق ويحيي ويميت ويدبر

قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء
والله على كل شيء قدير وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء و
لله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم
بشير ونذير والله على كل شيء قدير واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين يا قوم

ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا

امر العالم فمن يملك من الله شيئا فمن يمنع من قدرته ومشيئته شيئا ان اراد ان يهلك من دعوه الها من المسيح وامه
دلالة على ان المسيح عبد مخلوق كساير العبيد واراد بعطف من في الارض على المسيح وامه انهما من
جنسهم لا تفاوت بينهما وبينهم في البشرية يخلق ما يشاء اي يخلق من ذكر وانثى ويخلق من انثى من
غير ذكر كما خلق عيسى ويخلق من غير ذكر وانثى كما خلق ادم او يخلق ما يشاء كخلق الطير على يد عيسى معجزة
له وكاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك فيجب ان ينسب الى الله ولا ينسب الى البشر المجرى على
يده ابناء الله اشياع ابني الله عزير والمسيح كما قيل لاشياع ابي خبيب وهو عبد الله بن الزبير الخبيبون
وكما كان يقول رهط مسيلمة نحن ابناء الله ويقول اقرباء الملك وذووه وحشمه نحن الملوك
ولذلك قال المؤمن لال فرعون لكم الملك اليوم فلم يعذبكم بذنوبكم فان صح انكم ابناء الله واحباؤه
فلم تذنبون وتعذبون بذنوبكم فتمسخون وتمسكم النار اياما معدودات على زعمكم ولو كنتم ابناء
لله لكنتم من جنس الاب غير فاعلين للقبايح ولا مستوجبين للعقاب ولو كنتم احباؤه لما
عصيتموه ولما عاقبكم بل انتم بشر من جملة ما خلق من البشر يغفر لمن يشاء وهم اهل الطاعة ويعذب
من يشاء وهم العصاة يبين لكم اما ان يقدر المبين وهو الدين والشرايع وحذفه لظهوره او ما ورد الرسول
لتبيينه او يقدر ما كنتم تخفون وحذفه لتقدم ذكره او لا يقدر ويكون المعنى يبذل لكم البيان ومحله
النصب على الحال اي مبينا لكم على فترة متعلق بجاءكم اي جاءكم على حين فتور من ارسال الرسل وانقطاع من
الوحي ان تقولوا كراهة ان تقولوا فقد جاءكم متعلق بمحذوف اي لا تعتذروا فقد جاءكم قيل كان بين عيسى ومحمد
صلى الله عليهما خمسماية وستون سنة وقيل ستماية وقيل اربعماية ونيف وستون وعن الكلبي كان بين موسى وعيسى الف
وسبعماية سنة والف نبي وبين عيسى ومحمد اربعة انبياء ثلاثة من بني اسرايل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي
والمعنى الامتنان عليهم وان الرسول بعث اليهم حين انطمست اثار الوحي احوج ما يكونون اليه ليهشوا
اليه ويعدوه اعظم نعمة من الله وفتح باب الى الرحمة ويلزمهم الحجة فلا يعتلوا غدا بانه لم يرسل اليهم
من ينبههم عن غفلتهم جعل فيكم انبياء اذ لم يبعث في امة ما بعث في بني اسرايل من الانبياء وجعلكم ملوكا
لانه ملككم بعد فرعون ملكه وبعد الجبابرة ملكهم ولان الملوك تكاثروا فيهم تكاثر الانبياء وقيل
كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله فسمي انقاذهم ملكا وقيل الملك من له مسكن واسع فيه
ماء جار وقيل من له بيت وخدم وقيل من له مال لا يحتاج معه الى تكلف الاعمال وتحمل المشاق ما لم يؤت
احدا من العالمين من فلق البحر واغراق العدو وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك من الامور
العظام وقيل اراد عالمي زمانهم الارض المقدسة ارض بيت المقدس وقيل الطور وما حوله وقيل الشام وقيل
فلسطين ودمشق وبعض الاردن وقيل سماها الله لابرهيم ميراثا حين رفع على الجبل فقيل له انظر فلك
ما ادرك بصرك وكانت بيت المقدس قرار الانبياء ومسكن المؤمنين كتب الله لكم قسمها لكم وسماها او
خط في اللوح انها لكم ولا ترتدوا على ادباركم ولا تنكصوا على اعقابكم مدبرين من خوف الجبابرة
جبنا وهلعا قيل لما حدثهم النقباء بحال الجبابرة رفعوا اصواتهم بالبكاء وقالوا ليتنا متنا بمصر

على ادباركم فتنقلبوا خاسرين قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون
قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين قالوا
يا موسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون قال رب اني لا املك الا نفسي واخي

١٤٢

وقالوا تعالوا نجعل علينا راسا ينصرف بنا الى مصر ويجوز ان يراد لا ترتدوا على ادباركم في دينكم بمخالفتكم امر
ربكم وعصيانكم نبيكم فترجعوا خاسرين ثواب الدنيا والاخرة جبارين فعال من جبر على الامر
بمعنى اجبر عليه وهو العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد قال رجلان هما كالب ويوشع من الذين
يخافون من الذين يخافون الله ويتقونه كانه قيل رجلان من المتقين ويجوز ان يكون الواو لبني اسرايل والراجع
الى الموصول محذوف تقديره من الذين يخافهم بنو اسرايل وهم الجبارون وهما رجلان منهم انعم الله عليهما
بالايمان فامنا قالا لهم ان العمالقة اجسام لا قلوب فيها فلا تخافوهم وازحفوا اليهم فانكم غالبوهم يشجعانهم
على قتالهم وقراءة من قرا يخافون بالضم شاهدة له وكذلك انعم الله عليهما كانه قيل من المخوفين وقيل هو من
الاخافة ومعناه من الذين يخوفون من الله بالتذكرة والموعظة او يخوفهم وعيد الله بالعقاب فان قيل
ما محل انعم الله عليهما قلت ان انتظم مع قوله من الذين يخافون في حكم الوصف لرجلان رفع وان جعل كلاما معترضا
فلا محل له فان قيل من اين علما انهم غالبون قلت من جهة اخبار موسى بذلك وقوله كتب الله لكم وقيل من جهة
غلبة الظن وما تبيناه من عادة الله في نصرة رسله وما عهدا من صنع الله لموسى في قهر اعدايه وما عرفا من
حال الجبابرة والباب باب قريتهم لن ندخلها نفي لدخولهم في المستقبل على وجه التاكيد المؤيس وابدا تعليق
للنفي المؤكد بالدهر المتطاول وما داموا فيها بيان للابد فاذهب انت وربك يحتمل ان لا يقصدوا حقيقة
الذهاب ولكن كما تقول كلمته فذهب يجيبني تريد معنى الارادة والقصد للجواب كانهم قالوا اريدا قتالهم
والظاهر انهم قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وقلة مبالاة بهما واستهزاء وقصدوا ذهابهما حقيقة بجهلهم
وجفائهم وقسوة قلوبهم التي عبدوا بها العجل وسالوا بها رؤية الله جهرة والدليل عليه مقابلة ذهابهما
بقعودهم ويحكى ان موسى وهرون خرا لوجههما قدامهم لشدة ما ورد عليهما فهموا برجمهما ولامر ما
قرن الله اليهود بالمشركين وقدمهم عليهم في قوله لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين
اشركوا قال لما عصوه وتمردوا عليه وخالفوه وقالوا ما قالوا من كلمة الكفر ولم يبق معه مطيع موافق يثق
به الا هرون قال رب اني لا املك لنصرة دينك الا نفسي واخي وهذا من البث والحزن والشكوى الى
الله والحسرة ورقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة ونحوه قول يعقوب عليه السلام
انما اشكو بثي وحزني الى الله وعن علي رضي الله عنه انه كان يدعو الناس على منبر الكوفة الى قتال البغاة فما اجابه الا
رجلان فتنفس الصعداء ودعا لهما وقال اين تقعان مما اريد وذكره اعراب اخي وجوه ان يكون منصوبا عطفا
على نفسي وعلى الضمير في اني بمعنى ولا املك الا نفسي وان اخي لا يملك الا نفسه ومرفوعا عطفا على
محل ان واسمها كانه قيل انا لا املك الا نفسي وهرون كذلك لا يملك الا نفسه او على الضمير في لا املك
وجاز للفصل ومجرورا عطفا على الضمير في نفسي وهو ضعيف لقبح العطف على ضمير المجرور
الا بتكرير الجار فان قيل اما كان معه الرجلان المذكوران قلت كانه لم يثق بهما كل الوثوق ولم يطمئن الى
ثباتهما لما ذاق على طول الزمان واتصال الصحبة من احوال قومه وتلونهم فلم يذكر الا النبي المعصوم
الذي لا شبهة في امره ويجوز ان يقول ذلك لفرط ضجره عندما سمع منهم تقليلا لمن يوافقه ويجوز

ذاكرا

فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين قال فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض فلا تاس على القوم الفاسقين
واتل عليهم نبا ابني ادم بالحق اذ قربا قربانا

ان يريد ومن يواخيني على ديني فافرق فافصل بيننا وبينهم بان تحكم لنا بما نستحق وتحكم عليهم بما يستحقون وهو معنى الدعاء عليهم ولذلك وصل به قوله فانها محرمة عليهم على وجه التسبيب او فباعد بيننا وبينهم خلصنا من صحبتهم كقوله ونجني من القوم الظالمين فانها محرمة فان الارض لا يدخلونها ولا يملكونها فان قلت كيف توفق بين هذا وبين قوله كتب الله لكم قلت فيه وجهان احدهما ان يراد كتبها لكم بشرط ان تجاهدوا اهلها فلما ابوا الجهاد قيل فانها محرمة عليهم والثاني ان يراد فانها محرمة عليهم اربعين سنة فاذا مضت الاربعون كان ما كتب فقد روي ان موسى سار بمن بقي من بني اسرائيل وكان يوشع على مقدمته ففتح اريحا واقام فيها ما شاء الله ثم قبض وقيل لما مات موسى بعث يوشع نبيا فاخبرهم بانه نبي الله وان الله امره بقتال الجبابرة فصدقوه وبايعوه وسار بهم الى اريحا وقتل الجبابرة واخرجهم وصار الشام كله لبني اسرائيل وقيل لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها وهلكوا في التيه ونشات نواشئ من ذرياتهم فقاتلوا الجبابرة ودخلوها والعامل في الظرف اما محرمة واما يتيهون ومعنى يتيهون في الارض يسيرون فيها متحيرين لا يهتدون طريقا والتيه المفازة التي يتاه فيها روي انهم لبثوا اربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون كل يوم جادين حتى اذا سئموا وامسوا اذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من حر الشمس ويطلع لهم عمود من نور بالليل يضيء لهم وينزل عليهم المن والسلوى ولا تطول شعورهم واذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله فان قلت فلم كانوا ينعم عليهم بتظليل الغمام وغيره وهم معاقبون قلت كما ينزل بعض النوازل على العصاة عركا لهم وعليهم مع ذلك النعمة متظاهرة ومثل ذلك مثل الوالد المشفق يضرب ولده ويؤذيه ليتادب ويتثقف ولا يقطع عنه معروفه واحسانه فان قلت هل كان معهم في التيه موسى وهرون عليهما السلام قلت اختلف في ذلك فقيل لم يكونا معهم لانه كان عقابا وقد طلب موسى الى ربه ان يفرق بينهما وبينهم وقيل كانا معهم الا انه كان ذلك روحا لهما وسلاما لا عقوبة كالنار لابراهيم وملايكة العذاب وروي ان هرون مات في التيه ومات موسى عليه السلام بعده فيه بسنة ودخل يوشع اريحا بعد موته بثلاثة اشهر ومات النقباء في التيه بغتة الا كالب ويوشع فلا تاس فلا تحزن عليهم لانه ندم على الدعاء عليهم فقيل انهم احقاء بالعذاب لفسقهم فلا تحزن ولا تندم هما ابنا ادم لصلبه قابيل وهابيل اوحى الله الى ادم ان يزوج كل واحد منهما توامة الاخر وكانت توامة قابيل اجمل واسمها اقليما فحسد عليها اخاه وسخط فقال لهما ادم قربا قربانا فمن ايكما تقبل يتزوجها فقبل قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته فازداد قابيل حسدا وسخطا وتوعده بالقتل وقيل هما رجلان من بني اسرائيل بالحق تلاوة ملتبسة بالحق والصحة او اتل نبا ملتبسا بالصدق موافقا لما في كتب الاولين او بالغرض الصحيح وهو تقبيح الحسد لان المشركين واهل الكتاب كلهم كانوا يحسدون رسول الله ويبغون عليه او اتل عليهم وانت محق صادق واذ قربا نصب بالنبا اي قصتهم وحديثهم في ذلك الوقت ويجوز ان يكون بدلا من النبا اي اتل عليهم النبا نبا ذلك الوقت على

فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الاخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين
فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتله فاصبح من الخاسرين فبعث الله غرابا يبحث في الارض

على تقدير حذف المضاف والقربان اسم ما يتقرب به الى الله من نسيكة او صدقة كما ان الحلوان اسم ما يحلى اي يعطى يقال قرب صدقة وتقرب بها لان تقرب مطاوع قرب قال الاصمعي تقربوا قرف القمع فيعدى بالباء حتى يكون بمعنى قرب فان قلت كيف كان قوله انما يتقبل الله من المتقين جوابا لقوله لاقتلنك قلت لما كان الحسد لاخيه على تقبل قربانه هو الذي حمله على توعده بالقتل قال له انما اتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى لا من قبلي فلم تقتلني وما لك لا تعاتب نفسك ولا تحملها على تقوى الله التي هي السبب في القبول فاجابه بكلام حكيم مختصر جامع لمعان وفيه دليل على ان الله تعالى لا يقبل طاعة الا من مؤمن متق فما انعاه على اكثر العاملين اعمالهم وعن عامر بن عبد الله انه بكى حين حضرته الوفاة فقيل له ما يبكيك فقد كنت وكنت قال اني اسمع الله يقول انما يتقبل الله من المتقين ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك قيل كان اقوى من القاتل وابطش منه ولكنه تحرج عن قتل اخيه واستسلم له خوفا من الله لان الدفع لم يكن مباحا في ذلك الوقت قاله مجاهد وغيره اني اريد ان تبوء باثمي واثمك ان تحتمل اثم قتلي لك لو قتلتك واثم قتلك لي فان قلت كيف يحتمل اثم قتله ولا تزر وازرة وزر اخرى قلت المراد بمثل اثمي على الاتساع في الكلام كما تقول قرات قراءة فلان وكتبت كتابته تريد المثل وهو اتساع فاش مستفيض لا يكاد يستعمل غيره ونحوه قوله عليه السلام المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم على ان البادي عليه اثم سبه ومثل اثم سب صاحبه لانه كان سببا فيه الا ان الاثم محطوط عن صاحبه معفو عنه لانه مكاف دافع عن عرضه الا ترى الى قوله ما لم يعتد المظلوم لانه اذا خرج من حد المكافاة واعتدى لم يسلم فان قلت فحين كف هابيل عن قتل اخيه واستسلم وتحرج عما كان محظورا في شريعته من الدفع فاين الاثم حتى يتحمل اخوه مثله فيجتمع عليه الاثمان قلت هو مقدر فهو يتحمل مثل الاثم المقدر كانه قال اني اريد ان تبوء بمثل اثمي لو بسطت اليك يدي وقيل باثمي واثمك الذي من اجله لم يتقبل قربانك فان قلت كيف جاز ان يريد شقاوة اخيه وتعذيبه بالنار قلت كان ظالما وجزاء الظالم حسن جائز ان يراد الا ترى الى قوله وذلك جزاء الظالمين واذا جاز ان يريده الله جاز ان يريده العبد لانه لا يريد الا ما هو حسن والمراد بالاثم وبال القتل وما يجر من استحقاق العقاب فان قلت لم جاء الشرط بلفظ الفعل والجزاء بلفظ اسم الفاعل وهو قوله لئن بسطت ما انا بباسط قلت ليفيد انه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصف الشنيع ولذلك اكده بالباء المؤكدة للنفي فطوعت له نفسه قتل اخيه فوسعته له ويسرته من طاع له المرتع اذا اتسع وقرا الحسن فطاوعت وفيه وجهان ان يكون مما جاء من فاعل بمعنى فعل وان يراد ان قتل اخيه كانه دعا نفسه الى الاقدام عليه فطاوعته ولم تمتنع وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله قيل قتل وهو ابن عشرين سنة وكان قتله عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم فبعث الله روي انه اول قتيل قتل على وجه الارض من بني ادم ولما قتله تركه بالعراء لا يدري ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره سنة حتى اروح وعكفت عليه السباع فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الاخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفرة فقال يا ويلتى اعجزت وروي انه لما قتله اسود جسده وكان ابيض فساله ادم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وروي ان ادم مكث بعد قتله مائة سنة لا يضحك وانه رثاه بشعر وهو كذب بحت وما الشعر الا منحول ملحون وقد صح ان

ليريه كيف يواري سواة اخيه قال يا ويلتي اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سواة اخي فاصبح من النادمين من اجل ذلك
كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا ولقد جاءتهم
رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا

الانبيا معصومون من الشعر ليريه ليريه الله او ليريه الغراب اي ليعلمه لانه لما كان سبب تعليمه
فكانه قصد تعليمه على سبيل المجاز سواة اخيه عورة اخيه وما لا يجوز ان ينكشف من جسده
والسواة الفضيحة لقبحها قال يا لقومي للسواة السوآء اي للفضيحة العظيمة
فكني بها عنها فاواري بالنصب على جواب الاستفهام وقري بالسكون على فانا اواري او على التسكين
في موضع النصب للتخفيف من النادمين على قتله لما تعب فيه من حمله وتحيره في امره وتبين له
من عجزه وتلمذه للغراب واسوداد لونه وسخط ابيه ولم يندم ندم التائبين من اجل ذلك بسبب
ذلك وبعلته وقيل اصله من اجل شرا اذا جناه ياجله اجلا ومنه قوله واهل خباء صالح
ذات بينهم قد احتربوا في عاجل انا اجله كانك اذا قلت من اجلك فعلت كذا اردت من ان
جنيت فعله واوجبته ويدل عليه قولهم من جراك فعلته اي من ان جررته بمعنى جنيته
وذلك اشارة الى القتل المذكور اي من اجل ذلك القتل الكتب كتبنا على بني اسرائيل ومن
لابتدا الغاية اي ابتدا الكتب ونشا من اجل ذلك ويقال فعلت كذا لاجل كذا وقد يقال اجل كذا بحذف
الجار وايصال الفعل قال اجل ان الله قد فضلكم وقري من اجل ذلك بحذف الهمزة وفتح النون لالقا
حركتها عليها وقرا ابو جعفر من اجل ذلك بكسر الهمزة وهي لغة فاذا خفف كسر النون ملقيا لكسرة الهمزة
عليها بغير نفس بغير قتل نفس لا على وجه الاقتصاص او فساد عطف على نفس بمعنى او بغير فساد في الارض وهو الشرك
وقيل قطع الطريق ومن احياها ومن استنقذها من بعض اسباب الهلكة قتل او غرق او حرق او هدم او
غير ذلك فان قلت كيف شبه الواحد بالجميع وجعل حكمه كحكمهم قلت لان كل انسان يدلي بما يدلي به الاخر
من الكرامة على الله وثبوت الحرمة فاذا قتل فقد اهين ما كرم على الله وهتكت حرمته وعلى العكس فلا
فرق اذا بين الواحد والجميع في ذلك فان قلت فما الفايدة من ذكر ذلك قلت تعظيم قتل النفس واحيايها
في القلوب ليشمئز الناس عن الجسارة عليها ويتراغبوا في المحاماة على حرمتها لان المتعرض لقتل النفس
اذا تصور قتلها بصورة قتل الناس جميعا عظم ذلك عليه فثبطه وكذلك الذي اراد احياءها وعن مجاهد
قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب الله والعذاب العظيم ولو قتل الناس جميعا لم يزد على ذلك وعن الحسن يا ابن
آدم ارايت لو قتلت الناس جميعا اكنت تطمع ان يكون لك عمل يوازي ذلك فيغفر لك كلا انه شي سولته لك
نفسك والشيطان فكذلك اذا قتلت واحدا بعد ذلك بعد ما كتبنا عليهم وبعد مجي الرسل بالآيات
لمسرفون يعني في القتل لا يبالون بعظمته يحاربون الله يحاربون رسول الله ومحاربة المسلمين في حكم محاربته
ويسعون في الارض فسادا مفسدين ولان سعيهم في الارض لما كان على طريق الفساد نزل منزلة ويفسدون في الارض
فانتصب فسادا على المعنى ويجوز ان يكون مفعولا له اي للفساد نزلت في قوم هلال بن عويمر وكان بينه وبين رسول
الله عهد وقد مر بهم قوم يريدون رسول الله فقطعوا عليهم وقيل في العرنيين فاوحى اليه ان من جمع بين
القتل واخذ المال قتل وصلب ومن افرد القتل قتل ومن افرد اخذ المال قطعت يده لاخذ المال ورجله لاخافة
السبيل ومن افرد الاخافة نفي من الارض وقيل هذا حكم كل قاطع طريق كافرا كان او مسلما ومعناه ان يقتلوا

١٤٤

ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب
عظيم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله
لعلكم تفلحون ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب اليم يريدون ان يخرجوا من النار وما هم
بخارجين منها ولهم عذاب مقيم والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم فمن تاب من بعد ظلمه

من غير صلب ان افردوا القتل ويصلبوا مع القتل ان جمعوا بين القتل والاخذ قال ابو حنيفة ومحمد
يصلب حيا ويطعن حتى يموت او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ان اخذوا المال او ينفوا من الارض
ان لم يزيدوا على الاخافة وعن جماعة منهم الحسن والنخعي ان الامام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع
طريق من غير تفصيل والنفي الحبس عند ابي حنيفة وعند الشافعي النفي من بلد الى بلد لا يزال
يطلب وهو هارب فزعا وقيل ينفى من بلده وكانوا ينفونهم الى دهلك وهو بلد في اقصى تهامة وناصع
وهو من بلاد الحبشة خزي ذل وفضيحة الا الذين تابوا استثنا من المعاقبين عقاب قطع الطريق خاصة
واما حكم القتل والجراح واخذ المال فالى الاوليا ان شاؤوا عفوا وان شاؤوا استوفوا وعن علي رضي الله عنه ان الحارث بن
بدر جاءه تائبا بعد ما كان يقطع الطريق فقبل توبته ودرا عنه العقوبة والوسيلة كل ما يتوسل به اي يتقرب
من قرابة او صنيعة او غير ذلك فاستعيرت لما يتوسل به الى الله من فعل الطاعات وترك المعاصي وانشد
للبيد اري الناس لا يدرون ما قدر امرهم الا كل ذي لب الى الله واسل ليفتدوا به ليجعلوه فدية لانفسهم وهذا
تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى النجاة منه بوجه وعن النبي عليه السلام يقال للكافر يوم القيامة ارايت
لو كان لك ملء الارض ذهبا اكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له قد سئلت ايسر من ذلك ولو مع ما
في حيز خبر ان فان قلت لم وحد الراجع في قوله ليفتدوا به وقد ذكر شيئان قلت هو كقوله فاني وقيار بها لغريب
او على اجرا الضمير مجرى اسم الاشارة كانه قيل ليفتدوا بذلك ويجوز ان يكون الواو في ومثله بمعنى مع
فيتوحد المرجوع اليه فان قلت فبم ينصب المفعول معه قلت بما يستدعيه لو من الفعل لان التقدير
لو ثبت ان لهم ما في الارض قرا ابو واقد ان يخرجوا بضم اليا من اخرج ويشهد لقراءة العامة قوله بخارجين
وما يروى عن عكرمة ان نافع بن الازرق قال لابن عباس يا اعمى البصر اعمى القلب تزعم ان قوما يخرجون من النار وقد
قال الله تعالى وما هم بخارجين منها فقال ويحك اقرا ما فوقها هذا للكفار فمما لفقته المجبرة
وليس باول تكاذيبهم وفراهم وكفاك بما فيه من مواجهة ابن الازرق ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بين
اظهر اعضاده من قريش وانضاده من بني عبد المطلب وهو حبر الامة وبحرها ومفسرها بالخطاب الذي لا يجسر
على مثله احد من اهل الدنيا وبرفعه الى عكرمة دليلين ناصعين ان الحديث فرية ما فيها مرية والسارق والسارقة
اي حكمهما ووجب ان ... ويجوز ان يرتفعا بالابتدا والخبر فاقطعوا ايديهما ودخول الفا لتضمنهما
معنى الشرط لان المعنى والذي سرق والتي سرقت فاقطعوا ايديهما والاسم الموصول يضمن معنى الشرط
وقرا عيسى بن عمر بالنصب وفضلها سيبويه على قراءة العامة لاجل الامر لان زيدا فاضربه احسن من زيد
فاضربه ايديهما يديهما ونحوه فقد صغت قلوبكما اكتفى بتثنية المضاف اليه عن تثنية المضاف واريد
باليدين اليمينان بدليل قراءة عبد الله والسارقون والسارقات فاقطعوا ايمانهم والسارق في الربعة
من سرق من الحرز والمقطع الرسغ وعند الخوارج المنكب والمقدار الذي يجب به القطع عشرة
دراهم عند ابي حنيفة وعند مالك والشافعي ربع دينار وعن الحسن درهم وفي مواعظه احذر من قطع
يدك في درهم جزاء ونكالا مفعول لهما فمن تاب من السراق من بعد ظلمه من بعد سرقته واصلح امره

وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء
والله على كل شي قدير يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين
هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه
فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا

بالتفصي عن التبعات فإن تاب يتوب عليه ويسقط عنه عقاب الآخرة وأما القطع فلا تسقطه التوبة عند أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله وعند الشافعي رحمه الله في أصح قوليه تسقطه من يشا من يجب الحكمة تعذيبه والمغفرة له من المصرين والتائبين وقيل يسقط حد الحربي إذا سرق بالتوبة ليكون أدعى له إلى الإسلام وأبعد عن التنفير عنه ولا يسقطه عن المسلم لأن في إقامته الصلاح للمؤمنين والحيوة ولكم في القصاص حيوة فإن قيل لم قدم التعذيب على المغفرة قلت لأنه قوبل بذلك تقدم السرقة على التوبة قرئ لا يحزنك بضم الياء ويسرعون والمعنى لا تهتم ولا تبال بمسارعة المنافقين في الكفر أي في إظهاره بما يلوح منهم من آثار الكيد للإسلام ومن موالاة المشركين فإني ناصرك عليهم وكافيك شرهم يقال أسرع فيه الشيب وأسرع فيه الفساد بمعنى وقع فيه سريعا فكذلك مسارعتهم في الكفر وقوعهم وتهافتهم فيه أسرع شي إذا وجدوا فرصة لم يخطئوها وآمنا مفعول قالوا وبأفواههم متعلق بقالوا لا بآمنا ومن الذين هادوا منقطع مما قبله خبر لسماعون أي ومن اليهود قوم سماعون ويجوز أن يعطف على من الذين قالوا ويرتفع سماعون على هم سماعون والضمير للفريقين أو للذين هادوا ومعنى سماعون للكذب قابلون لما تفتريه الأحبار ويفتعلونه من الكذب على الله وتحريف كتابه من قولك الملك يسمع كلام فلان ومنه سمع الله لمن حمده سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يعني اليهود الذين لم يصلوا إلى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجافوا عنه لما أفرط فيهم من شدة البغضا وتبالغ من العداوة أي قابلون من الأحبار ومن أولئك المفرطين في العداوة الذين لا يقدرون أن ينظروا إليك وقيل سماعون إلى رسول الله لأجل الكذب ليكذبوا عليه بأن يمسخوا ما سمعوا منه بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير أو سماعون من رسول الله لأجل قوم آخرين من اليهود وجهوهم عيونا ليبلغوهم ما سمعوا منه وقيل السماعون بنو قريظة والقوم الآخرون يهود خيبر يحرفون الكلم يميلونه ويزيلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها فيهملونه بغير مواضع بعد أن كان ذا مواضع إن أوتيتم هذا المحرف المزال عن مواضعه فخذوه واعلموا أنه الحق واعملوا به وإن لم تؤتوه بل أفتاكم محمد بخلافه فاحذروا وإياكم وإياه فهو الباطل والضلال وروي أن شريفا من خيبر زنى بشريفة وكانا محصنين وحدهما الرجم في التورية فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم إلى بني قريظة ليسألوا رسول الله عن ذلك وقالوا إن أمركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وإن أمركم بالرجم فلا تقبلوا وأرسلوا الزانيين معهم فأمرهم بالرجم فأبوا أن يأخذوا به فقال له جبريل اجعل بينك وبينهم ابن صوريا فقال هل تعرفون شابا أمرد أبيض يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو أعلم يهودي على وجه الأرض ورضوا به حكما فقال له رسول الله أنشدك الله الذي لا إله إلا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وأنجاكم وأغرق آل فرعون والذي أنزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من أحصن قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت إن كذبته أن ينزل علينا العذاب ثم سأل رسول الله عن أشيا كان يعرفها من أعلامه فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله النبي الأمي العربي الذي بشر به المرسلون وأمر رسول الله بالزانيين فرجما عند باب مسجده ومن يرد الله فتنته تركه مفتونا أو ضلالته فلن تملك له من الله شيئا فلن

ظ اعملوا

أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم سماعون للكذب أكالون للسحت فإن جاؤك
فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين وكيف يحكمونك وعندهم
التورية فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين إنا أنزلنا التورية فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا
والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء

١٤٥

تستطيع له من لطف الله وتوفيقه شيا أولئك الذين لم يرد الله أن يمنحهم من ألطافه ما يطهر به قلوبهم لأنهم ليسوا من أهلها لعلمه أنها لا تنفع فيهم ولا تنجع إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم السحت كل ما لا يحل كسبه وهو من سحته إذا استأصله لأنه مسحوت البركة كما قال تعالى يمحق الله الربوا والربوا باب منه وقرئ السحت بالتثقيل والتخفيف والسحت بفتح السين على لفظ المصدر سحته والسحت بفتحتين والسحت بكسر السين وكانوا يأخذون الرشى على الأحكام وتحليل الحرام وعن الحسن كان الحاكم في بني إسرائيل إذا أتاه أحدهم برشوة جعلها في كمه فأراها إياه وتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر إلى خصمه فيأكل الرشوة ويسمع الكذب وحكي أن عاملا قدم من عمله فجاءه قومه فقدم إليهم العراضة وجعل يحدثهم بما جرى له في عمله فقال أعرابي من القوم نحن كما قال الله تعالى سماعون للكذب أكالون للسحت وعن النبي عليه السلام كل لحم أنبته السحت فالنار أولى به فإن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيرا من إذا تحاكم إليه أهل الكتاب بين أن يحكم بينهم وبين أن لا يحكم وعن عطا والنخعي والشعبي أنهم إذا ارتفعوا إلى حكام المسلمين فإن شاؤوا حكموا وإن شاؤوا أعرضوا وقيل هو منسوخ بقوله وأن احكم بينهم بما أنزل الله وعند أبي حنيفة رحمه الله إن احتكموا إلينا حملوا على حكم الإسلام فإن زنى منهم رجل بمسلمة أو سرق من مسلم شيا أقيم عليه الحد وأما أهل الحجاز فإنهم لا يرون إقامة الحدود عليهم يذهبون إلى أنهم قد صولحوا على شركهم وهو أعظم من الحدود ويقولون إن النبي عليه السلام رجم اليهوديين قبل نزول الجزية فلن يضروك شيا لأنهم كانوا لا يتحاكمون إليه إلا لطلب الأيسر والأهون عليهم كالجلد مكان الرجم فإذا أعرضت عنهم وأبيت الحكومة لهم شق عليهم وتكرهوا إعراضك عنهم وكانوا خلفاء بأن يعادوه ويضاروه فأمن الله سربه بالقسط بالعدل والاحتياط كما حكمت بالرجم وكيف يحكمونك تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه مع أن الحكم منصوص عليه في كتابهم الذي يدعون الإيمان به ثم يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما في كتابهم لا يرضون به وما أولئك بالمؤمنين بكتابهم كما يدعون أو وما أولئك بالكاملين في الإيمان على سبيل التهكم بهم فإن قلت فيها حكم الله ما موضعه من الإعراب قلت إما أن ينتصب حالا من التورية وهي مبتدأ خبره عندهم وإما أن يرتفع خبرا عنها كقولك وعندهم التورية ناطقة بحكم الله تعالى وإما أن لا يكون له محل وتكون جملة مبينة لأن عندهم ما يغنيهم عن التحكيم كما تقول عندك زيد ينصحك ويشير عليك بالصواب فما تصنع بغيره فإن قلت لم أنثت التورية قلت لكونها نظيرة لموماة ودوداة ونحوها في كلام العرب فإن قلت علام عطف ثم يتولون قلت على يحكمونك فيها هدى يهدي إلى الحق ونور يكشف ما استبهم من الأحكام الذين أسلموا صفة أجريت على النبيين على سبيل المدح كالصفات الجارية على القديم سبحانه لا للتفصلة والتوضيح وأريد بإجرائها التعريض باليهود وأنهم بعداء عن ملة الإسلام التي هي دين الأنبياء كلهم في القديم والحديث وأن اليهودية بمعزل منها وقوله الذين أسلموا للذين هادوا مناد على ذلك والربانيون والأحبار الزهاد والعلماء من ولد هرون الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود بما استحفظوا من كتاب الله بما سألهم أنبياؤهم حفظه من التورية أي بسبب سؤال أنبيائهم إياهم أن يحفظوه من التغيير والتبديل ومن في من كتاب الله للتبيين وكانوا عليه شهداء رقباء لئلا يبدل والمعنى يحكم بأحكام

تخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون وكتبنا عليهم
فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم
يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل

التوراة النبيون من موسى إلى عيسى وكان بينهما ألف نبي للذين هادوا يحملونهم على أحكام التوراة لا يتركونهم أن يعدلوا عنها كما فعل رسول الله من حملهم على حكم الرجم وإرغام أنوفهم وإبائه عليهم ما اشتهوه من الجلد وكذلك حكم الربانيون والأحبار المسلمون بسبب ما استحفظهم أنبياؤهم من كتاب الله والقضاء بأحكامه وبسبب كونهم عليه شهداء ويجوز أن يكون الضمير في استحفظوا للأنبياء والربانيين والأحبار جميعا ويكون الاستحفاظ من الله تعالى أي كلفهم الله حفظه وأن يكونوا عليه شهداء **فلا تخشوا** الناس نهي للحكام عن خشيتهم غير الله في حكوماتهم وإدهانهم فيها وإمضائها على خلاف ما أمروا به من العدل لخشية سلطان ظالم أو خيفة أذية أحد من القرباء والأصدقاء **ولا تشتروا** بآياتي ولا تستبدلوا ولا تستعيضوا بآيات الله وأحكامه ثمنا قليلا وهو الرشوة وابتغاء الجاه ورضى الناس كما حرف أحبار اليهود كتاب الله وغيروا أحكامه رغبة في الدنيا وطلبا للرياسة فهلكوا ومن لم يحكم بما أنزل الله مستهينا به فأولئك هم الكافرون والظالمون والفاسقون وصف لهم بالعتو في كفرهم حين ظلموا آيات الله بالاستهانة وتمردوا بأن حكموا بغيرها وعن ابن عباس أن الكافرين والظالمين والفاسقين أهل الكتاب وعنه نعم القوم أنتم ما كان من حلو فلكم وما كان من مر فهو لأهل الكتاب من جحد حكم الله كفر ومن لم يحكم به وهو مقر فهو ظالم فاسق وعن الشعبي هذه في أهل الإسلام والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى وعن ابن مسعود هو عام في اليهود وغيرهم وعن حذيفة أنتم أشبه الأمم سمتا ببني إسرائيل لتركبن طريقهم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة غير أني لا أدري أتعبدون العجل أم لا وفي مصحف أبي وأنزل الله على بني إسرائيل فيها وفيه وأن الجروح قصاص والمعطوفات كلها قرئت منصوبة ومرفوعة والرفع للعطف على محل أن النفس لأن المعنى وكتبنا عليهم النفس بالنفس إما لإجراء كتبنا مجرى قلنا وإما لأن معنى الجملة التي هي قولك النفس بالنفس مما يقع عليه الكتب كما يقع عليه القراءة تقول كتبت الحمد لله وقرأت سورة أنزلناها ولذلك قال الزجاج لو قرئ إن النفس بالكسر لكان صحيحا أو للاستئناف والمعنى فرضنا عليهم فيها أن النفس مأخوذة بالنفس مقتولة بها إذا قتلتها بغير حق وكذلك العين مفقوءة بالعين والأنف مجدوع بالأنف والأذن مصلومة بالأذن والسن مقلوعة بالسن والجروح قصاص ذات قصاص وهو المقاصة ومعناه ما يمكن فيه القصاص وتعرف المساواة وعن ابن عباس كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت **فمن** تصدق من أصحاب الحق بالقصاص وعفا عنه فهو كفارة له فالتصدق به كفارة للمتصدق يكفر الله من سيئاته ما تقتضيه الموازنة كسائر طاعاته وعن عبد الله بن عمرو يهدم عنه من ذنوبه بقدر ما تصدق به وقيل فهو كفارة للجاني إذا تجاوز عنه صاحب الحق سقط عنه ما لزمه وفي قراءة أبي فهو كفارته له يعني فالمتصدق كفارته له أي الكفارة التي يستحقها له لا ينقص منها وهو تعظيم لما فعل كقوله فأجره على الله وترغيب في العفو **وقفيته** مثل عقبته إذا أتبعته ثم يقال قفيته بفلان وعقبته به فتعديه إلى الثاني بزيادة الباء **فإن قلت** فأين المفعول الأول في الآية **قلت** هو محذوف والظرف الذي هو على آثارهم كالساد مسده لأنه إذا قفى به على أثره فقد قفى به إياه والضمير في آثارهم للنبيين في قوله يحكم بها النبيون الذين أسلموا وقرأ الحسن

فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل
الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا
عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة
ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون

الإنجيل بفتح الهمزة فإن صح عنه فلأنه أعجمي خرج لعجمته عن زنات العربية كما خرج هابيل وآجر **ومصدقا** عطف على فيه هدى ومحله النصب على الحال وهدى وموعظة يجوز أن ينتصبا على الحال كقوله مصدقا وأن ينتصبا مفعولا لهما كقوله وليحكم كأنه قيل وللهدى والموعظة آتيناه الإنجيل وليحكم بما أنزل الله فيه من الأحكام **فإن قلت** فإن نظمت هدى وموعظة في سلك مصدقا فما تصنع بقوله وليحكم **قلت** أصنع به ما صنعت بهدى وموعظة حين جعلتهما مفعولا لهما فأقدر وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله آتيناه إياه وقرئ وليحكم على لفظ الأمر بمعنى وقلنا ليحكم وفي قراءة أبي وأن ليحكم بزيادة أن مع الأمر على أن أن موصولة بالأمر كقولك أمرته بأن قم كأنه قيل وآتيناه الإنجيل وأمرنا بأن يحكم أهل الإنجيل وقيل إن عيسى عليه السلام كان متعبدا بما في التوراة من الأحكام لأن الإنجيل مواعظ وزواجر والأحكام فيه قليلة وظاهر قوله وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه يرد ذلك وكذلك قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وإن ساغ لقائل أن يقول معناه وليحكموا بما أنزل الله فيه من إيجاب العمل بأحكام التوراة **فإن قلت** أي فرق بين التعريفين في قوله وأنزلنا إليك الكتاب وقوله لما بين يديه من الكتاب **قلت** الأول تعريف العهد لأنه لم يرد به ما يقع عليه اسم الكتاب على الإطلاق وإنما أريد نوع معلوم منه وهو ما أنزل من السماء سوى القرآن ومهيمنا ورقيبا على سائر الكتب لأنه يشهد لها بالصحة والثبات وقرئ ومهيمنا عليه بفتح الميم أي هومن عليه بأن حفظ من التغيير والتبديل كما قال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذي هيمن عليه الله عز وجل أو الحفاظ في كل بلد لو حرف حرف منه أو حركة أو سكون لتنبه عليه كل أحد ولاشمأزوا رادين ومنكرين عما جاءك ضمن ولا تتبع معنى ولا تنحرف فلذلك عدي بعن كأنه قيل ولا تنحرف عما جاءك من الحق متبعا أهواءهم لكل جعلنا منكم أيها الناس شرعة وقرأ يحيى بن وثاب بفتح الشين ومنهاجا طريقا واضحا في الدين تجرون عليه وقيل هذا دليل على أنا غير متعبدين بشرائع من قبلنا **لجعلكم** أمة واحدة جماعة متفقة على شريعة واحدة أو ذوي أمة واحدة أي دين واحد لا اختلاف فيه ولكن أراد ليبلوكم فيما آتاكم من الشرائع المختلفة هل تعملون بها مذعنين معتقدين أنها مصالح قد اختلفت على حسب الأحوال والأوقات معترفين بأن الله لم يقصد باختلافها إلا ما اقتضته الحكمة أم تتبعون الشبه وتفرطون في العمل **فاستبقوا** الخيرات فابتدروها وتسابقوا نحوها **إلى الله** مرجعكم استئناف في معنى التعليل لاستباق الخيرات فينبئكم فيخبركم بما لا تشكون معه من الجزاء الفاصل بين محقكم ومبطلكم وعاملكم ومفرطكم في العمل **فإن قلت** وأن احكم بينهم معطوف على ماذا **قلت** على الكتاب في قوله وأنزلنا إليك الكتاب كأنه قيل وأنزلنا إليك الكتاب والحكم على أن أن وصلت بالأمر لأنه فعل كسائر الأفعال ويجوز أن يكون معطوفا على بالحق أي أنزلناه بالحق وبأن احكم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك أن يضلوك عنه ويستزلوك وذلك أن كعب بن أسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس من أحبار اليهود قالوا اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت أنا أحبار اليهود وأنا إن اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم ولم يخالفونا وإن بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم إليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فأبى ذلك رسول الله فنزلت فإن تولوا عن الحكم بما أنزل الله إليك وأرادوا غيره فاعلم أنما يريد الله أن

حكم الله

وان كثيرا من الناس لفاسقون افحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم
يوقنون يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم
منكم فانه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون
نخشى ان تصيبنا دائرة

يصيبهم ببعض ذنوبهم يعني بذنب التولي عن حكم الله وارادتهم خلافه فوضع ببعض ذنوبهم موضع ذلك واراد ان
لهم ذنوبا جمة كثيرة العدد وان هذا الذنب مع عظمه بعضها وواحد منها وهذا الابهام لتعظيم التولي و
اسرافهم في ارتكابه ونحو البعض في هذا الكلام ما في قول لبيد: او يرتبط بعض النفوس حمامها ، اراد نفسه
وانما قصد تفخيم شانها بهذا الابهام كانه قال نفسا كبيرة ونفسا اي نفس فكما ان التنكير يعطي معنى التكبير
وهو معنى البعضية فكذلك اذا صرح بالبعض لفاسقون لمتمردون في الكفر معتدون فيه يعني ان التولي
عن حكم الله من التمرد العظيم والاعتداء في الكفر. افحكم الجاهلية يبغون فيه وجهان احدهما ان بني قريظة
والنضير طلبوا اليه ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وروي ان رسول الله صلى الله عليه
قال لهم القتلى بواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت. والثاني ان يكون تعييرا لليهود بانهم اهل
كتاب وعلم وهم يبغون حكم الملة الجاهلية التي هي هوى وجهل لا يصدر عن كتاب ولا يرجع الى وحي من
الله وعن الحسن هو عام في كل من يبتغي غير حكم الله والحكم حكمان حكم بعلم فهو حكم الله وحكم بجهل فهو حكم
الشيطان وسئل طاوس عن الرجل يفضل بعض ولده على بعض فقرا هذه الآية وقرئ تبغون بالتاء والياء
وقرا السلمي افحكم الجاهلية يبغون برفع الحكم على الابتداء وايقاع يبغون خبرا واسقاط الراجع عنه كاسقاطه
عن الصلة في اهذا الذي بعث الله رسولا وعن الصفة في الناس رجلان رجل اهنت ورجل اكرمت وعن الحال في
مررت بهند يضرب زيد. وقرا قتادة افحكم الجاهلية على ان هذا الحكم الذي يبغونه انما يحكم به افعى نجران
او نظيره من حكام الجاهلية فاراد بسفههم ان يكون محمد خاتم النبيين حكما كاولئك الحكام. اللام
في قوله لقوم يوقنون للبيان كاللام في هيت لك اي هذا الخطاب وهذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم
هم الذين يتبينون ان لا اعدل من الله ولا احسن حكما منه. لا تتخذوهم اولياء تنصرونهم وتستنصرونهم
وتواخونهم وتصافونهم وتعاشرونهم معاشرة المؤمنين ثم علل النهي بقوله بعضهم اولياء بعض اي انما
يوالي بعضهم بعضا لاتحاد ملتهم واجتماعهم في الكفر فما لمن دينه خلاف دينهم ولموالاتهم ومن يتولهم
منكم فانه من جملتهم وحكمه حكمهم وهذا تغليظ من الله وتشديد في وجوب مجانبة المخالف في الدين
واعتزاله كما قال رسول الله صلى الله عليه لا تراءى ناراهما ومنه قول عمر رضي الله عنه لابي موسى في كاتبه
النصراني لا تكرموهم اذ اهانهم الله ولا تامنوهم اذ خونهم الله ولا تدنوهم اذ اقصاهم الله وروي
انه قال له ابو موسى لا قوام للبصرة الا به فقال مات النصراني والسلام يعني هب انه قد مات فما كنت تكون
صانعا فاصنعه الساعة واستغن عنه بغيره. ان الله لا يهدي القوم الظالمين يعني الذين ظلموا
انفسهم بموالاة الكفرة يمنعهم الله الطافه ويخذلهم مقتا لهم. يسارعون فيهم ينكمشون في موالاتهم
ويرغبون فيها ويعتذرون بانهم لا يامنون ان تصيبهم دائرة من دوائر الزمان اي صرف من صروفه
ودولة من دوله فيحتاجون اليهم والى معونتهم وعن عبادة بن الصامت انه قال لرسول الله صلى الله عليه
ان لي موالي من يهود كثيرا عددهم واني ابرأ الى الله ورسوله من ولايتهم واوالي الله ورسوله فقال
عبد الله بن ابي اني رجل اخاف الدوائر لا ابرأ من ولاية موالي وهم يهود بني قينقاع. فعسى

فعسى الله ان ياتي بالفتح او امر من عنده فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم نادمين ويقول الذين امنوا اهولاء
الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم
عن دينه فسوف ياتي الله بقوم

يعني الله ان ياتي بالفتح لرسول الله على اعدائه واظهار المسلمين او امر من عند الله يقطع
شافة اليهود ويجليهم عن بلادهم فيصبح المنافقون نادمين على ما حدثوا به انفسهم وذلك انهم
كانوا يشكون في امر رسول الله صلى الله عليه ويقولون ما نظن ان يتم له امر وبالحري ان تكون الدولة
والغلبة لهولاء وقيل او امر من عنده او ان يؤمر النبي صلى الله عليه باظهار اسرار المنافقين
وقتلهم فيندموا على نفاقهم وقيل او امر من عند الله لا يكون فيه للناس فعل كبني النضير الذين
طرح الله في قلوبهم الرعب فاعطوا بايديهم من غير ان يوجف عليهم بخيل ولا ركاب ويقول
الذين امنوا في ذلك الوقت وقرئ يقول بغير واو وهي في مصاحف مكة والمدينة والشام كذلك
على انه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ فقيل يقول الذين امنوا اهولاء الذين اقسموا فان قلت لمن يقولون
هذا القول قلت اما ان يقوله بعضهم لبعض تعجبا من حالهم واغتباطا بما من الله عليهم من التوفيق في الاخلاص
اهولاء الذين اقسموا لكم باغلاظ الايمان انهم اولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار واما ان يقولوه لليهود
لانهم حلفوا لهم بالمعاضدة والنصرة كما حكى الله عنهم وان قوتلتم لننصرنكم حبطت اعمالهم من جملة قول المؤمنين
اي بطلت اعمالهم التي كانوا تكلفوها في رأي اعين الناس وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط اعمالهم فما
اخسرهم او من قول الله عز وجل شهادة لهم بحبوط الاعمال وتعجبا من سوء حالهم. من يرتد وقرئ من يرتدد
وهو في الامام بدالين وهو من الكائنات التي اخبر عنها في القرآن قبل كونها وقيل كان اهل الردة احدى عشرة
فرقة ثلاث في عهد رسول الله صلى الله عليه بنو مدلج ورئيسهم ذو الخمار وهو الاسود العنسي وكان كاهنا
تنبأ باليمن واستولى على بلاده واخرج عمال رسول الله وكتب رسول الله الى معاذ بن جبل والى سادات
اليمن فاهلكه الله على يدي فيروز الديلمي بيته فقتله واخبر رسول الله بقتله ليلة قتل فسر المسلمون
وقبض رسول الله من الغد واتى خبره في اخر شهر ربيع الاول وبنو حنيفة قوم مسيلمة تنبأ وكتب الى رسول الله صلى
الله عليه من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب من محمد رسول
الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر رضي الله عنه
بجنود المسلمين وقتل على يدي وحشي قاتل حمزة وكان يقول قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس
في الاسلام اراد في جاهليتي واسلامي وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله خالدا فانهزم
بعد القتال الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه. وسبع في عهد ابي بكر رضي الله عنه فزارة قوم عيينة بن حصين
وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة
وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها مسيلمة الكذاب وفيها يقول ابو العلاء
المعري في كتاب استغفر واستغفري: امت سجاح ووالاها مسيلمة كذابة في بني الدنيا وكذاب. وكندة قوم
الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله امرهم على يدي ابي بكر رضي الله عنه وفرقة
واحدة في عهد عمر رضي الله عنه غسان قوم جبلة بن الايهم نصرته اللطمة وسيرته الى بلاد الروم بعد اسلامه
فسوف ياتي الله بقوم قيل لما نزلت اشار رسول الله صلى الله عليه الى ابي موسى الاشعري فقال قوم هذا وقيل هم الف من
النخع وخمسة الاف من كندة وبجيلة وثلاثة الاف من افناء الناس جاهدوا يوم القادسية وقيل

يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله
يؤتيه من يشاء والله واسع عليم إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون

وقيل هم الأنصار وقيل سئل رسول الله فضرب يده على عاتق سلمان وقال هذا وذووه ثم قال لو كان الإيمان معلقا بالثريا
لناله رجال من أبناء فارس يحبهم ويحبونه محبة العباد لربهم طاعته وابتغاء مرضاته وأن لا يفعلوا ما يوجب سخطه
وعقابه ومحبة الله لعباده أن يثيبهم أحسن الثواب على طاعتهم ويعظمهم ويثني عليهم ويرضى عنهم
وأما ما يعتقده أجهل الناس وأعداهم للعلم وأهله وأمقتهم للشرع وأسوأهم طريقة وإن كانت طريقتهم
عند أمثالهم من الجهلة والسفهاء شيئا وهم الفرقة المفتعلة المتفعلة من الصوف وما يدينون به من المحبة
والعشق والتغني على كراسيهم خربها الله وفي مراقصهم عطلها الله بأبيات الغزل المقولة في المردان
الذين يسمونهم شهداء وصعقاتهم التي أين عنها صعقة موسى عند دك الطور فتعالى الله عنه علوا
كبيرا ومن كلماتهم كما أنه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته فإن الهاء راجعة إلى الذات دون النعوت
والصفات ومنها الحب شرطه أن تلحقه سكرات المحبة فإذا لم يكن ذلك لم تكن فيه حقيقة فإن قلت
أين الراجع من الجزاء إلى الاسم المتضمن لمعنى الشرط قلت هو محذوف معناه فسوف يأتي الله بقوم مكانهم
أو بقوم غيرهم أو ما أشبه ذلك أذلة جمع ذليل وأما ذلول فجمعه ذلل ومن زعم أنه من الذل الذي هو
نقيض الصعوبة فقد غبي عنه أن ذلولا لا يجمع على أذلة فإن قلت هلا قيل أذلة للمؤمنين أعزة على الكافرين
قلت فيه وجهان أحدهما أن يضمن الذل معنى الحنو والعطف كأنه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع
والثاني أنهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم أجنحتهم ونحوه
أشداء على الكفار رحماء بينهم وقرئ أذلة وأعزة بالنصب على الحال ولا يخافون لومة لائم يحتمل أن تكون
الواو للحال على أنهم يجاهدون وحالهم في المجاهدة خلاف حال المنافقين فإنهم كانوا موالين لليهود لعنت
فإذا خرجوا في جيش المؤمنين خافوا أولياءهم اليهود فلا يعملون شيئا مما يعلمون أنه يلحقهم فيه لوم من جهتهم
وأما المؤمنون فكانوا يجاهدون لوجه الله لا يخافون لومة لائم قط وأن تكون للعطف على أن من صفتهم المجاهدة
في سبيل الله وأنهم صلاب في دينهم إذا شرعوا في أمر من أمور الدين إنكار منكر أو أمر بمعروف مضوا فيه
كالمسامير المحماة لا يرعبهم قول قائل ولا اعتراض معترض ولا لومة لائم يشق عليه جدهم
في إنكارهم وصلابتهم في أمرهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفي التنكير مبالغتان كأنه قيل لا يخافون شيئا
قط من لوم أحد من اللوام وذلك إشارة إلى ما وصف به القوم من المحبة والذلة والعزة والجهاد وانتفاء
خوف اللومة يؤتيه يوفق له من يشاء ممن يعلم أن له لطفا واسع كثير الفواضل والألطاف عليم بمن هو من
أهلها عقب النهي عن موالاة من تجب معاداتهم ذكر من تجب موالاتهم بقوله إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا
ومعنى إنما وجوب اختصاصهم بالموالاة فإن قلت قد ذكرت جماعة فهلا قيل إنما أولياؤكم قلت أصل الكلام إنما
وليكم الله فجعلت الولاية لله على طريق الأصالة ثم نظم في سلك إثباتها له إثباتها لرسول الله والمؤمنين على سبيل
التبع ولو قيل إنما أولياؤكم الله ورسوله والذين آمنوا لم يكن في الكلام أصل وتبع وفي قراءة عبد الله إنما مولاكم
فإن قلت الذين يقيمون ما محله قلت الرفع على البدل من الذين آمنوا أو على هم الذين يقيمون أو النصب على المدح وفيه
تمييز للخلص من الذين آمنوا نفاقا أو واطأت قلوبهم ألسنتهم إلا أنهم مفرطون في العمل وهم راكعون الواو
فيه للحال أي يعملون ذلك في حال الركوع وهو الخشوع والإخبات والتواضع لله إذا صلوا وإذا زكوا

ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين
أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين وإذا ناديتم إلى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا

وقيل هو حال من يؤتون الزكوة بمعنى يؤتونها في حال ركوعهم في الصلوة وإنها نزلت في علي رضي الله عنه حين سأله
سائل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه كأنه كان مرجا في خنصره فلم يتكلف لخلعه كثير عمل تفسد
بمثله صلاته فإن قلت كيف صح أن يكون لعلي رضي الله عنه واللفظ لفظ جماعة قلت جيء به على لفظ الجمع وإن
كان السبب فيه رجلا واحدا ليرغب الناس في مثل فعله فينالوا مثل ثوابه ولينبه على أن سجية المؤمنين
يجب أن تكون على هذه الغاية من الحرص على البر والإحسان وتفقد الفقراء حتى إن لزهم أمر لا يقبل
التأخير وهم في الصلوة لم يؤخروه إلى الفراغ منها فإن حزب الله من إقامة الظاهر مقام المضمر ومعناه
فإنهم هم الغالبون ولكنهم بذلك جعلوا أعلاما لكونهم حزب الله وأصل الحزب القوم يجتمعون لأمر
حزبهم ويحتمل أن يكون يريد بحزب الله الرسول والمؤمنين ويكون المعنى ومن يتولهم فقد تولى حزب الله و
اعتضد بمن لا يغالب روي أن رفاعة بن زيد وسويد بن الحرث قد أظهرا الإسلام ثم نافقا وكان رجال من
المسلمين يوادونهما فنزلت يعني أن اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا لا يصح أن يقابل باتخاذكم إياهم أولياء
بل يقابل ذلك بالبغضاء والشنآن والمنابذة وفصل المستهزئين بأهل الكتاب والكفار وإن كان أهل الكتاب
من الكفار إطلاقا للكفار على المشركين خاصة والدليل عليه قراءة عبد الله ومن الذين أشركوا وقرئ والكفار
بالنصب والجر وتعضد قراءة الجر قراءة أبي ومن الكفار واتقوا الله في موالاة الكفار وغيرهم إن كنتم مؤمنين
حقا لأن الإيمان حقا يأبى موالاة أعداء الدين اتخذوها الضمير للصلوة أو المناداة قيل كان رجل من النصارى
بالمدينة إذا سمع المؤذن يقول أشهد أن محمدا رسول الله قال حرق الكاذب فدخلت خادمه بنار ذات
ليلة وهو نائم فتطايرت منها شرارة في البيت فاحترق البيت واحترق هو وأهله وقيل فيه دليل على ثبوت الأذان
بنص الكتاب لا بالمنام وحده لا يعقلون لأن لعبهم وهزءهم من أفعال السفهاء والجهلة فكأنه لا عقل لهم وقرأ الحسن هل
تنقمون بفتح القاف والفصيح كسرها والمعنى هل تعيبون منا وتنكرون إلا الإيمان بالكتب المنزلة كلها وأن أكثركم فاسقون
فإن قلت علام عطف قوله وأن أكثركم فاسقون قلت فيه وجوه منها أن يعطف على أن آمنا بمعنى وما تنقمون منا
إلا الجمع بين إيماننا وبين تمردكم وخروجكم عن الإيمان كأنه قيل وما تنكرون منا إلا مخالفتكم حيث دخلنا في دين
الإسلام وأنتم خارجون منه ويجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف أي واعتقاد أنكم فاسقون ومنها أن يعطف
على المجرور أي وما تنقمون منا إلا الإيمان بالله وبما أنزل وبأن أكثركم فاسقون ويجوز أن تكون الواو بمعنى مع أي وما
تنقمون منا إلا الإيمان مع أن أكثركم فاسقون ويجوز أن يكون تعليلا معطوفا على تعليل محذوف كأنه قيل وما تنقمون منا
إلا الإيمان لقلة إنصافكم وفسقكم واتباعكم الشهوات ويدل عليه تفسير الحسن بفسقكم نقمتم ذلك علينا
وروي أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من اليهود فسألوه عمن يؤمن به من الرسل فقال أومن بالله وما
أنزل إلينا إلى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى ما نعلم أهل دين أقل حظا في الدنيا
والآخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم فنزلت وعن نعيم بن ميسرة وإن أكثركم بالكسر ويحتمل أن ينتصب وأن
أكثركم بفعل محذوف يدل عليه هل تنقمون أي ولا تنقمون أن أكثركم فاسقون أو يرتفع على الابتداء
والخبر محذوف أي وفسقكم ثابت معلوم عندكم لأنكم علمتم أنا على الحق وأنكم على الباطل إلا أن حب

ذلك بانهم قوم لا يعقلون قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان امنا بالله وما انزل
الينا وما انزل من قبل وان اكثركم فاسقون قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من
لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت اولئك
شر مكانا واضل عن سواء السبيل واذا جاؤكم قالوا امنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا
به والله اعلم بما كانوا يكتمون وترى كثيرا منهم يسارعون في الاثم والعدوان

الرياسة وكسب الاموال الذين علم فتنقموا **ذلك** اشارة الى المنقوم ولا بد من حذف مضاف قبله او قبل من
تقديره بشر من اهل ذلك او دين من لعنه الله ومن لعنه الله في محل الرفع على قولك هو من لعنه الله كقوله
قل افانبئكم بشر من ذلكم النار او في محل الجر على البدل من شر **وقرى** مثوبة ومثوبة ومثالهما مشورة
ومشورة **فان قلت** المثوبة مختصة بالاحسان فكيف جاءت في الاساءة **قلت** وضعت المثوبة موضع العقوبة
على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ومنه فبشرهم بعذاب اليم **فان قلت** المعاقبون من الفريقين
هم اليهود فلم شورك بينهم في العقوبة **قلت** كان اليهود لعنوا يزعمون ان المسلمين ضالون مستوجبون
للعقاب فقيل لهم من لعنه الله شر عقوبة في الحقيقة واليقين من اهل الاسلام في زعمكم ودعواكم
وعبد الطاغوت عطف على صلة من كانه قيل ومن عبد الطاغوت وفي قراءة ابي وعبدوا الطاغوت
وقرا ابن مسعود ومن عبدوا وقرى وعابد الطاغوت عطفا على القردة وعابدي وعباد وعبد
ومعناه الغلو في العبودية كقولهم رجل حذر وفطن للبليغ في الحذر والفطنة قال
ابني لبينى ان امكم امة وان اباكم عبد وعبد بوزن حطم وعبيد وعبد بضمتين
جمع عبيد وعبدة بوزن كفرة وعبد واصله عبدة فحذفت التاء للاضافة او هو كخدم
في جمع خادم وعبد وعباد واعبد وعبد الطاغوت على البناء للمفعول وحذف الراجع بمعنى
وعبد الطاغوت فيهم او بينهم وعبد الطاغوت بمعنى صار الطاغوت معبودا من دون الله كقولك
امر اذا صار اميرا وعبد الطاغوت بالجر عطفا على من لعنه الله **فان قلت** كيف جاز ان يجعل
الله منهم عباد الطاغوت **قلت** فيه وجهان احدهما انه خذلهم حتى عبدوها والثاني انه حكم عليهم بذلك
ووصفهم به كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وقيل الطاغوت العجل لانه معبود
من دون الله ولان عبادتهم للعجل مما زينه لهم الشيطان فكانت عبادتهم له عبادة في معصية لله فقد
عبدوه وقرا الحسن الطواغيت وقيل وجعل منهم القردة اصحاب السبت والخنازير كفار اهل مائدة
عيسى وقيل كلا المسخين من اصحاب السبت فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير وروي
انها لما نزلت كان المسلمون يعيرون اليهود ويقولون يا اخوة القردة والخنازير فينكسون رؤوسهم
اولئك الملعونون الممسوخون شر مكانا جعلت الشرارة للمكان وهي لاهله وفيه مبالغة ليست في قولك
اولئك شر واضل لدخوله في باب الكناية التي هي اخت المجاز نزلت في ناس من اليهود كانوا يدخلون
على رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهرون له الايمان نفاقا فاخبر الله بشانهم وانهم يخرجون من مجلسك كما
دخلوا لم يتعلق بهم شيء مما سمعوا من تذكيرك بايات الله ومواعظك وقوله بالكفر وبه حالان اي
دخلوا كافرين وخرجوا كافرين وتقديره ملتبسين بالكفر وكذلك قوله وقد دخلوا وهم قد خرجوا
ولذلك دخلت قد تقريبا للماضي من الحال ولمعنى اخر وهو ان امارات النفاق كانت لائحة عليهم
وكان رسول الله متوقعا لاظهار الله ما كتموه فدخل حرف التوقع وهو متعلق بقوله قالوا امنا اي
قالوا ذلك وهذه حالهم **الاثم** الكذب بدليل قوله عن قولهم الاثم **والعدوان** الظلم وقيل الاثم كلمة
الشرك وقولهم عزير ابن الله وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعداهم الى غيرهم والمسارعة

وعابد الطاغوت
وعباد الطاغوت
وعبد الطاغوت

واذا جاؤكم

وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون وقالت اليهود يد الله مغلولة
غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا والقينا بينهم العداوة
والبغضاء الى يوم القيمة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله

في الشيء الشروع فيه بسرعة **لبئس** ما كانوا يصنعون كانهم جعلوا اثم من مرتكبي المناكير لان كل عامل لا
يسمى صانعا ولا كل عمل يسمى صناعة حتى يتمكن فيه ويتدرب وينسب اليه وكان المعنى في ذلك ان مواقع
المعصية معه الشهوة التي تدعو اليها وتحمله على ارتكابها واما الذي ينهاه فلا شهوة معه في فعل
غيره فاذا فرط في الانكار كان اشد حالا من المواقع ولعمري ان هذه الاية مما يقذ السامع وينعى
على العلماء توانيهم وعن ابن عباس رضي الله عنه هي اشد اية في القران وعن الضحاك ما في القران اية اخوف عندي
منها **غل اليد** وبسطها مجاز عن البخل والجود ومنه قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط
ولا يقصد من يتكلم به اثبات يد ولا غل ولا بسط ولا فرق عنده بين هذا الكلام وبين ما وقع مجازا عنه لانهما كلامان معتقبان
على حقيقة واحدة حتى انه يستعمله في ملك لا يعطي عطاء قط ولا يمنعه الا باشارته من غير استعمال يد وبسطها وقبضها ولو اعطى الاقطع الى المنكب عطاء جزلا لقالوا ما ابسط يده بالنوال لان بسط اليد وقبضها عبارتان
وقعتا متعاقبتين للبخل والجود وقد استعملوهما حيث لا تصح اليد كقوله جاد الحمى بسط اليدين بوابل
شكرت نداه تلاعه ووهاده ولقد جعل لبيد للشمال يدا في قوله اذ اصبحت بيد الشمال زمامها
ويقال بسط الياس كفيه في صدري فجعلت للياس الذي هو من المعاني لا من الاعيان كفان ومن لم ينظر في علم البيان
عمي عن تبصر محجة الصواب في تاويل امثال هذه الاية ولم يتخلص من يد الطاعن اذا عبثت به **فان قلت** قد صح ان قولهم يد
الله مغلولة عبارة عن البخل فما تصنع بقوله غلت ايديهم ومن حقه ان يطابق ما تقدمه والا تنافر
الكلام وزل عن سننه **قلت** يجوز ان يكون معناه الدعاء عليهم بالبخل والنكد ومن ثم كانوا ابخل خلق الله
وانكدهم ونحوه بيت الاشتر بقيت وفري وانحرفت عن العلى ويجوز ان يكون دعاء عليهم بغل الايدي حقيقة
يغلون في الدنيا اسارى وفي الاخرة معذبين باغلال جهنم والطباق من حيث اللفظ
وملاحظة اصل المجاز كما تقول سبني سب الله دابره اي قطعه لان السب اصله القطع **فان قلت**
كيف جاز ان يدعو الله عليهم بما هو قبيح وهو البخل والنكد **قلت** المراد به الدعاء بالخذلان الذي تقسو به قلوبهم
فيزيدون بخلا الى بخلهم ونكدا الى نكدهم او بما هو مسبب عن البخل والنكد من لصوق العار بهم وسوء الاحدوثة
التي تخزيهم وتمزق اعراضهم **فان قلت** لم ثنيت اليد في قوله بل يداه مبسوطتان وهي في يد الله مغلولة مفردة **قلت**
ليكون رد قولهم وانكاره ابلغ وادل على اثبات غاية السخاء له ونفي البخل عنه وذلك ان غاية ما يبذله السخي
بماله من نفسه ان يعطيه بيديه جميعا فبنى المجاز على ذلك وقرى ولعنوا بسكون العين وفي مصحف
عبد الله بل يداه بسطان يقال يده بسط بالمعروف ونحوه مشية سجح وناقة سرح **ينفق** كيف يشاء
تاكيد للوصف بالسخاء ودلالة على انه لا ينفق الا على مقتضى الحكمة والمصلحة روي ان الله تعالى كان
قد بسط على اليهود حتى كانوا من اكثر الناس مالا فلما عصوا الله في محمد صلى الله عليه وسلم وكذبوه كف الله ما
بسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء يد الله مغلولة ورضي بقوله الاخرون فاشركوا فيه
وليزيدن اي يزدادون عند نزول القران لحسدهم تماديا في الجحود وكفرا بايات الله **والقينا** بينهم العداوة
فكلمهم ابدا مختلف وقلوبهم شتى لا يقع اتفاق بينهم ولا تعاضد كلما اوقدوا نارا كلما ارادوا محاربة احد
غلبوا وقهروا ولم يقم لهم نصر من الله على احد قط وقد اتاهم الاسلام وهم في ملك المجوس وقيل خالفوا حكم التوراة
فبعث الله عليهم بختنصر ثم افسدوا فسلط الله عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط الله عليهم

١٤٦

العداوة من حيث الظاهر
والبغضاء من حيث الباطن

ولو ان اهل الكتاب امنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم
ولادخلناهم جنات النعيم ولو انهم اقاموا التورية والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت
ارجلهم منهم امة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت
رسالته والله يعصمك من الناس

المجوس ثم افسدوا فسلط الله عليهم المسلمين وقيل كلما حاربوا رسول الله نصر عليهم وعن قتادة
لا تلقى اليهود ببلدة الا وجدتهم من اذل الناس ويسعون ويجتهدون في الكيد للاسلام ومحو ذكر رسول
الله من كتبهم ولو ان اهل الكتاب مع ما عددنا من سيئاتهم امنوا برسول الله وبما جاء به وقرنوا ايمانهم
بالتقوى التي هي الشريطة في الفوز بالايمان لكفرنا عنهم تلك السيئات ولم نواخذهم بها ولادخلناهم
مع المسلمين الجنة وفيه اعلام بعظم معاصي اليهود والنصارى وكثرة سيئاتهم ودلالة على سعة رحمة الله
وفتحه باب التوبة على كل عاص وان عظمت معاصيه وبلغت مبالغ سيئات اليهود والنصارى
وان الايمان لا ينجي ولا يسعد الا مشفوعا بالتقوى كما قال الحسن هذا العمود فاين الاطناب ولو انهم اقاموا
التورية والانجيل اقاموا احكامهما وحدودهما وما فيهما من نعت رسول الله وما انزل اليهم من سائر
كتب الله لانهم مكلفون الايمان بجميعها فكانها انزلت اليهم وقيل هو القران لوسع الله عليهم الرزق
وكانوا قد قحطوا ونوفه لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم عبارة عن التوسعة وفيه ثلاثة اوجه ان يفيض
عليهم بركات السماء وبركات الارض وان يكثر الاشجار المثمرة والزروع المغلة وان يرزقهم
الجنان اليانعة الثمار يجتنون ما تهدل منها من رؤس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الارض من
تحت ارجلهم منهم امة مقتصدة طائفة حالها امم في عداوة رسول الله وقيل هي الطائفة المؤمنة
عبد الله بن سلام واصحابه وثمانية واربعون من النصارى وساء ما يعملون فيه معنى التعجب كانه قيل وكثير منهم
ما اسوأ عملهم وقيل هم كعب بن الاشرف واصحابه والروم بلغ ما انزل اليك جميع ما انزل اليك واي شيء انزل
اليك غير مراقب في تبليغه احدا ولا خائف ان ينالك مكروه وان لم تفعل وان لم تبلغ جميعه كما امرتك
فما بلغت رسالته وقرئ رسالاته فلم تبلغ اذن ما كلفت من اداء الرسالات ولم تؤد منها شيئا قط
وذلك ان بعضها ليس باولى بالاداء من بعض فاذا لم تؤد بعضها فكانك اغفلت اداءها جميعا كما ان
من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لادلاء كل منها بما يدليه غيرها وكونها لذلك في حكم شيء
واحد والشيء الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير مؤمن به وعن ابن عباس رضي الله عنه
ان كتمت اية لم تبلغ رسالاتي وروي عن رسول الله صلى الله عليه بعثني الله برسالاته فضقت بها
ذرعا فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت فان قلت وقوع قوله
فما بلغت رسالته جزاء للشرط ما وجه صحته قلت فيه وجهان احدهما انه اذا لم يمتثل امر الله في تبليغ
الرسالات وكتمها كلها كانه لم يبعث رسولا كان امرا شنيعا لا خفاء بشناعته فقيل ان لم تبلغ
منها ادنى شيء وان كلمة واحدة فانت كمن ركب الامر الشنيع الذي هو كتمان كلها كما عظم قتل النفس
بقوله فكانما قتل الناس جميعا والثاني ان يراد فان لم تفعل فلك ما يوجبه كتمان الوحي كله
من العقاب فوضع السبب موضع المسبب ويعضده قوله عليه السلم فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي
عذبتك والله يعصمك عدة من الله بالحفظ والكلاءة والمعنى والله يضمن لك العصمة من اعدائك فما
عذرك في مراقبتهم فان قلت اين ضمان العصمة وقد شج في وجهه يوم احد وكسرت رباعيته قلت
المراد انه يعصمه من القتل وفيه ان عليه ان يحتمل كل ما دون النفس في ذات الله فما اشد تكليف الانبياء عليهم
السلام

ان الله لا يهدي القوم الكافرين قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التورية والانجيل وما انزل اليكم من ربكم وليزيدن
كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تاس على القوم الكافرين ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من امن
بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا
كلما جاءهم رسول

وقيل نزلت بعد يوم احد والناس الكفار بدليل قوله ان الله لا يهدي القوم الكافرين ومعناه انه لا يمكنهم مما
يريدون انزاله بك من الهلاك وعن انس كان رسول الله صلى الله عليه يحرس حتى نزلت فاخرج راسه
من قبة ادم فقال انصرفوا ايها الناس فقد عصمني الله من الناس لستم على شيء اي على دين يعتد به حتى
يسمى شيئا لفساده وبطلانه كما تقول هذا ليس بشيء تريد تحقيره وتصغير شانه وفي امثالهم اقل من لا شيء
فلا تاس فلا تتاسف عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم فان ضرر ذلك راجع اليهم لا اليك وفي المؤمنين
غنى عنهم والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التاخير عما في حيز ان من اسمها
وخبرها كانه قيل ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك وانشد سيبويه شاهدا
له والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق اي فاعلموا انا بغاة وانتم كذلك فان قلت هلا زعمت
ان ارتفاعه للعطف على محل ان واسمها قلت لا يصح ذلك قبل الفراغ من الخبر لا تقول ان زيدا وعمرو منطلقان
فان قلت لم لا يصح والنية به التاخير فكانك قلت ان زيدا منطلق وعمرو قلت لاني اذا رفعته رفعته عطفا
على محل ان واسمها والعامل في محلهما هو الابتداء فيجب ان يكون هو العامل في الخبر لان الابتداء ينتظم
الجزءين في عمله كما ينتظمهما ان في عملها فلو رفعت الصابئون المنوي به التاخير بالابتداء وقد رفعت
الخبر بان لاعملت فيهما رافعين مختلفين فان قلت فقوله والصابئون معطوف لا بد له من معطوف عليه فما
هو قلت هو مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله ان الذين امنوا الى اخره ولا محل لها كما لا محل للتي عطفت
عليها فان قلت ما التقديم والتاخير الا لفائدة فما فائدة هذا التقديم قلت فائدته التنبيه على ان الصابئين
يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح فما الظن بغيرهم وذلك ان الصابئين ابين هؤلاء المعدودين
ضلالا واشدهم غيا وما سموا صابئين الا لانهم صبئوا عن الاديان كلها اي خرجوا كما ان الشاعر
قدم قوله وانتم تنبيها على ان المخاطبين اوغل في الوصف بالبغاة من قومه حيث عاجل به قبل الخبر
الذي هو بغاة لئلا يدخل قومه في البغي قبلهم مع كونهم اوغل فيه منهم واثبت قدما فان قلت فلو قيل
والصابئين وايا كان التقديم حاصلا قلت لو قيل هكذا لم يكن من التقديم في شيء لانه لا ازالة فيه عن
موضعه وانما يقال مقدم ومؤخر للمزال لا للقار في مكانه ومجرى هذه الجملة مجرى الاعتراض في
الكلام فان قلت كيف قيل الذين امنوا ثم قيل من امن قلت فيه وجهان ان يراد بالذين امنوا الذين امنوا بالسنتهم
وهم المنافقون وان يراد بمن امن من ثبت على الايمان واستقام ولم يخالجه ريبة فيه فان قلت ما محل
من امن قلت اما الرفع على الابتداء وخبره فلا خوف عليهم والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط
ثم الجملة كما هي خبر ان واما النصب على البدل من اسم ان وما عطف عليه او من المعطوف عليه فان قلت فاين الراجع
الى اسم ان قلت محذوف تقديره من امن منهم كما جاء في موضع وقرئ والصابيون بياء صريحة وهو من تخفيف
الهمزة كقراءة من قرا يستهزيون والصابون وهو من صبوت لانهم صبوا الى اتباع الهوى والشهوات
في دينهم ولم يتبعوا ادلة العقل والسمع وفي قراءة ابي والصابئين بالنصب وبها قرا ابن كثير وقرا عبد الله
يا ايها الذين امنوا والذين هادوا والصابئون لقد اخذنا ميثاقهم بالتوحيد وارسلنا اليهم رسلا ليقفوهم
على ما ياتون وما يذرون في دينهم كلما جاءهم رسول جملة شرطية وقعت صفة لرسلا والراجع

محذوف أي رسول منهم بما لا تهوى أنفسهم بما يخالف هواهم ويضاد شهواتهم من مشاق التكليف والعمل
بالشرائع فإن قلت أين جواب الشرط فإن قوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون ناب عن الجواب لأن الرسول
الواحد لا يكون فريقين ولأنه لا يحسن أن تقول إن أكرمت أخي أخاك أكرمت قلت هو محذوف يدل عليه
قوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون كأنه قيل كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه وقوله فريقا كذبوا جواب
مستأنف لقائل يقول كيف فعلوا برسلهم فإن قلت لم جيء بأحد الفعلين ماضيا وبالآخر مضارعا
قلت جيء يقتلون على حكاية الحال الماضية استفظاعا للقتل واستحضارا لتلك الحال الشنيعة
للتعجيب منها وقرئ أن لا تكون بالنصب على الظاهر وبالرفع على أن أن هي المخففة من الثقيلة أصله
أنه لا تكون فتنة فخففت أن وحذف ضمير الشأن فإن قلت كيف دخل فعل الحسبان على أن
التي للتحقيق قلت نزل حسبانهم لقوته في صدورهم منزلة العلم فإن قلت فأين مفعولا حسب
قلت سد ما يشتمل عليه صلة أن وأن من المسند والمسند إليه مسد المفعولين والمعنى وحسب بنو
إسرائيل أنهم لا يصيبهم من الله فتنة أي بلاء وعذاب في الدنيا والآخرة فعموا عن الدين وصموا حين عبدوا
العجل ثم تابوا عن عبادة العجل فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا كرة ثانية بطلبهم المحال غير المعقول
في صفات الله وهو الرؤية وقرئ عموا وصموا بالضم على تقدير عماهم الله وصمهم أي رماهم وضربهم
بالعمى والصمم كما يقال نزكته إذا ضربته بالنيزك وركبته إذا ضربته بركبتك كثير منهم
بدل من الضمير أو على قولهم أكلوني البراغيث أو هو خبر مبتدأ محذوف أي أولئك كثير منهم لم يفرق
عيسى عليه السلام بينه وبينهم في أنه عبد مربوب كمثلهم وهو احتجاج على النصارى إنه من يشرك بالله في
عبادته أو فيما هو مختص به من صفاته أو أفعاله فقد حرم الله عليه الجنة التي هي دار الموحدين أي حرمه
دخولها ومنعه منه كما يمنع المحرم من المحرم عليه وما للظالمين من أنصار من كلام الله على أنهم
ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا على عيسى فلذلك لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم ورده
وأنكره وإن كانوا معظمين له بذلك ورافعين من مقداره أو هو من قول عيسى على معنى ولا ينصركم أحد
فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده عن المعقول أو ولا ينصركم ناصر في الآخرة من عذاب
الله من في قوله وما من إله إلا إله واحد للاستغراق وهي المقدرة مع لا التي لنفي الجنس في قولك لا إله إلا
الله والمعنى وما إله قط في الوجود إلا إله موصوف بالوحدانية لا ثاني له وهو الله وحده لا شريك له ومن
في قوله ليمسن الذين كفروا منهم للبيان كالتي في قوله فاجتنبوا الرجس من الأوثان فإن قلت فهلا قيل
ليمسنهم عذاب أليم قلت في إقامة الظاهر مقام المضمر فائدة وهي تكرير الشهادة عليهم بالكفر في قوله
لقد كفر الذين قالوا وفي البيان فائدة أخرى وهي الإعلام في تفسير الذين كفروا بهم أنهم بمكان من الكفر والمعنى
ليمسن الذين كفروا من النصارى خاصة عذاب أليم أي نوع شديد الألم من العذاب كما تقول أعطني عشرين
من الثياب تريد من الثياب خاصة لا من غيرها من الأجناس التي يجوز أن يتناولها عشرون ويجوز أن تكون
للتبعيض على معنى ليمسن الذين بقوا على الكفر منهم لأن كثيرا منهم تابوا من النصرانية
أفلا يتوبون ألا يتوبون بعد هذه الشهادة المكررة عليهم بالكفر وهذا الوعيد الشديد

مما هم عليه وفيه تعجيب من إصرارهم والله غفور رحيم يغفر لهؤلاء إن تابوا ولغيرهم قد خلت من قبله
الرسل صفة لرسول أي ما هو إلا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله جاء بآيات من الله كما
أتوا بأمثالها إن أبرأ الله الأبرص وأحيا الموتى على يده فقد أحيا العصا وجعلها حية تسعى
وفلق البحر وطمس على يد موسى وإن خلقه من غير ذكر فقد خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى
وأمه صديقة أي وما أمه أيضا إلا كبعض النساء المصدقات للأنبياء المؤمنات بهم فما
منزلتهما إلا منزلة بشرين أحدهما نبي والآخر صحابي فمن أين اشتبه عليكم أمرهما حتى وصفتموهما
بما لم يوصف به سائر الأنبياء وصحابتهم مع أنه لا تمييز ولا تفاوت بينهما وبينهم بوجه من الوجوه ثم صرح
ببعدهما عما نسب إليهما في قوله كانا يأكلان الطعام لأن من احتاج إلى الاغتذاء بالطعام
وما يتبعه من الهضم والنفض لم يكن إلا جسما مركبا من عظم ولحم وعروق وأعصاب وأخلاط
وأمزجة مع شهوة وقرم وغير ذلك مما يدل على أنه مصنوع مؤلف مدبر كغيره من الأجسام
كيف نبين لهم الآيات أي الأعلام من الأدلة الظاهرة على بطلان قولهم أنى يؤفكون كيف يصرفون
عن استماع الحق وتأمله فإن قلت ما معنى التراخي في قوله ثم انظر قلت معناه ما بين العجبين يعني
أنه بين لهم الآيات بيانا عجيبا وأن إعراضهم عنها أعجب منه ما لا يملك هو عيسى أي شيئا لا يستطيع أن
يضركم بمثل ما يضركم به الله من البلايا والمصائب في الأنفس والأموال ولا أن ينفعكم بمثل ما ينفعكم به من
صحة الأبدان والسعة والخصب ولأن كل ما يستطيعه البشر من المضار والمنافع فبإقدار الله تعالى
وتمكينه فكأنه لا يملك منه شيئا وهذا دليل قاطع على أن أمره مناف للربوبية حيث جعله لا يستطيع
ضرا ولا نفعا وصفة الرب أن يكون قادرا على كل شيء لا يخرج مقدور عن قدرته والله هو السميع
العليم متعلق بأتعبدون أي أتشركون بالله ولا تخشونه وهو الذي يسمع ما تقولون ويعلم ما تعتقدون
أو أتعبدون العاجز والله هو السميع العليم الذي يصح منه أن يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم
ولن يكون كذلك إلا وهو حي قادر غير الحق صفة للمصدر أي لا تغلوا في دينكم غلوا غير الحق أي غلوا باطلا
لأن الغلو في الدين غلوان حق وهو أن يفحص عن حقائقه ويفتش عن أباعد معانيه ويجتهد
في تحصيل حججه كما يفعل المتكلمون من أهل العدل والتوحيد وغلو باطل وهو أن يتجاوز الحق
ويتخطاه بالإعراض عن الأدلة واتباع الشبه كما يفعل أهل الأهواء والبدع قد ضلوا من
قبل هم أئمتهم في النصرانية كانوا على الضلال قبل مبعث النبي صلى الله عليه وأضلوا كثيرا ممن
شايعهم على التثليث وضلوا لما بعث رسول الله عن سواء السبيل حين كذبوه وحسدوه وبغوا
عليه نزل الله لعنهم في الزبور على لسان داود وفي الإنجيل على لسان عيسى وقيل إن أهل أيلة لما اعتدوا
في السبت قال داود اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة ولما كفر أصحاب عيسى بعد المائدة قال عيسى
اللهم عذب من كفر بعدما أكل من المائدة عذابا لم تعذبه أحدا من العالمين والعنهم كما لعنت أصحاب السبت
فأصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امرأة ولا صبي ذلك بما عصوا أي لم يكن ذلك اللعن

كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم
وفي العذاب هم خالدون ولو كانوا يومنون بالله والنبي وما انزل اليه ما اتخذوهم اوليا ولكن كثيرا منهم فاسقون لتجدن اشد
الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين
ورهبانا وانهم لا يستكبرون

الشنيع الذي كان سبب المسخ لاجل المعصية والاعتدا لا لشي اخر ثم فسر المعصية والاعتدا بقوله
كانوا لا يتناهون عن منكر لا ينهى بعضهم بعضا عن منكر فعلوه ثم قال لبيس ما كانوا يفعلون
للتعجيب من سو فعلهم موكدا لذلك بالقسم فيا حسرة على المسلمين في اعراضهم عن باب التناهي
عن المناكير وقلة عبيهم به كانه ليس من ملة الاسلام في شي مع ما يتلون من كلام الله وما
فيه من المبالغات في هذا الباب فان قلت كيف وقع ترك التناهي عن المنكر تفسيرا للمعصية
والاعتدا قلت من قبل ان الله عز وجل امر بالتناهي فكان الاخلال به معصية وهو اعتدا
لان في التناهي حسما للفساد فكان تركه على عكسه فان قلت ما معنى وصف المنكر بفعلوه ولا
يكون النهي بعد الفعل قلت معناه لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه
او عن منكر ارادوا فعله كما ترى امارات الخوض في الفسق والاته تسوى وتهيا فتنكر
ويجوز ان يراد لا ينتهون ولا يمتنعون عن منكر فعلوه بل يصرون عليه ويداومون على فعله
يقال تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع منه وتركه ترى كثيرا منهم منافقوا اهل الكتاب كانوا
يوالون المشركين ويصافونهم ان سخط الله عليهم هو المخصوص بالذم ومحله الرفع كانه قيل لبيس
زادهم الى الاخرة سخط الله عليهم والمعنى موجب سخط الله ولو كانوا يومنون بالله ايمانا
خالصا غير نفاق ما اتخذوا المشركين اوليا يعني ان موالاة المشركين كفى بها دليلا على نفاقهم
وان ايمانهم ليس بايمان ولكن كثيرا منهم فاسقون متمردون في كفرهم ونفاقهم وقيل معناه
ولو كانوا يومنون بالله وموسى كما يدعون ما اتخذوا المشركين اوليا كما لم يوالهم المسلمون وصف
الله شدة شكيمة اليهود وصعوبة اجابتهم الى الحق ولين عريكة النصارى وسهولة ارعوايهم وميلهم الى
الاسلام وجعل اليهود قرنا المشركين في شدة العداوة للمومنين بل نبه على تقدم قدمهم فيها بتقديمهم على الذين
اشركوا وكذلك فعل في قوله ولتجدنهم احرص الناس على حيوة ومن الذين اشركوا ولعمري انهم لكذلك واشد وعن
النبي عليه السلام ما خلا يهوديان بمسلم الا هما بقتله وعلل سهولة ماخذ النصارى وقرب مودتهم للمومنين بان منهم
قسيسين ورهبانا اي علما وعبادا وانهم قوم فيهم تواضع واستكانة ولا كبر فيهم واليهود على خلاف ذلك
وفيه دليل بين على ان العلم انفع شي واهداه الى الخير وادله على الفوز حتى علم القسيسين وكذلك غم الاخرة والتحدث
بالعاقبة وان كان في راهب والبراة من الكبر وان كانت في نصراني ووصفهم برقة القلوب وانهم
يبكون عند استماع القران وذلك نحو ما يحكى عن النجاشي انه قال لجعفر بن ابي طالب حين اجتمع
في مجلسه المهاجرون الى الحبشة والمشركون وهم يغرونه عليهم ويتطلبون عنتهم عنده
هل في كتابكم ذكر مريم قال جعفر فيه سورة تنسب اليها فقراها الى قوله ذلك عيسى بن مريم وقرا سورة
طه الى قوله هل اتاك حديث موسى فبكى النجاشي وكذلك فعل قومه الذين وفدوا على رسول الله وهم
سبعون رجلا حين قرا عليهم رسول الله عليه السلام سورة يس فبكوا فان قلت بم تعلقت اللام في قوله للذين امنوا
قلت بعداوة ومودة على ان عداوة اليهود التي اختصت المومنين اشد العداوات واظهرها وان مودة النصارى

واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا امنا فاكتبنا مع الشاهدين وما لنا لا نومن
بالله وما جانا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فاثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك
جزا المحسنين والذين كفروا وكذبوا باياتنا اوليك اصحاب الجحيم يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم

التي اختصت المومنين اقرب المودات وادناها وجودا واسهلها حصولا ووصف اليهود بالعداوة
والنصارى بالمودة مما يوذن بالتفاوت بينهم ووصف العداوة والمودة بالاشد والاقرب فان قلت ما
معنى قوله تفيض من الدمع قلت معناه تمتلي من الدمع حتى تفيض لان الفيض ان يمتلي الانا او غيره حتى
يطلع ما فيه من جوانبه فوضع الفيض الذي هو من الامتلا موضع الامتلا وهو من اقامة المسبب مقام
السبب او قصدت المبالغة في وصفهم بالبكا فجعلت اعينهم كانها تفيض بانفسها اي تسيل من الدمع
من اجل البكا من قولك دمعت عينه دمعا فان قلت اي فرق بين من ومن في قوله مما عرفوا من الحق قلت
الاولى لابتدا الغاية على ان فيض الدمع ابتدا ونشا من معرفة الحق وكان من اجله وبسببه
والثانية لتبيين الموصول الذي هو ما عرفوا وتحتمل معنى التبعيض على انهم عرفوا بعض الحق
فابكاهم وبلغ منهم فكيف اذا عرفوه كله وقروا القران واحاطوا بالسنة وقرى ترى
اعينهم على البنا للمفعول ربنا امنا المراد به انشا الايمان والدخول فيه فاكتبنا مع الشاهدين
مع امة محمد الذين هم شهدا على ساير الامم يوم القيامة لتكونوا شهدا على الناس وقالوا ذلك لانهم
وجدوا ذكرهم في الانجيل كذلك وما لنا لا نومن انكار واستبعاد لانتفا الايمان مع قيام موجبه
وهو الطمع في انعام الله عليهم بصحبة الصالحين وقيل لما رجعوا الى قومهم لاموهم فاجابوهم
بذلك اي ارادوا وما لنا لا نومن بالله وحده لانهم كانوا مثلثين وذلك ليس بايمان بالله ومحل لا نومن
النصب على الحال بمعنى غير مومنين كقولك ما لك قايما والواو في ونطمع واو الحال فان قلت
ما العامل في الحال الاولى والثانية قلت العامل في الاولى ما في اللام من معنى الفعل كانه قيل اي شي حصل لنا
غير مومنين وفي الثانية معنى هذا الفعل ولكن مقيدا بالحال الاولى لانك لو ازلتها وقلت وما لنا ونطمع لم
يكن كلاما ويجوز ان يكون ونطمع حالا من لا نومن على انهم انكروا على انفسهم انهم لا يوحدون الله ويطمعون
مع ذلك ان يصحبوا الصالحين وان يكون معطوفا على لا نومن على معنى وما لنا نجمع بين التثليث وبين
الطمع في صحبة الصالحين او على معنى وما لنا لا نجمع بينهما بالدخول في الاسلام لان الكافر ما ينبغي له ان يطمع
في صحبة الصالحين وقرى فاتاهم الله بما قالوا بما تكلموا به عن اعتقاد واخلاص من قولك هذا قول
فلان اي اعتقاده وما يذهب اليه طيبات ما احل الله لكم ما طاب ولذ من الحلال ومعنى لا تحرموا لا تمنعوها
انفسكم كمنع التحريم او لا تقولوا حرمناها على انفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وصف القيامة لاصحابه يوما فبالغ واشبع الكلام في الانذار فرقوا واجتمعوا
في بيت عثمن بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صايمين قايمين وان لا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك
ولا يقربوا النسا والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ
رسول الله فقال لهم اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم
وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم واتي النسا فمن رغب عن سنتي فليس مني ونزلت وروي ان رسول
الله صلى الله عليه كان ياكل الدجاج والفالوذ وكان يعجبه الحلوا والعسل وقال ان المومن حلو يحب

ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو
في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم

الحلاوة وعن ابن مسعود أن رجلا قال له إني حرمت الفراش فتلا هذه الآية وقال نم على فراشك
وكفر عن يمينك وعن الحسن أنه دعي إلى الطعام ومعه فرقد السبخي وأصحابه فقعدوا
على المائدة وعليها الألوان من الدجاج المسمن والفالوذ وغير ذلك فاعتزل فرقد ناحية
فسأل الحسن أهو صائم قالوا لا ولكنه يكره هذه الألوان فأقبل الحسن عليه وقال يا فريقد أترى
لعاب النحل بلباب البر بخالص السمن يعيبه مسلم وعنه أنه قيل له فلان لا يأكل الفالوذ
ويقول لا أؤدي شكره قال أفيشرب الماء البارد قالوا نعم قال إنه جاهل إن نعمة الله عليه في الماء
البارد أكثر من نعمته عليه في الفالوذ وعنه إن الله تعالى أدب عباده فأحسن أدبهم قال
لينفق ذو سعة من سعته ما عاب الله قوما وسع عليهم الدنيا فتنعموا وأطاعوا ولا عذر قوما
زواها عنهم فعصوا ولا تعتدوا ولا تتعدوا حدود ما أحل لكم إلى ما حرم عليكم أو ولا تسرفوا
في تناول الطيبات أو جعل تحريم الطيبات اعتداء وظلما فنهى عن الاعتداء ليدخل تحته النهي عن تحريمها
دخولا أوليا لوروده على عقبه أو أراد ولا تعتدوا بذلك وكلوا مما رزقكم الله أي من الوجوه الطيبة
التي تسمى رزقا حلالا حال مما رزقكم الله واتقوا الله تأكيد للتوصية بما أمر به وزاده تأكيدا بقوله الذي أنتم
به مؤمنون لأن الإيمان به يوجب التقوى في الانتهاء إلى ما أمر به وعما نهى عنه اللغو الساقط الذي
لا يتعلق به حكم واختلف فيه فعن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت عنه فقالت هو قول الرجل لا والله وبلى والله وهو
مذهب الشافعي وعن مجاهد هو الرجل يحلف على الشيء يرى أنه كذلك وليس كما ظن وهو قول أبي حنيفة رحمه الله
بما عقدتم الأيمان بتعقيدكم الأيمان وهو توثيقها بالقصد والنية وروي أن الحسن سئل عن لغو اليمين وكان
عنده الفرزدق فقال يا أبا سعيد دعني أجب عنك فقال ولست بمأخوذ بلغو تقوله إذا لم تعمد عاقدات العزائم
وقرئ عقدتم بالتخفيف وعاقدتم والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم إذا حنثتم فحذف وقت
المؤاخذة لأنه كان معلوما عندهم أو بنكث ما عقدتم فحذف المضاف فكفارته فكفارة نكثه والكفارة
الفعلة التي من شأنها أن تكفر الخطيئة أي تسترها من أوسط ما تطعمون من أقصده لأن منهم من
يسرف في إطعام أهله ومنهم من يقتر وهو عند أبي حنيفة رحمه الله نصف صاع من بر أو صاع من
غيره لكل مسكين أو يغديهم ويعشيهم وعند الشافعي مد لكل مسكين وقرأ جعفر بن محمد أهاليكم بسكون
الياء والأهالي اسم جمع لأهل كالليالي في جمع ليلة والأراضي في جمع أرض وقولهم أهلون كقولهم
أرضون بسكون الراء وأما تسكين الياء في حال النصب فللتخفيف كما قالوا رأيت معد يكرب شبهها بالياء
بالألف أو كسوتهم عطف على محل من أوسط وقرئ بضم الكاف ونحوه قدوة في قدوة وأسوة في
أسوة والكسوة ثوب يغطي العورة وعن ابن عباس كانت العباءة تجزئ يومئذ وعن ابن عمر
إزار أو قميص أو رداء أو كساء وعن مجاهد ثوب جامع وعن الحسن ثوبان أبيضان وقرأ سعيد بن
المسيب واليماني أو كأسوتهم بمعنى أو مثل ما تطعمون أهليكم إسرافا كان أو تقتيرا لا تنقصونهم
عن مقدار نفقتهم ولكن تواسون بينهم وبينهم فإن قلت ما محل الكاف قلت الرفع تقديره أو طعامهم كإسوتهم

أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون يا أيها الذين آمنوا
إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء
في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة فهل أنتم منتهون وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا

كأسوتهم بمعنى كمثل طعامهم إن لم تطعموهم الأوسط أو تحرير رقبة شرط الشافعي الإيمان قياسا
على كفارة القتل وأما أبو حنيفة وأصحابه رحمهم الله فقد جوزوا تحرير الرقبة الكافرة في كل كفارة سوى
القتل فإن قلت ما معنى أو قلت التخيير وإيجاب إحدى الكفارات الثلاث على الإطلاق بأيتها أخذ
المكفر فقد أصاب فمن لم يجد إحداها فصيام ثلاثة أيام متتابعات عند أبي حنيفة تمسكا بقراءة أبي
وابن مسعود رضي الله عنهما فصيام ثلاثة أيام متتابعات وعن مجاهد كل صوم متتابع إلا قضاء
رمضان ويخير في كفارة اليمين ذلك المذكور كفارة أيمانكم ولو قيل تلك كفارة أيمانكم
لكان صحيحا بمعنى تلك الأشياء أو لتأنيث الكفارة والمعنى إذا حلفتم وحنثتم فترك ذكر
الحنث لوقوع العلم بأن الكفارة إنما تجب بالحنث في الحلف لا بنفس الحلف والتكفير قبل الحنث
لا يجوز عند أبي حنيفة وأصحابه ويجوز عند الشافعي بالمال إذا لم يعص الحانث واحفظوا أيمانكم
فبروا فيها ولا تحنثوا أراد الأيمان التي الحنث فيها معصية لأن الأيمان اسم جنس يجوز إطلاقه على بعض
الجنس وعلى كله وقيل احفظوها بأن تكفروها وقيل احفظوها كيف حلفتم بها ولا تنسوها
تهاونا بها كذلك مثل ذلك البيان يبين الله لكم آياته أعلام شريعته وأحكامه لعلكم تشكرون
نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج منه أكد تحريم الخمر والميسر وجوها
من التأكيد منها تصدير الجملة بإنما ومنها أنه قرنهما بعبادة الأصنام ومنه قوله
عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن ومنها أنه جعلهما رجسا كما قال فاجتنبوا الرجس من الأوثان ومنها
أنه جعلهما من عمل الشيطان والشيطان لا يأتي منه إلا الشر البحت ومنها أنه أمر بالاجتناب
ومنها أنه جعل الاجتناب من الفلاح وإذا كان الاجتناب فلاحا كان الارتكاب خيبة ومحقة
ومنها أنه ذكر ما ينتج منهما من الوبال وهو وقوع التعادي والتباغض من أصحاب الخمر
والقمر وما يؤديان إليه من الصد عن ذكر الله وعن مراعاة أوقات الصلوة وقوله فهل أنتم
منتهون من أبلغ ما ينهى به كأنه قيل قد تلي عليكم ما فيهما من أنواع الصوارف والموانع فهل أنتم
مع هذه الصوارف والموانع منتهون أم أنتم على ما كنتم عليه كأن لم توعظوا ولم تزجروا
فإن قلت إلام يرجع الضمير في قوله فاجتنبوه قلت إلى المضاف المحذوف كأنه قيل إنما شأن
الخمر والميسر أو تعاطيهما أو ما أشبه ذلك ولذلك قال رجس من عمل الشيطان فإن قلت
لم جمع الخمر والميسر مع الأنصاب والأزلام أولا ثم أفردهما آخرا قلت لأن الخطاب مع المؤمنين
وإنما نهاهم عما كانوا يتعاطونه من شرب الخمر واللعب بالميسر وذكر الأنصاب والأزلام
لتأكيد تحريم الخمر والميسر وإظهار أن ذلك جميعا من أعمال الجاهلية وأهل الشرك فوجب
اجتنابه بأسره وكأنه لا مباينة بين من عبد صنما وأشرك بالله في علم الغيب وبين من شرب
خمرا أو قامر ثم أفردهما بالذكر ليرى أن المقصود بالذكر الخمر والميسر وقوله وعن
الصلوة اختصاص للصلوة من بين الذكر كأنه قيل وعن الصلوة خصوصا واحذروا وكونوا حذرين

فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وامنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم

خاشين لانهم اذا حذروا دعاهم الحذر الى اتقاء كل سيئة وعمل كل حسنة ويجوز ان يراد واحذروا ما عليكم في الخمر والميسر او في ترك طاعة الله والرسول فان توليتم فاعلموا انكم لم تضروا بتوليكم الرسول لان الرسول ما كلف الا البلاغ المبين بالايات وانما ضررتم انفسكم حين اعرضتم عما كلفتم رفع الجناح عن المؤمنين في اي شيء طعموه من مستلذات المطاعم ومشتهياتها اذا ما اتقوا ما حرم عليهم منها وامنوا وثبتوا على الايمان والعمل الصالح وازدادوه ثم اتقوا وامنوا ثم ثبتوا على التقوى والايمان ثم اتقوا واحسنوا ثم ثبتوا على اتقاء المعاصي واحسنوا اعمالهم او احسنوا الى الناس واسوهم بما رزقهم الله من الطيبات وقيل لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر وياكلون مال الميسر فنزلت يعني ان المؤمنين لا جناح عليهم في اي شيء طعموه من المباحات اذا ما اتقوا المحارم ثم اتقوا وامنوا ثم اتقوا واحسنوا على معنى ان اولئك كانوا على هذه الصفة ثناء عليهم وحمدا لاحوالهم في الايمان والتقوى والاحسان ومثاله ان يقال لك هل على زيد فيما فعل جناح وقد علمت ان ذلك امر مباح فتقول ليس على احد جناح في المباح اذا اتقى المحارم وكان مؤمنا محسنا تريد ان زيدا تقي مؤمن محسن وانه غير مؤاخذ بما فعل نزل عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وهم محرمون وكثر عندهم حتى كان يغشاهم في رحالهم فيستمكنون من صيده اخذا بايديهم وطعنا برماحهم ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز من يخاف عقاب الله وهو غائب منتظر في الاخرة فيتقي الصيد ممن لا يخافه فيقدم عليه فمن اعتدى فصاد بعد ذلك الابتلاء فله عذاب اليم فان قلت ما معنى التقليل والتصغير في قوله بشيء من الصيد قلت قلل وصغر ليعلم انه ليس بفتنة من الفتن العظام التي تدحض عندها اقدام الثابتين كالابتلاء ببذل الارواح والاموال وانما هو شبيه بما ابتلي به اهل ايلة من صيد السمك وانهم اذا لم يثبتوا عنده فكيف شأنهم عند ما هو اشد منه وقرأ ابراهيم يناله بالياء حرم محرمون جمع حرام كردح في جمع رداح متعمدا ذاكرا لاحرامه او هو عالم ان ما يقتله مما يحرم عليه قتله فان قتله وهو ناس لاحرامه او رمى صيدا وهو يظن انه ليس بصيد فاذا هو صيد او قصد برميه غير صيد فعدل السهم عن رميته فاصاب صيدا فهو مخطئ فان قلت محظورات الاحرام يستوي فيها العمد والخطأ فما بال التعمد مشروطا في الاية قلت لان مورد الاية فيمن تعمد فقد روي انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فحمل عليه ابو اليسر فطعنه برمحه فقتله فقيل له انك قتلت الصيد وانت محرم فنزلت ولان الاصل فعل المتعمد والخطأ لاحق به للتغليظ ويدل عليه قوله ليذوق وبال امره ومن عاد فينتقم الله منه وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ وعن سعيد بن جبير لا ارى في الخطأ شيئا اخذا باشتراط العمد في الاية وعن الحسن روايتان فجزاء مثل ما قتل برفع جزاء ومثل جميعا بمعنى فعليه جزاء يماثل ما قتل من الصيد وهو عند ابي حنيفة قيمة المصيد يقوم حيث صيد فان بلغت قيمته ثمن هدي خير بين ان يهدي من النعم ما قيمته قيمة الصيد وبين ان يشتري بقيمته طعاما فيعطي كل مسكين

يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما ليذوق وبال امره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه

نصف صاع من بر او صاعا من غيره وان شاء صام عن طعام كل مسكين يوما فان فضل ما لا يبلغ طعام مسكين صام عنه يوما او تصدق به وعند محمد والشافعي مثله نظيره من النعم فان لم يوجد له نظير من النعم عدل الى قول ابي حنيفة فان قلت فما يصنع من يفسر المثل بالقيمة بقوله من النعم وهو تفسير للمثل وبقوله هديا بالغ الكعبة قلت قد خير من اوجب القيمة بين ان يشتري بها هديا او طعاما او يصوم كما خير الله تعالى في الاية فكان قوله من النعم بيانا للهدي المشترى بالقيمة في احد وجوه التخيير لان من قوم الصيد واشترى بالقيمة هديا فاهداه فقد جزى بمثل ما قتل من النعم على ان التخيير الذي في الاية بين ان يجزي بالهدي او يكفر باطعام او الصوم انما يستقيم استقامة ظاهرة بغير تعسف اذا قوم ونظر بعد التقويم اي الثلاثة يختار فاما اذا عمد الى النظير وجعله الواجب وحده من غير تخيير فاذا كان شيئا لا نظير له قوم حينئذ ثم يخير بين الطعام والصوم ففيه نبو عما في الاية الا ترى الى قوله او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما كيف خير بين الاشياء الثلاثة ولا سبيل الى ذلك الا بالتقويم وقرأ عبد الله فجزاؤه مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل على الاضافة واصله فجزاء مثل ما قتل بنصب مثل بمعنى فعليه ان يجزي مثل ما قتل ثم اضيف كما تقول عجبت من ضرب زيدا ثم من ضرب زيد وقرأ السلمي على الاصل وقرأ محمد بن مقاتل فجزاء مثل ما قتل بنصبهما بمعنى فليجز جزاء مثل ما قتل وقرأ الحسن من النعم بسكون العين استثقل الحركة على حرف الحلق فسكنه يحكم به بمثل ما قتل ذوا عدل منكم حكمان عادلان من المسلمين قالوا وفيه دليل على ان المثل القيمة لان التقويم مما يحتاج الى النظر والاجتهاد دون الاشياء المشاهدة وعن قبيصة انه اصاب ظبيا وهو محرم فسأل عمر فشاور عبد الرحمن بن عوف ثم امره بذبح شاة فقال قبيصة لصاحبه والله ما علم امير المؤمنين حتى سأل غيره فاقبل عليه ضربا بالدرة وقال اتغمص الفتيا وتقتل الصيد وانت محرم قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم فانا عمر وهذا عبد الرحمن وقرأ محمد بن جعفر ذو عدل منكم اراد يحكم به من يعدل منكم ولم يرد الوحدة وقيل اراد الامام هديا حال عن جزاء فيمن وصفه بمثل لان الصفة خصصته فقربته من المعرفة او بدل عن مثل فيمن نصبه او عن محله فيمن جره ويجوز ان ينتصب حالا عن الضمير في به ووصف هديا ببالغ الكعبة لان اضافته غير حقيقية ومعنى بلوغه الكعبة ان يذبح بالحرم فاما التصدق به فحيث شئت عند ابي حنيفة وعند الشافعي رحمه الله في الحرم فان قلت بم يرفع كفارة من ينصب جزاء قلت يجعلها خبر مبتدأ محذوف كانه قيل او الواجب عليه كفارة او يقدر فعليه ان يجزي جزاء او كفارة فيعطفها على ان يجزي وقرئ او كفارة طعام مساكين على الاضافة وهذه الاضافة مبينة كانه قيل او كفارة من طعام مساكين كقولك خاتم فضة بمعنى خاتم من فضة وقرأ الاعرج او كفارة طعام مسكين وانما وحد لانه واقع موقع التبيين فاكتفى بالواحد الدال على الجنس وقرئ او عدل ذلك بكسر العين

والله عزيز ذو انتقام احل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذي اليه تحشرون جعل الله الكعبة البيت الحرام

والفرق بينهما ان عدل الشي ما عادله من غير جنسه كالصوم والاطعام وعدله ما عدل به في المقدار ومنه عدلا الحمل لان كل واحد منهما عدل بالاخر حتى اعتدلا كان المفتوح تسمية بالمصدر والمكسور بمعنى المفعول به كالذبح ونحوه ونحوهما الحمل والحمل وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل كقولك لي مثله رجلا والخيار في ذلك الى قاتل الصيد عند ابي حنيفة وابي يوسف وعند محمد رحمهم الله الى الحكمين ليذوق متعلق بقوله فجزاء اي فعليه ان يجازي او يكفر ليذوق سوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام والوبال المكروه والضرر الذي ينال في العاقبة من عمل سوء لثقله عليه من قوله تعالى فاخذناه اخذا وبيلا ثقيلا والطعام الوبيل الثقيل الذي يثقل على المعدة فلا يستمرا عفا الله عما سلف لكم من الصيد في حال الاحرام قبل ان راجعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسالوه عن جوازه وقيل عما سلف لكم في الجاهلية منه لانهم كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم وكان الصيد فيها محرما ومن عاد الى قتل الصيد وهو محرم بعد نزول النهي فينتقم الله منه فينتقم خبر مبتدا محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه ولذلك دخلت الفاء ونحوه فمن يؤمن بربه فلا يخاف يعني ينتقم منه في الاخرة واختلف في وجوب الكفارة على العائد فعن عطا وابراهيم وسعيد بن جبير والحسن وجوبها وعليه عامة العلما وعن ابن عباس وشريح انه لا كفارة عليه تعلقا بالظاهر وانه لم يذكر الكفارة صيد البحر مصيدات البحر مما يوكل ومما لا يوكل وطعامه وما يطعم من صيده والمعنى احلت لكم الانتفاع بجميع ما يصاد في البحر واحل لكم اكل الماكول منه وهو السمك وحده عند ابي حنيفة وعند ابن ابي ليلى جميع ما يصاد فيه على ان تفسيره عنده احل لكم صيد حيوان البحر وان تطعموه متاعا لكم مفعول له اي احل لكم تمتيعا لكم وهو في المفعول له بمنزلة قوله تعالى وهبنا له اسحق ويعقوب نافلة في باب الحال لان قوله متاعا لكم مفعول له مختص بالطعام كما ان نافلة حال مختصة بيعقوب يعني احل لكم طعامه تمتيعا لتنائكم ياكلونه طريا ولسيارتكم يتزودونه قديدا كما تزود موسى عليه السلام الحوت في مسيره الى الخضر وقرى وطعمه وصيد البر ما صيد فيه وهو ما يفرخ فيه وان كان يعيش في الماء في بعض الاوقات كطير الماء عند ابي حنيفة واختلف فيه فمنهم من حرم على المحرم كل شي يقع عليه اسم الصيد وهو قول عمر وابن عباس وعن ابي هريرة وعطا ومجاهد وسعيد بن جبير انهم اجازوا للمحرم اكل ما صاده الحلال وان صاده لاجله اذا لم يدل ولم يشر وكذلك ما ذبحه قبل احرامه وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه وعند مالك والشافعي واحمد رحمهم الله لا يباح له ما صيد لاجله فان قلت ما يصنع ابو حنيفة بعموم قوله صيد البر قلت قد اخذ ابو حنيفة رضي الله عنه بالمفهوم من قوله وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما لان ظاهره انه صيد المحرمين دون صيد غيرهم لانهم هم المخاطبون وكانه قيل وحرم عليكم ما صدتم في البر فيخرج منه مصيد غيرهم ومصيدهم حين كانوا غير محرمين ويدل عليه قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم وقرا ابن عباس وحرم عليكم صيد البر اي الله عز وجل وقرى ما دمتم بكسر الدال فيمن يقول دام يدام البيت الحرام

قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض وان الله بكل شي عليم اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم ما على الرسول الا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا اولي الالباب لعلكم تفلحون يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسالوا عنها حين ينزل القران تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم قد سالها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين

الحرام عطف بيان على جهة المدح لا على جهة التوضيح كما تجي الصفة كذلك قياما للناس انتعاشا لهم في امر دينهم ودنياهم ونهوضا الى اغراضهم ومقاصدهم في معاشهم ومعادهم لما يتم لهم من امر حجهم وعمرتهم وتجارتهم وانواع منافعهم وعن عطا بن ابي رباح لو تركوه عاما واحدا لم ينظروا ولم يوخروا والشهر الحرام الشهر الذي يودى فيه الحج وهو ذو الحجة لان لاختصاصه من بين الاشهر باقامة موسم الحج فيه شانا قد عرفه الله وقيل عنى به جنس الاشهر الحرم والهدي والقلائد والمقلد منه خصوصا وهو البدن لان الثواب فيه اكثر وبهاء الحج معه اظهر ذلك اشارة الى جعل الكعبة قياما للناس او الى ما ذكر من حفظ حرمة الاحرام بترك الصيد وغيره لتعلموا ان الله يعلم كل شي وهو عالم بما يصلحكم وينعشكم مما امركم به وكلفكم شديد العقاب لمن انتهك محارمه غفور رحيم لمن حافظ عليها ما على الرسول الا البلاغ تشديد في ايجاب القيام بما امر به وان الرسول قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم في التفريط البون بين الطيب والخبيث بعيد عند الله وان كان قريبا عندكم فلا تعجبوا بكثرة الخبيث حتى تؤثروه لكثرته على الطيب القليل فان ما تتوهمونه في الكثرة من الفضل لا يوازي النقصان في الخبيث وفوات الطيب وهو عام في حلال المال وحرامه وصالح العمل وطالحه وصحيح المذاهب وفاسدها وجيد الناس ورديهم فاتقوا الله وآثروا الطيب وان قل على الخبيث وان كثر ومن حق هذه الاية ان تكفح بها وجوه المجبرة اذا افتخروا بالكثرة كما قيل

كاثر بسعد ان سعدا كثيرة ... ولا ترج من سعد وفاء ولا نصرا

لا يدهمنك من دهمائهم عدد ... فان جلهم بل كلهم بقر

وقيل نزلت في حجاج اليمامة حين اراد المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عن الايقاع بهم وان كانوا مشركين الجملة الشرطية والمعطوفة عليها اعني قوله ان تبد لكم تسؤكم وان تسالوا عنها حين ينزل القران تبد لكم صفة للاشياء والمعنى لا تكثروا مسالة رسول الله حتى تسالوه عن تكاليف شاقة عليكم ان افتاكم بها وكلفكم اياها تغمكم وتشق عليكم وتندموا على السوال عنها وذلك نحو ما روي ان سراقة بن مالك او عكاشة بن محصن قال يا رسول الله الحج علينا كل عام فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اعاد مسالته ثلث مرات فقال عليه السلام ويحك ما يومنك ان اقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سوالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم بامر فخذوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شي فاجتنبوه وان تسالوا عنها حين ينزل القران وان تسالوا عن هذه التكاليف الصعبة في زمان الوحي وهو ما دام الرسول بين اظهركم يوحى اليه تبد لكم تلك التكاليف التي تسؤكم وتومروا بتحملها فتعرضوا انفسكم لغضب الله بالتفريط فيها عفا الله عنها عفا الله عما سلف من مسالتكم فلا تعودوا الى مثلها والله غفور حليم لا يعاجلكم فيما تفرط منكم بعقوبته فان قلت كيف قال لا تسالوا عن اشياء ثم قال قد سالها ولم يقل قد سال عنها قلت الضمير في سالها ليس براجع الى اشيا حتى يجب تعديته بعن وانما هو راجع الى المسالة التي دل عليها لا تسالوا يعني قد سال هذه المسالة قوم من الاولين ثم اصبحوا بها اي بمرجوعها او بسببها كافرين وذلك ان بني اسرائيل كانوا يستفتون انبياءهم عن اشيا فاذا امروا

ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا اولو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل

كان اهل الجاهلية اذا نتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وحرموا ركوبها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى واذا لقيها المعيي لم يركبها واسمها البحيرة وكان يقول الرجل اذا قدمت من سفري او برئت من مرضي فناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وقيل كان الرجل اذا اعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم فان ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم واذا نتجت من صلب الفحل عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى ومعنى ما جعل ما شرع ذلك ولا امر بالتبحير والتسييب وغير ذلك ولكنهم بتحريمهم ما حرموا يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون فلا ينسبون التحريم الى الله حتى يفتروا ولكنهم يقلدون في تحريمها كبارهم الواو في قوله اولو كان اباؤهم واو الحال قد دخلت عليها همزة الانكار وتقديره احسبهم ذلك ولو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون والمعنى ان الاقتداء انما يصح بالعالم المهتدي وانما يعرف اهتداؤه بالحجة وكان المؤمنون تذهب انفسهم حسرة على اهل العتو والعناد من الكفرة يتمنون دخولهم في الاسلام فقيل لهم عليكم انفسكم وما كلفتم من اصلاحها والمشي بها في طرق الهدى لا يضركم الضلال عن دينكم اذا كنتم مهتدين كما قال عز وجل لنبيه فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وكذلك من يتأسف على ما فيه الفسقة من الفجور والمعاصي ولا يزال يذكر معايبهم ومناكيرهم فهو مخاطب به وليس المراد ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان من تركهما مع القدرة عليهما فليس بمهتد وانما هو بعض الضلال الذين فصلت الآية بينهم وبينه وعن ابن مسعود انها قرئت عنده فقال ان هذا ليس بزمانها انها اليوم مقبولة ولكن يوشك ان يأتي زمان تأمرون فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم انفسكم فهي على هذا تسلية لمن يأمر وينهى فلا يقبل منه وبسط لعذره وعنه ليس هذا زمان تأويلها قيل فمتى قال اذا جعل دونها السيف والسوط والسجن وعن ابي ثعلبة الخشني انه سئل عن ذلك فقال للسائل سألت عنها خبيرا سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك ودع امر العوام وان من ورائكم اياما الصبر فيهن كقبض على الجمر للعامل منهم مثل اجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت اباك ولاموه فنزلت عليكم انفسكم من اسماء الفعل بمعنى الزموا اصلاح انفسكم فلذلك جزم جوابه وعن نافع عليكم انفسكم بالرفع وقرئ لا يضركم وفيه وجهان ان يكون خبرا مرفوعا وتنصره قراءة ابي حيوة لا يضيركم وان يكون جوابا للامر مجزوما وانما ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة والاصل لا يضرركم ويجوز ان يكون نهيا ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره ارتفع اثنان على انه خبر للمبتدأ الذي هو شهادة بينكم على تقدير شهادة بينكم شهادة اثنين او على انه فاعل شهادة بينكم على معنى فيما فرض عليكم ان يشهد

منكم او آخران من غيركم ان انتم ضربتم في الارض فاصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلوة فيقسمان بالله ان ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الآثمين

اثنان وقرأ الشعبي شهادةٌ بينكم بالتنوين وقرأ الحسن شهادةً بالنصب والتنوين على ليقم شهادةً اثنان واذا حضر ظرف للشهادة وحين الوصية بدل منه وفي ابداله منه دليل على وجوب الوصية وانها من الامور اللازمة التي ما ينبغي ان يتهاون بها المسلم ويذهل عنها وحضور الموت مشارفته وظهور امارات بلوغ الاجل منكم من اقاربكم من غيركم من الاجانب ان انتم ضربتم في الارض يعني ان وقع الموت في السفر ولم يكن معكم احد من عشيرتكم فاستشهدوا اجنبيين على الوصية وجعل الاقارب اولى لانهم اعلم باحوال الميت وبما هو اصلح وهم له انصح وقيل منكم من المسلمين ومن غيركم من اهل الذمة وقيل هو منسوخ لا يجوز شهادة الذمي على المسلم وانما جازت في اول الاسلام لقلة المسلمين وتعذر وجودهم في حال السفر وعن مكحول نسخها قوله واشهدوا ذوي عدل منكم وروي انه خرج بديل بن ابي مريم مولى عمرو بن العاص وكان من المهاجرين مع عدي بن زيد وتميم بن اوس وكانا نصرانيين تجارا الى الشام فمرض بديل وكتب كتابا فيه ما معه وطرحه في متاعه ولم يخبر به صاحبيه وامرهما ان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشا متاعه فاخذا اناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فاصاب اهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فرفعوهما الى رسول الله فنزلت تحبسونهما تقفونهما وتصبرونهما للحلف من بعد الصلوة من بعد صلوة العصر لانه وقت اجتماع الناس وعن الحسن بعد العصر او الظهر لان اهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما وفي حديث بديل انها لما نزلت صلى رسول الله صلوة العصر ودعا بعدي وتميم فاستحلفهما عند المنبر فحلفا ثم وجد الاناء بمكة فقالوا انا اشتريناه من تميم وعدي وقيل هي صلوة اهل الذمة وهم يعظمون صلوة العصر ان ارتبتم اعتراض بين القسم والمقسم عليه والمعنى ان ارتبتم في شأنهما واتهمتموهما فحلفوهما وقيل ان اريد بهما الشاهدان فقد نسخ تحليف الشاهدين وان اريد الوصيان فليس بمنسوخ تحليفهما وعن علي رضي الله عنه انه كان يحلف الشاهد والراوي اذا اتهمهما والضمير في به للقسم وفي كان للمقسم له يعني لا نستبدل بصحة القسم بالله عرضا من الدنيا اي لا نحلف بالله كاذبين لاجل المال ولو كان من نقسم له قريبا منا على معنى ان هذه عادتهم في صدقهم وامانتهم ابدا وانهم داخلون تحت قوله كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين شهادة الله اي الشهادة التي امر الله بحفظها وتعظيمها وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدأ آلله بالمد على طرح حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروي عنه بغير مد على ما ذكره سيبويه ان منهم من يحذف حرف القسم ولا يعوض منه همزة الاستفهام فيقول الله لقد كان كذا وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة وطرح حركتها على اللام وادغام نون من فيها كقوله عادَ لُّولَى فان قلت ما موقع تحبسونهما قلت هو استئناف كلام كأنه قيل بعد اشتراط العدالة فيهما فكيف نعمل ان ارتبنا بهما فقيل تحبسونهما فان قلت كيف فسرت الصلوة بصلوة العصر وهي مطلقة قلت لما كانت معروفة عندهم بالتحليف بعدها اغنى ذلك عن التقييد كما لو قلت في بعض ائمة الفقه اذا صلى اخذ في الدرس علم انها صلوة الفجر ويجوز ان يكون

فان عثر على انهما استحقا اثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين ذلك ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب

اللام للجنس ولم تقصد بالتحليف على اثر الصلوة ان يكون الصلوة لطفا في النطق بالصدق وناهية
عن الكذب والزور ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فان عثر فان اطلع على انهما استحقا اثما
اي فعلا ما اوجب اثما واستوجبا ان يقال انهما لمن الآثمين فآخران فشاهدان آخران يقومان
مقامهما من الذين استحق عليهم اي من الذين استحق عليهم الاثم ومعناه من الذين جني عليهم وهم اهل الميت وعشيرته
وفي قصة بديل انه لما ظهرت خيانة الرجلين حلف رجلان من ورثته انه اناء صاحبهما وان شهادتهما احق
من شهادتهما والاوليان الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وارتفاعهما على هما الاوليان كانه قيل
ومن هما فقيل الاوليان وقيل هما بدل من الضمير في يقومان او من آخران ويجوز ان يرتفعا باستحق اي من الذين
استحق عليهم انتداب الاوليين منهم للشهادة لاطلاعهم على حقيقة الحال وقرئ الاولين على انه وصف
للذين استحق عليهم مجرورا ومنصوب على المدح ومعنى الاولية التقدم على الاجانب في الشهادة لكونهم
احق بها وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه على المدح وقرا الاولان الحسن ويحتج به من يرى
رد اليمين على المدعي وابو حنيفة واصحابه لا يرون ذلك فوجهه عندهم ان الورثة قد ادعوا على النصرانيين
انهما اختانا فحلفا فلما ظهر كذبهما ادعيا الشرى فيما كتما فانكر الورثة فكانت اليمين على الورثة لانكارهم
الشرى فان قلت فما وجه قراءة من قرا استحق عليهم الاوليان على البناء للفاعل وهو علي وابي وابن عباس
قلت معناه من الورثة الذين استحق عليهم الاوليان من بينهم بالشهادة ان يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا
بهما كذب الكاذبين ذلك الذي تقدم من بيان الحكم ادنى ان ياتي الشهداء على نحو تلك الحادثة
بالشهادة على وجهها او يخافوا ان ترد ايمان ان تكرر ايمان شهود آخرين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور
كذبهم كما جرى في قصة بديل واسمعوا سمع اجابة وقبول يوم بدل من المنصوب في قوله واتقوا
الله وهو من بدل الاشتمال كانه قيل واتقوا الله يوم جمعه او ظرف لقوله لا يهدي اي لا يهديهم طريق الجنة يومئذ
كما يفعل بغيرهم او ينتصب باضمار اذكر او يوم يجمع الله الرسل كان كيت وكيت وماذا منتصب
باجبتم انتصاب مصدره على معنى اي اجابة اجبتم ولو اريد الجواب لقيل بماذا اجبتم فان قلت
ما معنى سؤالهم قلت توبيخ قومهم كما كان سؤال الموءودة توبيخا للوائد فان قلت كيف يقولون لا
علم لنا وقد علموا بما اجيبوا قلت يعلمون ان الغرض بالسؤال توبيخ اعدائهم فيكلون الامر الى علمه
واحاطته بما منوا به منهم وكابدوا من سوء اجابتهم اظهارا للتشكي واللجا الى ربهم في
الانتقام منهم وذلك اعظم على الكفرة وافت في اعضادهم واجلب لحسرتهم وسقوطهم في
ايديهم اذا اجتمع توبيخ الله وتشكي انبيائه عليهم ومثاله ان ينكب بعض الخوارج على السلطان
خاصة من خواصه نكبة قد عرفها السلطان واطلع على كنهها وعزم على الانتصار له منه
فيجمع بينهما ويقول له ما فعل بك هذا الخارجي وهو عالم بما فعل به يريد توبيخه وتبكيته فيقول
له انت اعلم بما فعل بي تفويضا للامر الى علم سلطانه واتكالا عليه واظهارا للشكاية وتعظيما
لما حل به منه وقيل من هول ذلك اليوم يفزعون ويذهلون عن الجواب ثم يجيبون بعدما تثوب
اليهم عقولهم بالشهادة على اممهم وقيل معناه علمنا ساقط مع علمك ومغمور به

اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ ايدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وتبرئ الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني واذ كففت بني اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين واذ اوحيت الى الحواريين ان آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء

ذلك علام الغيوب ومن علم الخفيات لم تخف عليه الظواهر التي منها اجابة الامم لرسلهم فكانه لا علم
لنا الى جنب علمك وقيل لا علم لنا بما كان منهم بعدنا وانما الحكم للخاتمة وكيف يخفى عليهم امرهم وقد
راوهم سود الوجوه زرق العيون موبخين وقرئ علام الغيوب بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله
انك انت اي انك الموصوف باوصافك المعروفة من العلم وغيره ثم نصب علام الغيوب على الاختصاص
او على النداء او هو صفة لاسم ان اذ قال الله بدل من يوم يجمع والمعنى انه يوبخ الكافرين يومئذ
بسؤال الرسل عن اجابتهم وبتعديد ما اظهر على ايديهم من الآيات العظام فكذبوهم وسموهم سحرة
او جاوزوا حد التصديق الى ان اتخذوهم آلهة كما قال بعض بني اسرائيل فيما اظهر على يد عيسى من
البينات هذا سحر مبين واتخذه بعضهم وامه الهين ايدتك قويتك وقرئ آيدتك على افعلتك
بروح القدس بالكلام الذي يحيى به الدين واضافه الى القدس لانه سبب الطهر من اوضار الآثام
والدليل عليه قوله تكلم الناس في المهد في موضع الحال لان المعنى تكلمهم طفلا وكهلا الا ان في المهد
فيه دليل على حد من الطفولة وقيل روح القدس جبريل صلوات الله عليه ايده به لتثبيت الحجة
فان قلت ما معنى قوله في المهد وكهلا قلت معناه تكلمهم في هاتين الحالتين من غير ان يتفاوت كلامك
في حين الطفولة وحين الكهولة الذي هو وقت كمال العقل وبلوغ الاشد والحد الذي يستنبأ فيه
الانبياء والتوراة والانجيل خصا بالذكر مما تناوله الكتاب والحكمة لان المراد بهما جنس
الكتاب والحكمة وقيل الكتاب الخط والحكمة الكلام المحكم الصواب كهيئة الطير هيئة مثل
هيئة الطير باذني بتسهيلي فتنفخ فيها الضمير للكاف لانها صفة الهيئة التي كان
يخلقها عيسى وينفخ فيها ولا يرجع الى الهيئة المضاف اليها لانها ليست من خلقه ولا نفخه
في شيء وكذلك الضمير في فتكون تخرج الموتى تخرجهم من القبور وتبعثهم قيل اخرج
سام بن نوح ورجلين وامراة وجارية واذ كففت بني اسرائيل عنك يعني اليهود حين هموا بقتله
وقيل لما قال الله لعيسى اذكر نعمتي عليك كان يلبس الشعر وياكل الشجر ولا يدخر شيئا لغد
يقول مع كل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت ايما امسى بات اوحيت الى الحواريين
امرتهم على السنة الرسل مسلمون مخلصون من اسلم وجهه لله عيسى في محل النصب على اتباع
حركته حركة الابن كقولك يا زيد بن عمرو وهي اللغة الفاشية ويجوز ان يكون مضموما كقولك
يا زيد بن عمرو والدليل عليه قوله احار بن عمرو كاني خمر لان الترخيم لا يكون الا في المضموم
فان قلت كيف قالوا هل يستطيع ربك بعد ايمانهم واخلاصهم قلت ما وصفهم الله بالايمان والاخلاص
وانما حكى ادعاءهم لهما ثم اتبعه قوله اذ قالوا فآذن ان دعواهم كانت باطلة وانهم كانوا شاكين
وقوله هل يستطيع ربك كلام لا يرد مثله عن مؤمنين معظمين لربهم وكذلك قول عيسى عليه السلام لهم
معناه اتقوا الله ولا تشكوا في اقتداره واستطاعته ولا تقترحوا عليه ولا تتحكموا ما تشتهون
من الآيات فتهلكوا اذا عصيتموه بعدها ان كنتم مؤمنين ان كانت دعواكم للايمان صحيحة وقرئ

قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين قالوا نريد ان ناكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين قال عيسى ابن مريم
اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا واخرنا واية منك وارزقنا وانت خير الرازقين قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني
اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين واذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي
ان اقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك انك انت علام الغيوب

هل تستطيع ربك اي هل تستطيع سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عن
سؤاله والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام وهي من ماده اذا اعطاه ورفده كانها تميد من
تقدم اليه ونكون عليها من الشاهدين نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني اسرائيل
او نكون من الشاهدين لله بالوحدانية ولك بالنبوة عاكفين عليها على ان عليها في موضع الحال
وكانت دعواهم لارادة ما ذكروا كدعواهم للايمان والاخلاص وانما سال عيسى واجيب ليلزموا
الحجة بكمالها ويرسل عليهم العذاب اذا خالفوا وقرئ ويعلم بالياء على البناء للمفعول وتعلم
وتكون بالتاء والضمير للقلوب اللهم اصله يا الله فحذف حرف النداء وعوضت منه الميم وربنا
نداء ثان تكون لنا عيدا اي يكون يوم نزولها عيدا قيل هو يوم الاحد ومن ثم اتخذه النصارى عيدا
او بل العيد السرور العائد ولذلك يقال يوم عيد فكان معناه تكون لنا سرورا وفرحا وقرا
عبد الله تكن على جواب الامر ونظيرها يرثني ويرث لاولنا واخرنا بدل من لنا بتكرير العامل اي
لمن في زماننا من اهل ديننا ولمن ياتي بعدنا وقيل ياكل منها اخر الناس كما ياكل اولهم ويجوز
للمقدمين منا والاتباع وقرئ لاولانا واخرانا والتانيث بمعنى الجمعة والجماعة
عذابا بمعنى تعذيبا والضمير في لا اعذبه للمصدر ولو اريد بالعذاب ما يعذب به لم يكن بد من
الباء وروي ان عيسى عليه السلام لما اراد الدعا لبس صوفا ثم قال اللهم انزل علينا فنزلت سفرة
حمراء بين غمامتين غمامة فوقها واخرى تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى
عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة وقال
لهم ليقم احسنكم عملا يكشف عنها ويذكر اسم الله عليها وياكل منها فقال شمعون راس الحواريين
انت اولى بذلك فقام عيسى فتوضا وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة
مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما
خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن
وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا ام من طعام الاخرة قال ليس منهما ولكنه شيء
اخترعه الله بالقدرة العالية كلوا ما سالتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقال الحواريون يا روح
الله لو اريتنا من هذه الاية اية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت
فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا قردة وخنازير وروي انهم لما سمعوا بالشريطة
وهي قوله فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه قالوا لا نريد فلم تنزل وعن الحسن والله ما نزلت ولو نزلت
لكان عيدا الى يوم القيامة لقوله واخرنا والصحيح انها نزلت سبحانك من ان يكون لك شريك ما يكون لي
ما ينبغي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله تعلم ما في نفسي والمعنى تعلم معلومي ولا اعلم معلومك
ولكنه سلك في الكلام طريق المشاكلة وهو من فصيح الكلام وقيل فنفسك لقوله في نفسي
انك انت علام الغيوب تقرير للجملتين معا فان ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب ولان

ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وانت
على كل شيء شهيد ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من
تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير

ما يعلمه علام الغيوب لا ينتهي اليه علم احد ان اعبدوا الله ان جعلتها مفسرة لم يكن لها بد
من مفسر والمفسر اما فعل القول واما فعل الامر وكلاهما لا وجه له اما فعل القول فيحكى بعده الكلام
من غير ان يتوسط بينهما حرف التفسير لا تقول ما قلت لهم الا ان اعبدوا الله ولكن ما قلت لهم
الا اعبدوا الله واما فعل الامر فمسند الى ضمير الله فلو فسرته باعبدوا الله ربي وربكم لم
يستقم لان الله لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم وان جعلتها موصولة بالفعل لم تخل من ان تكون بدلا
من ما امرتني به او من الهاء في به وكلاهما غير مستقيم لان البدل هو الذي يقوم مقام المبدل منه ولا
يقال ما قلت لهم الا ان اعبدوا بمعنى ما قلت لهم الا عبادته لان العبادة لا تقال وكذلك اذا جعلته
بدلا من الهاء لانك لو اقمت ان اعبدوا الله مقام الهاء فقلت الا ما امرتني بان اعبدوا الله لم يصح لبقاء الموصول
بغير راجع اليه من صلته فان قلت فكيف يصنع قلت يحمل فعل القول على معناه لان معنى ما قلت
لهم الا ما امرتني به ما امرتهم الا بما امرتني به حتى يستقيم تفسيره بان اعبدوا الله ربي وربكم ويجوز
ان تكون ان موصولة عطف بيان للهاء لا بدلا وكنت عليهم شهيدا رقيبا كالشاهد على المشهود عليه
امنعهم من ان يقولوا ذلك ويتدينوا به فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم تمنعهم من القول به بما نصبت لهم
من الادلة وانزلت عليهم من البينات وارسلت اليهم من الرسل ان تعذبهم فانهم عبادك الذين عرفتهم
عاصين جاحدين لاياتك مكذبين لانبيائك وان تغفر لهم فانك انت العزيز القوي القادر على الثواب
والعقاب الحكيم الذي لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب فان قلت المغفرة لا تكون للكفار
فكيف قال وان تغفر لهم قلت ما قال انك تغفر لهم ولكنه بنى الكلام على ان قال ان عذبتهم عدلت لانهم
احقاء بالعذاب وان غفرت لهم مع كفرهم لم تعدم في المغفرة وجه حكمة لان المغفرة حسنة لكل
مجرم في المعقول بل متى كان المجرم اعظم جرما كان العفو عنه احسن وقرئ هذا يوم ينفع بالرفع
والاضافة وبالنصب اما على انه ظرف لقال واما على ان هذا مبتدا والظرف خبر ومعناه هذا الذي ذكرنا من
كلام عيسى واقع يوم ينفع ولا يجوز ان يكون فتحا كقوله يوم لا تملك لانه مضاف الى متمكن وقرا الاعمش
يوم ينفع بالتنوين كقوله واتقوا يوما لا تجزي فان قلت ما معنى قوله ينفع الصادقين صدقهم ان اريد
صدقهم في الاخرة فليست الاخرة بدار عمل وان اريد صدقهم في الدنيا فليس بمطابق لما ورد فيه لانه في معنى
الشهادة لعيسى عليه السلام بالصدق فيما يجيب به يوم القيمة قلت معناه الصدق المستمر بالصادقين في دنياهم
واخرتهم وعن قتادة متكلمان تكلما يوم القيمة اما ابليس فقال ان الله وعدكم وعد الحق فصدق يومئذ وكان
قبل ذلك كاذبا فلم ينفعه صدقه واما عيسى فكان صادقا في الحياة وبعد الممات فنفعه صدقه
فان قلت في السموات والارض العقلاء وغيرهم فهلا غلب العقلاء فقيل ومن فيهن قلت ما تناول
الاجناس كلها تناولا عاما الا ترى انك تقول اذا رايت شبحا من بعيد ما هو قبل ان تعرف اعاقل هو ام غير
وكان اولى بارادة العموم عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة المائدة اعطي من الاجر عشر حسنات
ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا

سورة الانعام مكية وعن ابن عباس غير ست ايات وهي مائة وخمس وستون اية
كوفي وست مدني مكي وبصري وشامي

بسم الله الرحمن الرحيم

جعل يتعدى الى مفعول واحد اذا كان بمعنى احدث وانشأ كقوله وجعل الظلمات والنور والى مفعولين اذا كان بمعنى صير كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا والفرق بين الخلق والجعل ان الخلق فيه معنى التقدير وفي الجعل معنى التضمين كانشاء شيء من شيء او تصيير شيء شيئا او نقله من مكان الى مكان ومن ذلك وجعل منها زوجها وجعل الظلمات والنور لان الظلمات من الاجرام المتكاثفة والنور من النار وجعلناكم ازواجا اجعل الالهة الها واحدا فان قلت لم افرد النور قلت للقصد الى الجنس كقوله والملك على ارجائها او لان الظلمات كثيرة لانه ما من جنس من اجناس الاجرام الا وله ظل وظله هو الظلمة بخلاف النور فانه من جنس واحد وهو النار فان قلت علام عطف قوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون قلت اما على قوله الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما خلق لانه ما خلقه الا نعمة ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته واما على قوله خلق السموات على معنى انه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه فان قلت فما معنى ثم قلت استبعاد ان يعدلوا به بعد وضوح ايات قدرته وكذلك ثم انتم تمترون استبعاد لان يمتروا فيه بعد ما ثبت انه محييهم ومميتهم وباعثهم ثم قضى اجلا اجل الموت واجل مسمى عنده اجل القيمة وقيل الاجل الاول ما بين ان يخلق الى ان يموت والثاني ما بين الموت والبعث وهو البرزخ وقيل الاول النوم والثاني الموت فان قلت المبتدا النكرة اذا كان خبره ظرفا وجب تأخيره فلم جاز تقديمه في قوله واجل مسمى عنده قلت لانه تخصص بالصفة فقارب المعرفة كقوله ولعبد مؤمن خير من مشرك فان قلت الكلام السائر ان يقال عندي ثوب جيد ولي عبد كيس وما اشبه ذلك فما اوجب التقديم قلت اوجبه ان المعنى واي اجل مسمى عنده تعظيما لشان الساعة فلما جرى فيه هذا المعنى وجب التقديم في السموات متعلق بمعنى اسم الله كانه قيل وهو المعبود فيهما ومنه قوله وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله او وهو المعروف بالالهية او المتوحد بالالهية فيهما او هو الذي يقال له الله فيهما لا يشرك به في هذا الاسم ويجوز ان يكون الله في السموات خبرا بعد خبر على معنى انه الله وانه في السموات والارض بمعنى انه عالم بما فيهما لا يخفى عليه منه شيء كأن ذاته فيهما فان قلت كيف موقع قوله يعلم سركم وجهركم قلت ان اردت المتوحد بالالهية كان تقريرا له لان الذي استوى في علمه السر والعلانية هو الله وحده وكذلك اذا جعلت في السموات خبرا بعد خبر والا فهو كلام مبتدا بمعنى هو يعلم سركم وجهركم او خبر ثالث ويعلم ما تكسبون من الخير والشر ويثيب عليه ويعاقب من في من اية للاستغراق وفي من ايات ربهم للتبعيض يعني وما يظهر لهم دليل قط من الادلة التي يجب فيها النظر والاستدلال والاعتبار الا كانوا عنه معرضين تاركين للنظر لا يلتفتون اليه ولا يرفعون به رأسا لقلة خوفهم وتدبرهم للعواقب فقد كذبوا مردود على كلام محذوف كأنه قيل ان كانوا معرضين عن الايات فقد كذبوا بما

... السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون هو الذي خلقكم من طين ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده ثم انتم تمترون وهو الله في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون وما تأتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق

لما جاءهم فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم وارسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فاهلكناهم بذنوبهم وانشأنا من بعدهم قرنا آخرين ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين

مواعظ اية واكبرها وهو الحق لما جاءهم يعني القرآن الذي تحدوا به على تبالغهم في الفصاحة فعجزوا عنه فسوف يأتيهم انباء الشيء الذي كانوا به يستهزءون وهو القرآن اي اخباره واحواله بمعنى سيعلمون باي شيء استهزءوا وسيظهر لهم انه لم يكن بموضع استهزاء وذلك عند ارسال العذاب عليهم في الدنيا او يوم القيمة او عند ظهور الاسلام وعلو كلمته مكن له في الارض جعل له مكانا فيها ونحوه ارض له ومنه قوله انا مكنا له في الارض اولم نمكن لهم حرما واما مكنته في الارض فاثبته فيها ومنه قوله ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه ولتقارب المعنيين جمع بينهما في قوله مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم والمعنى لم نعط اهل مكة نحو ما اعطينا عادا وثمود وغيرهم من البسطة في الاجسام والسعة في الاموال والاستظهار باسباب الدنيا والسماء المظلة لان الماء ينزل منها الى السحاب او السحاب او المطر والمدرار المغزار فان قلت اي فائدة في ذكر انشاء قرن اخرين بعدهم قلت الدلالة على انه لا يتعاظمه ان يهلك قرنا ويخرب بلاده منهم فانه قادر على ان ينشئ مكانهم اخرين يعمر بهم بلاده كقوله ولا يخاف عقباها كتابا مكتوبا في قرطاس في ورق فلمسوه بايديهم ولم يقتصر بهم على الرؤية لئلا يقولوا سكرت ابصارنا ولا تبقى لهم علة لقالوا ان هذا الا سحر مبين تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره لقضي الامر لقضي امر هلاكهم ثم لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين اما لانهم اذا عاينوا الملك قد نزل على رسول الله في صورته وهي اية لا شيء ابين منها وايقن ثم لا يؤمنون كما قال ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة لم يكن بد من اهلاكهم كما اهلك اصحاب المائدة واما لانه يزول الاختيار الذي هو قاعدة التكليف عند نزول الملك فيجب اهلاكهم واما لانهم اذا شاهدوا ملكا في صورته زهقت ارواحهم من هول ما يشاهدون ومعنى ثم بعد ما بين الامرين قضاء الامر وعدم الانظار جعل عدم الانظار اشد من قضاء الامر لان مفاجاة الشدة اشد من نفس الشدة ولو جعلناه ولو جعلنا الرسول ملكا كما اقترحوا لانهم كانوا يقولون لولا انزل على محمد ملك وتارة يقولون ما هذا الا بشر مثلكم ولو شاء ربنا لانزل ملائكة لجعلناه رجلا لارسلناه في صورة رجل كما كان ينزل جبريل على رسول الله عليهما السلام في اعم الاحوال في صورة دحية لانهم لا يبقون مع رؤية الملائكة في صورهم وللبسنا عليهم ولخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم حينئذ فانهم يقولون اذا راوا الملك في صورة الانسان هذا انسان وليس بملك فان قال لهم الدليل على اني ملك اني جئت بالقرآن المعجز وهو ناطق باني ملك لا بشر كذبوه كما كذبوا محمدا فاذا فعلوا ذلك خذلوا كما هم مخذولون الآن فهو لبس الله عليهم ويجوز ان يراد وللبسنا عليهم حينئذ مثل ما يلبسون على انفسهم الساعة في كفرهم بايات الله البينة وقرا ابن محيصن ولبسنا بلام واحدة وقرا الزهري وللبسنا عليهم ما يلبسون بالتشديد ولقد استهزئ تسلية لرسول الله عما كان يلقى من قومه فحاق بهم فاحاط بهم الشيء الذي كانوا يستهزءون به وهو الحق حيث اهلكوا من اجل الاستهزاء به فان قلت اي فرق بين قوله فانظروا وبين قوله ثم انظروا قلت جعل النظر مسببا عن السير في قوله فانظروا فكانه

قل لمن ما في السموات والارض قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا يطعم قل اني امرت ان اكون اول من اسلم ولا تكونن من المشركين قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو

تسيير والاجل النظر ولا تسيير واسير الغافلين واما قوله سيروا في الارض ثم انظروا فمعناه اباحة السير في الارض للتجارة وغيرها من المنافع وايجاب النظر في آثار الهالكين ونبه على ذلك بثم لتباعد ما بين الواجب والمباح قل لمن ما في السموات والارض سؤال تبكيت قل لله تقرير لهم اي هو لله لا خلاف بيني وبينكم ولا تقدرون ان تضيفوا شيئا منه الى غيره كتب على نفسه الرحمة اي اوجبها على ذاته في هدايتكم الى معرفته ونصب الادلة لكم على توحيده بما انتم مقرون به من خلق السموات والارض ثم اوعدهم على اغفالهم النظر واشراكهم به من لا يقدر على خلق شيء بقوله ليجمعنكم الى يوم القيمة فيجازيكم على اشراككم وقوله الذين خسروا انفسهم نصب على الذم او رفع اي اريد الذين خسروا انفسهم او انتم الذين خسروا انفسهم فان قلت كيف جعل عدم ايمانهم مسببا عن خسرانهم والامر على العكس قلت معناه الذين خسروا انفسهم في علم الله لاختيارهم الكفر فهم لا يؤمنون وله عطف على لله ما سكن في الليل والنهار من السكنى وتعديته بفي كما في قوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وهو السميع يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم فلا يخفى عليه شيء مما يشتمل عليه الملوان قل اغير الله اتخذ وليا همزة الاستفهام دون الفعل الذي هو اتخذ لان الانكار في اتخاذ غير الله وليا لا في اتخاذ الولي فكان اولى بالتقديم ونحوه افغير الله تامروني اعبد قل اذكركم وقرئ فاطر السموات بالجر صفة لله وبالرفع على المدح وقرا الزهري فطر وعن ابن عباس ما عرفت ما فاطر السموات والارض حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتداتها وهو يطعم ولا يطعم وهو يرزق ولا يرزق كقوله ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون والمعنى ان المنافع كلها من عنده ولا يجوز عليه الانتفاع وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وروى ابن المامون عن يعقوب وهو يطعم ولا يطعم على بناء الاول للمفعول والثاني للفاعل والضمير لغير الله وقرا الاشهب وهو يطعم ولا يطعم على بنائهما للفاعل وفسر بان معناه وهو يطعم ولا يستطعم وحكى الازهري اطعمت بمعنى استطعمت ونحوه افدت ويجوز ان يكون المعنى وهو يطعم تارة ولا يطعم اخرى على حسب المصالح كقولك وهو يعطي ويمنع ويبسط ويقدر ويغني ويفقر اول من اسلم لان النبي سابق امته في الاسلام كقوله وبذلك امرت وانا اول المسلمين وكقول موسى سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين ولا تكونن وقيل لي لا تكونن من المشركين ومعناه امرت بالاسلام ونهيت عن الشرك من يصرف عنه العذاب يومئذ فقد رحمه الله الرحمة العظمى وهي النجاة كقولك ان اطعمت زيدا من جوعه فقد احسنت اليه تريد فقد اتممت الاحسان اليه او فقد ادخله الجنة لان من لم يعذب لم بد له من الثواب وقرئ من يصرف عنه على البناء للفاعل والمعنى من يصرف الله عنه في ذلك اليوم فقد رحمه بمعنى من يدفع الله عنه ويحفظه وقد علم من المدفوع عنه وترك ذكر المصروف لكونه معلوما او مذكورا قبله وهو العذاب ويجوز ان ينتصب يومئذ بيصرف انتصاب المفعول به اي من يصرف الله عنه ذلك اليوم اي هوله فقد رحمه ويعضده القراءة قراءة ابي من يصرف الله عنه وان يمسسك الله بضر من مرض او فقر او غير ذلك من بلاياه فلا قادر

وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير قل اي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم واوحي الي هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى قل لا اشهد قل انما هو اله واحد وانني بريء مما تشركون الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته انه لا يفلح الظالمون ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون

على كشفه من غيره وان يمسسك بخير من غنى او صحة فهو على كل شيء قدير فكان قادرا على حفظه وادامته وازالته فوق عباده تصوير للقهر والعلو بالغلبة والقدرة كقوله وانا فوقهم قاهرون الشيء اعم العام لوقوعه على كل ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيقع على القديم والجرم والعرض والمحال والمستقيم ولذلك صح ان يقال في الله عز وجل شيء لا كالاشياء كانك قلت معلوم لا كسائر المعلومات ولا يصح جسم لا كالاجسام واراد اي شهيد اكبر شهادة فوضع شيئا مقام شهيد ليبالغ بالتعميم قل الله شهيد بيني وبينكم يحتمل ان يكون تمام الجواب عند قوله قل الله بمعنى الله اكبر شهادة ثم ابتدئ شهيد بيني وبينكم اي هو شهيد بيني وبينكم وان يكون الله شهيد بيني وبينكم هو الجواب لدلالته على ان الله عز وجل اذا كان هو الشهيد بينه وبينهم فاكبر شيء شهادة شهيد له ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين من اهل مكة اي لانذركم به وانذر كل من بلغه القرآن من العرب والعجم وقيل من الثقلين وقيل من بلغه الى يوم القيمة وعن سعيد بن جبير من بلغه القرآن فكانما رأى محمدا صلى الله عليه ائنكم لتشهدون تقرير لهم مع انكار واستبعاد قل لا اشهد شهادتكم الذين آتيناهم الكتاب يعني اليهود والنصارى يعرفونه يعرفون رسول الله بحليته ونعته الثابت في الكتاب بين معرفة خالصة كما يعرفون ابناءهم بحلاهم ونعوتهم لا يخفون عليهم ولا يلتبسون بغيرهم وهذا استشهاد لاهل مكة بمعرفة اهل الكتاب به وبصحة نبوته ثم قال الذين خسروا انفسهم من المشركين ومن اهل الكتاب الجاحدين فهم لا يؤمنون جمعوا بين امرين متناقضين فكذبوا على الله بما لا حجة عليه وكذبوا بما ثبت بالحجة البينة والبرهان الصحيح حيث قالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا وقالوا والله امرنا بها وقالوا الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله ونسبوا اليه تحريم البحائر والسوائب وذهبوا فكذبوا القرآن والمعجزات وسموها سحرا ولم يؤمنوا بالرسول ويوم نحشرهم ناصبه محذوف تقديره ويوم نحشرهم كان كيت وكيت فترك ليبقى على الابهام الذي هو داخل في التخويف اين شركاؤكم اي آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله وقوله الذين كنتم تزعمون معناه تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان وقرئ يحشرهم ثم يقول بالياء فيهما وانما يقال لهم ذلك على جهة التوبيخ ويجوز ان يشاهدوهم الا انهم حين لا ينفعونهم ولا يكون منهم ما رجوا من الشفاعة فكانهم غيب عنهم وان يحال بينهم وبينهم في وقت التوبيخ ليفقدوهم في الساعة التي علقوا بهم الرجاء فيها فيروا مكان خزيهم وحسرتهم فتنتهم كفرهم والمعنى ثم لم يكن عاقبة كفرهم الذي لزموه اعمارهم وقاتلوا عليه وافتخروا به وقالوا دين آبائنا الا جحوده والتبرؤ منه والحلف على الانتفاء من التدين به ويجوز ان يراد ثم لم يكن جوابهم الا ان قالوا فسمي فتنة لانه كذب وقرئ تكن بالتاء وفتنتهم بالنصب وانما انث ان قالوا لوقوع الخبر مؤنثا كقولهم من كانت امك وقرئ بالياء ونصب الفتنة وبالياء والتاء مع رفع الفتنة وقرئ ربنا بالنصب على النداء وضل عنهم وغاب عنهم ما كانوا يفترون اي يفترونه من الهيته وشفاعته فان قلت كيف يصح ان يكذبوا حين يطلعون على حقائق الامور وعلى ان الكذب والجحود لا وجه

١٦٠

ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤك يجادلونك
يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين وهم ينهون عنه وينأون عنه وان يهلكون الا انفسهم وما يشعرون ولو ترى اذ وقفوا
على النار فقالوا يا ليتنا نرد

لمنفعته قلت المتعوذ ينطق بما ينفعه وبما لا ينفعه من غير تمييز بينهما حيرة ودهشا الا تراهم يقولون ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون وقد ايقنوا بالخلود ولم يشكوا فيه وقالوا يا مالك ليقض علينا ربك وقد علموا انه لا يقضى عليهم واما قول من يقول معناه ما كنا مشركين عند انفسنا وما علمنا انا على خطأ في معتقدنا وحمل قوله انظر كيف كذبوا على انفسهم يعني في الدنيا فتمحل وتعسف وتحريف لافصح الكلام الى ما هو عي واقحام لان المعنى الذي ذهبوا اليه ليس هذا الكلام بمترجم عنه ولا منطبق عليه وهو ناب عنه اشد النبو وما ادري ما يصنع من ذلك تفسيره بقوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم الاية بعد قوله ويحلفون على الكذب وهم يعلمون فشبه كذبهم في الاخرة بكذبهم في الدنيا ومنهم من يستمع اليك حين تتلو القران روي انه اجتمع ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله فقالوا للنضر يا ابا قتيلة ما يقول فقال والذي جعلها بيته يعني الكعبة ما ادري ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية فقال ابو سفيان اني لاراه حقا فقال ابو جهل كلا فنزلت والاكنة على القلوب والوقر في الاذان مثل في نبو قلوبهم ومسامعهم عن قبوله واعتقاد صحته ووجه اسناد الفعل الى ذاته وهو قوله وجعلنا للدلالة على انه امر ثابت فيهم لا يزول عنهم كانهم مجبولون عليه او هي حكاية لما كانوا ينطقون به من قولهم وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب وقرا طلحة وقرا بكسر الواو حتى اذا جاؤك يجادلونك هي حتى التي تقع بعدها الجمل والجملة قوله اذا جاؤك يقول الذين كفروا ويجادلونك في موضع الحال وقوله يقول الذين كفروا تفسير له والمعنى انه بلغ تكذيبهم الايات الى انهم يجادلونك ويناكرونك وفسر مجادلتهم بانهم يقولون ان هذا الا اساطير الاولين فيجعلون كلام الله واصدق الحديث خرافات واكاذيب وهي الغاية في التكذيب وهم ينهون الناس عن القران او عن الرسول واتباعه ويثبطونهم عن الايمان به وينأون عنه بانفسهم فيضلون ويضلون وان يهلكون بذلك الا انفسهم ولا يتعداهم الضرر الى غيرهم وان كانوا يظنون انهم يضرون رسول الله وقيل هو ابو طالب لانه كان ينهى قريشا عن التعرض لرسول الله وينأى عنه فلا يؤمن به وروي انهم اجتمعوا الى ابي طالب وارادوا برسول الله سوءا فقال

والله لن يصلوا اليك بجمعهم ... حتى اوسد في التراب دفينا
فاصدع بامرك ما عليك غضاضة ... وابشر بذاك وقر منه عيونا
ودعوتني وزعمت انك ناصح ... ولقد صدقت وكنت ثم امينا
وعرضت دينا لا محالة انه ... من خير اديان البرية دينا
لولا الملامة او حذاري سبة ... لوجدتني سمحا بذاك مبينا

فنزلت ولو ترى جوابه محذوف تقديره ولو ترى لرايت امرا شنيعا وقفوا على النار اروها حتى يعاينوها او اطلعوا عليها اطلاعا هي تحتهم او ادخلوها فعرفوا مقدار عذابها من قولك وقفته على كذا اذا فهمته وعرفته وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا يا ليتنا نرد تمنيهم

١٧٠

ولا نكذب بايات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم
لكاذبون وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال اليس هذا بالحق قالوا
بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا
حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم الا ساء ما يزرون وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو وللدار الاخرة خير للذين يتقون

١٦١

ثم ابتدأوا ولا نكذب بايات ربنا ونكون من المؤمنين واعدين الايمان كانهم قالوا ونحن لا نكذب ونؤمن على وجه الاثبات وشبهه سيبويه بقولهم دعني ولا اعود بمعنى دعني وانا لا اعود تركتني او لم تتركني ويجوز ان يكون معطوفا على نرد او حالا على معنى يا ليتنا نرد غير مكذبين وكائنين من المؤمنين فيدخل تحت حكم التمني فان قلت يدفع ذلك قوله وانهم لكاذبون لان المتمني لا يكون كاذبا قلت هذا تمن قد تضمن معنى العدة فجاز ان يتعلق به التكذيب كما يقول الرجل ليت الله يرزقني مالا فاحسن اليك واكافئك على صنيعك فهذا متمن في معنى الواعد فلو رزق مالا ولم يحسن الى صاحبه ولم يكافئه كذب كانه قال ان رزقني الله مالا كافأتك على الاحسان وقرئ ولا نكذب ونكون المؤمنين بالنصب باضمار ان على جواب التمني ومعناه ان رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من الناس من قبائحهم وفضائحهم في صحفهم وبشهادة جوارحهم عليهم فلذلك تمنوا ما تمنوا ضجرا لا انهم عازمون على انهم لو ردوا لامنوا وقيل هو في المنافقين وانه يظهر نفاقهم الذي كانوا يسرونه وقيل هو في اهل الكتاب وانه يظهر لهم ما كانوا يخفونه من صحة نبوة رسول الله ولو ردوا الى الدنيا بعد وقوفهم على النار لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم لا يفون به وقالوا عطف على لعادوا اي ولو ردوا لكفروا ولقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا كما كانوا يقولون قبل معاينة القيامة ويجوز ان يعطف على قوله وانهم لكاذبون على معنى وانهم لقوم كاذبون في كل شيء وهم الذين قالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وكفى به دليلا على كذبهم وقفوا على ربهم مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده ليعاتبه وقيل وقفوا على جزاء ربهم وقيل عرفوه حق التعريف قال مردود على قول قائل قال ماذا قال لهم ربهم اذ وقفوا عليه فقيل قال اليس هذا بالحق وهذا تعيير من الله لهم على التكذيب وقولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث والجزاء ما هو بحق وما هو الا باطل بما كنتم تكفرون بكفركم بلقاء الله ببلوغ الاخرة وما يتصل بها وقد حقق الكلام فيه في موضع اخر وحتى غاية لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم لا غاية له اي ما زال بهم التكذيب الى حسرتهم وقت مجيء الساعة فان قلت اما يتحسرون عند موتهم قلت لما كان الموت وقوعا في احوال الاخرة ومقدماتها جعل من جنس الساعة وسمي باسمها ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته او جعل مجيء الساعة بعد الموت لسرعته كالواقع بغير فترة بغتة فجأة وانتصابها على الحال بمعنى باغتة او على المصدر كانه قيل بغتتهم الساعة بغتة فرطنا فيها الضمير للحيوة الدنيا جيء بضميرها وان لم يجر لها ذكر لكونها معلومة او للساعة على معنى قصرنا في شانها وفي الايمان بها كما تقول فرطت في فلان ومنه فرطت في جنب الله يحملون اوزارهم على ظهورهم كقوله فبما كسبت ايديكم لانه اعتيد حمل الاثقال على الظهور كما الف الكسب بالايدي ساء ما يزرون بئس شيئا يزرون وزرهم كقوله ساء مثلا القوم جعل اعمال الدنيا لعبا ولهوا واشتغالا بما لا يعني ولا يعقب منفعة كما يعقب اعمال الاخرة المنافع العظيمة وقوله للذين يتقون

اولا تعقلون قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بايات الله يجحدون ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتيهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاك من نبا المرسلين وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السما فتاتيهم باية ولو شا الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين

دليل على ان ما سوى اعمال المتقين لعب ولهو وقرا ابن عامر ولدار الاخرة وقرى تعقلون بالتا قد نعلم بمعنى ربما الذي يجي لزيادة الفعل وكثرته كقوله ولكنه قد يهلك المال نايله والهاء في انه ضمير الشان ليحزنك قرى بفتح اليا وضمها الذي يقولون هو قولهم ساحر كذاب لا يكذبونك قرى بالتشديد والتخفيف من كذبه اذا جعله كاذبا في زعمه واكذبه اذا وجده كاذبا والمعنى ان تكذيبك امر راجع الى الله لانك رسوله المصدق بالمعجزات فهم لا يكذبونك في الحقيقة وانما يكذبون الله بجحود اياته فاله عن حزنك لنفسك وانهم كذبوك وانت صادق وليشغلك عن ذلك ما هو اهم وهو استعظامك لجحود ايات الله والاستهانة بكتابه ونحوه قول السيد لغلامه اذا اهانه بعض الناس انهم لم يهينوك وانما اهانوني ومن هذه الطريقة قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل فانهم لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم يجحدون بالسنتهم وقيل فانهم لا يكذبونك لانك عندهم الصادق الموسوم بالصدق ولكنهم يجحدون بايات الله وعن ابن عباس كان رسول الله عليه السلام يسمى الامين فعرفوا انه لا يكذب في شي ولكنهم كانوا يجحدون وكان ابو جهل يقول ما نكذبك وانك عندنا لمصدق وانما نكذب ما جيتنا به وروي ان الاخنس بن شريق قال لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس عندنا احد غيرنا فقال والله ان محمدا لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللوا والسقاية والحجابة والنبوة فما ذا يكون لساير قريش فنزلت ولكن الظالمين من اقامة الظاهر مقام المضمر للدلالة على انهم ظلموا في جحودهم ولقد كذبت تسلية لرسول الله وهذا دليل على ان قوله فانهم لا يكذبونك ليس بنفي لتكذيبه وانما هو من قولك لغلامك ما اهانوك ولكنهم اهانوني على ما كذبوا واوذوا على تكذيبهم وايذايهم ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون ولقد جاك من نبا المرسلين بعض انبايهم وقصصهم وما كابدوا من مصابرة المشركين كان يكبر على النبي عليه السلام كفر قومه واعراضهم عما جا به فنزل لعلك باخع نفسك انك لا تهدي من احببت وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا منفذا تنفذ فيه الى ما تحت الارض حتى تطلع لهم اية يومنون بها او سلما في السما فتاتيهم منها باية فافعل يعني انك لا تستطيع ذلك والمراد بيان حرصه على اسلام قومه وتهالكه عليه وانه لو استطاع ان ياتيهم باية من تحت الارض او من فوق السما لاتى بها رجا ايمانهم وقيل كانوا يقترحون الايات فكان يود ان لو يجابون اليها لتمادي حرصه على ايمانهم فقيل له ان استطعت كذا فافعل دلالة على انه بلغ من حرصه انه لو استطاع ذلك لفعله حتى ياتيهم بما اقترحوا لعلهم يومنون ويجوز ان يكون ابتغا النفق في الارض والسلم في السما هو الاتيان بالاية كانه قيل لو استطعت النفوذ الى ما تحت الارض او الرقي في السما لفعلت لعل ذلك يكون لك اية يومنون عندها وحذف جواب ان كما تقول ان شئت ان تقوم بنا الى فلان نزوره ولو شا الله لجمعهم على الهدى بان ياتيهم باية ملجية ولكنه لا يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين من الذين يجهلون ذلك ويرومون ما هو خلافه انما يستجيب

انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون وقالوا لولا نزل عليه اية من ربه قل ان الله قادر على ان ينزل اية ولكن اكثرهم لا يعلمون وما من دابة في الارض ولا طاير يطير بجناحيه الا امم امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شي ثم الى ربهم يحشرون والذين كذبوا باياتنا صم وبكم في الظلمات من يشا الله يضلله ومن يشا يجعله على صراط مستقيم قل ارايتكم ان اتيكم عذاب الله او اتتكم الساعة اغير الله تدعون

الذين يسمعون يعني ان الذين تحرص على ان يصدقوك بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون وانما يستجيب من يسمع كقوله انك لا تسمع الموتى والموتى يبعثهم الله مثل لقدرته على الجايهم الى الاستجابة بانه هو الذي يبعث الموتى من القبور يوم القيامة ثم اليه يرجعون للجزا فكان قادرا على هولا الموتى بالكفر ان يحييهم بالايمان وانت لا تقدر على ذلك وقيل معناه وهولا الموتى يعني الكفرة يبعثهم الله ثم اليه يرجعون فحينئذ يسمعون واما قبل ذلك فلا سبيل الى استماعهم وقرى يرجعون بفتح اليا نزل بمعنى انزل وقرى ان ينزل بالتشديد والتخفيف وذكر الفعل والفاعل مونث لان تانيثه غير حقيقي وحسن للفصل وانما قالوا ذلك مع تكاثر ما انزل من الايات على رسول الله لتركهم الاعتداد بما انزل عليه كانه لم ينزل عليه شي من الايات عنادا منهم قل ان الله قادر على ان ينزل اية تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل على بني اسرايل ونحوه او اية ان جحدوها جاءهم العذاب ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله قادر على ان ينزل تلك الاية وان صارفا من الحكمة يصرفه عن انزالها امم امثالكم مكتوبة ارزاقها واجالها واعمالها كما كتبت ارزاقكم واجالكم واعمالكم ما فرطنا ما تركنا وما اغفلنا في الكتاب في اللوح المحفوظ من شي من ذلك لم نكتبه ولم نثبت ما وجب ان يثبت مما يختص به ثم الى ربهم يحشرون يعني الامم كلها من الدواب والطير فيعوضها وينصف بعضها من بعض كما روي انه ياخذ للجما من القرنا فان قلت كيف قيل الا امم مع افراد الدابة والطاير قلت لما كان قوله وما من دابة ولا طاير دالا على معنى الاستغراق ومغنيا عن ان يقال وما من دواب ولا طير حمل قوله الا امم على المعنى فان قلت هلا قيل وما من دابة ولا طاير الا امم امثالكم وما معنى زيادة قوله في الارض ويطير بجناحيه قلت معنى ذلك زيادة التعميم والاحاطة كانه قيل وما من دابة قط في جميع الارضين السبع وما من طاير قط في جو السما من جميع ما يطير بجناحيه الا امم امثالكم محفوظة احوالها غير مهمل امرها فان قلت فما الغرض في ذكر ذلك قلت الدلالة على عظم قدرته ولطف علمه وسعة سلطانه وتدبيره تلك الخلايق المتفاوتة الاجناس المتكاثرة الاصناف وهو حافظ لما لها وما عليها مهيمن على احوالها لا يشغله شان عن شان وان المكلفين ليسوا بمخصوصين بذلك دون من عداهم من ساير الحيوان وقرا ابن ابي عبلة ولا طاير بالرفع على المحل كانه قيل وما دابة ولا طاير وقرا علقمة ما فرطنا بالتخفيف فان قلت كيف اتبعه قوله والذين كذبوا باياتنا قلت لما ذكر من خلايقه واثار قدرته ما يشهد لربوبيته وينادي على عظمته قال والمكذبون صم لا يسمعون كلام المنبه بكم لا ينطقون بالحق خابطون في ظلمات الكفر فهم غافلون عن تامل ذلك والتفكر فيه ثم قال يدلنا بانهم من اهل الطبع من يشا الله يضلله اي يخذله ويخله وضلاله لم يلطف به لانه ليس من اهل اللطف ومن يشا يجعله على صراط مستقيم اي يلطف به لان اللطف يجدي عليه قل ارايتكم اخبروني والضمير الثاني لا محل له من الاعراب لانك تقول ارايتك زيدا

ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالبأساء
والضراء لعلهم يتضرعون فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم
ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين قل ارأيتم ان اخذ الله
سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون قل ارأيتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة او جهرة هل يهلك الا
القوم الظالمون وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين

ما شأنه فلو جعلت التاء للخطاب لكنت كانك تقول ارايت نفسك زيدا ما شأنه وهو خلف من القول ومتعلق الاستخبار محذوف تقديره ارايتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة من تدعون ثم بكتهم بقوله اغير الله تدعون بمعنى اتخصون آلهتكم بالدعوة فيما هو عادتكم اذا اصابكم ضر ام تدعون الله دونها بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء دون الآلهة فيكشف ما تدعون اليه اي ما تدعونه الى كشفه ان شاء ان اراد ان يتفضل عليكم ولم يكن مفسدة وتنسون ما تشركون وتتركون آلهتكم ولا تذكرونها في ذلك الوقت لان اذهانكم مغمورة بذكر ربكم وحده اذ هو القادر على كشف الضر دون غيره ويجوز ان يتعلق الاستخبار بقوله اغير الله تدعون كانه قيل ارايتكم اغير الله تدعون ان اتاكم عذاب الله فان قيل ان علقت الاستخبار به فما تصنع بقوله فيكشف ما تدعون اليه مع قوله او اتتكم الساعة وقوارع الساعة لا تكشف عن المشركين قلت قد اشترط في الكشف المشيئة وهو قوله ان شاء ايذانا بانه ان فعل كان له وجه من الحكمة الا انه لا يفعل لوجه آخر من الحكمة ارجح منه بالبأساء والضراء البؤس والضر وقيل البأساء القحط والجوع والضراء المرض ونقصان الانفس والاموال والمعنى لقد ارسلنا اليهم الرسل فكذبوهم فاخذناهم لعلهم يتضرعون يتذللون ويتخشعون لربهم ويتوبون عن ذنوبهم فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا معناه نفي التضرع كانه قيل فلم يتضرعوا اذ جاءهم بأسنا ولكنه جاء بلولا ليفيد انه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع الا عنادهم وقسوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التي زينها الشيطان لهم فلما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء اي تركوا الاتعاظ به ولم ينفع فيهم ولم يزجرهم فتحنا عليهم ابواب كل شيء من الصحة والسعة وصنوف النعمة [illegible] عليهم بين نوبتي الضراء والسراء كما يفعل الاب المشفق يخاشنه تارة ويلاطفه اخرى طلبا لصلاحه حتى اذا فرحوا بما اوتوا من الخير والنعم لم يزيدوا على الفرح والبطر من غير انتداب لشكر ولا تصد لتوبة واعتذار اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون متحسرون آيسون فقطع دابر القوم آخرهم لم يترك منهم احد من دبره اذا تبعه والحمد لله رب العالمين ايذان بوجوب الحمد لله عند هلاك الظلمة وانه من اجل النعم واجزل القسم وقرئ فتحنا بالتشديد قل ارأيتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم باصمامكم وتعميتكم وختم على قلوبكم بان يغطي عليها ما يذهب عنده فهمكم وعقلكم من اله غير الله يأتيكم به اي بذلك اجراء للضمير مجرى اسم الاشارة او بما اخذ وختم عليه انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون يعرضون عن الآيات بعد ظهورها [illegible] البغتة ان يقع الامر من غير ان يشعر به وتظهر اماراته وقيل بغتة او جهرة وعن الحسن ليلا او نهارا وقرئ بغتة او جهرة هل يهلك اي ما يهلك هلاك تعذيب وسخط الا القوم الظالمون وقرئ هل يهلك بفتح اليا مبشرين ومنذرين من آمن بهم وبما جاؤوا به واطاعهم ومن كذبهم وعصاهم ولم نرسلهم ليقترح عليهم الآيات بعد وضوح

فمن آمن واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون قل لا اقول لكم عندي
خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك ان اتبع الا ما يوحى الي قل هل يستوي الاعمى والبصير افلا تتفكرون وانذر به
الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين

١٦٢

وضوح امرهم بالبراهين القاطعة واصلح ما يجب اصلاحه مما كلف جعل العذاب ماسا كانه حي يفعل بهم ما يريد من الآلام ومنه قولهم لقيت منه الامرين والاقورين حيث جمعوا جمع العقلاء وقوله اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا اي لا ادعي ما يستبعد في العقول ان يكون لبشر من ملك خزائن الله وهي قسمه بين الخلق وارزاقه وعلم الغيب واني من الملائكة الذين هم اشرف جنس خلقه الله وافضله واقربه منزلة منه اي لم ادع الالهية ولا الملكية لانه ليس بعد الالهية منزلة ارفع من منزلة الملائكة حتى تستبعدوا دعواي وتستنكروها وانما ادعي ما كان مثله لكثير من البشر وهو النبوة هل يستوي الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدي ويجوز ان يكون مثلا لمن اتبع ما يوحى اليه ومن لم يتبع او لمن ادعى المستقيم وهو النبوة والمحال وهو الالهية او الملكية افلا تتفكرون فلا تكونوا ضالين اشباه العميان او فتعلموا اني ما ادعيت ما لا يليق بالبشر او فتعلموا ان اتباع ما يوحى الي مما لا بد لي منه فان قيل اعلم الغيب ما محله من الاعراب قلت النصب عطفا على محل قوله عندي خزائن الله لانه من جملة المقول كانه قال لا اقول لكم هذا القول ولا هذا القول وانذر به الضمير راجع الى قوله ما يوحى الي والذين يخافون ان يحشروا الى ربهم هم المؤمنون المفرطون في العمل فينذرهم بما اوحي اليه لعلهم يتقون اي يحذرون بدخولهم في زمرة اهل التقوى من المسلمين واما اهل الكتاب لانهم مقرون بالبعث واما ناس من المشركين علم من حالهم انهم يخافون اذا سمعوا بحديث البعث ان يكون حقا فيهلكوا فهم ممن يرجى ان ينجع فيهم الانذار دون المتمردين منهم فامر ان ينذرهم وقوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال عن يحشروا بمعنى يخافون ان يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا لهم ولا بد من هذه الحال لان كلا محشور فالمخوف انما هو الحشر على هذه الحال ذكر غير المتقين من المسلمين وامر بانذارهم ليتقوا ثم اردفهم ذكر المتقين منهم وامره بتقريبهم واكرامهم وان لا يطيع فيهم من اراد بهم خلاف ذلك واثنى عليهم بانهم يواصلون دعاء ربهم اي عبادته ويواظبون عليها والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام وقيل معناه يصلون صلوة الصبح والعصر ووسمهم بالاخلاص في عبادتهم بقوله يريدون وجهه والوجه يعبر به عن ذات الشيء وحقيقته روي ان رؤساء من المشركين قالوا لرسول الله لو طردت هؤلاء الاعبد يعنون فقراء المسلمين وهم عمار وصهيب وخباب وسلمان واضرابهم وارواح جبابهم وكانت عليهم جباب من صوف جلسنا اليك وحادثناك فقال عليه السلام ما انا بطارد المؤمنين فقالوا فاقمهم عنا اذا جئنا فاذا قمنا فاقعدهم معك ان شئت فقال نعم طمعا في ايمانهم وروي ان عمر رضي الله عنه قال له لو فعلت حتى ننظر الى ما ذا يصيرون فالحوا وقالوا اكتب بذلك كتابا فدعا بالصحيفة وبعلي ليكتب فنزلت فرمى بالصحيفة واعتذر عمر من مقالته قال سلمان وخباب فينا نزلت فكان رسول الله يقعد معنا وندنو منه حتى تمس ركبنا ركبته وكان يقوم عنا اذا اراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا الى ان نقوم عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم

وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين وإذا جاءك الذين يؤمنون
بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم وكذلك نفصل
الآيات ولتستبين سبيل المجرمين قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين

ا

المحيا ومعكم الممات **ما عليك** من حسابهم من شيء كقوله إن حسابهم إلا على ربي وذلك أنهم طعنوا
في دينهم وإخلاصهم فقال ما عليك من حسابهم من شيء بعد شهادته لهم بالإخلاص وبإرادة وجه الله في
أعمالهم على معنى وإن كان الأمر على ما يقولون عند الله فما يلزمك إلا اعتبار الظاهر والاتسام
بسيرة المتقين وإن كان لهم باطن غير مرضي فحسابهم عليهم لازم لهم لا يتعداهم إليك كما أن
حسابك عليك لا يتعداك إليهم كقوله ولا تزر وازرة وزر أخرى **فإن قلت** أما كفى قوله ما عليك
من حسابهم من شيء حتى ضم إليه وما من حسابك عليهم من شيء **قلت** قد جعلت الجملتان بمنزلة جملة واحدة
وقصد بهما مؤدى واحد وهو المعنى في قوله ولا تزر وازرة وزر أخرى ولا يستقل بهذا المعنى
إلا الجملتان جميعا كأنه قيل لا تؤاخذ أنت ولا هم بحساب صاحبه وقيل الضمير للمشركين
والمعنى لا يؤاخذون بحسابك ولا أنت بحسابهم حتى يهمك إيمانهم ويحرك الحرص عليه إلى أن تطرد
المؤمنين **فتطردهم** جواب النفي فتكون من الظالمين جواب النهي ويجوز أن يكون عطفا على فتطردهم على
وجه التسبيب لأن كونه ظالما مسبب عن طردهم وقرئ بالغدوة والعشي **وكذلك** فتنا ومثل
ذلك الفتن العظيم فتنا بعض الناس ببعض أي ابتليناهم بهم وذلك أن المشركين كانوا يقولون
للمسلمين أهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا أي أنعم عليهم بالتوفيق لإصابة الحق ولما يسعدهم عنده
من دوننا ونحن المقدمون والرؤساء وهم العبيد والفقراء إنكارا لأن يكون أمثالهم على الحق وممنونا
عليهم من بينهم بالخير ونحوه أألقي عليه الذكر من بيننا لو كان خيرا ما سبقونا إليه ومعنى فتناهم ليقولوا
ذلك خذلناهم فافتتنوا حتى كان افتتانهم سببا لهذا القول لأنه لا يقول مثل قولهم هذا إلا مخذول
مفتون **أليس الله بأعلم** بالشاكرين أي الله أعلم بمن يقع منه الإيمان والشكر فيوفقه للإيمان وبمن
يصمم على كفره فيخذله ويمنعه التوفيق **فقل** سلام عليكم إما أن يكون أمرا بتبليغ سلام الله إليهم
وإما أن يكون أمرا بأن يبدأهم بالسلام إكراما لهم وتطييبا لقلوبهم وكذلك قوله كتب ربكم على نفسه
الرحمة من جملة ما يقول لهم ليبشرهم ويبشرهم بسعة رحمة الله وقبوله التوبة منهم وقرئ أنه فإنه
بالكسر على الاستئناف كأن الرحمة استفسرت فقيل إنه من عمل منكم وبالفتح على الإبدال من الرحمة
بجهالة في موضع الحال أي عمله وهو جاهل وفيه معنيان أحدهما أنه فاعل فعل الجهلة لأن من
عمل ما يؤدي إلى الضرر في العاقبة وهو عالم بذلك أو ظان فهو من أهل السفه والجهل لا من أهل
الحكمة والتدبير ومنه قول الشاعر على أنها قالت عشية زرتها جهلت على عمد ولم تك جاهلا
والثاني أنه جاهل بما يتعلق به من المكروه والمضرة ومن حق الحكيم أن لا يقدم على شيء حتى يعلم
حاله وكيفيته وقيل إنها نزلت في عمر حين أشار بإجابة الكفرة إلى ما سألوا ولم يعلم أنها مفسدة
وقرئ ولتستبين بالياء والتاء مع رفع السبيل لأنها تذكر وتؤنث وبالتاء على خطاب الرسول مع
نصب السبيل يقال استبان الأمر وتبين واستبنته وتبينته والمعنى ومثل ذلك التفصيل
البين نفصل آيات القرآن ونلخصها في صفة أحوال المجرمين من هو مطبوع على قلبه لا يرجى

قل إني على بينة من ربي وكذبتم به ما عندي ما تستعجلون به إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين قل لو أن عندي
ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم والله أعلم بالظالمين وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط
من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين وهو الذي يتوفاكم بالليل

إسلامه ومن يرجى فيه أمارة القبول وهو الذي يخاف إذا سمع ذكر القيامة ومن دخل في الإسلام إلا أنه لا يحفظ
حدوده ولتستوضح سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يجب أن يعامل به فصلنا ذلك التفصيل **نهيت** صرفت
164 وزجرت بما ركب في من أدلة العقل وبما أوتيت من أدلة السمع عن عبادة ما تعبدون من دون الله وفيه
استجهال لهم ووصف بالاقتحام فيما كانوا فيه على غير بصيرة **قل لا** أتبع أهواءكم أي لا أجري في طريقتكم
التي سلكتموها في دينكم من اتباع الهوى دون اتباع الدليل وهو بيان للسبب الذي منه وقعوا في الضلال
وتنبيه لكل من أراد إصابة الحق ومجانبة الباطل **قد** ضللت إذا أي إن اتبعت أهواءكم فأنا ضال
وما أنا من الهدى في شيء يعني أنكم كذلك ولما نفى أن يكون الهوى متبعا نبه على ما يجب اتباعه بقوله
قل إني على بينة من ربي ومعنى قوله إني على بينة من ربي وكذبتم به أني من معرفة ربي وأنه لا معبود سواه على
حجة واضحة وشاهد صدق وكذبتم به أنتم حيث أشركتم به غيره يقال أنا على بينة من هذا الأمر وأنا
على يقين منه إذا كان ثابتا عندك بدليل ثم عقبه بما دل على استعظام تكذيبهم بالله وشدة غضبه
عليهم لذلك وأنهم أحقاء بأن يغافصوا بالعذاب المستأصل فقال ما عندي ما تستعجلون به يعني
العذاب الذي استعجلوه في قولهم فأمطر علينا حجارة من السماء **إن الحكم** إلا لله في تأخير عذابكم يقضي
الحق أي القضاء الحق في كل ما يقضي من التأخير والتعجيل في أقسامه وهو خير الفاصلين أي القاضين
وقرئ يقص الحق أي يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به ويقدره من قص أثره **لو أن** عندي أي في قدرتي
وإمكاني ما تستعجلون به من العذاب لقضي الأمر بيني وبينكم لأهلكتكم عاجلا غضبا لربي وامتعاضا
من تكذيبكم به ولتخلصت منكم سريعا والله أعلم بالظالمين وبما يجب في الحكمة من كنه عقابهم
وقيل على بينة من ربي على حجة من جهة ربي وهي القرآن وكذبتم به أي بالبينة وذكر الضمير
على تأويل البيان والقرآن **فإن قلت** بم انتصب الحق **قلت** بأنه صفة لمصدر يقضي أي يقضي القضاء الحق
ويجوز أن يكون مفعولا به من قولهم قضى الدرع إذا صنعها أي يصنع الحق ويدبره **وفي** قراءة عبد الله يقضي بالحق
فإن قلت لم أسقطت الياء من الخط **قلت** إتباعا للخط اللفظ وسقوطها في اللفظ لالتقاء الساكنين جعل
للغيب مفاتح على طريق الاستعارة لأن المفاتح يتوصل بها إلى ما في المخازن المستوثق منها بالأغلاق
والأقفال ومن علم مفاتحها وكيف تفتح توصل إليها فأراد أنه هو المتوصل إلى المغيبات وحده لا
يتوصل إليها غيره كمن عنده مفاتح أقفال المخازن ويعلم فتحها فهو المتوصل إلى ما في المخازن
والمفاتح جمع مفتح وهو المفتاح وقرئ مفاتيح وقيل هي جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن
ولا حبة ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة وداخل في حكمها كأنه قيل وما يسقط من شيء من
هذه الأشياء إلا يعلمه وقوله إلا في كتاب مبين كالتكرير لقوله إلا يعلمها لأن معنى إلا يعلمها ومعنى إلا في
كتاب مبين واحد والكتاب المبين علم الله أو اللوح وقرئ ولا حبة ولا رطب ولا يابس بالرفع وفيه
وجهان أن يكون عطفا على محل من ورقة وأن يكون رفعا على الابتداء وخبره إلا في كتاب مبين كقولك
لا رجل منهم ولا امرأة إلا في الدار **وهو الذي** يتوفاكم بالليل الخطاب للكفرة أي أنتم منسدحون

ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى اجل مسمى ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون وهو القاهر فوق عباده
ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ثم ردوا الى الله مولاهم الحق الا له الحكم وهو اسرع الحاسبين
قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض
انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون

الليل كله كالجيفة ويعلم ما جرحتم بالنهار ما كسبتم من الآثام فيه ثم يبعثكم من القبور فيه ثم يبعثكم
من النوم في النهار لأجل ذلك الذي قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ومن اجله
كقولك فيم دعوتني فتقول في امر كذا ليقضى اجل مسمى وهو الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى
وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم وهو المرجع الى موقف الحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون
ليلكم ونهاركم حفظة ملائكة حافظين لاعمالكم وهم الكرام الكاتبون وعن ابي حاتم السجستاني
انه كان يكتب عن الاصمعي كل شيء يلفظ به من فوائد العلم حتى قال فيه انه شبيه الحفظة تكتب لفظ
اللفظة فقال ابو حاتم وهذا ايضا مما يكتب فان قلت الله غني بعلمه عن كتبة الملائكة فما فائدتها
قلت فيها لطف للعباد لانهم اذا علموا ان الله رقيب عليهم والملائكة الذين هم اشرف خلقه موكلون
بهم يحفظون عليهم اعمالهم ويكتبونها في صحائف تعرض على رؤس الاشهاد في مواقف القيامة
كان ذلك ازجر لهم عن القبيح وابعد من السوء توفته رسلنا اي استوفت روحه وهم ملك الموت
واعوانه وعن مجاهد جعلت الارض له مثل الطشت يتناول من يتناوله وما من اهل بيت الا ويطوف
عليهم في كل يوم مرتين وقرئ توفاه ويجوز ان يكون ماضيا ومضارعا بمعنى تتوفاه ولا يفرطون
بالتشديد والتخفيف فالتفريط التواني والتأخير عن الحد والافراط مجاوزة الحد اي لا ينقصون
مما امروا به او لا يزيدون فيه ثم ردوا الى الله اي الى حكمه وجزائه مولاهم مالكهم الذي يلي
عليهم امورهم الحق العدل الذي لا يحكم الا بالحق الا له الحكم يومئذ لا حكم فيه لغيره وهو اسرع
الحاسبين لا يشغله حساب عن حساب وقرئ الحق بالنصب على المدح كقولك الحمد لله الحق ظلمات
البر والبحر مجاز عن مخاوفهما واهوالهما يقال لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب اي اشتدت
ظلمته حتى عاد كالليل ويجوز ان يراد ما يشفون عليه من الخسف في البر والغرق في البحر بذنوبهم
فاذا دعوا وتضرعوا كشف الله عنهم الخسف والغرق فنجوا من ظلماتهما لئن انجيتنا على ارادة
القول من هذه من هذه الظلمة والشدة وقرئ ينجيكم بالتخفيف والتشديد وانجانا وخفية
بالضم والكسر هو القادر هو الذي عرفتموه قادرا وهو الكامل القدرة عذابا من فوقكم كما امطر على
قوم لوط وعلى اصحاب الفيل الحجارة وارسل على قوم نوح الطوفان او من تحت ارجلكم كما اغرق
فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم من قبل اكابركم وسلاطينكم ومن تحت ارجلكم من قبل
سفلتكم وعبيدكم وقيل هو حبس المطر والنبات او يلبسكم شيعا او يخلطكم فرقا مختلفين على
اهواء شتى كل فرقة منكم مشايعة لامام ومعنى خلطهم ان ينشب القتال بينهم فيختلطوا
ويشتبكوا في ملاحم القتال من قوله وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدي
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت الله ان لا يبعث على امتي عذابا من فوقهم او من تحت ارجلهم
فاعطاني ذلك وسألته ان لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني واخبرني جبريل ان فناء امتي بالسيف
وعن جابر بن عبد الله لما نزل من فوقكم قال رسول الله اعوذ بوجهك فلما نزل او من تحت ارجلكم او يلبسكم

وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبإ مستقر وسوف تعلمون واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض
عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين وما على الذين يتقون
من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا وذكر به ان تبسل نفس بما كسبت
ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب
اليم بما كانوا يكفرون

١٦٥

شيعا فالهاتان اهون ومعنى الآية الوعيد باحد اصناف العذاب المعدودة والضمير في قوله وكذب به قومك
راجع الى العذاب وهو الحق اي لابد ان ينزل بهم قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الي امركم امنعكم من
التكذيب اجبارا انما انا منذر لكل نبإ لكل شيء ينبأ به يعني انباءهم بانهم يعذبون وايعادهم
به مستقر وقت استقرار وحصول لابد منه وقيل الضمير في به للقرآن يخوضون في آياتنا
في الاستهزاء بها والطعن فيها وكانت قريش في انديتهم يفعلون ذلك فاعرض عنهم فلا تجالسهم
وقم عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره فلا بأس ان تجالسهم حينئذ واما ينسينك الشيطان وان شغلك
بوسوسته حتى تنسى النهي عن مجالستهم فلا تقعد معهم بعد الذكرى بعد ان ذكرناك قبحها ونبهناك عليه
معهم وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم شيء مما يحاسبون عليه
من ذنوبهم ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى اذا سمعوهم يخوضون بالقيام عنهم واظهار الكراهة لهم
وموعظتهم لعلهم يتقون لعلهم يجتنبون الخوض حياء او كراهة لمساءتهم ويجوز ان يكون الضمير للذين
يتقون اي يذكرونهم ارادة ان يثبتوا على تقواهم ويزدادوها وروي ان المسلمين قالوا لئن كنا
نقوم كلما استهزؤا بالقرآن لم نستطع ان نجلس في المسجد الحرام وان نطوف فرخص لهم
فان قلت ما محل ذكرى قلت يجوز ان يكون نصبا على ولكن يذكرونهم ذكرى اي تذكيرا او رفعا على ولكن
عليهم ذكرى ولا يجوز ان يكون عطفا على محل من شيء كقولك ما في الدار من احد ولكن زيد لان قوله من
حسابهم يأبى ذلك اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اي دينهم الذي كان يجب ان يأخذوا به لعبا ولهوا وذلك
ان عبادة الاصنام وما كانوا عليه من تحريم البحائر والسوائب وغير ذلك من باب اللعب واللهو
واتباع هوى النفس والعمل بالشهوة ومن جنس الهزل دون الجد او اتخذوا ما هو لعب ولهو
من عبادة الاصنام وغيرها دينا لهم او اتخذوا دينهم الذي كلفوه ودعوا اليه وهو دين الاسلام لعبا
ولهوا حيث سخروا به واستهزؤا وقيل جعل الله لكل قوم عيدا يعظمونه ويصلون فيه ويعمرونه
بذكر الله والناس كلهم من المشركين واهل الكتاب اتخذوا عيدهم لهوا ولعبا غير المسلمين فانهم اتخذوا
عيدهم كما شرعه الله ومعنى ذرهم اعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم ولا تشغل قلبك بهم وذكر
به اي بالقرآن ان تبسل نفس مخافة ان تسلم الى الهلكة والعذاب وترتهن بسوء كسبها واصل الابسال
المنع لان المسلم اليه يمنع المسلم قال وابسالي بني بغير جرم ومنه هذا عليك بسل اي حرام محظور
والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه او لانه شديد البسور يقال بسر الرجل اذا اشتد عبوسه
فاذا زاد قالوا بسل والعابس منقبض الوجه وان تعدل كل عدل وان تفد كل فداء والعدل
الفدية لان الفادي يعدل المفدي بمثله وكل عدل نصب على المصدر وفاعل لا يؤخذ قوله منها
لا ضمير العدل لان العدل هنا مصدر فلا يسند اليه الاخذ واما في قوله ولا يؤخذ منها عدل فبمعنى
المفدي به فصح اسناده اليه اولئك اشارة الى المتخذين دينهم لعبا ولهوا قيل نزلت في ابي بكر رضي الله عنه
حين دعاه ابنه عبد الرحمن الى عبادة الاوثان قل اندعوا انعبد من دون الله الضار النافع ما لا يقدر على

قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على اعقابنا بعد اذ هدنا الله كالذي استهوته الشياطين في الارض
حيران له اصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا قل ان هدى الله هو الهدى وامرنا لنسلم لرب العالمين وان اقيموا الصلوة واتقوه وهو
الذي اليه تحشرون وهو الذي خلق السموات والارض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة
وهو الحكيم الخبير واذ قال ابراهيم لابيه آزر أتتخذ اصناما الهة اني اراك وقومك في ضلال مبين وكذلك نري ابراهيم

ينفعنا ولا يضرنا ونرد على اعقابنا راجعين الى الشرك بعد اذ انقذنا الله منه وهدانا للاسلام كالذي
استهوته الشياطين كالذي ذهبت به مردة الجن والغيلان في الارض المهمه حيران تائها ضالا عن الجادة
لا يدري كيف يصنع له اي لهذا المستهوى اصحاب رفقة يدعونه الى الهدى الى ان يهدوه الطريق المستوى
او سمى الطريق المستقيم بالهدى يقولون له ائتنا وقد اعتسف المهمه تابعا للجن لا يجيبهم ولا ياتيهم
وهذا مبني على ما تزعمه العرب وتعتقده ان الجن تستهوي الانسان والغيلان تستولي عليه كقوله
كالذي يتخبطه الشيطان فشبه به الضال عن طريق الاسلام التابع لخطوات الشيطان والمسلمون
يدعونه اليه فلا يلتفت اليهم قل ان هدى الله وهو الاسلام هو الهدى وحده وما وراءه ضلال وغي ومن
يبتغ غير الاسلام دينا فماذا بعد الحق الا الضلال فان قلت ما محل الكاف في قوله كالذي استهوته
قلت النصب على الحال من الضمير في نرد على اعقابنا اي اننكص مشبهين من استهوته الشياطين
فان قلت ما معنى استهوته قلت هو استفعال من هوى في الارض اذا ذهب فيها كان معناه طلبت هويه
وحرصت عليه فان قلت ما محل وامرنا قلت النصب عطفا على محل قوله ان هدى الله هو الهدى على انهما مقولان
كانه قيل قل هذا القول وقل امرنا لنسلم فان قلت ما معنى اللام في لنسلم قلت هي تعليل للامر بمعنى امرنا
وقيل لنا اسلموا لاجل ان نسلم فان قلت فاذا كان هذا واردا في شان ابي بكر فكيف قيل للرسول قل
اندعو قلت للاتحاد الذي كان بين رسول الله والمؤمنين خصوصا بينه وبين الصديق رضي الله عنه فان قلت
علام عطف قوله وان اقيموا قلت على موضع لنسلم كانه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا ويجوز ان يكون
التقدير وامرنا لان نسلم ولان اقيموا اي للاسلام ولاقامة الصلوة قوله الحق مبتدأ ويوم يقول خبره
مقدما عليه وانتصابه بمعنى الاستقرار كقولك يوم الجمعة القتال واليوم بمعنى الحين والمعنى انه
خلق السموات والارض قائما بالحق والحكمة وحين يقول لشيء من الاشياء كن فيكون ذلك الشيء
قوله الحق والحكمة اي لا يكون شيئا من السموات والارض وسائر المكونات الا عن حكمة وصواب
ويوم ينفخ ظرف لقوله وله الملك كقوله لمن الملك اليوم ويجوز ان يكون قوله الحق فاعل يكون على معنى
وحين يقول لقوله الحق اي لقضائه الحق كن فيكون قوله الحق وانتصاب اليوم بمحذوف دل عليه
قوله بالحق كانه قيل وحين يكون ويقدر يقوم بالحق عالم الغيب هو عالم الغيب وارتفاعه على المدح
آزر اسم ابي ابراهيم وفي كتب التواريخ ان اسمه بالسريانية تارخ والاقرب ان يكون وزن آزر
فاعل مثل تارخ وعابر وعازر وشالخ وفالغ وما اشبهها من اسمائهم وهو عطف بيان لابيه
وقرئ آزر بالضم على النداء وقيل آزر اسم صنم فيجوز ان ينبز به للزومه عبادته كما
نبز ابن قيس بالرقيات اللاتي كان يشبب بهن فقيل ابن قيس الرقيات وفي شعر بعض
المحدثين ادعى باسماء نبزا في قبائلها كان اسماء اضحت بعض اسمائي او اريد عابد آزر
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقرئ أأزرا تتخذ اصناما الهة بفتح الهمزة وكسرها
بعد همزة الاستفهام وزاي ساكنة وراء منصوبة منونة وهو اسم صنم ومعناه اتعبد ازرا

ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما افل قال لا احب الافلين فلما رأى القمر بازغا
قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر فلما افلت قال
يا قوم اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين وحاجه قومه قال اتحاجوني في الله
وقد هدان ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما افلا تتذكرون وكيف اخاف ما اشركتم

على الانكار ثم قال تتخذ اصناما الهة تثبيتا لذلك وتقريرا وهو داخل في حكم الانكار لانه كالبيان
له فلما جن عليه الليل عطف على قال ابراهيم لابيه وقوله وكذلك نري ابراهيم جملة معترضة بين
١٦٦ المعطوف والمعطوف عليه والمعنى ومثل ذلك التعريف والتبصير نعرف ابراهيم ونبصره ملكوت السموات
والارض يعني الربوبية والالهية ونوفقه لمعرفتها ونرشده بما شرحنا صدره وسددنا نظره وهديناه
لطريق الاستدلال وليكون من الموقنين فعلنا ذلك ونري حكاية حال ماضية وكان ابوه وقومه يعبدون
الاصنام والشمس والقمر والكواكب فاراد ان ينبههم على الخطأ في دينهم وان يرشدهم الى طريق النظر والاستدلال
ويعرفهم ان النظر الصحيح مؤد الى ان شيئا منها لا يصح ان يكون الها لقيام دليل الحدوث فيها وان
وراءها محدثا احدثها وصانعا صنعها ومدبرا دبر طلوعها وافولها وانتقالها ومسيرها وساير
احوالها هذا ربي قول من ينصف خصمه مع علمه انه مبطل فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه لان
ذلك ادعى الى الحق وانجى من الشغب ثم يكر عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة لا احب الافلين لا احب
عبادة الارباب المتغيرين عن حال الى حال المتنقلين من مكان الى مكان المحتجبين بستر فان ذلك من صفات
الاجرام بازغا مبتديا في الطلوع لئن لم يهدني ربي تنبيه لقومه على ان من اتخذ القمر الها وهو
نظير الكواكب في الافول فهو ضال وان الهداية الى الحق بتوفيقه ولطفه هذا اكبر من باب استعمال
النصفة ايضا مع خصومه اني بريء مما تشركون من الاجرام التي تجعلونها شركاء لخالقها اني وجهت
وجهي للذي فطر السموات والارض اي للذي دلت هذه المحدثات عليه وعلى انه مبتديها ومبتدعها وقيل
هذا كان نظره واستدلاله في نفسه فحكاه الله والاول اظهر لقوله لئن لم يهدني وقوله يا قوم اني بريء
مما تشركون فان قلت لم احتج عليهم بالافول دون البزوغ وكلاهما انتقال من حال الى حال قلت الاحتجاج
بالافول اظهر لانه انتقال مع خفاء واحتجاب فان قلت ما وجه التذكير في قوله هذا ربي والاشارة
للشمس قلت جعل المبتدا مثل الخبر لكونهما عبارة عن شيء واحد كقولهم ما جاءت حاجتك ومن كانت امك
ولم تكن فتنتهم الا ان قالوا وكان اختيار هذه الطريقة واجبا لصيانة الرب عن شبهة التانيث الا تراهم
قالوا في صفة الله علام ولم يقولوا علامة وان كان العلامة ابلغ احترازا من علامة التانيث وقرئ
ترى ابراهيم ملكوت السموات بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية وحاجه قومه
قال اتحاجوني في الله وكانوا حاجوه في توحيد الله ونفي الشركاء عنه منكرين لذلك وقد هدان يعني الى
التوحيد ولا اخاف ما تشركون به وقد خوفوه ان معبوداتهم تصيبه بسوء الا ان يشاء ربي شيئا الا وقت
مشية ربي شيئا يخاف فحذف الوقت يعني لا اخاف معبوداتكم في وقت قط لانها لا تقدر على منفعة
ولا مضرة الا اذا شاء ربي ان يصيبني بمخوف من جهتها ان اصبت ذنبا استوجب به انزال المكروه
مثل ان يرجمني بكوكب او بشقة من الشمس او القمر او يجعلها قادرة على مضرتي وسع ربي كل شيء
علما اي ليس بعجب ولا مستبعد ان يكون في علمه انزال المخوف بي من جهتها افلا تتذكرون فتميزوا
بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وكيف اخاف لتخويفكم شيئا مامون الخوف لا يتعلق

ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فاي الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون الذين امنوا ولم
يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان
ربك حكيم عليم ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمن وايوب ويوسف وموسى
وهرون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين واسمعيل واليسع ويونس ولوطا

وكلا فضلنا على العالمين ضرر بوجه وانتم لا تخافون ما يتعلق به كل خوف وهو اشراككم بالله ما لم ينزل باشراكه سلطانا اي حجة
ومن اباءهم وذرياتهم واخوانهم لان الاشراك لا يصح ان يكون عليه حجة كانه قال وما لكم تنكرون علي الامن في موضع الامن ولا
واجتبيناهم وهديناهم الى تنكرون على انفسكم الامن في موضع الخوف ولم يقل فاينا احق بالامن انا ام انتم احترازا من تزكية نفسه
فعدل عنه الى قوله فاي الفريقين يعني فريقي المشركين والموحدين ثم استانف الجواب عن السوال بقوله
الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اي لم يخلطوا ايمانهم بمعصية تفسقهم وابى تفسير الظلم بالكفر
لفظ اللبس وتلك اشارة الى جميع ما احتج به ابرهيم عليه السلام على قومه من قوله فلما جن عليه الليل
الى قوله وهم مهتدون ومعنى اتيناها ارشدناه اليها او علمناه اياها نرفع درجات من نشاء في العلم والحكمة
وقرئ بالتنوين ومن ذريته الضمير لنوح او لابرهيم وداود عطف على نوحا اي وهدينا داود
ومن اباءهم في موضع النصب عطفا على كلا بمعنى وفضلنا بعض اباءهم ولو اشركوا مع فضلهم وتقدمهم
وما رفع لهم من الدرجات لكانوا كغيرهم في حبوط اعمالهم كما قال لئن اشركت ليحبطن عملك
اتيناهم الكتاب يريد به الجنس فان يكفر بها بالكتاب والحكم والنبوة او بالنبوة هؤلاء يعني اهل مكة فقد وكلنا
هم الانبياء المذكورون بدليل قوله اولئك الذين هدى الله فبهديهم اقتده ومن فصل قوله فان يكفر بها هؤلاء بما قبله
وقيل هم اصحاب النبي عليه السلام وكل من امن به وقيل كل مؤمن من بني ادم وقيل الملائكة وادعى الاختصاص انها
لم وعن مجاهد هم الفرس ومعنى توكيلهم بها انهم وفقوا للايمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل
الرجل بالشيء ليقوم به ويتعهده ويحافظ عليه والباء في بها صلة كافرين وفي بكافرين لتاكيد النفي فبهديهم
اقتده فاختص هديهم بالاقتداء ولا تقتد بغيرهم وهذا معنى تقديم المفعول والمراد بهداهم طريقتهم
في الايمان بالله وتوحيده واصول الدين دون الشرائع فانها مختلفة وهي هدى ما لم تنسخ فاذا نسخت
لم تبق هدى بخلاف اصول الدين فانها هدى ابدا والهاء في اقتده للوقف تسقط في الدرج واستحسن ايثارا للوقف
لثبات الهاء في المصحف وما قدروا الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته في الرحمة على عباده واللطف بهم
حين انكروا بعثة الرسل والوحي اليهم وذلك من اعظم رحمته واجل نعمته وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
او ما عرفوه حق معرفته في سخطه على الكافرين وشدة بطشه بهم ولم يخافوه حين جسروا على تلك المقالة
العظيمة من انكار النبوة والقائلون هم اليهود بدليل قراءة من قرا تجعلونه بالتاء وكذلك تبدونها
وتخفون وانما قالوا ذلك مبالغة في انكار انزال القران على رسول الله فالزموا ما لا بد لهم من الاقرار به
من انزال التورية على موسى وادرج تحت الالزام توبيخهم وان نعى عليهم سوء حملهم لكتابهم وتحريفهم
وابداء بعض واخفاء بعض فقيل جاء به موسى وهو نور وهدى للناس حتى غيروه ونقصوه وجعلوه قراطيس
مقطعة وورقات مفرقة ليتمكنوا مما راموا من الابداء والاخفاء وروي ان مالك بن الصيف من احبار
اليهود ورؤسائهم قال له رسول الله صلى الله عليه انشدك بالذي انزل التورية على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر
السمين فانت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذي يطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم
التفت الى عمر فقال ما انزل الله على بشر من شيء فقال له قومه ويلك ما هذا الذي بلغنا عنك فقال انه اغضبني فنزعوه وجعلوا

صراط مستقيم ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو اشركوا لحبط عنهم
ما كانوا يعملون اولئك الذين اتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا
بها قوما ليسوا بها بكافرين اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا اسئلكم عليه اجرا ان هو الا ذكرى للعالمين وما قدروا
الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها

ويخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذي
بين يديه ولتنذر ام القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون ومن اظلم ممن
افترى على الله كذبا او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء ومن قال سانزل مثل ما انزل الله ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة
باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون

مكانه كعب بن الاشرف وقيل القائلون قريش وقد الزموا بانزال التورية لانهم كانوا يسمعون من اليهود بالمدينة
١٦٧ ذكر موسى والتورية وكانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم
الخطاب لليهود اي علمتم على لسان محمد مما اوحي اليه ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم والخطاب لليهود وانتم حملة التورية
ولم يعلمه اباؤكم الاقدمون الذين كانوا اعلم منكم ان هذا القران يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل
الخطاب لمن امن من قريش كقوله لتنذر قوما ما انذر اباؤهم قل الله اي انزله الله فانهم لا يقدرون ان يناكروك ثم ذرهم
في خوضهم في باطلهم الذي يخوضون فيه ولا عليك بعد التبليغ والزام الحجة ويقال لمن كان في عمل لا يجدي عليه انما انت لاعب
يلعبون حال من ذرهم او من خوضهم ويجوز ان يكون في خوضهم حالا من يلعبون وان يكون صلة لهم او لذرهم مبارك
كثير المنافع والفوائد ولتنذر معطوف على ما دل عليه صفة الكتاب اي كونه مباركا كانه قيل انزلناه للبركات وتصديق
ما تقدمه من الكتب والانذار وقرئ لينذر بالياء اي الكتاب وسميت مكة ام القرى لانها مكان اول بيت وضع للناس
ولانها قبلة اهل القرى كلها ومحجهم ولانها اعظم القرى شانا ولبعض المجاورين لمن يلحى بلو في بعض الغريبات رحله
فام القرى دجلي ملتقى رجالي ومنتابي والذين يؤمنون بالاخرة يصدقون بالعاقبة ويخافونها يؤمنون
بهذا الكتاب وذلك لان اصل الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن وخص الصلوة لانها عماد
الدين ومن حافظ عليها كانت لطفا له في المحافظة على اخواتها افترى على الله كذبا فزعم ان الله بعثه نبيا او قال اوحي
الي ولم يوح اليه شيء وهو مسيلمة الحنفي الكذاب او كذاب صنعاء الاسود العنسي وعن النبي عليه السلام رايت
فيما يرى النائم كان في يدي سوارين من ذهب فكبرا علي واهماني فاوحى الله الي ان انفخهما فنفختهما
فطارا فاولتهما الكذابين اللذين انا بينهما كذاب اليمامة مسيلمة وكذاب صنعاء الاسود العنسي
ومن قال سانزل مثل ما انزل الله هو عبد الله بن سعد بن ابي سرح القرشي كان يكتب لرسول الله فكان اذا
املى عليه سميعا عليما كتب هو عليما حكيما واذا قال عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزلت ولقد
خلقنا الانسان من سلالة من طين الى اخره عجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك الله احسن الخالقين
فقال عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه
ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال فارتد عن الاسلام ولحق بمكة ثم رجع مسلما قبل فتح مكة وقيل هو النضر بن
الحارث والمستهزؤن ولو ترى جوابه محذوف اي لرايت امرا عظيما اذ الظالمون يريد الذين ذكرهم من اليهود
والمتنبئة فيكون اللام للعهد ويجوز ان يكون للجنس فيدخل فيه هؤلاء لاشتماله وغمرات الموت شدائده
وسكراته واصل الغمرة ما يغمر من الماء فاستعيرت للشدة الغالبة باسطوا ايديهم بقبض ارواحهم يبسطون اليهم
ايديهم يقولون هاتوا ارواحكم اخرجوها الينا من اجسادكم وهذه عبارة عن العنف في السياق والالحاح
والتشديد في الازهاق من غير تنفيس وامهال وانهم يفعلون بهم فعل الغريم الملظ يبسط يده الى من عليه
الحق ويعنف عليه في المطالبة ولا يمهله ويقول له اخرج الي ما لي عليك الساعة ولا اريم مكاني
حتى انزعه من احداقك وقيل معناه باسطوا ايديهم عليهم بالعذاب اخرجوا انفسكم خلصوها من ايدينا اي لا
تقدرون على الخلاص اليوم تجزون يجوز ان يريدوا وقت الاماتة وما يعذبون به من شدة النزع وان يريدوا

عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما
خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون ان الله فالق
الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فانى تؤفكون فالق الاصباح وجعل (جاعل) الليل سكنا والشمس
والقمر حسبانا

الوقت الممتد المتطاول الذي يلحقهم فيه العذاب في البرزخ والقيامة والهون الهوان الشديد واضافة
العذاب اليه كقولك رجل سوء تريد العراقة في الهوان والتمكن فيه عن آياته تستكبرون فلا تؤمنون فرادى
منفردين عن اموالكم واولادكم وما حرصتم عليه وآثرتموه من دنياكم وعن اوثانكم التي زعمتم انها شفعاء لكم
وشركاء لله كما خلقناكم اول مرة على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا
به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة وراء ظهوركم لم ينفعكم ولم تحتملوا منه نقيرا ولا قدمتموه لانفسكم
فيكم شركاء في استعبادكم لانهم حين دعوهم آلهة وعبدوها فقد جعلوها لله شركاء فيهم وفي استعبادهم
وقرئ فرادًا بالتنوين وفراد مثل ثلاث وفردى كسكرى فان قلت كما خلقناكم في اي محل هو قلت في محل النصب
صفة لمصدر جئتمونا اي مجيئا مثل ما خلقناكم تقطع بينكم وقع التقطع بينكم كما تقول جمع بين الشيئين
تريد اوقع الجمع بينهما على اسناد الفعل الى مصدره بهذا التاويل ومن رفع فقد اسند الفعل الى الظرف
كما تقول قوتل خلفكم وامامكم وفي قراءة عبد الله لقد تقطع ما بينكم فالق الحب والنوى بالنبات والشجر
وعن مجاهد اراد الشقين اللذين في النواة والحنطة يخرج الحي من الميت اي الحيوان والنامي
من النطف والبيض والحب والنوى ومخرج هذه الاشياء الميتة من الحيوان والنامي فان قلت كيف قال
ومخرج الميت من الحي بلفظ اسم الفاعل بعد قوله يخرج الحي من الميت قلت عطفه على فالق الحب والنوى لا على
الفعل ويخرج الحي من الميت موقعه موقع الجملة المبينة لقوله فالق الحب والنوى لان فلق الحب والنوى بالنبات والشجر
النامِيَين من جنس اخراج الحي من الميت لان النامي في حكم الحيوان الا ترى الى قوله يحيي الارض بعد موتها ذلكم
الله ذلكم المحيي المميت هو الله الذي تحق له الربوبية فانى تؤفكون فكيف تصرفون عنه وعن توليه الى
غيره الاصباح مصدر سمي به الصبح وقرأ الحسن بفتح الهمزة جمع صبح وانشد قوله
افني رياحا وبني رياح تناسخ الامساء والاصباح بالكسر والفتح مصدرين وجمعَي مُسي وصبح
فان قلت فما معنى فلق الصبح والظلمة هي التي تنفلق عن الصبح كما قال تفري ليل عن بياض نهار
قلت فيه وجهان احدهما ان يراد فالق ظلمة الاصباح وهي الغبش في آخر الليل ومنقضاه الذي يلي
الصبح والثاني ان يراد فالق الاصباح الذي هو عمود الفجر عن بياض النهار واسفاره وقالوا انشق
عمود الفجر وانصدع الفجر وسموا الفجر فلقا بمعنى مفلوق وقال الطائي
واَزرق الفجر يبدو قبل ابيضه وقرئ فالق الاصباح وجاعل الليل بالنصب على المدح وقرأ
النخعي فلق الاصباح وجعل الليل السكن ما يسكن اليه الرجل ويطمئن استيناسا به واسترواحا
اليه من زوج او حبيب ومنه قيل للنار سكن لانه يستأنس بها الا تراهم سموها المؤنسة والليل يطمئن
اليه المتعب بالنهار لاستراحته فيه وجمامه ويجوز ان يراد وجعل الليل مسكونا فيه من قوله لتسكنوا
فيه والشمس قرئ بالحركات الثلاث فالنصب على اضمار فعل دل عليه جاعل الليل اي وجعل الشمس
والقمر حسبانا او يعطفان على محل الليل فان قلت كيف يكون لليل محل والاضافة حقيقية لان اسم
الفاعل المضاف اليه في معنى المضي ولا تقول زيد ضارب عمرا امس قلت ما هو في معنى المضي وانما هو دال

ذلك تقدير العزيز العليم وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر
والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون وهو الذي انشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع
قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون وهو الذي انزل من
السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء فاخرجنا منه خضرا
نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية و

١٦٨

على جعل مستمر في الازمنة المختلفة وكذلك فالق الحب وفالق الاصباح كما تقول الله قادر عالم فلا تقصد
زمانا دون زمان والجر عطف على لفظ الليل والرفع على الابتداء والخبر محذوف تقديره والشمس والقمر
مجعولان حسبانا او محسوبان حسبانا ومعنى جعل الشمس والقمر حسبانا جعلهما على حسبان
لان حساب الاوقات يعلم بدورهما وسيرهما والحسبان بالضم مصدر حسب كما ان الحسبان بالكسر
مصدر حسب ونظيره الكفران والشكران ذلك اشارة الى جعلهما حسبانا اي ذلك التسيير
بالحساب المعلوم تقدير العزيز الذي قهرهما وسخرهما العليم بتدبيرهما وتدويرهما في ظلمات
البر والبحر في ظلمات الليل بالبر والبحر واضافها اليهما لملابستها لهما او شبه مشتبهات
الطرق بالظلمات من فتح قاف فمستقر كان المستودع اسم مكان مثله او مصدرا ومن كسرها
كان اسم فاعل والمستودع اسم مفعول والمعنى فلكم مستقر في الرحم ومستودع في الصلب او
مستقر فوق الارض ومستودع تحتها او فمنكم مستقر ومنكم مستودع فان قلت لم قيل يعلمون
مع ذكر النجوم ويفقهون مع ذكر انشاء بني آدم قلت كان انشاء الانس من نفس واحدة وتصريفهم
بين احوال مختلفة الطف وادق صنعة وتدبيرا فكان ذكر الفقه الذي هو استعمال فطنة وتدقيق
نظر مطابقا له فاخرجنا به بالماء نبات كل شيء نبت كل صنف من اصناف النامي يعني ان السبب واحد
وهو الماء والمسببات صنوف مفتنة كما قال تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل
فاخرجنا منه من النبات خضرا شيئا غضا اخضر يقال اخضر وخضر كاعور وعور وهو
ما تشعب من اصل النبات الخارج من الحبة نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل وقنوان
رفع بالابتداء ومن النخل خبره ومن طلعها بدل منه كأنه قيل وحاصله من طلع النخل قنوان ويجوز
ان يكون الخبر محذوفا لدلالة اخرجنا عليه تقديره ومخرجة من طلع النخل قنوان ومن قرأ يخرج
منه حب متراكب كان قنوان عنده معطوفا على حب والقنوان جمع قنو ونظيره صنو وصنوان
وقرئ بضم القاف وبفتحها على انه اسم جمع كركب لان فعلان ليس من زنات التكسير دانية سهلة
المجتنى معرضة للقاطف كالشيء الداني القريب المتناول ولان النخلة وان كانت صغيرة ينالها
القاعد فانها تاتي بالثمر لا تنتظر الطول وقال الحسن دانية قريب بعضها من بعض وقيل
ذكر القريبة وترك ذكر البعيدة لان النعمة فيها اظهر اودل بذكر القريبة على ذكر البعيدة كقوله
سرابيل تقيكم الحر وقوله وجنات من اعناب فيه وجهان احدهما ان يراد وثم جنات
من اعناب اي مع النخل والثاني ان يعطف على قنوان على معنى وحاصلة او ومخرجة من النخل
قنوان وجنات من اعناب اي من نبات اعناب وقرئ وجنات بالنصب عطفا على نبات
كل شيء اي واخرجنا به جنات من اعناب وكذلك قوله والزيتون والرمان والاحسن ان ينتصبا
على الاختصاص كقوله والمقيمين الصلوة لفضل هذين الصنفين مشتبها وغير متشابه يقال
اشتبه الشيئان وتشابها كقولك استويا وتساويا والافتعال والتفاعل يشتركان كثيرا

جنات من اعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه

انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا
له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون بديع السموات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة و
خلق كل شيء وهو بكل شيء عليم

وقرى مشتبها وغير متشابه وتقديره والزيتون متشابها وغير متشابه والرمان كذلك كقوله
كنت منه ووالدي بريا والمعنى بعضه متشابها وبعضه غير متشابه في القدر واللون
والطعم وذلك دليل على التعمد دون الاهمال انظروا الى ثمره اذا اثمر اذا اخرج ثمره
كيف يخرجه ضئيلا ضعيفا لا يكاد ينتفع به وانظروا الى حال ينعه ونضجه كيف يعود
شيئا جامعا للمنافع والملاذ نظر اعتبار واستبصار على قدرة مقدره ومدبره وناقله من حال
الى حال وقرى وينعه بالضم يقال ينعت الثمرة ينعا وقرا ابن محيصن ويانعه وقرى
ثمره ان جعلت لله شركاء مفعولين جعلوا نصبت الجن بدلا من شركاء وان جعلت لله لغوا
كان شركاء الجن مفعولين قدم ثانيهما على الاول فان قلت ما فائدة التقديم قلت فائدته
استعظام ان يتخذ لله شريك من كان ملكا او جنيا او انسيا او غير ذلك ولذلك قدم اسم
الله على الشركاء وقرى الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة التي للتبيين
والمعنى اشركوهم في عبادته لانهم اطاعوهم كما يطاع الله وقيل هم الذين زعموا ان الله خالق الخير
وكل نافع وابليس خالق الشر وكل ضار وخلقهم وخلق الجاعلين لله شركاء ومعناه وعلموا ان
الله خالقهم دون الجن ولم يمنعهم علمهم ان يتخذوا من لا يخلق شريكا للخالق وقيل الضمير للجن وقرى
وخلقهم اى اختلاقهم للافك يعني وجعلوا لله خلقهم حيث نسبوا قبائحهم الى الله في قولهم والله امرنا
بها وخرقوا له اى اختلقوا له بنين وبنات وهو قول اهل الكتابين في المسيح وعزير وقول قريش في الملائكة
يقال خلق الافك وخرقه واختلقه واخترقه بمعنى وسئل الحسن عنه فقال كلمة عربية كانت
العرب تقولها كان الرجل اذا كذب كذبة في نادي القوم يقول له بعضهم قد خرقها والله
ويجوز ان يكون من خرق الثوب اذا شقه اى اشتقوا له بنين وبنات وقرى وخرقوا بالتشديد للتكثير
لقوله بنين وبنات وقرا ابن عمر وابن عباس وحرفوا له بمعنى وزوروا له اولادا لان المزور محرف
مغير للحق الى الباطل بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوه من خطا او صواب ولكن رميا بقول
عن عمى وجهالة من غير فكر وروية بديع السموات من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها كقولك فلان
بديع الشعر اى بديع شعره او هو بديع في السموات والارض كقولك فلان ثبت الغدر اى ثابت فيه والمعنى
انه عديم النظير والمثل فيهما وقيل البديع بمعنى المبدع وارتفاعه على انه خبر مبتدا محذوف او هو مبتدا
وخبره انى يكون له ولد او فاعل تعالى وقرى بالجر ردا على قوله وجعلوا لله او على سبحانه وبالنصب
على المدح وفيه ابطال الولد من ثلاثة اوجه احدها ان مبتدع السموات والارض وهي اجسام عظيمة
لا يستقيم ان يوصف بالولادة لان الولادة من صفات الاجسام ومخترع الاجسام لا يكون جسما حتى يكون
والدا والثاني ان الولادة لا تكون الا بين زوجين من جنس واحد وهو متعال عن مجانس فلم يصح ان يكون له
صاحبة فلم تصح الولادة والثالث انه ما من شيء الا وهو خالقه والعالم به ومن كان بهذه الصفة
كان غنيا عن كل شيء والولد انما يطلبه المحتاج وقرى لم يكن له صاحبة بالياء وانما جاز للفصل

ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير قد جاءكم بصائر
من ربكم فمن ابصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما انا عليكم بحفيظ وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون اتبع ما
اوحي اليك من ربك لا اله الا هو واعرض عن المشركين ولو شاء الله ما اشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما انت عليهم بوكيل
ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم

كقوله لقد ولد الاخيطل ام سوء ذلكم اشارة الى الموصوف بما تقدم من الصفات وهو مبتدا وما
بعده اخبار مترادفة وهي الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء اى ذلكم الجامع لهذه الصفات فاعبدوه
مسبب عن مضمون الجملة على معنى ان من استجمعت له هذه الصفات كان هو الحقيق بالعبادة
فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه ثم قال وهو على كل شيء وكيل يعني وهو مع تلك الصفات
مالك لكل شيء من الارزاق والآجال رقيب على الاعمال البصر هو الجوهر اللطيف الذي ركبه الله في
حاسة النظر به تدرك المبصرات فالمعنى ان الابصار لا تتعلق به ولا تدركه لانه متعال ان يكون
مبصرا في ذاته لان الابصار انما تتعلق بما كان في جهة اصلا او تابعا كالاجسام والهيئات وهو
يدرك الابصار وهو للطف ادراكه للمدركات يدرك تلك الجواهر اللطيفة التي لا يدركها مدرك
وهو اللطيف يلطف عن ان تدركه الابصار الخبير بكل لطيف فهو يدرك الابصار لا تلطف عن
ادراكه وهذا من باب اللف قد جاءكم بصائر هو وارد على لسان رسول الله صلى الله عليه
لقوله وما انا عليكم بحفيظ والبصيرة نور القلب الذي به يستبصر كما ان البصر نور العين
الذي به تبصر اى جاءكم من الوحي والتنبيه على ما يجوز على الله وما لا يجوز ما هو للقلوب كالبصائر
فمن ابصر الحق وآمن فلنفسه ابصر واياها نفع ومن عمي عنه فعلى نفسه عمي واياها
ضر بالعمى وما انا عليكم بحفيظ احفظ اعمالكم واجازيكم عليها انما انا منذر والله هو
الحفيظ عليكم وليقولوا جوابه محذوف تقديره وليقولوا درست نصرفها ومعنى درست
قرات وتعلمت وقرى دارست اى دارست العلماء ودرست بمعنى قدمت هذه الآيات
وعفت كما قالوا اساطير الاولين ودرست بضم الراء مبالغة في درست اى اشتد دروسها
ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت ودارست وفسروها بدارست
اليهود محمدا وجاز الاضمار لان الشهرة بالدراسة كانت لليهود عندهم ويجوز ان يكون الفعل
للآيات وهو لاهلها اى دارس اهل الآيات وحملتها محمدا وهم اهل الكتاب ودرس اى درس محمد
ودارسات على هي دارسات اى قديمات او ذات درس كعيشة راضية فان قلت اى فرق بين اللامين
في ليقولوا ولنبينه قلت الفرق بينهما ان الاولى مجاز والثانية حقيقة وذلك ان الآيات صرفت للتبيين
ولم تصرف ليقولوا دارست ولكن لانه حصل هذا القول بتصريف الآيات كما حصل التبيين شبه به فسيق
مساقه وقيل ليقولوا كما قيل لنبينه فان قلت الام يرجع الضمير في قوله ولنبينه قلت الى الآيات
لانها في معنى القرآن كانه قيل وكذلك نصرف القرآن او الى القرآن وان لم يجر له ذكر لكونه معلوما
او الى التبيين الذي هو مصدر الفعل كقولهم ضربته زيدا ويجوز ان يراد فيمن قرا درست ودارست
درست الكتاب ودراسته فيرجع الى الكتاب المقدر اعرض عن المشركين اعتراض اكد به ايجاب
اتباع الوحي لا محل له من الاعراب ويجوز ان يكون حالا من ربك وهي حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا
ولا تسبوا الآلهة الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله وذلك انهم قالوا عند نزول قوله انكم وما

وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى

تعبدون من دون الله حصب جهنم لننتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك وقيل كان المسلمون يسبون آلهتهم فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله فان قلت سب الالهة حق وطاعة فكيف يصح النهي عنه وانما يصح النهي عن المعاصي قلت رب طاعة علم انها تكون مفسدة فتخرج عن ان تكون طاعة فيجب النهي عنها لانها معصية لا لانها طاعة كالنهي عن المنكر هو من اجل الطاعات فاذا علم انه يؤدي الى زيادة الشر انقلب معصية ووجب النهي عن ذلك النهي كما يجب النهي عن المنكر فان قلت فقد روي عن الحسن وابن سيرين انهما حضرا جنازة فرأى محمد نساء فرجع فقال الحسن لو تركنا الطاعة لاجل المعصية لاسرع ذلك في ديننا قلت ليس هذا مما نحن بصدده لان حضور الرجال الجنازة وليس بسبب لحضور النساء فانهن يحضرنها حضر الرجال او لم يحضروا بخلاف سب الالهة وانما خيل الى محمد رحمه الله انه مثله حتى نبه عليه الحسن عدوا ظلما وعدوانا وعدآء وعن ابن كثير عدوا بضم العين بمعنى اعداء بغير علم على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به كذلك زينا لكل امة مثل ذلك التزيين زينا لكل امة من امم الكفار سوء عملهم اي خليناهم وشأنهم ولم نكفهم حتى حسن عندهم سوء عملهم او امهلنا الشيطان حتى زين لهم او زيناه في زعمهم وقولهم ان الله امرنا بهذا وزينه لنا فينبئهم فيوبخهم عليه ويعاقبهم لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وهو قادر عليها ولكنه لا ينزلها الا على موجب الحكمة او انما الآيات عند الله لا عندي فكيف آتيكم بها وآتيكم بها وما يشعركم وما يدريكم انها ان الآية التي تقترحونها اذا جاءت لا يؤمنون بها يعني انا اعلم انها اذا جاءت لا يؤمنون بها وانتم لا تدرون بذلك وذلك ان المؤمنين كانوا يطمعون في ايمانهم اذا جاءت تلك الآية ويتمنون مجيئها فقال عز وجل وما يدريكم انهم لا يؤمنون على معنى انكم لا تدرون ما سبق علمي به من انهم لا يؤمنون الا ترى الى قوله كما لم يؤمنوا به اول مرة وقيل انها بمعنى لعلها من قول العرب ائت السوق انك تشتري لحما وقال امرؤ القيس عوجا على الطلل المحيل لاننا نبكي الديار كما بكى ابن خذام ويقويها قراءة ابي لعلها اذا جاءتهم لا يؤمنون وقرئ انها بالكسر على ان الكلام قد تم قبله بمعنى وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبرهم بعلمه فيهم فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون البتة ومنهم من جعل لا مزيدة في قراءة الفتح وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءتهم لا يؤمنون اي يحلفون بانهم يؤمنون عند مجيئها وما يشعرهم ان تكون قلوبهم حينئذ كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات مطبوعا عليها فلا يؤمنوا بها ونقلب افئدتهم ونذرهم عطف على لا يؤمنون داخل في حكم وما يشعركم بمعنى وما يشعركم انهم لا يؤمنون وما يشعركم انا نقلب افئدتهم وابصارهم اي نطبع على قلوبهم وابصارهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحق كما كانوا عند نزول آياتنا اولا لا يؤمنون بها لكونهم مطبوعا على قلوبهم وما يشعركم انا نذرهم في طغيانهم اي نخليهم وشأنهم لا نكفهم عن الطغيان حتى يعمهوا فيه وقرئ ويقلب ويذرهم اي الله عز وجل وقرأ الاعمش وتقلب افئدتهم وابصارهم على البناء للمفعول ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة كما قالوا لولا انزل علينا الملائكة وكلمهم

وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله ولكن اكثرهم يجهلون وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون افغير الله ابتغي حكما وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين

الموتى كما قالوا فأتوا بآبائنا وحشرنا عليهم كل شيء قبلا كما قالوا او تأتي بالله والملائكة قبيلا قبلا كفلاء بصحة ما بشرنا به وانذرنا او جماعات وقيل قبلا مقابلة وقرئ قبلا اي عيانا الا ان يشاء الله مشيئة اكراه واضطرار ولكن اكثرهم يجهلون فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون من حال قلوبهم عند نزول الآيات او ولكن اكثر المسلمين يجهلون ان هؤلاء لا يؤمنون الا ان يضطرهم فيطمعون في ايمانهم اذا جاءت الآية المقترحة وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا وكما خلينا بينك وبين اعدائك كذلك فعلنا بمن قبلك من الانبياء واعدائهم لم نمنعهم من العداوة لما فيه من الامتحان الذي هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب والاجر وانتصب شياطين على البدل من عدوا او على انهما مفعولان كقوله وجعلوا لله شركاء الجن يوحي بعضهم الى بعض يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس وكذلك بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض وعن مالك بن دينار ان شيطان الانس اشد علي من شيطان الجن لاني اذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن عني وشيطان الانس يجيئني فيجرني الى المعاصي عيانا زخرف القول ما يزينه من القول والوسوسة والاغراء على المعاصي ويموهه غرورا خدعا واخذا على غرة ولو شاء ربك ما فعلوه ما فعلوا ذلك اي ما عادوك او ما اوحى بعضهم الى بعض زخارف القول بان يكفهم ولا يخليهم وشأنهم ولتصغى جوابه محذوف تقديره وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا على ان اللام لام الصيرورة وتحقيقها ما ذكر والضمير في اليه يرجع الى ما رجع اليه الضمير في فعلوه اي ولتميل الى ما ذكر من عداوة الانبياء ووسوسة الشياطين افئدة الكفار وليرضوه لانفسهم وليقترفوا ما هم مقترفون من الآثام افغير الله ابتغي حكما على ارادة القول اي قل يا محمد افغير الله اطلب حاكما يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وهو الذي انزل اليكم الكتاب المعجز مفصلا مبينا فيه الفصل بين الحق والباطل والشهادة لي بالصدق وعليكم بالافتراء ثم عضد الدلالة على ان القرآن حق بعلم اهل الكتاب انه حق لتصديقه ما عندهم وموافقته له فلا تكونن من الممترين من باب التهييج والالهاب كقوله ولا تكونن من المشركين او فلا تكونن من الممترين في ان اهل الكتاب يعلمون انه منزل بالحق ولا يريبك جحود اكثرهم وكفرهم به ويجوز ان يكون فلا تكونن خطابا لكل احد على معنى انه اذا تعاضدت الادلة على صحته وصدقه فما ينبغي ان يمتري فيه احد وقيل الخطاب لرسول الله خطاب لامته وتمت كلمات ربك اي تم كل ما اخبر به وامر ونهى ووعد واوعد صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته لا احد يبدل شيئا من ذلك بما هو اصدق واعدل وصدقا وعدلا نصب على الحال وقرئ كلمة ربك اي ما تكلم به وقيل هي القرآن وان تطع اكثر الناس اضلوك لان الاكثر في غالب الامر يتبعون هواهم ثم قال ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان آباءهم كانوا على الحق فهم يقلدونهم وان هم الا يخرصون يقدرون انهم على شيء او يكذبون في ان الله حرم كذا واحل كذا وقرئ من يضل بضم الياء اي يضله الله فكلوا مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تزعمون انكم تعبدون الله فما قتل الله احق ان تأكلوا مما قتلتم انتم فقيل للمسلمين ان كنتم متحققين بالايمان فكلوا مما ذكر اسم الله عليه هو المذكى ببسمه

خاصة دون ما ذكر عليه اسم غيره من الهتهم او مات حتف انفه وما ذكر اسم الله عليه هو المذكى باسم الله **وما لكم**
ان لا تاكلوا واي غرض لكم في ان لا تاكلوا وقد فصل لكم وقد بين لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم وهو قوله
حرمت عليكم الميتة وقرئ فصل لكم ما حرم عليكم على تسمية الفاعل وهو الله عز وجل الا ما اضطررتم
اليه مما حرم عليكم فانه حلال لكم في حال الضرورة **وان كثيرا ليضلون** وقرئ يضلون بفتح الياء وضمها اي يضلون
فيحللون ويحرمون باهوائهم وشهواتهم من غير تعلق بشريعة **ظاهر الاثم وباطنه** ما اعلنتم
منه وما اسررتم وقيل ما عملتم وما نويتم وقيل ظاهره الزنا في الحوانيت وباطنه الصديقة في السر
وانه لفسق الضمير راجع الى مصدر الفعل الذي دخل عليه حرف النهي يعني وان الاكل منه لفسق او الى
الموصول على ان اكله لفسق او جعل ما لم يذكر اسم الله عليه بنسيان او عمد في نفسه فسقا **[illegible]** وقد ذهب
جماعة من المجتهدين الى جواز اكل ما لم يذكر اسم الله عليه بنسيان او عمد **قلت** قد تاولوه بالميتة وبما ذكر غير
اسم الله عليه كقوله او فسقا اهل لغير الله به **ليوحون** ليوسوسون الى اوليائهم من المشركين ليجادلوكم بقولهم
ولا تاكلون مما قتله الله وبهذا يرجح تاويله بالميتة **انكم لمشركون** لان من اتبع غير الله في دينه
فقد اشرك به ومن حق ذي البصيرة في دينه ان لا ياكل مما لم يذكر اسم الله عليه كيفما كان لما يرى في الاية من
التشديد العظيم وان كان ابو حنيفة رحمه الله مرخصا في النسيان دون العمد ومالك والشافعي فيهما **مثل من**
الذي هداه الله بعد الضلالة ومنحه التوفيق لليقين الذي يميز به بين المحق والمبطل والمهتدي
والضال بمن كان ميتا فاحياه الله وجعل له نورا يمشي به في الناس مستضيئا به فيميز بعضهم من بعض
ويفصل بين حلاهم ومن بقي على الضلالة بالخابط في الظلمات لا ينفك منها ولا يتخلص ومعنى
قوله كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كمن صفته هذه وهي قوله في الظلمات ليس بخارج منها
بمعنى هو في الظلمات ليس بخارج منها كقوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار اي صفتها هذه
وهي قوله فيها انهار **زين للكافرين** اي زينه الشيطان او الله عز وعلا على قوله زينا لهم اعمالهم
ويدل عليه قوله وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها يعني وكما جعلنا في مكة صناديدها ليمكروا
فيها كذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها لذلك ومعناه خليناهم ليمكروا وما كففناهم
عن المكر وخص الاكابر لانهم هم الحاملون على الضلال والماكرون بالناس كقوله امرنا مترفيها
وقرئ اكبر مجرميها على قولك هم اكبر قومهم واكابر قومهم **وما يمكرون الا بانفسهم** لان مكرهم
يحيق بهم وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعد له بالنصرة عليهم وروي ان الوليد بن المغيرة قال
لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك لاني اكبر منك سنا واكثر منك مالا وروي ان ابا جهل قال
زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى
به ولا نتبعه ابدا الا ان ياتينا وحي كما ياتيه فنزلت ونحوها قوله بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا
منشرة **الله اعلم** كلام مستانف للانكار عليهم وان الله لا يصطفي للنبوة الا من علم انه يصلح لها
وهو اعلم بالمكان الذي يضعها فيه منهم **سيصيب** الذين اجرموا من اكابرها صغار وقماءة بعد

١٧١

عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال اولياؤهم من الانس ربنا استمتع
بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله

بعد كبرهم وعظمتهم وعذاب شديد في الدارين من الاسر والقتل وعذاب النار **فمن يرد الله ان يهديه** ان
يلطف به ولا يريد ان يلطف الا بمن له لطف **يشرح صدره للاسلام** يلطف به حتى يرغب في الاسلام ويسكن اليه
نفسه ويحب الدخول فيه **ومن يرد** ان يضله ان يخذله ويخليه وشانه وهو الذي لا لطف له **يجعل صدره**
ضيقا حرجا يمنعه الطافه حتى يقسو قلبه وينبو عن قبول الحق وينسد فلا يدخله الايمان
وقرئ ضيقا بالتخفيف والتشديد حرجا بالكسر وحرجا بالفتح وصفا بالمصدر **كانما يصعد**
في السماء كانما يزاول امرا غير ممكن لان صعود السماء مثل فيما يمتنع ويبعد من الاستطاعة ويضيق
عنه المقدرة وقرئ يصعد واصله يتصعد وقرا عبد الله يتصعد ويصاعد واصله يتصاعد
ويصعد من صعد ويتصعد من اصعد **يجعل الله** الرجس يعني الخذلان ومنع التوفيق وصفه بنقيض
ما يوصف به التوفيق من الطيب او اراد الفعل المؤدي الى الرجس وهو العذاب من الارتجاس وهو
الاضطراب **وهذا صراط ربك مستقيما** وهذا طريقه الذي اقتضته الحكمة وعادته في التوفيق والخذلان
مستقيما عادلا مطردا وانتصابه على انه حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا **لهم** لقوم يذكرون دار
السلام دار الله يعني الجنة اضافها الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة من كل آفة وكدر عند ربهم في
ضمانه كما تقول لفلان عندي حق لا ينسى او ذخيرة لهم لا يعلمون كنهها كقوله فلا تعلم نفس ما اخفي
لهم من قرة اعين وهو وليهم مواليهم ومحبهم او ناصرهم على اعدائهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم
او متوليهم بجزاء ما كانوا يعملون **ويوم** يحشرهم منصوب بمحذوف اي واذكر يوم يحشرهم
او ويوم يحشرهم قلنا يا معشر الجن او ويوم نحشرهم وقلنا يا معشر الجن كان ما لا يوصف
لفظاعته والضمير لمن يحشر من الثقلين وغيرهم والجن هم الشياطين **قد استكثرتم من الانس**
اضللتم منهم كثيرا او جعلتموهم اتباعكم فحشر معكم منهم الجم الغفير كما تقول استكثر الامير
من الجنود واستكثر فلان من الاشياع **وقال اولياؤهم من الانس** الذين اطاعوهم واستمعوا الى
وسوستهم **ربنا استمتع بعضنا ببعض** اي انتفع الانس بالشياطين حيث دلوهم على الشهوات
وعلى اسباب التوصل اليها وانتفع الجن بالانس حيث اطاعوهم وساعدوهم على مرادهم وشهوتهم في اغوائهم
وقيل استمتاع الانس بالجن ما في قوله وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن وان الرجل كان اذا
نزل واديا وخاف قال اعوذ برب هذا الوادي يعني به كبير الجن واستمتاع الجن بالانس اعتراف الانس
لهم بانهم يقدرون على الدفع عنهم واجارتهم لهم **وبلغنا** اجلنا الذي اجلت لنا يعنون يوم البعث وهذا
الكلام اعتراف بما كان منهم من طاعة الشياطين واتباع الهوى والتكذيب بالبعث واستسلام لربهم
وتحسر على حالهم **خالدين** فيها الا ما شاء الله اي يخلدون في عذاب النار الابد كله الا ما شاء الله الا الاوقات
التي ينقلون فيها من عذاب النار الى عذاب الزمهرير فقد روي انهم يدخلون واديا فيه من الزمهرير ما يميز
بعض اوصالهم من بعض فيتعاوون ويطلبون الرد الى الجحيم ويكون من قول الموتور الذي ظفر بواتره
ولم يزل يحرق عليه انيابه وقد اطلق الله نفسه عن خناقه اهلكني الله ان نفست عنك الا اذا شئت
وقد علم انه لا يشاء الا التشفي منه باقصى ما يقدر عليه من التعنيف والتشديد فيكون قوله الا ما شئت من

اشد الوعيد مع تهكم بالموعد لخروجه في صورة الاستثناء الذي فيه اطماع ان ربك حكيم لا يفعل شيئا الا بموجب
الحكمة عليم بان الكفار يستوجبون عذاب الابد وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا نخليهم حتى يتولى بعضهم بعضا
كما فعل الشياطين وغواة الانس او نجعل بعضهم اولياء بعض يوم القيامة وقرناءهم كما كانوا في الدنيا
بما كانوا يكسبون بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصي يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم واختلف
في ان الجن هل بعث اليهم رسل منهم فتعلق بعضهم بظاهر الاية ولم يفرق بين مكلفين ومكلفين ان يبعث اليهم
رسول من جنسهم لانهم به آنس وله آلف وقال الآخرون الرسل من الانس خاصة وانما قيل رسل منكم لانه لما جمع
الثقلان في الخطاب صح ذلك وان كان من احدهما كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان او المراد رسل الرسل
من الجن اليهم كقوله ولوا الى قومهم منذرين وعن الكلبي كانت الرسل قبل ان يبعث محمد يبعثون الى الجن والانس
ورسول الله صلى الله عليه وسلم الى الجن والانس يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا يعني يوم القيامة قالوا شهدنا على انفسنا حكاية لتصديقهم وايجابهم لان الهمزة الداخلة على نفي اتيان الرسل للانكار فكان تقريرا لهم وقولهم شهدنا على انفسنا اقرار منهم بان حجة
الله لازمة وانهم محجوجون بها فان قيل ما لهم مقرين في هذه الآية جاحدين في قوله والله ربنا ما كنا مشركين
قلت يتفاوت الاحوال والمواطن في ذلك اليوم المتطاول فيقرون في بعضها ويجحدون في البعض
او اريد شهادة ايديهم وارجلهم وجلودهم حين يختم على افواههم فان قيل لم كرر ذكر
شهادتهم على انفسهم قلت الاولى حكاية لقولهم كيف يقولون ويعترفون والثانية ذم لهم
وتخطية لرايهم ووصف لقلة نظرهم لانفسهم وانهم قوم غرتهم الحيوة الدنيا واللذات
الحاضرة وكان عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام لربهم
واستيجاب عذابه وانما قال ذلك تحذيرا للسامعين من مثل حالهم ذلك اشارة الى ما تقدم من بعثه
الرسل اليهم وانذارهم سوء العاقبة وهو خبر مبتدا محذوف اي الامر ذلك ان لم يكن ربك
مهلك القرى تعليل اي الامر ما قصصنا عليك لانتفاء كون ربك مهلك القرى بظلم على ان
ان هي التي تنصب الافعال ويجوز ان يكون مخففة من الثقيلة على معنى لان الشان والحديث لم يكن
ربك مهلك القرى بظلم وذلك ان تجعله بدلا من ذلك كقوله وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع
بظلم بسبب ظلم اقدموا عليه او ظالما على انه لو اهلكهم وهم غافلون لم ينبهوا برسول وكتاب لكان ظلما وهو متعال عن
الظلم وعن كل قبيح ولكل من المكلفين درجات منازل مما عملوا من جزاء اعمالهم وما ربك بغافل عما يعملون فيسهو
عنه ويخفى عليه مقاديره واحواله وما يستحقون عليه من الاجر وربك الغني عن عباده وعن عبادتهم ذو الرحمة يترحم عليهم
بالتكليف ليعرضهم للمنافع الدائمة ان يشا يذهبكم ايها العصاة ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق
المطيع كما انشاكم من ذرية قوم آخرين من اهل سفينة نوح لكنه ابقاكم ترحما عليكم
عليهم ان ما توعدون لآت كالبعث والحشر وتفاصيل الاحوال وما انتم بمعجزين طالبكم قل يا قوم اعملوا على مكانتكم
المكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة
ومقام ومقامة وقوله اعملوا على مكانتكم يحتمل اعملوا على تمكنكم من امركم واقصى استطاعتكم
وامكانكم او اعملوا على جهتكم وحالكم التي انتم عليها يقال للرجل اذا امر ان يثبت على حاله على مكانتك يا فلان
اي اثبت على ما انت عليه لا تنحرف عنه اني عامل اي عامل على مكانتي التي انا عليها والمعنى اثبتوا
على كفركم وعداوتكم لي فاني ثابت على الاسلام وعلى مصابرتكم فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار

وطريقة هذا الامر طريقة قوله اعملوا ما شئتم وهي التخلية والتسجيل على المامور بانه لا يأتي منه الا
الشر فكانه مامور به وهو واجب عليه حتم ليس له ان يتقصى عنه ويعمل بخلافه فان قلت ما موضع من قلت
الرفع اذا كان بمعنى اي وعلق عنه فعل العلم او النصب اذا كان بمعنى الذي عاقبة الدار الحسنى
التي خلق الله هذه الدار لها وهذا طريق من الانذار لطيف المسلك فيه انصاف في المقال وادب حسن مع تضمن
شدة الوعيد والوثوق بان المنذر محق وان المنذر مبطل انه لا يفلح الظالمون وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا كانوا يعينون اشياء من حرث ونتاج
لله واشياء منهما لآلهتهم فاذا رأوا ما جعلوه لله زاكيا ناميا يزيد في نفسه خيرا رجعوا فجعلوه للآلهة
واذا زكا ما جعلوه للآلهة تركوه لها واعتلوا بان الله غني وانما ذاك لحبهم آلهتهم وايثارهم
لها وفي قوله مما ذرا تنبيه على انه كان اولى بان يجعل له الزاكي لانه هو الذي ذرأه وزكاه ولا يرد الى ما
لا يقدر على ذرء ولا تزكية بزعمهم وقرئ بالضم اي قد زعموا انه لله والله لم يأمرهم بذلك ولا شرع
لهم تلك القسمة التي هي من الشرك لانهم اشركوا بين الله وبين اصنامهم في القربة فلا يصل الى الله اي لا
يصل الى الوجوه التي كانوا يصرفونه اليها من قرى الضيفان والتصدق على المساكين فهو يصل الى
شركائهم من انفاق عليها بذبح النسائك عندها والاجراء على سدنتها ونحو ذلك ساء ما يحكمون
حكمهم هذا وكذلك ومثل ذلك التزيين وهو تزيين
الشرك في قسمة القربات بين الله وبين الآلهة او ومثل ذلك التزيين البليغ الذي هو علم من الشياطين والمعنى
ان شركاءهم من الشياطين او من سدنة الاصنام زينوا لهم قتل اولادهم بالوأد او بنحرهم للآلهة وكان
الرجل يحلف في الجاهلية لئن ولد له كذا غلاما لينحرن احدهم كما حلف عبد المطلب وقرئ زين على البناء للفاعل
الذي هو شركاؤهم ونصب قتل واولادهم وزين على البناء للمفعول الذي هو القتل ورفع شركاؤهم
باضمار فعل دل عليه زين كأنه قيل لما قيل زين لهم قتل اولادهم من زينه فقيل زينه لهم شركاؤهم واما
قراءة ابن عامر قتل اولادهم شركائهم برفع القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء على اضافة القتل الى الشركاء
والفصل بينهما بغير الظرف فشيء لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجا مردودا كما سمج ورد
زج القلوص ابي مزاده فكيف به في الكلام المنثور فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته
والذي حمله على ذلك ان رأى في بعض المصاحف شركائهم مكتوبا بالياء ولو قرأ بجر الاولاد والشركاء لان الاولاد
شركاؤهم في اموالهم لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم
دينهم وليخلطوا عليهم ويشبهوه ودينهم ما كانوا عليه من دين اسماعيل حتى زلوا عنه الى الشرك وقيل دينهم
الذي وجب ان يكونوا عليه وقيل معناه ليوقعوهم في دين ملتبس فان قلت ما معنى اللام قلت ان كان التزيين من الشياطين
فهي على حقيقة التعليل وان كان من السدنة فعلى معنى الصيرورة ولو شاء الله مشيئة قسرية ما فعلوه ما فعل المشركون
ما فعل زين لهم من القتل ولما فعل الشياطين والسدنة التزيين او الارداء واللبس او جميع ذلك ان جعلت
الضمير جاريا مجرى اسم الاشارة فذرهم وما يفترون وما يفترونه من الافك وقالوا هذه انعام وحرث حجر فعل بمعنى مفعول
كالذبح والطحن ويستوي في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات
وقرأ الحسن وقتادة حجر بضم الحاء وعن ابن عباس حرج وهو من التضييق وكانوا اذا عينوا

وقالوا ما في بطون هذه الانعام ... اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون
وانعام حرمت ظهورها وانعام لا يذكرون ... خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها
بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين وهو الذي انشا جنات معروشات وغير معروشات
والنخل والزرع مختلفا اكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا اثمر واتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا
انه لا يحب المسرفين

اشيا من حرثهم وانعامهم لالهتهم قالوا لا يطعمها الا من نشا يعنون خدم الاوثان والرجال دون النسا بزعمهم لا بحجة وانعام حرمت ظهورها هي البحاير والسوايب والحوامي وانعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح وانما يذكرون عليها اسما الاصنام وقيل لا يحجون عليها ولا يلبون على ظهورها والمعنى انهم قسموا انعامهم فقالوا هذه انعام حجر وهذه انعام محرمة الظهور وهذه انعام لا يذكر عليها اسم الله فجعلوها اجناسا بهواهم ونسبوا ذلك التجنيس الى الله افترا عليه اي فعلوا ذلك كله على جهة الافترا وانتصابه على انه مفعول له او حال او مصدر موكد لان قولهم ذلك في معنى الافترا كانوا يقولون في اجنة البحاير والسوايب ما ولد منها حيا فهو خالص للذكور لا ياكل منها الاناث وما ولد ميتا اشترك فيه الذكور والاناث وانث خالصة للحمل على المعنى لان ما في معنى الاجنة وذكر محرم للحمل على اللفظ ونظيره ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك ويجوز ان تكون التا للمبالغة مثلها في راوية الشعر وان تكون مصدرا وقع موقع الخالص كالعافية اي ذو خالصة ويدل عليه قراة من قرا خالصة بالنصب على ان قوله لذكورنا هو الخبر وخالصة مصدر موكد ولا يجوز ان يكون حالا متقدمة لان المجرور لا يتقدم عليه حاله وقرا ابن عباس خالصه على الاضافة وفي مصحف عبد الله خالص وان يكن ميتة وان يكن ما في بطونها ميتة وقرى وان تكن بالتانيث على وان تكن الاجنة ميتة وقرا اهل مكة وان تكن ميتة بالتانيث والرفع على كان التامة وتذكير الضمير في قوله فهم فيه شركاء لان الميتة لكل ميت ذكرا وانثى فكانه قيل وان يكن ميت فهم فيه سوا سيجزيهم وصفهم اي جزا وصفهم الكذب على الله في التحليل والتحريم من قوله وتصف السنتهم الكذب هذا حلال وهذا حرام نزلت في ربيعة ومضر والعرب الذين يئدون بناتهم مخافة السبي والفقر سفها بغير علم لخفة احلامهم وجهلهم بان الله هو رازق اولادهم لا هم وقرى قتلوا بالتشديد ما رزقهم الله من البحاير والسوايب وغيرها انشا جنات من الكروم معروشات مسموكات وغير معروشات متروكات على وجه الارض لم تعرش وقيل المعروشات ما في الارياف والعمران مما غرسه الناس واهتموا به فعرشوه وغير معروشات مما انبته الله وحشيا في البراري والجبال فهو غير معروش يقال عرشت الكرم اذا جعلت له دعايم وسمكا تعطف عليه القضبان وسقف البيت عرشه مختلفا اكله في اللون والطعم والحجم والرايحة وقرى اكله بالضم والسكون وهو ثمره الذي يوكل والضمير للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن وقت الانشا كذلك كقوله فادخلوها خالدين وقرى ثمره بضمتين فان قلت ما فايدة قوله اذا اثمر وقد علم انه اذا لم يثمر لم يوكل منه قلت لما ابيح لهم الاكل من ثمره قيل اذا اثمر ليعلم ان اول وقت الاباحة وقت اطلاع الشجر الثمر لئلا يتوهم انه لا يباح الا اذا ادرك واينع واتوا حقه يوم حصاده بالفتح بصري وشامي وعاصم والزكوة انما فرضت بالمدينة فاريد بالحق ما كان يتصدق به على المساكين يوم الحصاد وكان ذلك واجبا حتى نسخه افتراض العشر ونصف العشر وقيل مدنية والحق هو الزكوة المفروضة ومعناه واعزموا على ايتا الحق واقصدوه واهتموا به يوم الحصاد حتى لا تؤخروه عن اول وقت يمكن فيه الايتا ولا تسرفوا في الصدقة كما روي عن ثابت بن قيس انه صرم خمسماية نخلة ففرق ثمرها كله ولم يدخل منه

ومن الانعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين ثمانية ازواج من الضان اثنين ومن المعز
اثنين قل الذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين نبئوني بعلم ان كنتم صادقين ومن الابل اثنين ومن البقر
اثنين قل الذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين ام كنتم شهدا اذ وصاكم الله بهذا فمن اظلم ممن افترى على الله
كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما
مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس او فسقا اهل لغير الله به

شيا الحد منه ولا تبسطوها كل البسط فتقعد ملوما محسورا حمولة وفرشا عطف على جنات اي وانشا من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او ينسج من وبره وصوفه وشعره الفرش وقيل الحمولة الكبار التي تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان والعجاجيل والغنم لانها دانية من الارض للطافة اجرامها مثل الفرش المفروش عليها ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التحليل والتحريم من عند انفسكم كما فعل اهل الجاهلية ثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا اثنين زوجين اثنين يريد الذكر والانثى كالجمل والناقة والثور والبقرة والكبش والنعجة والتيس والعنز والواحد اذا كان وحده فهو فرد فاذا كان معه غيره من جنسه سمي كل واحد منهما زوجا وهما زوجان بدليل قوله خلق الزوجين الذكر والانثى والدليل عليه قوله ثمانية ازواج ثم فسرها بقوله من الضان اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ونحو تسميتهم الفرد بالزوج بشرط ان يكون معه آخر من جنسه تسميتهم الزجاجة كاسا بشرط ان يكون فيها خمر والضان والمعز جمع ضاين وماعز كتاجر وتجر ومعزا بفتح العين مكي وابو عمرو وشامي وهو لغة ومن المعزى وقرى اثنان على الابتدا الذكرين الهمزة في الذكرين للانكار والمراد بالذكرين الذكر من الضان والذكر من المعز وبالانثيين الانثى من الضان والانثى من المعز على طريق الجنسية والمعنى انكار ان يحرم الله من جنسي الغنم ضانها ومعزها شيا من نوعي ذكورها واناثها ولا مما تحمل اناث الجنسين وكذلك الذكران من جنسي الابل والبقر والانثيان منهما وما تحمل اناثهما وذلك انهم كانوا يحرمون ذكورة الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيفما كانت ذكورا واناثا او مختلطة تارة وكانوا يقولون قد حرمها الله فانكر ذلك عليهم نبئوني بعلم اخبروني بامر معلوم من جهة الله يدل على تحريم ما حرمتم ان كنتم صادقين في ان الله حرمه ام كنتم شهدا بل اكنتم شهدا ومعنى الهمزة الانكار يعني ام شاهدتم ربكم حين امركم بهذا التحريم وذكر المشاهدة على مذهبهم لانهم كانوا لا يومنون برسول الله وهم يقولون الله حرم هذا الذي نحرمه فتهكم بهم في قوله ام كنتم شهدا على معنى اعرفتم التوصية به مشاهدين لانكم لا تومنون بالرسل فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم ليضل الناس وهو عمرو بن لحي بن قمعة الذي بحر البحاير وسيب السوايب فان قلت كيف فصل بين بعض المعدود وبعضه ولم يوال بينه قلت قد وقع الفاصل بينهما اعتراضا غير اجنبي من المعدود وذلك ان الله عز وجل من على عباده بانشا الانعام لمنافعهم وباباحتها لهم فاعترض بالاحتجاج على من حرمها والاحتجاج على من حرمها تاكيد وتشديد للتحليل والاعتراضات في الكلام لا تساق الا للتوكيد فيما اوحي الي تنبيه على ان التحريم انما يثبت بوحي الله وشرعه لا بهوى الانفس محرما طعاما محرما من المطاعم التي حرمتموها الا ان يكون الا ان يكون الشي المحرم ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا سايلا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال وقد رخص في دم العروق بعد الذبح او فسقا عطف على المنصوب قبله سمي ما اهل لغير

اثم او فسقا اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا
عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما او الحوايا او ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون فان كذبوك فقل
ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولا
حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان
انتم الا تخرصون قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين

الله فسقا للتوغل في باب الفسق ومنه قوله تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق واهل
صفة له منصوبة المحل ويجوز ان يكون مفعولا له من اهل اي اهل لغير الله به فسقا فان قلت فعلام
يعطف اهل وما الام يرجع الضمير في به على هذا القول قلت يعطف على يكون ويرجع الضمير الى ما يرجع
اليه المستكن في يكون فمن اضطر فمن دعته الضرورة الى اكل شيء من هذه المحرمات غير باغ على مضطر
مثله تارك لمواساته ولا عاد متجاوز قدر حاجته من تناوله فان ربك غفور رحيم لا يؤاخذه
ذو الظفر ما له اصبع من دابة او طائر وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا حرم ذلك
عليهم فعم التحريم كل ذي ظفر بدليل قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم شحومهما كقولك
من زيد اخذت ماله تريد بالاضافة زيادة الربط والمعنى انه حرم عليهم لحم كل ذي ظفر وشحمه وكل
شيء منه وترك البقر والغنم على التحليل لم يحرم منهما الا الشحوم الخاصة وهي الثروب وشحوم
الكلى وقوله الا ما حملت ظهورهما يعني الا ما اشتمل على الظهور والجنوب من السحفة او
الحوايا او اشتمل على الامعاء او ما اختلط بعظم وهو شحم الالية وقيل الحوايا عطف على شحومهما
واو بمنزلتها في قولهم جالس الحسن او ابن سيرين ذلك الجزاء جزيناهم وهو تحريم الطيبات ببغيهم
بسبب ظلمهم وانا لصادقون فيما اوعدناه العصاة لا نخلفه كما لا نخلف ما وعدناه اهل الطاعة
فلما عصوا وبغوا الحقنا بهم الوعيد واحللنا بهم العقاب فان كذبوك في ذلك وزعموا ان الله
واسع الرحمة وانه لا يؤاخذ بالبغي ويخلف الوعيد جودا وكرما فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لاهل
طاعته ولا يرد بأسه مع سعة رحمته عن القوم المجرمين فلا يغتر برجاء رحمته عن خوف
نقمته سيقول الذين اشركوا اخبار بما سوف يقولونه ولما قالوه قال وقال الذين اشركوا لو شاء
الله ما عبدنا يعنون بكفرهم وتمردهم ان شركهم وشرك ابائهم وتحريمهم ما احل الله بمشيئة
الله وارادته ولولا مشيئته لم يكن شيء من ذلك كمذهب المجبرة بعينه كذلك كذب الذين من قبلهم
اي جاؤوا بالتكذيب المطلق لان الله عز وجل ركب في العقول وانزل في الكتب ما دل على غناه وبراءته
من مشيئة القبائح وارادتها والرسل اخبروا بذلك فمن علق وجود القبائح من الكفر والمعاصي بمشيئة
الله وارادته فقد كذب التكذيب كله وهو تكذيب الله وكتبه ورسله ونبذ ادلة العقل والسمع وراء
ظهره حتى ذاقوا بأسنا حتى انزلنا عليهم العذاب بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من امر معلوم يصح
الاحتجاج به فيما قلتم فتخرجوه لنا وهذا من التهكم والشهادة بان مثل قولهم محال ان يكون له حجة
ان تتبعون الا الظن في قولكم هذا وان انتم الا تخرصون تقدرون ان الامر كما تزعمون او تكذبون
وقرئ كذلك كذب الذين من قبلهم بالتخفيف قل فلله الحجة البالغة يعني فان كان الامر كما زعمتم ان
ما انتم عليه بمشيئة الله فلله الحجة البالغة عليكم على قود مذهبكم فلو شاء لهداكم اجمعين منكم ومن
مخالفيكم في الدين فان تعليقكم دينكم بمشيئة الله يقتضي ان تعلقوا دين من يخالفكم ايضا بمشيئته
فتوالوهم ولا تعادوهم وتوافقوهم ولا تخالفوهم لان المشيئة تجمع بين ما انتم عليه وبين ما

قل هلم شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا فان شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا
والذين لا يؤمنون بالاخرة وهم بربهم يعدلون قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا
تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق
ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن

هم عليه هلم يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث عند الحجازيين وبنو تميم تؤنث
وتجمع والمعنى هاتوا شهداءكم وقربوهم فان قلت كيف امرهم باستحضار شهدائهم
الذين يشهدون ان الله حرم ما زعموه محرما ثم امره ان لا يشهد معهم قلت امرهم باستحضارهم وهم
شهداء بالباطل ليلزمهم الحجة ويلقمهم الحجر ويظهر للمشهود لهم بانقطاع الشهداء انهم
ليسوا على شيء لتساوي اقدام الشاهدين والمشهود لهم في انهم لا يرجعون الى ما يصح التمسك به وقوله فلا تشهد
معهم يعني فلا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لانه اذا سلم لهم فكانه شهد معهم مثل شهادتهم وكان واحدا
منهم ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على ان من كذب بايات
الله وعدل به غيره فهو متبع للهوى لا غير لانه لو تبع الدليل لم يكن الا مصدقا بالايات موحدا لله فان قلت
هلا قيل قل هلم شهداء يشهدون ان الله حرم هذا واي فرق بينه وبين المنزل قلت المراد ان يحضروا شهداءهم
الذين علم انهم يشهدون لهم وينصرون قولهم وكان المشهود لهم يقلدونهم ويثقون بهم ويعتضدون
بشهادتهم ليهدم ما يقومون به فيحق الحق ويبطل الباطل فاضيفت الشهداء لذلك وجيء بالذين للدلالة
على انهم شهداء معروفون موسومون بالشهادة لهم وبنصرة مذهبهم والدليل عليه قوله فان شهدوا
فلا تشهد معهم ولو قيل شهداء يشهدون لكان معناه هاتوا اناسا يشهدون بتحريم ذلك فكان الظاهر
طلب شهداء بالحق وذلك ليس بالغرض ويناقضه قوله فان شهدوا فلا تشهد معهم تعال من الخاص الذي
صار عاما واصله ان يقوله من كان في مكان عال لمن هو اسفل منه ثم كثر واتسع فيه حتى عم وما حرم منصوب
بفعل التلاوة بمعنى الذي اتل الذي حرمه ربكم او بحرم بمعنى اتل اي شيء حرم ربكم لان التلاوة من القول
وان في الا تشركوا مفسرة ولا للنهي فان قلت هلا قلت هي التي تنصب الفعل وجعلت ان لا تشركوا بدلا
من ما حرم قلت وجب ان يكون لا تشركوا ولا تقربوا ولا تقتلوا ولا تتبعوا السبل نواهي لانعطاف الاوامر
عليها وهي قوله وبالوالدين احسانا لان التقدير واحسنوا بالوالدين احسانا واوفوا واذا قلتم فاعدلوا وبعهد
الله اوفوا فان قلت فما تصنع بقوله وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه فيمن قرا بالفتح وانما يستقيم عطفه
على ان لا تشركوا اذا جعلت ان هي الناصبة للفعل حتى يكون المعنى اتل عليكم نفي الاشراك والتوحيد واتل
عليكم ان هذا صراطي مستقيما قلت اجعل قوله وان هذا صراطي مستقيما علة للاتباع بتقدير اللام كقوله وان
المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا بمعنى ولان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه والدليل عليه القراءة بالكسر
كانه قيل واتبعوا صراطي لانه مستقيم او واتبعوا صراطي انه مستقيم فان قلت فاذا جعلت ان مفسرة لفعل
التلاوة وهو معلق بما حرم ربكم وجب ان يكون ما بعده منهيا عنه محرما كله كالشرك وما بعده مما دخل
عليه حرف النهي فما تصنع بالاوامر قلت لما وردت هذه الاوامر مع النواهي وتقدمهن جميعا فعل التحريم
واشتركن في الدخول تحت حكمه علم ان التحريم راجع الى اضدادها وهي الاساءة الى الوالدين وبخس الكيل
والميزان وترك العدل في القول ونكث عهد الله من املاق من اجل فقر ومن خشيته كقوله خشية املاق
ما ظهر منها وما بطن مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه الا بالحق كالقصاص والقتل على الردة والرجم الا بالتي
هي احسن الا بالخصلة التي هي احسن ما يفعل بمال اليتيم وهي حفظه وتثميره والمعنى احفظوه

حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون وهذا كتاب أنزلناه

عليه حتى يبلغ أشده فادفعوه إليه بالقسط بالسوية والعدل لا نكلف نفسا إلا وسعها إلا ما يسعها
ولا تعجز عنه وإنما أتبع الأمر بإيفاء الكيل والميزان ذلك لأن مراعاة الحد من القسط الذي لا زيادة
فيه ولا نقصان مما يجري فيه الحرج فأمر ببلوغ الوسع وأن ما وراءه معفو عنه ولو كان ذا قربى
ولو كان المقول له أو عليه في شهادة أو غيرها من أهل قرابة القائل فما ينبغي أن يزيد في القول أو ينقص كقوله
ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين وقرئ إن هذا صراطي مستقيما بتخفيف أن وأصله وأنه هذا صراطي
على أن الهاء ضمير الشأن والحديث وقرأ الأعمش وهذا صراطي وفي مصحف عبد الله وهذا صراط ربكم وفي مصحف
أبي وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل الطرق المختلفة في الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية
وسائر البدع والضلالات فتفرق بكم فتفرقكم أيادي سبا عن سبيله عن صراط الله المستقيم وهو دين
الإسلام وقرئ فتفرق بإدغام التاء وروى أبو وائل عن ابن مسعود عن النبي عليه السلام أنه خط خطا ثم
قال هذا سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطا ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه
ثم تلا هذه الآية وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه وعن ابن عباس رضي الله عنه هذه الآيات محكمات لم
ينسخهن شيء من جميع الكتب وقيل إنهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار
وعن كعب الأحبار والذي نفس كعب بيده إن هذه الآيات لأول شيء في التوراة فإن قلت كيف يصح علام عطف قوله
ثم آتينا موسى الكتاب قلت على وصاكم به فإن قلت كيف يصح عطفه عليه بثم والإيتاء قبل التوصية بدهر طويل
قلت هذه التوصية قديمة لم تزل توصاها كل أمة على لسان نبيها كما قال ابن عباس محكمات لم ينسخهن
شيء من جميع الكتب فكأنه قيل ذلكم وصاكم به يا بني آدم قديما وحديثا ثم أعظم من ذلك أنا آتينا موسى الكتاب
وأنزلنا هذا الكتاب المبارك وقيل هو معطوف على ما تقدم قبل شطر السورة من قوله ووهبنا له إسحق
ويعقوب تماما على الذي أحسن تماما للكرامة والنعمة على الذي أحسن على من كان محسنا صالحا يريد
جنس المحسنين ويدل عليه قراءة عبد الله على الذين أحسنوا أو أراد به موسى عليه السلام أي تتمة للكرامة على العبد
الذي أحسن الطاعة في التبليغ وفي كل ما أمر به أو تماما على الذي أحسن موسى من العلم والشرائع من أحسن
الشيء إذا أجاد معرفته أي زيادة على علمه على وجه التتميم وقرأ يحيى بن يعمر على الذي أحسن أي
على الذي هو أحسن بحذف المبتدأ كقراءة من قرأ مثلا ما بعوضة بالرفع أي على الدين الذي هو أحسن
دين وأرضاه أو آتينا موسى الكتاب تماما أي تاما كاملا على أحسن ما يكون عليه الكتب أي على الوجه
والطريق الذي هو أحسن وهو معنى قول الكلبي أتم له الكتاب على أحسنه أن تقولوا كراهة أن تقولوا
على طائفتين يريد بهما أهل التوراة وأهل الإنجيل وإن كنا هي إن المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة
بينها وبين النافية والأصل وإنه كنا عن دراستهم لغافلين على أن الهاء ضمير الشأن عن دراستهم عن
قراءتهم أي لم نعرف مثل دراستهم لكنا أهدى منهم لحدة أذهاننا وثقابة أفهامنا وغزارة حفظنا
لأيام العرب ووقائعها وخطبها وأشعارها وأسجاعها وأمثالها على أنا أميون وقرئ أن يقولوا
أو يقولوا بالياء فقد جاءكم بينة من ربكم تبكيت لهم وهو على قراءة من قرأ يقولوا على لفظ الغيبة أحسن
لما فيه من الالتفات والمعنى إن صدقتم فيما كنتم تعدون من أنفسكم فقد جاءكم بينة من ربكم فحذف

فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا قل انتظروا إنا منتظرون إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين

الشرط وهو من أحاسن الحذوف فمن أظلم ممن كذب بآيات الله بعدما عرف صحتها وصدقها أو تمكن
من معرفة ذلك وصدف عنها الناس فضل وأضل سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب
كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب الملائكة ملائكة الموت أو العذاب
أو يأتي ربك أو يأتي كل آيات ربك بدليل قوله أو يأتي بعض آيات ربك يريد آيات القيامة والهلاك
الكلي وبعض الآيات أشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك وعن البراء بن عازب
كنا نتذاكر الساعة إذ أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تتذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال
إنها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الأرض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب
وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول
عيسى ونارا تخرج من عدن لم تكن آمنت من قبل صفة لقوله نفسا وقوله أو كسبت في إيمانها
خيرا عطف على آمنت والمعنى أن أشراط الساعة إذا جاءت وهي آيات ملجئة مضطرة ذهب أوان
التكليف عندها فلم ينفع الإيمان حينئذ نفسا غير مقدمة إيمانها من قبل ظهور الآيات
أو مقدمة إيمانها غير كاسبة خيرا في إيمانها فلم يفرق كما ترى بين النفس الكافرة إذا آمنت
في غير وقت الإيمان وبين النفس التي آمنت في وقتها ولم تكسب خيرا ليعلم أن قوله الذين آمنوا وعملوا
الصالحات جمع بين قرينتين لا ينبغي أن تنفك إحداهما عن الأخرى حتى يفوز صاحبهما
ويسعد وإلا فالشقوة والهلاك قل انتظروا إنا منتظرون وعيد وقرئ تأتيهم الملائكة
بالياء والتاء وقرأ ابن سيرين لا تنفع بالتاء لكون الإيمان مضافا إلى ضمير المؤنث الذي هو بعضه كقولهم
ذهبت بعض أصابعه فرقوا دينهم اختلفوا فيه كما اختلف اليهود والنصارى وفي الحديث افترقت
اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة وهي الناجية وافترقت النصارى على ثنتين
وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين كلها في الهاوية إلا واحدة وقيل
فرقوا دينهم فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وقرئ فارقوا دينهم أي تركوه وكانوا شيعا فرقا كل فرقة
تشيع إماما لها لست منهم في شيء أي من السؤال عنهم وعن تفرقهم وقيل من عقابهم وقيل هي منسوخة
بآية السيف عشر أمثالها على إقامة صفة الجنس المميز مقام الموصوف تقديره عشر حسنات أمثالها
وقرئ عشر أمثالها برفعهما جميعا على الوصف وهذا أقل ما وعد من الأضعاف وقد وعد بالواحد
سبعمائة ووعد ثوابا بغير حساب ومضاعفة الحسنات فضل ومكافأة السيئات عدل وهم لا يظلمون بنقص
من ثوابهم ولا يزاد على عقابهم دينا نصب على البدل من محل إلى صراط لأن معناه هداني صراطا بدليل قوله
ويهديكم صراطا مستقيما والفيعل من قام كسيد من ساد وهو أبلغ من القائم وقرئ قيما والقيم مصدر بمعنى
القيام وصف به ملة إبراهيم عطف بيان حنيفا حال من إبراهيم إن صلاتي ونسكي عبادتي وتقربي كله
وقيل ذبحي وجمع بين الصلاة والذبح كما في قوله فصل لربك وانحر وقيل صلاتي وحجي من مناسك الحج ومحياي
ومماتي وما آتيه في حياتي وأموت عليه من الإيمان والعمل الصالح لله رب العالمين خالصة لوجهه وبذلك من الإخلاص

امرت وانا اول المسلمين قل اغير الله ابغي ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما آتاكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم بسم الله الرحمن الرحيم المص كتاب انزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء قليلا ما تذكرون وكم من قرية اهلكناها فجاءها باسنا بياتا او هم قائلون

امرت وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام امته قل اغير الله ابغي ربا جواب عن دعائهم له الى عبادة
آلهتهم والهمزة للانكار اي منكرا ان ابغي ربا وهو رب كل شيء فكل من دونه مربوب ليس في الوجود من له
الربوبية غيره كما قال قل افغير الله تامروني اعبد ولا تكسب كل نفس الا عليها جواب عن قولهم اتبعوا
سبيلنا ولنحمل خطاياكم جعلكم خلائف الارض لان محمدا صلى الله عليه خاتم النبيين فخلفت امته سائر الامم
او جعلهم يخلف بعضهم بعضا او هم خلفاء الله في ارضه يملكونها ويتصرفون فيها ورفع بعضكم فوق
بعض في الشرف والرزق ليبلوكم فيما آتاكم من نعمة الجاه والمال كيف تشكرون تلك النعمة وكيف يصنع
الشريف بالوضيع والحر بالعبد والغني بالفقير ان ربك سريع العقاب لمن كفر نعمته وانه
لغفور رحيم لمن قام بشكرها ووصف العقاب بالسرعة لان ما هو آت قريب عن رسول الله صلى الله عليه
انزلت علي سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد
فمن قرأ الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة

سورة الاعراف مكية غير ثماني آيات واسألهم عن القرية التي الى واذ نتقنا الجبل وهي خمس ومائتا آية

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب خبر مبتدا محذوف اي هو كتاب وانزل اليك صفة له والمراد بالكتاب السورة فلا يكن في صدرك حرج
منه اي شك منه كقوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك وسمي الشك حرجا لان الشاك ضيق الصدر حرجه
كما ان المتيقن منشرح الصدر منفسحه اي لا تشك في انه منزل من الله او حرج من تبليغه لانه
كان يخاف قومه وتكذيبهم له واعراضهم عنه واذاهم وكان يضيق صدره من الاذى ولا ينشط
له فامنه الله ونهاه عن المبالاة بهم فان قلت بم تعلق قوله لتنذر قلت بانزل اي انزل اليك لانذارك
به او بالنهي لانه اذا لم يخفهم انذرهم وكذلك اذا ايقن انه من عند الله شجعه اليقين على الانذار
لان صاحب اليقين جسور متوكل على ربه متكل على عصمته فان قلت فما محل ذكرى قلت يحتمل الحركات
الثلاث النصب باضمار فعلها كانه قيل لتنذر به وتذكر تذكيرا لان الذكرى اسم بمعنى التذكير
والرفع عطفا على كتاب او بانه خبر مبتدا محذوف والجر للعطف على محل ان تنذر اي للانذار
وللذكرى فان قلت النهي في قوله فلا يكن متوجه الى الحرج فما وجهه قلت هو من قولهم لا اريتك
هاهنا اتبعوا ما انزل اليكم من القرآن والسنة ولا تتبعوا من دون الله اولياء اي ولا تتولوا من دونه من
شياطين الجن والانس فيحملوكم على عبادة الاوثان والاهواء والبدع ويضلوكم عن دين الله وما انزل
اليكم وامركم باتباعه وعن الحسن يا ابن آدم امرت باتباع كتاب الله وسنة محمد والله ما نزلت آية الا
وهو يحب ان تعلم فيم انزلت وما معناها وقرأ مالك بن دينار ولا تبتغوا من الابتغاء ومن يبتغ غير الاسلام
دينا ويجوز ان يكون الضمير في من دونه لما انزل على ولا تتبعوا من دون دين الله دين اولياء قليلا ما تذكرون
حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وقرئ تذكرون بحذف التاء ويتذكرون بالياء وقليلا نصب بتذكرون
اي تذكرون تذكرا قليلا وما مزيدة لتوكيد القلة فجاءها فجاء اهلها بياتا مصدر واقع موقع الحال
بمعنى بائتين يقال بات بياتا حسنا وبيتة حسنة

فما كان دعويهم اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بما كانوا باياتنا يظلمون

او هم قائلون حال معطوفة على بياتا كانه قيل فجاءهم باسنا بائتين او قائلين فان قلت هل يقدر
حذف المضاف في الذي هو الاهل قبل قرية او قبل الضمير في اهلكناها قلت انما يقدر المضاف للحاجة
ولا حاجة فان القرية تهلك كما يهلك اهلها وانما قدرناه قبل الضمير في فجاءها لقوله او هم قائلون
فان قلت لا يقال جاءني زيد هو فارس بغير واو فما بال قوله هم قائلون قلت قدر بعض النحويين الواو
محذوفة ورده الزجاج وقال لو قلت جاءني زيد راجلا او هو فارس او جاءني زيد هو فارس لم
يحتج فيه الى واو لان الذكر قد عاد على الاول والصحيح انها اذا عطفت على حال قبلها حذفت الواو
استثقالا لاجتماع حرفي عطف لان واو الحال هي واو العطف استعيرت للوصل فقولك جاءني زيد راجلا
او هو فارس كلام فصيح وارد على حده واما جاءني زيد هو فارس فخبيث فان قلت فما معنى قوله اهلكناها
فجاءها باسنا والاهلاك انما هو بعد مجيء الباس قلت معناه اردنا اهلاكها كقوله اذا قمتم الى الصلوة وانما
خص هذان الوقتان وقت البيات ووقت القيلولة لانهما وقتا الغفلة والدعة فيكون نزول العذاب فيهما
اشد وافظع وقوم لوط اهلكوا بالليل وقت السحر وقوم شعيب وقت القيلولة فما كان دعواهم
ما كانوا يدعونه من دينهم وينتحلونه من مذهبهم الا اعترافهم ببطلانه وفساده وقولهم انا كنا
ظالمين فيما كنا عليه ويجوز فما كان استغاثتهم الا قولهم هذا لانه لا يستغاث من الله بغيره
من قولهم دعواهم يا لكعب ويجوز فما كان دعاؤهم ربهم الا اعترافهم لعلمهم ان الدعاء لا ينفعهم
وان لات حين دعاء فلا يزيدون على ذم انفسهم وتحسرهم على ما كان منهم ودعواهم نصب خبر لكان وان قالوا
رفع اسم له ويجوز العكس فلنسألن الذين ارسل اليهم ارسل مسند الى الجار والمجرور وهو اليهم ومعناه
فلنسألن المرسل اليهم وهم الامم يسألهم عما اجابوا به رسلهم كما قال ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم
المرسلين عما اجيبوا به كما قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم فلنقصن عليهم على الرسل والمرسل
اليهم ما كان منهم بعلم عالمين باحوالهم الظاهرة والباطنة واقوالهم وافعالهم وما كنا غائبين عنهم
وعما وجد منهم فان قلت فاذا كان عالما بذلك وكان يقصه عليهم فما معنى سؤالهم قلت معناه التوبيخ
والتقريع والتقرير اذا فاهوا به بالسنتهم وشهد عليهم انبياؤهم والوزن يومئذ الحق يعني وزن الاعمال
والتمييز بين راجحها وخفيفها ورفعه على الابتداء وخبره يومئذ والحق صفته اي والوزن يوم يسأل الله الامم
ورسلهم الوزن الحق اي العدل وقرئ القسط واختلف في كيفية الوزن فقيل توزن صحف الاعمال بميزان
له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق تاكيدا للحجة واظهارا للنصفة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن
اعمالهم فيعترفون بها بالسنتهم وتشهد عليهم ايديهم وارجلهم وجلودهم وتشهد عليهم
الانبياء والملائكة والاشهاد وكما تثبت في صحائفهم فيقرءونها في موقف الحساب وقيل هي عبارة
عن القضاء السوي والحكم العادل فمن ثقلت موازينه جمع ميزان او موزون اي فمن رجحت اعماله
الموزونة التي لها وزن وقدر وهي الحسنات او ما يوزن به حسناتهم وعن الحسن وحق لميزان توضع
فيه الحسنات ان يثقل وحق لميزان توضع فيه السيئات ان يخف بما كانوا باياتنا يظلمون يكذبون بها

ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين

وروى عصمة عن عاصم لمن تبعك بكسر اللام بمعنى لمن تبعك منهم هذا الوعيد وهو قوله لاملأن جهنم منكم اجمعين على ان لاملأن في محل الابتداء ولمن تبعك خبره ويا آدم وقلنا يا آدم وقرئ هذي الشجرة وهو الاصل لانه تصغير ذا والهاء بدل منها ويقال وسوس اذا تكلم كلاما خفيا متكررا ومنه وسوس الحلي وهو فعل غير متعد كولولت المرأة ووعوع الذئب ورجل موسوس بكسر الواو ولا يقال موسوس بالفتح ولكن موسوس له وموسوس اليه وهو الذي يلقي اليه الوسوسة ومعنى وسوس له فعل الوسوسة لاجله ووسوس اليه القاها اليه ليبدي جعل ذلك غرضا ليسوءهما اذا رأيا ما يؤثران ستره وان لا يطلع عليه مكشوفا وفيه دليل على ان كشف العورة من عظائم الامور وانه لم يزل مستهجنا في الطباع مستقبحا في العقول فان قلت ما للواو المضمومة في وري لم تقلب همزة كما في أويصل قلت لان الثانية مدة كالف وارى وقد جاء في قراءة عبد الله أوري بالقلب الا ان تكونا ملكين الا كراهة ان تكونا ملكين وفيه دليل على ان الملكية بالمنظر الاعلى وان البشرية تلمح مرتبتها كلا ولا وقرئ ملكين بكسر اللام لقوله وملك لا يبلى من الخالدين من الذين لا يموتون ويبقون في الجنة ساكنين وقرئ من سوآتهما بالتوحيد وسوتهما بالواو المشددة وقاسمهما واقسم لهما اني لكما لمن الناصحين فان قلت المقاسمة ان تقسم لصاحبك ويقسم لك تقول قاسمت فلانا حالفته وتقاسما تحالفا ومنه قوله تقاسموا بالله لنبيتنه قلت كأنه قال لهما اقسم لكما اني لكما لمن الناصحين وقالا له أتقسم بالله انك لمن الناصحين فجعل ذلك مقاسمة بينهم او اقسم لهما بالنصيحة واقسما له بقبولها او اخرج قسم ابليس على زنة المفاعلة لانه اجتهد فيه اجتهاد المقاسم فدلاهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة بغرور بما غرهما به من القسم بالله وعن قتادة وانما يخدع المؤمن بالله وعن ابن عمر انه كان اذا رأى من عبده طاعة وحسن صلوة اعتقه فكان عبيده يفعلون ذلك طلبا للعتق فقيل له انهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدعنا له فلما ذاقا الشجرة وجدا طعمها آخذين في الاكل منها وقيل الشجرة هي السنبلة وقيل شجرة الكرم بدت لهما سوآتهما اي تهافت عنهما اللباس فظهرت لهما عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر وعن عائشة رضي الله عنها ما رأيت منه ولا رأى مني وعن سعيد بن جبير كان لباسهما من جنس الاظفار وعن وهب كان لباسهما نورا يحول بينهما وبين النظر وطفقا طفق يفعل كذا بمعنى جعل يفعل وقرأ ابو السمال وطفقا بالفتح يخصفان يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة على عوراتهما ليستترا بها كما تخصف النعل بان تجعل طرقة على طرقة وتوثق بالسيور وقرأ الحسن يخصفان بكسر الخاء وتشديد الصاد واصله يختصفان وقرأ الزهري يخصفان من اخصف وهو منقول من خصف اي يخصفان انفسهما وقرئ يخصفان من خصف بالتشديد من ورق الجنة قيل كان ورق التين الم انهكما عتاب على مخالفة النهي وتوبيخ وتنبيه على الخطأ حيث لم يتحذرا ما حذرهما الله من عداوة ابليس وروي انه قال لآدم الم يكن لك فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى وعزتك ولكن ما ظننت ان احدا من خلقك يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا كدا فاهبط وعلم صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث وسقى وحصد وداس وذرى وعجن وخبز [illegible]

قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون

١٧٨

ذنبهما وان كان صغيرا مغفورا ظلما لانفسهما وقالا لنكونن من الخاسرين على عادة الاولياء والصالحين في استعظامهم الصغير من السيئات واستصغارهم العظيم من الحسنات اهبطوا الخطاب لآدم وحواء وابليس وبعضكم لبعض عدو في موضع الحال اي متعادين يعاديهما ابليس ويعاديانه مستقر استقرار او موضع استقرار ومتاع وانتفاع بعيش الى حين الى انقضاء آجالكم وعن ثابت البناني لما اهبط آدم وحضرته الوفاة احاطت به الملائكة فجعلت حواء تدور حولهم فقال لها خلي ملائكة ربي فانما اصابني الذي اصابني فيك فلما توفي غسلته الملائكة بماء وسدر وترا وحنطته وكفنته في وتر من الثياب وحفروا له ولحدوا ودفنوه بسرنديب بارض الهند وقالوا لبنيه هذه سنتكم بعده جعل ما في الارض منزلا من السماء لانه قضي ثم وكتب ومنه وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج والريش لباس الزينة استعير من ريش الطير لانه لباسه وزينته اي انزلنا عليكم لباسين لباسا يواري سوآتكم ولباسا يزينكم لان الزينة غرض صحيح كما قال لتركبوها وزينة ولكم فيها جمال وقرأ عثمان رضي الله عنه ورياشا جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى ولباس الورع والخشية من الله وارتفاعه على الابتداء وخبره اما الجملة التي هي ذلك خير كأنه قيل ولباس التقوى هو خير لان اسماء الاشارة تقرب من الضمائر فيما يرجع الى عود الذكر واما المفرد الذي هو خير وذلك صفة للمبتدأ كأنه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير ولا تخلو الاشارة من ان يراد بها تعظيم لباس التقوى او ان تكون اشارة الى اللباس المواري للسوأة لان مواراة السوأة من التقوى تفضيلا له على لباس الزينة وقيل لباس التقوى خبر مبتدأ محذوف اي وهو لباس التقوى ثم قال ذلك خير وفي قراءة عبد الله وابي ولباس التقوى خير وقيل المراد بلباس التقوى ما يلبس من الدروع والجواشن والمغافر وغيرها مما يتقى به في الحروب وقرئ ولباس التقوى بالنصب عطفا على لباسا وريشا ذلك من آيات الله الدالة على فضله ورحمته على عباده يعني انزال اللباس لعلهم يذكرون فيعرفون عظيم النعمة فيه وهذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوآت وخصف الورق عليهما اظهارا للمنة فيما خلق من اللباس ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة واشعارا بان التستر باب عظيم من ابواب التقوى لا يفتننكم الشيطان لا يمتحننكم بان لا تدخلوا الجنة كما محن ابويكم بان اخرجهما منها ينزع عنهما لباسهما حال اي اخرجهما نازعا لباسهما بان كان سببا في ان نزع عنهما انه يراكم هو تعليل للنهي وتحذير من فتنته بانه بمنزلة العدو المداجي يكيدكم ويغتالكم من حيث لا تشعرون وعن مالك بن دينار ان عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤنة الا من عصم الله وقبيله وجنوده من الشياطين وفيه دليل على ان الجن لا يرون ولا يظهرون للانس وان اظهارهم انفسهم ليس في استطاعتهم وان زعم من يدعي رؤيتهم زور ومخرقة انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون اي خلينا بينهم وبينهم لم نكفهم عنهم حتى تولوهم واطاعوهم فيما سولوا لهم من الكفر والمعاصي وهذا تحذير آخر ابلغ من الاول فان قلت علام عطف وقبيله قلت على الضمير في يراكم المؤكد بهو والضمير في انه ضمير الشأن والحديث وقرأ اليزيدي وقبيله بالنصب وفيه

واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها قل ان الله لا يامر بالفحشاء اتقولون على الله ما لا تعلمون
قل امر ربي بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بداكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق
عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون يا بني ادم خذوا زينتكم عند كل
مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق

ونحوها لمن يعطفه على الاسم ان آن يكون الواو بمعنى مع واذا عطف على اسم ان ارتفعوا الضمير في انه
كان راجعا الى ابليس الفاحشة ما تبالغ في قبحه من الذنوب اي اذا فعلوها اعتذروا بان اباءهم كانوا
يفعلونها فاقتدوا بهم وبان الله امرهم بان يفعلوها وكلاهما باطل من العذر لان احدهما تقليد
والتقليد ليس بطريق للعلم والثاني افتراء على الله والحاد في صفاته كانوا يقولون لو كره الله منا
ما نفعله لنقلنا عنه وعن الحسن ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى العرب وهم قدرية مجبرة يحملون
ذنوبهم على الله وتصديقه قول الله عز وجل واذا فعلوا فاحشة قل ان الله لا يامر بالفحشاء لان فعل القبيح
مستحيل عليه لعدم الداعي ووجود الصارف فكيف يامر بفعله اتقولون على الله ما لا تعلمون انكار لاضافتهم
القبيح اليه وشهادة على ان مبنى قولهم على الجهل المفرط وقيل المراد بالفاحشة طوافهم بالبيت عراة
بالقسط بالعدل وبما قام في النفوس انه مستقيم حسن عند كل مميز وقيل بالتوحيد واقيموا وجوهكم
وقل اقيموا اي اقصدوا عبادته مستقيمين اليها غير عادلين الى غيرها عند كل مسجد في كل وقت سجود
او في كل مكان سجود وهو الصلوة وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة مبتغين بها وجهه
خالصا كما بداكم تعودون كما انشاكم ابتداء يعيدكم احتج عليهم في انكارهم الاعادة بابتداء الخلق والمعنى
انه يعيدكم فيجازيكم على اعمالكم فاخلصوا له العبادة فريقا هدى وهم الذين اسلموا اي وفقهم للايمان
وفريقا حق عليهم الضلالة اي كلمة الضلالة وعلم الله انهم يضلون ولا يهتدون وانتصاب قوله
وفريقا بفعل يفسره ما بعده كانه قيل وخذل فريقا حق عليهم الضلالة انهم اي ان الفريق الذين حق عليهم
الضلالة اتخذوا الشياطين اولياء اي تولوهم بالطاعة فيما امروهم به وهذا دليل على ان علم الله لا اثر له في
ضلالهم وانهم هم الضالون باختيارهم وتوليهم الشياطين دون الله خذوا زينتكم اي ريشكم ولباس زينتكم عند
كل مسجد كلما صليتم او طفتم وكانوا يطوفون عراة وعن طاوس لم يامرهم بالحرير والديباج وانما
كان احدهم يطوف عريانا ويدع ثيابه وراء المسجد وان طاف وهي عليه ضرب وانتزعت منه لانهم قالوا لا نعبد
الله في ثياب اذنبنا فيها وقيل تفاؤلا ليتعروا من الذنوب كما تعروا من الثياب وقيل الزينة المشط وقيل الطيب
والسنة ان ياخذ الرجل احسن هيئته للصلوة وكان بنو عامر في ايام حجهم لا ياكلون الطعام الا قوتا ولا ياكلون
دسما يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون فانا احق ان نفعل فقيل لهم وكلوا واشربوا ولا تسرفوا وعن ابن
عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطاتك خصلتان سرف ومخيلة ويحكى ان الرشيد كان له طبيب
نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم الابدان
وعلم الاديان فقال له قد جمع الله الطب كله في نصف اية من كتابه قال وما هي قال قوله وكلوا واشربوا
ولا تسرفوا فقال النصراني ولا يؤثر من رسولكم شيء في الطب فقال قد جمع رسولنا صلى الله عليه وسلم الطب في الفاظ يسيرة
قال وما هي قال قوله المعدة بيت الداء والحمية راس كل دواء واعط كل بدن ما عودته فقال النصراني
ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا زينة الله من الثياب وكل ما يتجمل به والطيبات من الرزق المستلذات
من الماكل والمشارب ومعنى الاستفهام في من انكار تحريم هذه الاشياء وقيل كانوا اذا احرموا حرموا

قل هي للذين امنوا في الحيوة الدنيا خالصة يوم القيمة كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن
والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون ولكل امة اجل فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون
ساعة ولا يستقدمون يا بني ادم اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا باياتنا
واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى
اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا اين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين قال ادخلوا في امم

١٧٩

حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها قل هي للذين امنوا في الحيوة الدنيا
غير خالصة لهم لان المشركين شركاؤهم فيها خالصة يوم القيمة لا يشركهم فيها احد فان قلت
هلا قيل للذين امنوا ولغيرهم قلت لينبه على انها خلقت للذين امنوا على طريق الاصالة وان الكفرة
تبع لهم كقوله ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وقرئ خالصة بالنصب على
الحال وبالرفع على انها خبر بعد خبر الفواحش ما تفاحش قبحه اي تزايد وقيل هي ما يتعلق
بالفروج والاثم عام لكل ذنب وقيل شرب الخمر والبغي الظلم والكبر افرده بالذكر كما قال
وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ما لم ينزل به سلطانا فيه تهكم لانه لا يجوز ان ينزل برهانا بان يشرك
به غيره وان تقولوا على الله وان تتقولوا عليه وتفتروا الكذب من التحريم وغيره ولكل امة
اجل وعيد لاهل مكة بالعذاب النازل في اجل معلوم عند الله كما نزل بالامم وقرئ فاذا جاء اجالهم
وقال ساعة لانها اقل الاوقات في استعمال الناس يقول المستعجل لصاحبه في ساعة يريد
في اقصر وقت واقربه اما ياتينكم هي ان الشرطية ضمت اليها ما موكدة لمعنى الشرط ولذلك
لزمت فعلها النون الثقيلة او الخفيفة فان قلت فما جزاء هذا الشرط قلت الفاء وما بعده من
الشرط والجزاء والمعنى فمن اتقى واصلح منكم والذين كذبوا منكم وقرئ تاتينكم بالتاء فمن اظلم
فمن اشنع ظلما ممن تقول على الله ما لم يقله او كذب ما قاله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب
اي مما كتب لهم من الارزاق والاعمار حتى اذا جاءتهم رسلنا حتى غاية لنيلهم نصيبهم
واستيفائهم له الى وقت وفاتهم وهي حتى التي يبتدا بعدها الكلام والكلام ههنا الجملة
الشرطية وهي اذا جاءتهم رسلنا قالوا ويتوفونهم حال من الرسل اي متوفيهم والرسل ملك الموت
واعوانه وما وقعت موصولة باين في خط المصحف وكان حقها ان تفصل لانها موصولة بمعنى اين
الالهة الذين تدعون ضلوا عنا غابوا عنا فلا نراهم ولا ننتفع بهم اعترافا منهم بانهم لم يكونوا
على شيء فيما كانوا عليه وانهم لم يحصلوا في العاقبة قال ادخلوا في امم اي يقول الله تعالى يوم القيمة
لاولئك الذين قال فيهم فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته وهم كفار العرب في امم في
موضع الحال اي كائنين في جملة امم وفي غمارهم مصاحبين لهم اي ادخلوا في النار مع امم قد
خلت من قبلكم وتقدم زمانهم زمانكم لعنت اختها التي ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها
اي تداركوا بمعنى تلاحقوا واجتمعوا في النار قالت اخراهم منزلة وهي الاتباع والسفلة
لاولاهم منزلة وهي القادة والرؤس ومعنى لاولاهم لاجل اولاهم لان خطابهم مع الله لا معهم عذابا
ضعفا مضاعفا لكل ضعف لان كلا من القادة والاتباع كانوا ضالين مضلين ولكن لا تعلمون
قرئ بالتاء والياء فما كان لكم علينا من فضل عطفوا هذا الكلام على قول الله عز وجل للسفلة لكل ضعف
اي فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا متساوون في استحقاق الضعف فذوقوا العذاب من قول
القادة او من قول الله لهم جميعا لا تفتح لهم ابواب السماء لا يصعد لهم عمل صالح الله يصعد الكلم الطيب

ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا إلا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الأنهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين

لا تفتح لهم أبواب السماء لا يصعد لهم عمل صالح ولا تنزل عليهم البركة ولا يغاثون فتحنا أبواب السماء وقيل لا يؤذن لهم في صعود السماء ولا يطرق لهم إليها ليدخلوا الجنة وقيل لا تصعد أرواحهم إذا ماتوا كما تصعد أرواح المؤمنين وقيل لا تنزل عليهم البركة ولا يغاثون فتحنا أبواب السماء وقرئ لا تفتح بالتشديد ولا يفتح بالياء ولا تفتح بالتاء والبناء للفاعل ونصب الأبواب على أن الفعل للآيات وبالياء على أن الفعل لله عز وجل وقرأ ابن عباس الجمل بوزن القمل وسعيد بن جبير الجمل بوزن النغر وقرئ الجمل بوزن القفل والجمل بوزن النصب والجمل بوزن الحبل ومعناها القلس الغليظ لأنه حبال جمعت وجعلت جملة واحدة وعن ابن عباس أن الله أحسن تشبيها من أن يشبه بالجمل يعني أن الحبل مناسب للخيط الذي يسلك في سم الإبرة والبعير لا يناسبه إلا أن قراءة العامة أوقع لأن سم الإبرة مثل في ضيق المسلك يقال أضيق من خرت الإبرة وقالوا للدليل الماهر خريت للاهتداء به في المضايق المشبهة بأخرات الإبر والجمل مثل في عظم الجرم قال جسم الجمال وأحلام العصافير إن الرجال ليسوا بجزر تراد منهم الأجسام فقيل لا يدخلون الجنة حتى يكون ما لا يكون أبدا من ولوج هذا الحيوان الذي لا يلج إلا في باب واسع في ثقب الإبرة وعن ابن مسعود أنه سئل عن الجمل فقال زوج الناقة استجهالا للسائل وإشارة إلى أن طلب معنى آخر تكلف وقرئ في سم بالحركات الثلاث وقرأ عبد الله في سم المخيط والخياط والمخيط كالحزام والمحزم ما يخاط به وهو الإبرة **وكذلك** ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين ليؤذن أن الإجرام هو السبب الموصل إلى العقاب وأن كل من أجرم عوقب وقد كرره تعالى وكذلك نجزي الظالمين لأن كل مجرم ظالم لنفسه **مهاد** فراش **غواش** أغطية وقرئ غواش بالرفع كقوله وله الجوار المنشآت في قراءة عبد الله **لا نكلف** نفسا إلا وسعها جملة معترضة بين المبتدأ والخبر للترغيب في اكتساب ما لا يكتنهه وصف الواصف من النعيم الخالد مع التعظيم بما هو في الوسع وهو الإمكان الواسع غير الضيق من الإيمان والعمل الصالح وقرأ الأعمش لا تكلف نفس **من غل** من كان في قلبه غل على أخيه في الدنيا نزع منه فسلمت قلوبهم وطهرت ولم يكن بينهم إلا التوادّ والتعاطف وعن علي رضي الله عنه إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم **هدانا لهذا** أي وفقنا لموجب هذا الفوز العظيم وهو الإيمان والعمل الصالح **وما كنا لنهتدي** اللام لتوكيد النفي يعنون وما كان يستقيم أن نكون مهتدين لولا هداية الله وتوفيقه وفي مصاحف أهل الشام ما كنا لنهتدي بغير واو على أنها جملة موضحة للأولى **لقد جاءت رسل** ربنا بالحق وكان لنا لطفا وتنبيها على الاهتداء فاهتدينا يقولون ذلك سرورا واغتباطا بما نالوا وتلذذا بالتكلم به لا تقربا وتعبدا كما ترى من رزق خيرا في الدنيا يتكلم بنحو ذلك ولا يتمالك أن لا يقوله للفرح لا للقربة **أن تلكم الجنة** أن مخففة من الثقيلة وأن تكون مفسرة كالتي سبقت آنفا وكذلك أن لعنة الله على الظالمين وإنما قالوا لهم ذلك اغتباطا بحالهم وشماتة بأصحاب النار وزيادة في غمهم ولتكون حكايته لطفا لمن سمعها وكذلك قول المؤذن بينهم لعنة الله على الظالمين وهو ملك يأمره الله فينادي بينهم نداء يسمع أهل الجنة وأهل النار وقرئ أن لعنة الله بالتشديد والنصب وقرأ

الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ونادى أصحاب الأعراف رجالا

الأعمش إن لعنة الله بكسر إن على إرادة القول أو على إجراء أذن مجرى قال **فإن قلت** هلا قيل ما وعدكم ربكم كما قيل ما وعدنا ربنا **قلت** حذف ذلك تخفيفا لدلالة وعدنا عليه ولقائل أن يقول أطلق ليتناول كل ما وعد الله من البعث والحساب والثواب والعقاب وسائر أحوال القيامة لأنهم كانوا مكذبين بذلك أجمع ولأن الموعود كله مما ساءهم وما نعيم أهل الجنة إلا عذاب لهم فأطلق لذلك **وبينهما حجاب** يعني بين الجنة والنار أو بين الفريقين وهو السور المذكور في قوله فضرب بينهم بسور **وعلى الأعراف** وعلى أعراف الحجاب وهو السور المضروب بين الجنة والنار وهي أعاليه جمع عرف استعير من عرف الفرس وعرف الديك **رجال** من المسلمين من آخرهم دخولا في الجنة لقصور أعمالهم كأنهم المرجون لأمر الله يحبسون بين الجنة والنار إلى أن يأذن الله لهم في دخول الجنة **يعرفون** كلا من زمر السعداء والأشقياء بسيماهم بعلامتهم التي أعلمهم الله بها يلهمهم الله ذلك أو تعرفهم الملائكة إذا نظروا إلى أصحاب الجنة نادوهم بالتسليم عليهم وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار ورأوا ما هم فيه من العذاب استعاذوا بالله وفزعوا إلى رحمته أن لا يجعلهم معهم ونادوا رجالا من رؤوس الكفرة يقولون لهم ما أغنى عنكم جمعكم أهؤلاء الذين أقسمتم إشارة لهم إلى أهل الجنة الذين كان الرؤساء يستهينون بهم ويحتقرونهم لفقرهم وقلة حظوظهم من الدنيا وكانوا يقسمون أن الله لا يدخلهم الجنة **ادخلوا الجنة** يقال لأصحاب الأعراف ادخلوا الجنة وذلك بعد أن يحبسوا على الأعراف وينظروا إلى الفريقين ويعرفوهم بسيماهم ويقولوا ما يقولون وفائدة ذلك بيان أن الجزاء على قدر الأعمال وأن التقدم والتأخر على حسبها وأن أحدا لا يسبق عند الله إلا بسبقه في العمل ولا يتخلف عنده إلا بتخلفه فيه وليرغب السامعون في حال السابقين ويحرصوا على إحراز قصبتهم وليتصوروا أن كل أحد يعرف ذلك اليوم بسيماه التي استوجب أن يوسم بها من أهل الخير والشر فيرتدع المسيء عن إساءته ويزيد المحسن في إحسانه وليعلم أن العصاة يوبخهم كل أحد حتى أقصر الناس عملا **وقرئ** وإذا صرفت أبصارهم فيه أن صارفا يصرف أبصارهم لينظروا فيستعيذوا ويوبخوا وقرأ الأعمش وإذا قلبت أبصارهم وقرئ أدخلوا الجنة على البناء للمفعول وقرأ عكرمة دخلوا الجنة **فإن قلت** كيف لاءم هاتين القراءتين قوله لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون **قلت** تأويله ادخلوا الجنة أو دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون **فإن قلت** ما محل قوله لم يدخلوها وهم يطمعون **قلت** لا محل له لأنه استئناف كأن سائلا سأل عن حال أصحاب الأعراف فقيل لم يدخلوها وهم يطمعون يعني حالهم أن دخولهم الجنة استأخر عن دخول أهل الجنة فلم يدخلوها لكونهم محبوسين وهم يطمعون لم ييأسوا ويجوز أن يكون له محل بأن يقع صفة لرجال **وقرئ** **ما أغنى** عنكم جمعكم المال أو كثرتكم واجتماعكم وما كنتم تستكبرون واستكباركم عن الحق وعلى الناس وقرئ تستكثرون من الكثرة **أفيضوا** علينا فيه دليل على أن الجنة فوق النار **أو مما** رزقكم الله من غيره من الأشربة لدخوله في حكم الإفاضة ويجوز أن يراد أو ألقوا علينا مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة كقوله علفتها تبنا وماء باردا وإنما يطلبون ذلك مع يأسهم من الإجابة إليه حيرة في أمرهم كما يفعل المضطر الممتحن **حرمهما على الكافرين**

يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين

أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون

منعهم طعام الجنة وشرابها شراب الجنة وطعامها كما يمنع المكلف ما يحرم عليه ويحظر لقوله حرام على
عليهم ان تطعما الكوب فاليوم ننسيهم نفعل بهم فعل الناسين الذين ينسون عبيدهم من الخير لا يذكرونهم
به كما نسوا لقاء يومهم هذا كما فعلوا بلقائه فعل الناسين فلم يخطروه ببالهم ولم يهتموا به فصلناه
على علم عالمين كيف نفصل احكامه ومواعظه وقصصه وسائر معانيه حتى جاء حكيما قيما غير
ذي عوج وقرأ ابن محيصن فضلناه بالضاد المعجمة بمعنى فضلناه على جميع الكتب عالمين انه اهل
للتفضيل عليها وهدى ورحمة حال من منصوب فصلناه كما ان على علم حال من مرفوعه الا تأويله
عاقبة امره وما يؤول اليه من تبين صدقه وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد قد جاءت رسل
ربنا بالحق اي تبين وصح انهم جاءوا بالحق او نرد جملة معطوفة على الجملة التي قبلها داخلة معها في حكم الا
ستفهام كانه قيل هل لنا من شفعاء او هل نرد ورافعه وقوعه موقعا يصلح للاسم كما تقول ابتداء
هل يضرب زيد ولا يطلب له فعل اخر يعطف عليه فلا يقدر هل يشفع لنا شافع او نرد وقرأ ابن
ابي اسحق او نرد بالنصب عطفا على فيشفعوا لنا او يكون او بمعنى حتى ان اي يشفعون لنا حتى نرد فنعمل وقرأ
الحسن بنصب نرد ورفع فنعمل بمعنى فنحن نعمل يغشي الليل النهار وقرئ يغشّي بالتشديد اي يلحق الليل
بالنهار والنهار بالليل يحتملهما جميعا والدليل على الثاني قراءة حميد بن قيس يغشى الليل النهار بفتح الياء ونصب
الليل ورفع النهار اي يدرك النهار الليل ويطلبه حثيثا حسن الملاءمة لقراءة حميد بامره بمشيئته
وتصريفه وهو متعلق بمسخرات اي خلقهن جاريات بمقتضى حكمته وتدبيره وكما يريد ان يصرفها سمى
ذلك امرا على التشبيه كانهن مأمورات بذلك وقرئ والشمس والقمر والنجوم مسخرات بالرفع ولما ذكر
انه خلقهن مسخرات بامره قال الا له الخلق والامر اي هو الذي خلق الاشياء كلها وهو الذي صرفها على حسب ارادته
تضرعا وخفية نصب على الحال اي ذوي تضرع وخفية وكذلك خوفا وطمعا والتضرع تفعل من الضراعة
وهي الذل اي تذللا وتملقا وقرئ خفية وعن الحسن رحمه الله ان الله يعلم القلب التقي والدعاء الخفي
ان كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به جاره وان كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير ولا يشعر الناس
به وان كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة وعنده الزوار وما يشعرون به ولقد ادركنا اقواما ما كان على الارض
من عمل يقدرون على ان يعملوه في السر فيكون علانية ابدا ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع
لهم صوت ان كان الا همسا بينهم وبين ربهم وذلك ان الله تعالى يقول ادعوا ربكم وقد اثنى على زكريا فقال اذ نادى
ربه نداء خفيا وبين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا انه لا يحب المعتدين اي المجاوزين ما امروا
به في كل شيء من الدعاء وغيره وعن ابن جريج هو رفع الصوت بالدعاء وعنه الصياح في الدعاء مكروه وبدعة وقيل
هو الاسهاب في الدعاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني
اسألك الجنة وما قرب اليها من قول او عمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول او عمل ثم قرأ
قوله انه لا يحب المعتدين ان رحمة الله قريب من المحسنين كقوله واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا وانما
ذكر قريب على تأويل الرحمة بالرحم او الترحم او لانه صفة موصوف محذوف اي شيء قريب او على تشبيهه

بغير عمد ... ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره الا له الخلق ...

وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم

بفعيل الذي بمعنى مفعول كما شبه ذاك به فقيل قتلاء واسراء او على انه بزنة المصدر الذي هو النقيض
والضغيب ولان تأنيث الرحمة غير حقيقي وقرئ نشرا وهو مصدر نشر وانتصابه اما لان ارسل
ونشر متقاربان فكانه قيل نشرها نشرا واما على الحال بمعنى منتشرات ونشرا جمع نشور
ونشرا بتخفيف نشر كرسل ورسل وقرأ مسروق نشرا بمعنى منشورات فعل بمعنى مفعول كنفض
وحسب ومنه قولهم ضم نشره وبشرا جمع بشير وبشرا بتخفيفه وبشرا بفتح الباء مصدر من
بشره بمعنى بشره اي باشرات وبشرى بين يدي رحمته امام نعمته وهي الغيث الذي هو من اجل النعم
واحسنها اثرا اقلت حملت ورفعت واشتقاق الاقلال من القلة لان الرافع المطيق يرى ما يرفعه قليلا
سحابا ثقالا سحائب ثقالا بالماء جمع سحابة سقناه الضمير للسحاب على اللفظ ولو حمل على المعنى كالثقال
لأنث كما لو حمل الوصف على اللفظ لقيل ثقيلا لبلد ميت لاجل بلد ليس فيه حيا ولسقيه وقرئ ميت
فانزلنا به بالبلد او بالسحاب او بالسوق وكذلك فاخرجنا به كذلك مثل ذلك الاخراج وهو اخراج
الثمرات نخرج الموتى لعلكم تذكرون فيؤديكم التذكر الى انه لا فرق بين الاخراجين اذ كل واحد منهما اعادة
للشيء بعد انشائه والبلد الطيب الارض الكريمة التربة والذي خبث الارض السبخة التي لا
تنبت ما ينتفع به باذن ربه بتيسيره وهو في موضع الحال كانه قيل يخرج نباته حسنا وافيا
لانه واقع في مقابلة نكدا والنكد الذي لا خير فيه وقرئ يخرج نباته اي يخرجه البلد وينبته وقوله
والذي خبث صفة للبلد ومعناه والبلد الخبيث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف الذي هو النبات
واقيم المضاف اليه الذي هو الراجع الى البلد مقامه الا انه كان مجرورا بارزا فانقلب مرفوعا مستكنا
لوقوعه موقع الفاعل او يقدر ونبات الذي خبث وقرئ نكدا بفتح الكاف على المصدر اي ذا نكد
ونكدا باسكانها للتخفيف كقوله نزه عن الريب بمعنى نزه وهذا مثل لمن ينجع فيه الوعظ
والتنبيه من المكلفين ولمن لا يؤثر فيه شيء من ذلك وعن مجاهد آدم وذريته منهم خبيث وطيب
وعن قتادة المؤمن سمع كتاب الله فوعاه بعقله وانتفع به كالارض الطيبة اصابها الغيث فانبتت
والكافر بخلاف ذلك وهذا التمثيل واقع على اثر ذكر المطر وانزاله بالبلد الميت واخراج الثمرات
على طريق الاستطراد كذلك مثل ذلك التصريف نصرف الآيات نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة
الله وهم المؤمنون ليتفكروا فيها ويعتبروا بها وقرئ يصرفها اي يصرفها الله لقد ارسلنا جواب قسم
محذوف فان قلت ما لهم لا يكادون ينطقون بهذه اللام الا مع قد وقل عنهم نحو قوله حلفت لها بالله حلفة
فاجر لناموا قلت انما كان ذلك لان الجملة القسمية لا تساق الا تأكيدا للجملة المقسم عليها التي
هي جوابها فكانت مظنة لمعنى التوقع الذي هو معنى قد عند استماع المخاطب كلمة القسم قيل
ارسل نوح وهو ابن خمسين سنة وكان نجارا وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ واخنوخ
اسم ادريس النبي عليه السلام غيره وقرئ بالحركات الثلاث فالرفع على المحل كانه قيل ما لكم اله غيره والجر
على اللفظ والنصب على الاستثناء بمعنى ما لكم من اله الا اياه كقولك ما في الدار من احد الا زيدا وغير زيد

قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلال مبين قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوما عمين وإلى عاد أخاهم هودا

فإن قلت ما موقع الجملتين بعد قوله اعبدوا الله قلت الأولى بيان لوجه اختصاصه بالعبادة والثانية بيان للداعي إلى عبادته لأنه هو المحذور عقابه دون ما كانوا يعبدونه من دون الله واليوم العظيم يوم القيامة أو يوم نزول العذاب عليهم وهو الطوفان الملأ الأشراف والسادة وقيل الرجال ليس معهم نساء في ضلال في ذهاب عن طريق الصواب والحق ومعنى الرؤية رؤية القلب فإن قلت لم قال ليس بي ضلالة ولم يقل ضلال كما قالوا قلت الضلالة أخص من الضلال فكانت أبلغ في نفي الضلال عن نفسه كأنه قال ليس بي شيء من الضلال كما لو قيل لك ألك تمر فقلت ما لي تمرة فإن قلت كيف وقع قوله ولكني رسول استدراكا للانتفاء عن الضلالة قلت كونه رسولا من الله مبلغا رسالاته ناصحا في معنى كونه على الصراط المستقيم فصح لذلك أن يكون استدراكا للانتفاء عن الضلالة وقرئ أبلغكم بالتخفيف فإن قلت كيف موقع قوله أبلغكم قلت فيه وجهان أحدهما أن يكون كلاما مستأنفا بيانا لكونه رسول رب العالمين والثاني أن يكون صفة لرسول فإن قلت كيف جاز أن يكون صفة والرسول لفظه لفظ الغائب قلت جاز ذلك لأن الرسول وقع خبرا عن ضمير المخاطب فكان في معناه كما قال أنا الذي سمتن أمي حيدره رسالات ربي ما أوحي إلي في الأوقات المتطاولة أو في المعاني المختلفة من الأوامر والنواهي والمواعظ والزواجر والبشائر والنذائر ويجوز أن يريد رسالاته إليه وإلى الأنبياء قبله من صحف جده إدريس وهي ثلاثون صحيفة ومن صحف شيث وهي خمسون صحيفة وأنصح لكم يقال نصحته ونصحت له وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على إمحاض النصيحة وأنها وقعت خالصة للمنصوح له مقصودا بها جانبه لا غير فرب نصيحة ينتفع بها الناصح فيقصد النفعين جميعا ولا نصيحة أمحض من نصيحة الله ورسله وأعلم من الله ما لا تعلمون أي من صفات الله وأحواله يعني قدرته الباهرة وشدة بطشه على أعدائه وأن بأسه لا يرد عن القوم المجرمين وقيل لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم فكانوا آمنين لا يعلمون ما علمه نوح بوحي الله إليه أو أراد وأعلم من جهة الله أشياء لا علم لكم بها قد أوحي إلي بها أوعجبتم الهمزة للإنكار والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف كأنه قيل أكذبتم وعجبتم أن جاءكم من أن جاءكم ذكر موعظة من ربكم على رجل منكم على لسان رجل منكم كقوله ما وعدتنا على رسلك وذلك أنهم كانوا يتعجبون من نبوة نوح ويقولون ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين يعنون إرسال البشر ولو شاء ربنا لأنزل ملائكة لينذركم ليحذركم عاقبة الكفر ولتتقوا ولتوجد منكم التقوى وهي الخشية بسبب الإنذار ولعلكم ترحمون ولترحموا بالتقوى إن وجدت منكم والذين معه قيل كانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به فإن قلت في الفلك بم يتعلق قلت هو متعلق بمعه كأنه قيل والذين استقروا معه في الفلك أو صحبوه في الفلك ويجوز أن يتعلق بفعل الإنجاء أي أنجيناهم في السفينة من الطوفان عمين عمي القلوب غير مستبصرين وقرئ عامين والفرق بين العمي والعامي أن العمي يدل على عمى ثابت والعامي على عمى حادث ونحوه قوله وضائق به صدرك أخاهم واحدا منهم من قولك يا أخا العرب للواحد منهم وإنما جعل واحدا منهم لأنهم أفهم عن رجل منهم وأعرف بحاله في صدقه وأمانته وهو هود بن شالخ بن

١٨٢

قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت

أرفخشذ بن سام بن نوح وأخاهم عطف على نوحا وهودا عطف بيان له فإن قلت لم حذف العاطف من قوله قال يا قوم ولم يقل فقال كما في قصة نوح قلت هو على تقدير سؤال سائل قال فما قال لهم هود فقيل قال يا قوم اعبدوا الله وكذلك قال الملأ فإن قلت لم وصف الملأ بالذين كفروا دون الملأ من قوم نوح قلت كان في أشراف قوم هود من آمن به منهم مرثد بن سعد الذي أسلم وكان يكتم إسلامه فأريدت التفرقة بالوصف ولم يكن في أشراف قوم نوح مؤمن ونحوه قوله وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة ويجوز أن يكون وصفا واردا للذم لا غير في سفاهة في خفة حلم وسخافة عقل حيث تهجر دين قومك إلى دين آخر وجعلت السفاهة ظرفا على طريق المجاز أرادوا أنه متمكن فيها غير منفك عنها وفي إجابة الأنبياء عليهم السلام من نسبهم إلى الضلال والسفاهة بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والإغضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بأن خصومهم أضل الناس وأسفههم أدب حسن وخلق عظيم وحكاية الله عز وجل ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضون عنهم ويسبلون أذيالهم على ما يكون منهم ناصح أمين أي عرفت فيما بينكم بالنصح والأمانة فما حقي أن أتهم أو أنا لكم ناصح فيما أدعوكم إليه أمين على ما أقول لكم لا أكذب فيه خلفاء من بعد قوم نوح أي خلفتموهم في الأرض أو جعلكم ملوكا في الأرض قد استخلفكم فيها بعدهم في الخلق بسطة فيما خلق من أجرامكم ذهابا في الطول والبدانة قيل كان أقصرهم ستين ذراعا وأطولهم مائة ذراع فاذكروا آلاء الله في استخلافكم وبسطة أجرامكم وما سواهما من عطاياه وواحد الآلاء إلى ونحوه إنى وآناء وضلع وأضلاع وعنب وأعناب فإن قلت إذ في قوله إذ جعلكم خلفاء ما وجه انتصابه قلت هو مفعول به وليس بظرف أي اذكروا وقت استخلافكم أجئتنا لنعبد الله وحده أنكروا واستبعدوا اختصاص الله وحده بالعبادة وترك دين الآباء في اتخاذ الأصنام شركاء معه حبا لما نشأوا عليه وإلفا لما صادفوا آباءهم يتدينون به فإن قلت ما معنى المجيء في قوله أجئتنا قلت فيه أوجه أن يكون لهود مكان معتزل عن قومه يتحنث فيه كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء قبل المبعث فلما أوحي إليه جاء قومه يدعوهم وأن يريدوا به الاستهزاء لأنهم كانوا يعتقدون أن الله لا يرسل إلا الملائكة فكأنهم قالوا أجئتنا من السماء كما يجيء الملك وأن لا يريدوا حقيقة المجيء ولكن التعرض بذلك والقصد كما يقال ذهب يشتمني لا يراد حقيقة الذهاب كأنهم قالوا أقصدتنا لنعبد الله وحده وتعرضت لنا بتكليف ذلك فأتنا بما تعدنا استعجال منهم للعذاب قد وقع عليكم أي حق عليكم ووجب أو قد نزل عليكم جعل المتوقع الذي لا بد من نزوله بمنزلة الواقع ونحوه قولك لمن طلب إليك بعض المطالب قد كان ذلك وعن حسان أن ابنه عبد الرحمن لسعه زنبور وهو طفل فجاء يبكي فقال له يا بني ما لك قال لسعني طوير كأنه ملتف في بردي حبرة فضمه إلى صدره وقال يا بني قد قلت الشعر والرجس العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب في أسماء سميتموها في أشياء ما هي إلا أسماء ليس تحتها مسميات لأنكم تسمونها آلهة ومعنى الإلهية فيها معدوم محال وجوده وهذا كقوله ما يدعون من دونه من شيء ومعنى سميتموها سميتم بها من قولك سميته زيدا وقطع دابرهم

من الصادقين قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا إني معكم من المنتظرين فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين

كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم
بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية

استيصالهم وتدميرهم عن آخرهم وقصتهم ان عادا قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان وحضرموت
وكانت لهم اصنام يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله اليهم هودا نبيا وكان من اوسطهم
وافضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا فامسك الله عنهم القطر ثلث سنين حتى جهدوا
وكان الناس اذا نزل بهم بلاء طلبوا الى الله الفرج منه عند بيته الحرام مسلمهم ومشركهم واهل مكة
اذ ذاك العماليق اولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فجهزت عاد الى مكة من
اماثلهم سبعين رجلا منهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد الذي كان يكتم اسلامه فلما قدموا
نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم فانزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره
فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان كانتا لمعاوية فلما رأى طول
مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا له اهمه ذلك وقال قد هلك اخوالي واصهاري وهولاء على
ما هم عليه وكان يستحيي ان يكلمهم خيفة ان يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين فقالتا
قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معاوية. الا يا قيل ويحك قم فهينم. لعل الله يسقينا غماما.
فيسقي ارض عاد ان عادا. قد امسوا ما يبينون الكلاما. فلما غنتا به قالوا ان قومكم يتغوثون
من البلاء الذي نزل بهم وقد ابطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن
سعد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم واظهر اسلامه فقالوا
لمعاوية احبس عنا مرثدا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا
مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء
ثم نادى مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء
فخرجت على عاد من واد لهم يقال له المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها
ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فأتوا مكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا فان قلت
ما فائدة نفي الايمان عنهم في قوله وما كانوا مؤمنين مع اثبات التكذيب بآيات الله قلت هو تعريض بمن
آمن منهم كمرثد بن سعد ومن نجا مع هود عليه السلام كأنه قال وقطعنا دابر الذين كذبوا منهم
ولم يكونوا مثل من آمن منهم ليؤذن ان الهلاك خص المكذبين ونجى الله المؤمنين وقرئ والى ثمود بمنع
الصرف بتأويل القبيلة والى ثمود بالصرف بتأويل الحي او باعتبار الاصل لانه اسم ابيهم الاكبر وهو
ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح اخو جديس وقيل سميت ثمود لقلة مائها من الثمد وهو الماء
القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى قد جاءتكم بينة آية ظاهرة وشاهد
على صحة نبوتي وكأنه قيل ما هذه البينة فقال هذه ناقة الله لكم آية وآية نصب على الحال والعامل فيها ما دل عليه
اسم الاشارة من معنى الفعل كأنه قيل اشير اليها آية ولكم بيان لمن هي له آية موجبة عليه الايمان خاصة
وهم ثمود لانهم عاينوها وسائر الناس اخبروا عنها وليس الخبر كالمعاينة كأنه قال لكم خصوصا
وانما اضيفت الى اسم الله تعظيما لها وتفخيما لشأنها وانها جاءت من عنده مكونة من غير فحل

فذروها تأكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب اليم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد

وطروقة آية من آياته كما تقول آية الله وروي ان عادا لما اهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الارض
وكثروا وعمروا اعمارا طوالا حتى ان الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته فنحتوا
البيوت من الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش فعتوا على الله وافسدوا في الارض وعبدوا الاوثان
فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله فلم يتبعه الا
قليل منهم مستضعفون فحذرهم وانذرهم فسألوه آية فقال اية آية تريدون قالوا تخرج معنا
الى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة فتدعو الهك وندعو آلهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان
استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا اوثانهم وسألوها الاجابة فلم تجبهم
ثم قال سيدهم جندع بن عمرو واشار الى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة
اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التي شاكلت البخت
فان فعلت صدقناك واجبناك فاخذ صالح عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن
ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن
ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت
ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع ورهط من قومه ومنع اعقابهم ناس من رؤوسهم ان يؤمنوا
فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا فاذا كان يومها وضعت رأسها
في البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ماء فيها ثم تتفحج فيحتلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون
ويدخرون قال ابو موسى الاشعري اتيت ارض ثمود فذرعت مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعا
وكانت الناقة اذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم فتهبط الى بطنه واذا
وقع البرد تشتت ببطن الوادي فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم
امرأتان عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار لما اضرت به من مواشيهما وكانتا كثيرتي المواشي فعقروها
واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقي جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا وكان صالح
قال لهم ادركوا الفصيل عسى ان يدفع عنكم العذاب فلم تقدروا عليه وانفجت الصخرة بعد رغائه
فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة وبعد غد ووجوهكم محمرة واليوم الثالث
ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين
ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فأتتهم صيحة من السماء فتقطعت
قلوبهم فهلكوا تأكل في ارض الله اي الارض ارض الله والناقة ناقة الله فذروها تأكل في ارض ربها
فليست الارض لكم ولا ما فيها من النبات من انباتكم ولا تمسوها بسوء لا تضربوها ولا تطردوها ولا
تقربوها بشيء من الاذى اكراما لآية الله وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالحجر في غزوة تبوك
قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا
باكين ان يصيبكم مثل الذي اصابهم وقال عليه السلام يا علي اتدري من اشقى الاولين قال الله ورسوله اعلم قال

وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين
قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل
به مؤمنون قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا
إن كنت من المرسلين فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين

عاقر ناقة صالح أتدري من أشقى الآخرين قال الله ورسوله أعلم قال قاتلك وقرأ أبو جعفر في رواية تأكل
في أرض الله ومحله موضع الحال بمعنى آكلة وبوأكم ونزلكم والمباءة المنزل في الأرض في أرض الحجر
بين الحجاز والشام من سهولها قصورا أي تبنونها من سهولها بما تعملون منها من الرهص واللبن
والآجر وقرأ الحسن وتنحتون بفتح الحاء وتنحاتون بإشباع الفتحة كقوله ينباع من ذفرى أسيل
حرة فإن قلت علام انتصب بيوتا قلت على الحال كما تقول خط هذا الثوب قميصا وابر هذه القصبة
قلما وهي من الحال المقدرة لأن الجبل لا يكون بيتا في حال النحت ولا الثوب والقصبة قميصا وقلما في حال
الخياطة والبري وقيل كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء للذين استضعفوا
للذين استضعفهم رؤساء الكفار واستذلوهم ولمن آمن منهم بدل من الذين استضعفوا فإن قلت الضمير
في منهم راجع إلى ماذا قلت إلى قومه أو إلى الذين استضعفوا فإن قلت هل لاختلاف المرجعين أثر في
اختلاف المعنى قلت نعم وذلك أن الراجع إذا رجع إلى قومه فقد جعل من آمن مفسرا لمن استضعف منهم فدل
أن استضعافهم كان مقصورا على المؤمنين وإذا رجع إلى الذين استضعفوا لم يكن الاستضعاف مقصورا
عليهم ودل أن المستضعفين كانوا مؤمنين وكافرين أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوه على سبيل الطنز
والسخرية كما تقول للمجسمة أتعلمون أن الله فوق العرش فإن قلت كيف صح قولهم إنا بما أرسل به مؤمنون جوابا
عنه قلت سألوهم عن العلم بإرساله فجعلوا إرساله أمرا معلوما مكشوفا مسلما لا يدخله ريب كأنهم قالوا
العلم بإرساله وبما أرسل به ما لا كلام فيه ولا شبهة تدخله لوضوحه وإنارته وإنما الكلام في وجوب الإيمان
به فنخبركم أنا به مؤمنون ولذلك كان جواب الكفرة إنا بالذي آمنتم به كافرون فوضعوا آمنتم به موضع أرسل
به ردا لما جعله المؤمنون معلوما وأخذوه مسلما فعقروا الناقة أسند العقر إلى جميعهم لأنه كان برضاهم
وإن لم يباشره إلا بعضهم وقد يقال للقبيلة الضخمة أنتم فعلتم كذا وما فعله إلا واحد منهم وعتوا عن أمر ربهم وتولوا
عنه واستكبروا عن امتثاله عاتين وأمر ربهم ما أمر به على لسان صالح عليه السلام من قوله فذروها تأكل في أرض
الله أو شأن ربهم وهو دينه ويجوز أن يكون المعنى وصدر عتوهم عن أمر ربهم كأن أمر ربهم بتركها كان
هو السبب في عتوهم ونحو عن هذه ما في قوله وما فعلته عن أمري ائتنا بما تعدنا أرادوا من العذاب وإنما
جاز الإطلاق لأنه كان معلوما واستعجالهم له لتكذيبهم به ولذلك علقوه بما هم به كافرون وهو كونه من المرسلين
الرجفة الصيحة التي زلزلت لها الأرض واضطربوا لها في دارهم في بلادهم أو في مساكنهم جاثمين هامدين لا يتحركون
موتى يقال للناس جثم أي قعود لا حراك بهم ولا ينبسون نبسة ومنه المجثمة التي جاء النهي عنها وهي
البهيمة تربط وتجمع قوائمها لترمى وعن جابر أن رسول الله عليه السلام لما مر بالحجر قال لا تسألوا الآيات فقد
سألها قوم صالح فأخذتهم الصيحة فلم يبق منهم إلا رجل واحد كان في حرم الله قالوا من هو قال ذاك أبو رغال
فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه وروي أن صالحا كان بعثه إلى قوم فخالف أمره وروي أنه
مر بقبر أبي رغال فقال أتدرون من هذا قالوا الله ورسوله أعلم فذكر قصة أبي رغال وأنه دفن ههنا
ودفن معه غصن من ذهب فابتدروه وبحثوا عنه بأسيافهم فاستخرجوا الغصن فتولى عنهم

فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ولوطا إذ قال لقومه أتأتون
الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون وما كان جواب قومه إلا أن قالوا
أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين

الظاهر أنه كان مشاهدا لما جرى عليهم وأنه تولى عنهم بعدما أبصرهم جاثمين تولي مغتم متحسر
على ما فاته من إيمانهم يتحزن لهم ويقول يا قوم لقد بذلت فيكم وسعي ولم آل جهدا في إبلاغكم والنصيحة
لكم ولكنكم لا تحبون الناصحين ويجوز أن يتولى عنهم تولي ذاهب عنهم منكر لإصرارهم حين رأى العلامات
قبل نزول العذاب وروي أن عقرهم الناقة كان يوم الأربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت وروي أنه
خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفت فرأى الدخان ساطعا فعلم أنهم قد هلكوا وكانوا ألفا
وخمسمائة دار وروي أنه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم فإن قلت كيف صح خطاب الموتى وقوله ولكن لا
تحبون الناصحين قلت قد يقول الرجل لصاحبه وهو ميت وكان قد نصحه فلم يسمع منه حتى ألقى بنفسه
في التهلكة يا أخي كم نصحتك وكم قلت لك فلم تقبل مني وقوله ولكن لا تحبون الناصحين حكاية حال
ماضية ولوطا وأرسلنا لوطا وإذ ظرف لأرسلنا أو واذكر لوطا وإذ بدل منه بمعنى واذكر وقت
قال لقومه أتأتون الفاحشة أتفعلون السيئة المتمادية في القبح ما سبقكم بها ما عملها قبلكم والباء
للتعدية من قولك سبقته بالكرة إذا ضربتها قبله ومنه قوله عليه السلام سبقك بها عكاشة من
أحد من العالمين من الأولى زائدة لتوكيد النفي وإفادة معنى الاستغراق والثانية للتبعيض فإن قلت ما موقع
هذه الجملة قلت هي جملة مستأنفة أنكر عليهم أولا بقوله أتأتون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال
أنتم أول من عملها أو على أنه جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا لم لا نأتيها فقال ما سبقكم بها أحد فلا
تفعلوا ما لم تسبقوا به أئنكم لتأتون الرجال بيان لقوله أتأتون الفاحشة والهمزة مثلها في
أتأتون للإنكار والتعظيم وقرئ إنكم على الإخبار المستأنف لتأتون الرجال من أتى المرأة إذا غشيها
شهوة مفعول له أي للاشتهاء لا حامل لكم عليه إلا مجرد الشهوة من غير داع آخر ولا ذم أعظم منه لأنه
وصف لهم بالبهيمية وأنه لا داعي لهم من جهة العقل البتة كطلب النسل ونحوه أو حال بمعنى مشتهين
تابعين للشهوة غير ملتفتين إلى السماجة بل أنتم قوم مسرفون أضرب عن الإنكار إلى الإخبار عنهم بالحال
التي توجب ارتكاب القبائح وتدعو إلى اتباع الشهوات وهو أنهم قوم عادتهم الإسراف وتجاوز الحدود في
كل شيء فمن ثم أسرفوا في باب قضاء الشهوة حتى تجاوزوا المعتاد إلى غير المعتاد ونحوه بل أنتم قوم عادون
وما كان جواب قومه إلا أن قالوا يعني ما أجابوه بما يكون جوابا عما كلمهم به لوط عليه السلام من إنكار الفاحشة
وتعظيم أمرها ووسمهم بسمة الإسراف الذي هو أصل الشر كله ولكنهم جاءوا بشيء آخر لا يتعلق بكلامه
ونصيحته من الأمر بإخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم ضجرا بهم وبما يسمعونه من وعظهم ونصحهم
وقولهم إنهم أناس يتطهرون سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش وافتخار بما كانوا فيه من القذارة كما
يقول الشطار من الفسقة لبعض الصلحاء إذا وعظهم أبعدوا عنا هذا المتقشف وأريحونا من
هذا المتزهد وأهله ومن يختص به من ذويه أو من المؤمنين من الغابرين من الذين غبروا في ديارهم أي
بقوا فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور على الإناث وكانت كافرة موالية لأهل سدوم وروي أنها
التفتت فأصابها حجر فماتت وقيل كانت المؤتفكة خمس مدائن وقيل كانوا أربعة آلاف بين الشام والمدينة

وامطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله
مالكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فاوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تفسدوا في
الارض بعد اصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم مومنين ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله

فامطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم
وقيل امطر عليهم ثم خسف بهم وروي ان تاجرا منهم كان في الحرم فوقف له الحجر اربعين يوما حتى
قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه فان قلت اي فرق بين مطر وامطر قلت يقال مطرتهم السماء
وواد ممطور وفي نوابغ الكلم حري غير ممطور حري ان يكون غير ممطور ومعنى مطرتهم اصابتهم بالمطر
كقولهم غاثتهم ووبلتهم وجادتهم ورهمتهم ويقال امطرت عليهم كذا بمعنى ارسلته عليهم ارسال
المطر وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ومعنى وامطرنا عليهم مطرا وارسلنا عليهم نوعا من المطر عجيبا
يعني الحجارة الا ترى الى قوله فساء مطر المنذرين وكان يقال لشعيب خطيب الانبياء لحسن مراجعته
قومه وكانوا اهل بخس للمكاييل والموازين قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة شاهدة بصحة نبوتي اوجبت
عليكم الايمان بي والاخذ بما آمركم به والانتهاء عما انهاكم عنه فاوفوا ولا تبخسوا فان قلت ما كانت معجزته
قلت قد وقع العلم بانه كانت له معجزة لقوله قد جاءتكم بينة من ربكم ولانه لا بد لمدعي النبوة من معجزة
تشهد له وتصدقه والا لم تصح دعواه وكان متنبئا لا نبيا غير ان معجزته لم تذكر في القران
كما لم تذكر اكثر معجزات نبينا فيه ومن معجزات شعيب عليه السلام ما روي من محاربة عصا موسى التنين
حين دفع اليه غنمه وولادة الغنم الدرع خاصة حين وعده ان يكون له الدرع من اولادها ووقوع
عصا آدم على يده في المرات السبع وغير ذلك من الآيات لان هذه كلها كانت قبل ان يستنبأ
موسى فكانت معجزات لشعيب فان قلت كيف قيل الكيل والميزان وهلا قيل المكيال والميزان
كما قيل في سورة هود قلت اريد بالكيل آلة الكيل وهو المكيال او سمي ما يكال به بالكيل كما قيل العيش
لما يعاش به او اريد فاوفوا الكيل ووزن الميزان ويجوز ان يكون الميزان كالميعاد والميلاد بمعنى
المصدر ولا تبخسوا يقال بخسته حقه اذا نقصته اياه ومنه قيل للمكس البخس وفي امثالهم تحسبها
حمقاء وهي باخس وقيل اشياءهم لانهم كانوا يبخسون الناس كل شيء في مبايعاتهم او كانوا مكاسين لا
يدعون شيئا الا مكسوه كما تفعل امراء الحرمين وروي انهم كانوا اذا دخل الغريب بلدهم اخذوا
دراهمه الجياد وقالوا هي زيوف فقطعوها قطعا ثم اخذوها بنقصان ظاهر واعطوه بدلها زيوفا
بعد اصلاحها بعد الاصلاح فيها اي لا تفسدوا فيها بعد ما اصلح فيها الصالحون من الانبياء واتباعهم العاملين
بشرائعهم واضافته كاضافة بل مكر الليل والنهار بمعنى بل مكركم في الليل والنهار او بعد اصلاح
اهلها على حذف المضاف ذلكم اشارة الى ما ذكر من الوفاء بالكيل والميزان وترك البخس والافساد في
الارض او الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى خير لكم يعني في الانسانية وحسن الاحدوثة وما تطلبونه
من التكسب والتربح لان الناس ارغب في متاجرتكم اذا عرفوا منكم الامانة والتسوية ان كنتم مومنين مصدقين
لي في قولي ذلكم خير لكم ولا تقعدوا بكل صراط ولا تقتدوا بالشيطان في قوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فتقعدوا
بكل صراط اي بكل منهاج من مناهج الدين والدليل على ان المراد بالصراط سبيل الحق قوله وتصدون
عن سبيل الله ومحل توعدون وما عطف عليه النصب على الحال اي ولا تقعدوا موعدين وصادين

فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء [illegible]
[illegible] افامن اهل القرى [illegible]
من آمن به وتبغونها عوجا واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين وان كان طائفة منكم آمنوا
بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك
يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا قال اولو كنا كارهين قد افترينا على الله كذبا ان عدنا
في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما

عن سبيل الله وتبغونها عوجا فان قلت صراط الحق واحد وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا
السبل فتفرق بكم عن سبيله فكيف قيل بكل صراط قلت صراط الحق واحد ولكنه يتشعب الى معارف
وحدود واحكام كثيرة مختلفة وكانوا اذا راوا احدا يشرع في شيء منها اوعدوه وصدوه فان قلت
الام يرجع الضمير في آمن به قلت الى كل صراط تقديره توعدون من آمن به وتصدون عنه فوضع
الظاهر الذي هو سبيل الله موضع الضمير زيادة في تقبيح امرهم ودلالة على عظم ما يصدون
عنه وقيل كانوا يجلسون على الطرق والمراصد فيقولون لمن مر بهم ان شعيبا كذاب فلا
يفتننكم عن دينكم كما كان يفعل قريش بمكة وقيل كانوا يقطعون الطرق وقيل كانوا عشارين
وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا اي تصفونها للناس بانها سبيل معوجة غير مستقيمة
لتصدوهم عن سلوكها والدخول فيها او يكون تهكما بهم وانهم يطلبون لها ما هو محال
لان طريق الحق لا يعوج واذكروا اذ كنتم قليلا اذ مفعول به غير ظرف اي واذكروا على
جهة الشكر وقت كونكم قليلا عددكم فكثركم الله ووفر عددكم قيل ان مدين بن ابرهيم تزوج بنت لوط
فولدت فرمى الله في نسلها بالبركة والنماء فكثروا وفشوا ويجوز اذ كنتم مقلين فقراء فكثركم فجعلكم
مكثرين موسرين او كنتم اذلة اقلة فاعزكم بكثرة العدد والعدد عاقبة المفسدين آخر امر من افسد
قبلكم من الامم كقوم نوح وهود وصالح ولوط وكانوا اقرب العهد مما اصاب المؤتفكة فاصبروا
فتربصوا وانتظروا حتى يحكم الله بيننا اي بين الفريقين بان ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم
وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله منهم كقوله فتربصوا انا معكم متربصون او موعظة للمؤمنين
وحث على الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من اذى المشركين الى ان يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم ويجوز
ان يكون خطابا للفريقين اي ليصبر المؤمنون على اذى الكفار وليصبر الكفار على ما يسوءهم من ايمان من
آمن منهم حتى يحكم الله فيميز الخبيث من الطيب وهو خير الحاكمين لان حكمه حق وعدل لا يخاف فيه الحيف
او لتعودن اي ليكونن احد الامرين اما اخراجكم واما عودكم الى الكفار فان قلت كيف خاطبوا شعيبا بالعود في
الكفر في قولهم او لتعودن في ملتنا وكيف اجابهم بقوله ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود
فيها والانبياء لا يجوز عليهم من الصغائر الا ما ليس فيه تنفير فضلا عن الكبائر فضلا عن الكفر قلت لما قالوا
لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك فعطفوا على ضميره الذين دخلوا في الايمان بعد كفرهم قالوا او لتعودن
فغلبوا الجماعة على الواحد فجعلوهم عائدين جميعا اجراء للكلام على حكم التغليب وعلى ذلك اجرى شعيب جوابه
فقال ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وهو يريد عود قومه الا انه نظم نفسه في جملتهم وان كان بريئا من ذلك
اجراء لكلامه على حكم التغليب فان قلت فما معنى قوله وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله والله تعالى متعال ان يشاء
ردة المومنين وعودهم في الكفر قلت معناه الا ان يشاء الله خذلاننا ومنعنا الالطاف لعلمه انها لا تنفع فينا
وتكون عبثا والعبث قبيح لا يفعله الحكيم والدليل عليه قوله وسع ربنا كل شيء علما اي هو عالم بكل شيء مما
كان وما يكون فهو يعلم احوال عباده كيف تتحول وقلوبهم كيف تتقلب وكيف تقسو بعد الرقة وتمرض بعد الصحة

فقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم
اذا لخاسرون فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا
كانوا هم الخاسرين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين وما ارسلنا في
قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس

وترجع الى الكفر بعد الايمان على الله توكلنا في ان يثبتنا على الايمان ويوفقنا لازدياد الايقان ويجوز ان يكون
نوعه الا ان يشاء الله حسما لطمعهم في العود بان مشيئة الله لعودهم في الكفر محال خارج عن الحكمة اولو
كنا كارهين الهمزة للاستفهام والواو واو الحال تقديره أتعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا ومع
كوننا كارهين وما يكون لنا وما ينبغي لنا وما يصح ربنا افتح بيننا احكم بيننا والفتاحة الحكومة
او اظهر امرنا حتى ينفتح ما بيننا وبين قومنا وينكشف بان تنزل عليهم عذابا يتبين معه انهم على الباطل
وانت خير الفاتحين كقوله وهو خير الحاكمين فان قلت كيف يستقيم قوله قد افترينا على الله كذبا ان عدنا
في ملتكم قلت هو اخبار مقيد بالشرط وفيه وجهان احدهما ان يكون كلاما مستأنفا فيه معنى التعجب كأنهم
قالوا ما اكذبنا على الله ان عدنا في الكفر بعد الاسلام لان المرتد ابلغ في الافتراء من الكافر لان الكافر
مفتر على الله الكذب حيث يزعم ان لله ندا ولا ند له والمرتد مثله في ذلك وزائد عليه حيث يزعم انه
قد تبين له ما خفي عليه من التمييز بين الحق والباطل والثاني ان يكون قسما على تقدير حذف اللام بمعنى
والله لقد افترينا على الله كذبا وقال الملأ الذين كفروا من قومه اي اشرافهم للذين دونهم يثبطونهم عن
الايمان لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون لاستبدالكم الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وقيل لخاسرون
باتباعه فوائد البخس والتطفيف لانه ينهاكم عنهما ويحملكم على الايفاء والتسوية فان قلت ما جواب
القسم الذي وطأته اللام في لئن اتبعتم وجواب الشرط قلت قوله انكم اذا لخاسرون ساد مسد الجوابين
الذين كذبوا شعيبا مبتدأ خبره كأن لم يغنوا فيها وكذلك كانوا هم الخاسرين وفي هذا الابتداء
معنى الاختصاص كأنه قيل الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بان اهلكوا واستؤصلوا كأن لم يقيموا
في دارهم لان الذين اتبعوا شعيبا قد انجاهم الله الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بالخسران العظيم دون
اتباعه فانهم الرابحون وفي هذا الابتداء والاستئناف وهذا التكرير مبالغة في رد مقالة الملأ لاشياعهم
وتسفيه لرأيهم واستهزاء بنصحهم لقومهم واستعظام لما جرى عليهم الأسى شدة الحزن قال العجاج
وانحلبت عيناه من فرط الأسى اشتد حزنه على قومه ثم انكر على نفسه فقال فكيف يشتد حزني
على قوم ليسوا باهل للحزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم ما نزل بهم ويجوز ان يريد لقد اعذرت اليكم
في الابلاغ والنصيحة والتحذير مما حل بكم فلم تسمعوا قولي ولم تصدقوني فكيف آسى عليكم يعني انه لا يأسى
عليهم لانهم ليسوا احقاء بالأسى وقرأ يحيى بن وثاب فكيف ايسى بكسر الهمزة بالبأساء بالبؤس والفقر
والضراء بالضر والمرض لاستكبارهم عن اتباع نبيهم وتعززهم عليه لعلهم يضرعون ليتضرعوا
ويتذللوا ويحطوا اردية الكبر والعزة ثم بدلنا مكان البلية الحسنة اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه
من البلاء والمحنة الرخاء والسعة والصحة كقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات حتى عفوا كثروا
ونموا في انفسهم واموالهم من قولهم عفا النبات وعفا الشحم والوبر اذا كثرت ومنه قوله عليه السلام واعفوا
اللحى وقال الحطيئة بمستأسد القريان عاف نباته وقال ولكنا نعض السيف منها باسوق عافيات
الشحم كوم وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء يعني وابطرتهم النعمة واشروا فقالوا هذه عادة

فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فأخذناهم بما
كانوا يكسبون أفأمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون أوأمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون أفأمنوا مكر الله فلا يأمن
مكر الله الا القوم الخاسرون أولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون

الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا نحو ذلك وما هو بابتلاء من الله لعباده فلم يبق بعد
ابتلائهم بالسيئات والحسنات الا ان نأخذهم بالعذاب فأخذناهم اشد الاخذ وافظعه وهو اخذهم
فجأة من غير شعور منهم اللام في القرى اشارة الى القرى التي دل عليها قوله وما ارسلنا في قرية من نبي كأنه قال
ولو ان اهل تلك القرى الذين كذبوا واهلكوا آمنوا بدل كفرهم واتقوا المعاصي مكان ارتكابها لفتحنا
عليهم بركات من السماء والارض لآتيناهم بالخير من كل وجه وقيل اراد المطر والنبات ولكن كذبوا فأخذناهم
بسوء كسبهم ويجوز ان يكون اللام في القرى للجنس فان قلت ما معنى فتح البركات عليهم قلت تيسيرها
عليهم كما يتيسر امر الابواب المستغلقة بفتحها ومنه قولهم فتحت على القارئ اذا تعذرت عليه
القراءة فيسرتها عليه بالتلقين بياتا يكون بمعنى البيتوتة يقال بات بياتا ومنه قوله فجاءها بأسنا
بياتا ويجوز ان يراد ان يأتيهم بأسنا بائتين او وقت بيات او مبيتا او مبيتين او يكون بمعنى تبييتا كأنه
قيل ان يبيتهم بأسنا بياتا وضحى نصب على الظرف يقال اتيته ضحى وضحيا وضحاء والضحى في
الاصل اسم لضوء الشمس اذا اشرقت وارتفعت والفاء والواو في أفأمن وأوأمن حرفا عطف دخلت
عليهما همزة الانكار فان قلت ما المعطوف عليه ولم عطفت الاولى بالفاء والثانية بالواو قلت المعطوف عليه
قوله فأخذناهم بغتة وقوله ولو ان اهل القرى الى يكسبون وقع اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه
وانما عطفت بالفاء لان المعنى فعلوا وصنعوا فأخذناهم بغتة أبعد ذلك أمن اهل القرى ان يأتيهم
بأسنا بياتا وأمنوا ان يأتيهم بأسنا ضحى وقرئ أو أمن على العطف بأو وهم يلعبون يشتغلون بما لا
يجدي عليهم كأنهم يلعبون فان قلت فلم رجع فعطف بالفاء في قوله أفأمنوا مكر الله قلت هو تكرير
لقوله أفأمن اهل القرى ومكر الله استعارة لاخذه العبد من حيث لا يشعر ولاستدراجه فعلى العاقل
ان يكون في خوفه من مكر الله كالمحارب الذي يخاف من عدوه الكمين والبيات والغيلة وعن الربيع بن
خثيم ان ابنته قالت له ما لي ارى الناس ينامون ولا اراك تنام قال يا بنتاه ان اباك يخاف البيات اراد
قوله ان يأتيهم بأسنا بياتا اذا قرئ اولم يهد بالياء كان ان لو نشاء مرفوعا بانه فاعله بمعنى اولم
يهد للذين يخلفون من خلا قبلهم في ديارهم ويرثونهم ارضهم هذا الشأن وهو انا لو نشاء اصبناهم
بذنوبهم كما اصبنا من قبلهم واهلكنا الوارثين كما اهلكنا المورثين واذا قرئ بالنون فهو
منصوب كأنه قيل اولم نهد للوارثين هذا الشأن بمعنى اولم نبين لهم انا لو نشاء اصبناهم بذنوبهم
كما اصبنا من قبلهم وانما عدي فعل الهداية باللام لانه بمعنى التبيين فان قلت بم تعلق قوله ونطبع
على قلوبهم قلت فيه اوجه ان يكون معطوفا على ما دل عليه معنى اولم يهد كأنه قيل يغفلون عن الهداية
ونطبع على قلوبهم او على يرثون الارض ويكون منقطعا بمعنى ونحن نطبع على قلوبهم فان قلت هل يجوز
ان يكون ونطبع بمعنى وطبعنا كما كان لو نشاء بمعنى لو شئنا ويعطف على اصبناهم قلت لا يساعد
عليه المعنى لان القوم كانوا مطبوعا على قلوبهم موصوفين بصفة من قبلهم من اقتراف الذنوب والاصابة
بها وهذا التفسير يؤدي الى خلوهم عن هذه الصفة وان الله لو شاء لاتصفوا بها تلك القرى نقص عليك

تلك القرى نقص عليك من انبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليومنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين ثم بعثنا من بعدهم موسى باياتنا الى فرعون وملايه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل

من انبائها كقوله هذا بعلي شيخا في انه مبتدا وخبر وحال ويجوز ان تكون القرى صفة لتلك ونقص خبرا وان يكون القرى نقص خبرا بعد خبر **فان قلت** ما معنى تلك القرى حتى يكون كلاما مفيدا **قلت** هو مفيد ولكن بشرط التقييد بالحال كما يفيد بشرط التقييد بالصفة في قولك هو الرجل الكريم **فان قلت** ما معنى الاخبار عن القرى بنقص عليك من انبائها **قلت** معناه ان تلك القرى المذكورة نقص عليك بعض انبائها ولها انباء غيرها لم نقصها عليك **فما كانوا** ليومنوا عند مجيء الرسل بالبينات بما كذبوا من ايات الله من قبل مجيء الرسل او فما كانوا ليومنوا الى اخر اعمارهم بما كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل اي استمروا على التكذيب من لدن مجيء الرسل اليهم الى ان ماتوا مصرين لا يرعوون ولا تلين شكيمتهم في كفرهم وعنادهم مع تكرر المواعظ عليهم وتتابع الايات **ومعنى** اللام تاكيد النفي وان الايمان كان منافيا لحالهم في التصميم على الكفر وعن مجاهد هو كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه **كذلك** مثل ذلك الطبع الشديد يطبع الله على قلوب الكافرين **وما** وجدنا لاكثرهم الضمير للناس على الاطلاق اي وما وجدنا لاكثر الناس من عهد يعني ان اكثرهم نقض عهد الله وميثاقه في الايمان والتقوى **وان وجدنا** وان الشان والحديث وجدنا اكثرهم فاسقين خارجين عن الطاعة مارقين والاية اعتراض ويجوز ان يرجع الضمير الى الامم المذكورين وانهم كانوا اذا عاهدوا الله في ضر ومخافة لئن انجيتنا لنكونن من الشاكرين ثم انجاهم نكثوا كما قال قوم فرعون لموسى عليه السلام لئن كشفت عنا الرجز لنومنن لك الى قوله اذا هم ينكثون والوجود بمعنى العلم من قولك وجدت زيدا ذا الحفاظ بدليل دخول ان المخففة واللام الفارقة ولا يسوغ ذلك الا في المبتدا والخبر والافعال الداخلة عليهما **من بعدهم** الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم او للامم **فظلموا بها** فكفروا باياتنا اجرى الظلم مجرى الكفر لانهما من واد واحد ان الشرك لظلم عظيم او فظلموا الناس بسببها حين اوعدوهم وصدوهم عنها واذوا من امن بها ولانه اذا وجب الايمان بها فكفروا بدل الايمان كان كفرهم بها ظلما فلذلك قيل فظلموا بها اي كفروا بها واضعين الكفر غير موضعه وهو موضع الايمان يا فرعون يقال لملوك مصر الفراعنة كما يقال لملوك فارس الاكاسرة فكانه قال يا ملك مصر وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان **حقيق** على ان لا اقول على الله الا الحق فيه اربع قراات المشهورة وحقيق علي ان لا اقول وهي قراءة نافع وحقيق ان لا اقول وهي قراءة عبد الله وحقيق بان لا اقول وهي قراءة ابي وفي المشهورة اشكال ولا تخلو من وجوه احدها ان يكون مما يقلب من الكلام لامن الالباس كقوله وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر ومعناه وتشقى الضياطرة بالرماح وحقيق علي ان لا اقول وهي قراءة نافع والثاني ان ما لزمك فقد لزمته فلما كان قول الحق حقيقا عليه كان هو حقيقا على قول الحق اي لازما له والثالث ان يضمن حقيق معنى حريص كما ضمن هيجني معنى ذكرني في بيت الكتاب والرابع وهو الاوجه الادخل في نكت القران ان يغرق موسى عليه السلام في وصف نفسه بالصدق في ذلك المقام لا سيما وقد روي ان عدو الله فرعون قال له لما قال اني رسول من رب العالمين كذبت فيقول انا حقيق على قول الحق اي واجب على قول الحق ان اكون انا قايله والقايم به ولا يرضى الا بمثلي ناطقا به **فارسل** معي بني اسرائيل فخلهم حتى يذهبوا معي راجعين الى الارض

ابو الحسن المراد بالضمير في فما كانوا ابا... المتقدمين اي ما كانوا ليومنوا بسبب تكذيب اباهم

من عهدهم

بلا عهد من قوله كذلك الى قوله الفاسقين

١٨٧

قال ان كنت جئت باية فات بها ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين قال الملا من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تامرون قالوا ارجه واخاه وارسل في المداين حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم وجاء السحرة فرعون قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقربين

الارض المقدسة التي هي وطنهم ومولد ابايهم وذلك ان يوسف عليه السلام لما توفي وانقرضت الاسباط غلب فرعون نسلهم واستعبدهم فانقذهم الله بموسى وكان بين اليوم الذي دخل يوسف مصر واليوم الذي دخله موسى عليهما السلام اربعمائة عام **فان قلت** كيف قال له فات بها بعد قوله ان كنت جيت باية **قلت** معناه ان كنت جيت من عند من ارسلك باية فاتني بها واحضرها عندي ليصح دعواك ويثبت صدقك **ثعبان** مبين ظاهر امره لا يشك في انه ثعبان وروي انه كان ثعبانا ذكرا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل في الارض ولحيه الاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون لياخذه فوثب فرعون من سريره وهرب واحدث ولم يكن احدث قبل ذلك وهرب الناس وصاحوا وحمل على الناس فانهزموا فمات منهم خمسة وعشرون الفا قتل بعضهم بعضا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى خذه وانا اومن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه موسى فعاد عصا **فان قلت** بم يتعلق للناظرين **قلت** يتعلق ببيضاء والمعنى فاذا هي بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء للنظارة الا اذا كان بياضها بياضا عجيبا خارجا عن العادة يجتمع الناس للنظر اليه كما تجتمع النظارة للعجايب وذلك ما يروى انه ارى فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها فاذا هي بيضاء بياضا نورانيا غلب شعاعها شعاع الشمس وكان موسى عليه السلام ادم شديد الادمة **ان هذا الساحر عليم** اي عالم بالسحر ماهر فيه قد اخذ عيون الناس بخدعة من خدعه حتى خيل اليهم العصا حية والادم ابيض **فان قلت** قد عزي هذا الكلام الى فرعون في سورة الشعراء وانه قاله للملا وعزي ههنا اليهم **قلت** قد قاله هو وقالوه هم فحكي قوله ثم وقولهم ههنا او قاله ابتداء فتلقنه منه الملا فقالوه لاعقابهم او قالوه عنه للناس على طريق التبليغ كما يفعل الملوك يرى الواحد منهم الراي فيكلم به من يليه من الخاصة ثم تبلغه الخاصة العامة والدليل عليه انهم اجابوه في قولهم ارجه واخاه وارسل في المداين حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم وقري سحار اي ياتوك بكل ساحر مثله في العلم والمهارة او بخير منه وكانت هذه مؤامرة مع القبط وقولهم فماذا تامرون من امرته فامرني بكذا اذا شاورته فاشار عليك براي وقيل فماذا تامرون من كلام فرعون قاله للملا لما قالوا له ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم كانه قيل فقال فماذا تامرون قالوا ارجه واخاه ومعنى ارجه واخاه اخرهما واصدرهما عنك حتى ترى رايك فيهما وتدبر امرهما وقيل احبسهما وقري ارجئه بالهمز وارجه من ارجاه وارجاه **فان قلت** هلا قيل وجاء السحرة فرعون فقالوا **قلت** هو على تقدير سايل سال ما قالوا اذ جاؤه فاجيب بقوله قالوا ان لنا لاجرا اي جعلا على الغلبة وقري ان لنا لاجرا على الاخبار واثبات الاجر العظيم وايجابه كانهم قالوا لا بد لنا من اجر والتنكير للتعظيم كقول العرب ان له لابلا وان له لغنما يقصدون الكثرة **فان قلت** وانكم لمن المقربين ما الذي عطف عليه **قلت** هو معطوف على محذوف سد مسده حرف الايجاب كانه قال ايجابا لقولهم ان لنا لاجرا نعم ان لكم لاجرا وانكم لمن المقربين اراد اني لا اقتصر بكم على الثواب وحده وان

خطاب من الملا لفرعون بصيغة الجمع تعظيما له وهكذا خطاب الملوك

ارجيه ... وهكذا كان اولا في نسخ قصير كما في المتن

قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين قال القوا فلما القوا سحروا اعين الناس واسترهبوهم وجاءوا
بسحر عظيم واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هي تلقف ما يافكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا
هنالك وانقلبوا صاغرين والقي السحرة ساجدين قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهارون قال فرعون
امنتم به قبل ان اذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها فسوف تعلمون

وانكم مع الثواب لما يقلل معه الثواب وهو التقريب والتعظيم لان الثواب انما يتهنا بها ويلتذ
به اذا نال معه الكرامة والرفعة وروي انه قال لهم تكونون اول من يدخل واخر من يخرج وروي
انه دعا برؤساء السحرة ومعلمهم فقال لهم ما صنعتم قالوا قد علمنا سحرا لا يطيقه سحرة اهل الارض علماء
الا ان يكون امرا من السماء فانه لا طاقة لنا به وروي انهم كانوا ثمانين الفا وقيل سبعين الفا وقيل بضعة
وثلاثين الفا واختلفت الروايات فمن مقل ومكثر وقيل كان يعلمهم مجوسيان من اهل نينوى وقيل قال منهم
فرعون لا نغالب موسى الا بما هو منه يعني السحر تخييرهم اياه ادب حسن راعوه معه كما يفعل
اهل الصناعات اذا التقوا كالمتناظرين قبل ان يتخاوضوا في الجدال والمتصارعين قبل ان
يتاخذوا للصراع وقولهم واما ان نكون نحن الملقين فيه ما يدل على رغبتهم في ان يلقوا قبله من
تاكيد ضميرهم بالمنفصل وتعريف الخبر وتعريف الخبر واقحام الفصل وقد سوغ لهم
موسى ما تراغبوا فيه ازدراء لشانهم وقلة مبالاة بهم وثقة بما كان بصدده من التاييد السماوي
وان المعجزة لن يغلبها سحر ابدا سحروا اعين الناس اروها بالحيل والشعوذة وخيلوا اليها ما
الحقيقة بخلافه كقوله يخيل اليه من سحرهم انها تسعى روي انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا قصة سحرة
فاذا هي امثال الحيات قد ملات الارض وركب بعضها بعضا واسترهبوهم وارهبوهم ارهابا
شديدا كانهم استدعوا رهبتهم بسحر عظيم في باب السحر روي انهم لونوا حبالهم وخشبهم
وجعلوا فيها ما يوهم الحركة قيل جعلوا فيها الزئبق ما يافكون ما يحتمل ان تكون موصولة ومصدرية بمعنى
ما يافكونه اي يقلبونه عن الحق الى الباطل ويزورونه او افكهم تسمية للمافوك بالافك
روي انها لما تلقفت ملء الوادي من الخشب والحبال ورفعها موسى فرجعت عصا كما كانت
واعدم الله بقدرته تلك الاجرام العظيمة او فرقها اجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا
سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فوقع الحق فحصل وثبت ومن بدع التفاسير فوقع قلوبهم اي فاثر
فيها من قولهم قادح واقع وانقلبوا صاغرين وصاروا اذلاء مبهوتين والقي السحرة وخروا سجدا كانما
كانه القاهم ملق لشدة خرورهم وقيل لم يتمالكوا مما راوا فكانهم القوا عن قتادة كانوا اول
النهار كفارا سحرة وفي اخره شهداء بررة وعن الحسن تراه ولد في الاسلام ونشا بين المسلمين يبيع
دينه بكذا وكذا وهؤلاء كفار نشاوا في الكفر بذلوا انفسهم لله امنتم به على الاخبار اي فعلتم هذا
الفعل الشنيع توبيخ لهم وتقريع وقرئ اامنتم بحرف الاستفهام ومعناه الانكار والاستبعاد ان هذا
لمكر مكرتموه في المدينة ان صنعكم هذا لحيلة احتلتموها انتم وموسى في مصر قبل ان تخرجوا منها
الى هذه الصحراء قد تواطاتم على ذلك لغرض لكم وهو ان تخرجوا منها القبط وتسكنوا بني اسرائيل
وكان هذا الكلام من فرعون تمويها على الناس لئلا يتبعوا السحرة في الايمان وروي ان موسى قال
للساحر الاكبر اتؤمن بي ان غلبتك قال لاتين بسحر لا يغلبه سحر وان غلبتني لاومنن بك وفرعون
يسمع فلذلك قال ما قال فسوف تعلمون وعيد اجمله ثم فصله بقوله لاقطعن وقرئ لاقطعن بالتخفيف

لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ثم لاصلبنكم اجمعين قالوا انا الى ربنا منقلبون وما تنقم منا الا ان امنا بايات
ربنا لما جاءتنا ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وقال الملا من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك والهتك قال سنقتل ابناءهم
ونستحيي نساءهم وانا فوقهم قاهرون قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة
للمتقين

وكذلك لاصلبنكم من خلاف من كل شق طرفا وقيل ان اول من قطع من خلاف وصلب لفرعون انا الى ربنا منقلبون
١٨٨ به اوجه ان يريدوا انا لا نبالي بالموت لانقلابنا الى لقاء ربنا ورحمته وخلاصنا منك ومن لقائك او ننقلب
الى الله يوم الجزاء فيثيبنا على شدائد القطع والصلب او انا جميعا يعنون انفسهم وفرعون ننقلب الى
الله فيحكم بيننا او انا لا محالة ميتون منقلبون الى الله فما تقدر ان تفعل بنا الا ما لا بد لنا منه وما تنقم منا
الا ان امنا وما تعيب منا الا الايمان بايات الله اراد وما تعيب منا الا ما هو اصل المناقب والمفاخر كلها
وهو الايمان ومنه قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم افرغ علينا صبرا هب لنا صبرا واسعا واكثره
علينا حتى يفيض علينا ويغمرنا كما يفرغ الماء افراغا وعن بعض السلف ان احدكم ليفرغ على اخيه
ذنوبا ثم يقول قد مازحتك اي يغمره بالحياء والخجل او صب علينا ما يطهرنا من اوضار الاثام
وهو الصبر على ما توعدنا به فرعون لانهم علموا انهم اذا استقاموا وصبروا كان ذلك مطهرة لهم
وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام ويذرك عطف على ليفسدوا لانه اذا تركهم ولم يمنعهم وكان ذلك
مؤديا الى ما دعوه فسادا والى تركه وترك الهته فكانه تركهم لذلك او جواب للاستفهام بالواو كما يجاب
بالفاء نحو قول الحطيئة الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء والنصب باضمار ان تقديره
ايكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك والهتك وقرئ ويذرك والهتك بالرفع عطفا على اتذر بمعنى
اتذره ويذرك اي اتطلق له ذلك او يكون مستانفا او حالا على معنى اتذره وهو يذرك والهتك
وقرا الحسن ويذرك بالجزم كانه قيل يفسدوا كما قرئ واكن من الصالحين كانه قيل اصدق
وقرا انس رضي الله عنه ونذرك بالنون والنصب اي يصرفنا عن عبادتك فنذرها وقرئ ويذرك والاهتك
اي عبادتك وروي انهم قالوا له ذلك لانه وافق السحرة على الايمان ستمائة الف نفس فارادوا بالفساد
في الارض ذلك وخافوا ان يغلبوا على الملك وقيل صنع فرعون لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها
تقربا اليه كما تعبد عبدة الاصنام الاصنام ويقولون ليقربونا الى الله زلفى ولذلك قال انا ربكم الاعلى
سنقتل ابناءهم يعني سنعيد عليهم ما كنا محناهم به من قتل الابناء ليعلموا انا على ما كنا عليه من الغلبة والقهر
وانهم مقهورون تحت ايدينا كما كانوا وان غلبة موسى لا اثر لها في ملكنا واستيلائنا ولئلا يتوهم العامة
انه هو المولود الذي تحدث المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده فيثبطهم ذلك عن طاعتنا
ويدعوهم الى اتباعه وانه منتظر بعد قال موسى لقومه استعينوا بالله قال لهم ذلك حين قال
فرعون سنقتل ابناءهم وجزعوا منه وتضجروا تسكينا لهم وتسلية وعدة لهم بالنصر عليهم وتذكيرا لهم
ما وعد الله بني اسرائيل من اهلاك القبط وتوريثهم ارضهم وديارهم فان قلت لم اخليت هذه الجملة
عن الواو وادخلت على التي قبلها قلت هي جملة مبتداة مستانفة واما وقال الملا فمعطوفة على ما سبقها
من قوله قال الملا من قوم فرعون وقوله ان الارض لله يجوز ان يكون اللام للعهد والمراد ارض مصر
خاصة كقوله واورثنا الارض وان يكون للجنس فتتناول ارض مصر لانها من جنس الارض كما قال ضمرة
انما المرء باصغريه فاراد بالمرء الجنس وغرضه ان يتناوله تناولا اوليا والعاقبة للمتقين بشارة

قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف
تعملون ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة
يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين

بأن الخاتمة المحمودة للمتقين منهم ومن القبط وأن المشيئة متناولة لهم وقرئ والعاقبة للمتقين بالنصب
عطفا على الأرض أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا يعنون قتل
أبنائهم قبل مولد موسى إلى أن استنبئ وإعادته عليهم بعد ذلك وما كانوا يستعبدون به
ويمتهنون فيه من أنواع الخدم والمهن ويمسّونه به من العذاب عسى ربكم أن يهلك عدوكم
تصريح بما رمز إليه من البشارة قبل وكشف عنه وهو إهلاك فرعون واستخلافهم
بعده في أرض مصر فينظر كيف تعملون فيرى الكائن منكم من العمل حسنه وقبيحه وشكر
النعمة وكفرانها ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم وعن عمرو بن عبيد أنه دخل على المنصور
قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف أو رغيفان وطلب زيادة لعمرو فلم توجد فقرأ عمرو
هذه الآية ثم دخل عليه بعد ما استخلف فذكر له ذلك وقال قد بقي فينظر كيف تعملون بالسنين
بسني القحط والسنة من الأسماء الغالبة كالدابة والنجم ونحو ذلك وقد اشتقوا منها فقالوا
أسنت القوم بمعنى أقحطوا وقال ابن عباس أما السنون فكانت لباديتهم وأهل مواشيهم
وأما نقص الثمرات فكان في أمصارهم وعن كعب يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة
إلا ثمرة لعلهم يذكرون فيتنبهوا على أن ذلك لإصرارهم على الكفر وتكذيبهم لآيات الله ولأن
الناس في حال الشدة أضرع خدودا وألين أعطافا وأرق أفئدة وقيل عاش فرعون
أربعمائة سنة ولم ير مكروها في ثلاثمائة وعشرين سنة ولو أصابه في تلك المدة وجع أو
جوع أو حمى لما ادعى الربوبية فإذا جاءتهم الحسنة من الخصب والرخاء قالوا لنا هذه
أي هذه مختصة بنا ونحن مستحقوها ولم نزل في النعمة والرفاهية واللام مثلها في قولك
الجل للفرس وإن تصبهم سيئة من ضيقة وجدب يطيروا بموسى ومن معه يتطيروا بهم ويتشاءموا
ويقولوا هذه بشؤمهم ولولا مكانهم لما أصابتنا كما قالت الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذه
من عندك فإن قلت كيف قيل فإذا جاءتهم الحسنة بإذا وتعريف الحسنة وإن تصبهم سيئة بإن
وتنكير السيئة قلت لأن جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته واتساعه وأما السيئة فلا
تقع إلا في الندرة ولا يقع إلا شيء منها ومنه قول بعضهم قد عددت أيام البلاء فهلا عددت
أيام الرخاء طائرهم عند الله أي سبب خيرهم وشرهم عند الله وهو حكمه ومشيئته والله هو
الذي يشاء ما يصيبهم من الحسنة والسيئة وليس شؤم أحد ولا يمنه بسبب فيه كقوله قل كل من
عند الله ويجوز أن يكون معناه ألا إنما سبب شؤمهم عند الله وهو عملهم المكتوب عنده الذي
يجري عليهم ما يسوؤهم لأجله ويعاقبون له بعد موتهم بما وعدهم الله في قوله النار يعرضون
عليها الآية ولا طائر أشأم من هذا وقرأ الحسن إنما طيركم عند الله وهو اسم لجمع طائر غير
تكسير ونظيره التجر والركب وعند أبي الحسن هو تكسير مهما هي ما المضمنة معنى الجزاء
ضمت إليها ما المزيدة المؤكدة للجزاء في قولك متى ما تخرج أخرج أينما تكونوا يدرككم الموت
فإما نذهبن بك إلا أن الألف قلبت هاء استثقالا لتكرير المتجانسين وهو

فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات

المذهب السديد البصري ومن الناس من زعم أن مه هي الصوت الذي يصوت به الكاف وما للجزاء
كأنه قيل كف ما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فإن قلت ما محل مهما قلت الرفع
بمعنى أيما شيء تأتنا به أو النصب بمعنى أيما شيء تحضرنا تأتنا به ومن آية تبيين لمهما والضمير في
به وبها راجعان إلى مهما إلا أن أحدهما ذكر على اللفظ والثاني أنث على المعنى لأنه في معنى الآية ونحوه
قول زهير: ومهما تكن عند امرئ من خليقة ... وإن خالها تخفى على الناس تعلم وهذه الكلمة
في عداد الكلمات التي يحرفها من لا يد له في علم العربية فيضعها غير موضعها ويحسب مهما بمعنى متى
ما ويقول مهما جئتني أعطيتك وهذا من وضعه وليس من كلام واضع العربية في شيء ثم يذهب
فيفسر مهما تأتنا به من آية بمعنى الوقت فيلحد في آيات الله وهو لا يشعر وهذا وأمثاله مما يوجب
الجثو بين يدي الناظر في كتاب سيبويه فإن قلت كيف سموها آية ثم قالوا لتسحرنا بها قلت
ما سموها آية لاعتقادهم أنها آية وإنما سموها اعتبارا لتسمية موسى وقصدوا بذلك الاستهزاء
والتلهي الطوفان ما طاف بهم وغلبهم من مطر أو سيل وقيل طغى الماء فوق حروثهم وذلك أنهم مطروا
ثمانية أيام في ظلمة شديدة لا يرون شمسا ولا قمرا ولا يقدر أحد أن يخرج من داره وقيل أرسل
الله عليهم السماء حتى كادوا يهلكون وبيوت بني إسرائيل وبيوت القبط مشتبكة فامتلأت
بيوت القبط ماء حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم من جلس غرق ولم يدخل بيوت بني إسرائيل قطرة
وفاض الماء على وجه أرضهم وركد فمنعهم من الحرث والبناء والتصرف ودام عليهم سبعة
أيام وعن أبي قلابة الطوفان الجدري وهم أول عذاب وقع فيهم فبقي في الأرض وقيل هو الموتان
وقيل الطاعون فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فرفع
عنهم فما آمنوا فنبت لهم تلك السنة من الكلأ والزرع ما لم يعهد مثله فأقاموا شهرا فبعث
الله عليهم الجراد فأكلت عامة زروعهم وثمارهم ثم أكلت كل شيء حتى الأبواب وسقوف
البيوت والثياب ولم يدخل بيوت بني إسرائيل منها شيء ففزعوا إلى موسى ووعدوه التوبة
فكشف عنهم بعد سبعة أيام خرج موسى عليه السلام إلى الفضاء فأشار بعصاه نحو المشرق
والمغرب فرجع الجراد إلى النواحي التي جاء منها فقالوا ما نحن بتاركي ديننا فأقاموا شهرا
فسلط الله عليهم القمل وهو الحمنان في قول أبي عبيدة كبار القردان وقيل الدبا
وهو أولاد الجراد قبل نبات أجنحتها وقيل البراغيث وعن سعيد بن جبير السوس فأكل
ما أبقاه الجراد ولحس الأرض وكان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيمصه وكان يأكل أحدهم
طعاما فيمتلئ قملا وكان يخرج أحدهم عشرة أجربة إلى الرحى فلا يرد منها إلا يسيرا وعن سعيد بن
جبير كان إلى جنبهم كثيب أعفر فضربه موسى بعصاه فصار قملا فأخذت في أبشارهم وأشعارهم
وأشفار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم كأنه الجدري فصاحوا وصرخوا وفزعوا إلى موسى
فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن أنك ساحر وعزة فرعون لا نصدقك أبدا فأرسل الله عليهم بعد

فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت
عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه اذا هم ينكثون فانتقمنا منهم
فاغرقناهم في اليم بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض و
مغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمت ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا

بعث عليهم الضفادع فدخلت بيوتهم وامتلات منها آنيتهم واطعمتهم فلا يكشف احد ثيابه ولا ثوب
ولا طعام ولا شراب الا وجد فيه الضفادع وكان الرجل اذا اراد ان يتكلم وثبت الضفدع الى فيه
وكانت تمتلي منها مضاجعهم فلا يقدرون على الرقاد وكانت تقذف بانفسها في القدور
وهي تغلي وفي التنانير وهي تفور فشكوا الى موسى وقالوا ارحمنا هذه المرة فما بقي الا ان نتوب
التوبة النصوح ولا نعود فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهد
فارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما فشكوا الى فرعون فقال انه سحركم فكان يجمع بين
القبطي والاسرائيلي على اناء واحد فيكون ما يلي الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما ويستقيان
من ماء واحد فيخرج للقبطي دم وللاسرائيلي الماء حتى ان المراة القبطية تقول لجارتها الاسرائيلية
اجعلي الماء في فيك ثم مجيه في فيّ فيصير الماء في فيها دما وعطش فرعون حتى اشفى على الهلاك وكان
يمص الاشجار الرطبة فاذا مضغها صار ماؤها الطيب ملحا اجاجا وعن سعيد بن المسيب سال عليهم
النيل دما وقيل سلط الله عليهم الرعاف وروي ان موسى عليه السلام مكث فيهم بعدما غلب السحرة عشرين سنة
يريهم هذه الآيات وروي انه لما اراهم اليد والعصا ونقص النفوس والثمرات قال يا رب ان عبدك هذا
قد علا في الارض فخذه بعقوبة تجعلها له ولقومه نقمة ولقومي عظة ولمن بعدي آية فحينئذ بعث
الله عليهم الطوفان ثم الجراد ثم ما بعده من النقم وقرا الحسن والقمل بفتح القاف وسكون الميم يريد
القمل المعروف آيات نصب على الحال ومعنى مفصلات مبينات ظاهرات لا يشكل على عاقل انها من آيات
الله التي لا يقدر عليها غيره وانها عبرة لهم ونقمة على كفرهم او فصل بين بعضها وبعض بزمان يمتحن
فيه احوالهم وينظر ايستقيمون على ما وعدوا من انفسهم ام ينكثون الزاما للحجة عليهم بما عهد عندك
ما مصدرية والمعنى بعهده عندك وهو النبوة والباء اما ان تتعلق بقوله ادع لنا ربك على وجهين احدهما اسعفنا
الى ما نطلب اليك من الدعاء لنا بحق ما عندك من عهد الله وكرامته بالنبوة او ادع الله لنا متوسلا اليه بعهده
عندك واما ان يكون قسما مجابا بلنؤمنن اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك
الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه لا محالة فمعذبون فيه لا ينفعهم ما تقدم لهم من الامهال وكشف
العذاب الى حلوله اذا هم ينكثون جواب لما يعني فلما كشفنا عنهم فاجاؤا النكث وبادروه لم يؤخروه
ولكن كلما كشف عنهم نكثوا فانتقمنا منهم فاردنا الانتقام منهم فاغرقناهم واليم البحر الذي
لا يدرك قعره وقيل هو لجة البحر ومعظم مائه واشتقاقه من التيمم لان المستنفعين به
يقصدونه بانهم كذبوا باياتنا اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وغفلتهم عنها وقلة
فكرهم فيها القوم الذين كانوا يستضعفون هم بنو اسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه والارض
ارض مصر والشام ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتصرفوا كيف شاؤوا في اطرافها
ونواحيها الشرقية والغربية باركنا فيها بالخصب وسعة الارزاق كلمة ربك الحسنى قوله ونريد
ان نمن على الذين استضعفوا الى قوله ما كانوا يحذرون والحسنى تانيث الاحسن صفة للكلمة ومعنى
تمت على بني اسرائيل مضت عليهم واستمرت من قولك تم على الامر اذا مضى عليه بما صبروا بسبب صبرهم

ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتوا على قوم يعكفون على اصنام
لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال اغير الله ابغيكم
الها وهو فضلكم على العالمين واذ انجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم

١٩٠ وحسبك به حاثا على الصبر ودالا على ان من قابل البلاء بالجزع وكله الله اليه ومن قابله بالصبر وانتظار
النصر من الله ضمن الله له الفرج وعن الحسن عجبت ممن خف كيف خف وقد سمع قوله وتلا الآية
ومعنى خف طاش جزعا وقلة صبر ولم يرزن رزانة اولي الصبر وقرا عاصم في رواية وتمت كلمات
ربك الحسنى ونظيره من آيات ربه الكبرى ما كان يصنع فرعون وقومه ما كانوا يعملون ويسوون
من العمارات وبناء القصور وما كانوا يعرشون من الجنات وهو الذي انشا جنات معروشات او وما
كانوا يرفعون من الابنية المشيدة في السماء كصرح هامان وغيره وقرئ يعرشون بالكسر والضم وذكر
اليزيدي ان الكسر افصح وبلغني انه قرا بعض الناس يغرسون من غرس الاشجار وما احسبه الا
تصحيفا منه وهذا اخر ما اقتص الله من نبا فرعون والقبط وتكذيبهم بآيات الله وظلمهم ومعاصيهم ثم
اتبعه اقتصاص نبا بني اسرائيل وما احدثوه بعد انقاذهم من ملكة فرعون واستعباده ومعاينتهم
الآيات العظام ومجاوزتهم البحر من عبادة البقر وطلب رؤية الله جهرة وغير ذلك من انواع الكفر
والمعاصي ليعلم حال الانسان وانه كما وصفه ظلوم كفار جهول كنود الا من عصمه الله وقليل من عبادي
الشكور وليتسلى رسول الله مما راى بالمدينة من بني اسرائيل وروي انه عبر بهم موسى يوم عاشوراء بعدما اهلك
الله فرعون وقومه فصاموه شكرا لله فاتوا على قوم فمروا عليهم يعكفون على اصنام لهم يواظبون على عبادتها
ويلازمونها قال ابن جريج كانت تماثيل بقر وذلك اول شان العجل قيل كانوا قوما من لخم وقيل كانوا من
الكنعانيين الذين امر موسى بقتالهم وقرئ وجوزنا بمعنى اجزنا يقال اجاز المكان وجوزه وجاوزه
بمعنى جازه كقولك اعلاه وعلاه وعالاه وقرئ يعكفون بضم الكاف وكسرها اجعل لنا الها صنما
نعكف عليه كما لهم آلهة اصنام يعكفون عليها وما كافة للكاف ولذلك وقعت الجملة بعدها وعن علي
رضي الله عنه ان يهوديا قال له اختلفتم بعد نبيكم قبل ان يجف ماؤه فقال قلتم اجعل لنا الها ولما تجف اقدامكم
انكم قوم تجهلون تعجب من قولهم على اثر ما راوا من الآية العظمى والمعجزة الكبرى فوصفهم بالجهل المطلق
واكده لانه لا جهل اعظم مما راى منهم ولا اشنع ان هؤلاء يعني عبدة تلك التماثيل متبر ما هم فيه مدمر
مكسر ما هم فيه من قولهم اناء متبر اذا كان فتاتا ويقال لكسار الذهب التبر اي يتبر الله ويهدم دينهم
الذي هم عليه على يدي ويحطم اصنامهم هذه ويتركها رضاضا وباطل ما كانوا يعملون اي ما عملوا شيئا
من عبادتها فيما سلف الا وهو باطل مضمحل لا ينتفعون به وان كان في زعمهم تقربا الى الله كما قال وقدمنا الى
ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وفي ايقاع هؤلاء اسما لان وتقديم خبر المبتدا من الجملة الواقعة
خبرا لها وسم لعبدة الاصنام بانهم هم المعرضون للتبار وانه لا يعدوهم البتة وانه لهم ضربة لازب
ليحذرهم عاقبة ما طلبوا ويبغض اليهم ما احبوا اغير الله ابغيكم الها اغير المستحق للعبادة اطلب
لكم معبودا وهو فضلكم ما فعل بكم دون غيركم من الاختصاص بالنعمة التي لم يعطها احدا غيركم لتختصوه بالعبادة
ولا تشركوا به غيره ومعنى الهمزة الانكار والتعجب من طلبتهم مع كونهم مغمورين في نعمة الله عبادة غير
الله يسومونكم سوء العذاب يبغونكم شدة العذاب من سام السلعة اذا طلبها فان قلت ما محل يسومونكم قلت

روي انه قال ليهودي ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم فقال انما اختلفنا عنه لا فيه وانتم ما جفت اقدامكم من البحر حتى قلتم اجعل لنا

وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وواعدنا موسى ثلثين ليلة وقال موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي
واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارني انظر اليك قال لن تراني

واتممناها بعشر

فتم ميقات ربه اربعين ليلة

سو استنا فلا تملك ويجوز ان يكون حالا من المخاطبين او من آل فرعون وذلكم اشارة الى الانجاء او الى
العذاب والبلاء النعمة او المحنة وقرئ يقتلون بالتخفيف روي ان موسى عليه السلم وعد بني اسرائيل وهو
بمصر ان اهلك الله عدوهم اتاهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون
سال موسى ربه الكتاب فامره بصوم ثلثين وهو شهر ذي القعدة فلما اتم الثلثين انكر خلوف فيه فتسوك
فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدته بالسواك وقيل اوحى الله اليه اما علمت ان
خلوف فم الصائم اطيب عندي من ريح المسك فامره الله تعالى ان يزيد عليها عشرة ايام من ذي
الحجة لذلك وقيل امره الله بان يصوم ثلثين يوما وان يعمل فيها بما يقربه من الله ثم انزلت عليه التورية في
العشر وكلم فيها ولقد اجمل ذكر الاربعين في سورة البقرة وفصلها ههنا ميقات ربه ما وقت له
من الوقت وضربه له واربعين نصب على الحال اي تم بالغا هذا العدد وهرون عطف بيان لاخيه
وقرئ بالضم على النداء اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح وكن مصلحا او واصلح ما يجب ان يصلح
من امور بني اسرائيل ومن دعاك منهم الى الافساد فلا تتبعه ولا تطعه لميقاتنا لوقتنا الذي وقتنا
له وحددنا ومعنى اللام الاختصاص فكانه قيل واختص مجيئه بميقاتنا كما تقول اتيته لعشر خلون
من الشهر وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملك وتكليمه ان يخلق الكلام منطوقا به في بعض الاجرام
كما خلقه مخطوطا في اللوح وروي ان موسى كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة وعن ابن عباس كلمه
اربعين يوما واربعين ليلة وكتب له الالواح وقيل انما كلمه في اول الاربعين ارني انظر اليك ثاني مفعولي
ارني محذوف اي ارني نفسك انظر اليك فان قلت الرؤية عين النظر فكيف قيل ارني انظر اليك قلت معنى ارني نفسك
انظر اليك اجعلني متمكنا من رؤيتك بان تتجلى لي فانظر اليك واراك فان قلت فكيف قال لن تراني ولم يقل
لن تنظر الي لقوله انظر اليك قلت لما قال ارني بمعنى اجعلني متمكنا من الرؤية التي هي الادراك علم ان الطلبة هي الرؤية
لا النظر الذي لا ادراك معه فقيل لن تراني ولم يقل لن تنظر الي فان قلت كيف طلب موسى عليه السلم ذلك وهو من اعلم الناس
بالله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز وبتعاليه عن الرؤية التي هي ادراك ببعض الحواس وذلك انما يصح فيما كان في جهة
وما ليس بجسم ولا عرض فمحال ان يكون في جهة ومنع المجبرة احالته في العقول غير لازم لانه ليس باول مكابرتهم
وارتكابهم وكيف يكون طالبه وقد قال حين اخذت الرجفة الذين قالوا ارنا الله جهرة اتهلكنا بما فعل السفهاء
منا الى قوله تضل بها من تشاء فتبرا من فعلهم ودعاهم سفهاء وضلالا قلت ما كان طلب الرؤية الا ليبكت
هؤلاء الذين دعاهم سفهاء وضلالا وتبرا من فعلهم وليلقمهم الحجر وذلك انهم حين طلبوا الرؤية انكر عليهم
واعلمهم الخطا ونبههم على الحق فلجوا وتمادوا في لجاجهم وقالوا لا بد ولن نؤمن لك حتى نراه فاراد
ان يسمعوا النص من عند الله باستحالة ذلك وهو قوله لن تراني ليتيقنوا وينزاح عنهم ما دخلهم
من الشبهة فلذلك قال رب ارني انظر اليك فان قلت فهلا قال ارهم ينظروا اليك قلت لان الله سبحانه انما
كلم موسى عليه السلم وهم يسمعون فلما سمعوا كلام رب العزة ارادوا ان يري موسى ذاته فيبصروه معه كما
اسمعه كلامه فسمعوه معه ارادة مبنية على قياس فاسد فلذلك قال موسى ارني انظر اليك ولانه

ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما افاق قال
سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين

اذا زجر عما طلب وانكر عليه في نبوته واختصاصه وزلفته عند الله وقيل له لن يكون ذلك كان
غيره اولى بالانكار ولان الرسول امام امته وكان ما يخاطب به او ما يخاطب راجعا اليهم وقوله انظر
اليك وما فيه من معنى المقابلة التي هي محض التشبيه والتجسيم دليل على انه ترجمة عن مقترحهم وحكاية
لقولهم وجل صاحب الجمل ان يجعل الله منظورا اليه مقابلا بحاسة النظر فكيف بمن هو اعرق في معرفة
الله من واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد والنظام وابي الهذيل والشيخين وجميع المتكلمين فان قلت
ما معنى لن قلت تاكيد النفي الذي يعطيه لا وذلك ان لا تنفي المستقبل تقول لا افعل غدا فاذا
اكدت نفيها قلت لن افعل غدا والمعنى ان فعله ينافي حالي كقوله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له فقوله
لا تدركه الابصار نفي للرؤية فيما يستقبل ولن تراني تاكيد وبيان لان المنفي مناف لصفاته فان قلت كيف اتصل
الاستدراك في قوله ولكن انظر الى الجبل بما قبله قلت اتصل به على معنى ان النظر الي محال فلا تطلبه ولكن
عليك بنظر آخر وهو ان تنظر الى الجبل الذي يرجف بك وبمن طلبت الرؤية لاجلهم كيف افعل به وكيف اجعله
دكا بسبب طلبك الرؤية لتستعظم ما اقدمت عليه بما اريك من عظم اثره كانه عز وعلا حقق عند طلب
الرؤية ما مثله عند نسبة الولد اليه في قوله وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا فان استقر مكانه
كما كان مستقرا ثابتا ذاهبا في جهاته فسوف تراني تعليق لوجود الرؤية بوجود ما لا يكون من استقرار الجبل
مكانه حين يدكه دكا ويسويه بالارض وهذا كلام مدمج بعضه في بعض وارد على اسلوب عظيم عجيب
ونمط بديع الا ترى كيف تخلص من النظر الى النظر بكلمة الاستدراك ثم كيف بنى الوعيد بالرجفة
الكائنة بسبب طلب النظر على الشريطة في وجود الرؤية اعني قوله فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى
ربه للجبل فلما ظهر له اقتداره وتصدى له امره وارادته جعله دكا اي مدكوكا مصدر بمعنى مفعول
كضرب الامير والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرئ دكاء والدكاء اسم للرابية الناشزة
من الارض كالدكة او ارضا دكاء مستوية ومنه قولهم ناقة دكاء متواضعة السنام وعن الشعبي
قال لي الربيع بن خثيم ابسط يدك دكاء اي مدها مستوية وقرا يحيى بن وثاب دكا اي قطعا
دكا جمع دكاء وخر موسى صعقا من هول ما راى وصعق من باب فعلته ففعل يقال صعقته فصعق
واصله من الصاعقة ويقال لها الصاقعة من صقعه اذا ضربه على راسه ومعناه خر مغشيا عليه
غشية كالموت وروي ان الملائكة مرت عليه وهو مغشي عليه فجعلوا يلكزونه بارجلهم ويقولون
يا ابن النساء الحيض اطمعت في رؤية رب العزة فلما افاق من صعقته قال سبحانك انزهك مما لا
يجوز عليك من الرؤية وغيرها تبت اليك من طلب الرؤية وانا اول المؤمنين بانك لست بمرئي ولا مدرك
بشيء من الحواس فان قلت فان كان طلب الرؤية للغرض الذي ذكرته فمم تاب قلت من اجرائه تلك
المقالة العظيمة وان كان لغرض صحيح على لسانه من غير اذن فيه من الله فانظر الى اعظام الله امر
الرؤية في هذه الآية وكيف ارجف الجبل بطالبيها وجعله دكا وكيف اصعقهم ولم يخل كليمه من نفيان
ذلك مبالغة في اعظام الامر وكيف سبح ربه ملتجيا اليه وتاب من اجراء الكلمة على لسانه وقال انا اول

قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين وكتبنا له في
الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم
دار الفاسقين

المؤمنين ثم تعجب من المتسمين بالإسلام المتسمين بأهل السنة والجماعة كيف اتخذوا هذه العظيمة
مذهبا ولا يغرنك تستّرهم بالبلكفة فإنه من منصوبات أشياخهم والقول ما قال بعض العدلية فيهم
لجماعة سمّوا هواهم سنة وجماعة حمر لعمري موكفة قد شبهوه بخلقه وتخوفوا شنع الورى فتستروا
بالبلكفة. وتفسير آخر وهو أن يريد بقوله أرني أنظر إليك عرّفني نفسك تعريفا واضحا جليا كأنها
إراءة في جلائها بآية مثل آيات القيامة التي تضطر الخلق إلى معرفتك أنظر إليك أعرفك معرفة اضطرار
كأني أنظر إليك كما جاء في الحديث سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر بمعنى ستعرفونه معرفة جلية هي
في الجلاء كإبصاركم القمر إذا امتلأ واستوى قال لن تراني أي لن تطيق معرفتي على هذه الطريقة ولن
تحتمل قوتك تلك الآية المضطرة ولكن انظر إلى الجبل فإني أورد عليه وأظهر له آية من تلك الآيات فإن
ثبت لتجليها واستقر مكانه ولم يتضعضع فسوف تثبت لها وتطيقها فلما تجلى ربه للجبل فلما
ظهرت له آية من آيات قدرته وعظمته جعله دكا وخر موسى صعقا لعظم ما رأى فلما أفاق قال سبحانك
تبت إليك مما اقترحت وتجاسرت وأنا أول المؤمنين بعظمتك وجلالك وأن شيئا لا يقوم لبطشك وبأسك
اصطفيتك على الناس اخترتك على أهل زمانك وآثرتك عليهم برسالاتي وهي أسفار التوراة وبكلامي
وبتكليمي إياك فخذ ما آتيتك ما أعطيتك من شرف النبوة والحكمة وكن من الشاكرين على النعمة في ذلك
فهو من أجل النعم وقيل خر موسى صعقا يوم عرفة وأعطي التوراة يوم النحر فإن قلت كيف قيل اصطفيتك
على الناس وكان هرون مصطفى مثله ونبيا قلت أجل ولكنه كان تابعا له وردءا ووزيرا والكليم هو موسى
والأصيل في حمل الرسالة. ذكروا في عدد الألواح وفي جوهرها وطولها أنها كانت عشرة ألواح وقيل
سبعة وقيل لوحين وأنها كانت من زمرد جاء بها جبريل وقيل من زبرجد خضراء وياقوتة حمراء وقيل
أمر الله موسى بقطعها من صخرة صماء لينها له فقطعها بيده وشققها بأصابعه وعن الحسن كانت
من خشب نزلت من السماء فيها التوراة وأن طولها كان عشرة أذرع وقوله من كل شيء في محل النصب مفعول
كتبنا وموعظة وتفصيلا بدل منه والمعنى كتبنا له كل شيء كان بنو إسرائيل محتاجين إليه في دينهم من المواعظ
وتفصيل الأحكام وقيل أنزلت التوراة وهي سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه في سنة لم يقرأها إلا أربعة
نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى وعن مقاتل كتب في الألواح إني أنا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بي شيئا
ولا تقطعوا السبيل ولا تحلفوا باسمي كاذبا فإن من حلف باسمي كاذبا فلا أزكيه ولا تقتلوا ولا تزنوا ولا
تعقوا الوالدين فخذها فقلنا له خذها عطفا على كتبنا ويجوز أن يكون بدلا من قوله فخذ ما آتيتك والضمير
في فخذها للألواح أو لكل شيء لأنه في معنى الأشياء أو للرسالات أو للتوراة ومعنى بقوة بجد وعزيمة
فعل أولي العزم من الرسل يأخذوا بأحسنها أي فيها ما هو حسن وأحسن كالاقتصاص والعفو والانتصار
والصبر فمرهم أن يحملوا على أنفسهم في الأخذ بما هو أدخل في الحسن وأكثر للثواب كقوله واتبعوا
أحسن ما أنزل إليكم من ربكم وقيل يأخذوا بما هو واجب أو ندب لأنه أحسن من المباح ويجوز أن يراد
يأخذوا بما أمروا به دون ما نهوا عنه على قولك الصيف أحر من الشتاء سأريكم دار الفاسقين يريد دار

سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد
لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين والذين كذبوا
بآياتنا وكانوا عنها غافلين والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم هل يجزون إلا ما كانوا يعملون
واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار

فرعون وقومه وهي مصر كيف أقفرت منهم ودمّروا لفسقهم لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم فينكل
بكم مثل نكالهم وقيل منازل عاد وثمود والقرون الذين أهلكهم الله لفسقهم في ممركم عليها في أسفاركم
١٩٢ وقيل دار الفاسقين نار جهنم وقرأ الحسن سأوريكم وهي لغة فاشية بالحجاز يقال أورني كذا وأوريته
كذا وجهه أن يكون من أوريت الزند كأن المعنى بيّنه لي وأنره لأستبينه وقرئ سأورثكم وهي قراءة
حسنة يصححها قوله وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون سأصرف عن آياتي بالطبع على قلوب المتكبرين
وخذلانهم فلا يفكرون فيها ولا يعتبرون بها غفلة وانهماكا فيما يشغلهم عنها من شهواتهم وعن الفضيل بن عياض
ذكر لنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عظمت أمتي الدنيا نزع عنها هيبة الإسلام وإذا تركوا الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر حرموا بركة الوحي وقيل سأصرفهم عن إبطالها وإن اجتهدوا كما اجتهد فرعون أن يبطل
آية موسى بأن جمع لها السحرة فأبى الله إلا علو الحق وانتكاس الباطل ويجوز سأصرفهم عنها وعن
الطعن فيها والاستهانة بها وتسميتها سحرا بإهلاكهم وفيه إنذار للمخاطبين من عاقبة الذين يصرفون
عن الآيات لتكبرهم وكفرهم بها لئلا يكونوا مثلهم فيسلك بهم مسلكهم بغير الحق فيه وجهان أن يكون حالا
بمعنى يتكبرون غير محقين لأن التكبر بالحق لله وحده وأن يكون صلة لفعل التكبر أي يتكبرون بما ليس
بحق وما هم عليه من دينهم وإن يروا كل آية من الآيات المنزلة عليهم لا يؤمنوا بها وقرأ مالك بن دينار وإن يروا
بضم الياء وقرئ سبيل الرشد والرشد كقولهم السقم والسقم والسقام وما أسفه من ركب المفازة
فإن رأى طريقا مستقيما أعرض عنه وتركه وإن رأى متعسفا مرديا أخذ فيه وسلكه ففاعل نحو ذلك
في دينه أسفه ذلك في محل الرفع أو النصب على معنى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم أو صرفهم الله ذلك الصرف
بسببه ولقاء الآخرة يجوز أن يكون من إضافة المصدر إلى المفعول به أي ولقائهم الآخرة ومشاهدتهم أحوالها
ومن إضافة المصدر إلى الظرف بمعنى ولقاء ما وعد الله في الآخرة من بعده من بعد فراقه إياهم إلى الطور فإن
قلت لم قيل واتخذ قوم موسى عجلا والمتخذ هو السامري قلت فيه وجهان أحدهما أن ينسب الفعل إليهم لأن
رجلا منهم باشره ووجد فيما بين ظهرانيهم كما يقال بنو تميم قالوا كذا وفعلوا كذا والقائل والفاعل
واحد ولأنهم كانوا مريدين لاتخاذه راضين به فكأنهم أجمعوا عليه والثاني أن يراد واتخذوه
إلها وعبدوه وقرئ من حليهم بضم الحاء والتشديد جمع حلي كثدي وثدي ومن حليهم
بالكسر للإتباع كدلي ومن حليهم على التوحيد والحلي اسم ما يتحسن به من الذهب والفضة
فإن قلت لم قال من حليهم ولم يكن الحلي لهم إنما كانت عواري في أيديهم قلت الإضافة تكون بأدنى
ملابسة وكونها عواري في أيديهم كفى به ملابسة على أنهم قد ملكوها بعد المهلكين كما ملكوا غيرها
من أملاكهم ألا ترى إلى قوله عز وعلا فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها
بني إسرائيل جسدا بدنا ذا لحم ودم كسائر الأجساد والخوار صوت البقر قال الحسن إن السامري قبض
قبضة من تراب من أثر فرس جبريل يوم قطع البحر فقذفه في فيّ العجل فكان عجلا له خوار
وقرأ علي رضي الله عنه جؤار بالجيم والهمز من جأر إذا صاح وانتصاب جسدا على البدل من عجلا

الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين ولما سقط في ايديهم وراوا انهم قد ضلوا قالوا لئن لم
يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم
امر ربكم والقى الالواح واخذ براس اخيه يجره اليه

الم يروا حين اتخذوه الها انه لا يقدر على كلام ولا على هداية سبيل حتى لا يختاروه على من لو كان البحر
مدادا لكلماته لنفد البحر قبل ان تنفد كلماته وهو الذي هدى الخلق الى سبل الحق ومناهجه بما ركز
في العقول من الادلة وبما انزل في كتبه ثم ابتدأ فقال اتخذوه اي اقدموا على ما اقدموا عليه من الامر
المنكر وكانوا ظالمين واضعين كل شيء في غير موضعه فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولا اول
مناكيرهم ولما سقط في ايديهم ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل لان من شان من
اشتد ندمه وحسرته ان يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها لان فاه قد وقع فيها وسقط مسند
الى في ايديهم وهو من باب الكناية وقرا ابو السميفع سقط في ايديهم على تسمية الفاعل اي وقع العض فيها
وقال الزجاج معناه سقط الندم في ايديهم اي في قلوبهم وانفسهم كما يقال حصل في يده مكروه وان كان
محالا ان يكون في اليد تشبيها لما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد ويرى بالعين وراوا انهم قد
ضلوا وتبينوا ضلالهم تبينا كانهم ابصروه بعيونهم وقرئ لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا بالتاء
وربنا بالنصب على النداء وهذا كلام التائبين كما قال آدم وحواء عليهما السلام وان لم تغفر لنا وترحمنا الاسف
الشديد الغضب ولما اسفونا انتقمنا منهم وقيل هو الحزين خلفتموني قمتم مقامي وكنتم خلفائي من بعدي
وهذا الخطاب اما ان يكون لعبدة العجل من السامري واشياعه او لوجوه بني اسرائيل وهم هرون عليه السلام والمؤمنون
معه ويدل عليه قوله اخلفني في قومي والمعنى بئسما خلفتموني حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله او حيث لم
تكفوا من عبد غير الله فان قلت اين ما يقتضيه بئس من الفاعل والمخصوص بالذم قلت الفاعل
مضمر يفسره ما خلفتموني والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم فان قلت
اي معنى لقوله من بعدي بعد قوله خلفتموني قلت معناه من بعد ما رايتم مني من توحيد الله ونفي الشركاء عنه واخلاص العبادة
له او من بعد ما كنت احمل بني اسرائيل على التوحيد واكفهم عما طمحت نحوه ابصارهم من عبادة البقر حين قالوا اجعل
لنا الها كما لهم آلهة ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة المستخلف من بعده ولا يخالفوه ونحوه فخلف من بعدهم خلف
اي من بعد اولئك الموصوفين بما وصفوا به من الصفات الحميدة اعجلتم يقال عجل عن الامر اذا تركه غير تام ونقيضه تم عليه واعجله
عنه غيره ويضمن معنى سبق فيعدى تعديته فيقال عجلت الامر والمعنى اعجلتم عن امر ربكم وهو انتظار
موسى حافظين لعهده وما وصاكم به فبنيتم الامر على ان الميعاد قد بلغ آخره ولم ارجع اليكم فحدثتم
انفسكم بموتي فغيرتم كما غيرت الامم بعد انبيائهم وروي ان السامري قال لهم حين اخرج لهم العجل وقال
هذا الهكم واله موسى ان موسى لن يرجع وانه قد مات وروي انهم عدوا عشرين يوما بلياليها فجعلوها اربعين
ثم احدثوا ما احدثوا والقى الالواح وطرحها لما لحقه من فرط الدهش وشدة الضجر عند استماعه حديث العجل
غضبا لله وحمية لدينه وكان في نفسه حديدا شديد الغضب وكان هرون الين منه جانبا ولذلك كان احب الى
بني اسرائيل من موسى وروي ان التوراة كانت سبعة اسباع فلما القى الالواح تكسرت فرفع منها ستة اسباعها
وبقي سبع واحد وكان فيما رفع تفصيل كل شيء وفيما بقي الهدى والرحمة واخذ براس اخيه اي بشعر راسه
يجره اليه بذوابته وذلك لشدة ما ورد عليه من الامر الذي استفزه وذهب بفطنته وظنا باخيه

قال ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين قال رب اغفر لي ولاخي وادخلنا في رحمتك
وانت ارحم الراحمين ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحيوة الدنيا وكذلك نجزي المفترين والذين
عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وامنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ولما سكت عن موسى الغضب اخذ الالواح

انه فرط في الكف ابن ام قرئ بالفتح تشبيها بخمسة عشر وبالكسر على طرح ياء الاضافة وابن امي بالياء وابن
امّ بكسر الهمزة والميم وقيل كان اخاه لابيه وامه فان صح فانما اضافه الى الام اشارة الى انهما من بطن
واحد وذلك ادعى الى العطف والرقة واعظم للحق الواجب ولانها كانت مؤمنة فاعتد بنسبها ولانها
هي التي قاست فيه المخاوف والشدائد فذكره بحقها ان القوم استضعفوني يعني انه لم يال جهدا في كفهم
بالوعظ والانذار وبما بلغته طاقته من بذل القوة في مضادتهم حتى قهروه واستضعفوه ولم يبق الا ان
يقتلوه فلا تشمت بي الاعداء ولا تفعل بي ما هو امنية الاعداء من الشماتة والمراد ان لا يحل به ما يشمتون به لاجله
ولا تجعلني مع القوم الظالمين ولا تجعلني في موجدتك علي وعقوبتك لي قرينا لهم وصاحبا او ولا
تعتقد اني واحد من الظالمين مع براءتي منهم ومن ظلمهم لما اعتذر اليه اخوه وذكر له شماتة الاعداء قال
رب اغفر لي ولاخي ليرضي اخاه ويظهر لاهل الشماتة رضاه عنه فلا تتم لهم شماتتهم واستغفر لنفسه مما
فرط منه الى اخيه ولاخيه ان عسى فرط في حسن الخلافة وطلب ان لا يتفرقا عن رحمته ولا تزال منتظمة لهما
في الدنيا والاخرة غضب من ربهم وذلة هو ما امروا به من قتل انفسهم والذلة خروجهم من ديارهم لان ذل
الغربة مثل مضروب وقيل هو ما نال ابناءهم وهم بنو قريظة والنضير من غضب الله بالقتل والجلاء ومن
الذلة بضرب الجزية المفترين المتكذبين على الله ولا فرية اعظم من قول السامري هذا الهكم واله موسى
ويجوز ان يتعلق في الحيوة الدنيا بالذلة وحدها ويراد سينالهم غضب في الاخرة وذلة في الحيوة الدنيا
وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي كلها ثم تابوا
ثم رجعوا من بعدها الى الله واعتذروا اليه وامنوا واخلصوا الايمان ان ربك من بعدها من بعد تلك
العظائم لغفور لستور عليهم محاء لما كان منهم رحيم منعم عليهم بالجنة وهذا حكم عام يدخل
تحته متخذو العجل ومن عداهم عظم جنايتهم اولا ثم اردفها بتعظيم رحمته ليعلم ان الذنوب
وان جلت وعظمت فان عفوه وكرمه اعظم واجل ولكن لا بد من حفظ الشريطة وهو وجوب التوبة
والانابة وما وراءه طمع فارغ واشعبية باردة لا يلتفت اليها حازم ولما سكت عن موسى الغضب
هذا مثل كان الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له قل لقومك كذا والق الالواح وجر براس اخيك اليك
فترك النطق بذلك وقطع الاغراء ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذي طبع سليم
وذوق صحيح الا لذلك ولانه من قبيل شعب البلاغة والا فما لقراءة معاوية بن قرة ولما سكن عن موسى
الغضب لا تجد النفس عندها شيئا من تلك الهزة وطرفا من تلك الروعة وقرئ ولما سكت واسكت
اي اسكته الله او اخوه باعتذاره اليه وتنصله والمعنى ولما طفئ غضبه اخذ الالواح التي القاها وفي
نسختها وفيما نسخ منها اي كتب والنسخة فعلة بمعنى مفعول كالخطبة لربهم يرهبون دخلت
اللام لتقدم المفعول لان تاخر الفعل عن مفعوله يكسبه ضعفا ونحوه للرؤيا تعبرون وتقول لك
ضربت واختار موسى قومه اي من قومه فحذف الجار واوصل الفعل كقوله منا الذي اختير الرجال سماحة
قيل اختار من اثني عشر سبطا من كل سبط ستة حتى تتاموا اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان

فلما اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي اتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هي الا فتنتك تضل
بها من تشاء وتهدي من تشاء انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي
الاخرة انا هدنا اليك قال عذابي اصيب به من اشاء ورحمتي وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون ويؤتون
الزكوة والذين هم باياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل يامرهم بالمعروف
وينهيهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات

فتشاجروا فقال ان لمن قعد منكم مثل اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وروي انه لم يصب الا ستين شيخا
فاوحى الله اليه ان يختار من الشبان عشرة فاختارهم فاصبحوا شيوخا وقيل كانوا ابناء ما عدا العشرين ولم
يتجاوزوا الاربعين قد ذهب عنهم الجهل والصبا فامرهم موسى ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم خرج
بهم الى طور سيناء للميقات فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود
الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى ودخل فيه وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى اذا دخلوا في الغمام
وقعوا سجدا فسمعوه وهو يكلم موسى يامره وينهاه افعل ولا تفعل ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه وطلبوا
الروية فوعظهم وزجرهم وانكر عليهم فقالوا يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فقال رب ارني انظر اليك
يريد ان يسمعوا الرد والانكار من جهته فاجيب بلن تراني ورجف بهم الجبل فصعقوا ولما كانت الرجفة قال
موسى رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي وهذا تمن منه للاهلاك عنه قبل ان يرى ما راى من تبعة طلب الروية
كما يقول النادم على الامر اذا راى سوء المغبة لو شاء الله لاهلكني قبل هذا اتهلكنا بما فعل السفهاء منا
يعني اتهلكنا جميعا يعني نفسه واياهم لانه انما طلب الروية زجرا للسفهاء وهم طلبوا سفها وجهلا ان هي
الا فتنتك اي محنتك وابتلاؤك حين كلمتني فسمعوا كلامك فاستدلوا بالكلام على الروية استدلالا
فاسدا حتى افتتنوا وضلوا تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء تضل بالمحنة الجاهلين غير الثابتين
في معرفتك وتهدي العالمين بك الثابتين بالقول الثابت وجعل ذلك اضلالا من الله وهدى منه لان محنته
لما كانت سببا لان ضلوا واهتدوا فكانه اضلهم بها وهداهم على الاتساع في الكلام انت ولينا مولانا
القايم بامورنا واكتب لنا واثبت لنا واقسم في هذه الدنيا حسنة عافية وحيوة طيبة وتوفيقا
في الطاعة وفي الاخرة الجنة هدنا اليك تبنا اليك وهاد اليه يهود اذا رجع وتاب والهود جمع
هايد وهو التايب ولبعضهم يا راكب الذنب هد هد واسجد كانك هدهد وقرا ابو وجزة
السعدي هدنا اليك بكسر الهاء من هاده يهيده اذا حركه وامالة ويحتمل امرين ان يكون مبنيا للفاعل
والمفعول بمعنى حركنا اليك انفسنا وامَلناها او حُرِّكنا اليك وامِلنا على تقدير فُعِلنا كقولك
عدت يا مريض بكسر العين فعلت من العيادة ويجوز عدت بالاشمام وعُدت باخلاص الضمة
في من قال عود المريض وقول القول ويجوز على هذه اللغة ان يكون هدنا بالضم فعلنا من هاده
عذابي من حاله وصفته اني اصيب به من اشاء اي من وجب علي في الحكمة تعذيبه ولم يكن في العفو عنه
مساغ لكونه مفسدا واما رحمتي فمن حالها وصفتها انها واسعة تبلغ كل شيء ما من مسلم ولا
كافر ولا مطيع ولا عاص الا وهو متقلب في نعمتي وقرا الحسن من اساء من الاساءة فساكتب
هذه الرحمة كتبة خاصة منكم يا بني اسرائيل للذين يكونون في اخر الزمان من امة محمد صلى الله عليه وسلم الذين
هم بجميع اياتنا وكتبنا يؤمنون لا يكفرون بشيء منها الذين يتبعون الرسول الذي نوحي اليه كتابا
مختصا به وهو القران النبي صاحب المعجزات الذي يجدونه بعد نعته او كتابه الذين يتبعونه من بني
اسرائيل مكتوبا عندهم في التورية والانجيل ويحل لهم الطيبات ما حرم عليهم من الاشياء

رجف بجبينه

لمصنف الكشاف

ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي
انزل معه اولئك هم المفلحون قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت
فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون

١٩٩

الطيبة كالشحوم وغيرها او ما طاب في الشريعة والحكم مما ذكر اسم الله عليه من الذبايح وما احل
لغير الله وما خلا كسبه من السحت ويحرم عليهم الخبايث ما يستخبث نحو الدم والميتة ولحم الخنزير
وما اهل لغير الله به او ما خبث في الحكم كالربوا والرشوة وغيرهما من المكاسب الخبيثة الاصر
الثقل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله وهو مثل لثقل تكليفهم وصعوبته نحو اشتراط قتل
الانفس في صحة توبتهم وكذلك الاغلال مثل لما كان في شرايعهم من الاشياء الشاقة نحو بت القضاء
بالقصاص عمدا كان او خطأ من غير شرع الدية وقطع الاعضاء الخاطية وقرض موضع النجاسة من
الجلد والثوب واحراق الغنايم وتحريم العروق في اللحم وتحريم السبت وعن عطا كانت بنو اسرائيل
اذا قامت تصلي لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها
طرف السلسلة واوثقها الى السارية يحبس نفسه على العبادة وقرئ اصارهم على الجمع وعزروه
ومنعوه حتى لا يقوى عليه عدو وقرئ بالتخفيف واصل العزر المنع ومنه التعزير للضرب دون الحد
لانه منع من معاودة القبيح الا ترى الى تسمية الحد والحد هو المنع والنور القران فان قلت ما معنى
قوله انزل معه وانما انزل مع جبريل قلت معناه انزل مع نبوته لان استنباءه كان مصحوبا بالقران مشفوعا
به ويجوز ان يعلق باتبعوا اي واتبعوا القران المنزل مع اتباع النبي والعمل بسنته وبما امر به ونهى
عنه او واتبعوا القران كما اتبعه مصاحبين له في اتباعه فان قلت كيف انطبق هذا الجواب على قول
موسى عليه السلام ودعايه قلت لما دعا لنفسه ولبني اسرائيل اجيب بما هو منطو على توبيخ بني اسرائيل على
استجازتهم الروية على الله وعلى كفرهم بايات الله العظام التي اجراها على يد موسى وعرض بذلك في قوله
والذين هم باياتنا يؤمنون واريد ان يكون استماع اوصاف اعقابهم الذين امنوا برسول الله وما جاء به
كعبد الله بن سلام وغيره من اهل الكتاب لطفا لهم وترغيبا في اخلاص الايمان والعمل الصالح وفي
ان يحشروا معهم ولا يفرق بينهم وبين اعقابهم عن رحمة الله التي وسعت كل شيء اني رسول الله اليكم جميعا
قيل بعث كل رسول الى قومه خاصة وبعث محمد صلى الله عليه وسلم الى كافة الانس والجن وجميعا
نصب على الحال من اليكم فان قلت الذي له ملك السموات والارض ما محله قلت الاحسن ان يكون منتصبا
باضمار اعني وهو الذي يسمى النصب على المدح ويجوز ان يكون جرا على الوصف وان حيل بين الصفة
والموصوف بقوله اليكم جميعا وقوله لا اله الا هو بدل من الصلة التي هي له ملك السموات والارض وكذلك
يحيي ويميت وفي لا اله الا هو بيان للجملة قبلها لان من ملك العالم كان هو الاله على الحقيقة وفي يحيي ويميت
بيان لاختصاصه بالالهية لانه لا يقدر على الاحياء والاماتة غيره وكلماته وما انزل عليه وعلى من تقدمه
من الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على الافراد وهي القران او اراد جنس ما كلم به وعن مجاهد اراد
عيسى بن مريم وقيل هي الكلمة التي تكون عنها عيسى وجميع خلقه وهي قوله كن وانما قيل لعيسى كلمة
الله فخص بهذا الاسم لانه لم يكن لكونه سبب غير الكلمة ولم يكن من نطفة تمنى لعلكم تهتدون ارادة ان تهتدوا
فان قلت هلا قيل فامنوا بالله وبي بعد قوله اني رسول الله اليكم قلت عدل عن المضمر الى الاسم الظاهر

عنى بعاده قوله والذين ... في هذه الدنيا حسنة والجواب قوله عذابي اصيب به الى اخره

ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطا امما واوحينا الى موسى اذ استسقاه
قومه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم

لتجري عليه الصفات التي اجريت عليه ولما في طريقة الالتفات من مزية البلاغة وليعلم ان الذي وجب
الايمان به واتباعه هو هذا الشخص المستقل بانه النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان
انا او غيري اظهارا للنصفة وتفاديا من العصبية لنفسه ومن قوم موسى امة هم المؤمنون التائبون
من بني اسرائيل لما ذكر الذين تزلزلوا منهم في الدين وارتابوا حتى اقدموا على العظيمتين عبادة العجل
واستجازة رؤية الله ذكر ان منهم امة موقنين ثابتين يهدون الناس بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة
ويرشدونهم وبالحق يعدلون بينهم في الحكم لا يجورون او اراد الذين وصفهم ممن ادرك النبي صلى الله عليه وسلم وآمن
به من اعقابهم وقيل ان بني اسرائيل لما قتلوا انبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرأ سبط منهم
مما صنعوا واعتذروا وسالوا الله ان يفرق بينهم وبين اخوانهم ففتح الله لهم نفقا في الارض
فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين وهم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا
وذكر عن النبي عليه السلام ان جبريل ذهب به ليلة الاسراء نحوهم فكلمهم فقال لهم جبريل هل تعرفون من
تكلمون قالوا لا قال هذا محمد النبي الامي فآمنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا من ادرك منكم
احمد فليقرا عليه مني السلام فرد محمد على موسى عليهما السلام ثم اقراهم عشر سور من القرآن
نزلت بمكة ولم تكن نزلت فريضة غير الصلوة والزكوة وامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون
فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت وعن [illegible] عبد الله تعالى [illegible] فيهم
فقال عبد الله يعني لمن كان في مجلسه من المؤمنين وهل يزيد على ما كان عليهم شيا من يهدي
بالحق وبه يعدل وقيل لو كانوا في طرف من الدنيا متمسكين بشريعة ولم يبلغهم نسخها كانوا معذورين
وهذا من باب الفرض والتقدير والا فقد طار الخبر بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم الى كل افق وتغلغل
في كل نفق ولم يبق الله اهل مدر ولا وبر ولا سهل ولا جبل ولا بر ولا بحر في مشارق الارض ومغاربها
الا وقد القاه اليهم وملا به مسامعهم والزمهم الحجة وهو سائلهم عنه يوم القيامة وقطعناهم
وصيرناهم قطعا اي فرقا وميزنا بعضهم من بعض لقلة الالفة بينهم وقرى وقطعناهم بالتخفيف اثنتي
عشرة اسباطا كقولك اثنتي عشرة قبيلة والاسباط اولاد ولد يعقوب عليهم فان قلت مميز ما عدا
العشرة مفرد فما وجه مجيئه مجموعا وهلا قيل اثني عشر سبطا قلت لو قيل ذلك لم يكن تحقيقا لان المراد
وقطعناهم اثنتي عشرة قبيلة وكل قبيلة اسباط لا سبط فوضع اسباطا موضع قبيلة ونظيره
بين رماحي مالك ونهشل امما بدل من اثنتي عشرة بمعنى وقطعناهم امما لان كل اسباط
كانت امة عظيمة وجماعة كثيفة العدد وكل واحدة كانت تؤم خلاف ما تؤمه الاخرى لا تكاد
تأتلف وقرى اثنتي عشرة بكسر الشين فانبجست فانفجرت والمعنى واحد وهو الانفتاح بسعة
وكثرة قال العجاج وكيف غربا دالج تبجسا فان قلت هلا قيل فضرب فانبجست قلت لعدم
الالباس وليجعل الانبجاس مسببا عن الايحاء بضرب الحجر للدلالة على ان الموحى اليه لم يتوقف
عن اتباع الامر وانه من انتفاء الشك عنه بحيث لا حاجة الى الافصاح به وقد علم كل اناس نظير قوله

وظللنا عليهم الغمام وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون
واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد
المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون واسألهم عن القرية
التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا
تاتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون واذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم
عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء
واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فلما عتوا عن ما نهوا عنه

قوله اثنتي عشرة اسباطا يريد كل انه قد تقدم ذكر الاسباط ثم اثنتي عشرة والاناس اسم جمع غير تكسير نحو رخال وثناء وتوام
واخوات لها ويجوز ان يقال ان الاصل الكسر والتكسير والضمة بدل من الكسرة كما ابدلت في نحو سكارى وغيارى
من الفتحة وظللنا عليهم الغمام وجعلناه ظليلا عليهم في التيه وكلوا على ارادة القول وما ظلمونا وما رجع
الينا ضرر ظلمهم بكفرانهم النعم ولكن كانوا يضرون انفسهم ويرجع وبال ظلمهم اليهم واذ قيل لهم واذكر
اذ قيل والقرية بيت المقدس فان قلت كيف اختلفت العبارة ههنا وفي سورة البقرة قلت لا باس باختلاف العبارتين
اذا لم يكن هناك تناقض ولا تناقض بين قوله اسكنوا هذه القرية وكلوا منها وبين قوله فكلوا لانهم اذا سكنوا
القرية فتسببت سكناهم للاكل منها فقد جمعوا في الوجود بين سكناها والاكل منها وسواء قدموا
الحطة على دخول الباب او اخروها فهم جامعون في الايجاد بينهما وترك ذكر الرغد لا يناقض اثباته
وقوله نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين موعد بشيئين بالغفران والزيادة وطرح الواو لا يخل
بذلك لانه استيناف مرتب على تقدير قول القائل وماذا بعد الغفران فقيل له سنزيد المحسنين وكذلك
زيادة منهم زيادة بيان وارسلنا وانزلنا ويظلمون ويفسقون من واد واحد وقرى يغفر لكم وتغفر لكم خطاياكم
وخطيئاتكم وخطيئتكم على البناء للمفعول واسألهم وسل اليهود وقرى واسالهم وهذا السؤال معناه التقرير
والتقريع بقديم كفرهم وتجاوزهم لحدود الله والاعلام بان هذا من علومهم التي لا تعلم الا بكتاب او وحي فاذا
اعلمهم به من لم يقرا كتابهم علم انه من جهة الوحي ونظيره همزة الاستفهام التي يراد بها التقرير في قولك اغدرت
في السبت والقرية ايلة وقيل مدين وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية وعن ابي عمرو بن العلاء ما رايت
قرويين افصح من الحسن والحجاج يعني رجلين من اهل المدن حاضرة البحر قريبة منه راكبة لشاطئه اذ يعدون
في السبت اذ يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم في يوم السبت وقد نهوا عنه وقرى يعدون بمعنى يعتدون
ادغمت التاء في الدال ونقلت حركتها الى العين ويعدون من الاعداد وكانوا يعدون آلات الصيد يوم
السبت وهم مامورون بان لا يشتغلوا فيه بغير العبادة والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها
بترك الصيد والاشتغال بالتعبد فمعناه يعدون في تعظيم هذا اليوم وكذلك قوله يوم سبتهم معناه
يوم تعظيمهم امر السبت ويدل عليه قوله ويوم لا يسبتون وقراءة عمر بن عبد العزيز يوم اسباتهم
وقرى لا يسبتون بضم الياء وقرا علي رضي الله عنه لا يسبتون بضم الياء من اسبتوا وعن الحسن لا يسبتون
على البناء للمفعول اي لا يدار عليهم السبت ولا يؤمرون بان يسبتوا فان قلت اذ يعدون واذ تاتيهم ما
محلهما من الاعراب قلت اما الاول فمجرور بدل من القرية والمراد بالقرية اهلها كانه قيل وسلهم عن اهل القرية
وقت عدوانهم في السبت وهو من بدل الاشتمال ويجوز ان يكون منصوبا بكانت او بحاضرة واما الثاني فمنصوب بيعدون
ويجوز ان يكون بدلا بعد بدل والحيتان السمك واكثر ما تستعمل العرب الحوت في معنى السمكة شرعا ظاهرة
على وجه الماء وعن الحسن تشرع على ابوابهم كانها الكباش البيض يقال شرع علينا فلان اذا دنا منا واشرف
علينا وشرعت على فلان في بيته فرايته يفعل كذا كذلك نبلوهم مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم
واذ قالت معطوف على اذ يعدون وحكمه حكمه في الاعراب امة منهم جماعة من اهل القرية من صلحائهم الذين
ركبوا الصعب والذلول في موعظتهم حتى ايسوا من قبولهم لآخرين كانوا لا يقلعون عن وعظهم لم

١٩٥

لم تعظون قوما الله مهلكهم اي مخترمهم ومطهر الارض منهم او معذبهم عذابا شديدا لتماديهم في الشر
وانما قالوا ذلك لعلمهم ان الوعظ لا ينفع فيهم قالوا معذرة الى ربكم اي موعظتنا ابلاء عذرا الى الله تعالى
ولئلا ينسب في النهي عن المنكر الى بعض التفريط ولعلهم يتقون ولطمعنا في ان يتقوا بعض الاتقاء وقرئ
معذرة بالنصب اي وعظناهم معذرة الى ربكم او اعتذرنا فلما نسوا يعني اهل القرية فلما تركوا ما
ذكرهم به الصالحون ترك الناسي لما ينساه انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الظالمين الراكبين
للمنكر فان قلت لاي امة الذين قالوا لم تعظون من الفريقين اهم من فريق الناجين ام المعذبين قلت
من فريق الناجين لانهم من فريق الناهين وما قالوا ما قالوا الا سائلين عن علة الوعظ والغرض فيه حيث
لم يروا فيه غرضا صحيحا لعلمهم بحال القوم واذا علم الناهي حال المنهي وان النهي لا يؤثر فيه سقط عنه
النهي وربما وجب الترك لدخوله في باب العبث الا ترى انك لو ذهبت الى المكاسين القاعدين على المآصر
او الجلادين المرتبين للتعذيب لتعظهم وتكفهم عما هم فيه كان ذلك عبثا منكرا ولم يكن الا سببا
للتلهي بك واما الاخرون فانما لم يعرضوا عنهم اما لان ياسهم لم يستحكم كما استحكم ياس الاولين ولم يخبروهم
كما خبروهم او لفرط حرصهم وجدهم في امرهم كما وصف الله رسوله في قوله فلعلك باخع نفسك
وقيل الامة هم الموعوظون لما وعظوا قالوا للواعظين لم تعظون منا قوما تزعمون ان الله مهلكهم
او معذبهم وعن ابن عباس ليت شعري ما فعل بهولاء الذين قالوا لم تعظون قوما قال عكرمة
فقلت جعلني الله فداك الا ترى انهم كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم فلم
ازل به حتى عرفته انهم قد نجوا وعن الحسن نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين اخذوا الحيتان
وروي ان اليهود امروا باليوم الذي امرنا به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلوا
به وحرم عليهم فيه الصيد وامروا بتعظيمه فكانت الحيتان تاتيهم يوم السبت شرعا بيضا سمانا كانها
المخاض لا يرى الماء من كثرتها ويوم لا يسبتون لا تاتيهم فكانوا كذلك برهة من الدهر ثم جاءهم ابليس فقال لهم
انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فاتخذوا حياضا تسوقون الحيتان اليها يوم السبت فلا تقدر على
الخروج منها وتاخذونها يوم الاحد واخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا الى خشبة في الساحل ثم
شواه يوم الاحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع في تنوره فقال له اني ارى الله سيعذبك فلما لم يره عذب اخذ في السبت
القابل حوتين فلما راوا ان العذاب لا يعاجلهم صادوا واكلوا وملحوا وباعوا وكانوا نحوا من سبعين الفا فصار
اهل القرية اثلاثا ثلث نهوا وكانوا نحوا من اثني عشر الفا وثلث قالوا لم تعظون قوما وثلث هم اصحاب
الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون انا لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب
ولعنهم داود عليه السلام فاصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا ان للناس شانا
فعلوا الجدار فنظروا فاذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القرود انسباءها من الانس
ولا يعرفون انسباءهم من القرود فجعل القرد ياتي نسيبه فيشم ثيابه ويبكي فيقول الم ننهكم فيقول براسه
بلى وقيل صار الشبان قردة والشيوخ خنازير وعن الحسن اكلوا والله اوخم اكلة اكلها اهلها اثقلها
خزيا في الدنيا واطولها عذابا في الاخرة هاه وايم الله ما حوت اخذه قوم فاكلوه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم

فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين واذ تاذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب
ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم وقطعناهم في الارض امما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات

ولكن الله جعل موعدا والساعة ادهى وامر بئيس شديد يقال بؤس يبؤس باسا اذا اشتد فهو بئيس وقرئ
بئس بوزن حذر وبئس على تخفيف العين ونقل حركتها الى الفاء كما يقال كبد في كبد وبيس على قلب
الهمزة ياء كذيب في ذئب وبيئس على فيعل بكسر الهمزة وفتحها وبيّس بوزن ريّس على قلب همزة بيئس ياء
وادغام الياء فيها وبيس على تخفيف بيّس كهين في هيّن وبائس على فاعل فلما عتوا عما نهوا عنه فلما تكبروا عن
ترك ما نهوا عنه كقوله وعتوا عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة خاسئين عبارة عن مسخهم قردة كقوله انما امره
اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون والمعنى ان الله عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم وقيل فلما
عتوا تكرير لقوله فلما نسوا والعذاب البئيس هو المسخ تاذن ربك عزم ربك وهو تفعل من الايذان وهو
الاعلام لان العازم على الامر يحدث به نفسه ويؤذنها بفعله واجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد
الله ولذلك اجيب بما يجاب به القسم وهو قوله ليبعثن والمعنى واذ حتم ربك وكتب على نفسه ليبعثن على
اليهود الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب فكانوا يؤدون الجزية الى المجوس الى ان بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم
فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم الى اخر الدهر ومعنى ليبعثن عليهم ليسلطن عليهم كقوله بعثنا عليكم
عبادا لنا اولي باس شديد وقطعناهم في الارض وفرقناهم فيها فلا تكاد تخلو بلد من فرقة منهم منهم الصالحون
الذين امنوا منهم بالمدينة او الذين وراء الصين ومنهم دون ذلك ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون
عنه وهم الكفرة والفسقة فان قلت ما محل دون ذلك قلت الرفع وهو صفة لموصوف محذوف معناه ومنهم
ناس منحطون عن الصلاح ونحوه وما منا الا له مقام معلوم بمعنى وما منا احد الا له مقام وبلوناهم بالحسنات
والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون فينيبون فخلف من بعد المذكورين خلف وهم الذين كانوا في
زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثوا الكتاب التوراة وبقيت في ايديهم بعد سلفهم يقرؤونها ويقفون على ما فيها من الاوامر
والنواهي والتحليل والتحريم ولا يعملون بها ياخذون عرض هذا الادنى اي حطام هذا الشيء الادنى يريد الدنيا
وما يتمتع به منها وفي قوله هذا الادنى تخسيس وتحقير والادنى اما من الدنو بمعنى القرب لانه عاجل قريب
واما من دنو الحال وسقوطها وقلتها والمراد ما كانوا ياخذونه من الرشى في الاحكام وعلى تحريف الكلم للتسهيل
على العامة ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بما اخذنا والفاعل سيغفر الجار والمجرور وهو لنا ويجوز ان
يكون الاخذ الذي هو مصدر ياخذون وان ياتهم عرض مثله ياخذوه الواو للحال اي يرجون المغفرة وهم مصرون
عائدون الى مثل فعلهم غير تائبين وغفران الذنوب لا يصح الا بالتوبة والمصر لا غفران له الم يؤخذ عليهم
ميثاق الكتاب يعني قوله في التوراة من ارتكب ذنبا عظيما فانه لا يغفر له الا بالتوبة ودرسوا ما فيه في الكتاب
من اشتراط التوبة في غفران الذنوب والذي عليه المجبرة هو مذهب اليهود بعينه كما ترى وعن مالك بن دينار
ياتي على الناس زمان ان قصروا عما امروا به قالوا سيغفر لنا لانا لم نشرك بالله شيئا كل امرهم الى الطمع خيارهم
فيهم المداهنة فهؤلاء من هذه الامة اشباه الذين ذكرهم الله وتلا الاية والدار الاخرة خير من ذلك العرض
الخسيس للذين يتقون الرشى ومحارم الله وقرئ ورثوا الكتاب وان لا تقولوا بالتاء وادارسوا بمعنى تدارسوا
افلا تعقلون بالياء والتاء فان قلت ما موقع قوله ان لا يقولوا على الله الا الحق قلت هو عطف بيان لميثاق الكتاب

يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة
وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم
ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا

ومعنى ميثاق الكتاب الميثاق المذكور في الكتاب وفيه أن إثبات المغفرة بغير توبة خروج عن ميثاق الكتاب
وافتراء على الله وتقول عليه ما ليس بحق وإن فسر ميثاق الكتاب بما تقدم ذكره كان أن لا يقولوا مفعولا له
ومعناه لئلا يقولوا ويجوز أن يكون أن مفسرة ولا يقولوا نهيا كأنه قيل ألم يقل لهم لا تقولوا على الله إلا الحق فإن قلت
علام عطف قوله ودرسوا ما فيه قلت على ألم يؤخذ عليهم لأنه تقرير فكأنه قيل أخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا
ما فيه والذين يمسكون بالكتاب فيه وجهان أحدهما أن يكون مرفوعا بالابتداء وخبره إنا لا نضيع أجر المصلحين
والمعنى إنا لا نضيع أجرهم لأن المصلحين في معنى الذين يمسكون بالكتاب كقوله إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات
إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا والثاني أن يكون مجرورا عطفا على الذين يتقون ويكون قوله إنا لا نضيع
اعتراضا وقرئ يمسكون بالتشديد ويعضده قراءة أبي والذين مسكوا بالكتاب فإن قلت التمسك بالكتاب
يشتمل على كل عبادة ومنها إقامة الصلوة فكيف أفردت قلت إظهارا لمزية الصلوة لكونها عماد الدين وفارقة
بين الكفر والإيمان وقرأ ابن مسعود والذين استمسكوا بالكتاب وإذ نتقنا الجبل فوقهم قلعناه ورفعناه
كقوله ورفعنا فوقهم الطور ومنه نتق السقاء إذا نفضه ليقتلع الزبدة منه والظلة كل ما أظلك من
سقيفة أو سحاب وقرئ بالطاء من أطل عليه إذا أشرف وظنوا أنه واقع بهم وعلموا أنه ساقط عليهم
وذلك أنهم أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لغلظها وثقلها فرفع الله الطور على رؤوسهم مقدار
عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ وقيل لهم إن قبلتموها بما فيها وإلا ليقعن عليكم فلما نظروا إلى الجبل
... فرقا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد إلا على حاجبه الأيسر ويقولون هي السجدة التي رفعت
عنا بها العقوبة ولما نشر موسى الألواح وفيها كتاب الله لم يبق جبل ولا شجر ولا حجر إلا اهتز فلذلك
لا ترى يهوديا يقرأ عليه التوراة إلا اهتز وأنغض لها رأسه خذوا ما آتيناكم على إرادة القول أي وقلنا
خذوا ما آتيناكم أو قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة وعزم على احتمال مشاقه وتكاليفه واذكروا
ما فيه من الأوامر والنواهي ولا تنسوه أو واذكروا ما فيه من التعريض للثواب العظيم فارغبوا فيه ويجوز
أن يراد خذوا ما آتيناكم من الآية العظيمة بقوة إن كنتم تطيقونه كقوله إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار
السموات والأرض فانفذوا واذكروا ما فيه من الدلالة على القدرة الباهرة والإنذار لعلكم تتقون ما أنتم عليه
وقرأ ابن مسعود وتذكروا وقرئ واذّكروا بمعنى وتذكروا من ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض من الكل
ومعنى أخذ ذرياتهم من ظهورهم إخراجهم من أصلابهم نسلا وإشهادهم على أنفسهم وقوله ألست بربكم
قالوا بلى شهدنا من باب التمثيل والتخييل ومعنى ذلك أنه نصب لهم الأدلة على ربوبيته ووحدانيته
وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى فكأنه أشهدهم
على أنفسهم وقررهم وقال لهم ألست بربكم وكأنهم قالوا بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا وأقررنا بوحدانيتك
وباب التمثيل واسع في كلام الله ورسوله وفي كلام العرب ونظيره قوله عز وجل إنما قولنا لشيء إذا
أردناه أن نقول له كن فيكون فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين وقوله إذ قالت
الأنساع للبطن الحق ... وقالت له ريح الصبا قرقار ومعلوم أنه لا قول ثم وإنما هو تمثيل وتصوير

أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون
وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين
ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث

للمعنى أن تقولوا مفعول له أي فعلنا ذلك من نصب الأدلة الشاهدة على صحتها العقول كراهة أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه أو كراهة
أن تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لأن نصب الأدلة على التوحيد
وما نبهوا عليه قائم معهم فلا عذر لهم في الإعراض عنه والإقبال على التقليد والاقتداء بالآباء
كما لا عذر لآبائهم في الشرك وأدلة التوحيد منصوبة لهم فإن قلت بنو آدم وذرياتهم من هم قلت
عنى ببني آدم أسلاف اليهود الذين أشركوا بالله حيث قالوا عزير ابن الله وبذرياتهم الذين كانوا في عهد
رسول الله من أخلافهم المقتدين بآبائهم والدليل على أنها في المشركين وأولادهم قوله أو تقولوا إنما
أشرك آباؤنا من قبل والدليل على أنها في اليهود الآيات التي عطفت عليها هي والتي عطفت عليها
وهي على نمطها وأسلوبها وذلك قوله وسئلهم عن القرية التي وإذ قالت أمة منهم وإذ تأذن ربك
وإذ نتقنا الجبل فوقهم واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا أفتهلكنا بما فعل المبطلون أي
كان آباؤنا السبب في شركنا لتأسيسهم الشرك وتقدمهم فيه وتركه سنة لنا وكذلك ومثل ذلك التفصيل
البليغ نفصل الآيات لهم ولعلهم يرجعون وإرادة أن يرجعوا عن شركهم نفصلها وقرئ ذرياتهم على
التوحيد وأن يقولوا بالياء واتل عليهم على اليهود نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها هو عالم من علماء بني إسرائيل وقيل
من الكنعانيين اسمه بلعم بن باعوراء أوتي علم بعض كتب الله فانسلخ من الآيات بأن كفر بها ونبذها
وراء ظهره فأتبعه الشيطان فلحقه الشيطان وأدركه وصار قرينا له أو فأتبعه خطواته وقرئ فاتّبعه
بمعنى فتبعه فكان من الغاوين فصار من الضالين الكافرين روي أن قومه طلبوا إليه أن يدعو على موسى
ومن معه فأبى وقال كيف أدعو على من معه الملائكة فألحوا عليه ولم يزالوا به حتى فعل ولو شئنا لرفعناه
بها لعظمناه ورفعناه إلى منازل الأبرار من العلماء بتلك الآيات ولكنه أخلد إلى الأرض مال إلى الدنيا ورغب
فيها وقيل مال إلى السفالة فإن قلت كيف علق رفعه بمشيئة الله ولم يعلق بفعله الذي يستحق به الرفع قلت
المعنى ولو لزم العمل بالآيات ولم ينسلخ منها لرفعناه بها وذلك أن مشيئة الله رفعه تابعة للزومه الآيات
فذكرت المشيئة والمراد ما هي تابعة له ومسببة عنه كأنه قيل ولو لزمها لرفعناه بها ألا ترى إلى قوله ولكنه أخلد إلى
الأرض فاستدرك المشيئة بإخلاده الذي هو فعله فوجب أن يكون ولو شئنا في معنى ما هو فعله ولو كان الكلام
على ظاهره لوجب أن يقال ولو شئنا لرفعناه ولكنا لم نشأ فمثله كمثل الكلب فصفته التي هي مثل في الخسة
والضعة كصفة الكلب في أخس أحواله وأذلها وهي حال دوام اللهث به واتصاله سواء حمل عليه أي شد عليه وهيج
فطرد أو ترك غير متعرض له بالحمل عليه وذلك أن سائر الحيوان لا يكون منه اللهث إلا إذا هيج منه
وحرك وإلا لم يلهث والكلب يتصل لهثه في الحالتين جميعا وكان حق الكلام أن يقال ولو شئنا لرفعناه
بها ولكنه أخلد إلى الأرض فحططناه ووضعنا منزلته فوضع قوله فمثله كمثل الكلب موضع فحططناه
أبلغ حط لأن تمثيله بالكلب في أخس أحواله وأذلها في معنى ذلك وعن ابن عباس الكلب منقطع الفؤاد يلهث
إن حمل أو لم يحمل عليه وقيل معناه إن وعظته فهو ضال وإن لم تعظه فهو ضال كالكلب إن طردته
فسعى لهث وإن تركته على حاله لهث فإن قلت ما محل الجملة الشرطية قلت النصب على الحال كأنه قيل كمثل الكلب

ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون
من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا
يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون
في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون

ذليلا دائم الذلة لاهثا في الحالتين وقيل لما دعا بلعم على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما
يلهث الكلب ذلك مثل الذين كذبوا بآياتنا من اليهود بعدما قرأوا نعت رسول الله في التوراة وذكر القرآن المعجز
وما فيه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به فاقصص قصص بلعم الذي هو نحو قصصهم لعلهم
يتفكرون فيحذرون مثل عاقبته إذا ساروا نحو سيرته وزاغوا شبه زيغه ويعلمون أنك علمته من جهة الوحي فيزدادوا
إيقانا بك ويزداد الحجة لزوما لهم ساء مثلا القوم أي مثل القوم أو ساء أصحاب مثل القوم وقرأ الجحدري
ساء مثل القوم وأنفسهم كانوا يظلمون إما أن يكون معطوفا على كذبوا فيدخل في حيز الصلة بمعنى الذين
جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلم أنفسهم وإما أن يكون كلاما منقطعا عن الصلة بمعنى وما ظلموا إلا
أنفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول للاختصاص كأنه قيل وخصوا أنفسهم بالظلم لم تتعدها إلى غيرها
فهو المهتدي حمل على اللفظ وأولئك هم الخاسرون حمل على المعنى كثيرا من الجن والإنس هم المطبوع
على قلوبهم الذين علم الله أنه لا لطف لهم وجعلهم في أنهم لا يلقون أذهانهم إلى معرفة الحق ولا ينظرون بعيونهم إلى ما خلق
الله نظر اعتبار ولا يسمعون ما يتلى عليهم من آيات الله سماع تدبر كأنهم عدموا فهم القلوب وإبصار العيون
واستماع الآذان وجعلهم لإغراقهم في الكفر وشدة شكائمهم فيه وأنه لا يأتي منهم إلا أفعال أهل النار
مخلوقين للنار دلالة على توغلهم في الموجبات وتمكنهم فيما يؤهلهم لدخول النار ومنه كتاب عمر رضي الله عنه
إلى خالد بن الوليد بلغني أن أهل الشام اتخذوا لك دلوكا عجن بخمر وإني لأظنكم آل المغيرة ذرء النار ويقال
لمن كان عريقا في بعض الأمور ما خلق فلان إلا لكذا والمراد وصف حال اليهود في عظم ما أقدموا عليه من
تكذيب الرسول مع علمهم أنه النبي الموعود وأنهم من جملة الكثير الذين لا يكاد الإيمان يتأتى منهم
كأنهم خلقوا للنار أولئك كالأنعام في عدم الفقه والنظر للاعتبار والاستماع للتدبر بل هم أضل
من الأنعام عن الفقه والاعتبار والتدبر أولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة وقيل الأنعام تبصر
منافعها ومضارها فتلزم بعض ما تبصره وهؤلاء أكثرهم يعلم أنه معاند فيقدم على النار ولله الأسماء
الحسنى التي هي أحسن الأسماء لأنها تدل على معان حسنة من تمجيد وتقديس وغير ذلك فادعوه بها فسموه
بتلك الأسماء وذروا الذين يلحدون في أسمائه واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه
بغير الأسماء الحسنى وذلك أن يسموه بما لا يجوز عليه كما سمعنا البدو يقولون بجهلهم يا أبا المكارم
يا أبيض الوجه يا سخي أو أن يأبوا تسميته ببعض أسمائه الحسنى نحو أن يقولوا يا الله ولا يقولوا يا رحمن
وقد قال الله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الأسماء الحسنى ويجوز أن يراد ولله الأوصاف
الحسنى وهي الوصف بالعدل والخير والإحسان وانتفاء شبه الخلق فصفوه بها وذروا الذين يلحدون في
أوصافه فيصفونه بمشيئة القبائح وخلق الفحشاء والمنكر وبما يدخل في التشبيه كالرؤية ونحوها وقيل
إلحادهم في أسمائه تسميتهم الأصنام آلهة واشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز لما قال ولقد
ذرأنا لجهنم كثيرا فأخبر أن كثيرا من الثقلين عاملون بأعمال أهل النار أتبعه قوله وممن خلقنا أمة يهدون
بالحق وعن النبي عليه السلام أنه كان يقول إذا قرأها هذه لكم وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها ومن قوم موسى

والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم إن كيدي متين أولم يتفكروا ما بصاحبهم
من جنة إن هو إلا نذير مبين أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون
قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون يسألونك
عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السموات والأرض

١٩٨

أمة يهدون بالحق وعنه عليه السلام إن من أمتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى وعن الكلبي هم الذين آمنوا من أهل الكتاب
وقيل هم العلماء والدعاة إلى الدين الاستدراج استفعال من الدرج بمعنى الاستصعاد أو الاستنزال درجة
بعد درجة قال الأعشى. فلو كنت في جب ثمانين قامة. ورقيت أسباب السماء بسلم. ليستدرجنك القول حتى تهره
وتعلم أني عنكم غير مفحم. ومنه درج الصبي إذا قارب بين خطاه وأدرج الكتاب طواه شيئا بعد شيء
ودرج القوم مات بعضهم في إثر بعض ومعنى سنستدرجهم سنستدنيهم قليلا قليلا إلى ما يهلكهم ويضاعف
عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك أن يواتر الله نعمه عليهم مع انهماكهم في الغي فكلما جدد عليهم
نعمة ازدادوا بطرا وجددوا معصية فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف النعم ظانين أن مواترة
النعم أثرة من الله وتقريب وإنما هي خذلان منه وتبعيد فهو استدراج الله نعوذ بالله منه وأملي لهم عطف على
سنستدرجهم وهو داخل في حكم السين إن كيدي متين سماه كيدا لأنه شبيه بالكيد من حيث إنه في الظاهر إحسان
وفي الحقيقة خذلان ما بصاحبهم بمحمد صلى الله عليه وسلم من جنة من جنون وكانوا يقولون شاعر مجنون وعن
قتادة أن النبي عليه السلام علا الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله فقال قائلهم إن صاحبكم هذا لمجنون
بات يهوت إلى الصباح أولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السموات والأرض فيما تدلان عليه من
عظم الملك والملكوت الملك العظيم وما خلق الله من شيء وفيما خلق الله مما يقع عليه اسم الشيء من أجناس
لا يحصرها العدد ولا يحيط بها الوصف وأن عسى أن مخففة من الثقيلة والأصل وأنه عسى على أن الضمير
ضمير الشأن والمعنى أولم ينظروا في أن الشأن والحديث عسى أن يكون قد اقترب أجلهم ولعلهم يموتون عما
قريب فيسارعوا إلى النظر وطلب الحق وما ينجيهم قبل مغافصة الأجل وحلول العقاب ويجوز أن يراد باقتراب
الأجل اقتراب الساعة ويكون من كان التي فيها ضمير الشأن فإن قلت بم يتعلق قوله فبأي حديث بعده يؤمنون
قلت بقوله عسى أن يكون قد اقترب أجلهم كأنه قيل لعل أجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الإيمان بالقرآن
قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وبأي حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا وقرئ ويذرهم بالياء
والنون والرفع على الاستئناف ويذرهم بالياء والجزم عطفا على محل فلا هادي له كأنه قيل من يضلل الله لا
يهده أحد ويذرهم يسألونك قيل إن قوما من اليهود قالوا يا محمد أخبرنا متى الساعة إن كنت نبيا فإنا
نعلم متى هي وكان ذلك امتحانا منهم مع علمهم أن الله قد استأثر بعلمها وقيل السائلون قريش والساعة من
الأسماء الغالبة كالنجم للثريا وسميت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة أو لسرعة حسابها أو على العكس
لطولها أو لأنها عند الله على طولها كساعة من الساعات عند الخلق أيان بمعنى متى وقيل اشتقاقه من أي
فعلان منه لأن معناه أي وقت وأي فعل من أويت إليه لأن البعض آو إلى الكل متساند إليه قاله ابن جني
وأبى أن يكون من أين لأنه زمان وأين مكان وقرأ السلمي إيان بكسر الهمزة مرساها إرساؤها أو وقت
إرسائها أي إثباتها وإقرارها وكل شيء ثقيل رسوه ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل وأرسى السفينة
والمرسى الأنجر الذي ترسى به ولا أثقل من الساعة بدليل قوله ثقلت في السموات والأرض والمعنى متى يرسيها
الله إنما علمها أي علم وقت إرسائها عنده قد استأثر به لم يخبر به أحدا من ملك مقرب ولا نبي مرسل
بل أخفاها من نفسه ليكون ذلك أدعى إلى الطاعة وأزجر عن المعصية كما أخفى الأجل الخاص وهو

لا يأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون قل لا أملك لنفسي نفعا ولا
5 ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون هو
الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها

وقت الموت لذلك **لا يجليها** لوقتها إلا هو أي الخفية لا يظهر أمرها ولا يكشف خفاء علمها إلا هو
إذا جاء بها بغتة لا يجليها بالخبر عنها قبل مجيئها أحد من خلقه لاستمرار الخفاء بها على غيره
إلى وقت وقوعها **ثقلت** في السموات والأرض أي كل من أهلها من الملائكة والثقلين أهمه شأن الساعة
ويود أن يتجلى له علمها وشق عليه خفاؤها وثقل عليه أو ثقلت فيها لأن أهلها يتوقعونها ويخافون
شدائدها وأهوالها أو لأن كل شيء لا يطيقها ولا يقوم لها فهي ثقيلة فيها **إلا بغتة** إلا فجأة على غفلة كما
وعن النبي صلى الله عليه وسلم أن الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في
سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه **كأنك حفي عنها** كأنك عالم بها وحقيقته كأنك بليغ في السؤال عنها فإن
من بالغ في المسألة عن الشيء والتنقير عنه استحكم علمه فيه ورصن وهذا التركيب معناه المبالغة ومنه
إحفاء الشارب واحتفاء البقل استيصاله وأحفى في المسألة إذا ألحف وحفي بفلان وتحفى به بالغ في
البر به وعن مجاهد استحفيت عنها السؤال حتى علمتها وقرأ ابن مسعود كأنك حفي بها أي عالم بها
بليغ في العلم بها وقيل عنها متعلق بيسألونك أي يسألونك عنها كأنك حفي أي عالم بها وقيل إن قريشا
قالوا له إن بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة فقيل يسألونك عنها كأنك حفي تتحفى بهم فتختصهم
بتعليم وقتها لأجل القرابة وتزوي علمها عن غيرهم ولو أخبرت بوقتها لمصلحة عرفها الله في إخبارك
به لكنت مبلغه القريب والبعيد من غير تخصيص كسائر ما أوحي إليك وقيل كأنك حفي بالسؤال
عنها تحبه وتؤثره يعني أنك تكره السؤال عنها لأنه من علم الغيب الذي استأثر الله به ولم يؤته أحدا من خلقه
قل إنما علمها عند الله **قل** للتأكيد ولما جاء به من زيادة كأنك حفي عنها وعلى هذا
تكرير العلماء الحذاق في كتبهم لا يخلون المكرر من فائدة زائدة منهم محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة **ولكن أكثر الناس**
لا يعلمون أنه العالم بها وأنه المختص بالعلم بها **قل لا أملك** مواظهار للعبودية والانتفاء عما يختص بالربوبية
من علم الغيب أي أنا عبد ضعيف لا أملك لنفسي اجتلاب نفع ولا دفع ضر كالمماليك والعبيد **إلا**
ما شاء الله وما لكي من النفع لي والدفع عني ولو كنت أعلم الغيب لكانت حالي على خلاف ما هي عليه من استكثار
الخير واستغزار المنافع واجتناب السوء والمضار حتى لا يمسني شيء منها ولم أكن غالبا مرة ومغلوبا
أخرى في الحروب ورابحا وخاسرا في التجارات ومصيبا ومخطئا في التدابير إن أنا إلا عبد أرسلت نذيرا
وبشيرا وما من شأني أن أعلم الغيب **لقوم** يؤمنون يجوز أن يتعلق بالنذير والبشير جميعا لأن النذارة
والبشارة إنما ينفعان فيهم أو يتعلق بالبشير وحده ويكون المتعلق بالنذير محذوفا أي إلا نذير للكافرين
وبشير لقوم يؤمنون **من نفس** واحدة وهي نفس آدم وجعل منها زوجها وهي حواء خلقها من جسد آدم
من ضلع من أضلاعه أو من جنسها كقوله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ليسكن إليها ليطمئن إليها ويميل
ولا ينفر لأن الجنس إلى الجنس أميل وبه آنس وإذا كانت بعضا منه كان السكون والمحبة أبلغ كما
يسكن الإنسان إلى ولده ويحبه محبة نفسه لكونه بضعة منه وذكر ليسكن فذكر بعد ما أنث في قوله
واحدة ومنها زوجها ذهابا إلى معنى النفس ليبين أن المراد بها آدم ولأن الذكر هو الذي يسكن إلى الأنثى
ويتغشاها فكان التذكير أحسن طباقا للمعنى والتغشي كناية عن الجماع وكذلك الغشيان والإتيان

حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين
فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ولا
يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم
صامتون إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم

حملت حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما تلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والأذى ولم تستثقله
كما يستثقلنه وقد تسمح بعضهن تقول في ولدها ما كان أخفه علي ولا أقل كربا حين حملته **فمرت** به فمضت
به إلى وقت ميلاده من غير إخداج ولا إزلاق وقيل حملت حملا خفيفا يعني النطفة فمرت به فقامت به وقعدت
وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما فاستمرت به وقرأ يحيى بن يعمر فمرت به بالتخفيف وقرئ فمارت
من المور كقوله أفتمرونه وأفتمارونه ومعناه فوقع في نفسها ظن الحمل وارتابت به **فلما أثقلت** حان
وقت ثقل حملها كقولك أقربت وقرئ أثقلت على البناء للمفعول أي أثقلها الحمل **دعوا الله** ربهما دعا
آدم وحواء عليهما السلام ربهما ومالك أمرهما الذي هو الحقيق بأن يدعى ويلتجأ إليه فقالا لئن آتيتنا ولدا وهبت
لنا **صالحا** ولدا سويا قد صلح بدنه وبرئ وقيل ولدا ذكرا لأن الذكورة من الصلاح والجودة والضمير في آتيتنا
ولنكونن لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما فلما آتاهما ما طلباه من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء أي جعل
أولادهما له شركاء على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وكذلك فيما آتاهما أي آتى أولادهما وقد
دل على ذلك بقوله فتعالى الله عما يشركون حيث جمع الضمير وآدم وحواء بريئان من الشرك ومعنى إشراكهم
فيما آتاهم الله تسميتهم أولادهم بعبد العزى وعبد مناة وعبد شمس وما أشبه ذلك مكان عبد
الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم **ووجه** آخر وهو أن يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله وهم
آل قصي ألا ترى إلى قوله في قصة أم معبد فيا لقصي ما زوى الله عنكم به من فعال لا يجارى وسودد
ويراد هو الذي خلقكم من نفس قصي وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن إليها **فلما** آتاهما ما طلبا
من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء فيما آتاهما حيث سميا أولادهما الأربعة بعبد مناف وعبد العزى
وعبد قصي وعبد الدار وجعل الضمير في يشركون لهما ولأعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك
وهذا تفسير حسن لا إشكال فيه **وقرئ** شركا أي ذوي شرك وهم الشركاء أو أحدثا لله إشراكا في الولد
أيشركون الأصنام محركا ولي العلم في قوله وهم يخلقون بناء على اعتقادهم فيها وتسميتهم إياها آلهة
والمعنى أيشركون ما لا يقدر على خلق شيء كما يخلق الله وهم يخلقون لأن الله خالقهم أو لا يقدر على اختلاق
شيء لأنه جماد وهم يخلقون لأن عبدتهم يختلقونهم فهم أعجز من عبدتهم **ولا** يستطيعون لهم لعبدتهم نصرا
ولا أنفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها من الحوادث بل عبدتهم هم الذين يدفعون عنهم ويحامون
عليهم **وإن** تدعوهم وإن تدعوا هذه الأصنام إلى الهدى أي إلى ما هو هدى ورشاد أو إلى أن يهدوكم والمعنى
وإن تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير والهدى لا يتبعوكم إلى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله ويدل
عليه فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون عن دعائهم في أنه لا فلاح معهم
هلا قيل أم صمتم ولم وضعت الجملة الاسمية موضع الفعلية **قلت** لأنهم كانوا إذا حزبهم أمر دعوا الله دون
أصنامهم كقوله وإذا مس الناس ضر وكانت حالهم المستمرة أن يكونوا صامتين عن دعوتهم فقيل إن دعوتموهم لم
يفترق الحال بين إحداثكم دعاءهم وبين ما أنتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم **إن الذين تدعون** من دون الله أي
وتسمونهم آلهة من دون الله عباد أمثالكم وقوله عباد أمثالكم استهزاء بهم أي قصارى أمرهم أن يكونوا أحياء

فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم
آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين والذين
تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون خذ العفو
وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا
فإذا هم مبصرون وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون

عقلاء فإن ثبت ذلك فهم عباد أمثالكم لا تفاضل بينكم ثم أبطل أن يكونوا عبادًا أمثالهم فقال ألهم أرجل
يمشون بها وقيل عبادًا أمثالكم مملوكون أمثالكم وقرأ سعيد بن جبير إن الذين تدعون من دون الله عبادًا أمثالكم
بتخفيف إن ونصب عبادًا أمثالكم والمعنى ما الذين تدعون من دون الله عبادًا أمثالكم على إعمال إن النافية عمل
ما الحجازية قل ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدون جميعًا أنتم وشركاؤكم فلا تنظرون
فإني لا أبالي بكم وكان يقول هذا لإدلاله بعصمة الله وكانوا قد خوفوه آلهتهم فأمر أن يخاطبهم
بذلك كما قال قوم هود له إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء فقال لهم إني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعًا
ثم لا تنظرون إن وليي الله أي ناصري عليكم الله الذي نزل الكتاب الذي أوحى إلي
وأعزني برسالته وهو يتولى الصالحين ومن عادته أن ينصر الصالحين من عباده وأنبيائه ولا يخذلهم
وتراهم ينظرون إليك يشبهون الناظرين إليك لأنهم صوروا أصنامهم بصورة من قلب حدقته إلى الشيء ينظر
إليه وهم لا يبصرون خذ العفو ضد الجهد أي خذ ما عفا لك من أفعال الناس وأخلاقهم
وما أتى منهم وتسهل من غير كلفة ولا تداقهم ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا
ينفروا كقوله عليه السلام يسروا ولا تعسروا وقال خذي العفو مني تستديمي مودتي
ولا تنطقي في سورتي حين أغضب وقيل خذ الفضل وما تسهل من صدقاتهم وذلك قبل نزول
آية الزكاة فلما نزلت أمر أن يأخذهم بها طوعًا أو كرهًا والعرف المعروف والجميل من الأفعال وأعرض
عن الجاهلين ولا تكافئ السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عنهم وأغض على ما يسوءك منهم وقيل
لما نزلت الآية سأل جبريل فقال لا أدري حتى أسأل ثم رجع فقال يا محمد إن ربك أمرك أن تصل من قطعك
وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وعن جعفر الصادق أمر الله نبيه بمكارم الأخلاق وليس
في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها وإما ينزغنك من الشيطان نزغ وإما ينخسنك منه نخس
بأن يحملك بوسوسته على خلاف ما أمرت به فاستعذ بالله ولا تطعه والنزغ والنسغ الغرز والنخس
كأنه ينخس الناس حين يغريهم على المعاصي وجعل النزغ نازغًا كما قيل جد جده وروي أنها لما
نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يا رب والغضب فنزل وإما ينزغنك من الشيطان ويجوز أن يراد بنزغ
الشيطان اعتراء الغضب كقول أبي بكر رضي الله عنه إن لي شيطانًا يعتريني طيف من الشيطان لمة منه مصدر
من قولهم طاف به الخيال يطيف طيفًا قال أنى ألم بك الخيال يطيف أو هو تخفيف طيف فيعل من طاف
يطيف كلين أو من طاف يطوف كهين وقرئ طائف وهو يحتمل الأمرين أيضًا وهذا تأكيد وتقرير
لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان وأن المتقين هذه عادتهم إذا أصابهم أدنى
نزغ من الشيطان وإلمام بوسوسته تذكروا ما أمر الله به ونهى عنه فأبصروا السداد ودفعوا
ما وسوس به إليهم ولم يتبعوه أنفسهم وأما إخوان الشياطين الذين ليسوا بمتقين فإن الشياطين يمدونهم
في الغي أي يكونون مددًا لهم فيه ويعضدونهم وقرئ يمدونهم من الإمداد ويمادونهم بمعنى يعاونونهم ثم
لا يقصرون ثم لا يمسكون عن إغوائهم حتى يصروا ولا يرجعوا وإخوانهم يمدونهم كقوله

قوم إذا الخيل جالوا في كواثبها وأن الخبر جار على غير ما هو له ويجوز أن يراد بالإخوان الشياطين ويرجع
الضمير المتعلق به إلى الجاهلين فيكون الخبر جاريًا على ما هو له والأول أوجه لأن إخوانهم في مقابلة الذين
اتقوا فإن قلت لم جمع الضمير في إخوانهم والشيطان مفرد قلت المراد به الجنس كقوله أولياؤهم
الطاغوت اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه أي جمعه كقولك اجتمعه أو جبي إليه فاجتباه أي أخذه
كقولك جليت إليه العروس فاجتلاها ومعنى لولا اجتبيتها هلا اجتمعتها افتعالًا من عند نفسك لأنهم
كانوا يقولون إن هذا إلا إفك مفترى أو هلا أخذتها منزلة عليك مقترحة قل إنما أتبع ما يوحى
إلي ولست بمفتعل للآيات أو لست بمقترح لها هذا بصائر هذا القرآن بصائر من ربكم أي حجج
يعود المؤمنون بها بصراء بعد العمى أو هو بمنزلة بصائر القلوب وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له
ظاهره وجوب الاستماع والإنصات وقت قراءة القرآن في صلاة وغير صلاة وقيل كانوا يتكلمون
في الصلاة فنزلت ثم صار سنة في غير الصلاة أن ينصت القوم إذا كانوا في مجلس يقرأ فيه القرآن
وقيل معناه وإذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له وقيل معنى فاستمعوا له
فاعملوا بما فيه ولا تجاوزوه واذكر ربك هو عام في الأذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح
والتهليل وغير ذلك تضرعًا وخيفة متضرعًا وخائفًا ودون الجهر ومتكلمًا كلامًا دون الجهر
لأن الإخفاء أدخل في الإخلاص وأقرب إلى حسن التفكر بالغدو والآصال لفضل هذين الوقتين أو
أراد الدوام ومعنى بالغدو بأوقات الغدو وهي الغدوات وقرئ والإيصال من آصل إذا
دخل في الأصيل كأظهر وأعتم وهو مطابق للغدو ولا تكن من الغافلين من الذين يغفلون عن
ذكر الله ويلهون عنه إن الذين عند ربك هم الملائكة صلوات الله عليهم ومعنى عنده دنو الزلفة والقرب
من رحمة الله وفضله لتوفرهم على طاعته وابتغاء مرضاته وله يسجدون ويختصونه بالعبادة
لا يشركون به غيره وهو تعريض بمن سواهم من المكلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأعراف
جعل الله يوم القيامة بينه وبين إبليس سترًا وكان آدم شفيعًا له يوم القيامة

سورة الأنفال مدنية وهي ست وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

النفل الغنيمة لأنها من فضل الله وعطائه قال لبيد إن تقوى ربنا خير نفل والنفل ما ينفله الغازي
أي يعطاه زائدًا على سهمه من المغنم وهو أن يقول الإمام تحريضًا على البلاء في الحرب من قتل قتيلًا فله سلبه
أو قال للسرية ما أصبتم فهو لكم أو فلكم نصفه أو ربعه ولا يخمس النفل ويلزم الإمام الوفاء بما وعد منه
وعند الشافعي في أحد قوليه لا يلزم ولقد وقع اختلاف بين المسلمين في غنائم بدر وفي قسمتها فسألوا
رسول الله كيف تقسم ولمن الحكم في قسمتها ألمهاجرين أم للأنصار أم لهم جميعًا فقيل له قل لهم هي
لرسول الله وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها ما يشاء ليس لأحد غيره فيها حكم وقيل شرط لمن كان له بلاء
في ذلك اليوم أن ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين وأسروا سبعين فلما يسر الله الفتح
اختلفوا فيما بينهم وتنازعوا فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات

بسم الله الرحمن الرحيم يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول

فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا

كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها ان انهزمتم فقالوا لرسول الله المغنم قليل والناس كثير وان
تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت اصحابك فنزلت وعن سعد بن ابي وقاص قتل اخي عمير يوم
بدر فقتلت به سعيد بن العاص واخذت سيفه فاعجبني فجئت به الى رسول الله فقلت ان الله قد
شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته
وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى جاءني رسول الله وقد انزلت سورة
الانفال فقال يا سعد انك سألتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه وعن عبادة بن الصامت
نزلت فينا يا معشر اصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله من ايدينا فجعله
لرسول الله فقسمه بين المسلمين على السواء وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله واصلاح ذات البين
وقرا ابن محيصن يسلونك علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن في اللام
وقرا ابن مسعود يسالونك الانفال اي يسالك الشبان ما شرطت لهم من الانفال فان قلت
ما معنى الجمع بين ذكر الله والرسول في قوله قل الانفال لله والرسول قلت معناه ان حكمها
مختص بالله ورسوله يأمر الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ويمتثل الرسول امر الله فيها
وليس الامر في قسمتها مفوضا الى راي احد والمراد ان الذي اقتضته حكمة الله وامر به رسوله
ان تواسي المقاتلة المشروط لهم التنفيل الشيوخ الذين كانوا عند الرايات فيقاسموهم على
السوية ولا يستأثروا بما شرط لهم فانهم ان فعلوا لم يؤمن ان يقدح ذلك فيما بين المسلمين
من التحاب والتصافي فاتقوا الله في الاختلاف والتخاصم وكونوا متحدين متآخين في الله واصلحوا
ذات بينكم وتآسوا وتساعدوا فيما رزقكم الله وتفضل به عليكم وعن عطاء كان الاصلاح بينهم
ان دعاهم وقال اقسموا غنائمكم بالعدل فقالوا قد اكلنا وانفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض
فان قلت ما حقيقة قوله ذات بينكم قلت احوال بينكم يعني ما بينكم من الاحوال حتى تكون احوال الفة ومحبة واتفاق
كقوله بذات الصدور وهي مضمراتها لما كانت الاحوال ملابسة للبين قيل لها ذات البين كقولهم
اسقني ذا اناءك يريدون ما في الاناء من الشراب وقد جعل التقوى واصلاح ذات البين وطاعة
الله ورسوله من لوازم الايمان وموجباته ليعلمهم ان كمال الايمان موقوف على التوفر عليها ومعنى
قوله ان كنتم مؤمنين ان كنتم كاملي الايمان واللام في قوله انما المؤمنون اشارة اليهم اي انما
الكاملو الايمان الذين من صفتهم كيت وكيت والدليل عليه قوله اولئك هم المؤمنون حقا وجلت قلوبهم
فزعت وعن ام الدرداء الوجل في القلب كاحتراق السعفة اما تجد له قشعريرة قال
بلى قالت فادع الله فان الدعاء يذهبه يعني فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وعزة
سلطانه وبطشه بالعصاة وعقابه وهذا الذكر خلاف الذكر في قوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر
الله لان ذلك ذكر رحمته ورأفته وثوابه وقيل هو الرجل يريد ان يظلم او يهم بمعصية فيقال له اتق الله
فينزع وجلت بالفتح وهي لغة نحو وبق ووبق وقرأ عبدالله فرقت زادتهم ايمانا ازدادوا

وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون

بها يقينا وطمانينة نفس لان تظاهر الادلة اقوى للمدلول عليه واثبت لقدمه وقد حمل على زيادة
العمل وعن ابي هريرة الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها
اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان وعن عمر بن عبد العزيز ان للايمان سننا
وفرائض وشرائع فمن استكملها استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان وعلى
ربهم يتوكلون ولا يفوضون امورهم الى غير ربهم لا يخشون ولا يرجون الا اياه جمع بين اعمال
القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل وبين اعمال الجوارح من الصلاة والصدقة حقا صفة
للمصدر المحذوف اي اولئك هم المؤمنون ايمانا حقا او هو مصدر مؤكد للجملة التي هي اولئك هم
المؤمنون كقولك هو عبدالله حقا اي حق ذلك حقا وعن الحسن ان رجلا ساله امؤمن انت قال الايمان ايمانان
فان كنت تسألني عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا
مؤمن وان كنت تسالني عن قوله انما المؤمنون فوالله لا ادري امنهم انا ام لا وعن الثوري رحمه الله من زعم
انه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد انه من اهل الجنة فقد امن بنصف الاية وهذا الزام منه يعني كما لا يقطع بانه
من اهل ثواب المؤمنين حقا فلا يقطع بانه مؤمن حقا وبهذا تعلق من يستثني في الايمان وكان ابو حنيفة
ممن لا يستثني فيه وحكي عنه انه قال لقتادة لم تستثني في ايمانك قال اتباعا لابراهيم في قوله والذي اطمع
ان يغفر لي فقال له هلا اقتديت به في قوله اولم تؤمن قال بلى درجات شرف وكرامة وعلو منزلة
ومغفرة وتجاوز لسيئاتهم ورزق كريم نعيم الجنة يعني لهم منافع حسنة دائمة على سبيل التعظيم
وهذا معنى الثواب كما اخرجك ربك فيه وجهان احدهما ان يرتفع محل الكاف على انه خبر مبتدأ محذوف
تقديره هذه الحال كحال اخراجك يعني ان حالهم في كراهة ما رأيت من تنفيل الغزاة مثل حالهم في كراهة
خروجك للحرب والثاني ان ينتصب على انه صفة مصدر الفعل المقدر في قوله الانفال لله والرسول اي الانفال
استقرت لله والرسول وثبتت مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك وهم كارهون من
بيتك يريد بيته بالمدينة او المدينة نفسها لانها مهاجره ومسكنه فهي في اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه
بالحق اخراجا ملتبسا بالحكمة والصواب الذي لا محيد عنه وان فريقا من المؤمنين لكارهون في موضع
الحال اي اخرجك في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا
منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فاخبر جبريل رسول الله فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقي العير لكثرة الخير
وقلة القوم فلما خرجوا بلغ اهل مكة خبر خروجهم فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء على
كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت اخت العباس بن عبد المطلب
رؤيا فقالت لاخيها اني رأيت عجبا رأيت كأن ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم
يبق بيت من بيوت مكة الا اصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال ابو جهل ما يرضى
رجالهم ان يتنبؤوا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهم النفير في المثل السائر
لا في العير ولا في النفير فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال

وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته

لا والله لا يكون ذلك أبدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع
جميع العرب بمخرجنا وأن محمدا لم يصب العير وأنا قد أعضضناه فمضى بهم إلى بدر وبدر ماء كانت
العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما في السنة فنزل جبريل فقال يا محمد إن الله وعدكم إحدى الطائفتين إما
العير وإما قريشا فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه رضوان الله عليهم وقال ما تقولون إن القوم قد خرجوا
من مكة على كل صعب وذلول فالعير أحب إليكم أم النفير قالوا بل العير أحب إلينا من لقاء العدو فتغير
وجه رسول الله ثم ردد عليهم فقال إن العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل فقالوا
يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب النبي عليه السلام أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فأحسنا
ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر أمرك فامض فوالله لو سرت إلى عدن أبين ما تخلف عنك رجل
من الأنصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما أمرك الله فإنا معك حيث ما أحببت لا نقول
لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك
فقاتلا إنا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله ثم قال أشيروا علي أيها الناس وهو
يريد الأنصار لأنهم قالوا حين بايعوه على العقبة إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا فإذا وصلت
إلينا فأنت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا فكان النبي صلى الله عليه وسلم يتخوف أن لا يكون
الأنصار ترى عليهم نصرته إلا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا
يا رسول الله قال أجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك
عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت
بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا إنا لصبر
عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول
الله ونشطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وأبشروا فإن الله وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع
القوم وروي أنه قيل لرسول الله حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شيء فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم لم قال لأن الله وعدك إحدى الطائفتين وقد أعطاك ما وعدك وكانت الكراهة من بعضهم لقوله
وإن فريقا من المؤمنين والحق الذي جادلوا فيه رسول الله تلقي النفير لإيثارهم عليه تلقي العير بعد ما تبين
بعد إعلام رسول الله بأنهم ينصرون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا إلا للعير وهلا قلت لنا لنستعد
ونتأهب وذلك لكراهتهم القتال شبه حالهم في فرط فزعهم ورعبهم وهم يسار بهم إلى الظفر والغنيمة
بحال من يعتل إلى القتل ويساق على الصغار إلى الموت المتيقن وهو مشاهد لأسبابه ناظر إليها لا يشك فيها
وقيل كان خوفهم لقلة العدد وأنهم كانوا رجالة وروي أنه ما كان فيهم إلا فارسان إذ منصوب بإضمار
اذكر وأنها لكم بدل من إحدى الطائفتين والطائفتان العير والنفير وغير ذات الشوكة العير لأنه لم يكن فيها
إلا أربعون فارسا والشوكة كانت في النفير لعددهم وعدتهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك
ويقال شوك القنا لشباها ومنها قولهم شائك السلاح أي تتمنون أن يكون لكم العير لأنها الطائفة التي

ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين

لا حدة لها ولا شدة ولا تريدون الطائفة الأخرى أن يحق الحق أن يثبته ويعليه بكلماته بآياته المنزلة في محاربة
ذات الشوكة وبما أمر الملائكة من نزولهم للنصرة وبما قضى من أسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر
والدابر الآخر فاعل من دبر إذا أدبر ومنه دابرة الطائر وقطع الدابر عبارة عن الاستئصال يعني
أنكم تريدون الفائدة العاجلة وسفساف الأمور وأن لا تلقوا ما يرزؤكم في أبدانكم وأحوالكم والله عز
وعلا يريد معالي الأمور وما يرجع إلى عمارة الدين ونصرة الحق وعلو الكلمة والفوز في الدارين وشتان
ما بين المرادين ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم وغلب كثرتهم
بقلتكم وأعزكم وأذلهم وحصل لكم ما لا تعارض أدناه العير وما فيها وقرئ بكلمته على التوحيد
فإن قلت بم يتعلق قوله ليحق الحق قلت بمحذوف تقديره ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك ما فعله
إلا لهما وهو إثبات الإسلام وإظهاره وإبطال الكفر ومحقه فإن قلت أليس هذا تكريرا قلت لا لأن المعنيين
متباينان وذلك أن الأول تمييز بين الإرادتين وهذا بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة
على غيرها لهم ونصرتهم عليها وأنه ما نصرهم ولا خذل أولئك إلا لهذا الغرض الذي هو سيد الأغراض
ويجب أن يقدر المحذوف متأخرا حتى يفيد معنى الاختصاص وينطبق على المعنى وقيل قد تعلق بيقطع فإن
قلت بم يتعلق إذ تستغيثون قلت هو بدل من إذ يعدكم وقيل بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل واستغاثتهم
أنهم لما علموا أنه لا بد من القتال طفقوا يدعون الله يقولون أي رب انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين
أغثنا وعن عمر رضي الله عنه أن رسول الله نظر إلى المشركين وهم ألف وإلى أصحابه وهم ثلاثمائة فاستقبل
القبلة ومد يديه يدعو اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض فما زال
كذلك حتى سقط رداؤه فأخذه أبو بكر فألقاه على منكبه والتزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك
ربك فإنه سينجز لك ما وعدك أني ممدكم أصله بأني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه استجاب
فنصب محله وعن أبي عمرو أنه قرأ إني ممدكم بالكسر على إرادة القول أو على إجراء استجاب مجرى قال
لأن الاستجابة من القول فإن قلت هل قاتلت الملائكة يوم بدر قلت اختلف فيه فقيل نزل جبريل في خمسمائة
ملك على الميمنة وفيها أبو بكر وميكائيل في خمسمائة على الميسرة وفيها علي بن أبي طالب في صور الرجال عليهم
ثياب بيض وعمائم بيض قد أرخوا أذنابها بين أكتافهم فقاتلت وقيل قاتلت يوم بدر ولم تقاتل يوم
الأحزاب ويوم حنين وعن أبي جهل أنه قال لابن مسعود من أين كان ذلك الصوت الذي كنا نسمع ولا نرى شخصا
قال من الملائكة فقال أبو جهل هم غلبونا لا أنتم وروي أن رجلا من المسلمين بينما هو يشتد في أثر رجل من المشركين
إذ سمع صوت ضربة بالسوط فوقه فنظر إلى المشرك فقد خر مستلقيا وشق وجهه فحدث الأنصاري رسول
الله فقال صدقت ذاك من مدد السماء وعن أبي داود المازني تبعت رجلا من المشركين لأضربه يوم بدر فوقع
رأسه بين يدي قبل أن يصل إليه سيفي وقيل لم تقاتل وإنما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين وإلا
فملك واحد كاف في إهلاك أهل الدنيا كلهم فإن جبريل أهلك بريشة من جناحه مدائن قوم لوط وأهلك
بلاد ثمود وقوم صالح بصيحة واحدة وقرئ مردفين بكسر الدال وفتحها من قولك ردفه إذا تبعه ومنه قوله تعالى ردف
لكم بعض الذي تستعجلون

بمعنى ردفكم واردفته اياه اذا اتبعته ويقال ردفته كقولك اتبعته اذا جيت بعده فلا يخلو المكسور الدال
من ان يكون بمعنى متبعين بعضهم بعضا ومتبعين بعضهم لبعض فان كان بمعنى متبعين فلا يخلو من
ان يكون بمعنى متبعين بعضهم بعضا او متبعين بعضهم لبعض او بمعنى متبعين اياهم المومنين اي يتقدمونهم
فيتبعونهم انفسهم او متبعين لهم يشيعونهم ويقدمونهم بين ايديهم وهم على ساقتهم ليكونوا على اعينهم
وحفظهم او بمعنى متبعين انفسهم ملائكة آخرين او متبعين غيرهم من الملائكة ويعضد هذا الوجه قوله
تعالى في سورة آل عمران بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ومن قرا
مردفين بالفتح فهو بمعنى متبعين او متبعين وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها وتشديد الدال واصله
مرتدفين اي مترادفين او متبعين من ارتدفه فادغمت تاء الافتعال في الدال فالتقى ساكنان فحركت
الراء بالكسر على الاصل او على اتباع الدال وبالضم على اتباع الميم وعن السدي بآلاف من الملائكة على الجمع ليوافق
ما في سورة آل عمران فان قلت فبم يعتذر لمن قرا على التوحيد ولم يفسر المردفين بارداف الملائكة ملائكة اخرين
والمردفين بارتدافهم غيرهم قلت بان المراد بالالف من قاتل منهم او الوجوه منهم الذين من سواهم اتباع لهم
فان قلت الام يرجع الضمير في وما جعله قلت الى قوله اني ممدكم لان المعنى فاستجاب لكم بامدادكم فان قلت
ففيمن قرا بالكسر قلت الى قوله اني ممدكم لانه مفعول القول المضمر فهو في معنى القول ويجوز
ان يرجع الى الامداد الذي يدل عليه ممدكم الا بشرى الا بشارة لكم بالنصر كالسكينة لبني اسرائيل يعني انكم استغثتم
وتضرعتم لقلتكم وذلتكم فكان الامداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر وتسكينا منكم وربطا على قلوبكم وما النصر الا من
عند الله يريد ولا تحسبوا النصر من الملائكة فان الناصر هو الله لكم وللملائكة او وما النصر بالملائكة وغيرهم
من الاسباب الا من عند الله والمنصور من نصره الله اذ يغشيكم بدل ثان من اذ يعدكم او منصوب بالنصر
او بما في من عند الله من معنى الفعل او بما جعله الله او باضمار اذكر وقرئ يغشيكم بالتخفيف والتشديد
ونصب النعاس والضمير لله عز وجل وامنة مفعول له فان قلت اما وجب ان يكون فاعل الفعل المعلل والعلة
واحدا قلت بلى ولكن لما كان معنى يغشاكم النعاس تنعسون امنة بمعنى امنا اي لامنكم ومنه صفة لها اي امنة حاصلة
لكم من الله فان قلت فعلى غير هذه القراءة قلت يجوز ان يكون الامنة بمعنى الايمان اي ينعسكم ايمانا امنه
او على يغشيكم النعاس فتنعسون امنا فان قلت هل يجوز ان ينتصب على ان الامنة للنعاس الذي هو فاعل
يغشاكم اي يغشاكم النعاس لامنة على ان اسناد الامن الى النعاس اسناد مجازي وهو لاصحاب النعاس على الحقيقة
او على انه انامكم في وقت كان من حق النعاس في مثل ذلك الوقت المخوف ان لا يقدم على غشيانكم وانما غشيكم
امنة حاصلة من الله لولاها لم يغشكم على طريقة التمثيل والتخييل قلت لا تبعد فصاحة القرآن عن احتماله وله
فيه نظائر وقد الم به من قال يهاب النوم ان يغشى عيونا تهابك فهو نفار شرود وقرئ امنة بسكون
الميم ونظير امن امنة حيي حياة ونحو امن امنة رحم رحمة والمعنى ان ما كان بهم من الخوف كان
يمنعهم من النوم فلما طامن الله قلوبهم وامنهم رقدوا وعن ابن عباس النعاس في القتال
امنة من الله وفي الصلاة وسوسة من الشيطان وينزل قرئ بالتخفيف والتثقيل وقرا الشعبي ما ليطهركم

ليطهركم به قال ابن جني ما موصولة وصلتها حرف الجر بما جره فكانه قال ما للطهور ورجز الشيطان وسوسته
اليهم وتخويفه اياهم من العطش وقيل الجنابة لانها من تخييله وقرئ رجس الشيطان وذلك ان ابليس
تمثل لهم وكان المشركون قد سبقوهم الى الماء ونزل المومنون في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء
وناموا فاحتلم اكثرهم فقال لهم انتم يا اصحاب محمد تزعمون انكم على الحق وانكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة
وقد عطشتم ولو كنتم على حق ما غلبكم هولاء على الماء وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم العطش فاذا قطع
العطش اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من احبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا واشفقوا فانزل
الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذ رسول الله صلى الله عليه واصحابه الحياض على عدوة الوادي
وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضووا وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه
الاقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت النفوس والضمير في به للماء ويجوز ان يكون للربط لان
القلب اذا تمكن فيه الصبر والجراة ثبتت القدم في مواطن القتال اذ يوحي يجوز ان يكون بدلا ثالثا من
اذ يعدكم وان ينتصب بيثبت اني معكم مفعول يوحي وقرئ اني بالكسر على ارادة القول او على اجراء يوحي مجرى
يقول كقوله اني ممدكم والمعنى اني معينكم على التثبيت فثبتوهم وقوله سالقي فاضربوا يجوز ان يكون تفسيرا لقوله اني
معكم فثبتوا ولا معونة اعظم من القاء الرعب في قلوب الكفرة ولا تثبيت ابلغ من ضرب اعناقهم واجتماعهما غاية
النصرة ويجوز ان يكون غير تفسير وان يراد بالتثبيت ان يخطروا ببالهم ما تقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم
ونياتهم في القتال وان يظهروا ما يتيقنون به انهم ممدون بالملائكة وقيل كان الملك يتشبه
بالرجل الذي يعرفون وجهه فياتي فيقول اني سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن ويمشي
بين الصفين فيقول ابشروا فان الله ناصركم لانكم تعبدونه وهولاء لا يعبدونه وقرئ الرعب بالتثقيل
فوق الاعناق اراد اعالي الاعناق التي هي المذابح لانها مفاصل فكان ايقاع الضرب فيها حزا
وتطييرا للرووس وقيل اراد الرووس لانها فوق الاعناق يعني ضرب الهام قال واضرب هامة البطل المشيح
غشيته وهو في جاواء باسلة عضبا اصاب سواء الراس فانفلقا والبنان الاصابع يريد الاطراف والمعنى
فاضربوا المقاتل والشوى لان الضرب اما واقع على مقتل او غير مقتل فامرهم بان يجمعوا عليهم النوعين معا
ويجوز ان يكون قوله سالقي الى قوله كل بنان عقيب قوله فثبتوا الذين امنوا تلقينا للملائكة ما يثبتونهم به كانه
قال قولوا لهم قولي سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب او كانهم قالوا كيف نثبتهم فقال قولوا لهم قولي سالقي
فالضاربون على هذا هم المومنون ذلك اشارة الى ما اصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل
ومحله الرفع على الابتداء وبانهم خبره اي ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقتهم والمشاقة مشتقة من
الشق لان كلا المتعاديين في شق خلاف شق صاحبه وسئلت في المنام عن اشتقاق المعاداة فقلت لان
هذا في عدوة وذاك في عدوة كما قيل المخاصمة والمشاقة لان هذا في خصم اي جانب وذاك في خصم وهذا
في شق وذاك في شق والكاف في ذلك لخطاب الرسول او لخطاب كل احد وفي ذلكم للكفرة على طريقة
الالتفات ومحل ذلكم الرفع على ذلكم العقاب او العقاب ذلكم فذوقوه ويجوز ان يكون نصبا على عليكم ذلكم فذوقوه

ذلكم فذوقوه كقولك زيدا فاضربه وأن للكافرين عطف على ذلكم في وجهيه أو نصب على أن الواو
بمعنى مع والمعنى ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل الذي لكم في الآخرة فوضع الظاهر موضع الضمير
وقرأ الحسن وإن للكافرين بالكسر زحفا حال من الذين كفروا والزحف الجيش الدهم الذي يرى لكثرته كأنه يزحف
أي يدب دبيبا من زحف الصبي إذا دب على استه قليلا قليلا سمي بالمصدر والجمع زحوف والمعنى إذا لقيتموهم
للقتال وهم كثير جم وأنتم قليل فلا تفروا فضلا أن تدانوهم في العدد أو تساووهم أو حال من الفريقين
أي إذا لقيتموهم متزاحفين هم وأنتم أو حال من المؤمنين كأنهم أشعروا بما كان سيكون منهم يوم حنين
حين تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنا عشر ألفا وتقدمة نهي لهم عن الفرار يومئذ ومن يولهم
يومئذ أمارة عليه إلا متحرفا لقتال هو الكر بعد الفر يخيل عدوه أنه منهزم ثم يعطف عليه وهو باب
من خدع الحرب ومكايدها أو متحيزا أو منحازا إلى فئة جماعة أخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو
فيها وعن ابن عمر رضي الله عنهما خرجت سرية وأنا فيهم ففروا فلما رجعوا إلى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت
فقلنا يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل أنتم العكارون وأنا فئتكم وانهزم رجل من القادسية فأتى المدينة إلى
عمر رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين هلكت فررت من الزحف فقال عمر أنا فئتك وعن ابن عباس أن
الفرار من الزحف من أكبر الكبائر فإن قلت بم انتصب إلا متحرفا قلت على الحال وإلا لغو أو على الاستثناء من المولين
أي ومن يولهم إلا رجلا منهم متحرفا أو متحيزا وقرأ الحسن دبره بالسكون ووزن متحيز متفيعل
لا متفعل لأنه من حاز يحوز فبناء متفعل منه متحوز لما كسروا أهل مكة وقتلوا وأسروا أقبلوا على التفاخر
فكان القائل يقول قتلت وأسرت ولما طلعت قريش قال رسول الله عليه السلام هذه قريش قد جاءت بخيلائها
وفخرها يكذبون رسولك اللهم إني أسألك ما وعدتني فأتاه جبريل فقال خذ قبضة من تراب فارمهم فقال
لما التقى الجمعان لعلي رضي الله عنه أعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم فقال شاهت الوجوه
فلم يبق مشرك إلا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم فقيل لهم فلم تقتلوهم
والفاء جواب شرط محذوف تقديره إن افتخرتم بقتلهم فأنتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم لأنه هو الذي أنزل الملائكة
وألقى الرعب في قلوبهم وشاء النصر والظفر وقوى قلوبكم وأذهب عنها الفزع والجزع
وما رميت يا محمد إذ رميت ولكن الله رمى يعني أن الرمية التي رميتها لم ترمها على الحقيقة لأنك لو رميتها
لما بلغ أثرها إلا ما يبلغه أثر رمي البشر ولكنها كانت رمية الله حيث أثرت ذلك الأثر العظيم فأثبت الرمية
لرسول الله عليه السلام لأن صورتها وجدت منه ونفاها عنه لأن أثرها الذي لا يطيقه البشر فعل الله عز وعلا فكان
الله هو فاعل الرمية على الحقيقة وكأنها لم توجد من الرسول أصلا وقرئ ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى بتخفيف
لكن ورفع ما بعده وليبلي المؤمنين وليعطيهم بلاء حسنا عطاء جميلا
والمعنى وللإحسان إلى المؤمنين فعل ما فعل وما فعله إلا لذلك إن الله سميع لدعائهم عليم بأحوالهم ذلكم
إشارة إلى البلاء الحسن ومحله الرفع أي الغرض ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين معطوف على ذلكم
يعني أن الغرض إبلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وقرئ موهن بالتشديد وقرئ على الإضافة وعلى الأصل الذي هو التنوين
والإعمال إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب لأهل مكة على سبيل التهكم وذلك أنهم حين

أرادوا أن ينفروا تعلقوا بأستار الكعبة وقالوا اللهم انصر أقرانا للضيف وأوصلنا للرحم وأفكنا
للعاني إن كان محمد على حق فانصره وإن كنا على حق فانصرنا وروي أنهم قالوا اللهم انصر
أعلى الجندين وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين وروي أن أبا جهل قال اللهم أينا كان أفجر وأقطع
للرحم فأحنه اليوم أي فأهلكه وقيل إن تستفتحوا خطاب للمؤمنين وإن تنتهوا عن عداوة رسول الله فهو
خير لكم وأسلم وإن تعودوا لمحاربته نعد لنصرته عليكم وأن الله قرئ بالفتح على ولأن الله معين المؤمنين
كائنة لك وقرئ بالكسر وهو أوجه وتعضدها قراءة ابن مسعود والله مع المؤمنين وقرئ ولن يغني عنكم
بالياء للفصل ولا تولوا قرئ بطرح إحدى التاءين وإدغامها والضمير في عنه لرسول الله لأن المعنى وأطيعوا
رسول الله كقوله والله ورسوله أحق أن يرضوه لأن طاعة الرسول وطاعة الله شيء واحد من يطع الرسول
فقد أطاع الله وكان ضمير الرجوع إلى أحدهما كرجوعه إليهما كقولك الإحسان والإجمال لا ينفع في فلان
ويجوز أن يرجع إلى الأمر بالطاعة أي ولا تولوا عن هذا الأمر وامتثاله وأنتم تسمعونه أو ولا تتولوا عن رسول
الله ولا تخالفوه وأنتم تسمعون أي تصدقون لأنكم مؤمنون لستم كالصم المكذبين من الكفرة ولا تكونوا كالذين
قالوا سمعنا أي ادعوا السماع وهم لا يسمعون لأنهم ليسوا بمصدقين فكأنهم غير سامعين والمعنى أنكم
تصدقون بالقرآن والنبوة فإذا توليتم عن طاعة الرسول في بعض الأمور من قسمة الغنائم وغيرها كان
تصديقكم كلا تصديق وأشبه سماعكم سماع من لا يؤمن ثم قال إن شر الدواب أي إن شر من يدب على وجه
الأرض أو إن شر البهائم الذين هم صم عن الحق لا يعقلونه جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم شرها ولو علم
الله فيهم في هؤلاء الصم البكم خيرا أي انتفاعا باللطف لأسمعهم للطف بهم حتى يسمعوا سماع المصدقين
ثم قال ولو أسمعهم لتولوا يعني ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف فلذلك منعهم ألطافه أو ولو
لطف بهم فصدقوا لارتدوا بعد ذلك وكذبوا ولم يستقيموا وقيل هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم إلا
رجلان مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه
فقتلوا جميعا بأحد وكانوا أصحاب اللواء وعن ابن جريج هم المنافقون وعن الحسن أهل الكتاب إذا
دعاكم وحد الضمير أيضا كما وحده فيما قبله لأن استجابة رسول الله كاستجابته وإنما يذكر أحدهما مع الآخر للتوكيد
والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على باب
أبي بن كعب فناداه وهو في الصلاة فعجل في صلاته ثم جاء فقال ما منعك عن إجابتي قال كنت أصلي قال ألم تخبر فيما أوحي
إلي استجيبوا لله وللرسول قال لا جرم لا تدعوني إلا أجبتك وفيه قولان أحدهما أن هذا مما اختص به رسول الله صلى
الله عليه والثاني أن دعاءه كان لأمر لم يحتمل التأخير وإذا وقع مثله للمصلي فله أن يقطع صلاته لما يحييكم
من علوم الديانات والشرائع لأن العلم حياة كما أن الجهل موت لبعضهم لا تعجبن الجهول حليته فذاك ميت وثوبه كفن
وقيل لمجاهدة الكفار لأنهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم كقوله ولكم في القصاص حياة وقيل للشهادة لقوله
بل أحياء عند ربهم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه يعني أنه يميته فتفوته الفرصة التي هو واجدها وهي التمكن من
إخلاص القلب ومعالجة أدوائه وعلله ورده سليما كما يريده الله فاغتنموا هذه الفرصة وأخلصوا قلوبكم لطاعة

واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض تخافون ان يتخطفكم الناس فآواكم وايدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون

لله ورسوله واعلموا انكم اليه تحشرون فيثيبكم على حسب سلامة القلوب واخلاص الطاعة وقيل معناه ان الله قد يملك على العبد قلبه فيفسخ عزايمه ويغير نياته ومقاصده ويبدله بالخوف امنا وبالامن خوفا وبالذكر نسيانا وبالنسيان ذكرا وما اشبه ذلك مما هو جايز على الله عز وجل فاما ما يثاب عليه العبد ويعاقب من افعال القلوب فلا والمجبرة على انه يحول بين المرء والايمان اذا كفر وبينه وبين الكفر اذا آمن تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقيل معناه انه يطلع على كل ما يخطر المرء بباله لا يخفى عليه شي من ضمايره فكانه بينه وبين قلبه وقرى بين المرّ بتشديد الراء ووجهه انه قصد تخفيف الهمزة والقى حركتها على الراء كالخب ثم نوى الوقف على لغة من يقول مررت بعمرّ فتنة ذنبا قيل هو اقرار المنكر بين اظهرهم وقيل افتراق الكلمة وقيل فتنة عذابا وقوله لا تصيبن لا يخلو من ان يكون جوابا للامر او نهيا بعد امر او صفة لفتنة فاذا كانت جوابا فالمعنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمكم وهذا كما يحكى ان علما بني اسرايل نهوا عن المنكر تعذيرا فعمهم الله بالعذاب واذا كانت نهيا بعد امر فكانه قيل واحذروا ذنبا او عقابا ثم قيل لا تتعرضوا للظلم فيصيب العقاب او اثر الذنب ووباله من ظلم منكم خاصة وكذلك اذا جعلته صفة على ارادة القول كانه قيل واتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن ونظيره قوله

حتى اذا جن الظلام واختلط جاوا بمذق هل رايت الذيب قط اي بمذق مقول فيه هذا القول لانه سمار فيه لون الورقة التي هي لون الذيب ويعضد المعنى الاخير قراة ابن مسعود لتصيبن على جواب القسم المحذوف وعن الحسن نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير وهو يوم الجمل خاصة قال الزبير نزلت فينا وقراناها زمانا وما ارانا من اهلها فاذا نحن المعنيون بها وعن السدي نزلت في اهل بدر فاقتتلوا يوم الجمل وروي ان الزبير كان يساير النبي عليه السلام يوما اذ اقبل علي رضي الله عنه فضحك اليه الزبير فقال رسول الله كيف حبك لعلي فقال يا رسول الله بابي انت وامي اني احبه كحبي لولدي او اشد حبا قال فكيف انت اذا سرت اليه تقاتله فان قلت كيف جاز ان تدخل النون المؤكدة في جواب الامر قلت لان فيه معنى النهي اذا قلت انزل عن الدابة لا تطرحك فلذلك جاز لا تطرحنك ولا تصيبن ولا يحطمنكم فان قلت فما معنى من في قوله الذين ظلموا منكم خاصة قلت التبعيض على الوجه الاول والتبيين على الثاني لان المعنى لا تصيبنكم خاصة على ظلمكم لان الظلم منكم اقبح من ساير الناس اذ انتم نصب على انه مفعول به مذكور لا ظرف اي اذكروا وقت كونكم اقلة اذلة مستضعفين في الارض ارض مكة قبل الهجرة يستضعفكم قريش تخافون ان يتخطفكم الناس لان الناس كانوا جميعا لهم اعدا منافين مضادين فآواكم الى المدينة وايدكم بنصره بمظاهرة الانصار وبامداد الملايكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنايم لعلكم تشكرون ارادة ان تشكروا هذه النعم وعن قتادة كان هذا الحي من العرب اذل الناس واشقاهم عيشا واعراهم جلدا وابينهم ضلالا يوكلون ولا ياكلون فمكن الله لهم في البلاد ووسع لهم في الرزق والغنايم وجعلهم ملوكا معنى الخون النقص كما ان معنى الوفاء التمام ومنه تخونه اذا تنقصه ثم استعمل في ضد الامانة والوفا لانك اذا خنت الرجل في شي فقد ادخلت عليه النقصان فيه وقد استعير فقيل خان الدلو الكرب وخان المشتار السبب لانه اذا انقطع به

يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين

فكانه لم يف له ومنه قوله وتخونوا اماناتكم والمعنى لا تخونوا الله بان تعطلوا فرايضه ورسوله بان لا تستنوا به واماناتكم فيما بينكم بان لا تحفظوها وانتم تعلمون تبعة ذلك ووباله وقيل وانتم تعلمون انكم تخونون يعني ان الخيانة توجد منكم عن تعمد لا عن سهو وقيل وانتم علما تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن وروي ان النبي عليه السلام حاصر يهود قريظة احدى وعشرين ليلة فسالوا الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اذرعات واريحا من ارض الشام فابى رسول الله الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة مروان بن المنذر وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه فقالوا له ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله هو الذي يحلني فجاه فحله بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال عليه السلام يجزيك الثلث ان تتصدق به وعن المغيرة نزلت في قتل عثمان رضي الله عنه وقيل اماناتكم ما ايتمنكم الله عليه من فرايضه وحدوده فان قلت وتخونوا جزم هو ام نصب قلت يحتمل ان يكون جزما داخلا في حكم النهي وان يكون نصبا باضمار ان كقوله وتكتموا الحق وقرا مجاهد وتخونوا امانتكم على التوحيد جعل الاموال والاولاد فتنة لانهم سبب الوقوع في الفتنة وهي الاثم او العذاب او محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده وان الله عنده اجر عظيم فعليكم ان تنوطوا بطلبه وبما يودي اليه هممكم وتزهدوا في الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد حتى تورطوا انفسكم من اجلهما كقوله المال والبنون الاية وقيل هي من جملة ما نزل في ابي لبابة وما فرط منه لاجل ماله وولده فرقانا نصرا لانه يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر باذلال حزبه والاسلام باعزاز اهله ومنه قوله تعالى يوم الفرقان او بيانا وظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم وآثاركم في اقطار الارض من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اي طلع الفجر او مخرجا من الشبهات وتوفيقا وشرحا للصدور او تفرقة بينكم وبين غيركم من اهل الاديان وفضلا ومزية في الدنيا والاخرة لما فتح الله عليه ذكره مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في نجاته من مكرهم واستيلايه عليهم وما اتاح الله له من حسن العاقبة والمعنى واذكر اذ يمكرون بك وذلك ان قريشا لما اسلمت الانصار وبايعوه فرقوا ان يتفاقم امره فاجتمعوا في دار الندوة متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا شيخ من نجد ما انا من تهامة دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال ابو البختري رايي ان تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون فقال ابليس بيس الراي ياتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رايي ان تحملوه على جمل وتخرجوه من بين اظهركم فلا يضركم ما صنع واسترحتم فقال بيس الراي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تاخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا

صار ما بيضربونه ضرب رجل واحد فيتفرق دمه في القبايل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم
فاذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال الشيخ صدق هذا الفتى هو اجودكم رايا فتفرقوا على راي ابي
جهل مجمعين على قتله فاخبر جبريل رسول الله وامره ان لا يبيت في مضجعه واذن الله له في الهجرة فامر عليا رضي
الله عنه فنام في مضجعه وقال له اتشح ببردتي فانه لن يخلص اليك امر تكرهه وباتوا مترصدين فلما اصبحوا
ثاروا الى مضجعه فابصروا عليا فبهتوا وخيب الله سعيهم واقتصوا اثره فابطل مكرهم ليثبتوك ليسجنوك
او يوثقوك او يثخنوك بالضرب والجرح من قولهم ضربوه حتى اثبتوه لا حراك به ولا براح وفلان
مثبت وجعا وقرئ ليثبتوك بالتشديد وقرا النخعي ليبيتوك من البيات وعن ابن عباس ليقيدوك وهو
دليل لمن فسره بالاثبات ويمكرون ويخفون المكايد له ويمكر الله ويخفي الله ما اعد لهم حتى ياتيهم
بغتة والله خير الماكرين اي مكره انفذ من مكر غيره وابلغ تاثيرا او لانه لا ينزل الا ما هو حق وعدل ولا
يصيب الا بما هو مستوجب لو نشاء لقلنا مثل هذا نفاج منهم وصلف تحت الراعدة فانهم لم يتوانوا في
مشيتهم لو ساعدتهم الاستطاعة والا فما منعهم ان كانوا مستطيعين ان يشاءوا غلبة من تحداهم
وقرعهم بالعجز حتى يفوزوا بالقدح المعلى دونه مع فرط انفتهم واستنكافهم ان يغلبوا في باب
البيان خاصة وان يماتنهم واحد فيتعللوا بامتناع المشية ومع ما علم وظهر ظهور الشمس من حرصهم
على ان يقهروا رسول الله وتهالكهم على ان يغمروه وقيل قايله النضر بن الحارث المقتول صبرا حين سمع
اقتصاص الله احاديث القرون لو شئت لقلت مثل هذا وهو الذي جاء من بلاد فارس بنسخة
حديث رستم واسفنديار فزعم ان هذا مثل ذاك وانه من جملة تلك الاساطير وهو القايل ان
كان هذا هو الحق وهذا اسلوب من الجحود بليغ يعني ان كان القران هو الحق فعاقبنا على انكاره بالسجيل
كما فعلت باصحاب الفيل او بعذاب اخر ومراده نفي كونه حقا واذا انتفى كونه حقا لم يستوجب منكره
عذابا فكان تعليق العذاب بكونه حقا مع اعتقاد انه ليس بحق كتعليقه بالمحال في قولك ان كان الباطل
حقا فامطر علينا حجارة وقوله هو الحق تهكم بمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين هذا هو
الحق وقرا الاعمش هو الحق بالرفع على ان هو مبتدا غير فصل وهو في القراة الاولى فصل ويقال امطرت السما
كقولك اسجمت واسبلت ومطرت كقولك هتنت وهتلت وقد كثر الامطار في معنى العذاب
فان قلت ما فايدة قوله من السما والامطار لا يكون الا منها قلت كانه اراد ان يقال فامطر علينا السجيل
وهي الحجارة المسومة للعذاب فوضع حجارة من السما موضع السجيل كما تقول صب عليه مسرودة من حديد
تريد درعا او ايتنا بعذاب اليم اي بنوع اخر من جنس العذاب الاليم يعني ان امطار السجيل بعض العذاب الاليم فعذبنا به
او بنوع اخر من انواعه وعن معاوية انه قال لرجل من سبا ما اجهل قومك حين ملكوا عليهم امراة قال اجهل
من قومي قومك قالوا لرسول الله حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق فاهدنا له اللام لتاكيد النفي والدلالة على
ان تعذيبهم وانت بين اظهرهم غير مستقيم في الحكمة لان عادة الله وقضية حكمته ان لا يعذب قوما عذاب
استيصال ما دام نبيهم بين اظهرهم وفيه اشعار بانهم مرصدون بالعذاب اذا هاجر عنهم والدليل على هذا
الاشعار قوله وما لهم الا يعذبهم وانما يصح هذا بعد اثبات التعذيب كانه قال وما كان الله ليعذبهم

وانت فيهم وهو معذبهم اذا فارقتهم وما لهم الا يعذبهم وهم يستغفرون في موضع الحال ومعناه نفي الاستغفار
عنهم اي ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها
مصلحون ولكنهم لا يؤمنون ولا يستغفرون ولا يتوقع ذلك منهم وقيل معناه وما كان الله معذبهم وفيهم
من يستغفر وهم المسلمون بين اظهرهم ممن تخلف عن رسول الله من المستضعفين وما لهم الا يعذبهم
الله واي شي لهم في انتفا العذاب عنهم يعني لا حظ لهم في ذلك وهم معذبون لا محالة وكيف لا يعذبون وحالهم
انهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله عام الحديبية واخراجهم رسول الله والمومنين من
الصد وكانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء وما كانوا اولياءه وما
استحقوا مع اشراكهم وعداوتهم للدين ان يكونوا ولاة امره وارابابه ان اولياؤه الا المتقون من المسلمين
ليس كل مسلم ايضا ممن يصلح لان يلي امره انما يستاهل ولايته من كان برا تقيا فكيف بالكفرة
عبدة الاصنام ولكن اكثرهم لا يعلمون كانه استثنى من كان يعلم وهو يعاند ويطلب الرياسة او اراد
بالاكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم المكا فعال بوزن الثغا والرغا من مكا يمكو اذا صفر ومنه
المكا كانه سمي بذلك لكثرة مكايه واصله الصفة نحو الوضا والفرا وقرئ مكا بالقصر ونظيرهما
البكا والبكا والتصدية التصفيق تفعلة من الصدا او من صد يصد اذا قوم منه يصدون وقرا الاعمش
وما كان صلاتهم بالنصب على تقديم خبر كان على اسمه فان قلت ما وجه هذا الكلام قلت هو نحو قوله
وما كنت اخشى ان يكون عطاوه اداهم سودا او محدرجة سمرا والمعنى انه وضع القيود والسياط موضع
العطا ووضعوا المكا والتصدية موضع الصلاة وذلك انهم كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال
والنسا وهم مشبكون بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وكانوا يفعلون نحو ذلك اذا قرا رسول
الله في صلاته يخلطون عليه فذوقوا العذاب عذاب القتل والاسر يوم بدر بسبب كفركم وافعالكم التي لا يقدم
عليها الا الكفرة قيل نزلت في المطعمين يوم بدر كان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزاير وقيل
قالوا لكل من كانت له تجارة في العير اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا بما اصيب منا
ببدر وقيل نزلت في ابي سفيان وقد استاجر ليوم احد الفين من الاحابيش سوى من استجاش من العرب وانفق
عليهم اربعين اوقية والاوقية اثنان واربعون مثقالا ليصدوا عن سبيل الله اي كان غرضهم في الانفاق الصد
عن اتباع محمد وهو سبيل الله وان لم يكن عندهم كذلك ثم تكون عليهم حسرة اي تكون عاقبة انفاقها ندما
وحسرة فكان ذاتها تصير ندما وتنقلب حسرة ثم يغلبون اخر الامر وان كانت الحرب بينهم وبين المومنين
سجالا قبل ذلك فيرجعون طلقا كتب الله لاغلبن انا ورسلي والذين كفروا والكافرون منهم الى جهنم
يحشرون لان منهم من اسلم وحسن اسلامه ليميز الله الخبيث الفريق الخبيث من الكفار من الفريق الطيب من المومنين
فيجعل الفريق الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا عبارة عن الجمع والضم حتى يتراكبوا كقوله كادوا يكونون
عليه لبدا يعني لفرط ازدحامهم اولئك اشارة الى الفريق الخبيث وقيل ليميز المال الخبيث الذي انفقه المشركون في عداوة
رسول الله من المال الطيب الذي انفقه المسلمون كابي بكر وعثمان في نصرته فيركمه فيجعله في جهنم في جملة ما يعذبون به

قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان

به كقوله فتكوى بها جباههم وجنوبهم الآية واللام على هذا متعلقة بقوله ليكون عليهم حسرة وعلى الاول بيحشرون واولئك اشارة الى الذين كفروا وقرئ ليميز على التخفيف قل للذين كفروا من ابي سفيان واصحابه قل لاجلهم هذا القول وهو ان ينتهوا ولو كان بمعنى خاطبهم به لقيل ان تنتهوا يغفر لكم وهي قراءة ابن مسعود ونحوه وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه خاطبوا به غيرهم لاجله ليسمعوه ان ينتهوا عما هم عليه من عداوة رسول الله وقتاله بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف لهم من العداوة وان يعودوا لقتاله فقد مضت سنة الاولين منهم الذين حاق بهم مكرهم يوم بدر او فقد مضت سنة الذين تحزبوا على انبيائهم من الامم فدمروا فليتوقعوا مثل ذلك ان لم ينتهوا وقيل معناه ان الكفار اذا انتهوا عن الكفر واسلموا غفر لهم ما سلف لهم من الكفر والمعاصي وخرجوا منها كما تنسل الشعرة من العجين ومنه قوله عليه السلام الاسلام يجب ما قبله وقالوا الحربي اذا اسلم لم تبق عليه تبعة قط واما الذمي فلا يلزمه قضاء حقوق الله وتبقى عليه حقوق الآدميين وبه احتج ابو حنيفة رضي الله عنه في ان المرتد اذا اسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة في حال الردة وقبلها وفسر وان يعودوا بالارتداد وقرئ يغفر لهم على ان الضمير لله عز وجل وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة الى ان لا يوجد فيهم شرك قط ويكون الدين كله لله ويضمحل عنهم كل دين باطل ويبقى فيهم دين الاسلام وحده فان انتهوا عن الكفر واسلموا فان الله بما يعملون بصير يثيبهم على توبتهم واسلامهم وقرئ تعملون بالتاء فيكون المعنى فان الله بما تعملون من الجهاد في سبيله والدعوة الى دينه والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الاسلام بصير يجازيكم عليه احسن الجزاء وان تولوا ولم ينتهوا فان الله مولاكم اي ناصركم ومعينكم فثقوا بولايته ونصرته انما غنمتم ما موصولة ومن شيء بيانه قيل من حتى الخيط والمخيط فان لله مبتدأ خبره محذوف تقديره فحق او فواجب ان لله خمسه وروى الجعفي عن ابي عمرو فان لله بالكسر وتقويه قراءة النخعي فلله خمسه والمشهورة آكد واثبت للايجاب كانه قيل فلا بد من ثبات الخمس فيه ولا سبيل الى الاخلال به والتفريط فيه من حيث انه اذا حذف الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات كقولك ثابت واجب حق لازم وما اشبه ذلك كان اقوى لايجابه من النص على واحد وقرئ خمسه بالسكون فان قلت كيف قسمة الخمس قلت عند ابي حنيفة رحمه الله انها كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه على خمسة اسهم سهم لرسول الله وسهم لذوي قرباه من بني هاشم وبني المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل استحقوه حينئذ بالنصرة والمظاهرة لما روي عن عثمان وجبير بن مطعم انهما قالا لرسول الله هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارأيت اخواننا بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال عليه السلام انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين اصابعه وثلاثة اسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل واما بعد رسول الله فسهمه ساقط بموته وكذلك سهم ذوي القربى وانما يعطون لفقرهم فهم اسوة ساير الفقراء ولا يعطى اغنياؤهم فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل واما عند الشافعي فيقسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين

كعدة الغزاة من الكراع والسلاح ونحو ذلك وسهم لذوي القربى من اغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ الانثيين والباقي للفرق الثلاث وعند مالك بن انس الامر فيه مفوض الى اجتهاد الامام ان راى قسمه بين هؤلاء وان راى اعطاه بعضهم دون بعض وان راى غيرهم اولى واهم فغيرهم فان قلت ما معنى ذكر الله وعطف الرسول وغيره عليه قلت يحتمل ان يكون معنى لله وللرسول لرسول الله كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وان يراد بذكره ايجاب سهم سادس يصرف الى وجه من وجوه القرب وان يراد بقوله فان لله خمسه ان من حق الخمس ان يكون متقربا به اليه لا غير ثم خص من وجوه القرب هذه الخمسة تفضيلا لها على غيرها كقوله وجبريل وميكائيل فعلى الاحتمال الاول مذهب الامامين وعلى الثاني ما قال ابو العالية انه يقسم على ستة اسهم سهم لله تعالى يصرف الى رتاج الكعبة وعنه كان رسول الله عليه السلام ياخذ الخمس فيضرب بيده فيه فياخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة وهو سهم الله ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل ان سهم الله لبيت المال وعلى الثالث مذهب مالك بن انس وعن ابن عباس رضي الله عنه انه كان على ستة لله وللرسول سهمان وسهم لاقاربه حتى قبض فاجرى ابو بكر الخمس على ثلاثة وكذلك روي عن عمر ومن بعده من الخلفاء وروي ان ابا بكر رضي الله عنه منع بني هاشم الخمس وقال انما لكم ان نعطي فقيركم ونزوج ايمكم ونخدم من لا خادم له منكم فاما الغني منكم فهو بمنزلة ابن سبيل غني لا يعطى من الصدقة شيئا ولا يتيم موسر وعن زيد بن علي رضي الله عنه كذلك قال ليس لنا ان نبني منه قصورا ولا ان نركب منه البراذين وقيل الخمس كله للقرابة وعن علي رضي الله عنه انه قيل له ان الله تعالى قال واليتامى والمساكين فقال ايتامنا ومساكيننا وعن الحسن في سهم رسول الله انه لولي الامر من بعده وعن الكلبي ان الآية نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف من شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة فان قلت بم تعلق قوله ان كنتم آمنتم بالله قلت بمحذوف يدل عليه واعلموا المعنى ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا ان الخمس من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه اطماعكم واقتنعوا بالاخماس الاربعة وليس المراد بالعلم المجرد ولكنه العلم المضمن بالعمل والطاعة لامر الله لان العلم المجرد يستوي فيه المؤمن والكافر وما انزلنا معطوف على بالله اي ان كنتم آمنتم بالله وبالمنزل على عبدنا وقرئ عبدنا كقوله وعبد الطاغوت بضمتين يوم الفرقان يوم بدر والجمعان الفريقان من المسلمين والكافرين والمراد ما انزل عليه من الآيات والملائكة والفتح يومئذ والله على كل شيء قدير يقدر على ان ينصر القليل على الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم اذ بدل من يوم الفرقان والعدوة شط الوادي بالكسر والضم والفتح وقرئ بهن وبالعدية على قلب الواو ياء لان بينها وبين الكسرة حاجزا غير حصين كما في الصبية والدنيا والقصوى تانيث الادنى والاقصى فان قلت كلتاهما فعلى من بنات الواو فلم جاءت احداهما بالياء والثانية بالواو قلت القياس هو قلب الواو ياء كالعليا واما القصوى فكالقود في مجيئه على الاصل وقد جاء القصيا الا ان استعمال القصوى اكثر كما كثر استعمال استصوب مع مجيء استصاب واغيلت مع اغالت والعدوة الدنيا مما يلي المدينة والقصوى مما يلي مكة والركب اسفل منكم يعني الركب الاربعين الذين كانوا يقودون العير اسفل منكم بالساحل واسفل نصب على الظرف معناه مكانا اسفل من مكانكم وهو مرفوع

ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة
وان الله لسميع عليم اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو اراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور
واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم ليقضي الله امرا كان مفعولا

الحال لانه خبر للمبتدا فان قلت ما فايدة هذا التوقيت وذكر مراكز الفريقين وان العير كانت اسفل منهم قلت
الفايدة فيه الاخبار عن الحال الدالة على قوة شان العدو وشوكته وتكامل عدته وتمهد اسباب الغلبة له وضعف
شان المسلمين والتياث امرهم وان غلبتهم في مثل هذه الحال ليست الا صنعا من الله ودليلا على ان ذلك امر
لم يتيسر الا بحوله وقوته وباهر قدرته وذلك ان العدوة القصوى التي اناخ بها المشركون كان فيها
الماء وكانت ارضا لا باس بها ولا ماء بالعدوة الدنيا وهي خبار تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب
ومشقة وكانت العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم فكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم وتشحذ
في المقاتلة عنها نياتهم ولهذا كانت العرب تخرج الى الحرب بظعنهم واموالهم ليبعثهم الذب عن الحريم والغيرة
على الحرم على بذل جهيداهم في القتال وان لا يتركوا وراءهم ما يحدثون انفسهم بالانحياز اليه فيجمع ذلك
قلوبهم ويضبط هممهم ويوطن نفوسهم على ان لا يبرحوا مواطنهم ولا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى نجدتهم
وقصارى شدتهم وفيه تصوير ما دبر سبحانه من امر وقعة بدر ليقضي امرا كان مفعولا من اعزاز دينه واعلاء
كلمته حين وعد المسلمين احدى الطايفتين مبهمة غير مبينة حتى خرجوا ليأخذوا العير راغبين في الخروج
وشخص بقريش مرعوبين مما بلغهم من تعرض رسول الله لاموالهم حتى نفروا ليمنعوا عيرهم وسبب الاسباب
حتى اناخ هولاء بالعدوة الدنيا وهولاء بالعدوة القصوى ووراءهم العير يحامون عليها حتى قامت الحرب
على ساق وكان ما كان ولو تواعدتم انتم واهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال
لخالف بعضكم بعضا فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وثبطهم ما في قلوبهم من تهيب رسول الله والمسلمين
فلم يتفق لكم من التلاقي ما وفقه الله وسبب له ليقضي متعلق بمحذوف اي ليقضي امرا كان واجبا ان
يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه دبر ذلك وقوله ليهلك بدل منه واستعير الهلاك والحياة
للكفر والاسلام ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة لا عن مخالجة شبهة حتى لا يبقى له على الله حجة ويصدر
اسلام من اسلم ايضا عن يقين وعلم بانه دين الحق الذي يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك ان ما كان من وقعة
بدر من الايات الغر المحجلة التي من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه مغالطا لها وقرئ ليهلك بفتح اللام
وحيي بالاظهار والتضعيف لسميع عليم يعلم كيف يدبر اموركم ويسوي مصالحكم او لسميع عليم بكفر من
كفر وعقابه وبايمان من آمن وثوابه اذ يريكهم الله نصب باضمار اذكر او هو بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق
بقوله لسميع عليم اي يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك في منامك في رؤياك وذلك ان الله عز وجل اراهم اياه
في رؤياه قليلا فاخبر بذلك اصحابه فكان تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم وعن الحسن في منامك في عينك
لانها مكان النوم كما قيل للقطيفة المنامة لانه ينام فيها وهذا تفسير فيه تعسف وما احسب الرواية
صحيحة فيه عن الحسن وما يلائم علمه بكلام العرب وفصاحته لفشلتم لجبنتم وهبتم الاقدام ولتنازعتم
في الراي وتفرقت فيما تصنعون كلمتكم وترجحتم بين الثبات والفرار ولكن الله سلم اي عصم وانعم
بالسلامة من الفشل والتنازع والاختلاف انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها من الجراة والجبن والصبر
والجزع واذ يريكموهم الضميران مفعولان يعني واذ يبصركم اياهم وقليلا نصب على الحال وانما قللهم في

والى الله ترجع الامور يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون
واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين
ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما
يعملون محيط واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم
فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه

اعينهم تصديقا لرؤيا رسول الله وليعاينوا ما اخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدوا ويثبتوا قال ابن مسعود
لقد قللوا في اعيننا حتى قلت لرجل الى جنبي اتراهم سبعين قال اراهم مائة فاسرنا رجلا منهم فقلنا
كم كنتم قال الفا ويقللكم في اعينهم حتى قال قايل منهم انما هم اكلة جزور فان قلت الغرض
في تقليل الكفار في اعين المومنين ظاهر فما الغرض في تقليل المومنين في اعينهم قلت قد قللهم في
اعينهم قبل اللقاء ثم كثرهم فيها بعده ليجترؤا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجاهم الكثرة فيبهتوا
ويهابوا وتفل شوكتهم حين يرون ما لم يكن في حسابهم وتقديرهم وذلك قوله يرونهم مثليهم
راي العين ولئلا يستعدوا لهم وليعظم الاحتجاج عليهم في استيضاح الاية البينة من قلتهم
اولا وكثرتهم اخرا فان قلت باي طريق يبصرون الكثير قليلا قلت بان يستر الله عنهم بعضهم
بساتر او يحدث في عيونهم ما يستقلون به الكثير كما احدث في اعين الحول ما يرون به الواحد
اثنين قيل لبعضهم ان الاحول يرى الواحد اثنين وكان بين يديه ديك واحد فقال ما لي لا ارى هذين
الديكين اربعة اذا لقيتم فئة اذا حاربتم جماعة من الكفار وترك ان يصفها لان المومنين ما كانوا يلقون
الا الكفار واللقاء اسم للقتال غالب فاثبتوا لقتالهم ولا تفروا واذكروا الله كثيرا في مواطن
الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به داعين له على عدوكم اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم لعلكم
تفلحون لعلكم تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه اشعار بان على العبد ان لا يفتر عن ذكر ربه
اشغل ما يكون قلبا واكثر ما يكون هما وان تكون نفسه مجتمعة لذلك وان كانت متوزعة عن غيره
وناهيك بما في خطب امير المومنين في ايام صفين وفي مشاهده مع البغاة والخوارج من البلاغة والبيان
ولطايف المعاني وبليغات المواعظ والنصايح دليلا على انهم كانوا لا يشغلهم عن ذكر الله شاغل وان تفاقم
الامر ولا تنازعوا قرئ بتشديد التاء فتفشلوا منصوب باضمار ان او مجزوم لدخوله في حكم النهي ويدل عليه
قراءة من قرا وتذهب ريحكم بالتاء والنصب وقرئ ويذهب ريحكم بالياء والجزم والريح الدولة شبهت
في نفوذ امرها وتمشيه بالريح وهبوبها فقيل هبت رياح فلان اذا دالت له الدولة ونفذ امره ومنه قوله
اتنظران قليلا ريث غفلتهم ام تعدوان فان الريح للعادي وقيل لم يكن قط نصر الا بريح يبعثها الله وفي الحديث
نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور حذرهم بالنهي عن التنازع واختلاف الراي نحو ما وقع لهم باحد بمخالفتهم
رسول الله من فشلهم وذهاب ريحهم كالذين خرجوا من ديارهم هم اهل مكة حين نفروا لحماية العير فاتاهم رسول ابي
سفيان وهم بالجحفة ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فابى ابو جهل وقال حتى نقدم بدرا نشرب بها الخمور وتعزف
علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فذلك بطرهم ورياؤهم الناس باطعامهم فوافوها فسقوا
كؤوس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوايح مكان القيان فنهاهم ان يكونوا مثلهم بطرين طربين
مرائين باعمالهم وان يكونوا من اهل التقوى والكآبة والحزن من خشية الله مخلصين اعمالهم لله واذ زين
لهم الشيطان اعمالهم التي عملوها في معاداة رسول الله ووسوس اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون واوهمهم ان
اتباع خطوات الشيطان وطاعته مما يجيرهم فلما تلاقى الفريقان نكص الشيطان وتبرا منهم اي بطل كيده

وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء
دينهم ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب
الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم إن الله
قوي شديد العقاب ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم

حين نزلت جنود الله وكذا عن الحسن رحمه الله كان ذلك على سبيل الوسوسة ولم يتمثل لهم وقيل
لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت التي بينها وبين كنانة من الحرب فكاد ذلك يثنيهم فتمثل
لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الشاعر الكناني وكان من اشرافهم في جند من الشياطين
معه راية وقال لا غالب لكم اليوم واني جار لكم من بني كنانة فلما راى الملائكة تنزل نكص وقيل
كانت يده في يد الحارث بن هشام فلما نكص قال له الحارث اتخذلنا في هذه الحال فقال اني ارى
ما لا ترون ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة
فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان
وفي الحديث ما رؤي ابليس يوما اصغر ولا ادحر ولا اغيظ من يوم عرفة لما يرى من نزول
الرحمة الا ما رئي يوم بدر فان قلت هلا قيل لا غالبا لكم كما يقال لا ضاربا زيدا عندنا قلت لو كان
لكم مفعولا لغالب بمعنى لا غالبا اياكم لكان الامر كما قلت ولكنه خبر تقديره لا غالب كائن لكم
اذ يقول المنافقون بالمدينة والذين في قلوبهم مرض يجوز ان يكون من صفة المنافقين وان يراد
الذين هم على حرف ليسوا بثابتي الاقدام في الاسلام وعن الحسن هم المشركون غر هؤلاء دينهم يعنون ان
المسلمين اغتروا بدينهم وانهم يتقوون به وينصرون من اجله فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر
الى زهاء الف ثم قال جوابا لهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز غالب يسلط القليل الضعيف على
الكثير القوي ولو ترى ولو عاينت وشاهدت لان لو ترد المضارع الى معنى الماضي كما ترد ان الماضي
الى معنى الاستقبال واذ نصب على الظرف وقرئ تتوفى بالياء والتاء والملائكة رفعها بالفعل ويضربون
حال منهم ويجوز ان يكون في يتوفى ضمير الله والملائكة مرفوعة بالابتداء ويضربون خبر وعن مجاهد
ادبارهم استاههم ولكن الله كريم يكني وانما خصوهما بالضرب لان الخزي والنكال في ضربهما اشد
وبلغني عن اهل الصين ان عقوبة الزاني عندهم ان يقصر ثم يعطى الرجل القوي البطش سياطا عملت
من حديد كهيئة الطبق فيه رزانة وله مقبض فيضربه على دبره ضربة واحدة بقوته فيجمد في مكانه
وقيل يضربون ما اقبل منهم وما ادبر وذوقوا معطوف على يضربون على ارادة القول اي ويقولون ذوقوا
عذاب الحريق اي مقدمة عذاب النار او وذوقوا عذاب الآخرة بشارة لهم به وقيل كانت معهم مقامع
من حديد كلما ضربوا التهبت النار او ويقال لهم يوم القيامة ذوقوا وجواب لو محذوف اي لرأيت امرا
فظيعا منكرا ذلك بما قدمت ايديكم يحتمل ان يكون من كلام الله ومن كلام الملائكة وذلك رفع بالابتداء
وبما قدمت خبره وان الله عطف عليه اي ذلك العذاب بسببين بسبب كفركم ومعاصيكم وبان الله ليس بظلام
لان تعذيب الكفار من العدل كاثابة المؤمنين وقيل ظلام للتكثير لاجل العبيد ولان العذاب من العظم بحيث
لولا الاستحقاق لكان المعذب بمثله ظلاما بليغ الظلم متفاقمه كدأب آل فرعون الكاف في محل الرفع اي دأب هؤلاء
مثل دأب آل فرعون ودأبهم عادتهم وعملهم الذي دأبوا فيه اي داموا عليه وواظبوا والذين كفروا
تفسير لدأب آل فرعون وذلك اشارة الى ما حل بهم يعني ذلك العذاب والانتقام بسبب ان الله لم ينبغ له

ولم يصح في حكمته ان يغير نعمته عند قوم حتى يغيروا ما بهم من الحال فان قلت فما كان من تغيير آل
فرعون ومشركي مكة حتى غير الله نعمته عليهم ولم تكن لهم حال مرضية فيغيروها الى حال مسخوطة
قلت كما تغير الحال المرضية الى المسخوطة تغير الحال المسخوطة الى اسخط منها واولئك كانوا
قبل بعثة الرسول كفرة عبدة اصنام فلما بعث اليهم بالآيات البينات فكذبوه وعادوه وتحزبوا
عليه ساعين في اراقة دمه غيروا حالهم الى اسوأ مما كانت فغير الله ما انعم به عليهم من الامهال
وعاجلهم بالعذاب وان الله سميع لما يقول مكذبوا الرسل عليم بما يفعلون كدأب آل فرعون
تكرير للتأكيد وفي قوله بآيات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق وفي ذكر الاغراق بيان
للاخذ بالذنوب وكل كانوا ظالمين وكلهم من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمي انفسهم بالكفر
والمعاصي الذين كفروا فهم لا يؤمنون اي اصروا على الكفر ولجوا فيه فلا يتوقع منهم ايمان وهم بنو قريظة
عاهدهم رسول الله ان لا يمالئوا عليه فنكثوا بان اعانوا مشركي مكة بالسلاح وقالوا نسينا واخطأنا ثم
عاهدهم فنكثوا ومالئوهم معهم يوم الخندق وانطلق كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم الذين عاهدت
منهم بدل من الذين كفروا اي الذين عاهدتهم من الذين كفروا جعلهم شر الدواب لان شر الناس الكفار
وشر الكفار المصرون منهم وشر المصرين الناكثون للعهود وهم لا يتقون لا يخافون عاقبة الغدر
ولا يبالون ما فيه من العار والنار فاما تثقفنهم فاما تصادفنهم وتظفرن بهم فشرد بهم من خلفهم
ففرق عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم والنكاية فيهم من وراءهم من الكفرة حتى لا يجسر
عليك بعدهم احد اعتبارا بهم واتعاظا بحالهم وقرأ ابن مسعود فشرذ بالذال المعجمة بمعنى ففرق وكأنه
مقلوب شذر من قولهم شذر مذر ومنه الشذر الملتقط من المعدن لتفرقه وقرأ ابو
حيوة من خلفهم ومعناه فافعل التشريد من ورائهم لانه اذا شرد الذين وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء
واوقعه فيه لان الوراء جهة المشردين فاذا جعل الوراء ظرفا للتشريد فقد دل على تشريد من فيه فلم يبق فرق
بين القراءتين لعلهم يذكرون لعل المشردين من ورائهم يتعظون واما تخافن من قوم معاهدين خيانة
ونكثا بامارات تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم العهد على سواء على طريق مستو قصد وذلك
ان تظهر لهم نبذ العهد وتخبرهم اخبارا مكشوفا بينا انك قطعت ما بينك وبينهم ولا تناجزهم الحرب
وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك ان الله لا يحب الخائنين فلا يكن منك اخفاء نكث العهد
والخداع وقيل على استواء في العلم بنقض العهد وقيل على استواء في العداوة والجار والمجرور في موضع
الحال كانه قيل فانبذ اليهم ثابتا على طريق قصد سوي او حاصلين على استواء في العلم او العداوة
على انها حال من النابذ والمنبوذ اليهم معا سبقوا فاتوا وافلتوا من ان يظفر بهم انهم لا يعجزون
انهم لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وقرئ انهم بالفتح بمعنى لانهم وكل واحدة
من المكسورة والمفتوحة تعليل للجار الا ان المكسورة على طريقة الاستئناف والمفتوحة تعليل صريح وقرئ
يعجزون بالتشديد وقرأ ابن محيصن يعجزون بكسر النون وقرأ الاعمش ولا تحسب الذين كفروا بكسر

وقرا حمزة ولا يحسبن بالياء على ان الفعل للذين كفروا ... الباء وبفتحها على حذف النون الخفيفة
فيه اصله ان سبقوا فحذفت ان كقوله ومن آياته يريكم البرق واستدل عليه بقراءة ابن مسعود انهم سبقوا
وقيل وقع الفعل على انهم لا يعجزون على ان لا صلة وسبقوا في محل الحال بمعنى سابقين اي مفلتين هاربين
وقيل معناه ولا يحسبنهم الذين كفروا سبقوا فحذف الضمير وهذه الاقاويل كلها متمحلة
وليست هذه القراءة التي تفرد بها حمزة بنيرة وعن الزهري انها نزلت فيمن افلت من فل المشركين
من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب من عددها وعن عقبة بن عامر سمعت رسول الله صلى الله عليه
يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلاثا ومات عقبة عن سبعين قوسا في سبيل الله وعن عكرمة
هي الحصون والرباط اسم للخيل التي تربط في سبيل الله ويجوز ان تسمى بالرباط الذي هو بمعنى
المرابطة ويجوز ان يكون جمع ربيط كفصيل وفصال وقرا الحسن ومن ربط الخيل بضم الباء
وسكونها جمع رباط ويجوز ان يكون قوله ومن رباط الخيل تخصيصا للخيل من بين ما يتقوى
به كقوله وجبريل وميكال وعن ابن سيرين انه سئل عمن اوصى بثلث ماله في الحصون فقال يشترى به
الخيل فيربط في سبيل الله ويغزى عليها فقيل له انما اوصى في الحصون فقال الم تسمع قول الشاعر
ان الحصون الخيل لا مدر القرى ترهبون قرئ بالتخفيف والتشديد وقرا ابن عباس ومجاهد
تخزون به والضمير في به راجع الى ما استطعتم عدو الله وعدوكم هم اهل مكة وآخرين من دونهم هم
اليهود وقيل المنافقون وعن السدي هم اهل فارس وقيل كفرة الجن وجاء في الحديث ان الشيطان لا يقرب
صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق وروي ان صهيل الخيل يرهب الجن جنح له واليه اذا مال والسلم
تؤنث تانيث نقيضها وهي الحرب قال السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب تكفيك من انفاسها جرع
وقرئ بفتح السين وكسرها وعن ابن عباس ان الآية منسوخة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله وعن مجاهد بقوله
فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم والصحيح ان الامر موقوف على ما يرى فيه الامام صلاح الاسلام واهله من
حرب او سلم وليس بحتم ان يقاتلوا ابدا او يجابوا الى الهدنة ابدا وقرا الاشهب العقيلي فاجنح بضم النون
وتوكل على الله ولا تخف من ابطانهم المكر في جنوحهم الى السلم فان الله كافيك وعاصمك من مكرهم وخديعتهم
قال مجاهد نزلت في بني قريظة فان حسبك الله فان محسبك الله قال جرير اني وجدت من المكارم حسبكم ان تلبسوا
خز الثياب وتشبعوا والف بين قلوبهم التاليف بين قلوب من بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات الباهرة لان العرب
لما فيهم من الحمية والعصبية والانطواء على الضغينة في ادنى شيء والقائه بين اعينهم الى ان ينتقموا لا يكاد
ياتلف منهم قلبان ثم ائتلفت قلوبهم على اتباع رسول الله واتحدوا وانشاوا يرمون عن قوس واحدة وذلك لما نظم
الله من الفتهم وجمع من كلمتهم واحدث بينهم من التحاب والتواد واماط عنهم من التباغض والتماقت
وكلفهم من الحب في الله والبغض في الله ولا يقدر على ذلك الا من يملك القلوب فهو يقلبها كما شاء ويصنع
فيها ما اراد وقيل هم الاوس والخزرج كان بينهم من الحروب والوقائع ما اهلك ساداتهم ورؤساءهم ودق
جماجمهم ولم يكن لبغضائهم امد ومنتهى وبينهما التجاور الذي يهيج الضغائن ويديم التحاسد والتنافس

يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا
من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين
وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض
الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم

وعادت كل طائفتين كانتا بهذه المثابة ان تتجنب هذه ما آثرته اختها وتكرهه وتنفر عنه فانساهم الله ذلك
كله حتى اتفقوا على الطاعة وتصافوا وصاروا انصارا وعادوا اعوانا وما ذاك الا بلطيف صنعه وبليغ قدرته
ومن اتبعك الواو بمعنى مع وما بعده منصوب تقول حسبك وزيدا درهم ولا تجر لان عطف الظاهر المجرور
على المكني ممتنع قال فحسبك والضحاك سيف مهند والمعنى كفاك وكفى اتباعك من المؤمنين الله ناصرا
او يكون في محل الرفع اي كفاك الله وكفاك المؤمنون وهذه الآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال
وعن ابن عباس نزلت في اسلام عمر وعن سعيد بن جبير انه اسلم مع النبي عليه السلام ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة
ثم اسلم عمر فنزلت التحريض المبالغة في الحث على الامر من الحرض وهو ان ينهكه المرض ويتبالغ فيه حتى
يشفي على الموت او ان تسميه حرضا وتقول له ما اراك الا حرضا في هذا الامر ومحرضا فيه ليهيجه ويحرك منه
وقرئ حرص بالصاد غير المعجمة حكاها الاخفش من الحرص تقول حرصه وحرشه وحرضه
بمعنى وهذه عدة من الله وبشارة بان الجماعة من المؤمنين ان صبروا غلبوا عشرة امثالهم من الكفار بعون
الله وتاييده ثم قال بانهم قوم لا يفقهون اي بسبب ان الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب
ثواب كالبهائم فيقل ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله نصرته ويستحقون خذلانه خلاف من يقاتل على بصيرة
ومعه ما يستوجب به النصر والاظهار من الله وعن ابن جريج كان عليهم ان لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة
وكان رسول الله بعث حمزة في ثلاثين راكبا فلقي ابا جهل في ثلاثمائة راكب قيل ثم ثقل عليهم ذلك وضجوا منه
وذلك بعد مدة طويلة فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة في الابتدا
فلما كثروا بعد نزل التخفيف وقرئ ضعفا بالفتح والضم كالمكث والمكث والفقر والفقر وضعفاء
جمع ضعيف وقرئ الفعل المسند الى المائة بالتاء والياء في الموضعين والمراد بالضعف الضعف في البدن
وقيل في البصيرة والاستقامة في الدين وكانوا متفاوتين في ذلك فان قلت لم كرر المعنى الواحد وهو مقاومة
الجماعة لاكثر منها مرتين قبل التخفيف وبعده قلت للدلالة على ان الحال مع القلة والكثرة واحدة لا تتفاوت
لان الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة الالف وكذلك بين مقاومة المائة المائتين والالف
الالفين قرئ للنبي على التنكير وللنبي بالتعريف واسارى ويثخن بالتشديد ومعنى الاثخان كثرة القتل والمبالغة فيه من
قولهم اثخنته الجراحات اذا اثبتته حتى تثقل عليه الحركة واثخنه المرض اذا اثقله من الثخانة التي هي الغلظ
والكثافة يعني حتى يذل الكفر ويضعفه باشاعة القتل في اهله ويعز الاسلام ويقويه بالاستيلاء والقهر
ثم الاسر بعد ذلك ومعنى ما كان ما صح له وما استقام وكان هذا يوم بدر فلما كثر المسلمون نزل فاما منا بعد واما
فداء وروي ان رسول الله عليه السلام اتي بسبعين اسيرا فيهم العباس عمه وعقيل بن ابي طالب فاستشار ابا بكر فيهم فقال قومك
واهلك استبقهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها اصحابك وقال عمر كذبوك واخرجوك فقدمهم
واضرب اعناقهم فان هولاء ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان
لنسيب له فلنضرب اعناقهم فقال عليه السلام ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب
رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم

لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله إن الله غفور رحيم يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم

ومثلك يا عمر مثل نوح قال لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ثم قال لأصحابه أنتم اليوم عالة فلا يفلتن أحد منهم إلا بفداء أو ضرب عنق وروي أنه قال لهم إن شئتم قتلتموهم وإن شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل نأخذ الفداء فاستشهدوا بأحد وكان فداء الأسارى عشرين أوقية وفداء العباس أربعين أوقية وعن محمد بن سيرين كان فداؤهم مائة أوقية والأوقية أربعون درهما وستة دنانير وروي أنهم لما أخذوا الفداء نزلت الآية فدخل عمر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو وأبو بكر يبكيان فقال يا رسول الله أخبرني فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت فقال أبكي على أصحابك في أخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة وروي أنه قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ لقوله كان الإثخان في القتل أحب إلي **عرض الدنيا** حطامها سمي بذلك لأنه حدث قليل اللبث يريد الفداء **والله** يريد الآخرة يعني ما هو سبب الجنة من إعزاز الإسلام بالإثخان في القتل وقرئ يريدون بالياء وقرأ بعضهم والله يريد الآخرة بجر الآخرة على حذف المضاف وإبقاء المضاف إليه على حاله كقوله ونار توقد بالليل نارا ومعناه والله يريد عرض الآخرة على التقابل يعني ثوابها **والله عزيز** يغلب أولياءه على أعدائه ويتمكنون منهم قتلا وأسرا ويطلق لهم الفداء ولكنه حكيم يؤخر ذلك إلى أن يكثروا ويعزوا وهم يعجلون **لولا كتاب من الله سبق** لولا حكم من الله سبق إثباته في اللوح وهو أن لا يعاقب أحدا بخطأ وكان هذا خطأ في الاجتهاد لأنهم نظروا في أن استبقاءهم ربما كان سببا في إسلامهم وتوبتهم وأن فداءهم يتقوى به على الجهاد في سبيل الله وخفي عليهم أن قتلهم أعز للإسلام وأهيب لمن وراءهم وأفل لشوكتهم وقيل كتابه أنه سيحل لهم الفدية التي أخذوها وقيل إن أهل بدر مغفور لهم وقيل إنه لا يعذب قوما إلا بعد تأكيد الحجة وتقديم النهي ولم يتقدم نهي عن ذلك **فكلوا** مما غنمتم روي أنهم أمسكوا عن الغنائم ولم يمدوا أيديهم إليها فنزلت وقيل هو إباحة للفداء لأنه من جملة الغنائم واتقوا الله فلا تقدموا على شيء لم يعهد إليكم فيه **فإن قلت** ما معنى الفاء **قلت** التسبيب والسبب محذوف ومعناه قد أبحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم وحلالا نصب على الحال من المغنوم أو صفة للمصدر أي أكلا حلالا وقوله إن الله غفور رحيم معناه أنكم إذا اتقيتموه بعدما فرط منكم من استباحة الفداء قبل أن يؤذن لكم فيه غفر لكم ورحمكم وتاب عليكم **في أيديكم** في ملكتكم كأن أيديكم قابضة عليهم وقرئ من الأسرى في قلوبكم خيرا خلوص إيمان وصحة نية يؤتكم خيرا مما أخذ منكم من الفداء إما أن يخلفكم في الدنيا أضعافه أو يثيبكم في الآخرة وفي قراءة الأعمش يثبكم خيرا وعن العباس أنه قال كنت مسلما لكنهم استكرهوني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن يكن ما تذكر حقا فالله يجزيك فأما ظاهر أمرك فقد كان علينا وكان أحد الذين ضمنوا إطعام أهل بدر وخرج بالذهب لذلك وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس افد ابني أخيك عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني أتكفف قريشا ما بقيت فقال فأين الذهب الذي دفعته إلى أم الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها لا أدري ما يصيبني في وجهي هذا فإن حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال العباس وما يدريك قال أخبرني به ربي قال العباس فأنا أشهد أنك صادق وأن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه أحد إلا الله ولقد دفعته إليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في أمرك فأما إذ أخبرتني

وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم والذين آمنوا من بعد

أخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس فأبدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا إن أدناهم ليضرب في عشرين ألفا وأعطاني زمزم ما أحب أن لي بها جميع أموال أهل مكة وأنا أنتظر المغفرة من ربي وروي أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مال البحرين ثمانون ألفا فتوضأ لصلاة الظهر وما صلى حتى فرقه وأمر العباس أن يأخذ منه فأخذ ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما أخذ مني وأرجو المغفرة وقرئ مما أخذ منكم على البناء للفاعل **وإن يريدوا** خيانتك نكث ما بايعوك عليه من الإسلام والردة واستحباب دين آبائهم **فقد** خانوا الله من قبل في كفرهم به ونقض ما أخذ على كل عاقل من ميثاقه فأمكن منهم كما رأيتم يوم بدر فسيمكن منهم إن أعادوا الخيانة وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الفداء **الذين** هاجروا فارقوا أوطانهم وقومهم حبا لله ورسوله هم المهاجرون والذين آووهم إلى ديارهم ونصروهم على أعدائهم هم الأنصار **بعضهم** أولياء بعض أي يتولى بعضهم بعضا في الميراث وكان المهاجرون والأنصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون ذوي القرابات حتى نسخ ذلك بقوله وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض وقرئ من ولايتهم بالفتح والكسر أي من توليهم في الميراث ووجه الكسر أن تولي بعضهم بعضا شبه بالعمل والصناعة كأنه بتوليه صاحبه يزاول أمرا ويباشر عملا **فعليكم** النصر فواجب عليكم أن تنصروهم على المشركين **إلا على قوم** بينكم وبينهم عهد فإنه لا يجوز لكم نصرهم عليهم لأنهم لا يبتدئون بالقتال إذ الميثاق مانع من ذلك **والذين كفروا** بعضهم أولياء بعض ظاهره إثبات الموالاة بينهم كقوله في المسلمين أولئك بعضهم أولياء بعض ومعناه نهي المسلمين عن موالاة الذين كفروا وموارثتهم وإيجاب مباعدتهم ومصارمتهم وإن كانوا أقارب وأن يتركوا يتوارثون بعضهم بعضا ثم قال **إلا تفعلوه** أي إلا تفعلوا ما أمرتكم به من تواصل المسلمين وتولي بعضهم بعضا حتى في التوارث تفضيلا لنسبة الإسلام على نسبة القرابة ولم تقطعوا العلائق بينكم وبين الكفار ولم تجعلوا قرابتهم كلا قرابة تحصل فتنة في الأرض ومفسدة عظيمة لأن المسلمين ما لم يصيروا يدا واحدة على الشرك كان الشرك ظاهرا والفساد زائدا وقرئ كثير بالثاء **أولئك** هم المؤمنون حقا لأنهم صدقوا إيمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الأهل والانسلاخ من المال لأجل الدين وليس بتكرار لأن هذه الآية واردة للثناء عليهم والشهادة لهم مع الموعد الكريم والأولى للأمر بالتواصل **والذين آمنوا** من بعد يريد اللاحقين بعد السابقين إلى الهجرة كقوله والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ألحقهم بهم وجعلهم منهم تفضلا منه وترغيبا **وأولوا الأرحام** بعضهم أولى ببعض وأولوا القرابات أولى بالتوارث وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة **في كتاب الله** في حكمه وقسمته وقيل في اللوح وقيل في القرآن وهو آية المواريث وقد استدل به أصحاب أبي حنيفة على توريث ذوي الأرحام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأنفال وبراءة فأنا شفيع له يوم القيامة وشاهد أنه بريء من النفاق وأعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له أيام حياته في الدنيا

وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم

سورة التوبة مدنية وهي مائة وثلاثون وقيل تسع وعشرون آية

لها عدة أسماء براءة التوبة المقشقشة المبعثرة المشردة المخزية الفاضحة المثيرة الحافرة المنكلة المدمدمة سورة العذاب لأن فيها التوبة على المؤمنين

براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الارض اربعة اشهر واعلموا انكم غير معجزي الله وان الله مخزي الكافرين

وهي تقشقش من النفاق اي تبرئ منه وتبعثر عن اسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر
عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشرد بهم وتخزيهم وتدمدم عليهم وعن حذيفة انكم تسمونها
سورة التوبة وانما هي سورة العذاب والله ما تركت احدا الا نالت منه فان قلت هلا صدرت باية
التسمية كما في سائر السور قلت سال عن ذلك ابن عباس عثمان رضي الله عنهما فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
اذا نزلت عليه السورة قال اجعلوها في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم يبين لنا اين نضعها وكانت قصتها شبيهة بقصتها فلذلك قرنت بينهما وكانتا تدعيان
القرينتين وعن ابي بن كعب انما توهموا ذلك لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذ العهود وسئل
ابن عيينة فقال اسم الله سلام وامان فلا يكتب في النبذ والمحاربة قال الله تعالى ولا تقولوا لمن القى
اليكم السلم لست مؤمنا قيل فان النبي صلى الله عليه وسلم قد كتب الى اهل الحرب بسم الله الرحمن الرحيم
قال انما ذلك ابتداء يدعوهم ولم ينبذ اليهم الا تراه يقول سلام على من اتبع الهدى فمن دعي الى الايمان
فاجاب ودعي الى الجزية فاجاب فقد اتبع الهدى واما النبذ فانما هو البراءة وقيل سورة الانفال
والتوبة سورة واحدة كلتاهما نزلت في القتال تعدان السابعة من الطول وهي سبع وما بعدها المئون
وهذا قول ظاهر لانهما معا مائتان وست فهما بمنزلة احدى الطول وقد اختلف اصحاب رسول الله فقال
بعضهم الانفال وبراءة سورة واحدة وقال بعضهم هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان
وتركت بسم الله لقول من قال هما سورة واحدة براءة خبر مبتدا محذوف اي هذه براءة ومن لابتداء الغاية
متعلق بمحذوف وليس بصلة كما في قولك برئت من الذين والمعنى هذه براءة واصلة من الله ورسوله
الى الذين عاهدتم كما تقول كتاب من فلان الى فلان ويجوز ان يكون براءة مبتدا لتخصصها بصفتها والخبر
الى الذين عاهدتم كما تقول رجل من بني تميم في الدار وقرئ براءة بالنصب على اسمعوا براءة وقرا اهل نجران من الله بكسر
النون والوجه الفتح مع لام التعريف لكثرته والمعنى ان الله ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم
به المشركين وانه منبوذ اليهم فان قلت لم علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين قلت قد اذن الله في
معاهدة المشركين اولا فاتفق المسلمون مع رسول الله وعاهدوهم فلما نقضوا العهد اوجب الله النبذ
اليهم فخوطب المسلمون بما تجدد من ذلك فقيل لهم اعلموا ان الله ورسوله قد برئا مما عاهدتم به المشركين روي انهم
عاهدوا المشركين من اهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا الا ناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد
الى الناكثين وامروا ان يسيحوا في الارض اربعة اشهر امنين اين شاؤوا لا يتعرض لهم وهي الاشهر الحرم في قوله
فاذا انسلخ الاشهر الحرم وذلك لصيانة الاشهر الحرم من القتل والقتال فيها وكان نزولها سنة تسع من الهجرة وفتح
مكة سنة ثمان وكان الامير فيها عتاب بن اسيد فامر رسول الله ابا بكر على موسم سنة تسع ثم اتبعه عليا رضي
الله عنه راكب العضباء ليقراها على اهل الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل
مني فلما دنا علي سمع ابو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله فلما لحقه قال امير او مامور قال
مامور وروي ان ابا بكر لما كان ببعض الطريق هبط جبريل فقال يا محمد لا يبلغن رسالتك الا رجل منك فارسل
عليا فرجع ابو بكر الى رسول الله فقال يا رسول الله اشيء نزل من السماء قال نعم فسر وانت على الموسم وعلي ينادي

واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ... ورسوله

بالآي فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها
الناس اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرا عليهم ثلاثين او اربعين آية وعن مجاهد ثلاث عشرة ثم قال
امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة
وان يتم الى كل ذي عهد عهده فقالوا عند ذلك يا علي ابلغ ابن عمك انا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا
وانه ليس بيننا وبينه عهد الا طعن بالرماح وضرب بالسيوف وقيل انما امر ان لا يبلغ عنه الا رجل منه لان
العرب عادتها في نقض عهودها ان يتولى ذلك على القبيلة رجل منها فلو تولاه ابو بكر لجاز ان يقولوا هذا
خلاف ما نعرف فينا في نقض العهود فازيحت علتهم بتولية ذلك عليا رضي الله عنه فان قلت ما الاشهر الاربعة
ما هي قلت عن الزهري ان براءة نزلت في شوال فهي اربعة اشهر شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل
هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الاخر وكانت حرما لانهم اومنوا
فيها وحرم قتلهم وقتالهم او على التغليب لان ذا الحجة والمحرم منها وقيل العشر من ذي القعدة الى عشر من شهر
ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت للنسيء الذي كان فيهم ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة
فان قلت ما وجه اطباق اكثر العلماء على جواز مقاتلة المشركين في الاشهر الحرم وقد صانها الله عن ذلك قلت الواقعة
نسخ وجوب الصيانة وابيح قتال المشركين فيهما غير معجزي الله لا تفوتونه وان امهلكم وهو مخزيكم اي مذلكم في الدنيا
وفي الاخرة بالعذاب واذان ارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها ولا
وجه لقول من قال انه معطوف على براءة كما لا يقال عمرو معطوف على زيد في قولك زيد قائم وعمرو قاعد
والاذان بمعنى الايذان وهو الاعلام كما ان الامان والعطاء بمعنى الايمان والاعطاء فان قلت اي فرق
بين معنى الجملة الاولى والثانية قلت تلك اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار بوجوب الاعلام بما ثبت
فان قلت لم علقت البراءة بالذين عوهدوا من المشركين وعلق الاذان بالناس قلت لان البراءة مختصة بالمعاهدين
والناكثين منهم واما الاذان فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث
يوم الحج الاكبر يوم عرفة وقيل يوم النحر لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله من الطواف والنحر والحلق
والرمي وعن علي رضي الله عنه ان رجلا اخذ بلجام دابته فقال ما الحج الاكبر قال يومك هذا خل عن
دابتي وعن ابن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال
هذا يوم الحج الاكبر ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او جعل الوقوف بعرفة هو الحج الاكبر لانه
معظم واجباته لانه اذا فات فات الحج وكذلك ان اريد به يوم النحر لان ما يفعل فيه معظم افعال الحج فهو الحج الاكبر
وعن الحسن سمي يوم الحج الاكبر لاجتماع المسلمين والمشركين فيه وموافقته لاعياد اهل الكتاب ولم يتفق
ذلك قبله ولا بعده فعظم في قلب كل مؤمن وكافر حذفت الباء التي هي صلة الاذان تخفيفا وقرئ
ان الله بالكسر لان الاذان في معنى القول ورسوله عطف على المنوي في بريء او على ان المكسورة واسمها
وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع اي بريء معه منهم وبالجر على الجوار وقيل على القسم كقوله لعمرك
ويحكى ان اعرابيا سمع رجلا يقرؤها فقال ان كان الله بريئا من رسوله فانا منه بريء فلببه الرجل الى عمر فحكى الاعرابي

لبب الرجل تلبيبا اذا جمع ثيابه عند صدره ونحره في الخصومة ثم جره

إلا الذين عاهدتم من المشركين ... فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون

قراءته بعدها أمر عظيم يتعلم العربية فإن تبتم من الكفر والغدر فهو خير لكم وإن توليتم عن التوبة
أو ثبتم على التولي والإعراض عن الإسلام والوفاء فاعلموا أنكم غير سابقي الله ولا فائتين أخذه
وعقابه فإن قلت مم استثنى قوله إلا الذين عاهدتم قلت وجهه أن يكون مستثنى من قوله فسيحوا
في الأرض لأن الكلام خطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا
لهم سيحوا إلا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقضوا فأتموا إليهم عهدهم والاستثناء بمعنى الاستدراك
كأنه قيل بعد أن أمروا في الناكثين ولكن الذين لم ينكثوا فأتموا إليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم
ولا تجعلوا الوفي كالغادر إن الله يحب المتقين يعني أن قضية التقوى أن لا يسوى بين القبيلين فاتقوا
الله في ذلك لم ينقصوكم شيئا لم يقتلوا منكم أحدا ولم يضروكم قط ولم يظاهروا ولم يعاونوا عليكم عدوا كما عدت
بنو بكر على خزاعة عيبة رسول الله وظاهرتهم قريش بالسلاح حتى وفد عمرو بن سالم الخزاعي
على رسول الله فأنشده: لاهم إني ناشد محمدا * حلف أبينا وأبيك الأتلدا * إن قريشا أخلفوك
الموعدا * ونقضوا ذمامك المؤكدا * هم بيتونا بالحطيم هجدا * وقتلونا ركعا وسجدا *
فقال عليه السلام لا نصرت إن لم أنصركم وقرئ لم ينقضوكم بالضاد معجمة أي لم ينقضوا عهدكم
ومعنى فأتموا إليهم فأدوه إليهم تاما كاملا قال ابن عباس بقي لحي من كنانة من عهدهم تسعة أشهر
فأتم إليهم عهدهم انسلخ الشهر كقولهم انجرد الشهر وسنة جرداء والأشهر الحرم التي أبيح فيها للناكثين
أن يسيحوا فاقتلوا المشركين يعني الذين نقضوكم وظاهروا عليكم حيث وجدتموهم من حل أو حرم وخذوهم
وأسروهم والأخيذ الأسير واحصروهم وقيدوهم وامنعوهم من التصرف في البلاد وعن ابن عباس
حصرهم أن يحال بينهم وبين المسجد الحرام كل مرصد كل ممر ومجتاز ترصدونهم به وانتصابه على الظرف
كقوله لأقعدن لهم صراطك المستقيم فخلوا سبيلهم فأطلقوا عنهم بعد الأسر والحصر أو فكفوا عنهم
ولا تتعرضوا لهم كقوله: خل السبيل لمن يبني المنار به * وعن ابن عباس رضي الله عنه دعوهم وإتيان المسجد
الحرام إن الله غفور رحيم يغفر لهم ما سلف منهم من الكفر والغدر أحد مرتفع بفعل الشرط مضمر يفسره
الظاهر تقديره وإن استجارك أحد استجارك ولا يرتفع بالابتداء لأن إن من عوامل الفعل لا تدخل على
غيره والمعنى وإن جاءك أحد من المشركين بعد انقضاء الأشهر لا عهد بينك وبينه ولا ميثاق فاستأمنك
ليسمع ما تدعو إليه من التوحيد والقرآن وتبين ما بعثت له فأمنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع
على حقيقة الأمر ثم أبلغه بعد ذلك داره التي يأمن فيها إن لم يسلم ثم قاتله إن شئت من غير غدر ولا
خيانة وهذا الحكم ثابت في كل وقت وعن الحسن هي محكمة إلى يوم القيمة وعن سعيد بن جبير جاء رجل
من المشركين إلى علي رضي الله عنه فقال إن أراد الرجل منا أن يأتي محمدا بعد انقضاء هذا الأجل يسمع كلام الله أو يأتيه لحاجة
قتل فقال علي لا لأن الله تعالى يقول وإن أحد من المشركين استجارك فأجره وعن السدي والضحاك هي منسوخة بقوله
فاقتلوا المشركين ذلك أي ذلك الأمر يعني الأمر بالإجارة في قوله فأجره بسبب أنهم قوم جهلة لا يعلمون ما الإسلام
وما حقيقته

كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله إنهم ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون فإن تابوا وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فإخوانكم في الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم ...

وما حقيقة ما تدعو إليه فلا بد من إعطائهم الأمان حتى يسمعوا ويفهموا الحق كيف استفهام في معنى الإنكار
والاستبعاد لأن يكون للمشركين عهد عند رسول الله وهم أضداد وغرة صدورهم يعني محال
أن يثبت لهؤلاء عهد فلا تطمعوا في ذلك ولا تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا في قتلهم ثم استدرك ذلك
بقوله إلا الذين عاهدتم أي ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام ولم يظهر منهم نكث كبني كنانة وبني
ضمرة فتربصوا أمرهم ولا تقاتلوهم فما استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم على مثله إن الله يحب
المتقين يعني أن التربص بهم من أعمال المتقين كيف تكرار لاستبعاد ثبات المشركين على العهد وحذف الفعل
لكونه معلوما كما قال: وخبرتماني إنما الموت بالقرى * فكيف وهاتا هضبة وقليب * يريد فكيف
مات أي كيف يكون لهم عهد وحالهم أنهم إن يظهروا عليكم بعد ما سبق لهم من تأكيد الأيمان والمواثيق لم ينظروا
في حلف ولا عهد ولم يبقوا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا لا يراعوا حلفا وقيل قرابة وأنشد لحسان:
لعمرك إن إلك من قريش * كإل السقب من رأل النعام * وقيل إلا إلها وقرئ إيلا بمعناه
وقيل جبرئيل وجبر إل من ذلك وقيل منه اشتق الإل بمعنى القرابة كما اشتقت الرحم من الرحمن
والوجه أن اشتقاق الإل بمعنى الحلف لأنهم إذا تحالفوا رفعوا به أصواتهم وشهروه
من الأل وهو الجؤار وله أليل أي أنين يرفع به صوته ودعت ألليها إذا ولولت ثم قيل لكل
عهد وميثاق إل وسميت به القرابة لأن القرابة عقدت بين الرجلين ما لا يعقده الميثاق يرضونكم كلام مبتدأ
في وصف حالهم من مخالفة الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد وإباء القلوب مخالفة
ما فيها من الأضغان لما يجرونه على ألسنتهم من الكلام الجميل وأكثرهم فاسقون متمردون خلعاء لا
مروءة تزعهم ولا شمائل مرضية تردعهم كما يوجد ذلك في بعض الكفرة من التفادي عن الكذب والنكث والتعفف
عما يثلم العرض ويجر أحدوثة السوء اشتروا استبدلوا بآيات الله بالقرآن والإسلام ثمنا قليلا وهو اتباع
الأهواء والشهوات فصدوا عن سبيله فعدلوا عنه أو صرفوا غيرهم وقيل هم الأعراب الذين جمعهم أبو سفيان وأطعمهم
هم المعتدون المجاوزون الغاية في الظلم والشرارة فإن تابوا عن الكفر ونقض العهد فإخوانكم فهم إخوانكم
على حذف المبتدأ كقوله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم ونفصل الآيات ونبينها وهذا اعتراض كأنه قيل وإن من تأمل
تفصيلها فهو العالم بعثا وتحريضا على تأمل ما فصل من أحكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها وطعنوا
في دينكم وثلبوه وعابوه فقاتلوا أئمة الكفر فقاتلوهم فوضع أئمة الكفر موضع ضميرهم إشعارا بأنهم إذا نكثوا
في حال الشرك تمردا وطغيانا وطرحا لعادات الكرام الأوفياء من العرب ثم آمنوا وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة
وصاروا إخوانا للمسلمين في الدين ثم رجعوا فارتدوا عن الإسلام ونكثوا ما بايعوا عليه من الإيمان والوفاء بالعهود
وقعدوا يطعنون في دين الله ويقولون ليس دين محمد بشيء فهم أئمة الكفر وذوو الرياسة والتقدم فيه لا يشق
كافر غبارهم وقالوا إذا طعن الذمي في دين الإسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لأن العهد معقود معه على
أن لا يطعن فإذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة إنهم لا أيمان لهم جمع يمين وقرئ لا إيمان لهم
أي لا إسلام لهم ولا يعطون الأمان بعد الردة والنكث ولا سبيل إليه فإن قلت كيف أثبت لهم الأيمان في قوله وإن نكثوا

في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون

ايمانهم ثم نقضوها عنهم قلت اراد ايمانهم التي اظهروها ثم قال لا ايمان لهم على الحقيقة وايمانهم ليست بايمان وبه استشهد ابو حنيفة رحمه الله على ان يمين الكافر لا يكون يمينا وعند الشافعي رحمه الله يمينهم يمين وقال معناه لا يوفون بها بدليل انه وصفها بالنكث لعلهم ينتهون متعلق بقوله فقاتلوا ائمة الكفر اي ليكن غرضكم في مقاتلتهم بعدما وجد منهم ما وجد من العظايم ان يكون المقاتلة سببا في انتهائهم عما هم عليه وهذا من غاية كرمه وفضله وعوده على المسيء بالرحمة كلما عاد فان قلت كيف لفظ ايمة قلت همزة بعدها همزة بين بين اي بين مخرج الهمزة والياء وتحقيق الهمزتين قراءة مشهورة وان لم تكن مقبولة عند البصريين واما التصريح بالياء فليس بقراءة ومن صرح بها فهو لاحن محرف الا تقاتلون دخلت الهمزة على لا تقاتلون تقريرا بانتفاء المقاتلة ومعناه الحض عليها على سبيل المبالغة نكثوا ايمانهم التي حلفوها في المعاهدة وهموا باخراج الرسول من مكة حين تشاوروا في امره بدار الندوة حتى اذن الله له في الهجرة فخرج بنفسه وهم بدءوكم اول مرة اي وهم الذين كانت منهم البداءة بالمقاتلة لان رسول الله جاءهم اولا بالكتاب المنير وتحداهم به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها الى القتال فهم البادئون بالقتال والبادي اظلم فما يمنعكم ان تقابلوهم بمثله وان تصدموهم بالشر كما صدموكم وبخهم بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها وتقرر ان من كان في مثل صفاتهم من نكث العهد واخراج الرسول والبدء بالقتال من غير موجب حقيق بان لا تترك مصادمته وان يوبخ من فرط فيها اتخشونهم تقرير بالخشية منهم وتوبيخ عليها فالله احق ان تخشوه فقاتلوا اعداءه ان كنتم مؤمنين يعني ان قضية الايمان الصحيح ان لا يخشى المؤمن الا ربه ولا يبالي بمن سواه كقوله ولا يخشون احدا الا الله لما وبخهم الله على ترك القتال جرد لهم الامر به فقال قاتلوهم ووعدهم ليثبت قلوبهم ويصحح نياتهم انه يعذبهم بايديكم قتلا ويخزيهم اسرا ويوليكم النصر والغلبة عليهم ويشف صدور طائفة من المؤمنين وهم خزاعة قال ابن عباس هم بطون من اليمن وسبأ قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فبعثوا الى رسول الله يشكون اليه فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما لقيتم من المكروه وقد حصل الله لهم هذه المواعيد كلها فكان دليلا على صدق رسول الله وصحة نبوته ويتوب الله على من يشاء ابتداء كلام واخبار بان بعض اهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك ايضا فقد اسلم ناس منهم وحسن اسلامهم وقرئ ويتوب بالنصب باضمار ان ودخول التوبة في جملة ما اجيب به الامر من طريق المعنى والله عليم يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد كان حكيم لا يفعل الا ما اقتضته الحكمة ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على وجود الحسبان والمعنى انكم لا تتركون على ما انتم عليه حتى يتبين المخلص منكم وهم الذين جاهدوا في سبيل الله لوجه الله ولم يتخذوا وليجة اي بطانة من الذين يضادون رسول الله والمؤمنين ولما معناها التوقع وقد دلت على ان تبين ذلك وايضاحه متوقع كائن وان الذين لم يخلصوا دينهم لله يميز بينهم وبين المخلصين وقوله ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا داخل في حيز الصلة كانه قيل ولما يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله والوليجة فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل والمراد

بنفي العلم نفي المعلوم كقول القائل ما علم الله مني ما قيل فيّ يريد ما وجد ذلك مني ما كان للمشركين ما صح لهم وما استقام ان يعمروا مساجد الله يعني المسجد الحرام لقوله وعمارة المسجد الحرام واما القراءة بالجمع ففيها وجهان احدهما ان يراد المسجد الحرام وانما قيل مساجد لانه قبلة المساجد كلها وامامها فعامره كعامر جميع المساجد ولان كل بقعة منه مسجد والثاني ان يراد جنس المساجد واذا لم يصلحوا لان يعمروا جنسها دخل تحت ذلك ان لا يعمروا المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس ومقدمته وهو اكد لان طريقه طريق الكناية كما لو قلت فلان لا يقرأ كتب الله كنت انفى لقراءته القرآن من تصريحك بذلك شاهدين حال من الواو في يعمروا والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله وبعبادته ومعنى شهادتهم على انفسهم بالكفر ظهور كفرهم وانهم نصبوا اصنامهم حول البيت وكانوا يطوفون عراة ويقولون لا نطوف عليها بثياب قد اصبنا فيها المعاصي وكلما طافوا شوطا سجدوا لها وقيل هو قولهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وقيل قد اقبل المهاجرون والانصار على اسارى بدر فعيروهم بالشرك وطفق علي بن ابي طالب يوبخ العباس بقتال رسول الله وقطيعة الرحم واغلظ له في القول فقال العباس تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقالوا او لكم محاسن قالوا نعم ونحن افضل منكم اجرا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت حبطت اعمالهم التي هي العمارة والحجابة والسقاية وفك العناة واذا هدم الكفر او الكبيرة الاعمال الثابتة الصحيحة اذا تعقبتها فما ظنك بالمقارن والى ذلك اشار في قوله شاهدين حيث جعله حالا عنهم ودل على انهم قارنون بين العمارة والشهادة بالكفر على انفسهم في حال واحدة وذلك محال غير مستقيم انما يعمر مساجد الله وقرئ بالتوحيد اي انما يستقيم عمارة هؤلاء وتكون معتدا بها والعمارة تتناول رم ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وتعظيمها واعتيادها للعبادة والذكر ومن الذكر درس العلم بل هو اجله واعظمه وصيانتها مما لم تبن له المساجد من احاديث الدنيا فضلا عن فضول الحديث وعن النبي صلى الله عليه يأتي في اخر الزمان ناس من امتي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وفي الحديث الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش وقال عليه السلام قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وعنه من الف المسجد الفه الله وقال عليه السلام اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان وعن انس رضي الله عنه من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش تستغفر له ما دام في ذلك المسجد ضوؤه فان قلت هلا ذكر الايمان برسول الله قلت لما علم وشهر ان الايمان بالله قرينته الايمان بالرسول لاشتمال كلمة الشهادة والاذان والاقامة وغيرها عليهما مقترنين مزدوجين كانهما شيء واحد غير منفك احدهما عن صاحبه انطوى تحت ذكر الايمان بالله الايمان بالرسول وقيل دل عليه بذكر اقامة الصلاة وايتاء الزكاة فان قلت كيف قيل ولم يخش الا الله والمؤمن يخشى المحاذير ولا يتمالك ان لا يخشاها قلت هي الخشية والتقوى في ابواب الدين وان لا يختار على رضا الله رضا غيره لتوقع مخوف واذا اعترضه امران احدهما حق الله والاخر حق نفسه ان يخاف الله فيؤثر حق الله على حق نفسه

ظهور ان يخاف الله ط والسداد
ولم يخاف الله اذا اعترضه امران

... وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله
لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة
عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم

خوف الله على خوف نفسه وقيل كانوا يخشون الأصنام ويرجونها فأريد نفي تلك الخشية عنهم فعسى أولئك
أن يكونوا من المهتدين ذكره بصيغة التوقع قطعا لأطماع المشركين عن مواقف الاهتداء والانتفاع بأعمالهم
التي استعظموها وافتخروا بها وأملوا عاقبتها بأن الذين آمنوا وضموا إلى إيمانهم العمل بالشرائع
مع استشعار الخشية والتقوى اهتداؤهم دائر بين عسى ولعل فما بال المشركين يقطعون أنهم
مهتدون ونائلون عند الله الحسنى وفي هذا الكلام ونحوه لطف للمؤمنين في ترجيح الخشية على الرجاء
ورفض الاغترار بالله. السقاية والعمارة مصدرا سقى وعمر كالصيانة والوقاية ولا بد من مضاف
محذوف تقديره أجعلتم أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله ويصدقه قراءة ابن الزبير وأبي وجزة
السعدي وكان من القراء سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام والمعنى إنكار أن يشبه المشركون
بالمؤمنين وأعمالهم المحبطة بأعمالهم المثبتة وأن يسوى بينهم وجعل تسويتهم ظلما بعد
ظلمهم بالكفر وروي أن المشركين قالوا لليهود نحن سقاة الحجيج وعمار المسجد الحرام أفنحن
أفضل أم محمد وأصحابه فقالت لهم اليهود أنتم أفضل وقيل إن عليا قال للعباس يا عم ألا تهاجرون ألا تلحقون
برسول الله فقال ألست في أفضل من الهجرة أسقي حاج بيت الله وأعمر المسجد الحرام فلما نزلت
قال العباس ما أراني إلا تارك سقايتنا فقال عليه السلام أقيموا على سقايتكم فإن لكم فيها خيرا
أعظم درجة عند الله من أهل السقاية والعمارة عندكم وأولئك هم الفائزون لا أنتم والمختصون
بالفوز دونكم فقرئ يبشرهم ربهم بالتخفيف والتثقيل وتنكير المبشر به لوقوعه وراء صفة
الواصف وتعريف المعرف وعن ابن عباس هي في المهاجرين خاصة كان قبل فتح مكة من
آمن لم يتم إيمانه إلا بأن يهاجر ويصارم أقاربه الكفرة ويقطع موالاتهم فقالوا يا رسول الله إن
نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين قطعنا آباءنا وأبناءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا وهلكت
أموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت فهاجروا فجعل الرجل يأتيه ابنه أو أبوه أو أخوه أو
بعض أقاربه فلا يلتفت إليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم بعد ذلك وقيل نزلت في التسعة الذين
ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى الله عن موالاتهم وعن النبي عليه السلام لا يطعم أحدكم طعم الإيمان حتى يحب الله ويبغض
في الله حتى يحب في الله أبعد الناس ويبغض في الله أقرب الناس إليه وقرئ عشيراتكم وعشائركم وقرأ الحسن عشائركم
فتربصوا حتى يأتي الله بأمره وعيد عن ابن عباس هو فتح مكة وعن الحسن عقوبة عاجلة أو آجلة وهذه
آية شديدة لا ترى أشد منها كأنها تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبل اليقين فلينصف
أورع الناس وأتقاهم من نفسه هل يجد عنده من التصلب في ذات الله والثبات على دين الله ما يستحب
له دينه على الآباء والأبناء والإخوان والعشائر والمال والمساكن وجميع حظوظ الدنيا ويتجرد منها
لأجله أم يزوي الله عنه أحقر شيء منها لمصلحته فلا يدري أي طرفيه أطول ويغويه الشيطان عن أجل
حظ من حظوظ الدين فلا يبالي كأنما وقع على أنفه ذباب فطيره. مواطن الحرب مقاماتها ومواقفها وقال
وكم موطن لولاي طحت كما هوى بأجرامه من قلة النيق منهوي وامتناعه من الصرف لأنه جمع على
صيغة لم يأت عليها واحد والمواطن الكثيرة وقعات بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر

وفتح مكة. فإن قلت كيف عطف الزمان على المكان وهو يوم حنين على المواطن قلت معناه وموطن يوم حنين أو
في أيام مواطن كثيرة ويوم حنين ويجوز أن يراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين على أن الواجب أن يكون
يوم حنين منصوبا بفعل مضمر لا بهذا الظاهر وموجب ذلك أن قوله إذ أعجبتكم بدل من يوم حنين فلو
جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح لأن كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن ولم يكونوا كثيرا في جميعها
فبقي أن يكون ناصبه فعلا خاصا به إلا إذا نصبت إذ بإضمار اذكر وحنين واد بين مكة والطائف
كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر ألفا الذين حضروا فتح مكة منضما إليهم ألفان من
الطلقاء وبين هوازن وثقيف وهم أربعة آلاف فيمن ضامهم من إمداد سائر العرب وكانوا الجم الغفير
فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله وقيل قائلها رسول الله وقيل
أبو بكر وذلك قوله إذ أعجبتكم كثرتكم فاقتتلوا قتالا شديدا وأدركت المسلمين كلمة الإعجاب بالكثرة
وزل عنهم أن الله هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله وحده وهو ثابت
في مركزه لا يتحلحل ليس معه إلا عمه العباس آخذا بلجام دابته وأبو سفيان بن الحارث ابن عمه وناهيك
بهذه الواحدة شهادة صدق على تناهي شجاعته ورباطة جأشه وما هي إلا من آيات النبوة وقال يا رب
ائتني بما وعدتني وقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى الأنصار فخذا فخذا ثم نادى
يا أصحاب الشجرة يا أصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا وهم يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة عليهم
الثياب البيض على خيول بلق فنظر رسول الله إلى قتال المسلمين فقال هذا حين حمي الوطيس ثم أخذ كفا من
تراب فرماهم به ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا قال العباس لكأني أنظر إلى رسول الله عليه السلام يركض
خلفهم على بغلته. بما رحبت ما مصدرية والباء بمعنى مع أي مع رحبها وحقيقته ملتبسة برحبها على أن الجار
والمجرور في موضع الحال كقولك دخلت عليه بثياب السفر أي ملتبسا بها لم أحلها تعني مع ثياب السفر والمعنى
لا تجدون موضعا تستصلحونه لهربكم إليه ونجاتكم لفرط الرعب فكأنها ضاقت عليكم ثم وليتم مدبرين منهزمين
سكينته رحمته التي سكنوا بها وأمنوا وأنزل جنودا يعني الملائكة وكانوا ثمانية آلاف وقيل خمسة آلاف وقيل
ستة عشر ألفا وعذب الذين كفروا بالقتل والأسر وسبي النساء والذراري ثم يتوب الله أي يسلم بعد ذلك
ناس منهم روي أن ناسا منهم جاءوا فبايعوا رسول الله على الإسلام وقالوا يا رسول الله أنت خير الناس
وأبر الناس وقد سبي أهلونا وأولادنا وأخذت أموالنا قيل سبي يومئذ ستة آلاف نفس وأخذ
من الإبل والغنم ما لا يحصى فقال إن عندي ما ترون إن خير القول أصدقه اختاروا إما ذراريكم
ونساءكم وإما أموالكم قالوا ما كنا نعدل بالأحساب شيئا فقام رسول الله فقال إن هؤلاء جاءوا مسلمين وإنا
خيرناهم بين الذراري والأموال فلم يعدلوا بالأحساب شيئا فمن كان بيده سبي وطابت نفسه أن يرده
فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه قالوا رضينا وسلمنا
فقال إني لا أدري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك إلينا فرفعت إليه العرفاء
أن قد رضوا. النجس مصدر نجس نجسا وقذر قذرا ومعناه ذو نجس لأن معهم الشرك

فلا يقربوا المسجد الحرام [illegible] لا يؤمنون بالله
ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون

الذي هو بمنزلة النجس او لانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة
لهم او جعلوا كانهم النجاسة بعينها مبالغة في وصفهم بها وعن ابن عباس اعيانهم نجسة كالكلاب
والخنازير وعن الحسن من صافح مشركا توضا واهل المذاهب على خلاف هذين القولين وقرئ
نجس بكسر النون وسكون الجيم على تقدير حذف الموصوف كانه قيل انما المشركون جنس نجس او ضرب
نجس واكثر ما جاء تابعا لرجس وهو تخفيف نجس نحو كبد في كبد فلا يقربوا المسجد الحرام
فلا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلون في الجاهلية بعد عامهم هذا يعني عام هذا وهو عام تسع
من الهجرة حين امر ابو بكر رضي الله عنه على الموسم وهو مذهب ابي حنيفة رضي الله عنهم ويدل عليه قول
علي صلوات الله عليه حين نادى ببراءة الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يمنعون من دخول الحرم
والمسجد الحرام وساير المساجد عندهم وعند الشافعي يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك
يمنعون منه ومن غيره من المساجد وعن عطاء ان المراد بالمسجد الحرام الحرم وان على المسلمين ان
لا يمكنوهم من دخوله ونهي المشركين ان يقربوه راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم منه وقيل المراد ان
يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك وان خفتم عيلة اي فقرا بسبب
منع المشركين من الحج وما كان لكم في قدومهم عليكم من الارفاق والمكاسب فسوف يغنيكم
الله من فضله من عطائه او من تفضله بوجه آخر فارسل السماء عليهم مدرارا اغزر بها خيرهم واكثر ميرهم
واسلم اهل تبالة وجرش فحملوا الى مكة الطعام وما يعاش به فكان ذلك اعود عليهم مما خافوا العيلة
لفواته وعن ابن عباس القى الشيطان في قلوبهم الخوف وقال من اين تاكلون فامرهم الله بقتال اهل الكتاب
واغناهم بالجزية وقيل بفتح البلاد والغنائم وقرئ عائلة بمعنى المصدر كالعافية او حال عائلة
ومعنى قوله ان شاء ان اوجبت الحكمة اغناكم وكان مصلحة لكم في دينكم ان الله عليم باحوالكم حكيم
لا يعطي ولا يمنع الا عن حكمة وصواب من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين مع ما في حيزه نفى عنهم الايمان بالله لان
اليهود مثنية والنصارى مثلثة وايمانهم باليوم الاخر لانهم فيه على خلاف ما يجب ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله
لانهم لا يحرمون ما حرم في الكتاب والسنة وعن ابي روق لا يعملون بما في التورية والانجيل ولا يدينون دين الحق
وان يعتقدوا دين الاسلام الذي هو الحق وما سواه الباطل وقيل دين الله يقال فلان يدين بكذا اذا اتخذه دينه ومعتقده
سميت جزية لانها طايفة مما على اهل الذمة ان يجزوه اي يقضوه او لانهم يجزون بها من منّ عليهم بالاعفاء
عن القتل عن يد اما ان تراد يد المعطي والاخذ فمعناه على ارادة يد المعطي حتى يعطوها عن يد اي عن يد
مواتية غير ممتنعة لان من ابى وامتنع لم يعط يده بخلاف المطيع المنقاد ولذلك قالوا اعطى بيده اذا انقاد
واصحب الا ترى الى قولهم نزع يده عن الطاعة كما يقال خلع ربقة الطاعة عن عنقه او حتى يعطوها
عن يد الى يد نقدا غير نسيئة لا مبعوثا على يد احد واما على ارادة يد الاخذ فمعناه حتى يعطوها عن يد
قاهرة مستولية او عن انعام عليهم لان قبول الجزية منهم وترك ارواحهم لهم نعمة عظيمة عليهم وهم
صاغرون اي تؤخذ منهم على الصغار والذل وهو ان ياتي بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قايم

وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله
انى يؤفكون اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو

216

والمسلم جالس وان يتلتل تلتلة ويؤخذ بتلبيبه ويقال له اد الجزية وان كان يؤديها ويزخ في قفاه وتسقط
بالاسلام عند ابي حنيفة ولا يسقط خراج الارض واختلف فيمن تضرب عليه فعند ابي حنيفة تضرب على كل كافر
من ذمي ومجوسي وصابئ وحربي الا على مشركي العرب وحدهم لما روى الزهري ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم صالح عبدة الاوثان على الجزية الا من كان من العرب وقال لاهل مكة هل لكم في كلمة اذا قلتموها دانت لكم
بها العرب وادت اليكم الجزية العجم وعند الشافعي لا تؤخذ من مشركي العجم والماخوذ عند ابي حنيفة في
اول كل سنة من الفقير الذي له كسب اثنا عشر درهما ومن المتوسط في الغنى ضعفها ومن المكثر ضعف
الضعف ثمانية واربعون ولا تؤخذ من فقير لا كسب له وعند الشافعي يؤخذ في اخر السنة من كل واحد
دينار فقيرا كان او غنيا كان له كسب او لم يكن عزير ابن الله مبتدا وخبر كقوله المسيح ابن الله وعزير اسم عجمي
كعازر وعيزار وعزرائيل ولعجمته وتعريفه امتنع صرفه ومن نون فقد جعله عربيا واما قول من
قال سقوط التنوين لالتقاء الساكنين كقراءة من قرا احد الله او لان الابن وقع وصفا والخبر محذوف وهو
معبودنا فتمحل عنه مندوحة وهو قول ناس من اليهود ممن كان بالمدينة وما هو بقول كلهم عن ابن عباس
جاء رسول الله عليه السلام سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وقيل قاله
فنحاص وسبب هذا القول ان اليهود قتلوا الانبياء بعد موسى عليه السلام فرفع الله عنهم التورية ومحاها من قلوبهم
فخرج عزير وهو غلام يسيح في الارض فاتاه جبريل فقال له الى اين تذهب قال اطلب العلم فحفظه التورية
فاملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا ما جمع الله التورية في صدره وهو غلام الا انه ابنه
والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الاية تليت عليهم فما انكروا ولا كذبوا مع تهالكهم على التكذيب
فان قلت كل قول يقال بالفم فما معنى قوله ذلك قولهم بافواههم قلت فيه وجهان احدهما ان يراد انه قول
لا يعضده برهان فما هو الا لفظ يفوهون به فارغ من معنى تحته كالالفاظ المهملة التي هي
اجراس ونغم لا تدل على معان وذلك ان القول الدال على معنى لفظه مقول بالفم ومعناه مؤثر في القلب
وما لا معنى له مقول بالفم لا غير والثاني ان يراد بالقول المذهب كقولهم قول ابي حنيفة يريدون مذهبه وما يقول
به كانه قيل ذلك مذهبهم ودينهم بافواههم لا بقلوبهم لانه لا حجة معه ولا شبهة حتى يؤثر في القلوب
وذلك انهم اذا اعترفوا انه لا صاحبة له لم تبق شبهة في انتفاء الولد يضاهئون لا بد فيه من حذف مضاف تقديره
يضاهي قولهم قولهم ثم حذف المضاف واقيم الضمير المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا والمعنى ان الذين
كانوا في عهد رسول الله من اليهود والنصارى يضاهي قولهم قول قدمائهم يعني انه كفر قديم فيهم غير مستحدث
او يضاهي قول المشركين الملائكة بنات الله وقيل الضمير للنصارى اي يضاهي قولهم المسيح ابن الله قول
اليهود عزير ابن الله لانهم اقدم منهم وقرئ يضاهئون بالهمزة من قولهم امراة ضهيأ على فعيل وهي
التي ضاهأت الرجال في انها لا تحيض وهمزتها مزيدة كما في غرقئ قاتلهم الله اي هم احقاء بان
يقال لهم هذا تعجبا من شناعة قولهم كما يقال لقوم ركبوا شنعاء قاتلهم الله ما اعجب فعلهم انى
يؤفكون كيف يصرفون عن الحق اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا بان اطاعوهم في الامر بالمعاصي وتحليل ما

سبحانه عما يشركون يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم

حرم الله ويحرم ما حلله كما يطاع الارباب في اوامرهم ونحوه تسمية اتباع الشيطان فيما يوسوس به عبادة بل كانوا يعبدون الجن يا ابت لا تعبد الشيطان وعن عدي بن حاتم انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك فطرحته ثم انتهيت اليه وهو يقرأ اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله حتى فرغ منها فقلت انا لسنا نعبدهم فقال اليس يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما حرمه فتحلونه قلت بلى قال فتلك عبادتهم وعن فضيل ما ابالي اطعت مخلوقا في معصية الخالق او صليت لغير القبلة واما المسيح فحين جعلوه ابنا لله فقد اهلوه للعبادة الا ترى الى قوله قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا امرتهم بذلك ادلة العقل والنصوص في الانجيل والمسيح عليه السلام انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة سبحانه تنزيه له عن الاشراك واستبعاد له ويجوز ان يكون الضمير في وما امروا للمتخذين اربابا اي وما امر هؤلاء الذين هم عندهم ارباب الا ليعبدوا الله ويوحدوه فكيف يصح ان يكونوا اربابا وهم مامورون مستعبدون مثلهم مثل حالهم في بطلهم ان يبطلوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب بحال من يريد ان ينفخ في نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله ان يزيده ويبلغه الغاية القصوى من الاشراق والاضاءة ليطفئه بنفخه ويطمسه ليظهره ليظهر الرسول على الدين كله على اهل الاديان كلهم او ليظهر دين الحق على كل دين فان قلت كيف جاز ابى الله الا كذا ولا يقال كرهت او ابغضت الا زيدا قلت اجري ابى مجرى لم يرد الا ترى كيف قوبل يريدون ان يطفئوا بقوله ويأبى الله وكيف اوقع موقع ولا يريد الله الا ان يتم نوره معنى اكل الاموال على وجهين اما ان يستعار الاكل للاخذ الا ترى الى قولهم اخذ الطعام وتناوله واما على ان الاموال يؤكل بها فهي سبب الاكل ومنه قوله يا كل كل ليلة اكافا يريد علفا يشترى بثمن اكاف ومعنى اكلهم بالباطل انهم كانوا ياخذون الرشى في الاحكام والتخفيف والمسامحة في الشرائع والدين يكنزون يجوز ان يكون اشارة الى الكثير من الاحبار والرهبان للدلالة على اجتماع خصلتين مذمومتين فيهم اخذ الرشى وكنز الاموال والضن بها عن الانفاق في سبيل الخير ويجوز ان يراد المسلمون الكانزون غير المنفقين ويقرن بينهم وبين المرتشين من اليهود والنصارى تغليظا ودلالة على ان من ياخذ منهم السحت ومن لا يعطي منكم طيب ماله سواء في استحقاق البشارة بالعذاب الاليم وقيل نسخت الزكوة آية الكنوز وقيل هي ثابتة وانما عني بترك الانفاق في سبيل الله منع الزكوة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما ادي زكوته فليس بكنز وان كان باطنا وما بلغ ان يزكى فلم يزك فهو كنز وان كان ظاهرا وعن عمر رضي الله عنه ان رجلا سأله عن ارض له باعها فقال احرز مالك الذي اخذت احفر له تحت فراش امرأتك قال اليس بكنز قال ما ادي زكوته فليس بكنز وعن ابن عمر كل ما اديت زكوته فليس بكنز وان كان تحت سبع ارضين وما لم تؤد زكوته فهو الذي ذكره الله وان كان على ظهر الارض فان قلت فما تصنع بما روى سالم بن الجعد انها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبا للذهب تبا للفضة قالها ثلاثا فقالوا له اي مال نتخذ قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين احدكم على دينه وبقوله عليه السلام من ترك صفراء او بيضاء كوي بها وتوفي رجل فوجد في مئزره دينار فقال رسول الله كية وتوفي آخر فوجد في مئزره ديناران فقال كيتان قلت كان هذا قبل ان تفرض الزكوة فاما

يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم

بعد فرض الزكوة فالله اعدل واكرم من ان يجمع عبده مالا من حيث اذن له فيه ويودي عنه ما اوجب عليه فيه ثم يعاقبه ولقد كان كثير من الصحابة كعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله يقتنون الاموال ويتصرفون فيها وما عابهم احد ممن اعرض عن القنية لان الاعراض اختيار للافضل والادخل في الورع والزهد في الدنيا والاقتناء مباح موسع لا يذم صاحبه ولكل شيء حد وما روي عن علي رضي الله عنه اربعة آلاف فما دونها نفقة فما زاد فهو كنز كلام في الافضل فان قلت لم قيل ولا ينفقونها وقد ذكر شيآن قلت ذهابا بالضمير الى المعنى دون اللفظ لان كل واحد منهما جملة وافية وعدة كثيرة ودنانير ودراهم فهو كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقيل ذهب به الى الكنوز وقيل الى الاموال وقيل معناه ولا ينفقونها والذهب كما ان معنى قوله فاني وقيار بها لغريب وقيار كذلك فان قلت لم خصا بالذكر من بين سائر الاموال قلت لانهما قانون التمول واثمان الاشياء ولا يكنزهما الا من فضلا عن حاجته ومن كثرا عنده حتى يكنزهما لم يعدم سائر اجناس المال فكان ذكر كنزهما دليلا على ما سواهما فان قلت ما معنى قوله يحمى عليها وهلا قيل تحمى من قولك حمي الميسم واحميته ولا تقول احميت على الحديد قلت معناه ان النار تحمى عليها اي توقد ذات حمي وحر شديد من قوله نار حامية ولو قيل يوم تحمى لم يعط هذا المعنى فان قلت فاذا كان الاحماء للنار فلم ذكر قلت لانه مسند الى الجار والمجرور واصله يوم تحمى النار عليها فلما حذفت النار قيل يحمى عليها لانتقال الاسناد عن النار الى عليها كما تقول رفعت القصة الى الامير فان لم تذكر القصة قلت رفع الى الامير وعن ابن عامر انه قرأ تحمى بالتاء وقرأ ابو حيوة فيكوى بالياء فان قلت لم خصت هذه الاعضاء قلت لانهم لم يطلبوا باموالهم حيث لم ينفقوها في سبيل الله الا الاغراض الدنيوية من وجاهة عند الناس وتقدم وان يكون ماء وجوههم مصونا عندهم يتلقون بالجميل ويحيون بالاكرام ويحتشمون ومن اكل طيبات يتضلعون منها وينفخون جنوبهم ومن لبس ناعمة من الثياب يطرحونها على ظهورهم كما ترى اغنياء زمانك هذه اغراضهم وطلباتهم من اموالهم لا يخطرون ببالهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب اهل الدثور بالاجور وقيل لانهم كانوا اذا ابصروا الفقير عبسوا واذا ضمهم واياه مجلس ازوروا عنه وتولوا باركانهم وولوه ظهورهم وقيل معناه يكوون على الجهات الاربع مقاديمهم ومآخيرهم وجنوبهم هذا ما كنزتم على ارادة القول وقوله لانفسكم اي كنزتموه لتنتفع به نفوسكم وتلتذ وتحصل لها الاغراض التي حامت حولها وما علمتم انكم كنزتموه لتستضر به انفسكم وتعذب وهو توبيخ لهم فذوقوا ما كنتم تكنزون وبال المال الذي كنتم تكنزونه او وبال كونكم كانزين وقرئ تكنزون بضم النون في كتاب الله فيما اثبته واوجبه من حكمه ورآه حكمة وصوابا وقيل في اللوح اربعة حرم ثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب ومنه قوله عليه السلام في خطبته في حجة الوداع الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه وعاد الحج الى ذي الحجة وبطل النسيء الذي كان في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة وكانت حجة ابي بكر

إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض

قبلها في ذي الحجة القعدة ذلك الدين القيم يعني أن تحريم الأشهر الأربعة هو الدين المستقيم دين إبراهيم وإسماعيل
وكانت العرب قد تمسكت به وراثة منهما وكانوا يعظمون الأشهر الحرم ويحرمون القتال فيها حتى لو لقي
الرجل قاتل أبيه أو أخيه لم يهجه وسموا رجبا الأصم ومنصل الأسنة حتى أحدثت النسيء فغيروا
فلا تظلموا فيهن في الحرم أنفسكم أي لا تجعلوا حرامها حلالا وعن عطاء بالله ما يحل للناس أن يغزوا
في الحرم ولا في الأشهر الحرم إلا أن يقاتلوا وما نسخت وعن عطاء الخراساني أحلت
القتال في الأشهر الحرم براءة من الله ورسوله وقيل معناه لا تأثموا فيهن بيانا لعظم حرمتهن كما
عظم أشهر الحج بقوله فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال وإن كان ذلك محرما في سائر الشهور
كافة حال من الفاعل أو المفعول مع المتقين فأمرهم حثهم على التقوى بضمان النصرة لأهلها النسيء
تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر وذلك أنهم كانوا أصحاب حروب وغارات فإذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون
شق عليهم ترك المحاربة فيحلونه ويحرمون مكانه شهرا آخر حتى رفضوا تخصيص الأشهر الحرم بالتحريم
وكانوا يحرمون من شهور العام أربعة أشهر وذلك قوله ليواطئوا عدة ما حرم الله أي ليوافقوا العدة
التي هي الأربعة ولا يخالفوها وقد خالفوا التخصيص الذي هو أحد الواجبين وربما زادوا في عدد
الشهور فيجعلونها ثلاثة عشر أو أربعة عشر ليتسع لهم الوقت ولذلك قال عز وعلا إن عدة الشهور
عند الله اثنا عشر شهرا يعني من غير زيادة زادوها والضمير في يحلونه ويحرمونه للنسيء أي إذا أحلوا
شهرا من الأشهر الحرم عاما رجعوا فحرموه في العام القابل وروي أنه حدث ذلك في كنانة لأنهم كانوا
فقراء محاويج إلى الغارة وكان جنادة بن عوف الكناني مطاعا في الجاهلية وكان يقوم على جمل
في الموسم فيقول بأعلى صوته إن آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه ثم يقوم في القابل فيقول إن آلهتكم
قد حرمت عليكم المحرم فحرموه جعل النسيء زيادة في الكفر لأن الكافر كلما أحدث معصية
ازداد كفرا فزادتهم رجسا إلى رجسهم كما أن المؤمن إذا أحدث طاعة ازداد إيمانا فزادتهم إيمانا
وهم يستبشرون وقرئ يضل على البناء للمفعول ويضل بفتح الياء والضاد ويضل على أن الفعل لله عز وجل
وقرأ الزهري ليوطئوا بالتشديد والنسيء مصدر نسأه إذا أخره يقال نسأه نسأ ونساء ونسيئا
كقولك مسه مسا ومساسا ومسيسا وقرئ بهن جميعا وقرئ النسي بوزن الندي والنسي بوزن
النهي وهما تخفيف النسيء والنسء فإن قلت ما معنى قوله فيحلوا ما حرم الله قلت معناه فيحلوا بمواطأة
العدة وحدها من غير تخصيص ما حرم الله من القتال أو من ترك الاختصاص للأشهر بعينها زين لهم
خذلهم الله فحسبوا أعمالهم القبيحة حسنة والله لا يهدي أي لا يلطف بهم بل يخذلهم وقرئ زين لهم
سوء أعمالهم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل اثاقلتم تثاقلتم وبه قرأ الأعمش أي تباطأتم وتقاعستم
وضمن معنى الميل والإخلاد فعدي بإلى والمعنى ملتم إلى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق
السفر ومتاعبه ونحوه أخلد إلى الأرض واتبع هواه وقيل ملتم إلى الإقامة بأرضكم ودياركم
وقرئ أثاقلتم على الاستفهام الذي معناه التوبيخ والإنكار فإن قلت فما العامل في إذا وحرف

إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ... والله على كل شيء قدير

الاستفهام مانع أن يعمل فيه قلت ما دل عليه أو ما في ما لكم من معنى الفعل كأنه قيل ما تصنعون إذا قيل
لكم كما تعمله في الحال إذا قلت ما لك قائما وكان ذلك في غزوة تبوك في سنة عشر بعد رجوعهم من الطائف
استنفروا في وقت عسرة وقحط وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم وقيل ما خرج
رسول الله في غزوة إلا ورى عنها بغيرها إلا في غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة من الآخرة بدل الآخرة كقوله
لجعلنا منكم ملائكة في الآخرة في جنب الآخرة إلا تنفروا سخط عظيم على المتثاقلين حيث أوعدهم
بعذاب أليم مطلق يتناول عذاب الدارين وأنه يهلكهم ويستبدل بهم قوما آخرين خيرا منهم
وأطوع وأنه غني عنهم في نصرة دينه لا يقدح تثاقلهم فيها شيئا وقيل الضمير للرسول عليه السلام
أي ولا تضروه لأن الله وعده أن يعصمه من الناس وأن ينصره ووعد الله كائن لا محالة وقيل يريد بقوله
قوما غيركم أهل اليمن وقيل أبناء فارس والظاهر مستغن عن التخصيص فإن قلت كيف يكون قوله فقد
نصره الله جوابا للشرط قلت فيه وجهان أحدهما إلا تنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه إلا رجل
واحد ولا أقل من الواحد فدل بقوله فقد نصره الله أنه ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت والثاني
يخذل من بعده وأسند الإخراج إلى الكفار كما أسنده إليهم في قوله من قريتك التي أخرجتك لأنهم حين هموا
بإخراجه أذن الله له في الخروج فكأنهم أخرجوه ثاني اثنين أحد اثنين كقوله ثالث ثلاثة وهما رسول الله صلى
الله عليه وأبو بكر الصديق رضي الله عنه روي أن جبريل صلوات الله عليه لما أمره بالخروج قال من يخرج معي
قال أبو بكر وانتصابه على الحال وقرئ ثاني اثنين بالسكون وإذ هما بدل من إذ أخرجه والغار ثقب في أعلى
ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا إذ يقول بدل ثان وقيل طلع المشركون
فوق الغار فأشفق أبو بكر على رسول الله فقال إن تصب اليوم ذهب دين الله فقال عليه السلام ما ظنك باثنين
الله ثالثهما وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا في أسفله والعنكبوت فنسجت عليه
وقال رسول الله اللهم أعم أبصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد أخذ الله أبصارهم عنه
وقالوا من أنكر صحبة أبي بكر فقد كفر لإنكاره كلام الله وليس ذلك لسائر الصحابة سكينته ما ألقي في قلبه من
الأمنة التي سكن عندها وعلم أنهم لا يصلون إليه والجنود الملائكة يوم بدر والأحزاب وحنين وكلمة الذين كفروا
دعوتهم إلى الكفر وكلمة الله دعوته إلى الإسلام وقرئ وكلمة الله بالنصب والرفع أوجه وهي فصل أو مبتدأ وفيها
تأكيد فضل كلمة الله في العلو وأنها المختصة به دون سائر الكلم خفافا وثقالا خفافا في النفور لنشاطكم له وثقالا عنه
لمشقته عليكم أو خفافا لقلة عيالكم وأذيالكم وثقالا لكثرتها أو خفافا من السلاح وثقالا منه أو ركبانا
ومشاة أو شبانا وشيوخا أو مهازيل وسمانا أو صحاحا ومراضا وعن ابن أم مكتوم أنه قال لرسول الله صلى
الله عليه أعلي أن أنفر قال نعم حتى نزل قوله ليس على الأعمى حرج وعن ابن عباس نسخت بقوله ليس على الضعفاء
ولا على المرضى وعن صفوان بن عمرو كنت واليا على حمص فلقيت شيخا كبيرا قد سقط حاجباه من أهل دمشق
على راحلته يريد الغزو فقلت يا عم لقد أعذر الله إليك فرفع حاجبيه وقال يا ابن أخي استنفرنا الله خفافا
وثقالا إلا أنه من يحبه الله يبتليه وعن الزهري خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه

وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك
ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون عفا الله عنك
لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا
بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين

ثقيلا لأنك عليك صاحب ضرر بها الاستنفار انه الخفيف والثقيل فانه يمكن الحرث كثرة السواد
وحفظت المتاع وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم إيجاب للجهاد بهما إن أمكن أو بأحدهما على حسب
الحال والحاجة العرض ما عرض لك من منافع الدنيا يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر
أي لو كان ما دعوا إليه غنما قريبا سهل المنال وسفرا قاصدا وسطا مقاربا الشقة المسافة الشاطة
الشاقة وقرأ عيسى بن عمر بعدت عليهم الشقة بكسر العين والشين ومنه قوله يقولون لا تبعد وهم يدفنونه
ولا بعد إلا ما توارى الصفائح بالله متعلق بسيحلفون أو هو من جملة كلامهم والقول مراد في الوجهين
أي سيحلفون يعني المتخلفين عند رجوعكم من غزوة تبوك معتذرين يقولون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم
أو سيحلفون بالله يقولون لو استطعنا وقوله لخرجنا سد مسد جوابي القسم ولو جميعا والإخبار
بما سوف يكون بعد القفول من حلفهم واعتذارهم وقد كان من جملة المعجزات ومعنى الاستطاعة
استطاعة العدة أو استطاعة الأبدان كأنهم تمارضوا وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها
بواو الجمع في قوله فتمنوا الموت يهلكون أنفسهم إما أن يكون بدلا من سيحلفون أو حالا بمعنى مهلكين والمعنى
أنهم يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذب وما يحلفون عليه من التخلف ويحتمل أن يكون حالا من قوله
لخرجنا أي لخرجنا معكم وإن أهلكنا أنفسنا وألقيناها في التهلكة بما نحملها من المسير في تلك
الشقة وجاء به على لفظ الغائب لأنه مخبر عنهم ألا ترى أنه لو قيل سيحلفون بالله لو استطاعوا لخرجوا
لكان سديدا يقال حلف بالله ليفعلن ولأفعلن فالغيبة على حكم الإخبار والتكلم على الحكاية
عفا الله عنك كناية عن الجناية لأن العفو رادف لها ومعناه أخطأت وبئس ما فعلت ولم أذنت
لهم بيان لما كني عنه بالعفو ومعناه ما لك أذنت لهم في القعود عن الغزو حين استأذنوك واعتلوا لك
بعللهم وهلا استأنيت بالإذن حتى يتبين لك من صدق في عذره ممن كذب فيه وقيل شيئان فعلهما
رسول الله عليه السلام ولم يؤمر بهما إذنه للمنافقين وأخذه من الأسارى فعاتبه الله لا يستأذنك ليس من
عادة المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا وكان الخلص من المهاجرين والأنصار يقولون لا نستأذن
النبي صلى الله عليه أبدا ولنجاهدن معه بأموالنا وأنفسنا ومعنى أن يجاهدوا في أن يجاهدوا أو كراهة
أن يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالانتظام في زمرة المتقين وعدة لهم بأجزل الثواب إنما يستأذنك
يعني المنافقين وكانوا تسعة وثلاثين رجلا يترددون عبارة عن التحير لأن التردد ديدن المتحير كما أن الثبات
والاستقرار ديدن المستبصر وقرئ عدة بمعنى عدته فعل بالعدة ما فعل بالعدة من قال وأخلفوك عد
الأمر الذي وعدوا ... وتعويض المضاف إليه منها وقرئ عدة بكسر العين وعده ما أضافه
فإن قلت كيف موقع حرف الاستدراك قلت لما كان قوله ولو أرادوا الخروج معطيا معنى نفي خروجهم
واستعدادهم للغزو قيل ولكن كره الله انبعاثهم كأنه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج لكراهة
انبعاثهم كما تقول ما أحسن إلى زيد ولكن أساء إليه فثبطهم فكسلهم وخذلهم وضعف رغبتهم في
الانبعاث وقيل اقعدوا جعل إلقاء الله في قلوبهم كراهة الخروج أمرا بالقعود وقيل هو قول الشيطان

لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين
لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني

بالوسوسة وقيل هو قولهم لأنفسهم وقيل هو إذن رسول الله لهم في القعود فإن قلت كيف جاز أن يوقع الله في
نفوسهم كراهة الخروج إلى الغزو وهي قبيحة وتعالى الله عن إلهام القبيح قلت خروجهم كان مفسدة لقوله
لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا فكان إيقاع كراهة ذلك الخروج في نفوسهم حسنا ومصلحة فإن قلت
فلم خطأ رسول الله في الإذن لهم فيما هو مصلحة قلت لأن إذن رسول الله لهم لم يكن للنظر في هذه المصلحة ولا
علمها إلا بعد القفول بإعلام الله ولكن لأنهم استأذنوه واعتذروا إليه فكان عليه أن يتفحص عن كنه
معاذيرهم ولا يتجوز في قبولها فمن ثم أتاه العتاب ويجوز أن يكون في ترك رسول الله الإذن لهم مع تثبيط
الله إياهم مصلحة أخرى فبإذنه لهم فقدت تلك المصلحة وذلك أنهم إذا ثبطهم الله فلم ينبعثوا وكان
قعودهم بغير إذن من رسول الله قامت عليهم الحجة ولم تبق لهم معذرة ولقد تدارك الله ذلك حيث هتك
أستارهم وكشف أسرارهم وشهد عليهم بالنفاق وأنهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر فإن قلت ما معنى قوله
مع القاعدين قلت هو ذم لهم وتعجيز وإلحاق بالنساء والصبيان والزمنى الذين شأنهم القعود والجثوم
في البيوت وهم القاعدون والخالفون والخوالف ويبينه قوله تعالى رضوا بأن يكونوا مع الخوالف إلا
خبالا ليس من الاستثناء المنقطع في شيء كما يقولون لأن الاستثناء المنقطع هو أن يكون المستثنى من غير
جنس المستثنى منه كقولك ما زادوكم خيرا إلا خبالا والمستثنى منه في هذا الكلام غير مذكور وإذا لم يذكر
وقع الاستثناء من أعم العام الذي هو الشيء فكان استثناء متصلا لأن الخبال بعض أعم العام كأنه قيل ما
زادوكم شيئا إلا خبالا والخبال الفساد والشر ولأوضعوا خلالكم ولسعوا بينكم بالتضريب والنمائم وإفساد
ذات البين يقال وضع البعير وضعا إذا أسرع وأوضعته أنا والمعنى ولأوضعوا ركائبهم بينكم
والمراد الإسراع بالنمائم لأن الراكب أسرع من الماشي وقرأ ابن الزبير ولأرقصوا من رقص الناقة
رقصا إذا أسرعت وأرقصتها قال والراقصات إلى منى فالغبغب وقرئ ولأوفضوا فإن قلت
كيف خط في المصحف ولا أوضعوا بزيادة الألف قلت كانت الفتحة تكتب ألفا قبل الخط العربي والخط
العربي اخترع قريبا من نزول القرآن وقد بقي من ذلك الألف أثر في الطباع فكتبوا صورة الهمزة
ألفا وفتحها ألفا أخرى ونحوه أو لا أذبحنه يبغونكم الفتنة يحاولون أن يفتنوكم بأن يوقعوا الخلاف
فيما بينكم ويفسدوا نياتكم في مغزاكم وفيكم سماعون لهم أي نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه إليهم أو
فيكم قوم يسمعون للمنافقين ويطيعونهم لقد ابتغوا الفتنة أي العنت ونصب الغوائل والسعي
في تشتيت شملك وتفرق أصحابك عنك كما فعل عبد الله بن أبي يوم أحد حين انصرف بمن معه وعن
ابن جريج وقفوا لرسول الله على الثنية ليلة العقبة وهم اثنا عشر رجلا ليفتكوا به من قبل من قبل غزوة
تبوك وقلبوا لك الأمور ودبروا لك الحيل والمكايد ودوروا الآراء في إبطال أمرك وقرئ وقلبوا بالتخفيف
حتى جاء الحق وهو تأييدك ونصرك وظهر أمر الله وغلب دينه وعلا شرعه ائذن لي في القعود ولا تفتني
ولا توقعني في الفتنة وهي الإثم بأن لا تأذن لي فإني إن تخلفت بغير إذنك أثمت وقيل لا تلقني في الهلكة
فإني إذا خرجت معك هلك مالي وعيالي وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الأنصار أني مستهتر بالنساء

ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا إنا معكم متربصون قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم إنكم كنتم قوما فاسقين

ولا تفتني ببنات الأصفر يعني نساء الروم ولكني أعينك بمال فاتركني في قري ولا تفتني من افتتنه
ألا في الفتنة سقطوا أي إن الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف وفي مصحف أبي سقط لأن
من موحد اللفظ مجموع المعنى لمحيطة بالكافرين يعني أنها تحيط بهم يوم القيامة أو هي محيطة
بهم الآن لأن أسباب الإحاطة معهم فكأنهم في وسطها إن تصبك في بعض الغزوات حسنة ظفر وغنيمة
تسؤهم وإن تصبك مصيبة نكبة وشدة في بعضها نحو ما جرى يوم أحد يفرحوا بحالهم في الانحراف
عنك ويقولوا قد أخذنا أمرنا أي أمرنا الذي نحن متسمون به من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم من
قبل من قبل ما وقع ويتولوا عن مقام التحدث بذلك والاجتماع له إلى أهاليهم وهم فرحون مسرورون
وقيل تولوا أعرضوا عن رسول الله قرأ ابن مسعود قل هل يصيبنا وقرأ طلحة هل يصيّبنا بتشديد
الياء ووجهه أن يكون يفيعل لا يفعّل لأنه من بنات الواو لقولهم الصواب وصاب السهم يصوب ومصاوب
في جمع مصيبة فحق يفعّل منه يصوّب ألا ترى إلى قولهم صوّب رأيه إلا أن يكون من لغة من يقول صاب السهم
يصيب ومنه قوله أسهمي الصائبات والصيّب واللام في قوله ما كتب الله لنا مفيدة معنى الاختصاص
كأنه قيل لن يصيبنا إلا ما اختصنا الله بإثباته وإيجابه من النصرة عليكم أو الشهادة ألا ترى إلى قوله هو مولانا
أي الذي يتولانا ونتولاه ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم وعلى الله فليتوكل المؤمنون
وحق المؤمنين أن لا يتوكلوا على غير الله فليفعلوا ما هو حقهم إلا إحدى الحسنيين إحدى العاقبتين اللتين
كل واحدة منهما هي حسنى العواقب وهما النصرة والشهادة والسوءى من العاقبتين ونحن نتربص
بكم إحدى السوأتين من العواقب إما أن يصيبكم الله بعذاب من عنده وهو قارعة من السماء كما نزلت على
عاد وثمود أو بعذاب بأيدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا بنا ما ذكرنا من عواقبنا إنا معكم متربصون ما هو
عاقبتكم فلا بد أن يلقى كلنا ما يتربصه لا يتجاوزه أنفقوا يعني في سبيل الله ووجوه البر طوعا أو كرها
نصب على الحال أي طائعين أو مكرهين فإن قلت كيف أمرهم بالإنفاق ثم قال لن يتقبل منكم قلت هو
أمر في معنى الخبر كقوله قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن ومعناه لن يتقبل منكم أنفقتم طوعا أو
كرها ونحوه قوله تعالى استغفر لهم أو لا تستغفر لهم وقوله أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة لدينا ولا مقلية
إن تقلت أي لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أو لم تستغفر لهم ولا نلومك أسأت إلينا أو أحسنت فإن قلت
متى يجوز نحو هذا قلت إذا دل الكلام عليه كما جاز عكسه في قولك رحم الله زيدا وغفر له فإن قلت لم فعل ذلك
قلت لنكتة فيه وهي أن كثيرا كأنه يقول لعزة امتحني لطف محلك عندي وقوة محبتي لك وعامليني
بالإساءة والإحسان وانظري هل يتفاوت حالي معك مسيئة كنت أو محسنة وفي معناه قول القائل
أخوك الذي إن قمت بالسيف عامدا لتضربه لم يستغشك في الود وكذلك المعنى أنفقوا وانظروا هل يتقبل منكم
واستغفر لهم أو لا تستغفر لهم وانظر هل ترى اختلافا بين حال الاستغفار وتركه فإن قلت ما الغرض في نفي التقبل
أهو كون رسول الله لا يقبله منهم ورده عليهم ما يبذلون منه أم هو كونه غير مقبول عند الله ذاهبا هباء لا
ثواب له قلت يحتمل الأمرين جميعا وقوله طوعا أو كرها معناه طائعين من غير إلزام من الله ورسوله

وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا إليه وهم يجمحون ومنهم من يلمزك في الصدقات

أو ملزمين وسمي الإلزام إكراها لأنهم منافقون فكان إلزامهم الإنفاق شاقا عليهم كالإكراه أو طائعين
من غير إكراه من رؤسائكم لأن رؤساء أهل النفاق كانوا يحملون على الإنفاق لما يرون من المصلحة فيه أو
مكرهين من جهتهم وروي أنها نزلت في الجد بن قيس حين تخلف عن غزوة تبوك وقال لرسول
الله هذا مالي أعينك به فاتركني إنكم تعليل لرد إنفاقهم والمراد بالفسق التمرد والعتو أنهم فاعل
منع وهم وأن تقبل مفعولاه وقرئ أن يقبل بالتاء والياء على البناء للمفعول ونفقاتهم ونفقتهم
على الجمع والتوحيد وقرأ السلمي أن يقبل منهم نفقاتهم على أن الفعل لله عز وجل كسالى بالضم
والفتح جمع كسلان نحو سكارى وغيارى في سكران وغيران وكسلهم لأنهم لا يرجون بصلاتهم
ثوابا ولا يخشون بتركهم عقابا فهي ثقيلة عليهم كقوله وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين وقرأت
في بعض الأخبار أن رسول الله صلى الله عليه كره للمؤمن أن يقول كسلت كأنه ذهب إلى هذه الآية فإن
الكسل من صفات المنافقين فما ينبغي أن يسنده المؤمن إلى نفسه فإن قلت الكراهية خلاف
الطواعية وقد جعلهم الله طائعين في قوله طوعا ثم وصفهم بأنهم لا ينفقون إلا وهم كارهون
قلت المراد بطوعهم أنهم يبذلونه من غير إلزام من رسول الله أو من رؤسائهم وما طوعهم ذاك
إلا عن كراهة واضطرار لا عن رغبة واختيار الإعجاب بالشيء أن تسر به سرور راض به
متعجب من حسنه والمعنى فلا تستحسن ولا تفتتن بما أوتوا من زينة الدنيا كقوله ولا تمدن
عينيك فإن الله إنما أعطاهم ما أعطاهم للعذاب بأن عرضه للتغنم والسبي وبلاهم فيه بالآفات
والمصائب وكلفهم الإنفاق منه في أبواب الخير وهم كارهون له على رغم أنوفهم وأذاقهم أنواع
الكلف والمجاشم في جمعه واكتسابه وفي تربية أولادهم فإن قلت إن صح تعليق التعذيب بإرادة
الله فما بال زهوق أنفسهم وهم كافرون قلت المراد الاستدراج بالنعم كقوله إنما نملي لهم
ليزدادوا إثما كأنه قيل ويريد أن يديم عليهم نعمته إلى أن يموتوا وهم كافرون ملتهون
بالتمتع عن النظر للعاقبة لمنكم لمن جملة المسلمين يفرقون يخافون القتل وما
يفعل بالمشركين فيتظاهرون بالإسلام تقية ملجأ مكانا يلجؤون إليه متحصنين به من رأس جبل
أو قلعة أو جزيرة أو مغارات أو غيرانا وقرئ بضم الميم من أغار الرجل وغار إذا دخل الغور
وقيل هو تعدية غار الشيء وأغرته أنا يعني أمكنة يغيرون فيها أشخاصهم ويجوز أن يكون من أغار
الثعلب إذا أسرع بمعنى مهارب ومغار أو مدخلا أو نفقا يندسون فيه وينجحرون وهو مفتعل
من الدخول وقرئ مدخلا من دخل ومدخلا من أدخل مكانا يدخلون فيه أنفسهم وقرأ أبي بن كعب متدخلا
وقرئ لوألوا إليه لالتجأوا إليه يجمحون يسرعون إسراعا لا يردهم شيء من الفرس الجموح
وهو الذي إذا حمل لم يرده اللجام وقرأ أنس يجمزون فسئل فقال يجمحون ويجمزون ويشتدون
واحد يلمزك يعيبك في قسمة الصدقات ويطعن عليك قيل هم المؤلفة قلوبهم وقيل هو ابن
ذي الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله يقسم غنائم حنين فقال اعدل يا رسول الله فقال
ويلك إن لم أعدل فمن يعدل وقيل هو أبو الجواظ من المنافقين قال ألا ترون إلى صاحبكم إنما

فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن

يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم انه يعدل فقال رسول الله لا ابا لك اما كان موسى راعيا اما كان داود راعيا فلما ذهب قال عليه السلام احذروا هذا واصحابه فانهم منافقون وقرئ يلمزك بالضم ويلمزك ويلامزك التثقيل والبناء على المفاعلة مبالغة في اللمز وصفهم بان رضاهم وسخطهم لانفسهم لا للدين وما فيه صلاح اهله لان رسول الله استعطف قلوب اهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم فضجر المنافقون منه واذا للمفاجاة اي وان لم يعطوا منها فاجاوا السخط وجواب لو محذوف تقديره ولو انهم رضوا لكان خيرا لهم والمعنى ولو انهم رضوا ما اصابهم به الرسول من القسمة وطابت به نفوسهم وان قل نصيبهم وقالوا كفانا فضل الله وصنعه وحسبنا ما قسم لنا سيرزقنا غنيمة اخرى فيؤتينا رسول الله اكثر مما آتانا اليوم انا الى الله راغبون في ان يغنمنا ويخولنا فضله لراغبون انما الصدقات للفقراء قصر لجنس الصدقات على الاصناف المعدودة وانها مختصة بها لا تتجاوزها الى غيرها كانه قيل انما هي لهم لا لغيرهم ونحوه قولك انما الخلافة لقريش تريد لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم فيحتمل ان تصرف الى الاصناف كلها وان تصرف الى بعضها وعليه مذهب ابي حنيفة وعن حذيفة وابن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين انهم قالوا في اي صنف منها وضعتها اجزاك وعن سعيد بن جبير لو نظرت الى اهل بيت من المسلمين فقراء متعففين فجبرتهم بها كان احب الي وكان عند الشافعي لا بد من صرفها الى الاصناف وعن عكرمة انها تفرق في الاصناف الثمانية وعن الزهري انه كتب لعمر بن عبد العزيز تفريق الصدقات على الاصناف الثمانية والعاملين عليها السعاة الذين يقبضونها والمؤلفة قلوبهم اشراف من العرب كان رسول الله يستالفهم على ان يسلموا فيرضخ لهم شيئا منها حين كان في المسلمين قلة وفي الرقاب المكاتبون يعانون منها وقيل الاسارى وقيل تبتاع الرقاب فتعتق والغارمين الذين ركبتهم الديون ولا يملكون بعدها ما يبلغ النصاب وقيل الذين تحملوا الحمالات فتداينوا فيها وغرموا وفي سبيل الله فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله فهو فقير حيث هو غني حيث ماله فريضة في معنى المصدر المؤكد لان قوله انما الصدقات للفقراء معناه فرض الله الصدقات لهم وقرئ فريضة بالرفع على تلك فريضة فان قلت لم عدل عن اللام الى في في الاربعة الاخيرة قلت للايذان بانهم ارسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره لان في للوعاء فنبه على انهم احقاء بان توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها ومصبا وذلك لما في فك الرقاب من الكتابة او الرق او الاسر وفي فك الغارمين من الغرم من التخليص والانقاذ ولجمع الغازي الفقير او المنقطع في الحج بين الفقر والعبادة وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الاهل والمال وتكرير في في قوله وفي سبيل الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين فان قلت فكيف وقعت هذه الآية في تضاعيف ذكر المنافقين ومكايدهم قلت دل بكون هذه الاصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على انهم ليسوا منهم حسما لاطماعهم واشعارا باستيجابهم الحرمان وانهم بعداء عنها وعن مصارفها فما لهم وما لها وما سلطهم على التكلم فيها ولمز قاسمها الاذن الرجل الذي يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل احد سمي بالجارحة التي هي آلة السماع

قل اذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله احق ان يرضوه ان كانوا مؤمنين الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم

كان جملته اذن سامعة ونظيره قولهم للربيئة عين وايذاؤهم له هو قولهم فيه هو اذن اذن خير كقولك رجل صدق تريد الجودة والصلاح كانه قيل نعم هو اذن ولكن نعم الاذن ويجوز ان يريد هو اذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس باذن في غير ذلك ويدل عليه قراءة حمزة ورحمة بالجر عطفا عليه اي هو اذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله ثم فسر كونه اذن خير بانه يصدق بالله لما قام عنده من الادلة ويقبل من المؤمنين الخلص من المهاجرين والانصار وهو رحمة لمن آمن منكم اي اظهر الايمان ايها المنافقون حيث يسمع منكم ويقبل ايمانكم الظاهر ولا يكشف اسراركم ولا يفضحكم ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين مراعاة لما راى الله من المصلحة في الابقاء عليكم فهو اذن كما قلتم الا انه اذن خير لكم لا اذن سوء فسلم لهم قولهم فيه الا انه فسره بما هو مدح له وثناء عليه وان كانوا قصدوا به المذمة والتقصير بفطنته وشهامته وانه من اهل سلامة القلوب والغرة وقيل ان جماعة منهم ذموه وبلغه ذلك واشتغلت قلوبهم فقال بعضهم لا عليكم فانما هو اذن سامعة قد سمع كلام المبلغ فاذا جئناه وحلفنا انا ما قلنا ذلك سمع عذرنا ايضا فيرضى وقيل هو اذن خير لكم وقرئ اذن خير لكم على ان اذن خبر مبتدا محذوف وخير كذلك اي هو اذن هو خير لكم يعني ان كان كما تقولون فهو خير لكم لانه يقبل معاذيركم ولا يكافئكم على سوء دخلتكم وقرا نافع بتخفيف الذال فان قلت لم عدى فعل الايمان بالباء الى الله والى المؤمنين باللام قلت لانه قصد التصديق بالله الذي هو نقيض الكفر به فعدى بالباء وقصد السماع من المؤمنين وان يسلم لهم ما يقولونه ويصدقه لكونهم صادقين عنده فعدى باللام الا ترى الى قوله وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ما انباه عن الباء ونحوه فما آمن لموسى الا ذرية من قومه انؤمن لك واتبعك الارذلون آمنتم له قبل ان آذن لكم فان قلت ما وجه قراءة ابن ابي عبلة ورحمة بالنصب قلت هي علة معللها محذوف تقديره ورحمة لكم ياذن لكم فحذف لان قوله اذن خير لكم يدل عليه يحلفون بالله لكم ليرضوكم الخطاب للمسلمين وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن او يتخلفون عن الجهاد ثم ياتونهم فيعتذرون اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم ويرضوا عنهم فقيل لهم ان كنتم مؤمنين كما تزعمون فاحق من ارضيتم الله ورسوله بالطاعة والوفاق واما وحد الضمير لانه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسوله فكانا في حكم مرضي واحد كقولك احسان زيد واجماله نعشني وجبر مني او والله احق ان يرضوه ورسوله كذلك المحادة مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق فان له على حذف الخبر اي فحق ان له نار جهنم وقيل معناه فله وان تكرير لان في قوله انه توكيدا ويجوز ان يكون فان له معطوفا على انه على ان جواب من محذوف تقديره الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله يهلك فان له نار جهنم وقرئ الم تعلموا بالتاء كانوا يستهزءون بالاسلام واهله وكانوا يحذرون ان يفضحهم الله بالوحي فيهم حتى قال بعضهم والله لا ارانا الا شر خلق الله لوددت اني قدمت فجلدت مائة جلدة وانه لا ينزل فينا شيء يفضحنا والضمير في عليهم وتنبئهم للمؤمنين وفي قلوبهم للمنافقين وصح ذلك لان المعنى يعود اليه ويجوز ان تكون الضمائر للمنافقين لان السورة اذا نزلت في معناهم فهي نازلة عليهم ومعنى تنبئهم بما في قلوبهم كانها تقول لهم في قلوبكم كيت وكيت يعني انها تذيع اسرارهم عليهم حتى يسمعوها مذاعة منتشرة فكانها تخبرهم بها وقيل معنى يحذر الامر بالحذر

تحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا ان الله مخرج ما تحذرون ولئن سألتهم ليقولن انما كنا
نخوض ونلعب قل ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم نعذب
طائفة بانهم كانوا مجرمين المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون ايديهم
نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم
خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا

اي احذر المنافقون فان قلت الحذر واقع على انزال السورة في قوله يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة
فما معنى قوله مخرج ما تحذرون قلت معناه محصل مبرز انزال السورة او ان الله مظهر ما كنتم
تحذرونه اي تحذرون اظهاره من نفاقكم بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين
يسيرون بين يديه فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات
فاطلع الله نبيه على ذلك فقال احبسوا علي الركب فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله لا
والله ما كنا في شيء من امرك ولا من امر اصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا
على بعض السفر ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون لم يعبأ باعتذارهم لانهم كانوا كاذبين فيه
فجعلوا كانهم معترفون باستهزائهم وبانه موجود منهم حتى وبخوا باخطائهم موقع الاستهزاء
حيث جعل المستهزأ به يلي حرف التقرير وذلك انما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء وثبوته لا تعتذروا
لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة فانها لا تنفعكم بعد ظهور سركم قد كفرتم قد اظهرتم كفركم باستهزائكم
بعد ايمانكم بعد اظهاركم الايمان ان نعف عن طائفة منكم باحداثهم التوبة واخلاصهم الايمان بعد النفاق
نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق غير تائبين منه او ان نعف عن طائفة منكم لم
يؤذوا رسول الله ولم يستهزءوا فلم نعذبهم في العاجل نعذب في العاجل طائفة بانهم كانوا مجرمين مؤذين
لرسول الله مستهزئين وقرأ مجاهد ان تعف عن طائفة على البناء للمفعول مع التأنيث والوجه التذكير
لان المسند اليه الظرف كما تقول سير بالدابة ولا تقول سيرت بالدابة ولكنه ذهب الى المعنى كانه قال ان
ترحم طائفة فانث لذلك وهو غريب والجيد قراءة العامة ان يعف عن طائفة بالتذكير وتعذب
طائفة بالتأنيث وقرئ ان يعف عن طائفة يعذب طائفة على البناء للفاعل وهو الله عز وجل بعضهم
من بعض اريد به نفي ان يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في قولهم ويحلفون بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله وما هم
منكم ثم وصفهم بما يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين بقوله يأمرون بالمنكر بالكفر والمعاصي وينهون
عن المعروف عن الايمان والطاعات ويقبضون ايديهم شحا بالمبار والصدقات والانفاق في سبيل
الله نسوا الله اغفلوا ذكره فنسيهم فتركهم من رحمته وفضله هم الفاسقون هم الكاملون
في الفسق الذي هو التمرد في الكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى المسلم زاجرا ان يلم بما يكسبه هذا الاسم
الفاحش الذي وصف الله به المنافقين حين بالغ في ذمهم واذا كره رسول الله للمسلم ان يقول كسلت
لان المنافقين وصفوا بالكسل في قوله كسالى فما ظنك بالفسق خالدين فيها مقدرين الخلود هي حسبهم
دلالة على عظم عذابها وانه لا شيء ابلغ منه وانه بحيث لا يزاد عليه نعوذ بالله من سخطه وعذابه ولعنهم
الله واهانهم مع التعذيب وجعلهم مذمومين ملحقين بالشياطين الملاعين كما عظم اهل الجنة والحقهم
بالملائكة المكرمين ولهم عذاب مقيم ولهم نوع من العذاب سوى الصلي بالنار مقيم دائم كعذاب النار
ويجوز ان يريد ولهم عذاب مقيم معهم في العاجل لا ينفكون عنه وهو ما يقاسونه من تعب النفاق والظاهر
المخالف للباطن خوفا من المسلمين وما يحذرونه ابدا من الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على
اسرارهم الكاف محلها رفع على انتم مثل الذين من قبلكم او نصب على فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم

فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا اولئك حبطت اعمالهم
في الدنيا والآخرة واولئك هم الخاسرون الم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم واصحاب مدين
والمؤتفكات اتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض
يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم

وهو انكم استمتعتم وخضتم كما استمتعوا وخاضوا نحو قول النمر كاليوم مطلوبا ولا
طلبا باضمار لم ار وقوله كانوا اشد منكم تفسير لتشبيههم بهم وتمثيل فعلهم بفعلهم
والخلاق النصيب وهو ما خلق للانسان اي قدر من خير كما قيل له قسم لانه قسم ونصيب
لانه نصب اي اثبت والخوض الدخول في الباطل واللهو كالذي خاضوا كالفوج الذي خاضوا او
كالخوض الذي خاضوه فان قلت اي فائدة في قوله فاستمتعوا بخلاقهم وقوله كما استمتع الذين من
قبلكم بخلاقهم مغن عنه كما اغنى قوله كالذي خاضوا عن ان يقال وخاضوا فخضتم كالذي
خاضوا قلت فائدته ان يذم الاولين بالاستمتاع بما اوتوا من حظوظ الدنيا ورضاهم بها
والتهائهم بشهواتهم الفانية عن النظر في العاقبة وطلب الفلاح في الآخرة وان يخسس امر الاستمتاع
ويهجن امر الراضي به ثم يشبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم كما تريد ان
تنبه بعض الظلمة على سماجة فعله فتقول انت مثل فرعون كان يقتل بغير جرم ويعذب
ويعسف وانت تفعل مثل فعله واما وخضتم كالذي خاضوا فمعطوف على ما قبله مستند
اليه مستغن باستناده اليه عن تلك التقدمة حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة نقيض قوله وآتيناه
اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين واصحاب مدين واهل مدين وهم قوم شعيب والمؤتفكات
مدائن قوم لوط وقيل قريات قوم لوط وهود وصالح وائتفاكهن انقلاب احوالهن عن الخير الى الشر
فما كان الله ليظلمهم فما صح منه ان يظلمهم وهو حكيم لا يجوز عليه القبح وان يعاقبهم بغير جرم
ولكن ظلموا انفسهم حيث كفروا به فاستحقوا عقابه بعضهم اولياء بعض في مقابلة قوله في المنافقين
بعضهم من بعض سيرحمهم الله السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد
في قولك سانتقم منك يوما تعني انك لا تفوتني وان تباطأ ذلك ونحوه سيجعل لهم الرحمن ودا ولسوف
يعطيك ربك فسوف يؤتيهم اجورهم عزيز غالب على كل شيء قادر عليه فهو يقدر على الثواب والعقاب
حكيم واضع كلا موضعه على حسب الاستحقاق ومساكن طيبة عن الحسن قصورا من اللؤلؤ والياقوت
الاحمر والزبرجد وعدن علم بدليل قوله جنات عدن التي وعد الرحمن ويدل عليه ما روى ابو الدرداء
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة
النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك وقيل هي مدينة في الجنة وقيل نهر جناته
على حافاته ورضوان من الله اكبر وشيء من رضوان الله اكبر من ذلك كله لان رضاه هو سبب كل فوز وسعادة
ولانهم ينالون برضاه عنهم تعظيمه وكرامته والكرامة اكبر اصناف الثواب ولان العبد اذا علم
ان مولاه راض عنه فهو اكبر في نفسه مما وراءه من النعم وانما تتهنأ له برضاه كما اذا علم بسخطه
تنغصت عليه ولم يجد لها لذة وان عظمت وسمعت بعض اولي الهمة البعيدة والنفس المرة من مشايخنا
يقول لا تطمح عيني ولا تنازع نفسي الى شيء مما وعد الله في دار الكرامة كما تطمح وتنازع الى رضاه
عني وان احشر في زمرة المهديين المرضيين عنده ذلك اشارة الى ما وعد او الى الرضوان

يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير يحلفون بالله ما قالوا
ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله
من فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والاخرة وما
لهم في الارض من ولي ولا نصير ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن
من الصالحين

أي هو الفوز العظيم وحده دون ما يعده الناس فوزا وروي ان الله عز وجل يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون ما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واي شيء افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا **جاهد الكفار والمنافقين** بالحجة **واغلظ عليهم** في الجهادين جميعا ولا تحابهم وكل من وقف منه على فساد في العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحجة وتستعمل معه الغلظة ما امكن منها وعن ابن مسعود ان لم يستطع بيده فبلسانه فان لم يستطع فليكفهر في وجهه فان لم يستطع فبقلبه يريد الكراهة والبغضاء والتبرؤ منه وقد حمل الحسن جهاد المنافقين على اقامة الحدود عليهم اذا تعاطوا اسبابها اقام رسول الله في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القران ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمع من معه منهم منهم الجلاس بن سويد فقال الجلاس والله لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفناهم وهم سادتنا واشرافنا ونحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الانصاري للجلاس اجل والله ان محمدا لصادق وانت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله فاستحضر فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده فقال اللهم انزل على عبدك ونبيك تصديق الصادق وتكذيب الكاذب فنزل يحلفون بالله ما قالوا فقال الجلاس يا رسول الله لقد عرض الله علي التوبة والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته **وكفروا بعد اسلامهم** واظهروا كفرهم بعد اظهارهم الاسلام **وهموا** بما لم ينالوا وهو الفتك برسول الله وذلك عند مرجعه من تبوك توافق خمسة عشر منهم على ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة خلفها يسوقها بوقع اخفاف الابل وبقعقعة السلاح فالتفت فاذا قوم متلثمون فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون بقتل عامر لرده على الجلاس وقيل ارادوا ان يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض رسول الله **وما نقموا** منهم وما انكروا وما عابوا الا ان اغناهم الله وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله المدينة في ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فاثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله بديته اثني عشر الفا فاستغنى **فان يتوبوا** هي الاية التي تاب عندها الجلاس **في الدنيا** والاخرة بالقتل والنار روي ان ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه السلام يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسال عنه رسول الله عليه السلام فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث مصدقين لاخذ الصدقة فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسالاه الصدقة واقراه الكتاب الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية وقال ارجعا حتى ارى رايي فلما رجعا قال لهما رسول الله قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعني ان اقبل منك فجعل التراب على راسه فقال هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله فجاء بها الى ابي بكر فلم يقبلها وجاء بها الى عمر في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمن عثمان لنصدقن ولنكونن بالنون الخفيفة فيهما **من الصالحين** قال ابن عباس

فلما اتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما
كانوا يكذبون الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم وان الله علام الغيوب الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين
لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب اليم استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك
بانهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم

يريد الحج **فاعقبهم** عن الحسن وقتادة ان الضمير للبخل يعني فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم لانه كان سببا فيه وداعيا اليه والظاهر ان الضمير لله عز وجل والمعنى فخذلهم حتى نافقوا وتمكن في قلوبهم نفاقهم فلا ينفك عنها الى ان يموتوا بسبب اخلافهم ما وعدوا الله من التصدق والصلاح وكونهم كاذبين ومنه جعل خلف الوعد ثلث النفاق وقرئ يكذبون بالتشديد الم يعلموا بالتاء عن علي رضي الله عنه سرهم ونجواهم ما اسروه من النفاق والعزم على اخلاف ما وعدوه وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها **الذين يلمزون** محله النصب او الرفع على الذم ويجوز ان يكون في محل الجر بدلا من الضمير في سرهم ونجواهم وقرئ يلمزون بالضم **المطوعين** المتطوعين المتبرعين روي ان رسول الله صلى الله عليه حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعين اوقية من ذهب وقيل باربعة الاف درهم وقال كان لي ثمانية الاف فاقرضت ربي اربعة وامسكت اربعة لعيالي فقال رسول الله بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك له حتى صولحت تماضر امراته عن ربع الثمن على ثمانين الفا وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع من تمر فقال بت ليلتي اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره رسول الله ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت **الا جهدهم** الا طاقتهم وقرئ بالفتح والضم **سخر الله منهم** كقوله الله يستهزئ بهم في انه خبر غير دعاء الا ترى الى قوله ولهم عذاب اليم سال عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان رجلا صالحا رسول الله عليه السلام ان يستغفر لابيه في مرضه ففعل فنزلت فقال عليه السلام ان الله قد رخص لي فسازيد على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم وقد ذكرنا ان هذا الامر في معنى الخبر كانه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت لهم ام لم تستغفر وان فيه معنى الشرط وذكرنا النكتة في المجيء به على لفظ الامر والسبعون جار مجرى المثل في كلامهم للتكثير قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لاصبحن العاص وابن العاص سبعين الفا عاقدي النواصي **فان قلت** كيف خفي على رسول الله وهو افصح العرب واخبرهم باساليب الكلام وتمثيلاته والذي يفهم من ذكر هذا العدد كثرة الاستغفار كيف وقد تلاه بقوله ذلك بانهم كفروا الاية فبين الصارف عن المغفرة لهم حتى قال قد رخص لي ربي فسازيد على السبعين **قلت** لم يخف عليه ذلك ولكنه خيل بما قال اظهارا لغاية رحمته ورافته على من بعث اليه كقول ابرهيم ومن عصاني فانك غفور رحيم وفي اظهار النبي الرحمة لطف لامته ودعاء لهم الى ترحم بعضهم على بعض **المخلفون** الذين استاذنوا رسول الله من المنافقين فاذن لهم وخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك او الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان **بمقعدهم** بقعودهم عن الغزو **خلاف** رسول الله خلفه يقال اقام خلاف الحي بمعنى بعدهم ظعنوا ولم يظعن معهم وتشهد له قراءة ابي حيوة خلف رسول الله وقيل هو بمعنى المخالفة لانهم خالفوه حيث قعد ونهض وانتصابه على انه مفعول له او حال اي قعدوا لمخالفته او مخالفين له **ان يجاهدوا** باموالهم وانفسهم تعريض بالمؤمنين وبتحملهم المشاق العظام لوجه الله وبما فعلوا من بذل اموالهم وارواحهم في سبيل الله وايثارهم ذلك

وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون فإن رجعك
الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين
ولا تصل على أحد منهم

على الدعة والخفض وكره ذلك المنافقون وكيف لا يكرهونه وما فيهم ما في المؤمنين من باعث الإيمان وداعي
الإيقان قل نار جهنم أشد حرا استجهال لهم لأن من تصون من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك التصون
في مشقة الأبد كان أجهل من كل جاهل ولبعضهم: مسرة أحقاب تلقيت بعدها * مساءة يوم أريها شبه الصاب
فكيف بأن تلقى مسرة ساعة * وراء تقضيها مساءة أحقاب. معناه فسيضحكون قليلا ويبكون كثيرا
جزاء إلا أنه أخرج على لفظ الأمر للدلالة على أنه حتم واجب لا يكون غيره يروى أن أهل النفاق يبكون
في النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم وإنما قال إلى طائفة منهم لأن منهم من تاب من النفاق وندم
على التخلف أو اعتذر بعذر صحيح وقيل لم يكن المخلفون كلهم منافقين فأراد بالطائفة المنافقين
منهم فاستأذنوك للخروج يعني إلى غزوة بعد غزوة تبوك وأول مرة هي الخرجة إلى غزوة تبوك وكان
إسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم الذي علم الله أنه لم يدعهم إليه إلا النفاق بخلاف غيرهم
من المتخلفين مع الخالفين قد مر تفسيره وقرأ مالك بن دينار رحمه الله مع الخلفين على قصر الخالفين
فإن قلت مرة نكرة وضعت موضع المرات للتفضيل فلم ذكر اسم التفضيل المضاف إليها وهو دال على واحدة
من المرات قلت أكثر اللغتين هند أكبر النساء وهي أكبرهن ثم إن قولك هي كبرى امرأة لا تكاد تعثر عليه
ولكن هي أكبر امرأة وأول مرة وآخر مرة وعن قتادة ذكر لنا أنهم كانوا اثني عشر رجلا قيل فيهم ما قيل روي أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم على قبور المنافقين ويدعو لهم فلما مرض رأس النفاق عبد الله بن أبي بعث إليه ليأتيه
فلما دخل عليه قال أهلكك حب اليهود فقال يا رسول الله بعثت إليك لتستغفر لي لا لتؤنبني وسأله أن يكفنه
في شعاره الذي يلي جلده ويصلي عليه فلما مات دعاه ابنه حباب إلى جنازته فسأله عن اسمه فقال أنت عبد الله بن عبد
الله الحباب اسم شيطان فلما هم بالصلاة عليه قال عمر أتصلي على عدو الله فنزلت وقيل أراد أن يصلي
عليه فجذبه جبريل فإن قلت كيف جازت له تكرمة المنافق وتكفينه في قميصه قلت كان ذلك مكافأة
له على صنيع سبق له وذلك أن العباس عم رسول الله لما أخذ أسيرا ببدر لم يجدوا له قميصا وكان رجلا طوالا
فكساه عبد الله قميصه وقال المشركون يوم الحديبية إنا لا نأذن لمحمد ولكنا نأذن لك فقال
لا إن لي في رسول الله أسوة حسنة فشكر رسول الله له ذلك وإجابته له إلى مسألته إياه فقد كان عليه السلام
لا يرد سائلا وكان يتوفر على دواعي المروة ويعمل بعادات الكرام وإكراما لابنه الرجل الصالح فقد روي
أنه قال له أسألك أن تكفنه في بعض قمصانك وأن تقوم على قبره لا يشمت به الأعداء وعلما بأن تكفينه
في قميصه لا ينفعه مع كفره فلا فرق بينه وبين غيره من الأكفان وليكون إلباسه لطفا لغيره فقد روي
أنه قيل له لم وجهت إليه بقميصك وهو كافر فقال إن قميصي لن يغني عنه من الله شيئا وإني أؤمل من الله أن يدخل
في الإسلام كثير بهذا السبب فيروى أنه أسلم ألف من الخزرج لما رأوه طلب الاستشفاء بثوب رسول الله وكذلك
ترحمه واستغفاره كان للدعاء إلى التراحم والتعاطف لأنهم إذا رأوه يترحم على من يظهر الإيمان
وباطنه على خلاف ذلك دعا المسلم إلى أن يتعطف على من واطأ قلبه لسانه ورآه حتما عليه فإن قلت
فكيف جازت الصلاة عليه قلت لم يتقدم نهي عن الصلاة عليهم وكانوا يجرون مجرى المسلمين لظاهر إيمانهم لما

في ذلك من المصلحة وعن ابن عباس ما أدري ما هذه الصلاة إلا أني أعلم أن رسول الله لا يخادع مات صفة لأحد
وإنما قيل مات وماتوا بلفظ الماضي والمعنى على الاستقبال على تقدير الكون والوجود لأنه كائن موجود لا محالة
إنهم كفروا تعليل للنهي ولا تعجبك قد أعيد قوله ولا تعجبك لأن تجدد النزول له شأن في تقرير ما نزل له
وتأكيده وإرادة أن يكون على بال من المخاطب لا ينساه ولا يسهو عنه وأن يعتقد أن العمل به مهم
يفتقر إلى فضل عناية به لا سيما إذا تراخى ما بين النزولين فأشبه الشيء الذي أهم صاحبه فهو يرجع
إليه في أثناء حديثه ويتخلص إليه وإنما أعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب أن يحذر منه ويجوز أن يراد
بالسورة تمامها وأن يراد بعضها في قوله وإذا أنزلت سورة كما يقع القرآن والكتاب على كله وعلى
بعضه وقيل هي براءة لأن فيها الأمر بالإيمان والجهاد أن آمنوا هي أن المفسرة أولو الطول ذوو الفضل والسعة
من طال عليه طولا مع القاعدين مع الذين لهم علة وعذر في التخلف فهم لا يفقهون ما في الجهاد
من الفوز والسعادة وما في التخلف من الشقاء والهلاك لكن الرسول أي إن تخلف هؤلاء فقد نهد إلى الغزو
من هو خير منهم وأخلص نية ومعتقدا كقوله فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما فإن استكبروا
فالذين عند ربك الخيرات تتناول منافع الدارين لإطلاق اللفظ وقيل الحور لقوله فيهن خيرات المعذرون
من عذر في الأمر إذا قصر فيه وتوانى ولم يجد وحقيقته أن يوهم أن له عذرا فيما يفعل ولا عذر له أو
المعتذرون بإدغام التاء في الذال ونقل حركتها إلى العين ويجوز في العربية كسر العين لالتقاء
الساكنين وضمها لاتباع الميم ولكن لم تثبت بها قراءة وهم الذين يعتذرون بالباطل كقوله
يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم وقرئ المعذرون بالتخفيف وهو الذي يجتهد في العذر ويحتشد
فيه قيل هم أسد وغطفان قالوا إن لنا عيالا وإن بنا جهدا فأذن لنا في التخلف وقيل هم رهط
عامر بن الطفيل قالوا إن غزونا معك أغارت أعراب طيء على أهالينا ومواشينا فقال عليه السلام
سيغنيني الله عنكم وعن مجاهد نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله وعن قتادة اعتذروا
بالكذب وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال من تعذر بمعنى اعتذر وهذا غير صحيح لأن التاء
لا تدغم في العين إدغامها في الطاء والزاي والصاد في المطوعين وازكى واصدق وقيل أريد المعذرون
بالصحة وبه فسر المعذرون والمعذرون على قراءة ابن عباس لأنه لم يفرطوا في العذر وقعد الذين
كذبوا الله ورسوله هم منافقو الأعراب الذين لم يجيبوا ولم يعتذروا وأظهروا بذلك أنهم كذبوا
الله ورسوله ههنا منافقو الأعراب في ادعائهم الإيمان وقرأ أبي كذبوا بالتشديد سيصيب الذين كفروا منهم
من الأعراب عذاب أليم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار الضعفاء الهرمى والزمنى والذين لا يجدون الفقراء
قيل هم مزينة وجهينة وبنو عذرة والنصح لله ورسوله الإيمان بهما وطاعتهما في السر والعلن وتوليهما
والحب والبغض فيهما كما يفعل الموالي الناصح بصاحبه على المحسنين على المعذورين الناصحين ومعنى لا سبيل
عليهم لا جناح عليهم ولا طريق للعاتب عليهم قلت حال من الكاف في أتوك وقد قبله مضمرة كما قيل في قوله
أو جاؤكم حصرت صدورهم أي إذا ما أتوك قائلا لا أجد تولوا وقيل حصر الله المعذرين من التخلف

ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون انما السبيل على
الذين يستاذنونك وهم اغنيا رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم
قل لا تعتذروا لن نومن لكم قد نبانا الله من اخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهاده فينبئكم بما كنتم تعملون
سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس وماويهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم
فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين الاعراب اشد كفرا ونفاقا واجدر الا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله
والله عليم حكيم ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم ومن الاعراب من يومن بالله واليوم الاخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول

الذين ليس لهم في ابدانهم استطاعة والذين عدموا آلة الخروج والذين سالوا المعونة فلم يجدوها وقيل المستحملون
المتحملون ابو موسى الاشعري واصحابه وقيل البكاؤون وهم ستة نفر من الانصار **تفيض من الدمع** كقولك تفيض
دمعا وهو ابلغ من يفيض دمعها لان العين جعلت كان كلها دمع فايض ومن للبيان كقولك افديك من رجل ومحل الجار
والمجرور النصب على التمييز **الا يجدوا** لئلا يجدوا ومحله نصب على انه مفعول له وناصبه المفعول له الذي هو حزنا
فان قلت رضوا ما موقعه **قلت** هو استيناف كانه قيل ما بالهم استاذنوا وهم اغنياء فقيل رضوا بالدناءة والضعة والانتظام
في جملة الخوالف وطبع الله على قلوبهم يعني ان السبب في استيذانهم رضاهم بالدناءة وخذلان الله اياهم **فان قلت** فهل
يجوز ان يكون قوله قلت لا اجد جوابا استينافا مثله كانه قيل اذا ما اتوك لتحملهم تولوا فقيل ما لهم تولوا باكين فقيل قلت
لا اجد ما احملكم عليه الا انه وسط بين الشرط والجزاء كالاعتراض **قلت** نعم ويحسن **لن نومن لكم** علة للنهي عن الاعتذار
لان غرض المعتذر ان يصدق فيما يعتذر به فاذا علم انه مكذب وجب عليه الاخلال وقوله قد نبانا الله من اخباركم
علة لانتفاء تصديقهم لان الله عز وجل اذا اوحى الى رسوله الاعلام باخبارهم واحوالهم وما في ضمائرهم من الشر والفساد
لم يستقم مع ذلك تصديقهم في معاذيرهم **وسيرى الله** عملكم اتنيبون ام تثبتون على كفركم **ثم** تردون اليه وهو
عالم كل غيب وشهادة وسر وعلانية فيجازيكم على حسب ذلك **لتعرضوا عنهم** فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم **فاعرضوا**
عنهم فاعطوهم طلبتهم **انهم** رجس تعليل لترك معاتبتهم يعني ان المعاتبة لا تنفع فيهم ولا تصلحهم انما يعاتب
الاديم ذو البشرة والمومن يوبخ على زلة تفرط منه ليطهره التوبيخ بالحمل على التوبة والاستغفار واما هولاء
فارجاس لا سبيل الى تطهيرهم **وماويهم** جهنم يعني وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا عتابهم **لترضوا**
عنهم اي غرضهم بالحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم ذلك في دنياهم فان ترضوا عنهم فان رضاكم وحدكم لا ينفعهم
اذا كان الله ساخطا عليهم وكانوا عرضة لعاجل عقوبته وآجلها وقيل انما قيل ذلك لئلا يتوهم متوهم ان رضا المومنين
يقتضي رضا الله عنهم قيل هم جد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهما وكانوا ثمانين رجلا منافقين فقال النبي صلى
الله عليه حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل جاء عبد الله بن ابي يحلف ان لا يتخلف عنه ابدا **الاعراب**
اهل البدو **اشد** كفرا ونفاقا من اهل الحضر لجفائهم وقسوتهم وتوحشهم ونشئهم في بعد من مشاهدة العلما ومعرفة
الكتاب والسنة **واجدر** ان لا يعلموا واحق بجهل حدود الدين وما انزل الله من الشرائع والاحكام ومنه قوله عليه السلام ان
الجفاء والقسوة في الفدادين **والله** عليم يعلم حال كل احد من اهل الوبر والمدر **حكيم** فيما يصيب به مسيئهم
ومحسنهم من عقابه وثوابه **مغرما** غرامة وخسرانا والغرامة ما ينفقه الرجل وليس يلزمه لانه لا ينفق الا تقية من
المسلمين ورياء لا لوجه الله وابتغاء المثوبة عنده **ويتربص بكم** دوائر الزمان دوله وعقبه لتذهب غلبتكم
عليه فيتخلص من اعطاء الصدقة **عليهم** دائرة السوء دعاء معترض دعي عليهم بنحو ما دعوا به كقوله عز وعلا وقالت
اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم وقرئ السوء بالضم وهو العذاب كما قيل له سيئة والسوء بالفتح وهو ذم للدائرة
كقولك رجل سوء في نقيض قولك رجل صدق لان من دارت عليه ذام لها **والله** سميع لما يقولون اذا توجهت عليهم
الصدقة **عليم** بما يضمرون وقيل هم اعراب اسد وغطفان وتميم **قربات** مفعول ثان ليتخذ والمعنى ان ما ينفقه
سبب لحصول القربات عند الله **وصلوات الرسول** لان الرسول كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله اللهم صل

الا انها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته ان الله غفور رحيم والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان
رضي الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم من الاعراب
منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى
عذاب عظيم وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا

على آل ابي اوفى وقال الله تعالى وصل عليهم فلما كان ما ينفق سببا لذلك قيل يتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات **الا انها**
شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات وصلوات وتصديق لرجائه على طريق الاستيناف
مع حرفي التنبيه والتحقيق المؤذنين بثبات الامر وتمكنه وكذلك سيدخلهم وما في السين من تحقيق الوعد وما ادل
هذا الكلام على رضا الله عن المتصدقين وان الصدقة منه بمكان اذا خلصت النية من صاحبها وقرئ قربة بضم الراء
وقيل هم عبد الله ذو البجادين ورهطه **والسابقون** الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين وقيل الذين شهدوا
بدرا وعن الشعبي من بايع بالحديبية وهي بيعة الرضوان ما بين الهجرتين ومن الانصار اهل بيعة العقبة الاولى
وكانوا سبعة نفر واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير فعلمهم
القرآن وقرا عمر رضي الله عنه والانصار بالرفع عطفا على السابقون وعن عمر انه كان يرى ان قوله والذين اتبعوهم
باحسان بغير واو صفة للانصار حتى قال له زيد انه بالواو فقال ايتوني بابي فقال تصديق ذلك في اول الجمعة واخرين
منهم واوسط الحشر والذين جاءوا من بعدهم وآخر الانفال والذين آمنوا من بعد وروي انه سمع رجلا يقراه بالواو فقال من اقراك
قال ابي فدعاه فقال اقرانيه رسول الله عليه السلم وانك لتبيع القرظ بالبقيع قال صدقت وان شئت قلت شهدنا وغبتم
ونصرنا وخذلتم وآوينا وطردتم ومن ثم قال عمر لقد كنت ارانا رفعنا رفعة لا يبلغها احد بعدنا والخبر
السابقون بالابتدا او خبره رضي الله عنهم ومعناه رضي عنهم لاعمالهم ورضوا عنه لما افاض عليهم من نعمته
الدينية والدنيوية وفي مصاحف اهل مكة تجري من تحتها وهي قراءة ابن كثير وفي سائر المصاحف تحتها بغير
من **وممن حولكم** يعني حول بلدتكم وهي المدينة **منافقون** وهم جهينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين
حولها **ومن اهل المدينة** عطف على خبر المبتدا الذي هو ممن حولكم ويجوز ان يكون جملة معطوفة على المبتدا
والخبر اذا قدرت ومن اهل المدينة قوم مردوا على النفاق على ان مردوا صفة موصوف محذوف كقوله انا
ابن جلا وعلى الوجه الاول لا يخلو من ان يكون كلاما مبتدا او صفة لمنافقون فصل بينها وبينه بمعطوف على خبره
مردوا على النفاق تمهروا فيه من مرن فلان على عمله ومرد عليه اذا درب به وضري حتى لان عليه ومهر فيه ودل
على مرانتهم عليه ومهارتهم فيه بقوله لا تعلمهم اي يخفون عليك مع فطنتك وشهامتك وصدق فراستك لفرط تنوقهم
في تحامي ما يشككك في امرهم ثم قال نحن نعلمهم اي لا يعلمهم الا الله ولا يطلع على سرهم غيره
لانهم يبطنون الكفر في سويداوات قلوبهم ابطانا ويبرزون لك ظاهرا كظاهر المخلصين من المومنين
لا تشك معه في ايمانهم وذلك انهم مردوا على النفاق وضروا به فلهم فيه اليد الطولى **سنعذبهم** مرتين
قيل هما القتل وعذاب القبر وقيل الفضيحة وعذاب القبر وعن ابن عباس انهم اختلفوا في هاتين
المرتين فقال قام رسول الله خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك
منافق فاخرج ناسا وفضحهم فهذا العذاب الاول والثاني عذاب القبر وعن الحسن اخذ الزكاة من
اموالهم ونهك ابدانهم **ثم يردون** الى عذاب عظيم الى عذاب النار **اعترفوا** بذنوبهم اي لم يعتذروا من
تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم ولكن اعترفوا على انفسهم بانهم بيس ما فعلوا متذممين نادمين
وكانوا ثلاثة ابو لبابة مروان بن عبد المنذر واوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام وقيل كانوا عشرة فسبعة

وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلوتك
سكن لهم والله سميع عليم الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وان الله هو التواب الرحيم وقل
اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون وآخرون مرجون
لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم

منهم اوثقوا نفوسهم بلغهم ما نزل في المتخلفين فايقنوا بالهلاك فاوثقوا انفسهم على سواري المسجد فقدم رسول الله صلى الله عليه فدخل المسجد فصلى ركعتين وكانت عادته كلما قدم من سفر فرآهم موثقين فسأل عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى يكون رسول الله هو الذي يحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم وعذرهم فقالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت خذ من اموالهم عملا صالحا خروجا الى الجهاد وآخر سيئا تخلفا عنه عن الحسن وعن الكلبي التوبة والاثم فان قلت قد جعل كل واحد منهما مخلوطا فما المخلوط به قلت كل واحد منهما مخلوط ومخلوط به لان المعنى خلط كل واحد منهما بالآخر كقولك خلطت الماء واللبن تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه وفيه ما ليس في قولك خلطت الماء باللبن لانك جعلت الماء مخلوطا واللبن مخلوطا به واذا قلته بالواو جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطا بهما كانك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء ويجوز ان يكون من قولهم بعت الشاء شاة ودرهما بمعنى بدرهم فان قلت كيف قيل عسى الله ان يتوب عليهم وما ذكرت توبتهم قلت اذا ذكر اعترافهم بذنوبهم وهو دليل على التوبة فقد ذكرت توبتهم تطهرهم صفة لصدقة وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للامر ولم يقرأ وتزكيهم الا باثبات الياء والتاء في تطهرهم للخطاب او لغيبة المؤنث والتزكية مبالغة في التطهير وزيادة فيه او بمعنى الانماء والبركة في المال وصل عليهم واعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم والسنة ان يدعو المصدق لصاحب الصدقة اذا اخذها وعن الشافعي احب ان يقول الوالي عند اخذ الصدقة اجرك الله فيما اعطيت وجعله طهورا وبارك لك فيما ابقيت وقرئ ان صلوتك سكن لهم على التوحيد سكن لهم يسكنون اليه وتطمئن قلوبهم بان الله قد تاب عليهم والله سميع يسمع اعترافهم بذنوبهم ودعاءهم عليم بما في ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم وقرئ الم يعلموا بالياء والتاء وفيه وجهان احدهما ان يراد المتوب عليهم يعني الم يعلموا قبل ان يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم ان الله هو يقبل التوبة اذا صحت ويقبل الصدقات اذا صدرت عن خلوص النية وهو للتخصيص والتأكيد يعني ان الله من شأنه قبول توبة التائبين وقيل معنى التخصيص في هو ان ذلك ليس الى رسول الله انما الله هو الذي يقبل التوبة ويردها فاقصدوه بها ووجهوها اليه وقل لهؤلاء التائبين اعملوا فان عملكم لا يخفى خيرا كان او شرا على الله وعباده كما رأيتم وتبين لكم والثاني ان يراد غير التائبين ترغيبا لهم في التوبة فقد روي انهم لما تيب عليهم قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت فان قلت فما معنى قوله ويأخذ الصدقات قلت هو مجاز عن قبوله لها وعن ابن مسعود ان الصدقة تقع في يد الله قبل ان تقع في يد السائل والمعنى انه يتقبلها ويضاعف عليها وقوله فسيرى الله وعيد لهم وتحذير من عاقبة الاصرار والذهول عن التوبة وقرئ مرجون ومرجؤون من ارجيته وارجأته اذا اخرته ومنه المرجئة يعني وآخرون من المتخلفين موقوف امرهم اما يعذبهم ان بقوا على الاصرار ولم يتوبوا واما يتوب عليهم ان تابوا وهم ثلاثة كعب بن مالك

والله عليم حكيم والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن
ان اردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون لا تقم فيه ابدا لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه

وهلال بن امية ومرارة بن الربيع امر رسول الله عليه السلام اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل ابو لبابة واصحابه من شد انفسهم على السواري واظهار الجزع والغم فلما علموا ان احدا لا ينظر اليهم فوضوا امرهم الى الله واخلصوا نياتهم ونصحت توبتهم فرحمهم الله والله عليم حكيم وفي قراءة عبد الله غفور رحيم واما للعباد يخافوا عليهم العذاب ويرجوا لهم الرحمة في مصاحف اهل المدينة والشام الذين اتخذوا بغير واو لانها قصة على حيالها وفي سايرها بالواو على عطف قصة مسجد الضرار الذي احدثه المنافقون على ساير قصصهم روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء بعثوا الى رسول الله ان يأتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا ونرسل الى رسول الله يصلي فيه ويصلي فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام ليثبت لهم الفضل والزيادة على اخوتهم وهو الذي سماه رسول الله الفاسق وقال لرسول الله يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن خرج هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فاني ذاهب الى قيصر وآت بجنود ومخرج محمدا واصحابه من المدينة فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قباء وقالوا للنبي عليه السلام بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب ان تصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال اني على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سألوه اتيان المسجد فنزلت عليه فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشي قاتل حمزة فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل وامر ان يتخذ مكانه كناسة تلقى فيه الجيف والقمامة ومات ابو عامر بالشام بقنسرين ضرارا مضارة لاخوانهم اصحاب مسجد قباء ومعازة وكفرا وتقوية للنفاق وتفريقا بين المؤمنين لانهم كانوا يصلون مجتمعين في مسجد قباء فيغتص بهم فارادوا ان يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم وارصادا واعدادا لاجل من حارب الله ورسوله وهو الراهب اعدوه له ليصلي فيه ويظهر على رسول الله وقيل كل مسجد بني مباهاة او رياء وسمعة او لغرض سوى ابتغاء وجه الله او بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار وعن شقيق انه لم يدرك الصلاة في مسجد بني عامر فقيل له مسجد بني فلان لم يصلوا فيه بعد فقال لا احب ان اصلي فيه فانه بني على ضرار وكل مسجد بني على ضرار او رياء وسمعة فان اصله ينتهي الى المسجد الذي بني ضرارا وعن عطاء لما فتح الله الامصار على عمر رضي الله عنه امر المسلمين ان يبنوا المساجد وان لا يتخذوا في مدينة مسجدين يضار احدهما صاحبه فان قلت والذين اتخذوا ما محله من الاعراب قلت محله النصب على الاختصاص كقوله والمقيمين الصلوة وقيل هو مبتدأ خبره محذوف معناه وفيمن وصفنا الذين اتخذوا كقوله والسارق والسارقة فان قلت بم يتصل قوله من قبل قلت باتخذوا اي اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف ان اردنا ما اردنا ببناء هذا المسجد الا الخصلة الحسنى او الارادة الحسنى وهي الصلوة وذكر الله والتوسعة على المصلين لمسجد اسس على التقوى قيل هو مسجد قباء اسسه رسول الله عليه السلام وصلى فيه ايام مقامه بقباء وهي يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة وهو اولى لان الموازنة بين مسجدي قباء اوقع وقيل هو مسجد رسول الله بالمدينة وعن ابي سعيد الخدري سألت رسول الله عليه

لانه ذكر اولا مسجد الضرار مع صفاته المذمومة المذكورة وذكر هنا تأسيسا مع الصفات المرضية المحمودة فارادة مسجد قباء اولى واوقع تحقيقا للمقابلة

فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير امن اسس بنيانه على شفا جرف
هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين

عن المسجد الذي اسس على التقوى فاخذ حصباء فضرب بها الارض وقال هو مسجدكم هذا لمسجد المدينة من اول يوم
من اول يوم من ايام وجوده فيه رجال يحبون ان يتطهروا قيل لما نزلت مشى رسول الله عليه السلام ومعه المهاجرون حتى وقف
على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال امؤمنون انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر يا رسول الله انهم لمؤمنون
وانا معهم فقال عليه السلام اترضون بالقضاء قالوا نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون في الرخاء قالوا
نعم قال عليه السلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون
عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا
النبي عليه السلام رجال يحبون ان يتطهروا وقرئ ان يطهروا بالادغام وقيل هو عام في التطهر من النجاسات كلها
وقيل كانوا لا ينامون الليل على الجنابة ويتبعون الماء اثر البول وعن الحسن هو التطهر من الذنوب
بالتوبة وقيل يحبون ان يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا عن آخرهم فان قلت ما معنى المحبتين
قلت محبتهم للتطهر انهم يؤثرونه ويحرصون عليه حرص المحب للشيء المشتهى له على ايثاره ومحبة
الله اياهم انه يرضى عنهم ويحسن اليهم كما يفعل المحب بمحبوبه قرئ اسس بنيانه واسس بنيانه
على البناء للفاعل والمفعول واسس بنيانه جمع اساس على الاضافة واساس بنيانه بالفتح وبالكسر
جمع اس واساس بنيانه على افعال جمع اس واساس ايضا واس بنيانه والمعنى افمن اسس بنيان دينه على
قاعدة قوية محكمة وهي الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه خير ام من اسسه على قاعدة هي اضعف القواعد
وارخاها واقلها بقاء وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل شفا جرف هار في قلة الثبات والاستمساك
وضع شفا الجرف في مقابلة التقوى لانه جعل مجازا عما ينافي التقوى فان قلت فما معنى فانهار به في
نار جهنم قلت لما جعل الجرف الهائر مجازا عن الباطل قيل فانهار به في نار جهنم على معنى فطاح به الباطل
في نار جهنم الا انه رشح المجاز فجيء بلفظ الانهيار الذي هو للجرف وليصور ان المبطل كانه
اسس بنيانا على شفا جرف من اودية جهنم فانهار به ذلك الجرف فهوى في قعرها والشفا الحرف
والشفير وجرف الوادي جانبه الذي يتحفر اصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهيا
والهار الهائر وهو المتصدع الذي اشفى على التهدم والسقوط ووزنه فعل قصر عن فاعل
كخلف من خالف ونظيره شاك وصات في شائك وصائت والفه ليست بالف فاعل انما هي عينه
واصله هور وشوك وصوت ولا ترى ابلغ من هذا الكلام ولا ادل على حقيقة الباطل وكنه
امره وقرئ جرف بسكون الراء فان قلت فما وجه ما روى سيبويه عن عيسى بن عمر على تقوى من الله بالتنوين
قلت قد جعل الالف للالحاق لا للتانيث كتترى فيمن نون الحقها بجعفر وفي مصحف ابي
فانهارت به قواعده وقيل حفرت بقعة من مسجد الضرار فرئي الدخان يخرج منه وروي
ان مجمع بن جارية كان امامهم في مسجد الضرار فكلم بنو عمرو بن عوف اصحاب مسجد قباء عمر بن
الخطاب في خلافته ان ياذن لمجمع فيؤمهم في مسجدهم فقال لا ولا نعمة عين اليس بامام مسجد النفاق
فقال يا امير المؤمنين لا تعجل علي فوالله لقد صليت بهم والله يعلم اني لا اعلم ما اضمروا فيه

لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم الا ...
الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التورية والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله
فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون
الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين

فيه ولو علمت ما صليت معهم فيه كنت غلاما قارئا للقرآن وكانوا شيوخا لا يقرؤن من القرآن شيئا فعذره
وصدقه وامره بالصلاة بقومه ريبة شكا في الدين ونفاقا وكان القوم منافقين وانما حملهم
على بناء ذلك المسجد كفرهم ونفاقهم كما قال عز وجل ضرارا وكفرا فلما هدمه رسول الله ازدادوا لما
غاظهم من ذلك وعظم عليهم تصميما على النفاق ومقتا للاسلام فمعنى قوله لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة
في قلوبهم لا يزال هدمه سبب شك ونفاق زائد على شكهم ونفاقهم لا يزول وسمه عن قلوبهم ولا يضمحل
اثره الا ان تقطع قلوبهم قطعا وتفرق اجزاء فحينئذ يسلون عنه واما ما دامت سالمة مجتمعة
فالريبة باقية فيها متمكنة فيجوز ان يكون ذكر التقطع تصويرا لحال زوال الريبة عنها ويجوز ان يراد
حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم او في القبور او في النار وقرئ يقطع بالياء وتقطع بالتخفيف
وتقطع بفتح التاء بمعنى تتقطع وتقطع قلوبهم على ان الخطاب للرسول اي الا ان تقطع قلوبهم
بقتلهم وقرا الحسن الى ان وفي قراءة عبد الله ولو قطعت قلوبهم وعن طلحة ولو قطعت قلوبهم
على خطاب الرسول او كل مخاطب وقيل معناه الا ان يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما واسفا
على تفريطهم مثل الله اثابتهم بالجنة على بذلهم انفسهم واموالهم في سبيله بالشرى وروي
تاجرهم فاغلى لهم الثمن وعن عمر رضي الله عنه جعل لهم الصفقتين جميعا وعن الحسن انفسا
هو خلقها واموالا هو رزقها وروي ان الانصار حين بايعوه على العقبة قال عبد الله بن
رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا
واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم قال فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال لكم
الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل ومر برسول الله اعرابي وهو يقرؤها فقال
كلام من قال كلام الله قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو واستشهد
يقاتلون فيه معنى الامر كقوله تجاهدون في سبيل الله باموالكم وقرئ فيقتلون ويقتلون
وعدا على بناء الاول للفاعل والثاني للمفعول وعلى العكس وعدا مصدر مؤكد واخبر بان
هذا الوعد الذي وعده المجاهدين في سبيله وعد ثابت قد اثبته في التورية والانجيل كما
اثبته في القرآن ثم قال ومن اوفى بعهده من الله لان اخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكرام من الخلق
مع جوازه عليهم لحاجتهم فكيف بالغني الذي لا يجوز عليه قبيح قط ولا ترى ترغيبا في الجهاد
احسن منه وابلغ التائبون رفع على المدح اي هم التائبون يعني المؤمنين المذكورين ويدل عليه
قراءة عبد الله وابي رضي الله عنهما التائبين بالياء الى والحافظين نصبا على المدح ويجوز ان يكون
جرا صفة للمؤمنين وجوز الزجاج ان يكون مبتدا خبره محذوف اي التائبون العابدون من اهل
الجنة ايضا وان لم يجاهدوا كقوله وكلا وعد الله الحسنى وقيل هو رفع على البدل من الضمير في
يقاتلون ويجوز ان يكون مبتدا وخبره العابدون وما بعده خبر بعد خبر اي التائبون من الكفر على
الحقيقة الجامعون لهذه الخصال وعن الحسن هم الذين تابوا من الشرك وتبرؤا من النفاق
والعابدون الذين عبدوا الله وحده واخلصوا له العبادة وحرصوا عليها والسائحون الصائمون

ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم
لاواه حليم وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ان الله
بكل شيء عليم ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من

شبهوا بذوي السياحة في الارض في امتناعهم من شهواتهم وقيل هم طلبة العلم يسيحون في الارض
يطلبونه في مظانه قيل قال النبي لعمه ابي طالب انت اعظم الناس علي حقا واحسنهم عندي يدا فقل
كلمة تجب لك بها شفاعتي فابى فقال لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما
افتتح مكة سال اي ابويه احدث به عهدا فقيل امك آمنة فزار قبرها بالابواء ثم قام مستعبرا
فقال اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته في الاستغفار لها فلم ياذن لي ونزلت وهذا
اصح لان موت ابي طالب كان قبل الهجرة وهذا آخر ما نزل بالمدينة وقيل استغفر لابيه وقيل قال
المسلمون ما يمنعنا ان نستغفر لآبائنا وذوي قراباتنا وقد استغفر ابرهيم لابيه وهذا محمد يستغفر
لعمه ما كان للنبي ما صح له الاستغفار في حكم الله وحكمته من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب
الجحيم لانهم ماتوا على الشرك وقرأ طلحة وما استغفر ابرهيم لابيه وعنه وما يستغفر ابرهيم على حكاية الحال
الماضية الا عن موعدة وعدها اياه اي وعدها ابرهيم اباه وهو قوله لاستغفرن لك وتدل عليه قراءة الحسن وحماد
الراوية وعدها اباه فان قلت كيف خفي على ابرهيم ان الاستغفار للكافر غير جائز حتى وعده قلت يجوز ان يظن
انه ما دام يرجى منه الايمان جاز الاستغفار له على ان امتناع جواز الاستغفار للكافر انما علم بالوحي لان العقل يجوز
ان يغفر الله للكافر الا ترى الى قوله عليه السلام لعمه لاستغفرن لك ما لم انه وعن الحسن قيل لرسول الله ان فلانا يستغفر لآبائه المشركين
فقال ونحن نستغفر لهم فنزلت وعن علي رضي الله عنه رأيت رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت له فقال اليس قد
استغفر ابرهيم فان قلت فما معنى قوله فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه قلت معناه فلما تبين له من جهة الوحي انه لن يؤمن
وانه يموت كافرا وانقطع رجاؤه عنه قطع استغفاره فهو كقوله من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم اواه فعال
من اوه كلال من اللؤلؤ وهو الذي يكثر التاوه ومعناه انه لفرط ترحمه ورقته وحلمه
كان يتعطف على ابيه الكافر ويستغفر له مع شكاسته عليه وقوله لارجمنك ما يتقون يعني ما امر
الله باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهي عنه وبين انه محظور لا يؤاخذ به عباده الذين
هداهم للاسلام ولا يسميهم ضلالا ولا يخذلهم الا اذا اقدموا عليه بعد بيان حظره عليهم وعلمهم بانه واجب
الاتقاء والاجتناب واما قبل العلم والبيان فلا سبيل عليهم كما لا يؤاخذون بشرب الخمر ولا ببيع الصاع بالصاعين
قبل التحريم وهذا بيان لعذر من خاف المؤاخذة بالاستغفار للمشركين قبل ورود النهي عنه وفي هذه الآية
شديدة ما ينبغي ان يغفل عنها وهي ان المهدي للاسلام اذا اقدم على بعض محظورات الله داخل في حكم الاضلال
والمراد بما يتقون ما يجب اتقاؤه للنهي فاما ما يعلم بالعقل كالصدق في الخبر ورد الوديعة فغير موقوف
على التوقيف تاب الله على النبي كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر واستغفر لذنبك وهو بعث للمؤمنين
على التوبة وانه ما من مؤمن الا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار حتى النبي والمهاجرون والانصار وابانة لفضل التوبة
ومقدارها عند الله وان صفة التوابين الاوابين صفة الانبياء كما وصفهم بالصالحين ليظهر فضيلة الصلاح
وقيل معناه تاب الله عليه من اذنه للمنافقين في التخلف عنه كقوله عفا الله عنك في ساعة العسرة في وقتها
والساعة مستعملة في معنى الزمان المطلق كما استعملت الغداة والعشية واليوم غداة طفت
علماء بكر بن وائل عشية قاربنا جذام وحميرا اذا جاء يوما وارثي يبتغي الغنى والعسرة
حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة من الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد وفي عسرة من

من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رءوف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم
الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم

الزاد تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة وبلغ بهم الشدة ان اقتسم التمرة
اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء وفي عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا
فروثها وفي شدة زمان من حمارة القيظ ومن الجدب والقحط والضيقة الشديدة كاد يزيغ
قلوب فريق منهم عن الثبات على الايمان او عن اتباع الرسول في تلك الغزوة والخروج معه وفي كاد
ضمير الشان وشبهه سيبويه بقولهم ليس خلق الله مثله وقرئ بالياء والتاء وفي قراءة عبد الله من بعد
ما زاغت قلوب فريق منهم يريد المتخلفين من المؤمنين كابي لبابة وامثاله ثم تاب عليهم تكرير للتوكيد ويجوز
ان يكون الضمير للفريق تاب عليهم لكيدودتهم الثلاثة كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية ومعنى
خلفوا خلفوا عن الغزو وقيل عن ابي لبابة واصحابه حيث تيب عليهم بعدهم وقرئ خلفوا اي خلفوا
الغازين بالمدينة او فسدوا من الخالفة وخلوف الفم وقرأ جعفر الصادق رضي الله عنه خالفوا وقرأ
الاعمش وعلى الثلاثة المخلفين بما رحبت برحبها اي مع سعتها وهو مثل للحيرة في امرهم كانهم
لا يجدون فيها مكانا يقرون فيه قلقا وجزعا مما هم فيه وضاقت عليهم انفسهم اي قلوبهم لا يسعها
انس ولا سرور لانها حرجت من فرط الوحشة والغم وظنوا وعلموا ان لا ملجأ من سخط الله الا الى
استغفاره ثم تاب عليهم ليتوبوا ثم رجع عليهم بالقبول والرحمة كرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم
ويثبتوا وليتوبوا ايضا فيما يستقبل ان فرطت منهم خطيئة علما منهم ان الله تواب على من تاب ولو عاد
في اليوم مائة مرة روي ان ناسا من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله منهم من بدا له وكره مكانه فلحق
به عن الحسن بلغني انه كان لاحدهم حائط كان خيرا من مائة الف درهم فقال يا حائطاه ما خلفني الا
ظلك وانتظار ثمرك اذهب فانت في سبيل الله ولم يكن لآخر الا اهله فقال يا اهلاه ما بطأني ولا
خلفني الا الضن بك لا جرم والله لاكابدن المفاوز حتى الحق برسول الله فركب ولحق
به ولم يكن لآخر الا نفسه لا اهل ولا مال فقال يا نفس ما خلفني الا حب الحياة لك والله لاكابدن الشدائد
حتى الحق برسول الله فتأبط زاده ولحق به قال الحسن كذلك والله المؤمن يتوب من ذنوبه ولا يصر عليها
وعن ابي ذر الغفاري ان بعيره ابطأ به فحمل متاعه على ظهره واتبع اثر رسول الله ماشيا فقال رسول
الله لما رأى سواده كن ابا ذر فقال الناس هو ذاك فقال رحم الله ابا ذر يمشي وحده ويموت وحده
ويبعث وحده وعن ابي خيثمة انه بلغ بستانه وكانت له امراة حسناء فرشت له في الظل وبسطت
له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامراة
حسناء ورسول الله في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر
كالريح فمد رسول الله طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه
ففرح به رسول الله واستغفر له ومنهم من بقي لم يلحق به منهم الثلاثة قال كعب لما قفل رسول
الله سلمت عليه فرد علي كالمغضب بعدما ذكرني وقال ليت شعري ما خلف كعبا فقيل له ما
خلفه الا حسن برديه والنظر في عطفيه فقال معاذ الله ما اعلم الا فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا
ايها الثلاثة فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا احد من قريب ولا بعيد فلما مضت اربعون ليلة

ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع اجر المحسنين

امرنا ان نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا انا بنداء من ذروة سلع ابشر
يا كعب بن مالك فخررت ساجدا وكنت كما وصفني ربي وضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم
وتتابعت البشارة فلبست ثوبي وانطلقت الى رسول الله فاذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون فقام الي طلحة
بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وقال لتهنئك توبة الله عليك فلن انساها لطلحة وقال رسول
الله وهو يستنير استنارة القمر ابشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك ثم تلا علينا الاية وعن
ابي بكر الوراق انه سئل عن التوبة النصوح فقال ان تضيق على التائب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب
ابن مالك وصاحبيه مع الصادقين وتركوا من الصادقين ومنهم الذين صدقوا في دين الله نية وقولا وعملا والذين
صدقوا في ايمانهم ومعاهدتهم الله ورسوله على الطاعة من قوله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقيل هم الثلاثة
اي كونوا مثلهم سواء في صدقهم وثباتهم وعن ابن عباس الخطاب لمن امن من اهل الكتاب اي كونوا مع المهاجرين
والانصار ووافقوهم وانتظموا في جملتهم واصدقوا مثل صدقهم وقيل لمن تخلف من الطلقاء عن غزوة تبوك
وعن ابن مسعود رضي الله عنه لا يصلح الكذب في جد ولا هزل ولا ان يعد احدكم صبيه ثم لا ينجز اقرؤا
ان شئتم وكونوا مع الصادقين وهل فيهما من رخصة ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه امروا بان يصحبوه
على الباساء والضراء وبكابدوا معه الاهوال برغبة ونشاط واغتباط وان يلقوا انفسهم من الشدائد ما
يلقاه نفسه علما بانها اعز نفس عند الله واكرمها عليه فاذا تعرضت مع كرامتها وعزتها للخوض
في شدة وهول وجب على سائر الانفس ان تتهافت فيما تعرضت له ولا يكترث لها اصحابها ولا
يقيموا لها وزنا وتكون اخف شيء عليهم واهونه فضلا عن ان يربؤا بانفسهم عن متابعتها ومصاحبتها ويضنوا
بها على ما سمح بنفسه عليه وهذا نهي بليغ مع تقبيح لامرهم وتوبيخ لهم عليه وتهييج لمتابعته
بانفة وحمية ذلك اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان لهم ان يتخلفوا من وجوب مشايعته كانه
قيل ذلك الوجوب بسبب انهم لا يصيبهم شيء من عطش ولا تعب ولا مجاعة في طريق الجهاد ولا
يدوسون مكانا من امكنة الكفار بحوافر خيولهم واخفاف رواحلهم وارجلهم ولا
يتصرفون في ارضهم تصرفا يغيظهم ويضيق صدورهم ولا ينالون من عدو نيلا ولا يرزؤنهم
شيئا بقتل او اسر او غنيمة او هزيمة او غير ذلك الا كتب لهم به عمل صالح واستوجبوا
الثواب ونيل الزلفى عند الله وذلك مما يوجب المشايعة ويجوز ان يراد بالوطء الايقاع
والابادة لا الوطء بالاقدام والحوافر كقوله عليه السلام آخر وطأة وطئها الله بوج والموطئ
اما مصدر كالمورد واما مكان فان كان مكانا فمعنى يغيظ الكفار يغيظهم وطؤه والنيل ايضا
يجوز ان يكون مصدرا مؤكدا وان يكون بمعنى المنيل يقال نال منه اذا رزأه ونقصه وهو عام في
كل ما يسوؤهم وينكبهم ويلحق بهم ضررا وفيه دليل على ان من قصد خيرا كان سعيه فيه
مشكورا من قيام وقعود ومشي وكلام وغير ذلك وكذلك الشر وبهذه الاية استشهد ابو حنيفة
رحمه الله على ان المدد الذي يلحق بعد انقضاء الحرب يشارك الجيش في الغنيمة لان وطء
ديارهم مما يغيظهم وينكي فيهم ولقد اسهم النبي صلى الله عليه وسلم لابني عامر وقد قدما بعد تقضي الحرب
وامد ابو بكر رضي الله عنه المهاجر بن ابي امية وزياد بن لبيد بعكرمة بن ابي جهل مع

ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون وما كان المؤمنون لينفروا
كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون يا ايها الذين امنوا قاتلوا
الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا

خمسمائة نفس فلحقوا بعدما فتحوا فاسهم لهم وعند الشافعي لا يشارك المدد الغانمين وقرأ عبيد بن
عمير ظماء بالمد يقال ظمئ ظماء وظماء ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو تمرة ولو علاقة
سوط ولا كبيرة مثل ما انفق عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة ولا يقطعون واديا اي ارضا
في ذهابهم ومجيئهم والوادي كل منفرج بين جبال واكام يكون منفذا للسيل وهو في الاصل فاعل من
ودي اذا سال ومنه الودي وقد شاع في استعمال العرب بمعنى الارض يقولون لا تصل في وادي غيرك
الا كتب لهم ذلك من الانفاق وقطع الوادي ويجوز ان يرجع الضمير فيه الى عمل صالح وقوله ليجزيهم
متعلق بكتب اي اثبت في صحائفهم لاجل الجزاء اللام لتاكيد النفي ومعناه ان نفير الكافة عن اوطانهم
لطلب العلم غير صحيح ولا ممكن وفيه انه لو صح وامكن ولم يؤد الى مفسدة لوجب لوجوب التفقه على الكافة
ولان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة فلولا نفر فحين لم يمكن نفير الكافة ولم يكن مصلحة فهلا نفر من
كل فرقة طائفة اي من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا
الفقاهة فيه ويتجشموا المشاق في اخذها وتحصيلها ولينذروا قومهم وليجعلوا غرضهم
ومرمى همتهم في التفقه انذار قومهم وارشادهم والنصيحة لهم لا ما ينتحيه الفقهاء من الاغراض
الخسيسة ويؤمونه من المقاصد الركيكة من التصدر والترؤس والتبسط في البلاد والتشبه بالظلمة
في ملابسهم ومراكبهم ومنافسة بعضهم بعضا وفشو داء الضرائر بينهم وانقلاب حماليق احدهم
اذا لمح ببصره مدرسة لآخر او شرذمة جثوا بين يديه وتهالكه على ان يكون موطأ العقب دون
الناس كلهم فما ابعد هؤلاء من قوله عز وجل لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا لعلهم يحذرون ارادة
ان يحذروا الله فيعملوا عملا صالحا ووجه اخر وهو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا بعث بعثا بعد غزوة
تبوك وبعدما انزل في المتخلفين من الايات الشداد استبق المؤمنون عن اخرهم الى النفير وانقطعوا
جميعا عن استماع الوحي والتفقه في الدين فامروا ان ينفر من كل فرقة منهم طائفة الى الجهاد ويبقى
اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع عن التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجهاد الجدال بالحجة اعظم
اثرا من الجلاد بالسيف وقوله ليتفقهوا الضمير فيه للفرق الباقية بعد الطوائف النافرة منهم
ولينذروا قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا في ايام غيبتهم من العلوم وعلى الاول الضمير للطائفة
النافرة الى المدينة للتفقه يلونكم يقربون منكم والقتال واجب مع كافة الكفرة قريبهم وبعيدهم ولكن
الاقرب فالاقرب اوجب ونظيره وانذر عشيرتك الاقربين وقد حارب رسول الله قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز
ثم غزا الشام وقيل هم قريظة والنضير وفدك وخيبر وقيل الروم لانهم يسكنون الشام والشام
اقرب الى المدينة من العراق وغيره وهكذا المفروض على اهل كل ناحية ان يقاتلوا من وليهم ما لم يضطر
اليهم اهل ناحية اخرى وعن ابن عمر انه سئل عمن قاتل الديلم فقال عليك بالروم وليجدوا غلظة بالحركات
الثلاث فالغلظة كالشدة والغلظة كالضغطة والغلظة كالسخطة ونحوه واغلظ
عليهم ولا ترحموا وهي تجمع الجرأة والصبر على القتال وشدة العداوة والعنف في القتل والاسر ومنه
ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله مع المتقين بنصره من اتقاه فلم يتراءى على عدوه فمنهم من يقول

٢٣٦

أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب الحكيم أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس

المنافقين من يقول بعضهم لبعض أيكم زادته هذه السورة إيمانا إنكارا واستهزاء بالمؤمنين واعتقادهم زيادة الإيمان بزيادة العلم الحاصل بالوحي والعمل به وأيكم مرفوع بالابتداء وقرئ أيكم بالنصب على إضمار فعل يفسره زادته تقديره أيكم زادت زادته هذه إيمانا فزادتهم إيمانا بزيادة العلم لأنها أزيد لليقين والثبات وأثلج للصدر أو فزادتهم عملا فإن زيادة العمل زيادة في الإيمان لأن الإيمان يقع على الاعتقاد والعمل فزادتهم رجسا إلى رجسهم كفرا مضموما إلى كفرهم لأنهم كلما جدد الله بتجدد الوحي كفرا ونفاقا ازداد كفرهم واستحكم وتضاعف عقابهم أولا يرون وقرئ بالتاء أنهم يفتنون يبتلون بالمرض والقحط وغيرهما من بلاء الله ثم لا ينتبهون ولا يتوبون من نفاقهم ولا هم يذكرون ولا يعتبرون ولا ينظرون ولا يتبصرون في أمرهم أو يبتلون بالجهاد مع رسول الله ويعاينون أمره وما ينزل الله عليه من نصرته وتأييده أو يفتنهم الشيطان فيكذبون وينقضون العهود مع رسول الله فيقتلهم وينكل بهم ثم لا ينزجرون نظر بعضهم إلى بعض تغامزوا بالعيون إنكارا للوحي وسخرية به قائلين هل يراكم من أحد من المسلمين لننصرف فإنا لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم أو ترامقوا يتشاورون في تدبير الخروج والانسلال لواذا يقولون هل يراكم من أحد وقيل معناه إذا ما أنزلت سورة في عيب المنافقين ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم دعاء عليهم بالخذلان وبصرف قلوبهم عما في قلوب أهل الإيمان من الانشراح بأنهم بسبب أنهم قوم لا يفقهون لا يتدبرون حتى يفقهوا من أنفسكم من جنسكم ومن نسبكم عربي قرشي مثلكم ثم ذكر ما يتبع المجانسة والمناسبة من النتائج بقوله عزيز عليه ما عنتم أي شديد عليه شاق لكونه بعضا منكم عنتكم ولقاءكم المكروه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب حريص عليكم حتى لا يخرج أحد منكم عن اتباعه والاستسعاد بدين الحق الذي جاء به بالمؤمنين منكم ومن غيركم رءوف رحيم وقرئ من أنفسكم أي من أشرفكم وأفضلكم وقيل هو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة وعائشة رضي الله عنهما وقيل لم يجمع الله اسمين من أسمائه لأحد غير رسول الله في قوله رءوف رحيم فإن تولوا فإن أعرضوا عن الإيمان بك وناصبوك فاستعن بالله وفوض إليه فهو كافيك معرتهم ولا يضرونك وهو ناصرك عليهم وقرئ العظيم بالرفع وعن ابن عباس العرش لا يقدر أحد قدره وعن أبي بن كعب آخر آية نزلت لقد جاءكم رسول من أنفسكم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل علي القرآن إلا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله أحد فإنهما أنزلتا علي ومعهما سبعون ألف صف من الملائكة

سورة يونس عليه السلام مكية وهي مائة وتسع آيات بسم الله الرحمن الرحيم

الر تعديد الحروف على طريق التحدي وتلك آيات الكتاب إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب السورة والحكيم ذو الحكمة لاشتماله عليها ونطقه بها أو وصف بصفة محدثه كقول الأعشى وغريبة تأتي الملوك حكيمة قد قلتها ليقال من ذا قالها أكان للناس عجبا الهمزة لإنكار التعجب والتعجيب منه أن أوحينا اسم كان وعجبا خبره وقرأ ابن مسعود عجب فجعله اسما وهو نكرة وأن أوحينا خبرا وهو معرفة كقوله يكون مزاجها عسل وماء والأجود أن تكون كان تامة وأن أوحينا بدلا من عجب فإن قلت فما معنى اللام في قوله أكان للناس عجبا وما الفرق بينه وبين قولك أكان عند الناس عجبا قلت معناه أنهم جعلوه لهم أعجوبة يتعجبون منها ونصبوه علما لهم يوجهون نحوه استهزاءهم وإنكارهم وليس في عند

وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون إن هذا لساحر مبين إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون إليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا

الناس هذا المعنى والذي تعجبوا منه أن يوحى إلى بشر وأن يكون رجلا من أفنائهم دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون العجب أن الله لم يجد رسولا يرسله إلى الناس إلا يتيم أبي طالب وأن يذكر لهم البعث وينذر بالنار ويبشر بالجنة وكل واحد من هذه الأمور ليس بعجب لأن الرسل المبعوثين إلى الأمم لم يكونوا إلا بشرا مثلهم قال الله تعالى قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا وإرسال الفقير أو اليتيم ليس بعجب أيضا لأن الله إنما يختار من استحق الاختيار لجمعه أسباب الاستقلال بما اختير له من النبوة والغنى والتقدم في الدنيا ليس من تلك الأسباب في شيء وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى والبعث للجزاء على الخير والشر هو الحكمة العظمى فكيف يكون عجبا إنما العجب العجيب والمنكر في العقول تعطيل الجزاء أن أنذر الناس أن هي المفسرة لأن الإيحاء فيه معنى القول ويجوز أن تكون المخففة من الثقيلة وأصله أنه أنذر الناس على معنى أن الشأن قولنا أنذر الناس أن لهم بأن لهم قدم صدق عند ربهم أي سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة وإنما سميت السابقة قدما لما كان السعي والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدما كما سميت النعمة يدا لأنها تعطى باليد وباعا لأن صاحبها يبوع بها فقيل لفلان قدم في الخير وإضافته إلى الصدق دلالة على زيادة فضل وأنه من السوابق العظيمة وقيل مقام صدق إن هذا يعنون الكتاب وما جاء به محمد لسحر ومن قرأ لساحر فهذا إشارة إلى رسول الله وهو دليل عجزهم واعترافهم وإن كانوا كاذبين في تسميته سحرا وفي قراءة أبي ما هذا إلا سحر يدبر يقضي ويقدر على حسب مقتضى الحكمة ويفعل ما يفعل المتحري للصواب الناظر في أدبار الأمور وعواقبها لئلا يلقاه ما يكره آخرا والأمر أمر الخلق كله وأمر ملكوت السموات والأرض والعرش فإن قلت ما موقع هذه الجملة قلت قد دل بالجملة قبلها على عظمة شأنه وملكه بخلق السموات والأرض مع بسطتها واتساعها وفي تيسير وبالاستواء على العرش وأتبعها هذه الجملة لزيادة الدلالة على العظمة وأنه لا يخرج أمر من الأمور من قضائه وتقديره وكذلك قوله ما من شفيع إلا من بعد إذنه دليل على العزة والكبرياء كقوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن ذلكم إشارة إلى المعلوم بتلك العظمة أي ذلك العظيم الموصوف بما وصف به هو ربكم وهو الذي يستحق العبادة منكم فاعبدوه وحده ولا تشركوا به بعض خلقه من ملك أو إنسان فضلا عن جماد لا يضر ولا ينفع أفلا تذكرون فأدنى التفكر والنظر ينبهكم على الخطأ فيما أنتم عليه إليه مرجعكم أي لا ترجعون في العاقبة إلا إليه فاستعدوا للقائه وعد الله مصدر مؤكد لقوله إليه مرجعكم وحقا مصدر مؤكد لقوله وعد الله إنه يبدأ الخلق ثم يعيده إنشاؤه ومعناه التعليل لوجوب المرجع إليه وهو أن الغرض ومقتضى الحكمة بابتداء الخلق وإعادته هو جزاء المكلفين على أعمالهم وقرئ أنه يبدأ الخلق بمعنى لأنه أو هو منصوب بالفعل الذي نصب وعد الله أي وعد الله وعدا بدء الخلق ثم إعادته والمعنى إعادة الخلق بعد بدئه وقرئ وعد الله على لفظ الفعل ويبدئ من أبدأ ويجوز أن يكون مرفوعا بما نصب حقا أي حق حقا بدء الخلق كقوله أحقا عباد الله أن لست جائيا ولا ذاهبا إلا علي رقيب وقرئ حق أنه يبدأ الخلق كقولك حق أن زيدا منطلق بالقسط بالعدل وهو متعلق بيجزي والمعنى ليجزيهم بقسطه ويوفيهم أجورهم أو بقسطهم وبما أقسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين آمنوا وعملوا الصالحات لأن الشرك ظلم قال الله تعالى إن الشرك لظلم عظيم والعصاة ظلام أنفسهم

ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتقون إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين

وهذا الوجه لمقابلة قوله بما كانوا يكفرون **الياء** في ضياء منقلبة عن واو ضوء لكسرة ما قبلها وقرئ ضئاء بهمزتين بينهما ألف على القلب بتقديم اللام على العين كما قيل عاق في عاقي والضياء أقوى من النور **وقدره** وقدر القمر والمعنى قدر مسيره منازل أو قدره ذا منازل كقوله والقمر قدرناه منازل **والحساب** وحساب الأوقات من الأشهر والأيام والليالي **ذلك** إشارة إلى المذكور أي ما خلقه إلا ملتبسا بالحق الذي هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثا وقرئ نفصل بالياء خص المتقين لأنهم يحذرون العاقبة فيدعوهم الحذر إلى النظر والتدبر **لا يرجون** لقاءنا لا يتوقعونه أصلا ولا يخطرونه ببالهم لغفلتهم المستولية عليهم المذهلة باللذات وحب العاجل عن التفطن للحقائق أو لا يأملون حسن لقائنا كما يأمله السعداء أو لا يخافون سوء لقائنا الذي يجب أن يخاف **ورضوا** بالحيوة الدنيا من الآخرة وآثروا القليل الفاني على الكثير الباقي كقوله أرضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة واطمأنوا بها وسكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها فبنوا شديدا وأملوا بعيدا **يهديهم** ربهم بإيمانهم يسددهم بسبب إيمانهم للاستقامة على سلوك السبيل المؤدي إلى الثواب ولذلك جعل تجري من تحتهم الأنهار بيانا له وتفسيرا لأن التمسك بسبب السعادة كالوصول إليها ويجوز أن يريد يهديهم في الآخرة بنور إيمانهم إلى طريق الجنة كقوله يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ومنه الحديث إن المؤمن إذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة فيقول له أنا عملك فيكون له نورا وقائدا إلى الجنة والكافر إذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة فيقول له أنا عملك فينطلق به حتى يدخل النار **فإن قلت** فلقد دلت هذه الآية على أن الإيمان الذي يستحق به العبد الهداية والتوفيق والنور يوم القيامة هو إيمان مقيد وهو الإيمان المقرون بالعمل الصالح والإيمان الذي لم يقترن بالعمل الصالح فصاحبه لا توفيق له ولا نور **قلت** الأمر كذلك ألا ترى كيف أوقع الصلة مجموعا فيها بين الإيمان والعمل كأنه قال إن الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح ثم قال بإيمانهم أي بإيمانهم هذا المضموم إليه العمل الصالح فهو بين واضح لا شبهة فيه **دعواهم** دعاؤهم لأن اللهم نداء لله ومعناه اللهم إنا نسبحك كقول القانت في دعاء القنوت اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد ويجوز أن يراد بالدعاء العبادة على معنى أن لا تكليف في الجنة ولا عبادة وما عبادتهم إلا أن يسبحوا الله ويحمدوه وذلك ليس بعبادة إنما يلهمونه فينطقون به تلذذا بلا كلفة كقوله وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية **وآخر** دعواهم وخاتمة دعائهم الذي هو التسبيح أن يقولوا **الحمد لله رب العالمين** ومعنى تحيتهم فيها سلام أن بعضهم يحيي بعضا بالسلام وقيل هي تحية الملائكة إياهم إضافة للمصدر إلى المفعول وقيل تحية الله لهم وأن هي المخففة من الثقيلة وأصله أنه الحمد لله على أن الضمير للشأن كقوله أن هالك كل من يحفى وينتعل وقرئ أن الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد

ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير أصله
تعجيله لهم الخير فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير إشعارا بسرعة إجابته لهم وإسعافه بطلبتهم حتى كأن استعجالهم بالخير تعجيل لهم والمراد أهل مكة وقولهم فأمطر علينا حجارة من السماء يعني ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم إليه لقضي إليهم أجلهم لأميتوا وأهلكوا وقرئ لقضى إليهم أجلهم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وتنصره قراءة عبد الله لقضينا إليهم أجلهم **فإن قلت** فكيف اتصل به قوله فنذر الذين لا يرجون لقاءنا وما معناه **قلت** قوله ولو

ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون

وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم

ولو يعجل الله متضمن معنى نفي التعجيل كأنه قيل ولا نعجل لهم الشر ولا نقضي إليهم أجلهم فنذرهم في طغيانهم أي فنمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم إلزاما للحجة عليهم **لجنبه** في موضع الحال بدليل عطف الحالين عليه أي دعانا مضطجعا أو قاعدا أو قائما **فإن قلت** فما فائدة ذكر هذه الأحوال **قلت** معناه أن المضرور لا يزال داعيا لا يفتر عن الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا في حالاته كلها كان منبطحا عاجز النهض متخاذل النوء أو كان قاعدا لا يقدر على القيام أو كان قائما لا يطيق المشي والمضطرب إلى أن يخف كل الخفة ويرزق الصحة بكمالها والمسحة بتمامها ويجوز أن يراد أن من المضرورين من هو أشد حالا وهو صاحب الفراش ومنهم من هو أخف وهو القادر على القعود ومنهم المستطيع للقيام وكلهم لا يستغنون عن الدعاء واستدفاع البلاء لأن الإنسان للجنس **مر** أي مضى على طريقته الأولى قبل مس الضر ونسي حال الجهد أو مر عن موقف الابتهال والتضرع لا يرجع إليه كأنه لا عهد له به **كأن لم يدعنا** كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن قال كأن ثدياه حقان **كذلك** مثل ذلك التزيين زين للمسرفين زين الشيطان بوسوسته أو الله عز وجل بخذلانه وتخليته ما كانوا يعملون من الإعراض عن الذكر واتباع الشهوات **لما** ظرف لأهلكنا والواو في وجاءتهم للحال أي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالحجج والشواهد على صدقهم وهي المعجزات وقوله وما كانوا ليؤمنوا يجوز أن يكون عطفا على ظلموا وأن يكون اعتراضا واللام لتأكيد النفي يعني وما كانوا يؤمنون حقا تأكيدا لنفي إيمانهم وأن الله قد علم منهم أنهم يصرون على كفرهم وأن الإيمان مستبعد منهم والمعنى أن السبب في إهلاكهم تكذيبهم الرسل وعلم الله أنه لا فائدة في إمهالهم بعد أن ألزموا الحجة ببعثة الرسل **كذلك** مثل ذلك الجزاء يعني الإهلاك نجزي كل مجرم وهو وعيد لأهل مكة على إجرامهم بتكذيب رسول الله وقرئ يجزي بالياء **ثم جعلناكم** الخطاب للذين بعث إليهم محمد صلى الله عليه أي استخلفناكم في الأرض بعد القرون التي أهلكناها **لننظر** أتعملون خيرا أو شرا فنعاملكم على حسب عملكم **وكيف** في محل النصب بتعملون لا بننظر لأن معنى الاستفهام فيه يحجب أن يتقدم عليه عامله **فإن قلت** كيف جاز النظر على الله تعالى وفيه معنى المقابلة **قلت** هو مستعار للعلم المحقق الذي هو العلم بالشيء موجودا شبه بنظر الناظر وعيان المعاين في تحققه غاظهم ما في القرآن من ذم عبادة الأوثان والوعيد للمشركين فقالوا ائت بقرآن آخر ليس فيه ما يغيظنا من ذلك نتبعك أو بدله بأن تجعل مكان آية عذاب آية رحمة وتسقط ذكر الآلهة وذم عبادتها فأمر بأن يجيب عن التبديل لأنه داخل تحت قدرة الإنسان وهو أن يضع مكان آية عذاب آية رحمة مما أنزل وأن يسقط ذكر الآلهة وأما الإتيان بقرآن آخر فغير مقدور عليه للإنسان **ما يكون لي** ما ينبغي لي وما يحل لي كقوله ما يكون لنا أن نتكلم بهذا **أن أبدله** من تلقاء نفسي من قبل نفسي وقرئ بفتح التاء من غير أن يأمرني بذلك ربي **إن أتبع** إلا ما يوحى إلي لا أتبع إلا وحيا من غير زيادة ولا نقصان في نحو ذلك إلا مشتغلا بالوحي إليه وأوامره إن نسخت آية تبعت النسخ وإن بدلت آية مكان آية تبعت التبديل وليس إلي تبديل ولا نسخ **إني** أخاف إن عصيت ربي بالتبديل والنسخ من عند نفسي **عذاب** يوم عظيم **فإن قلت** أما ظهر وتبين لهم العجز عن الإتيان بمثل القرآن حتى قالوا ائت بقرآن غير هذا **قلت** بلى ولكنهم

... فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب
بآياته انه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل
أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون

كانوا لا يعترفون بالعجز وكانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا ويقولون افترى على الله كذبا فينسبونه الى الرسول ويزعمونه قادرا عليه وعلى مثله مع علمهم بان العرب مع كثرة فصحائها وبلغائها اذا عجزوا عنه كان الواحد منهم اعجز. فان قلت لعلهم ارادوا ائت بقرآن غير هذا او بدله من جهة الوحي كما اتيت بالقرآن من جهته واراد بقوله ما يكون لي ان ابدله ما يتسهل لي وما يمكنني ان ابدله. قلت يرده قوله اني اخاف ان عصيت. فان قلت فما كان غرضهم وهم ادهى الناس وانكرهم في هذا الاقتراح. قلت الكيد والمكر اما اقتراح ابدال قرآن بقرآن ففيه انه من عندك وانك قادر على مثله فابدل مكانه آخر واما اقتراح التبديل والتغيير فللطمع ولاختبار الحال وانه ان وجد منه تبديل فاما ان يهلكه الله فينجوا منه او لا يهلكه فيسخروا منه ويجعلوا التبديل حجة عليه وتصحيحا لافترائه على الله. لو شاء الله ما تلوته عليكم يعني ان تلاوته ليست الا بمشيئة الله واحداثه امرا عجيبا خارجا عن العادات وهو ان يخرج رجل امي لم يتعلم ولم يستمع ولم يشاهد العلماء ساعة من عمره ولا نشأ في بلدة فيها علماء فيقرأ عليكم كتابا فصيحا يبهر كل كلام فصيح ويعلو على كل منثور ومنظوم مشحونا بعلوم من علوم الاصول والفروع واخبار مما كان وما يكون ناطقا بالغيوب التي لا يعلمها الا الله وقد بلغ بين ظهرانيكم اربعين سنة تطلعون على احواله ولا يخفى عليكم شيء من اسراره وما سمعتم منه حرفا من ذلك ولا عرفه به احد من اقرب الناس منه والصقهم به. ولا ادراكم به ولا اعلمكم به على لساني. وقرأ الحسن ولا ادراتكم به على لغة من يقول اعطاته وارضاته في معنى اعطيته وارضيته وتعضده قراءة ابن عباس ولا انذرتكم به. ورواه الفراء ولا ادرأتكم به بالهمز وفيه وجهان احدهما ان تقلب الالف همزة كما قيل لبأت بالحج ورثأت الميت وذلك لان الالف والهمزة من واد واحد ولذلك اذا مستها الحركة انقلبت همزة والثاني ان يكون من درأته اذا دفعته وادرأته اذا جعلته دارئا والمعنى ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤونني بالجدال وتكذبونني. وعن ابن كثير ولأدراكم به بلام الابتداء لاثبات الادراء. ومعناه لو شاء الله ما تلوته انا عليكم ولأعلمكم به على لسان غيري ولكنه يمن على من يشاء من عباده فخصني بهذه الكرامة ورآني لها اهلا دون سائر الناس. فقد لبثت فيكم عمرا وقرئ عمرا بالسكون يعني فقد اقمت فيما بينكم يافعا وكهلا فلم تعرفوني متعاطيا شيئا من نحوه ولا قدرت عليه ولا كنت متواصفا بعلم وبيان فتتهموني باختراعه. افلا تعقلون فتعلموا انه ليس الا من الله لا من مثلي وهذا جواب عما دسوه تحت قولهم ائت بقرآن غير هذا من اضافة الافتراء اليه. فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا يحتمل ان يريد افتراء المشركين على الله في قولهم انه ذو شريك وذو ولد وان يكون تفاديا مما اضافوه اليه من الافتراء. ما لا يضرهم ولا ينفعهم الاوثان التي هي جماد لا يقدر على نفع ولا ضر وقيل ان عبدوها لم تنفعهم وان تركوا عبادتها لم تضرهم ومن حق المعبود ان يكون مثيبا على الطاعة معاقبا على المعصية وكان اهل الطائف يعبدون اللات واهل مكة العزى ومناة وهبل واسافا ونائلة وكانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وعن النضر بن الحارث اذا كان يوم القيامة شفعت لي اللات والعزى. أتنبئون الله بما لا يعلم اتخبرونه بكونهم شفعاء عنده وهو انباء بما ليس بمعلوم لله واذا لم يكن معلوما له وهو العالم الذات

وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون ...
عليه آية من ربه فقل انما الغيب لله فانتظروا اني معكم من المنتظرين واذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم اذا
لهم مكر في آياتنا قل الله اسرع مكرا ان رسلنا يكتبون ما تمكرون هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك

المحيط بجميع المعلومات لم يكن شيئا لان الشيء ما يعلم ويخبر عنه فكان خبرا ليس له مخبر عنه. فان قلت كيف انبأوا الله بذلك. قلت هو تهكم بهم وبما ادعوه من المحال الذي هو شفاعة الاصنام واعلام بان الذي انبأوا به باطل غير منطو تحت الصحة فكانهم يخبرونه بشيء لا يتعلق به علمه كما يخبر الرجل الرجل بما لا يعلمه. وقرئ أتنبئون بالتخفيف. وقوله في السموات ولا في الارض تأكيد لنفيه لان ما لم يوجد فيهما فهو منتف معدوم. يشركون قرئ بالتاء والياء وما موصولة او مصدرية اي عن الشركاء الذين يشركونهم به او عن اشراكهم. وما كان الناس الا امة واحدة حنفاء متفقين على ملة واحدة من غير ان يختلفوا بينهم وذلك في عهد آدم الى ان قتل قابيل هابيل وقيل بعد الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا. ولولا كلمة سبقت من ربك وهو تأخير الحكم بينهم الى يوم القيامة لقضي بينهم عاجلا فيما اختلفوا فيه ولتميز المحق من المبطل وسبق كلمته بالتأخير لحكمة اوجبت ان تكون هذه الدار دار تكليف وتلك دار ثواب وعقاب. ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه ارادوا آية من الآيات التي كانوا يقترحونها وكانوا لا يعتدون بما انزل عليه من الآيات العظام المتكاثرة التي لم ينزل على احد من الانبياء مثلها وكفى بالقرآن وحده آية باقية على وجه الدهر بديعة غريبة في الآيات دقيقة المسلك من بين المعجزات وجعلوا نزولها كلا نزول وكانه لم ينزل عليه آية قط حتى قالوا لولا انزل عليه آية واحدة من ربه وذلك لفرط عنادهم وتماديهم في التمرد وانهماكهم في الغي. فقل انما الغيب لله اي هو المختص بعلم الغيب المستأثر به لا علم لي ولا لاحد به يعني ان الصارف عن انزال الآيات المقترحة امر مغيب لا يعلمه الا هو. فانتظروا نزول ما اقترحتموه اني معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم الآيات. سلط الله القحط سبع سنين على اهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فلما رحمهم طفقوا يطعنون في آيات الله ويعادون رسول الله ويكيدونه. واذا الاولى للشرط والاخرى جوابها وهي للمفاجأة. والمكر اخفاء الكيد وطيه من الجارية الممكورة المطوية الخلق. ومعنى مستهم خالطتهم حتى احسوا بسوء اثرها فيهم. فان قلت ما وصفهم بسرعة المكر فكيف صح قوله اسرع مكرا. قلت بل دل على ذلك كلمة المفاجأة كانه قال واذا رحمناهم من بعد ضراء فاجأوا وقوع المكر منهم وسارعوا اليه قبل ان يغسلوا رؤوسهم من مس الضراء ولم يتلبثوا ريثما يسيغون غصتهم. والمعنى ان الله دبر عقابكم وهو موقعه بكم قبل ان تدبروا كيف تعملون في اطفاء نور الاسلام. ان رسلنا يكتبون اعلام بان ما تظنونه خافيا مطويا لا يخفى على الله وهو منتقم منكم. وقرئ يمكرون بالياء والتاء. وقيل مكرهم قولهم سقينا بنوء كذا. وعن ابي هريرة ان الله ليصبح القوم بالنعمة ويمسيهم بها فتصبح طائفة منهم بها كافرين يقولون مطرنا بنوء كذا. قرأ زيد بن ثابت ينشركم ومثله قوله فانتشروا في الارض اذا انتم بشر تنتشرون. فان قلت كيف جعل الكون في الفلك غاية للتسيير في البحر والتسيير في البحر انما هو بالكون في الفلك. قلت لم يجعل الكون في الفلك غاية للتسيير ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى بما في حيزها كانه قيل يسيركم حتى اذا وقعت هذه الحادثة وكان كيت وكيت من مجيء الريح العاصف وتراكم الامواج والظن للهلاك والدعاء بالانجاء. فان قلت ما جواب اذا. قلت جاءتها. فان قلت فدعوا. قلت بدل من ظنوا لان دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك فهو ملتبس به

هذا تكلم على عادة العرب في الكلام فانهم يعبرون عن النفي والمعدوم بذلك

من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا
من هذه لنكونن من الشاكرين فلما انجاهم اذا هم يبغون في الارض بغير الحق
يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم متاع الحيوة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم

فان قلت ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة قلت المبالغة كانه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي
منهم الانكار والتقبيح فان قلت ما وجه قراءة ام الدرداء في الفلكي بزيادة ياء النسب قلت قيل هما زائدتان
كما في الخارجي والاحمري ويجوز ان يراد به اللج والماء الغمر الذي لا تجري الفلك الا فيه والضمير في جرين للفلك
لانه جمع فلك كالاسد في فعل اخي فعل وفي قراءة ام الدرداء للفلك لان الفلكي يدل عليه جاءتها جاءت
الريح الطيبة اي تلقتها وقيل الضمير للفلك من كل مكان من جميع امكنة الموج احيط بهم جعل احاطة
العدو بالحي مثلا في الهلاك مخلصين له الدين من غير اشراك به لانهم لا يدعون حينئذ غيره معه لئن انجيتنا
على ارادة القول او لان دعوا من جملة القول يبغون في الارض يفسدون فيها ويعبثون مترقين في ذلك ممعنين فيه
من قولك بغى الجرح اذا ترامى الى الفساد فان قلت ما معنى قوله بغير الحق والبغي لا يكون بحق قلت بلى وهو استيلاء
المسلمين على ارض الكفرة وهدم دورهم واحراق زروعهم وقلع اشجارهم كما فعل رسول الله عليه السلام ببني
قريظة وقرئ متاع الحيوة الدنيا بالنصب فان قلت ما الفرق بين القراءتين قلت اذا رفعت كان المتاع خبر المبتدا
الذي هو بغيكم وعلى انفسكم صلته كقوله فبغى عليهم ومعناه انما بغيكم على امثالكم والذين جنسهم جنسكم يعني
بغي بعضكم على بعض منفعة الحيوة الدنيا لا بقاء لها واذا نصبت فعلى انفسكم خبر غير صلة معناه انما
بغيكم وبال على انفسكم ومتاع الحيوة الدنيا في موضع المصدر المؤكد كانه قيل يتمتعون متاع الحيوة
الدنيا ويجوز ان يكون الرفع على هو متاع الحيوة الدنيا بعد تمام الكلام وعن النبي صلى الله عليه انه قال
لا تمكر ولا تعن ماكرا ولا تبغ ولا تعن باغيا ولا تنكث ولا تعن ناكثا وكان يتلوها وعنه
عليه السلام اسرع الخير ثوابا صلة الرحم واعجل الشر عقابا البغي واليمين الفاجرة وروي ثنتان
يعجلهما الله في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن ابن عباس لو بغى جبل على جبل لدك الباغي وكان
المامون يتمثل بهذين البيتين لاخيه يا صاحب البغي ان البغي مصرعة فاربع فخير فعال المرء اعدله
فلو بغى جبل يوما على جبل لاندك منه اعاليه واسفله وعن محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البغي
والنكث والمكر قال الله تعالى انما بغيكم على انفسكم هذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا في سرعة
تقضيها وانقراض نعيمها بعد الاقبال بحال نبات الارض في جفافه وذهابه حطاما بعدما التف وتكاثف
وزين الارض بخضرته ورفيفه فاختلط به فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا اخذت الارض زخرفها
وازينت كلام فصيح جعلت الارض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس اذا اخذت الثياب الفاخرة
من كل لون فاكتستها وتزينت بغيرها من الوان الزين واصل ازينت تزينت فادغم وبالاصل قرا
عبد الله وقرئ وازينت على افعلت من غير اعلال الفعل كاغيلت اي صارت ذات زينة وازيانت
بوزن ابياضت قادرون عليها متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها رافعون لغلتها اتاها امرنا
وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد امنهم واستيقانهم انه قد سلم فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا
شبيها بما يحصد من الزرع في قطعه واستئصاله كان لم تغن بالامس كان لم يغن زرعها اي لم يلبث
على حذف المضاف في هذه المواضع لا بد منه والا لم يستقم المعنى وقرا الحسن كان لم يغن بالياء على ان الضمير

والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم للذين احسنوا الحسنى وزيادة ولا
يرهق وجوههم قتر ولا ذلة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة
بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما اولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون

للمضاف المحذوف الذي هو الزرع وعن مروان انه قرا على المنبر كان لم تتغن من قول الاعشى طويل الثواء طويل
والامس مثل في الوقت القريب كانه قيل كان لم تغن آنفا دار السلام الجنة اضافها الى اسمه تعظيما لها وقيل
السلام السلامة لان اهلها سالمون من كل مكروه وقيل لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم الا قيلا سلاما
سلاما ويهدي من يشاء وهم الذين علم ان اللطف يجدي عليهم لان مشيئته تابعة لحكمته ومعناه يدعو
العباد كلهم الى دار السلام ولا يدخلها الا المهديون الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة وهي
التفضل ويدل عليه قوله ويزيدهم من فضله وعن علي رضي الله عنه الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة وعن ابن عباس
الحسنى الحسنة والزيادة عشر امثالها وعن الحسن عشر امثالها الى سبعمائة ضعف وعن مجاهد الزيادة مغفرة
من الله ورضوان وعن يزيد بن شجرة الزيادة ان تمر السحابة باهل الجنة فتقول ما تريدون ان امطركم
فلا يريدون شيئا الا امطرتهم وزعمت المشبهة والمجبرة ان الزيادة النظر الى وجه الله وجاءت بحديث مرقوع
اذا دخل اهل الجنة الجنة نودوا ان يا اهل الجنة فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم الله شيئا
هو احب اليهم منه ولا يرهق ولا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة ولا اثر هوان وكسوف
بال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار ذكرا لما ينقذهم منه برحمته الا ترى الى قوله ترهقها قترة
وترهقهم ذلة فان قلت ما وجه قوله والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وكيف يتلاءم قلت لا يخلو اما ان
يكون والذين كسبوا معطوفا على قوله للذين احسنوا كانه قيل وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها على معنى
جزاؤهم ان تجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وهذا اوجه من الاول لان في الاول عطفا
على عاملين وان كان الاخفش يجيزه وهذا دليل على ان المراد بالزيادة الفضل لانه دل بترك الزيادة على
السيئة على عدله ودل ثم باثبات الزيادة على المثوبة على فضله وقرئ يرهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم اي لا
يعصمهم احد من سخط الله وعذابه ويجوز ان ما لهم من جهة الله ومن عنده من يعصمهم كما يكون للمؤمنين
مظلما حال من الليل ومن قرا قطعا بالسكون جعل مظلما صفة له ويعضده قراءة ابي بن كعب
كانما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم فان قلت اذا جعلت مظلما حالا من الليل فما العامل فيه قلت لا يخلو
اما ان يكون اغشيت من قبل ان من الليل صفة لقوله قطعا فكان افضاؤه الى الموصوف كافضائه الى الصفة
واما ان يكون معنى الفعل في من الليل مكانكم الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم
وانتم اكد به الضمير في مكانكم لسده مسد قوله الزموا وشركاؤكم عطف عليه وقرئ وشركاءكم على ان الواو
بمعنى مع والعامل فيه ما في مكانكم من معنى الفعل فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا اقرانهم والوصل
التي كانت بينهم في الدنيا او فباعدنا بينهم بعد الجمع بينهم في الموقف وتبرؤ شركائهم منهم ومن عبادتهم
كقوله اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون قالوا ضلوا عنا وقرئ فزايلنا بينهم كقولك صاعر خده وصعره
وكالمته وكلمته ما كنتم ايانا تعبدون انما كنتم تعبدون الشياطين حيث امروكم ان تتخذوا لله اندادا فاطعتموهم
ان كنا ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية وهم الملائكة والمسيح ومن عبدوه من
دون الله من اولي العقل وقيل الاصنام ينطقها الله عز وجل فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي زعموها

هنالك تبلو كل نفس ما اسلفت وردوا الى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل افلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فانى تصرفون كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فانى تؤفكون قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق افمن يهدي الى الحق احق

وعلقوا بها اطماعهم هنالك في ذلك المقام او في ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان تبلوا كل نفس تختبر وتذوق ما اسلفت من العمل فتعرف كيف هو اقبيح ام حسن انافع ام ضار أمقبول ام مردود كما يختبر الرجل الشيء ويتعرفه ليكتنه حاله ومنه قوله تعالى يوم تبلى السرائر وعن عاصم نبلو كل نفس بالنون ونصب كل اي نختبرها باختبار ما اسلفت من العمل فنعرف حالها بمعرفة حال عملها ان كان حسنا فهي سعيدة وان كان سيئا فهي شقية والمعنى نفعل بها فعل الخابر كقوله لنبلوكم ايكم احسن عملا ويجوز ان يراد نصيب بالبلاء وهو العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر وقرئ تتلوا اي تتبع ما اسلفت لان عمله هو الذي يهديه الى طريق الجنة او الى طريق النار او تقرأ في صحيفتها ما قدمت من خير او شر مولاهم الحق ربهم الصادق ربوبيته لانهم كانوا يتولون ما ليس لربوبيته حقيقة او الذي يتولى حسابهم وثوابهم العدل الذي لا يظلم احدا وقرئ الحق بالفتح على تاكيد قوله ردوا الى الله كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل او على المدح كقولك الحمد لله اهل الحمد وضل عنهم وضاع عنهم ما كانوا يدعون انهم شركاء الله او بطل عنهم ما كانوا يختلقون من الكذب وشفاعة الالهة من السماء والارض اي من كل منهما جميعا لم يقتصر برزقكم على جهة واحدة ليفيض عليكم نعمته ويوسع رحمته امن يملك السمع والابصار امن يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذي سويا عليه من الفطرة العجيبة او من يحميهما ويحصنهما من الآفات مع كثرتها في المدد الطوال وهما لطيفان يؤذيهما ادنى شيء بكلائه وحفظه ومن يدبر الامر ومن يلي تدبير امر العالم كله جاء بالعموم بعد الخصوص افلا تتقون انفسكم ولا تحذرون عليها عقابه فيما انتم بصدده من الضلال فذلكم اشارة الى من هذه قدرته وافعاله ربكم الحق الثابت ربوبيته ثباتا لا ريب فيه لمن حقق النظر فماذا بعد الحق الا الضلال يعني ان الحق والضلال لا واسطة بينهما فمن تخطى الحق وقع في الضلال فانى تصرفون عن الحق الى الضلال وعن التوحيد الى الشرك وعن السعادة الى الشقاء كذلك مثل ذلك الحق حقت كلمة ربك اي كما حق وثبت ان الحق بعده الضلال او كما حق انهم مصروفون عن الحق كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا اي تمردوا في كفرهم وخرجوا الى الحد الاقصى فيه انهم لا يؤمنون بدل من الكلمة اي حق عليهم انتفاء الايمان وعلم الله منهم ذلك او حق عليهم كلمة الله ان انهم من اهل الخذلان وان ايمانهم غير كائن او اراد بالكلمة العدة بالعذاب وانهم لا يؤمنون تعليل بمعنى لانهم لا يؤمنون فان قلت كيف قيل لهم هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده وهم غير معترفين بالاعادة قلت قد وضعت اعادة الخلق لظهور برهانها موضع ما ان دفعه دافع كان مكابرا رادا للظاهر البين الذي لا مدخل للشبهة فيه دلالة على انهم في انكارهم لها منكرون امرا مسلما معترفا بصحته عند العقلاء وقال قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فامره بان ينوب عنهم في الجواب يعني انه لا يدعهم لجاجهم ومكابرتهم ان ينطقوا بكلمة الحق فتكلم عنهم يقال هداه للحق والى الحق فجمع بين اللغتين ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى ومنه قوله ام من لا يهدي وقرئ لا يهدي بفتح

ان يتبع ام من لا يهدي الا ان يهدى فما لكم كيف تحكمون وما يتبع اكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغني من الحق شيئا ان الله عليم بما يفعلون وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ام يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه

الهاء وكسرها مع تشديد الدال والاصل يهتدي فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء وكسرت لالتقاء الساكنين وقد كسرت الياء لاتباع ما بعدها وقرئ الا ان يهدى من هداه وهداه للمبالغة ومنه قولهم تهدى ومعناه ان الله وحده هو الذي يهدي للحق بما ركب في المكلفين من العقول واعطاهم من التمكين للنظر في الادلة التي نصبها لهم بما لطف بهم ووفقهم والهمهم واخطر ببالهم ووقفهم على الشرائع فهل من شركائكم الذين جعلتم انداد الله احد اشرفهم كالملائكة والمسيح وعزير يهدي الى الحق مثل هداية الله ثم قال فمن يهدي الى الحق هذه الهداية احق بالاتباع ام الذي لا يهدي اي لا يهتدي بنفسه او لا يهدي غيره الا ان يهديه الله وقيل معناه ام من لا يهتدي من الاوثان الى مكان فينتقل اليه الا ان يهدى الا ان ينقل او لا يهتدي ولا يصح منه الاهتداء الا ان ينقله الله من حاله الى ان يجعله حيوانا مكلفا فيهديه فما لكم كيف تحكمون بالباطل حيث تزعمون انهم انداد لله وما يتبع اكثرهم في اقرارهم بالله الا ظنا لانه قول غير مستند الى برهان عندهم ان الظن في معرفة الله لا يغني من الحق وهو العلم شيئا وقيل وما يتبع اكثرهم في قولهم للاصنام انها الهة وانها شفعاء عند الله الا الظن والمراد بالاكثر الجميع ان الله عليم وعيد على ما يفعلون من اتباع الظن وتقليد الآباء وقرئ تفعلون بالتاء وما كان هذا القرآن افتراء من دون الله ولكن كان تصديق الذي بين يديه وهو ما تقدمه من الكتب المنزلة لانه معجز دونها فهو عيار عليها وشاهد لصحتها كقوله هو الحق مصدقا لما بين يديه وقرئ ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب على ولكن هو تصديق وتفصيل ومعنى وما كان ان يفترى وما صح وما استقام وكان محالا ان يكون مثله في علو امره واعجازه مفترى وتفصيل الكتاب وتبيين ما كتب وفرض من الاحكام والشرائع من قوله كتاب الله عليكم فان قلت بما اتصل قوله لا ريب فيه من رب العالمين قلت هو داخل في حيز الاستدراك كانه قال ولكن كان تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب كائنا من رب العالمين ويجوز ان يراد ولكن كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لا ريب في ذلك فيكون من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل ويكون لا ريب فيه اعتراضا كما تقول زيد لا شك فيه كريم ام يقولون افتراه بل ايقولون اختلقه على ان الهمزة تقرير لالزام الحجة عليهم او انكار لقولهم واستبعاد والمعنيان متقاربان قل ان كان الامر كما تزعمون فأتوا انتم على وجه الافتراء بسورة مثله فانتم مثلي في العربية والفصاحة ومعنى بسورة مثله اي شبيهة به في البلاغة وحسن النظم وقرئ بسورة مثله على الاضافة اي بسورة كتاب مثله وادعوا من استطعتم من دون الله من خلقه للاستعانة به على الاتيان بمثله يعني ان الله وحده هو القادر على ان يأتي بمثله لا يقدر على ذلك احد غيره فلا تستعينوا به وحده ثم استعينوا بكل من دونه ان كنتم صادقين انه افتراه بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن وفاجؤوه في بديهة السماع قبل ان يفقهوه ويعلموا كنه امره وقبل ان يتدبروه ويقفوا على تاويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين ابائهم كالناشئ على التقليد من الحشوية اذا احس بكلمة لا توافق ما نشأ عليه والفه وان كانت اضوأ من الشمس في ظهور الصحة وبيان

ولما ياتهم تاويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك اعلم بالمفسدين وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون ومنهم من يستمعون اليك افانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر اليك افانت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين

الاستقامة انكرها في اول وهلة واشمأزوا منها قبل ان يحسنوا ادراكها بحاسة سمعهم من غير فكر في صحتها او فساد
لانه لم يشعر قلبه الا صحة مذهبه وفساد ما عداه من المذاهب فان قلت ما معنى التوقع في قوله ولما ياتهم تاويله قلت
معناه انهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التاويل تقليدا للآباء وكذبوه بعد التدبر تمردا وعنادا
فذمهم بالتسرع الى التكذيب قبل العلم به وجاء بكلمة التوقع ليؤذن انهم علموا بعد علو شأنه واعجازه لما كرر
عليهم التحدي وزاولوا قواهم في المعارضة واستيقنوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا كذلك اي مثل
ذلك التكذيب كذب الذين من قبلهم يعني قبل النظر في معجزات الانبياء وقبل تدبرها من غير انصاف من انفسهم ولكن قلدوا
الآباء وعاندوا وقيل هو في الذين كذبوا وهم شاكون ويجوز ان يكون معنى ولما ياتهم تاويله ولم ياتهم بعد تاويل
ما فيه من الاخبار بالغيوب اي عاقبته حتى يتبين لهم اهو كذب ام صدق يعني انه كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز
نظمه ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب فتسرعوا الى التكذيب به قبل ان ينظروا في نظمه وبلوغه حد الاعجاز
وقبل ان يخبروا اخباره بالمغيبات وصدقه وكذبه ومنهم من يؤمن به من يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكنه يعاند
بالتكذيب ومنهم من يشك فيه ولا يصدق به او يكون للاستقبال اي ومنهم من سيؤمن به ومنهم من سيصر وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين
او المصرين وان كذبوك وان تموا على تكذيبك ويئست من اجابتهم فتبرأ منهم وخلهم فقد
اعذرت كقوله فان عصوك فقل اني بريء وقيل هي منسوخة باية السيف ومنهم من يستمعون اليك معناه ومنهم
ناس يستمعون اليك اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكنهم لا يعون ولا يقبلون وناس ينظرون اليك ويعاينون
ادلة الصدق واعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون ثم قال افانت تطمع انك تقدر على اسماع الصم ولو انضم الى صممهم
عدم عقولهم لان الاصم العاقل ربما تفرس واستدل اذا وقع في صماخه دوي الصوت فاذا اجتمع سلب
السمع والعقل جميعا فقد تم الامر واتحسب انك تقدر على هداية العمي ولو انضم الى فقد البصر فقد البصيرة
لان الاعمى الذي له في قلبه بصيرة قد يحدس ويتظنن واما العمى مع الحمق فجهد البلاء يعني انهم في الياس من ان
يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمي الذين لا عقول لهم ولا بصائر وقوله افانت دلالة على انه لا يقدر على اسماعهم
وهدايتهم الا الله عز وجل بالقسر والالجاء كما لا يقدر على رد الاصم والاعمى المسلوبي العقل حديدي السمع
والبصر راجحي العقل الا هو وحده ان الله لا يظلم الناس شيئا اي لا ينقصهم شيئا مما يتصل بمصالحهم من بعثة
الرسل وانزال الكتب ولكنهم يظلمون انفسهم بالكفر والتكذيب ويجوز ان يكون وعيدا للمكذبين يعني ان
ما يلحقهم يوم القيامة من العذاب لاحق بهم على سبيل العدل والاستيجاب ولا يظلمهم الله به ولكنهم ظلموا
انفسهم باقتراف ما كان سببا فيه كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يستقربون وقت لبثهم في الدنيا وقيل في القبور لهول ما
يرون يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتعارفوا الا قليلا وذلك عند خروجهم من القبور ثم ينقطع
التعارف بينهم لشدة الامر عليهم فان قلت كان لم يلبثوا ويتعارفون كيف موقعهما قلت اما الاولى فحال من هم اي
يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة واما الثانية فاما ان يتعلق بالظرف واما ان يكون مبينة لقوله كان لم يلبثوا
الا ساعة لان التعارف لا يبقى مع طول العهد وينقلب تناكرا قد خسر على ارادة القول اي يتعارفون بينهم قائلين
ذلك او هي شهادة من الله تعالى على خسرانهم والمعنى انهم وضعوا في تجارتهم وبيعهم الايمان بالكفر وما كانوا

واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فالينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون ولكل امة رسول فاذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله لكل امة اجل اذا جاء اجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون قل ارايتم ان اتاكم عذابه بياتا او نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون اثم اذا ما وقع امنتم به الآن وقد كنتم به تستعجلون ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون ويستنبئونك احق هو قل اي وربي

٢٣٥

مهتدين للتجارة عارفين بها وهو استئناف فيه معنى التعجب كانه قيل ما اخسرهم فالينا مرجعهم جواب نتوفينك
وجواب نرينك محذوف كانه قيل واما نرينك بعض الذي نعدهم في الدنيا فذاك او نتوفينك قبل ان نريكه فنحن نريكه
في الآخرة فان قلت الله شهيد على ما يفعلون في الدارين فما معنى ثم قلت ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها ونتيجتها
وهو العقاب كانه قال ثم الله معاقب على ما يفعلون وقرأ ابن ابي عبلة ثم بالفتح اي هنالك ويجوز ان يراد ان الله مؤد
شهادته على افعالهم يوم القيامة حين ينطق جلودهم والسنتهم وايديهم وارجلهم شاهدة عليهم ولكل امة
رسول يبعث اليهم لينبههم على التوحيد ويدعوهم الى دين الحق فاذا جاءهم رسولهم بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه
قضي بينهم اي بين النبي ومكذبيه بالقسط بالعدل فانجي الرسول وعذب المكذبون كقوله وما كنا معذبين
حتى نبعث رسولا او ولكل امة من الامم يوم القيامة رسول تنسب اليه وتدعى به فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد
عليهم بالكفر والايمان كقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم متى هذا الوعد استعجال لما وعدوا من
العذاب استبعادا له لا املك لنفسي ضرا من مرض او فقر ولا نفعا من صحة او غنى الا ما شاء الله استثناء
منقطع اي ولكن ما شاء الله من ذلك كائن فكيف املك لكم الضرر وجلب العذاب لكل امة اجل يعني ان عذابكم له اجل
مضروب عند الله وحد محدود من الزمان اذا جاء ذلك الوقت انجز وعدكم لا محالة فلا تستعجلوا وقرأ ابن سيرين
فاذا جاء آجالهم بياتا نصب على الظرف بمعنى وقت بيات فان قلت هلا قيل ليلا او نهارا قلت لانه اريد ان ياتيكم عذابه
وقت بيات فيبيتكم وانتم ساهون نائمون لا تشعرون كما يبيت العدو المباغت والبيات بمعنى التبييت
كالسلام بمعنى التسليم وكذلك قوله نهارا معناه في وقت انتم فيه مشتغلون بطلب المعاش والكسب ونحوه بياتا وهم نائمون
ضحى وهم يلعبون الضمير في منه للعذاب والمعنى ان العذاب كله مكروه مر المذاق موجب للنفار فاي شيء يستعجلون
منه وليس شيء منه يوجب الاستعجال ويجوز ان يكون معناه التعجب كانه قيل اي شيء هول شديد يستعجلون منه ويجوز ان
يكون من للبيان في هذا الوجه وقيل الضمير في منه لله تعالى فان قلت بم تعلق الاستفهام واين جواب الشرط قلت تعلق
بارايتم لان المعنى اخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا
الخطأ فيه فان قلت فهلا قيل ماذا تستعجلون منه قلت اريدت الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الاجرام لان من حق
المجرم ان يخاف التعذيب على اجرامه ويهلك فزعا من مجيئه وان ابطأ فضلا ان يستعجله ويجوز ان يكون ماذا يستعجل
منه المجرمون جوابا للشرط كقولك ان اتيتك ماذا تطعمني ثم يتعلق الجملة بارايتم وان يكون اثم اذا ما وقع امنتم
جواب الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضا والمعنى ان اتاكم عذابه امنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان
ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء في قوله افامن اهل القرى وامن اهل القرى الآن
على ارادة القول اي قيل لهم اذا امنوا بعد وقوع العذاب الآن امنتم به وقد كنتم به تستعجلون يعني وقد كنتم به تكذبون
لان استعجالهم كان على جهة التكذيب والانكار وقرئ آلان بحذف الهمزة التي بعد اللام والقاء حركتها على اللام ثم
قيل للذين ظلموا عطف على قيل المضمر قبل الآن ويستنبئونك ويستخبرونك فيقولون احق هو وهو استفهام
على جهة الانكار والاستهزاء وقرأ الاعمش آلحق هو وهو ادخل في الاستهزاء لتضمنه معنى التعريض بانه باطل
وذلك ان اللام للجنس فكانه قيل اهو الحق لا الباطل او اهو الذي سميتموه الحق والضمير للعذاب الموعود اي نعم

انه لحق وما انتم بمعجزين ولو ان لكل نفس ظلمت ما في الارض لافتدت به واسروا الندامة لما راوا العذاب وقضي بينهم بالقسط
وهم لا يظلمون الا ان لله ما في السموات والارض الا ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون هو يحيي ويميت واليه ترجعون يا
ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير
مما يجمعون قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل الله اذن لكم ام على الله تفترون وما ظن الذين يفترون على الله الكذب

نعم في القسم خاصة كما كان هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة وسمعتهم يقولون اي والله فيصلونه بواو القسم ولا ينطقون به وحده وما انتم بمعجزين بفائتين العذاب وهو لاحق بكم لا محالة ظلمت صفة لنفس على اي ولو ان لكل نفس ظالمة ما في الارض اي ما في الدنيا اليوم من خزائنها واموالها وجميع منافعها على كثرتها لافتدت به لجعلته فدية لها يقال فداه فافتدى ويقال افتداه ايضا بمعنى فداه واسروا الندامة لما راوا العذاب لانهم بهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوه ولم يخطر ببالهم وعاينوا من شدة الامر وتفاقمه ما سلبهم قواهم وبهرهم فلم يطيقوا عنده بكاء ولا صراخا ولا ما يفعله الجازع سوى اسرار الندم والحسرة في القلوب كما ترى المقدم للصلب يثخنه ما دهمه من فظاعة الخطب ويغلب حتى لا ينبس بكلمة ويبقى جامدا مبهوتا وقيل اسر رؤساؤهم الندامة من سفلتهم الذين اضلوهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم وقيل اسروها اخلصوها اما لان اخفاءها اخلاصها واما من قولهم سر الشيء لخالصه وفيه تهكم بهم وباخطائهم وقت اخلاص الندامة وقيل اسروا الندامة اظهروها من قولهم اسر الشيء واشره اذا اظهره وليس هناك تجلد وقضي بينهم اي بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم ثم اتبع ذلك الاعلام بان له الملك كله وانه المثيب المعاقب وما وعده من الثواب والعقاب فهو حق وهو القادر على الاحياء والاماتة لا يقدر عليهما غيره والى حسابه وجزائه المرجع ليعلم ان الامر كذلك فيخاف ويرجى ولا يغتر به المغترون يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة اي قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبيه على التوحيد وهو شفاء اي دواء لما في صدوركم من العقائد الفاسدة ودعاء الى الحق ورحمة لمن آمن به منكم اصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير للتاكيد والتقرير وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف احد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة بمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح فانه لا مفروح به احق منهما ويجوز ان يراد بفضل الله وبرحمته فبذلك فليعتنوا فبذلك فليفرحوا ويجوز ان يراد قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك فبمجيئهما فليفرحوا وقرئ فلتفرحوا بالتاء وهو الاصل والقياس وهي قراءة رسول الله عليه السلام فيما روي عنه لتاخذوا مصافكم قالها في بعض الغزوات وفي قراءة ابي فافرحوا هو راجع الى ذلك وقرئ مما تجمعون بالتاء والياء وعن ابي بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام وقيل فضله الاسلام ورحمته ما وعد عليه ارايتم اخبروني وما انزل الله في موضع النصب بانزل او بارايتم في معنى اخبروني فجعلتم منه حراما وحلالا اي انزله الله رزقا حلالا كله فبعضتموه وقلتم هذا حلال وهذا حرام كقولهم هذه انعام وحرث حجر وما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا آلله اذن لكم متعلق بارايتم وقل تكرير للتوكيد والمعنى اخبروني آلله اذن لكم في التحليل والتحريم فانتم تفعلون ذلك باذنه ام تكذبون على الله في نسبة ذلك اليه ويجوز ان يكون الهمزة للانكار وام منقطعة بمعنى بل اتفترون على الله تقريرا للافتراء وكفى بهذه الاية زاجرة زجرا بليغا عن التجوز فيما يسال عنه من الاحكام وباعثة على وجوب الاحتياط فيه وان لا يقول احد في شيء جايز او غير جايز الا بعد ايقان واتقان ومن لم يوقن فليتق الله وليصمت والا فهو مفتر على الله يوم القيمة منصوب بالظن

يوم القيمة ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثرهم لا يشكرون وما تكون في شان وما تتلو منه من قران ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم
شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب
مبين الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة
لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم

وهو ظرف واقع فيه يعني اي شيء ظن المفترين في ذلك اليوم ما يصنع بهم فيه وهو يوم الجزاء بالاحسان والاساءة وهو وعيد عظيم حيث ابهم امره وقرا عيسى بن عمر وما ظن على لفظ الفعل ومعناه واي ظن ظنوا يوم القيمة وجيء به على لفظ الماضي لانه كاين وكان قد كان ان الله لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم بالعقل ورحمهم بالوحي وتعليم الحلال والحرام ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة ولا يتبعون ما هدوا اليه وما تكون في شان ما نافية والخطاب لرسول الله عليه السلام والشان الامر واصله الهمز بمعنى القصد من شانت شانه اذا قصدت قصده والضمير في منه للشان لان تلاوة القران شان من شان رسول الله بل هو معظم شانه او للتنزيل كانه قيل وما تتلو من التنزيل من قران لان كل جزء منه قران والاضمار قبل الذكر تفخيم له او لله عز وجل الا كنا عليكم شهودا شاهدين رقباء نحصي عليكم اذ تفيضون فيه من افاض في الامر اذا اندفع فيه وما يعزب وقرئ بالضم والكسر وما يبعد وما يغيب ومنه الروض العازب ولا اصغر من ذلك ولا اكبر القراءة بالنصب والرفع والوجه النصب على نفي الجنس والرفع على الابتداء ليكون كلاما براسه وفي العطف على محل من مثقال ذرة او على لفظ مثقال ذرة فتحا في موضع الجر لامتناع الصرف اشكال لان قولك لا يعزب عنه شيء الا في كتاب مشكل فان قلت لم قدمت الارض على السماء بخلاف قوله في سورة سبا عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الارض قلت حق السماء ان تقدم على الارض ولكنه لما ذكر شهادته على شؤون اهل الارض واحوالهم واعمالهم ووصل بذلك قوله لا يعزب عنه لاءم ذلك ان قدم الارض على السماء على ان العطف بالواو حكمه حكم التثنية اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وقد فسر ذلك في قوله الذين آمنوا وكانوا يتقون فهو توليهم اياه لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة فهو توليه اياهم وعن سعيد بن جبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من اولياء الله فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم يعني السمت والهيئة وعن ابن عمر رضي الله عنه سمعت النبي عليه السلام يقول ان من عباد الله عبادا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيمة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله خبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرا الاية الذين آمنوا نصب او رفع على المدح او على وصف الاولياء او على الابتداء والخبر لهم البشرى والبشرى في الدنيا ما بشر الله به المؤمنين المتقين في غير مكان من كتابه وعن النبي عليه السلام هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم او ترى له وعنه عليه السلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وقيل هي محبة الناس له والذكر الحسن وعن ابي ذر قلت لرسول الله الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال تلك عاجل بشرى المؤمن وعن عطاء لهم البشرى عند الموت تاتيهم الملائكة بالرحمة قال الله تعالى تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي واما البشرى في الاخرة فتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحائف بايمانهم وما يقراون منها وغير ذلك من البشارات لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده كقوله ما يبدل القول لدي وذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين وكلتا الجملتين

اعتراض ولا يحزنك وقرئ ولا يحزنك من احزنه قولهم تكذيبهم وتهديدهم وتشاورهم في تدبير
هلاكك وابطال امرك وسائر ما يتكلمون به في شانك ان العزة استيناف بمعنى التعليل كانه قيل
ما لي لا احزن فقيل ان العزة لله جميعا اي ان الغلبة والقهر في مملكته لله جميعا لا يملك احد شيئا
منها لا هم ولا غيرهم فهو يغلبهم وينصرك عليهم كتب الله لاغلبن انا ورسلي انا لننصر رسلنا وقرئ
انّ بالفتح بمعنى لان العزة على صريح التعليل ومن جعله بدلا من قولهم ثم انكره فالمنكر
هو تخريجه لا ما انكره من القراءة به هو السميع العليم يسمع ما يقولون ويعلم ما يدبرون ويعزمون
عليه وهو مكافيهم بذلك الا ان لله من في السموات ومن في الارض يعني العقلاء المميزين وهم الملائكة
والثقلان وانما خصهم ليؤذن ان هؤلاء اذا كانوا له وفي ملكته فهم عبيد كلهم وهو سبحانه وتعالى
ربهم ولا يصلح احد منهم للربوبية ولا ان يكون شريكا له فيها فما وراءهم مما لا يعقل احق ان لا يكون له ندا وشريكا
وليدل على ان من اتخذ غيره ربا من ملك او انسي فضلا عن صنم او غير ذلك وما يتبع ما يتبعون حقيقة الشركاء وان
كانوا يسمونها شركاء لان شركة الله في الربوبية محال ان يتبعون الا الظن ظنهم انها شركاء وان هم الا يخرصون يحزرون
ويقدرون ان تكون شركاء تقديرا باطلا ويجوز ان يكون وما يتبع في معنى الاستفهام يعني واي شيء يتبعون وشركاء
على هذا نصب بيدعون وعلى الاول بيتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء فاقتصر على
احدهما للدلالة ويجوز ان يكون ما موصولة معطوفة على من كانه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء اي وله
شركاؤهم وقرأ علي بن ابي طالب رضوان الله عليه تدعون بالتاء ووجهه ان يحمل وما يتبع على الاستفهام اي واي شيء
يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين يعني انهم يتبعون الله ويطيعونه فما لكم لا تفعلون مثل فعلهم
كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ثم صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة فقال ان يتبع هؤلاء المشركون
الا الظن ولا يتبعون ما تتبع الملائكة والنبيون من الحق ثم نبه على عظيم قدرته ونعمته الشاملة لعباده التي يستحق
بها ان يتوحد بالعبادة بانه جعل لهم الليل مظلما ليسكنوا فيه مما يقاسون في نهارهم من تعب التردد في المعاش
والنهار مضيئا يبصرون فيه مطالب ارزاقهم ومكاسبهم لقوم يسمعون سماع معتبر مدكر سبحانه تنزيه له عن
اتخاذ الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء هو الغني علة لنفي الولد لان ما يطلب به الولد من يلد وما يطلبه له السبب
في كله الحاجة فمن الحاجة منتفية عنه كان الولد عنه منتفيا له ما في السموات وما في الارض فهو مستغن بملكه لهم
عن اتخاذ احد منهم ولدا ان عندكم على ان يجعل القول مكانا للسلطان كقولك ما عندكم بارضكم موز كانه قيل ان
عندكم على ان يجعل بما تقولون سلطان اتقولون على الله ما لا تعلمون لما نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فدل على ان كل
قول لا برهان عليه لقائله فذاك جهل ليس بعلم يفترون على الله الكذب باضافة الولد اليه متاع في الدنيا اي افتراؤهم هذا
منفعة قليلة في الدنيا وذلك حيث يقيمون رياستهم في الكفر ومناصبة النبي عليه السلام بالتظاهر به ثم يلقون الشقاء
المؤبد بعده كبر عليكم عظم عليكم وشق وثقل ومنه قوله تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين ويقال تعاظمه الامر
مقامي مكاني يعني نفسه كما تقول فعلت كذا لمكان فلان وفلان ثقيل الظل ومنه ولمن خاف مقام ربه بمعنى خاف ربه او
قيامي ومكثي بين اظهركم مددا طوالا الف سنة الا خمسين عاما او مقامي وتذكيري لانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة قاموا

على ارجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بيّنا وكلامهم مسموعا كما يحكى عن عيسى عليه السلام انه كان يعظ الحواريين قائما وهم قعود
فاجمعوا امركم وشركاءكم من اجمع الامر وازمعه اذا نواه وعزم عليه قال اهل يقولون يومي وامري مجمع
والواو بمعنى مع يعني فاجمعوا امركم مع شركائكم وقرأ الحسن وشركاؤكم بالرفع عطفا على الضمير
المتصل وجاز من غير تاكيد بالمنفصل لقيام الفاصل مقامه لطول الكلام كما تقول اضرب زيدا وعمرو
وقرئ فاجمعوا من الجمع وشركاءكم نصب للعطف على المفعول او لان الواو بمعنى مع وفي قراءة ابي فهي
لسعته فاجمعوا امركم وادعوا شركاءكم فان قلت كيف جاز اسناد الاجماع الى الشركاء قلت على وجه التهكم كقوله
قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فان قلت ما معنى الامرين امرهم الذي يجمعونه وامرهم الذي لا يكون عليهم غمة قلت
اما الامر الاول فالقصد الى اهلاكه يعني فاجمعوا ما تريدون من اهلاكي واحتشدوا فيه وابذلوا وسعكم في كيدي
وانما قال ذلك اظهارا لقلة مبالاته وثقته بما وعده ربه من كلاءته وعصمته وانهم لن يجدوا اليه سبيلا
واما الثاني ففيه وجهان احدهما ان يراد مصاحبتهم له وما كانوا فيه معه من الحال الشديدة عليهم المكروهة عندهم
يعني ثم اهلكوني لئلا يكون عيشكم بسببي غصة وحالكم عليكم غمة اي غما وهما والغم والغمة كالكرب والكربة
والثاني ان يراد به ما اريد بالامر الاول والغمة الستر من غمه اذا ستره ومنها قوله عليه السلام ولا غمة في فرائض الله اي
لا تستر ولكن يجاهر بها يعني لا يكن قصدكم الى اهلاكي مستورا عليكم ولكن مكشوفا مشهورا تجاهرونني به ثم اقضوا الي ذلك
الامر الذي تريدون بي اي ادوا الي قطعه وتصحيحه كقوله وقضينا اليه ذلك الامر او ادوا الي ما هو حق عليكم عندكم
من هلاكي كما يقضي الرجل غريمه ولا تنظرون ولا تمهلوني وقرئ ثم افضوا الي بالفاء بمعنى ثم انتهوا الي بشركم وقيل
هو من افضى الرجل اذا خرج الى الفضاء اي اصحروا به الي وابرزوه لي فان توليتم فان اعرضتم عن تذكيري ونصيحتي فما سالتكم
من اجر فما كان عندي ما ينفركم عني وتتهموني لاجله من طمع في اموالكم وطلب اجر على عظتكم ان اجري الا على الله وهو
الثواب الذي يثيبني به في الاخرة اي ما نصحتكم الا لوجه الله لا لغرض من اغراض الدنيا وامرت ان اكون من المسلمين الذين
لا ياخذون على تعليم الدين شيئا ولا يطلبون به دنيا يريد ان ذلك مقتضى الاسلام والذي كل مسلم مامور به والمراد
ان يجعل الحجة لازمة لهم ويبرئ ساحته فذكر ان توليهم لم يكن عن تفريط منه في سوق الامر معهم على الطريق الذي
يجب ان يساق عليه وانما ذلك لعنادهم وتمردهم لا غير فكذبوه فتمموا على تكذيبه وكان تكذيبهم له في آخر المدة المتطاولة
كتكذيبهم في اولها وذلك عند مشارفة الهلاك بالطوفان وجعلناهم خلائف يخلفون الهالكين بالغرق كيف كان عاقبة
المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن انذرهم رسول الله عن مثله وتسلية له من بعده من بعد نوح
رسلا الى قومهم يعني هودا وصالحا وابرهيم ولوطا وشعيبا فجاءوهم بالبينات بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم
فما كانوا ليؤمنوا فما كان ايمانهم الا ممتنعا كالمحال لشدة شكيمتهم في الكفر وتصميمهم عليه بما كذبوا
به من قبل يريد انهم كانوا قبل بعثة الرسل اهل جاهلية مكذبين بالحق فما وقع فصل بين حالتيهم بعد بعثة
الرسل وقبلها كان لم يبعث اليهم احد كذلك نطبع مثل ذلك الطبع المحكم نطبع على قلوب المعتدين والطبع
جار مجرى الكناية عن عنادهم ولجاجهم لان الخذلان يتبعه الا ترى كيف اسند اليهم الاعتداء ووصفهم به
من بعدهم من بعد الرسل بآياتنا بالآيات التسع فاستكبروا عن قبولها وهو اعظم الكبر ان يتهاون العبيد
برسالة ربهم بعد تبينها ويتعظموا عن تقبلها وكانوا قوما مجرمين كفارا ذوي آثام عظام فلذلك

لسحر مبين قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون قالوا أجئتنا
فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إن هذا لسحر مبين في الأرض وما نحن لكما بمؤمنين وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم فلما جاء السحرة
لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض ... ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته
قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فلما ألقوا قال موسى ... وملئهم أن يفتنهم وإن فرعون لعال في الأرض وإنه لمن المسرفين وقال موسى
ولو كره المجرمون فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون

فلما جاءهم الحق من عندنا فلما عرفوا أنه هو الحق وأنه من عند الله لا من قبل موسى وهارون قالوا لحبهم الشهوات إن هذا لسحر مبين وهم يعلمون أن الحق أبعد شيء من السحر الذي ليس إلا تمويها وباطلا. فإن قلت هم قطعوا بقولهم إن هذا لسحر مبين على أنه سحر فكيف قيل لهم أتقولون أسحر هذا. قلت فيه أوجه أن يكون معنى قوله أتقولون للحق أتعيبونه وتطعنون فيه وكان عليكم أن تذعنوا له وتعظموه من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس تقاول إذا قال بعضهم لبعض ما يسوؤه ونحو القول الذكر في قوله سمعنا فتى يذكرهم ثم قال أسحر هذا فأنكر ما قالوه في عيبه والطعن عليه وأن يحذف مفعول أتقولون وهو ما دل عليه قولهم إن هذا لسحر مبين كأنه قيل أتقولون ما تقولون يعني قولهم إن هذا لسحر مبين ثم قيل أسحر هذا وأن يكون جملة قوله أسحر هذا ولا يفلح الساحرون حكاية لكلامهم كأنهم قالوا أجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح الساحرون كما قال موسى للسحرة ما جئتم به السحر إن الله سيبطله. لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل أخوان ومطاوعهما الالتفات والانفتال. عما وجدنا عليه آباءنا يعنون عبادة الأصنام. وتكون لكما الكبرياء أي الملك لأن الملوك موصوفون بالكبر ولذلك قيل للملك الجبار ووصف بالصيد والشوس ولهذا وصف ابن الرقيات مصعبا في قوله ملكه ملك رأفة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء ينفي ما عليه الملوك من ذلك ويجوز أن يقصدوا ذمهما وأنهما إن ملكا أرض مصر تجبرا وتكبرا كما قال القبطي لموسى إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض. وما نحن لكما بمؤمنين أي مصدقين لكما فيما جئتما به وقرئ يكون بالياء. ما جئتم به ما موصولة واقعة مبتدأ والسحر خبر أي الذي جئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون وقومه سحرا من آيات الله وقرئ آلسحر على الاستفهام فعلى هذه القراءة ما استفهامية أي أي شيء جئتم به أهو السحر وقرأ عبد الله ما جئتم به سحر وقرأ أبي ما أتيتم به سحر والمعنى لا ما أتيت به. إن الله سيبطله سيمحقه أو يظهر بطلانه بإظهار المعجزة على الشعوذة. لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته ولا يديمه ولكن يسلط عليه الدمار. ويحق الله الحق ويثبته بكلماته بأوامره وقضاياه وقرئ بكلمته بأمره ومشيئته. فما آمن لموسى في أول أمره إلا ذرية من قومه إلا طائفة من ذراري بني إسرائيل كأنه قيل إلا أولاد من أولاد قومه وذلك أنه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون وأجابته طائفة من أبنائهم مع الخوف وقيل الضمير في قومه لفرعون والذرية مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وامرأة خازنه وماشطته. فإن قلت إلام يرجع الضمير في قوله وملئهم. قلت إلى فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر أو لأنه ذو أصحاب يأتمرون له ويجوز أن يرجع إلى الذرية أي على خوف من فرعون وخوف من أشراف بني إسرائيل لأنهم كانوا يمنعون أعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى أنفسهم ويدل عليه قوله أن يفتنهم يريد أن يعذبهم فرعون. لعال في الأرض لغالب فيها قاهر وإنه لمن المسرفين في الظلم والفساد وفي الكبر والعتو بادعائه الربوبية. إن كنتم آمنتم بالله صدقتم به وبآياته فعليه توكلوا فإليه أسندوا أمركم في العصمة من فرعون ثم شرط في التوكل الإسلام وهو أن يسلموا أنفسهم لله أي يجعلوها له سالمة خالصة لا حظ للشيطان فيها لأن التوكل لا يكون مع التخليط ونظيره في الكلام إن ضربك زيد فاضربه إن كانت بك قوة. فقالوا على الله توكلنا إنما قالوا ذلك لأن القوم كانوا مخلصين لا جرم أن الله سبحانه قبل توكلهم وأجاب دعاءهم ونجاهم وأهلك من كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء في أرضه فمن أراد أن يصلح للتوكل على ربه والتفويض إليه فعليه برفض التخليط إلى الإخلاص. لا تجعلنا فتنة موضع فتنة أي عذاب تعذبوننا أو تفتنوننا عن ديننا أو فتنة لهم يفتنون بنا ويقولون لو كان هؤلاء على الحق لما أصيبوا. تبوءا المكان اتخذه مباءة كقولك

واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا
ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم قال قد أجيبت دعوتكما
فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق
قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين

٢٣٨

توطنه إذا اتخذه وطنا والمعنى اجعلا بمصر بيوتا من بيوته مباءة لقومكما ومرجعا يرجعون إليه للعبادة والصلاة فيه. واجعلوا بيوتكم تلك قبلة أي مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة وكان موسى ومن معه يصلون إلى الكعبة وكانوا في أول الأمر مأمورين بأن يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المؤمنون على ذلك في أول الإسلام بمكة. فإن قلت كيف نوع الخطاب فثنى أولا ثم جمع ثم وحد آخرا. قلت خوطب موسى وهارون عليهما السلام أن يتبوءا لقومهما بيوتا ويختاراها للعبادة وذلك مما يفوض إلى الأنبياء ثم سيق الخطاب عاما لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلاة فيها لأن ذلك واجب على الجمهور ثم خص موسى عليه السلام بالبشارة التي هي الغرض تعظيما لها وللمبشر بها. زينة ما يتزين به من لباس أو حلي أو فرش أو أثاث أو غير ذلك وعن ابن عباس كانت لهم من فسطاط مصر إلى أرض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة وزبرجد وياقوت. فإن قلت ما معنى قوله ربنا ليضلوا عن سبيلك. قلت هو دعاء بلفظ الأمر كقوله ربنا اطمس واشدد وذلك أنه لما عرض عليهم آيات الله وأنذرهم عاقبة ما كانوا عليه من الكفر والضلال المبين ورآهم لا يزيدون على عرض الآيات إلا كفرا وعلى الإنذار إلا استكبارا وعلى النصيحة إلا نبوا ولم يبق له مطمع فيهم وعلم بالتجربة وطول الصحبة أنه لا يجيء منهم إلا الغي والضلال وأن إيمانهم كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة أو علم ذلك بوحي من الله اشتد غضبه عليهم وأفرط مقته وكراهته لحالهم فدعا الله عليهم بما علم أنه لا يكون غيره كما تقول لعن الله إبليس وأخزى الله الكفرة مع علمك أنه لا يكون غير ذلك وليشهد عليهم بأنه لم يبق له فيهم حيلة وأنهم لا يستأهلون إلا أن يخذلوا ويخلى بينهم وبين ضلالهم يتسكعون فيه كأنه قال ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال وليكونوا ضلالا وليطبع الله على قلوبهم فلا يؤمنوا وما علي منهم هم أحق بذلك وأحق كما يقول الأب المشفق لولده الشاطر إذا لم يقبل منه حسرة على ما فاته من قبول نصيحته وحردا عليه لا أن يريد خلاعته واتباعه هواه. ومعنى الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الإيمان. فلا يؤمنوا جواب للدعاء الذي هو اشدد أو دعاء بلفظ النهي وقد حملت اللام في ليضلوا على التعليل على أنهم جعلوا نعمة الله سببا في الضلال فكأنهم أوتوها ليضلوا وقوله فلا يؤمنوا عطف على ليضلوا وقوله ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم دعاء معترض بين المعطوف والمعطوف عليه. وقرأ الفضل الرقاشي أإنك آتيت على الاستفهام واطمس بضم الميم. قد أجيبت دعوتكما قيل كان موسى يدعو وهارون يؤمن ويجوز أن يكونا جميعا يدعوان والمعنى أن دعاءكما مستجاب وما طلبتما كائن ولكن في وقته. فاستقيما فاثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة والزيادة في إلزام الحجة فقد لبث نوح في قومه ألف عام إلا قليلا ولا تستعجلا قال ابن جريج فمكث موسى بعد الدعاء أربعين سنة. ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون أي لا تتبعان طريق الجهلة بعادة الله في تعليق الأمور بالمصالح ولا تعجلا فإن العجلة ليست بمصلحة وهذا كما قال لنوح عليه السلام إني أعظك أن تكون من الجاهلين وقرئ ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية وبتخفيف التاء من تبع. وقرأ الحسن وجوزنا من أجاز المكان وجاوزه وجوزه وليس من جوز الذي في بيت الأعشى وإذا تجوزها حبال قبيلة لأنه لو كان منه لكان حقه أن يقال وجوزنا بني إسرائيل في البحر كما قال كما جوز السكي في الباب فيتق. فأتبعهم فلحقهم يقال تبعته حتى أتبعته وقرأ الحسن وعدوا. وقرئ أنه بالفتح على حذف الباء التي هي صلة الإيمان وإنه بالكسر على الاستئناف بدلا من آمنت. كرر المخذول المعنى الواحد ثلاث مرات في ثلاث عبارات حرصا على القبول ثم لم يقبل منه حيث أخطأ وقته وقاله حين لم يبق له

الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وان كثيرا من الناس عن
آياتنا لغافلون ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان ربك يقضي بينهم
يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فان كنت في شك مما انزلنا اليك فسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك

اختيار قط وكانت المرة الواحدة كافية في حال الاختيار وعند بقاء التكليف آلآن أتؤمن الساعة في وقت الاضطرار
حين ادركك الغرق وايست من نفسك قيل قال ذلك حين الجمه الغرق يعني حين او شك ان يغرق وقيل قاله بعد
ان غرق في نفسه والذي يحكى عن الحسن قال آمنت اخذ جبريل من حال البحر فدسه في فيه فللغضب لله على الكافر
في وقت قد علم ان ايمانه لا ينفعه واما ما يضم اليه من قولهم خشية ان تدركه رحمة الله فمن زيادات الباهتين
لله وملائكته وفيه جهالتان احداهما ان الايمان يصح بالقلب كايمان الاخرس فحال البحر لا يمنعه
والاخرى ان من كره ايمان الكافر واحب بقاءه على الكفر فهو كافر لان الرضا بالكفر كفر من المفسدين
من الضالين المضلين عن الايمان كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وروي
ان جبريل اتاه بفتيا ما قول الامير في عبد لرجل نشأ في ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه
فكتب فرعون فيه يقول ابو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعماه ان يغرق في البحر
فلما الجمه الغرق ناوله جبريل خطه فعرفه ننجيك بالتشديد والتخفيف نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر
وقيل نلقيك بنجوة من الارض وقرئ ننحيك بالحاء نلقيك بناحية مما يلي البحر وذلك انه طرح بعد الغرق بجانب
البحر قال كعب رماه الماء الى الساحل كأنه ثور ببدنك في موضع الحال اي في الحال التي لا روح فيك وانما انت بدن
او ببدنك كاملا سويا لم ينقص منه شيء ولم يتغير او عريانا لست الا بدنا من غير لباس او بدرعك قال عمرو بن معدي كرب
أعاذل شكتي بدني وسيفي وكل مقلص سلس القياد وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرأ ابو حنيفة رحمه الله بابدانك وهو
على وجهين اما ان يكون مثل قولهم هوى باجرامه يعني ببدنك كله وافيا باجزائه او يريد بدروعك كأنه كان مظاهرا
بينها لمن خلفك آية لمن وراءك من الناس علامة وهم بنو اسرائيل وكان في انفسهم ان فرعون اعظم شأنا من ان
يغرق وروي انهم قالوا ما مات فرعون ولا يموت ابدا وقيل اخبرهم موسى عليه السلام بهلاكه فلم يصدقوه فالقاه الله
على الساحل حتى عاينوه وكان مطرحه على ممر من بني اسرائيل حتى قيل لمن خلفك وقيل لمن يأتي بعدك
من القرون ومعنى كونه آية ان يظهر للناس عبوديته ومهانته وان ما كان يدعيه من الربوبية باطل محال وانه مع ما كان
فيه من عظم الشأن وكبرياء الملك آل امره الى ما ترون لعصيانه ربه فما الظن بغيره او لتكون عبرة يعتبر بها الامم بعدك
فلا يجترئوا على نحو ما اجترأت عليه اذا سمعوا بحالك وبهوانك على الله وقرئ لمن خلقك بالقاف اي لتكون لخالقك
آية كسائر آياته ويجوز ان يراد ليكون طرحك على الساحل وحدك وتمييزك من بين المغرقين لئلا يشتبه على الناس امرك
ولئلا يقولوا لادعائك العظيمة ان مثله لا يغرق ولا يموت آية من آيات الله التي لا يقدر عليها غيره وليعلموا ان ذلك
تعمد منه لاماطة الشبهة في امرك مبوأ صدق منزلا صالحا مرضيا وهو مصر والشام فما اختلفوا في دينهم وما تشعبوا
فيه شعبا الا من بعد ما قرأوا التورية وكسبوا العلم بدين الحق ولزمهم الثبات عليه واتحاد الكلمة وعلموا ان الاختلاف فيه
تفرق عنه وقيل هو العلم بمحمد صلى الله عليه واختلاف بني اسرائيل وهم اهل الكتاب اختلافهم في صفته ونعته وانه هو
ام ليس هو بعد ما جاءهم العلم والبيان انه هو لم يرتابوا فيه كما قال الله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون
ابناءهم فان قلت كيف قال لرسوله صلى الله عليه فان كنت في شك مما انزلنا اليك مع قوله وانهم لفي شك منه مريب قلت فرق عظيم
بين قوله وانهم لفي شك منه مريب باثبات الشك لهم على سبيل التأكيد والتحقيق وبين قوله فان كنت في شك بمعنى الفرض
والتمثيل كأنه قيل فان وقع لك شك مثلا وخيل لك الشيطان خيالا منه تقديرا فسل الذين يقرءون الكتاب والمعنى ان

لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكونن من الخاسرين ان الذين حقت
عليهم كلمت ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا
كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ومتعناهم الى حين ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا

٢٣٩

الله عز وجل قدم ذكر بني اسرائيل وهم قرأة الكتاب ووصفهم بان العلم قد جاءهم لان امر رسول الله مكتوب عندهم
في التورية والانجيل وهم يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فاراد ان يؤكد علمهم بصحة القرآن وصحة نبوة محمد عليه السلام
ويبالغ في ذلك فقال فان وقع لك شك فرضا وتقديرا وسبيل من خالجته شبهة في الدين ان يسارع الى حلها واماطتها
اما بالرجوع الى قوانين الدين وادلته واما بمقادحة العلماء المنبهين على الحق فسل علماء اهل الكتاب يعني انهم من
الاحاطة بصحة ما انزل اليك وقتلها علما بحيث يصلحون لمراجعة مثلك ومسائلتهم فضلا عن غيرك فالغرض وصف
الاحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل الى رسول الله لا وصف رسول الله عليه السلام بالشك فيه ثم قال لقد جاءك الحق من ربك اي ثبت
عندك بالآيات والبراهين القاطعة ان ما اتاك هو الحق الذي لا مدخل فيه للمرية فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا
بآيات الله اي فاثبت ودم على ما انت عليه من انتفاء المرية عنك والتكذيب بآيات الله ويجوز ان يكون على طريقة التهييج
والالهاب كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ انزلت اليك ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك
قال عليه السلام عند نزوله لا اشك ولا اسأل بل اشهد انه الحق وعن ابن عباس والله ما شك طرفة عين ولا سأل احدا منهم
وقيل خوطب رسول الله والمراد خطاب امته ومعناه فان كنتم في شك مما انزلنا اليكم كقوله وانزلنا اليكم نورا
مبينا وقيل الخطاب للسامع ممن يجوز عليه الشك كقول العرب اذا عز اخوك فهن وقيل ان للنفي اي فما
كنت في شك فسئل يعني لا نأمرك بالسؤال لانك شاك ولكن لتزداد يقينا كما ازداد ابراهيم عليه السلام بمعاينة احياء الموتى
وقرئ فاسئل الذين يقرءون الكتب حقت عليهم كلمة ربك ثبت عليهم قول الله الذي كتبه في اللوح واخبر به الملائكة انهم
يموتون كفارا فلا يكون غيره وتلك كتابة معلوم لا كتابة مقدر ومراد تعالى الله عن ذلك فلولا كانت فهلا كانت
قرية واحدة من القرى التي اهلكناها تابت عن الكفر واخلصت الايمان قبل المعاينة ولم تؤخر كما اخر
فرعون الى ان اخذ بمخنقه فنفعها ايمانها بان يقبله الله منها لوقوعه في وقت الاختيار وقرأ ابي وعبد الله فهلا كانت
الا قوم يونس استثناء من القرى لان المراد اهاليها وهو استثناء منقطع بمعنى ولكن قوم يونس لما آمنوا ويجوز ان يكون
متصلا والجملة في معنى النفي كأنه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة الا قوم يونس وانتصابه على اصل الاستثناء وقرئ
بالرفع على البدل روي عن الجرمي والكسائي وروي ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من ارض الموصل فكذبوه فذهب
عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا اربعين ليلة وقيل قال لهم يونس ان اجلكم
اربعون ليلة فقالوا ان رأينا اسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس وثلثون اغامت السماء غيما اسود هائلا
يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم وتسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم
ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب واولادها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات
والعجيج واظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود
بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنائه فيرده وقيل خرجوا الى
شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي
لا اله الا انت فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها واجل
افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله ولو شاء ربك مشيئة القسر والالجاء لآمن من في الارض كلهم على وجه الاحاطة والشمول جميعا
مجتمعين على الايمان مطبقين عليه لا يختلفون

مطلب

أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون قل انظروا
ماذا في السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا
إني معكم من المنتظرين ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون
من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين ولا
تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين

فيه الحركة إلى قوله أفأنت تكره الناس أي إنما يقدر على إكراههم واضطرارهم إلى الإيمان هو لا أنت، وإيلاء الاسم حرف الاستفهام للإعلام بأن الإكراه ممكن مقدور عليه وإنما الشأن في المكره من هو وما هو إلا هو وحده لا يشارك فيه لأنه هو القادر على أن يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده إلى الإيمان وذلك غير مستطاع للبشر **وما كان لنفس** يعني من النفوس التي علم أنها تؤمن إلا بإذن الله أي بتسهيله وهو منح الألطاف ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون وهم المصرون على الكفر كقوله صم بكم عمي فهم لا يعقلون وسمى الخذلان رجسا وهو العذاب لأنه سببه، وقرئ الرجز بالزاي، وقرئ ونجعل بالنون **ماذا في السموات والأرض** من الآيات والعبر **وما تغني** الآيات والنذر والرسل المنذرون أو الإنذارات **عن قوم** لا يؤمنون لا يتوقع إيمانهم وهم الذين لا يعقلون، وقرئ وما يغني بالياء، وما نافية أو استفهامية **أيام الذين خلوا من قبلهم** وقائع الله فيهم كما يقال أيام العرب لوقائعها **ثم ننجي رسلنا** معطوف على كلام محذوف يدل عليه قوله إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم كأنه قيل نهلك الأمم ثم ننجي رسلنا على حكاية الأحوال الماضية **والذين آمنوا** ومن آمن معهم **كذلك** ننجي المؤمنين مثل ذلك الإنجاء ننجي المؤمنين منكم ونهلك المشركين، وحقا علينا اعتراض يعني حق ذلك علينا حقا، وقرئ ننجي بالتشديد **يا أيها الناس** يا أهل مكة **إن كنتم** في شك من ديني وصحته وسداده فهذا ديني فاستمعوا وصفه واعرضوه على عقولكم وانظروا فيه بعين الإنصاف لتعلموا أنه دين لا مدخل فيه للشك وهو أني لا أعبد الحجارة التي تعبدونها من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وإنما وصفه بالتوفي ليريهم أنه الحقيق بأن يخاف ويتقى ويعبد دون ما لا يقدر على شيء **وأمرت** أن أكون من المؤمنين يعني أن الله أمرني بذلك بما ركب في من العقل وبما أوحى إلي في كتابه، وقيل معناه إن كنتم في شك من ديني ومما أنا عليه أأثبت عليه أم أتركه وأوافقكم فلا تحدثوا أنفسكم بالمحال ولا تشكوا في أمري واقطعوا عني أطماعكم واعلموا أني لا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولا أختار الضلالة على الهدى كقوله قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون **وأمرت أن أكون** أصله بأن أكون فحذف الجار، وهذا الحذف يحتمل أن يكون من الحذف المطرد الذي هو حذف الحروف الجارة مع أن وأن، وأن يكون من الحذف غير المطرد وهو قوله أمرتك الخير فاصدع بما تؤمر **وأن أقم** عطف على أن أكون، وفيه إشكال لأن أن لا تخلو من أن تكون التي للعبارة أو التي تكون مع الفعل في تأويل المصدر فلا يصح أن تكون للعبارة وإن كان الأمر مما يتضمن معنى القول لأن عطفها على الموصولة يأبى ذلك، والقول بكونها موصولة مثل الأولى لا يساعد عليه لفظ الأمر وهو أقم لأن الصلة حقها أن تكون جملة تحتمل الصدق والكذب **قلت** قد سوغ سيبويه أن توصل أن بالأمر والنهي وشبه ذلك بقولهم أنت الذي تفعل على الخطاب لأن الغرض وصلها بما تكون معه في معنى المصدر والأمر والنهي دالان على المصدر دلالة غيرهما من الأفعال **أقم وجهك** استقم إليه ولا تلتفت يمينا ولا شمالا، وحنيفا حال من الدين أو من الوجه **فإن فعلت** معناه فإن دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكنى عنه بالفعل إيجازا **فإنك إذا من الظالمين** إذا جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كأن سائلا سأل عن تبعة عبادة الأوثان وجعل من الظالمين لأنه لا ظلم أعظم من الشرك إن الشرك لظلم عظيم. أتبع النهي عن عبادة الأوثان ووصفها بأنها لا تنفع ولا تضر أن الله عز وجل هو الضار النافع الذي إن أصابك بضر لم يقدر على كشفه إلا هو وحده دون كل أحد فكيف بالجماد الذي لا شعور به، وكذلك إن أرادك بخير لم يرد أحد ما يريده بك من فضله وإحسانه فكيف بالأوثان وهو الحقيق إذا بأن توجه إليه العبادة دونها وهو أبلغ من قوله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته **فإن قلت** لم ذكر المس في أحدهما والإرادة

وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم
قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل واتبع ما
يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير
ألا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى ويؤت
كل ذي فضل فضله وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير إلى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير

في الثاني **قلت** كأنه أراد أن يذكر الأمرين جميعا الإرادة والإصابة في كل واحد من الضر والخير وأنه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فأوجز الكلام بأن ذكر المس وهو الإصابة في أحدهما والإرادة في الآخر ليدل بما ذكر على ما ترك على أنه قد ذكر الإصابة بالخير في قوله يصيب به من يشاء من عباده، والمراد بالمشيئة مشيئة المصلحة **فقد جاءكم الحق** فلم يبق لكم عذر ولا على الله حجة فمن اختار الهدى واتباع الحق فما نفع باختياره إلا نفسه ومن آثر الضلال فما ضر إلا نفسه، واللام وعلى دلا على معنى النفع والضر وكل إليهم الأمر بعد إبانة الحق وإزاحة العلل وبعث على التيئاد الهدى واطراح الضلال مع ذلك **وما أنا عليكم بوكيل** بحفيظ موكول إلي أمركم وحملكم على ما أريد إنما أنا بشير ونذير **واصبر** على دعوتهم واحتمال أذاهم وإعراضهم **حتى يحكم الله** لك بالنصرة عليهم والغلبة، وروي أنها لما نزلت جمع رسول الله صلى الله عليه الأنصار فقال إنكم ستجدون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني يعني أني أمرت في هذه الآية بالصبر على ما سامتني الكفرة فصبرت فاصبروا أنتم على ما يسومكم الأمراء الجورة، قال أنس فلم نصبر، وروي أن أبا قتادة رضي الله عنه تخلف عن تلقي معاوية حين قدم المدينة وقد تلقته الأنصار ثم دخل عليه فقال له ما لك لم تتلقنا فقال لم تكن عندنا دواب قال فأين النواضح قال قطعناها في طلبك وطلب أبيك يوم بدر وقد قال رسول الله صلى الله عليه يا معشر الأنصار إنكم ستلقون بعدي أثرة قال معاوية فماذا قال قال فاصبروا حتى تلقوني قال فاصبر قال إذا نصبر فقال عبد الرحمن بن حسان ألا أبلغ معاوية بن حرب أمير الظالمين نثا كلامي بأنا صابرون فمنظروكم إلى يوم التغابن والخصام. وعن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة يونس أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون. والحمد لله رب العالمين

سورة هود مكية مائة وثلاث وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم **أحكمت آياته** نظمت نظما رصينا محكما لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم المرصف، ويجوز أن يكون نقلا بالهمزة من حكم بضم الكاف إذا صار حكيما أي جعلت حكيمة كقوله آيات الكتاب الحكيم، وقيل منعت من الفساد من قولهم أحكمت الدابة إذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح قال جرير أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم إني أخاف عليكم أن أغضبا، وعن قتادة رضي الله عنه أحكمت من الباطل **ثم فصلت** كما تفصل القلائد بالفرائد من دلائل التوحيد والأحكام والمواعظ والقصص، أو جعلت فصولا سورة سورة وآية آية، أو فرقت في التنزيل لم تنزل جملة واحدة، أو فصل فيها ما يحتاج إليه العباد أي بين ولخص، وقرئ أحكمت آياته ثم فصلت أي أحكمتها أنا ثم فصلتها، وعن عكرمة والضحاك رضي الله عنهما ثم فصلت أي فرقت بين الحق والباطل **فإن قلت** ما معنى ثم **قلت** ليس معناها التراخي في الوقت ولكن في الحال كما تقول هي محكمة أحسن الإحكام ثم مفصلة أحسن التفصيل وفلان كريم الأصل ثم كريم الفعل **وكتاب** خبر مبتدإ محذوف وأحكمت صفة له **من لدن حكيم خبير** صفة ثانية ويجوز أن يكون خبرا بعد خبر وأن يكون صلة لأحكمت وفصلت أي من عنده إحكامها وتفصيلها وفيه طباق حسن لأن المعنى أحكمها حكيم وفصلها أي بينها وشرحها خبير بكيفيات الأمور **أن لا تعبدوا إلا الله** مفعول له على معنى لئلا تعبدوا إلا الله أو أمركم أن لا تعبدوا إلا الله

الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه الا حين
يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات
الصدور وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها
ومستودعها كل في كتاب مبين وهو الذي خلق
السموات والارض في ستة ايام

وان استغفروا اي امركم بالتوحيد والاستغفار ويجوز ان يكون كلاما مبتدا منقطعا عما قبله على لسان
النبي صلى الله عليه اغراء منه على اختصاص الله بالعبادة ويدل عليه قوله انني لكم منه نذير وبشير كانه قال ترك
عبادة غير الله انني لكم منه نذير كقوله تعالى فضرب الرقاب والضمير في منه لله عز وجل اي انني
لكم نذير وبشير من جهته كقوله رسول من الله او هي صلة لنذير اي انذركم منه ومن عذابه ان كفرتم
وابشركم من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة او استغفروا والاستغفار توبة ثم اخلصوا التوبة
واستقيموا عليها كقوله ثم استقاموا يمتعكم يطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية من
عيشة واسعة ونعمة متتابعة الى اجل مسمى الى ان يتوفاكم كقوله فلنحيينه حيوة طيبة ويؤت
كل ذي فضل فضله ويعط في الاخرة كل من كان له فضل في العمل وزيادة فيه جزاء فضله لا يبخس منه
او فضله في الثواب والدرجات تتفاضل في الجنة على قدر تفاضل الطاعات وان تولوا وان تتولوا
عذاب يوم كبير هو يوم القيمة وصف بالكبر كما وصف بالعظم والثقل وبين عذاب اليوم الكبير
بان مرجعهم الى من هو قادر على كل شيء فكان قادرا على اشد ما اراد من عذابهم لا يعجزه وقرئ وان تولوا
من ولي يثنون صدورهم يزورون عن الحق وينحرفون عنه لان من اقبل على الشيء استقبله بصدره ومن ازور
عنه وانحرف ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه ليستخفوا منه يعني ويريدون ليستخفوا من الله فلا
يطلع رسوله والمومنين على ازورارهم ونظير اضمار يريدون لعود المعنى الى اضماره الاضمار
في قوله وقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق معناه فضرب فانفلق ومعنى الا حين يستغشون
ثيابهم يريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم ايضا كراهة لاستماع كلام الله كقول نوح
عليه السلم جعلوا اصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم ثم قال يعلم ما يسرون وما يعلنون يعني انه لا
تفاوت في علمه بين اسرارهم واعلانهم فلا وجه لتوصلهم الى ما يريدون من الاستخفاء والله مطلع
على ثنيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم ونفاقهم غير نافق عنده روي انها نزلت في الاخنس بن
شريق وكان يظهر لرسول الله عليه السلم المحبة وله منطق حلو وحسن سياق الحديث فكان يجالس رسول
الله عليه السلم ومحادثته وهو يضمر خلاف ما يظهره وقيل نزلت في المنافقين وقرئ يثنوني
صدورهم واثنوني افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة قرئ بالتاء
والياء وعن ابن عباس رضي الله عنه لتثنوني وقرئ تثنون واصله تثنونن تفعوعل من الثن
وهو ما هش وضعف من الكلا يريد مطاوعة صدورهم للثني كما ينثني الهش من النبات او اراد
ضعف ايمانهم ومرض قلوبهم وقرئ تثنئن من اثنان افعال منه ثم همز كما قيل ابياضت وادهامت
وقرئ تثنوي بوزن ترعوي فان قلت كيف قال على الله رزقها بلفظ الوجوب وانما هو تفضل قلت هو تفضل
الا انه لما ضمن ان يتفضل به عليهم رجع التفضل واجبا كنذور العباد والمستقر مكانه من الارض ومسكنه
والمستودع حيث كان مودعا قبل الاستقرار من صلب او رحم او بيضة كل كل واحد من الدواب ورزقها
ومستقرها في اللوح يعني ذكرها مكتوب فيه مبين وكان عرشه على الماء اي ما كان تحته خلق قبل خلق السموات

ليبلوكم ايكم احسن عملا ولئن قلت انكم
من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين ولئن اخرنا
عنهم العذاب الى امة معدودة ليقولن ما يحبسه الا يوم ياتيهم
ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ولئن اذقنا
الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤس كفور

والارض وارتفاعه فوقها الا الماء وفيه دليل على ان العرش والماء كانا مخلوقين قبل السموات والارض
وقيل وكان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك وكيف ما كان فالله ممسك كل ذلك بقدرته وكلما ازداد
الاجرام كانت احوج اليه والى امساكه ليبلوكم متعلق بخلق اي خلقهن لحكمة بالغة وهو ان يجعلها مساكن
لعباده وينعم عليهم فيها بفنون النعم ويكلفهم الطاعات واجتناب المعاصي فمن شكر واطاع اثابه
ومن كفر وعصى عاقبه ولما اشبه ذلك اختبار المختبر قال ليبلوكم يريد ليفعل بكم ما يفعل المبتلي
لاحوالكم كيف تعملون فان قلت كيف جاز تعليق فعل البلوى قلت لما في الاختبار من معنى العلم لانه طريق
اليه فهو ملابس له كما تقول انظر ايهم احسن وجها واسمع ايهم احسن صوتا لان النظر والاستماع
من طرق العلم فان قلت كيف قيل ايكم احسن عملا واعمال المومنين هي التي تتفاوت الى حسن واحسن فاما اعمال
المومنين والكافرين فتفاوتهما الى حسن وقبيح قلت الذين هم احسن عملا هم المتقون وهم الذين
استبقوا الى تحصيل ما هو غرض الله من عباده فخصهم بالذكر واطرح ذكر من وراءهم تشريفا لهم
وتنبيها على مكانهم منه وليكون ذلك لطفا للسامعين وترغيبا في حيازة فضلهم وعن النبي صلى الله عليه
ليبلوكم ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله سبحانه وقرئ ولئن قلت انكم مبعوثون بفتح
الهمزة ووجهه ان يكون من قولهم ائت السوق انك تشتري لحما وانك تشتري بمعنى علك اي ولئن قلت
لهم لعلكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم وظنوه ولا تبتوا القول بانكاره لقالوا ان هذا الا سحر مبين يعنون
القول ببطلانه ويجوز ان يضمن قلت معنى ذكرت ومعنى قولهم ان هذا الا سحر ان السحر امر باطل وان بطلانه
كبطلان السحر تشبيها له به واشاروا بهذا الى القرآن لان القرآن هو الناطق بالبعث فاذا جعلوه سحرا فقد
اندرج تحته انكار ما فيه من البعث وغيره وقرئ ان هذا الا ساحر يريدون الرسول والساحر كاذب مبطل العذاب
عذاب الآخرة وقيل عذاب يوم بدر وعن ابن عباس رضي الله عنه قتل جبريل المستهزئين الى امة الى جماعة من الاوقات
ما يحبسه ما يمنعه من النزول استعجالا له على وجه التكذيب والاستهزاء الا يوم ياتيهم منصوب بخبر ليس ويستدل
به من يستجيز تقديم خبر ليس على ليس وذلك انه اذا جاز تقديم معمول خبرها عليها كان ذلك دليلا على تقديم
خبرها اذ المعمول تبع للعامل فلا يقع الا حيث يقع العامل وحاق بهم واحاط بهم ما كانوا به يستهزءون
العذاب الذي كانوا به يستعجلون وانما وضع يستهزءون موضع يستعجلون لان استعجالهم كان على جهة
الاستهزاء والمعنى ويحيق بهم الا انه جاء على عادة الله في اخباره الانسان للجنس رحمة نعمة من صحة وامن
وجدة ثم نزعناها منه ثم سلبنا تلك النعمة انه ليؤس شديد اليأس من ان تعود اليه مثل تلك النعمة
المسلوبة قاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه ولا استرجاع كفور عظيم
الكفران لما سلف له من التقلب في نعمة الله نسّاء له ذهب السيئات عني اي المصائب التي ساءتني انه
لفرح اشر بطر فخور على الناس بما اذاقه الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر الا الذين صبروا
فان عادتهم ان نالتهم رحمة ان يشكروا وان زالت عنهم نعمة ان يصبروا كانوا يقترحون عليه آيات تعنتا
لا استرشادا لانهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة مما جاء به كافية في رشادهم ومن اقتراحاتهم

لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وكانوا لا يعتدون بالقرآن ويتهاونون به وبغيره مما جاء به من البينات فكان يضيق صدر رسول الله عليه السلم ان يلقي اليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه فحرّك الله منه وهيّجه لاداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك اي لعلك تترك ان تلقيه اليهم وتبلغه اياهم مخافة ردهم له وتهاونهم به وضائق به صدرك بان تتلوه عليهم ان يقولوا مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز اي هلا انزل عليه ما اقترحنا نحن من الكنز والملائكة ولم ينزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه ثم قال انما انت نذير اي ليس عليك الا ان تنذرهم بما اوحي اليك وتبلغهم ما امرت بتبليغه ولا عليك ردوا او تهاونوا او اقترحوا والله على كل شيء وكيل يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب ان يفعل فتوكل عليه وكل امرك اليه وعليك بتبليغ الوحي بقلب فسيح وصدر منشرح غير ملتفت الى استكبارهم ولا مبال بسفههم واستهزائهم فان قلت لم عدل عن ضيق الى ضائق قلت ليدل على انه ضيق عارض غير ثابت لان رسول الله عليه السلم كان افسح الناس صدرا ومثله قولك زيد سيد وجواد تريد السيادة والجود الثابتين المستقرين فاذا اردت الحدوث قلت سائد وجائد ونحوه كانوا قوما عامين في بعض القراءات وقول السمهري العكلي بمنزلة اما اللئيم فسامن بها وكرام الناس باد شحوبها ام منقطعة والضمير في افتراه لما يوحى اليك تحداهم اولا بعشر سور ثم بسورة واحدة كما يقول المخاير في الخط لصاحبه اكتب عشرة اسطر نحو ما اكتب فاذا تبين له العجز عن مثل خطه قال قد اقتصرت منك على سطر واحد مثله بمعنى امثاله ذهابا الى مماثلة كل واحدة منها له مفتريات صفة لعشر سور لما قالوا افتريت القرآن واختلقته من عند نفسك وليس من عند الله قاودهم على دعواهم وارخى معهم العنان وقال هبوا اني اختلقته من عند نفسي ولم يوح الي وان الامر كما قلتم فأتوا انتم ايضا بكلام مثله مختلق من عند انفسكم فانتم عرب فصحاء مثلي لا تعجزون عن مثل ما اقدر عليه من الكلام فان قلت كيف يكون ما يأتون به مثله وما يأتون به مفترى وهذا غير مفترى قلت معناه مثله في حسن النظم والبيان وان كان مفترى فلو قلت ما وجه جمع الخطاب بعد افراده وهو قوله لكم فاعلموا بعد قوله قل قلت معناه فان لم يستجيبوا لك وللمؤمنين لان رسول الله والمؤمنين كانوا يتحدونهم وقد قال في موضع آخر فان لم يستجيبوا لك ويجوز ان يكون الجمع لتعظيم رسول الله عليه السلم كقوله فان شئت حرمت النساء سواكم ووجه آخر وهو ان يكون الخطاب للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم يعني فان لم يستجيبوا لكم من تدعونه من دون الله الى المظاهرة على معارضته لعلمهم بالعجز عنه وان طاقتهم اقصر من ان تبلغه فاعلموا انما انزل بعلم الله اي انزل ملتبسا بما لا يعلمه الا الله من نظم معجز للخلق واخبار بغيوب لا سبيل لهم اليه واعلموا عند ذلك ان لا اله الا الله وحده وان توحيده واجب والاشراك به ظلم عظيم فهل انتم مسلمون مبايعون بالاسلام بعد هذه الحجة القاطعة وهذا وجه حسن مطرد ومن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه فاثبتوا على العلم الذي انتم عليه وازدادوا يقينا وثبات قدم على انه منزل من عند الله وعلى التوحيد ومعنى فهل انتم مسلمون فهل انتم مخلصون نوف نوصل اليهم اجور اعمالهم وافية كاملة من غير

اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون افمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة اولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اولئك يعرضون على ربهم ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون اولئك لم يكونوا معجزين في الارض وما كان لهم من دون الله من اولياء يضاعف لهم العذاب

في الدنيا وهو ما يرزقون فيها من الصحة والرزق وقيل هم اهل الرياء يقال للقراء منهم اردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ولمن وصل الرحم وتصدق فعلت حتى يقال فقد قيل ولمن قاتل فقتل قاتلت حتى يقال فلان جريء فقد قيل وعن انس بن مالك هم اليهود والنصارى ان اعطوا سائلا او وصلوا رحما عجل لهم جزاء ذلك بتوسعة في الرزق وصحة في البدن وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله فاسهم لهم في الغنائم وقرئ يوف اليهم على ان الفعل لله وتوفى اليهم اعمالهم بالتاء على البناء للمفعول وفي قراءة الحسن رضي الله عنه نوفي بالتخفيف واثبات الياء لان الشرط وقع ماضيا كقوله يقول لا غائب مالي ولا حرم وحبط ما صنعوا فيها وحبط في الآخرة ما صنعوه او صنيعهم يعني لم يكن لهم ثواب لانهم لم يريدوا به الآخرة انما ارادوا به الدنيا وقد وفي اليهم ما ارادوا وباطل ما كانوا يعملون اي كان عملهم في نفسه باطلا لانه لم يعمل لوجه صحيح والعمل الباطل لا ثواب له وقرئ وبطل على الفعل وعن عاصم وباطلا بالنصب وفيه وجهان ان تكون ما ابهامية وتنتصب بيعملون ومعناه وباطلا اي باطل كانوا يعملون وان يكون بمعنى المصدر على وبطل بطلانا ما كانوا يعملون افمن كان على بينة معناه امن كان يريد الحيوة الدنيا فمن كان على بينة اي لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم يريد ان بين الفريقين تفاوتا بعيدا وتباينا بينا واراد بهم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره كان على بينة من ربه اي على برهان من الله وبيان ان دين الاسلام حق وهو دليل العقل ويتلوه ويتبع ذلك البرهان شاهد منه اي شاهد يشهد بصحته وهو القرآن منه من الله او شاهد من القرآن فقد تقدم ذكره آنفا ومن قبله ومن قبل القرآن كتاب موسى وقرئ كتاب بالنصب ومعناه وهو التوراة اي ويتلو ذلك البرهان ايضا من قبل القرآن كتاب موسى وقرئ كتاب موسى بالنصب ومعناه كان على بينة من ربه وهو الدليل على ان القرآن حق ويتلوه ويقرأ القرآن شاهد منه شاهد ممن كان على بينة كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ومن قبله كتاب موسى ويتلو من قبل القرآن التوراة اماما كتابا مؤتما به في الدين قدوة فيه ورحمة ونعمة عظيمة على المنزل اليهم اولئك يعني من كان على بينة يؤمنون به يؤمنون بالقرآن ومن يكفر به من الاحزاب يعني اهل مكة ومن ضامهم من المتحزبين على رسول الله فالنار موعده فلا تك في مرية وقرئ مرية بالضم وهما الشك من القرآن او من الموعد يعرضون على ربهم يحبسون في الموقف وتعرض اعمالهم وتشهد عليهم الاشهاد من الملائكة والنبيين بانهم الكذابون على الله بانه اتخذ ولدا وشريكا ويقال الا لعنة الله على الظالمين فوا خزياه وا فضيحتاه والاشهاد جمع شاهد وشهيد كاصحاب واشراف ويبغونها عوجا يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة او يبغون اهلها ان يعوجوا بالارتداد وهم الثانية لتأكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا يعجزون الله في الدنيا ان يعاقبهم لو اراد عقابهم وما كان لهم من يتولاهم فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه ولكنه اراد انظارهم وتأخير عقابهم الى هذا اليوم وهو من كلام الاشهاد يضاعف وقرئ يضعف ما كانوا يستطيعون السمع اراد انهم لفرط تصامهم عن استماع الحق وكراهتهم له كانهم لا يستطيعون السمع ولعل بعض المجبرة يتوثب اذا عثر عليه فيوعوع به

ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون اولئك الذين خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون لا جرم انهم في الاخرة هم الاخسرون
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان
مثلا افلا تذكرون ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين ان لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم فقال الملا الذين كفروا
من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الراي

على اهل العدل كانه لم يسمع الناس يقولون في كل لسان هذا كلام لا استطيع ان اسمعه وهذا مما
تمجه سمعي ويحتمل ان يريد بقوله وما كان لهم من دون الله من اوليا انهم جعلوا الهتهم اوليا من دون الله تعالى
ولايتها ليست بشي فما كان لهم في الحقيقة من اوليا ثم بين نفي كونهم اوليا بقوله ما كانوا يستطيعون
السمع وما كانوا يبصرون فكيف يصلحون للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض بوعيد خسروا
انفسهم اشتروا عبادة الالهة بعبادة الله تعالى فكان خسرانهم في تجارتهم ما لا خسران اعظم منه وهو
انهم خسروا انفسهم وضل عنهم وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو ما كانوا يفترون من الهة
وشفاعتها لا جرم فسر في مكان اخر هم الاخسرون لا ترى احدا ابين خسرانا منهم واخبتوا
الى ربهم واطمانوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع والتواضع من الخبت وهي الارض المطمئنة
ومنه قولهم للشي الدني الخبيت وقيل التا فيه بدل من الثا كما يقال في الطيب القليل من الرزق ولا ينفع
الكثير الخبيث شبه فريق الكافرين بالاعمى والاصم وفريق المومنين بالبصير والسميع وهو من
اللف والطباق وفيه معنيان ان يشبه الفريق تشبيهين اثنين كما شبه امرؤ القيس
قلوب الطير بالحشف والعناب وان يشبه بالذي جمع بين العمى والصمم او الذي جمع بين البصر والسمع
على ان تكون الواو في والاصم وفي والسميع لعطف الصفة على الصفة كقوله الصابح فالغانم فالايب
هل يستويان يعني الفريقين مثلا تشبيها اي ارسلنا نوحا بانى لكم نذير ومعناه ارسلناه ملتبسا بهذا الكلام
وهو قوله انى لكم نذير مبين بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح في كان والمعنى على الكسر وهو قولك ان زيدا
كالاسد وقرى بالكسر على ارادة القول ان لا تعبدوا بدل من اني لكم نذير اي ارسلناه بان لا تعبدوا الا الله او
تكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير وصف اليوم باليم من الاسناد المجازي لوقوع الالم فيه
فان قلت فاذا وصف به العذاب قلت مجازي مثله لان الاليم في الحقيقة هو المعذب ونظيرهما قولك نهارك
صايم وجد جده الملا الاشراف من قولهم فلان ملي بكذا اذا كان مطيقا له وقد ملوا بالامر لانهم ملوا
بكفايات الامور واضطلعوا بها وبتدبيرها او لانهم يتمالون اي يتظاهرون ويتساندون او
لانهم يملون القلوب هيبة والمجالس ابهة او لانهم ملا بالاحلام والاراء الصائبة ما نراك
الا بشرا تعريض بانهم احق منه بالنبوة وان الله لو اراد ان يجعلها في واحد من البشر لجعلها فيهم
فقالوا هبك لك واحد منهم من الملا ومواز لهم في المنزلة فما جعلك احق منهم الا ترى الى قولهم وما
نرى لكم علينا من فضل وارادوا انه كان ينبغي ان يكون ملكا لا بشرا والاراذل جمع الارذل كقوله اكابر
مجرميها احاسنكم اخلاقا وقرى بادي الراي بالهمز وغير الهمز بمعنى اتبعوك اول الراي او
ظاهر الراي وانتصابه على الظرف اصله وقت حدوث اول رايهم او وقت ظاهر رايهم فحذف ذلك واقيم
المضاف اليه مقامه ارادوا ان اتباعهم لك انما هو شي عن لهم بديهة من غير روية ونظر وانما
استرذلوا المومنين لفقرهم وتاخرهم في الاسباب الدنيوية لانهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون الا
ظاهرا من الحيوة الدنيا فكان الاشرف عندهم من له جاه ومال كما ترى اكثر المتسمين بالاسلام يعتقدون

وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي واتاني رحمة من عنده فعميت عليكم انلزمكموها وانتم لها كارهون
ويا قوم لا اسالكم عليه مالا ان اجري الا على الله وما انا بطارد الذين امنوا انهم ملاقوا ربهم ولكني اريكم قوما تجهلون ويا قوم من ينصرني
من الله ان طردتهم افلا تذكرون ولا اقول لكم عندي خزاين الله ولا اعلم الغيب ولا اقول اني ملك ولا اقول للذين تزدري اعينكم

ذلك ويبنون عليه اكرامهم واهانتهم ولقد زل عنهم ان التقدم في الدنيا لا يقرب احدا من الله وانما يبعده
ولا يرفعه بل يضعه فضلا ان يجعله سببا في الاختيار للنبوة والتاهيل لها على ان الانبيا عليهم السلام بعثوا مرغبين
في طلب الاخرة ورفض الدنيا مزهدين فيها مصغرين لشانها وشان من اخلد اليها فما ابعد حالهم من
الاتصاف بما يبعد من الله والتشرف بما هو ضعة عند الله من فضل من زيادة شرف علينا توهلكم
للنبوة بل نظنكم كاذبين فيما تدعونه ارايتم اخبروني ان كنت على بينة على برهان من ربي وشاهد
منه يشهد بصحة دعواي واتاني رحمة من عنده باتيان البينة على ان البينة في نفسها هي الرحمة ويجوز
ان يريد بالبينة المعجزة وبالرحمة النبوة فان قلت فقوله فعميت ظاهر على الوجه الاول فما وجهه على الوجه
الثاني وحقه فعميتا قلت الوجه ان يقدر فعميت بعد البينة وان يكون حذفه للاقتصار على ذكره
مرة ومعنى عميت خفيت وقرى فعميت بمعنى اخفيت وفي قراءة ابي رضي الله عنه فعماها عليكم فان قلت
فما حقيقته قلت حقيقته ان الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء لان الاعمى لا يهتدي
ولا يهدي غيره فمعنى فعميت عليكم البينة فلم تهدكم كما لو عمي على القوم دليلهم في المفازة بقوا بغير
هاد فان قلت فما معنى قراءة ابي قلت المعنى انهم صمموا على الاعراض عنها فخلاهم الله وتصميمهم
فجعلت تلك التخلية تعمية منه والدليل عليه قوله انلزمكموها وانتم لها كارهون يعني انكرهكم على قبولها
ونقسركم على الاهتداء بها وانتم تكرهونها ولا تختارونها ولا اكراه في الدين وقد جي بضميري المفعولين
متصلين جميعا ويجوز ان يكون الثاني منفصلا كقولك انلزمكم اياها ونحوه فسيكفيكهم ويجوز فسيكفيك
اياهم وحكي عن ابي عمرو رحمه الله اسكان الميم ووجهه ان الحركة لم تكن الا خلسة خفيفة فظنها
الراوي سكونا والاسكان الصريح لحن عند الخليل وسيبويه وحذاق البصريين لان الحركة الاعرابية
لا يسوغ طرحها الا في ضرورة الشعر والضمير في قوله لا اسالكم عليه راجع الى قوله انى لكم نذير مبين
ان لا تعبدوا الا الله وقرى وما انا بطارد الذين امنوا بالتنوين على الاصل فان قلت ما معنى قوله انهم ملاقوا
ربهم قلت معناه انهم يلاقون الله فيعاقب من طردهم او يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من ايمان صحيح
ثابت كما ظهر لي منهم وما اعرف غيره منهم او على خلاف ذلك مما تعرفونهم به من بناء ايمانهم على
بادي الراي من غير نظر وتفكر وما علي ان اشق عن قلوبهم واتعرف سر ذلك منهم حتى اطردهم
ان كان الامر كما تزعمون ونحوه ولا تطرد الذين يدعون ربهم الاية او هم مصدقون بلقاء ربهم موقنون به عالمون
انهم ملاقوه لا محالة تجهلون تتسافهون على المومنين وتدعونهم اراذل من قوله الا لا يجهلن احد علينا
او تجهلون لقاء ربكم او تجهلون انهم خير منكم من ينصرني من الله من يمنعني من انتقامه ان طردتهم
وكانوا يسالونه ان يطردهم ليومنوا به انفة من ان يكونوا معهم على سواء ولا اعلم الغيب معطوف على
عندي خزاين الله اي لا اقول عندي خزاين الله ولا اقول انا اعلم الغيب ومعناه لا اقول لكم عندي خزاين
الله فادعي فضلا عليكم في الغنى حتى تجحدوا فضلي بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل ولا ادعي علم الغيب
حتى تنسبوني الى الكذب والافتراء وحتى اطلع على ما في نفوس اتباعي وضماير قلوبهم ولا اقول اني ملك

حتى تقولوا لهم ما انت الا بشر مثلنا ولا احكم على من امن بتر ذلتهم من المومنين لفقرهم ان الله لن
يوتيهم خيرا في الدنيا والاخرة لهوانهم عليه كما تقولون مساعدة لكم ونزولا على هواكم اني اذا لمن
الظالمين ان فعلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه وازرى به قصر به يقال
ازدرته عينه واقتحمته عينه جادلتنا فاكثرت معناه اردت جدالنا وشرعت فيه فاكثرته كقولك جاد
فلان فاكثر واطاب فاتنا بما تعدنا من العذاب المعجل انما ياتيكم به الله اي ليس الاتيان بالعذاب الي انما
هو الي من كفرتم به وعصيتموه ان شا يعني ان اقتضت حكمته ان يعجله لكم وقرا ابن عباس فاكثرت جدلنا
فان قلت ما وجه ترادف هذين الشرطين قلت قوله ان كان الله يريد ان يغويكم جزاوه ما دل عليه قوله لا ينفعكم
نصحي وهذا الدال في حكم ما دل عليه فوصل بشرط كما وصل الجزاء بالشرط في قولك ان احسنت الي احسنت اليك
ان امكنني فان قلت فما معنى قوله ان كان الله يريد ان يغويكم قلت اذا عرف الله من الكافر الاصرار فخلاه
وشانه ولم يلجيه سمي ذلك اغواء واضلالا كما انه اذا عرف منه انه يتوب ويرعوي فلطف به سمي ارشادا
وهداية وقيل ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك ومعناه انكم اذا كنتم
من التصميم على الكفر بالمنزلة التي لا تنفعكم نصايح الله ومواعظه وساير الطافه كيف ينفعكم نصحي
فعلي اجرامي واجرامي بلفظ المصدر والجمع كقوله والله يعلم اسرارهم واسرارهم ونحو جرم
واجرام قفل واقفال وتنصر الجمع ان فسره الاولون باثامي والمعنى ان صح وثبت اني افتريته
فعلي عقوبة اجرامي اي افترائي وكان حقي حينئذ ان تعرضوا عني وتتالبوا علي وانا بري يعني
ولم يثبت ذلك وانا بري منه ومعنى مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافتراء الي فلا وجه لاعراضكم
ومعاداتكم الا ان يومن اقناط من ايمانهم وانه كالمحال الذي لا تعلق به للتوقع الا من قد امن الا من وجد منه ما
كان يتوقع من ايمانه وقد للتوقع وقد اصابت محزها فلا تبتئس فلا تحزن حزن بايس مستكين قال
ما يقسم الله اقبل غير مبتئس منه واقعد كريما ناعم البال والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من
تكذيبك وايذايك ومعاداتك فقد حان وقت الانتقام لك منهم باعيننا في موضع الحال بمعنى
اصنعها محفوظا وحقيقته ملتبسا باعيننا كان لله معه اعينا تكلاه ان يزيغ في صنعته
عن الصواب وان لا يحول بينه وبين عمله احد من اعدايه ووحينا وانا نوحي اليك ونلهمك كيف
تصنع عن ابن عباس لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله اليه ان يصنعها مثل جوجو الطاير
ولا تخاطبني في الذين ظلموا ولا تدعني في شان قومك واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك انهم
مغرقون انهم محكوم عليهم بالاغراق قد وجب ذلك وقضي به القضا وجف القلم فلا سبيل الى كفه
كقوله يا ابرهيم اعرض عن هذا انه قد جا امر ربك وانهم اتيهم عذاب غير مردود ويصنع الفلك حكاية
حال ماضية سخروا منه ومن عمله السفينة وكان يعملها في برية بيهما في ابعد موضع من الماء
وفي وقت عز الماء فيه عزة شديدة فكانوا يتضاحكون ويقولون له يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا
فانا نسخر منكم يعني في المستقبل كما تسخرون منا الساعة اي نسخر منكم سخرية مثل سخريتكم اذا

وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الاخرة وقيل ان تستجهلونا فيما نصنع فانا نستجهلكم فيما انتم عليه
من الكفر والتعرض لسخط الله وعذابه فانتم اولى بالاستجهال منا او ان تستجهلونا فانا نستجهلكم
في استجهالكم لانكم لا تستجهلون الا عن جهل بحقيقة الامر وبناء على ظاهر الحال كما هو عادة الجهلة
في البعد عن الحقايق وروي ان نوحا عليه السلم اتخذ السفينة في سنتين وكان طولها ثلثماية ذراع وعرضها
خمسون ذراعا وطولها في السما ثلثون ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلثة بطون فحمل في البطن
الاسفل الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وركب هو ومن معه في البطن
الاعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد وحمل معه جسد ادم عليه السلم وجعل معترضا بين الرجال والنسا وعن
الحسن رحمه الله كان طولها الفا ومايتي ذراع وعرضها ستماية وقيل ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلم
لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب فاخذ كفا
من ذلك التراب فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا كعب بن حام قال فضرب الكثيب
بعصاه فقال قم باذن الله فاذا هو قايم ينفض التراب عن راسه وقد شاب فقال عيسى اهكذا هلكت قال
لا مت وانا شاب ولكنني ظننت انها الساعة فمن ثم شبت قال حدثنا عن سفينة نوح عليه السلم قال
كان طولها الف ذراع ومايتي ذراع وعرضها ستماية ذراع وكانت ثلث طبقات طبقة للدواب والوحش
وطبقة للانس وطبقة للطير ثم قال له عد باذن الله كما كنت فعاد ترابا من ياتيه في محل النصب بتعلمون
اي فسوف تعلمون الذي ياتيه عذاب يخزيه ويعني به اياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق ويحل
عليه حلول الدين والحق اللازم الذي لا انفكاك له عنه عذاب مقيم وهو عذاب الاخرة حتى هي التي يبتدا
بعدها الكلام دخلت على الجملة من الشرط والجزاء فان قلت وقعت غاية لماذا قلت لقوله ويصنع الفلك
اي وكان يصنعها الى ان جا وقت الوعد فان قلت فاذا اتصلت حتى بيصنع فما تصنع بما بينهما من الكلام
قلت هو حال من يصنع كانه قال يصنعها والحال انه كلما مر عليه ملا من قومه سخروا منه فان قلت فما جواب
كلما قلت انه بين امرين اما ان نجعل سخروا جوابا وقال استينافا على تقدير سوال سايل او نجعل سخروا
بدلا من مر او صفة لملا وقال جوابا واهلك عطف على اثنين وكذلك ومن امن يعني واحمل اهلك والمومنين
من غيرهم واستثنى من اهله من سبق عليه القول انه من اهل النار وما سبق عليه القول بذلك الا للعلم
بانه يختار الكفر لا لتقديره عليه وارادته به تعالى الله عن ذلك قال الضحاك اراد ابنه وامراته الا قليل
روي عن النبي عليه السلم انه قال كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلثة ونساوهم وعن محمد بن اسحق
كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامراة واولاد نوح سام
وحام ويافث ونساوهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء يجوز ان يكون كلاما
واحدا وكلامين فالكلام الواحد ان يتصل بسم الله باركبوا حالا من الواو بمعنى اركبوا فيها مسمين
الله او قايلين بسم الله وقت اجرايها ووقت ارسايها اما لان المجرى والمرسى للوقت واما لانهما مصدران
كالاجراء والارساء حذف منهما الوقت المضاف كقولهم خفوق النجم ومقدم الحاج ويجوز ان يراد مكان

وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ۝ قال ساوي الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين

الاجراء والارساء وانتصابهما بما في بسم الله من معنى الفعل او بما فيه من ارادة القول والكلام ان يكون بسم الله مجريها ومرساها جملة من مبتدا وخبر مقتضبة اي بسم الله اجراؤها وارساؤها يروى انه كان اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يقحم الاسم كقوله ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله اجراؤها وارساؤها اي بقدرته وامره وقرئ مجريها ومرساها بفتح الميم من جرى ورسا اما مصدرين او وقتين او مكانين وقرأ مجاهد مجريها ومرسيها بلفظ اسم الفاعل مجرورين صفتين لله تعالى فان قلت ما معنى قولك جملة مقتضبة قلت معناه ان نوحا عليه السلام امرهم بالركوب ثم اخبرهم بان مجراها ومرساها بذكر اسم الله او بامره وقدرته ويحتمل ان تكون غير مقتضبة بان تكون في موضع الحال كقوله وجاءنا بهم سكر علينا فلا تكون كلاما براسه ولكن فضلة من فضلات الكلام الاول وانتصاب هذه الحال عن ضمير الفلك كانه قيل اركبوا فيها مجراة ومرساة بسم الله بمعنى التقدير كقوله ادخلوها خالدين ان ربي لغفور رحيم لولا مغفرته لذنوبكم ورحمته اياكم لما نجاكم فان قلت بما اتصل قوله وهي تجري بهم قلت بمحذوف دل عليه اركبوا فيها بسم الله كانه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله وهي تجري بهم اي تجري وهم فيها في موج كالجبال يريد موج الطوفان شبه كل موجة منه بالجبل في تراكمها وارتفاعها فان قلت الموج ما يرتفع فوق الماء عند اضطرابه وزخيره وكان الماء قد التقى وطبق ما بين السماء والارض وكانت الفلك تجري في جوف الماء كما تسبح السمكة فما معنى جريها في الموج قلت كان ذلك قبل التطبيق وقبل ان يغمر الطوفان الجبال الا ترى الى قول ابنه ساوي الى جبل يعصمني من الماء قيل كان اسم ابنه كنعان وقيل يام وقرأ علي رضي الله عنه ابنها والضمير لامراته وقرأ محمد بن علي رضي الله عنه وعروة بن الزبير ابنه بفتح الهاء يريدان ابنها فاكتفيا بالفتحة عن الالف وبه ينصر مذهب الحسن قال قتادة سألته عنه فقال والله ما كان ابنه فقلت ان الله حكى عنه ان ابني من اهلي وانت تقول لم يكن ابنه واهل الكتاب لا يختلفون انه كان ابنه فقال ومن ياخذ دينه من اهل الكتاب واستدل بقوله من اهلي ولم يقل مني ولنسبته الى امه وجهان احدهما ان يكون ربيبا له كعمر بن ابي سلمة لرسول الله وان يكون لغير رشدة وهذه غضاضة عصمت منها الانبياء عليهم السلام وقرأ السدي رضي الله عنه ونادى نوح ابناه على الندبة والترثي اي قال يا ابناه والمعزل مفعل من عزله اذا نحاه وابعده يعني وكان في مكان عزل فيه نفسه عن ابيه وعن مركب المؤمنين وقيل كان في معزل عن دين ابيه يا بني قرئ بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة وبالفتح اقتصارا عليه من الالف المبدلة من ياء الاضافة في قولك يا بنيا او سقطت الياء والالف لالتقاء الساكنين لان الراء بعدهما ساكنة الا من رحم الا الراحم وهو الله عز وجل او لا عاصم اليوم من الطوفان الا من رحم الله اي الا مكان من رحم الله من المؤمنين وكان لهم غفورا رحيما في قوله ان ربي لغفور رحيم وذلك انه لما جعل الجبل عاصما من الماء قال له لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم

وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين ۝ ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين

يعني السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة الا من رحمه الله كقوله ماء دافق وعيشة راضية وقيل الا من رحم استثناء منقطع كانه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم كقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن وقرئ الا من رحم على البناء للمفعول نداء الارض والسماء بما ينادى به الحيوان المميز على لفظ التخصيص والاقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات وهو قوله يا ارض ويا سماء ثم امرهما بما يؤمر به اهل التمييز والعقل من قوله ابلعي ماءك واقلعي من الدلالة على الاقتدار العظيم وان السموات والارض وهذه الاجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة عليه كانها عقلاء مميزون قد عرفوا عظمته وجلالته وثوابه وعقابه وقدرته على كل مقدور وتبينوا تحتم طاعته عليهم وانقيادهم له وهم يهابونه ويفزعون من التوقف دون الامتثال له والنزول على مشيئته على الفور من غير ريث فكما يرد عليهم امره كان المأمور به مفعولا لا حبس ولا ابطاء والبلع عبارة عن النشف والاقلاع الامساك يقال اقلع المطر واقلعت الحمى وغيض الماء من غاضه اذا نقصه وقضي الامر وانجز ما وعد الله نوحا من هلاك قومه واستوت واستقرت السفينة على الجودي وهو جبل بالموصل وقيل بعدا يقال بعد بعدا وبعدا اذا ارادوا البعد البعيد من حيث الهلاك والموت ونحو ذلك ولذلك اختص بدعاء السوء ومجيء اخباره على الفعل المبني للمفعول للدلالة على الجلال والكبرياء وان تلك الامور العظام لا تكون الا بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر وان فاعلها فاعل واحد لا يشارك في افعاله فلا يذهب الوهم الى ان يقول غيره يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي ولا ان يقضي ذلك الامر الهائل غيره ولا ان تستوي السفينة على متن الجودي وتستقر عليه الا بتسويته واقراره ولما ذكرنا من المعاني والنكت استفصح علماء البيان هذه الآية ورقصوا لها رؤوسهم لا لتجانس الكلمتين وهما قوله ابلعي واقلعي وذلك وان كان لا يخلي الكلام من حسن فهو كغير الملتفت اليه بازاء تلك المحاسن التي هي اللب وما عداها قشور وعن قتادة رضي الله عنه استقلت بهم السفينة لعشر خلون من رجب وكانت في الماء خمسين ومائة يوم واستقرت بهم على الجودي شهرا واهبط بهم يوم عاشوراء وروي انها مرت بالبيت فطافت به سبعا وقد اعتقه الله من الغرق وروي ان نوحا عليه السلام صام يوم الهبوط وامر من معه فصاموا شكرا لله تعالى ونادى ربه دعاؤه له وهو قوله رب مع ما بعده من اقتضاء وعده في تنجية اهله فان قلت فاذا كان النداء هو قوله رب فكيف عطف فقال رب على نادى بالفاء قلت اريد بالنداء ارادة النداء ولو اريد النداء نفسه لجاء كما جاء قوله اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب بغير فاء ان ابني من اهلي اي بعض اهلي لانه كان ابنه من صلبه او كان ربيبا له فهو بعض اهله وان وعدك الحق وان كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذي لا شك في انجازه والوفاء به وقد وعدتني ان تنجي اهلي فما بال ولدي وانت احكم الحاكمين اي اعلم الحكام واعدلهم لانه لا فضل لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل ورب غريق في الجهل والجور من متقلدي الحكومة في زمانك قد لقب اقضى القضاة ومعناه احكم الحاكمين فاعتبر واستعبر ويجوز ان يكون من الحكمة حاكم بمعنى النسبة كما قيل دارع من الحكم

الريح وحايض وطالق على مذهب الخليل إنه عمل غير صالح تعليل لانتفاء كونه من أهله وفيه إيذان بأن
قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وأن نسيبك في دينك ومعتقدك من الأباعد في المنصب وإن كان حبشيا
وكنت قرشيا لصيقك وخصيصك ومن لم يكن على دينك وإن كان أمس أقاربك رحما فهو أبعد بعيد
منك وجعلت ذاته عملا غير صالح مبالغة في ذمه كقولها فإنما هي إقبال وإدبار وهلا قيل لنداء
نوح عليه السلام أي لم تدارك هذا عمل غير صالح وليس من آل فإن قلت فهلا قيل إنه عمل فاسد قلت
لما نفاه عن أهله نفى عنه صفتهم بكلمة النفي التي يستبقى معها لفظ المنفي وآذن بذلك
أنه إنما أنجى من أنجى من أهله لصلاحهم لا لأنهم أهلك وأقاربك وأن هذا لما انتفى عنه الصلاح
لم تنفعه أبوتك كقوله كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا
وقرئ عمل غير صالح أي عمل عملا غير صالح وقرئ فلا تسألن بكسر النون بغير ياء الإضافة وبالنون
الثقيلة بياء وبغير ياء يعني فلا تلتمس مني ملتمسا أو التماسا لا تعلم أصواب هو أم غير صواب
حتى تقف على كنهه وذكر المسألة على أن النداء كان قبل أن يغرق حين خاف عليه فإن قلت
لم سمي نداؤه سؤالا ولا سؤال فيه قلت قد تضمن دعاؤه معنى السؤال وإن لم يصرح به لأنه
إذا ذكر الموعد بنجاة أهله في وقت مشارفة ولده الغرق فقد استنجز وجعل سؤال ما لا
يعرف كنهه جهلا وغباوة ووعظه أن لا يعود إليه وإلى أمثاله من أفعال الجاهلين فإن قلت
قد وعده أن ينجي أهله وما كان عنده أن ابنه ليس منهم دينا فلما أشفى على الغرق تشابه عليه
الأمر لأن العدة قد سبقت له وقد عرف الله حكيما لا يجوز عليه فعل القبيح وخلف الميعاد فطلب
إماطة الشبهة وطلب إماطة الشبهة واجب فلم زجر وسمي سؤاله جهلا قلت إن الله عز وجل
قدم له الوعد بإنجاء أهله مع استثناء من سبق عليه القول منهم فكان عليه أن يعتقد أن في
جملة أهله من هو مستوجب للعذاب لكونه غير صالح وأن كلهم ليسوا بناجين وأن لا تخالجه
شبهة حين شارف ولده الغرق في أنه من المستثنين لا من المستثنى منهم فعوتب على أن اشتبه عليه
ما يجب أن لا يشتبه إني أعوذ بك من أن أطلب منك في المستقبل ما لا علم لي بصحته تأدبا بأدبك واتعاظا
بموعظتك وإلا تغفر لي ما فرط مني من ذلك وترحمني بالتوبة علي أكن من الخاسرين أعمالا وقرئ يا نوح
اهبط بضم الباء بسلام منا مسلما محفوظا من جهتنا أو مسلما عليك مكرما وبركات عليك
ومباركا عليك والبركات الخيرات النامية وقرئ وبركة عليك على التوحيد وعلى أمم ممن معك
يحتمل أن تكون من للبيان فتراد الأمم الذين كانوا معه في السفينة لأنهم كانوا جماعات
أو قيل لهم أمم لأن الأمم تتشعب منهم وأن تكون لابتداء الغاية أي على أمم ناشئة ممن
معك وهي الأمم إلى آخر الدهر وهو الوجه وقوله وأمم رفع بالابتداء وسنمتعهم صفة
والخبر محذوف تقديره وممن معك أمم سنمتعهم وإنما حذف لأن قوله ممن معك يدل عليه والمعنى
والمعنى أن السلام منا والبركات عليك وعلى أمم مؤمنين ينشؤون ممن معك وممن معك أمم ممتعون

تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين وإلى
عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون يا قوم لا أسألكم عليه أجرا إن
أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم
قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين

بالدنيا منقلبون إلى النار وكان نوح عليه السلام أبا الأنبياء عليهم السلام والخلق بعد الطوفان منه وممن
كان معه في السفينة وعن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيمة
وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد هبطوا والله عنهم راض ثم أخرج
منهم نسلا منهم من رحم ومن عذب وقيل المراد بالأمم الممتعة قوم هود وصالح ولوط
وشعيب تلك إشارة إلى قصة نوح ومحلها الرفع على الابتداء والجمل بعدها أخبار أي تلك
القصة بعض أنباء الغيب موحاة إليك مجهولة عندك وعند قومك من قبل هذا من قبل إيحائي
إليك وإخبارك بها أو من قبل هذا العلم الذي كسبته بالوحي أو من قبل هذا الوقت فاصبر على تبليغ
الرسالة وأذى قومك كما صبر نوح وتوقع في العاقبة لك ولمن كذبك نحو ما قيض لنوح ولقومه
إن العاقبة في الفوز والنصر والغلبة للمتقين وقوله ولا قومك معناه أن قومك الذين أنت منهم على
كثرتهم ووفور عددهم إذا لم يكن ذلك شأنهم ولا سمعوه ولا عرفوه فكيف برجل منهم كما يقول لم
يعرف هذا عبد الله ولا أهل بلده أخاهم واحدا منهم وانتصابه للعطف على أرسلنا نوحا وهودا
عطف بيان غيره بالرفع صفة على محل الجار والمجرور وقرئ غيره بالجر صفة على اللفظ إن أنتم
مفترون تفترون على الله الكذب باتخاذكم الأوثان له شركاء ما من رسول إلا واجه قومه بهذا القول
لأن شأنهم النصيحة لا يمحضها ولا يمحضها إلا حسم المطامع وما دام يتوهم شيء منها لم تنجع
ولم تنفع أفلا تعقلون إذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها أجرا إلا من الله وهو ثواب الآخرة
ولا شيء أنفى للتهمة من ذلك قيل استغفروا ربكم آمنوا به ثم توبوا إليه من عبادة غيره لأن التوبة لا تصح
إلا بعد الإيمان والمدرار الكثير الدرور كالمغزار وإنما قصد استمالتهم إلى الإيمان وترغيبهم فيه بكثرة المطر وزيادة
القوة لأن القوم كانوا أصحاب زروع وبساتين وعمارات حراصا عليها أشد الحرص فكانوا أحوج شيء إلى الماء وكانوا
مدلين بما أوتوا من شدة القوة والبطش والبأس والنجدة مستحرزين بها من العدو مهيبين في كل ناحية
وقيل أراد القوة في المال وقيل القوة على النكاح وقيل حبس عنهم القطر ثلاث سنين وعقمت أرحام
نسائهم وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه وفد على معاوية فلما خرج تبعه بعض حجابه فقال إني رجل ذو مال
ولا يولد لي فعلمني شيئا لعل الله يرزقني ولدا فقال عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى
ربما استغفر في يوم واحد سبعمائة مرة فولد له عشرة بنين فبلغ ذلك معاوية فقال هلا سألته مم قال
ذلك فوفد وفدة أخرى فسأله الرجل فقال ألم تسمع قول هود ويزدكم قوة إلى قوتكم وقول نوح ويمددكم
بأموال وبنين ولا تتولوا ولا تعرضوا عني وعما أدعوكم إليه وأرغبكم فيه مجرمين مصرين على إجرامكم وآثامكم
ما جئتنا ببينة كذب منهم وجحود كما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه لولا أنزل عليه آية من ربه مع فوت
آياته الحصر عن قولك حال من الضمير في تاركي آلهتنا كأنه قيل وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك وما نحن
لك بمؤمنين وما يصح من أمثالنا أن يصدقوا مثلك فيما يدعوهم إليه إقناطا له من الإجابة إن نقول إلا اعتراك
مفعول القول وإلا لغو والمعنى ما نقول إلا قولنا اعتراك بعض آلهتنا بسوء أي خبلك ومسك بجنون

لسبيك اياها وصدك عنها وعداوتك لها مكافاة لك منها على سوء فعلك بسوء الجزاء فمن ثم تتكلم
كلام المجانين وتهذي بهذيان المبرسمين وليس بعجب من اولئك ان يسموا النبوة والاستغفار خبلا
وجنونا وهم عاد اعلام الكفر واوتاد الشرك وانما العجب من قوم من المتظاهرين بالاسلام يسمعونهم
يسمون التائب عن ذنوبه مجنونا والمنيب الى ربه مخبلا ولم يجدوهم معه على عشر مما كانوا عليه في ايام جاهليته
من المراودة وما ذاك الا لعزوفه عن الاجلاء الا ان ... وضبح من الزندقة اراد ان يطلع راسه وقد
دلت اجوبتهم المتقدمة على ان القوم كانوا جفاة غلاظ الاكباد لا يبالون بالبهت ولا يلتفتون الى النصح
ولا تلين شكيمتهم للرشد وهذا الاخير دال على جهل مفرط وبله متناه حيث اعتقدوا في حجارة انها
تنتصر وتنتقم ولعلهم حين اجازوا العقاب كانوا يجيزون المثوبة من اعظم الآيات ان يواجه بهذا
رجل واحد امة عطاشا الى اراقة دمه يرمونه عن قوس واحدة وذلك لثقته بربه وانه يعصمه منهم فلا تنشب
فيه مخالبهم وهو كذلك قال نوح عليه السلام لقومه ثم اقضوا الي ولا تنظرون اكد براءته من آلهتهم
وشركهم ووثقها بما جرت به عادة الناس من توثيقهم الامور بشهادة الله وشهادة العباد فيقول
الرجل الله شهيد على اني لا افعل كذا ويقول لقومه كونوا شهداء على اني لا افعله فان قلت هلا قيل
اني اشهد الله واشهدكم قلت لان اشهاد الله على البراءة من الشرك اشهاد صحيح ثابت في معنى تثبيت
التوحيد وشد معاقده واما اشهادهم فما هو الا تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب فعدل
به عن لفظ الاول لاختلاف ما بينهما وجيء به على لفظ الامر بالشهادة كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه
وبينه اشهد على اني لا احبك تهكما به واستهانة بحاله مما تشركون من دونه من اشراككم آلهة من دونه او مما
تشركونه من آلهة من دونه اي انتم تجعلونها شركاء له ولم يجعلها هو شركاء ولم ينزل بذلك سلطانا
فكيدوني جميعا انتم وآلهتكم اعجلوا ما تفعلون من غير انظار فاني لا ابالي بكم وبكيدكم ولا اخاف معرتكم
وان تعاونتم علي وانتم الاقوياء الشداد فكيف تضرني آلهتكم وما هي الا جماد لا يضر ولا ينفع
وكيف تنتقم مني اذا نلت منها وصددت عن عبادتها بان تخبلني وتذهب بعقلي ولما ذكر توكله
على الله وثقته بحفظه وكلاءته من كيدهم وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم
ومن كون كل دابة في قبضته وملكته وتحت قدرته وقهره وسلطانه والاخذ بنواصيها تمثيل لذلك
ان ربي على صراط مستقيم يريد انه على طريق الحق والعدل في ملكه لا يفوته ظالم ولا يضيع عنده معتصم به
فان تولوا فان تتولوا فان قلت الابلاغ كان قبل التولي فكيف وقع جزاء للشرط قلت معناه فان تتولوا لم
اعاتب على تفريط في الابلاغ وكنتم محجوجين بان ما ارسلت به اليكم قد بلغكم فابيتم الا تكذيب الرسالة
وعداوة الرسول ويستخلف كلام مستانف يريد ويهلككم الله ويجيء بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم
واموالكم ولا تضرونه بتوليكم شيئا من ضرر قط لانه لا يجوز عليه المضار والمنافع وانما تضرون
انفسكم وفي قراءة عبد الله ويستخلف بالجزم وكذلك ولا تضروه عطفا على محل فقد ابلغتكم والمعنى
ان تتولوا يعذرني ويستخلف قوما غيركم ولا تضروا الا انفسكم على كل شيء حفيظ اي رقيب عليه

مهيمن فما يخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مواخذتكم ومن كان رقيبا على الاشياء كلها حافظا
لها وكانت مفتقرة الى حفظه من المضار لم يضر مثله مثلكم والذين آمنوا معه قيل كانوا اربعة آلاف
فان قلت ما معنى تكرير التنجية قلت ذكر اولا انه حين اهلك عدوهم نجاهم ثم قال ونجيناهم من عذاب
غليظ على معنى وكانت تلك التنجية من عذاب غليظ وذلك ان الله بعث عليهم السموم فكانت تدخل
في انوفهم وتخرج من ادبارهم فتقطعهم عضوا عضوا وقيل اراد بالثانية التنجية من عذاب
الآخرة ولا عذاب اغلظ منه واشد وقوله برحمة منا يريد بسبب الايمان الذي انعمنا عليهم بالتوفيق
وتلك عاد اشارة الى قبورهم وآثارهم كانه قال سيحوا في الارض فانظروا اليها واعتبروا ثم استانف وصف
احوالهم فقال جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله لانهم اذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله تعالى
لا نفرق بين احد من رسله وقيل لم يرسل اليهم الا هود وحده كل جبار عنيد يريد رؤساءهم وكبراءهم ودعاتهم
الى تكذيب الرسل ومعنى اتباع امرهم طاعتهم ولما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة
تابعة لهم في الدارين تكبهم على وجوههم في عذاب الله الا وتكرارها مع النداء على كفرهم والدعاء عليهم
تهويل لامرهم وتفظيع له وبعث على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم فان قلت بعدا دعاء
بالهلاك فما معنى الدعاء به عليهم بعد هلاكهم قلت معناه الدلالة على انهم كانوا مستاهلين له الا
ترى الى قوله اخوتي لا تبعدوا ابدا وبلى والله قد بعدوا قوم هود عطف بيان لعاد فان قلت ما الفائدة
في هذا البيان والبيان حاصل بدونه قلت الفائدة فيه ان يسموا بهذه الدعوة وسما وتجعل فيهم امرا محققا
لا شبهة فيه بوجه من الوجوه ولان عادا عادان الاولى القديمة التي هي قوم هود والقصة فيهم والاخرى
ارم هو انشاكم من الارض لم ينشئكم منها الا هو ولم يستعمركم فيها غيره وانشاؤهم منها خلق آدم من التراب
واستعمركم امركم بالعمارة والعمارة متنوعة الى واجب وندب ومباح ومكروه وكان ملوك فارس قد
اكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار وعمروا الاعمار الطوال مع ما كان فيهم من عسف الرعايا
فسأل نبي من انبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فاوحى اليه انهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي وعن معاوية بن ابي
سفيان انه اخذ في احياء ارض في آخر امره فقيل له فقال ما حملني عليه الا قول القائل ليس الفتى بفتى لا يستضاء به
ولا تكون له في الارض آثار وقيل استعمركم من العمر نحو استبقاكم من البقاء وقد جعل من العمرى وفيه وجهان
احدهما ان يكون استعمر في معنى اعمر كقولك استهلكه في معنى اهلكه ومعناه اعمركم فيها دياركم ثم هو
وارثها منكم عند انقضاء اعماركم والثاني ان يكون بمعنى جعلكم معمرين دياركم فيها لان الرجل اذا ورث داره
من بعده فكانما اعمره اياها لانه يسكنها عمره ثم يتركها لغيره قريب داني الرحمة سهل المطلب مجيب
لمن دعاه وساله فينا فيما بيننا مرجوا كانت تلوح فيك مخايل الخير وامارات الرشد فكنا نرجوك لننتفع
بك وتكون مشاورا في الامور ومسترشدا في التدابير فلما نطقت بهذا القول انقطع رجاؤنا عنك وعلمنا
ان لا خير فيك وعن ابن عباس رضي الله عنهما فاضلا خيرا نقدمك على جميعنا وقيل كنا نرجو ان تدخل في ديننا
وتوافقنا على ما نحن عليه يعبد آباؤنا حكاية حال ماضية مريب من اربته اذا اوقعته في الريبة وهي قلق

النفس وانتفا الطمانينة باليقين او من ارابه الرجل اذا كان ذا ريبة على الاسناد المجازي قال
ارايتم ان كنت على بينة من ربي بحرف الشك وكان على يقين انه على بينة لان خطابه للجاحدين فكانه قال
قدروا اني على بينة من ربي واني نبي على الحقيقة وانظروا ان تابعتكم وعصيت ربي في
اوامره فمن يمنعني من عذاب الله اذ ان جئتك فما تزيدونني غير تخسير يعني تخسرون اعمالي
وتبطلونها او فما تزيدونني بما تقولون لي وتحملونني عليه غير ان اخسركم اي انسبكم الى الخسران
واقول لكم انكم خاسرون آية نصب على الحال قد عمل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل
فان قلت فبم يتعلق لكم قلت بآية حالا منها متقدمة لانها لو تاخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت
انتصبت على الحال عذاب قريب عاجل لا يستاخر عن مسكم لها بسوء الا يسيرا وذلك ثلاثة ايام ثم يقع
عليكم تمتعوا استمتعوا بالعيش في داركم في بلدكم وتسمى البلاد الديار لانه يدار فيها اي يتصرف
يقال ديار بكر لبلادهم وتقول العرب الذين حوالي مكة نحن من عرب الدار يريدون من عرب البلد
وقيل في دار الدنيا وقيل عقروها يوم الاربعاء وهلكوا يوم السبت غير مكذوب غير مكذوب فيه
فاتسع في الظرف بحذف الحرف واجرائه مجرى المفعول به كقولك يوم مشهود من قوله شهدنا ويوم
شهدناه او على المجاز كانه قيل للوعد نفي بك فاذا وفي به صدق ولم يكذب او وعد غير
كذب على ان المكذوب مصدر كالمجلود والمعقول وكالمصدوقة بمعنى الصدق ومن خزي يومئذ
قرئ مفتوح الميم لانه مضاف الى اذ وهو غير متمكن كقوله على حين عاتبت المشيب على الصبا فان قلت
علام عطف قلت على نجينا لان تقديره ونجيناهم من خزي يومئذ كما قال ونجيناهم من عذاب غليظ على
وكانت التنجية من خزي يومئذ اي من ذله ومهانته وفضيحته ولا خزي اعظم من خزي من
كان هلاكه بغضب الله وانتقامه ويجوز ان يريد بيومئذ يوم القيامة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب
الآخرة وقرئ الا ان ثمود ولثمود كلاهما بالصرف وامتناعه فالصرف للذهاب الى الحي او الاب الاكبر
ومنعه للتعريف والتانيث بمعنى القبيلة رسلنا يريد الملائكة عن ابن عباس جاء جبريل عليه السلام وملكان
معه وقيل جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام وقيل كانوا تسعة وعن السدي احد عشر بالبشرى
هي البشارة بالولد وقيل بهلاك قوم لوط والظاهر الولد سلاما سلمنا عليك سلاما سلام امركم
سلام وقرئ فقالوا سلما قال سلم بمعنى السلام وقيل سلم وسلام كحرم وحرام وانشد
مررنا فقلنا ايه سلم فسلمت كما اكتل بالبرق الغمام اللوائح فما لبث ان جاء فما لبث في المجيء به
بل عجل فيه او فما لبث مجيئه والعجل ولد البقرة ويسمى الحسيل والخبش بلغة اهل السراة وكان
مال ابراهيم البقر حنيذ مشوي بالرضف في اخدود وقيل حنيذ يقطر دسمه من حنذت الفرس
اذا القيت عليها الجل حتى تقطر عرقا ويدل عليه بعجل سمين نكرهم انكرهم ونكره واستنكره ومنكور
قليل في كلامهم وكذلك انا انكرتك ولكن منكر ومستنكر وانكرك وقال الاعشى وانكرتني وما كان الذي
نكرت من الحوادث الا الشيب والصلعا قيل كان ينزل الى طرف من الارض يخاف ان يريدوا به مكروها

وقيل كانت عادتهم انه اذا مس من يطرقهم طعامهم امنوه والا خافوه والظاهر انه احس بانهم ملائكة
ونكرهم لانه تخوف ان يكون نزولهم لامر انكره الله عليه او لتعذيب قومه الا ترى الى قولهم لا تخف
انا ارسلنا الى قوم لوط وانما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف فيم ارسلوا فاوجس فاضمر وانما قالوا
لا تخف لانهم راوا اثر الخوف والتغير في وجهه او عرفوه بتعريف الله او علموا ان علمه بانهم ملائكة
موجب الخوف لانهم كانوا لا ينزلون الا بعذاب وامراته قائمة وراء الستر تسمع
تحاورهم وقيل كانت قائمة على رؤوسهم تخدمهم وفي مصحف عبد الله وامراته قائمة وهو قاعد فضحكت
سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الخبائث او كان ضحكها ضحك انكار لغفلتهم وقد اظلهم العذاب
وقيل كانت تقول لابراهيم اضمم لوطا ابن اخيك اليك فاني اعلم انه ينزل بهؤلاء القوم عذاب فضحكت
سرورا لما اتى الامر على ما توهمت وقيل فضحكت فحاضت وقرا محمد بن زياد الاعرابي فضحكت بفتح الحاء
يعقوب رفع بالابتداء كانه قيل ومن وراء اسحاق يعقوب مولود او موجود اي من بعده وقيل الوراء
ولد الولد وعن الشعبي انه قيل له اهذا ابنك فقال نعم من الوراء وكان ولد ولده وقرئ يعقوب بالنصب
كانه قيل ووهبنا له اسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب على طريقة قوله ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب
يا ويلتا الالف مبدلة من ياء الاضافة وكذلك في يا لهفا ويا عجبا وقرا الحسن يا ويلتي بالياء على الاصل شيخا
نصب بما دل عليه اسم الاشارة وقرئ شيخ على انه خبر مبتدا محذوف اي هذا بعلي هو شيخ او بعلي بدل
من المبتدا وشيخ خبر او يكونان معا خبرين قيل بشرت ولها ثمان وتسعون سنة ولابراهيم مائة
وعشرون ان هذا لشيء عجيب ان يولد ولد من هرمين وهو استعجاب من حيث العادة التي
اجراها الله وانما انكرت عليها الملائكة تعجبها فقالوا اتعجبين من امر الله لانها كانت في بيت
الآيات ومهبط المعجزات والامور الخارقة للعادات فكان عليها ان تتوقر ولا يزدهيها
ما يزدهي سائر النساء والناشئات في غير بيوت النبوة وان تسبح الله وتمجده مكان التعجب
والى ذلك اشارت الملائكة صلوات الله عليهم في قولهم رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت ارادوا ان
هذه وامثالها مما يكرمكم به رب العزة ويخصكم بالانعام به يا اهل بيت النبوة فليست بمكان
عجب وامر الله قدرته وحكمته وقوله رحمة الله وبركاته عليكم كلام مستانف علل به انكار
التعجب كانه قيل اياك والتعجب فان امثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم
وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم من ولد
ابراهيم حميد فاعل ما يستوجب به الحمد من عباده مجيد كريم كثير الاحسان اليهم واهل
البيت نصب على النداء او على الاختصاص لان اهل البيت مدح لهم اذ المراد اهل بيت خليل
الرحمن الروع ما اوجس من الخيفة حين نكر اضيافه والمعنى انه لما اطمان قلبه بعد الخوف وملئ
سرورا بسبب البشرى بدل الغم فرغ للمجادلة فان قلت اين جواب لما قلت هو محذوف كما حذف
في قوله فلما ذهبوا به واجمعوا وقوله يجادلنا كلام مستانف دال على الجواب وتقديره اجترا على

اخطابنا او فطن لمجادلتنا او قال كيت وكيت ثم ابتدا فقال يجادلنا في قوم لوط وقيل يجادلنا
هو جواب لما وانما جيء به مضارعا لحكاية الحال وقيل ان لما ترد المضارع الى معنى الماضي
كما ترد ان الماضي الى معنى الاستقبال وقيل معناه اخذ يجادلنا واقبل يجادلنا والمعنى يجادل رسلنا
ومجادلته اياهم انهم قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية فقال ارايتم لو كان فيها خمسون رجلا من المومنين
اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال ارايتم ان كان فيها
رجل واحد مسلم اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله
في قوم لوط في معناهم وعن ابن عباس قالوا له ان كان فيها خمسة يصلون رفع عنهم العذاب وعن قتادة ما قوم
لم يكونوا عشرة فيهم خير وقيل كان فيها اربعة الاف الف انسان ان ابرهيم لحليم غير عجول على كل من اساء
اليه اواه كثير التاوه من الذنوب منيب تائب راجع الى الله بما يحب ويرضى وهذه الصفات دالة على رقة القلب
والرافة والرحمة فبين ان ذلك مما حمله على المجادلة فيهم رجاء ان يرفع عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون
التوبة والانابة كما حمله على الاستغفار لابيه يا ابرهيم على ارادة القول اي قالت له الملائكة اعرض عن هذا
الجدال وان كانت الرحمة ديدنك فلا فائدة فيه انه قد جاء امر ربك اي قضاؤه وحكمه الذي لا يصدر الا عن
صواب وحكمة والعذاب نازل بالقوم لا محالة لا مرد له بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك كانت مساءة لوط
وضيق ذرعه لانه حسب انهم انس فخاف عليهم خبث قومه وان يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم وروي ان
الله تعالى قال لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال
لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرهم قال اشهد بالله انها لشر قرية في الارض عملا يقول ذلك
اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت امراته فاخبرت بهم قومها يقال يوم
عصيب وعصبصب اذا كان شديدا من قولك عصبه اذا شده يهرعون يسرعون كانما يدفعون
دفعا ومن قبل كانوا يعملون السيئات ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش ويكثرونها فضروا
بها ومرنوا عليها وقل عندهم استقباحها فلذلك جاؤوا يهرعون مجاهرين لا يكفهم حياء وقيل معناه
وقد عرف لوط عادتهم في عمل الفواحش قبل ذلك هؤلاء بناتي اراد ان يقي اضيافه ببناته وذلك
غاية الكرم واراد هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكان تزويج المسلمات من الكفار جائزا كما زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابنتيه من عتبة بن ابي لهب وابي العاص بن وائل قبل الوحي وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان
فاراد ان يزوجهما ابنتيه وقرا ابن مروان هن اطهر لكم بالنصب وضعفه سيبويه وقال احتبى ابن
مروان في لحنه وعن ابي عمرو بن العلاء من قرا هن اطهر بالنصب فقد تربع في لحنه وذلك ان انتصابه على
ان يجعل حالا قد عمل فيها ما في هؤلاء من معنى الفعل كقوله هذا بعلي شيخا او ينصب هؤلاء بفعل مضمر كانه
قيل خذوا هؤلاء وبناتي بدل ويعمل هذا المضمر في الحال وهن فصل وهذا لا يجوز لان الفصل مختص بالوقوع
بين جزئي الجملة ولا يقع بين الحال وذي الحال وقد خرج له وجه لا يكون هن فيه فصلا وذلك ان يكون
هؤلاء مبتدا وبناتي هن جملة في موضع خبر المبتدا كقولك هذا اخي هو ويكون اطهر حالا فاتقوا الله بايثار من

ولا تخزون في ضيفي اليس منكم رجل رشيد قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد قال لو ان لي بكم قوة او اوي الى ركن شديد
قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فاسر باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم احد الا امراتك انه مصيبها ما اصابهم ان موعدهم الصبح
اليس الصبح بقريب فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك

عليهم ولا تخزون ولا تهينوني ولا تفضحوني من الخزي او ولا تخجلوني من الخزاية وهي الحياء في ضيفي في حق
ضيوفه فانه اذا اخزي ضيف الرجل وجاره فقد اخزي الرجل وذلك من عراقة الكرم واصالة المروءة اليس منكم
رجل رشيد رجل واحد يهتدي الى سبيل الحق وفعل الجميل والكف عن السوء وقري ولا تخزون بطرح الياء ويجوز ان
يكون عرض البنات عليهم مبالغة في تواضعه لهم واظهار الشدة امتعاضه مما اوردوا عليه طمعا في ان
يستحيوا منه ويرقوا له اذا سمعوا ذلك فيتركوا له ضيوفه مع ظهور الامر واستقرار العلم عنده وعندهم
ان لا مناكحة بينه وبينهم ومن ثم قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق لانك لا ترى
مناكحتنا وما هو الا عرض سابري وقيل لما اتخذوا اتيان الذكران مذهبا ودينا لتواطئهم عليه كان
عندهم انه هو الحق وان نكاح الاناث من الباطل فلذلك قالوا ما لنا في بناتك من حق قط لان نكاح الاناث امر خارج
من مذهبنا الذي نحن عليه ويجوز ان يقولوه على وجه الخلاعة والغرض نفي الشهوة لتعلم ما نريد عنوا اتيان
الذكور وما لهم فيه من الشهوة لو ان لي جواب لو محذوف كقوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال يعني لو ان لي بكم قوة
لفعلت بكم وصنعت يقال ما لي به قوة وما لي به طاقة ونحوه لا قبل لهم بها وما لي به يدان لانه في معنى لا اضطلع
به ولا استقل به والمعنى لو قويت عليكم بنفسي او اويت الى قوي استند اليه وامتنع به فيحميني
منكم فشبه القوي العزيز بالركن من الجبل في شدته ومنعته ولذلك قالت الملائكة وقد وجدت عليه ان
ركنك لشديد وقال النبي عليه السلام رحم الله اخي لوطا كان ياوي الى ركن شديد وقري او اوي بالنصب باضمار
ان كانه قيل لو ان لي بكم قوة او اويا كقولها للبس عباءة وتقر عيني وقري الى ركن بضمتين روي انه
اغلق بابه حين جاؤوا وجعل يرادهم ما حكى الله عنه ويجادلهم فتسوروا الجدار فلما رات الملائكة ما لقي
لوط من الكرب قالوا يا لوط ان ركنك لشديد انا رسل ربك لن يصلوا اليك فافتح الباب ودعنا واياهم
ففتح الباب فدخلوا فاستاذن جبريل ربه في عقوبتهم فاذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر
جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس
اعينهم فاعماهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط قوما
سحرة لن يصلوا اليك جملة موضحة للتي قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لم يصلوا اليه ولم يقدروا على ضرره
وقرئ فاسر بالقطع والوصل والا امراتك بالرفع والنصب وروي انه قال لهم متى موعد هلاكهم قالوا
الصبح فقال اريد اسرع من ذلك فقالوا اليس الصبح بقريب وقري الصبح بضمتين فان قلت ما وجه
قراءة من قرا الا امراتك بالنصب قلت استثناها من قوله فاسر باهلك والدليل عليه قراءة ابن عبد الله فاسر
باهلك بقطع من الليل الا امراتك ويجوز ان ينتصب عن لا يلتفت على اصل الاستثناء وان كان الفصيح هو
البدل اعني قراءة من قرا بالرفع فابدلها عن احد وفي اخراجها مع اهله روايتان روي انه
اخرجها معهم وامر ان لا يلتفت منهم احد الا هي فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه
فادركها حجر فقتلها وروي انه امر بان يخلفها مع قومها فان هواها اليهم فلم يسر بها واختلاف
القراءتين لاختلاف الروايتين جعلنا عاليها سافلها جعل جبريل جناحه في اسفلها ثم رفعها الى السما

الى اخاف عليكم عذاب يوم محيط ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين

حتى سمع اهل السما نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واتبعوا الحجارة من فوقهم من سجيل قيل هي كلمة معربة من سنك كل بدليل قوله حجارة من طين وقيل هي من اسجله اذا ارسله لانها ترسل على الظالمين ويدل عليه قوله لنرسل عليهم حجارة من طين وقيل مما كتب الله ان يعذب من السجل وسجل لفلان منضود نضد في السما نضدا معدا للعذاب وقيل يرسل بعضه في اثر بعض متتابعا مسومة معلمة للعذاب وعن الحسن كانت معلمة ببياض وحمرة وقيل عليها سيما تعلم بها انها ليست من حجارة الارض وقيل مكتوب على كل واحد اسم من يرمى به وما هي من كل ظالم ببعيد وفيه وعيد لاهل مكة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سال جبرئيل فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم ببعيد بشي بعيد ويجوز ان يراد ما هي بمكان بعيد لانها وان كانت في السما وهي مكان بعيد الا انها اذا هوت منها فهي اسرع شي لحوقا بالمرمي فكانها بمكان قريب منه اني اريكم بخير يريد بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف او اريكم بنعمة من الله حقها ان تقابل بغير ما تفعلون او اريكم بخير فلا تزيلوه عنكم بما انتم عليه كقول مؤمن ال فرعون يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من باس الله ان جانا يوم محيط مهلك من قوله واحيط بثمره واصله من احاطة العدو فان قلت وصف العذاب بالاحاطة ابلغ ام وصف اليوم بها قلت بل وصف اليوم لان اليوم زمان يشتمل على الحوادث فاذا احاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما اذا احاط بنعيمه فان قلت النهي عن النقصان امر بالايفاء فما فايدة قوله اوفوا قلت نهوا اولا عن عين القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال والميزان لان في التصريح بالقبيح نعيا على المنهي وتعييرا ثم ورد الامر بالايفاء الذي هو حسن في العقول مصرحا بلفظه لزيادة ترغيب فيه وبعث عليه وجي به مقيدا بالقسط اي ليكن الايفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان امرا بما هو الواجب لان ما جاوز العدل فضل وامر مندوب اليه وفيه توقيف على ان الموفي عليه ان ينوي بالوفاء القسط لان الايفاء وجه حسنه انه قسط وعدل فهذه ثلاث فوايد البخس الهضم والنقص ويقال للمكس البخس قال زهير وفي كل ما باع امرؤ بخس درهم وروي مكس درهم وكانوا ياخذون من كل شي يباع شيا كما يفعل السماسرة او كانوا يمكسون الناس او كانوا ينقصون من اثمان ما يشترون من الاشيا فنهوا عن ذلك والعثي في الارض نحو السرقة والغارة وقطع السبيل ويجوز ان يجعل التطفيف والبخس عثيا منهم في الارض بقيت الله ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم خير لكم ان كنتم مؤمنين بشرط ان تومنوا فان قلت بقيت الله خير للكفرة لانهم يسلمون معها من تبعة البخس والتطفيف فلم شرط الايمان قلت لظهور فايدتها مع الايمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب وخفا فايدتها مع فقده لانغماس صاحبها في غمرات الكفر وفي ذلك استعظام للايمان وتنبيه على جلالة شانه ويجوز ان يراد ان كنتم مصدقين لي فيما اقول لكم وانصح به اياكم وانما خوطبوا بترك التطفيف والبخس

بقيت الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وما انا عليكم بحفيظ قالوا يا شعيب اصلوتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا او ان نفعل في اموالنا ما نشاء انك لانت الحليم الرشيد قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت

والفساد في الارض وهم كفرة بشرط الايمان ويجوز ان يريد ما يبقى لكم عند الله من الطاعات خير لكم كقوله والباقيات الصالحات خير عند ربك واضافة البقية الى الله من حيث انها رزقه الذي يجوز ان يضاف اليه واما الحرام فلا يضاف الى الله ولا يسمى رزقا واذا اريد بها الطاعة فكما تقول طاعة الله وقرئ تقية الله بالتا وهي تقواه ومراقبته التي تصرف عن المعاصي والقبايح وما انا عليكم بحفيظ وما بعثت لاحفظ عليكم واجازيكم عليها وانما بعثت مبلغا ومنبها على الخير وناصحا وقد اعذرت حين انذرت كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات وكان قومه اذا راوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا بقولهم اصلوتك تامرك السخرية والهزء والصلاة وان جاز ان تكون امرة على طريق المجاز كما كانت ناهية في قوله ان الصلوة تنهى عن الفحشا والمنكر وان يقال ان الصلوة تامر بالجميل والمعروف كما يقال تدعو اليه وتبعث عليه الا انهم ساقوا الكلام مساق الطنز وجعلوا الصلوة امرة على سبيل التهكم بصلوته وارادوا ان هذا الذي تامر به من ترك عبادة الاوثان باطل لا وجه لصحته وان مثله لا يدعوك اليه داع من عقل ولا يامرك به امر فطنة فلم يبق الا ان يامرك به امر هذيان ووسوسة شيطان وهو صلاتك التي تداوم عليها في ليلك ونهارك وعندهم ان هذا من باب الجنون ومما يتولع به المجانين والموسوسون من بعض الاقوال والافعال ومعنى تامرك ان نترك تامرك بتكليف ان نترك ما يعبد اباونا فحذف المضاف لان الذي هو التكليف لان الانسان لا يومر بفعل غيره وقرئ اصلاتك بالتوحيد وقرا ابن ابي عبلة او ان تفعل في اموالنا ما تشاء بتاء الخطاب فيهما وهو ما كان يامرهم به من ترك التطفيف والبخس والاقتناع بالحلال القليل من الحرام الكثير وقيل كان ينهاهم عن حذف الدراهم والدنانير وتقطيعها وارادوا بقولهم انك لانت الحليم الرشيد نسبته الى غاية السفه والغي فعكسوا ليتهكموا به كما يتهكم بالشحيح الذي لا يبض حجره فيقال له لو ابصرك حاتم لسجد لك وقيل معناه انك للمتواصف بالحلم والرشد في قومك يعنون ان ما تامر به لا يطابق حالك وما شهرت به ورزقني منه اي من لدنه رزقا حسنا وهو ما رزقه من النبوة والحكمة وقيل رزقا حسنا حلالا طيبا من غير بخس ولا تطفيف فان قلت اين جواب ارايتم وماله لم يثبت كما اثبت في قصة نوح ولوط قلت جوابه محذوف وانما لم يثبت لان اثباته في القصتين دل على مكانه ومعنى الكلام ينادي على علمه والمعنى اخبروني ان كنت على حجة واضحة ويقين من ربي وكنت نبيا على الحقيقة ايصح لي ان لا امركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصي والانبياء لا يبعثون الا لذلك يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وانت مول عنه وخالفني عنه اذا ولى عنه وانت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فتساله عن صاحبه فيقول خالفني الى الماء يريد انه قد ذهب اليه واردا وانا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه يعني ان اسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم ان اريد الا الاصلاح ما اريد الا ان اصلحكم بموعظتي ونصيحتي وامري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما استطعت ظرف اي مدة استطاعتي للاصلاح وما دمت متمكنا منه لا آلو فيه جهدا او بدل من الاصلاح اي المقدار الذي استطعته منه ويجوز ان يكون على تقدير حذف

المضاف على قولك الا الاصلاح اصلاحي ما استطعت او مفعول له كقوله ضعيف النكاية اعداءه
اي ما اريد الا ان اصلح ما استطعت اصلاحه من فاسدكم وما توفيقي الا بالله وما كوني موفقا لاصابة الحق
فيما آتي واذر ووقوعه موافقا لرضا الله الا بمعونته وتاييده والمعنى انه استوفقه في امضاء الامر
على سننه وطلب منه التاييد والاظهار على عدوه وفي ضمنه تهديد للكفار وحسم لاطماعهم فيه
جرم مثل كسب في تعديه الى مفعول واحد والى مفعولين تقول جرم ذنبا وكسبه وجرمته ذنبا وكسبته
اياه ومنه جريمة فزارة بعدها ان يغضبوا ومنه قوله تعالى لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم اي
لا يكسبنكم شقاقي اصابة العذاب وقرا ابن كثير بضم الياء من اجرمته ذنبا اذا جعلته جارما له
اي كاسبا وهو منقول من جرم المتعدي الى مفعول واحد كما نقل اكسبه المال من كسب المال وكما
لا فرق بين كسبته مالا واكسبته اياه فكذلك لا فرق بين جرمته ذنبا واجرمته اياه والقراءتان
مستويتان في المعنى لا تفاوت بينهما الا ان المشهورة افصح لفظا كما ان كسبته مالا افصح من
اكسبته والمراد بالفصاحة انه على السنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم ادور واكثر
له اكثر استعمالا وقرا ابو حيوة ورويت عن نافع مثل ما اصاب بالفتح لاضافته الى غير متمكن كقوله
لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت وما قوم لوط منكم ببعيد يعني انهم اهلكوا في عهد قريب
من عهدكم فهم اقرب الهالكين منكم او لا يبعدون منكم في الكفر والمساوي وما يستحق به الهلاك فان قلت
ما لبعيد لم يرد على ما يقتضيه قوم من حمله على لفظه او معناه قلت اما ان يراد وما اهلاكهم
ببعيد او وما هم بشيء بعيد او بزمان او مكان بعيد ويجوز ان يسوى في بعيد وقريب وقليل وكثير
بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي هي الصهيل والنهيق ونحوهما رحيم ودود
عظيم الرحمة للتائبين فاعل بهم ما يفعل البليغ المودة بمن يوده من الاحسان والاجمال
ما نفقه ما نفهم كثيرا مما تقول لانهم كانوا لا يلقون اليه اذهانهم رغبة عنه وكراهية
له كقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه او كانوا يفهمونه ولكنهم لم يقبلوه فكانهم لم
يفقهوه او قالوا ذلك على وجه الاستهانة به كما يقول الرجل لصاحبه اذا لم يعبا بحديثه ما
ادري ما تقول او جعلوا كلامه هذيانا وتخليطا لا ينفعهم كثير منه وكيف لا ينفعهم كلامه
وهو خطيب الانبياء وقيل كان الثغ فينا ضعيفا لا قوة لك ولا عز فيما بيننا فلا تقدر
على الامتناع منا ان اردنا بك مكروها وعن الحسن ضعيفا مهينا وقيل ضعيفا اعمى وحمير
تسمي المكفوف ضعيفا كما يسمى ضريرا وليس بسديد لان فينا يا باه الا ترى انه لو قيل انا لنريك
فينا اعمى لم يكن كلاما لان الاعمى اعمى فيهم وفي غيرهم ولذلك قللوا قومه حيث جعلوهم رهطا والرهط
من الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة وانما قالوا ولولا رهطك احتراما لهم واعتدادا بهم لانهم كانوا
على ملتهم لا خوفا من شوكتهم وعزتهم لرجمناك لقتلناك شر قتلة وما انت علينا بعزيز اي لا
تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم وانما يعز علينا رهطك لانهم

... سوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا اني معكم رقيب ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا
واخذت الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود

من اهل ديننا لم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا وقد دل ايلاء ضميره حرف النفي على ان الكلام
واقع في الفاعل لا في الفعل كانه قيل وما انت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا ولذلك
قال في جوابهم ارهطي اعز عليكم من الله ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب فان قلت فالكلام
واقع فيه وفي رهطه وانهم الاعزة عليهم دونه فكيف صح قوله ارهطي اعز عليكم من الله قلت تهاونهم به وهو
نبي الله تهاون بالله فحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه اعز عليهم من الله الا ترى الى قوله تعالى من يطع
الرسول فقد اطاع الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ونسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعبا
به والظهري منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب ونظيره قولهم في النسبة الى الامس امسي بما تعملون
محيط قد احاط باعمالكم علما فلا يخفى عليه شيء منها على مكانتكم لا تخلو المكانة من ان تكون بمعنى المكان
يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة او تكون مصدرا من مكن مكانة فهو مكين والمعنى اعملوا قارين على
جهتكم التي انتم عليها من الشرك والشنآن لي او اعملوا متمكنين من عداوتي مطيقين لها اني عامل على
حسب ما يؤتيني الله من النصرة والتاييد ويمكنني من ياتيه يجوز ان تكون من استفهامية معلقة لفعل العلم
عن عمله فيها كانه قيل سوف تعلمون اينا ياتيه عذاب يخزيه واينا هو كاذب وان تكون موصولة قد عمل
فيها كانه قيل سوف تعلمون الشقي الذي ياتيه عذاب يخزيه والذي هو كاذب فان قلت اي فرق بين ادخال
الفاء ونزعها في سوف تعلمون قلت ادخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعها وصل خفي تقديري
بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال سائل مقدر كانهم قالوا فماذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت
انت فقال سوف تعلمون فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب
واقوى الوصلين وابلغهما الاستئناف وهو باب من ابواب علم البيان تتكاثر محاسنه وارتقبوا وانتظروا
العاقبة وما اقول لكم اني معكم رقيب منتظر والرقيب بمعنى الراقب من رقبه كالضريب والصريم بمعنى
الضارب والصارم او بمعنى المراقب كالعشير والنديم او بمعنى المرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر
والمرتفع فان قلت قد ذكر عملهم على مكانتهم وعمله على مكانته ثم اتبعه ذكر عاقبة العاملين منه ومنهم
فكان القياس ان يقول من ياتيه عذاب يخزيه ومن هو صادق الى النبي المبعوث قلت القياس ما ذكرت
ولكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب يعني في زعمكم ودعواكم تجهيلا لهم فان قلت ما بال
ساقتي قصة عاد وقصة مدين جاءتا بالواو والساقتان الوسطيان بالفاء قلت قد وقعت
الوسطيان بعد ذكر الوعد وذلك قوله ان موعدهم الصبح ذلك وعد غير مكذوب فجيء بالفاء الذي
هو للتسبيب كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت واما الاخريان فلم تقعا بتلك
المثابة وانما وقعتا مبتدأتين فكان حقهما ان تعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف
قصة على قصة الجاثمين اللازمين لمكانهم لا يبرحون لما ابتدأهم جبريل صاح بهم صيحة فزهق روح كل
واحد منهم بحيث هو فجاة كان لم يغنوا كان لم يقيموا في ديارهم احياء متصرفين مترددين البعد
بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشد الا ترى الى قوله كما بعدت وقرا السلمي بعدت بضم العين

قومه يوم القيمة فاوردهم النار وبئس الورد المورود واتبعوا في هذه لعنة ويوم القيمة بئس الرفد المرفود ذلك من انباء القرى
نقصه عليك منها قائم وحصيد وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم فما اغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء
امر ربك وما زادوهم غير تتبيب وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة

والمعنى البناءين واحد وهو نقيض القرب الا انهم ارادوا التفصلة بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البناء كما فرقوا بين ضمائري الخير والشر فقالوا وعد واوعد وقراءة السلمي جارية على الاصل اعتبارا لمعنى البعد من غير تخصيص كما يقال ذهب فلان ومضى في معنى الموت وقيل معناه بعدا لهم من رحمة الله كما بعدت ثمود منها بآياتنا وسلطان مبين فيه وجهان ان يريد ان هذه الآيات فيها سلطان مبين لموسى على صدق نبوته وان يراد بالسلطان المبين العصا لانها ابهرها وما امر فرعون برشيد تجهيل لمتبعيه حيث شايعوه على امره وهو ضلال مبين لا يخفى على من فيه ادنى مسكة من العقل وذلك انه ادعى الالهية وهو بشر مثلهم وجاهر بالعسف والظلم والشر الذي لا يأتي الا من شيطان مارد ومثله بمعزل من الالهية ذاتا وافعالا فاتبعوه وسلموا له دعواه وتتابعوا على طاعته والامر الرشيد الذي فيه رشد اي وما في امره رشد انما هو غي صريح وضلال ظاهر مكشوف وانما يتبع العقلاء من يرشدهم ويهديهم لا من يضلهم ويغويهم وفيه انهم عاينوا الآيات والسلطان المبين وعلموا ان مع موسى الرشد والحق ثم عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس في امره رشد قط يقدم قومه اي كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه ويجوز ان يريد بقوله وما امر فرعون برشيد وما امره بصالح حميد العاقبة ويكون قوله يقدم قومه تفسيرا لذلك وايضاحا اي كيف يرشد امر من هذه عاقبته والرشد يستعمل في كل ما يحمد ويرتضى كما استعمل الغي في كل ما يذم ويتسخط ويقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه قادمة الرحل كما يقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجيش واقدم بمعنى تقدم ومنه مقدم العين فان قلت هلا قيل يقدم قومه فيوردهم ولم جيء بلفظ الماضي قلت لان الماضي يدل على امر موجود مقطوع به فكانه قيل يقدمهم فيوردهم النار لا محالة والورد المورد والمورود الذي وردوه شبه بالفارط الذي يتقدم الواردة الى الماء وشبه اتباعه بالواردة ثم قيل بئس الورد الذي يردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار ضده واتبعوا في هذه الدنيا لعنة اي يلعنون في الدنيا ويلعنون في الآخرة بئس الرفد المرفود رفدهم اي بئس العون المعان وذلك ان اللعنة في الدنيا رفد للعذاب ومدد له وقد رفدت باللعنة في الآخرة وقيل بئس العطاء المعطى ذلك مبتدأ من انباء القرى نقصه عليك خبر بعد خبر اي ذلك النبأ بعض انباء القرى المهلكة مقصوص عليك منها الضمير للقرى اي بعضها باق وبعضها عافي الاثر كالزرع القائم على ساقه والذي حصد فان قلت ما محل هذه الجملة قلت هي مستأنفة لا محل لها وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما به اهلكوا فما اغنت عنهم آلهتهم فما قدرت ان ترد عنهم بأس الله يدعون يعبدون وهي حكاية حال ماضية ولما منصوب بما اغنت امر ربك عذابه ونقمته تتبيب تخسير يقال تب اذا خسر وتببه غيره اوقعه في الخسران وكذلك محل الكاف الرفع تقديره ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك والنصب فيمن قرأ وكذلك اخذ ربك بلفظ الفعل وقرئ اذ اخذ القرى وهي ظالمة حال من القرى اليم شديد وجيع صعب على المأخوذ وهذا تحذير من وخامة عاقبة الظلم لكل اهل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها بل لكل من ظلم غيره

ان اخذه اليم شديد ان في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما نؤخره الا لاجل
معدود

او نفسه بذنب يقترفه فعلى كل من اذنب ان يحذر اخذ ربه الاليم الشديد فيبادر التوبة ولا يغتر بالامهال ذلك اشارة الى ما قص الله من قصص الامم الهالكة بذنوبهم لآية لمن خاف لعبرة له لانه ينظر الى ما احل الله بالمجرمين في الدنيا وما هو الا انموذج مما اعد لهم في الآخرة فاذا رأى عظمه وشدته اعتبر به عظم العذاب الموعود فيكون له عبرة وعظة ولطفا في زيادة التقوى والخشية من الله ونحوه ان في ذلك لعبرة لمن يخشى ذلك اشارة الى يوم القيمة لان عذاب الآخرة دل عليه والناس رفع باسم المفعول الذي هو مجموع كما يرفع بفعله اذا قلت يجمع له الناس فان قلت لاي فائدة اوثر اسم المفعول على فعله قلت لما في اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه يوم لا بد من ان يكون ميعادا مضروبا لجمع الناس له وانه الموصوف بذلك صفة لازمة وهو اثبت ايضا لاسناد الجمع الى الناس وانهم لا ينفكون منه ونظيره قول المتهدد ان لك لمنهوبا مالك محروب قومك فيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس في الفعل وان شئت فوازن بينه وبين قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع تعثر على صحة ما قلت لك ومعنى يجمعون له يجمعون لما فيه من الحساب والثواب والعقاب يوم مشهود مشهود فيه فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا اي يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه احد والمراد بالمشهود الذي كثر شاهدوه ومنه قولهم لفلان مجلس مشهود وطعام محضور قال في محفل من نواصي الناس مشهود فان قلت ما منعك ان تجعل اليوم مشهودا في نفسه دون ان تجعله مشهودا فيه كما قال الله سبحانه فمن شهد منكم الشهر فليصمه قلت الغرض وصف ذلك اليوم بالهول والعظم وتميزه من بين الايام فان جعلته مشهودا في نفسه فسائر الايام كذلك مشهودات كلها ولكن جعل مشهودا فيه حتى يحصل التميز كما تميز يوم الجمعة عن ايام الاسبوع بكونه مشهودا فيه دونها ولم يجز ان يكون مشهودا في نفسه لان سائر ايام الاسبوع مثله يشهدها كل من يشهده وكذلك قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه الشهر منتصب ظرفا لا مفعولا به وكذلك الضمير في فليصمه والمعنى فمن شهد منكم في الشهر فليصم فيه يعني فمن كان منكم مقيما حاضرا في الوطن في شهر رمضان فليصم فيه ولو نصبته مفعولا فالمسافر والمقيم كلاهما يشهدان الشهر لا يشهده المقيم ويغيب عنه المسافر الاجل يطلق على مدة التأجيل كلها وعلى منتهاها فيقولون انتهى الاجل وبلغ الاجل آخره ويقولون حل الاجل فاذا جاء اجلهم يراد آخر مدة التأجيل والعد انما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها فمعنى قوله وما نؤخره الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة معدودة بحذف المضاف وقرئ وما يؤخره بالياء يأتي قرئ يوم يأت بغير ياء ونحوه قولهم لا ادر حكاه الخليل وسيبويه وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير في لغة هذيل فان قلت فاعل يأتي ما هو قلت الله عز وجل كقوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله او يأتي ربك وجاء ربك ويعضده قراءة من قرأ وما يؤخره بالياء وقوله باذنه ويجوز ان يكون الفاعل ضمير اليوم كقوله تعالى او تأتيهم الساعة فان قلت بم انتصب الظرف قلت اما ان ينتصب بلا تكلم واما باضمار اذكر واما بالانتهاء المحذوف في قوله الا لاجل معدود اي ينتهي الاجل يوم يأتي فان قلت فاذا جعلت الفاعل ضمير اليوم فقد جعلت اليوم وقتا

يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ

لزمان اليوم وحددت الشي بنفسه قلت المراد اتيان هوله وشدايده لا تكلم لا تتكلم وهو نظير قوله لا يتكلمون
الا من اذن له الرحمن فان قلت كيف يوفق بين هذا وبين قوله يوم ياتي كل نفس تجادل عن نفسها وقوله هذا
يوم لا ينطقون ولا يوذن لهم فيعتذرون قلت ذلك يوم طويل له مواقف ومواطن ففي بعضها يجادلون
عن انفسهم وفي بعضها يكفون عن الكلام فلا يوذن لهم وفي بعضها يوذن لهم فيتكلمون وفي بعضها يختم
على افواههم وتكلم ايديهم وتشهد ارجلهم فمنهم الضمير لاهل الموقف ولم يذكروا لان ذلك معلوم
ولان قوله لا تكلم نفس يدل عليه وقد مر ذكر الناس في قوله مجموع له الناس والشقي الذي وجبت له
النار لاساءته والسعيد الذي وجبت له الجنة لاحسانه قراة العامة بفتح الشين وعن الحسن شُقوا
بالضم كما قرئ سُعدوا والزفير اخراج النفس والشهيق رده قال الشماخ
بعيد مدى التطريب اول صوته زفير ويتلوه شهيق محشرج ما دامت السموات والارض
فيه وجهان احدهما ان يراد سموات الاخرة وارضها وهي دايمة مخلوقة للابد والدليل على ان لها
سموات وارضا قوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله واورثنا الارض نتبوا من
الجنة ولانه لا بد لاهل الاخرة مما يقلهم ويظلهم اما سما يخلقها الله او يظلهم العرش وكل ما
اظلك فهو سما والثاني ان يكون عبارة عن التابيد ونفي الانقطاع كقول العرب ما دام تعار وما
اقام ثبير وما لاح كوكب وغير ذلك من كلمات التابيد فان قلت فما معنى الاستثناء في قوله الا ما شاء ربك وقد ثبت خلود
اهل الجنة والنار في الابد من غير استثناء قلت هو استثناء من الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعيم الجنة وذلك ان اهل
النار لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وبانواع من العذاب سوى عذاب النار وبما هو اغلظ منها
كلها وهو سخط الله عليهم وخسؤه لهم واهانته اياهم وكذلك اهل الجنة لهم سوى الجنة ما هو اكبر منها واجل
موقعا منهم وهو رضوان الله كما قال وعد الله المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن
طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ولهم ما يتفضل الله به عليهم سوى ثواب الجنة مما لا يعرف كنهه الا هو فهو
المراد بالاستثناء والدليل عليه قوله عطاء غير مجذوذ ومعنى قوله في مقابلته ان ربك فعال لما يريد انه يفعل باهل
النار ما يريد من العذاب كما يعطي اهل الجنة عطاءه الذي لا انقطاع له فتامله فان القران يفسر بعضه بعضا
ولا يخدعنك عنه قول المجبرة ان المراد بالاستثناء خروج اهل الكباير من النار بالشفاعة فان الاستثناء الثاني
ينادي على تكذيبهم ويسجل بافترايهم وما ظنك بقوم نبذوا كتاب الله لما روى لهم بعض النوابت عن عبد الله بن
عمرو بن العاص ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه ابوابها ليس فيها احد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا وقد بلغني
ان من الضلال من اغتر بهذا الحديث فاعتقد ان الكفار لا يخلدون في النار وهذا ونحوه والعياذ بالله من الخذلان المبين
زادنا الله هداية الى الحق ومعرفة بكتابه وتنبيها على ان نعقل عنه ولين صح هذا عن ابن العاص فمعناه انهم يخرجون
من حر النار الى برد الزمهرير فذلك خلو جهنم وصفق ابوابها واقول ما كان لابن عمرو في سيفيه ومقاتلته
بهما علي بن ابي طالب رضي الله عنه ما يشغله عن تسيير هذا الحديث غير مجذوذ غير مقطوع ولكنه ممتدا الى غير نهاية كقوله
لهم اجر غير ممنون لما قص قصص عبدة الاوثان وذكر ما احل بهم من نقمه وما اعد لهم من عذابه قال فلا تك

فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وانهم لفي شك منه مريب وان كلا لما ليوفينهم ربك اعمالهم انه بما تعملون خبير فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من اولياء ثم لا تنصرون

في مرية مما يعبد هولاء اي فلا تشك بعد ما انزل عليك من هذه القصص في سوء عاقبة عبادتهم وتعرضهم لما
اصاب امثالهم قبلهم تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدة بالانتقام منهم ووعيدا لهم ثم قال ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل
يريد ان حالهم في الشرك مثل حال ابايهم من غير تفاوت وقد بلغك ما نزل بابايهم فسينزل بهم مثله
وهو استيناف معناه تعليل النهي عن المرية وما في مما وكما يجوز ان تكون مصدرية وموصولة اي من عبادتهم
وكعبادتهم او مما يعبدون من الاوثان ومثل ما يعبدون منها وانا لموفوهم نصيبهم اي حظهم من العذاب كما وفينا
اباءهم انصباءهم فان قلت كيف نصب غير منقوص حالا عن النصيب الموفى قلت يجوز ان يوفى وهو ناقص ويوفى
وهو كامل الا تراك تقول وفيته شطر حقه وثلث حقه وحقه كاملا وناقصا فاختلف فيه امن به قوم وكفر به قوم
كما اختلف في القران ولولا كلمة يعني كلمة الانظار الى يوم القيامة لقضي بينهم بين قوم موسى او قومك وهذه
من جملة التسلية ايضا وان كلا التنوين عوض من المضاف اليه يعني وان كلهم وان جميع المختلفين ليوفينهم جواب
قسم محذوف واللام في لما موطية للقسم وما مزيدة والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم ربك اعمالهم
من حسن وقبيح وايمان وجحود وقرئ وان كلا بالتخفيف على اعمال المخففة عمل الثقيلة اعتبارا لاصلها
الذي هو التثقيل وقرا ابي وان كل لما ليوفينهم على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقراة عبد الله مفسرة لها
وان كل الا ليوفينهم وقرا الزهري وسليمن بن ارقم وان كلا لما ليوفينهم بالتنوين كقوله اكلا لما والمعنى
وان كلا ملمومين بمعنى مجموعين كانه قيل وان كلا جميعا كقوله فسجد الملايكة كلهم اجمعون فاستقم كما امرت
فاستقم استقامة مثل الاستقامة التي امرت بها على جادة الحق غير عادل عنها ومن تاب معك معطوف على المستتر
في استقم وانما جاز العطف عليه ولم يوكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه والمعنى فاستقم انت وليستقم من تاب
عن الكفر وامن معك ولا تطغوا ولا تخرجوا عن حدود الله انه بما تعملون بصير عالم فهو مجازيكم به فاتقوه
وعن ابن عباس رضي الله عنه ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع القران اية كانت اشد ولا اشق عليه من هذه الاية ولهذا
قال شيبتني هود والواقعة واخواتهما وروي ان اصحابه قالوا له لقد اسرع فيك الشيب فقال شيبتني
هود وعن بعضهم رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت له روي عنك انك قلت شيبتني هود فقال نعم فقلت ما
الذي شيبك منها اقصص الانبيا وهلاك الامم قال لا ولكن قوله فاستقم كما امرت وعن جعفر الصادق
رضي الله عنه فاستقم كما امرت قال افتقر الى الله بصحة العزم ولا تركنوا قرئ بفتح الكاف وضمها
مع فتح التا وعن ابي عمرو بكسر التاء وفتح الكاف على لغة تميم في كسرهم حروف المضارعة الا اليا في كل ما
كان من باب علم يعلم ونحوه قراة من قرا فتمسكم النار بكسر التاء وقرا ابن ابي عبلة ولا تُركنوا على البنا للمفعول
من اركنه اذا اماله والنهي متناول للانحطاط في هواهم والانقطاع اليهم ومصاحبتهم ومجالستهم
وزيارتهم ومداهنتهم والرضا باعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم ومد العين الى زهرتهم وذكرهم
بما فيه تعظيم لهم وتامل قوله ولا تركنوا فان الركون هو الميل اليسير وقوله الى الذين ظلموا اي الى الذين وجد
منهم الظلم ولم يقل الى الظالمين وحكي ان الموفق صلى خلف الامام فقرا بهذه الاية فغشي عليه فلما افاق قيل
له فقال هذا فيمن ركن الى من ظلم فكيف بالظالم وعن الحسن رحمه الله جعل الله الدين بين لاءين ولا تطغوا
ولا تركنوا

ثم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين واصبر فان الله
لا يضيع اجر المحسنين

ولما خالط الزهري السلاطين كتب اليه اخ له في الدين عافانا الله واياك ابا بكر من الفتن فقد اصبحت بحال ينبغي لمن عرفك ان يدعو لك الله ويرحمك اصبحت شيخا كبيرا وقد اثقلتك نعم الله بما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه وليس كذلك اخذ الله الميثاق على العلماء قال الله سبحانه لتبيننه للناس ولا تكتمونه واعلم ان ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت انك انست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين ادناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحى باطلهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما يصعدون فيك الى ضلالهم يدخلون الشك بك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما ايسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما اكثر ما اخذوا منك فيما افسدوا عليك من دينك فما يؤمنك ان تكون ممن قال الله فيهم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة الاية فانك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر السفر البعيد وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء والسلام وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائرون للملوك وعن الاوزاعي ما من شيء ابغض الى الله من عالم يزور عاملا وعن محمد بن سلمة الذباب على العذرة احسن من قارئ على باب هؤلاء وقال رسول الله عليه السلام من دعا لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه ولقد سئل سفين عن ظالم اشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء فقال لا فقيل له يموت فقال دعه يموت وما لكم من دون الله من اولياء حال من قوله فتمسكم النار وانتم على هذه الحال ومعناه وما لكم من دون الله من انصار يقدرون على منعكم من عذابه لا يقدر على منعكم منه غيره ثم لا تنصرون ثم لا ينصركم هو لانه وجب في حكمته تعذيبكم وترك الابقاء عليكم فان قلت فما معنى ثم قلت معناها الاستبعاد لان النصرة من الله مستبعدة مع استيجابهم العذاب واقتضاء حكمته له طرفي النهار غدوة وعشية وزلفا من الليل وساعات من الليل وهي ساعاته القريبة من اخر النهار من ازلفه اذا قربه وازدلف اليه وصلاة الغدوة الفجر وصلاة العشية الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلاة الزلف المغرب والعشاء وانتصاب طرفي النهار على الظرف لانهما مضافان الى الوقت كقولك اقمت عنده جميع النهار واتيته نصف النهار واوله واخره تنصب هذا كله على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه ونحوه واطراف النهار وقرئ وزلفا بضمتين وزلفا بسكون اللام وزلفى بوزن قربى فالزلف جمع زلفة كظلم في ظلمة والزلف بالسكون نحو بسرة وبسر والزلف بضمتين نحو بسر في بسر والزلفى بمعنى الزلفة كما ان القربى بمعنى القربة وهو ما يقرب من اخر النهار من الليل وقيل زلفا من الليل وقربا من الليل وحقها على هذا التفسير ان تعطف على الصلوة اي اقم الصلوة طرفي النهار واقم زلفا من الليل على معنى واقم صلوات تتقرب بها الى الله عز وجل في بعض الليل ان الحسنات يذهبن السيئات فيه وجهان احدهما ان يراد تكفير الصغاير بالطاعات وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر والثاني ان الحسنات يذهبن السيئات بان يكن لطفا في تركها ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل نزلت في ابي اليسر عمرو بن غزية الانصاري

فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لاملان

كان يبيع التمر فاتته امراة فاعجبته فقال لها ان في البيت اجود من هذا التمر فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم فاتى رسول الله عليه السلام فاخبره بما فعل فقال انتظر امر ربي فلما صلى صلاة العصر نزلت فقال نعم اذهب فانها كفارة لما عملت وروي انه اتى ابا بكر فاخبره فقال استر على نفسك وتب الى الله فاتى عمر فقال له مثل ذلك ثم اتى رسول الله عليه السلام فنزلت فقال عمر اهذا له خاصة ام للناس عامة فقال بل للناس عامة وروي ان رسول الله صلى الله عليه قال له توضأ وضوءا حسنا وصل ركعتين ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك اشارة الى قوله فاستقم فما بعده ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين ثم كر الى التذكير بالصبر بعد ما جاء بما هو خاتمة للتذكير وهذا الكرور لفضل خصوصية ومزية وتنبيه على مكان الصبر ومحله كانه قال وعليك بما هو اهم مما ذكرت به واحق بالتوصية وهو الصبر على امتثال ما امرت به والانتهاء عما نهيت عنه فلا يتم شيء منه الا به فان الله لا يضيع اجر المحسنين جاء بما هو مشتمل على الاستقامة واقامة الصلوات والانتهاء عن الطغيان والركون الى الظالمين والصبر وغير ذلك فلولا كان من القرون فهلا كان وحكوا ان الخليل كان يقول كل لولا في القرآن فمعناها هلا الا التي في الصافات وما صحت هذه الحكاية ففي غير الصافات لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء ولولا رجال مؤمنون ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اولوا بقية اولوا فضل وخير وسمي الفضل والجودة بقية لان الرجل يستبقي مما يخرجه اجوده وافضله فصار مثلا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم وبه فسر بيت الحماسة ان تذنبوا ثم تأتيني بقيتكم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ويجوز ان تكون البقية بمعنى البقوى كالتقية بمعنى التقوى اي فهلا كان منهم ذوو ابقاء على انفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه وقرئ اولوا بقية بوزن لقية من بقاه يبقيه اذا رقبه وانتظره ومنه بقينا رسول الله والبقية المرة من مصدره والمعنى فلولا كان منهم اولوا مراقبة وخشية من انتقام الله كانهم ينتظرون ايقاعه بهم لاشفاقهم الا قليلا استثناء منقطع معناه ولكن قليلا ممن انجينا من القرون نهوا عن الفساد وسائرهم تاركون للنهي ومن في ممن انجينا حقها ان تكون للبيان لا للتبعيض لان النجاة انما هي للناهين وحدهم بدليل قوله عز وجل انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا فان قلت هل لوقوع هذا الاستثناء متصلا وجه يحمل عليه قلت ان جعلته متصلا على ما عليه ظاهر الكلام كان المعنى فاسدا لانه يكون تحضيضا لاولي البقية على النهي عن الفساد الا للقليل من الناجين منهم كما تقول هلا قرأ قومك القرآن الا الصلحاء منهم تريد استثناء الصلحاء من المحضضين على قراءة القرآن وان قلت في تحضيضهم على النهي عن الفساد معنى نفيه عنهم فكانه قيل ما كان من القرون اولوا بقية الا قليلا كان استثناء متصلا ومعنى صحيحا وكان انتصابه على اصل الاستثناء وان كان الافصح ان يرفع على البدل واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه اراد بالذين ظلموا تاركي النهي عن المنكرات اي لم يهتموا بما هو ركن عظيم من اركان الدين وهو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعقدوا هممهم بالشهوات واتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والترف من حب الرياسة والثروة وطلب اسباب العيش الهني ورفضوا ما وراء ذلك ونبذوه وراء

ابو عمرو في رواية الجعفي واتبع الذين ظلموا يعني واتبعوا جزاء ما اترفوا فيه ويجوز ان يكون المعنى في القراءة المشهورة انهم اتبعوا جزاء اترافهم وهذا معنى قوي لتقدم الانجاء كانه قيل الا قليلا ممن انجينا منهم وهلك السائر فان قلت علام عطف واتبع الذين ظلموا قلت ان كان معناه واتبعوا الشهوات كان معطوفا على مضمر لان المعنى الا قليلا ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا وان كان معناه واتبعوا جزاء الاتراف فالواو للحال كانه قيل انجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاءهم فان قلت فقوله وكانوا مجرمين قلت على اترفوا اي اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالاثام او اريد بالاجرام اغفالهم للشكر او على اتبعوا اي اتبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك ويجوز ان يكون اعتراضا وحكما عليهم بانهم قوم مجرمون وما كان بمعنى صح واستقام واللام لتاكيد النفي وبظلم حال من الفاعل والمعنى واستحال في الحكمة ان يهلك القرى ظالما لها واهلها مصلحون تنزيها لذاته عن الظلم وايذانا بان اهلاك المصلحين من الظلم وقيل الظلم الشرك ومعناه انه لا يهلك القرى بسبب شرك اهلها وهم مصلحون يتعاطون الحق فيما بينهم ولا يضمون الى شركهم فسادا اخر ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة يعني لاضطرهم الى ان يكونوا اهل امة واحدة اي ملة واحدة وهي ملة الاسلام كقوله ان هذه امتكم امة واحدة وهذا الكلام يتضمن نفي الاضطرار وانه لم يضطرهم الى الاتفاق على دين الحق ولكنه مكنهم من الاختيار الذي هو اساس التكليف فاختار بعضهم الحق وبعضهم الباطل فاختلفوا فلذلك قال ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك الا ناسا هداهم الله ولطف بهم فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه ولذلك خلقهم ذلك اشارة الى ما دل عليه الكلام الاول وتضمنه يعني ولذلك من التمكين والاختيار الذي كان عنه الاختلاف خلقهم ليثيب مختار الحق بحسن اختياره ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره وتمت كلمة ربك وهو قوله للملائكة لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين لعلمه بكثرة من يختار الباطل وكلا التنوين فيه عوض من المضاف اليه كانه قيل وكل نبا نقص عليك من انباء الرسل بيان لكل وما نثبت به فوادك بدل من كلا ويجوز ان يكون المعنى وكل اقتصاص نقص عليك على معنى وكل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك يعني على الاساليب المختلفة وما نثبت به مفعول نقص ومعنى تثبيت فواده زيادة يقينه وما فيه طمانينة قلبه لان تكاثر الادلة اثبت للقلب وارسخ للعلم وجاءك في هذه الحق اي في هذه السورة او في هذه الانباء المقتصة فيها ما هو حق وموعظة وذكرى وقل للذين لا يؤمنون من اهل مكة وغيرهم اعملوا على حالكم وجهتكم التي انتم عليها انا عاملون وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما اقتص الله من النقم النازلة باشباهكم ولله غيب السموات والارض لا يخفى عليه خافية مما يجري فيهما فلا يخفى عليه اعمالكم واليه يرجع الامر كله فلا بد ان يرجع اليه امرهم وامرك فينتقم لك منهم فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك وكافلك وما ربك بغافل عما يعملون وقرئ بالتاء اي انت وهم على تغليب المخاطب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة هود اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابرهيم وموسى وكان يوم القيمة من السعداء

سورة يوسف مكية وهي مائة واحدى عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

تلك اشارة الى آيات السورة والكتاب المبين السورة اي تلك الآيات التي انزلت اليك في هذه السورة آيات السورة

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب المبين

انا انزلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القران وان كنت من قبله لمن الغافلين اذ قال يوسف لابيه يا ابت اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين

٢٥٥

الظاهر امرها في اعجاز العرب وتبكيتهم او التي تبين لمن تدبرها انها من عند الله لا من عند البشر او الواضحة التي لا تشتبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم او قد ابين فيها ما سالت عنه اليهود من قصة يوسف فقد روي ان علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف انزلناه انزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال كونه قرانا عربيا وسمي بعض القران قرانا لان القران اسم جنس يقع على كله وبعضه لعلكم تعقلون ارادة ان تفهموه وتحيطوا بمعانيه ولا تلتبس عليكم ولو جعلناه قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته القصص على وجهين يكون مصدرا بمعنى الاقتصاص تقول اقص الحديث يقصه قصصا كقولك شله يشله شللا اذا طرده ويكون فعلا بمعنى مفعول كالنفض والحسب ونحو النبا والخبر في معنى المنبا به والمخبر به ويجوز ان يكون من تسمية المفعول بالمصدر كالخلق والصيد فان اريد المصدر فمعناه نحن نقص عليك احسن الاقتصاص بما اوحينا اليك هذا القران اي بايحائنا اليك هذه السورة على ان يكون احسن منصوبا نصب المصدر لاضافته اليه ويكون المقصوص محذوفا لان قوله بما اوحينا اليك هذا القران مغن عنه ويجوز ان ينتصب هذا القران بنقص كانه قيل نحن نقص عليك احسن الاقتصاص هذا القران بايحائنا اليك والمراد باحسن الاقتصاص انه اقتص على ابدع طريقة واعجب اسلوب الا ترى ان هذا الحديث مقتص في كتب الاولين وفي كتب التواريخ ولا ترى اقتصاصه في كتاب منها مقاربا لاقتصاصه في القران وان اريد بالقصص المقصوص فمعناه نحن نقص عليك احسن ما يقص من الاحاديث وانما كان احسنه لما يتضمن من العبر والنكت والحكم والعجائب التي ليست في غيرها والظاهر انه احسن ما يقتص في بابه كما يقال في الرجل هو اعلم الناس وافضلهم يراد في فنه فان قلت مم اشتقاق القصص قلت من قص اثره اذا اتبعه لان الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا كما يقال تلا القران اذا قراه لانه يتلو اي يتبع ما حفظ منه اية بعد اية وان كنت ان مخففة من الثقيلة واللام هي التي تفرق بينها وبين النافية والضمير في قبله راجع الى قوله ما اوحينا والمعنى وان الشان والحديث كنت من قبل ايحائنا اليك من الغافلين عنه اي من الجاهلين به ما كان لك فيه علم قط ولا طرق سمعك طرف منه اذ قال يوسف بدل من احسن القصص وهو من بدل الاشتمال لان الوقت مشتمل على القصص وهو المقصوص فاذا قص وقته فقد قص او باضمار اذكر ويوسف اسم عبراني وقيل عربي وليس بصحيح لانه لو كان عربيا لانصرف لخلوه عن سبب آخر سوى التعريف فان قلت فما تقول فيمن قرا يوسف بكسر السين او يوسف بفتحها هل يجوز على قراءته ان يقال هو عربي لانه على وزن المضارع المبني للفاعل او المفعول من آسف وانما منع الصرف للتعريف ووزن الفعل قلت لا لان القراءة المشهورة قامت بالشهادة على ان الكلمة اعجمية فلا تكون عربية تارة واعجمية اخرى ونحو يوسف يونس رويت فيه هذه اللغات الثلاث ولا يقال هو عربي لانه في لغتين منهما بوزن المضارع من آنس وانس وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا قيل من الكريم فقولوا الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم يا ابت قرئ بالحركات الثلاث فان قلت ما هذه التاء قلت تاء تانيث وقعت عوضا من ياء الاضافة والدليل على انها تاء تانيث قلبها هاء في الوقف فان قلت كيف جاز الحاق تاء التانيث بالمذكر قلت كما جاز نحو قولك حمامة

ذكر وشاة ذكر ورجل ربعة وغلام يفعة فان قلت فلم ساغ تعويض تاء التانيث من ياء الاضافة
قلت لان التانيث والاضافة يتناسبان في ان كل واحد منهما زيادة مضمومة الى الاسم في آخره فان قلت
فما هذه الكسرة قلت الكسرة التي كانت قبل الياء في قولك يا ابي قد زحلقت الى التاء لاقتضاء التاء ان يكون
ما قبلها مفتوحا فان قلت فما بال الكسرة لم تسقط بالفتحة التي اقتضتها التاء وتبقى التاء ساكنة قلت
امتنع ذلك فيها لانها اسم والاسماء حقها التحريك لاصالتها في الاعراب وانما جاز تسكين الياء
واصلها ان تحرك تخفيفا لانها حرف لين واما التاء فحرف صحيح نحو كاف الضمير فلزم تحريكها
فان قلت يشبه الجمع بين التاء وبين هذه الكسرة الجمع بين العوض والمعوض منه لانها في حكم الياء
اذا قلت يا غلام فكما لا يجوز يا ابتي فلا يجوز يا ابت قلت الياء والكسرة قبلها شيئان والتاء عوض من احد
الشيئين وهو الياء والكسرة غير متعرض لها فلا يجمع بين العوض والمعوض منه الا اذا جمع بين التاء والياء
لا غير الا ترى الى قولهم يا ابتا مع كون الالف فيه بدلا من الياء كيف جاز الجمع بينها وبين التاء ولم يعد
ذلك جمعا على الاضافة لانها قرينة الياء ولصيقتها فان دلت على مثل ذلك في يا ابت فالتاء المعوضة
لغو وجودها كعدمها قلت بل حالها مع التاء كحالها مع الياء اذا قلت يا ابي فان قلت فما وجه من قرا بفتح التاء
وضمها قلت اما من فتح فقد حذف الالف من يا ابتا واستبقى الفتحة قبلها كما فعل من حذف الياء في يا غلام
ويجوز ان يقال حركها بحركة الياء المعوض منها في قولك يا ابي واما من ضم فقد راى اسما في آخره
تاء تانيث فاجراه مجرى الاسماء المونثة بالتاء فقال يا ابت كما تقول يا ثبة من غير اعتبار لكونها
عوضا من ياء الاضافة وقرى اني رايت بتحريك الياء واحد عشر بسكون العين تخفيفا لتوالي المتحركات
فيما هو في حكم اسم واحد وكذا الى تسعة عشر الا اثنا عشر لئلا يلتقي ساكنان ورايت من الرويا لا من
الرؤية في حالة اليقظة لان ما ذكره معلوم انه منام لان الشمس والقمر لو اجتمعا مع الكواكب ساجدة
ليوسف في حال اليقظة لكانت آية عظيمة ليعقوب عليه السلام ولما خفيت عليه وعلى الناس فان قلت ما اسماء
تلك الكواكب قلت روى جابر رضي الله عنه ان يهوديا جا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اخبرني عن النجوم التي
راهن يوسف فسكت رسول الله فنزل جبريل فاخبره بذلك فقال النبي عليه السلام لليهودي ان اخبرتك هل
تسلم قال نعم قال جربان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح
والفرغ ووثاب وذو الكتفين راها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن
له فقال اليهودي اي والله انها لاسماوها وقيل الشمس والقمر ابواه وقيل ابوه وخالته والكواكب اخوته
وعن وهب ان يوسف عليه السلام راى وهو ابن سبع سنين ان احدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة في الارض كهيئة
الدارة واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر
هذا لاخوتك ثم راى وهو ابن ثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على ابيه فقال
له لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رويا يوسف ومصير اخوته اليه اربعون سنة وقيل
ثمانون فان قلت لم اخر الشمس والقمر قلت اخرهما ليعطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص بيانا لفضلهما

وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تاويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما اتمها على ابويك من قبل ابرهيم
واسحق ان ربك عليم حكيم لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن
عصبة ان ابانا لفي ضلال مبين اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين

257

واستبدادهما بالمزية على غيرهما من الطوالع كما اخر جبريل وميكائيل عن الملائكة ثم عطفهما عليها
لذلك ويجوز ان تكون الواو بمعنى مع اي رايت الكواكب مع الشمس والقمر فان قلت ما معنى تكرار رايت قلت
ليس بتكرار انما هو كلام مستانف على تقدير سوال وقع جوابا له كان يعقوب صلوات الرحمن عليه قال له عند
قوله اني رايت احد عشر كوكبا كيف رايتها سائلا عن حال رويتها فقال رايتهم لي ساجدين فان قلت لم اجريت مجرى
العقلاء في رايتهم لي ساجدين قلت لانه لما وصفها بما هو خاص بالعقلاء وهو السجود اجرى عليها حكمهم كانها
عاقلة وهذا كثير شايع في كلامهم ان يلابس الشي الشي من بعض الوجوه فيعطى حكما من احكامه اظهارا
لاثر الملابسة والمقاربة عرف يعقوب عليه السلام دلالة الرويا على ان يوسف يبلغه الله مبلغا من
الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل باباءه فخاف عليه حسد الاخوة وبغيهم
والرويا بمعنى الروية الا انها مختصة بما كان منها في المنام دون اليقظة فرق بينهما بحرفي
التانيث كما قيل القربة والقربى وقرى روياك بقلب الهمزة واوا وسمع الكسائي رياك ورياك
بالادغام وضم الراء وكسرها وهي ضعيفة لان الواو في تقدير الهمزة فلا يقوى ادغامها كما لم يقو
الادغام في قولهم اتزر من الازار واتجر من الاجر فيكيدوا منصوب باضمار ان والمعنى ان قصصتها
عليهم كادوك فان قلت هلا قيل فيكيدوك كما قيل فكيدوني قلت ضمن معنى فعل يتعدى باللام
ليفيد معنى فعل الكيد مع افادة معنى الفعل المضمن فيكون آكد وابلغ في التخويف وذلك نحو فيحتالوا
لك الا ترى الى تاكيده بالمصدر عدو مبين ظاهر العداوة لما فعل بادم وحوا ولقوله لاقعدن لهم صراطك
المستقيم فهو يحمل على الكيد والمكر وكل شر ليورط من يحمله فلا يومن ان يحملهم على مثله وكذلك
ومثل ذلك الاجتبا يجتبيك ربك يعني وكما اجتباك لمثل هذه الرويا العظيمة الدالة على شرف
وعز وكبريا شان كذلك يجتبيك لامور عظام وقوله ويعلمك كلام مبتدا غير داخل في حكم
التشبيه كانه قيل وهو يعلمك ويتم نعمته عليك والاجتبا الاصطفا افتعال من جبيت الشي اذا
حصلته لنفسك وجبيت الماء في الحوض جمعته والاحاديث الرويا لان الرويا اما حديث نفس او
ملك او شيطان وتاويلها عبارتها وتفسيرها وكان يوسف صلوات الله عليه اعبر الناس للرويا واصحهم
عبارة لها ويجوز ان يراد بتاويل الاحاديث معاني كتب الله وسنن الانبيا وما غمض واشتبه على الناس
من اغراضها ومقاصدها يفسرها لهم ويشرحها ويدلهم على مودعات حكمها وسميت احاديث
لانه يحدث بها عن الله ورسله فيقال قال الله تعالى وقال الرسول كذا وكذا الا ترى الى قوله فباي حديث بعده
يومنون الله نزل احسن الحديث وهو اسم جمع للحديث وليس بجمع احدوثة ومعنى اتمام النعمة
عليهم انه وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الآخرة بان جعلهم انبيا في الدنيا وملوكا ونقلهم عنها الى الدرجات
العلى في الجنة وقيل اتمها على ابرهيم بالخلة والانجاء من النار ومن ذبح الولد وعلى اسحق بانجائه من
الذبح وفدايه بذبح عظيم وباخراج يعقوب والاسباط من صلبه وقيل علم يعقوب عليه السلام ان يوسف
يكون نبيا واخوته انبياء بضوء الكواكب فلذلك قال وعلى آل يعقوب وقيل لما بلغت الرويا اخوة يوسف حسدوه

ابن الاحم

وقالوا ما ينبغي ان يحبه الا اخوته حتى يحبه ابوه وقيل كان يعقوب موثرا له بزيادة المحبة والشفقة
لصغره ولما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما راى الرويا ضاعف له المحبة فكان يضمه كل
ساعة الى صدره ولا يصبر عنه فتبالغ فيهم الحسد وقيل لما قصها على يعقوب قال هذا امر مشتت
يجمعه الله لك بعد دهر طويل وال يعقوب اهله وهم نسله وغيرهم واصل ال الاهل بدليل
تصغيره على اهيل الا انه لا يستعمل الا فيمن له خطر يقال ال النبي وال الملك ولا يقال ال الحايك
ولا ال الحجام ولكن اهلهما واراد بالابوين الجد وابا الجد لانهما في حكم الاب في الاصالة ومن ثم يقولون
ابن فلان وان كانت بينه وبين فلان عدة وابراهيم واسحق عطف بيان لابويك ان ربك عليم بمن يحق
له الاجتبا حكيم لا يتم نعمته الا على من يستحقها في يوسف واخوته اي في قصتهم وحديثهم ايات علامات ودلايل
على قدرة الله وحكمته في كل شيء للسائلين لمن سال عن قصتهم وعرفها وقيل ايات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
للذين سالوه من اليهود عنها فاخبرهم بالصحة من غير سماع من احد ولا قراءة كتاب وقرى اية وفي بعض
المصاحف عبرة وقيل انما قص الله على النبي عليه السلام خبر يوسف وبغي اخوته عليه لما راى من بغي قومه
عليه ليتاسى به وقيل اسامیهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وربالون ويشجر ودينة
ودان ونفتالي وجاد واشر السبعة الاولون كانوا من ليا بنت خالة يعقوب والاربعة
الاخرون من سريتين زلفة وبلهة فلما توفيت ليا تزوج اختها راحيل فولدت له
بنيامين ويوسف ليوسف اللام لام الابتداء وفيها تاكيد وتحقيق لمضمون الجملة اراد ان زيادة
محبته لهما امر ثابت لا شبهة فيه واخوه هو بنيامين وانما قالوا اخوه وهم جميعا اخوته لان امهما
كانت واحدة وقيل احب افعل من حب وهو افعل من المبني للمفعول وانما لم يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر
والمونث اذا كان معه من ولا بد من الفرق مع لام التعريف واذا اضيف جاز الامران والواو
في ونحن عصبة واو الحال يعني انه يفضلهما في المحبة علينا وهما اثنان صغيران لا كفاية فيهما ولا
منفعة ونحن جماعة عشرة رجال كفاة نقوم بمرافقه فنحن احق بزيادة المحبة منهما
لفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما ان ابانا لفي ضلال مبين اي في ذهاب عن طريق الصواب في ذلك
والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا وقيل الى الاربعين سموا بذلك لانهم جماعة تعصب بهم الامور
ويستكفون النوايب وروى النزال بن سبرة عن علي رضي الله عنه ونحن عصبة بالنصب وقيل
معناه ونحن نجتمع عصبة وعن ابن الانباري كما تقول العرب انما العامري عمته اي يتعهد
عمته اقتلوا يوسف من جملة ما حكي بعد قوله اذ قالوا كانهم اتفقوا على ذلك الامر قال لا تقتلوا
يوسف وقيل الامر بالقتل شمعون وقيل دان والباقون كانوا راضين فجعلوا امرين او اطرحوه ارضا ارضا منكورة
مجهولة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها واخلايها من الوصف ولابهامها من هذا الوجه
نصبت نصب الظروف المبهمة يخل لكم وجه ابيكم يقبل عليكم اقباله واحدة لا يلتفت عنكم الى غيركم
والمراد سلامة محبته لكم ممن يشارككم فيها وينازعكم اياها فكان ذكر الوجه لتصوير معنى اقباله عليهم

ان الرجل اذا اقبل على الشيء اقبل بوجهه ويجوز ان يراد بالوجه الذات كما قال ويبقى وجه ربك وقيل يخل لكم يفرغ من الشغل بيوسف من بعده من بعد يوسف اي من بعد كفايته بالقتل والتغريب
او يرجع الضمير الى مصدر اقتلوا واطرحوا قوما صالحين تايبين الى الله مما جنيتم عليه او يصلح
ما بينكم وبين ابيكم بعذر تمهدونه او تصلح دنياكم وتنتظم اموركم بعده بخلو وجه ابيكم
وتكونوا اما مجزوم عطف على يخل لكم واما منصوب باضمار ان والواو بمعنى مع كقوله وتكتموا
الحق قال قائل منهم هو يهوذا وكان احسنهم فيه رايا وهو الذي قال فلن ابرح الارض قال لهم القتل
عظيم لا تقتلوا يوسف والقوه في غيابة الجب وهي غوره وما غاب عنه عن عين الناظر واظلم من اسفله قال
المنخل اذا انا يوما غيبتني غيابتي فسيروا بسيري في العشيرة والاهل اراد غيابة حفرته
التي يدفن فيها وقرى غيابات على الجمع وغيابات بالتشديد وقرا الجحدري غيبة والجب
البير لم تطو لانه ارض تجب جبا الا غير يلتقطه ياخذه بعض السيارة بعض الاقوام الذين يسيرون
في الطريق وقرى تلتقطه بالتا على المعنى لان بعض السيارة سيارة كقوله كما شرقت صدر القناة من الدم
ومنه ذهبت بعض اصابعه ان كنتم فاعلين ان كنتم على ان تفعلوا ما يحصل به غرضكم فهذا هو الراي
ما لك لا تامنا قرى باظهار النونين وبالادغام باشمام وبغير اشمام وتيمنا بكسر التا مع الادغام
والمعنى لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونحبه ونشفق عليه وما وجد منا في بابه ما يدل على خلاف
النصيحة والمقة واراد وا بذلك لما عزموا على كيد يوسف استنزاله عن رايه وعادته في حفظه منهم وفيه
دليل على انه احس منهم بما اوجب ان لا يامنهم عليه يرتع نتسع في اكل الفواكه وغيرها واصل الرتعة
الخصب والسعة وقرى نرتع من ارتعى يرتعي ونلعب بالنون وقرى يرتع ويلعب بالياء ويرتع من ارتع ماشيته
وقرا ابو العلاء بن سيابة يرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء فان قيل كيف استجاز يعقوب عليه السلام
اللعب قلت كان لعبهم الاستباق والانتضال ليضروا انفسهم بما يحتاج اليه لقتال العدو لا للهو
بدليل قولهم انا ذهبنا نستبق وانما سموه لعبا لانه في صورته ليحزنني اللام لام الابتداء كقوله ان
ربك ليحكم بينهم ودخولها احد ما ذكره سيبويه من سببي المضارعة اعتذر اليهم بشيئين احدهما ان
ذهابهم به ومفارقته اياه مما يحزنه لانه كان لا يصبر عنه ساعة والثاني خوفه عليه من عدوة الذيب
اذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم او قل به اهتمامهم ولم تصدق بحفظه عنايتهم وقيل راى في
النوم ان الذيب قد شد على يوسف فكان يحذره فمن ثم قال ذلك فلقنهم العلة وفي امثالهم
البلا موكل بالمنطق وقرى الذيب بالهمز على الاصل وبالتخفيف وقيل اشتقاقه من تذاءبت الريح
اذا اتت من كل جهة القسم محذوف تقديره والله لئن اكله الذيب واللام موطية للقسم وقوله
انا اذا لخاسرون جواب للقسم مجزئ عن جزاء الشرط والواو في ونحن عصبة واو الحال حلفوا لئن
كان ما خافه من خطفة الذيب اخاهم من بينهم وحالهم انهم عشرة رجال بمثلهم تعصب الامور وتكفى الخطوب
انهم اذا القوم خاسرون هالكون ضعفا وخورا وعجزا او مستحقون لان يهلكوا لانه لا غناء عندهم

قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا على يوسف وانا له لناصحون ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون

فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابت الجب واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون وجاءوا اباهم عشاء يبكون قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وجاءوا

ولا حذر في حفظه ثم او مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والدمار وان يقال خسرهم الله ودمرهم حين
اكل الذئب بعضهم وهم حاضرون وقيل ان لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا اذا
وخسرناها فان قلت فقد اعتذر اليهم بعذرين فلم اجابوا عن احدهما دون الاخر قلت هو الذي كان
يغيظهم ويذيقهم الامرين فاعاروه اذنا صما ولم يعبأوا به ان يجعلوه مفعول اجمعوا من
قولك اجمع الامر وازمعه فاجمعوا امركم وقرئ في غيابات الجب قيل هو بير بيت المقدس وقيل
بارض الاردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وجواب لما محذوف
ومعناه فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روي انهم لما برزوا به الى البرية اظهروا له العداوة واخذوا
يهينونه ويضربونه وكلما استغاث بواحد منهم لم يغثه الا بالاهانة والضرب حتى كادوا يقتلونه
فجعل يصيح يا ابتاه لو تعلم ما يصنع بابنك اولاد الاماء فقال يهوذا اما اعطيتموني موثقا
ان لا تقتلوه فلما ارادوا القاءه في الجب تعلق بثيابهم فنزعوها من يديه فتعلق بحائط البير
فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به وانما نزعوه ليلطخوه
بالدم ويحتالوا به على ابيهم فقالوا له ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تونسك ودلوه
في البير فلما بلغ نصفها القوه ليموت وكان في البير ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة فقام عليها
وهو يبكي فنادوه فظن انها رحمة ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه ليقتلوه فمنعهم يهوذا
وكان يهوذا ياتيه بالطعام ويروى ان ابراهيم صلوات الله عليه حين القي في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبريل بقميص من
حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة علقها في عنق يوسف فجاءه جبريل
فاخرجه والبسه اياه واوحينا اليه قيل اوحي اليه في الصغر كما اوحي الى يحيى وعيسى وقيل كان اذ ذاك مدركا وعن الحسن
كان له سبع عشرة سنة لتنبئنهم بامرهم هذا وانما اوحي اليه ليونسه في الظلمة والوحشة ويبشره بما يؤول اليه امره
ومعناه لتتخلصن مما انت فيه ولتحدثن اخوتك بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك يوسف لعلو شانك وكبرياء سلطانك
وبعد حالك عن اوهامهم ولطول العهد المبدل للهيئات والاشكال وذلك انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم
وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم اخ من
ابيكم يقال له يوسف وكان يدنيه دونكم وانكم انطلقتم به والقيتموه في غيابة الجب وقلتم لابيكم اكله الذئب
وبعتموه بثمن بخس ويجوز ان يتعلق وهم لا يشعرون بقوله واوحينا على انا انسناه بالوحي وازلنا عن قلبه
الوحشة وهم لا يشعرون ذلك ويحسبون انه مرهق مستوحش لا انيس له وقرئ لننبئنهم بالنون على انه وعيد
لهم وقوله وهم لا يشعرون متعلق باوحينا لا غير وعن الحسن رضي الله عنه عشيا على تصغير عشي يقال لقيته
عشيا وعشيانا واصيلا واصيلانا وروى ابن جني عشا بضم العين والقصر وقال عشوا من البكاء
وروي ان امراة حاكمت الى شريح فبكت فقال له الشعبي يا ابا امية اما تراها تبكي قال قد جاء اخوة يوسف
يبكون وهم ظلمة ولا ينبغي لاحد ان يقضي الا بما امر ان يقضي به من السنة المرضية وروي انه لما سمع صوتهم
فزع وقال ما لكم يا بني هل اصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال فما لكم واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا

على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون وجاءت سيارة فارسلوا واردهم فادلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام واسروه بضاعة والله عليم بما يعملون

نستبق نتسابق والافتعال والتفاعل يشتركان كالانتضال والتناضل والارتماء والترامي وغير ذلك
والمعنى نتسابق في العدو او في الرمي وجاء في التفسير ننتضل بمؤمن لنا بمصدق لنا ولو كنا صادقين ولو
كنا عندك من اهل الصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وانت سيء الظن بنا غير واثق بقولنا بدم
كذب ذي كذب او وصف بالمصدر مبالغة كانه نفس الكذب وعينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه
والزور بذاته ونحوه فهن به جود وانتم به بخل وقرئ كذبا نصبا على الحال بمعنى جاءوا به كاذبين ويجوز ان
يكون مفعولا له وقرات عائشة رضي الله عنها كدب بالدال غير المعجمة اي كدر وقيل طري وقال ابن جني
اصله من الكدب وهو الفوف البياض الذي يخرج على اظفار الاحداث كانه دم قد اثر في قميصه روي
انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم ان يمزقوه وروي ان يعقوب عليه السلام لما سمع بخبر
يوسف صاح باعلى صوته وقال اين القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص
وقال تالله ما رايت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف
عليه السلام ثلاث ايات كان دليلا ليعقوب على كذبهم والقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف
حين قد من دبر فان قلت على قميصه ما محله قلت محله النصب على الظرف كانه قيل وجاءوا فوق قميصه
بدم كذب كما تقول جاء على جماله باحماله فان قلت هل يجوز ان يكون حالا متقدمة قلت لا لان حال المجرور لا يتقدم
عليه سولت سهلت لكم انفسكم امرا عظيما ارتكبتموه من يوسف وهونته في اعينكم استدل على فعلهم
به بما كان يعرف من حسدهم وبسلامة القميص او اوحى الله بانهم قصدوه فصبر جميل خبر او مبتدا لكونه موصوفا
اي فامري صبر جميل او فصبر جميل امثل وفي قراءة ابي رضي الله عنه فصبرا جميلا والصبر الجميل جاء في الحديث
المرفوع انه الذي لا شكوى فيه ومعناه لا شكوى فيه الى الخلق الا ترى الى قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله وقيل
لا اعايشكم على كآبة الوجه بل اكون لكم كما كنت وقيل سقط حاجبا يعقوب عليه السلام على عينيه فكان يرفعهما
بعصابة فقيل له ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله تعالى اليه يا يعقوب اتشكوني فقال
يا رب خطيئة فاغفرها لي والله المستعان اي استعينه على احتمال ما تصفون من هلاك يوسف والصبر على
الرزء فيه وجاءت سيارة رفقة تسير من قبل مدين الى مصر وذلك بعد ثلاثة ايام من القاء يوسف في الجب فاخطأوا
الطريق فنزلوا قريبا منه وكان الجب في قفرة بعيدة من العمران لم يكن الا للرعاة وقيل كان ماؤه ملحا فعذب
حين القي فيه يوسف فارسلوا رجلا يقال له مالك بن ذعر الخزاعي ليطلب لهم الماء والوارد الذي
يرد الماء ليستقي للقوم يا بشرى نادى البشرى كانه يقول تعالي فهذا من اوانك وقرئ يا بشراي على
اضافتها الى نفسه وفي قراءة الحسن وغيره يا بشريّ بالياء مكان الالف جعلت الياء بمنزلة الكسرة قبل
ياء الاضافة وهي لغة للعرب مشهورة سمعت اهل السروات يقولون في دعائهم يا سيدي وموليّ
وعن نافع برواية ورش يا بشرايْ بالسكون وليس بالوجه لما فيه من التقاء الساكنين على غير حده الا ان يقصد
الوقف فادلى ارسل الدلو ليملأها فادلى دلوه اي ارسلها في الجب فتعلق يوسف بالحبل فلما خرج اذا هو بغلام
احسن ما يكون فقال يا بشراي هذا غلام وقيل ذهب به فلما دنى من اصحابه صاح بذلك يبشرهم به

وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته اكرمي مثواه
عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا

واسروه الضمير للوارد واصحابه اخفوه من الرفقة وقيل اخفوا امره ووجدانهم له في الجب وقالوا
لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وعن ابن عباس رضي الله عنه ان الضمير لاخوة يوسف وانهم
قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد ابق فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه وبضاعة نصب على
الحال اي اخفوه متاعا للتجارة والبضاعة ما بضع من المال للتجارة اي قطع والله عليم بما يعملون
لم يخف عليه اسرارهم او سوء صنيعهم حيث استبضعوا ما ليس لهم او والله عليم بما يعمل اخوة
يوسف بابيهم واخيهم من سوء الصنيع وشروه وباعوه بثمن بخس مبخوس ناقص عن القيمة نقصانا
ظاهرا او زيف ناقص العيار دراهم لا دنانير معدودة قليلة تعد عدا ولا توزن لانهم كانوا لا
يزنون الا ما بلغ الاوقية وهي الاربعون ويعدون ما دونها وقيل للقليلة معدودة لان الكثيرة
يمتنع من عدها لكثرتها وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت عشرين درهما وعن السدي رضي الله عنه
اثنين وعشرين وكانوا فيه من الزاهدين ممن يرغب عما في يده فيبيعه بما طف من الثمن لانهم
التقطوه والملتقط للشيء متهاون به لا يبالي بم باعه ولانه يخاف ان يعرض له مستحق ينتزعه
من يده فيبيعه من اول مساوم باوكس الثمن ويجوز ان يكون معنى وشروه واشتروه يعني الرفقة
من اخوته وكانوا فيه من الزاهدين لانهم اعتقدوا انه ابق فخافوا ان يخطروا بمالهم فيه ويروى ان اخوته
اتبعوهم يقولون استوثقوا منه لا يابق وقوله فيه ليس من صلة الزاهدين لان الصلة لا تتقدم على
الموصول الا تراك لا تقول وكانوا زيدا من الضاربين وانما هو بيان كانه قيل في اي شيء زهدوا فقال زهدوا
فيه وقال الذي اشتراه قيل هو قطفير او اطفير وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان
ابن الوليد رجل من العماليق وقد امن بيوسف ومات في حيوة يوسف فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه
يوسف الى الاسلام فابى واشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة واقام في منزله ثلث عشرة سنة
واستوزره ريان بن الوليد وهو ابن ثلثين سنة وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلث وثلثين سنة وتوفي
وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل كان الملك في ايامه فرعون موسى عاش اربعمائة سنة بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف
من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف وقيل اشتراه العزيز بعشرين دينارا وزوجي
نعل وثوبين ابيضين وقيل ادخلوه السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرا
فابتاعه قطفير بذلك المبلغ اكرمي مثواه اجعلي منزله ومقامه عندنا كريما اي حسنا مرضيا بدليل
قوله انه ربي احسن مثواي والمراد تفقده بالاحسان وتعهده بحسن الملكة حتى تكون نفسه طيبة
في صحبتنا ساكنة في كنفنا ويقال للرجل كيف ابو مثواك وام مثواك لمن ينزل به من رجل او امراة
يراد هل تطيب نفسك بثوائك عنده وهل يراعي حق نزولك به واللام في لامراته متعلقة بقال
لا باشتراه عسى ان ينفعنا لعله اذا تدرب وراض الامور وفهم مجاريها نستظهر به على بعض ما
نحن بسبيله فينفعنا فيه بكفايته وامانته او نتخذه ولدا نتبناه ونقيمه مقام الولد وكان قطفير عقيما
لا يولد له فقد تفرس فيه الرشد فقال ذلك وقيل افرس الناس ثلثة العزيز حين تفرس في يوسف

وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه [illegible]
حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي
انه لا يفلح الظالمون ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه

يوسف فقال لامراته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا والمراة التي اتت موسى عليه السلام وقالت لابيها يا ابت استاجره
وابو بكر حين استخلف عمر رضي الله عنهما وروي انه ساله عن نفسه فاخبره بنسبه فعرفه وكذلك
الاشارة الى ما تقدم من انجائه وعطف قلب العزيز عليه والكاف منصوب بتقدير ومثل ذلك الانجاء
والعطف مكنا له اي كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز كذلك مكنا له في ارض مصر وجعلناه ملكا
يتصرف فيها بامره ونهيه ولنعلمه من تاويل الاحاديث كان ذلك الانجاء والتمكين لان غرضنا ليس
الا ما تحمد عاقبته من علم وعمل والله غالب على امره اي على امر نفسه لا يمنع عما يشاء ولا ينازع
فيما يريد ويقضي او على امر يوسف يدبره لا يكله الى غيره وقد ارادا اخوته به ما ارادوا ولم يكن الا ما
اراد الله ودبره ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيد الله قيل الاشد ثماني عشرة سنة وعشرون
وثلث وثلثون واربعون وقيل اقصاه ثنتان وستون حكما حكمة وهو العلم بالعمل واجتناب ما
يجهل فيه وقيل حكما بين الناس وفقها وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه كان محسنا في عمله متقيا
في عنفوان امره وان الله اتاه الحكم والعلم جزاء على احسانه وعن الحسن رحمه الله من احسن عبادة ربه في
شبيبته اتاه الله الحكمة في اكتهاله والمراودة مفاعلة من راد يرود اذا جاء وذهب كان المعنى خادعته
عن نفسه اي فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد ان يخرجه من يده يحتال ان يغلبه
عليه وياخذه منه وهي عبارة عن التمحل لمواقعته اياها وغلقت الابواب قيل كانت سبعة وقالت
هيت بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء وبنائه كعين واين وعيط وهيت كجير وهيت كحيث وهئت
بمعنى تهيات يقال هاء يهيء كجاء يجيء اذا تهيا وهئت لك واللام من صلة الفعل واما
في الاصوات فللبيان كانه قيل لك اقول هذا كما تقول هلم لك معاذ الله اعوذ بالله معاذا انه
ان الشان والحديث ربي سيدي وما لكي يريد قطفير احسن مثواي حين قال لك اكرمي مثواه فما جزاؤه
ان اخلفه في اهله سوء الخلافة واخونه فيهم انه لا يفلح الظالمون المجازون الحسن بالسيء
وقيل اراد الزناة لانهم ظالمون انفسهم وقيل اراد بربي الله تعالى لانه مسبب الاسباب همّ بالامر
اذا قصده وعزم عليه قال هممت ولم افعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلائله
ومنه قولك لا افعل ذلك ولا كيدا ولا هما اي لا اكاد ان افعله كيدا ولا اهم بفعله هما
حكاه سيبويه ومنه الهمام وهو الذي اذا هم بامر امضاه ولم ينكل عنه وقوله ولقد
همت به معناه ولقد همت بمخالطته وهم بها بمخالطتها لولا ان راى برهان ربه جوابه محذوف
لولا ان راى برهان ربه لخالطها فحذف لان قوله وهم بها يدل عليه كقولك هممت بقتله لولا
اني خفت الله معناه لولا اني خفت الله لقتلته فان قيل كيف جاز ان يكون على نبي الله ان يكون منه هم بالمعصية
وقصد اليها قلت المراد ان نفسه مالت الى المخالطة ونازعت اليها عن شهوة الشباب وقرمه
ميلا يشبه الهم به والقصد اليه وكما تقتضيه صورة تلك الحال التي تكاد تذهب بالعقول والعزائم
وهو يكسر ما به ويرده بالنظر في برهان الله الماخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم ولو لم يكن

ذلك الميل الشديد المسمى همّا لشدته لما كان صاحبه ممدوحا عند الله بالامتناع لان استعظام
الصبر على الابتلاء على حسب عظم الابتلاء وشدته ولو كان همه كهمها عن عزيمة لما مدحه
الله بانه من عباده المخلصين ويجوز ان يريد بقوله وهم بها وشارف ان يهم بها كما يقول الرجل
قتلته لو لم اخف الله يريد مشارفة القتل ومشافهته كانه شرع فيه فان قلت قوله وهم بها داخل
تحت حكم القسم في قوله ولقد همت به ام هو خارج منه قلت الامران جائزان ومن حق القارئ اذا
قدر خروجه من حكم القسم وجعله كلاما براسه ان يقف على قوله ولقد همت به ويبتدئ قوله
وهم بها لولا ان راى برهان ربه وفيه ايضا اشعار بالفرق بين الهمين فان قلت لم جعلت جواب لولا
محذوفا يدل عليه وهم بها وهلا جعلته هو الجواب مقدما قلت لان لولا لا يتقدم عليها جوابها
من قبل انه في حكم الشرط وللشرط صدر الكلام وهو مع ما في حيزه من الجملتين مثل كلمة واحدة ولا
يجوز تقديم بعض الكلمة على بعضها واما حذف بعضها اذا دل الدليل عليه فجائز فان قلت فلم جعلت لولا
متعلقة بهم بها وحده ولم تجعلها متعلقة بجملة قوله ولقد همت به وهم بها لان الهم لا يتعلق
بالجواهر ولكن بالمعاني فلا بد من تقدير المخالطة والمخالطة لا تكون الا من اثنين معا فكانه قيل ولقد
هما بالمخالطة لولا ان منع مانع احدهما قلت نعم ما قلت ولكن الله سبحانه قد جاء بالهمين على سبيل
التفصيل حيث قال ولقد همت به وهم بها فكان اغفاله الغاء له فوجب ان يكون التقدير ولقد همت
بمخالطته وهم بمخالطتها على ان المراد بالمخالطتين توصلها الى ما هو حظها من قضاء شهوتها
منه وتوصله الى ما هو حظه من قضاء شهوته منها لولا ان راى برهان ربه فترك التوصل الى حظه من الشهوة
فلذلك كانت لولا حقيقة بان تعلق بهم بها وحده وقد فسر هم يوسف بانه حل الهميان وجلس منها
مجلس المجامع وبانه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها الاربع وهي مستلقية على قفاها وفسر
البرهان بانه سمع صوتا اياك واياها فلم يكترث له فسمعه ثانيا فلم يعمل به فسمع ثالثا اعرض عنها
فلم ينجع فيه فقال الله لجبريل ادرك عبدي قبل ان يصيب الخطيئة حتى مثل له يعقوب عاضا على انملته وقيل
ضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من انامله وقيل كل ولد يعقوب له اثنا عشر ولدا الا يوسف فانه ولد له احد عشر
ولدا من اجل ما نقص من شهوته حين هم وقيل صيح به يا يوسف لا تكن كالطائر كان له ريش فلما زنى قعد لا
ريش له وقيل بدت كف فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين
فلم ينصرف ثم راى فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم راى فيها واتقوا يوما ترجعون فيه
الى الله فلم ينجع فيه فقال الله لجبريل ادرك عبدي قبل ان يصيب الخطيئة فانحط جبريل وهو يقول يا يوسف
اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب في ديوان الانبياء وقيل راى تمثال العزيز وقيل قامت المراة الى صنم كان هناك
فسترته وقالت استحيي منه ان يرانا فقال يوسف استحييت ممن لا يسمع ولا يبصر ولا استحيي من
السميع البصير العليم بذوات الصدور وهذا ونحوه مما يورده اهل الحشو والجبر الذين دينهم بهت الله تعالى
وانبيائه واهل العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم بحمد الله بسبيل ولو وجدت من يوسف عليه السلام

لولا ان راى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين واستبقا الباب وقدت
قميصه من دبر والفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن
او عذاب اليم

ادنى زلة لنعيت عليه وذكرت توبته واستغفاره كما نعيت على آدم عليه السلام زلته وعلى داود وعلى نوح وعلى
ايوب وعلى ذي النون وذكرت توبتهم واستغفارهم كيف وقد اثنى عليه وسمي مخلصا فعلم بالقطع
انه ثبت في ذلك المقام الدحض وانه جاهد نفسه مجاهدة اولي القوة والعزم ناظرا في دليل التحريم ووجه
القبح حتى استحق من الله الثناء فيما انزل من كتب الاولين ثم في القرآن الذي هو حجة على سائر كتبه ومصدق
لها ولم يقتصر الا على استيفاء قصته وضرب سورة كاملة عليها ليجعل له لسان صدق في الآخرين كما جعله
لجده الخليل ابراهيم وليقتدي به الصالحون الى آخر الدهر في العفة وطيب الازار والتثبت في مواقف العثار
فاخزى الله اولئك في ايرادهم ما يؤدي الى ان يكون انزل الله السورة التي هي احسن القصص في القرآن
العربي المبين ليقتدى بنبي من انبياء الله في القعود بين شعب الزانية وفي حل تكته للوقوع عليها وفي
ان ينهاه ربه ثلث كرات ويصاح به من عنده ثلث صيحات بقوارع القرآن وبالتوبيخ العظيم وبالوعيد
الشديد وبالتشبيه بالطائر الذي سقط ريشه حين سفد غير انثاه وهو جاثم في مربضه لا يتحلحل
ولا ينتهي ولا ينتبه حتى يتداركه الله بجبريل وباجباره ولو ان اوقح الزناة واشطرهم واحدهم
حدقة واجلحهم وجها لقي بادنى ما لقي به نبي الله مما ذكروا لما بقي له عرق ينبض ولا عضو يتحرك
فيا له من مذهب ما افحشه ومن ضلال ما ابينه كذلك الكاف منصوب المحل اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه
او مرفوعه اي الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء من خيانة السيد والفحشاء من الزنا انه من عبادنا
المخلصين الذين اخلصوا دينهم لله وبالكسر الذين اخلصهم الله لطاعته بان عصمهم ويجوز ان يريد بالسوء
مقدمات الفاحشة من القبلة والنظر بشهوة ونحو ذلك وقوله من عبادنا معناه بعض عبادنا اي هو
مخلص من جملة المخلصين او هو ناشئ منهم من ذرية ابراهيم الذين قال فيهم انا اخلصناهم بخالصة واستبقا
الباب وتسابقا الى الباب على حذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه او على تضمين استبقا
معنى ابتدرا نفر منها يوسف فاسرع يريد الباب ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه الخروج فان قلت كيف
وحد الباب وقد جمعه في قوله وغلقت الابواب قلت اراد الباب البراني الذي هو المخرج من الدار والمخلص فقد
روى كعب انه لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الابواب وقدت قميصه
من دبر اجتذبته من خلفه فانقد اي انشق حين هرب منها الى الباب وتبعته تمنعه والفيا سيدها وصادفا
بعلها وهو قطفير تقول المراة لبعلها سيدي وقيل انما لم يقل سيدهما لان ملك يوسف لم يصح فلم يكن سيدا
له على الحقيقة قيل الفياه مقبلا يريد ان يدخل وقيل جالسا مع ابن عم للمراة لما طلع منها زوجها
على تلك الهيئة المريبة وهي مغتاظة على يوسف اذ لم يواتها جاءت بحيلة جمعت فيها غرضيها وهما تبرئة
ساحتها عند زوجها من الريبة والغضب على يوسف وتخويفه طمعا في ان يواتيها خيفة منها
ومن مكرها وكرها لما ايست من مواتاته طوعا الا ترى الى قولها ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وما
نافية اي ليس جزاؤه الا السجن ويجوز ان يكون استفهامية بمعنى اي شيء جزاؤه الا السجن كما تقول من
في الدار الا زيد فان قلت كيف لم تصرح في قولها بذكر يوسف وانه اراد بها سوءا قلت قصدت العموم وان كل

قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من اهلها ... الكاذبين وان كان قميصه
قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما راى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم يوسف اعرض عن هذا
واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين

من اراد باهلك سوءا الحقه ان يسجن او يعذب لان ذلك ابلغ فيما قصدته من تخويف يوسف وقيل العذاب الاليم الضرب بالسياط ولما اغرت به وعرضته للسجن والعذاب وجب عليه الدفع عن نفسه فقال هي راودتني عن نفسي ولولا ذلك لكتم عليها وشهد شاهد من اهلها قيل كان ابن عم لها وانما القى الله الشهادة على لسان من هو من اهلها لتكون اوجب للحجة عليها واوثق لبراءة يوسف وانفى للتهمة عنه وقيل هو الذي كان جالسا مع زوجها لدى الباب وقيل كان حكيما يرجع اليه الملك ويستشيره ويجوز ان يكون بعض اهلها كان في الدار فبصر بها من حيث لا تشعر فاغضبه الله ليوسف بالشهادة له والقيام بالحق وقيل كان ابن خال لها صبيا في المهد وعن النبي عليه السلام تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى فان قلت لم سمي قوله شهادة وما هو بلفظ الشهادة قلت لما ادى مؤدى الشهادة في ان ثبت به قول يوسف وبطل قولها سمي شهادة فان قلت الجملة الشرطية كيف جازت حكايتها بعد فعل الشهادة قلت لانها قول من القول او على ارادة القول كانه قيل وشهد شاهد فقال ان كان قميصه فان قلت ان دل قد قميصه من دبر على انها كاذبة وانها هي التي تبعته واجتذبت ثوبه اليها فقدته فمن اين دل قده من قبل على انها صادقة وانه كان تابعها قلت من وجهين احدهما انه كان تابعها وهي دافعته عن نفسها فقدت قميصه من قدامه بالدفع والثاني ان يسرع خلفها ليلحقها فيتعثر في مقادم قميصه فيشقه وقرئ من قبل ومن دبر بالضم على مذهب الغايات والمعنى من قبل القميص ومن دبره واما التنكير فمعناه من جهة يقال لها دبر وعن ابن ابي اسحاق انه قرا من قبل ومن دبر بالفتح كانه جعلهما علمين للجهتين فمنعهما الصرف للعلمية والتانيث وقرئا بسكون العين فان قلت كيف جاز الجمع بين ان الذي هو للاستقبال وبين كان قلت لان المعنى ان يعلم انه كان قميصه قد ونحوه قولك ان احسنت الي فقد احسنت اليك من قبل لمن يمتن عليك باحسانه تريد ان تمتن علي امتن عليك فلما راى يعني قطفير وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها قال انه ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان هذا الامر وهو طمعها في يوسف من كيدكن الخطاب لها ولامتها وانما استعظم كيد النساء لانه وان كان في الرجال الا ان النساء الطف كيدا وانفذ حيلة ولهن في ذلك رفق وبذلك يغلبن الرجال ومنه قوله ومن شر النفاثات في العقد والقصريات منهن معهن ما ليس مع غيرهن من البوائق وعن بعض العلماء انا اخاف من النساء اكثر مما اخاف من الشيطان لان الله تعالى يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء ان كيدكن عظيم يوسف حذف منه حرف النداء لانه منادى قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله اعرض عن هذا الامر واكتمه ولا تحدث به واستغفري انت لذنبك انك كنت من الخاطئين بلفظ التذكير تغليبا للذكور على الاناث وما كان العزيز الا رجلا حليما وروي انه كان قليل الغيرة وقال

نسوة وقال جماعة من النساء وكن خمسا امراة الساقي وامراة الخباز وامراة صاحب الدواب وامراة صاحب السجن وامراة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المراة وتانيثه غير حقيقي كتانيث اللمة ولذلك لم تلحق فعله تاء التانيث وفيه لغتان كسر النون وضمها في المدينة في مصر امراة العزيز يريدن قطفير والعزيز الملك بلسان العرب فتاها غلامها يقال فتاي وفتاتي اي غلامي وجاريتي شغفها خرق حبه شغاف قلبها حتى وصل الى الفؤاد والشغاف حجاب القلب وقيل جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب قال النابغة وقد حال هم دون ذلك والج مكان الشغاف تبتغيه الاصابع وقرئ شغفها بالعين من شعف البعير اذا هناه فاحرقه بالقطران قال كما شعف المهنوءة الرجل الطالي وحبا نصب على التمييز في ضلال مبين في خطا وبعد عن طريق الصواب بمكرهن باغتيابهن وسوء قالتهن وقولهن امراة العزيز عشقت عبدها الكنعاني ومقتها وسمي الاغتياب مكرا لانه في خفية وحال غيبة كما يخفي الماكر مكره وقيل كانت استكتمتهن سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن دعتهن قيل دعت اربعين امراة منهن الخمس المذكورات واعتدت لهن متكأ ما يتكئن عليه من نمارق قصدت بتلك الهيئة وهي قعودهن متكئات والسكاكين في ايديهن ان يدهشن ويبهتن عند رؤيته ويشغلن عن نفوسهن فتقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها لان المتكئ اذا بهت لشيء وقعت يده على يده ولا يبعد ان تقصد الجمع بين المكر به وبهن فتفضح الخناجر في ايديهن ليقطعن ايديهن فتبكتهن بالحجة ولتهول يوسف من مكرها اذا خرج على اربعين نسوة مجتمعات في ايديهن الخناجر توهمه انهن يثبن عليه وقيل متكأ مجلس طعام لانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك نهي ان ياكل الرجل متكئا واتتهن السكاكين ليحتززن بها ما ياكلن وقيل متكأ طعاما من قولك اتكأنا عند فلان طعمنا على سبيل الكناية لان من دعوته ليطعم عندك اتخذت له تكأة يتكئ عليها قال جميل فظللنا بنعمة واتكأنا وشربنا الحلال من قلله وعن مجاهد رضي الله عنه متكأ طعاما يحز حزا كان المعنى يعتمد بالسكين لان القاطع يعتمد على المقطوع بالسكين وقرئ متكا بغير همز وعن الحسن رحمه الله متكاء بالمد كانه مفتعال وذلك لاشباع فتحة الكاف كقوله بمنتزاح بمعنى بمنتزح ونحو ينباع بمعنى ينبع وقرئ متكا وهو الاترج وانشد فاهدت متكة لبني ابيها تخب بها العثمثمة الوقاح وكانت اهدت اترجة على ناقة وكانها الاترجة التي ذكرها ابو داود في سننه انها شقت بنصفين وحملا كالعدلين على جمل وقيل الزماورد وعن وهب اترجا وموزا وبطيخا وقيل اعتدت لهن ما يقطع من متك الشيء بمعنى بتكه اذا قطعه وقرا الاعرج متكا مفعلا من تكئ يتكا اذا اتكا اكبرنه عظمنه وهبن ذلك الحسن الرائع والجمال الفائق قيل كان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء وعن النبي صلى الله عليه وسلم مررت بيوسف الليلة التي عرج بي الى السماء فقلت لجبريل من هذا فقال يوسف فقيل يا رسول الله كيف رايته قال كالقمر ليلة البدر وقيل كان يوسف اذا سار في ازقة مصر يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس من الماء عليها وقيل ما كان احد يستطيع وصف يوسف وقيل كان يشبه آدم يوم خلقه ربه وقيل ورث الجمال

مرهقة شارة وقيل اكبرن بمعنى حضن والها للسكت يقال اكبرت المراة اذا حاضت وحقيقته دخلت
في الكبر لانها بالحيض تدخل وتخرج من حد الصغر الى حد الكبر وكان ابا الطيب اخذ من هذا التفسير قوله
خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت في الخدور العواتق وقطعن ايديهن جرحنها كما
تقول كنت اقطع اللحم فقطعت يدي تريد جرحتها حاشا كلمة تفيد معنى التنزيه في باب
الاستثنا تقول اسا القوم حاشا زيد وقال حاشا ابي ثوبان ان به ضنا عن الملحاة والشتم
وهي حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراة فمعنى حاشا الله براة الله وتنزيه
لله وهي قراة ابن مسعود رضي الله عنه على اضافة حاشا الى الله اضافة البراة ومن قرا حاشا لله فهو كقولك
سقيا لك كانه قال براة ثم قال لله لبيان من يبرى وينزه والدليل على تنزيل حاشا منزلة المصدر قراة
ابي السماك حاشا لله بالتنوين وقراة ابي عمرو حاش لله بحذف الالف الاخرة وقرا الاعمش حشا لله بحذف
الاولى وقري حاش لله بسكون الشين على ان الفتحة اتبعت الالف في الاسقاط وهي ضعيفة لما فيها
من التقا الساكنين على غير حده وقري حاش الاله فان قلت فلم جاز في حاشا لله ان لا ينون بعد اجرائه مجرى
براة لله قلت مراعاة لاصله الذي هو الحرف فيه الا ترى الى قولهم جلست من عن يمينه كيف تركوا عن غير
معرب على اصله وعلى في قوله غدت من عليه منقلب الالف الى اليا مع الضمير والمعنى تنزيه الله من
صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله واما قوله حاشا لله ما علمنا عليه من سوء فالتعجب
من قدرته على خلق عفيف مثله ما هذا بشرا نفين عنه البشرية لغرابة جماله ومباعدة حسنه لما عليه
محاسن الصور واثبتن له الملكية وبتتن بها الحكم وذلك لان الله عز وجل ركز في الطباع ان لا احسن
من الملك كما ركز فيها ان لا اقبح من الشيطان ولذلك يشبه كل متناه في الحسن والقبح بهما وما ركز ذلك فيها
الا لان الحقيقة كذلك كما ركز في الطباع ان لا ادخل في الشر من الشياطين ولا اجمع للخير من الملكية
الا ما عليه الفئة الخارجية المجبرة من تفضيل الانسان على الملك وما هو من تعكيسهم للحقائق وجحودهم
للعلوم الضرورية ومكابرتهم في كل باب واعمال ما عمل ليس هي اللغة القدمى الحجازية وبها ورد القران
ومنها قوله وما هن امهاتهم ومن قرا على سليقته من بني تميم قرا بشر بالرفع وهي قراة ابن مسعود وقري ما
هذا بشرى اي ما هو بعبد مملوك لئيم ان هذا الا ملك كريم تقول هذا بشرى اي حاصل بشرى بمعنى هذا مشترى
وتقول هذا لك بشرى ام بكرا والقراة هي الاولى لموافقتها المصحف ومطابقة بشر لملك قالت فذلكن
ولم تقل فهذا وهو حاضر رفعا لمنزلته في الحسن واستحقاق ان يحب وتفتتن به وربا بحاله واستبعادا
لمحله ويجوز ان يكون اشارة الى المعنى بقولهن عشقت عبدها الكنعاني تقول هو ذلك العبد الكنعاني الذي
صورتن في انفسكن ثم لمتنني فيه تعني انكن لم تصورنه حق صورته ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني
في الافتتان به فاستعصم بنا مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كانه في عصمة وهو
يجتهد في الاستزادة منها ونحوه استمسك واستوسع الفتق واستجمع الراي واستفحل الخطب وهذا
بيان لما كان من يوسف عليه السلام لا مزيد عليه وبرهان لا شي انور منه على انه بري مما اضاف اليه اهل الحشو مما فسروا

السجن العلم ثم بدا لهم من بعد ما راوا الايات

به الهم والبرهان فان قلت لضمير في امره الى الموصول ام الى يوسف قلت بل الى الموصول والمعنى ما امر
به فحذف الجار كما في قولك امرتك الخير ويجوز ان تجعل ما مصدرية فيرجع الى يوسف ومعناه ولئن لم
يفعل امري اياه اي موجب امري ومقتضاه قري وليكونن بالتشديد والتخفيف والتخفيف اولى لان النون
كتبت في المصحف الفا على حكم الوقف وذلك لا يكون الا في الخفيفة وقري السجن بالفتح على المصدر وقال ان لا تكونن
على اسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن تنصحن له وزين له مطاوعتها وقلن له اياك والقا نفسك في السجن والصغار
فالتجا الى ربه عند ذلك وقال رب نزول السجن احب الي من ركوب المعصية فان قلت نزول السجن مشقة على النفس
شديدة وما دعونه اليه لذة عظيمة فكيف كانت المشقة احب اليه من اللذة قلت كانت احب اليه واثر عنده نظرا
في حسن الصبر على احتمالها لوجه الله وفي قبح المعصية وفي عاقبة كل واحدة منهما لا نظرا الى مشتهى النفس ومكروهها
والا تصرف عني كيدهن فزع منه الى الطاف الله وعصمته كعادة الانبياء والصالحين فيما عزم عليه ووطن عليه
نفسه من الصبر لا ان يطلب منه الاجبار على التعفف والالجاء اليه اصب اليهن امل اليهن والصبوة
الميل الى الهوى ومنها الصبا لان النفوس تصبوا اليها لطيب نسيمها وروحها وقري اصب اليهن من
الصبابة من الجاهلين من الذين لا يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى لعلمه فهو ومن لا يعلم سوا او من السفهاء
لان الحكيم لا يفعل القبيح وانما ذكر الاستجابة ولم يتقدم الا قوله الدعا لان قوله والا تصرف عني فيه معنى
طلب الصرف والدعا بالطف السميع لدعوات الملتجين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم بدا لهم فاعله
مضمر لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجننه والمعنى بدا لهم بدا اي ظهر لهم راي ليسجننه
والضمير في لهم للعزيز واهله من بعد ما راوا الايات وهي الشواهد على براته وما كان ذلك الا باستنزال
المراة لزوجها وفتلها منه في الذروة والغارب وكان مطواعة لها وجميلا ذلولا زمامه في يدها
حتى انساه ذلك ما عاين من الايات وعمل برايها في سجنه والحاق الصغار به كما اوعدته به وذلك لما
ايست من طاعته لها او لطمعها في ان يذلله السجن ويسخره لها وفي قراة الحسن لتسجننه بالتاء على
الخطاب خاطب به بعضهم العزيز ومن يليه او العزيز وحده على وجه التعظيم حتى حين الى زمان
كانها اقترحت ان يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون منه وفي قراة ابن مسعود رضي الله عنه
عتى حين وهي لغة هذيل وعن عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا يقرا عتى حين فقال من اقراك قال
ابن مسعود فكتب اليه ان الله انزل هذا القران فجعله عربيا وانزله بلغة قريش فاقرئ الناس بلغة قريش
ولا تقرئهم بلغة هذيل والسلام مع يدل على معنى الصحبة واستحداثها تقول خرجت مع الامير تريد
مصاحبا له فيجب ان يكون دخولهما السجن مصاحبين له فتيان عبدان للملك خبازه وشرابيه رقي
اليه انهما يسمانه فامر بهما الى السجن فادخلا السجن ساعة ادخل يوسف اني اراني يعني في المنام وهي
حكاية حال ماضية اعصر خمرا يعني عنبا تسمية للعنب بما يؤول اليه وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب
وفي قراة ابن مسعود اعصر عنبا من المحسنين من الذين يحسنون عبارة الرؤيا اي يجيدونها راياه يقص عليه بعض
اهل السجن رؤياه فيؤولها لها فقالا له ذلك او من العلما لانهما سمعاه يذكر للناس ما علما به انه عالم او من المحسنين
الى اهل السجن فاحسن الينا بان تفرج عنا الغمة بتاويل ما رايناه ان كانت لك يد في تاويل الرؤيا وروي انه كان
ليسجنه حتى حين ودخل معه السجن فتيان قال احدهما اني اراني اعصر خمرا وقال الاخر اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاكل الطير منه نبئنا
انا نريك من المحسنين

قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله قبل ان ياتيكما ذلكما مما علمني ربي اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله
وهم بالاخرة هم كافرون واتبعت ملة اباءي ابراهيم واسحق ويعقوب ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء ذلك من
فضل الله علينا وعلى الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون

اذا مرض رجل منهم قام عليه واذا ضاق اوسع له واذا احتاج جمع له وعن قتادة كان في السجن ناس
قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا واصبروا تؤجروا وان لهذا لاجرا فقالوا بارك
الله عليك ما احسن وجهك واحسن خلقك لقد بورك لنا في جوارك فمن انت يا فتى قال انا يوسف
صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابراهيم فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكني
احسن جوارك فكن في اي بيوت السجن شئت وروي ان الفتيين قالا له انا لنحبك من حين رايناك فقال انشدكما
بالله ان لا تحباني فوالله ما احبني احد قط الا دخل علي من حبه بلاء لقد احبتني عمتي فدخل علي من حبها
بلاء ثم احبني ابي فدخل علي من حبه بلاء ثم احبتني زوجة صاحبي فدخل علي من حبها بلاء فلا تحباني بارك
الله فيكما وعن الشعبي انهما تحالما له ليمتحناه فقال الشراني اراني في بستان فاذا باصل حبلة عليها
ثلاثة عناقيد من عنب فقطعتها وعصرتها في كاس الملك وسقيته وقال الخباز اني اراني وفوق
راسي ثلاث سلال فيها انواع الاطعمة واذا سباع الطير تنهش منها فان قلت الام يرجع الضمير في قوله
نبئنا بتاويله قلت الى ما قصا عليه والضمير يجري مجرى اسم الاشارة في نحو كانه قيل نبئنا بتاويل ذلك
لما استعبراه ووصفاه بالاحسان افترض ذلك فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلماء وهو
الاخبار بالغيب وانه ينبئهما بما يحمل اليهما من الطعام في السجن قبل ان ياتيهما ويصفه لهما ويقول اليوم
ياتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه كما اخبرهما وجعل ذلك تخلصا الى ان يذكر لهما التوحيد
ويعرض عليهما الايمان ويزينه لهما ويقبح اليهما الشرك بالله وهذه طريقة على كل ذي علم ان
يسلكها مع الجهال والفسقة اذا استفتاه واحد منهم ان يقدم الهداية والارشاد والموعظة
والنصيحة اولا ويدعوه الى ما هو اولى به واوجب عليه مما استفتى فيه ثم يفتيه بعد ذلك وفيه ان العالم
اذا جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده وغرضه ان يقتبس منه وينتفع به في الدين لم يكن
من باب التزكية بتاويله ببيان ماهيته وكيفيته لان ذلك يشبه تفسير المشكل والاعراب عن معناه ذلكما
اشارة لهما الى التاويل اي ذلك التاويل والاخبار بالمغيبات مما علمني ربي واوحى به الي ولم اقله
عن تكهن وتنجم اني تركت يجوز ان يكون كلاما مبتدا وان يكون تعليلا لما قبله اي علمني ذلك واوحى الي
لاني رفضت ملة اولئك واتبعت ملة الانبياء المذكورين وهي الملة الحنيفية واراد باولئك الذين لا يؤمنون
اهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم وتكريرهم للدلالة على انهم خصوصا كافرون بالاخرة وان غيرهم قوم
مؤمنون بها وهم الذين على ملة ابراهيم ولتوكيد كفرهم بالجزاء تنبيها على ما هم عليه من الظلم والكبائر التي
لا يرتكبها الا من هو كافر بدار الجزاء ويجوز ان يكون فيه تعريض بما مني من جهتهم حين اودعوه السجن
بعدما راوا الايات الشاهدة على براءته وان ذلك ما لا يقدم عليه الا من هو شديد الكفر بالجزاء وذكر اباءه
ليريهما انه من بيت النبوة بعد ان عرفهما انه نبي يوحى اليه بما ذكر من اخباره بالغيوب ليقوي رغبتهما
في الاستماع اليه واتباع قوله ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبياء ان نشرك بالله اي شيء كان من ملك او جني
او انسي فضلا ان نشرك به صنما لا يسمع ولا يبصر ذلك التوحيد من فضل الله علينا وعلى الناس
اي على الرسل وعلى المرسل اليهم لانهم نبهوهم عليه وارشدوهم اليه ولكن اكثر الناس المبعوث اليهم

يا صاحبي السجن ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم
ما انزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله امر ان لا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا
يعلمون يا صاحبي السجن اما احدكما فيسقي ربه خمرا واما الاخر فيصلب فتاكل الطير من راسه قضي الامر الذي فيه تستفتيان وقال
للذي ظن انه ناج منهما اذكرني عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين

لا يشكرون فضل الله فيشركون ولا ينتبهون وقيل ان ذلك من فضل الله علينا لانه نصب لنا الادلة التي ننظر
فيها ونستدل بها وقد نصب مثل تلك الادلة لساير الناس من غير تفاوت ولكن اكثر الناس لا ينظرون
ولا يستدلون اتباعا لاهوائهم فيبقون كافرين غير شاكرين يا صاحبي السجن يريد يا صاحبي في السجن
فاضافهما الى السجن كما يقول يا سارق الليلة فكما ان الليل مسروق فيها غير مسروق فكذلك السجن
مصحوب فيه غير مصحوب وانما المصحوب غيره وهو يوسف عليه السلام ونحوه قولك لصاحبيك يا صاحبي
الصدق فتضيفهما الى الصدق ولا تريد انهما صحبا الصدق ولكن كما تقول رجلا صدق وسميتهما
صاحبين لانهما صحباك ويجوز ان يريد يا ساكني السجن كقوله اصحاب النار واصحاب الجنة ارباب متفرقون
يريد التفرق في العدد والتكاثر يقول ان تكون لكما ارباب شتى يستعبدكما هذا ويستعبدكما هذا
خير لكما ام ان يكون لكما رب واحد قهار لا يغالب ولا يشارك في الربوبية بل هو القهار الغالب وهذا
مثل ضربه الله لعبادة الله وحده ولعبادة الاصنام ما تعبدون خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل
مصر الا اسماء يعني انكم سميتم ما لا يستحق الالهية الهة ثم طفقتم تعبدونها فكانكم لا تعبدون الا
اسماء فارغة لا مسميات تحتها ومعنى سميتموها سميتم بها يقال سميته بزيد وسميته زيدا ما انزل
الله بها اي بتسميتها من سلطان من حجة ان الحكم في امر العبادة والدين الا لله ثم بين ما حكم به فقال امر ان لا
تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم الثابت الذي دلت عليه البراهين اما احدكما يريد الشرابي فيسقي ربه
سيده اي يسقي ما يروى به على البناء للمفعول روي انه قال للاول ما رايت من الكرمة وحسنها هو الملك وحسن
حالك عنده واما القضبان الثلاثة فانها ثلاثة ايام تمضي ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقال للثاني
ما رايت من السلال ثلاثة ايام ثم تخرج فتقتل قضي الامر قطع وتم ما تستفتيان فيه من امركما وشانكما
فان قلت ما استفتيا في امر واحد بل في امرين مختلفين فما وجه التوحيد قلت المراد بالامر ما اتهما به
من سم الملك وما سجنا من اجله وظنا ان ما راياه في معنى ما نزل بهما فكانهما كانا يستفتيانه في الامر
الذي نزل بهما اعاقبته نجاة ام هلاك فقال لهما قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي ما يجر اليه
من العاقبة وهي هلاك احدهما ونجاة الاخر وقيل جحدا وقالا ما راينا شيئا على ما روي انهما تحالما
له فاخبرهما ان ذلك كاين صدقتما او كذبتما ظن انه ناج الظان هو يوسف عليه السلام ان كان تاويله
بطريقة الاجتهاد وان كان بطريق الوحي فالظان هو الشرابي او يكون الظن بمعنى اليقين اذكرني
عند ربك صفني عند الملك بصفتي وقص عليه قصتي لعله يرحمني وينتاشني من هذه الورطة فانساه
الشيطان فانسى الشرابي ذكر ربه ان يذكره لربه وقيل فانسى يوسف ذكر الله حين وكل امره الى غيره
بضع سنين البضع ما بين الثلاث الى التسع واكثر الاقاويل على انه لبث فيه سبع سنين فان قلت كيف
يقدر الشيطان على الانساء قلت يوسوس الى العبد بما يشغله عن الشيء من اسباب النسيان حتى يذهب عنه
ويزول عن قلبه ذكره واما الانساء ابتداء فلا يقدر عليه الا الله عز وجل ما ننسخ من اية او ننسها فان قلت
ما وجه اضافة الذكر الى ربه اذا اريد به الملك وما هي باضافة المصدر الى الفاعل ولا الى المفعول قلت

وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات

قد لبثه في قولك فأنساه الشيطان ذكره لربه او عند ربه فجازت اضافته اليه لان الاضافة تكون بادنى ملابسة او على تقدير فأنساه الشيطان ذكر اخبار ربه فحذف المضاف الذي هو الاخبار فان قلت لم أنكر على يوسف عليه السلام الاستعانة بغير الله في كشف ما كان فيه وقد قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وقال حكاية عن عيسى عليه السلام من انصاري الى الله وفي الحديث الله في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه من فرج عن مؤمن كربة فرج الله عنه كربة من كرب الآخرة وعن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه لم يأخذه النوم ليلة من الليالي وكان يطلب من يحرسه حتى جاء سعد فسمعت غطيطه وهل ذلك الا مثل التداوي بالادوية والتقوي بالاشربة والاطعمة وان كان ذلك لان الملك كان كافرا فلا خلاف في جواز ان يستعان بالكفار في دفع الظلم والغرق والحرق ونحو ذلك من المضار قلت كما اصطفى الله الانبياء على خليقته فقد اصطفى لهم احسن الامور وافضلها واولاها والاحسن والاولى بالنبي ان لا يكل امره اذا ابتلي ببلاء الا الى ربه ولا يعتضد الا به خصوصا اذا كان المعتضد به كافرا لئلا يشمت به الكفار ويقولوا لو كان هذا على الحق وكان له رب يغيثه لما استغاث بنا وعن الحسن رحمه الله انه كان يبكي اذا قرأها ويقول نحن اذا نزل بنا امر فزعنا الى الناس لما دنا فرج يوسف عليه السلام رأى ملك مصر الريان بن الوليد رؤيا عجيبة هالته رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا اخر يابسات قد استحصدت وادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فاستعبرها فلم يجد في قومه من يحسن عبارتها سمان جمع سمين وسمينة وكذلك رجال ونسوة كرام فان قلت هل من فرق بين ايقاع سمان صفة للمميز وهو بقرات دون المميز وهو سبع وبين ان يقال سبع بقرات سمانا قلت اذا اوقعتها صفة لبقرات فقد قصدت الى ان تميز السبع بنوع من البقرات وهي السمان منهن لا بجنسهن ولو وصفت بها السبع لقصدت الى تمييز السبع بجنس البقرات لا بنوع منها ثم رجعت فوصفت المميز بالجنس بالسمن فان قلت هلا قيل سبع عجاف على الاضافة قلت التمييز موضوع لبيان الجنس والعجاف وصف لا يقع البيان به وحده فان قلت فقد يقولون ثلاثة فرسان وخمسة اصحاب قلت الفارس والصاحب والراكب ونحوها صفات جرت مجرى الاسماء فاخذت حكمها وجاز فيها ما لم يجز في غيرها الا تراك لا تقول عندي ثلاثة ضخام واربعة غلاظ فان قلت ذلك مما يشكل وما نحن بسبيله لا اشكال فيه الا ترى انه لم يقل وبقرات سبع عجاف لوقوع العلم بان المراد البقرات قلت ترك الاصل لا يجوز مع وقوع الاستغناء عما ليس باصل وقد وقع الاستغناء بقولك سبع عجاف عما تقترحه من التمييز بالوصف والعجف الهزال الذي ليس بعده والسبب في وقوع عجاف جمعا لعجفاء وافعل وفعلاء لا يجمعان على فعال حمله على سمان لانه نقيضه ومن دأبهم حمل النظير على النظير والنقيض على النقيض فان قلت هل في الآية دليل على ان السنبلات اليابسة كانت سبعا كالخضر قلت الكلام مبني على انصبابه الى هذا العدد في البقرات السمان والعجاف والسنابل الخضر فوجب ان يتناول معنى الاخر السبع ويكون قوله واخر يابسات بمعنى وسبعا اخر فان قلت هل يجوز ان يعطف قوله واخر يابسات على سنبلات خضر فيكون مجرور المحل قلت يؤدي الى تدافع وهو ان عطفها على سنبلات خضر يقتضي ان تدخل في حكمها فيكون معها مميزا للسبع المذكورة ولفظ الاخر يقتضي ان يكون غير السبع بيانه

يا ايها الملأ افتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون قالوا اضغاث احلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين وقال الذي نجا منهما وادكر بعد امة انا انبئكم بتأويله فارسلون يوسف ايها الصديق افتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات لعلي

انك تقول عنده سبعة رجال قيام وقعود بالجر فيصح لانك ميزت السبعة برجال موصوفين بالقيام والقعود على ان بعضهم قيام وبعضهم قعود فلو قلت عنده سبعة رجال قيام وآخرين قعود تدافع ففسد يا ايها الملأ كأنه نادى الاعيان من العلماء والحكماء واللام في قوله للرؤيا اما ان تكون للبيان كقوله وكانوا فيه من الزاهدين واما ان تدخل لان العامل اذا تقدم عليه معموله لم يكن في قوته على العمل فيه مثله اذا تأخر عنه فعضد بها كما يعضد بها اسم الفاعل اذا قلت هو عابر للرؤيا لانحطاطه عن الفعل في القوة ويجوز ان يكون للرؤيا خبر كان كما تقول كان فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون خبرا آخر او حالا وان يضمن تعبرون معنى فعل يتعدى باللام كأنه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر امرها كما تقول عبرت النهر اذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه وهو عبره ونحوه اولت الرؤيا اذا ذكرت مآلها وهو مرجعها وعبرت الرؤيا بالتخفيف هو الذي اعتمده الاثبات ورأيتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر وقد عثرت على بيت انشده المبرد في كتاب الكامل لبعض الاعراب

رأيت رؤيا ثم عبرتها وكنت للاحلام عبارا

اضغاث احلام تخاليطها واباطيلها وما يكون منها من حديث نفس او وسوسة شيطان واصل الاضغاث ما جمع من اخلاط النبات وحزم الواحد ضغث فاستعيرت لذلك والاضافة بمعنى من اي اضغاث من احلام والمعنى هي اضغاث احلام فان قلت ما هو الا حلم واحد فلم قالوا اضغاث احلام فجمعوا قلت هو كما تقول فلان يركب الخيل ويلبس عمائم الخز لمن لا يركب الا فرسا واحدا وما له الا عمامة فردة تزيدا في الوصف فهؤلاء ايضا تزيدوا في وصف الحلم بالبطلان فجعلوه اضغاث احلام ويجوز ان يكون قد قص عليهم مع هذه الرؤيا رؤيا غيرها وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين اما ان يريدوا بالاحلام المنامات الباطلة خاصة فيقولوا ليس لها تأويل عندنا فان التأويل انما هو للمنامات الصحيحة الصالحة واما ان يعترفوا بقصور علمهم وانهم ليسوا في تأويل الاحلام بنحارير وادكر بالدال وهو الفصيح وعن الحسن رحمه الله واذكر بالذال اي تذكر الذي نجا من الفتيين من القتل يوسف وما شاهد منه بعد امة بعد مدة طويلة وذلك انه حين استفتى الملك في رؤياه واعضل على الملأ تأويلها تذكر الناجي يوسف وتأويله رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه اليه ان يذكره عند الملك وقرأ الاشهب العقيلي بعد امة بكسر الهمزة والامة النعمة قال عدي

ثم بعد الفلاح والملك والامة وارتهم هناك القبور

اي بعد ما انعم عليه بالنجاة وقرئ بعد امه بعد نسيان تقول امه يأمه امها اذا نسي ومن قرأ بسكون الميم فقد خطئ انا انبئكم بتأويله انا اخبركم به عمن عنده علمه وفي قراءة الحسن انا آتيكم بتأويله فارسلون فابعثوني اليه لاسأله ومروني باستعباره وعن ابن عباس لم يكن السجن في المدينة المعنى فارسلوه الى يوسف فأتاه فقال يوسف ايها الصديق ايها البليغ في الصدق وانما قال له ذلك لانه ذاق احواله وتعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث جاء كما اول ولذلك كلمه كلام محترز فقال لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون لانه ليس على يقين من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم فربما لم يعلموا ومعنى لعلهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك ويخلصوك من محبسك تزرعون خبر في معنى الامر كقوله تؤمنون بالله واليوم الآخر وتجاهدون

ارجع الى الناس لعلهم يعلمون قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تأكلون ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ان ربي بكيدهن عليم قال

واما يخرج الامر في صورة الخبر للمبالغة في ايجاد المامور به فيجعل كانه يوجد فهو يخبر عنه والدليل
على كونه في معنى الامر قوله فذروه دأبا بسكون الهمزة وتحريكها وهما مصدرا دأب في العمل وهو حال
من المامورين اي دائبين اما على تدأبون دأبا واما على ايقاع المصدر حالا بمعنى ذوي دأب فذروه في سنبله
لئلا يتسوس ياكلن من الاسناد المجازي جعل اكل اهلهن مسندا اليهن تحصنون تحرزون للبذار
يغاث الناس من الغوث او من الغيث يقال غيثت البلاد اذا مطرت ومنه قول الاعرابية غثنا ما شئنا
يعصرون ما يعصر كالعنب والزيتون والسمسم وقيل يحلبون الضروع وقرئ تعصرون وقرئ على البناء
للمفعول من عصره اذا انجاه وهو مطابق للاغاثة ويجوز ان يكون المبني للفاعل على معنى ينجون كانه قيل يغاث
الناس وفيه يغيثون اي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا وقيل يعصرون يمطرون من اعصرت السحابة
وفيه وجهان اما ان يضمن اعصرت معنى مطرت فيعدى تعديته واما ان يقال الاصل اعصرت عليهم
فحذف الجار واوصل الفعل تأول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف
واليابسات بسنين مجدبة ثم بشرهم بعد الفراغ من تاويل الرؤيا بان العام الثامن يجي مباركا
خصيبا كثير الخير غزير النعم وذلك من جهة الوحي وعن قتادة زاده الله علم سنة فان قلت معلوم
ان السنين المجدبة اذا انتهت كان انتهاؤها بالخصب والا لم توصف بالانتهاء فلم قلت ان علم ذلك من جهة
الوحي قلت ذلك معلوم علما مطلقا لا مفصلا وقوله فيه يغاث الناس وفيه يعصرون تفصيل لحال العام وذلك
لا يعلم الا بالوحي انما تأنى وتثبت في اجابة الملك وقدم سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته عما قرف
به وسجن فيه لئلا يتسلق به الحاسدون الى تقبيح امره عنده ويجعلوه سلما الى حط منزلته لديه ولئلا يقولوا
ما خلد في السجن سبع سنين الا لامر عظيم وجرم كبير حق به ان يسجن ويعذب ويستكف شره وفيه
دليل على ان الاجتهاد في نفي التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف في مواقفها قال عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم
الاخر فلا يقفن مواقف التهم ومنه قال رسول الله عليه السلام للمارين به في معتكفه وعنده بعض نسائه هي فلانة
اتقاء للتهمة وعنه عليه السلام لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات
العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترطت ان يخرجوني ولقد عجبت منه حين اتاه الرسول
فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وبادرتهم الباب ولما
ابتغيت العذر ان كان لحليما ذا اناة وانما قال سل الملك عن شان النسوة ولم يقل سله ان يفتش
عن شانهن لان السؤال مما يهيج الانسان ويحركه للبحث عما سئل عنه فاراد ان يورد عليه السؤال
ليجد في التفتيش عن حقيقة القصة وفص الحديث حتى يتبين له براءته بيانا مكشوفا يتميز فيه الحق
من الباطل وقرئ النسوة بضم النون ومن كرمه وحسن ادبه انه لم يذكر سيدته مع ما صنعت به وتسببت
فيه من السجن والعذاب واقتصر على ذكر المقطعات ايديهن ان ربي ان الله تعالى بكيدهن عليم اراد
انه كيد عظيم لا يعلمه الا الله لبعد غوره او استشهد بعلم الله على انهن كدنه وانه بريء مما قرف به
او اراد الوعيد لهن اي هو عليم بكيدهن مجازيهن عليه ما خطبكن ما شانكن اذ راودتن

اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امراة العزيز الآن حصحص الحق
انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب وان الله لا يهدي كيد الخائنين وما
ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم

يوسف هل وجدتن منه ميلا اليكن قلن حاش لله تعجبا من عفته وذهابه بنفسه عن شيء من الريبة ومن نزاهته
عنها قالت امراة العزيز الآن حصحص الحق ثبت واستقر وقرئ حصحص على البناء للمفعول
وهو من حصحص البعير اذا القى ثفناته للاناخة قال حصحص في صم الصفا ثفناته
وناء بسلمى نوءة ثم صمما ولا مزيد على شهادتهن له بالبراءة والنزاهة واعترافهن على
انفسهن بانه لم يتعلق بشيء مما قرفنه به لانهن خصومه واذا اعترف الخصم بان صاحبه على الحق
وهو على الباطل لم يبق لاحد مقال وقالت المجبرة والحشوية نحن قد بقي لنا مقال ولا بد لنا ان
نذوق فروة من تجنب نزاهته ذلك ليعلم من كلام يوسف اي ذلك التثبت والتشمر لظهور
البراءة ليعلم العزيز اني لم اخنه بظهر الغيب في حرمته ومحل بالغيب الحال من الفاعل والمفعول على
معنى وانا غائب عنه خفي عن عينه او وهو غائب عني خفي عن عيني ويجوز ان يكون ظرفا اي بمكان الغيب
وهو الخفاء والاستتار وراء الابواب السبعة المغلقة وليعلم ان الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه
ولا يسدده وكانه تعريض بامراته في خيانتها امانة زوجها وبه في خيانته امانة الله حين ساعدها
بعد ظهور الآيات على حبسه ويجوز ان يكون تاكيدا لامانته وانه لو كان خائنا لما هدى الله كيده
ولا سدده ثم اراد ان يتواضع لله ويهضم نفسه لئلا يكون لها مزكيا وبحالها في الامانة معجبا
ومفتخرا كما قال رسول الله عليه السلام انا سيد ولد آدم ولا فخر وليبين ان ما فيه من الامانة ليس به وحده
وانما هو بتوفيق الله ولطفه وعصمته فقال وما ابرئ نفسي من الزلل وما اشهد لها بالبراءة
الكلية ولا ازكيها ولا يخلو اما ان يريد في هذه الحادثة لما ذكرنا من الهم الذي هو ميل النفس عن طريق
الشهوة البشرية لا عن طريق القصد والعزم واما ان يريد عموم الاحوال ان النفس لامارة بالسوء
اراد الجنس اي ان هذا الجنس يامر بالسوء ويحمل عليه بما فيه من الشهوات الا ما رحم ربي الا البعض الذي
رحمه ربي بالعصمة كالملائكة ويجوز ان يكون ما رحم في معنى الزمان اي الا وقت رحمة ربي يعني انها امارة
بالسوء كل وقت واوان الا وقت العصمة ويجوز ان يكون استثناء منقطعا اي ولكن رحمة ربي هي التي
تصرف الاساءة كقوله ولا هم ينقذون الا رحمة وقيل معناه ذلك ليعلم الله اني لم اخنه لان المعصية خيانة
وقيل هو من كلام امراة العزيز اي ذلك الذي قلت ليعلم يوسف اني لم اخنه ولم اكذب عليه في حال الغيبة
وجئت بالصحيح والصدق فيما سئلت عنه وما ابرئ نفسي مع ذلك من الخيانة فاني قد خنته حين قرفته
وقلت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن واودعته السجن تريد الاعتذار مما
كان منها ان كل نفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي الا نفسا رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف ان
ربي غفور رحيم استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت فان قلت كيف صح ان يجعل من كلام يوسف ولا
دليل على ذلك قلت كفى بالمعنى دليلا قائدا الى ان يجعل من كلامه ونحوه قوله قال الملا من قوم فرعون ان هذا
لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره ثم قال فماذا تامرون وهو من كلام فرعون يخاطبهم
ويستشيرهم وعن ابن جريج هذا من تقديم القرآن وتاخيره ذهب الى ان ذلك ليعلم متصل بقوله

فسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ولقد لفقت المبطلة روايات مصنوعة فزعموا
ان يوسف عليه السلام حين قال ليعلم اني لم اخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت بها وقالت له امراة العزيز
ولا حين حللت تكة سراويلك يا يوسف وذلك لتهالكهم على بهت الله ورسله يقال استخلصه واستخصه
اذا جعله خالصا لنفسه وخاصا به فلما كلمه وشاهد منه ما لم يحتسب قال ايها الصديق انك اليوم لدينا
مكين ذو مكانة ومنزلة امين مؤتمن على كل شيء روي ان الرسول جاءه فقال اجب الملك فخرج من السجن
ودعا لاهله اللهم اعطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم اعلم الناس بالاخبار الواقعة
اي وكتب على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل
وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسالك بخيرك من خيره واعوذ
بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان آبائي وكان الملك
يتكلم بسبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه وقال ايها الصديق اني احب ان اسمع رؤياي منك
قال رايت بقرات فوصف لونهن واحوالهن ومكان خروجهن ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة
التي راها الملك لا يخرم منها حرفا وقال له من حقك ان تجمع الطعام في الاهراء فياتيك الخلق من النواحي يمتارون
منك ويجتمع لك من الكنوز ما لم يجتمع لاحد قبلك اجعلني ولني خزائن ارضك اني حفيظ عليم امين احفظ ما
تستحفظنيه عالم بوجوه التصرف وصف نفسه بالامانة والكفاية اللتين هما طلبة الملوك ممن يولونه وانما قال
ذلك ليتوصل الى امضاء احكام الله واقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما لاجله تبعث الانبياء الى العباد ولعلمه ان
احدا غيره لا يقوم مقامه في ذلك فطلب التولية ابتغاء وجه الله لا لحب الملك والدنيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم رحم
الله اخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكنه اخر ذلك سنة فان قلت كيف جاز ان يتولى
عملا من يد كافر ويكون تبعا له وتحت امره وطاعته قلت روى مجاهد انه قد اسلم وعن قتادة هو دليل على انه يجوز
ان يتولى الانسان عملا من يد سلطان جائر وقد كان السلف يتولون القضاء من جهة البغاة ويرونه واذا علم النبي
او العالم انه لا سبيل الى الحكم بامر الله ودفع الظلم الا بتمكين الملك الكافر او الفاسق فله ان يستظهر به وقيل كان
الملك يصدر عن رايه ولا يعترض عليه في كل ما راى فكان في حكم التابع له والمطيع وكذلك ومثل ذلك التمكين الظاهر
مكنا ليوسف في ارض مصر روي انها كانت اربعين فرسخا في اربعين يتبوأ منها حيث يشاء قرئ بالنون والياء اي
كل مكان اراد ان يتخذه منزلا ومتبوأ له لم يمنع منه لاستيلائه على جميعها ودخولها تحت ملكته وسلطانه روي
ان الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت وروي انه
قال له اما السرير فاشد به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسي ولا لباس
آبائي فقال قد وضعته اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك
اليه امره وعزل قطفير ثم مات بعد فزوجه الملك امراته فلما دخل عليها قال اليس هذا خيرا مما
طلبت فوجدها عذراء فولدت له ولدين افرائيم وميشا واقام العدل بمصر واحبته الرجال والنساء
واسلم على يديه الملك وكثير من الناس وباع من اهل مصر في سني القحط الطعام بالدنانير والدراهم في السنة

نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون وجاء
اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني باخ لكم من ابيكم الا ترون اني اوفي الكيل
وانا خير المنزلين فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون قالوا سنراود عنه اباه وانا لفاعلون

الاولى حتى لم يبق معهم شيء منهما ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى
استرقهم جميعا فقالوا والله ما راينا كاليوم ملكا اجل ولا اعظم منه فقال للملك كيف رايت صنع
الله بي فيما خولني فما ترى فقال الراي رايك قال فاني اشهد الله واشهدك اني اعتقت اهل مصر عن آخرهم
ورددت عليهم املاكهم وكان لا يبيع من احد من الممتارين اكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس
واصاب ارض كنعان وبلاد الشام نحو ما اصاب مصر فارسل يعقوب بنيه ليمتاروا واحتبس
بنيامين برحمتنا بعطائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم من نشاء من اقتضت الحكمة
ان نشاء له ذلك ولا نضيع اجر المحسنين ان نأجرهم في الدنيا ولاجر الآخرة خير لهم قال سفيان بن
عيينة المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا والآخرة والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق
وتلا هذه الآية لم يعرفوه لطول العهد ومفارقته اياهم في سن الحداثة ولاعتقادهم انه قد هلك ولذهابه
عن اوهامهم لقلة فكرهم فيه واهتمامهم بشانه ولبعد حاله التي بلغها من الملك والسلطان عن حاله
التي فارقوه عليها طريحا في البئر مشريا بدراهم معدودة حتى لو تخيل لهم انه هو لكذبوا انفسهم
وظنونهم ولان الملك مما يبدل الزي ويلبس صاحبه من التهيب والاستعظام ما ينكر له المعروف
وقيل راوه على زي فرعون عليه ثياب الحرير جالسا على سرير في عنقه طوق من ذهب وعلى راسه تاج فما
خطر ببالهم انه هو وقيل ما راوه الا من بعيد بينهم وبينه مسافة وحجاب وما وقفوا الا حيث يقف طلاب
الحوائج وانما عرفهم لانه فارقهم وهم رجال وراى زيهم قريبا من زيهم اذ ذاك ولان همته كانت
معقودة بهم وبمعرفتهم فكان يتامل ويتفطن وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا له ولما
جهزهم بجهازهم اي اصلحهم بعدتهم وهي عدة السفر من الزاد وما يحتاج اليه المسافرون واوقر
ركائبهم بما جاؤا له من الميرة وقرئ بجهازهم بكسر الجيم قال ائتوني باخ لكم من ابيكم لا بد من مقدمة سبقت
له معهم حتى اجتر القول هذه المسالة روي انه لما راوه وكلموه بالعبرانية قال لهم اخبروني من انتم
وما شانكم فاني انكركم قالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم
جئتم عيونا تنظرون عورة بلادي قالوا معاذ الله نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي
من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا واحد قال فكم انتم ههنا قالوا عشرة
قال فاين الاخ الحادي عشر قالوا هو عند ابيه يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم انكم لستم بعيون وان
الذي تقولون حق قالوا انا ببلاد لا يعرفنا فيها احد فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة
وائتوني باخيكم من ابيكم وهو يحمل رسالة من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا بينهم فاصابت القرعة
شمعون وكان احسنهم رايا في يوسف فخلفوه عنده وكان قد احسن انزالهم وضيافتهم ولا تقربون
فيه وجهان ان يكون داخلا في حكم الجزاء مجزوما عطفا على محل قوله فلا كيل لكم كانه
قيل فان لم تاتوني به تحرموا ولا تقربوا وان يكون بمعنى النهي سنراود عنه اباه سنخادعه
عنه ونجتهد ونحتال حتى ننتزعه من يده وانا لفاعلون لقادرون على ذلك لا نتعايا به اوانا

وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا
ابانا منع منا الكيل فارسل معنا اخانا نكتل وانا له لحافظون قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل
فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا ابانا ما نبغي هذه
بضاعتنا ردت الينا ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير

لنا علوانه لكنه لا محالة لا نفرط فيه ولا نتوانى **لفتيانه** وقرئ لفتيته وهما جمع فتى كاخوة واخوان
في اخ وفتية للقلة وفتيان للكثرة اي لغلمانه الكيالين **لعلهم يعرفونها** لعلهم يعرفون حق ردها
وحق التكرم باعطاء البدلين اذا انقلبوا الى اهلهم وفرغوا ظروفهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم
بذلك تدعوهم الى الرجوع الينا وكانت بضاعتهم النعال والادم وقيل تخوف ان لا يكون عند
ابيه من المتاع ما يرجعون به وقيل لم ير من الكرم ان ياخذ من ابيه واخوته ثمنا وقيل علم ان ديانتهم
تحملهم على رد البضاعة لا يستحلون امساكها فيرجعون لاجلها وقيل معنى لعلهم يرجعون لعلهم
يردونها **منع منا الكيل** يريدون قول يوسف فان لم تاتوني به فلا كيل لكم لانهم اذا انذروا بمنع الكيل
فقد منع الكيل **نكتل** نرفع المانع من الكيل ونكتل من الطعام ما نحتاج اليه وقرئ يكتل بمعنى
يكتل اخونا فينضم اكتياله الى اكتيالنا او يكن سببا للاكتيال فان امتناعه بسببه **هل آمنكم**
يريد انكم قلتم في يوسف **وانا له** لحافظون كما تقولونه في اخيه ثم خنتم بضمانكم فما يؤمنني من
مثل ذلك ثم قال **فالله** خير حافظا فتوكل على الله فيه ودفعه اليهم وحافظا تمييز كقولك هو
خيرهم رجلا ولله دره فارسا ويجوز ان يكون حالا **وقرئ** حفظا وقرا الاعمش فالله خير حافظ **وقرا**
ابو هريرة رضي الله عنه خير الحافظين **وهو** ارحم الراحمين فارجو ان ينعم علي بحفظه ولا يجمع
علي مصيبتين **وقرئ** رِدت الينا بالكسر على ان كسرة الدال المدغمة نقلت الى الراء كما قيل في قيل وبيع
وحكى قطرب ضِرب زيد على نقل كسرة الراء فيمن سكنها الى الضاد **ما نبغي** في القول وما نتزيد
فيما وصفنا لك من احسان الملك واكرامه وكانوا قالوا انا قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا كرامة
لو كان رجلا من آل يعقوب ما اكرمنا كرامته او ما نبتغي شيئا وراء ما فعل بنا من الاحسان او على الاستفهام
بمعنى اي شيء نطلب وراء هذا وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه ما تبغي بالتاء على مخاطبة يعقوب معناه اي شيء
تطلب وراء هذا من الاحسان او من الشاهد على صدقنا وقيل معناه ما نريد منك بضاعة اخرى وقوله
هذه بضاعتنا ردت الينا جملة مستانفة موضحة لقوله ما نبغي والجمل بعدها معطوفة عليها على
معنى ان بضاعتنا ردت الينا فنستظهر بها **ونمير** اهلنا في رجوعنا الى الملك **ونحفظ** اخانا فما يصيبه
شيء مما تخافه ونزداد باستصحاب اخينا وسق بعير زائد على اوساق اباعرنا فاي شيء نبتغي وراء
هذه المباغي التي نستصلح بها احوالنا ونوسع ذات ايدينا وانما قالوا **ونزداد** كيل بعير لما ذكرنا انه
كان لا يزيد للرجل على حمل بعير للتقسيط **فان قلت** هذا اذا فسرت البغي بالطلب فاما اذا فسرته بالكذب والتزيد
في القول كانت الجملة وهي قوله هذه بضاعتنا ردت الينا بيانا لصدقهم وانتفاء التزيد عن قيلهم فما تصنع
بالجمل البواقي **قلت** اعطفها على قوله ما نبغي على معنى فما نقول ونمير اهلنا ونفعل كيت وكيت
ويجوز ان يكون كلاما مبتدا اي وينبغي ان نمير اهلنا كما تقول سعيت في حاجة فلان واجتهدت
في تحصيل غرضه ويجب ان اسعى وينبغي لي ان لا اقصر ويجوز ان يراد ما نبغي وما ننطق الا بالصواب
فيما نشير به عليك من تجهيزنا مع اخينا ثم قالوا هذه بضاعتنا نستظهر بها ونمير اهلنا ونفعل

قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتاتنني به الا ان يحاط بكم فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل وقال يا بني
لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وما اغني عنكم من الله من شيء ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ولما
دخلوا من حيث امرهم ابوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء الا حاجة في نفس يعقوب قضاها وانه لذو علم لما علمناه ولكن اكثر الناس لا يعلمون
ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه

٢٦٧

ونصنع بيانا لانهم لا يبغون في رايهم وانهم مصيبون فيه وهو وجه حسن واضح **ذلك كيل** يسير اي ذلك مكيل قليل
لا يكفينا يعنون ما يكال لهم فارادوا ان يزدادوا اليه ما يكال لاخيهم ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى كيل بعير اي ذلك
الكيل شيء قليل يجيبنا اليه الملك ولا يضايقنا فيه او سهل عليه متيسر لا يتعاظمه ويجوز ان يكون من كلام
يعقوب وان حمل بعير واحد شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد كقوله ذلك ليعلم **لن ارسله** معكم منافي
حالي وقد رايت منكم ما رايت ارساله معكم **حتى** تؤتوني موثقا من الله حتى تعطوني ما اتوثق به من عند الله اراد
ان يحلفوا له بالله وانما جعل الحلف بالله موثقا منه لان الحلف به مما تؤكد به العهود وتشدد وقد اذن الله في ذلك فهو
اذن منه **لتاتنني** به جواب اليمين لان المعنى حتى تحلفوا لتاتنني به **الا** ان يحاط بكم الا ان تغلبوا فلم تطيقوا الاتيان به
او الا ان تهلكوا **فان قلت** اخبرني عن حقيقة هذا الاستثناء ففيه اشكال **قلت** ان يحاط بكم مفعول له والكلام المثبت
الذي هو قوله لتاتنني به في تاويل النفي معناه لا تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم اي لا تمتنعون منه لعلة من العلل
الا لعلة واحدة وهي ان يحاط بكم فهو استثناء من اعم العام في المفعول له والاستثناء من اعم العام لا يكون الا في
النفي وحده فلا بد من تاويله بالنفي ونظيره من الاثبات المتاول بمعنى النفي قولهم اقسمت بالله لما فعلت والا
فعلت تريد ما اطلب منك الا الفعل على ما نقول من طلب الموثق واعطائه **وكيل** رقيب مطلع وانما نهاهم ان يدخلوا
من باب واحد لانهم كانوا ذوي بهاء وشارة حسنة وقد اشتهرهم اهل مصر بالقربة عند الملك والتكرمة الخاصة
التي لم تكن لغيرهم فكانوا مظنة لطموح الابصار اليهم من بين الوفود وان يشار اليهم بالاصابع ويقال هؤلاء اضياف
الملك انظروا اليهم ما احسنهم من فتيان وما احقهم بالاكرام لامر ما اكرمهم الملك وقربهم وفضلهم على الوافدين عليه
فخاف لذلك ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا لجمالهم وجلالة امرهم في الصدور فيصيبهم ما يسوءهم ولذلك لم يوصهم
بالتفرق في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين مغمورين بين الناس **فان قلت** وهل للاصابة بالعين وجه تصح عليه **قلت**
يجوز ان يحدث الله عز وجل عند النظر الى الشيء والاعجاب به نقصانا فيه وخللا من بعض الوجوه ويكون ذلك ابتلاء
من الله وامتحانا لعباده ليتميز المحققون من اهل الحشو فيقول المحقق هذا فعل الله ويقول الحشوي هو اثر
العين كما قال وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الآية وعن النبي صلى الله عليه انه كان يعوذ الحسن والحسين
فيقول اعيذكما بكلمات الله التامة من كل هامة ومن كل عين لامة **وما** اغني عنكم من الله من شيء يعني
ان اراد الله بكم سوءا لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما اشرت به عليكم من التفرق وهو مصيبكم لا محالة
ان الحكم الا لله ثم قال **ولما** دخلوا من حيث امرهم ابوهم اي متفرقين ما كان يغني عنهم راي يعقوب
ودخولهم متفرقين شيئا قط حيث اصابهم ما ساءهم مع تفرقهم من اضافة السرقة اليهم وافتضاحهم
بذلك واخذ اخيهم بوجدان الصواع في رحله وتضاعف المصيبة على ابيهم **الا حاجة** استثناء منقطع على
معنى ولكن حاجة في نفس يعقوب قضاها وهي شفقته عليهم واظهارها بما قاله لهم ووصاهم به
وانه لذو علم يعني قوله وما اغني عنكم وعلمه بان القدر لا يغني عنه الحذر **آوى اليه** اخاه ضم اليه بنيامين
وروي انهم قالوا له هذا اخونا قد جئناك به فقال لهم احسنتم واصبتم وستجدون ذلك عندي فانزلهم
واكرمهم ثم اضافهم واجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني

قال اني انا اخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل اخيه ثم اذن مؤذن ايتها العير انكم لسارقون
قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وانا به زعيم قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض
وما كنا سارقين قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين

معه فقال يوسف بقي اخوكم وحيدا فاجلسه معه على مائدته وجعل يؤاكله وقال انتم عشرة فلينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات يوسف يضمه اليه ويشم رائحته حتى اصبح وساله عن ولده فقال لي عشرة بنين اشتققت اسماءهم من اسم اخ لي هلك فقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه وقال له اني انا اخوك يوسف فلا تبتئس فلا تحزن بما كانوا يعملون بنا فيما مضى فان الله تعالى قد احسن الينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما اعلمتك وعن ابن عباس تعرف اليه وعن وهب انما قال له انا اخوك بدل اخيك المفقود فلا تبتئس بما كنت تلقى منهم من الحسد والاذى فقد امنتهم وروي انه قال له فانا لا افارقك قال قد علمت اغتمام والدي فاذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل الى ذلك الا ان انسبك الى ما لا يجمل قال لا ابالي فافعل ما بدا لك قال فاني ادس صاعي في رحلك ثم انادي عليك بانك سرقته ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك معهم قال افعل السقاية مشربة يسقى بها وهي الصواع قيل يسقى بها الملك ثم جعلت صاعا يكال به وقيل كانت الدواب تسقى بها ويكال بها وقيل كانت اناء مستطيلا يشبه المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه تشرب به الاعاجم وقيل كانت من فضة مموهة بالذهب وقيل كانت من ذهب وقيل كانت مرصعة بالجواهر ثم اذن مؤذن ثم نادى مناد يقال آذنه اعلمه واذن اكثر الاعلام ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه روي انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى انطلقوا ثم امر بهم فادركوا وحبسوا ثم قيل لهم ذلك والعير الابل عليها الاحمال لانها تعير اي تذهب وتجي وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر ذلك حتى قيل لكل قافلة عير كانها جمع عير واصلها فعل كسقف وسقف فعل به ما فعل ببيض وغيد والمراد اصحاب العير كقوله يا خيل الله اركبي وقرا ابن مسعود وجعل السقاية على حذف جواب لما كانه قيل فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقاية في رحل اخيه امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن وقرا ابو عبد الرحمن السلمي تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا وقرئ صواع وصاع وصوع وصوع بفتح الصاد وضمها والعين معجمة وغير معجمة وانا به زعيم يقوله المؤذن يريد وانا بحمل البعير كفيل اؤديه الى من جاء به واراد وسق بعير من طعام جعلا لمن حصله تالله قسم فيه معنى التعجب مما اضيف اليهم وانما قالوا لقد علمتم فاستشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم لكثرة تعجبهم ومداخلتهم للملك ولانهم دخلوا وافواه رواحلهم مكعومة لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد من اهل السوق ولانهم ردوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم وما كنا سارقين وما كنا نوصف قط بالسرقة وهي منافية لحالنا فما جزاؤه الضمير للصواع اي فما جزاء سرقته ان كنتم كاذبين في جحودكم وادعائكم البراءة منه قالوا جزاؤه من وجد في رحله اي جزاء سرقته اخذ من وجد في رحله وكان حكم السارق في آل يعقوب ان يسترق سنة فلذلك استفتوا في جزائه وقولهم فهو جزاؤه تقرير للحكم اي فاخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غيره كقولك حق زيد ان يكسى ويطعم وينعم عليه فذلك حقه اي فهو حقه لتقرر ما ذكرته من استحقاقه وتلزمه ويجوز ان يكون جزاؤه مبتدا والجملة الشرطية كما هي خبره على اقامة الظاهر فيها مقام المضمر والاصل جزاؤه من وجد

فبدا باوعيتهم قبل وعاء اخيه ثم استخرجها من وعاء اخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل

رحله فهو هو فوضع الجزاء موضع هو كما تقول لصاحبك من اخو زيد فيقول لك اخوه من يقعد الى جنبه فهو هو يرجع الضمير الاول الى من والثاني الى الاخ ثم تقول فهو اخوه مقيما للمظهر مقام المضمر ويحتمل ان يكون جزاؤه خبر مبتدا محذوف اي المسؤول عنه جزاؤه ثم افتوا بقولهم من وجد في رحله فهو جزاؤه كما يقول من يستفتى في جزاء صيد المحرم جزاء صيد المحرم ثم يقول ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم فبدا باوعيتهم قيل قال لهم من وكل بهم لا بد من تفتيش اوعيتكم فانصرف بهم الى يوسف فبدا بتفتيش اوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفي التهمة حتى بلغ وعاءه فقال ما اظن هذا اخذ شيئا فقالوا والله لا نتركه حتى تنظر في رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا فاستخرجوه منه وقرا الحسن وعاء اخيه بضم الواو وهي لغة وقرا سعيد بن جبير رحمه الله إعاء اخيه بقلب الواو همزة فان قلت لم ذكر ضمير الصواع مرات ثم انثه قلت قالوا رجع بالتانيث على السقاية او انث الصواع لانه يذكر ويؤنث ولعل يوسف كان يسميه سقاية وعبيده صواعا فقد وقع فيما يتصل به من الكلام سقاية وفيما يتصل بهم منه صواعا كذلك مثل ذلك الكيد العظيم كدنا ليوسف يعني علمناه اياه واوحينا به اليه ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك تفسير للكيد وبيان له لانه كان في دين ملك مصر وما كان يحكم به في السارق ان يغرم مثلي ما اخذ لا ان يلزم ويستعبد الا ان يشاء الله اي ما كان ياخذه الا بمشيئة الله واذنه فيه نرفع درجات من نشاء في العلم كما رفعنا درجة يوسف فيه وقرئ يرفع بالياء ودرجات بالتنوين وفوق كل ذي علم عليم فوقه ارفع درجة منه في علمه او فوق العلماء كلهم عليم هم دونه في العلم وهو الله عز وجل فان قلت ما اذن الله فيه يجب ان يكون حسنا فمن اي وجه حسن هذا الكيد وما هو الا بهتان وتسريق لمن لم يسرق وتكذيب لمن لم يكذب وهو قوله انكم لسارقون فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قلت هو في صورة البهتان وليس ببهتان في الحقيقة لان قوله انكم لسارقون تورية عما جرى مجرى السرقة من فعلهم بيوسف وقيل كان ذلك القول من المؤذن لا من يوسف وقوله ان كنتم كاذبين فرض لانتفاء براءتهم وفرض التكذب لا يكون تكذيبا على انه لو صرح لهم بالتكذيب كما صرح لهم بالتسريق لكان له وجه لانهم كانوا كاذبين في قولهم وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وهذا وحكم هذا الكيد حكم الحيل الشرعية التي يتوصل بها الى مصالح ومنافع دينية كقوله لايوب عليه السلام وخذ بيدك ضغثا ليتخلص من جلدها ولا يحنث وكقول ابرهيم هي اختي لتسلم من يد الكافر وما الشرائع كلها الا مصالح وطرق الى التخلص من الوقوع في المفاسد وقد علم الله تعالى في هذه الحيلة التي لقنها يوسف مصالح عظيمة فجعلها سلما وذريعة اليها فكانت حسنة جميلة وانزاحت عنها وجوه القبح لما ذكرناه اخ له اراد به يوسف روي انهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤوسهم حياء واقبلوا عليه وقالوا له ما الذي صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل الذين لا يزال منكم علينا البلاء ذهبتم باخي فاهلكتموه ووضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم واختلف فيما اضافوا الى يوسف من السرقة فقيل كان اخذ في صباه صنما لجده ابي امه فكسره والقاه بين الجيف في الطريق وقيل دخل كنيسة فاخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه وقيل كانت في المنزل عناق او دجاجة فاعطاها السائل وقيل كانت لابراهيم عليه السلام منطقة يتوارثها الاكابر من ولده فورثها اسحق ثم وقعت الى ابنته وكانت اكبر اولاده فحضنت يوسف وهي عمته

فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا والله اعلم بما تصفون قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه انا
نريك من المحسنين قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم الم تعلموا
ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن ابرح الارض حتى ياذن لي ابي او يحكم الله لي وهو خير الحاكمين

بعد وفاة امه وكانت لا تصبر عنه فلما شب اراد يعقوب ان ينتزعه منها فعمدت الى المنطقة فحزمتها
على يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت منطقة اسحق فانظروا من اخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت
انه لي سلم افعل به ما شئت فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت فاسرها اضمار على شريطة التفسير تفسيره انتم
شر مكانا وانما انث لان قوله انتم شر مكانا جملة او كلمة على تسميتهم الطائفة من الكلام كلمة كانه قيل فاسر
الجملة او الكلمة التي هي قوله انتم شر مكانا والمعنى قال في نفسه انتم شر مكانا بدل من اسرها وفي قراءة ابن مسعود
فاسره على التذكير يريد القول والكلام ومعنى انتم شر مكانا انتم شر منزلة في السرق لانكم سارقون
بالصحة لسرقتكم اخاكم من ابيكم والله اعلم بما تصفون يعلم انه لم يصح لي ولا لاخي سرقة وليس الامر كما تصفون استعطفوه
باذكارهم اياه حق ابيهم يعقوب وانه شيخ كبير السن او كبير القدر وان بنيامين احب اليه منهم وكانوا قد اخبروه
بان ولدا له قد هلك وهو عليه ثكلان وانه مستانس باخيه فخذ احدنا مكانه فخذ بدله على وجه الاسترهان والاستعباد
انا نريك من المحسنين الينا فاتمم احسانك او من عادتك الاحسان فاجر على عادتك ولا تغيرها معاذ الله هو كلام
موجه ظاهره انه وجب على قضية فتواكم اخذ من وجد الصواع في رحله واستعباده فلو اخذنا غيره كان ذلك ظلما
بمذهبكم فلم تطلبون ما عرفتم انه ظلم وباطنه ان الله امرني واوحى الي باخذ بنيامين واحتباسه لمصلحة او
لمصالح جمة علمها في ذلك فلو اخذت غير من امرني باخذه كنت ظالما وعاملا على خلاف الوحي ومعنى معاذ الله ان
ناخذ نعوذ بالله معاذا من ان ناخذ فاضيف المصدر الى المفعول به وحذف من اذا جواب لهم وجزاء لان المعنى
ان اخذنا بدله ظلمناه استيأسوا منه يئسوا وزيادة السين والتاء في المبالغة كما مر في استعصم والنجي على معنيين
يكون بمعنى المناجي كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه قوله تعالى وقربناه نجيا وبمعنى المصدر الذي
هو التناجي كما قيل النجوى بمعناه ومنه قيل قوم نجي كما قيل هم صدق لانه بزنة المصادر وجمع انجية قال
اني اذا ما القوم كانوا انجيه ومعنى خلصوا اعتزلوا وانفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم نجيا ذوي
نجوى او فوجا نجيا اي مناجيا لمناجاة بعضهم بعضا واحسن منه انهم تمحضوا تناجيا لاستجماعهم لذلك
وافاضتهم فيه بجد واهتمام كانهم في انفسهم صورة التناجي وحقيقته وكان تناجيهم في تدبير امرهم
على اي صفة يذهبون وماذا يقولون لابيهم في شان اخيهم كقوم تعايوا بما دهمهم من الخطب فاحتاجوا
الى التشاور كبيرهم في السن وهو روبيل وقيل رئيسهم وهو شمعون وقيل كبيرهم في العقل والراي وهو يهوذا
ما فرطتم في يوسف فيه وجوه ان تكون ما صلة اي ومن قبل هذا قصرتم في شان يوسف ولم تحفظوا عهد
ابيكم وان تكون مصدرية على ان محل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف وهو من قبل ومعناه ووقع
من قبل تفريطكم في يوسف او النصب عطفا على مفعول الم تعلموا وهو ان اباكم كانه قيل الم تعلموا
اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم من قبل في يوسف وان تكون موصولة بمعنى ومن قبل هذا ما فرطتموه
اي قدمتموه في حق يوسف من الجناية العظيمة ومحله الرفع والنصب على الوجهين فلن ابرح فلن افارق
ارض مصر حتى ياذن لي ابي في الانصراف اليه او يحكم الله لي بالخروج منها او بالانتصاف ممن اخذ اخي او بخلاصه
… بسبب من الاسباب وهو خير الحاكمين لانه لا يحكم ابدا الا بالعدل والحق وقرئ سرق اي نسب الى

ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها
وانا لصادقون قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل عسى الله ان ياتيني بهم جميعا انه هو العليم الحكيم وتولى عنهم وقال يا اسفى على يوسف
وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف

السرقة وما شهدنا علينا بالسرقة الا بما علمنا من سرقته وتيقناه اذ الصواع استخرج من وعائه ولا شيء ابين
من هذا وما كنا للغيب حافظين وما علمنا انه سيسرق حين اعطيناك الموثق او وما علمنا انك تصاب به كما اصبت
بيوسف ومن قرا سرق فمعناه وما شهدنا الا بقدر ما علمنا من التسريق وما كنا للغيب للامر الخفي حافظين
اسرق بالصحة ام دس الصاع في رحله ولم يشعر القرية التي كنا فيها يعني مصر ارسل الى اهلها فاسالهم
عن كنه القصة والعير التي اقبلنا فيها واصحاب العير وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب وقيل
من اهل صنعاء معناه فرجعوا الى ابيهم فقالوا له ما قال لهم اخوهم فقال بل سولت لكم انفسكم امرا اردتموه والا
فما ادرى ذلك الرجل ان السارق يؤخذ بسرقته لولا فتواكم وتعليمكم بهم جميعا بيوسف واخيه وروبيل او غيره
انه هو العليم بحالي في الحزن والاسف الحكيم الذي لم يبتلني بذلك الا لحكمة ومصلحة وتولى عنهم واعرض
عنهم كراهة لما جاؤوا به يا اسفى اضاف الاسف وهو اشد الحزن والحسرة الى نفسه والالف بدل من ياء الاضافة
والتجانس بين لفظي الاسف ويوسف مما يقع مطبوعا غير متعمل فيملح ويبدع ونحوه اثاقلتم
الى الارض ارضيتم وهم ينهون عنه وينأون عنه يحسبون انهم يحسنون من سبا بنبا يقين وعن …
لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد الا ترى الى يعقوب حين
اصابه لم يسترجع وانما قال يا اسفى فان قلت كيف تاسف على يوسف دون اخيه ودون الثالث والرزء
الاحدث اشد على النفس واظهر اثرا قلت هو دليل على تمادي اسفه على يوسف وانه لم يقع فائت عنده
موقعه وان الرزء فيه مع تقادم عهده كان غضا عنده طريا ولم تنسني اوفى المصيبات بعده
ولان الرزء في يوسف كان قاعدة مصيباته التي ترتبت عليها الرزايا في ولده فكان الاسف عليه اسفا
على من لحق به وابيضت عيناه اذا كثر الاستعبار محقت العبرة سواد العين وقلبته الى بياض كدر
قيل قد عمي بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا من الحزن من الحزن لان الحزن كان سبب البكا
الذي حدث منه البياض فكانه حدث من الحزن قيل ما جفت عينا يعقوب عليه السلام من وقت فراق يوسف الى حين
لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم على الله من يعقوب وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سال جبريل ما بلغ من وجد يعقوب
على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله ساعة قط فان قلت
كيف جاز لنبي الله ان يبلغ به الجزع ذلك المبلغ قلت الانسان مجبول على ان لا يملك نفسه عند الشدائد من الحزن ولذلك
حمد صبره وان يضبط نفسه حتى لا يخرج الى ما لا يحسن ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع
والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون وانما الجزع المذموم ما يقع من الجهلة من الصياح
والنياحة ولطم الصدور والوجوه وتمزيق الثياب وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول
الله تبكي وقد نهيتنا عن البكا فقال ما نهيتكم عن البكا وانما نهيتكم عن صوتين احمقين صوت عند الفرح وصوت عند
الترح وعن الحسن رحمه الله انه بكى على ولد له او غيره فقيل له في ذلك فقال ما رايت الله جعل الحزن عارا على يعقوب وهو
كظيم مملو من الغيظ على اولاده ولا يظهر ما يسوؤهم فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله وهو مكظوم من كظم السقاء
اذا شده على ملئه او الكظم بمعنى الكاظم وهو المخرج النفس يقال اخذ بكظامه تفتؤ اراد لا تفتؤ فحذف حرف النفي

حتى تكون حرضاً أو تكون من الهالكين قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف
وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا
ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون قالوا

لأنه لا يلتبس بالإثبات لأنه لو كان إثباتاً لم يكن بد من اللام والنون ونحوه. فقلت يمين الله أبرح قاعداً. ومعنى لا تفتأ لا تزال. وعن مجاهد لا تفتر من حبه كأنه جعل الفتوء والفتور أخوين يقال ما فتئ يفعل [illegible] فانيتها تحيل تذوب وتذوى وتلحق منها لاحق وتنقطع. حرضاً مشفياً على الهلاك مرضاً وأحرضه المرض ويستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لأنه مصدر والصفة حرِض بكسر الراء ونحوهما دَنَف ودَنِف وجاءت القراءة بهما جميعاً وقرأ الحسن رحمه الله حُرُضاً بضمتين ونحوه في الصفات رجل جُنُب وغُرُب. البث أصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه إلى الناس أي ينشره ومنه باثّه أمره وأبثّه إياه. ومعنى إنما أشكو أني لا أشكو إلى أحد منكم ومن غيركم إنما أشكو إلى ربي داعياً له وملتجئاً إليه فخلوني وشكايتي وهذا معنى توليه عنهم أي فتولى عنهم إلى الله والشكاية إليه. وقيل دخل على يعقوب جار له فقال يا يعقوب قد تهشمت وفنيت وما بلغت من السن ما بلغ أبوك فقال هشمني وأفناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف فأوحى الله إليه يا يعقوب أتشكوني إلى خلقي قال رب خطيئة أخطأتها فاغفر لي فغفر له فكان بعد ذلك إذا سئل قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله. وروي أنه أوحي إلى يعقوب إنما وجدت عليكم لأنكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه وإن أحب خلقي إليّ الأنبياء والمساكين فاصنع طعاماً وادع عليه المساكين. وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى عميت. وأعلم من الله ما لا تعلمون أي أعلم من صنعه ورحمته وحسن ظني به أنه يأتيني بالفرج من حيث لا أحتسب. وروي أنه رأى ملك الموت في منامه فسأله هل قبضت روح يوسف فقال لا والله هو حي فاطلبه. وقرأ الحسن رحمه الله عليه وحزني بفتحتين وحُزُني بضمتين. قتادة فتحسسوا من يوسف وأخيه فتعرفوا منهما وتطلبوا خبرهما. وقرئ بالجيم كما قرئ بهما في الحجرات وهما تفعل من الإحساس وهو المعرفة فلما أحس عيسى منهم الكفر ومن الجس وهو الطلب ومنه قالوا لمشاعر الإنسان الحواس والجواس. من روح الله من فرجه وتنفيسه. وقرأ الحسن رحمه الله وقتادة من رُوح الله بالضم أي من رحمته التي يحيا بها العباد. الضر الهزال من الشدة والجوع. مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقاراً لها من أزجيته إذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب. قيل كانت من متاع الأعراب صوفاً وسمناً. وقيل الصنوبر وحبة الخضراء. وقيل سويق المقل والأقط. وقيل دراهم زيوفاً لا تؤخذ إلا بوضيعة. فأوف لنا الكيل الذي هو حقنا وتصدق علينا وتفضل علينا بالمسامحة والإغماض عن رداءة البضاعة أو زدنا على حقنا فسموا ما هو فضل وزيادة لا تلزمه صدقة لأن الصدقات محظورة على الأنبياء. وقيل كانت تحل لغير نبينا عليه السلام. وسئل ابن عيينة عن ذلك فقال ألم تسمع وتصدق علينا أراد أنها كانت حلالاً لهم. والظاهر أنهم تمسكنوا له وطلبوا إليه أن يتصدق عليهم ومن ثم رق لهم وملكته الرحمة عليهم فلم يتمالك أن عرفهم نفسه. وقوله إن الله يجزي المتصدقين شاهد لذلك لذكر الله وجزائه. والصدقة العطية التي تبتغى بها المثوبة من الله. ومنه قول الحسن لمن سمعه يقول اللهم تصدق علي إن الله تعالى لا يتصدق إنما يتصدق الذي يبتغي الثواب قل اللهم أعطني وتفضل علي أو ارحمني. هل علمتم أتاهم من جهة الدين وكان حليماً موفقاً فكلمهم مستفهماً عن معرفة وجه القبح الذي يجب أن يراعيه التائب فقال هل علمتم قبح ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون لا تعلمون قبحه فلذلك أقدمتم عليه يعني هل علمتم قبحه فتبتم إلى الله منه لأن علم القبح يدعو إلى الاستقباح والاستقباح

قالوا أإنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين
قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين

يجر إلى التوبة فكان كلامه شفقة عليهم وتنصحاً لهم في الدين لا معاتبة وتثريباً إيثاراً لحق الله تعالى على حق نفسه في ذلك المقام الذي يتنفس فيه المكروب وينفث المصدور ويتشفى المغيظ المحنق ويدرك ثأره الموتور فلله أخلاق الأنبياء ما أوطأها وأسجحها ولله حصى عقولهم ما أرزنها وأرجحها. وقيل لم يرد نفي العلم عنهم لأنهم كانوا علماء ولكنهم لما لم يفعلوا ما يقتضيه العلم ولا يقدم عليه إلا جاهل سماهم جاهلين. وقيل معناه إذ أنتم صبيان في حد السفه والطيش قبل أن تبلغوا أوان الحلم والرزانة. وروي أنهم لما قالوا مسنا وأهلنا الضر وتضرعوا إليه ارفضت عيناه ثم قال هذا القول. وقيل أدوا إليه كتاب يعقوب من يعقوب إسرائيل الله بن إسحق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله إلى عزيز مصر أما بعد فإنا أهل بيت موكل بنا البلاء أما جدي فشدت يداه ورجلاه ورمي به في النار ليحرق فنجاه الله وجعلت النار عليه برداً وسلاماً وأما أبي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله وأما أنا فكان لي ابن وكان أحب أولادي إلي فذهب به إخوته إلى البرية ثم أتوني بقميصه ملطخاً بالدم وقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان أخاه من أمه وكنت أتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا إنه سرق وإنك حبسته لذلك وإنا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقاً فإن رددته علي وإلا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام. فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك وعيل صبره وقال لهم ذلك. وروي أنه لما قرأ الكتاب بكى وكتب الجواب اصبروا كما صبروا تظفروا كما ظفروا. فإن قلت ما فعلهم بأخيه. قلت تعريضهم إياه للغم والثكل بإفراده عن أخيه لأبيه وأمه وجفاؤهم به حتى كان لا يستطيع أن يكلم أحداً منهم إلا كلام الذليل للعزيز وإيذاؤهم له بأنواع الأذى. قرئ إنك على الاستفهام وإنك على الإيجاب وفي قراءة أبي أإنك أو أنت يوسف على معنى أإنك يوسف أو أنت يوسف فحذف الأول لدلالة الثاني عليه وهذا كلام متعجب مستغرب لما يسمع فهو يكرر الاستثبات. فإن قلت كيف عرفوه. قلت رأوا في روائه وشمائله حين كلمهم بذلك ما شعروا به أنه هو مع علمهم بأن ما خاطبهم به لا يصدر مثله إلا عن حنيف مسلم من سنخ إبراهيم لا عن بعض أعزاء مصر. وقيل تبسم عند ذلك فعرفوه بثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم. وقيل ما عرفوه حتى رفع التاج عن رأسه فنظروا إلى علامة بقرنه كانت ليعقوب وسارة مثلها تشبه الشامة البيضاء. فإن قلت قد سألوه عن نفسه فلم أجاب عنها وعن أخيه. قلت لأنه كان في ذكر أخيه بيان لما سألوه عنه. من يتق من يخف الله وعقابه ويصبر على المعاصي وعلى الطاعات. فإن الله لا يضيع أجرهم فوضع المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتقين والصابرين. لقد آثرك الله علينا أي فضلك علينا بالتقوى والصبر وسيرة المحسنين وإن شأننا وحالنا إنا كنا خاطئين متعمدين للإثم لم نتق ولم نصبر لا جرم أن الله أعزك بالملك وأذلنا بالتمكين بين يديك. لا تثريب عليكم لا تأنيب عليكم ولا عتب وأصل التثريب من الثرب وهو الشحم الذي هو غاشية الكرش ومعناه إزالة الثرب كما أن التجليد والتقريع إزالة الجلد والقرع لأنه إذا ذهب كان ذلك غاية الهزال والعجف الذي ليس بعده فضرب مثلاً للتقريع الذي يمزق الأعراض ويذهب بماء الوجوه. فإن قلت بم تعلق اليوم. قلت بالتثريب أو بالمقدر في عليكم من معنى الاستقرار أو بيغفر والمعنى لا أثربكم اليوم وهو اليوم الذي هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره من الأيام ثم ابتدأ فقال يغفر الله لكم فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم يقال غفر الله لك

اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين ولما فصلت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون
قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون قالوا يا أبانا استغفر
لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين قال سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم

ويغفر الله لكم على لفظ الماضي والمضارع جميعا ومنه قول المشمت يهديكم الله ويصلح بالكم او اليوم يغفر الله لكم
بشارة بعاجل غفران الله لما تجدد يومئذ من توبتهم وندمهم على خطيئتهم وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ
بعضادتي باب الكعبة يوم الفتح فقال لقريش ما ترون أني فاعل بكم قالوا نظن خيرا أخ كريم وابن أخ كريم
وقد قدرت فقال أقول ما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم وروي أن أبا سفيان لما جاء ليسلم قال له العباس إذا
أتيت الرسول فاتل عليه قال لا تثريب عليكم ففعل فقال رسول الله غفر الله لك ولمن علمك وروي أن إخوته
لما عرفوه أرسلوا إليه إنك تدعونا إلى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال يوسف
إن أهل مصر وإن ملكت فيهم فإنهم ينظرون إلي بالعين الأولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما
ما بلغ ولقد شرفت الآن بكم وعظمت في العيون حيث علم الناس أنكم إخوتي وأني من حفدة إبرهيم اذهبوا
بقميصي قيل هو القميص المتوارث الذي كان في تعويذ يوسف وكان من الجنة أمره جبريل أن يرسله إليه فإن
فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم إلا عوفي يأت بصيرا يصر بصيرا كقولك جاء البناء محكما
بمعنى صار ويشهد له فارتد بصيرا أو يأت إلي وهو بصير وينصره قوله وأتوني بأهلكم أي يأتني
أبي ويأتني آله جميعا وقيل يهوذا هو الحامل قال أنا أحزنته بحمل القميص ملطوخا بالدم إليه
فأفرحه كما أحزنته وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر إلى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا
فصلت العير خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا إذا انفصل منه وجاوز حيطانه
وقرأ ابن عباس ولما انفصل العير قال لولده ومن حوله من قومه إني لأجد ريح يوسف أوجده
الله ريح القميص حين أقبل من مسيرة ثمان التفنيد النسبة إلى الفند وهو الخرف وإنكار العقل
من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة لأنها لم تكن في شبيبتها ذات رأي فتفند في
كبرها والمعنى لولا تفنيدكم إياي لصدقتموني لفي ضلالك لفي ذهابك عن الصواب قدما في إفراط
محبتك ليوسف ولهجك بذكره ورجائك للقائه وكان عندهم أنه قد مات ألقاه طرح البشير القميص على
وجه يعقوب أو ألقاه يعقوب فارتد فرجع بصيرا يقال رده فارتد وارتده إذا ارتجعه ألم أقل
لكم يعني قوله إني لأجد ريح يوسف أو قوله ولا تيأسوا من روح الله وقوله إني أعلم كلام مبتدأ لم يقع عليه القول
ولكن لم توقعه عليه وتريد قوله إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون وروي أنه سأل البشير كيف
يوسف فقال هو ملك مصر قال ما أصنع بالملك على أي دين تركته قال على دين الإسلام قال الآن تمت النعمة
سوف أستغفر لكم قيل أخر الاستغفار إلى وقت السحر وقيل إلى ليلة الجمعة ليتعمد به وقت الإجابة وقيل
ليتعرف حالهم في صدق التوبة وإخلاصها وقيل أراد الدوام على الاستغفار لهم فقد روي أنه كان
يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة وقيل قام إلى الصلاة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه وقال
اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما أتوا إلى أخيهم فأوحى الله إليه إن الله قد غفر
لك ولهم أجمعين وروي أنهم قالوا له وقد علتهم الكآبة ما يغني عنا عفوكما إن لم يعف عنا ربنا
فإن لم يوح إليك بالعفو فلا قرت لنا عين أبدا فاستقبل الشيخ القبلة قائما يدعو وقام يوسف

فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت
هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين
إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم

خلفه يؤمن وقاموا خلفهما أذلة خاشعين عشرين سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا أنها الهلكة نزل
جبريل فقال إن الله قد أجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وقد اختلف
في استنبائهم فلما دخلوا على يوسف قيل وجه يوسف إلى أبيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز إليه بمن
معه وخرج يوسف والملك في أربعة آلاف من الجند والعظماء وأهل مصر بأجمعهم فتلقوا يعقوب
وهو يمشي يتوكأ على يهوذا فنظر إلى الخيل والناس فقال يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا هذا ولدك
فلما لقيه قال يعقوب السلام عليك يا مذهب الأحزان وقيل إن يوسف قال له لما التقيا يا أبت بكيت علي
حتى ذهب بصرك ألم تعلم أن القيامة تجمعنا فقال بلى ولكن خشيت أن تسلب دينك فيحال بيني وبينك وقيل
إن يعقوب وولده عليهم السلام دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامرأة وخرجوا منها
مع موسى والمقاتلون منهم ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت
الذرية ألف ألف ومائتي ألف آوى إليه أبويه ضمهما إليه واعتنقهما قال ابن إسحق كانت أمه تحيا وقيل
هما أبوه وخالته ماتت أمه فتزوجها وجعلهما أحد الأبوين لأن الرابة تدعى أما لقيامها مقام الأم
أو لأن الخالة أم كما أن العم أب ومنه قوله وإله آبائك إبرهيم وإسمعيل وإسحق فإن قلت ما معنى دخولهم
عليه قبل دخولهم مصر قلت كأنه حين استقبلهم نزل لهم في مضرب أو بيت ثم دخلوا عليه وضم إليه أبويه
ثم قال لهم ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين ولما دخل مصر وجلس في مجلسه مستويا على سريره واجتمعوا إليه
أكرم أبويه فرفعهما على السرير وخروا له يعني الإخوة الأحد عشر والأبوين سجدا ويجوز أن يكون قد خرج
في قبة من قباب الملوك التي تحمل على البغال فأمر أن يرفع إليه أبواه فدخلا عليه القبة فآواهما إليه بالضم
والاعتناق وقربهما منه وقال بعد ذلك ادخلوا مصر فإن قلت بم تعلقت المشيئة قلت بالدخول مكيفا بالأمن
لأن القصد إلى اتصافهم بالأمن في دخولهم فكأنه قيل اسلموا وآمنوا في دخولكم إن شاء الله ونظيره قولك للغازي
ارجع سالما غانما إن شاء الله فلا تعلق المشيئة بالرجوع مطلقا ولكن مقيدا بالسلامة والغنيمة مكيفا بهما
والتقدير ادخلوا مصر آمنين إن شاء الله دخلتم آمنين ثم حذف الجزاء لدلالة الكلام ثم اعترض بالجملة الجزائية بين
الحال وذي الحال ومن بدع التفاسير أن قوله إن شاء الله من باب التقديم والتأخير وأن موضعه ما بعد قوله سوف أستغفر
لكم ربي في كلام يعقوب وما أدري ما أقول فيه وفي نظائره فإن قلت كيف جاز لهم أن يسجدوا لغير الله قلت كانت السجدة
عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها مما جرت عليه عادة الناس من أفعال
شهرت في التعظيم والتوقير وقيل ما كانت إلا انحناء دون تعفير الجباه وخرورهم سجدا يأباه وقيل
معناه خروا لأجل يوسف سجدا لله شكرا وهذا أيضا فيه نبوة يقال أحسن إليه وبه وكذلك أساء إليه وبه قال
أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة من البدو من البادية لأنهم كانوا أهل عمد وأصحاب مواش يتنقلون في المياه
والمناجع نزغ أفسد بيننا وأغرى وأصله من نخس الرائض الدابة وحمله على الجري يقال نزغه
ونسغه إذا نخسه لطيف لما يشاء لطيف التدبير لأجله رفيق حتى يجيء على وجه الحكمة والصواب وروي أن
يوسف عليه السلام أخذ بيد يعقوب فطاف به في خزائنه فأدخله خزائن الورق والذهب وخزائن الثياب وخزائن

السلاح وغيره لكفلا ادخل خزانة القراطيس قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي
على ثمان مراحل قال امرني جبريل قال او ما تسأله قال انت ابسط اليه مني فسله قال جبريل الله امرني بذلك لقولك
واخاف ان ياكله الذيب قال فهلا خفتني وروي ان يعقوب عليه السلام اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم مات
واوصى ان يدفنه بالشام الى جنب ابيه اسحق فمضى بنفسه ودفنه ثم عاد الى مصر وعاش بعد ابيه ثلاثا وعشرين
فلما تم امره وعلم انه لا يدوم له طلبت نفسه الملك الدايم الخالد فتاقت نفسه اليه فتمنى الموت وقيل
ما تمناه نبي قبله ولا بعده فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر وتشاحوا في دفنه كل
يحب ان يدفن في محلتهم حتى هموا بالقتال فراوا من الراي ان عملوا له صندوقا من مرمر وجعلوه
فيه ودفنوه في النيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا كلهم فيه شرعا وولد له افرايم
وميشا وولد لافرايم نون ولنون يوشع فتى موسى ولقد توارثت الفراعنة من العماليق بعده
مصر ولم يزل بنو اسرائيل تحت ايديهم على بقايا دين يوسف وآبائه الى ان بعث الله محمدا صلى الله عليه وعلى اله
من الملك ومن تاويل الاحاديث للتبعيض لانه لم يوت الا بعض ملك الدنيا او بعض ملك مصر وبعض التاويل
انت وليي انت الذي تتولاني بالنعمة في الدارين وتوصل الملك الفاني بالملك الباقي توفني مسلما طلب للوفاة
على حال الاسلام وان يختم له بالخير والحسنى كما قال يعقوب لولده ولا تموتن الا وانتم مسلمون ويجوز ان يكون
تمنيا للموت على ما قيل والحقني بالصالحين من آبائي او على العموم وعن عمر بن عبد العزيز ان ميمون بن مهران
بات عنده فراه كثير البكاء والمسألة للموت فقال له صنع الله على يديك خيرا كثيرا احييت سننا وامت
بدعا وفي حياتك خير وراحة للمسلمين فقال افلا اكون كالعبد الصالح لما اقر الله عينه وجمع له امره
قال توفني مسلما والحقني بالصالحين فان قلت علام انتصب فاطر السموات قلت على انه وصف لقوله رب كقوله اخا زيد حسن
الوجه او على النداء ذلك اشارة الى ما سبق من نبا يوسف والخطاب لرسول الله ومحله الابتداء وقوله من انباء الغيب نوحيه
اليك خبران ويجوز ان يكون اسما موصولا بمعنى الذي ومن انباء الغيب صلته ونوحيه الخبر والمعنى ان هذا النبا غيب
لم يحصل الا من جهة الوحي لانك لم تحضر بني يعقوب حين اجمعوا امرهم وهو القاؤهم اخاهم في البير كقوله واجمعوا ان
يجعلوه في غيابت الجب وهذا تهكم بقريش وبمن كذبه لانه لم يخف على احد من المكذبين انه لم يكن من حملة هذا الحديث
واشباهه ولا لقي فيها احدا ولا سمع منه ولم يكن من علم قومه فاذا اخبر به وقصه هذا القصص العجيب
الذي اعجز حملته ورواته لم تقع شبهة في انه ليس منه وانه من جهة الوحي فاذا انكروه تهكم بهم وقيل لهم
قد علمتم يا مكابرة انه لم يكن مشاهدا لمن مضى من القرون الخالية ونحوه وما كنت بجانب الغربي
اذ قضينا الى موسى الامر وهم يمكرون بيوسف ويبغون له الغوائل وما اكثر الناس يريد العموم كقوله
ولكن اكثر الناس لا يؤمنون وعن ابن عباس رضي الله عنه اراد اهل مكة اي وما هم بمؤمنين ولو حرصت وبالغت
على ايمانهم لتصميمهم على الكفر وعنادهم وما تسالهم عليه على ما تحدثهم به وتذكرهم ان ينيلوك منفعة
وجدوى كما يعطي حملة الاحاديث والاخبار ان هو الا ذكر عظة من الله للعالمين عامة وحث على طلب
النجاة على لسان رسول من رسله وكاين من آية من علامة ودلالة على الخالق وعلى صفاته وتوحيده يمرون عليها ويشاهدونها

وهم معرضون عنها لا يعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على الابتداء يمرون عليها خبره وقرا السدي والارض
بالنصب على ويطاون الارض يمرون عليها وفي مصحف عبد الله والارض يمشون عليها برفع الارض والمراد
ما يرون من آثار الامم الهالكة وغير ذلك من العبر وما يؤمن اكثرهم في اقراره بالله وبانه خلقه وخلق السموات
والارض الا وهو مشرك بعبادة الوثن وعن الحسن رحمه الله هم اهل الكتاب معهم شرك وايمان وعن ابن عباس
رضي الله عنه هم الذين يشبهون الله بخلقه غاشية نقمة تغشاهم وقيل ما يغمرهم من العذاب ويجللهم وقيل
الصواعق هذه سبيلي هذه السبيل التي هي الدعوة الى الايمان والتوحيد سبيلي والسبيل والطريق يذكران
ويؤنثان ثم فسر سبيله بقوله ادعو الى الله على بصيرة اي ادعو الى دينه مع حجة واضحة غير عمياء
وانا تاكيد للمستتر في ادعو ومن اتبعني عطف عليه يريد ادعو اليها انا ويدعو اليها من اتبعني ويجوز
ان يكون انا مبتدا وعلى بصيرة خبرا مقدما ومن اتبعني عطفا على انا اخبارا مبتدا بانه ومن اتبعه على حجة
وبرهان لا على هوى ويجوز ان يكون على بصيرة حالا من ادعو عاملة الرفع في انا ومن اتبعني وسبحان الله
وانزهه من الشركاء الا رجالا لا ملائكة لانهم كانوا يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة وعن ابن عباس يريد ليست
فيهم امراة وقيل في سجاح المتنبئة ولم تكن الانبياء الا ذكرانا وقرئ نوحي اليهم لانهم اعلم واحلم واهل البوادي
فيهم الجهل والجفاء والقسوة ولدار الآخرة ولدار الساعة او الحال الآخرة خير للذين اتقوا الشرك وخافوا
الله فلم يشركوا به ولم يعصوه وقرئ افلا تعقلون بالتاء والياء حتى متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام كانه
قيل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا فتراخى نصرهم حتى اذا استياسوا عن النصر وظنوا انهم قد كذبوا
اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او رجاؤهم لقولهم رجاء صادق ورجاء كاذب والمعنى
ان مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله وتاميله قد تطاولت عليهم وتمادت حتى استشعروا
القنوط وتوهموا ان لا نصر لهم في الدنيا جاءهم نصرنا في الدنيا فجاة من غير احتساب وعن ابن عباس وظنوا
حين ضعفوا وغلبوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله من النصر وقال كانوا بشرا وتلا قوله وزلزلوا حتى
يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله فان صح هذا عن ابن عباس فقد اراد بالظن ما يخطر بالبال ويهجس
في القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس وما عليه البشرية واما الظن الذي هو ترجح احد الجانبين على الآخر
فغير جائز على رجل من المسلمين فما بال رسل الله الذين هم اعرف الناس بربهم وانه متعال عن خلف الميعاد منزه
عن كل قبيح وقيل وظن المرسل اليهم انهم كذبوا اي اخلفوا او وظن المرسل اليهم انهم كذبوا من جهة الرسل في
انهم ينصرون عليهم ولم يصدقوهم فيه وقرئ وكذبوا بالتشديد على وظن الرسل انهم قد كذبتهم قومهم فيما وعدوهم
من العذاب والنصرة عليهم وقرا مجاهد كذبوا بالتخفيف على البناء للفاعل على وظن الرسل انهم قد كذبوا فيما حدثوا به
قومهم من النصرة اما على تاويل ابن عباس واما على ان قومهم اذا لم يروا لموعدهم اثرا قالوا لهم انكم قد كذبتمونا
فيكونون كاذبين عند قومهم او وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا ولو
قرئ بهذا مشددا لكان معناه وظن الرسل ان قومهم كذبوهم في موعدهم فنجي قرئ بالتخفيف والتشديد
من انجاه ونجاه وفنجي على لفظ المبني للمفعول وقرا ابن محيصن فنجا والمراد من نشاء المؤمنين

١٣

سورة الرعد مختلف فيها وهي ... (آية)

حم من المنان على عبده الغريق في بحار العصيان
الشهير بين العفو والغفران محمد بن الحاج عبد
الوهاب بن شعبان المغربي ...
رزقهم الله شفاعة نبيهم عليه السلام
دار الرضوان واسكن ...
الجنان وكان ذلك في
شهر جمادى الاولى يوم
الثاني سنة ١٢..

لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء
وهدى ورحمة لقوم يؤمنون

انهم الذين يشاهدون لم يشا نجاتهم وقد بين ذلك بقوله ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين
الضمير في **قصصهم** للرسل وتنصره قراءة من قراء قصصهم بكسر القاف وقيل هو راجع الى يوسف
واخوته **وازيلت** فالام يرجع في ما كان حديثا يفترى فيمن قرا بالكسر **قلت** الى القرآن اي ما كان القرآن
حديثا يفترى ولكن كان تصديق الذي بين يديه اي قبله من الكتب السماوية **وتفصيل** كل شيء يحتاج اليه في الدين
لانه القانون الذي يستند اليه السنة والاجماع والقياس بعد ادلة العقل وانتصاب ما نصب بعد
لكن للعطف على خبر كان **وقرئ** ذلك الرفع على ولكن هو تصديق الذي بين يديه عن رسول الله صلى الله عليه
وعلى اله وسلم علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون
الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

[illegible]

لا اله الا الله محمد رسول الله فرغ من كتابته العبد الضعيف
المفتقر الى رحمة ربه وغفرانه الخائف من سخطه وخذلانه
... محمد ... البخاري ... حلاه الله بحلية
التقوى ورزقه سعادة الدنيا والعقبى وقد حصل
على يديه تحقيقه بعون الله وتوفيقه في السادس من
ايام العشر ... سنة خمس ...
غفر الله له ولوالديه ومنحه رضاه وحقق
امله ورضاه وكذلك لجميع المؤمنين والمؤمنات
اللهم ارزقه غفرانك وجنانك
وامانك ولمن قرا ونظر فيه
وللمحسن امين
يا رب العالمين
بحمد الله

توفي العلامة ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي صاحب هذا الكتاب سنة
ثمان وثلاثين وخمسمائة وعاش احدى وسبعين سنة له نحو من ثلاثين
مصنفا وكانت احدى رجليه ساقطة وكان يمشي في خشب واختلف
في سبب سقوطها فقال بعضهم اصابه في بعض اسفاره برد شديد
وثلج عظيم وقال بعض المورخين امسك عصفورا وربطه
بخيط في رجله فافلت من يده ودخل في خرق فجذبه فانقطع
رجله في الخيط فتالمت والدته ودعت عليه بقطع رجله كما
قطع رجل العصفور فلما بلغ رحل الى بخارا لطلب العلم فسقط
عن دابته فانكسرت رجله فافضى الامر الى ان اقتضت
قطع رجله

وكتابي ...

آياتها كلماتها وحروفها وركوعها
٤٣ ٨٥٥ ٣٥٠٦ ٦

المر تلك آيات الكتاب والذي انزل اليك من ربك الحق ولكن اكثر الناس لا يؤمنون الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي

بسم الله الرحمن الرحيم

تلك اشارة الى آيات السورة والمراد بالكتاب السورة اي تلك الآيات آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها ثم قال والذي انزل اليك من ربك يعني القرآن كله هو الحق الذي لا مزيد عليه لا هذه السورة وحدها وفي اسلوب هذا الكلام قول الانمارية هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها تريد الكاملة الله مبتدا والذي خبره بدليل قوله وهو الذي مد الارض ويجوز ان يكون صفة وقوله يدبر الامر يفصل الآيات خبر بعد خبر وينصره ما تقدمه من ذكر الآيات رفع السماوات بغير عمد ترونها كلام مستانف استشهاد برؤيتهم لها كذلك او صفة لعمد ويعضده قراءة ابي ترونه وقرئ عمد بضمتين يدبر الامر امر ملكوته وربوبيته يفصل الآيات ينزلها ويبينها مفصلة لعلكم بلقاء ربكم توقنون لكي تتفكروا فيها وتتحققوا كمال قدرته فتعلموا ان من قدر على خلق هذه الاشياء وتدبيرها قدر على الاعادة والجزاء وان هذا المدبر والمفصل لا بد لكم من الرجوع اليه وقرا الحسن ندبر بالنون جعل فيها زوجين اثنين خلق فيها من جميع انواع الثمرات زوجين زوجين من كل نوع ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت وقيل المراد بالزوجين الاسود والابيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما اشبه ذلك من الاصناف المختلفة يغشي الليل النهار يلبسه مكانه فيصير اسود مظلما بعد ما كان ابيض منيرا وقرئ يغشي بالتشديد قطع متجاورات بقاع مختلفة مع كونها متجاورة متلاصقة طيبة الى سبخة وكريمة الى زهيدة وصلبة الى رخوة وصالحة للزرع لا للشجر الى اخرى على عكسها مع انتظامها جميعا في جنس الارضية وذلك دليل على قادر مريد موقع لافعاله على وجه دون وجه وكذلك الكروم والزروع والنخيل النابتة في هذه القطع مختلفة الاجناس والانواع وهي تسقى بماء واحد وتراها متغايرة الثمر في الاشكال والالوان والطعوم والروائح متفاضلة فيها وفي بعض المصاحف قطعا متجاورات على وجعل وقرئ وجنات بالنصب للعطف على زوجين وبالجر على كل الثمرات وقرئ وزرع ونخيل بالجر عطفا على اعناب وجنات والصنوان جمع صنو وهي النخلة لها راسان واصلهما واحد وقرئ بالضم والكسر لغة اهل الحجاز والضم لغة بني تميم وقيس تسقى بالتاء والياء ونفضل بالنون والياء على البناء للفاعل والمفعول جميعا في الاكل بضم الكاف وسكونها وان تعجب يا محمد من قولهم في انكار البعث فقولهم عجيب حقيق بان يتعجب منه لان من قدر على انشاء ما عدد عليك من الفطر العظيمة ولم يعي بخلقهن كانت الاعادة ايسر شيء عليه وايسره فكان انكارهم اعجوبة من الاعاجيب ائذا كنا الى آخر قولهم يجوز ان يكون في محل الرفع بدلا من قولهم وان يكون منصوبا بالقول واذا نصب بما دل عليه قوله ائنا لفي خلق جديد اولئك الذين كفروا بربهم اولئك الكاملون المتمادون في كفرهم واولئك الاغلال في اعناقهم وصف بالاصرار كقوله انا جعلنا في اعناقهم اغلالا وتحقق لهم عن الوسطا على الاغلال وانقياد او من جملة الوعيد بالسيئة قبل الحسنة بالنقمة قبل العافية والاحسان اليهم بالامهال وذلك انهم سألوا رسول الله ان ياتيهم بالعذاب استهزاء منهم بانذاره وقد خلت من قبلهم المثلات اي عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها فلا يستهزءوا والمثلة العقوبة بوزن السمرة والمثلة لما بين العقاب والمعاقب

وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه انما انت منذر ولكل قوم هاد الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار

عليه من المماثلة وجزاء سيئة سيئة مثلها ويقال امثلت الرجل من صاحبه واقصصته منه والمثال القصاص وقرئ المثلات بضمتين لاتباع الفاء العين والمثلات بفتح الميم وسكون الثاء كما يقال السمرة والمثلات بضم الميم وسكون الثاء بتخفيف المثلات بضمتين والمثلات جمع مثلة كركبة وركبات لذو مغفرة للناس على ظلمهم اي مع ظلمهم انفسهم بالذنوب ومحله الحال بمعنى ظالمين لانفسهم وفيه دليل على جواز العفو عن صاحب الكبيرة قبل التوبة لان التائب ليس على ظلمه ومن منع ذلك خص الظلم بالصغائر المكفرة لمجتنب الكبائر او الكبائر بشرط التوبة او يريد بالمغفرة الستر والامهال وروي انها لما نزلت قال النبي صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ احدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد لولا انزل عليه آية من ربه لم يعتدوا بالآيات المنزلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادا واقترحوا نحو آيات موسى وعيسى من انقلاب العصا حية واحياء الموتى فقيل لرسول الله انما انت رجل ارسلت منذرا مخوفا لهم من سوء العاقبة وناصحا كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما يصح به انك رسول منذر وصحة ذلك حاصلة باية آية كانت والآيات كلها سواء في حصول صحة الدعوى بها لا تفاوت بينها والذي عنده كل شيء بمقدار يعطي كل نبي آية على حسب ما اقتضاه علمه بالمصالح وتقديره لها ولكل قوم هاد نبي مخصوص يهديهم الى الدين ويدعوهم الى الله بوجه من الهداية وباية خص ولم يجعل الانبياء شرعا واحدا في آيات مخصوصة ووجه آخر وهو ان يكون المعنى انهم يجحدون كون ما انزل عليك آيات ويعاندون فلا يهمنك ذلك انما انت منذر فما عليك الا ان تنذر لا ان تثبت الايمان في صدورهم ولست بقادر عليه ولكل قوم هاد قادر على هدايتهم بالالجاء وهو الله تعالى ولقد دل بما ذكره من ذكر آيات علمه وتقديره الاشياء على قضايا حكمته ان اعطاء كل منذر آيات خلاف آيات غيره امر مدبر بالعلم النافذ مقدر بالحكمة الربانية ولو علم في اجابتهم الى مقترحهم خيرا ومصلحة لاجابهم اليه واما على الوجه الثاني فقد دل به على ان من هذه قدرته وهذا علمه هو القادر وحده على هدايتهم العالم باي طريق يهديهم ولا سبيل الى ذلك لغيره الله يعلم يحتمل ان يكون كلاما مستانفا وان يكون المعنى هو الله تفسيرا لهاد على الوجه الاخير ثم ابتدئ فقيل يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض وما تزداد اما موصولة واما مصدرية فان كانت موصولة فالمعنى انه يعلم ما تحمله من الولد على اي حال هو من ذكورة وانوثة وتمام وخداج وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك من الاحوال الحاضرة والمترقبة ويعلم ما تغيضه الارحام اي تنقصه يقال غاض الماء وغضته انا ومنه قوله تعالى وغيض الماء وما تزداده اي تاخذه زائدا تقول اخذت منه حقي وازددت منه كذا ومنه قوله تعالى وازدادوا تسعا ويقال زدته فزاد بنفسه وازداد ومما تنقصه الرحم وتزداد عدد الولد فانها تشتمل على واحد وقد تشتمل على اثنين وثلاثة واربعة ويروى ان شريكا كان رابع اربعة في بطن امه ومنه جسد الولد فانه يكون تاما ومخدجا ومنه مدة الولادة فانها تكون اقل من تسعة اشهر وازيد عليها الى سنتين عند ابي حنيفة والى اربع عند الشافعي والى خمس عند مالك وقيل ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان بقي في بطن امه اربع سنين ولذلك سمي هرما ومنه الدم فانه يقل ويكثر وان كانت مصدرية فالمعنى انه يعلم حمل كل انثى ويعلم غيض الارحام وازديادها لا يخفى عليه شيء من ذلك ومن اوقاته واحواله ويجوز ان يراد غيوض ما في الارحام وزيادته فاسند الفعل الى

غاض الماء نزل وذهب

الارحام وسولها فيها على ان الفعلين غير متعديين ويعضده قول الحسن الغيوضة ان تضع لثمانية
اشهر او اقل من ذلك والازدياد ان تزيد على تسعة اشهر وعنه الغيض الذي يكون سقطا لغير تمام
والازدياد ما ولد لتمام بمقدار بقدر وحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله انا كل شيء خلقناه بقدر
الكبير العظيم الشأن الذي كل شيء دونه المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته او الذي كبر عن صفات
المخلوقين وتعالى عنها سارب ذاهب في سربه بالفتح اي في طريقه ووجهه يقال سرب في الارض
سروبا والمعنى سواء عنده من استخفى اي طلب الخفاء في مختبأ بالليل في ظلمته ومن يضطرب في الطرقات
ظاهرا بالنهار يبصره كل احد فان قلت كان حق العبارة ان يقال ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب
بالنهار حتى يتناول معنى الاستواء المستخفي والسارب والا فقد تناول واحدا هو مستخف وسارب
قلت فيه وجهان احدهما ان قوله وسارب عطف على من هو مستخف لا على مستخف والثاني انه عطف
على مستخف الا ان من في معنى الاثنين كقوله نكن مثل من يا ذئب يصطحبان كانه قيل سواء
منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والضمير في له مردود على من كانه قيل لمن اسر ومن جهر
ومن استخفى ومن سرب معقبات جماعات من الملائكة تعتقب في حفظه وكلاءته والاصل معتقبات
فادغمت التاء في القاف كقوله وجاء المعذرون بمعنى المعتذرون ويجوز معقبات بكسر العين ولم
يقرا به او هو مفعلات من عقبه اذا جاء على عقبه كما يقال قفاه لان بعضهم يعقب بعضا او لانهم
يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه يحفظونه من امر الله هما صفتان جميعا وليس من امر الله بصلة للحفظ
كانه قيل له معقبات من امر الله او يحفظونه من اجل امر الله اي من اجل ان الله امرهم بحفظه والدليل عليه
قراءة علي وابن عباس وزيد بن علي وجعفر بن محمد وعكرمة يحفظونه بامر الله او يحفظونه من بأس
الله ونقمته اذا اذنب بدعائهم له ومسألتهم ربهم ان يمهله رجاء ان يتوب وينيب كقوله قل من
يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه
وتقديره من امر الله اي من قضاياه ونوازله او على التهكم به وقرئ له معاقيب جمع معقب او معقبة
والياء عوض من حذف احدى القافين في التكسير ان الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة حتى يغيروا
ما بانفسهم من الحال الجميلة بكثرة المعاصي من وال ممن يلي امرهم ويدفع عنهم خوفا وطمعا لا
يصح ان يكونا مفعولا لهما لانهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلل الا على تقدير حذف المضاف اي ارادة
خوف وطمع او على معنى اخافة واطماعا ويجوز ان يكونا منتصبين على الحال من البرق كانه في نفسه
خوف وطمع او على ذا خوف وذا طمع او من المخاطبين اي خائفين وطامعين ومعنى الخوف والطمع ان
وقوع الصواعق يخاف عند لمع البرق ويطمع في الغيث قال ابو الطيب فتى كالسحاب الجون يخشى
ويرتجى يرجى الحيا منها وتخشى الصواعق وقيل يخاف المطر من له فيه ضرر كالمسافر ومن في
جرينه التمر والزبيب ومن له بيت يكف ومن البلاد ما لا ينتفع اهله بالمطر كاهل مصر ويطمع فيه
من له فيه نفع ويحييه السحاب اسم الجنس والواحد سحابة والثقال جمع ثقيلة لانك تقول سحابة ثقيلة

وسحاب ثقال كما تقول امرأة كريمة ونساء كرام وهي الثقال بالماء ويسبح الرعد بحمده ويسبح سامعوا الرعد
من العباد الراجين للمطر حامدين له يصيحون سبحان الله والحمد لله وعن النبي عليه السلام انه كان يقول سبحان من يسبح
الرعد بحمده وعن علي رضي الله عنه سبحان من سبحت له واذا اشتد الرعد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا
تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن ابن عباس ان اليهود سألت النبي عليه السلام عن الرعد
ما هو فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب وعن الحسن خلق من
خلق الله ليس بملك ومن بدع المتصوفة الرعد صعقات الملائكة والبرق زفرات افئدتهم
والمطر بكاؤهم والملائكة من خيفته ويسبح الملائكة من هيبته واجلاله ذكر علمه النافذ في كل شيء واستواء
الظاهر والخفي عنده وما دل على قدرته الباهرة ووحدانيته ثم قال وهم يعني الذين كفروا وكذبوا رسول
الله وانكروا اياته يجادلون في الله حيث ينكرون على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث واعادة
الخلائق بقولهم من يحيي العظام وهي رميم ويردون الوحدانية باتخاذ الشركاء والانداد ويجعلونه
بعض الاجسام المتوالدة بقولهم الملائكة بنات الله فهذا جدالهم بالباطل كقوله وجادلوا بالباطل
ليدحضوا به الحق وقيل الواو للحال اي فيصيب بها من يشاء في حال جدالهم وذلك ان اربد اخا لبيد بن
ربيعة العامري قال لرسول الله حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل قاصدين لقتله فرمى الله عامرا
بغدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية وارسل على اربد صاعقة فقتلته اخبرني عن ربنا امن
نحاس هو ام من حديد المحال المماحلة وهي شدة المماكرة والمكايدة ومنه تمحل لكذا اذا تكلف
استعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان اذا كاده وسعى به الى السلطان ومنه الحديث ولا تجعله
علينا ماحلا مصدقا وقال الاعشى فرع نبع يهتز في غصن المجد غزير الندى شديد المحال
والمعنى انه شديد المكر والكيد لاعدائه ياتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون وقرأ الاعرج
بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول محالا اذا احتال ومنه احول من ذئب اي اشد حيلة ويجوز
ان يكون المعنى شديد الفقار ويكون مثلا في القوة والقدرة كما جاء فساعد الله اشد وموساه احد
لان الحيوان اذا اشتد محاله كان منعوتا بشدة القوة والاضطلاع بما يعجز عنه غيره الا ترى
الى قولهم فقرته الفواقر وذلك ان الفقار عمود الظهر وقوامه دعوة الحق
فيها وجهان احدهما ان تضاف الدعوة الى الحق الذي هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة اليه في قولك كلمة
الحق للدلالة على ان الدعوة ملابسة للحق مختصة به وانها بمعزل من الباطل والمعنى ان الله سبحانه يدعى
فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي سؤله فكانت دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقا بان يوجه
اليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا ينفع ولا يجدي دعاؤه والثاني ان تضاف الى الحق الذي هو
الله عز وعلا على معنى دعوة المدعو الحق الذي يسمع فيجيب وعن الحسن الحق هو الله وكل دعاء اليه دعوة
الحق فان قلت ما وجه اتصال هذين الوصفين بما قبله قلت اما على قصة اربد فظاهر لان اصابته بالصاعقة محال
من الله ومكر به من حيث لم يشعر وقد دعا رسول الله عليه السلام عليه وعلى صاحبه بقوله اللهم اخسفهما بما شئت

والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال ولله يسجد
من في السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال قل من رب السموات والأرض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا
يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم
قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل

بحاله فلا جرم فيهما فكانت الدعوة دعوة حق وأما على الأول فوعيد للكفرة على مجادلتهم رسول الله بحلول محاله
وإجابة دعوة رسول الله إن دعا عليهم فيهم **والذين** يدعون والآلهة الذين يدعوهم الكفار من دون الله لا
يستجيبون لهم بشيء من طلباتهم إلا كباسط كفيه إلا استجابة كاستجابة باسط كفيه أي كاستجابة
الماء من بسط كفيه إليه يطلب منه أن يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته
إليه ولا يقدر أن يجيب دعاءه ويبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع إجابتهم
ولا يقدر على نفعهم **وقيل** شبهوا في قلة جدوى دعائهم لآلهتهم بمن أراد أن يغرف الماء بيديه
ليشربه فبسطهما ناشرا أصابعه فلم تلق كفاه منه شيئا ولم يبلغ طلبته من شربه وقرئ تدعون بالتاء
كباسط كفيه بالتنوين **إلا في ضلال** إلا في ضياع لا منفعة فيه لأنهم إن دعوا الله لم يجبهم وإن دعوا الآلهة
لم تستطع إجابتهم **ولله** يسجد أي ينقادون لإحداث ما أراد فيهم من أفعاله شاؤوا أو أبوا لا يقدرون
أن يمتنعوا عليه وتنقاد له ظلالهم أيضا حيث تتصرف على مشيئته في الامتداد والتقلص والفيء والزوال
وقرئ بالغدو والإيصال من آصلوا إذا دخلوا في الأصيل **قل الله** حكاية لاعترافهم وتأكيد له عليهم لأنه إذا قال
لهم من رب السموات والأرض لم يكن لهم بد من أن يقولوا الله كقوله قل من رب السموات السبع ورب العرش
العظيم سيقولون لله وهذا كما يقول المناظر لصاحبه أهذا قولك فإذا قال هذا قولي قال هذا قولك
فيحكي قوله تقريرا له عليه واستيثاقا منه ثم يقول له فيلزمك على هذا القول كيت وكيت ويجوز أن يكون
تلقينا أي إن كعوا عن الجواب فلقنهم فإنهم يتلقنونه ولا يقدرون أن ينكروه **أفاتخذتم** من دونه أولياء
أبعد أن علمتموه رب السموات والأرض اتخذتم من دونه أولياء فجعلتم ما كان يجب أن يكون سبب التوحيد
من علمكم وإقراركم سبب الإشراك **لا يملكون** لأنفسهم نفعا ولا ضرا لا يستطيعون لأنفسهم أن ينفعوها
أو يدفعوا عنها ضررا فكيف يستطيعونه لغيرهم وقد آثرتموهم على الخالق الرازق المثيب المعاقب فما
أبين ضلالتكم **أم جعلوا** لله بل أجعلوا ومعنى الهمزة الإنكار وخلقوا صفة لشركاء يعني أنهم لم يتخذوا
لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله فتشابه عليهم خلق الله وخلقهم حتى يقولوا قدر هؤلاء على
الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة فنتخذهم له شركاء ونعبدهم كما يعبد إذ لا فرق
بين خالق وخالق ولكنهم اتخذوا له شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا أن يقدروا
على ما يقدر عليه الخالق **قل الله** خالق كل شيء لا خالق غير الله ولا يستقيم أن يكون له شريك في الخلق فلا يكون له
شريك في العبادة وهو الواحد المتوحد بالربوبية القهار لا يغالب وما عداه مربوب ومقهور **هذا** مثل
ضربه الله للحق وأهله والباطل وحزبه كما ضرب الأعمى والبصير والظلمات والنور مثلا لهما فمثل الحق
وأهله بالماء الذي ينزله من السماء فتسيل به أودية الناس فيحيون به وينفعهم أنواع المنافع وبالفلز
الذي ينتفعون به في صوغ الحلي منه واتخاذ الأواني والآلات المختلفة ولو لم يكن إلا الحديد الذي فيه البأس
الشديد لكفى به وأن ذلك ماكث في الأرض باق بقاء ظاهرا يثبت الماء في منافعه وتبقى آثاره في العيون
والبئار والحبوب والثمار التي تنبت به مما يدخر ويكنز وكذلك الجواهر أزمنة متطاولة

زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع
الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به
أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولو الألباب الذين
يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل

وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله ووشك زواله وانسلاخه عن المنفعة بزبد السيل الذي يرمي به وبزبد الذي
الفلز الذي يطفو فوقه إذا أذيب **فإن قلت** لم نكرت الأودية **قلت** لأن المطر لا يأتي إلا على طريق المناوبة بين
البقاع فيسيل بعض أودية الأرض دون بعض **فإن قلت** فما معنى قوله بقدرها **قلت** بمقدارها الذي عرف الله أنه
نافع للممطور عليهم غير ضار ألا ترى إلى قوله وأما ما ينفع الناس لأنه ضرب المطر مثلا للحق فوجب أن يكون مطرا
خالصا للنفع خاليا من المضرة ولا يكون كبعض الأمطار والسيول الجواحف **فإن قلت** فما فائدة قوله ابتغاء حلية
أو متاع **قلت** الفائدة فيه كالفائدة في قوله بقدرها لأنه جمع الماء والفلز في النفع في قوله وأما ما ينفع الناس
لأن المعنى وأما ما ينفعهم من الماء والفلز فذكر وجه الانتفاع بما يوقد عليه منه ويذاب وهو الحلية والمتاع
وقوله ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع عبارة جامعة لأنواع الفلز مع إظهار الكبرياء في ذكره
على وجه التهاون به كما هو هجيري الملوك نحو ما جاء في ذكر الآجر أوقد لي يا هامان على الطين ومن لابتداء
الغاية أي ومنه ينشأ زبد مثل زبد الماء أو للتبعيض بمعنى وبعضه زبد **رابيا** منتفخا مرتفعا على وجه
السيل **جفاء** يجفوه السيل أي يرمي به وجفأت القدر بزبدها وأجفأ السيل وأجفل وفي قراءة
رؤبة بن العجاج جفالا وعن أبي حاتم لا يقرأ بقراءة رؤبة لأنه كان يأكل الفار وقرئ يوقدون بالياء
أي يوقد الناس **للذين** استجابوا اللام متعلقة بيضرب أي كذلك يضرب الله الأمثال للمؤمنين الذين استجابوا
وللكافرين الذين لم يستجيبوا أي هما مثلا الفريقين **والحسنى** صفة لمصدر استجابوا أي استجابوا الاستجابة
الحسنى وقوله لو أن لهم كلام مبتدأ في ذكر ما أعد لغير المستجيبين وقيل قد تم الكلام عند قوله كذلك يضرب
الله الأمثال وما بعده كلام مستأنف والحسنى مبتدأ خبره للذين استجابوا والمعنى لهم المثوبة الحسنى وهي
الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره لو مع ما في حيزه **سوء الحساب** المناقشة فيه وعن النخعي أن يحاسب الرجل
بذنبه كله لا يغفر منه شيء **أفمن يعلم** دخلت همزة الإنكار على الفاء في قوله أفمن يعلم لإنكار أن تقع شبهة بعد ما ضرب
من المثل في أن حال من علم أنما أنزل إليك من ربك الحق فاستجاب بمعزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب
كبعد ما بين الزبد والماء والخبث والإبريز الخالص **إنما يتذكر** أولو الألباب أي الذين عملوا على قضيات عقولهم
فنظروا واستبصروا **الذين** يوفون بعهد الله مبتدأ وأولئك لهم عقبى الدار خبره كقوله والذين ينقضون عهد الله أولئك
لهم اللعنة ويجوز أن يكون صفة لأولي الألباب والأول أوجه **وعهد الله** ما عقدوه على أنفسهم من الشهادة
بربوبيته وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى **ولا** ينقضون الميثاق ولا ينقضون كل ما وثقوه على أنفسهم
وقبلوه من الإيمان بالله تعالى وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد تعميم بعد تخصيص **ما أمر الله به** أن يوصل
من الأرحام والقرابات ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب الإيمان إنما المؤمنون إخوة
بالإحسان إليهم على حسب الطاقة ونصرتهم والذب عنهم والشفقة عليهم والنصيحة لهم وطرح التفرقة بين أنفسهم
وبينهم وإفشاء السلام عليهم وعيادة مرضاهم وشهود جنائزهم ومنه مراعاة حق الأصحاب والخدم
والجيران والرفقاء في السفر وكل ما تعلق منهم بسبب حتى الهرة والدجاجة وعن الفضيل بن عياض أن
جماعة دخلوا عليه بمكة فقال من أين أنتم قالوا من أهل خراسان قال اتقوا الله وكونوا من حيث شئتم

ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرؤن
بالحسنة السيئة اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من اباءهم وازواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم
بما صبرتم فنعم عقبى الدار والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك لهم اللعنة
ولهم سوء الدار الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع ويقول الذين كفروا لولا انزل

لهم سوء الدار ... من المحسنين **ويخشون ربهم**
واعلموا ان العبد لو احسن الاحسان كله وكانت له دجاجة فاساء اليها لم يكن من المحسنين
اى يخشون وعيده كله ويخافون خصوصا سوء الحساب فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا
صبروا مطلق فيما يصبر عليه من المصائب في النفوس والاموال ومشاق التكليف ابتغاء وجه الله لا ليقال
ما اصبره واحمله للنوازل واوقره عند الزلازل ولا لئلا يعاب بالجزع وليلا يشمت به الاعداء كقوله
وتجلدي للشامتين ولا لانه لا طائل تحت الهلع ولا مرد فيه للفايت كقوله ما ان جزعت ولا هلعت
ولا يرد بكاي زبدا وكل عمل له وجوه يعمل عليها فعلى المؤمن ان ينوي منها ما به كان حسنا عند الله والا لم
يستحق به ثوابا وكان فعلا كلا فعل **مما** رزقناهم من الحلال لان الحرام لا يكون رزقا ولا يسند الى الله **سرا** وعلانية يتناول
النوافل لانها بالسر افضل والفرايض لوجوب المجاهرة بها نفيا للتهمة **ويدرؤن** بالحسنة ويدفعونها عن ابن
عباس يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيئ غيرهم وعن الحسن اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا
واذا قطعوا وصلوا وعن ابن كيسان اذا اذنبوا تابوا وقيل اذا راوا منكرا امروا بتغييره **عقبى** الدار عاقبة الدنيا
وهي الجنة لانها التي اراد الله تعالى ان تكون عاقبة الدنيا ومرجع اهلها **جنات** عدن بدل من عقبى الدار وقرئ
فنعم بفتح النون والاصل نعم فمن كسر النون فلنقل كسرة العين اليها ومن فتح فقد سكن العين ولم
ينقل وقرئ يدخلونها على البناء للمفعول وقرا ابن ابي عبلة صلح بضم اللام والفتح افصح **اعلم** ان الانساب لا تنفع
اذا تجردت من الاعمال الصالحة وآباؤهم جمع ابوي كل واحد منهم فكانه قيل من آبائهم وامهاتهم **سلام** عليكم
في موضع الحال لان المعنى قائلين سلام عليكم او مسلمين **فان قلت** بم تعلق قوله بما صبرتم **قلت** بمحذوف تقديره هذا بما
صبرتم يعنون هذا الثواب بسبب صبركم او بدل ما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه هذه الملاذ والنعم والمعنى لئن
تعبتم في الدنيا لقد استرحتم الساعة كقوله بما قد ارى فيها اوانس بدنا وعن النبي صلى الله عليه انه كان ياتي
قبور الشهداء على راس كل حول فيقول السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ويجوز ان يتعلق بسلام اى نسلم عليكم
ونكرمكم بصبركم **من بعد** ميثاقه من بعد ما اوثقوه به من الاعتراف والقبول **سوء** الدار يحتمل ان يراد سوء عاقبة امرها
الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار ويجوز ان يراد بالدار جهنم وبسوءها عذابها **الله** يبسط الرزق اى الله وحده هو
يبسط الرزق ويقدره دون غيره وهو الذي بسط رزق اهل مكة ووسعه عليهم **وفرحوا** بما بسط لهم من الدنيا فرح
بطر واشر لا فرح سرور بفضل الله وانعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يستوجبوا نعيم الآخرة
وخفي عليهم ان نعيم الدنيا في جنب نعيم الآخرة ليس الا شيئا نزرا يتمتع به كعجالة الراكب وهي ما يتعجله
من تميرات او شربة سويق او نحو ذلك **فان قلت** كيف طابق قولهم لولا انزل عليه آية من ربه قوله قل ان الله يضل من يشاء
قلت هو كلام يجري مجرى التعجب من قولهم وذلك ان الآيات الباهرة التي اوتيها رسول الله صلى الله عليه لم يؤتها
نبي قبله وكفى بالقرآن وحده آية وراء كل آية فاذا جحدوها ولم يعتدوا بها وجعلوه كان آية لم تنزل عليه قط كان
موضعا للتعجب والاستنكار فكانه قيل لهم ما اعظم عنادكم وما اشد تصميمكم على كفركم **ان الله** يضل من يشاء ممن
كان على صفتكم من التصميم وشدة الشكيمة في الكفر فلا سبيل الى اهتدائهم وان انزلت كل آية ويهدي اليه من كان
على خلاف صفتكم **اناب** اقبل الى الحق وحقيقته دخل في نوبة الخير **والذين** آمنوا بدل من اناب **وتطمئن** قلوبهم بذكر

الا بذكر الله تطمئن القلوب الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب كذلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم
لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت
به الارض او كلم به الموتى بل لله الامر جميعا افلم ييأس الذين آمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا

٢٧٧

الله بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته كقوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله او تطمئن
بذكر دلائله الدالة على وحدانيته او تطمئن بالقرآن لانه معجزة بينة تسكن القلوب وتثبت اليقين فيها **الذين آمنوا**
مبتدأ وطوبى لهم خبره ويجوز ان يكون بدلا من القلوب على تقدير حذف المضاف اى تطمئن القلوب قلوب الذين آمنوا **وطوبى**
مصدر من طاب كبشرى وزلفى ومعنى طوبى لك اصبت خيرا وطيبا ومحلها النصب او الرفع كقولك طيبا لك
وطيب لك وسلاما لك وسلام لك والقراءة في قوله وحسن مآب بالرفع والنصب تدلك على محليها واللام في لهم للبيان
مثلها في سقيا لك والواو في طوبى منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها كموقن وموسر وقرا مكوزة الاعرابي طيبى
لهم فكسر الطاء لتسلم الياء كما قيل بيض ومعيشة **كذلك** ارسلناك مثل ذلك الارسال ارسلناك يعني ارسلناك
ارسالا له شان وفضل على سائر الارسالات ثم فسر كيف ارسله فقال في امة قد خلت من قبلها امم اى ارسلناك في امة
قد تقدمتها امم كثيرة فهي آخر الامم وانت خاتم الانبياء **لتتلو** عليهم الذي اوحينا اليك لتقرا عليهم الكتاب
العظيم الذي اوحينا اليك **وهم** يكفرون وحال هؤلاء انهم يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة الذي وسعت رحمته
كل شيء وما بهم من نعمة فمن الله فكفروا بنعمته في ارسال مثلك اليهم وانزال هذا القرآن المعجز المصدق لسائر
الكتب عليهم **قل هو ربي** الواحد المتعالي عن الشركاء **عليه** توكلت في نصرتي عليكم **واليه** متاب فيثيبني على مصابرتكم
ومجاهدتكم **ولو ان** قرآنا جوابه محذوف كما تقول لغلامك لو اني قمت اليك وتترك الجواب والمعنى ولو ان قرآنا سيرت
به الجبال عن مقارها وزعزعت عن مضاجعها **او** قطعت به الارض حتى تتصدع وتتزايل قطعا **او كلم**
به الموتى فتسمع وتجيب لكان هذا القرآن لكونه غاية في التذكير ونهاية في الانذار والتخويف كما قال ولو انزلنا
هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وهذا يعضد ما فسرت به قوله لتتلو عليهم الذي اوحينا
اليك من ارادة تعظيم ما اوحي اليك الى رسول الله من القرآن وقيل معناه ولو ان قرآنا وقع به تسيير الجبال
وتقطيع الارض وتكليم الموتى وتنبيههم لما آمنوا به ولما تنبهوا عليه كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الآية
وقيل ان ابا جهل بن هشام قال لرسول الله عليه السلام سير لنا جبال مكة حتى تتفسح لنا فنتخذ فيها
البساتين والقطائع كما سخرت لداود ان كنت نبيا كما تزعم فلست باهون على الله من داود وسخر لنا به الريح
لنركبها ونتجر الى الشام ثم نرجع في يومنا فقد شق علينا قطع المسافة البعيدة كما سخرت لسليمان
او ابعث لنا به رجلين او ثلاثة ممن مات من آبائنا منهم قصي بن كلاب فنزلت ومعنى تقطيع الارض على هذا
قطعها بالسير ومجاوزتها وعن الفراء هو متعلق بما قبله والمعنى وهم يكفرون بالرحمن ولو ان قرآنا سيرت
به الجبال وما بينهما اعتراض وليس ببعيد من السداد وقيل قطعت به الارض شققت فجعلت انهارا وعيونا
بل لله الامر جميعا على معنيين احدهما بل لله القدرة على كل شيء وهو قادر على الآيات التي اقترحوها الا ان علمه بان
اظهارها مفسدة يصرفه والثاني بل لله ان يلجئهم الى الايمان وهو قادر على الالجاء لولا انه بنى امر التكليف على
الاختيار ويعضده قوله افلم ييأس الذين آمنوا ان لو يشاء الله يعني مشيئة الالجاء والقسر لهدى الناس جميعا ومعنى
افلم ييأس افلم يعلم قيل هي لغة قوم من النخع وقيل انما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لان اليائس
عن الشيء عالم بانه لا يكون كما استعمل الرجاء في معنى الخوف والنسيان في معنى الترك لتضمن ذلك قال سحيم بن وثيل

ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريبا من دارهم حتى ياتي وعد الله ان الله لا يخلف الميعاد ولقد استهزئ
برسل من قبلك فامليت للذين كفروا ثم اخذتهم فكيف كان عقاب افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركا قل سموهم ام تنبئونه بما لا يعلم في
الارض ام بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد لهم عذاب في الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة اشق وما
لهم من الله من واق مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الانهار

الزجاج اقول لهم بالشعب اذ ييسرونني الم تيأسوا اني ابن فارس زهدم ويدل عليه ان عليا وابن عباس وجماعة
من الصحابة والتابعين قرأوا افلم يتبين وهو تفسير افلم ييأس وقيل انما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوي
السينات وهذا ونحوه مما لا يصدق في كتاب الله الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكيف يخفى مثل هذا
حتى يبقى ثابتا بين دفتي الامام وكان متقلبا في ايدي اولئك الاعلام المحتاطين في دين الله المهيمنين عليه
لا يغفلون عن جلائله ودقائقه خصوصا عن القانون الذي اليه المرجع والقاعدة التي عليها البناء وهذه والله فرية
ما فيها مرية ويجوز ان يتعلق ان لو يشا بآمنوا على او لم يقنط عن ايمان هولاء الكفرة الذين آمنوا بان لو يشا الله لهدى
الناس جميعا ولهداهم تصيبهم بما صنعوا من كفرهم وسوء اعمالهم قارعة داهية تقرعهم بما يحل الله بهم
في كل وقت من صنوف البلايا والمصائب في نفوسهم واولادهم واموالهم او تحل القارعة قريبا منهم فيفزعون ويضطربون
ويتطاير اليهم شرارها ويتعدى اليهم شرورها حتى ياتي وعد الله وهو موتهم او القيامة وقيل ولا يزال الكفار
مكة تصيبهم بما صنعوا برسول الله من العداوة والتكذيب قارعة لان رسول الله كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حول
مكة وتختطف منهم وتصيب من مواشيهم او تحل انت يا محمد قريبا من دارهم بجيشك كما حل الحديبية حتى ياتي
وعد الله وهو فتح مكة وكان الله قد وعده ذلك الاملاء الامهال وان يترك ملاوة من الزمان في خفض وامن كالبهيمة
يملى لها في المرعى وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله استهزاء به وتسلية له افمن هو قائم
احتجاج عليهم في اشراكهم بالله يعني افالله الذي هو قائم رقيب على كل نفس صالحة او طالحة بما كسبت يعلم
خيره وشره ويعد لكل جزاءه كمن ليس كذلك ويجوز ان يقدر ما يقع خبرا للمبتدا ويعطف عليه وجعلوا
وتمثيله افمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له وهو الله الذي يستحق العبادة وحده شركا قل سموهم
اي جعلتم له شركا فسموهم له من هم ونبئوهم باسمائهم ثم قال ام تنبئونه على ام المنقطعة كقولك للرجل
قل لي من زيد ام هو اقل من ان يعرف ومعناه بل اتنبئونه بشركا لا يعلمهم في الارض وهو العالم بما في
السموات والارض فاذا لم يعلمهم علم انهم ليسوا بشي يتعلق به العلم والمراد نفي ان يكون له شركا ونحوه
قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض ام بظاهر من القول بل اتسمونهم شركا بظاهر من القول من
غير ان يكون لذلك حقيقة كقوله ذلك قولهم بافواههم ما تعبدون من دونه الا اسما سميتموها وهذا الاحتجاج واساليبه
العجيبة التي ورد عليها مناد على نفسه بلسان طلق ذلق انه ليس من كلام البشر لمن عرف وانصف من نفسه
فتبارك الله احسن الخالقين وقرئ اتنبئونه بالتخفيف مكرهم كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا قرئ بالحركات
الثلاث وقرا ابن ابي اسحق وصد بالتنوين ومن يضلل الله ومن يخذله لعلمه انه لا يهتدي فما له من هاد فما له من احد
يقدر على هدايته لهم عذاب في الحيوة الدنيا وهو ما ينالهم من القتل والاسر وسائر المحن ولا يلحقهم الا
عقوبة لهم على الكفر ولذلك سماه عذابا وما لهم من الله من واق وما لهم من حافظ من عذابه او وما لهم من رحمته
واق من رحمته مثل الجنة صفتها التي هي في غرابة المثل وارتفاعه بالابتدا والخبر محذوف على مذهب سيبويه اي
فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقال غيره الخبر تجري من تحتها الانهار كما تقول صفة زيد اسمر وقال الزجاج
معناه مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار على حذف الموصوف تمثيلا لما غاب عنا بما نشاهد وقرا علي رضي
الله عنه

اكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب من ينكر بعضه
قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به اليه ادعو واليه مآب وكذلك انزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت اهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك
من الله من ولي ولا واق ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله لكل اجل كتاب
يمحو الله ما يشا ويثبت وعنده ام الكتاب واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب اولم يروا انا ناتي الارض
ننقصها من اطرافها

امثال الجنة على الجمع اي صفاتها اكلها دائم كقوله لا مقطوعة ولا ممنوعة وظلها دائم لا ينسخ كما ينسخ
في الدنيا بالشمس والذين آتيناهم الكتاب يريد من اسلم من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب واصحابهما ومن اسلم من
النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران واثنان وثلاثون بارض الحبشة وثمانية يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب
يعني من احزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله بالعداوة نحو كعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب
اسقفي نجران واشياعهما من ينكر بعضه لانهم كانوا لا ينكرون الاقاصيص وبعض الاحكام والمعاني مما هو ثابت
في كتبهم غير محرف وكانوا ينكرون ما هو نعت الاسلام ونعت رسول الله وغير ذلك مما حرفوه وبدلوه من الشرائع
فان قلت كيف اتصل قوله قل انما امرت ان اعبد الله بما قبله قلت هو جواب للمنكرين معناه قل انما امرت فيما انزل الي
بان اعبد الله ولا اشرك به فانكاركم له انكار لعبادة الله وتوحيده فانظروا ماذا تنكرون مع ادعائكم وجوب
عبادة الله وان لا يشرك به قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سوا بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيا وقرا نافع في رواية
ابي خليد ولا اشرك به بالرفع على الاستيناف وكانه قال وانا لا اشرك به ويجوز ان يكون في موضع الحال على معنى
امرت ان اعبد الله غير مشرك به اليه ادعو خصوصا لا ادعو الى غيره واليه لا الى غيره مرجعي وانتم تقولون
مثل ذلك فلا معنى لانكاركم وكذلك انزلناه ومثل ذلك الانزال انزلناه مامورا فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة
اليه والى دينه والانذار بدار الجزا حكما حكمة عربية مترجمة بلسان العرب وانتصابه على الحال وكانوا
يدعون رسول الله الى امور يوافقهم عليها منها ان يصلي الى قبلتهم بعد ما حوله الله عنها فقيل لئن تابعتهم
على دين ما هو الا اهوا وشبه بعد ثبوت العلم عندك بالبراهين والحجج القاطعة خذلك الله فلا ينصرك
ناصر واهلكك فلا يقيك منه واق وهذا من باب الالهاب والتهييج والبعث للسامعين على الثبات في
الدين والتصلب فيه وان لا يزل زال عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة والا فكان رسول الله من شدة الشكيمة
بمكان كانوا يعيبونه بالزواج والاولاد كما كانوا يقولون ما لهذا الرسول ياكل الطعام وكانوا
يقترحون عليه الآيات وينكرون النسخ فقيل كان الرسل قبله بشرا مثله ذوي ازواج وذرية وما
كان لهم ان ياتوا بآيات برايهم ولا ياتون بما يقترح عليهم والشرائع مصالح تختلف باختلاف الاحوال
والاوقات فلكل وقت حكم يكتب على العباد اي يفرض عليهم على ما يقتضيه استصلاحهم يمحو الله ما
يشا ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت بدله ما يرى المصلحة في اثباته او يتركه غير منسوخ وقيل يمحو
من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة لانهم مامورون بكتبة كل قول وفعل ويثبت غيره وقيل
يمحو كفر التائبين ومعاصيهم بالتوبة ويثبت ايمانهم وطاعاتهم وقيل يمحو بعض الخلائق ويثبت
بعضا من الاناسي وسائر الحيوان والنبات والاشجار وصفاتها واحوالها والكلام في نحو هذا واسع المجال
وعنده ام الكتاب اصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لان كل كائن مكتوب فيه وقرئ ويثبت واما
نرينك وكيفما دارت الحال اريناك مصارعهم وما وعدناهم من انزال العذاب عليهم او توفيناك قبل ذلك
فما يجب عليك الا تبليغ الرسالة فحسب وعلينا لا عليك حسابهم وجزاؤهم على اعمالهم فلا يهمنك
اعراضهم ولا تستعجل بعذابهم اولم يروا انا ناتي الارض ارض الكفر ننقصها من اطرافها بما

٤٧٨

والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السموات وما في الارض

نفتح على المسلمين من بلادهم فننقص دار الحرب ونزيد في دار الاسلام وذلك من آيات النصرة والغلبة ونحوه
افلا يرون انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون سنريهم آياتنا في الآفاق والمعنى عليك بالبلاغ
الذي حملته ولا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك تأخره فان ذلك
لما نعلم من المصالح التي لا تعلمها ثم طيب نفسه ونفس عنها بما ذكر من طلوع تباشير الظفر وقرئ
ننقصها بالتشديد لا معقب لحكمه لا راد لحكمه والمعقب الذي يكر على الشيء فيبطله وحقيقته الذي
يعقبه اي يقفيه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب قال
لبيد طلب المعقب حقه المظلوم والمعنى انه حكم للاسلام بالغلبة والاقبال وعلى الكفر بالادبار والانتكاس
وهو سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم في الآخرة بعد عذاب الدنيا فان قلت ما محل قوله لا معقب لحكمه قلت
هو جملة محلها النصب على الحال كأنه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاءني زيد لا عمامة على رأسه ولا
قلنسوة تريد حاسرا وقد مكر الذين من قبلهم وصفهم بالمكر ثم جعل مكرهم كلا مكر بالاضافة الى مكره فقال
فلله المكر جميعا ثم فسر ذلك بقوله يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار لان من علم ما تكسب
كل نفس واعد لها جزاءها فهو المكر كله لانه يأتيهم من حيث لا يعلمون وهم في غفلة مما يراد بهم وقرئ الكفار
والكافرون والذين كفروا والكفر اي اهله والمراد بالكافر الجنس وقرأ جناح بن حبيش وسيُعلم
الكافر من اعلمه اي سيخبر كفى بالله شهيدا لما اظهر من الادلة على رسالتي ومن عنده علم الكتاب والذي
عنده علم القرآن وما الف عليه من النظم المعجز الفائت لقوى البشر وقيل هو من علماء اهل الكتاب
الذين اسلموا لانهم يشهدون بنعته في كتبهم وقيل هو الله عز وجل والكتاب اللوح المحفوظ وعن
الحسن لا والله ما يعني الا الله والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم علم ما في اللوح الا هو
شهيدا بيني وبينكم وتعضده قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب على من الجارة وعُلِم على البناء
للمفعول وقرئ وبمن عنده علم الكتاب فان قلت بم ارتفع علم الكتاب قلت في القراءة التي وقع فيها
عنده صلة يرتفع العلم بالمقدر في الظرف فيكون فاعلا لان الظرف اذا وقع صلة اوغل في
شبه الفعل لاعتماده على الموصول فعمل عمل الفعل كقولك مررت بالذي في الدار اخوه فاخوه
فاعل كما تقول بالذي استقر في الدار اخوه وفي القراءة التي لم يقع فيها عنده صلة يرتفع العلم
بالابتداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب
مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيامة وبعث يوم القيامة من الموفين بعهد الله

سورة ابراهيم مكية وهي احدى وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب هو كتاب يعني السورة وقرئ ليخرج الناس والظلمات والنور استعارتان للضلال والهدى باذن ربهم
بتسهيله وتيسيره مستعار من الاذن الذي هو تسهيل للحجاب وذلك ما يمنحهم من اللطف والتوفيق الى صراط
العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم ويجوز ان يكون على وجه الاستئناف
كأنه قيل الى اي نور فقيل الى صراط العزيز الحميد وقوله الله عطف بيان للعزيز الحميد لانه جرى مجرى الاسماء

وويل للكافرين من عذاب شديد الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا اولئك في ضلال بعيد وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه

الاعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود الذي تحق له العبادة كما غلب النجم في الثريا وقرئ بالرفع على هو الله الويل
نقيض الوأل وهو النجاة اسم معنى كالهلاك الا انه لا يشتق منه فعل انما يقال ويلا له فينصب نصب المصادر
ثم يرفع رفعها لافادة معنى الثبات فيقال ويل له كقولك سلام عليك ولما ذكر الخارجين من ظلمات الكفر
الى نور الايمان توعد الكافرين بالويل فان قلت ما وجه اتصال قوله من عذاب شديد بالويل قلت لان المعنى انهم
يولولون من عذاب شديد ويضجون منه ويقولون يا ويلاه كقوله دعوا هنالك ثبورا الذين يستحبون مبتدأ خبره
اولئك في ضلال بعيد ويجوز ان يكون مجرورا صفة للكافرين ومنصوبا على الذم او مرفوعا على اعني الذين يستحبون
والاستحباب الايثار والاختيار وهو استفعال من المحبة لان المؤثر للشيء على غيره كأنه يطلب من نفسه ان يكون احب
اليها وافضل عندها من الآخر وقرأ الحسن رضي الله عنه ويُصدون بضم الياء وكسر الصاد يقال صده عن كذا واصده
قال اناس اصدوا الناس بالسيف عنهم والهمزة فيه داخلة على صد صدودا لنقله من غير المتعدي الى المتعدي
واما صده فموضوع على التعدية كمنعه وليست بفصيحة كأوقفه لان الفصحاء استغنوا بصده ووقفه عن تكلف
التعدية بالهمزة ويبغونها عوجا ويطلبون لسبيل الله زيغا واعوجاجا وان يدلوا الناس على انها سبيل
ناكبة عن الحق غير مستوية والاصل ويبغون لها فحذف الجار واوصل الفعل في ضلال بعيد اي ضلوا عن طريق
الحق ووقفوا دونه بمراحل فان قلت فما معنى وصف الضلال بالبعد قلت هو من الاسناد المجازي والبعد في الحقيقة
للضال لانه هو الذي يتباعد عن الطريق فوصف به فعله كما تقول جد جده ويجوز ان يراد في ضلال ذي بعد او فيه بعد
لان الضال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا وبعيدا الا بلسان قومه ليبين لهم اي ليفقهوا عنه ما يدعوهم اليه فلا
يكون لهم حجة على الله ولا يقولوا لم نفهم ما خوطبنا به كما قال ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته
فان قلت لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العرب وحدهم وانما بعث الى الناس جميعا قل يا ايها الناس اني رسول
الله اليكم جميعا بل الى الثقلين وهم على السنة مختلفة فان لم تكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة وان لم تكن للعرب
حجة فلو نزل بالعجمية لم تكن للعرب حجة ايضا قلت لا يخلو اما ان ينزل بجميع الالسنة او بواحد منها فلا حاجة الى
نزوله بجميع الالسنة لان الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل فبقي ان ينزل بلسان واحد فكان اولى الالسنة لسان
قوم الرسول لانهم اقرب اليه فاذا فهموا عنه وتبينوه وتنوقل عنهم وانتشر قامت التراجم ببيانه وتفهيمه
كما ترى الحال وتشاهدها من نيابة التراجم في كل امة من امم العجم مع ما في ذلك من اتفاق اهل البلاد المتباعدة
والاقطار المتنازحة والامم المختلفة والاجيال المتفاوتة على كتاب واحد واجتهادهم في تعلم لفظه وتعلم
معانيه وما يتشعب من ذلك من جلائل الفوائد وما يتكاثر في اتعاب النفوس وكد القرائح فيه من القرب
والطاعات المفضية الى جزيل الثواب ولانه ابعد من التحريف والتبديل واسلم من التنازع والاختلاف
ولانه لو نزل بالسنة الثقلين كلها مع اختلافها وكثرتها وكان مستقلا بصفة الاعجاز في كل واحد منها
وكلم الرسول العربي كل امة بلسانها كما كلم امته التي هو منها يتلوه عليهم معجزا لكان ذلك امرا قريبا
من الالجاء ومعنى بلسان قومه بلغة قومه وقرئ بلسن قومه واللسن واللسان كالريش والرياش
بمعنى اللغة وقرئ بلُسْن قومه بضم اللام والسين مضمومة او ساكنة وهو جمع لسان كعماد

ليبين لهم فيضل الله من يشا ويهدي من يشا وهو العزيز الحكيم ولقد ارسلنا موسى باياتنا ان اخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم
بايام الله ان في ذلك لايات لكل صبار شكور واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجيكم من ال فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم
ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم واذ تاذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا

وغيره على التخفيف وقيل الضمير في قومه لمحمد عليه السلام وروي عن الضحاك رضي الله عنه ان الكتب كلها نزلت بالعربية ثم اداها كل نبي بلغة قومه وليس بصحيح لان قوله ليبين لهم ضمير القوم وهم العرب فيؤدي الى ان الله انزل التورية من السماء بالعربية ليبين للعرب وهذا معنى فاسد فيضل الله من يشا ويهدي من يشا كقوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن لان الله لا يضل الا من يعلم انه لن يؤمن ولا يهدي الا من يعلم انه يؤمن والمراد بالاضلال التخلية ومنع الالطاف وبالهداية التوفيق واللطف فكان ذلك كناية عن الكفر والايمان وهو العزيز فلا يغلب على مشيته الحكيم فلا يخذل الا اهل الخذلان ولا يلطف الا باهل اللطف ان اخرج بمعنى اي اخرج لان الارسال فيه معنى القول كانه قيل ارسلناه وقلنا له اخرج ويجوز ان تكون ان الناصبة للفعل وانما صلح ان توصل بفعل الامر لان الغرض وصلها بما يكون معه في تاويل المصدر وهو الفعل والامر وغيره سوآء في الفعلية والدليل على جواز ان تكون الناصبة للفعل قولهم اوعز اليه بان افعل فادخلوا عليها حرف الجر وكذلك التقدير بان اخرج قومك وذكرهم بايام الله وانذرهم بوقايعه التي وقعت على الامم قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ومنه ايام العرب لحروبها وملاحمها كيوم ذي قار ويوم الفجار ويوم قضة وعن ابن عباس رضي الله عنه نعماؤه وبلاؤه فاما نعماؤه فانه ظلل عليهم الغمام وانزل عليهم المن والسلوى وفلق لهم البحر واما بلاؤه فاهلاك القرون لكل صبار شكور يصبر على بلاء الله ويشكر نعماءه فاذا سمع بما انزل الله من البلاء على الامم او افاض عليهم من النعم تنبه على ما يجب عليه من الصبر والشكر واعتبر وقيل اراد لكل مؤمن لان الشكر والصبر من سجاياهم تنبيها عليهم اذ انجاكم ظرف للنعمة بمعنى الانعام اي انعامه عليكم ذلك الوقت فان قلت هل يجوز ان ينتصب بعليكم قلت لا يخلو من ان يكون صلة للنعمة بمعنى الانعام او غير صلة اذا اردت بالنعمة العطية فاذا كان صلة لم يعمل فيه واذا كان غير صلة بمعنى اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم عمل فيه ويتبين الفرق بين الوجهين انك اذا قلت نعمة الله عليكم فان جعلته صلة لم يكن كلاما حتى تقول فايضة او نحوها والا كان كلاما ويجوز ان يكون اذ بدلا من نعمة الله اي اذكروا وقت انجائكم وهو من بدل الاشتمال فان قلت في سورة البقرة يذبحون وفي الاعراف يقتلون وههنا ويذبحون مع الواو فما الفرق قلت الفرق ان التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيرا للعذاب وبيانا له وحيث اثبت جعل التذبيح لانه اوفى على جنس العذاب وزاد عليه زيادة ظاهرة كانه جنس آخر فان قلت كيف كان فعل ال فرعون بلاء من ربهم قلت تمكينهم وامهالهم حتى فعلوا ما فعلوا ابتلاء من الله ووجه اخر وهو ان ذلك اشارة الى الانجاء وهو بلاء عظيم والبلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمحنة جميعا قال الله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال زهير فابلاهما خير البلاء الذي يبلو واذ تاذن ربكم من جملة ما قال موسى عليه السلام لقومه وانتصابه للعطف على قوله نعمة الله عليكم كانه قيل واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تاذن ربكم ومعنى تاذن ربكم آذن ربكم ونظيره تاذن واذن توعد واوعد وتفضل وافضل ولا بد في تفعل من زيادة معنى ليس في افعل كانه قيل واذ آذن ربكم ايذانا بليغا تنتفي عنده الشكوك وتنزاح الشبه والمعنى واذ تاذن ربكم فقال لئن شكرتم او اجرى تاذن مجرى قال لانه ضرب من القول وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه واذ قال ربكم لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها من النعم بالايمان الخالص والعمل الصالح لازيدنكم نعمة الى نعمة ولاضاعفن لكم ما آتيتكم ولئن كفرتم وغمطتم ما انعمت عليكم ان عذابي لشديد لمن كفر نعمتي وقال موسى ان تكفروا انتم يا بني اسرائيل والناس كلهم فانما ضررتم انفسكم وحرمتموها

فان الله لغني حميد الم ياتكم نبؤا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم
وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب قالت رسلهم افي الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى
قالوا ان انتم الا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا فاتونا بسلطان مبين قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله
يمن على من يشا من عباده وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله

الخير الذي لا بد لكم منه وانتم اليه محاويج والله غني عن شكركم حميد مستوجب للحمد بكثرة انعمه واياديه وان لم يحمده الحامدون والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة من مبتدا وخبر وقعت اعتراضا او عطف الذين من بعدهم على قوم نوح ولا يعلمهم الا الله اعتراض والمعنى انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله وعن ابن عباس رضي الله عنه بين عدنان واسمعيل ثلثون ابا لا يعرفون وكان ابن مسعود رضي الله عنه اذا قرا هذه الاية قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب وقد نفى الله علمها عن العباد فردوا ايديهم في افواههم عضوا عليها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ او ضحكا واستهزاء كمن غلبه الضحك فوضع يده على فيه او اشاروا بايديهم الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به اي هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره اقناطا لهم من التصديق الا ترى الى قوله فردوا ايديهم في افواههم وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به وهذا قول قوي او وضعوها على افواههم يقولون للانبياء اطبقوا افواهكم واسكتوا او ردوها في افواه الانبياء يشيرون لهم الى السكوت او وضعوها على افواههم يسكتونهم ولا يذرونهم يتكلمون وقيل الايدي جمع يد وهي النعمة بمعنى الايادي اي ردوا نعم الانبياء التي هي اجل النعم من مواعظهم ونصايحهم وما اوحي اليهم من الشرايع والايات في افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها في افواههم ورجعوها الى حيث جاءت منه على طريق المثل مما تدعوننا اليه من الايمان بالله وقرئ تدعونا بادغام النون مريب موقع في الريبة او ذي ريبة من ارابه واراب الرجل وهي قلق النفس وان لا تطمئن الى الامر افي الله شك ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام ليس في الشك انما هو في المشكوك فيه وانه لا يحتمل الشك لظهور الادلة وشهادتها عليه يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم اي يدعوكم الى الايمان ليغفر لكم او يدعوكم لاجل المغفرة كقولك دعوته لينصرني ودعوته لياكل معي وقال دعوت لما نابني مسورا فلبى فلبي يدي مسور فان قلت ما معنى التبعيض في قوله من ذنوبكم قلت ما علمته جاء هكذا الا في خطاب الكافرين كقوله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال في خطاب المؤمنين هل ادلكم على تجارة تنجيكم الى ان قال يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما يقفك عليه الاستقراء وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين ولئلا يسوي بين الفريقين في الميعاد وقيل اريد انه يغفر لهم ما بينهم وبين الله بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم ونحوها ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت قد سماه وبين مقداره يبلغكموه ان امنتم والا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت ان انتم ما انتم الا بشر مثلنا لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو ارسل الله الى البشر رسلا لجعلهم من جنس افضل منهم وهم الملائكة بسلطان مبين بحجة بينة وقد جاءتهم رسلهم بالبينات والحجج وانما ارادوا بالسلطان المبين آية قد اقترحوها تعنتا ولجاجا ان نحن الا بشر مثلكم تسليم لقولهم وانهم بشر مثلهم يعنون انهم مثلهم في البشرية وحدها فاما ما وراء ذلك فما كانوا مثلهم ولكنهم لم يذكروا فضلهم تواضعا منهم واقتصروا على قولهم ولكن الله يمن على من يشا من عباده بالنبوة لانه قد علم انهم لا يختصهم بتلك الكرامة الا وهم اهل لاختصاصهم بها لخصايص فيهم قد استاثروا بها على ابناء جنسهم الا باذن الله ارادوا ان الاتيان بالاية التي قد اقترحتموها ليس الينا ولا في استطاعتنا

وعلى الله فليتوكل المؤمنون وما لنا ان لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما اذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون
وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك لمن
خاف مقامي وخاف وعيد واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت
من كل مكان وما هو بميت

وما هو الا امر يتعلق بمشيئة الله **وعلى الله** فليتوكل المؤمنون امر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا
به انفسهم قصدا اوليا وامروها به كانهم قالوا ومن حقنا ان نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم
ومعاداتكم وما يجري علينا منكم الا ترى الى قوله وما لنا الا نتوكل على الله ومعناه واي عذر لنا في ان لا
نتوكل عليه **وقد هدانا** وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل واحد منا سبيله الذي يجب
عليه سلوكه في الدين **فان قلت** كيف كرر الامر بالتوكل **قلت** الاول لاستحداث التوكل وقوله فليتوكل المتوكلون
معناه فليثبت المتوكلون على ما استحدثوا من توكلهم وقصدهم الى انفسهم على ما تقدم
لنخرجنكم او لتعودن ليكونن احد الامرين لا محالة اما اخراجكم واما عودكم حالفين على ذلك **فان قلت** كانهم
كانوا على ملتهم حتى يعودوا فيها **قلت** معاذ الله ولكن العود بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب كثرة
فاشية لا تكاد تسمعهم يستعملون صار ولكن عاد ما عدت اراه عاد لا يكلمني ما عاد لفلان مال او خاطبوا
به كل رسول ومن آمن به فغلبوا في الخطاب الجماعة على الواحد **لنهلكن** الظالمين حكاية تقتضي اضمار
القول او اجراء الايحاء مجرى القول لانه ضرب منه وقرأ ابو حيوة رحمه الله ليهلكن وليسكننكم
بالياء اعتبارا لاوحى وان لفظه لفظ الغيبة ونحوه قولك اقسم زيد ليخرجن ولاخرجن والمراد
بالارض ارض الظالمين وديارهم ونحوه واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها
واورثكم ارضهم وديارهم وعن النبي صلى الله عليه من آذى جاره ورثه الله داره ولقد عاينت هذا
في مدة قريبة كان لي خال يظلمه عظيم القرية التي انا منها ويؤذيني فيه فمات ذلك العظيم وملكني
الله ضيعته فنظرت يوما الى ابناء خالي يترددون فيها ويدخلون في دورها ويخرجون ويامرون وينهون
فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وحدثتهم به وسجدنا شكرا لله تعالى **ذلك** اشارة الى ما قضى الله به من اهلاك
الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم اي ذلك الامر حق **لمن خاف** مقامي موقفي وهو موقف الحساب لانه موقف
الله الذي يقف فيه عباده يوم القيمة او على اقحام المقام وقيل خاف قيامي عليه وحفظي لاعماله والمعنى
ان ذلك حق للمتقين كقوله والعاقبة للمتقين **واستفتحوا** واستنصروا الله على اعدائهم ان تستفتحوا
فقد جاءكم الفتح او واستحكموا الله وسالوه القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة كقوله ربنا افتح
بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على اوحى اليهم وقرئ واستفتحوا بلفظ الامر وعطفه على
لنهلكن اي اوحى اليهم ربهم وقال لهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا وخاب كل جبار عنيد معناه
فنصروا وظفروا وافلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم وقيل واستفتح الكفار على الرسل
ظنا منهم بانهم على الحق والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه
من ورائه من بين يديه قال عسى الكرب الذي امسيت فيه يكون وراءه فرج قريب وهذا وصف
حاله وهو في الدنيا لانه مرصد لجهنم فكانها بين يديه وهو على شفيرها او وصف حاله في الآخرة
حين يبعث ويوقف **فان قلت** علام عطف ويسقى **قلت** على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى
فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد كانه اشد عذابها فخصص بالذكر مع قوله ويأتيه الموت من كل مكان

اي لمن خافني

فيها

ومن ورائه عذاب غليظ مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك
هو الضلال البعيد الم تر ان الله خلق السموات والارض بالحق ان يشأ يذهبكم ويات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز وبرزوا لله جميعا

وقيل ذو صديد

٢٨١

مكان وما هو بميت **فان قلت** ما وجه قوله من ماء صديد **قلت** صديد عطف بيان لماء قال ويسقى من ماء فابهمه
ابهاما ثم بينه بقوله صديد وهو ما يسيل من جلود اهل النار **يتجرعه** يتكلف جرعه **ولا يكاد**
يسيغه دخل كاد للمبالغة يعني ولا يقارب ان يسيغه فكيف تكون الاساغة كقوله لم يكد يراها اي لم
يقرب من رؤيتها فكيف يراها **ويأتيه** الموت من كل مكان كان اسباب الموت واصنافه كلها
قد تالبت عليه واحاطت به من جميع الجهات تفظيعا لما يصيبه من الآلام وقيل من كل مكان
من جسده حتى من ابهام رجله وقيل من اصل كل شعرة **ومن ورائه** ومن بين يديه عذاب غليظ
اي في كل وقت يستقبله يتلقى عذابا اشد مما قبله واغلظ وعن الفضيل هو قطع الانفاس
وحبسها في الاجساد ويحتمل ان يكون اهل مكة قد استفتحوا اي استمطروا والفتح المطر في
سني القحط التي ارسلت عليهم بدعوة رسول الله صلى الله عليه فلم يسقوا فذكر سبحانه ذلك وانه خيب
رجاء كل جبار عنيد وانه يسقى في جهنم بدل سقياه ماء آخر وهو صديد اهل النار واستفتحوا
على هذا التفسير كلام مستانف منقطع عن حديث الرسل واممهم **مثل** مبتدا محذوف الخبر عند
سيبويه تقديره وفيما يقص عليكم مثل الذين كفروا بربهم والمثل مستعار للصفة التي فيها غرابة
وقوله اعمالهم كرماد جملة مستانفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقيل اعمالهم كرماد ويجوز
ان يكون المعنى مثل اعمال الذين كفروا بربهم وهذه الجملة خبر للمبتدا اي صفة الذين كفروا اعمالهم كرماد كقولك
صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول ويكون اعمالهم بدلا من مثل الذين كفروا على تقدير مثل اعمالهم وكرماد الخبر
وقرئ الرياح في يوم عاصف جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو الريح او الرياح كقولك يوم ماطر وليلة ساكنة
وانما السكون لريحها وقرئ في يوم عاصف بالاضافة واعمال الكفرة المكارم التي كانت لهم من صلة
الارحام وعتق الرقاب وفداء الاسارى وعقر الابل للاضياف واغاثة الملهوفين والاجارة وغير ذلك من
صنائعهم شبهها في حبوطها وذهابها هباء منثورا لبنائها على غير اساس من معرفة الله والايمان به
وكونها لوجهه برماد طيرته الريح العاصف لا يقدرون يوم القيمة مما كسبوا من اعمالهم على شيء اي لا
يرون له اثرا من ثواب كما لا يقدر من الرماد المطير في الريح على شيء **ذلك** هو الضلال البعيد اشارة الى بعد
ضلالهم عن طريق الحق او عن الثواب **بالحق** بالحكمة والغرض الصحيح والامر العظيم ولم يخلقها
عبثا ولا شهوة وقرئ خالق السموات والارض **ان يشأ يذهبكم** اي هو قادر على ان يعدم الناس ويخلق مكانهم
خلقا آخر على شكلهم او على خلاف شكلهم اعلاما منه باقتداره على اعدام الموجود وايجاد المعدوم يقدر
على الشيء وجنس ضده **وما ذلك** على الله بعزيز بمتعذر بل هو هين عليه يسير لانه قادر الذات لا اختصاص
له بمقدور دون مقدور فاذا خلص له الداعي الى شيء وانتفى الصارف تكون من غير توقف كتحريكك اصبعك
اذا دعاك اليه داع ولم يعترض دونه صارف وهذه الآية بيان لابعادهم في الضلال وعظيم خطائهم
في الكفر بالله لوضوح آياته الشاهدة له الدالة على قدرته الباهرة وحكمته البالغة وانه هو الحقيق بان
يعبد ويخاف عقابه ويرجى ثوابه في دار الجزاء **وبرزوا لله** ويبرزون يوم القيمة وانما جيء بلفظ الماضي

وقال الضعفاء للذين ... سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني

لأن ما أخبر به عز وعلا لصدقه كأنه كان ووجد ونحوه ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب النار ونظائر له ومعنى بروزهم
لله والله تعالى لا يتوارى عنه شيء حتى يبرز له أنهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش
ويظنون أن ذلك خاف على الله فإذا كان يوم القيمة انكشفوا لله عند أنفسهم وعلموا أن الله لا يخفى عليه خافية أو
خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه فإن قلت لم كتب الضعفؤا بواو قبل الهمزة قلت كتب على لفظ من يفخم
الألف قبل الهمزة فيميلها إلى الواو ونظيره علمؤا بني إسرائيل والضعفاء الأتباع والعوام والذين استكبروا سادتهم
وكبراؤهم الذين استتبعوهم واستغووهم وصدوهم عن الاستماع إلى الأنبياء واتباعهم تبعا تابعين جمع
تابع على تبع كقولهم خادم وخدم وغايب وغيب أو ذوي تبع والتبع الاتباع يقال تبعه تبعا فإن قلت أي فرق بين
من في عذاب الله ومنه في من شيء قلت الأولى للتبيين والثانية للتبعيض كأنه قيل هل أنتم مغنون عنا بعض الشيء الذي هو
عذاب الله ويجوز أن يكونا كلاهما للتبعيض معا بمعنى هل أنتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله أي بعض
بعض عذاب الله فإن قلت فما معنى قوله لو هدانا الله لهديناكم قلت الذي قال لهم الضعفاء كان توبيخا لهم وعتابا على
استتباعهم واستغوائهم وقولهم فهل أنتم مغنون عنا من باب التبكيت لأنهم قد علموا أنهم لا يقدرون على الإغناء عنهم
فأجابوهم معتذرين عما كان منهم إليهم بأن الله لو هداهم إلى الإيمان لهدوهم ولم يضلوهم إما موركين الذنب في
ضلالهم وإضلالهم على الله كما حكى الله عنهم وقالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء يقولون
ذلك في الآخرة كما كانوا يقولونه في الدنيا ويدل عليه قوله حكاية عن المنافقين يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له
كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ويجوز أن يكون المعنى لو كنا من أهل اللطف فلطف بنا ربنا واهتدينا لهديناكم
إلى الإيمان وقيل معناه لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم أي لأغنينا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة
كما سلكنا بكم سبيل الهلكة سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مستو علينا الجزع والصبر والهمزة وأم للتسوية
ونحوه اصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم وروي أنهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون
تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا فإن قلت كيف اتصل قوله سواء علينا بما قبله قلت اتصاله به من حيث
أن عتابهم لهم كان جزعا مما هم فيه فقالوا لهم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا يريدون أنفسهم وإياهم لاجتماعهم في
عقاب الضلالة التي كانوا مجتمعين فيها يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فائدة في الجزع كما لا فائدة في الصبر والأمر
من ذلك أطم أو لما قالوا لو هدانا الله طريق النجاة لأغنينا عنكم وأنجيناكم أتبعوه الإقناط من النجاة فقالوا ما
لنا من محيص أي منجى ومهرب جزعنا أم صبرنا ويجوز أن يكون من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعا كأنه قيل قالوا
جميعا سواء علينا كقوله ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب والمحيص يكون مصدرا كالمغيب والمشيب ومكانا كالمبيت والمصيف
ويقال حاص عنه وجاض بمعنى واحد لما قضي الأمر لما قطع الأمر وفرغ منه وهو الحساب وتصادر الفريقين ودخول
أحدهما الجنة ودخول الآخر النار وروي أن الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا في الأشقياء من الجن والإنس فيقول ذلك
إن الله وعدكم وعد الحق وهو البعث والجزاء على الأعمال فوفى لكم بما وعدكم ووعدتكم خلاف ذلك فأخلفتكم من
سلطان من قهر وتسليط فأقسركم على الكفر والمعاصي وألجئكم إليها إلا أن دعوتكم إلا دعائي إياكم إلى الضلالة بوسوستي
وتزييني وليس الدعاء من جنس السلطان ولكنه كقولك ما تحيتهم إلا الضرب فلا تلوموني ولوموا أنفسكم حيث اغتررتم

٢٨٢

... ولهم عذاب أليم وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها بإذن ربهم تحيتهم فيها سلام ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة ...

بي وأطعتموني إذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم إذ دعاكم وهذا دليل على أن الإنسان هو الذي يختار الشقاوة أو السعادة
ويحصلها لنفسه وليس من الله إلا التمكين ولا من الشيطان إلا التزيين ولو كان الأمر كما تزعم المجبرة
لقال فلا تلوموني ولا أنفسكم فإن الله قضى عليكم الكفر وأجبركم عليه فإن قلت قول الشيطان باطل لا يصح التعلق
به قلت لو كان هذا القول منه باطلا لبين الله بطلانه وأظهر إنكاره على أنه لا طائل له في النطق بالباطل في ذلك المقام ألا
ترى إلى قوله إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم كيف أتى فيه بالحق والصدق وفي قوله وما كان لي عليكم من سلطان
وهو مثل قوله تعالى إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي
لا ينجي بعضنا بعضا من عذاب الله ولا يغيثه والإصراخ الإغاثة وقرئ بمصرخي بكسر الياء وهي ضعيفة
واستشهدوا لها ببيت مجهول: قال لها هل لك يا تا في * قالت له ما أنت بالمرضي * وكأنه قدر ياء الإضافة ساكنة
وقبلها ياء ساكنة فحركها بالكسر لما عليه أصل التقاء الساكنين ولكنه غير صحيح لأن ياء الإضافة لا تكون إلا مفتوحة
حيث قبلها ألف نحو عصاي فما بالها وقبلها ياء فإن قلت جرت الياء الأولى مجرى الحرف الصحيح لأجل الإدغام
فكأنها ياء وقعت ساكنة بعد حرف صحيح ساكن فحركت بالكسر على الأصل قلت هذا قياس حسن ولكن الاستعمال
المستفيض الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر تتضاءل إليه القياسات ما في بما أشركتمون مصدرية ومن قبل متعلق بأشركتموني
يعني كفرت اليوم بإشراككم إياي من قبل هذا اليوم أي في الدنيا كقوله ويوم القيمة يكفرون بشرككم ومعنى
كفره بإشراكهم إياه تبرؤه منه واستنكاره له كقوله إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وقيل
من قبل يتعلق بكفرت وما موصولة أي كفرت من قبل حين أبيت السجود لآدم بالذي أشركتمونيه وهو الله عز
وجل تقول شركت زيدا فإذا نقلت بالهمزة قلت أشركنيه فلان أي جعلني له شريكا ونحو ما هذه ما في قولهم سبحان ما
سخركن لنا ومعنى إشراكهم الشيطان بالله طاعتهم له فيما كان يزينه لهم من عبادة الأوثان وغيرها وهذا
آخر قول إبليس وقوله إن الظالمين قول الله سبحانه ويحتمل أن يكون من جملة قول إبليس وإنما حكى الله عز وعلا
ما سيقوله في ذلك الوقت ليكون لطفا للسامعين في النظر لعاقبتهم والاستعداد لما لا بد لهم من الوصول إليه وأن
يتصوروا في أنفسهم ذلك المقام الذي يقول فيه الشيطان ما يقول فيخافوا ويعملوا ما يخلصهم منه وينجيهم
وقرئ فلا يلوموني بالياء على طريقة الالتفات كقوله حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقرأ الحسن رضي الله عنه وعمرو بن
عبيد وأدخل الذين آمنوا على فعل المتكلم بمعنى وأدخلهم أنا وهذا دليل على أنه من قول الله لا من قول إبليس بإذن ربهم
متعلق بأدخل أي أدخلتهم الملائكة الجنة بإذن الله وأمره فإن قلت فبم يتعلق في القراءة الأخرى وقولك وأدخلهم
أنا بإذن ربهم كلام غير ملتئم قلت الوجه في هذه القراءة أن يتعلق قوله بإذن ربهم بما بعده أي تحيتهم فيها سلام
بإذن ربهم يعني أن الملائكة يحيونهم بإذن ربهم وقرئ ألم تر ساكنة الراء كما قرئ من برق وفيه ضعف ضرب
الله مثلا اعتمد مثلا ووضعه وكلمة طيبة نصب بمضمر أي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير
لقوله ضرب الله مثلا كقولك شرف الأمير زيدا كساه حلة وحمله على فرس ويجوز أن تنتصب مثلا وكلمة بضرب
أي ضرب كلمة طيبة مثلا بمعنى جعلها مثلا ثم قال كشجرة طيبة على أنها خبر مبتدأ محذوف بمعنى هي كشجرة طيبة
أصلها ثابت يعني في الأرض ضارب بعروقه فيها وفرعها وأعلاها ورأسها في السماء ويجوز أن يريد وفروعها

على الكيفية بلفظ الجنس وقرا انس بن مالك رضي الله عنه كشجرة طيبة ثابت اصلها **فان قلت** اي فرق بين القرايتين
قلت قراة الجماعة اقوى معنى لان قراة انس اجريت الصفة على الشجرة واذا قلت مررت برجل ابوه قايم فهو اقوى
معنى من مررت برجل قايم ابوه لان المخبر عنه انما هو الاب لا رجل والكلمة الطيبة كلمة التوحيد وقيل
كل كلمة حسنة كالتسبيح والتحميد والاستغفار والتوبة والدعوة وعن ابن عباس رضي الله عنهما شهادة
ان لا اله الا الله واما الشجرة فكل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين والعنب والرمان
وغير ذلك وعن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ان الله ضرب مثل المومن شجرة فاخبروني
ما هي فوقع الناس في شجر البوادي وكنت صبيا فوقع في قلبي انها النخلة فهبت رسول الله ان اقولها وانا
اصغر القوم وروي فمنعني مكان عمر رضي الله عنه واستحييت فقال لي عمر يا بني لو كنت قلتها لكانت
احب الي من حمر النعم ثم قال رسول الله عليه السلام الا انها النخلة وعن ابن عباس رضي الله عنه شجرة في الجنة
وقوله في السما معناه في جهة العلو والصعود ولم يرد المظلة كقولك في الجبل طويل في السما تريد
ارتفاعه وشموخه **توتي اكلها** كل حين تعطي ثمرها كل وقت وقته الله لاثمارها **باذن ربها**
بتيسير خالقها وتكوينه لعلهم يتذكرون لان في ضرب الامثال زيادة افهام وتذكير وتصوير للمعاني
والكلمة الخبيثة **كشجرة** خبيثة اي صفتها كصفتها وقري ومثل كلمة بالنصب عطفا على كلمة طيبة
كلمة الشرك وقيل كل كلمة قبيحة واما الشجرة الخبيثة فكل شجرة لا يطيب ثمرها كشجرة الحنظل
والكشوث ونحو ذلك **اجتثت** من فوق الارض مقابلة قوله اصلها ثابت ومعنى اجتثت استوصلت
وحقيقة الاجتثاث اخذ الجثة كلها **ما لها** من قرار اي استقرار يقال قر الشي قرارا كقولك ثبت
ثباتا شبه بها القول الذي لم يعضد بحجة فهو داحض غير ثابت والذي لا يبقى انما يضمحل عن قرب
لبطلانه من قولهم الباطل لجلج وعن قتادة رضي الله عنه انه قيل لبعض العلما ما تقول في كلمة خبيثة
فقال ما اعلم لها في الارض مستقرا ولا في السما مصعدا الا ان تلزم عنق صاحبها حتى يوافي بها
القيمة **بالقول الثابت** الذي ثبت بالحجة والبرهان في قلب صاحبه وتمكن فيه فاعتقده واطمانت اليه نفسه
وتثبيتهم به في الدنيا انهم اذا فتنوا في دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين فتنهم اصحاب الاخدود والذين
نشروا بالمناشير ومشطت لحومهم بامشاط الحديد وكما ثبت جرجيس وشمسون وغيرهما وتثبيتهم
في الاخرة انهم اذا سيلوا عند تواقف الاشهاد عن معتقدهم ودينهم لم يتلعثموا ولم يبهتوا ولم تحيرهم اهوال الحشر وقيل معناه الثبات عند سوال
القبر وعن البرا بن عازب رضي الله عنه ان رسول الله عليه السلام ذكر قبض روح المومن فقال ثم يعاد روحه
في جسده فياتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله
وديني الاسلام ونبيي محمد عليه السلام فينادي مناد من السما ان صدق عبدي فذلك قوله يثبت
الله الذين امنوا بالقول الثابت **ويضل الله** الظالمين الذين لم يتمسكوا بحجة في دينهم وانما اقتصروا
على تقليد كبارهم وشيوخهم كما قلد المشركون اباءهم فقالوا انا وجدنا اباءنا على امة واضلالهم في الدنيا

انهم لا يثبتون في مواقف الفتن وتزل اقدامهم اول شي وهم في الاخرة اضل وازل **ويفعل الله ما يشا**
اي ما توجبه الحكمة لان مشية الله تابعة للحكمة من تثبيت المومنين وتاييدهم وعصمتهم عند
ثباتهم وعزمهم ومن اضلال الظالمين وخذلانهم والتخلية بينهم وبين شانهم عند زللهم **بدلوا نعمة الله**
اي شكر نعمة الله كفرا لان شكرها الذي وجب عليهم وضعوا مكانه كفرا فكانهم غيروا
الشكر الى الكفر وبدلوه تبديلا ونحوه وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي شكر رزقكم حيث وضعتم التكذيب
موضعه ووجه اخر وهو انهم بدلوا نفس النعمة كفرا على انهم لما كفروها سلبوها فبقوا
مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر حاصلا لهم الكفر بدل النعمة وهم اهل مكة اسكنهم الله حرمه
وجعلهم قوام بيته واكرمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا نعمة الله بدل ما الزمهم من الشكر العظيم واصابهم
الله بالنعمة في الرخا والسعة لايلافهم الرحلتين فكفروا نعمته فضربهم بالقحط سبع سنين فحصل
لهم الكفر بدل النعمة وكذلك حين اسروا وقتلوا يوم بدر قد ذهبت عنهم النعمة وبقي الكفر طوقا في
اعناقهم وعن عمر رضي الله عنه هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم
يوم بدر واما بنو امية فمتعوا حتى حين وقيل هم متنصرة العرب جبلة بن الايهم واصحابه **واحلوا**
قومهم ممن تابعهم على الكفر **دار البوار** دار الهلاك وعطف جهنم على دار البوار عطف بيان **وقري**
ليضلوا بفتح اليا وضمها **فان قلت** الضلال والاضلال لم يكن غرضهم في اتخاذ الانداد فما معنى
اللام **قلت** لما كان الضلال او الاضلال نتيجة اتخاذ الانداد كما كان الاكرام في قولك جيتك لتكرمني
نتيجة المجي دخلته اللام وان لم يكن غرضا على طريق التشبيه والتقريب **تمتعوا** ايذان بانهم لانغماسهم في التمتع
بالحاضر وانهم لا يعرفون غيره ولا يريدونه مامورون به قد امرهم امر مطاع لا يسعهم ان يخالفوه ولا يملكون لانفسهم
امرا دونه وهو امر الشهوة والمعنى ان دمتم على ما انتم عليه من الامتثال لامر الشهوة **فان مصيركم الى النار** ويجوز
ان يراد الخذلان والتخلية ونحوه قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار المقول محذوف لان جواب قل يدل عليه
وتقديره قل لعبادي الذين امنوا اقيموا الصلوة وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا وجوزوا ان يكون يقيموا وينفقوا
بمعنى ليقيموا ولينفقوا ويكون هذا هو المقول قالوا وانما جاز حذف اللام لان الامر الذي هو قل عوض منه ولو قيل
يقيموا الصلوة وينفقوا ابتدا بحذف اللام لم يجز **فان قلت** علام انتصب سرا وعلانية **قلت** على الحال اي ذوي سر
وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين او على الظرف اي وقتي سر وعلانية او على المصدر اي انفاق سر وانفاق علانية
والمعنى اخفا المتطوع به من الصدقات والاعلان بالواجب والخلال المخالة **فان قلت** كيف طابق الامر
بالانفاق وصف اليوم بانه لا بيع فيه ولا خلال **قلت** من قبل ان الناس يخرجون اموالهم في عقود المعاوضات
فيعطون بدلا لياخذوا مثله وفي المكارمات ومهاداة الاصدقا ليستجروا بهداياهم امثالها او خيرا منها
واما الانفاق لوجه الله خالصا كقوله وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغا وجه ربه الاعلى فلا يفعله
الا المومنون الخلص فبعثوا عليه ليأخذوا بدله في يوم لا بيع فيه ولا خلال اي لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة
ولا بما ينفقون به اموالهم من المعاوضات والمكارمات وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله وقري لا بيع
فيه ولا خلال بالرفع

الله الذي خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره و
سخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سالتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان
الانسان لظلوم كفار واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا البلد امنا واجنبني وبني ان نعبد الاصنام رب انهن اضللن
كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك

الله مبتدا والذي خلق خبره ومن الثمرات بيان للرزق اي اخرج به رزقا هو ثمرات ويجوز ان يكون من الثمرات مفعول
اخرج ورزقا حالا من المفعول او نصبا على المصدر من اخرج لانه في معنى رزق بامره بقوله كن دائبين يدابان
في سيرهما وانارتهما ودرئهما الظلمات واصلاحهما ما يصلحان من الارض والابدان والنبات وسخر لكم
الليل والنهار يتعاقبان لمعاشكم وسباتكم وآتاكم من كل ما سالتموه من للتبعيض اي آتاكم بعض جميع
ما سالتموه نظرا في مصالحكم وقرئ من كل بالتنوين وما سالتموه نفي ومحله النصب على الحال اي آتاكم من جميع
ذلك غير سائليه ويجوز ان تكون ما موصولة على وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه ولم تصلح احوالكم ومعايشكم
الا به فكانكم سالتموه او طلبتموه بلسان الحال لا تحصوها لا تحصروها ولا تطيقوا عدها وبلوغ آخرها هذا
اذا ارادوا ان يعدوها على الاجمال واما التفصيل فلا يقدر عليه ولا يعلمه الا الله لظلوم يظلم النعمة
باغفال شكرها كفار شديد الكفران لها وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع
والانسان للجنس فيتناول الاخبار بالظلم والكفران من يوجدان منه هذا البلد يعني البلد الحرام ذا امنا
وكفاه كل باغ ظالم واجاب فيه دعوة خليله ابرهيم آمنا ذا امن والفرق بين قوله اجعل هذا بلدا
امنا وبين قوله اجعل هذا البلد امنا ان قد سال في الاول ان يجعله من جملة البلاد التي يامن اهلها ولا يخافون
وفي الثاني ان يخرجه من صفة كان عليها من الخوف الى ضدها من الامن كانه قال هو بلد مخوف فاجعله امنا
واجنبني وقرئ واجنبني وفيه ثلاث لغات جنبه الشر وجنبه واجنبه فاهل الحجاز يقولون جنبني
شره بالتشديد واهل نجد جنبني شره واجنبني والمعنى ثبتنا وادمنا على اجتناب عبادتها وبني
اراد بنيه من صلبه وسيل ابن عيينه كيف عبدت العرب الاصنام فقال ما عبد احد من ولد اسمعيل صنما
واحتج بقوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام انما كانت انصاب حجارة لكل قوم قالوا البيت حجر فحيثما
نصبنا حجرا فهو بمنزلة البيت فكانوا يدورون بذلك الحجر ويسمونه الدوار فاستحب ان يقال طاف
بالبيت ولا يقال دار بالبيت انهن اضللن كثيرا من الناس فاذ عوك ان تعصمني وبني من ذلك وانما
جعلن مضلات لان الناس ضلوا بسببهن فكانهن اضللنهم كما تقول فتنتهم الدنيا وغرتهم اي
افتتنوا بها واغتروا بسببها فمن تبعني على ملتي وكان حنيفا مسلما مثلي فانه مني اي بعضي لفرط
اختصاصه بي وملابسته لي كذلك قوله من غشنا فليس منا اي ليس بعض المؤمنين على ان الغش ليس
من افعالهم واوصافهم ومن عصاني فانك غفور رحيم تقدر ان تغفر له ما سلف منه من عصياني اذا بدا له فيه واستحدث
الطاعة لي وقيل معناه ومن عصاني فيما دون الشرك من ذريتي بعض ولدي وهم اسمعيل ومن ولد منه بواد
هو وادي مكة غير ذي زرع لا يكون فيه شيء من زرع قط كقوله قرآنا عربيا غير ذي عوج بمعنى لا يوجد فيه
اعوجاج ما فيه الا الاستقامة لا غير عند بيتك المحرم الذي حرم التعرض له والتهاون به
وجعل ما حوله حرما لمكانه او لانه لم يزل ممنعا عزيزا يهابه كل جبار كالشيء المحرم الذي حقه ان
يجتنب او لانه محترم عظيم الحرمة لا يحل انتهاكها او لانه حرم على الطوفان اي منع منه
كما سمي عتيقا لانه اعتق منه فلم يستول عليه ليقيموا الصلوة اللام متعلقة باسكنت اي ما اسكنتهم بهذا

المحرم ربنا ليقيموا الصلوة فاجعل افئدة من الناس ...
تعلن وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء

الوادي البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا ليقيموا الصلوة عند بيتك المحرم ويعمروه بذكرك
وعبادتك وما تعمر به مساجدك ومتعبداتك متبركين بالبقعة التي شرفتها على البقاع مستسعدين
بجوارك الكريم متقربين اليك بالعكوف عند بيتك والطواف به والركوع والسجود حوله مستنزلين
الرحمة التي آثرت بها سكان حرمك افئدة من الناس افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض ويدل عليه ما
روي عن مجاهد لو قال افئدة الناس لزحمتكم عليه فارس والروم وقيل لو لم يقل من لازدحموا عليها
حتى الروم والترك والهند ويجوز ان يكون من للابتداء كقولك القلب مني سقيم تريد قلبي فكانه قيل افئدة ناس
وانما نكرت المضاف اليه في هذا التمثيل لتنكير افئدة لانها في الآية نكرة ليتناول بعض الافئدة وقرئ
آفدة بوزن عاقدة وفيه وجهان احدهما ان يكون من القلب كقولهم آدر في ادؤر والثاني ان يكون
اسم فاعلة من افدت الرحلة اذا عجلت اي جماعة او جماعا يرتحلون اليهم ويعجلون نحوهم وقرئ
افدة وفيه وجهان ان تطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه ان يخفف باخراجها بين بين وان يكون من
افد تهوي اليهم تسرع اليهم وتطير نحوهم شوقا ونزاعا ومن قوله يهوي مخارمها هوي الاجدل
وقرئ تهوى اليهم على البناء للمفعول من هوى اليه واهواه غيره وتهوى اليهم من هوي يهوى اذا احب ضمن
معنى تنزع فعدي تعديته وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا ما فيه شيء منها بان تجلب اليهم من البلاد
لعلهم يشكرون النعمة في ان يرزقوا انواع الثمرات حاضرة في واد يباب ليس فيه نجم ولا شجر ولا ماء لا جرم ان الله سبحانه
اجاب دعوته فجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنه ثم فضله في وجود اصناف الثمار فيه على كل
ريف وعلى اخصب البلاد واكثرها ثمارا وفي اي بلد من بلاد الشرق والغرب ترى الاعجوبة التي يريكها الله بواد غير
ذي زرع وهي اجتماع البواكير والفواكه المختلفة الازمان من الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد وليس
ذلك من آياته بعجيب متعنا الله بسكنى حرمه ووفقنا لشكر نعمه وادام لنا التشرف بالدخول تحت دعوة ابرهيم عليه السلام
ورزقنا طرفا من سلامة ذلك القلب السليم ربنا النداء المكرر دليل التضرع واللجاء الى الله سبحانه انك تعلم ما نخفي وما
نعلن تعلم السر كما تعلم العلن علما لا تفاوت فيه لان غيبا من الغيوب لا يحتجب عنك والمعنى انك اعلم باحوالنا
وما يصلحنا ويفسدنا منا وانت ارحم بنا وانصح لنا منا بانفسنا ولها فلا حاجة الى الدعاء والطلب وانما
ندعوك اظهارا للعبودية لك وتخشعا لعظمتك وتذللا لعزتك وافتقارا الى ما عندك واستعجالا لنيل
اياديك وولها الى رحمتك وكما يتملق العبد بين يدي سيده رغبة في اصابة معروفه مع توفر السيد على حسن
الملكة وعن بعضهم انه رفع حاجته الى كريم فابطا عليه النجح فاراد ان يذكره فقال مثلك لا يذكر استقصارا
ولا توهما للغفلة عن حوائج السائلين ولكن ذا الحاجة لا تدعه حاجته ان لا يتكلم فيها وقيل ما نخفي من
الوجد لما وقع بيننا من الفرقة وما نعلن من البكاء والدعاء وقيل ما نخفي من كآبة الافتراق وما نعلن يريد ما
جرى بينه وبين هاجر حين قالت له عند الوداع الى من تكلنا قال الى الله اكلكم قالت آلله امرك بهذا قال
نعم قالت اذن لا نخشى تركتنا الى كاف وما يخفى على الله من شيء من كلام الله عز وجل تصديقا لابرهيم عليه السلام
كقوله وكذلك يفعلون او من كلام ابرهيم عليه السلام يعني وما يخفى على الله الذي هو عالم الغيب من شيء في كل مكان

ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون

ومن للاستغراق كانه قيل وما يخفى عليه شيء ما **على** في قوله على الكبر بمعنى مع كقوله اني على ما تعلمين من كبري اعلم
جيد توكل الكنف وهو في موضع الحال معناه وهب لي وانا كبير وفي حال الكبر روي ان اسمعيل عليه السلم ولد له وهو ابن
تسع وتسعين سنة وولد له اسحق عليه السلم وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة وقد روي انه ولد له اسمعيل لاربع وستين
واسحق لتسعين وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه لم يولد لابرهيم الا بعد مائة وسبع عشرة سنة وانما ذكر حال
الكبر لان المنة بهبة الولد فيها اعظم من حيث انها حال وقوع الياس من الولادة والظفر بالحاجة على عقب
الياس من اجل النعم واجلاها في نفس الظافر ولان الولادة في تلك السن العالية كانت اية لابرهيم عليه السلم **ان**
ربي لسميع الدعاء كان قد دعا ربه وسأله الولد فقال رب هب لي من الصالحين فشكر الله ما اكرمه به من اجابته
فان قلت الله تعالى سميع كل دعاء اجابه او لم يجبه **قلت** هو من قولك سمع الملك كلام فلان اذا اعتد به وقبله
ومنه سمع الله لمن حمده وفي الحديث ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقران **فان قلت** ما هذه الاضافة اضافة
السميع الى الدعاء **قلت** اضافة الصفة الى مفعولها واصله لسميع الدعاء وقد ذكر سيبويه فعيلا في جملة
ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل كقولك هذا ضروب زيدا وضراب اخاه ومنحار ابله وحذر
امورا ورحيم اباه ويجوز ان يكون من اضافة فعيل الى فاعله ويجعل دعاء الله سميعا على الاسناد المجازي
والمراد سماع الله **ومن** ذريتي وبعض ذريتي عطفا على المنصوب في اجعلني وانما بعض لانه علم
باعلام الله انه يكون في ذريته كفار وذلك قوله لا ينال عهدي الظالمين **وتقبل** دعائي اي عبادتي
واعتزلكم وما تدعون من دون الله وفي قراءة ابي رحمه الله ولابوي وقرأ سعيد بن جبير رحمه الله ولوالدي على الافراد
يعني اباه وقرأ الحسين بن علي رضي الله عنه ولولدي يعني اسمعيل واسحق وقرئ لولدي بضم الواو والولد بمعنى الولد
كالعدم والعدم وقيل جمع ولد كاسد في اسد وفي بعض المصاحف ولذريتي **فان قلت** كيف جاز له ان يستغفر لابويه
وكانا كافرين **قلت** هو من مجوزات العقل لا يعلم امتناع جوازه الا بالتوقيف وقيل اراد بوالديه آدم وحواء وقيل بشرط
الاسلام ويأباه قوله الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك لانه لو شرط الاسلام لكان استغفارا صحيحا فما بعده فكيف
يستثنى الاستغفار الصحيح من جملة ما يؤتسى فيه بابرهيم **يوم** يقوم الحساب اي يثبت وهو مستعار من قيام
القائم على الرجل والدليل عليه قولهم قامت الحرب على ساقها ونحوه قولهم ترجلت الشمس اذا اشرقت وثبت
ضوءها كانها قامت على رجل ويجوز ان يسند الى الحساب قيام اهله اسنادا مجازيا او يكون مثل واسأل
القرية وعن مجاهد رضي الله عنه قد استجاب الله له فيما سأل فلم يعبد احد من ولده صنما بعد دعوته
وجعل البلد امنا ورزق اهله وجعله اماما وجعل من ذريته من يقيم الصلوة واراه مناسكه وتاب عليه
وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال كانت الطائف من ارض فلسطين فلما قال ابرهيم ربنا اني اسكنت الاية رفعها
الله فوضعها حيث وضعها رزقا للحرم **فان قلت** يتعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله صلى
الله عليه وهو اعلم الناس به غافلا حتى قيل ولا تحسبن الله غافلا **قلت** ان كان خطابا لرسول الله عليه السلم ففيه
وجهان احدهما التثبيت على ما كان عليه من انه لا يحسب الله غافلا كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع
الله الها اخر كما جاء في الامر يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله والثاني ان المراد بالنهي عن حسبانه غافلا

وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال

٢٨٥

الايذان بانه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شيء وانه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد
كقوله والله بما تعملون عليم يريد الوعيد ويجوز ان يراد ولا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل عما يعملون ولكن
معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقير والقطمير وان كان خطابا لغيره ممن يجوز ان يحسبه غافلا لجهله بصفاته
فلا سؤال فيه وعن ابن عيينة رحمه الله تسلية للمظلوم وتهديد للظالم فقيل له من قال هذا فغضب وقال انما قاله
من علمه وقرئ نؤخرهم بالنون والياء **تشخص** فيه الابصار اي ابصارهم لا تقر في اماكنها من هول ما ترى **مهطعين**
مسرعين الى الداعي وقيل الاهطاع ان تقبل ببصرك على المرئي تديم النظر اليه لا تطرف **مقنعي** رؤسهم
رافعيها **لا يرتد** اليهم طرفهم لا يرجع اليهم ان يطرفوا بعيونهم اي لا يطرفون ولكن عيونهم مفتوحة ممدودة
من غير تحريك للاجفان او لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم **هواء** الخلاء الذي لم تشغله الاجرام فوصف
به فقيل قلب فلان هواء اذا كان جبانا لا قوة في قلبه ولا جراءة ويقال للاحمق ايضا قلبه هواء قال زهير
من الظلمان جؤجؤه هواء * لان النعام مثل في الجبن والحمق وقال حسان * فانت مجوف نخب هواء *
وعن ابن جريج رحمه الله افئدتهم هواء صفر من الخير خاوية منه وقال ابو عبيدة جوف لا عقول لهم **يوم ياتيهم**
العذاب مفعول ثان لانذرهم وهو يوم القيمة ومعنى اخرنا الى اجل قريب ردنا الى الدنيا وامهلنا الى امد وحد
من الزمان قريب نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة دعوتك واتباع رسلك او اريد باليوم يوم هلاكهم بالعذاب
العاجل او يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى وانهم يسألون يومئذ ان يؤخرهم
ربهم الى اجل قريب كقوله لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق **اولم تكونوا** اقسمتم على ارادة القول وفيه وجهان ان يقولوا
ذلك بطرا واشرا ولما استولى عليهم من عادة الجهل والسفه وان يقولوه بلسان الحال حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا
ومالكم جواب القسم وانما جاء بلفظ الخطاب لقوله اقسمتم ولو حكى لفظ المقسمين لقيل ما لنا من زوال
والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت والفناء وقيل لا تنتقلون الى دار اخرى يعني كفرهم بالبعث
كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت يقال سكن الدار وسكن فيها ومنه قوله وسكنتم في مساكن
الذين ظلموا انفسهم لان السكنى من السكون هو اللبث والاصل تعديته بفي كقولك قر في الدار وغني فيها واقام
فيها ولكنه لما نقل الى سكون خاص تصرف فيه فقيل سكن الدار كما قيل تبوأها واوطنها ويجوز ان يكون
سكنوا من السكون اي قروا فيها واطمأنوا طيبي النفوس سائرين سيرة من قبلهم في الظلم والفساد لا يحدثونها
بما لقي الاولون من ايام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتدعوا **وتبين لكم** بالاخبار والمشاهدة كيف
اهلكناهم وانتقمنا منهم وقرئ ونبين بالنون **وضربنا** لكم الامثال اي صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهي في
الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم **وقد** مكروا مكرهم اي مكرهم العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم **وعند**
الله مكرهم لا يخلو اما ان يكون مضافا الى الفاعل كالاول على ان المعنى ومكتوب عند الله مكرهم فهو مجازيهم عليه بمكر
هو اعظم منه او يكون مضافا الى المفعول على معنى وعند الله مكرهم الذي يمكرهم به وهو عذابهم الذي يستحقونه
ياتيهم به من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون **وان كان** مكرهم لتزول منه الجبال وان عظم مكرهم وتبالغ في الشدة فضرب
زوال الجبال منه مثلا لتفاقمه وشدته اي وان كان مكرهم مسوى لازالة الجبال معدا لذلك وقد جعلت ان نافية

ولا تحسبن الله مخلف وعده رسله ان الله عزيز ذو انتقام يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله
الواحد القهار وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار

واللام موكدة لها كقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم والمعنى ومحال ان تزول الجبال بمكرهم على ان الجبال مثل لآيات الله وشرايعه لانها بمنزلة الجبال الراسية ثباتا وتمكنا وتنصره قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وما كان مكرهم وقرئ لتزول بلام الابتداء على وان كان مكرهم من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقلع عن اماكنها وقرا علي وعمر رضي الله عنهما وان كاد مكرهم مخلف وعده رسله يعني قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي فان قلت هلا قيل مخلف رسله وعده ولم قدم المفعول الثاني على الاول قلت قدم الوعد ليعلم انه لا يخلف الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليوذن انه اذا لم يخلف وعده احدا وليس من شانه اخلاف المواعيد كيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته وقرئ مخلف وعده رسله بجر الرسل ونصب الوعد وهذه في الضعف كمن قرا قتل اولادهم شركائهم عزيز غالب لا يماكر ذو انتقام لاوليائه من اعدائه يوم تبدل الارض انتصابه على البدل من يوم ياتيهم او على الظرف للانتقام والمعنى يوم تبدل هذه الارض التي تعرفونها ارضا غير هذه المعروفة وكذلك السموات والتبديل التغيير وقد يكون في الذوات كقولك بدلت الدراهم دنانير ومنه بدلناهم جلودا غيرها وبدلناهم بجنتيهم جنتين وفي الاوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وسويتها فنقلتها من شكل الى شكل ومنه فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات واختلف في تبديل الارض والسموات فقيل تبدل اوصافها فتسير عن الارض جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلا يرى فيها عوج ولا امت وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي تلك الارض وانما تغير وانشد وما الناس بالناس الذين عهدتهم وما الدار بالدار التي كنت تعلم وتبدل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها ابوابا وقيل تخلق بدلها ارض وسموات اخر وعن ابن مسعود وانس رضي الله عنهما يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن علي رضي الله عنه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن الضحاك رضي الله عنه ارضا من فضة بيضاء كالصحائف وقرئ يوم نبدل الارض بالنون فان قلت كيف قال الواحد القهار قلت كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لان الملك اذا كان لواحد غلاب لا يغالب ولا يعاز فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار كان الامر في غاية الصعوبة والشدة مقرنين قرن بعضهم مع بعض او مع الشياطين او قرنت ايديهم الى ارجلهم مغللين وقوله في الاصفاد اما ان يتعلق بمقرنين اي يقرنون في الاصفاد واما ان لا يتعلق به فيكون المعنى مقرنين مصفدين والاصفاد القيود وقيل الاغلال وانشد لسلامة بن جندل وزيد الخيل قد لاقى صفادا يعض بساعد وبعظم ساق القطران فيه ثلاث لغات قطران وقطران وقطران بكسر القاف وفتحها مع سكون الطاء وهو ما يتحلب من شجر يسمى الابهل فيطبخ فتهنا به الابل الجربى فيحرق الجرب بحره وحدته والجلد وقد تبلغ حرارته الجوف ومن شانه ان يسرع فيه اشتعال النار وقد يستسرج به وهو اسود اللون منتن الريح فتطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل وهي القمص لتجتمع عليهم الاربع لذع القطران وحرقته واسراع النار في جلودهم واللون الوحش ونتن الريح على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين وكل ما وعد الله او اوعد به في الآخرة فبينه وبين ما نشاهد من جنسه ما لا يقادر قدره

ليجزي الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب هذا بلاغ للناس
ولينذروا به وليعلموا انما هو اله واحد وليذكر اولوا الالباب بسم الله الرحمن الرحيم الر
تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون

وكانه ما عندنا منه الا الاسامي والمسميات ثمة فبكرمه الواسع نعوذ من سخطه ونساله التوفيق فيما ينجينا من عذابه وقرئ من قطر آن والقطر النحاس او الصفر المذاب والآني المتناهي حره وتغشى وجوههم النار كقوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم يسحبون في النار على وجوههم لان الوجه اعز موضع في ظاهر البدن واشرفه كالقلب في باطنه ولذلك قال تطلع على الافئدة وقرئ وتغشى وجوههم بمعنى تتغشى ايا يفعل بالمجرمين ما يفعل ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت او كل نفس من مجرمة ومطيعة لانه اذا عاقب المجرمين لاجرامهم علم انه يثيب المطيعين لطاعتهم هذا بلاغ للناس كفاية في التذكير والموعظة يعني بهذا ما وصفه من قوله ولا تحسبن الى قوله سريع الحساب ولينذروا به معطوف على محذوف اي لينصحوا ولينذروا به بهذا البلاغ وقرئ ولينذروا من نذر به اذا علمه واستعد له وليعلموا انما هو اله واحد لانهم اذا خافوا ما انذروا به دعتهم المخافة الى النظر حتى يتوصلوا الى التوحيد لان الخشية ام الخير كله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ابراهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب والقرآن المبين السورة وتنكير القرآن للتفخيم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتابا واي قرآن مبين كانه قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان وقرئ ربما وربتما بالتشديد وربما وربتما بالضم والفتح مع التخفيف فان قلت لم دخلت على المضارع وقد ابوا دخولها الا على الماضي قلت لان المترقب في اخبار الله عز وجل بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكانه قيل ربما ود فان قلت متى تكون ودادتهم قلت عند الموت او يوم القيامة اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين وقيل اذا راوا المسلمين يخرجون من النار وهذا ايضا باب من الودادة فان قلت فما معنى التقليل قلت هو وارد على مذهب العرب في قولهم لعلك ستندم على فعلك وربما ندم الانسان على ما فعل ولا يشكون في تندمه ولا يقصدون تقليله ولكنهم ارادوا لو كان الندم مشكوكا فيه او كان قليلا لحق عليك ان لا تفعل هذا الفعل لان العقلاء يتحرزون عن التعرض للغم المظنون كما يتحرزون من المتيقن ومن القليل منه كما من الكثير وكذلك المعنى في الآية لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه في كل ساعة لو كانوا مسلمين حكاية ودادتهم وانما جيء بها على لفظ الغيبة لانهم مخبر عنهم كقولك حلف بالله ليفعلن ولو قيل حلف بالله لافعلن ولو كنا مسلمين لكان حسنا سديدا وقيل تدهشهم اهوال ذلك اليوم فيبقون مبهوتين فان حانت منهم افاقة في بعض الاوقات من سكرتهم تمنوا فلذلك قلل ذرهم يعني اقطع طمعك من ارعوائهم ودعهم عن النهي عما هم عليه والصد عنه بالتذكرة والنصيحة وخلهم ياكلوا ويتمتعوا بدنياهم وتنفيذ شهواتهم ويشغلهم املهم وتوقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال وان لا يلقوا في العاقبة الا خيرا فسوف يعلمون سوء صنيعهم والغرض الايذان بانهم من اهل الخذلان وانهم لا يرجى منهم الاسلام فيه وانه لا زاجر لهم ولا واعظ الا معاينة ما ينذرون

به حين لا ينفعهم الوعظ ولا مبالاة انعاظهم قبل في ذلك فامر رسوله بان يخليهم وشانهم ولا يشتغل بما لا طايل تحته
وان يبالغ في تخليتهم حتى يامرهم بما لا يزيدهم الا ندما في العاقبة وفيه الزام للحجة ومبالغة في الانذار واعذار فيه
وفيه تنبيه على ان ايثار التلذذ والتنعم وما يؤدي اليه طول الامل وهذه هجيري اكثر الناس من اخلاق المومنين وعن
بعضهم التمرغ في الدنيا من اخلاق الهالكين وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب جملة واقعة صفة لقرية والقياس ان لا يتوسط الواو بينهما
كما في قوله وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون وانما توسطت لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف كما يقال في الحال جاءني
زيد عليه ثوب وجاءني وعليه ثوب كتاب معلوم مكتوب معلوم وهو اجلها الذي كتب في اللوح ونيط الحين الى
قوله ما تسبق من امة اجلها في موضع كتابها وانث الامة اولا ثم ذكرها اخرا حملا على اللفظ والمعنى وما
يستاخرون وحذف عنه لانه معلوم وقرا الاعمش رحمه الله يا ايها الذي القي عليه الذكر وكان هذا النداء منهم على وجه
الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وكيف يقرون بنزول الذكر عليه وينسبونه الى الجنون
والتعكيس في كلامهم للاستهزاء والتهكم مذهب واسع وقد جاء في كتاب الله في مواضع منها فبشرهم بعذاب اليم انك
لانت الحليم الرشيد وقد يوجد كثيرا في كلام العجم والمعنى انك لتقول قول المجانين حين تدعي ان الله نزل عليك الذكر لو ما
لو ركبت مع لا وما لمعنيين معنى امتناع الشي لوجود غيره ومعنى التحضيض واما هل فلم تركب الا مع لا وحدها
للتحضيض وعن ابن مقبل لوما الحيا ولوما الدين عبتكما ببعض ما فيكما اذ عبتما عوري والمعنى هلا تاتينا
بالملائكة يشهدون بصدقك ويعضدونك على انذارك كقوله لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا او هلا تاتينا بالملائكة
للعقاب على تكذيبنا لك ان كنت صادقا كما كانت تاتي الامم المكذبة برسلها قرى تنزل بمعنى تتنزل
وتنزل بمعنى تتنزل على البنا للمفعول من نزل وننزل الملائكة بالنون ونصب الملائكة الا بالحق الا
تنزلا ملتبسا بالحكمة والمصلحة ولا حكمة في ان تاتيكم عيانا تشاهدونهم ويشهدون لكم بصدق النبي
صلى الله عليه لانكم حينئذ مصدقون عن اضطرار ومثله قوله وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا
بالحق وقيل الحق الوحي او العذاب واذا جواب وجزاء لجوابهم وجزاء الشرط مقدر تقديره ولو نزلنا
الملائكة ما كانوا منظرين وما اخر عذابهم انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم في قولهم
يا ايها الذي نزل عليه الذكر ولذلك قال انا نحن فاكد عليهم انه هو المنزل على القطع والبتات وانه
هو الذي بعث به جبريل عليه السلام الى محمد صلى الله عليه وبين يديه ومن خلفه رصد حتى نزل وبلغ محفوظا
من الشياطين وهو حافظه في كل وقت من كل زيادة ونقصان وتحريف وتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فانه
لم يتول حفظها وانما استحفظها الربانيين والاحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا فكان التحريف ولم يكل القران
الى غير حفظه فان قلت قد كان قوله انا نحن نزلنا الذكر ردا لانكارهم واستهزائهم فكيف اتصل به قوله وانا له لحافظون
قلت جعل ذلك دليلا على انه منزل من عنده اية لانه لو كان من قول البشر او غير اية لتطرق عليه الزيادة والنقصان
كما يتطرق على كل كلام سواه وقيل الضمير في له لرسول الله عليه السلام كقوله والله يعصمك في شيع الاولين في فرقهم وطوايفهم
والشيعة الفرقة اذا اتفقوا على مذهب وطريقة ومعنا ارسلنا فيهم نبانا بهم وجعلناه رسولا فيما بينهم
وما ياتيهم حكاية حال ماضية لان ما لا يدخل على مضارع الا وهو بمعنى الحال ولا على ماض الا وهو

قريب من الحال كذلك نسلكه سلكت الخيط في الابرة واسلكته اذا ادخلته فيها ونظمته وقرئ نسلكه والضمير
للذكر اي مثل ذلك السلك ونحوه نسلك الذكر في قلوب المجرمين على معنى انه يلقيه في قلوبهم مكذبا مستهزءا
به غير مقبول كما لو انزلت بلئيم حاجة فلم تجبه اليها فقلت كذلك انزلها باللئام تعني مثل هذا
الانزال انزلها بهم مردودة غير مقضية ومحل قوله لا يؤمنون به النصب على الحال اي غير مؤمن به او هو
بيان لقوله كذلك نسلكه وقد خلت سنة الاولين طريقتهم التي سنها الله في اهلاكهم حين كذبوا برسلهم وبالذكر المنزل
عليهم وهو وعيد لاهل مكة على تكذيبهم قرى يعرجون بالضم والكسر سكرت حيرت او حبست من الابصار من السكر
او السكر وقرى سكرت بالتخفيف اي حبست كما يحبس النهر من الجري وقرى سكرت من السكر اي حارت
كما يحار السكران والمعنى ان هولاء المشركين بلغ من غلوهم في العناد ان لو فتح لهم باب من ابواب السما
ويسر لهم معراج يصعدون فيه اليها وراوا من العيان ما راوا لقالوا هو شي نتخايله لا حقيقة له
ولقالوا قد سحرنا محمد عليه السلام بذلك وقيل الضمير للملائكة اي لو اريناهم الملائكة يصعدون في
السما عيانا لقالوا ذلك وذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما
يرون وقال انما البدل على انهم يحسبون القول بانه ليس الا تسكيرا للابصار من استرق في محل النصب على
الاستثنا وعن ابن عباس رضي الله عنه انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث
سموات فلما ولد محمد منعوا من السموات كلها شهاب مبين ظاهر للمبصرين موزون وزن بميزان الحكمة
وقدر بمقدار تقتضيه لا يصلح فيه زيادة ولا نقصان اوله وزن وقدر في ابواب النعمة والمنفعة وقيل ما
يوزن من نحو الذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها معايش بياء صريحة بخلاف الشمايل والخبايث ونحوها
فان تصريح اليا فيها خطا والصواب الهمزة او اخراج اليا بين بين وقد قرى معايش بالهمز على التشبيه
ومن لستم له برازقين عطف على معايش او على محل لكم كانه قيل وجعلنا لكم فيها معايش وجعلنا لكم من لستم
له برازقين واراد بهم العيال او وجعلنا لكم معايش ومن لستم له برازقين واراد بهم العيال والمماليك والخدم
الذين يحسبون انهم يرزقونهم ويخطئون فان الله هو الرزاق يرزقهم واياهم ويدخل فيه الانعام والدواب
وكل ما بتلك المثابة مما الله رازقه وقد سبق الى ظنهم انهم الرازقون ولا يجوز ان يكون مجرورا عطفا على
الضمير المجرور في لكم لانه لا يعطف على الضمير المجرور ذكر الخزائن مثل والمعنى وما من شي ينتفع به العباد
الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه والانعام به وما نعطيه الا بمقدار معلوم نعلم انه مصلحة له فضرب الخزائن
مثلا لاقتداره على كل مقدور لواقح فيه قولان احدهما ان الريح لاقح اذا جات بخير من انشا سحاب ماطر كما قيل للتي
لا تاتي بخير ريح عقيم والثاني ان اللواقح بمعنى الملاقح كما قال ومختبط مما تطيح الطوائح يريد المطاوح
جمع مطيحة وقرى وارسلنا الريح على تاويل الجنس فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين نفى عنهم ما
اثبته لنفسه في قوله وان من شي الا عندنا خزائنه كانه قال نحن الخازنون للما على معنى نحن القادرون على خلقه
في السما وانزاله منها وما انتم عليه بقادرين دلالة على عظيم قدرته واظهار العجز بهم ونحن الوارثون الباقون بعد هلاك
الخلق كله وقيل للباقي وارث استعارة من وارث الميت لانه يبقى بعد فنائه ومنه قوله صلى الله عليه في دعايه واجعله الوارث منا

ولقد علمنا المستقدمين منكم ولادة وموتا ومن تاخر من الاولين والاخرين ومن خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام وسبق الى الطاعة وقيل المستقدمين في صفوف الجماعة والمتاخرين وروي ان امراة حسنا كانت في المصليات خلف رسول الله عليه السلام فكان بعض القوم يستقدم لئلا ينظر اليها وبعض يستاخر لينظرها فنزلت وان ربك هو يحشرهم اي هو وحده القادر على حشرهم والعالم بحصرهم مع افراط كثرتهم وتباعد اطراف عددهم انه حكيم عليم باهر الحكم واسع العلم يفعل كل ما يفعل على مقتضى الحكمة والصواب وقد احاط علما بكل شي ولقد خلقنا الانسان من صلصال الطين اليابس الذي يصلصل وهو غير مطبوخ واذا طبخ فهو فخار قالوا اذا توهمت في صوته مدا فهو صليل وان توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل اذا انتن من حما الطين الاسود المتغير مسنون المصور من سنة الوجه وقيل المصبوب المفرغ اي افرغ صورة انسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذوبة في امثلتها وقيل المنتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فالذي يسيل بينهما سنين ولا يكون الا منتنا من حما صفة لصلصال كانه افرغ الحما فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غيره بعد ذلك الى جوهر اخر والجان للجن كادم للناس وقيل هو ابليس وقرا الحسن وعمرو بن عبيد رحمهما الله والجأن بالهمز من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام قيل هذه السموم جزء من سبعين جزءا من سموم النار التي خلق الله منها الجان واذ قال ربك واذكر وقت قوله فاذا سويته عدلت خلقته واكملتها وهياتها لنفخ الروح فيها ونفخت فيه من روحي واحييته وليس ثم نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لتحصيل ما يحيا به فيه واستثنى ابليس من الملائكة لانه كان بينهم مامورا معهم بالسجود فغلب اسم الملائكة ثم استثني بعد التغليب كقولك رايتهم الا هندا وابى استيناف على تقدير قول قايل يقول هلا سجد فقيل ابى ذلك واستكبر عنه وقيل معناه ولكن ابليس ابى هو الجزم على ان محذوف تقديره مالك في ان لا تكون مع الساجدين بمعنى اي غرض لك في ابائك السجود واي داع لك اليه واللام في لاسجد لتاكيد النفي ومعناه لا يصح مني وينافي حالي ان يسجد لبشر رجيم شيطان من الذين يرجمون بالشهب او مطرود من رحمة الله لان من يطرد يرجم بالحجارة ومعناه ملعون لان اللعن هو الطرد من الرحمة والابعاد منها والضمير في منها راجع الى الجنة او السماء او الى جملة الملائكة وضرب يوم الدين حد اللعنة اما لانه ابعد غاية يضربها الناس في كلامهم كقوله مادامت السموات والارض في التابيد واما ان يراد انك مذموم مدعو عليك باللعنة في السموات والارض الى يوم الدين من غير ان تعذب فاذا جاء ذلك اليوم عذبت بما ينسى اللعن معه ويوم الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم في معنى واحد ولكن خولف بين العبارات سلوكا بالكلام طريقة البلاغة وقيل انما سال الانظار الى اليوم الذي فيه يبعثون لئلا يموت لانه لا يموت يوم البعث احد فلم يجب الى ذلك وانظر الى اخر ايام التكليف بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجواب القسم لازينن والمعنى اقسم باغوايك اياي لازينن لهم ومعنى اغوايه سببية لغيه بان امره بالسجود لادم عليه السلام فافضى ذلك الى غيه وما الامر بالسجود الا حسن وتعريض للثواب بالتواضع والخضوع لامر الله ولكن ابليس اختار الاباء والاستكبار فهلك والله تعالى بري من غيه ومن ارادته والرضا

قوله بما اغويتني لازينن قوله فبعزتك لاغوينهم في انه اقسام الا ان احدهما اقسام بصفته والثاني اقسام بفعله وقد فرق الفقهاء بينهما ويجوز ان لا يكون قسما ويقدر قسم محذوف ويكون المعنى بسبب تسببك لاغوايي اقسم لافعلن بهم نحو ما فعلت بي من التسبب لاغوايهم بان ازين لهم المعاصي واوسوس اليهم ما يكون سبب هلاكهم في الارض في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله اخلد الى الارض واتبع هواه او اراد اني اقدر على الاحتيال لادم والتزيين له الاكل من الشجرة وهو في السماء فانا على التزيين لاولاده في الارض اقدر او اراد لاجعلن مكان التزيين عندهم الارض ولاوقعن تزييني فيها اي لازيننها في اعينهم ولاحدثنهم بان الزينة في الدنيا وحدها حتى يستحبوها على الاخرة ويطمئنوا اليها دونها ونحوه يخرج يخرج لي في عراقيبها نصلي استثنى المخلصين لانه علم ان كيده لا يعمل فيهم ولا يقبلون منه اي هذا طريق حق علي ان اراعيه وهو ان لا يكون لك سلطان على عبادي الا من اختار اتباعك منهم لغوايته وقرئ علي وهو من علو الشرف والفضل لموعدهم الضمير للغاوين وقيل ابواب النار اطباقها وادراكها فاعلاها للموحدين والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وعن ابن عباس رضي الله عنه ان جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين وقرئ جزء بالتخفيف والتثقيل وقرا الزهري رضي الله عنه جز بالتشديد كانه حذف الهمزة والقى حركتها على الزاي كقولك خب في خبء ثم وقف عليه بالتشديد كقولهم الرجل ثم اجرى الوصل مجرى الوقف المتقين على الاطلاق من يتقي ما يجب اتقاوه مما نهي عنه وعن ابن عباس رضي الله عنه اتقوا الكفر والفواحش ولهم ذنوب تكفرها الصلوات وغيرها ادخلوها على ارادة القول وقرا الحسن رحمه الله ادخلوها بسلام سالمين او مسلما عليكم تسلم عليكم الملائكة الغل الحقد الكامن في القلب من انغل في جوفه وتغلغل اي ان كان لاحدهم في الدنيا غل على اخر نزع الله ذلك من قلوبهم وطيب نفوسهم وعن علي ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم وعن الحرث الاعور كنت جالسا عنده اذ جاء ابن طلحة فقال علي رضي الله عنه مرحبا بك يا ابن اخي اما والله اني لارجو ان اكون انا وابوك ممن قال الله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل فقال له قايل كلا الله اعدل من ان يجمعك وطلحة في مكان واحد قال فلمن هذه الاية لا ام لك وقيل معناه طهر الله قلوبهم من ان يتحاسدوا على الدرجات في الجنة ونزع منها كل غل والقى فيها التوادد والتحابب اخوانا نصب على الحال على سرر متقابلين وكذلك وعن مجاهد رضي الله عنه تدور بهم الاسرة حيثما داروا فيكونون في جميع احوالهم متقابلين لما اتم ذكر الوعد اتبعه نبئ عبادي تقرير لما ذكر وتمكينا له في النفوس وعن ابن عباس رضي الله عنهما غفور لمن تاب وعذابه لمن لم يتب وعطف ونبئهم على نبئ عبادي ليتخذوا ما احل من العذاب بقوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط الله وانتقامه من المجرمين ويتحققوا عنده ان عذابه هو العذاب الاليم سلاما اي نسلم عليك سلاما او سلمنا سلاما وجلون خايفون وكان خوفه لامتناعهم من الاكل وقيل لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت

قالوا لا توجل انا نبشرك بغلام عليم قال ابشرتموني على ان مسني الكبر فبم تبشرون قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين الا آل لوط انا لمنجوهم اجمعين الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين

وقرأ الحسن لا توجل بضم التاء من اوجله يوجله اذا اخافه وقرئ لا تاجل ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله وقرئ نبشرك بفتح النون والتخفيف انا نبشرك استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل اراد وانك بمثابة الآمن المبشر فلا توجل يعني ابشرتموني مع مس الكبر بان يولد لي اي ان الولادة امر عجيب مستنكر في العادة مع الكبر فبم تبشرون هي ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كانه قال فباي اعجوبة تبشروني او اراد انكم تبشرونني بما هو غير متصور في العادة فباي شيء تبشرون يعني لا تبشرونني في الحقيقة بشيء لان البشارة بمثل هذا بشارة بغير شيء ويجوز ان لا يكون صلة لبشر ويكون سؤالا عن الوجه والطريقة يعني باي طريقة تبشرونني بالولد والبشارة به لا طريق لها في العادة بشرناك بالحق يحتمل ان يكون الباء فيه صلة اي بشرناك باليقين الذي لا لبس فيه او بشرناك بطريقة هي حق وهي قول الله سبحانه ووعده وانه قادر على ان يوجد ولدا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وقرئ تبشرون بفتح النون وبكسرها على حذف نون الجمع والاصل تبشرونني وتبشرونّ بادغام نون الجمع في نون العماد وقرئ من القنطين من قنط يقنط وقرئ ومن يقنط بالحركات الثلاث في النون اراد ومن يقنط من رحمة ربه الا المخطئون طريق الصواب او الا الكافرون كقوله لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون يعني لم استنكر ذلك قنوطا من رحمته ولكن استبعادا له في العادة التي اجراها الله تع فان قلت قوله الا آل لوط استثناء متصل او منقطع قلت لا يخلو من ان يكون استثناء من قوم فيكون منقطعا لان القوم موصوفون بالاجرام فاختلف لذلك الجنسان وان يكون استثناء من الضمير في مجرمين فيكون متصلا كانه قيل الا قوم قد اجرموا كلهم الا آل لوط وحدهم كما قال فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين فان قلت هل يختلف المعنى لاختلاف الاستثناءين قلت نعم وذلك ان آل لوط مخرجون في المنقطع من حكم الارسال وعلى انهم ارسلوا الى القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا الى آل لوط اصلا ومعنى ارسالهم الى القوم المجرمين كارسال الحجر او السهم الى المرمى في انه في معنى التعذيب والاهلاك كانه قيل انا اهلكنا قوما مجرمين ولكن آل لوط انجيناهم واما في المتصل فهم داخلون في حكم الارسال وعلى ان الملائكة ارسلوا اليهم جميعا ليهلكوا هؤلاء وينجوا هؤلاء فلا يكون الارسال مخلصا بمعنى الاهلاك والتعذيب كما في الوجه الاول فان قلت فقوله انا لمنجوهم بم يتعلق على الوجهين قلت اذا انقطع الاستثناء جرى مجرى خبر لكن في الاتصال بآل لوط لان المعنى لكن آل لوط منجون واذا اتصل كان كلاما مستأنفا كان ابراهيم صلوات الله عليه قال لهم فما حال آل لوط فقالوا انا لمنجوهم فان قلت فقوله الا امرأته مم استثني وهل هو استثناء من استثناء قلت استثني من الضمير المجرور في قوله لمنجوهم وليس من الاستثناء من الاستثناء في شيء لان الاستثناء من الاستثناء انما يكون فيما اتحد الحكم فيه وان يقال اهلكناهم الا آل لوط الا امرأته كما اتحد الحكم في قول المطلق انت طالق ثلاثا الا اثنتين الا واحدة وفي قول المقر لفلان علي عشرة دراهم الا ثلاثة الا درهما فاما في الآية فقد اختلف الحكمان لان الا آل لوط متعلق بارسلنا او بمجرمين والا امرأته قد تعلق بمنجوهم فانى يكون استثناء من استثناء وقرئ لمنجوهم بالتخفيف والتثقيل فان قلت لم جاز تعليق فعل التقدير في قوله قدرنا انها لمن الغابرين والتعليق من خصائص افعال القلوب قلت لتضمن فعل التقدير معنى العلم ولذلك فسر العلماء تقدير الله اعمال العباد بالعلم فان قلت فلم اسند الملائكة فعل التقدير وهو لله وحده الى انفسهم ولم يقولوا قدر الله قلت لما لهم من القرب

فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون وأتيناك بالحق وانا لصادقون فاسر باهلك بقطع من الليل واتبع ادبارهم ولا يلتفت منكم احد وامضوا حيث تؤمرون وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وجاء اهل المدينة يستبشرون قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون قالوا اولم ننهك عن العالمين قال هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين

٢٨٩

والاختصاص بالله الذي ليس لاحد غيرهم كما يقول خاصة الملك دبرنا كذا وامرنا بكذا والمدبر والآمر هو الملك لا هم وانما يظهرون بذلك اختصاصهم وانهم لا يتميزون عنه وقرئ قدرنا بالتخفيف منكرون اي ينكركم نفسي وتنفر منكم فاخاف ان تطرقوني بشر بدليل قوله بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما فيه فرحك وسرورك وتشفيك من عدوك وهو العذاب الذي كنت تتوعدهم بنزوله فيمترون فيه ويكذبونك بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون في الاخبار بنزوله بهم وقرئ فاسر بقطع الهمزة ووصلها من اسرى وسرى وروى صاحب الاقليد فسر من السير والقطع في آخر الليل قال افتحي الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع الليل بهيم وقيل هو بعد ما يمضي شيء صالح من الليل فان قلت ما معنى امره باتباع ادبارهم ونهيهم عن الالتفات قلت قد بعث الله الهلاك على قومه ونجاه واهله اجابة لدعوته عليهم وخرج مهاجرا فلم يكن له بد من الاجتهاد في شكر الله وادامة ذكره وتفريغ باله لذلك فامر بان يقدمهم لئلا يشتغل بمن خلفه قلبه وليكون مطلعا عليهم وعلى احوالهم فلا تفرط منهم التفاتة احتشاما منه ولا غيرها من الهفوات في تلك الحال المهولة المحذورة ولئلا يتخلف منهم احد لغرض له فيصيبه العذاب وليكون مسيره مسير الهارب الذي يقدم سربه ويفوت به ونهوا عن الالتفات لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم وليوطنوا نفوسهم على المهاجرة ويطيبوها عن مساكنهم ويمضوا قدما غير ملتفتين الى ما وراءهم كالذي يتحسر على مفارقة وطنه فلا يزال يلوي اليه اخادعه كما قال تلفت نحو الحي حتى وجدتني وجعت من الاصغاء ليتا واخدعا او جعل النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني والتوقف لان من يلتفت لا بد له في ذلك من ادنى وقفة حيث تؤمرون قيل هو مصر وعدي وامضوا الى حيث تعديته الى الظرف المبهم لان حيث مبهم في الامكنة وكذلك الضمير في تؤمرونه وعدي قضينا بالى لانه ضمن معنى اوحينا كانه قيل واوحينا اليه مقضيا مبتوتا وفسر ذلك الامر بقوله ان دابر هؤلاء مقطوع وفي ابهامه وتفسيره تفخيم للامر وتعظيم له وقرأ الاعمش ان بالكسر على الاستئناف كان قائلا قال اخبرنا عن ذلك الامر فقال ان دابر هؤلاء وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وقلنا ان دابر هؤلاء ودابرهم آخرهم يعني يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد اهل المدينة اهل سدوم التي ضرب بقاضيها المثل في الجور مستبشرين بالملائكة فلا تفضحون بفضيحة ضيفي لان من اسيء الى ضيفه او جاره فقد اسيء اليه كما ان من اكرم من يتصل به فقد اكرم ولا تخزون ولا تذلوني باذلال ضيفي من الخزي وهو الهوان او ولا تشوروني من الخزاية وهي الحياء عن العالمين عن ان تجير منهم احدا او تدفع عنهم او تمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان يقوم صلى الله عليه بالنهي عن المنكر والحجز بينهم وبين المتعرض له فاوعدوه وقالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين وقيل عن ضيافة الناس وانزالهم وكانوا نهوه ان يضيف احدا قط هؤلاء بناتي اشارة الى النساء لان كل امة اولاد نبيها رجالهم بنوه ونساؤهم بناته فكانه قال لهم هؤلاء بناتي فانكحوهن وخلوا بني فلا تتعرضوا لهم ان كنتم فاعلين شاكا في قبولهم لقوله كانه قال ان فعلتم ما اقول لكم وما اظنكم

لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون فاخذتهم الصيحة مشرقين فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل
ان في ذلك لايات للمتوسمين وانها لبسبيل مقيم ان في ذلك لاية للمؤمنين وان كان اصحاب الايكة
لظالمين فانتقمنا منهم وانهما لبامام مبين ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين وآتيناهم اياتنا فكانوا
عنها معرضين وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا امنين فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان الساعة لاتية فاصفح الصفح الجميل ان ربك هو الخلاق العليم ولقد آتيناك سبعا

تفعلون وقيل ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما احل الله دون ما حرم لعمرك على ارادة القول
اي قالت الملائكة للوط عليه السلام لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون اي في غوايتهم التي اذهبت عقولهم
وتمييزهم بين الخطا الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشير به عليهم من ترك البنين الى البنات يعمهون
يتحيرون فكيف يقبلون قولك ويصغون الى نصيحتك وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانه اقسم
بحياته وما اقسم بحياة احد قط كرامة له والعمر والعمر واحد الا انهم خصوا القسم بالمفتوح لايثار
الاخف فيه وذلك لان الحلف كثير الدور على السنتهم ولذلك حذفوا الخبر وتقديره لعمرك قسمي كما
حذفوا الفعل في قولك بالله وقرئ في سكرتهم وفي سكراتهم الصيحة صيحة جبريل عليه السلام مشرقين داخلين
في الشروق وهو بزوغ الشمس من سجيل قيل من طين عليه كتاب من السجل وقيل من جهنم بدله بحجارة من طين مسومة
عند ربك اي معلمة بكتاب للمتوسمين للمتفرسين المتأملين وحقيقة المتوسمين النظار المتثبتون
في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشيء يقال توسمت في فلان كذا اي عرفت وسمه فيه والضمير في انها
سافلها لقرى قوم لوط وانها وان هذه القرى لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس لم تندرس
بعد وهم يبصرون تلك الاثار وهو تنبيه لقريش كقوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين اصحاب الايكة هم قوم
شعيب عليه السلام وانهما يعني قرى قوم لوط والايكة وقيل الضمير للايكة ومدين لان شعيبا عليه السلام كان مبعوثا
اليهما فلما ذكر الايكة دل بذكرها على مدين فجاء بضميرهما لبامام مبين لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم
به الطريق ومطمر البناء واللوح الذي يكتب فيه لانها مما يؤتم به واصحاب الحجر ثمود والحجر واديهم
وهو بين المدينة والشام المرسلين يعني بتكذيبهم صالحا لان من كذب واحدا منهم فكانما كذب الجميع او
اراد صالحا ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيبون لابن الزبير واصحابه وعن جابر رضي الله عنه قال
مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لنا لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين
حذرا ان يصيبكم مثل ما اصاب هؤلاء ثم زجر رسول الله راحلته فاسرع حتى خلفها امنين لوثاقة البيوت
واستحكامها من ان تنهدم ويتداعى بنيانها ومن نقب اللصوص ومن الاعداء وحوادث الدهر
او امنين من عذاب الله يحسبون ان الجبال تحميهم منه ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة والاموال
والعدد الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق والحكمة لا باطلا وعبثا او بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء
على الاعمال وان الساعة لاتية فينتقم الله لك فيها من اعدائك ويجازيك واياهم على حسناتك وسيئاتهم
فانه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا لذلك فاصفح فاعرض عنهم واحتمل ما تلقى منهم اعراضا
جميلا بحلم واغضاء وقيل هو منسوخ باية السيف ويجوز ان يراد به المخالقة فلا يكون منسوخا ان ربك هو الخلاق
الذي خلقك وخلقهم وهو العليم بحالك وحالهم فلا يخفى عليه ما يجري بينكم وهو يحكم بينكم او ان ربك هو
الذي خلقكم وعلم ما هو الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح الى ان يكون السيف اصلح وفي مصحف
عثمان رضي الله عنهما ان ربك هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق للكثير لا غير كقولك قطع الثياب
وقطع الثوب والثياب سبعا سبع ايات وهي الفاتحة او سبع سور وهي الطول واختلف في السابعة فقيل

من المثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين وقل اني
انا النذير المبين كما انزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون فاصدع بما تؤمر
واعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون

الانفال وبراءة لانهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما باية التسمية وقيل هي سورة يونس وقيل هي الحواميم
او سبع صحايف وهي الاسباع والمثاني من التثنية وهي التكرير لان الفاتحة مما تكرر قراءتها في الصلوة
وغيرها او من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله والواحد مثناة او مثنية صفة للاية واما السور
والاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك ولما فيها من الثناء
كانها تثني على الله بافعاله العظمى وصفاته الحسنى ومن اما للبيان او للتبعيض اذا اردت بالسبع الفاتحة
او الطول وللبيان اذا اردت الاسباع ويجوز ان تكون كتب الله كلها مثاني لانها تثني عليه ولما فيها
من المواعظ المكررة ويكون القرآن بعضها فان قيل كيف صح عطف القرآن العظيم على السبع وهل هو الا عطف
الشيء على نفسه قلت اذا عني بالسبع الفاتحة او الطول فما وراءهن ينطلق عليه اسم القرآن لانه اسم يقع على
البعض كما يقع على الكل الا ترى الى قوله بما اوحينا اليك هذا القرآن يعني سورة يوسف واذا عنيت الاسباع
فالمعنى ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم اي الجامع لهذين النعتين وهو الثناء والتثنية
والعظم اي لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من الكفار
فان قيل كيف وصل هذا بما قبله قلت يقول لرسوله قد اوتيت النعمة العظمى التي كل نعمة وان عظمت فهي اليها
حقيرة ضئيلة وهي القرآن العظيم فعليك ان تستغني به ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به احدا من متاع الدنيا ومنه الحديث
ليس منا من لم يتغن بالقرآن وحديث ابي بكر رضي الله عنه من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي افضل مما اوتي فقد
صغر عظيما وعظم صغيرا وقيل وافت من بصرى واذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير
فيها انواع البز والطيب والجوهر وساير الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها
ولانفقناها في سبيل الله فقال لهم الله عز وعلا لقد اعطيتكم سبع ايات هي خير من هذه القوافل السبع
ولا تحزن عليهم يعني لا تتمن اموالهم ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم الاسلام
وينتعش بهم المؤمنون وتواضع لمن معك من فقراء المؤمنين وضعفائهم وطب نفسا عن
ايمان الاغنياء والاقوياء وقل لهم اني انا النذير المبين انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم فان قيل بم تعلق
قوله كما انزلنا قلت فيه وجهان احدهما ان يتعلق بقوله ولقد آتيناك اي انزلنا عليك مثل ما انزلنا على اهل
الكتاب وهم المقتسمون الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا بعنادهم وعدوانهم بعضه حق موافق للتوراة
والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه الى حق وباطل وعضوه وقيل كانوا يستهزئون به فيقول
بعضهم سورة البقرة لي ويقول الاخر سورة آل عمران لي ويجوز ان يراد بالقرآن ما يقرؤونه من كتبهم وقد
اقتسموه بتحريفهم وبان اليهود اقرت ببعض التوراة وكذبت ببعض والنصارى اقرت ببعض الانجيل وكذبت
ببعض وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن صنيع قومه بالقرآن وتكذيبهم وقولهم سحر وشعر واساطير بان
غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب نحو فعلهم والثاني ان يتعلق بقوله وقل اني انا النذير المبين اي
وانذر قريشا مثل ما انزلنا من العذاب على المقتسمين يعني اليهود وهو ما جرى على قريظة والنضير
جعل المتوقع بمنزلة الواقع وهو من الاعجاز لانه اخبار بما سيكون وقد كان ويجوز ان يكون الذين جعلوا

ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين

بسم الله الرحمن الرحيم اتى امر الله

القران عضين منصوبا بالنذير اي انذر المعضين الذين يجزئون القرآن الى سحر وشعر واساطير
مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم فقعدوا في كل مدخل
متفرقين لينفروا الناس عن الايمان برسول الله عليه السلام يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر
ويقول الآخر كذاب والآخر شاعر فاهلكهم الله يوم بدر وقبله بآفات كالوليد بن المغيرة والعاص بن
وايل والاسود بن عبد المطلب وغيرهم او مثل ما انزلنا على الرهط الذين تقاسموا على ان يبيتوا صالحا
عليه والاقتسام بمعنى التقاسم فان قلت اذا علقت قوله كما انزلنا بقوله ولقد آتيناك فما معنى توسط
تمدن الى آخره بينهما قلت لما كان تسلية لرسول الله عليه السلام عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدد
لمعنى التسلية من النهي عن الالتفات الى دنياهم والتاسف على كفرهم ومن الامر بان يقبل بمجامعه
على المؤمنين عضين اجزاء جمع عضة واصلها عضوة فعلة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء
قال روبة وليس دين الله بالمعضى وقيل هي فعلة من عضهته اذا بهته وعن عكرمة العضه
السحر بلسان قريش يقولون للساحرة عاضهة ولعن رسول الله عليه السلام العاضهة والمستعضهة
نقصانها على الاول واو وعلى الثاني هاء لنسالنهم عبارة عن الوعيد وقيل يسألهم سؤال تقريع
وعن ابي العالية رضي الله عنه يسأل العباد عن خلتين عما كانوا يعبدون وماذا اجابوا المرسلين فاصدع
بما تؤمر فاجهر به واظهره يقال صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا كقولك صرح بها من الصديع وهو
الفجر والصدع في الزجاجة الابانة وقيل فاصدع فافرق بين الحق والباطل بما تؤمر والمعنى بما تؤمر
به من الشرائع فحذف الجار كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به ويجوز ان تكون ما مصدرية اي بامرك مصدر من
المبني للمفعول عن عروة بن الزبير في المستهزئين هم خمسة نفر ذوو اسنان وشرف الوليد بن المغيرة والعاص
بن وائل والاسود بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب والحرث بن الطلاطلة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ماتوا
كلهم قبل بدر قال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه
سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص بن وائل فدخلت
فيها شوكة فقال لدغت لدغت وانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى عيني الاسود بن عبد
المطلب فعمي واشار الى انف الحرث بن قيس فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد
في اصل شجرة فجعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات بما يقولون من اقاويل الطاعنين
فيك وفي القرآن فسبح فافزع فيما نابك الى الله والفزع الى الله هو الذكر الدائم وكثرة السجود يكفك
ويكشف عنك الغم ودم على عبادة ربك حتى يأتيك اليقين اي الموت اي ما دمت حيا فلا تخل بالعبادة
وعن النبي عليه السلام انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة عن رسول الله عليه السلام من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر
عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه

سورة النحل مكية غير ثلاث آيات في آخرها وتسمى سورة النعم وهي مائة وثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اتى امر الله كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة او نزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبا بالوعد فقيل

فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده
ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون خلق الانسان من
نطفة فاذا هو خصيم مبين والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال

لهم اتى امر الله اي هو بمنزلة الآتي الواقع وان كان منتظرا لقرب وقوعه فلا تستعجلوه وروي انه لما نزلت اقتربت
الساعة قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو
كائن فلما تاخرت قالوا ما نرى شيئا فنزلت اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت
الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزلت اتى امر الله فوثب رسول الله عليه السلام ورفع الناس رؤوسهم
فنزلت فلا تستعجلوه فاطمأنوا وقرئ تستعجلوه بالتاء والياء سبحانه وتعالى عما يشركون تبرأ وجل عن
ان يكون له شريك وان يكون آلهتهم له شركاء او عن اشراكهم على ان ما موصولة او مصدرية فان قلت كيف اتصل
هذا باستعجالهم قلت لان استعجالهم استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك وقرئ تشركون بالياء والتاء ينزل وقرئ
بالتشديد والتخفيف وقرئ تنزل الملائكة اي تتنزل بالروح من امره بما يحيي القلوب الميتة بالجهل من وحيه
او بما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد ان انذروا بدل من الروح اي ينزلهم بان انذروا وتقديره بانه انذروا
اي بان الشان اقول لكم انذروا او تكون ان مفسرة لان تنزل الملائكة بالوحي فيه معنى القول ومعنى انذروا انه لا اله
الا انا اعلموا بان الامر ذلك من نذرت بكذا اذا علمته والمعنى يقول لهم اعلموا الناس قولي لا اله الا انا فاتقون
ثم دل على وحدانيته وانه لا اله الا هو بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات والارض وخلق الانسان
وما يصلحه وما لا بد له منه من خلق البهائم لاكله وركوبه وجر اثقاله وسائر حاجاته وخلق ما لا يعلمون
من اصناف خلائقه ومثله متعال عن ان يشرك به غيره وقرئ تشركون بالياء والتاء فاذا هو خصيم مبين
فيه معنيان احدهما فاذا هو منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم مبين للحجة بعد ما كان نطفة
من مني جماد لا حس به ولا حركة دلالة على قدرته والثاني فاذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قائل
من يحيي العظام وهي رميم وصفا للانسان بالافراط في الوقاحة والجهل والتمادي في كفران النعمة وقيل
نزلت في ابي بن خلف الجمحي حين جاء بالعظم الرميم الى رسول الله عليه السلام فقال يا محمد اترى الله يحيي هذا
بعدما قد رم الانعام الازواج الثمانية واكثر ما تقع على الابل وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر
كقوله والقمر قدرناه ويجوز ان يعطف على الانسان اي خلق الانسان والانعام ثم قال خلقها لكم اي
ما خلقها الا لكم ولمصالحكم يا جنس الانسان والدفء اسم ما يدفأ به كما ان الملء اسم ما يملأ به وهو
الدفاء من لباس معمول من صوف او وبر او شعر وقرئ دف بطرح الهمزة والقاء حركتها على الفاء ومنافع
من نسلها ودرها وغير ذلك فان قلت ~~كيف اتصل هذا باستعجالهم قلت لان استعجالهم استهزاء وتكذيب~~
~~وذلك من الشرك وقرئ تشركون بالياء والتاء~~ تقديم الظرف في قوله ومنها تأكلون مؤذن بالاختصاص وقد
يؤكل من غيرها قلت الاكل منها هو الاصل الذي يعتمده الناس في معايشهم واما الاكل من غيرها من
الدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتد به وكالجاري مجرى التفكه ويحتمل ان طعمتكم منها لانكم
تحرثون بالبقر فالحب والثمار التي تأكلونها منها وتكتسبون باكراء الابل وتبيعون نتاجها والبانها
وجلودها منّ الله تعالى بالتجمل بها كما من بالانتفاع بها لانه من اغراض اصحاب المواشي بل هو من
معاظمها لان الرعيان اذا روحوها بالعشي وسرحوها بالغداة فزينت باراحتها وتسريحها

حين تريحون وحين تسرحون وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم اجمعين هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون

الفتنة ويتجاوب فيها الثغاء والرغاء انست اهلها وفرحت اربابها واجلتهم في عيون الناظرين اليها وكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس ونحوه لتركبوها وزينة يواري سواتكم وريشا فان قلت لم قدمت الاراحة على التسريح قلت لان الجمال في الاراحة اظهر اذا اقبلت ملأى البطون حافلة الضروع ثم اوت الى الحظائر حاضرة لاهلها وقرا عكرمة رضي الله عنه حينا تريحون وحينا تسرحون على ان تريحون وتسرحون وصف للحين والمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه كقوله يوما لا تجزي نفس عن نفس بكسر الشين وفتحها وقيل هما لغتان في معنى المشقة وبينهما فرق وهو ان المفتوح مصدر شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذي هو الصدع واما الشق فالنصف كانه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد فان قلت ما معنى قوله لم تكونوا بالغيه كانهم كانوا زمانا يتحملون المشاق في بلوغه حتى حملت الابل اثقالهم قلت معناه وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه في التقدير لو لم تخلق الابل الا بجهد انفسكم لا انهم لم يكونوا بالغيه في الحقيقة فان قلت كيف طابق قوله لم تكونوا بالغيه قوله وتحمل اثقالكم وهلا قيل لم تكونوا حامليها اليه قلت طابقه من حيث ان معناه وتحمل اثقالكم الى بلد بعيد قد علمتم انكم لا تبلغونه بانفسكم الا بجهد ومشقة فضلا ان تحملوا على ظهوركم اثقالكم ويجوز ان يكون المعنى لم تكونوا بالغيه بها الا بشق الانفس وقيل اثقالكم اجرامكم وعن عكرمة رضي الله عنه البلد مكة لرؤف رحيم حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام اي وخلق هذه للركوب والزينة وقد احتج على حرمة اكل لحومهن بان علل خلقها بالركوب والزينة ولم يذكر الاكل بعد ما ذكره في الانعام فان قلت لم انتصب وزينة قلت لانه مفعول له وهو معطوف على محل لتركبوها فان قلت فهلا ورد المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد قلت لان الركوب فعل المخاطبين واما الزينة ففعل الزائن وهو الخالق وقرئ لتركبوها زينة بغير واو اي وخلقها زينة لتركبوها او يجعل زينة حالا من ها اي وخلقها لتركبوها وهي زينة وجمال ويخلق ما لا تعلمون يجوز ان يريد به ما يخلق فينا ولنا مما لا نعلم كنهه وتفاصيله ويمن علينا بذكره كما من بالاشياء المعلومة مع الدلالة على قدرته ويجوز ان يخبرنا بان له من الخلائق ما لا علم لنا به ليزيدنا دلالة على اقتداره بالاخبار بذلك وان طوى عنا علمه لحكمة له في طيه وقد حمل على ما خلق في الجنة والنار مما لم يبلغه وهم احد ولا خطر على قلبه المراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليها القصد وقال ومنها جائر والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه ومعنى قوله وعلى الله قصد السبيل ان هداية الطريق الموصل الى الحق واجبة عليه كقوله ان علينا للهدى فان قلت لم غير اسلوب الكلام في قوله ومنها جائر قلت ليعلم ما يجوز اضافته اليه من السبيلين وما لا يجوز ولو كان الامر كما تزعم المجبرة لقيل وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها او وعليه الجائر وقرا عبد الله رضي الله عنه ومنكم جائر يعني ومنكم جائر عن القصد بسوء اختياره والله بريء منه ولو شاء لهداكم اجمعين قسرا والجاء لكم متعلق بانزل او بشراب خبرا له والشراب ما يشرب شجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي وفي حديث عكرمة رضي الله عنه لا تاكلوا ثمن الشجر فانه سحت يعني الكلأ تسيمون من سامت الماشية اذا رعت فهي

ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ان في ذلك لايات لقوم يعقلون وما ذرا لكم في الارض مختلفا الوانه ان في ذلك لاية لقوم يذكرون وهو الذي سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وانهارا وسبلا لعلكم تهتدون وعلامات وبالنجم هم يهتدون افمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون

سائمة واسامها صاحبها وهو من السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات في الارض وقرئ نسيم بالياء والنون فان قلت لم قيل من كل الثمرات قلت لان كل الثمرات لا تكون الا في الجنة وانما انبت في الارض بعض من كلها للتذكرة يتفكرون ينظرون فيستدلون بها عليه وعلى قدرته وحكمته والاية الدلالة الواضحة وعن بعضهم ينبت بالتشديد وقرا ابي بن كعب رضي الله عنه ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب بالرفع قرئت كلها بالنصب على وجعل النجوم مسخرات وعلى ان معنى تسخيرها للناس تصييرها نافعة لهم حيث يسكنون بالليل ويبتغون من فضله بالنهار ويعلمون عدد السنين والحساب بمسير الشمس والقمر ويهتدون بالنجوم فكانه قيل ونفعكم بها في حال كونها مسخرات لما خلقن له بامره ويجوز ان يكون المعنى انه سخرها انواعا من التسخير جمع مسخر بمعنى تسخير من قولك سخره الله مسخرا كقولك سرحه مسرحا كانه قيل وسخرها لكم تسخيرات بامره وقرئ بنصب الليل والنهار وحدهما ورفع ما بعدهما على الابتداء والخبر وقرئ والنجوم مسخرات بالرفع وما قبله بالنصب وقال ان في ذلك لايات لقوم يعقلون فجمع الاية وذكر العقل لان الاثار العلوية اظهر دلالة على القدرة الباهرة وابين شهادة للكبرياء والعظمة وما ذرا لكم معطوف على الليل والنهار يعني ما خلق فيهما من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك مختلف الهيئات والمناظر لحما طريا هو السمك ووصفه بالطراوة لان الفساد يسرع اليه فيسارع الى اكله خيفة الفساد عليه فان قلت ما بال الفقهاء قالوا اذا حلف الرجل لا ياكل لحما فاكل سمكا لم يحنث والله تعالى سماه لحما كما ترى قلت مبنى الايمان على العادة وعادة الناس اذا ذكر اللحم على الاطلاق ان لا يفهم منه السمك فاذا قال الرجل لغلامه اشتر بهذه الدراهم لحما فجاء بالسمك كان حقيقا بالانكار ومثاله ان الله تعالى سمى الكافر دابة في قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فلو حلف حالف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث حلية هي اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسائهم لانهن من جملتهم ولانهن انما يتزين بها من اجلهم فكانها زينتهم ولباسهم المخر شق الماء بحيزومها وعن الفراء هو صوت جري الفلك بالرياح وابتغوا الفضل التجارة ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم وتضطرب والمائد الذي يدار به اذا ركب البحر قيل خلق الله الارض فجعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت وانهارا وجعل فيها انهارا لان القى فيه معنى جعل الا ترى الى قوله الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وعلامات هي معالم الطرق وكل ما يستدل به السابلة من جبل ومنهل وغير ذلك والمراد بالنجم الجنس كقولك كثر الدرهم في ايدي الناس وعن السدي هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي وقرا الحسن رحمه الله وبالنجم بضمتين وبضمة وسكون وهو جمع نجم كرهن ورهن والسكون تخفيف وقيل حذف الواو من النجوم تخفيفا فان قلت قوله وبالنجم هم يهتدون مخرج عن سنن الخطاب مقدم فيه النجم مقحم فيه هم كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فمن المراد بهم قلت كانه اراد قريشا كان لهم اهتداء بالنجوم في مسايرهم وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر اوجب عليهم والاعتبار الزم لهم فخصصوا فان قلت من لا يخلق اريد به الاصنام فلم جيء بمن الذي هو لاولي العلم قلت فيه اوجه احدها انهم

وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم والله يعلم ما تسرون وما تعلنون والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون اموات غير احياء وما يشعرون ايان يبعثون الهكم اله واحد فالذين لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون لا جرم ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه لا يحب المستكبرين واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين

سموها آلهة وعبدوها فاجروها مجرى اولي العلم الا ترى الى قوله على اثره والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون والثاني للمشاكلة بينه وبين من لا يخلق والثالث ان يكون المعنى ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بما لا علم عنده كقوله الهم ارجل يمشون بها يعني ان الآلهة حالهم منحطة عن حال من لهم ارجل وايد وآذان وقلوب لان هؤلاء احياء وهم اموات فكيف تصح لهم العبادة لا انها لو صحت لهم هذه الاعضاء لصح ان يعبدوا فان قلت هو الزام للذين عبدوا الاوثان وسموها آلهة تشبيها بالله فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق فكان حق الالزام ان يقال لهم افمن لا يخلق كمن يخلق قلت حين جعلوا غير الله مثل الله في تسميته باسمه والعبادة له وسووا بينه وبينه فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبيها بها فانكر عليهم ذلك بقوله افمن يخلق كمن لا يخلق لا تحصوها لا تضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم فضلا ان تطيقوا القيام بحقها من اداء الشكر اتبع ذلك ما عدد من نعمه تنبيها على ان وراءها ما لا ينحصر ولا يعد ان الله لغفور رحيم حيث يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكر النعمة ولا يقطعها عنكم لتفريطكم ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله يعلم ما تسرون وما تعلنون من اعمالكم وهو وعيد والذين يدعون والآلهة الذين يدعوهم الكفار من دون الله وقرئ بالتاء وقرئ يدعون على البناء للمفعول نفى عنهم خصائص الالهية بنفي كونهم خالقين واحياء لا يموتون وعالمين بوقت البعث واثبت لهم صفات الخلق بانهم مخلوقون وانهم اموات وانهم جاهلون بالغيب ومعنى اموات غير احياء انهم لو كانوا آلهة على الحقيقة لكانوا احياء غير اموات اي غير جائز عليها الموت كالحي الذي لا يموت وامرهم على العكس من ذلك والضمير في يبعثون للداعين اي لا يشعرون متى تبعث عبدتهم وفيه تهكم بالمشركين وان آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم وفيه دلالة على انه لا بد من البعث وانه من لوازم التكليف ووجه آخر وهو ان يكون المعنى ان الناس يخلقونهم بالنحت والتصوير وهم لا يقدرون على نحو ذلك فهم اعجز من عبدتهم اموات جمادات لا حياة فيها غير احياء يعني ان من الاموات ما يعقب موته حياة كالنطف التي ينشئها الله حيوانا واجساد الحيوان التي تبعث بعد موتها واما الحجارة فاموات لا يعقب موتها حياة وذلك اعرق في موتها وما يشعرون ايان يبعثون اي وما يعلم هؤلاء الآلهة متى تبعث الاحياء تهكما بحالها لان شعور الجماد محال فكيف بشعور ما لا يعلمه حي الا الحي القيوم سبحانه ووجه آخر وهو ان يراد بالذين يدعون الملائكة وكان ناس منهم يعبدونهم وانهم اموات لا بد لهم من الموت غير احياء غير باقية حياتهم وما يشعرون ولا علم لهم بوقت بعثهم وقرئ ايان بكسر الهمزة الهكم اله واحد يعني قد ثبت بما تقدم من ابطال دليلها ان تكون الالهية لغيره وانها له وحده لا شريك له فيها فكان من نتيجة ثبات الوحدانية ووضوح دليلها استمرارهم على شركهم وان قلوبهم منكرة للوحدانية وهم مستكبرون عنها وعن الاقرار بها لا جرم حقا ان الله يعلم سرهم وعلانيتهم فيجازيهم وهو وعيد انه لا يحب المستكبرين يجوز ان يريد المستكبرين عن التوحيد يعني المشركين ويجوز ان يعم كل مستكبر ويدخل هؤلاء تحت عمومه ماذا منصوب بانزل بمعنى اي شيء انزل ربكم او مرفوع بالابتداء بمعنى اي شيء انزله ربكم فاذا نصبت فمعنى اساطير الاولين ما يدعون نزوله اساطير الاولين واذا رفعته فالمعنى المنزل اساطير الاولين كقوله ماذا ينفقون قل العفو فيمن رفع فان قلت هو كلام متناقض لانه لا يكون منزل ربهم واساطير قلت هو على السخرية كقوله ان رسولكم

ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم الا ساء ما يزرون قد مكر الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم واتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ثم يوم القيمة يخزيهم ويقول اين شركاي الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين اوتوا العلم ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين الذين تتوفيهم الملئكة ظالمي انفسهم فالقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين

الذي هو كلام بعضهم لبعض او قول المسلمين لهم وقيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله اذا سالهم وفود الحاج عما انزل على رسول الله صلى الله عليه قالوا احاديث الاولين واباطيلهم ليحملوا اوزارهم اي قالوا ذلك اضلالا للناس وصدا عن رسول الله فحملوا اوزار ضلالهم كاملة وبعض اوزار من ضل بضلالهم وهو وزر الاضلال لان المضل والضال شريكان هذا يضله وهذا يطاوعه على اضلاله فيتحاملان الوزر ومعنى اللام التعليل من غير ان يكون غرضا نحو قولك خرجت من البلد مخافة الشر بغير علم حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وانما وصف بالضلال واحتمال الوزر من اضلوه وان لم يعلم لانه كان عليه ان يبحث وينظر بعقله حتى يميز بين المحق والمبطل القواعد اساطين البناء التي تعمده وقيل الاساس وهذا تمثيل يعني انهم سووا منصوبات ليمكروا بها الله ورسله فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فاتي البنيان من الاساطين بان ضعضعت فسقط عليهم السقف وهلكوا ونحوه من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا وقيل هو نمروذ بن كنعان حين بنى الصرح ببابل طوله خمسة آلاف ذراع وقيل فرسخان فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ومعنى اتى الله اتى امره من القواعد من جهة القواعد من حيث لا يشعرون من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون وقرئ فاتى الله بيتهم فخر عليهم السقف بضمتين يخزيهم يذلهم بعذاب الخزي ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته يعني هذا لهم في الدنيا ثم العذاب في الآخرة شركاي على الاضافة الى نفسه حكاية لاضافتهم ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء بهم تشاقون تعادون وتخاصمون المؤمنين في شانهم ومعناه فيهم وقرئ تشاقون بكسر النون بمعنى تشاقونني لان مشاقة المؤمنين كانها مشاقة الله قال الذين اوتوا العلم هم الانبياء والعلماء من اممهم الذين كانوا يدعونهم الى الايمان ويعظونهم فلا يلتفتون اليهم ويتكبرون عليهم ويشاقونهم يقولون ذلك شماتة بهم وحكى الله ذلك من قولهم ليكون لطفا لمن سمعه وتتوفاهم الملائكة قرئ تتوفاهم بالتاء والياء وقرئ الذين توفاهم بادغام التاء في التاء فالقوا السلم فسالموا واخبتوا وجاءوا بخلاف ما كانوا عليه في الدنيا من الشقاق والكبر وقالوا ما كنا نعمل من سوء وجحدوا ما وجد منهم من الكفر والعدوان فرد عليهم اولوا العلم ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وهو ايضا من الشماتة وكذلك فادخلوا ابواب جهنم خيرا انزل خيرا فان قلت لم نصب هذا ورفع الاول قلت فصلا بين جواب المقر وجواب الجاحد يعني ان هؤلاء لما سئلوا لم يتلعثموا واطبقوا الجواب على السؤال بينا مكشوفا مفعولا للانزال فقالوا خيرا اي انزل خيرا واولئك عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو اساطير الاولين وليس من الانزال في شيء وروي ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من ياتيهم بخبر النبي عليه السلام فاذا جاء الوافد كفه المقتسمون وامروه بالانصراف وقالوا ان لم تلقه كان خيرا لك فيقول انا شر وافد ان رجعت الى قومي دون ان استطلع امر محمد واراه فيلقى اصحاب رسول الله فيخبرونه بصدقه وانه نبي مبعوث فهم الذين قالوا خيرا وقوله للذين احسنوا وما بعده بدل من خيرا حكاية لقول الذين اتقوا اي قالوا هذا القول فقدم عليه تسميته خيرا ثم حكاه ويجوز ان يكون كلاما مبتدا عدة للقائلين ويجعل قولهم من جملة احسانهم ويحمدوا عليه حسنة مكافاة في الدنيا باحسانهم ولهم في الآخرة ما هو خير منها كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة ولنعم دار المتقين دار الآخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم

ذكره وجنات عدن خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر
والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم يقولون سلام عليكم قيل اذا اشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك فقال السلام
عليك يا ولي الله الله يقرأ عليك السلام ويبشره بالجنة تاتيهم الملائكة قرئ بالتاء والياء يعني ان تاتيهم لقبض
الارواح او يأتي امر ربك العذاب المستاصل والقيمة كذلك اي مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب كذلك فعل
الذين من قبلهم وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون لانهم فعلوا ما استوجبوا به التدمير
سيئات ما عملوا اي جزاء سيئات اعمالهم او هو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها هذا من جملة ما عدد من اصناف كفرهم
وعنادهم من شركهم بالله وانكارهم وحدانيته بعد قيام الحجج وانكار البعث واستعجالهم له استهزاء به وتكذيبهم
الرسول وشقاقهم واستكبارهم عن قبول الحق يعني انهم اشركوا بالله وحرموا ما احل من البحيرة والسائبة
وغيرهما ثم نسبوا فعلهم الى الله وقالوا لو شاء لم نفعل وهذا من مذهب المجبرة بعينه كذلك فعل الذين من قبلهم اي
اشركوا وحرموا حل الله فلما نبهوا على قبح فعلهم وركوه على ربهم فهل على الرسل الا ان يبلغوا الحق وان الله لا
يشاء الشرك والمعاصي بالبيان والبرهان ويطلعوا على بطلان الشرك وقبحه وبراءة الله من افعال العباد وانهم فاعلوها
بقصدهم وارادتهم واختيارهم والله تعالى باعثهم على جميلها وموفقهم له وزاجرهم عن قبيحها ومؤعدهم
عليه ولقد ابدا ابطال قدر السوء ومشية الشر بانه ما من امة الا وقد بعث فيهم رسولا يامرهم بالخير الذي
هو الايمان وعبادة الله وباجتناب الشر الذي هو طاعة الطاغوت فمنهم من هدى الله اي لطف به لانه عرفه
من اهل اللطف ومنهم من حقت عليه الضلالة اي ثبت عليه الخذلان والترك من اللطف لانه عرفه مصمما
على الكفر لا يأتي منه خير فسيروا في الارض فانظروا كيف كانت عاقبة المكذبين حتى لا يبقى لكم شبهة في ان الله لا يقدر
الشر ولا يشاؤه حيث فعل ما فعل بالاشرار ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله عليه السلام على ايمانهم
وعرفه انهم من قسم من حقت عليهم الضلالة فان الله لا يهدي من يضل اي لا يلطف بمن يخذل لانه عبث والله متعال
عن العبث لانه من قبيل القبائح التي لا تجوز عليه وقرئ لا يهدى اي لا تقدر انت ولا احد على هدايته وقد
خذله الله وقوله وما لهم من ناصرين دليل على ان المراد بالاضلال الخذلان الذي هو نقيض النصرة ويجوز ان يكون
لا يهدي بمعنى لا يهتدي يقال هداه الله فهدى وفي قراءة ابي رحمه الله فان الله لا هادي لمن يضل ولمن اضل وهي
معاضدة لمن قرأ لا يهدى على البناء للمفعول وفي قراءة عبد الله رضي الله عنه لا يهدّي بادغام تاء يهتدي وهي معاضدة
ضد للاولى وقرئ يضل بالفتح وقرأ النخعي ان تحرص بفتح الراء وهي لغية واقسموا بالله معطوف على وقال
الذين اشركوا ايذانا بانهما كفرتان عظيمتان موصوفتان حقيقتان بان تحكيا وتدونا توريكهم ذنوبهم على
مشية الله وانكارهم البعث مقسمين عليه بلى اثبات لما بعد النفي اي بلى يبعثهم وعدا مصدر مؤكد لما
دل عليه بلى لان يبعث موعد من الله وبين ان الوفاء بهذا الموعد حق واجب على الله لانهم يقولون لا يجب على الله
شيء لا ثواب عامل ولا غيره من مواجب الحكمة ليبين لهم متعلق بما دل عليه بلى اي يبعثهم ليبين لهم والضمير لمن
يموت وهو عام للمؤمنين والكافرين والذي يختلفون فيه هو الحق وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين انهم كذبوا
في قولهم لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء وفي قولهم لا يبعث الله من يموت وقيل يجوز ان يتعلق بقوله ولقد بعثنا في

كل امة رسولا اي بعثناه ليبين لهم ما اختلفوا فيه وانهم كانوا على الضلالة قبله مفترين على الله الكذب انما قولنا مبتدأ
وان نقول خبره وكن فيكون من كان التامة التي بمعنى الحدوث والوجود اي اذا اردنا وجود شيء فليس الا ان نقول له
احدث فهو يحدث عقيب ذلك لا يتوقف وهذا مثل لان مراد الله لا يمتنع عليه وان وجوده عند ارادته غير متوقف كوجود
المامور به عند امر الامر المطاع اذا ورد على المامور المطيع الممتثل ولا قول ثم والمعنى ان ايجاد كل مقدور
على الله بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو من شق المقدورات وقرئ فيكون عطفا على نقول
والذين هاجروا في الله هم رسول الله عليه السلام واصحابه ظلمهم اهل مكة ففروا بدينهم الى الله منهم من هاجر الى
الحبشة ثم الى المدينة فجمع بين الهجرتين ومنهم من هاجر الى المدينة وقيل هم الذين كانوا محبوسين
معذبين بعد هجرة رسول الله عليه السلام وكلما خرجوا تبعوهم فردوهم منهم بلال وصهيب وخباب
وعمار وعن صهيب انه قال لهم انا رجل كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فافتدى
منهم بماله وهاجر فلما رآه ابو بكر رضي الله عنه قال له ربح البيع يا صهيب وقال عمر رضي الله عنه نعم
الرجل صهيب لو لم يخف الله لم يعصه وهو ثناء عظيم يريد لو لم يخلق الله نارا لاطاعه فكيف في الله في حقه
ولوجهه حسنة صفة للمصدر اي لنبوئنهم تبوئة حسنة وفي قراءة علي رضي الله عنه لنثوينهم ومعناه
اثواءة حسنة وقيل لنبوئنهم في الدنيا منزلة حسنة وهي الغلبة على اهل مكة الذين ظلموهم وعلى العرب قاطبة
وعلى اهل المشرق والمغرب وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال خذ بارك الله لك فيه
هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ذخر لك في الاخرة اكثر وقيل لنبوئنهم مباءة حسنة وهي المدينة حيث
آواهم اهلها ونصروهم لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اي لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المستضعفين في ايديهم
الدنيا والاخرة لرغبوا في دينهم ويجوز ان يرجع الضمير الى المهاجرين اي لو كانوا يعلمون ذلك لزادوا في
اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا على هم الذين صبروا او اعني الذين صبروا وكلاهما مدح اي صبروا على العذاب
وعلى مفارقة الوطن الذي هو حرم الله المحبوب في كل قلب فكيف بقلوب قوم هو مسقط رؤوسهم وعلى المجاهدة
وبذل الارواح في سبيل الله كانت قريش ترى الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا فقيل وما ارسلنا من قبلك الا
رجالا يوحى اليهم على السنة الملائكة فاسألوا اهل الذكر وهم اهل الكتاب ليعلموكم ان الله لم يبعث الى الامم السالفة
الا البشر ان كنتم لا تعلمون بالبينات تعلق قوله بالبينات متعلقات شتى فاما ان يتعلق بما ارسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء
مع رجالا اي وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط لان اصله ضربت زيدا بالسوط واما برجالا
صفة له اي رجالا ملتبسين بالبينات واما بارسلنا مضمرا كانما قيل بم ارسلوا فقيل بالبينات فهو على كلامين والاول
على كلام واحد واما بيوحى اي يوحى اليهم بالبينات واما بلا تعلمون على ان الشرط في معنى التبكيت والالزام كقول
الاجير ان كنت عملت لك فاعطني حقي وقوله فاسألوا اهل الذكر اعتراض على الوجوه المتقدمة واهل الذكر
اهل الكتاب وقيل للكتاب الذكر لانه موعظة وتنبيه للغافلين ما نزل اليهم يعني ما نزل الله اليهم في الذكر مما امروا به ونهوا
عنه ووعدوا واوعدوا ولعلهم يتفكرون وارادة ان يصغوا الى تنبيهاته فيتنبهوا ويتأملوا مكروا السيئات
اي المكرات السيئات وهم اهل مكة وما مكروا به رسول الله في تقلبهم متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم واسباب دنياهم

فإن ربكم لرءوف رحيم أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون

على تخوف متخوفين وهو أن يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم بالعذاب وهم متخوفون متوقعون وهو
خلاف قوله من حيث لا يشعرون وقيل هو من قولك تخوّفته وتخوّنته إذا تنقصته قال زهير
تخوّف الرحل منها تامكا قردا كما تخوّف عود النبعة السفن أي يأخذهم على أن يتنقصهم شيئا
بعد شيء في أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا وعن عمر رضي الله عنه أنه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا
فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال فهل تعرف العرب ذلك في أشعارها قال نعم قال شاعرنا
وأنشد البيت فقال عمر رضي الله عنه أيها الناس عليكم بديوانكم لا يضل قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية
فإن فيه تفسير كتابكم فإن ربكم لرؤوف رحيم حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم وقرئ أولم يروا وتتفيؤا
بالياء والتاء وما موصولة بخلق الله وهو مبهم بيانه من شيء يتفيؤا ظلاله واليمين بمعنى الأيمان وسجدا حال من
الظلال وهم داخرون حال من الضمير في ظلاله لأنه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شيء له ظل وجمع بالواو لأن
الدخور من أوصاف العقلاء أو لأن في جملة ذلك من يعقل فغلب والمعنى أولم يروا إلى ما خلق الله من الأجرام التي لها ظلال متفيئة
عن أيمانها وشمائلها أي عن جانبي كل واحد منها وشقيه استعارة من يمين الإنسان وشماله لجانبي الشيء أي ترجع
الظلال من جانب إلى جانب منقادة لله غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والأجرام في أنفسها
داخرة أيضا صاغرة منقادة لأفعال الله فيها لا تمتنع من دابة يجوز أن يكون بيانا لما في السموات وما في الأرض
جميعا على أن في السموات خلقا لله يدبون فيها كما يدب الأناسي في الأرض وأن يكون بيانا لما في الأرض وحده
ويراد بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح وأن يكون بيانا لما في الأرض ويراد بما في السموات الملائكة وكرر ذكرهم
على معنى والملائكة خصوصا من بين الساجدين لأنهم أطوع الخلق وأعبدهم ويجوز أن يراد بما في السموات ملائكتهن
وبقوله والملائكة ملائكة الأرض من الحفظة وغيرهم فإن قلت سجود المكلفين مما انتظمه هذا الكلام خلاف سجود
غيرهم فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد قلت المراد بسجود المكلفين طاعتهم وعبادتهم وبسجود غيرهم انقياده
لإرادة الله وأنها غير ممتنعة عليها وكلا السجودين يجمعهما معنى الانقياد فلم يختلفا فلذلك جاز أن يعبر
عنهما بلفظ واحد فإن قلت فهلا جيء بمن دون ما تغليبا للعقلاء من الدواب على غيرهم قلت لأنه لو جيء بمن لم يكن
فيه دليل على التغليب فكان متناولا للعقلاء خاصة فجيء بما هو صالح للعقلاء وغيرهم إرادة العموم يخافون
يجوز أن يكون حالا من الضمير في لا يستكبرون أي لا يستكبرون خائفين وأن يكون بيانا لنفي الاستكبار وتأكيدا
له لأن من خاف الله لم يستكبر عن عبادته من فوقهم إن علقته بيخافون فمعناه يخافونه أن يرسل عليهم عذابا
من فوقهم وإن علقته بربهم حالا منه فمعناه يخافون ربهم عاليا لهم قاهرا كقوله وهو القاهر فوق عباده وإنا فوقهم
قاهرون وفيه دليل على أن الملائكة مكلفون مدارون على الأمر والنهي والوعد والوعيد كسائر المكلفين وأنهم
بين الخوف والرجاء فإن قلت إنما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا عندي رجال ثلاثة
وأفراس أربعة لأن المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص فأما رجل ورجلان وفرس وفرسان فمعدود فيه
دلالة على العدد فلا حاجة إلى أن يقال رجل واحد ورجلان اثنان فما وجه قوله إلهين اثنين قلت الاسم الحامل
لمعنى الإفراد والتثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص فإذا أريدت الدلالة

٢٩٣

وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون

على أن المعني به منهما والذي يساق إليه الحديث هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على القصد إليه والعناية به ألا ترى أنك
لو قلت إنما هو إله ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل أنك تثبت الإلهية لا الوحدانية فإياي فارهبون نقل للكلام
عن الغيبة إلى التكلم وجاز لأن الغائب هو المتكلم وهو من طريقة الالتفات وهو أبلغ في الترهيب من قوله
وإياه فارهبوه ومن أن يجيء ما قبله على لفظ المتكلم الدين الطاعة واصبا حال عمل فيه الظرف والواصب
الواجب الثابت لأن كل نعمة منه فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه ويجوز أن يكون من الوصب أي وله الدين
ذا كلفة ومشقة ولذلك سمي تكليفا أو وله الجزاء دائما ثابتا سرمدا لا يزول يعني الثواب والعقاب وما بكم من
نعمة فمن الله وأي شيء حل بكم أو اتصل بكم من نعمة فهو من الله فإليه تجأرون فما تتضرعون إلا إليه والجؤار رفع
الصوت بالدعاء والاستغاثة قال الأعشى يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جؤارا
وقرئ تجرون بطرح الهمزة وإلقاء حركتها على الجيم وقرأ قتادة رضي الله عنه كاشف الضر على فاعل
بمعنى فعل وهو أقوى من كشف لأن بناء المبالغة يدل على المبالغة فإن قلت فما معنى قوله إذا فريق منكم بربهم
يشركون قلت يجوز أن يكون الخطاب في قوله وما بكم من نعمة فمن الله عاما ويريد بالفريق فريق الكفرة وأن
يكون الخطاب للمشركين ومنكم للبيان لا للتبعيض كأنه قال فإذا فريق كافر وهم أنتم ويجوز أن يكون فيهم
من اعتبر كقوله فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد ليكفروا بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كأنهم
جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة فتمتعوا فسوف تعلمون تخلية ووعيد وقرئ فيمتعوا بالياء مبنيا
للمفعول عطفا على ليكفروا ويجوز أن يكون ليكفروا فيمتعوا من الأمر الوارد في معنى الخذلان والتخلية
واللام لام الأمر لما لا يعلمون أي لآلهتهم ومعنى لا يعلمونها أنهم يسمونها آلهة ويعتقدون فيها أنها
تضر وتنفع وتشفع عند الله وليس كذلك وحقيقتها أنها جماد لا يضر ولا ينفع فهم إذن جاهلون
بها وقيل الضمير في لا يعلمون للآلهة أي لأشياء غير موصوفة بالعلم ولا تشعر أجعلوا لها نصيبا في أنعامهم
وزروعهم أم لا وكانوا يجعلون لهم ذلك تقربا إليهم لتسألن وعيد عما كنتم تفترون من الإفك في زعمكم
أنها آلهة وأنها أهل للتقرب إليها كانت خزاعة وكنانة يقولون الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه لذاته
من نسبة الولد إليه أو تعجب من قولهم ولهم ما يشتهون يعني البنين ويجوز فيما يشتهون الرفع على الابتداء
والنصب على أن يكون معطوفا على البنات أي وجعلوا لأنفسهم ما يشتهون من الذكور ظل بمعنى صار كما
يستعمل بات وأصبح وأمسى بمعنى الصيرورة ويجوز أن يجيء ظل لأن أكثر الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره مغتما
مربد الوجه من الكآبة والحياء من الناس وهو كظيم مملوء حنقا على المرأة يتوارى من القوم يستخفي منهم
من أجل سوء المبشر به ومن أجل تعييرهم ويحدث نفسه وينظر أيمسكه أي ما بشر به على هون على هوان
وذل أم يدسه في التراب أم يئده وقرئ أيمسكها على هون أم يدسها على التأنيث وقرئ على
هوان ألا ساء ما يحكمون حيث يجعلون الولد الذي هذا محله عندهم لله ويجعلون لأنفسهم من هو على
عكس هذا الوصف مثل السوء صفة السوء وهي الحاجة إلى الأولاد الذكور وكراهة الإناث ووأدهن
خشية الإملاق وإقرارهم على أنفسهم بالشح البالغ ولله المثل الأعلى وهو الغني عن العالمين والنزاهة

ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ويجعلون لله ما يكرهون وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى لا جرم ان لهم النار وانهم مفرطون تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب اليم وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها ان في ذلك لآية لقوم يسمعون وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا

عن صفة المخلوقين وهو الجواد الكريم **بظلمهم** بكفرهم ومعاصيهم **ما ترك** عليها على الارض من دابة قط ولا هلكها كلها بشوم ظلم الظالمين وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضي الله عنه كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن ادم او من دابة ظالمة وعن ابن عباس رضي الله عنه من دابة من مشرك يدب عليها وقيل لو اهلك الآبا بكفرهم لم يكن الابنا **ويجعلون** لله ما يكرهون لانفسهم من البنات ومن شركا في رياستهم ومن الاستخفاف برسلهم والتهاون برسالاتهم ويجعلون له ارذل اموالهم ولاصنامهم اكرمها **وتصف** السنتهم مع ذلك ان لهم الحسنى عند الله كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وعن بعضهم انه قال لرجل من ذوي اليسار كيف يكون يوم القيمة اذا قال الله تعالى هاتوا ما دفع الى السلاطين واعوانهم فيؤتى بالدواب والثياب وانواع الاموال الفاخرة واذا قال هاتوا ما دفع الي فيؤتى بالكسر والخرق وما لا يؤبه له اوما تستحي من ذلك الموقف وقرا هذه الاية وعن مجاهد ان لهم الحسنى هو قول قريش لنا البنون ان لهم الحسنى بدل من الكذب وقرى الكذب جمع كذوب صفة للالسن **مفرطون** قرى مفتوح الراء ومكسورها مخففا ومشددا فالمفتوح بمعنى مقدمون الى النار معجلون اليها من افرطت فلانا وفرطته في طلب الما اذا قدمته وقيل منسيون متروكون من افرطت فلانا خلفي اذا خلفته ونسيته والمكسور المخفف من الافراط في المعاصي والمشدد من التفريط في الطاعات وما يلزمهم **فهو وليهم** اليوم حكاية الحال الماضية التي كان يزين لهم الشيطان اعمالهم فيها او فهو وليهم في الدنيا فجعل اليوم عبارة عن زمان الدنيا او فهو وليهم قرينهم وبئس القرين او يجعل فهو وليهم حكاية للحال الاتية وهي حال كونهم معذبين في النار اي فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه ويجوز ان يرجع الضمير الى مشركي قريش وانه زين للكفار قبلهم اعمالهم فهو ولي هؤلاء لانهم منهم ويجوز ان يكون على حذف اي فهو ولي امثالهم اليوم **وهدى ورحمة** معطوفان على محل لتبين الا انهما انتصبا على انهما مفعول لهما لانهما فعلا الذي انزل الكتاب ودخل اللام على لتبين لانه فعل المخاطب لا فعل المنزل وانما ينتصب مفعولا له ما كان فعلا لفاعل الفعل المعلل والذي اختلفوا فيه البعث لانه كان فيهم من يؤمن به ومنهم عبد المطلب واشيا من التحريم والتحليل والانكار والاقرار **لقوم** يسمعون سماع انصاف وتدبر لان من لم يسمع بقلبه فكانه اصم لا يسمع ذكر سيبويه الانعام في باب ما لا ينصرف في الاسما المفردة الواردة على افعال كقولهم ثوب اكياش ولذلك رجع الضمير اليه مفردا واما في بطونها في سورة المؤمنين فلان معناه الجمع ويجوز ان يقال في الانعام وجهان احدهما ان يكون تكسير نعم كاجبال في جبل وان يكون اسما مفردا مقتضيا لمعنى الجمع كنعم فاذا ذكر فكما يذكر نعم في قوله كل عام نعم تحوونه يلقحه قوم وتنتجونه واذا انث ففيه وجهان انه تكسير نعم وانه في معنى الجمع **وقرى** نسقيكم بالفتح والضم وهو استيناف كانه قيل كيف العبرة فقيل نسقيكم **من بين** فرث ودم اي يخلق الله اللبن وسيطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما برزخ من قدرة الله لا يبغي احدهما عليه بلون ولا طعم ولا رايحة بل هو خالص من ذلك كله قيل انها اكلت البهيمة العلف فاستقر في كرشها

خالصا سائغا للشاربين ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان في ذلك لآية لقوم يعقلون واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون

طبخته فكان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما والكبد مسلطة على هذه الاصناف الثلاثة تقسمها فتجري الدم في العروق واللبن في الضروع وتبقي الفرث في الكرش فسبحان الله ما اعظم قدرته والطف حكمته لمن تفكر وتامل وسيل شقيق رحمه الله عن الاخلاص فقال تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من بين فرث ودم **سائغا** سهل المرور في الحلق ويقال لم يغص احد باللبن قط وقرى سيغا بالتشديد وسيغا بالتخفيف كهين ولين **فان قلت** اي فرق بين من الاولى والثانية **قلت** الاولى للتبعيض لان اللبن بعض ما في بطونها كقولك اخذت من مال زيد ثوبا والثانية لابتدا الغاية لان بين الفرث والدم مكان الاسقا الذي منه يبتدى فهو صلة لنسقيكم كقولك سقيته من الحوض ويجوز ان يكون حالا من قوله لبنا مقدما عليه فيتعلق بمحذوف اي كاينا من بين فرث ودم الا ترى انه لو تاخر فقيل لبنا من بين فرث ودم كان صفة له وانما قدم لانه موضع العبرة فهو قمن بالتقديم وقد احتج بعض من يرى ان المني طاهر على من جعله نجسا لجريه في مسلك البول بهذه الاية وانه ليس بمستنكر ان يسلك مسلك البول وهو طاهر كما خرج اللبن من بين فرث ودم طاهرا **فان قلت** بم تعلق قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب **قلت** بمحذوف تقديره ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرها وحذف لدلالة نسقيكم قبله عليه وقوله تتخذون منه سكرا بيان وكشف عن كنه الاسقا او يتعلق بتتخذون **ومنه** من تكرير الظرف للتوكيد كقولك زيد في الدار فيها ويجوز ان يكون تتخذون صفة موصوف محذوف كقوله بكفي كان من ارمى البشر تقديره ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا لانهم ياكلون بعضها ويتخذون من بعضها السكر **فان قلت** فالام يرجع الضمير في منه اذا جعلته ظرفا مكررا **قلت** الى المضاف المحذوف الذي هو العصير كما رجع في قوله او هم قايلون الى الاهل المحذوف **والسكر** الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا قال وجاؤونا بهم سكر علينا فاجلى اليوم والسكران صاحي وفيه وجهان احدهما ان يكون منسوخة وممن قال بنسخها الشعبي والنخعي والثاني ان يجمع بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند ابي حنيفة الى حد السكر ويحتج بهذه الاية وبقوله عليه السلام الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب وباخبار جمة ولقد صنف شيخنا ابو علي الجبائي رحمه الله غير كتاب في تحليل النبيذ فلما شيخ واخذت منه السن العالية قيل له لو شربت منه ما تتقوى به فابى فقيل له فقد صنفت في تحليله فقال تناولته الدعارة فسمج بي المروة وقيل السكر الطعم وانشد جعلت اعراض الكرام سكرا اي تنقلت باعراضهم وقيل هو من الخمر وانه اذا ابتركي في اعراض الناس فكانه تخمر بها **والرزق الحسن** الخل والرب والتمر والزبيب وغير ذلك ويجوز ان يجعل السكر رزقا حسنا كانه قيل تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن **واوحى** الى النحل الهمها والقذف في قلوبها وعلمها على وجه هو اعلم به لا سبيل لاحد الى الوقوف عليه والا فنيقتها في صنعتها ولطفها في تدبير امرها واصابتها فيما يصلحها دلايل بينة شاهدة على ان الله اودعها علما بذلك وفطنها كما اولي اولي العقول عقولهم **وقرا** يحيى بن وثاب رحمه الله الى النحل بفتحتين وهو مذكر كالنخل وتانيثه على المعنى **ان اتخذي** هي ان المفسرة لان الايحا فيه معنى القول قرى بيوتا بكسر البا لاجل اليا ويعرشون بكسر الرا وضمها يرفعون من سقوف البيوت وقيل ما يبنون للنحل

والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم
بعد علم شيا ان الله عليم قدير والله فضل بعضكم على بعض في
الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه
سواء افبنعمة الله يجحدون والله جعل لكم من انفسكم ازواجا

في الجبال والشجر والبيوت من الاماكن التي تعسل فيها والضمير في يعرشون للناس فان قلت ما معنى من في قوله
ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون وهلا قيل في الجبال وفي الشجر قلت اريد معنى البعضية وان لا
تبني بيوتها في كل جبال وكل شجر وكل ما يعرش ولا في كل مكان منها من كل الثمرات احاطة بالثمرات التي تجرس منها
النحل وتعتاد اكلها اي ابني البيوت ثم كلي كل ثمرة تشتهينها فاذا اكلتها فاسلكي سبل ربك اي الطرق
التي الهمك وافهمك في عمل العسل او فاسلكي ما اكلت في سبل ربك اي في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر
عسلا من اجوافك ومنافذ مآكلك او اذا اكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكي الى بيوتك راجعة
سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تضلين فيها فقد بلغني انها ربما اجدب عليها ما حولها فتسافر الى البلد البعيد
في طلب النجعة او اراد بقوله ثم كلي ثم اقصدي اكل الثمرات فاسلكي في طلبها في مظانها سبل ربك ذللا جمع ذلول
وهي حال من السبل لان الله ذللها ووطاها وسهلها كقوله هو الذي جعل لكم الارض ذلولا او من الضمير في
فاسلكي اي وانت ذلل منقادة لما امرت به غير ممتنعة شراب يريد العسل لانه مما يشرب مختلف الوانه منه
ابيض واصفر واحمر واسود فيه شفا للناس لانه من جملة الاشفية والادوية المشهورة النافعة وقل معجون
من المعاجين لم يذكر الاطباء فيه العسل وليس الغرض انه شفا لكل مريض كما ان كل دواء كذلك وتنكيره اما للتعظيم
الشفا الذي فيه او لان فيه بعض الشفا وكلاهما محتمل وعن النبي صلى الله عليه ان رجلا جاء اليه فقال ان اخي يشتكي بطنه
فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله
وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله فبرا كانما انشط من عقال وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
العسل شفا من كل داء والقران شفا لما في الصدور فعليكم بالشفاءين القران والعسل ومن بدع تاويلات الرافضة
ان المراد بالنحل علي وقومه وعن بعضهم انه قال عند المهدي انما النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم
فقال له رجل جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم فضحك المهدي وحدث به المنصور فاتخذوه اضحوكة
من اضاحيكهم الى ارذل العمر الى اخسه واحقره وهو خمس وسبعون سنة عن علي رضي الله عنه وتسعون سنة عن قتادة لانه
لا عمر اسوا حالا من عمر الهرم لكيلا يعلم بعد علم شيا ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولية في النسيان وان يعلم
شيا ثم يسرع في نسيانه فلا يعلمه ان سيل عنه وقيل لئلا يعقل من بعد عقله الاول شيا وقيل لئلا يعلم زيادة علم على
علمه اي جعلكم متفاوتين في الرزق فرزقكم افضل مما رزق مماليككم وهم بشر مثلكم واخوانكم فكان ينبغي
ان تردوا فضل ما رزقتموه عليهم حتى تتساووا في الملبس والمطعم كما يحكى عن ابي ذر رضي الله عنه انه سمع رسول
الله انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم مما تطعمون فما رئي عبده بعد ذلك الا ورداؤه
رداؤه وازاره ازاره من غير تفاوت افبنعمة الله يجحدون فجعل ذلك من جملة جحود النعمة وقيل هو مثل ضربه
لله فجعلوا له شركاء فقال لهم انتم لا تسوون بينكم وبين عبيدكم فيما انعمت به عليكم ولا تجعلونهم فيه شركاء
ولا ترضون ذلك لانفسكم فكيف رضيتم ان تجعلوا عبيدي لي شركاء وقيل المعنى ان الموالي والمماليك انا
رازقهم جميعا فهم في رزقي سوا فلا يحسبن الموالي انهم يردون على مماليكهم من عندهم شيا من الرزق فانما ذلك
رزقي اجريه اليهم على ايديهم وقرى يجحدون بالياء والتاء من انفسكم من جنسكم وقيل هو خلق حواء عليها السلام

والله جعل لكم من انفسكم ازواجا وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات افبالباطل يؤمنون وبنعمة الله
هم يكفرون ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيا ولا يستطيعون فلا تضربوا لله الامثال ان الله
يعلم وانتم لا تعلمون ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شي ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون
الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شي

من ضلع ادم عليه السلام والحفدة جمع حافد وهو الذي يحفد اي يسرع في الطاعة والخدمة ومنه قول القانت واليك
نسعى ونحفد وقال حفد الولائد بينهن واسلمت باكفهن ازمة الاجمال واختلف فيهم فقيل هم
الاختان على البنات وقيل اولاد الاولاد وقيل اولاد المراة من الزوج الاول وقيل المعنى وجعل
لكم حفدة اي خدما يحفدون في مصالحكم ويعينونكم ويجوز ان يراد بالحفدة البنون انفسهم كقوله سكرا
ورزقا حسنا كانه قيل وجعل لكم منهن اولادا هم بنون وهم حافدون اي جامعون بين الامرين من الطيبات يريد
بعضها لان كل الطيبات في الجنة وما طيبات الدنيا الا انموذج منها افبالباطل يؤمنون وهو ما يعتقدون
من منفعة الاصنام وبركتها وشفاعتها وما هو الا وهم باطل لم يتوصلوا اليه بدليل ولا امارة فليس لهم ايمان
الا به كانه شي معلوم مستيقن ونعمة الله المشاهدة المعاينة التي لا شبهة فيها لذي عقل وتمييز
هم كافرون بها منكرون لها كما ينكر المحال الذي لا تتصوره العقول وقيل الباطل ما يسول لهم الشيطان
من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما احل لهم الرزق يكون بمعنى المصدر وبمعنى ما
يرزق فان اردت به المصدر نصبت به شيا كقوله او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما على لا يملك ان يرزق شيا وان اردت
المرزوق كان شيا بدلا منه بمعنى قليلا ويجوز ان يكون تاكيدا للا يملك اي لا يملك شيا من الملك ومن
السموات والارض صلة للرزق ان كان مصدرا بمعنى لا يرزق من السموات مطرا ولا من الارض نباتا او صفة
ان كان اسما لما يرزق والضمير في ولا يستطيعون لما لانه في معنى الالهة بعدما قيل لا يملك على اللفظ ويجوز ان
يكون للكفار يعني ولا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون اولو الالباب من ذلك شيا فكيف بالجماد
الذي لا حس به فان قلت ما معنى قوله ولا يستطيعون بعد قوله لا يملك وهل هما الا شي واحد قلت ليس في لا يستطيعون
تقدير راجع وانما المعنى لا يملكون ان يرزقوا والاستطاعة منفية عنهم اصلا لانهم موات الا ترى ان تقدير
الراجع ويراد للجمع بين نفي الملك والاستطاعة التوكيد او يراد انهم لا يملكون الرزق ولا يمكنهم ان
يملكوه ولا يتاتى ذلك فيهم ولا تستقيم فلا تضربوا لله الامثال تمثيل للاشراك بالله والتشبيه به لان من يضرب
الامثال مشبه حالا بحال وقصة بقصة ان الله يعلم كنه ما تفعلون وعظمه وهو معاقبكم عليه بما يوازيه
في العظم لان العقاب على مقدار الاثم وانتم لا تعلمون كنهه وكنه عقابه فذاك هو الذي جركم الى
وجراكم عليه فهو تعليل للنهي عن الشرك ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم كيف تضرب
الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف تضرب فقال مثلكم في اشراككم بالله الاوثان مثل من سوى بين
عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر مالك قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شا فان قلت
لم قال مملوكا لا يقدر على شي وكل عبد مملوك وغير قادر على التصرف قلت اما ذكر المملوك فليميز من
الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعا لانهما من عباد الله واما لا يقدر على شي فليجعل غير مكاتب
ولا ماذون لانهما يقدران على التصرف واختلفوا في العبد هل يصح له ملك والمذهب الظاهر انه لا يصح له
فان قلت من في قوله ومن رزقناه ما هي قلت الظاهر انها موصوفة كانه قيل وحرا رزقناه ليطابق عبدا ولا يمتنع
ان يكون موصولة فان قلت لم قيل هل يستوون على الجمع قلت معناه هل يستوي الاحرار والعبيد الابكم الذي ولد
اخرس

وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ولله غيب السماوات
والأرض وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب إن الله على كل شيء قدير والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا
وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله إن في ذلك لآيات
لقوم يؤمنون والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها

فلا يفهم ولا يفهم **وهو** كل على مولاه أي ثقل وعيال على من يلي أمره ويعوله **أينما** يوجهه حيثما يرسله
ويصرفه في مطلب حاجة أو كفاية مهم لم ينجح ولم يأت بنجح **هل** يستوي هو ومن هو سليم الحواس
نفّاع ذو كفايات مع رشد وديانة فهو يأمر الناس بالعدل والخير وهو في نفسه على صراط مستقيم
على سيرة صالحة ودين قويم وهذا مثل ثان ضربه لنفسه ولما يفيض على عباده ويشملهم من آثار رحمته
وألطافه ونعمه الدينية والدنيوية وللأصنام التي هي أموات لا تضر ولا تنفع وقرئ أينما يوجه بمعنى
أينما يتوجه من قولهم أينما أوجه ألق سعدا وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه أينما يوجه على البناء للمفعول
ولله غيب السماوات والأرض أي يختص به علم ما غاب فيهما عن العباد وخفي عليهم علمه أو أراد بغيب السماوات والأرض
يوم القيامة على أن علمه غائب عن أهل السماوات والأرض لم يطلع عليه أحد منهم **إلا كلمح البصر** أو هو أقرب إلا كرجع الطرف من أعلى الحدقة إلى أسفلها
وإن تراخى كما تقولون أنتم في الشيء الذي تستقربونه هو كلمح البصر أو هو أقرب إذا بالغتم في استقرابه ونحوه قوله ويستعجلونك
بالعذاب الآية أي هو عنده دان وهو عندكم بعيد وقيل المعنى أن إقامة الساعة وإماتة الأحياء وإحياء الأموات من الأولين
والآخرين يكون في أقرب وقت وأوحاه **إن الله على كل شيء قدير** فهو يقدر على أن يقيم الساعة ويبعث الخلق
لأنه بعض المقدورات ثم دل على قدرته بما بعده **قرئ** إمهاتكم بضم الهمزة وكسرها والهاء مزيدة في أمات
كما زيدت في أراق فقيل أهراق وشذت زيادتها في الواحدة قال أمهتي خندف والياس أبي **لا تعلمون**
شيئا في موضع الحال ومعناه غير عالمين شيئا من حق المنعم الذي خلقكم في البطون وسواكم وصوركم
ثم أخرجكم من الضيق إلى السعة وقوله وجعل لكم معناه وركب فيكم هذه الأشياء آلات لإزالة
الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقي
إلى ما يسعدكم والأفئدة في فؤاد كالأغربة في غراب وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع
الكثرة والقلة إذ لم يرد في السماع غيرها كما جاء شسوع في جمع شسع لا غير فجرت
ذلك المجرى وقرئ ألم تروا بالتاء والياء **مسخرات** مذللات للطيران بما خلق لها من الأجنحة والأسباب
المواتية لذلك **في جو** الهواء المتباعد من الأرض في سمت العلو والسكاك أبعد منه واللوح مثله **ما**
يمسكهن فيه من غير دعامة ولا قوة فهي إلا الله بقدرته **من بيوتكم** التي تسكنونها من الحجر والمدر والأخبية
وغيرها والسكن فعل بمعنى مفعول وهو ما يسكن إليه وينقطع إليه من بيت أو إلف **بيوتا** هي القباب والأبنية
من الأدم والأنطاع **تستخفونها** تجدونها خفيفة المحمل في الضرب والنقض والنقل **يوم ظعنكم** ويوم
إقامتكم أي يوم ترحلون خف عليكم حملها ونقلها ويوم تنزلون وتقيمون في مكان لم يثقل عليكم ضربها
أو هي خفيفة عليكم في أوقات السفر والحضر جميعا على أن اليوم بمعنى الوقت **ومتاعا** وشيئا ينتفع به **إلى حين**
إلى أن تقضوا منه أوطاركم أو إلى أن يبلى ويفنى أو إلى أن تموتوا وقرئ يوم ظعنكم بالسكون **مما خلق** من الشجر وسائر
المستظلات **أكنانا** جمع كن وهو ما يستكن به من البيوت المنحوتة في الجبال والغيران والكهوف **سرابيل** من القمصان والثياب
من الصوف والكتان والقطن وغيرها **تقيكم الحر** لم يذكر البرد لأن الوقاية من الحر أهم عندهم وقلما يهمهم البرد لكونه يسيرا
محتملا وقيل ما يقي من الحر يقي من البرد فدل ذكر الحر على البرد **وسرابيل تقيكم بأسكم** يريد الدروع والجواشن والسربال عام

كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون ويوم
نبعث من كل أمة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون وإذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون
وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون وألقوا إلى
الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون ويوم نبعث في كل أمة شهيدا

يتبع على ما كان من حديد وغيره **لعلكم تسلمون** أي تنظرون في نعمته الفائضة فتؤمنون به وتنقادون له وقرئ تسلمون
من السلامة أي تشكرون فتسلمون من العذاب وتسلم قلوبكم من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع **فإن تولوا**
فلم يقبلوا منك فقد تمهد عذرك بعد ما أديت ما وجب عليك من التبليغ فذكر سبب الجزاء وهو البلاغ لأنه
على المسبب **يعرفون** نعمة الله التي عددناها حيث يعترفون بها وأنها من الله **ثم ينكرونها** بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم
هي من الله ولكنها بشفاعة آلهتنا وقيل إنكارهم قولهم ورثناها من آبائنا وقيل قولهم لولا فلان ما أصبت كذا لبعض
نعم الله وإنما لا يجوز التكلم بنحو هذا إذا لم يعتقد أنها من الله وأنه أجراها على يد فلان وجعله سببا في نيلها **وأكثرهم**
الكافرون أي الجاحدون غير المعترفين وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عنادا
وأكثرهم الجاحدون المنكرون بقلوبهم **فإن قلت** ما معنى ثم **قلت** الدلالة على أن إنكارهم أمر مستبعد بعد حصول المعرفة لأن حق
من عرف النعمة أن يعترف لا أن ينكر **شهيدا** نبيها يشهد لهم وعليهم بالإيمان والتصديق والكفر والتكذيب **ثم لا**
يؤذن للذين كفروا في الاعتذار والمعنى لا حجة لهم فدل بترك الإذن على أن لا حجة لهم ولا عذر وكذا عن الحسن
ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون أي لا يقال لهم أرضوا ربكم لأن الآخرة ليست بدار عمل **فإن قلت** فما
معنى ثم هذه **قلت** معناها أنهم يمنون بعد شهادة الأنبياء عليهم السلام بما هو أطم منها وهو أنهم يمنعون الكلام
فلا يؤذن لهم في إلقاء معذرة ولا إدلاء بحجة وانتصاب اليوم بمحذوف تقديره واذكر يوم نبعث أو ويوم نبعث وقعوا
فيما وقعوا فيه وكذلك وإذا رأوا العذاب بغتهم وثقل عليهم **فلا يخفف** عنهم ولا هم ينظرون كقوله بل تأتيهم
بغتة فتبهتهم الآية **إن أرادوا بالشركاء** آلهتهم بمعنى شركاءنا الذين جعلناها شركاء وإن أراد والشياطين
فلأنهم شركاؤهم في الكفر وقرناؤهم في الغي وندعو بمعنى نعبد **فإن قلت** لم قالوا إنكم لكاذبون وكانوا يعبدونهم
على الصحة **قلت** لما كانوا غير راضين بعبادتهم فكأن عبادتهم لم تكن عبادة والدليل عليه قول الملائكة كانوا
يعبدون الجن يعنون أن الجن كانوا راضين بعبادتهم لا نحن فهم المعبودون دوننا أو كذبوهم في تسميتهم
شركاء وآلهة تنزيها لله من الشريك وإن أريد بالشركاء الشياطين جاز أن يكونوا كاذبين في قولهم إنكم
لكاذبون كما يقول الشيطان إني كفرت بما أشركتمون من قبل **وألقوا** يعني الذين ظلموا وألقوا السلم إلى الله
إلى أمر الله وحكمه بعد الإباء والاستكبار في الدنيا **وضل** عنهم وبطل عنهم **ما كانوا يفترون** من أن
لله شركاء وأنهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤوا منهم **الذين** كفروا في أنفسهم وحملوا
غيرهم على الكفر يضاعف الله عقابهم كما ضاعفوا كفرهم وقيل في زيادة عذابهم حيات أمثال البخت
وعقارب أمثال البغال تلسع إحداهن اللسعة فيجد صاحبها حمتها أربعين خريفا وقيل
يخرجون من النار إلى الزمهرير فيبادرون من شدة برده إلى النار **بما كانوا** يفسدون بكونهم مفسدين الناس عن
سبيل الله **شهيدا** عليهم من أنفسهم يعني نبيهم لأنه كان يبعث أنبياء الأمم فيهم منهم **وجئنا بك** يا محمد **شهيدا**
على هؤلاء على أمتك **تبيانا** بيانا بليغا ونظير تبيان تلقاء في كسر أوله وقد جوز الزجاج فتحه في غير القرآن
فإن قلت كيف كان القرآن تبيانا لكل شيء **قلت** المعنى أنه بين كل شيء من أمور الدين حيث كان نصا على بعضها
وإحالة على السنة حيث أمر فيه باتباع رسول الله وطاعته وقيل وما ينطق عن الهوى وحثا على الإجماع
وما آتاكم الرسول فخذوه

ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم
ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا
تتخذون ايمانكم دخلا بينكم ان تكون امة هي اربى من امة انما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة
ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسئلن عما كنتم تعملون ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم

في قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وقد رضي رسول الله عليه السلم لامته اتباع اصحابه والاقتداء بآثارهم في قوله
اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطأوا طرق القياس والاجتهاد
فكانت السنة والاجماع والقياس والاجتهاد مستندة الى تبيان الكتاب فمن ثم كان تبيانا لكل شيء
العدل هو الواجب لان الله تعالى عدل فيه على عباده فجعل ما فرضه عليهم واقعا تحت طاقتهم **والاحسان**
الندب وانما علق امره بهما جميعا لان الفرض لا بد من ان يقع فيه تفريط فيجبره الندب ولذلك قال
رسول الله عليه السلم لمن علمه الفرائض فقال والله لا زدت فيها ولا نقصت افلح ان صدق فعقد
الفلاح بشرط الصدق والسلامة من التفريط وقال عليه السلم استقيموا ولن تحصوا فما ينبغي ان يترك
ما يجبر كسر التفريط من النوافل **الفواحش** ما جاوز حدود الله والمنكر ما تنكره العقول والبغي
طلب التطاول بالظلم وحين اسقطت من الخطب لعنة الملاعين على امير المؤمنين رضوان الله عليه وعلى من
تابعه اقيمت هذه الاية مقامها ولعمري انها كانت فاحشة ومنكرا وبغيا ضاعف الله لمن سنها غضبا
ونكالا وخزيا اجابة لدعوة نبيه وعاد من عاداه وكانت سبب اسلام عثمن بن مظعون رضي الله عنه
عهد الله هي البيعة لرسول الله عليه السلام ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله **ولا تنقضوا الايمان** البيعة **بعد**
توكيدها اي بعد توثيقها باسم الله واكد ووكد لغتان فصيحتان والاصل الواو والهمزة بدل **كفيلا**
شاهدا ورقيبا لان الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن عليه ولا تكونوا في نقض الايمان كالمراة التي انحت على
غزلها بعد ان احكمته وابرمته فجعلته **انكاثا** جمع نكث وهو ما ينكث فتله قيل هي ريطة بنت سعد بن
تيم وكانت خرقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة على قدرها
فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تامرهن فينقضن ما غزلن **تتخذون** حال ودخلا
احد مفعولي تتخذ يعني ولا تنقضوا ايمانكم متخذيها دخلا بينكم اي مفسدة ودغلا **ان تكون** امة بسبب ان
تكون امة يعني جماعة قريش **هي اربى** هي ازيد عددا واوفر مالا **من امة** من جماعة المؤمنين **انما** يبلوكم الله به الضمير
لقوله ان تكون امة لانه في معنى المصدر اي انما يختبركم بكونهم اربى لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما
عقدتم على انفسكم ووكدتم من ايمان البيعة لرسول الله ام تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقوتهم وقلة المؤمنين
وفقرهم وضعفهم **وليبينن** لكم انذار وتحذير من مخالفة ملة الاسلام **ولو شاء الله** لجعلكم امة واحدة حنيفة مسلمة على
طريق الالجاء والاضطرار وهو قادر على ذلك ولكن الحكمة اقتضت ان يضل من يشاء وهو ان يخذل من علم انه يختار
الكفر ويصمم عليه ويهدي من يشاء وهو ان يلطف بمن علم انه يختار الايمان يعني انه بنى الامر على الاختيار
وعلى ما يستحق به اللطف والخذلان والثواب والعقاب ولم يبنه على الاجبار الذي لا يستحق به شيء من ذلك
وحققه بقوله **ولتسئلن** عما كنتم تعملون ولو كان هو المضطر الى الضلال والاهتداء لما اثبت لهم عملا
يسالون عنه ثم كرر النهي عن اتخاذ الايمان دخلا بينهم تاكيدا عليهم واظهارا لعظم ما يرتكب منه **فتزل**
قدم بعد ثبوتها فتزلوا قدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها **وتذوقوا** السوء في الدنيا بصدودكم عن سبيل
الله وخروجكم من الدين او بصدكم غيركم لانهم لو نقضوا ايمان البيعة وارتدوا لاتخذوا نقضها سنة لغيرهم

عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا انما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون ما عندكم ينفد وما عند الله باق
ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن
ما كانوا يعملون فاذا قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه

يستنون بها **ولكم عذاب** عظيم في الاخرة كان قوم ممن اسلم بمكة زين لهم الشيطان لجزعهم مما راوا من غلبة
قريش واستضعافهم المسلمين وايذائهم لهم ولما كانوا يعدونهم ان رجعوا من المواعيد ان ينقضوا ما بايعوا
عليه رسول الله فثبتهم الله **ولا تشتروا** ولا تستبدلوا بعهد الله وبيعة رسول الله **ثمنا قليلا** عرضا من الدنيا
يسيرا وهو ما كانت قريش يعدونهم ويمنونهم ان رجعوا **انما عند الله** من اظهاركم وتغنيمكم ومن ثواب الاخرة
خير لكم **ما عندكم** من اعراض الدنيا ينفد **وما** عند الله من خزائن رحمته **باق** لا ينفد وقرئ لنجزين بالنون والياء **الذين**
صبروا على اذى المشركين ومشاق الاسلام **باحسن** لم وصفت القدم وتكرت **قلت** لاستعظام ان تزل قدم واحدة عن
طريق الحق بعد ان ثبتت عليه فكيف باقدام كثيرة **من عمل** صالحا من مبتغ وله نفسه للذكر والانثى فما معنى تبيينه بهما **قلت**
هو مبهم صالح على الاطلاق للنوعين الا انه اذا ذكر كان الظاهر تناوله للذكور فقيل من ذكر او انثى على التبيين ليعم
الموعد النوعين جميعا **حيوة** طيبة يعني الدنيا وهو الظاهر لقوله ولنجزينهم وعده الله ثواب الدنيا والاخرة
كقوله فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة وذلك لان المؤمن مع العمل الصالح موسرا كان او
معسرا يعيش عيشا طيبا ان كان موسرا فلا مقال فيه وان كان معسرا فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة
والرضا بقسمة الله واما الفاجر فامره على العكس ان كان معسرا فلا اشكال في امره وان كان موسرا فالحرص
لا يدعه ان يتهنا بعيشه وعن ابن عباس رضي الله عنه الحيوة الطيبة الرزق الحلال وعن الحسن رضي الله عنه
القناعة وعن بعضهم يعني الجنة وقيل هي حلاوة الطاعة والتوفيق في قلبه لما ذكر العمل الصالح
ووعد عليه وصل به قوله فاذا قرات القران فاستعذ بالله ايذانا بان الاستعاذة من جملة الاعمال الصالحة التي يجزل
الله عليها الثواب والمعنى فاذا اردت قراءة القران فاستعذ كقوله اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم
وكقولك اذا اكلت فسم الله **فان قلت** لم عبر عن ارادة الفعل بلفظ الفعل **قلت** لان الفعل يوجد عند القصد والارادة
بغير فاصل وعلى حسبه فكان منه بسبب قوي وملابسة ظاهرة وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قرات على رسول
الله عليه السلم فقلت اعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال لي يا ابن ام عبد قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا
اقرانيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ **انه ليس له** سلطان اي تسلط وولاية على اولياء الله يعني انهم لا يقبلون
منه ولا يطيعونه فيما يريد منهم من اتباع خطواته **انما سلطانه** على من يتولاه ويطيعه **هم به مشركون** الضمير يرجع
الى ربهم ويجوز ان يرجع الى الشيطن على معنى بسببه تبديل الاية مكان الاية هو النسخ والله ينسخ الشرائع بالشرائع
لانها مصالح وما كان مصلحة امس يجوز ان يكون مفسدة اليوم وخلافه مصلحة والله عالم بالمصالح والمفاسد
فيثبت ما يشاء وينسخ ما يشاء بحكمته وهذا معنى قوله والله اعلم بما ينزل **قالوا** انما انت مفتر وجدوا مدخلا للطعن
فطعنوا وذلك لجهلهم وبعدهم عن العلم بالناسخ والمنسوخ وكانوا يقولون ان محمدا يسخر من اصحابه
يامرهم اليوم بامر وينهاهم عنه غدا فياتيهم بما هو اهون ولقد افتروا فقد كان ينسخ الاشق بالاهون
والاهون بالاشق والاهون بالاهون والاشق بالاشق لان الغرض المصلحة لا الهوان والمشقة **فان قلت** هل في ذكر تبديل
الاية بالاية دليل على ان القران انما ينسخ بمثله ولا يصح بغيره من السنة والاجماع والقياس **قلت** فيه ان
القران ينسخ بمثله وليس فيه نفي نسخه بغيره على ان السنة المكشوفة المتواترة مثل القران في ايجاب العلم فنسخه

على الذين يتولونه والذين هم به مشركون واذا بدلنا اية مكان اية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون

قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين امنوا وهدى وبشرى للمسلمين ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون
اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب اليم انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون
بآيات الله واولئك هم الكاذبون من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله
ولهم عذاب عظيم

بها كنسخه بمثله واما الاجماع والقياس والسنة غير المقطوع بها فلا يصح نسخ القرآن بها قل نزله
وما فيهما من التنزيل شيئا فشيئا على حسب الحوادث والمصالح اشارة الى ان التبديل من باب المصالح كالتنزيل وان ترك النسخ
بمنزلة انزاله دفعة واحدة في خروجه عن الحكمة روح القدس جبريل عليه السلام اضيف الى القدس وهو الطهر كما يقال
حاتم الجود وزيد الخير والمراد الروح المقدس وحاتم الجواد وزيد الخير والمقدس المطهر من المآثم وقرئ بضم
الدال وسكونها بالحق في موضع الحال اي نزله ملتبسا بالحكمة يعني ان النسخ من جملة الحق ليثبت الذين امنوا ليبلوهم
بالنسخ حتى اذا قالوا انه هو الحق من ربنا والحكمة حكم لهم بثبات القدم وصحة اليقين وطمأنينة القلوب على ان الله حكيم
فلا يفعل الا ما هو حكمة وصواب وهدى وبشرى مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت والتقدير تثبيتا لهم
وارشادا وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد هذه الخصال لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف ارادوا بالبشر
غلاما كان لحويطب بن عبد العزى قد اسلم وحسن اسلامه اسمه عايش او يعيش وكان صاحب كتب
وقيل هو جبر غلام رومي كان لعامر بن الحضرمي وقيل عبدان جبر ويسار كانا يصنعان السيوف بمكة
ويقرآن التوراة والانجيل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مر وقف عليهما يسمع ما يقرآن فقالوا يعلمانه فقيل
لاحدهما فقال بل هو يعلمني وقيل هو سلمان الفارسي اللسان اللغة ويقال لحد القبر والحده وهو ملحد
وملحود اذا امال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل امالة عن استقامة فقالوا الحد
فلان في قوله والحد في دينه ومنه الملحد لانه امال مذهبه عن الاديان كلها لم يمله عن دين الى دين والمعنى
لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه لسان اعجمي غير بين وهذا القرآن لسان عربي مبين
ذو بيان وفصاحة رد لقولهم وابطال لطعنهم وقرئ يلحدون بفتح الياء والحاء وفي قراءة الحسن
اللسان الذي يلحدون اليه اعجمي بتعريف اللسان فان قلت الجملة التي هي قوله لسان الذي يلحدون اليه اعجمي ما
محلها قلت لا محل لها لانها مستأنفة جواب لقولهم ومثله قوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته بعد قوله
واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله ان الذين لا يؤمنون بآيات الله اي يعلم الله منهم
انهم لا يؤمنون بآيات الله اي يعلم الله منهم انهم لا يؤمنون لا يهديهم الله لا يلطف بهم لانهم من اهل الخذلان
في الدنيا والعذاب في الآخرة لا من اهل اللطف والثواب انما يفتري الكذب رد لقولهم انما انت مفتر يعني انما
يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لانه لا يترقب عقابا عليه واولئك اشارة الى قريش هم الكاذبون اي هم الذين
لا يؤمنون فهم الكاذبون او الى الذين لا يؤمنون اي واولئك هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون في الكذب لان
تكذيب آيات الله اعظم الكذب او واولئك هم الذين عادتهم الكذب لا يبالون به في كل شيء لا تحجبهم عنه مروة ولا دين
او واولئك هم الكاذبون في قولهم انما انت مفتر من كفر بدل من الذين لا يؤمنون بآيات الله على ان يجعل واولئك هم
الكاذبون اعتراضا بين البدل والمبدل منه والمعنى انما يفتري الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه واستثنى منهم المكره
فلم يدخل تحت حكم الافتراء ثم قال ولكن من شرح بالكفر صدرا اي طاب به نفسا واعتقده فعليهم غضب من
الله ويجوز ان يكون بدلا من المبتدأ الذي هو اولئك على ومن كفر بالله من بعد ايمانه هم الكاذبون او من الخبر الذي هو الكاذبون
على واولئك هم من كفر بالله من بعد ايمانه ويجوز ان ينتصب على الذم وقد جوزوا ان يكون من كفر بالله شرطا مبتدأ

ذلك بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة وان الله لا يهدي القوم الكافرين اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم و
ابصارهم واولئك هم الغافلون لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا
ان ربك من بعدها لغفور رحيم يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة
مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون

وحذف جوابه لان جواب من شرح دال عليه كانه قيل من كفر بالله فعليهم غضب الا من اكره ولكن
من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب روي ان ناسا من اهل مكة فتنوا فارتدوا عن الاسلام بعد دخولهم
فيه وكان فيهم من اكره فاجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للايمان منهم عمار وابواه ياسر وسمية
وصهيب وبلال وخباب وسالم عذبوا فاما سمية فقد ربطت بين بعيرين ووجئ في قبلها بحربة وقالوا
انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتل ياسر وهما اول قتيلين في الاسلام واما عمار فقد اعطاهم ما
ارادوا بلسانه مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط
الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله عليه السلام وهو يبكي فجعل رسول الله يمسح عينيه وقال ما لك ان
عادوا لك فعد لهم بما قلت ومنهم جبر مولى ابن الحضرمي اكرهه سيده فكفر ثم اسلم مولاه واسلم وحسن
اسلامهما وهاجرا فان قلت اي الامرين افضل افعل عمار ام فعل ابويه قلت بل فعل ابويه لان في ترك التقية والصبر
على القتل اعزازا للاسلام وقد روي ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول
في قال انت ايضا فخلاه وقال للآخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال انا اصم فاعاد عليه ثلاثا
فاعاد جوابه فقتله فبلغ ذلك رسول الله عليه السلام فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثاني فقد
صدع بالحق فهنيئا له ذلك اشارة الى الوعيد وان الغضب والعذاب يلحقانهم بسبب استحبابهم الدنيا على الآخرة
واستحقاقهم خذلان الله بكفرهم واولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة الذين لا احد اغفل منهم لان الغفلة
عن تدبر العواقب هي غاية الغفلة ومنتهاها ثم ان ربك دلالة على تباعد حال هؤلاء من حال اولئك وهم عمار
واصحابه ومعنى ان ربك لهم انه لهم لا عليهم بمعنى انه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم كما يكون الملك
للرجل لا عليه فيكون محميا منفوعا غير مضرور من بعد ما فتنوا بالعذاب والاكراه على الكفر وقرئ فتنوا
على البناء للفاعل اي بعدما عذبوا المؤمنين كالحضرمي واشباهه من بعدها من بعد هذه الافعال وهي الهجرة والجهاد
والصبر يوم تأتي منصوب برحيم او باضمار اذكر فان قلت ما معنى النفس المضافة الى النفس قلت يقال عين الشيء وذاته ونفسه
نقيضه غيره والنفس الجملة كما هي فالنفس الاولى هي الجملة والثانية عينها وذاتها فكانه قيل يوم يأتي كل انسان
يجادل عن ذاته لا يهمه شان غيره كل يقول نفسي نفسي ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم هؤلاء اضلونا ما كنا
مشركين ونحو ذلك وضرب الله مثلا قرية اي جعل القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة
فكفروا وتولوا فانزل الله بهم نقمته ويجوز ان تراد قرية مقدرة على هذه الصفة وان تكون في قرى الاولين قرية كانت
هذه حالها فضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها مطمئنة لا يزعجها خوف لان الطمأنينة مع الامن والانزعاج
والقلق مع الخوف رغدا واسعا والانعم جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس
وفي الحديث نادى منادي النبي عليه السلام بالموسم بمنى انها ايام طعم ونعم فلا تصوموا فان قلت الاذاقة واللباس استعارتان
فما وجه صحتهما والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة ايقاعها عليه قلت اما الاذاقة
فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر
واذاقه العذاب شبه ما يدرك من اثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر والبشع واما اللباس فقد شبه به لاشتماله

ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون
فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه
تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل
لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم ولا تقولوا
لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب

على اللابس لما غشي الانسان والتبس به من بعض الحوادث واما ايقاع الحوادث الاذاقة على لباس الجوع
والخوف فلانه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكانه قيل فاذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف ولهم
في نحو هذا طريقان لا بد من الاحاطة بهما فان الاستنكار لا يتبع الا من فقدهما احدهما ان ينظر وافيه الى المستعار
له كما نظر اليه ههنا ونحوه قول كثير غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال استعار
الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف
والنوال لا صفة الرداء نظرا الى المستعار له والثاني ان ينظروا فيه الى المستعار كقوله ينازعني ردائي عبد عمرو
رويدك يا اخا عمرو بن بكر لي الشطر الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر اراد بردائه سيفه ثم قال
فاعتجر منه بشطر فنظر الى المستعار في لفظ الاعتجار ولو نظر اليه فيما نحن فيه لقيل فكساهم لباس الجوع والخوف
ولقال كثير ضافي الرداء اذا تبسم ضاحكا وهم ظالمون في حال التباسهم بالظلم كقوله الذين تتوفاهم الملائكة
ظالمي انفسهم نعوذ بالله من مفاجاة النقمة والموت على الغفلة وقرئ والخوف عطفا على اللباس او على تقدير
حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اصله ولباس الخوف وقرئ لباس الخوف والجوع لما وعظهم بما ذكر
من حال القرية وما اثيب به من كفرها وسوء صنيعها وصل بذلك بالفاء قوله فكلوا وصدهم عن افعال الجاهلية
ومذاهبهم الفاسدة التي كانوا عليها بان امرهم باكل ما رزقهم الله من الحلال الطيب وشكر انعامه بذلك وقال ان كنتم
اياه تعبدون يعني تطيعون او ان زعمكم انكم تعبدون الله بعبادة الالهة لانها شفعاؤكم عنده ثم عدد عليهم
محرمات الله ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم باهوائهم وجهالاتهم دون اتباع ما شرع الله على لسان انبيائه
وانتصاب الكذب بلا تقولوا على ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم من البهائم بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون
هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا من غير استناد ذلك الوصف الى وحي من الله او الى قياس مستند
اليه واللام مثلها في قولك ولا تقولوا لما احل الله هو حرام وقوله هذا حلال وهذا حرام بدل من الكذب ولك ان
تنصب الكذب بتصف على ارادة القول اي ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام ولك ان تنصب
الكذب بتصف وتجعل ما مصدرية وتعلق هذا حلال وهذا حرام بلا تقولوا على ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف
السنتكم الكذب اي لا تحرموا ولا تحللوا لاجل قول تنطق به السنتكم ويجول في افواهكم لا لاجل حجة وبينة ولكن
قول ساذج ودعوى فارغة فان قلت ما معنى وصف السنتهم الكذب قلت هو من فصيح الكلام وبليغه جعل قولهم كانه
عين الكذب ومحضه فاذا نطقت به السنتهم فقد حلت الكذب بحليته وصورته بصورته كقولهم وجهها يصف الجمال
وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر صفة لما المصدرية كانه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب كقوله بدم
كذب والمراد بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرمة وقرئ الكذب جمع كذوب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب
على الشتم او بمعنى الكلم الكواذب او هو جمع الكذاب من قولك كذب كذابا ذكره ابن جني واللام في لتفتروا من
التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض متاع قليل خبر مبتدا محذوف اي منفعتهم فيما هم عليه من افعال الجاهلية منفعة
قليلة وعقابها عظيم ما قصصنا عليك يعني في سورة الانعام بجهالة في موضع الحال اي عملوا السوء جاهلين
غير عارفين بالله وبعقابه او غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم من بعدها من بعد التوبة كان امة فيه وجهان

احدهما انه كان وحده امة من الامم لكماله في جميع صفات الخير كقوله وليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد
وعن مجاهد رضي الله عنه كان مومنا وحده والناس كلهم كفار والثاني ان يكون امة بمعنى مامور اي يامه الناس
لياخذوا منه الخير او بمعنى مومن به كالرحلة والنخبة وما اشبه ذلك مما جاء من فعلة بمعنى مفعول فيكون مثل
قوله قال اني جاعلك للناس اماما وروى الشعبي عن فروة بن نوفل الاشجعي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال ان معاذا
كان امة قانتا لله فقلت غلطت انما هو ابراهيم عليه السلام فقال الامة الذي يعلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله وكان
معاذ كذلك وعن عمر رضي الله عنه انه قال حين قيل له الا تستخلف لو كان ابو عبيدة حيا لاستخلفته ولو كان
معاذ حيا لاستخلفته ولو كان سالم حيا لاستخلفته فاني سمعت رسول الله عليه السلام يقول ابو عبيدة امين هذه الامة
ومعاذ امة قانت لله ليس بينه وبين الله يوم القيامة الا المرسلون وسالم شديد الحب لله لو كان لا يخاف الله لم
يعصه وسوى ذلك المعنى اي كان اماما في الدين لان الائمة معلمو الخير والقانت القائم بما امره الله والحنيف
المائل الى ملة الاسلام غير الزائل عنه ونفى عنه الشرك تكذيبا لكفار قريش في زعمهم انهم على ملة ابيهم شاكرا
لانعمه روي انه كان لا يتغدى الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فاخر غداءه فاذا هو بفوج من الملائكة في صورة
البشر فدعاهم الى الطعام فخيلوا له ان بهم جذاما فقال الآن وجبت مواكلتكم شكرا لله على انه عافاني وابتلاكم اجتباه
اختصه واصطفاه للنبوة وهداه الى صراط مستقيم الى ملة الاسلام حسنة عن قتادة رضي الله عنه تنويه الله بذكره
حتى ليس من اهل دين الا وهم يتولونه وقيل الاموال والاولاد وقيل قول المصلي منا كما صليت على ابراهيم لمن الصالحين لمن
اهل الجنة ثم اوحينا اليك في ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله عليه السلام واجلال محله والايذان بان اشرف ما اوتي خليل
الله من الكرامة واجل ما اولي من النعمة اتباع رسول الله عليه السلام ملته من قبل انها دلت على تباعد هذا النعت في المرتبة
من بين سائر النعوت التي اثنى الله عليه بها السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها والمعنى انما جعل وبال
السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه واختلافهم فيه انهم احلوا الصيد فيه تارة وحرموه تارة وكان الواجب عليهم
ان يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة بعد ما حتم الله عليهم الصبر عن الصيد فيه وتعظيمه والمعنى في ذكر ذلك
نحو المعنى في ضرب القرية التي كفرت بانعم الله مثلا وغير ما ذكر وهو الانذار من سخط الله على العصاة والمخالفين لاوامره
والخالعين ربقة طاعته فان قلت فما معنى الحكم بينهم اذا كانوا جميعا محلين ومحرمين قلت معناه انه يجازيهم جزاء
اختلاف فعلهم في كونهم محلين تارة ومحرمين اخرى ووجه آخر وهو ان موسى عليه السلام امرهم ان يجعلوا في الاسبوع
يوما للعبادة وان يكون يوم الجمعة فابوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق السموات والارض وهو
السبت الا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فهذا اختلافهم في السبت لان بعضهم اختاروه وبعضهم اختاروا
عليه الجمعة فاذن الله لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فاطاع امر الله الراضون بالجمعة فكانوا لا
يصيدون واعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله دون اولئك وهو يحكم بينهم يوم القيامة فيجازي كل واحد
من الفريقين بما يستوجبه ومعنى جعل السبت فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه وقرئ انما جعل السبت
على البناء للفاعل وقرا عبد الله انا انزلنا السبت الى سبيل ربك الى الاسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة الصحيحة
وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة وهي التي لا يخفى عليهم انك تناصحهم بها وتقصد

وجادلهم بالتي هي احسن ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم
به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ان الله مع الذين
اتقوا والذين هم محسنون بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى

ما ينفعهم منهما ويجوز ان يريد القرآن اي ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة وجادلهم
بالتي هي احسن بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف ان ربك
اعلم بهم بمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل والنصيحة اليسيرة ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل
وكأنك تضرب منه في حديد بارد ٭ سمي الفعل الاول باسم الثاني للمزاوجة والمعنى ان صنع بكم صنيع سوء من قتل
او نحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه وقرئ وان عقبتم فعقبوا اي فان قفيتم بالانتصار فقفوا
بمثل ما فعل بكم روي ان المشركين مثلوا بالمسلمين يوم احد بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم ما تركوا
احدا غير ممثول به الا حنظلة بن الراهب فوقف رسول الله عليه السلام على حمزة وقد مثل به وروي فرآه
مبقور البطن فقال اما والذي احلف به لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن
يمينه وكف عما اراده ولا خلاف في تحريم المثلة وقد وردت الاخبار بالنهي عنها حتى بالكلب العقور
اما ان يرجع الضمير في لهو الى صبرهم وهو مصدر صبرتم ويراد بالصابرين المخاطبون اي ولصبركم
خير لكم فوضع الصابرون موضع الضمير ثناء من الله عليهم بانهم صابرون على الشدائد او وصفهم
بالصفة التي تحصل لهم اذا صبروا عن المعاقبة واما ان يرجع الى جنس الصبر وقد دل عليه صبرتم ويراد
بالصابرين جنسهم كانه قيل وللصبر خير للصابرين ونحوه قوله فمن عفا واصلح فاجره على الله وان تعفوا
اقرب للتقوى ثم قال لرسوله عليه السلام واصبر فعزم عليه بالصبر وما صبرك الا بالله اي بتوفيقه وتثبيته
وربطه على قلبك ولا تحزن عليهم اي على الكافرين كقوله فلا تأس على القوم الكافرين او على المؤمنين وما فعل بهم
الكافرون ولا تك في ضيق وقرئ ولا تكن في ضيق اي ولا يضيقن صدرك من مكرهم والضيق تخفيف الضيّق اي في
امر ضيق ويجوز ان يكون الضيق والضيق مصدرين كالقيل والقول ان الله مع الذين اتقوا اي هو ولي الذين اجتنبوا المعاصي
وولي الذين هم محسنون في اعمالهم وعن هرم بن حيان انه قيل له حين احتضر اوص فقال انما الوصية من المال ولا مال
لي واوصيكم بخواتيم سورة النحل عن رسول الله عليه السلام من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه في دار الدنيا وان
مات في يوم تلاها او ليلة كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية

سورة بني اسرائيل مكية وهي مائة وعشر آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك
اظهاره تقديره اسبح الله سبحان ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسده ودل على التنزيه البليغ من جميع القبائح
التي يضيفها اليه اعداء الله واسرى وسرى لغتان ليلا نصب على الظرف فان قيل الاسراء لا يكون الا بالليل فما معنى ذكر
الليل قلت اراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسراء وانه اسري به في بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة اربعين
ليلة وذلك ان التنكير فيه قد دل على معنى البعضية ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة رضي الله عنهما من الليل
اي بعض الليل كقوله ومن الليل فتهجد به يعني الامر بالقيام في بعض الليل واختلف في المكان الذي اسري منه فقيل
هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر وروي عن النبي عليه السلام بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم
واليقظان اذ اتاني جبريل عليه السلام بالبراق وقيل اسري به من دار ام هانئ بنت ابي طالب والمراد بالمسجد الحرام
الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به وعن ابن عباس رضي الله عنه الحرم كله مسجد وروي انه كان نائما في بيت ام هانئ

قال صاحب الكشف سرت الليل يدل على استيعاب الليل وسرت ليلا يحتمل الاستيعاب لكون السير في بعضها

الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل الا تتخذوا من دوني
وكيلا ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا

بعد صلاة العشاء فاسري به ورجع من ليلته وقص القصة على ام هانئ وقال مثل لي النبيون فصليت بهم
وقام ليخرج الى المسجد فتشبثت ام هانئ بثوبه فقال ما لك قالت اخشى ان يكذبك قومك ان اخبرتهم
قال وان كذبوني فخرج فجلس اليه ابو جهل فاخبره رسول الله عليه السلام بحديث الاسراء فقال ابو جهل يا معشر
بني كعب بن لؤي هلم فحدثهم فمن بين مصفق وواضع يده على راسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان
آمن به وسعى رجال الى ابي بكر رضي الله عنه فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه
على ابعد من ذلك فسمي الصديق وفيهم من سافر الى ثمة فاستنعتوه المسجد فجلي له بيت المقدس فطفق ينظر
اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال
تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل
منهم هذه والله الشمس قد شرقت فقال آخر وهذه والله العير قد اقبلت يقدمها جمل اورق كما قال محمد
ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وقد عرج به الى السماء في تلك الليلة وكان العروج به من بيت المقدس واخبر
قريشا ايضا بما رأى في السماء من العجائب وانه لقي الانبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى واختلفوا في وقت الاسراء
فقيل كان قبل الهجرة بسنة وعن انس والحسن رضي الله عنهما انه كان قبل البعث واختلف انه كان في اليقظة ام في المنام
فعن عائشة رضي الله عنها انها قالت والله ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه ولكن عرج بروحه وعن معاوية انما
عرج بروحه وعن الحسن رحمه الله كان في المنام رؤيا رآها واكثر الاقاويل على خلاف ذلك والمسجد الاقصى بيت المقدس
لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد باركنا حوله يريد بركات الدين والدنيا لانه متعبد الانبياء من وقت موسى عليه السلام ومهبط
الوحي وهو محفوف بالانهار الجارية والاشجار المثمرة وقرأ الحسن رضي الله عنه ليريه بالياء ولقد تصرف
الكلام على لفظ الغائب والمتكلم فقيل اسرى ثم باركنا ثم ليريه على قراءة الحسن رحمه الله ثم آياتنا ثم انه هو
وهي طريقة الالتفات التي هي من طرق البلاغة انه هو السميع لاقوال محمد البصير بافعاله العالم بتهذيبها وخلوصها
فيكرمه ويقربه على حسب ذلك الا يتخذوا وقرئ بالياء على لئلا يتخذوا وبالتاء اي لا تتخذوا كقولك كتبت
اليه ان افعل كذا وكيلا ربا تكلون اليه اموركم ذرية من حملنا نصب على الاختصاص وقيل على النداء
فيمن قرأ الا تتخذوا بالتاء على النهي يعني قلنا لهم لا تتخذوا وامرنا وقيل يا ذرية من حملنا مع نوح
وقد يجعل وكيلا ذرية من حملنا مفعولي تتخذوا اي لا تجعلوهم اربابا كقوله ولا يأمركم ان تتخذوا
الملائكة والنبيين اربابا ومن ذريته المحمولين مع نوح عيسى وعزير وقرئ ذرية من حملنا بالرفع
بدلا من واو تتخذوا وقرأ زيد بن ثابت ذرية بكسر الذال وروي انه فسرها بولد الولد ذكرهم الله النعمة
في انجاء آبائهم من الغرق انه ان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا قيل كان اذا اكل قال الحمد لله الذي اطعمني
ولو شاء اجاعني واذا شرب قال الحمد لله الذي سقاني ولو شاء اظمأني واذا اكتسى قال الحمد لله الذي كساني
ولو شاء اعراني واذا احتذى قال الحمد لله الذي حذاني ولو شاء احفاني واذا قضى حاجته قال الحمد
لله الذي اخرج عني اذاه في عافية ولو شاء حبسه وروي انه كان اذا اراد الافطار عرض طعامه
على من آمن به فان وجده محتاجا آثره به فان قيل قوله انه كان عبدا شكورا ما وجه ملاءمته لما قبله

وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا
لنا اولي باس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم
اكثر نفيرا ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها فاذا جاء وعد الاخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول
مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا

قلت كانه قيل لا تتخذوا من دوني وكيلا ولا تشركوا بي لان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا وانتم ذرية من آمن
به وحمل معه فاجعلوه اسوتكم كما جعله آباؤكم اسوتهم ويجوز ان يكون تعليلا لاختصاصهم والثناء عليهم
بانهم اولاد المحمولين مع نوح فهم متصلون به فاستاهلوا لذلك الاختصاص ويجوز ان يقال ذلك عند
ذكره على سبيل الاستطراد وقضينا الى بني اسرائيل واوحينا اليهم وحيا مقضيا اي مقطوعا مبتوتا بانهم
يفسدون في الارض لا محالة ويعلون اي يتعظمون ويبغون في الكتاب في التورية ولتفسدن جواب قسم محذوف
ويجوز ان يجري القضاء المبتوت مجرى القسم فيكون لتفسدن جوابا له كانه قال واقسمنا لتفسدن وقرئ
لتفسدن على البناء للمفعول ولتفسدن بفتح التاء مرتين اولاهما قتل زكريا عليه السلام وحبس ارميا حين انذرهم
سخط الله والاخرة قتل يحيى بن زكريا وقصد قتل عيسى بن مريم عليهم السلام عبادا لنا وقرئ عبيدا لنا واكثر
ما يقال عباد الله وعبيد الناس سنحاريب وجنوده وقيل بخت نصر وعن ابن عباس رضي الله عنه
جالوت قتلوا علماءهم واحرقوا التورية وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين الفا فان قلت كيف
جاز ان يبعث الله الكفرة على ذلك ويسلطهم عليه قلت معناه خلينا بينهم وبين ما فعلوا ولم نمنعهم على ان
الله عز وعلا اسند بعث الكفرة عليهم الى نفسه فهو كقوله وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا وكقول الداعي
وخالف بين كلمهم واسند الجوس وهو التردد خلال الديار بالفساد اليهم فتخريب المسجد
واحراق التورية من جملة الجوس المسند اليهم وقرا طلحة فحاسوا بالحاء وقرئ فجوسوا وخلل
الديار فان قلت ما معنى وعد اولاهما قلت معناه وعد عقاب اولاهما وكان وعدا مفعولا يعني وكان
وعد العقاب وعدا لا بد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم حين تبتم
ورجعتم عن الفساد والعلو قيل هي قتل بخت نصر واستنقاذ بني اسرائيل اسراءهم واموالهم ورجوع
الملك اليهم وقيل هي قتل داود جالوت اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه
وقيل جمع نفر كالعبيد والمعيز اي الاحسان والاساءة كلاهما مختص بانفسكم لا يتعدى النفع
والضرر الى غيركم وعن علي رضي الله عنه ما احسنت الى احد ولا اسات اليه وتلاها فاذا جاء وعد المرة
الاخرة بعثناهم ليسوءوا وجوهكم حذف لدلالة ذكره اولا عليه ومعنى ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها بادية
آثار المساءة والكآبة فيها كقوله سيئت وجوه الذين كفروا وقرئ ليسوء والضمير لله عز وعلا او
للوعد او للبعث ولنسوء بالنون وفي قراءة علي رضي الله عنه لنسوءن وليسوءن وقرئ لنسوءن بالنون الخفيفة
واللام في ليدخلوا على هذا متعلق بمحذوف وهو وبعثناهم ليدخلوا ولنسوءن جواب اذا جاء ما علوا مفعول
ليتبروا اي ليهلكوا كل شيء غلبوه واستولوا عليه او بمعنى مدة علوهم عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الثانية
ان تبتم توبة اخرى وانزجرتم عن المعاصي وان عدتم مرة ثالثة عدنا الى عقوبتكم وقد عادوا فاعاد
الله عليهم النقمة بتسليط الاكاسرة وضرب الاتاوة عليهم وعن الحسن رحمه الله عادوا فبعث الله محمدا
صلى الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وعن قتادة رضي الله عنه كان آخر ذلك ان بعث الله عليهم
عليهم هذا الحي من العرب فهم منهم في عذاب الى يوم القيمة حصيرا محبسا يقال للسجن محصر وحصير وعن

ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وان الذين لا يؤمنون بالاخرة اعتدنا لهم
عذابا اليما ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا وجعلنا الليل والنهار ايتين فمحونا اية الليل و
جعلنا اية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا وكل انسان
الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيمة

للتي هي اقوم للحالة التي هي اقوم الحالات واسدها
او للملة او للطريقة وايتما قدرت لم تجد مع الاثبات ذوق البلاغة التي تجده مع الحذف لما في
ابهام الموصوف بحذفه من فخامة تفقد مع ايضاحه وقرئ ويبشر بالتخفيف فان قلت كيف ذكر
المؤمنين الابرار والكفار ولم يذكر الفسقة قلت كان الناس حينئذ اما مؤمن تقي واما مشرك وانما
حدث اصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك فان قلت علام عطف ان الذين لا يؤمنون قلت على ان لهم اجرا
كبيرا على معنى انه بشر المؤمنين ببشارتين اثنتين بثوابهم وبعقاب اعدائهم ويجوز ان يراد
ويخبر بان الذين لا يؤمنون معذبون اي ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه واهله
وماله كما يدعو لهم بالخير كقوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير وكان الانسان
عجولا يتسرع الى طلب كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله لا يتانى فيه تاني المتبصر وعن النبي عليه السلام
انه دفع الى سودة بنت زمعة اسيرا فاقبل يئن بالليل فقالت له ما لك تئن فشكا الم القد
فارخت من كتافه فلما نامت اخرج يده وهرب فلما اصبح النبي عليه السلام دعا به فاعلم بشانه
فقال اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها تتوقع الاجابة وان يقطع الله يديها فقال النبي
عليه السلام اني سالت الله ان يجعل لعنتي ودعائي على من لا يستحق من اهلي رحمة لاني بشر اغضب كما
يغضب البشر فلترد سودة يديها ويجوز ان يريد بالانسان الكافر وانه يدعو بالعذاب استهزاء ويستعجل
به كما يدعو بالخير اذا مسته الشدة وكان الانسان عجولا يعني ان العذاب آتيه لا محالة فما هذا الاستعجال
وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو النضر بن الحرث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الاية فاجيب له فضربت
عنقه صبرا فيه وجهان احدهما ان يراد ان الليل والنهار ايتان في انفسهما فتكون الاضافة في اية الليل واية النهار للتبيين
كاضافة العدد الى المعدود اي فمحونا الاية التي هي الليل وجعلنا الاية التي هي النهار مبصرة والثاني ان يراد
وجعلنا نيري الليل والنهار ايتين يريد الشمس والقمر فمحونا اية الليل اي جعلنا الليل ممحو الضوء
مطموسة مظلمة لا يستبان فيه شيء كما لا يستبان ما في اللوح الممحو وجعلنا النهار مبصرا اي تبصر
فيه الاشياء وتستبان او فمحونا اية الليل التي هي القمر حيث لم يخلق له شعاعا كشعاع الشمس فترى
به الاشياء رؤية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شيء لتبتغوا فضلا من ربكم لتتوصلوا
ببياض النهار الى استبانة اعمالكم والتصرف في معايشكم ولتعلموا باختلاف الجديدين عدد السنين وجنس الحساب
وما تحتاجون اليه منه ولولا ذلك لما علم احد حسبان الاوقات ولتعطلت الامور وكل شيء مما تفتقرون اليه في دينكم
ودنياكم فصلناه بيناه بيانا غير ملتبس فازحنا عللكم وما تركنا لكم حجة علينا طائره عمله وقد حققنا
القول فيه في سورة النمل وعن ابن عيينة هو من قولك طار له سهم اذا خرج يعني الزمناه ما طار من عمله والمعنى
ان عمله لازم له لزوم القلادة او الغل لا ينفك عنه ومنه مثل العرب تقلدها طوق الحمامة وقولهم الموت في الرقاب
وهذا ربقة في رقبته وعن الحسن يا ابن آدم بسطت لك صحيفة اذا بعثت قلدتها في عنقك وقرئ
عنقه بسكون النون وقرئ ونخرج بالنون ويخرج بالياء والضمير لله عز وجل ويخرج على البناء للمفعول

كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما
يضل عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها
ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا

ويخرج من خرج والضمير للطائر اي يخرج الطائر كتابا وانتصاب كتابا على الحال وقرئ يلقاه بالتشديد مبنيا للمفعول ويلقاه منشورا صفتان للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا حال من يلقاه اقرأ على ارادة القول وعن قتادة يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قاريا وبنفسك فاعل كفى وحسيبا تمييز وهو بمعنى حاسب كضريب القداح بمعنى ضاربها وصريم بمعنى صارم ذكرهما سيبويه وعلى متعلق به من قولك حسب عليه كذا او بمعنى الكافي وضع موضع الشهيد فعدي بعلى لان الشاهد يكفي المدعي ما اهمه فان قيل لم ذكر حسيبا قلت لانه بمنزلة الشهيد والقاضي والامير لان الغالب ان هذه الامور يتولاها الرجال وكانه قيل كفى بنفسك رجلا حسيبا ويجوز ان يتأول النفس بالشخص كما يقال ثلثة انفس وكان الحسن اذا قرأها قال يا ابن ادم انصفك والله من جعلك حسيب نفسك اي كل نفس حاملة وزرا فانما تحمل وزرها لا وزر نفس اخرى وما كنا معذبين وما صح منا صحة تدعو اليها الحكمة ان نعذب قوما الا بعد ان نبعث اليهم رسولا فتلزمهم الحجة فان قلت الحجة لازمة لهم قبل بعثة الرسول لان معهم ادلة العقل التي بها يعرفون الله وقد اغفلوا النظر وهم متمكنون منه واستيجابهم العذاب لاغفالهم النظر فيما معهم وكفرهم لذلك لا لاغفال الشرائع التي لا سبيل اليها الا بالتوقيف والعمل بها لا يصح الا بعد الايمان قلت بعثة الرسول من جملة التنبيه على النظر والايقاظ من رقدة الغفلة لئلا يقولوا كنا غافلين فلولا بعثت الينا رسولا ينبهنا على النظر في ادلة العقل واذا اردنا واذا دنا وقت اهلاك قوم ولم يبق من زمان امهالهم الا قليل امرنا مترفيها ففسقوا اي امرناهم بالفسق ففعلوا والامر مجاز لان حقيقة امرهم بالفسق ان يقول لهم افسقوا وهذا لا يكون فبقي ان يكون مجازا ووجه المجاز انه صب عليهم النعمة صبا فجعلوها ذريعة الى المعاصي واتباع الشهوات فكانهم مامورون بذلك لتسبب ايلاء النعمة فيه وانما خولهم اياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير ويتمكنوا من الاحسان والبر كما خلقهم اصحاء اقوياء واقدرهم على الخير والشر وطلب منهم ايثار الطاعة على المعصية فاثروا الفسوق فلما فسقوا حق عليهم القول وهو كلمة العذاب فدمرهم فان قلت هلا زعمت ان معناه امرناهم بالطاعة ففسقوا قلت لان حذف ما لا دليل عليه غير جائز فكيف بحذف ما الدليل قائم على نقيضه وذلك ان المامور به انما حذف لان ففسقوا يدل عليه وهو كلام مستفيض يقال امرته فقام وامرته فقرأ لا يفهم منه الا ان المامور به قيام او قراءة ولو ذهبت تقدر غيره فقد رمت من مخاطبك علم الغيب ولا يلزم على هذا قولهم امرته فعصاني او فلم يمتثل امري لان ذلك مناف للامر مناقض له ولا يكون ما يناقض الامر مامورا به فكان محالا ان يقصد اصلا حتى يجعل دالا على المامور به فكان المامور به في هذا الكلام غير مدلول عليه ولا منوي لان من يتكلم بهذا الكلام فانه لا ينوي لامره مامورا به وكانه يقول كان مني امر فلم تكن منه طاعة كما ان من يقول فلان يعطي ويمنع ويامر وينهى غير قاصد الى مفعول فان قلت هلا كان ثبوت العلم بان الله لا يامر بالفحشاء وانما يامر بالقسط والخير دليلا على ان المراد امرناهم بالخير ففسقوا قلت لا يصح ذلك لان قوله ففسقوا يدافعه فكانك اظهرت شيئا وانت تدعي اضمار خلافه فكان صرف الامر الى المجاز هو الوجه ونظير امر شاء في ان مفعوله استفاض فيه الحذف لدلالة ما بعده عليه تقول لو شاء لاحسن اليك ولو شاء لاساء اليك تريد لو شاء الاحسان ولو شاء الاساءة فلو ذهبت تضمر على خلاف ما اظهرت وقلت قد دلت حال من اسندت اليه المشية انه من اهل الاحسان او من اهل الاساءة فاترك

من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن اراد الاخرة
وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا انظر كيف
فضلنا بعضهم على بعض وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا لا تجعل مع الله الها اخر فتقعد مذموما مخذولا

الظاهر المنطوق به واضمر ما دلت عليه حال الصاحب المشية لم تكن على سداد وقد فسر بعضهم امرنا بكثرنا وجعل امرته فامر من باب فعلته ففعل كثبرته فثبر وفي الحديث خير المال سكة مابورة ومهرة مامورة اي كثيرة النتاج وروي ان رجلا من المشركين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني ارى امرك هذا حقيرا فقال عليه السلام انه سيامر اي سيكثر وسيكبر وقرئ آمرنا من امر وامره غيره وامّرنا بمعنى امرنا او من امر امارة وامّره الله اي جعلناهم امراء وسلطناهم كم مفعول اهلكنا ومن القرون بيان لكم وتمييز له كما يميز العدد بالجنس يعني عادا وثمود وقرونا بين ذلك كثيرا ونبه بقوله وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا على ان الذنوب هي اسباب الهلكة لا غير وانه عالم بها فمعاقب عليها من كانت العاجلة همه ولم يرد غيرها كالكفرة واكثر الفسقة تفضلنا عليه من منافعها بما نشاء لمن نريد فقيد الامر بتقييدين احدهما تقييد المعجل بمشيته والثاني تقييد المعجل له بارادته وهكذا الحال ترى كثيرا من هؤلاء يتمنون ما يتمنون ولا يعطون الا بعضا منه وكثيرا منهم يتمنون ذلك البعض وقد حرموه فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الاخرة واما المؤمن التقي فقد اختار مراده وهو غنى الاخرة فما يبالي اوتي حظا من الدنيا او لم يؤت فان اوتي فبها والا فربما كان الفقر خيرا له واعون على مراده وقوله لمن نريد بدل من له وهو بدل البعض من الكل لان الضمير يرجع الى من وهو في معنى الكثرة وقرئ يشاء وقيل الضمير لله سبحانه فلا فرق اذا بين القراءتين في المعنى ويجوز ان يكون للعبد على ان للعبد ما يشاء من الدنيا وان ذلك لواحد من الدهماء يريد به الله ذلك وقيل هو من يريد الدنيا بعمل الاخرة كالمنافق والمرائي والمهاجر للدنيا والمجاهد للغنيمة والذكر كما قال عليه السلام فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه مدحورا مطرودا من رحمة الله سعيها حقها من السعي وكفاءها من الاعمال الصالحة اشترط ثلاث شرائط في كون السعي مشكورا ارادة الاخرة بان يعقد بها همه ويتجافى عن دار الغرور والسعي فيما كلف من الفعل والترك والايمان الصحيح الثابت وعن بعض المتقدمين من لم يكن معه ثلث لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الاية وشكر الله الثواب على الطاعة كلا كل واحد من الفريقين والتنوين عوض من المضاف اليه نمدهم نزيدهم من عطاء بعد عطاء ونجعل الانف منه مددا للسالف لا نقطعه فنرزق المطيع والعاصي جميعا على وجه التفضل وما كان عطاء ربك محظورا ممنوعا لا يمنعه من عاص لعصيانه انظر بعين الاعتبار كيف جعلناهم متفاوتين في التفضل وفي الاخرة التفاوت اكثر لانها ثواب واعواض وتفضل وكلها متفاوتة وروي ان قوما من الاشراف فمن دونهم اجتمعوا على باب عمر رضي الله عنه فخرج الاذن لبلال وصهيب فشق على ابي سفيان فقال سهيل بن عمرو انما اتينا من قبلنا انهم دعوا ودعينا يعني الى الاسلام فاسرعوا وابطانا وهذا باب عمر فكيف التفاوت في الاخرة ولئن حسدتموهم على باب عمر لما اعد الله لهم في الجنة اكثر وقرئ واكثر تفضيلا وعن بعضهم ايها المباهي بالرفع منك في مجالس الدنيا اما ترغب في المباهاة بالرفع في مجالس الاخرة وهي اكبر وافضل فتقعد من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة بمعنى صارت يعني فتصير جامعا على نفسك اللوم وما يتبعه من الهلاك من الهك والخذلان والعجز عن النصرة ممن جعلته شريكا له وقضى ربك امر امرا

وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل
لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا

مقطوعا به أن لا تعبدوا أن مفسرة ولا تعبدوا نهي أو بأن لا تعبدوا وبالوالدين إحسانا أو بأن تحسنوا بالوالدين
إحسانا وقرئ وأوصى وعن ابن عباس رضي الله عنه ووصى وعن بعضهم ولد معاذ بن جبل رضي الله عنه وقضاء ربك ولا
يجوز أن تتعلق الباء في بالوالدين بالإحسان لأن المصدر لا يتقدم عليه صلته إما هي إن الشرطية زيدت عليها ما
تأكيدا لها ولذلك دخلت النون المؤكدة في الفعل ولو أفردت إن لم يصح دخولها لا تقول إن تكرمن زيدا يكرمك ولكن
إما تكرمنه أحدهما فاعل يبلغن وهو فيمن قرأ يبلغان بدل من الألف الضمير الراجع إلى الوالدين وكلاهما عطف
على أحدهما فاعلا وبدلا فإن قلت لو قيل إما يبلغان كلاهما كان كلاهما توكيدا لا بدلا فما لك زعمت أنه بدل قلت لأنه
معطوف على ما لا يصح أن يكون توكيدا للاثنين فانتظم في حكمه فوجب أن يكون مثله فإن قلت ما ضرك لو جعلته توكيدا
مع كون المعطوف عليه بدلا وعطفت التوكيد على البدل قلت لو أريد توكيد التثنية لقيل كلاهما فحسب فلما
قيل أحدهما أو كلاهما علم أن التوكيد غير مراد فكان بدلا مثل الأول أف صوت يدل على تضجر وقرئ أف
بالحركات الثلاث منونا وغير منون الكسر على أصل البناء والفتح تخفيف للضمة والتشديد كثم والضم
إتباع كمنذ فإن قلت ما معنى عندك قلت هو أن يكبرا ويعجزا وكانا كلا على ولدهما لا كافل لهما غيره
فهما عنده في بيته وكنفه وذلك أشق عليه وأشد احتمالا وصبرا وربما تولى منهما ما كانا يتوليان منه
حال الطفولة فهو مأمور بأن يستعمل معهما وطاءة الخلق ولين الجانب والاحتمال حتى لا يقول لهما
إذا أضجره ما يستقذر منهما أو يستثقل من مؤنتهما أف فضلا عما يزيد عليه ولقد بالغ سبحانه في التوصية
بهما حيث افتتحها بأن شفع الإحسان إليهما بتوحيده ونظمهما في سلك القضاء بهما معا ثم ضيق
الأمر في مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر ومقتضياته ومع
أحوال لا يكاد يدخل صبر الإنسان معها في الاستطاعة ولا تنهرهما ولا تزجرهما عما يتعاطيانه
مما لا يعجبك والنهي والنهر والنهم أخوات وقل لهما بدل التأفيف والنهر قولا كريما جميلا كما يقتضيه
حسن الأدب والنزول على المروءة وقيل هو أن تقول يا أبتاه يا أماه كما قال إبراهيم عليه السلام لأبيه يا أبت مع كفره
ولا يدعوهما بأسمائهما فإنه من الجفاء وسوء الأدب وعادة الدعار قالوا ولا بأس به في غير وجههما
كما قالت عائشة رضي الله عنها نحلني أبو بكر كذا وقرئ جناح الذل والذل بالضم والكسر فإن قلت ما معنى
قوله جناح الذل قلت فيه وجهان أحدهما أن يكون المعنى واخفض لهما جناحك كما قال واخفض جناحك
للمؤمنين فأضافه إلى الذل أو الذل كما أضيف حاتم إلى الجود على معنى واخفض لهما جناحك الذليل
والذلول والثاني أن تجعل لذله أو لذله لهما جناحا خفيضا كما جعل لبيد للشمال يدا وللقرة زماما
مبالغة في التذلل والتواضع لهما من الرحمة من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما
اليوم إلى من كان أفقر خلق الله إليهما بالأمس ولا تكتف برحمتك عليهما التي لا بقاء لها وادع الله بأن يرحمهما
رحمته الباقية واجعل ذلك جزاء لرحمتهما عليك في صغرك وتربيتهما لك فإن قلت الاسترحام لهما
إنما يصح إذا كانا مسلمين قلت وإذا كانا كافرين فله أن يسترحم لهما بشرط الإيمان وأن يدعو الله لهما
بالهداية والإرشاد ومن الناس من قال كان الدعاء للكفار جائزا ثم نسخ وسئل ابن عيينة عن الصدقة عن الميت

ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا وآت ذا القربى حقه

فقال كل ذلك واصل الله ولا شيء أنفع له من الاستغفار ولو كان شيء أفضل منه لأمركم به في الأبوين ولقد
كرر الله سبحانه في كتابه الوصية بالوالدين وعن النبي عليه السلام رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما
وروي يفعل البار ما شاء أن يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ما شاء أن يفعل فلن يدخل الجنة
وروى سعيد بن المسيب أن البار لا يموت ميتة سوء وقال رجل لرسول الله عليه السلام إن أبوي بلغا من الكبر
أني ألي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما قال لا فإنهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان
بقاءك وأنت تفعل ذلك وأنت تريد موتهما وشكا رجل إلى رسول الله أباه وأنه يأخذ ماله فدعا به فإذا
شيخ يتوكأ على عصا فسأله فقال إنه كان ضعيفا وأنا قوي وفقيرا وأنا غني فكنت لا أمنعه شيئا من مالي
واليوم أنا ضعيف وهو قوي وأنا فقير وهو غني ويبخل علي بماله فبكى عليه السلام وقال ما من حجر ولا مدر
يسمع هذا إلا بكى ثم قال للولد أنت ومالك لأبيك أنت ومالك لأبيك وشكا إليه آخر سوء خلق أمه فقال لم تكن
سيئة الخلق حين حملتك تسعة أشهر قال إنها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين أرضعتك حولين قال إنها
سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين أسهرت لك ليلها وأظمأت نهارها قال لقد جازيتها قال ما فعلت قال حججت بها
على عاتقي قال ما جزيتها ولو طلقة وعن ابن عمر رضي الله عنه رأى رجلا في الطواف يحمل أمه ويقول إني لها مطية
لا تذعر إذا الركاب نفرت لا تنفر ما حملت وأرضعتني أكثر الله ربي ذو الجلال الأكبر تظنني جزيتها
يا ابن عمر قال لا ولو زفرة واحدة وعنه عليه السلام إياكم وعقوق الوالدين فإن الجنة توجد ريحها من مسيرة ألف عام
ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار إزاره خيلاء إن الكبرياء لله رب العالمين وقال
الفقهاء لا يذهب بأبيه إلى البيعة وإذا بعث إليه منها ليحمله فعل ولا يناوله الخمر ويأخذ الإناء منه إذا شربها
وعن أبي يوسف رحمه الله إذا أمره أن يوقد تحت قدره وفيها لحم الخنزير أوقد وعن حذيفة رضي الله عنه أنه
استأذن رسول الله في قتل أبيه وهو في صف المشركين فقال دعه يليه غيرك وسئل الفضيل بن عياض عن بر
الوالدين فقال أن لا تقوم إلى خدمتهما عن كسل وسئل بعضهم فقال أن لا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر
شزرا إليهما ولا يريا منك مخالفة في ظاهر ولا باطن وأن تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما إذا ماتا
وتقوم بخدمة أوداء ما من بعدهما فعن النبي عليه السلام إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بما
في نفوسكم بما في ضمائركم من قصد البر إلى الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير إن تكونوا صالحين قاصدين الصلاح
والبر ثم فرطت منكم في حال الغضب وعند حرج الصدر وما لا يخلو منه البشر أو لحمية الإسلام هنة تؤدي إلى
أذاهما ثم أنبتم إلى الله واستغفرتم منها فإن الله غفور للأوابين للتوابين وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه
هي البادرة تكون من الرجل إلى أبيه لا يريد بذلك إلا الخير وعن سعيد بن المسيب رضي الله عنه الأواب الرجل كلما أذنب
بادر بالتوبة ويجوز أن يكون هذا عاما لكل من فرطت منه جناية ثم تاب منها ويندرج تحته الجاني على أبويه
التائب من جنايته لوروده على أثره وآت ذا القربى حقه وصى بغير الوالدين من الأقارب بعد التوصية بهما وأن
يؤتوا حقهم وحقهم إذا كانوا محارم كالأبوين والولد وفقراء عاجزين عن الكسب وكان الرجل موسرا
أن ينفق عليهم عند أبي حنيفة والشافعي لا يرى النفقة إلا على الولد والوالدين فحسب وإن كانوا مياسير أو لم يكونوا

والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا

محارم كابناء العم فحقهم صلتهم بالمودة والزيارة وحسن المعاشرة والموالفة على السراء والضراء والمعاضدة ونحو ذلك والمسكين وابن السبيل يعني وآت هولاء حقهم من الزكوة وهذا دليل على ان المراد بما يوتى ذوي القرابة من الحق هو تعهدهم بالمال وقيل اراد بذي القربى اقرباء رسول الله عليه السلام التبذير تفريق المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف وكانت الجاهلية تنحر ابلها وتتياسر عليها وتبذر اموالها في الفخر والسمعة وتذكر ذلك في اشعارها فامر الله بالنفقة في وجوهها مما يقرب منه ويزلف وعن عبد الله رضي الله عنه هو انفاق المال في غير حقه وعن مجاهد رضي الله عنه لو انفق مدا في باطل كان تبذيرا وقد انفق بعضهم نفقة في خير فاكثر فقال له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه مر رسول الله عليه السلام بسعد وهو يتوضا فقال ما هذا السرف يا سعد قال افي الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار اخوان الشياطين امثالهم في الشرارة وهي غاية المذمة لانه لا شر من الشياطين او هم اخوانهم واصدقاوهم لانهم يطيعونهم فيما يامرونهم به من الاسراف او هم قرناوهم في النار على سبيل الوعيد وكان الشيطان لربه كفورا فما ينبغي ان يطاع فانه لا يدعو الا الى مثل فعله وقرا الحسن رضي الله عنه اخوان الشيطان وان اعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد فقل لهم قولا ميسورا ولا تتركهم غير مجابين اذا سالوك وكان النبي عليه السلام اذا سئل شيئا وليس عنده اعرض عن السائل وسكت حياء وقوله ابتغاء رحمة من ربك اما ان يتعلق بجواب الشرط مقدما عليه اي فقل لهم قولا سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا رحمة لهم وتطييبا لقلوبهم ابتغاء رحمة من ربك اي ابتغ رحمة الله التي ترجوها برحمتك عليهم واما ان يتعلق بالشرط اي وان اعرضت عنهم لفقد رزق من ربك ترجوا ان يفتح لك فسمي الرزق رحمة فردهم ردا جميلا فوضع الابتغاء موضع الفقد لان فاقد الرزق مبتغ له فكان الفقد سبب الابتغاء والابتغاء مسببا عنه فوضع المسبب موضع السبب ويجوز ان يكون معنى واما تعرضن عنهم وان لم تنفعهم ولم ترفع خصاصتهم لعدم الاستطاعة ولا يريد الاعراض بالوجه كناية بالاعراض عن ذلك لان من ابى ان يعطي اعرض بوجهه يقال يسر الامر وعسر مثل سعد الرجل ونحس فهو مفعول وقيل معناه فقل لهم رزقنا الله واياكم من فضله على انه دعاء لهم ييسر عليهم فقرهم كان معناه قولا ذا ميسور وهو اليسر اي دعاء فيه يسر هذا تمثيل لمنع الشحيح واعطاء المسرف امر بالاقتصاد الذي هو بين الاسراف والتقتير فتقعد ملوما فتصير ملوما عند الله لان المسرف غير مرضي عنده وعند الناس يقول المحتاج اعطى فلانا وحرمني ويقول المستغني ما يحسن تدبير امر المعيشة وعند نفسك اذا احتجت فندمت على ما فعلت محسورا منقطعا بك لا شيء عندك من حسره السفر اذا بلغ منه وحسره بالمسلة وعن جابر رضي الله عنه بينا رسول الله عليه السلام اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك درعا فقال من ساعة الى ساعة يظهر فعد الينا فذهب الى امه فقالت له قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا فلم يخرج للصلوة وقيل اعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وعيينة بن حصن كذلك فجاء عباس بن مرداس وانشا يقول اتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والاقرع وما كان حصن ولا حابس يفوقان جدي في مجمع وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع

ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطا كبيرا ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل انه كان منصورا ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده واوفوا بالعهد ان العهد كان مسولا واوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير واحسن تاويلا ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفواد كل اولئك كان عنه مسولا

فقال لابي بكر اقطع لسانه عني فاعطه مائة من الابل فنزلت ثم سلى رسول الله عليه السلام عما كان يرهقه من الاضاقة بان ذلك ليس لهوان منك عليه ولا لبخل به عليك ولكن لان مشيته في بسط الارزاق وقدرها تابعة للحكمة والمصلحة ويجوز ان يريد ان البسط والقبض انما هما من امر الله الذي الخزائن بيده فاما العبيد فعليهم ان يقتصدوا ويحتمل انه عز وعلا يبسط للعباد او يقبض فانه يراعي وسط الحالين لا يبلغ بالمبسوط له غاية مراده ولا بالمقبوض عليه اقصى مكروهه فاستنوا بسنته قتلهم اولادهم هو وادهم بناتهم كانوا يئدونهن خشية الفاقة وهي الاملاق فنهاهم الله وضمن لهم ارزاقهم وقرئ خشية بكسر الخاء وقرئ خطا وهو الاثم يقال خطئ خطا كاثم اثما وهو ضد الصواب اسم من اخطا وقيل هو والخطا كالحذر والحذر وخطا بالكسر والمتخطا خطاء بالفتح والمد وخطا بالفتح والسكون وعن الحسن رضي الله عنه خطا بالفتح وحذف الهمزة كالخب وعن ابي رجاء بكسر الخاء غير مهموز فاحشة قبيحة زائدة على حد القبح وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه وهو ان تغصب على غيرك امراته او اخته او بنته من غير سبب والسبب ممكن وهو الصهر الذي شرعه الله الا بالحق الا باحدى ثلاث الا ان تكفر او تقتل مومنا عمدا او تزني بعد احصان مظلوما غير راكب واحدة منهن لوليه للذي بينه وبينه قرابة توجب المطالبة بدمه فان لم يكن له ولي فالسلطان وليه سلطانا تسلطا على القاتل في الاقتصاص منه او حجة يثبت بها عليه فلا يسرف الضمير للولي اي فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة الجاهلية كان اذا قتل منهم واحد قتلوا به جماعة حتى قال مهلهل حين قتل بجير بن الحارث بن عباد بؤ بشسع نعل كليب وقال كل قتيل في كليب غرة حتى ينال القتل آل مرة وكانوا يقتلون غير القاتل اذا لم يكن بواء وقيل الاسراف المثلة وقرا ابو مسلم صاحب الدولة فلا يسرف بالرفع على انه خبر في معنى الامر وفيه مبالغة ليست في الامر وعن مجاهد رضي الله عنه ان الضمير للقاتل الاول وقرئ فلا تسرف على خطاب الولي او قاتل المظلوم وفي قراءة ابي رضي الله عنه فلا تسرفوا رده على ولا تقتلوا انه كان منصورا الضمير اما للولي يعني حسبه ان الله قد نصره بان اوجب له القصاص فلا يستزد على ذلك وبان الله قد نصره بمعونة السلطان وباظهار المومنين على استيفاء الحق فلا يبغ ما وراء حقه واما للمظلوم لان الله ناصره حيث اوجب القصاص بقتله وينصره في الآخرة بالثواب واما للذي يقتله الولي بغير حق ويسرف في قتله فانه منصور بايجاب القصاص على المسرف بالتي هي احسن بالخصلة او الطريقة التي هي احسن وهي حفظه عليه وتثميره ان العهد كان مسولا اي مطلوبا يطلب من العاهد ان لا يضيعه ويفي به ويجوز ان يكون تخييلا كانه يقال للعهد لم نكثت وهلا وفي بك تبكيتا للناكث كما يقال للموودة باي ذنب قتلت ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسولا وقرئ بالقسطاس بالضم والكسر وهو القرسطون وقيل كل ميزان صغيرا او كبيرا من موازين الدراهم وغيرها واحسن تاويلا واحسن عاقبة وهو تفعيل من آل اذا رجع وهو ما يوول اليه ولا تقف ولا تتبع وقرئ ولا تقف يقال قفا اثره وقافه ومنه القافة يعني ولا تكن في اتباعك ما لا علم لك به من قول او فعل كمن يتبع مسلكا لا يدري انه يوصله الى مقصده فهو ضال والمراد النهي عن ان يقول الرجل ما لا يعلم ويدخل فيه النهي عن التقليد دخولا ظاهرا لانه اتباع

ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمه ولا تجعل مع الله الها اخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا افاصفكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكه اناثا انكم لتقولون قولا عظيما ولقد صرفنا

لما لا يعلم صحته من فساده وعن ابن الحنفية يعني شهادة الزور وعن الحسن رحمه الله لا تقف اخاك المسلم اذا مر بك فتقول هذا يفعل كذا ورايته يفعل وسمعته ولم تر ولم تسمع وقيل القفو شبيه بالعضيهة ومنه الحديث من قفا مومنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى ياتي بالمخرج وانشد ومثل الدمى شم العرانين ساكن بهن الحيا لا يشعن التقافيا اي التقاذف وقال الكميت ولا ارمي البرئ بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان قفينا وقد استدل به مبطل الاجتهاد ولم يصح لان ذلك نوع من العلم فقد اقام الشرع غالب الظن مقام العلم وامر بالعمل به اولئك اشارة الى السمع والبصر والفواد كقوله والعيش بعد اولئك الايام وعنه في موضع الرفع بالفاعلية اي كل واحد منها كان مسئولا عنه فمسئول مسند الى الجار والمجرور كالمغضوب في قوله غير المغضوب عليهم يقال للانسان لم سمعت ما لم يحل لك سمعه ولم نظرت الى ما لم يحل لك النظر ولم عزمت على ما لم يحل لك العزم عليه وقرئ والفواد بفتح الفاء والواو قلبت الهمزة واوا بعد الضمة في الفواد ثم استصحب القلب مع الفتح مرحا حال اي ذا مرح وقرئ مرحا وفضل الاخفش المصدر على اسم الفاعل لما فيه من التاكيد لن تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطاتك وقرئ لن تخرق بضم الراء ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال سيئه وسيئة على اضافة سيء الى ضمير كل وسيئا في بعض المصاحف وسيئات وفيه قراءة ابي بكر رضي الله عنه كان شانه فان قلت كيف قيل سيئه مع قوله مكروها قلت السيئة في حكم الاسماء بمنزلة الذنب والاثم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتانيثه ولا فرق بين من قرا سيئة ومن قرا سيئا الا ترى انك تقول الزنى سيئة كما تقول السرقة سيئة فلا تفرق بين اسنادها الى مذكر ومونث فان قلت فما ذكر من الخصال بعضها سيء وبعضها حسن ولذلك قرا من قرا سيئه بالاضافة فما وجه من قرا سيئة قلت كل ذلك احاطة بما نهي عنه خاصة لا بجميع الخصال المعدودة ذلك اشارة الى ما تقدم من قوله لا تجعل مع الله الها اخر الى هذه الغاية وسماه حكمة لانه كلام محكم لا مدخل فيه للفساد بوجه وعن ابن عباس رضي الله عنه هذه الثماني عشرة اية كانت في الواح موسى عليه السلام اولها لا تجعل مع الله الها اخر قال الله تعالى وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وهي عشر ايات في التوراة ولقد جعل الله عز وجل فاتحتها وخاتمتها النهي عن الشرك لان التوحيد هو راس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم تنفعه حكمه وعلومه وان بذ فيها الحكماء وحك بيافوخه السماء وما اغنت عن الفلاسفة اسفار الحكم وهم عن دين الله اضل من النعم افاصفكم خطاب للذين قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للانكار يعني افخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفا بافضل الاولاد وهم البنون لم يجعل فيهم نصيبا لنفسه واتخذ ادونهم وهي البنات وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم وعادتكم فان العبيد لا يوثرون باجود الاشيا واصفاها من الشوب ويكون اردؤها وادونها للسادات انكم لتقولون قولا عظيما باضافتكم الى الله الاولاد وهي خاصة بالاجسام ثم بانكم تفضلون عليه انفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بان تجعلوا الملائكة وهم اعلى خلق الله واشرفهم ادون خلق الله وهم الاناث ولقد صرفنا في هذا القرآن يجوز ان يريد بهذا القرآن ابطال اضافتهم الى الله البنات لانه مما صرفه وكرر ذكره

في هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم الا نفورا قل لو كان معه الهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا واذا قرات القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يومنون بالاخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا

والمعنى لقد صرفنا القول في هذا المعنى او اوقعنا التصريف فيه وجعلناه مكانا للتكرير ويجوز ان يشير بهذا القرآن الى التنزيل ويريد ولقد صرفناه يعني هذا المعنى في مواضع من التنزيل فترك الضمير لانه معلوم وقرئ صرفنا بالتخفيف وكذلك ليذكروا قرئ مشددا ومخففا اي كررناه ليتعظوا ويعتبروا ويطمئنوا الى ما يحتج به عليهم فما يزيدهم الا نفورا عن الحق وقلة طمانينة اليه وعن سفيان رحمه الله كان اذا قراها قال زادني لك خضوعا ما زاد اعداءك نفورا وقرئ كما تقولون بالتاء والياء واذا دالة على ان ما بعدها وهو لابتغوا جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو ومعنى لابتغوا الى ذي العرش سبيلا لطلبوا الى من له الملك والربوبية سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض كقوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقيل لتقربوا اليه كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة علوا في معنى تعاليا والمراد البراءة من ذلك والنزاهة ومعنى وصف العلو بالكبر المبالغة في معنى البراءة والبعد مما وصفوه به المراد انها تسبح له بلسان الحال حيث تدل على الصانع وعلى قدرته وحكمته فكانها تنطق بذلك وكانها تنزه الله مما لا يجوز عليه من الشركاء وغيرها فان قلت فما تصنع بقوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم وهذا التسبيح مفهوم معلوم قلت الخطاب للمشركين وهم وان كانوا اذا سيلوا عن خالق السموات والارض قالوا الله الا انهم لما جعلوا معه الهة مع اقرارهم فكانهم لم ينظروا ولم يقروا لان نتيجة النظر الصحيح والاقرار الثابت خلاف ما كانوا عليه فاذن لم يفقهوا التسبيح ولم يستوضحوا الدلالة على الخالق فان قلت من فيهن يسبحون على الحقيقة وهم الملائكة والثقلان وقد عطفوا على السموات والارض فما وجهه قلت التسبيح المجازي حاصل في الجميع فوجب الحمل عليه والا كانت الكلمة الواحدة في حالة واحدة محمولة على الحقيقة والمجاز انه كان حليما غفورا حين لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وسوء نظركم وجهلكم بالتسبيح وشرككم حجابا مستورا ذا ستر كقولهم سيل مفعم ذو افعام وقيل هو حجاب لا يرى فهو مستور ويجوز ان يراد انه حجاب من دونه حجاب او حجب فهو مستور بغيره او حجاب يستر ان يبصر فكيف يبصر المحتجب به وهذه حكاية لما كانوا يقولونه وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب كانه قال واذا قرات القرآن جعلنا على زعمهم ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه او لان قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة فيه معنى المنع من الفقه فكانه قيل ومنعناهم ان يفقهوه يقال وحد يحد وحدا وحدة نحو وعد يعد وعدا وعدة ووحده من باب رجع عوده على بدئه وافعله جهدك وطاقتك في انه مصدر ساد مسد الحال اصله يحد وحده بمعنى واحدا وحده والنفور مصدر بمعنى التولية او جمع نافر كقاعد وقعود اي يحبون ان تذكر معه الهتهم لانهم مشركون فاذا سمعوا بالتوحيد نفروا بما يستمعون به من الهزء بك وباللغو كان يقوم عن يمينه اذا قرا رجلان من عبد الدار ورجلان منهم عن يساره فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار وبه في موضع الحال كما تقول يستمعون بالهزء اي هازئين واذ نصب بما يستمعون به اي اعلم وقت استماعهم بما به يستمعون واذ هم نجوى وبما يتناجون به اذ هم ذوو نجوى اذ يقول بدل من اذ هم مسحورا سحر فجن وقيل هو من السحر

انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا وقالوا ءاذا كنا عظاما ورفاتا ءانا لمبعوثون خلقا جديدا قل كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة فسينغضون اليك رءوسهم ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلا وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن ان الشيطان ينزغ بينهم ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم او ان يشا يعذبكم وما ارسلناك عليهم وكيلا وربك اعلم بمن في السموات والارض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا

ومو الرية اي بو بشر مثلكم ضربوا لك الامثال مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون فضلوا في جميع
ذلك ضلال من يطلب في التيه طريقا يسلكه فلا يقدر عليه فهو متحير في امره لا يدري ما يصنع
لما قالوا ءاذا كنا عظاما ما قيل لهم كونوا حجارة او حديدا ولا تكونوا فرد قوله كونوا على قولهم كنا
كانهم قيل كونوا حجارة او حديدا ولا تكونوا عظاما فانه يقدر على احيائكم والمعنى انكم تستبعدون ان يجدد
الله خلقكم ويرده الى حال الحيوة والى رطوبة الحي وغضاضته بعد ما كنتم عظاما يابسة مع ان العظام بعض
اجزاء الحي بل هي عمود خلقه الذي يبنى عليه سائره فليس ببدع ان يردها الله بقدرته الى حالتها الاولى
ولكن لو كنتم ابعد شيء من الحيوة ورطوبة الحي ومن جنس ما ركب منه البشر وهو ان تكونوا حجارة يابسة او
حديدا مع ان طباعها الجساوة والصلابة لكان قادرا على ان يردكم الى حال الحيوة او خلقا مما يكبر في صدوركم
يعني او خلقا مما يكبر عندكم عن قبول الحيوة ويعظم في زعمكم على الخالق احياؤه فانه يحييه وقيل ما يكبر في صدورهم
الموت وقيل السموات والارض فسينغضون فسيحركون نحوك تعجبا واستهزاء والدعاء والاستجابة كلاهما
مجاز والمعنى يوم يبعثكم فتنبعثون مطاوعين منقادين لا تمتنعون وقوله بحمده حال منهم اي حامدين
وهي مبالغة في انقيادهم للبعث كقولك لمن تامره بركوب ما يشق عليه فيتابى ويمتنع ستركبه وانت
حامد شاكر تعني انك تحمل عليه وتقسر قسرا حتى انك تلين لين المسمح الراغب فيه الحامد عليه وعن سعيد
جبير ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك وتظنون وترون الهول فعنده تستقصرون
مدة لبثكم في الدنيا وتحسبونها يوما او بعض يوم وعن قتادة رضي الله عنه تحاقرت الدنيا في انفسهم حين
عاينوا الاخرة وقل لعبادي وقل للمؤمنين يقولوا للمشركين الكلمة التي هي احسن ولا يخاشنوهم
كقوله وجادلهم بالتي هي احسن وفسر التي هي احسن بقوله ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم او ان يشا يعذبكم
يعني يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم انكم من اهل النار وانكم معذبون وما اشبه ذلك مما
يغيظهم ويهيجهم على الشر وقوله ان الشيطان ينزغ بينهم اعتراض يعني يلقي بينهم الفساد
ويغري بعضهم على بعض ليقع بينهم المشارة والمشاقة وما ارسلناك عليهم وكيلا اي ربا موكولا اليك
امرهم تقسرهم على الاسلام وتجبرهم عليه وانما ارسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك
بالمداراة والاحتمال وترك المحاقة والمكاشفة وذلك قبل نزول اية السيف وقيل نزلت في عمر رضي
الله عنه شتمه رجل فامره الله تعالى بالعفو وقيل افرط ايذاء المشركين للمسلمين فشكوا الى رسول
الله فنزلت وقيل الكلمة التي هي احسن ان يقولوا يهديكم الله يرحمكم الله وقرا طلحة ينزغ
بالكسر وهما لغتان نحو يعرشون ويعرشون هو رد على اهل مكة في انكارهم واستبعادهم ان يكون
يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه كصهيب وبلال وخباب وغيرهم دون ان يكون ذلك
في بعض اكابرهم وصناديدهم يعني وربك اعلم بمن في السموات والارض وباحوالهم ومقاديرهم وبما يستاهل
كل واحد منهم وقوله ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض اشارة الى تفضيل رسول الله عليه السلام وقوله وآتينا داود
زبورا دلالة على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبياء وان امته خير الامم لان ذلك مكتوب في زبور داود وقال الله سبحانه

قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة او معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالايات الا تخويفا واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن

ولقد كتبنا في الزبور الاية وهم محمد وامته فان قلت هلا عرف الزبور كما عرف في قوله ولقد كتبنا في الزبور قلت
يجوز ان يكون الزبور وزبور كالعباس وعباس والفضل وفضل وان يريد وآتينا داود بعض الزبر وهي الكتب
وان يريد ما ذكر فيه رسول الله عليه السلام من الزبور فسمى ذلك زبورا لانه بعض الزبور كما سمي بعض القرآن قرآنا ادعوا هم
الملائكة وقيل عيسى بن مريم وعزير وقيل نفر من الجن عبدهم ناس من العرب ثم اسلم الجن ولم يشعروا
اي ادعوهم فلا يستطيعون ان يكشفوا عنكم الضر من مرض او فقر او عذاب ولا ان يحولوه من واحد الى
آخر او يبدلوه اولئك مبتدا والذين يدعون صفته ويبتغون خبره يعني ان الهتهم اولئك يبتغون
الوسيلة وهي القربة الى الله ايهم بدل من واو يبتغون واي موصولة اي يبتغي من هو اقرب منهم وازلف
الوسيلة الى الله فكيف بغير الاقرب او ضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون فكانه قيل يحرصون ايهم
يكون اقرب الى الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير والصلاح ويرجون ويخافون كما غيرهم من عباد
الله فكيف يزعمون انهم الهة ان عذاب ربك كان حقيقا بان يحذره كل احد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا
عن غيرهم نحن مهلكوها بالموت والاستئصال او معذبوها بالقتل وانواع العذاب وقيل الهلاك للصالحة
والعذاب للطالحة وعن مقاتل رضي الله عنه وجدت في كتب الضحاك بن مزاحم في تفسيرها اما مكة فيخربها الحبشة
وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف واما خراسان
فعذابها ضروب ثم ذكرها بلدا بلدا في الكتاب في اللوح المحفوظ استعير المنع لترك ارسال الايات من اجل صارف
الحكمة ان الاولى منصوبة والثانية مرفوعة تقديره وما منعنا ارسال الايات الا تكذيب الاولين والمراد الايات
التي اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهبا ومن احياء الموتى وغير ذلك وعادة الله في الامم ان من اقترح منهم
اية فاجيب اليها ثم لم يؤمن ان يعاجل بعذاب الاستئصال فالمعنى وما صرفنا عن ارسال ما يقترحونه من الايات
الا ان كذب بها الذين هم امثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك وقالوا
هذا سحر مبين كما يقولون في غيرها واستوجبوا العذاب المستاصل وقد عزمنا ان نؤخر امر من بعثت اليهم
الى يوم القيمة ثم ذكر من تلك الايات التي اقترحها الاولون ثم كذبوا بها لما ارسلت فاهلكوا واحدة وهي
ناقة صالح لان اثار هلاكهم في بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم مبصرة بينة وقرئ مبصرة
بفتح الميم فظلموا بها فكفروا بها وما نرسل بالايات ان اراد بها الايات المقترحة فالمعنى لا نرسلها الا تخويفا
من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة له فان لم يخافوا وقع عليهم وان اراد غيرها فالمعنى وما
نرسل ما نرسل من الايات كايات القرآن وغيرها الا تخويفا وانذارا بعذاب الاخرة واذ قلنا لك ان ربك احاط
بالناس واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بقريش يعني بشرناك بوقعة بدر وبالنصرة عليهم وذلك قوله سيهزم الجمع
ويولون الدبر قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون وغير ذلك فجعله كان قد كان ووجد فقال احاط بالناس على عادته
في اخباره وحين تزاحف الفريقان يوم بدر ورسول الله عليه السلام في العريش مع ابي بكر رضي الله عنه كان يدعو
ويقول اللهم اني اسالك عهدك ووعدك ثم خرج وعليه الدرع يحرض الناس ويقول سيهزم الجمع
ويولون الدبر ولعل الله تعالى اراه مصارعهم في منامه فقد كان يقول حين ورد ماء بدر والله لكاني

ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس قال ءاسجد لمن خلقت طينا قال ارايتك هذا الذي كرمت علي لئن اخرتن الى يوم القيمة لاحتنكن ذريته الا قليلا قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم

انظروا الى مصارع القوم وهو يومي الى الارض ويقول هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فتسامعت قريش بما اوحي الى رسول الله من امر بدر وبما اري في منامه من مصارعهم فكانوا يضحكون ويستسخرون ويستعجلون به استهزاء وحين سمعوا بقوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم جعلوها سخرية وقالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر وما قدروا الله حق قدره من قال ذلك وما انكروا ان يجعل الله الشجرة من جنس لا تاكله النار فهذا وبر السمندل وهو دويبة ببلاد الترك تتخذ منه مناديل اذا اتسخت طرحت في النار فذهب الوسخ وبقي المنديل سالما لا تعمل فيه النار وترى النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد الحمر كالجمر باحماء النار فلا تضرها ثم اقرب من ذلك انه خلق في كل شجرة نارا فلا تحرقها فما انكروا ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها والمعنى ان الايات انما يرسل بها تخويفا للعباد وهؤلاء قد خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر فما كان ما اريناك منه في منامك بعد الوحي اليك الا فتنة لهم حيث اتخذوه سخريا وخوفوا بعذاب الاخرة وبشجرة الزقوم فما اثر فيهم ثم قال ونخوفهم اي نخوفهم بمخاوف الدنيا والاخرة فما يزيدهم التخويف الا طغيانا كبيرا فكيف يخاف قوم هذه حالهم بارسال ما يقترحون من الايات وقيل الرؤيا هي الاسراء وبه تعلق من يقول كان الاسراء في المنام ومن قال كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية وقيل انما سماها رؤيا على قول المكذبين حيث قالوا له لعلها رؤيا رايتها وخيال خيل اليك استبعادا منهم كما سمى اشياء باساميها عند الكفرة نحو قوله فراغ الى الهتهم اين شركاي ذق انك انت العزيز الكريم وقيل هي رؤياه انه سيدخل مكة وقيل راى في المنام ان ولد الحكم يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكرة فان قلت اين لعنت شجرة الزقوم في القران قلت لعنت حيث لعن طاعموها من الكفرة والظلمة لان الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن على الحقيقة وانما وصفت بلعن اصحابها على المجاز وقيل وصفها الله باللعن لان اللعن الابعاد من الرحمة وهي في اصل الجحيم ابعد مكان من الرحمة وقيل تقول العرب لكل طعام مكروه ضار ملعون وسالت بعضهم فقال نعم الطعام الملعون القشب الممحوق وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي الكشوث الذي يلتوي بالشجر يجعل في الشراب وقيل هي الشيطان وقيل ابو جهل وقيل الحكم وقرئ والشجرة الملعونة بالرفع على انها مبتدا محذوف الخبر كانه قيل والشجرة الملعونة في القران كذلك طينا حال اما من الموصول والعامل فيه اسجد على اسجد له وهو طين اي اصله طين او من الراجع اليه من الصلة على اسجد لمن كان في وقت خلقه طينا ارايتك الكاف للخطاب وهذا مفعول به والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي اي فضلته لم كرمته علي وانا خير منه فاختصر الكلام بحذف ذلك ثم ابتدا فقال لئن اخرتن واللام موطية للقسم المحذوف لاحتنكن ذريته لاستاصلنهم بالاغواء من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا وهو من الحنك ومنه ما ذكر سيبويه من قولهم احنك الشاتين اي اكلهما فان قلت من اين علم ذلك حتى قاله وهو من الغيب قلت اما ان سمعه من الملائكة صلوات الله عليهم وقد اخبرهم الله به او خرجه من قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها او نظر اليه فتوسم في مخايله انه خلق شهواني وقيل قال ذلك لما عملت وسوسته في ادم عليه السلام والظاهر انه قال ذلك قبل اكل ادم من الشجرة اذهب ليس من الذهاب الذي هو نقيض المجي وانما

نظر

جزاء موفورا واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله انه كان بكم رحيما واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا افامنتم ان يخسف بكم جانب البر

معناه امض لشانك الذي اخترته خذلانا وتخلية وعقبه بذكر ما جره سوء اختياره في قوله فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم كما قال موسى عليه السلام للسامري فاذهب فان لك في الحيوة ان تقول لا مساس فان قلت اما كان من حق الضمير في الجزاء ان يكون على لفظ الغيبة ليرجع الى من تبعك قلت بلى ولكن التقدير فان جهنم جزاؤهم وجزاؤك ثم غلب المخاطب على الغايب فقيل جزاؤكم ويجوز ان يكون للتابعين على طريق الالتفات وانتصب جزاء موفورا بما في جهنم جزاؤكم من معنى تجازون او باضمار تجازون او على الحال لان الجزاء موصوف بالموفور والموفور الموفر يقال فر لصاحبك عرضه فرة استفزز استخفه والفز الخفيف واجلب من الجلبة وهي الصياح والخيل الخيالة ومنه قول رسول الله عليه السلام يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل ونظيره الركب والصحب وقرئ ورجلك على ان فعلا بمعنى فاعل نحو تعب وتاعب ومعناه وجمعك الرجل وتضم جيمه ايضا فيكون مثل حدث وحدث وندس وندس واخوات لهما يقال رجل رجل وقرئ ورجالك ورجالك فان قلت ما معنى استفزاز ابليس بصوته واجلابه بخيله ورجله قلت هو كلام ورد مورد التمثيل مثلت حاله في تسلطه على من يغويه بمغوار اوقع على قوم فصوت بهم صوتا يستفزهم من اماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم واجلب عليهم بجند من خيالة ورجالة حتى استاصلهم وقيل بصوته بدعائه الى الشر وخيله ورجله كل راكب وماش من اهل العيث وقيل يجوز ان يكون لابليس خيل ورجال واما المشاركة في الاموال والاولاد فكل معصية يحملهم عليها في بابهما كالربوا والمكاسب المحرمة والبحيرة والسائبة والانفاق في الفسوق والاسراف ومنع الزكوة والتوصل الى الاولاد بالسبب الحرام ودعوى الولد بغير سبب والتسمية بعبد العزى وعبد الحرث والتهويد والتنصير والحمل على الحرف الذميمة والاعمال المحظورة وغير ذلك وعدهم المواعيد الكاذبة من شفاعة الالهة والكرامة على الله بالانساب الشريفة وتسويف التوبة ومغفرة الذنوب بدونها والاتكال على الرحمة وشفاعة الرسول في الكباير والخروج من النار بعد ان يصيروا حمما وايثار العاجل على الاجل ان عبادي يريد الصالحين ليس لك عليهم سلطان اي لا تقدر ان تغويهم وكفى بربك وكيلا لهم يتوكلون به في الاستعاذة منك ونحوه قوله الا عبادك منهم المخلصين فان قلت كيف جاز ان يامر الله تعالى ابليس بان يتسلط على عباده مغويا مضلا داعيا الى الشر صادا عن الخير قلت هو من الاوامر الواردة على سبيل الخذلان والتخلية كما قال للعصاة اعملوا ما شئتم يزجي يجري ويسير والضر خوف الغرق ضل من تدعون ذهب عن اوهامكم وخواطركم كل من تدعونه في حوادثكم الا اياه وحده فانكم لا تذكرون سواه ولا تدعونه في ذلك الوقت ولا تعقدون برحمته رجاءكم ولا تخطرون ببالكم ان غيره يقدر على اغاثتكم او لم يهتد لانقاذكم احد غيره من ساير المدعوين ويجوز ان يراد ضل من تدعون من الالهة عن اغاثتكم ولكن الله وحده هو الذي ترجونه وعلى هذا الاستثناء منقطع افامنتم الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض فان قلت بم انتصب جانب البر قلت بيخسف مفعولا به كالارض في قوله فخسفنا به وبداره الارض وبكم حال والمعنى ان يخسف جانب البر اي يقلبه وانتم عليه فان قلت فما معنى ذكر الجانب قلت معناه ان الجوانب والجهات كلها في قدرته سواء

او يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا

ولم في كل جانب برا كان او بحرا سبب مرصد من اسباب الهلكة ليس جانب البحر وحده مختصا بذلك بل ان كان الغرق في جانب البحر ففي جانب البر ما هو مثله وهو الخسف لانه تغييب تحت التراب كما ان الغرق تغييب تحت الما فالبر والبحر عنده سيان يقدر في البر على نحو ما يقدر عليه في البحر فعلى العاقل ان يستوي خوفه من الله في جميع الجوانب وحيث كان او يرسل عليكم حاصبا وهي الريح التي تحصب اي ترمي بالحصبا يعني وان لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف اصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصبا يرجمكم بها فيكون اشد عليكم من الغرق في البحر وكيلا من يتوكل بصرف ذلك عنكم ام امنتم ان يقوي دواعيكم ويوفر حوايجكم الى ان ترجعوا فتركبوا البحر الذي نجاكم منه فاعرضتم فينتقم منكم بان يرسل عليكم قاصفا وهي الريح التي لها قصيف وهو الصوت الشديد كانها تتقصف اي تتكسر وقيل التي لا تمر بشي الا قصفته فيغرقكم وقرئ بالتا اي الريح وبالنون وكذلك يخسف ويرسل ويعيد قرئت بالياء والنون تبيعا مطالبا من قوله فاتباع بالمعروف اي مطالبة قال الشماخ كما لاذ الغريم من التبيع يقال فلان على فلان تبيع بحقه اي مسيطر عليه مطالب له بحقه والمعنى انا نفعل ما نفعل بهم ثم لا تجد احدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا ودركا للثار من جهتنا وهذا نحو قوله ولا يخاف عقباها بما كفرتم بكفرانكم النعمة يريد اعراضهم حين نجاهم قيل في تكرمة ابن ادم كرمه الله بالعقل والنطق والتمييز والخط والصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتدبير امر المعاش والمعاد وقيل بتسليطهم على ما في الارض وتسخيره لهم وقيل كل شي ياكل بفيه الا ابن ادم وعن الرشيد انه احضر طعاما فدعا بالملاعق وعنده ابو يوسف رحمهما الله فقال له جاء في تفسير جدك ابن عباس قوله تعالى ولقد كرمنا بني ادم جعلنا لهم اصابع ياكلون بها فاحضرت الملاعق فردها واكل باصابعه على كثير ممن خلقنا هو ما سوى الملائكة عليهم السلام وحسب بني ادم تفضلا ان ترفع عليهم الملائكة وهم هم ومنزلتهم عند الله منزلتهم والعجب من المجبرة كيف عكسوا في كل شي وكابروا حتى جسرتهم عادة المكابرة على العظيمة التي هي تفضيل الانسان على الملك وذلك بعدما سمعوا تفخيم الله امرهم وتكثيره مع التعظيم ذكرهم وعلموا اين اسكنهم وانى قربهم وكيف نزلهم من انبيائه منزلة انبيائه من اممهم ثم جرهم فرط التعصب عليهم الى ان لفقوا اقوالا واخبارا منها قالت الملائكة ربنا انك اعطيت بني ادم الدنيا ياكلون منها ويتمتعون ولم تعطنا ذلك فاعطناه في الاخرة فقال وعزتي وجلالي لا اجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان ورووا عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال المؤمن اكرم على الله من الملائكة الذين عنده ومن ارتكابهم انهم فسروا كثيرا بمعنى جميع في هذه الاية وخذلوا حتى سلبوا الذوق فلم يحسوا ببشاعة قولهم وفضلناهم على جميع ممن خلقنا على ان معنى قولهم على جميع ممن خلقنا اشجى لحلوقهم واقذى لعيونهم ولكنهم لا يشعرون فانظر الى تمحلهم وتشبثهم بالتاويلات البعيدة في عداوة الملا الاعلى كان جبريل عليه السلام غاظهم حين اهلك مداين قوم لوط فتلك السخيمة لا تنحل عن قلوبهم يوم ندعوا قرئ يدعوا بالياء والنون ويدعى كل اناس على البنا للمفعول وقرا الحسن رحمه الله يدعوا كل اناس على قلب الالف واوا في لغة من يقول افعو

يوم ندعو كل اناس بامامهم فمن اوتي كتابه بيمينه فاولئك يقرءون كتابهم ولا يظلمون فتيلا ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك لتفتري علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا

والظرف نصب باضمار اذكر ويجوز ان يقال ان الواو علامة الجمع كما في واسروا النجوى الذين ظلموا والرفع مقدر كما في يدعى ولم يؤت بالنون قلة مبالاة بها لانها غير ضمير ليست الا علامة بامامهم بمن ائتموا به من نبي ومقدم في الدين او كتاب او دين فيقال يا اتباع فلان يا اهل دين كذا او كتاب كذا وقيل بكتاب اعمالهم فيقال يا اصحاب كتاب الخير يا اصحاب كتاب الشر وفي قراءة الحسن رحمه الله بكتابهم ومن بدع التفاسير ان الامام جمع ام وان الناس يدعون يوم القيامة بامهاتهم وان الحكمة في الدعا بالامهات دون الاباء رعاية حق عيسى واظهار شرف الحسن والحسين رضي الله عنهم وان لا يفتضح اولاد الزنى وليت شعري ايهما ابدع اصحة لفظه ام بهاء حكمته فمن اوتي من هولاء المدعوين كتابه بيمينه فاولئك يقرءون كتابهم قيل اولئك لان من اوتي في معنى الجمع فان قلت لم خص اصحاب اليمين بقراءة كتابهم كان اصحاب الشمال لا يقرءون كتابهم قلت بلى ولكن اذا اطلعوا على ما في كتابهم اخذهم ما ياخذ المطالب بالنداء على جناياته والاعتراف بمساويه امام التنكيل به والانتقام منه من الحياء والخجل والانخزال وحبسة اللسان والتتعتع والعجز عن اقامة حروف الكلام والذهاب عن تسوية القول فكان قراءتهم كلا قراءة واما اصحاب اليمين فامرهم على عكس ذلك لا جرم انهم يقرءون كتابهم احسن قراءة وابينها ولا يقنعون بقراءتهم وحدهم حتى يقول القاري لاهل المحشر هاؤم اقرءوا كتابيه ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من ثوابهم ادنى شي كقوله ولا يظلمون شيئا فلا يخاف ظلما ولا هضما ومن كان في هذه الدنيا اعمى فهو في الاخرة اعمى كذلك واضل سبيلا من الاعمى والاعمى مستعار ممن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته لمن لا يهتدي الى طريق النجاة اما في الدنيا فلفقد النظر واما في الاخرة فلانه لا ينفعه الاهتدا اليه وقد جوزوا ان يكون الثاني بمعنى التفضيل ومن ثم قرا ابو عمرو رحمه الله الاول مماله والثاني مفخما لان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه في حكم الواقعة في وسط الكلام كقولك اعمالكم واما الاول فلم يتعلق به شي فكانت الفه واقعة في الطرف ومعرضة للامالة روي ان ثقيفا قالت للنبي عليه السلام لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبى في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع وان تمتعنا باللات سنة ولا نكسرها بايدينا عند راس الحول وان تحرم من قصد وادينا وج فعضد شجره فاذا سالتك العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني وجاؤا بكتابهم فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لثقيف لا يعشرون ولا يحشرون فقالوا ولا يجبون فسكت رسول الله ثم قالوا للكاتب اكتب ولا يجبون والكاتب ينظر الى رسول الله فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فسل سيفه وقال اسعرتم قلب نبينا يا معشر ثقيف اسعر الله قلوبكم نارا فقالوا لسنا نكلم اياك انما نكلم محمدا فنزلت وروي ان قريشا قالوا اجعل اية رحمة اية عذاب واية عذاب اية رحمة حتى نؤمن بك فنزلت وان كادوا ليفتنونك ان مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والمعنى ان الشان قاربوا ان يفتنوك اي يخدعوك فاتنين عن الذي اوحينا اليك من اوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا

ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا

لتفترى علينا ما لم نقل يعني ما اداروه عليه من تبديل الوعد وعيدا او الوعيد وعدا وما اقترحته ثقيف من ان يضيفه الى الله ما لم ينزل عليه واذا لاتخذوك اي ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك خليلا ولكنت لهم وليا وخرجت من ولايتي ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا لك وعصمتنا لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا لقاربت ان تميل الى خدعهم ومكرهم وهذا تهييج من الله له وفضل تثبيت وفي ذلك لطف للمؤمنين اذا لو قاربت تركن اليهم شيئا ادنى ركنة لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اي لاذقناك عذاب الاخرة وعذاب القبر مضاعفين فان قلت كيف حقيقة هذا الكلام قلت اصله لاذقناك عذاب الحياة وعذاب الممات لان العذاب عذابان عذاب في الممات وهو عذاب القبر وعذاب في حيوة الاخرة وهو عذاب النار والضعف يوصف به نحو قوله تعالى فآتهم عذابا ضعفا من النار بمعنى مضاعفا فكان اصل الكلام لاذقناك عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه وهو الضعف ثم اضيفت الصفة اضافة الموصوف فقيل ضعف الحياة وضعف الممات كما لو قيل لاذقناك اليم الحياة واليم الممات ويجوز ان يراد بضعف الحيوة عذاب الحيوة الدنيا وبضعف الممات ما يعقب الموت من عذاب القبر وعذاب النار والمعنى لضاعفنا لك العذاب المعجل للعصاة في الحيوة الدنيا وما نؤخره لما بعد الموت وفي ذكر الكيدودة وتقليلها مع اتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف في الدارين دليل بين على ان القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شان فاعله وارتفاع منزلته ومن ثم استعظم مشايخ العدل والتوحيد رضي الله عنهم نسبة المجبرة القبايح الى الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وفيه دليل على ان ادنى مداهنة للغواة مضادة لله وخروج عن ولايته وسبب موجب لغضبه ونكاله فعلى المومن اذا تلا هذه الآية ان يجثو عندها ويتدبرها فهي جديرة بالتدبر وبان يستشعر الناظر فيها الخشية وازدياد التصلب في دين الله وعن النبي عليه السلام انها لما نزلت كان يقول اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين وان كادوا وان كاد اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم من الارض من ارض مكة واذا لا يلبثون لا يبقون بعد اخراجك الا زمانا قليلا فان الله مهلكهم وكان كما قال فقد اهلكوا ببدر بعد اخراجه بقليل وقيل معناه ولو اخرجوك لاستؤصلوا عن بكرة ابيهم ولم يخرجوه بل هاجر بامر ربه وقيل من ارض العرب وقيل من ارض المدينة وذلك ان رسول الله عليه السلام لما هاجر حسدته اليهود وكرهوا قربه منهم فاجتمعوا اليه وقالوا يا ابا القاسم ان الانبياء انما بعثوا بالشام وهي بلاد مقدسة وكانت مهاجر ابرهيم عليه السلام فلو خرجت الى الشام لآمنا بك واتبعناك وقد علمنا انه لا يمنعك من الخروج الا خوف الروم فان كنت رسول الله فالله مانعك منهم فعسكر رسول الله عليه السلام على اميال من المدينة وقيل بذي الحليفة حتى يجتمع اليه اصحابه ويراه الناس عازما على الخروج الى الشام لحرصه على دخول الناس في دين الله فنزلت فرجع وقرئ لا يلبثون وفي قراءة ابي لا يلبثوا على اعمال اذن فان قلت ما وجه القراءتين قلت اما الشائعة فقد عطف فيها الفعل على الفعل وهو مرفوع لوقوعه خبر كاد والفعل في خبر كاد واقع موقع الاسم واما قراءة ابي ففيها الجملة برأسها التي هي اذن لا يلبثوا عطف على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك وقرئ خلفك

سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا اقم الصلوة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقران الفجر ان قران الفجر كان مشهودا ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا

عقب الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا اي بعدهم سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا يعني ان كل قوم اخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فسنة الله ان يهلكهم ونصبت نصب المصدر المؤكد اي سن الله ذلك سنة لدلوك الشمس غربت وقيل زالت وروي عن النبي عليه السلام اتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت الشمس فصلى بي الظهر واشتقاقه من الدلك لان الانسان يدلك عينه عند النظر اليها فان كان الدلوك الزوال فالاية جامعة للصلوات الخمس وان كان الغروب فقد خرجت منها الظهر والعصر والغسق الظلمة وهو وقت صلوة العشا وقران الفجر صلوة الفجر سميت قرانا وهو القراءة لانها ركن كما سميت ركوعا وسجودا وقنوتا وهي حجة على ابن علية والاصم في زعمهما ان القراءة ليست بركن مشهودا يشهده ملائكة الليل والنهار ينزل هولاء ويصعد هولاء فهو في آخر ديوان الليل واول ديوان النهار او يشهده الكثير من المصلين في العادة او من حقه ان يكون مشهودا بالجماعة الكثيرة ويجوز ان يكون وقران الفجر حثا على طول القراءة في صلوة الفجر لكونها مكثورا عليها ليسمع الناس القران فيكثر الثواب ولذلك كانت الفجر اطول الصلوات قراءة ومن الليل وعليك بعض الليل فتهجد به والتهجد ترك الهجود للصلوة ونحوه التأثم والتحرج ويقال ايضا في النوم تهجد نافلة لك عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس وضع نافلة موضع تهجدا لان التهجد عبادة زائدة فكان التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد والمعنى ان التهجد زيد لك على الصلوات المفروضة فريضة عليك خاصة دون غيرك لانه تطوع لهم مقاما محمودا نصب على الظرف اي عسى ان يبعثك يوم القيمة فيقيمك مقاما محمودا او ضمن يبعثك معنى يقيمك ويجوز ان يكون حالا بمعنى ان يبعثك ذا مقام محمود ومعنى المقام المحمود الذي يحمده القائم فيه وكل من راه وعرفه وهو مطلق في كل ما يجلب الحمد من انواع الكرامات وقيل المراد الشفاعة وهي نوع واحد مما يتناوله وعن ابن عباس مقاما يحمدك فيه الاولون والآخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق تسال فتعطى وتشفع فتشفع ليس احد الا تحت لوائك وعن ابي هريرة عن النبي عليه السلام هو المقام الذي اشفع فيه لامتي وعن حذيفة يجمع الناس في صعيد فلا تتكلم نفس فاول مدعو محمد عليه السلام فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لا ملجا ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فهذا قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وقرئ مدخل ومخرج بالضم والفتح بمعنى المصدر ومعنى الفتح ادخلني فادخل مدخل صدق ادخلني القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا على طهارة وطيب من السيئات واخرجني منه عند البعث اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة آمنا من السخط يدل عليه ذكره على اثر ذكر البعث وقيل نزلت حين امر بالهجرة يريد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها بالفتح واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من عظيم الامر وهو النبوة واخراجه منه مؤديا لما كلفه من غير تفريط وقيل الطاعة وقيل هو عام في كل ما يدخل فيه ويلابسه من امر ومكان سلطانا حجة تنصرني على من خالفني او ملكا وعزا قويا ناصرا للاسلام على الكفر مظهرا له عليه فاجيبت دعوته بقوله والله يعصمك من الناس فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الارض ووعده لينزعن ملك فارس والروم فيجعله له وعنه صلى الله عليه

ولما جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمومنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا واذا انعمنا على الانسان اعرض وناى بجانبه واذا مسه الشر كان يوسا قل كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا ويسلونك عن الروح قل الروح من امر ربي

انه استعمل عتاب بن اسيد على اهل مكة وقال انطلق فقد استعملتك على اهل الله فكان شديدا على المريب لينا على المومن وقال لا والله لا اعلم متخلفا يتخلف عن الصلوة في جماعة الا ضربت عنقه فانه لا يتخلف عن الصلوة الا منافق فقال اهل مكة يا رسول الله لقد استعملت على اهل الله عتاب بن اسيد اعرابيا جافيا فقال عليه السلام اني رايت فيما يرى النايم كان عتاب بن اسيد اتى باب الجنة فاخذ بحلقة الباب فقلقلها قلقالا شديدا حتى فتح له فدخلها فاعز الله به الاسلام لنصرته المسلمين على من يريد ظلمهم فذلك السلطان النصير كان حول البيت ثلثماية وستون صنما صنم كل قوم بحيالهم وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت لقبايل العرب يحجون اليها وينحرون لها فشكا البيت الى الله فقال اي رب حتى متى تعبد هذه الاصنام حولي دونك فاوحى الله الى البيت اني ساحدث لك نوبة جديدة فاملاك خدودا سجدا يدفون اليك دفيف النسور ويحنون اليك حنين الطير الى بيضها لهم عجيج حولك بالتلبية ولما نزلت هذه الاية يوم الفتح قال جبريل لرسول الله خذ مخصرتك ثم القها فجعل ياتي صنما صنما وهو ينكت بالمخصرة في عينه ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب الصنم لوجهه حتى القاها جميعا وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر فقال يا علي ارم به فحمله رسول الله حتى صعد فرمى به فكسره فجعل اهل مكة يتعجبون ويقولون ما راينا رجلا اسحر من محمد وكناية البيت والوحي اليه تمثيل وتخييل وزهق الباطل وذهب وهلك من قولهم زهقت نفسه اذا خرجت والحق الاسلام والباطل الشرك كان زهوقا كان مضمحلا غير ثابت في كل وقت وننزل قرى بالتشديد والتخفيف من القران من للتبيين كقوله من الاوثان او للتبعيض اي كل شي نزل من القران فهو شفا للمومنين يزدادون به ايمانا ويستصلحون به دينهم فموقعه منهم موقع الشفا من المرضى وعن النبي عليه السلام من لم يستشف بالقران فلا شفاه الله ولا يزداد به الكافرون الا خسارا اي نقصانا لتكذيبهم به وكفرهم فزادتهم رجسا الى رجسهم واذا انعمنا على الانسان بالصحة والسعة اعرض عن ذكر الله كانه مستغن عنه مستبد بنفسه وناى بجانبه تاكيد للاعراض لان الاعراض عن الشي ان يوليه عرض وجهه والناي بالجانب ان يلوي عنه عطفه ويوليه ظهره او اراد الاستكبار لان ذلك من عادة المستكبرين واذا مسه الشر من فقر او مرض او نازلة من النوازل كان يوسا شديد الياس من روح الله انه لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون وقرى وناء بجانبه بتقديم اللام على العين كقولهم راء في راى ويجوز ان يكون من ناء بمعنى نهض قل كل يعمل على شاكلته اي على مذهبه وطريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة من قولهم طريق ذو شواكل وهي الطرق التي تتشعب منه والدليل عليه قوله فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اي اسد مذهبا وطريقة الاكثر على ان الروح الذي في الحيوان سالوه عن حقيقته فاخبر انه من امر الله اي مما استاثر بعلمه وعن ابي بريدة لقد مضى النبي صلى الله عليه وما يعلم الروح وقيل هو خلق عظيم روحاني اعظم من الملك وقيل هو جبريل وقيل القران ومن امر ربي اي من وحيه وكلامه ليس من كلام البشر بعثت اليهود الى قريش ان سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنهما او

وما اوتيتم من العلم الا قليلا ولين شينا لنذهبن بالذي اوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا الا رحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيرا قل لين اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولقد صرفنا للناس في هذا القران من كل مثل فابى اكثر الناس الا كفورا

سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التورية فندموا على سوالهم وما اوتيتم الخطاب عام وروي ان رسول الله عليه السلام لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب ام انت معنا فيه فقال نحن وانتم لم نوت من العلم الا قليلا فقالوا ما اعجب شانك ساعة تقول ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وليس ما قالوه بلازم لان القلة والكثرة تدوران مع الاضافة فيوصف الشي بالقلة مضافا الى ما فوقه وبالكثرة مضافا الى ما تحته فالحكمة التي اوتيها العبد خير كثير في نفسها الا انها اذا اضيفت الى علم الله فهي قليلة وقيل هو خطاب لليهود خاصة لانهم قالوا للنبي عليه السلام قد اوتينا التورية وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا فقيل لهم ان علم التورية قليل في جنب علم الله لنذهبن جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزا الشرط واللام الداخلة على ان موطية للقسم والمعنى ان شينا ذهبنا بالقران ومحوناه عن الصدور والمصاحف فلم نترك له اثرا وبقيت كما كنت لا تدري ما الكتاب ثم لا تجد بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده واعادته محفوظا مسطورا الا رحمة من ربك الا ان يرحمك ربك فيرده عليك كان رحمته تتوكل عليه بالرد او يكون على الاستثنا المنقطع بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقا القران محفوظا بعد المنة العظيمة في تنزيله وتحفيظه فعلى كل ذي علم ان لا يغفل عن هاتين المنتين والقيام بشكرهما وهما منة الله عليه بحفظ العلم ورسوخه في صدره ومنته عليه في بقا المحفوظ وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان اول ما تفقدون من دينكم الامانة واخر ما تفقدون الصلوة وليصلين قوم ولا دين لهم وان هذا القران تصبحون يوما وما فيكم منه شي فقال رجل كيف ذلك وقد اثبتناه في قلوبنا واثبتناه في مصاحفنا نعلمه ابناءنا ويعلمه ابناونا ابناءهم فقال يسرى عليه ليلا فيصبح الناس منه فقرا ترفع المصاحف وتنزع ما في القلوب لا ياتون جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطية لجاز ان يكون جوابا للشرط كقوله يقول لا غايب مالي ولا حرم لان الشرط وقع ماضيا اي لو تظاهروا على ان ياتوا بمثل القران في بلاغته وحسن نظمه وتاليفه وفيهم العرب العاربة ارباب البيان لعجزوا عن الاتيان بمثله والعجب من النوابت ومن زعمهم ان القران قديم مع اعترافهم بانه معجز وانما يكون العجز حيث يكون القدرة فيقال الله قادر على خلق الاجسام والعباد عاجزون عنه واما المحال الذي لا مجال فيه للقدرة ولا مدخل لها فيه كثاني القديم فلا يقال للفاعل قد عجز عنه ولا هو معجز ولو قيل ذلك لجاز وصف الله بالعجز لانه لا يوصف بالقدرة على المحال الا ان يكابروا فيقولوا هو قادر على المحال فان راس مالهم المكابرة وقلب الحقايق ولقد صرفنا رددنا وكررنا من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه والكفور الجحود فان قلت كيف جاز فابى اكثر الناس الا كفورا ولم يجز ضربت الا زيدا قلت لان ابى متاول بالنفي كانه قيل فلم يرضوا الا كفورا لما تبين اعجاز القران وانضمت اليه المعجزات الاخر والبينات ولزمتهم الحجة

وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا او تأتي بالله والملائكة قبيلا او يكون لك بيت من زخرف او ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا قل كفى بالله شهيدا

لما تبين اعجازهم ... وغلبوا اخذوا يتعللون باقتراح الآيات فعل المبهوت المحجوج المتحير فقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر وقرئ تفجر بالتخفيف من الارض يعنون ارض مكة ينبوعا عينا غزيرة من شانها ان تنبع بالماء لا تنقطع يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء كما زعمت يعنون قول الله تعالى ان نشا نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء وقرئ كسفا بسكون السين جمع كسفة كسدرة وسدر وبفتحه قبيلا كفيلا بما تقول شاهدا بصحته والمعنى او تأتي بالله قبيلا وبالملائكة قبيلا كقوله كنت منه ووالدي بريا واني وقيار بها لغريب

او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر ونحوه لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا او جماعة حالا من الملائكة من زخرف من ذهب في السماء في معارج السماء فحذف المضاف يقال رقي في السلم وفي الدرجة ولن نؤمن لرقيك ولن نؤمن لاجل رقيك حتى تنزل علينا كتابا من السماء فيه تصديقك عن عبد الله بن عباس قال عبد الله بن ابي امية لن نؤمن لك حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وانا انظر حتى تأتيها ثم تأتي معك بصك منشور معه اربعة من الملائكة يشهدون لك انك كما تقول وما كانوا يقصدون بهذه الاقتراحات الا العناد واللجاج ولو جاءتهم كل آية لقالوا هذا سحر كما قال عز وعلا ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون وحين انكروا الآية الباقية التي هي القرآن وسائر الآيات وليست بدون ما اقترحوه بل هي اعظم لم يكن الا تبصرتهم سبيل قل سبحان ربي وقرئ قال سبحان ربي اي قال الرسول وسبحان ربي تعجب من اقتراحاتهم عليه هل كنت الا رسولا كسائر الرسل بشرا مثلهم وكان الرسل لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم من الآيات فليس امر الآيات الي انما هو الى الله سبحانه فما بالكم تتخيرونها علي ان الاولى نصب مفعول ثان لمنع والثانية رفع فاعل له والهدى الوحي اي وما منعهم الايمان بالقرآن وبنبوة محمد عليه السلام الا شبهة تلجلجت في صدورهم وهي انكارهم ان يرسل الله البشر والهمزة في ابعث الله للانكار وما انكروه فخلافه هو المنكر عند الله لان قضية حكمته ان لا يرسل ملك الوحي الا الى امثاله او الى الانبياء ثم قرر ذلك بانه لو كان في الارض ملائكة يمشون على اقدامهم كما يمشي الانس ولا يطيرون باجنحتهم الى السماء فيسمعوا من اهلها ويعلموا ما يجب علمه مطمئنين ساكنين في الارض قارين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا يعلمهم الخير ويهديهم المراشد فاما الانس فما هم بهذه المثابة انما يرسل الملك الى مختار منهم للنبوة فيقوم ذلك المختار بدعوتهم وارشادهم فان قلت هل يجوز ان يكون بشرا وملكا منصوبين على الحال من رسولا قلت وجه حسن والمعنى له اجوب شهيدا بيني وبينكم على اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم كذبتم وعاندتم انه كان بعباده المنذرين والمنذرين خبيرا عالما باحوالهم فهو مجازيهم وهذه تسلية لرسول الله عليه السلام ووعيد للكفرة وشهيدا تمييز او حال ومن يهد الله ومن يوفقه ويلطف به فهو المهتد لانه لا يلطف الا بمن عرف ان اللطف ينفع فيه ومن يضلل ومن يخذل فلن تجد لهم اولياء انصارا على وجوههم كقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم وقيل لرسول الله كيف يمشون على

عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا ذلك جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم وجعل لهم اجلا لا ريب فيه فابى الظالمون الا كفورا قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق وكان الانسان قتورا ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بني اسرائيل

وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم عميا وبكما وصما كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامون عن استماعه فهم في الآخرة كذلك لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى ويجوز ان يحشروا مؤفي الحواس من الموقف الى النار بعد الحساب فقد اخبر عنهم في موضع آخر انهم يقرؤون ويتكلمون كلما خبت كلما اكلت جلودهم ولحومهم وافنتها فسكن لهيبها بدلوا غيرها فرجعت ملتهبة مستعرة كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جعل الله جزاءهم ان سلط النار على اجزائهم تاكلها وتفنيها ثم يعيدها لا يزالون على الافناء والاعادة ليزيد ذلك في تحسيرهم على تكذيبهم البعث ولانه ادخل في الانتقام من الجاحد وقد دل على ذلك بقوله ذلك جزاؤهم الى قوله اءنا لمبعوثون خلقا جديدا فان قلت علام عطف قوله وجعل لهم اجلا قلت على قوله اولم يروا لان المعنى قد علموا بدليل العقل ان من قدر على خلق السموات والارض فهو قادر على خلق امثالهم من الانس لانهم ليسوا باشد خلقا منهن كما قال ءانتم اشد خلقا ام السماء وجعل لهم اجلا لا ريب فيه وهو الموت او القيامة فابوا مع وضوح الدليل الا جحودا لو حقها ان تدخل على الافعال دون الاسماء فلا بد من فعل بعدها في انتم تملكون تقديره لو تملكون تملكون فاضمر تملك اضمارا على شريطة التفسير وابدل من الضمير المتصل الذي هو الواو ضمير منفصل وهو انتم لسقوط ما يتصل به من اللفظ فانتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره وهذا هو الوجه الذي يقتضيه علم الاعراب فاما ما يقتضيه علم البيان فهو ان انتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وان الناس هم المختصون بالشح المتبالغ ونحوه قول حاتم لو ذات سوار لطمتني وقول المتلمس ولو غير اخوالي ارادوا نقيصتي وذلك لان الفعل الاول لما سقط لاجل المفسر برز الكلام في صورة المبتدا والخبر ورحمة الله رزقه وسائر نعمه على خلقه ولقد بلغ هذا الوصف بالشح الغاية التي لا يبلغها الوهم وقيل هو لاهل مكة الذين اقترحوا ما اقترحوا من الينبوع والانهار وغيرها وانهم لو ملكوا خزائن الارزاق لبخلوا بها قتورا ضيقا بخيلا فان قلت هل يقدر امسكتم مفعول قلت لا لان معناه لبخلتم من قولك للبخيل ممسك عن ابن عباس هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذي نتقه على بني اسرائيل وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور وعن عمر بن عبد العزيز انه سال محمد بن كعب فذكر اللسان والطمس فقال له عمر كيف يكون الفقيه الا هكذا اخرج يا غلام ذلك الجراب فاخرجه فنفضه فاذا بيض مكسور نصفين وجوز مكسور وفوم وحمص وعدس كلها حجارة وعن صفوان بن عسال ان بعض اليهود سال رسول الله عن ذلك فقال اوحى الله الى موسى ان قل لبني اسرائيل لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا الربوا ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وانتم يا يهود خاصة لا تعدوا في السبت فسل بني اسرائيل فقلنا له سل بني اسرائيل

اذ جاءهم فقال له فرعون انى لاظنك يا موسى مسحورا قال لقد علمت ما انزل هولاء الا رب السموات والارض
بصائر وانى لاظنك يا فرعون مثبورا فاراد ان يستفزهم من الارض فاغرقناه ومن معه جميعا وقلنا من بعده لبنى اسرايل اسكنوا
الارض فاذا جاء وعد الاخرة جينا بكم لفيفا وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا وقرانا فرقناه
لتقراه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا قل امنوا به او لا تومنوا ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا

اى سلهم من فرعون وقل له ارسل معى بنى اسرايل او سلهم عن ايمانهم وعن حال دينهم او سلهم ان يعاضدوك
وتكون قلوبهم وايديهم معك وتدل عليه قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال بنى اسرايل على لفظ الماضى بغير
همز وهى لغة قريش وقيل فسل يا رسول الله المومنين من بنى اسرايل وهم عبد الله بن سلام واصحابه
عن الايات لتزداد يقينا وطمانينة قلب لان الادلة اذا تظاهرت كان ذلك اقوى واثبت كقول ابرهيم
عليه السلام ولكن ليطمين قلبى فان قلت بم تعلق اذ جاءهم قلت اما على الوجه الاول فبالقول المحذوف اى
فقلنا له سلهم حين جاءهم او بسال فى القراءة الثانية واما على الاخير فبـ اتينا او باضمار اذكر او
يخبروك ومعنى اذ جاءهم اذ جاء اباءهم مسحورا سحرت فخولط عقلك لقد علمت يا فرعون
ما انزل هولاء الايات الا الله عز وجل بصائر بينات مكشوفات ولكنك معاند مكابر ونحوه وجحدوا
بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقرى علمت بالضم على معنى انى لست بمسحور كما وصفتنى
بل انا عالم بصحة الامر وان هذه الايات منزلها رب السموات والارض ثم قارع ظنه بظنه كانه
قال ان ظننتنى مسحورا فانا اظنك مثبورا هالكا وظنى اصح من ظنك لان له امارة ظاهرة وهى
انكارك ما عرفت صحته ومكابرتك لايات الله بعد وضوحها واما ظنك فكذب بحت لان قولك
مع علمك بصحة امرى انى لاظنك مسحورا قول كذاب وقال الفراء مثبورا مصروفا عن الخير
مطبوعا على قلبك من قولهم ما ثبرك عن هذا اى ما منعك وصرفك وقرا ابى بن كعب وان اخالك
يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام الفارقة فاراد فرعون ان يستخف موسى وقومه من ارض
مصر ويخرجهم منها او ينفيهم عن ظهر الارض بالقتل والاستيصال فحاق به مكره بان
استفزه الله باغراقه مع قبطه اسكنوا الارض التى اراد فرعون ان يستفزكم منها فاذا جاء
وعد الاخرة يعنى قيام الساعة جينا بكم لفيفا جميعا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز بين
سعدايكم واشقيايكم واللفيف الجماعات من قبايل شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما انزلنا
القران الا بالحكمة المقتضية لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية
الى كل خير او وما انزلناه من السماء الا بالحق محفوظا بالرصد من الملايكة وما نزل على الرسول الا
محفوظا بهم من تخليط الشياطين وما ارسلناك الا لتبشرهم بالجنة وتنذرهم من النار ليس اليك
وراء ذلك شى من اكراه على الدين او نحو ذلك وقرانا منصوب بفعل يفسره فرقناه وقرا ابى
فرقناه بالتشديد اى جعلنا نزوله مفرقا منجما وعن ابن عباس انه قراه مشددا وقال لم ينزل
فى يومين او ثلاثة بل كان بين اوله واخره عشرون سنة يعنى ان فرق بالتخفيف يدل على فصل متقارب على مكث
بالفتح والضم على مهل وتودة وتثبت ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث قل امنوا به او لا تومنوا امر بالاعراض
عنهم واحتقارهم والازدراء بشانهم وان لا يكترث بهم وبايمانهم وبامتناعهم عنه وانهم ان لم يدخلوا فى الايمان
ولم يصدقوا بالقران وهم اهل جاهلية وشرك فان خيرا منهم وافضل وهم العلماء الذين قراوا الكتب
وعلموا ما الوحى وما الشرايع قد امنوا به وصدقوه وثبت عندهم انه النبى العربى الموعود فى كتبهم

ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم
خشوعا قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ولا
تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا
ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا

فاذا تلى عليهم خروا سجدا وسبحوا الله تعظيما لامره ولانجازه ما وعد فى الكتب المنزلة وبشر به
من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القران عليه وهو المراد بالوعد ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم
خشوعا اى يزيدهم القران لين قلب ورطوبة عين فان قلت ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليل لماذا قلت يجوز ان يكون
تعليلا لقوله امنوا به او لا تومنوا وان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتطييب
نفسه كانه قيل تسل عن ايمان الجهلة بايمان العلماء وعلى الاول ان لم تومنوا به لقد امن به من هو خير منكم فان قلت
ما معنى الخرور للذقن قلت السقوط على الوجه وانما ذكر الذقن وهو مجتمع اللحيين لان الساجد اول
ما يلقى به الارض من وجهه الذقن فان قلت حرف الاستعلاء ظاهر المعنى اذا قلت خر على وجهه وعلى ذقنه
فما معنى اللام فى خر لذقنه ولوجهه قال فخر صريعا لليدين وللفم قلت معناه جعل ذقنه ووجهه
للخرور واختصه به لان اللام للاختصاص فان قلت لم كرر يخرون للاذقان قلت لاختلاف
الحالين وهما خرورهم فى حال كونهم ساجدين وخرورهم فى حال كونهم باكين عن ابن عباس رضى الله عنه
سمعه ابو جهل يقول يا الله يا رحمن فقال انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها اخر وقيل ان
اهل الكتاب قالوا انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثر الله فى التورية هذا الاسم فنزلت والدعاء بمعنى
التسمية لا بمعنى النداء وهو يتعدى الى مفعولين تقول دعوته زيدا ثم يترك احدهما استغناء عنه
فيقال دعوت زيدا والله والرحمن المراد بهما الاسم لا المسمى واو للتخيير فمعنى ادعوا الله او ادعوا الرحمن
سموا بهذا الاسم او بهذا واذكروا اما هذا واما هذا والتنوين فى اياما عوض من المضاف اليه وما صلة للابهام
المؤكد لما فى اى اى اى هذين الاسمين سميتم وذكرتم فله الاسماء الحسنى والضمير فى فله ليس براجع الى احد
الاسمين المذكورين ولكن الى مسماهما وهو ذاته عز وعلا لان التسمية للذات لا للاسم والمعنى اياما
تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله فله الاسماء الحسنى لانه اذا حسنت اسماوه كلها حسن
هذان الاسمان لانهما منها ومعنى كونها احسن الاسماء انها مستقلة لمعانى التحميد والتقديس والتعظيم
بصلاتك بقراءة صلاتك على حذف المضاف لانه لا يلبس من قبل ان الجهر والمخافتة صفتان تعتقبان
على الصوت لا غير والصلاة افعال واذكار وكان رسول الله يرفع صوته بقراءته فاذا سمعها المشركون
لغوا وسبوا فامر بان يخفض من صوته والمعنى ولا تجهر حتى تسمع المشركين ولا تخافت حتى لا تسمع
من خلفك وابتغ بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا وروى ان ابا بكر رضى الله عنه كان يخفى صوته بالقراءة فى صلاته
ويقول انا اناجى ربى وقد علم حاجتى وكان عمر يرفع صوته ويقول ازجر الشيطان واوقظ الوسنان فامر
ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل معناه ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها
وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار وقيل بصلاتك بدعائك وذهب قوم
الى ان الاية منسوخة بقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية وابتغ السبيل مثل لانتحاء الوجه الوسط
فى القراءة ولى من الذل ناصر من الذل ومانع له منه لاعتزازه به او لم يوال احدا من اجل مذلة به ليدفعها
بموالاته فان قلت كيف لاق وصفه بنفى الولد والشريك والذل بكلمة التحميد قلت لان من هذا

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر باسا شديدا من لدنه ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لاباىهم كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا

وصفه هو الذي يقدر على ايلاء كل نعمة فهو الذي يستحق جنس الحمد وكان النبي عليه السلام اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الاية وعن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة بني اسرايل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومايتا اوقية سورة الكهف مكية وهي ماية واحدى عشر اية

بسم الله الرحمن الرحيم لقن الله عباده ووفقهم كيف يثنون عليه ويحمدونه على اجزل نعمايه عليهم وهي نعمة الاسلام وما انزل على عبده محمد صلى الله عليه من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم ولم يجعل له عوجا ولم يجعل له شيا من العوج قط والعوج في المعاني كالعوج في الاعيان والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شي منه من الحكمة والاصابة فيه فان قلت بم انتصب قيما قلت الاحسن ان ينتصب بمضمر ولا يجعل حالا من الكتاب لان قوله ولم يجعل معطوف على انزل فهو داخل في حيز الصلة فجاعله حالا من الكتاب فاصل بين الحال وذي الحال ببعض الصلة وتقديره ولم يجعل له عوجا جعله قيما لانه اذا نفى عنه العوج فقد اثبت له الاستقامة فان قلت ما فايدة الجمع بين نفي العوج واثبات الاستقامة وفي احدهما غنى عن الاخر قلت فايدته التوكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من ادنى عوج عند السبر والتصفح وقيل قيما على ساير الكتب مصدقا لها شاهدا بصحتها وقيل قيما بمصالح العباد وما لا بد لهم منه من الشرايع وقرى قيما انذر متعد الى مفعولين كقوله انا انذرناكم عذابا قريبا فاقتصر على احدهما واصله لينذر الذين كفروا باسا شديدا والباس من قوله بعذاب بيس وقد بوس العذاب وبوس الرجل باسا وباسة من لدنه صادرا من عنده وقرى من لدنه بسكون الدال مع اشمام الضمة وكسر النون ويبشر بالتخفيف والتثقيل فان قلت لم اقتصر على احد مفعولي انذر قلت قد جعل المنذر به هو الغرض المسوق اليه فوجب الاقتصار عليه والدليل عليه تكرير الانذار في قوله وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا متعلقا بالمنذرين من غير ذكر المنذر به كما ذكر المبشر به في قوله ان لهم اجرا حسنا استغناء بتقدم ذكره والاجر الحسن الجنة ما لهم به من علم اي بالولد او باتخاذه يعني ان قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط وتقليد للاباء وقد اشتملته اباوهم من الشيطان وتسويله فان قلت اتخاذ الله ولدا في نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم قلت معناه ما لهم به من علم لانه ليس مما يعلم لاستحالته وانتفاء العلم بالشي اما للجهل بالطريق الموصل اليه واما لانه في نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به قرى كبرت كلمة وكلمة بالنصب على التمييز والرفع على الفاعلية والنصب اقوى وابلغ وفيه معنى التعجب كانه قيل ما اكبرها كلمة وتخرج من افواههم صفة للكلمة تفيد استعظاما لاجترايهم على النطق بها واخراجها من افواههم فان كثيرا مما يوسوسه الشيطان في قلوب الناس ويحدثون به انفسهم من المنكرات لا يتمالكون ان يتفوهوا به ويطلقوا به السنتهم بل يكظمون عليه تشورا من اظهاره فكيف بمثل هذا المنكر وقرى كبرت بسكون الباء مع اشمام الضمة فان قلت الام يرجع الضمير في كبرت قلت الى قولهم اتخذ الله ولدا وسميت كلمة كما يسمون

فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يومنوا بهذا الحديث اسفا انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبا اذ اوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا اتنا من لدنك رحمة وهيي لنا من امرنا رشدا فضربنا على اذانهم في الكهف سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم اي الحزبين احصى لما لبثوا امدا

القصيدة بها شبهه واياهم حين تولوا عنه ولم يومنوا به وما تداخله من الوجد والاسف على توليهم برجل فارقه احبته واعزته فهو يتساقط حسرات على اثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم وقرى باخع نفسك على الاصل وعلى الاضافة اي قاتلها ومهلكها وهو للاستقبال فيمن قرا ان لم يومنوا وللمضي فيمن قرا ان لم يومنوا بمعنى لان لم يومنوا بهذا الحديث بالقران اسفا مفعول له اي لفرط الحزن ويجوز ان يكون حالا والاسف المبالغة في الحزن والغضب يقال رجل اسف واسيف ما على الارض يعني ما يصلح ان يكون زينة لها ولاهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها لنبلوهم ايهم احسن عملا وحسن العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها ثم زهد في الميل اليها بقوله وانا لجاعلون ما عليها من هذه الزينة صعيدا جرزا يعني مثل ارض بيضا لا نبات فيها بعد ان كانت خضرا معشبة في ازالة بهجته واماطة حسنه وابطال ما به كان زينة من اماتة الحيوان وتجفيف النبات والاشجار ونحو ذلك ذكر من الايات الكلية تزيين الارض بما خلق فوقها من الاجناس التي لا حصر لها وازالة ذلك كله كان لم يكن ثم قال ام حسبت يعني ان ذلك اعظم من قصة اصحاب الكهف وازالة ذلك كله وابقا حياتهم مدة طويلة والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم كلبهم قال امية بن ابي الصلت وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همد وقيل هو لوح من رصاص رقمت فيه اسماوهم جعل على باب الكهف وقيل ان الناس رقموا حديثهم نقرا في الجبل وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف وقيل الجبل وقيل قريتهم وقيل مكانهم بين غضبان وايلة دون فلسطين كانوا اية عجبا من اياتنا وصفا بالمصدر او على ذات عجب من لدنك رحمة اي رحمة من خزاين رحمتك وهي المغفرة والرزق والامن من الاعداء وهيي لنا من امرنا الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا حتى نكون بسببه راشدين مهتدين او اجعل امرنا رشدا كله كقولك رايت منك رشدا فضربنا على اذانهم اي ضربنا عليها حجابا من ان تسمع يعني انمناهم انامة ثقيلة لا تنبههم فيها الاصوات كما ترى المستثقل في نومه يصاح به فلا يسمع ولا يستنبه فحذف المفعول الذي هو الحجاب كما يقال بنى على امراته يريدون بنى عليها القبة سنين عددا ذوات عدد فيحتمل ان يريد الكثرة وان يريد القلة لان الكثير قليل عنده كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقال الزجاج اذا قل فهم مقدار عدده فلم يحتج ان يعد واذا كثر احتاج الى ان يعد اي تضمن معنى الاستفهام فعلق عنه لنعلم فلم يعمل فيه وقرى ليعلم وهو معلق عنه ايضا لان ارتفاعه بالابتداء لا باسناد يعلم اليه وفاعل يعلم مضمون الجملة كما انه مفعول نعلم اي الحزبين المختلفين منهم في مدة لبثهم لانهم لما انتبهوا اختلفوا في ذلك وذلك قوله قال قايل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وكان الذين قالوا ربكم اعلم بما لبثتم هم الذين علموا ان لبثهم قد تطاول او اي الحزبين المختلفين من غيرهم واحصى فعل ماض اي ايهم ضبط امدا لاوقات لبثهم فان قلت فما تقول فيمن جعله من افعل التفضيل قلت ليس بالوجه السديد وذلك ان بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس ونحو اعدى من الجرب وافلس من ابن المذلق شاذ والقياس

نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات
والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان
بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته و
يهيئ لكم من أمركم مرفقا وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال

على الشاذ غير القرآن ممتنع لكيفية به ولذا أمدا لا يخلو إما أن ينصب بأفعل فأفعل لا يعمل وإما أن ينصب
بلبثوا فلا يسد عليه المعنى فإن زعمت أني أنصبه بإضمار فعل يدل عليه أحصى كما أضمر في قوله
واضرب منا بالسيوف القوانسا على نضرب القوانس فقد أبعدت المتناول وهو قريب حيث أبيت
أن يكون أحصى فعلا ثم رجعت مضطرا إلى تقديره وإضماره فإن قلت كيف جعل الله تعالى العلم
بإحصائهم المدة غرضا في الضرب على آذانهم قلت الله عز وعلا لم يزل عالما بذلك وإنما أراد ما
تعلق به العلم من ظهور الأمر لهم ليزدادوا إيمانا واعتبارا ويكون لطفا لمؤمني زمانهم وآية بينة
لكفاره وزدناهم هدى بالتوفيق والتثبيت وربطنا على قلوبهم وقويناها بالصبر على هجر الأوطان والنعيم
والفرار بالدين إلى بعض الغيران وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالإسلام إذ قاموا بين يدي الجبار
وهو دقيانوس من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم فقالوا ربنا رب السموات والأرض شططا
قولا ذا شطط وهو الإفراط في الظلم والإبعاد فيه من شط إذا بعد ومنه أشطط في السوم وفي غيره هؤلاء
مبتدأ وقومنا عطف بيان واتخذوا خبر وهو إخبار في معنى الإنكار لولا يأتون عليهم هلا يأتون على
عبادتهم فحذف المضاف بسلطان بين ببرهان ظاهر وهو تبكيت لأن الإتيان بالسلطان على عبادة الأوثان محال وهو دليل
على فساد التقليد وأنه لا بد في الدين من الحجة حتى يصح ويثبت افترى على الله كذبا بنسبة الشريك إليه وإذ
اعتزلتموهم خطاب من بعضهم لبعض حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم وما يعبدون عطف
على الضمير يعني وإذا اعتزلتم القوم ومعبوديهم إلا الله يجوز أن يكون استثناء متصلا على
ما روي أنهم كانوا يقرون بالخالق ويشركون معه كما أهل مكة وأن يكون منقطعا وقيل هو كلام
معترض إخبار من الله تعالى عن الفتية أنهم لم يعبدوا غير الله مرفقا وقرئ بفتح الميم وكسر الفاء وهو
ما يرتفق به أي ينتفع إما أن يقولوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة في رجائهم لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم
وإما أن يخبرهم به نبي في عصرهم وإما أن يكون بعضهم نبيا تزاور أي تتزاور وخفف بإدغام التاء
في الزاي أو حذفها وقد قرئ بهما وقرئ تزور وتزوار بوزن تحمر وتحمار وكلها من الزور
وهو الميل ومنه زاره إذا مال إليه والزور الميل عن الصدق ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها
الجهة المسماة باليمين تقرضهم تقطعهم لا تقربهم من معنى القطيعة والصرم قال ذو الرمة
إلى ظعن يقرضن أقواز مشرف شمالا وعن أيمانهن الفوارس وهم في فجوة منه وهم في متسع من
الكهف والمعنى أنهم في ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس في طلوعها ولا غروبها مع أنهم في مكان واسع
منفتح معرض لإصابة الشمس لولا أن الله يحجبها عنهم وقيل متفتح من غارهم ينالهم فيه
روح الهواء وبرد النسيم ولا يحسون كرب الغار ذلك من آيات الله أي ما صنعه الله بهم من ازورار الشمس
وقرضها طالعة وغاربة آية من آيات الله يعني أن ما كان في ذلك السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم
اختصاصا لهم بالكرامة وقيل باب الكهف شمالي مستقبل لبنات نعش فهم في مقنأة أبدا ومعنى
ذلك من آيات الله أن شأنهم وحديثهم من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ثناء عليهم بأنهم جاهدوا في الله

فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا وتحسبهم أيقاظا وهم رقود
ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا وكذلك
بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة

وأسلموا لله وجوههم فلطف بهم وأعانهم وأرشدهم إلى نيل تلك الكرامة السنية والاختصاص بالآية
العظيمة وأن كل من سلك طريقتهم فهو المهتد يدل للراشدين فهو الذي أصاب الفلاح واهتدى إلى السعادة
ومن تعرض للخذلان فلن تجد من يليه ويرشده بعد خذلان الله وتحسبهم بكسر السين وفتحها خطاب
لكل أحد والأيقاظ جمع يقظ كأنكاد في نكد قيل عيونهم مفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك
أيقاظا وقيل لكثرة تقلبهم وقيل لهم تقلبتان في السنة وقيل تقلبة واحدة في يوم عاشوراء وقرئ
ويقلبهم بالياء والضمير لله سبحانه وقرئ وتقلبهم على المصدر منصوبا وانتصابه بفعل مضمر يدل
عليه وتحسبهم إيقاظا كأنه قيل وترى وتشاهد تقلبهم وقرأ جعفر الصادق وكالبهم أي وصاحب
كلبهم باسط ذراعيه حكاية حال ماضية لأن اسم الفاعل لا يعمل إذا كان في معنى المضي وإضافته إذا
أضيف حقيقية معرفة كغلام زيد إلا إذا نويت حكاية الحال الماضية بالوصيد بالفناء وقيل
العتبة وقيل الباب وأنشد بأرض فضاء لا يسد وصيدها علي ومعروفي بها غير منكر وقرئ
ولملئت بتشديد اللام للمبالغة وقرئ بتخفيف الهمزة وقلبها ياء رعبا بالتخفيف والتثقيل وهو الخوف
الذي يرعب الصدر أي يملؤه وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة وقيل لطول أظفارهم وشعورهم وعظم
أجرامهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية أنه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن
هؤلاء فنظرنا إليهم فقال له ابن عباس رضي الله عنه ليس لك ذلك قد منع الله تعالى من هو خير منك فقال لو اطلعت
عليهم لوليت منهم فرارا فقال معاوية لا أنتهي حتى أعلم علمهم فبعث ناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا
ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله تعالى عليهم ريحا فأحرقتهم وقرئ لو اطلعت بضم الواو وكذلك بعثناهم
وكما أنمناهم تلك النومة كذلك بعثناهم ادكارا بقدرته على الإنامة والبعث جميعا ليتساءلوا بينهم ليسأل بعضهم بعضا
ويتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله ويزدادوا يقينا ويشكروا
ما أنعم به عليهم وكرموا به قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم جواب مبني على غالب الظن وفيه دليل على جواز
الاجتهاد والقول بالظن الغالب وأنه لا يكون كذبا وإن جاز أن يكون خطأ قالوا ربكم أعلم بما لبثتم إنكار عليهم
من بعضهم وأن الله أعلم بمدة لبثهم كأن هؤلاء قد علموا بالأدلة أو بإلهام من الله سبحانه أن المدة متطاولة وأن
مقدارها مبهم لا يعلمه إلا الله وروي أنهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال فظنوا
أنهم في يومهم فلما نظروا إلى طول أظفارهم وأشعارهم قالوا ذلك فإن قلت كيف وصلوا قولهم فابعثوا بتذاكر
حديث المدة قلت كأنهم قالوا ربكم أعلم بذلك لا طريق لكم إلى علمه فخذوا في شيء آخر مما يهمكم والورق الفضة
مضروبة كانت أو غير مضروبة ومنه الحديث أن عرفجة أصيب أنفه يوم الكلاب فاتخذ أنفا من ورق
فأمره رسول الله أن يتخذ أنفا من ذهب وقرئ بورقكم بسكون الراء والواو مفتوحة أو مكسورة وقرأ ابن كثير
بورقكم بكسر الراء وإدغام القاف في الكاف وعن ابن محيصن أنه كسر الواو وأسكن الراء وأدغم وهذا
غير جائز لالتقاء الساكنين لا على حده وقيل المدينة طرسوس قالوا وتزودهم ما كان معهم من الورق
عند فرارهم دليل على أن حمل النفقة وما يصلح المسافر هو رأي المتوكلين على الله دون المتكلين على

وليتلطف ولا يشعرن بكم احدا انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم او يعيدوكم
في ملتهم ولن تفلحوا اذا ابدا وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق وان الساعة لا ريب فيها اذ يتنازعون بينهم
امرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم و

على الانفاقات وعلى ما في اوعية القوم من النفقات ومنه قول عايشة رضي الله عنها لمن سالها عن محرم يشد عليه هميانه اوثق عليك نفقتك وما حكي عن بعض صعاليك العلماء انه كان شديد الحنين الى ان يرزق حج بيت الله وتعوقه منه ذلك فكانت مياسير اهل بلده كلما عزم منهم فوج على الحج اتوه فبذلوا له ان يحجوا به والحوا عليه فيعتذر اليهم ويحمد اليهم بذلهم فاذا انفضوا عنه قال لمن عنده ما لهذا السفر الا شيئان شد الهميان والتوكل على الرحمن ايها اي اهلها فحذف الاهل كما في قوله واسئل القرية ازكى طعاما احل واطيب واكثر وارخص وليتلطف وليتكلف اللطف والنيقة فيما يباشره من امر المبايعة حتى لا يغبن او في امر التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا يعني ولا يفعلن ما يؤدي من غير قصد منه الى الشعور بنا فسمى ذلك اشعارا منه بهم لانه سبب فيه الضمير في انهم راجع الى الاهل المقدر في ايها يرجموكم يقتلوكم اخبث القتلة وهي الرجم وكان من عادتهم او يعيدوكم او يدخلوكم في ملتهم بالاكراه العنيف ويصيروكم اليها والعود في معنى الصيرورة اكثر شيء في كلامهم يقولون ما عدت افعل كذا يريدون ما ابتدأ الفعل ولن تفلحوا اذا ابدا ان دخلتم في دينهم وكذلك اعثرنا عليهم وكما انمناهم وبعثناهم لما في ذلك من الحكمة اطلعنا عليهم ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم ان وعد الله حق وهو البعث لان حالهم في نومتهم وانتباههم بعدها كحال من يموت ثم يبعث واذ يتنازعون بينهم امر دينهم ويختلفون في حقيقة البعث فكان بعضهم يقول تبعث الارواح دون الاجساد وبعضهم تبعث الاجساد مع الارواح ليرتفع الخلاف وليتبين ان الاجساد تبعث حية حساسة فيها ارواحها كما كانت قبل الموت فقالوا حين توفى الله اصحاب الكهف ابنوا عليهم بنيانا اي على باب كهفهم لئلا يتطرق الناس اليهم ضنا بتربتهم ومحافظة عليها كما حفظت تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحظيرة قال الذين غلبوا على امرهم من المسلمين وملكهم وكانوا اولى بهم وبالبناء عليهم لنتخذن على باب الكهف مسجدا يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم وقيل اذ يتنازعون بينهم امرهم اي يتذاكر الناس بينهم امر اصحاب الكهف ويتكلمون في قصتهم وما اظهر الله من الاية فيهم او يتنازعون بينهم تدبير امرهم حين توفوا كيف يخفون مكانهم وكيف يسدون الطريق اليهم فقالوا ابنوا على باب كهفهم بنيانا روي ان اهل الانجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الاصنام واكرهوا على عبادتها وممن شدد في ذلك دقيانوس فاراد فتية من اشراف قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل فابوا الا الثبات على الايمان والتصلب فيه ثم هربوا الى الكهف ومروا بكلب فتبعهم فطردوه فانطقه الله فقال ما تريدون مني انا احب احباء الله فناموا وانا احرسكم وقيل مروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم ودخلوا الكهف فكانوا يعبدون الله فيه ثم ضرب الله على اذانهم وقبل ان بعثهم الله ملك مدينتهم رجل صالح مومن وقد اختلف اهل مملكته في البعث معترفين وجاحدين فدخل الملك بيته واغلق بابه ولبس مسحا وجلس على رماد وسال ربه ان يبين لهم الحق فالقى الله في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به فم الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه ولما دخل المدينة من بعثوه

يقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون
سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل

لابتياع الطعام واخرج الورق وكان من ضرب دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص عليه القصة فانطلق الملك واهل المدينة معه وابصروهم وحمدوا الله على الاية الدالة على البعث ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم وتوفى الله انفسهم فالقى الملك عليهم ثيابه وامر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا ربهم اعلم بهم من كلام المتنازعين كانهم تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم ومدة لبثهم فلما لم يهتدوا الى حقيقة ذلك قالوا ربهم اعلم بهم او هو من كلام الله عز وجل رد لقول الخائضين في حديثهم من اولئك المتنازعين او من الذين تنازعوا فيهم على عهد رسول الله من اهل الكتاب سيقولون الضمير لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب والمؤمنين سالوا رسول الله عنهم فاخر الجواب الى ان يوحى اليه فيهم فنزلت اخبارا بما سيجري بينهم من اختلافهم في عددهم وان المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم قال ابن عباس رضي الله عنه انا من اولئك القليل وروي ان السيد والعاقب واصحابهما من اهل نجران كانوا عند النبي عليه السلام فجرى ذكر اصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم فحقق الله قول المسلمين وانما عرفوا ذلك باخبار رسول الله عن لسان جبريل وعن علي رضي الله عنه هم سبعة نفر اسماؤهم يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا هؤلاء اصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في امره والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسم مدينتهم افسوس واسم كلبهم قطمير فان قلت لم جاء بسين الاستقبال في الاول دون الاخرين قلت فيه وجهان ان تدخل الاخرين في حكم السين كما تقول قد اكرم وانعم تريد معنى التوقع في الفعلين جميعا وان تريد بيفعل معنى الاستقبال الذي هو صالح له رجما بالغيب رميا بالخبر الخفي واتيانا به كقوله ويقذفون بالغيب اي ياتون به او وضع الرجم موضع الظن فكانه قيل ظنا بالغيب لانهم اكثروا ان يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين الا ترى الى قول زهير وما هو عنها بالحديث المرجم اي المظنون وقرئ ثلاث رابعهم بادغام الثاء في تاء التانيث وثلاثة خبر مبتدا محذوف اي هم ثلاثة وكذلك خمسة وسبعة ورابعهم كلبهم جملة من مبتدا وخبر واقعة صفة لثلاثة وكذلك سادسهم كلبهم وثامنهم كلبهم فان قلت فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة ولم دخلت عليها دون الاوليين قلت هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة في نحو قولك جاءني رجل ومعه اخر ومررت بزيد وفي يده سيف ومنه قوله عز وعلا وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم وفايدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت مستقر وهذه الواو هي التي اذنت بان الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات علم وطمانينة نفس ولم يرجموا بالظن كما غيرهم والدليل عليه ان الله سبحانه اتبع القولين الاولين قوله رجما بالغيب واتبع القول الثالث قوله ما يعلمهم الا قليل وقال ابن عباس رضي الله عنه حين وقعت

الواو انقطعت العدة اي لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت اليها وثبت انهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والبتات وقيل الاولان من اهل الكتاب والضمير في سيقولون على هذا لاهل الكتاب خاصة اي سيقول اهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك الا في قليل منهم واكثرهم على ظن وتخمين فلا تمار فيهم فلا تجادل اهل الكتاب في شان اصحاب الكهف الا مراء ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما اوحى الله اليك فحسب ولا تزيد من غير تجهيل لهم ولا تعنيف بهم في الرد عليهم كما قال وجادلهم بالتي هي احسن ولا تستفت ولا تسال احدا منهم عن قصتهم سؤال متعنت له حتى يقول شيئا فترده عليه وتزيف ما عنده لان ذلك خلاف ما وصيت به من المداراة والمجاملة ولا سؤال مسترشد لان الله قد ارشدك بان اوحى اليك قصتهم ولا تقولن لشيء ولا تقولن لاجل شيء تعزم عليه اني فاعل ذلك الشيء غدا اي فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة الا ان يشاء الله متعلق بالنهي لا بقوله اني فاعل لانه لو قال اني فاعل كذا الا ان يشاء الله كان معناه الا ان تعترض مشية الله دون فعله وذلك مما لا مدخل فيه للنهي وتعلقه بالنهي على وجهين احدهما ولا تقولن ذلك القول الا ان يشاء الله ان تقوله بان ياذن لك فيه والثاني ولا تقولنه الا بان يشاء الله اي الا بمشيته وهو في موضع الحال يعني الا ملتبسا بمشية الله قائلا ان شاء الله وفيه وجه ثالث وهو ان يكون ان شاء الله في معنى كلمة تابيد كانه قيل ولا تقولنه ابدا ونحوه قوله وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله لان عودهم في ملتهم مما لن يشاءه الله وهذا نهي تاديب من الله لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن اصحاب الكهف وذي القرنين فسالوه فقال ايتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطا عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش واذكر ربك اي مشية ربك وقل ان شاء الله اذا فرط منك نسيان لذلك والمعنى اذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر وعن ابن عباس ولو بعد سنة ما لم يحنث وعن سعيد بن جبير ولو بعد يوم او اسبوع او شهر او سنة وعن طاوس هو على ثنياه ما دام في مجلسه وعن الحسن نحوه وعن عطاء يستثني على مقدار حلب ناقة غزيرة وعند عامة الفقهاء انه لا اثر له في الاحكام ما لم يكن موصولا ويحكى انه بلغ المنصور ان ابا حنيفة رحمه الله خالف ابن عباس في الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال ابو حنيفة هذا يرجع عليك انك تاخذ البيعة بالايمان افترضى ان يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه ورضي عنه ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت كلمة الاستثناء تشديدا في البعث على الاهتمام بها وقيل واذكر ربك اذا تركت بعض ما امرك به وقيل واذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقل عسى يحملك على اداء الصلوة المنسية عند ذكرها وهذا اشارة الى نبا اصحاب الكهف ومعناه لعل الله يؤتيني من البينات والحجج على اني نبي صادق ما هو اعظم في الدلالة واقرب رشدا من نبا اصحاب الكهف وقد فعل ذلك حيث اتاه من قصص الانبياء والاخبار بالغيوب ما هو اعظم من ذلك وادل والظاهر ان يكون المعنى اذا نسيت شيئا فاذكر ربك وذكر ربك عند نسيانه ان تقول عسى ربي ان يهديني لشيء آخر بدل هذا المنسي اقرب منه رشدا وادنى خيرا ومنفعة ولعل النسيان كان خيرة كقوله او ننسها نات بخير منها ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين يريد لبثهم فيه احياء مضروبا على آذانهم هذه المدة وهو

واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحيوة الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه

بيان لما اجمل في قوله فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ومعنى قوله قل الله اعلم بما لبثوا انه اعلم من الذين اختلفوا فيهم بمدة لبثهم والحق ما اخبرك به وعن قتادة انه حكاية لكلام اهل الكتاب وقل الله اعلم رد عليهم وقال في حرف عبد الله وقالوا لبثوا وسنين عطف بيان لثلاث مائة وقرئ بثلاث مائة سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله بالاخسرين اعمالا وبه قراءة ابي ثلاث مائة سنة تسعا تسع سنين لان ما قبله يدل عليه ثم ذكر اختصاصه بما غاب في السموات والارض وخفي فيهما من احوال اهلها ومن غيرها وانه هو وحده العالم به فجاء بما دل على التعجب من ادراكه للمسموعات والمبصرات للدلالة على ان امره في الادراك خارج عن حد ما عليه ادراك السامعين والمبصرين لانه يدرك الطف الاشياء واصغرها كما يدرك اكبرها حجما واكثفها جرما ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر ما لهم الضمير لاهل السموات والارض من ولي من متول لامورهم ولا يشرك في حكمه في قضائه احدا منهم وقرا الحسن ولا تشرك بالتاء والجزم على النهي كانوا يقولون له ائت بقران غير هذا او بدله فقيل له واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك من القران ولا تسمع لما يهذون به من طلب التبديل فلا مبدل لكلماته لا يقدر احد على تبديلها وتغييرها انما يقدر على ذلك هو وحده واذا بدلنا آية مكان آية ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجا تعدل اليه ان هممت بذلك قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله نح هؤلاء الموالي الذين كان ريح جبابهم ريح الضان ومنهم صهيب وعمار وخباب وغيرهم من فقراء المسلمين حتى نجالسك كما قال قوم نوح انؤمن لك واتبعك الارذلون فنزلت واصبر نفسك واحبسها معهم وثبتها قال ابو ذؤيب فصبرت عارفة لذلك حرة ترسو اذا نفس الجبان تطلع بالغداة والعشي دائبين على الدعاء كل وقت وقيل المراد صلوة الفجر والعصر وقرئ بالغدوة وبالغداة اجود لان غدوة علم في اكثر الاستعمال وادخال اللام على تاويل التنكير كما قال والزيد زيد المعارك ونحو قليل في كلامهم يقال عداه اذا جاوزه ومنه قولهم عدا طوره وجاءني القوم عدا زيدا وانما عدي بعن لتضمن عدا معنى نبا وعلا في قولك نبت عنه عينه وعلت عنه عينه اذا اقتحمته ولم تعلق به فان قلت اي غرض في هذا التضمين وهلا قيل ولا تعدهم عيناك او ولا تعل عيناك عنهم قلت الغرض فيه اعطاء مجموع معنيين وذلك اقوى من اعطاء معنى فذ الا ترى كيف رجع المعنى الى قولك ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين الى غيرهم ونحوه قوله تعالى ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم اي ولا تضموها اليها آكلين لها وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد عينيك من اعداه وعداه نقلا بالهمزة وتثقيل الحشو ومنه قوله فعد عما ترى اذ لا ارتجاع له لان معناه فعد همك عما ترى نهي رسول الله عليه السلام ان يزدري بفقراء المؤمنين وان تنبو عينه عن رثاثة زيهم طموحا الى زي الاغنياء وحسن شارتهم تريد زينة الحيوة الدنيا في موضع الحال من اغفلنا قلبه من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر بالخذلان او وجدناه غافلا عنه كقولك اجبنته وافحمته وابخلته اذا وجدته كذلك او من اغفل ابله اذا تركها بغير

وكان أمره فرطا وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما

سمة أي لم نسمه بالذكر ولم نجعلهم من الذين كتبنا في قلوبهم الإيمان وقد أبطل الله توهم المجبرة
بقوله واتبع هواه وقرئ أغفلنا قلبه بإسناد الفعل إلى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين
من أغفلته إذا وجدته غافلا فرطا متقدما للحق والصواب نابذا له وراء ظهره من قولهم فرس
فرط متقدم للخيل قل الحق من ربكم الحق خبر مبتدأ محذوف والمعنى جاء الحق وزاحت العلل فلم يبق إلا
اختياركم لأنفسكم ما شئتم من الأخذ في طريق النجاة أو في طريق الهلاك وجيء بلفظ الأمر والتخيير
لأنه لما مكن من اختيار أيهما شاء فكأنه مخير مأمور بأن يتخير ما شاء من النجدين شبه ما يحيط بهم
من النار بالسرادق وهو الحجرة التي تكون حول الفسطاط وبيت مسردق ذو سرادق وقيل هو دخان
يحيط بالكفار قبل دخولهم النار وقيل حائط من نار يطيف بهم يغاثوا بماء كالمهل كقوله
فأعتبوا بالصيلم وفيه تهكم والمهل ما أذيب من جواهر الأرض وقيل دردي الزيت يشوي الوجوه
إذا قدم ليشرب انشوى الوجه من حرارته عن النبي عليه السلام هو كعكر الزيت فإذا قرب إليه سقطت فروة
وجهه بئس الشراب ذلك وساءت النار مرتفقا متكأ من المرفق وهذا لمشاكلة قوله وحسنت مرتفقا وإلا
فلا ارتفاق لأهل النار ولا اتكاء إلا أن يكون من قوله إني أرقت فبت الليل مرتفقا كأن عيني فيها الصاب
مذبوح أولئك خبران وإنا لا نضيع اعتراض ولك أن تجعل إنا لا نضيع وأولئك خبرين معا أو تجعل
أولئك كلاما مستأنفا بيانا للأجر المبهم فإن قلت إذا جعلت إنا لا نضيع خبرا فأين الضمير الراجع منه
إلى المبتدأ قلت من أحسن عملا والذين آمنوا وعملوا الصالحات ينتظمهما معنى واحد فقام من أحسن مقام
الضمير أو أردت من أحسن عملا منهم فكان كقولك السمن منوان بدرهم من الأولى للابتداء والثانية للتبيين
وتنكير أساور لإبهام أمرها في الحسن وجمع بين السندس وهو مارق من الديباج وبين الإستبرق وهو الغليظ
منه جمعا بين النوعين وخص الاتكاء لأنه هيئة المتنعمين والملوك على أسرتهم واضرب لهم مثلا رجلين
ومثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين وكانا أخوين في بني إسرائيل أحدهما كافر اسمه فطروس والآخر مؤمن
اسمه يهوذا وقيل هما المذكوران في سورة والصافات في قوله قال قائل منهم إني كان لي قرين ورثا من أبيهما ثمانية
آلاف دينار فتشاطراها فاشترى الكافر أرضا بألف فقال المؤمن اللهم إن أخي اشترى أرضا بألف دينار وأنا أشتري
منك أرضا في الجنة بألف فتصدق به ثم بنى أخوه دارا بألف فقال اللهم إني أشتري منك دارا في الجنة بألف فتصدق به ثم
تزوج أخوه امرأة بألف فقال اللهم إني جعلت ألفا صداقا للحور ثم اشترى أخوه خدما ومتاعا بألف فقال
اللهم إني اشتريت منك الولدان المخلدين بألف فتصدق به ثم أصابته حاجة فجلس لأخيه على طريقه فمر به
في حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق بماله وقيل هما مثل لأخوين من بني مخزوم مؤمن وهو
أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد وكان زوج أم سلمة قبل رسول الله وكافر وهو الأسود بن عبد الأسد جنتين
من أعناب بستانين من كروم وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين
في كرومهم أن يجعلوها مؤزرة بالأشجار المثمرة يقال حفوه إذا طافوا به وحففته بهم أي جعلتهم حافين
حوله وهو متعد إلى مفعول واحد فتزيده الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيته وغشيته به وجعلنا بينهما

فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله

زرعا جعلها أرضا جامعة للأقوات والفواكه ووصف العمارة بأنها متواصلة متشابكة لم يتوسطها
ما يقطعها ويفصل بينها مع الشكل الحسن والترتيب الأنيق ونعتها بوفاء الثمار وتمام الأكل من غير
نقص ثم بما هو أصل الخير ومادته من أمر الشرب فجعله أفضل ما يسقى به وهو السيح بالنهر الجاري
فيها والأكل الثمر وقرئ بضم الكاف ولم تظلم ولم تنقص وآتت حمل على اللفظ لأن كلتا لفظه
لفظ مفرد ولو قيل آتتا على المعنى لجاز وقرئ وفجرنا على التخفيف وقرأ عبد الله كل الجنتين
آتى أكله رد الضمير على كل وكان له ثمر أي أنواع من المال من ثمر ماله إذا كثره وعن مجاهد
الذهب والفضة أي كانت له إلى الجنتين الموصوفتين الأموال الكثيرة من الذهب والفضة وغيرهما فكان
وافر اليسار من كل وجه متمكنا من عمارة الأرض كيف شاء وأعز نفرا يعني أنصارا وحشما وقيل
أولادا ذكورا لأنهم ينفرون معه دون الإناث يحاوره يراجعه الكلام من حار يحور إذا رجع يسائله
عن ماله كلمة يعني قطروس أخذ بيد المسلم يطوف به في الجنتين ويريه ما فيهما ويعجبه منهما ويفاخره
بما ملك من المال دونه فإن قلت لم أفرد الجنة بعد التثنية قلت معناه ودخل ما هو جنته ما له جنة
غيرها يعني أنه لا نصيب له في الجنة التي وعد المؤمنون فما ملكه في الدنيا هو جنته لا غير ولم يقصد
الجنتين ولا واحدة منهما وهو ظالم لنفسه وهو معجب بما أوتي مفتخر به كافر لنعمة ربه معرض
بذلك نفسه لسخط الله وهو أفحش الظلم أخباره عن نفسه بالشك في بيدودة جنته لطول أمله
واستيلاء الحرص عليه وتمادي غفلته واغتراره بالمهلة واطراحه النظر في عواقب أمثاله وترى أكثر
الأغنياء من المسلمين وإن لم يطلقوا بنحو هذا ألسنتهم فإن ألسنة أحوالهم ناطقة به منادية عليه ولئن
رددت إلى ربي إقسام منه على أنه إن رد إلى ربه على سبيل الفرض والتقدير وكما يزعم صاحبه ليجدن في الآخرة
خيرا من جنته في الدنيا تطمعا وتمنيا على الله وادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده وأنه ما أولاه
الجنتين إلا لاستحقاقه واستئهاله وأن معه هذا الاستحقاق أين توجه كقوله إن لي عنده للحسنى لأوتين مالا
وولدا وقرئ خيرا منهما ردا على الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة وانتصابه على التمييز أي منقلب تلك
خير من منقلب هذه لأنها فانية وتلك باقية خلقك من تراب أي خلق أصلك لأن خلق أصله سبب في خلقه فكان
خلقه خلقا له سواك عدلك وكملك إنسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعله كافرا بالله جاحدا لأنعمه
لشكه في البعث كما يكون المكذب بالرسول كافرا لكنا هو الله ربي أصله لكن أنا فحذفت الهمزة وألقيت حركتها
على نون لكن فتلاقت النونان فكان الإدغام ونحوه قول القائل وترمينني بالطرف أي أنت مذنب وتقلينني لكن
إياك لا أقلي أي لكن أنا لا أقليك وهو ضمير الشأن والشأن الله ربي والجملة خبر أنا والراجع منها إليه ياء
الضمير وقرأ ابن عامر بإثبات ألف أنا في الوصل والوقف جميعا وحسن ذلك وقوع الألف عوضا من حذف
الهمزة وغيره لا يثبتها إلا في الوقف وعن أبي عمرو أنه وقف بالهاء لكنه وقرئ لكن هو الله ربي بسكون النون
وطرح أنا وقرأ أبي بن كعب لكن أنا على الأصل وفي قراءة عبد الله لكن أنا لا إله إلا هو ربي فإن قلت هو استدراك لماذا
قلت لقوله أكفرت قال لأخيه أنت كافر بالله لكني مؤمن موحد كما تقول زيد غائب لكن عمرا حاضر ما شاء الله يجوز أن تكون ما

ان ترن انا اقل منك مالا وولدا فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا
من السماء فتصبح صعيدا زلقا او يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا واحيط بثمره
فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا ولم
تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا هنالك الولاية لله الحق

ما موصولة مرفوعة المحل على انها خبر مبتدا محذوف تقديره الامر ما شا الله او شرطية منصوبة
الموضع والجزا محذوف بمعنى اي شي شا الله كان ونظيره في حذف الجواب لو في قوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال
المعنى هلا قلت عند دخولها والنظر الى ما رزقك الله منها الامر ما شا الله اعترافا بانها وكل خير فيها
انما حصل بمشية الله وفضله وان امرها بيده ان شا تركها عامرة وان شا خربها وقلت لا قوة الا بالله اقرارا
بان ما قويت به على عمارتها وتدبير امرها هو بمعونته وتاييده اذ لا يقوى احد في بدنه ولا في ملك يده
الا بالله وعن عروة بن الزبير انه كان يثلم حائطه ايام الرطب فيدخل من شا وكان اذا دخله ردد
هذه الاية حتى يخرج من قرا اقل بالنصب فقد جعل انا فصلا ومن رفع جعله مبتدا واقل خبره
والجملة مفعولا ثانيا لترني وفي قوله وولدا نصرة لمن فسر النفر بالاولاد في قوله واعز نفرا والمعنى
ان ترني افقر منك فانا اتوقع من صنع الله ان يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لايماني جنة
خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب بستانك والحسبان مصدر كالغفران والبطلان
بمعنى الحساب اي مقدارا قدره الله وحسبه وهو الحكم بتخريبها وقال الزجاج عذاب حسبان
وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك وقيل حسبانا مرامي الواحدة حسبانة وهي الصواعق صعيدا
ارضا بيضا يزلق عليها لملاستها زلقا وغورا كلاهما وصف بالمصدر واحيط به عبارة
عن اهلاكه واصله من احاط به العدو لانه اذا احاط به فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل في كل اهلاك ومنه
قوله تعالى الا ان يحاط بكم ومثله قولهم اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدو اذا جاهم مستعليا لهم وتقليب
الكفين كناية عن الندم والتحسر لان النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن كما كني عن ذلك بعض الكف والسقوط
في اليد ولانه في معنى الندم عدي تعديته بعلى كانه قيل فاصبح يندم على ما انفق فيها اي انفق في عمارتها
وهي خاوية على عروشها يعني ان كرومها المعرشة سقطت عروشها على الارض وسقطت فوقها الكروم
قيل ارسل الله عليها نارا فاكلتها يا ليتني تذكر موعظة اخيه فعلم انه اتي من جهة شركه وطغيانه
فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله بستانه ويجوز ان يكون توبة من الشرك وندما على ما كان منه ودخولا في الايمان
قرئ لم يكن بالياء والتاء وحمل ينصرونه على المعنى دون اللفظ كقوله فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة فان قلت
ما معنى قوله ينصرونه من دون الله قلت معناه يقدرون على نصرته من دون الله اي هو وحده القادر على نصرته لا يقدر احد
غيره ان ينصره الا انه لم ينصره لصارف وهو استيجابه ان يخذل وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته عن
انتقام الله الولاية بالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان والملك وقد قرئ بهما والمعنى هنالك اي
في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها احد سواه تقريرا لقوله
ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله او هنالك السلطان والملك لله لا يغلب ولا يمتنع منه او في مثل تلك الحال
الشديدة يتولى الله ويومن به كل مضطر يعني ان قوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا كلمة الجي اليها فقالها
جزعا مما دهاه من شوم كفره ولولا ذلك لم يقلها ويجوز ان يكون المعنى هنالك الولاية ينصر فيها
اولياه المومنين على الكفرة وينتقم لهم ويشفي صدورهم من اعدايهم يعني انه نصر فيما فعل بالكافر

هو خير ثوابا وخير عقبا واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كما انزلناه من السما فاختلط به نبات
الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شي مقتدرا المال والبنون زينة الحيوة
الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا ويوم نسير الجبال وترى الارض
بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما
خلقناكم اول مرة بل زعمتم الن نجعل لكم موعدا

اخاه المومن وصدق به قوله عسى ربي ان يوتيني خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السما ويعضده
قوله هو خير ثوابا وخير عقبا اي لاوليايه وقيل هنالك اشارة الى الاخرة اي في تلك الدار الولاية لله كقوله
لمن الملك اليوم وقرئ الحق بالرفع والجر صفة للولاية ولله وقرا عمرو بن عبيد رحمه الله بالنصب على التاكيد كقولك
هذا عبد الله الحق لا الباطل وهي قراة حسنة فصيحة وكان عمرو بن عبيد من افصح الناس وانصحهم وقرئ
عقبا بضم القاف وسكونها وعقبى على فعلى وكلها بمعنى العاقبة فاختلط به نبات الارض فالتف
بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا وقيل نجع في النبات الما فاختلط به حتى روي ورف رفيفا
وكان حق اللفظ على هذا التفسير فاختلط بنبات الارض ووجه صحته ان كل مختلطين موصوف كل
واحد منهما بصفة صاحبه والهشيم ما تهشم وتحطم الواحدة هشيمة وقرئ تذروه الريح وعن
ابن عباس تذريه الرياح من اذرى شبه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك
والفنا بحال النبات يكون اخضر وارفا ثم يهيج فتطيره الرياح كان لم يكن وكان الله على
كل شي من الانشا والافنا مقتدرا والباقيات الصالحات اعمال الخير التي تبقى ثمرتها للانسان وتفنى
عنه كل ما تطمح اليه نفسه من حظوظ الدنيا وقيل هي الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله
الا الله والله اكبر وعن قتادة كل ما اريد به وجه الله خير ثوابا اي ما يتعلق بها من الثواب وما يتعلق
بها من الامل لان صاحبها يامل في الدنيا ثواب الله ونصيبه في الاخرة وقرئ نسير من سيرت وتسير
من سيرت وتسير من سارت اي تسير في الجو او يذهب بها بان تجعل هبا منبثا وقرئ وترى
الارض على البنا للمفعول بارزة ليس عليها ما يسترها مما كان عليها وحشرناهم وجمعناهم الى الموقف
وقرئ فلم نغادر بالنون والياء يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر ترك الوفا والغدير
ما غادره السيل وشبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان صفا مصطفين ظاهرين
ترى جماعتهم كما يرى كل واحد منهم لا يحجب احد احدا لقد جيتمونا اي قلنا لهم لقد جيتمونا
وهذا المضمر هو عامل النصب في يوم نسير ويجوز ان ينتصب باضمار اذكر والمعنى لقد بعثناكم كما انشاناكم
اول مرة وقيل جيتمونا عراة لا شي معكم كما خلقناكم اولا كقوله ولقد جيتمونا فرادى فان قلت لم جي
بحشرناهم ماضيا بعد نسير وترى قلت للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك
الاهوال والعظايم كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك موعدا وقتا لانجاز ما وعدتم على السنة الانبيا
من البعث والنشور والكتاب للجنس وهو صحف الاعمال يا ويلتنا ينادون هلكتهم التي هلكوها
خاصة من بين الهلكات صغيرة ولا كبيرة هنة صغيرة ولا كبيرة وهي عبارة عن الاحاطة يعني لا يترك
شيا من المعاصي الا احصاها اي احصاها كلها كما تقول ما اعطاني قليلا ولا كثيرا لان الاشيا اما صغار
واما كبار ويجوز ان يريد وما كان عندهم صغاير وكباير وقيل لم يجتنبوا الكباير فكتبت
عليهم الصغاير وهي المناقشة وعن ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وعن سعيد بن
جبير الصغيرة المسيس والكبيرة الزنا وعن الفضيل كان اذا قراها قال ضجوا والله من الصغاير قبل

ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا واذ قلنا للملئكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه

الكبائر الا احصاها الا ضبطها وحصرها ووجدوا ما عملوا حاضرا في الصحف عتيدا او جزاء ما عملوا ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم يفعل او يزيد في عقابه المستحق او يعذبه بغير جرم كما يزعم من ظلم الله في تعذيب اطفال المشركين بذنوب آبائهم كان من الجن كلام مستانف جار مجرى التعليل بعد استثناء ابليس من الساجدين كان قائلا قال ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه والفاء للتسبب ايضا جعل كونه من الجن سببا في فسقه يعني انه لو كان ملكا كسائر من سجد لآدم لم يفسق عن امر الله لان الملائكة معصومون البتة لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والانس كما قال لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وهذا الكلام المعترض تعمد من الله عز وعلا لصيانة الملائكة عن وقوع شبهة في عصمتهم فما ابعد البون بين ما تعمده الله وبين قول من ضاده فزعم انه كان ملكا ورئيسا على الملائكة فعصى فلعن ومسخ شيطانا ثم وركه على ابن عباس ومعنى فسق عن امر ربه خرج عما امره به ربه من السجود وقال قوا سقا عن قصدها جوائرا او صار فاسقا كافرا بسبب امر ربه الذي هو قوله اسجدوا لآدم افتتخذونه الهمزة للانكار والتعجيب كانه قيل اعقيب ما وجد منه تتخذونه وذريته اولياء من دوني وتستبدلونهم بي بئس للظالمين بدلا من الله ابليس لمن استبدله فاطاعه بدل طاعته ما اشهدتهم وقرئ ما اشهدناهم يعني انكم اتخذتموهم شركاء لي في العبادة وانما كانوا شركاء يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء في الالهية فنفى مشاركتهم في الالهية بقوله ما اشهدتهم خلق السموات والارض لاعتضد بهم في خلقها ولا خلق انفسهم اي ولا اشهدت بعضهم خلق بعض كقوله ولا تقتلوا انفسكم وما كنت متخذ المضلين بمعنى وما كنت متخذهم عضدا اي اعوانا فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم بالاضلال فاذا لم يكونوا عضدا لي في الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء لي في العبادة وقرئ وما كنت بالفتح الخطاب لرسول الله والمعنى وما صح لك الاعتضاد بهم وما ينبغي لك ان تعتز بهم وقرا علي رضي الله عنه متخذا المضلين بالتنوين على الاصل وقرا الحسن عضدا بسكون الضاد ونقل ضمتها الى العين وقرئ عضدا بالفتح وسكون العين وعضدا بضمتين وعضدا بفتحتين جمع عاضد كخادم وخدم وراصد ورصد من عضده اذا قواه واعانه ويوم يقول بالياء والنون واضافة الشركاء اليه على زعمهم توبيخا لهم واراد الجن موبقا مهلكا من وبق يبق وبوقا ووبق يوبق وبقا اذا هلك واوبقه غيره ويجوز ان يكون مصدرا كالمورد والموعد يعني وجعلنا بينهم واديا من اودية جهنم هو مكان الهلاك والعذاب الشديد مشتركا يهلكون فيه جميعا وعن الحسن موبقا عداوة والمعنى عداوة هي في شدتها هلاك كقوله لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وقال الفراء البين الوصل اي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيمة ويجوز ان يريد بالملائكة وعزيرا وعيسى ومريم وبالموبق البرزخ البعيد اي وجعلنا بينهم امدا بعيدا تهلك فيه الاشواط لفرط بعده لانهم في قعر جهنم وهم في اعلى الجنان وظنوا فايقنوا مواقعوها مخالطوها واقعون فيها مصرفا معدلا فان ازهيرا هل عن شيبة من مصرف الكثر شي جدلا اكثر الاشياء التي يتاتى منها الجدل ان فصلتها

وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم الا ان تاتيهم سنة الاولين او ياتيهم العذاب قبلا وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا اياتي وما انذروا هزوا ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه فاعرض عنها ونسي ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا

واحدا فصلتها بعد واحد خصومة ومماراة بالباطل وانتصاب جدلا على التمييز يعني ان جدل الانسان اكثر من جدل كل شيء ونحوه فاذا هو خصيم مبين ان الاولى نصب والثانية رفع وقبلها مضاف محذوف تقديره وما منع الناس الايمان والاستغفار الا انتظار ان تاتيهم سنة الاولين وهي الاهلاك او انتظار ان ياتيهم العذاب يعني عذاب الاخرة قبلا عيانا وقرئ قبلا انواعا جمع قبيل وقبلا بفتحتين مستقبلا ليدحضوا ليزيلوا ويبطلوا من ادحاض القدم وهو ازلاقها وازالتها عن موطئها وما انذروا يجوز ان تكون ما موصولة ويكون الراجع من الصلة محذوفا اي وما انذروا من العقاب او مصدرية بمعنى وانذارهم وقرئ هزءا بالسكون اي اتخذوها موضع استهزاء وجدالهم قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة وما اشبه ذلك بايات ربه بالقران ولذلك رجع اليها الضمير مذكرا في قوله ان يفقهوه فاعرض عنها فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر ونسي عاقبة ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي غير متفكر فيها ولا ناظر في ان المسيء والمحسن لا بد لهما من جزاء ثم علل اعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم وجمع بعد الافراد حملا على لفظ من ومعناه فلن يهتدوا فلا يكون منهم اهتداء البتة كانه محال منهم لشدة تصميمهم اذا ابدا مدة التكليف كلها واذا جواب وجزاء فدل على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول بمعنى انهم جعلوا ما يجب ان يكون سبب وجود الاهتداء سببا لانتفائه وعلى انه جواب للرسول على تقدير قوله ما لي لا ادعوهم حرصا على اسلامهم فقيل وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة ثم استشهد على ذلك بترك مؤاخذة اهل مكة عاجلا من غير امهال مع افراطهم في عداوة رسول الله عليه السلام بل لهم موعد وهو يوم بدر لن يجدوا من دونه موئلا منجى ولا ملجا يقال وال اذا نجا ووال اليه اذا لجا اليه وتلك القرى يريد قرى الاولين من ثمود وقوم لوط وغيرهم اشار لهم اليها ليعتبروا وتلك مبتدا والقرى صفة لان اسماء الاشارة توصف باسماء الاجناس واهلكناهم خبر ويجوز ان يكون تلك القرى نصبا باضمار اهلكنا على شريطة التفسير والمعنى وتلك اصحاب القرى اهلكناهم لما ظلموا مثل ظلم اهل مكة وجعلنا لمهلكهم موعدا وضربنا لاهلاكهم وقتا معلوما لا يستاخرون عنه كما ضربنا لاهل مكة يوم بدر والمهلك الاهلاك ووقته وقرئ لمهلكهم بفتح الميم واللام مفتوحة او مكسورة اي لهلاكهم او وقت هلاكهم والموعد وقت او مصدر لفتاه يوشع بن نون عليه السلام لانه كان يخدمه ويتبعه وقيل كان ياخذ منه العلم لا ابرح اي لا ازال فلا بد من الخبر ... من برح المكان فقد دل على الاقامة لا على السفر وان كان بمعنى لا ازال فلا بد من الخبر اما لدلالة الحال والكلام معا عليه اما الحال فلانها كانت حال سفر واما الكلام فلان قوله حتى ابلغ مجمع البحرين غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له فلا بد ان يكون المعنى لا ابرح اسير حتى ابلغ مجمع البحرين ووجه اخر وهو ان يكون المعنى لا يبرح

فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا فلما جاوزا

مسيري حتى أبلغ على أن حتى أبلغ هو الخبر فلما حذف المضاف أقيم المضاف إليه مقامه وهو ضمير
المتكلم فانقلب الفعل عن لفظ الغائب إلى لفظ المتكلم وهو وجه لطيف ويجوز أن يكون المعنى لا أبرح
ما أنا عليه بمعنى ألزم المسير والطلب ولا أتركه ولا أفارقه حتى أبلغ كما تقول لا أبرح
المكان ومجمع البحرين المكان الذي وعد فيه موسى لقاء الخضر عليه السلام وهو ملتقى بحري فارس
والروم مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل إفريقية ومن بدع التفاسير أن البحرين
موسى والخضر لأنهما كانا بحرين في العلم وقرئ مجمع بكسر الميم وهو شاذ من يفعل
كالمشرق والمطلع من يفعل أو أمضي حقبا أو أسير زمانا طويلا والحقب ثمانون سنة
روي أنه لما ظهر موسى على مصر مع بني إسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط أمره الله أن
يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا فذكر نعمة الله وقال إن الله اصطفى نبيكم وكلمه فقالوا
له قد علمنا هذا فأي الناس أعلم قال أنا فعتب الله عليه حين لم يرد العلم إلى الله فأوحى إليه بل
أعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر وكان الخضر في أيام أفريدون قبل موسى
وقيل إن موسى عليه السلام سأل ربه أي عبادك أحب إليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فأي
عبادك أقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فأي عبادك أعلم قال الذي يبتغي
علم الناس إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى فقال إن كان
في عبادك من هو أعلم مني فادللني عليه قال أعلم منك الخضر قال أين أطلبه قال على الساحل
عند الصخرة قال يا رب كيف لي به قال تأخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه
إذا فقدت الحوت فأخبرني فذهبا يمشيان فرقد موسى فاضطرب الحوت ووقع في البحر فلما جاء
وقت الغداء طلب موسى الحوت فأخبره فتاه بوقوعه في البحر فأتيا الصخرة فإذا رجل مسجى
بثوبه فسلم عليه موسى فقال وأنى بأرضنا السلام فعرفه نفسه فقال يا موسى أنا على علم
علمنيه الله لا تعلمه أنت وأنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا فلما ركبا السفينة جاء عصفور
فوقع على حرفها فنقر في الماء فقال الخضر ما ينقص علمي وعلمك من علم الله مقدار ما أخذ
هذا العصفور من البحر نسيا حوتهما أي نسيا تفقد أمره وما يكون منه مما جعل أمارة على الظفر بالطلبة
وقيل نسي يوشع أن يقدمه ونسي موسى أن يأمره فيه بشيء وقيل كان الحوت سمكة مملوحة وقيل
إن يوشع حمل الحوت والخبز في المكتل فنزلا ليلة على شاطئ عين تسمى عين الحياة ونام موسى
فلما أصاب السمكة روح الماء وبرده عاشت وروي أنهما أكلا منها وقيل توضأ يوشع من تلك
العين فانتضح الماء على الحوت فعاش ووقع في الماء سربا أمسك الله جرية الماء على الحوت فصار عليه مثل
الطاق وحصل منه في مثل السرب معجزة لموسى أو للخضر فلما جاوزا الموعد وهو الصخرة لنسيان موسى
تفقد أمر الحوت وما كان منه ونسيان يوشع أن يذكر لموسى ما رأى من حياته ووقوعه في البحر
وقيل سارا بعد مجاوزة الصخرة الليلة والغد إلى الظهر وألقي على موسى النصب والجوع حين

قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما
أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا فوجدا
عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا قال إنك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا

جاوز الموعد ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك فتذكر الحوت وطلبه وقوله سفرنا هذا إشارة إلى مسيرهما
وراء الصخرة فإن قلت كيف نسي يوشع ذلك ومثله لا ينسى لكونه أمارة لهما على الطلبة التي تناهضا من أجلها
ولكونه معجزتين ثنتين وهما حياة السمكة المملوحة المأكول منها وقيل ما كانت إلا شق سمكة وقيام الماء
وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب منه ثم كيف استمر به النسيان حتى خلفا الموعد وسارا
مسيرة ليلة إلى ظهر الغد وحتى طلب موسى عليه السلام الحوت قلت قد شغله الشيطان بوساوسه فذهب
بفكره كل مذهب حتى اعتراه النسيان وانضم إلى ذلك أنه ضري بمشاهدة أمثاله عند موسى من
العجائب واستأنس بأخواته فأعان الإلف على قلة الاهتمام أرأيت بمعنى أخبرني فإن قلت ما وجه التئام
هذا الكلام فإن كل واحد من أرأيت وإذ أوينا وفإني نسيت الحوت لا متعلق له قلت لما طلب موسى
الحوت ذكر يوشع ما رأى منه وما اعتراه من نسيانه إلى تلك الغاية فدهش فطفق يسأل موسى عن سبب
ذلك كأنه قال أرأيت ما دهاني إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت فحذف ذلك وقيل الصخرة التي دون
نهر الزيت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره بدل من الهاء أي وما أنساني ذكره إلا الشيطان وفي قراءة عبد الله أن أذكركه
عجبا ثاني مفعولي اتخذ مثل سربا يعني واتخذ سبيله سبيلا عجبا وهو كونه شبيه السرب وقال عجبا في آخر
كلامه تعجبا من حاله في رؤية تلك العجيبة ونسيانه لها أو مما رأى من المعجزتين وقوله وما أنسانيه إلا
الشيطان أن أذكره اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وقيل إن عجبا حكاية لتعجب موسى عليه السلام
وليس بذاك ذلك إشارة إلى اتخاذه سبيلا أي ذلك الذي كنا نطلب لأنه أمارة الظفر بالطلبة من لقاء
الخضر وقرئ نبغ بغير ياء في الوصل وإثباتها أحسن وهي قراءة أبي عمرو وأما الوقف فالأكثر فيه طرح
الياء اتباعا للخط المصحف فارتدا فرجعا على أدراجهما قصصا يقصان قصصا أي يتبعان آثارهما
اتباعا أو فارتدا مقتصين رحمة من عندنا هي الوحي والنبوة من لدنا مما يختص بنا من العلم وهو الإخبار
عن الغيوب رشدا قرئ بفتحتين وبضمة وسكون أي علما ذا رشد أرشد به في ديني فإن قلت أما دلت
حاجته إلى التعلم من آخر في عهده أنه كما قيل موسى بن ميشا لا موسى بن عمران لأن النبي يجب أن يكون أعلم أهل
زمانه وإمامهم المرجوع إليه في أبواب الدين قلت لا غضاضة بالنبي في أخذ العلم من نبي مثله وإنما يغض منه
أن يأخذه ممن دونه وعن سعيد بن جبير أنه قال لابن عباس إن نوفا ابن امرأة كعب يزعم أن الخضر ليس بصاحب
موسى وأن موسى هو موسى بن ميشا فقال كذب عدو الله نفى استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد كأنها مما لا يصح
ولا يستقيم وعلل ذلك بأنه يتولى أمورا هي في ظاهرها مناكير والرجل الصالح فكيف إذا كان نبيا
لا يتمالك أن يشمئز ويمتعض ويجزع إذا رأى ذلك ويأخذ في الإنكار وخبرا تمييز أي لم يحط به
خبرك أو لأن لم تحط به بمعنى لم تخبره فنصبه نصب المصدر ولا أعصي في محل النصب عطف على صابرا
أي ستجدني صابرا وغير عاص أو لا محل له عطفا على ستجدني رجا موسى عليه السلام لحرصه على العلم
وازدياده أن يستطيع معه صبرا بعدما أفصح الخضر عليه السلام عن حقيقة الأمر فوعد بالصبر
معلقا بمشيئة الله علما منه بشدة الأمر وصعوبته وأن الحمية التي تأخذ المصلح عند مشاهدة

احدث لك منه ذكرا ... حتى اذا ركبا في
السفينة خرقها قال اخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت
شيئا امرا قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تواخذني

الفلسلة لم يطاق هذا مع علمه ان النبي المعصوم الذي امره الله بالمسافرة اليه واتباعه واقتباس
العلم منه بري من ان يباشر ما فيه غميزة في الدين وانه لا بد لما يستسمج ظاهره من باطن حسن جميل
فكيف اذا لم تعلم قرئ فلا تسألني بالنون الثقيلة يعني فمن شرط اتباعك لي انك اذا رايت مني
شيئا وقد علمت انه صحيح الا انه خفي عليك وجه صحته فحمست وانكرت في نفسك ان لا تفاتحني
بالسؤال ولا تراجعني فيه حتى اكون انا الفاتح عليك وهذا من ادب المتعلم مع العالم والمتبوع
مع التابع فانطلقا على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركبا قال اهلها انهما من اللصوص وامروهما
بالخروج فقال صاحب السفينة اري وجوه الانبياء وقيل عرفوا الخضر فحملوهما بغير نول فلما
لججوا اخذ الخضر الفاس فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها مما يلي الماء فجعل موسى
يسد الخرق بثيابه ويقول اخرقتها لتغرق اهلها وقرئ لتغرق بالتشديد وليغرق
اهلها من غرق واهلها مرفوع جئت شيئا امرا اتيت شيئا عظيما من امر الامر اذا
عظم قال داهية دهياء ادًا امرا امرا بما نسيت بالذي نسيته او بشيء نسيته او بنسياني اراد
انه نسي وصيته ولا مواخذة على الناسي واخرج الكلام في معرض النهي عن المواخذة بالنسيان يوهمه
انه قد نسي ليبسط عذره في الانكار وهو من معاريض الكلام التي يتقي بها الكذب مع التوصل الى
الغرض كقول ابرهيم عليه السلام هذه اختي واني سقيم او اراد بالنسيان الترك اي لا تواخذني بما تركت
من وصيتك اول مرة يقال رهقه اذا غشيه وارهقه اياه اي ولا تغشني عسرا من امري وهو
اتباعه اياه يعني لا تعسر علي متابعتك ويسرها علي بالاغضاء وترك المناقشة وقرئ
عسرا بضمتين فقتله قيل كان يقتله فتل عنقه وقيل ضرب براسه الحائط وعن
سعيد بن جبير اضجعه ثم ذبحه بالسكين فان قلت لم قيل حتى اذا ركبا في السفينة خرقها بغير فا
وحتى اذا لقيا غلاما فقتله بالفا قلت جعل خرقها جزاء للشرط وجعل قتله من جملة الشرط
معطوفا عليه والجزاء قال اقتلت فان قلت فلم خولف بينهما قلت لان خرق السفينة لم يتعقب الركوب
وقد تعقب القتل لقاء الغلام وقرئ زاكية وزكية وهي الطاهرة من الذنوب اما لانها طاهرة عنده لانه
لم يرها قد اذنبت واما لانها صغيرة لم تبلغ الحنث بغير نفس يعني لم تقتل نفسا فيقتص منها
وعن ابن عباس ان نجدة الحروري كتب اليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله عن قتل الولدان
فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل نكرا وقرئ بضمتين وهو
المنكر وقيل النكر اقل من الامر لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق اهل السفينة وقيل معناه
جئت شيئا انكر من الاول لان ذلك كان خرقا يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل الى تداركه فان قلت
ما معنى زيادة لك قلت زيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية والوسم بقلة الصبر عند الكرة
الثانية بعدها بعد هذه الكرة او المسألة فلا تصاحبني فلا تقاربني وان طلبت صحبتك فلا
تتابعني على ذلك وقرئ فلا تصحبني فلا تكن صاحبي وقرئ فلا تصحبني اي فلا تصحبني اياك

ولا تجعلني صاحبك من لدني عذرا قد اعذرت وقرئ لدني بتخفيف النون ولدني بسكون الدال
وكسر النون كقولهم في عضد عضد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى استحيا فقال ذلك
وقال رحمة الله علينا وعلى اخي موسى لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب اهل قرية
هي انطاكية وقيل الابلة وهي ابعد ارض الله من السماء ان يضيفوهما وقرئ يضيفوهما يقال
ضافه اذا كان له ضيفا وحقيقته مال اليه من ضاف السهم عن الغرض ونظيره زاره من الازورار
واضافه وضيفه انزله وجعله ضيفه وعن النبي صلعم كانوا اهل قرية لئاما وقيل شر القرى
التي لا يضاف الضيف فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه يريد ان ينقض استعيرت الارادة للمداناة
والمشارفة كما استعير الهم والعزم لذلك قال الراعي: في مهمه قلقت به هاماتها
قلق الفؤوس اذا اردن نصولا وقال: يريد الرمح صدر ابي براء ويعدل عن دماء بني عقيل
وقال حسان: ان دهرا يلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان وسمعت من يقول عزم
السراج ان يطفا وطلب ان يطفا واذا كان القول والنطق والشكاية والصدق والكذب
والسكوت والتمرد والاباء والعزة والطواعية وغير ذلك مستعارة للجماد ولما لا يعقل
فما بال الارادة قال: اذا قالت الانساع للبطن الحق. تقول سني للنواة طني. لا ينطق اللهو
حتى ينطق العود. وشكا الي جملي بعبرة وتحمحم. انك لن ترى صادقا وهو صادقه. ولما سكت عن
موسى الغضب. تمرد مارد وعز الابلق. ولبعضهم: يابى على اجفانه اغفاؤه
هم اذا انقاد الهموم تمردا. ابت الروادف والثدي لقمصها مس البطون وان تمس ظهورا
قالتا اتينا طائعين ولقد بلغني ان بعض المحرفين لكلام الله ممن لا يعلم كان يجعل الضمير
للخضر لان ما كان فيه من افة الجهل وسقم الفهم اراه اعلى الكلام طبقة ادناه منزلة فتمحل
ليرده الى ما هو عنده اصح وافصح وعنده ان ما كان ابعد من المجاز كان ادخل في الاعجاز
وانقض اذا اسرع سقوطه من انقضاض الطائر وهو انفعل مطاوع قضضته
وقيل افعل من النقض كاحمر من الحمرة وقرئ ان ينقض من النقض وان ينقاص من انقاصت
السن اذا انشقت طولا قال ذو الرمة: منقاص ومنكثب بالصاد غير معجمة فاقامه قيل اقامه
بيده وقيل مسحه بيده فقام واستوى وقيل اقامه بعمود عمده به وقيل نقضه وبناه وقيل كان
طول الجدار في السماء مائة ذراع كانت الحال حال اضطرار وافتقار الى المطعم وقد لزتهما الحاجة
الى اخر كسب المرء وهو المسألة فلم يجدا مواسيا فلما اقام الجدار لم يتمالك موسى لما راى الحرمان
ومساس الحاجة ان قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا وطلبت على عملك جعلا حتى نستدفع به
الضرورة وقرئ لتخذت والتاء في تخذ اصل كما في تبع واتخذ افتعل منه كاتبع من تبع وليس
من الاخذ في شيء فان قلت هذا اشارة الى ماذا قلت قد تصور فراق بينهما عند حلول ميعاده على ما
قال موسى عليه السلام ان سالتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني فاشار اليه وجعله مبتدا واخبر عنه
كما تقول هذا اخوك فلا يكون هذا اشارة الى غير الاخ ويجوز ان يكون اشارة الى السؤال

قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا ... فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد
ان ينقض فاقامه قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا قال هذا فراق بيني وبينك سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا

للمساكين يعملون في البحر فاردت ان اعيبها وكان وراءهم ملك
يأخذ كل سفينة غصبا واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما طغيانا
وكفرا فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة واقرب رحما واما الجدار
فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحا

الثاني هذا الاعتراض سبب الفراق والاصل هذا فراق بيني وبينك وقد قرأ به ابن ابي عبلة فاضيف المصدر الى الظرف كما يضاف الى المفعول به للمساكين قيل كانت لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر وراءهم امامهم كقوله ومن ورائهم برزخ وقيل خلفهم وكان طريقهم في رجوعهم عليه وما كان عندهم خبره فاعلم الله به الخضر وهو جلندى فان قلت قوله فاردت ان اعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها فكان حقه ان يتأخر عن السبب فلم قدم عليه قلت النية به التأخير وانما قدم للعناية ولان خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكن مع كونها للمساكين فكان بمنزلة قولك زيد ظني مقيم وقيل في قراءة ابي وعبد الله كل سفينة صالحة وقرأ الجحدري وكان ابواه مؤمنان على ان كان فيه ضمير الشان فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا فخشينا ان يغشي الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه ويطغيا ويكفرا بعد الايمان وانما خشي الخضر منه ذلك لان الله عز وعلا اعلمه بحاله واطلعه على سر امره وامره اياه بقتله كاخترامه لمفسدة عرفها في حياته وفي قراءة ابي فخاف ربك والمعنى فكره ربك كراهة من خاف سوء عاقبة الامر فغيره ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية لقول الله عز وجل بمعنى فكرهنا كقوله لاهب لك وقرئ يبدّلهما بالتشديد والزكاة الطهارة والنقاء من الذنوب والرحم الرحمة والعطف وروي انه ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله على يديه امة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل ابدلهما ابنا مؤمنا مثلهما قيل اسما الغلامين اصرم وصريم والغلام المقتول اسمه الحسين واختلف في الكنز فقيل مال مدفون من ذهب وفضة وقيل لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل صحف فيها علم والظاهر لاطلاقه انه مال وعن قتادة احل الكنز لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة عليهم واحلت لنا واراد قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة الاية وكان ابوهما صالحا اعتداد بصلاح ابيهما وحفظ لحقه فيهما وعن جعفر بن محمد كان بين الغلامين وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة اباء وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما انه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما بم حفظ الله الغلامين قال بصلاح ابيهما قال فابي وجدي خير منه فقال قد انبأنا الله انكم قوم خصمون رحمة مفعول له او مصدر منصوب باراد ربك لانه في معنى رحمهما وما فعلته وما فعلت ما رايت عن امري عن اجتهادي ورايي وانما فعلته بامر الله ذو القرنين هو الاسكندر ملك الدنيا قيل ملكها مؤمنان ذو القرنين وسليمان وكافران نمرود وبختنصر

عليه صبرا ويسئلونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض واتيناه من كل شيء سببا فاتبع

سببا حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب واما ان
تتخذ فيهم حسنا قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا واما من امن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى

وكان بعد نمرود واختلف فيه فقيل كان عبدا صالحا ملكه الله الارض واعطاه العلم والحكمة والبسه الهيبة وسخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من امامه وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل نبيا وقيل ملكا من الملائكة وعن عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا اما رضيتم ان تتسموا باسماء الانبياء حتى تسميتم باسماء الملائكة وعن علي رضي الله عنه سخر له السحاب ومدت له الاسباب وبسط له النور وسئل عنه فقال احبه الله فاحبه وسأله ابن الكواء ما ذو القرنين املك ام نبي فقال ليس بملك ولا نبي ولكن كان عبدا صالحا ضرب على قرنه الايمن في طاعة الله فمات ثم بعثه الله فضرب على قرنه الايسر فمات فبعثه الله فسمي ذا القرنين وفيكم مثله قيل كان يدعوهم الى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله وعن النبي عليه السلام سمي ذا القرنين لانه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها وغربها وقيل كان له قرنان اي ضفيرتان وقيل انقرض في وقته قرنان من الناس وعن وهب لانه ملك الروم وفارس وروي الروم والترك وعنه كانت صفحتا راسه من نحاس وقيل كان لتاجه قرنان وقيل كان على راسه ما يشبه القرنين ويجوز ان يلقب بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشا كانه ينطح اقرانه وكان من الروم ولد عجوز ليس لها ولد غيره والسائلون هم اليهود سألوه على جهة الامتحان وقيل سأله ابو جهل واشياعه والخطاب لاحد الفريقين من كل شيء اي من اسباب كل شيء اراده من اغراضه ومقاصده في ملكه سببا طريقا موصلا اليه والسبب ما يتوصل به الى المقصود من علم او قدرة او الة فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه حتى بلغ وكذلك اراد المشرق فاتبع سببا واراد بلوغ السدين فاتبع سببا وقرئ فاتبع حمئة من حمئت البئر اذا صارت فيها الحمأة وحامية بمعنى حارة وعن ابي ذر رضي الله عنه كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على جمل فرأى الشمس حين غابت فقال تدري يا ابا ذر اين تغرب هذه قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تغرب في عين حامية وهي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وطلحة وابن عمر وابن عمرو والحسن رضي الله عنهم وقرأ ابن عباس حمئة وكان ابن عباس عند معاوية فقرأ معاوية حامية فقال ابن عباس حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمرو كيف تقرأ قال كما يقرأ امير المؤمنين ثم وجه الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التوراة وروي في ثأط فوافق قول ابن عباس وكان ثم رجل فانشد قول تبع فرأى مغيب الشمس عند مآبها في عين ذي خلب وثأط حرمد اي في عين ماء ذي طين وحمأ اسود ولا تنافي بين الحمئة والحامية فجائز ان تكون العين جامعة للوصفين جميعا كانوا كفرة فخيره الله بين ان يعذبهم بالقتل وان يدعوهم الى الاسلام فاختار الدعوة والاجتهاد في استمالتهم فقال اما من دعوته فابى الا البقاء على الظلم العظيم الذي هو الشرك فذاك هو المعذب في الدارين واما من امن وعمل ما يقتضيه الايمان فله جزاء الحسنى وقيل خيره بين القتل والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل فله جزاء

سنقول له من أمرنا يسرا ثم أتبع سببا حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم
لم نجعل لهم من دونها سترا كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا ثم أتبع سببا حتى إذا بلغ بين
السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج
ومأجوج مفسدون في الأرض

الحسنى فله المجازاة المثوبة الحسنى أو فله جزاء الفعلة الحسنى التي هي كلمة الشهادة وقرئ فله جزاءً الحسنى أي فله الفعلة الحسنى جزاءً وعن قتادة كان يطبخ من كفر في القدور وهو العذاب النكر ومن آمن أعطاه وكساه من أمرنا يسرا أي لا نأمره بالصعب الشاق ولكن بالسهل المتيسر من الزكاة والخراج وغير ذلك وتقديره ذا يسر كقوله قولا ميسورا وقرئ يسرا بضمتين وقرئ مطلع بفتح اللام وهو مصدر والمعنى بلغ مكانا مطلع الشمس كقوله كأن مجر الرامسات ذيولها يريد كأن آثار مجر الرامسات على قوم قيل هم الزنج والستر الأبنية وعن كعب أرضهم لا تمسك الأبنية وبها أسراب فإذا طلعت الشمس دخلوها فإذا ارتفع النهار خرجوا إلى معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء فقيل بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فإذا أحدهم يفرش أذنه ويلبس الأخرى ومعي صاحب يعرف لسانهم فقالوا له جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس قال فبينا نحن كذلك إذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي ثم أفقت وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء إذا هي فوق الماء كهيئة الزيت فأدخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا إلى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم وقيل الستر اللباس وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الأرض كذلك أي أمر ذي القرنين كذلك كما وصفناه تعظيما لأمره وقد أحطنا بما لديه من الجنود والآلات والأسباب الملك خبرا تكثيرا لذلك وقيل لم نجعل لهم من دونها سترا مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الجبال والحصون والأبنية والأكنان من كل جنس والثياب من كل صنف وقيل بلغ مطلع الشمس مثل ذلك أي كما بلغ مغربها وقيل تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم يعني أنهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم في تعذيبه لمن بقي منهم على الكفر وإحسانه إلى من آمن منهم بين السدين بين الجبلين وهما جبلان سد ذو القرنين ما بينهما قرئ بالضم والفتح وقيل ما كان من خلق الله فهو مضموم وما كان من عمل العباد فهو مفتوح لأن السد بالضم فعل بمعنى مفعول أي هو مما فعله الله وخلقه والسد بالفتح مصدر حدث يحدثه الناس وانتصب بين على أنه مفعول به مبلوغ كما انجر على الإضافة في قوله هذا فراق بيني وبينك وكما ارتفع في قوله لقد تقطع بينكم لأنه من الظروف التي تستعمل أسماء وظروفا وهذا المكان في منقطع أرض الترك مما يلي المشرق من دونهما قوما هم الترك لا يكادون يفقهون قولا لا يكادون يفهمونه إلا بجهد ومشقة من يفهمونه إشارة ونحوها كما يفهم البكم وقرئ يفقهون أي لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لأن لغتهم غريبة مجهولة يأجوج ومأجوج اسمان أعجميان بدليل منع الصرف وقرئا مهموزين وقرأ رؤبة آجوج وماجوج وهما من ولد يافث وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل والديلم مفسدون في الأرض قيل كانوا يأكلون الناس وقيل كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون شيئا

فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة
أجعل بينكم وبينهم ردما آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا
قال آتوني أفرغ عليه قطرا فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا قال هذا رحمة من ربي فإذا
جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا

أخضر إلا أكلوه ولا يابسا إلا احتملوه وكانوا يلقون منهم قتلا وأذى شديدا وعن رسول الله في صفتهم لا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وقيل هم على صنفين طوال مفرطو الطول وقصار مفرطو القصر وقرئ خرجا وخراجا أي جعلا نخرجه من أموالنا ونظيرهما النول والنوال وقرئ سدا وسدا بالفتح والضم ما مكني فيه ربي خير ما جعلني فيه مكينا من كثرة المال واليسار خير مما تبذلون لي من الخراج فلا حاجة بي إليه كما قال سليمان عليه السلام فما آتاني الله خير مما آتاكم وقرئ بلا إدغام وبفكه فأعينوني بقوة بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل وبالآلات ردما حاجزا حصينا موثقا والردم أكثر من السد من قولهم ثوب مردم رقاع فوق رقاع
٣٢٥ قيل حفر للأساس حتى بلغ الماء وجعل الأساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين إلى أعلاهما ثم وضع المنافيخ حتى إذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ وقرئ سوى وسووي وعن رسول الله عليه السلام أن رجلا أخبره به فقال كيف رأيته قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد رأيته والصدفين بفتحتين جانبا الجبلين لأنهما يتصادفان أي يتقابلان وقرئ الصدفين بضمتين والصدفين بضمة وسكون والصدفين بفتح وضمة والقطر النحاس المذاب لأنه يقطر وقطرا منصوب بأفرغ وتقديره آتوني قطرا أفرغ عليه قطرا فحذف الأول لدلالة الثاني عليه وقرئ قال ائتوني أي جيئوني فما اسطاعوا بحذف التاء للخفة لأن التاء قريبة المخرج من الطاء وقرئ فما اصطاعوا بقلب السين صادا وأما من قرأ بإدغام التاء في الطاء فملاق بين ساكنين على غير الحد أن يظهروه أن يعلوه أي لا حيلة لهم فيه من صعود لارتفاعه وانملاسه ولا نقب لصلابته وثخانته هذا إشارة إلى السد أي هذا السد نعمة من الله ورحمة على عباده أو هذا الإقدار والتمكين من تسويته فإذا جاء وعد ربي يعني فإذا دنا مجيء يوم القيامة وشارف أن يأتي جعل السد دكا أي مدكوكا مبسوطا مسوى بالأرض وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك ومنه الجمل الأدك المنبسط السنام وقرئ دكاء بالمد أي أرضا مستوية وكان وعد ربي حقا آخر حكاية قول ذي القرنين وتركنا بعضهم وجعلنا بعض الخلق يموج في بعض يضطربون ويختلطون إنسهم وجنهم حيارى ويجوز أن يكون الضمير ليأجوج ومأجوج وأنهم يموجون حين يخرجون مما وراء السد مزدحمين في البلاد وروي يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدرون أن يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس

أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء
إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا قل هل ننبئكم بالأخسرين
أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم

يبعث الله ... نفخا في قفاهم فيدخل آذانهم فيموتون وعرضنا جهنم وبرزناها لهم
فرأوها وشاهدوها عرضا الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري عن آياتي التي ينظر إليها فأذكر بالتعظيم أو
عن القرآن وتأمل معانيه وتبصرها ونحوه صم بكم عمي وكانوا لا يستطيعون
سمعا يعني وكانوا صما عنه إلا أنه أبلغ لأن الأصم قد يستطيع السمع إذا
صيح به وهؤلاء كأنهم أصميت أسماعهم فلا استطاعة بهم للسمع عبادي
من دوني أولياء هم الملائكة يعني أنهم لا يكونون لهم أولياء كما حكى عنهم سبحانك أنت
ولينا من دونهم وقرأ ابن مسعود أفظن الذين كفروا وقراءة علي رضي الله عنه أفحسب
الذين كفروا أي أفكافيهم ومحسبهم أن يتخذوهم أولياء على الابتداء والخبر أو
الفعل والفاعل لأن اسم الفاعل إذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل
كقولك أقائم الزيدان والمعنى أن ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا
وهي قراءة محكمة جيدة النزل ما يقام للنزيل وهو الضيف ونحوه فبشرهم
بعذاب أليم ضل سعيهم ضاع وبطل وهم الرهبان عن علي رضي الله عنه كقوله عاملة ناصبة
وعن مجاهد أهل الكتاب وعن علي رضي الله عنه أن ابن الكواء سأله عنهم فقال منهم
أهل حروراء وعن أبي سعيد الخدري يأتون بأعمال يوم القيامة هي عندهم في العظم
كجبال تهامة فإذا وزنوها لم تزن شيئا فلا نقيم لهم وزنا فنزدري بهم ولا يكون لهم
عندنا وزن ومقدار أو لا يقام لهم ميزان لأن الميزان إنما يوضع لأهل الحسنات
والسيئات من الموحدين وقرئ فلا يقيم بالياء الذين ضل سعيهم في أي محل هو قلت
الأوجه أن يكون في محل الرفع على هم الذين ضل سعيهم لأنه جواب عن السؤال ويجوز أن يكون
نصبا على الذم أو جرا على البدل جهنم عطف بيان لقوله جزاؤهم حولا التحول يقال حال
من مكانه حولا كقوله عادني حبها عودا يعني لا مزيد عليها حتى تنازعهم
أنفسهم إلى أجمع لأغراضهم وأمانيهم وهذه غاية الوصف لأن الإنسان في الدنيا في
أي نعيم كان فهو طامح الطرف إلى أرفع منه ويجوز أن يراد نفي التحول وتأكيد الخلود المداد
اسم ما يمد به الدواة من الحبر وما يمد به السراج من السليط ويقال السماد مداد الأرض والمعنى لو كتبت
كلمات علم الله وحكمته وكان البحر مدادا لها والمراد بالبحر الجنس لنفد قبل أن تنفد الكلمات ولو جئنا
بمثل البحر مدادا لنفد أيضا والكلمات غير نافدة مددا تمييز كقولك لي مثله رجلا والمدد مثل المداد
وهو ما يمد به وعن ابن عباس بمثله مدادا وقرأ الأعرج مددا بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب
فيكتب به وقرئ ينفد بالياء وقيل قال حيي بن أخطب في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا
ثم تقرؤون وما أوتيتم من العلم إلا قليلا فنزلت يعني أن ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله
... ... لقاء ربه ... ... إن لقاء الله رضا وقبول وقد فسرنا اللقاء ...

يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم
فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا إن الذين
آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا